تَفْسِيرُ الجَلالَيْنِ

بِهامِشِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

حققه الأستاذ الدكتور
فخر الدين قباوة

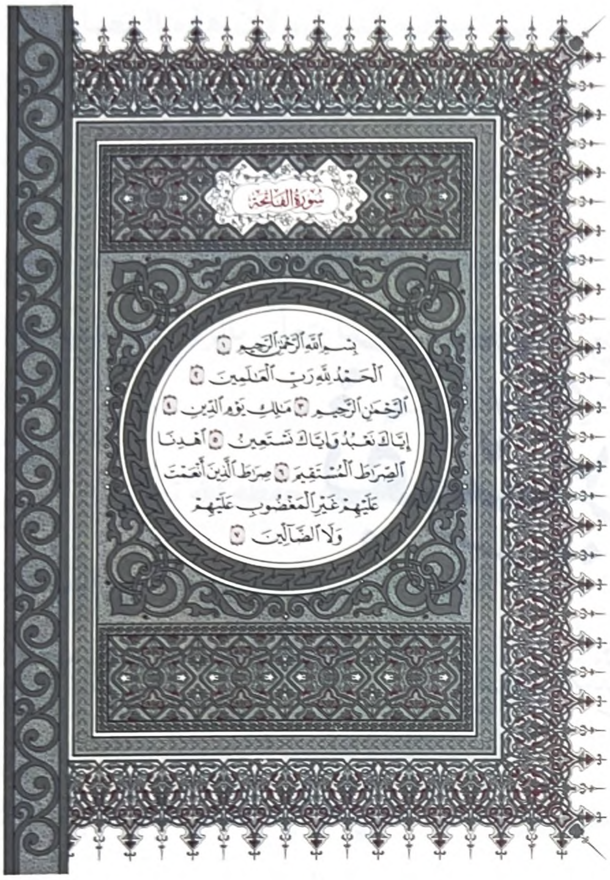
ومعه

معاني كلمات القرآن
وأسباب النزول

بعناية
أ. ماهر أديب حبّوش

دار اللباب

[قال الإمام جلال الدين المحلّيّ](١):



١

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

مكية، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة «صراطَ الذينَ» إلى آخرها، وإن لم تكن منها فالسابعة «غيرُ المغضوبِ» إلى آخرها.

ويُقدّر في أوّلها «قولوا» ليكون ما قبل «إيّاك نعبدُ» مناسبًا له بكونه من مَقول العِباد.

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ ﴿الحَمدُ للهِ﴾ جملة خبرية، قُصِدَ بها الثناء على الله بمضمونها من أنه ـ تعالى ـ مالكٌ لجميع الحمد من الخلق أو مُستحِقٌّ لأن يَحمَدوه ـ والله: عَلَمٌ على المعبود بحقٍّ ـ ﴿رَبِّ العالَمِينَ﴾ أي: مالكِ جميعِ الخلق من الإنس والجنّ والملائكة والدوابّ وغيرهم. وكلٌّ منها يُطلق عليه عالَم ـ يقال: عالَم الإِنس وعالَم الجنّ، إلى غير ذلك. وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولو العِلم على غيرهم. وهو من العَلامة لأنه عَلامة على مُوجِده ـ ٣ ـ ﴿الرَّحمنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي إرادة الخير لأهله، ٤ ـ ﴿مَلِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاءِ، وهو يوم القيامة. وخُصّ بالذكر لأنه لا مُلك ظاهرًا فيه لأحد إلّا للهِ ـ تعالى ـ بدليل: «لِمَنِ المُلكُ اليَومَ»؟ ومَن قرأ «مالِكِ» فمعناه: مالكِ الأمرِ كلّه في يوم القيامة، أي: هو موصوف بذلك دائمًا كـ «غافِرِ الذَّنْبِ»، فصحّ وقوعه صفةً للمعرفة.

٥ ـ ﴿إيّاكَ نَعبُدُ، وإيّاكَ نَستَعِينُ﴾ أي: نَخُصّكَ بالعِبادة من توحيد وغيره، ونطلب منك المعونة على العبادة وغيرها. ٦ ـ ﴿اهدِنا الصِّراطَ المُستَقِيمَ﴾ أي: أرشِدْنا إليه، ويُبدَل منه: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أنعمتَ عَلَيهِم﴾ بالهداية، ويُبدَل من «الذين» بصلته ٧ ـ ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ ـ وهم اليهود ـ ﴿ولا﴾: وغيرِ ﴿الضّالِّينَ﴾. وهم النصارى. ونُكتةُ البدل أَفادتْ أنّ المُهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى.

[قال الإمام جلال الدِّين السُّيوطيّ]:

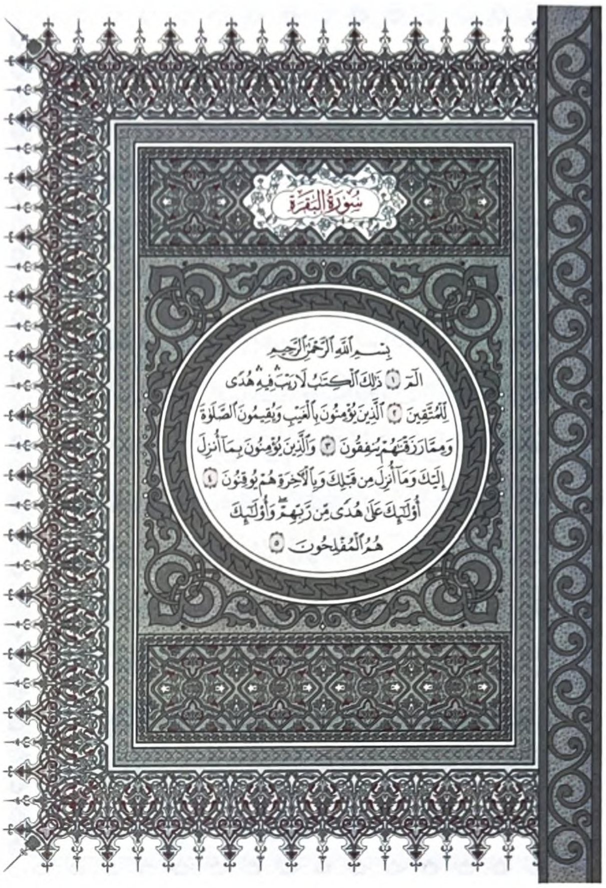
الحمدُ لله حمدًا مُوافيًا لِنِعمه مُكافئًا لمزيده، والصلاةُ والسلام على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وجنوده.

هذا ما اشتدّت إليه حاجة الراغبين في تكملةِ تفسير القرآن الكريم، الذي ألّفه الإمام المحقّق جلال الدِّين محمّد بن أحمد المحلّيّ الشافعيّ ـ رحمه الله ـ وتتميمِ ما فاته ـ وهو من أوّل سورة «البقرة» إلى آخر «الإسراء» ـ بتتمّة على نَمَطه من ذكرِ ما يُفهَم به كلام الله ـ تعالى ـ والاعتمادِ على أرجح الأقوال، وإعرابِ ما يُحتاج إليه، وتنبيهٍ على القراءات المُختلِفة المشهورة، على وجه لطيف وتعبير وجيز، وتركِ التطويل بذكر أقوالٍ غير مَرْضِيّة وأعاريبَ محلُّها كتبُ العربيّة.

واللهَ أسألُ النفعَ به في الدنيا، وأحسنَ الجزاء عليه في العُقبى، بمَنّه وكرمه.

﴿ربّ العالمين﴾: مُربّيهم ومالكِهم ومُدبِّرِ أمورِهم، ﴿يوم الدّين﴾: يومِ الجزاءِ أو الحساب، ﴿اهدنا الصّراط المستقيم﴾: وفِّقْنا للثَّباتِ على الطَّريقِ الواضحِ الَّذي لا اعوجاجَ فيهِ وهوَ الإسلامُ، ﴿المغضوب عليهم﴾: اليَهُود، ﴿الضّالين﴾: النَّصارى وكذا أشباهُهُم في الضَّلالِ.

(١) يبدأ تصنيف الجلال المحلي بتفسير سورة الكهف لينتهي بتفسير سورة الفاتحة، وقدمنا (الفاتحة) من آخر التفسير إلى أوله خلافاً لما عليه في النسخ وبعض المطبوعات؛ لتكون فاتحة الكتاب كما هي في النسق القرآني التوقيفي.



٢

سُورَةُ البَقَرَةِ

مدنية، وهي مِائَتانِ وستٌّ أو سبعٌ وثمانونَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ - ﴿الم﴾ الله أعلم بمُراده بذلك[١].

﴿٢﴾ - ﴿ذلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الكِتابُ﴾ الذي يقرؤه محمّد ﴿لا رَيبَ﴾: لا شكّ ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله ـ وجملة النفي خبر مبتدؤه «ذلك»، والإشارة به للتعظيم ـ ﴿هُدًى﴾ خبرٌ ثانٍ أي: هادٍ[٢] ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾: الصائرين إلى التقوى[٣] بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتّقائهم بذلك النارَ.

﴿٣﴾ - ﴿الَّذِينَ يُؤمِنُونَ﴾[٤]: يُصدّقون ﴿بِالغَيبِ﴾: بما غاب عنهم من البعث والجنّة والنار، ﴿ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾: في طاعة الله، ﴿٤﴾ - ﴿والَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِما أُنزِلَ إلَيكَ﴾ أي: القرآنِ ﴿وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ﴾ أي: التوراةِ والإنجيلِ وغيرهما، ﴿وبالآخِرَةِ هُم يُوقِنُونَ﴾: يَعلمونَ[٥].

﴿٥﴾ - ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿عَلَى هُدًى مِن رَبِّهِم، وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزونَ بالجنّة الناجُون من النار.

﴿ذلك الكتاب﴾: القرآنُ العظيمُ، ﴿لاريب فيه﴾: لا شكَّ في أنَّهُ حقٌّ مِن عندِ اللهِ، ﴿هدىً﴾: هادٍ مِنَ الضَّلالةِ، ﴿للمتقين﴾: الَّذينَ تجنَّبوا المعاصيَ وأدَّوُا الفرائضَ فوَقَوْا أنفسَهُمُ العذابَ، ﴿على هدى﴾: على رشادٍ ونُورٍ ويقينٍ.

(١) إشارةٌ إلى ما اختارَهُ جمهورُ السَّلفِ وجمعٌ من الخلفِ: أنَّ المقطَّعاتِ مِن المتشابهاتِ الَّتي لا يعلمُها إلاَّ اللهُ. (الجمالين).

(٢) أشارَ إلى أنَّ ﴿فيهِ﴾ خبرُ ﴿لاَ﴾، و﴿هُدًى﴾ مصدرٌ بمعنى الفاعلِ، أو على حذفِ مضافٍ، أو أُريدَ به المبالغةُ كرجلٍ عدلٍ، ومع هذا كلِّه الأَولى أن يُقالَ: إنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ هو (هو)، ونسبةُ الهدايةِ إلى الكتابِ مجازٌ، ويحتملُ أن يكونَ خبرُ ﴿لاَ﴾ محذوفاً، و(فيهِ هُدًى) أي: هدايةٌ، جملةٌ مستأنفةٌ، قُدِّمَ الخبرُ لتنكيرِ المبتدأِ، وتنوينُهُ للتَّعظيمِ، وهذانِ الوجهانِ مشهورانِ للقرَّاءِ والمعربينَ، ويُسمَّى الوقفُ بينهما معانقةً أو مراقبةً؛ يعني: إن وقفَ على الأوَّلِ وصلَ في الثَّاني وبالعكسِ، والوقفُ على الثَّاني هنا أولى كما هو المختارُ للشَّيخِ. (الجمالين).

(٣) يعني: سُمِّي المتَّقونَ متَّقينَ باعتبارِ المآلِ؛ إذ ليسُوا متَّقينَ في أوَّلِ الأحوالِ، ومع هذا خُصِّصَ بهم مع أنَّ الهدايةَ عامَّةٌ للحجَّةِ على الخلقِ، كما قالَ: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥] لأنَّهم المنتفعونَ به، فكأنَّه لهم، وأمَّا غيرُهُم فليسَ لهم بل عليهم؛ ولذا قيل: القرآنُ كالنِّيلِ ماءٌ للمحبوبينَ، ودماءٌ للمَحجُوبينَ، وقالَ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقالَ ﷺ: «القرآنُ حجَّةٌ لك أو عليكَ». (الجمالين).

(٤) يحتملُ الجرَّ والنَّصبَ والرَّفعَ. (الجمالين).

(٥) الآياتُ الأربعُ من أول السورة قيل: نزلت في مُؤمني أهلِ الكتابِ؛ لأنَّهم الذين آمَنُوا بما أُنزِلَ على محمَّدٍ وما أُنزلَ قبلَه.
وعن ابن عباس وابن مسعود: الأوليانِ في مُؤمني العربِ لأنَّهم آمَنُوا بالغيبِ، والتي بعدَهما في مُؤمني أهلِ الكتابِ. الطبري (١/ ٢٤٤) واختاره، و«التيسير» لأبي نصر القشيري (١/ ٤٨).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ
أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ
وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ
هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ
ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ
أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ
فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

(٦) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[١] كأبي جهل وأبي لهب ونحوِهما ﴿سَواءٌ علَيهِم أَأَنذَرتَهُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهَّلة والأُخرى، وتركِه ـ ﴿أَم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ لِعِلم الله منهم ذلك. فلا تطمعْ في إيمانهم. والإنذارُ: إعلام مع تخويف. (٧) ـ ﴿خَتَمَ اللهُ علَى قُلُوبِهِم﴾: طبعَ عليها واستوثقَ فلا يَدخلها خير، ﴿وعلَى سَمعِهِم﴾، أي: مواضعِه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحقّ، ﴿وعلَى أبصارِهِم غِشاوةٌ﴾: غِطاءٌ فلا يُبصرون الحقّ، ﴿ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾: قويّ دائم.

ونزل في المنافقين[٢]: (٨) ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: آمَنّا بِاللهِ وبِاليَومِ الآخِرِ﴾، أي: يَومِ القيامة لأنه آخِرُ الأيّام. ﴿وما هُم بمُؤمِنِينَ﴾. رُوعيَ فيه معنى «مَن»، وفي ضمير «يقول» لفظُها. (٩) ـ ﴿يُخادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا﴾، بإظهار خلاف ما أبطنُوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامَه الدنيويّة، ﴿وما يُخادِعُونَ إلّا أنفُسَهُم﴾ لأن وَبال خِداعهم راجع إليهم، فيَفتَضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيَّه على ما أبطنوه، ويُعاقَبون في الآخِرة، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾: يَعلَمُون أنّ خِداعهم لأنفسهم. والمُخادَعةُ هنا من واحد كعاقَبتُ اللصَّ. وذِكرُ الله فيها تَحسينٌ. وفي قراءةٍ: «وما يَخدَعُونَ». (١٠) ـ ﴿في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: شكّ ونِفاق، فهو يُمرِض قلوبهم أي: يُضعِفها، ﴿فزادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به، ﴿ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلمٌ، ﴿بِما كانُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالتشديد أي نبيَّ الله، وبالتخفيف أي: في قولهم: آمَنّا.

(١١) ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم﴾ أي: لهؤلاء: ﴿لا تُفسِدُوا في الأَرضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قالُوا: إنَّما نَحنُ مُصلِحُونَ﴾، وليس ما نحن عليه بفساد ـ قال الله تعالى ردًّا عليهم: (١٢) ـ ﴿أَلا﴾ للتنبيه ﴿إنَّهُم هُمُ المُفسِدُونَ، ولكِنْ لا يَشعُرُونَ﴾ بذلك ـ (١٣) ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: آمِنُوا كَما آمَنَ النّاسُ﴾ أي: أصحابُ النبيّ ﴿قالُوا: أَنُؤمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ﴾[٣]: الجُهّالُ؟ أي: لا نفعل كفعلهم ـ قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَلا إنَّهُم هُمُ السُّفَهاءُ، ولكِنْ لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ـ (١٤) ـ ﴿وإذا لَقُوا﴾ أصله «لَقِيُوا» حُذِفَتِ الضمةُ للاستثقال ثم الياءُ لالتقائها ساكنةً مع الواو، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا: آمَنّا. وإذا خَلَوا﴾ منهم ورجَعوا ﴿إلَى شَياطِينِهِم﴾: رؤسائهم ﴿قالُوا: إنّا مَعَكُم﴾ في الدِّين، ﴿إنَّما نَحنُ مُستَهزِئُونَ﴾[٤] بهم بإظهار الإيمان.

(١٥) ـ ﴿اللهُ يَستَهزِئُ بِهِم﴾: يُجازيهم باستهزائهم، ﴿ويَمُدُّهُم﴾: يُمهِلهم ﴿في طُغيانِهِم﴾: تجاوزِهم الحدَّ بالكفر، ﴿يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون تحيّرًا، حالٌ. (١٦) ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَى﴾، أي: استبدلوها به، ﴿فما رَبِحَتْ تِجارَتُهُم﴾ أي: ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم، ﴿وما كانُوا مُهتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

﴿ختم الله﴾: طَبَعَ اللهُ. ﴿غشاوة﴾: غطاءٌ وسترٌ. ﴿يخادعون﴾: يعملونَ عملَ المُخادعِ. ﴿مرض﴾: شكٌّ ونفاقٌ أو تكذيبٌ وجَحْدٌ. ﴿خلوا إلى شياطينهم﴾: انصرَفُوا إليهم أوِ انفردُوا معَهُم. ﴿يمدّهم﴾: يزيدُهُم أو يُمهِلُهُم. ﴿طغيانهم﴾: مجاوزتِهِمُ الحدَّ وغلوِّهِم في الكفرِ. ﴿يعمهون﴾: يعمَونَ عنِ الرُّشدِ أو يتحيَّرونَ.

(١) عن ابن عباس: نزلتْ في اليهود الذين كانوا بنَواحي المدينةِ على عهد رسول الله ﷺ، توبيخًا لهم في جُحودهم نبوَّته مع علمهم بأنّه رسولُ الله إليهم وإلى الناس كافةً. الطبري (١/ ٢٥٨).

(٢) رواه الطبري (١/ ٢٤٥) و(١/ ١٧٥) عن مجاهد وابن عباس وقتادة. ورواه ابن أبي حاتم (١/ ٤٢) عن أبي العالية، ثم ذكره عن الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ.

(٣) عن ابن عباس: نزلت في شأنِ اليهود ومسلمي أهل الكتاب: عبدِ الله بنِ سَلاَم وأصحابِه، والنَّجاشيِّ وأصحابِه..، الخبر بتمامه في «التيسير» لأبي حفص النسفي (١/ ٣٢٤)، ومختصراً في «تفسير السمرقندي» (١/ ٥٥).

(٤) نزلت في نفاق عبد الله بن أبيٍّ للصحابة عند لقائه بهم، وفيه قصة رواها الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وآثار الوضع عليه لائحة كما في «العجاب» (١/ ٢٣٧).

مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ
بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ
ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ
يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ
قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي
خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٢٢ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ
بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ
ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤

١٧ ـ ﴿مَثَلُهُم﴾: صِفتهم في نِفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي استوقَدَ﴾: أوقدَ ﴿نارًا﴾ في ظُلمة، ﴿فلمّا أضاءَتْ﴾: أنارتْ ﴿ما حَولَهُ﴾ فأبصر واستدفأ وأمِنَ ما يخافه ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنورِهِم﴾: أطفأه ـ وجُمِع الضمير مُراعاةً لمعنى «الذي» ـ ﴿وتَرَكَهُم في ظُلُماتٍ لا يُبصِرُونَ﴾ ما حولهم، مُتحيّرينَ عن الطريق خائفين. فكذلك هؤلاء، أمِنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

١٨ ـ هم ﴿صُمٌّ﴾ عن الحقّ فلا يسمعونه سماع قَبول، ﴿بُكمٌ﴾: خُرسٌ عن الخير فلا يقولونه، ﴿عُميٌ﴾ عن طريق الهُدى فلا يرونه، ﴿فهُم لا يَرجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

١٩ ـ ﴿أو﴾ مَثَلُهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر. وأصله «صَيْوِبٌ» من: صابَ يَصوبُ، أي: ينزل ﴿مِنَ السَّماءِ﴾: السحابِ، ﴿فِيهِ﴾ أي: السحابِ ﴿ظُلُماتٌ﴾ بتكاثفه ﴿ورعدٌ﴾ هو المَلَكُ الموكَّل به، وقيل: صوتُه، ﴿وبرقٌ﴾: لَمَعانُ صوته الذي يَزجُره به. ﴿يَجعَلُونَ﴾ أي: أصحابُ الصيِّب ﴿أصابِعَهُم﴾ أي: أناملَها ﴿في آذانِهِم مِنَ﴾ أجلِ ﴿الصَّواعِقِ﴾: شِدّةِ صوت الرعد لئلّا يسمعوها، ﴿حَذَرَ﴾: خوفَ ﴿المَوتِ﴾ من سماعها. كذلك هؤلاء، إذا نزل القرآن، وفيه ذِكرُ الكُفرِ المُشبَّهِ بالظلمات والوعيدُ عليه المُشبَّهُ بالرعد والحُجَجُ البيّنة المشبَّهةُ بالبرق، يسدّون آذانهم لئلّا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمانِ وتركِ دينهم، وهو عندهم موت. ﴿واللهُ مُحِيطٌ بِالكافِرِينَ﴾ عِلمًا وقُدرة، فلا يفوتونه.

٢٠ ـ ﴿يَكادُ﴾: يقرُبُ ﴿البَرقُ يَخطَفُ أبصارَهُم﴾: يأخذها بسُرعة، ﴿كُلَّما أضاءَ لَهُم مَشَوا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه، ﴿وإذا أظلَمَ عَلَيهِم قامُوا﴾ وقفوا. تمثيلٌ لإزعاجِ ما في القرآن من الحُجج قلوبَهم، وتصديقِهم بما سمعوا فيه ممّا يُحبّون ووقوفِهم عمّا يكرهون، ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمعِهِم﴾ بمعنى أسماعِهم، ﴿وأبصارِهِم﴾ الظاهرةِ كما ذهب بالباطنة ﴿إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ﴾ شاءَه ﴿قَدِيرٌ﴾، ومنه إذهابُ ما ذُكر.

٢١ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلَ مكّةَ، ﴿اعبُدُوا﴾: وحِّدوا ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم﴾: أنشأكم ولم تكونوا شيئًا، ﴿و﴾ خلقَ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِكُم، لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عقابَه ـ و«لعلّ» في الأصل للترجّي، وفي كلامه تعالى للتحقيق ـ ٢٢ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾: خلقَ ﴿لَكُمُ الأرضَ فِراشًا﴾ حالٌ: بِساطًا يُفترش، لا غايةً في الصلابة أو الليونة فلا يُمكنَ الاستقرارُ عليها، ﴿والسَّماءَ بِناءً﴾: سَقفًا، ﴿وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجَ بِهِ مِنَ﴾ أنواع ﴿الثَّمَراتِ رِزقًا لَكُم﴾، تأكلونه وتَعلِفون به دوابَّكم. ﴿فلا تَجعَلُوا لِلهِ أندادًا﴾: شُركاءَ في العبادة، ﴿وأنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه الخالق ولا يَخلقون، ولا يكون إلـٰهًا إلّا من يَخلق.

٢٣ ـ ﴿وإن كُنتُم في رَيبٍ﴾: شكٍّ ﴿مِمّا نَزَّلنا على عَبدِنا﴾ محمّد من القرآن، أنه من عند الله، ﴿فَأتُوا بِسُورةٍ مِن مِثلِهِ﴾ أي: المُنزَّلِ، و«مِن» للبيان، أي: هي مِثلُه في البلاغة وحُسن النظم والإخبار عن الغيب ـ والسورة: قِطعة لها أوّلٌ وآخِرٌ أقلّها ثلاثُ آيات ـ ﴿وادعُوا شُهَداءَكُم﴾: آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾، أي: غيرِه لتُعينكم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنّ محمّدًا قاله من عِند نفسه، فافعلوا ذلك. فإنكم عرَبيّون فُصحاء مثلُه.

ولمّا عجزوا عن ذلك قال تعالى: ٢٤ ـ ﴿فإن لَم تَفعَلُوا﴾ ما ذُكر لعجزكم ـ ﴿ولَن تَفعَلُوا﴾ ذلك أبدًا لظهور إعجازه، اعتراضٌ ـ ﴿فاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر، ﴿النّارَ الَّتِي وَقُودُها النّاسُ﴾: الكفّار ﴿والحِجارَةُ﴾ كأصنامهم منها ـ يعني أنها مُفرطة الحرارة، تتّقد بما ذُكر، لا كنار الدنيا تتّقد بالحطب ونحوه ـ ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئتْ ﴿لِلكافِرِينَ﴾ يُعذَّبون بها. جملة مُستأنفة، أو حالٌ لازمة.

﴿مثلُهم﴾: حالُهُمُ العجيبةُ، أو صفتُهم، ﴿استوقد ناراً﴾: أوقدَها، ﴿بكمٌ﴾: خرسٌ عنِ النُّطقِ بالحقِّ، ﴿كصيّبٍ﴾: الصَّيِّبُ: المطرُ النَّازلُ أوِ السَّحابُ، ﴿يخطفُ أبصارهم﴾: يستلبُها ويذهبُ بها بسرعةٍ، ﴿قاموا﴾: وقفوا وثبتوا في أماكنِهِم مُتحيِّرينَ، ﴿الأرض فراشاً﴾: بِساطاً ووطاءً للاستقرارِ عليها، ﴿السماء بناءً﴾: سقفاً مرفوعاً أو كالقُبَّةِ المضروبةِ، ﴿أنداداً﴾: أمثالاً مِنَ الأوثانِ تعبدونَها، ﴿ادعوا شهداءكم﴾: أحضِروا آلهتَكُم أو نُصَراءَكُم.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ
يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ
إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ
مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ
فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

(٢٥) ـ ﴿**وبَشِّرِ**﴾: أخبِرْ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: صَدَّقوا بالله، ﴿**وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ من الفُروض والنوافل ﴿**أنّ**﴾، أي: بأنّ ﴿**لَهُم جَنّاتٍ**﴾: حدائقَ ذاتَ شجرٍ ومساكنَ، ﴿**تَجرِي مِن تَحتِها**﴾، أي: من تحتِ أشجارها وقُصورها ﴿**الأنهارُ**﴾، أي: المِياهُ فيها ـ والنهر: المَوضع الذي يجري فيه الماء، لأنّ الماء يَنهَرُه أي: يَحفِرُه. وإسناد الجري إليه مجاز ـ ﴿**كُلّما رُزِقُوا مِنها**﴾: أُطعِموا من تلك الجنّات، ﴿**مِن ثَمَرةٍ رِزقًا قالُوا: هذا الَّذِي**﴾، أي: مِثلُ ما ﴿**رُزِقْنا مِن قَبلُ**﴾، أي: قبلَه في الجنّة، لتشابه ثمارها بقرينةِ ﴿**وأُتُوا بِهِ**﴾ أي: جِيئوا بالرزق ﴿**مُتَشابِهًا**﴾: يُشبه بعضُه بعضًا لونًا ويَختلف طعمًا، ﴿**ولَهُم فِيها أَزْواجٌ**﴾، من الحُور وغيرها، ﴿**مُطَهَّرةٌ**﴾ من الحيض وكلّ قذَر، ﴿**وهُم فِيها خالِدُونَ**﴾: ماكثون أبدًا، لا يَفنَون ولا يخرجون.

ونزل ردًّا لقول اليهود، لمّا ضربَ اللهُ المَثَلَ بالذبابِ في قوله: «وإنْ يَسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئًا» والعنكبوتِ في قوله: «كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ»: «ما أراد اللهُ بذِكرِ هذه الأشياءِ الخسيسة»[(١)]؟: (٢٦) ـ ﴿**إنَّ اللهَ لا يَستَحيِي أن يَضرِبَ**﴾: يَجعلَ ﴿**مَثَلًا**﴾: مفعولٌ أوّل ﴿**ما**﴾: نكرةٌ موصوفة بما بعدها، مفعولٌ ثان أيْ: أيَّ مثلٍ كان، أو زائدةٌ لتأكيد الخِسّة، فما بعدها المفعول الثاني، ﴿**بَعُوضةً**﴾: مفردَ البعوض وهو صِغار البقّ، ﴿**فما فَوقَها**﴾ أي: أكبرَ منها، أي: لا يترك بيانه لِما فيه من الحِكَم.

﴿**فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا فيَعلَمُونَ أنَّهُ**﴾ أي: المَثَلَ ﴿**الحَقُّ**﴾: الثابتُ الواقعُ مَوقعه ﴿**مِن رَبِّهِم، وأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا فيَقُولُونَ: ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثَلًا**﴾؟ تمييزٌ أي: بهذا المَثل. وما: استفهامُ إنكارٍ مبتدأ، وذا: بمعنى «الذي» بصِلَته خبرُه. أيْ: أيُّ فائدة فيه؟ قال ـ تعالى ـ في جوابهم: ﴿**يُضِلُّ بِهِ**﴾ أي: بهذا المَثلِ ﴿**كَثِيرًا**﴾ عن الحقّ لكفرهم بِهِ، ﴿**ويَهدِي بِهِ كَثِيرًا**﴾ من المؤمنين لتصديقهم به، ﴿**وما يُضِلُّ بِهِ إلّا الفاسِقِينَ**﴾: الخارجين عن طَاعته (٢٧) ـ ﴿**الَّذِينَ**﴾: نعتٌ ﴿**يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ**﴾: ما عَهِدَه إليهم في الكُتب من الإيمان بمحمّد ﴿**مِن بَعدِ مِيثاقِهِ**﴾: توكيدِه عليهم، ﴿**ويَقطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ**﴾ من الإيمانِ بالنبيّ والرَّحِمِ وغير ذلك ـ وأن: بدلٌ من ضمير «به» ـ ﴿**ويُفسِدُونَ في الأرضِ**﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان. ﴿**أُولئِكَ**﴾ الموصوفون بما ذُكِر ﴿**هُمُ الخاسِرُونَ**﴾، لمصيرهم إلى النّار المؤبَّدة عليهم.

(٢٨) ـ ﴿**كَيفَ تَكفُرُونَ**﴾ ـ يـا أهـلَ مكةَ ـ ﴿**بِاللهِ، و**﴾ قد ﴿**كُنتُم أمواتًا**﴾: نُطَفًا في الأصلاب، ﴿**فأحياكُم**﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم ـ والاستفهامُ: للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ـ ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُم**﴾ عند انتهاء آجالكم، ﴿**ثُمَّ يُحيِيكُم**﴾ بالبعث، ﴿**ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾: تُرَدّون بعد البعث، فيُجازيكم بأعمالكم؟ وقال دليلاً على البعث لمّا أنكروه: (٢٩) ـ ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم ما في الأرضِ**﴾ أي: الأرضَ وما فيها ﴿**جَمِيعًا**﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا، ﴿**ثُمَّ استَوَى**﴾ بعد خلق الأرض، أي: قَصَدَ ﴿**إلَى السَّماءِ فَسَوّاهُنَّ**﴾ ـ الضميرُ يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمع الآيلةِ إليه ـ أي: صيّرَها، كما في آية أُخرى «فقضاهُنّ» ﴿**سَبعَ سَماواتٍ. وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾ مُجملاً ومُفصَّلاً. أفلا تعتبرون أنّ القادرَ على خلق ذلك ابتداءً، وهو أعظم منكم، قادرٌ على إعادتكم؟

﴿متشابهاً﴾: في اللَّونِ والمَنظرِ لا في الطَّعمِ. ﴿استوى إلى السماء﴾: قصدَ إلى خلقِها بإرادتِهِ قصداً سوياً بلا صارفٍ عنهُ. ﴿فسواهن﴾: أتمَّهُنَّ وقوَّمَهُنَّ وأحكمَهُنَّ.

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي (٣/ ١٨٥). وعن ابن عباس وابن مسعود: لَما ضرَب الله هذين المثلين للمنافقين: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا﴾ ﴿أو كصيِّب من السماء﴾ الآيات الثلاث قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أنْ يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (١/ ٤٢٣).

وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ
أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ
بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ
ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ
أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ
لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ
أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل
لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ
وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ
فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤ وَقُلۡنَا
يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ
شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا
ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ
لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ
ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧

(٣٠) ـ **﴿و﴾** اذكرْ ـ يا محمّد ـ **﴿إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنِّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً﴾** يَخلِفني في تنفيذ أحكامي فيها ـ وهو آدمُ ـ **﴿قالُوا: أتَجعَلُ فِيها مَن يُفسِدُ فِيها﴾** بالمعاصي، **﴿ويَسفِكُ الدِّماءَ﴾**: يُريقها بالقتل كما فعلَ بنو الجانّ وكانوا فيها؟ فلمّا أفسدوا أرسلَ اللهُ عليهم الملائكة، فطردوهم إلى الجزائر والجبال، **﴿ونَحنُ نُسَبِّحُ﴾** مُلتبسينَ **﴿بِحَمدِكَ﴾**، أي نقول: سُبحانَ اللهِ وبحمدِه، **﴿ونُقَدِّسُ لَكَ﴾**: نُنزِّهُكَ عمّا لا يَليق بك؟ فاللام زائدة، والجملة حال، أي: فنحن أحقّ بالاستخلاف.

﴿قالَ﴾ تعالى: **﴿إنِّيَ أعلَمُ ما لا تَعلَمُونَ﴾** من المصلحة في استخلاف آدمَ وأن ذُرّيّته فيهم المطيعُ والعاصي، فيَظهرُ العدل بينهم. فقالوا: لن يَخلق ربُّنا خلقًا أكرمَ عليه منّا ولا أعلمَ لسبقِنا له ورؤيتنا ما لم يَره[1]. فخلقَ اللهُ ـ تعالى ـ آدمَ من أديم الأرض أي وجهها بأن قبضَ منها قبضة من جميع ألوانها، وعُجنتْ بالمياه المختلفة، وسَوّاهُ ونفخَ فيه الروحَ، فصار حيوانًا حسّاسًا بعد أن كان جمادًا[2].

(٣١) ـ **﴿وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ﴾** أي: أسماءَ المُسمَّيات **﴿كُلَّها﴾** حتى القصعةَ والقُصيعة والفسوةَ والفُسيّة، بأن ألقى في قلبِه عِلمَها، **﴿ثُمَّ عَرَضَهُم﴾** أي: المُسمَّياتِ ـ وفيه تغليب العقلاء ـ **﴿على المَلائكةِ، فقالَ﴾** لهم تَبكيتًا: **﴿أنبِئُوني﴾**: أخبروني **﴿بأسماءِ هؤلاءِ﴾** المُسمَّيات، **﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾** في أنّي لا أخلقُ أعلمَ منكم أو أنكم أحقّ بالخلافة. وجواب الشرط دلَّ عليه ما قبله. (٣٢) ـ **﴿قالُوا: سُبحانَكَ﴾**: تنزيهًا لكَ عنِ الاعتراض عليك! **﴿لا عِلمَ لنا إلّا ما عَلَّمتَنا﴾** إيّاه. **﴿إنَّكَ أنتَ﴾**: تأكيدٌ للكاف **﴿العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾**: الذي لا يخرج شيء عن عِلمه وحِكمته.

(٣٣) ـ **﴿قالَ﴾** تعالى: **﴿يا آدمُ، أنبِئْهُم﴾** أي: الملائكةَ **﴿بِأسمائِهِم﴾** أي: المُسمَّيات. فسَمّى كلَّ شيءٍ باسمه، وذكرَ حكمته التي خُلِق لها. **﴿فلَمّا أنبَأَهُم بِأسمائِهِم قالَ﴾** تعالى لهم مُوبّخًا: **﴿ألَم أقُل لَكُم: إنِّيَ أعلَمُ غَيبَ السَّماواتِ والأرضِ﴾**: ما غاب فيهما، **﴿وأعلَمُ ما تُبدُونَ﴾**: تُظهِرون من قولكم «أتجعَلُ فِيها» إلى آخره، **﴿وما كُنتُم تَكتُمُونَ﴾**: تُسِرّون من قولكم «لن يَخلقَ [ربُّنا] أكرمَ عليه منّا ولا أعلمَ»؟

(٣٤) ـ **﴿و﴾** اذكرْ **﴿إذ قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لآدَمَ﴾** سُجودَ تحيّةٍ بالانحناء. **﴿فسَجَدُوا إلّا إبليسَ﴾** هو أبو الجنّ كان بين الملائكة، **﴿أبَى﴾**: امتنعَ عنِ السجود، **﴿واستكبرَ﴾**: تكبّرَ عنه وقال: «أنا خيرٌ منهُ»، **﴿وكانَ مِنَ الكافِرِينَ﴾** في علم الله، (٣٥) ـ **﴿وقُلنا: يا آدمُ، اسكُنْ أنتَ﴾**: تأكيدٌ للضمير المستتر، ليُعطَفَ عليه **﴿وزَوجُكَ﴾** حوّاءُ بالمدّ ـ وكان خلقَها من ضِلَعِه الأيسر[3] ـ **﴿الجَنَّةَ، وكُلا مِنها﴾** أكلاً **﴿رَغَدًا﴾** واسعًا لا حَجْرَ فيه **﴿حَيثُ شِئتُما، ولا تَقرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ﴾** بالأكل منها ـ وهي الحِنطة أو الكَرْم أو غيرهما ـ **﴿فتَكُونا﴾**: فتَصيرا **﴿مِنَ الظّالِمِينَ﴾**: العاصِينَ.

(٣٦) ـ **﴿فأزَلَّهُما الشَّيطانُ﴾**: إبليسُ أذهبَهما ـ وفي قراءة «فأزالَهما»: نَحّاهما ـ **﴿عَنها﴾** أي: الجنّةِ، بأن قال لهما: «هَل أدُلُّكما على شَجَرةِ الخُلدِ»؟ وقاسَمَهما بالله إنه لهما لمن النّاصحين، فأكلا منها، **﴿فأخرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ﴾** من النعيم، **﴿وقُلنا: اهبِطُوا﴾** إلى الأرض أي: أنتما بما اشتملتما عليه من ذرّيّتكما، **﴿بَعضُكُم﴾**: بعض الذرّيّة **﴿لِبَعضٍ عَدُوٌّ﴾** مِن ظلم بعضهم بعضًا، **﴿ولَكُم في الأرضِ مُستَقَرٌّ﴾**: موضع قرار **﴿ومَتاعٌ﴾**: ما تتمتّعون به من نباتها **﴿إلى حِينٍ﴾**: وقتِ انقضاء آجالكم.

(٣٧) ـ **﴿فتَلَقَّى آدمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ﴾**، ألهَمَه إيّاها ـ وفي قراءة بنصب «آدَمَ» ورفع «كلماتٌ» أي: جاءه ـ وهي «رَبَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا» الآيةَ، فدعا بها **﴿فتابَ علَيهِ﴾**: قَبِلَ توبته. **﴿إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ﴾** على عباده **﴿الرَّحِيمُ﴾** بهم.

﴿يسفك الدّماء﴾: يُريقُها عدواناً وظلماً. **﴿نسبّح بحمدك﴾**: نُنزِّهُكَ عن كلِّ سوءٍ مُثْنينَ عليكَ. **﴿نقدس لك﴾**: نمجِّدُكَ ونُطهِّرُ ذكرَكَ عمَّا لا يليقُ بعظمتِكَ. **﴿اسجدوا لآدم﴾**: اخضعوا لهُ، أو سجودَ تحيَّةٍ وتعظيمٍ. **﴿رغداً﴾**: أكلاً واسعاً أو هنيئاً لا عناءَ فيهِ. **﴿فأزلّهما الشّيطان﴾**: أذهبَهُما وأبعدَهُما.

(١) رواه الطبري (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) عن الحسن وقتادة والربيع، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢/ ٣٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥) وصححه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٣٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟
ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٣٨﴾ ـ ﴿**قُلنا: اهبِطُوا مِنها**﴾: منَ الجنّة ﴿**جَمِيعًا**﴾. كرّرَه ليُعطف عليه: ﴿**فإمّا**﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطيةِ في «ما» المزيدة ﴿**يأتِيَنّكُم مِنّي هُدًى**﴾: كتابٌ ورسول ﴿**فمَن تَبِعَ هُدايَ**﴾، فآمن بي وعمل بطاعتي، ﴿**فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾ في الآخِرة، بأن يدخلوا الجنّة. ﴿٣٩﴾ ـ ﴿**والّذِينَ كفَرُوا وكَذّبُوا بآياتِنا**﴾: كُتُبِنا ﴿**أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾: ماكثون أبدًا، لا يَفنَون ولا يخرجون.

﴿٤٠﴾ ـ ﴿**يا بَنِي إسرائيلَ**﴾: أولادَ يَعقوبَ، ﴿**اذكُرُوا نِعمَتِيَ الّتي أنعمتُ علَيكُم**﴾ أي: على آبائكم من الإنجاءِ من فرعونَ وفلقِ البحر وتظليلِ الغمام وغير ذلك، بأن تشكروها بطاعتي، ﴿**وأَوفُوا بعَهدِيَ**﴾ الذي عَهِدته إليكم من الإيمان بمحمّد، ﴿**أُوفِ بعَهدِكُم**﴾ الذي عَهِدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنّة، ﴿**وإيّايَ فارهَبُونِ**﴾: خافُونِ في ترك الوفاء به دون غيري.

﴿٤١﴾ ـ ﴿**وآمِنُوا بما أنزلتُ**﴾ من القرآن ﴿**مُصَدِّقًا لِما مَعَكُم**﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوّة، ﴿**ولا تكُونُوا أوّلَ كافِرٍ بِه**﴾[1] من أهل الكتاب لأنّ خَلفَكم تبعٌ لكم فإثمهم عليكم، ﴿**ولا تَشتَرُوا**﴾: تستبدلوا ﴿**بِآياتِي**﴾ التي في كتابكم من نعت محمّد ﴿**ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾[2] عِوَضًا يسيرًا من الدنيا، أي: لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سِفْلتكم، ﴿**وإيّايَ فاتّقُونِ**﴾: خافُونِ في ذلك دون غيري، ﴿٤٢﴾ ـ ﴿**ولا تَلبِسُوا**﴾: تخلطوا ﴿**الحَقَّ**﴾ الذي أنزلتُ عليكم ﴿**بالباطِلِ**﴾ الذي تغيّرونه، ﴿**و**﴾ لا ﴿**تكتُمُوا الحَقَّ**﴾: نعتَ محمّد، ﴿**وأنتُم تَعلَمُونَ**﴾ أنه الحقّ، ﴿٤٣﴾ ـ ﴿**وأقِيمُوا الصّلاةَ وآتُوا الزّكاةَ، واركَعُوا مَعَ الرّاكِعِينَ**﴾: صلُّوا مع المُصلّين محمّدٍ وأصحابه.

ونزل في علمائهم، وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: «اثبُتوا على دين محمّد فإنه حقّ»[3]: ﴿٤٤﴾ ـ ﴿**أتأمُرُونَ النّاسَ بالبِرِّ**﴾: بالإيمان بمحمّد، ﴿**وتَنسَونَ أنفُسَكُم**﴾: تتركونها فلا تأمرونها به، ﴿**وأنتُم تَتلُونَ الكِتابَ**﴾: التوراةَ، وفيها الوعيد على مُخالفة القول العملَ؟ ﴿**أفلا تَعقِلُونَ**﴾ سُوءَ فِعلكم فترجعون؟ فجملة النسيان محلُّ الاستفهام الإنكاريّ.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿**واستَعِينُوا**﴾: اطلبوا المعونة على أموركم ﴿**بالصّبرِ**﴾: الحبسِ للنفس على ما تكره ﴿**والصّلاةِ**﴾ أفردَها بالذكر تعظيمًا لشأنها. وفي الحديث «كانَ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ بادرَ إلَى الصّلاةِ»[4]. وقيل: الخطاب لليهود لَمّا عاقهم عن الإيمان الشَّرَهُ وحبّ الرياسة فأُمروا بالصبرِ، وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاةِ لأنها تُورث الخشوع وتَنفي الكِبْرَ. ﴿**وإنّها**﴾ أي: الصلاةَ ﴿**لَكَبِيرةٌ**﴾: ثقيلة ﴿**إلّا على الخاشِعِينَ**﴾: الساكنين إلى الطاعة ﴿٤٦﴾ ـ ﴿**الّذِينَ يَظُنُّونَ**﴾: يُوقنون ﴿**أنّهُم مُلاقُو رَبِّهِم**﴾ بالبعث، ﴿**وأنّهُم إلَيهِ راجِعُونَ**﴾ في الآخرة فيُجازيهم.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿**يا بَنِي إسرائيلَ، اذكُرُوا نِعمَتِيَ الّتي أنعَمتُ علَيكُم**﴾، بالشكر عليها بطاعتي، ﴿**وأنّي فَضّلتُكُم**﴾، أي: آباءَكم ﴿**على العالَمِينَ**﴾: عالَمِي زمانهم، ﴿٤٨﴾ ـ ﴿**واتّقُوا**﴾: خافوا ﴿**يَومًا، لا تَجزِي**﴾ فيه ﴿**نَفسٌ عَن نَفسٍ شَيئًا**﴾[5] ـ هو يوم القيامة ـ ﴿**ولا تُقبَلُ**﴾، بالتاءِ والياءِ، ﴿**مِنها شَفاعةٌ**﴾ أي: ليس لها شفاعة فتُقبلَ، «فما لَنا مِن شافِعينَ»، ﴿**ولا يُؤخَذُ مِنها عَدلٌ**﴾: فِداءٌ، ﴿**ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾: يُمنعون من عذاب الله.

﴿إسرائيل﴾: لقبُ يعقوبَ عليهِ السَّلامُ. ﴿فارهبونِ﴾: فخافونِ في نقضِكُمُ العهدَ. ﴿ولاتلبِسوا﴾: لا تخلِطوا، أو لا تستُرُوا. ﴿بالبرّ﴾: بالتَّوسُّعِ في الخيرِ والطَّاعاتِ. ﴿وإنها لكبيرة﴾: لشاقَّةٌ ثقيلةٌ صعبةٌ. ﴿الخاشعين﴾: المتواضِعينَ المُستكينينَ. ﴿يظنّون﴾: يعلمونَ ويستيقنونَ. ﴿العالمين﴾: عالمي زمانِكُم. ﴿لاتجزي نفسٌ﴾: لا تقضي ولا تؤدِّي نفسٌ. ﴿عدلٌ﴾: فديةٌ.

(١) الكلبي عن ابن عباس: نزلت في قريظة وكانوا أول من كفر من اليهود بمحمد، وتبعهم يهود فدك وخيبر. «العجاب» (٢/ ٢٥١).

(٢) نزلت في كعب بنِ الأشرف قال لأحبارِ اليهود: ما تقولون في محمَّدٍ؟ فقالوا: إنَّه نبيٌّ، فهددهم بقطع العطايا عنهم، فخرجوا وبدَّلوا نعتَ المصطفى بنعتِ الدَّجَّال لعنه الله، فأعطى كلَّ واحدٍ منهم صاعاً مِن شعيرٍ وأربعَ أذرعٍ مِن كرباسٍ، فهو القليلُ المذكور في الآية. «التيسير» لأبي حفص النسفي (٢/ ١٤٣).

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤) من طريقِ الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

(٤) رواه أبو داود (١٣١٩) من حديث حذيفة رضي الله عنه، بلفظ: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى».

(٥) نزلت في اليهود زعموا أن آباءَهم الأنبياء تشفع لهم عند الله فآيسَهم الله من ذلك وأنزل هذه الآية. «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٢٨)، «العجاب» (١/ ٢٥٤).

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ
ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم
مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ
مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

(٤٩) ـ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إذ نَجَّيناكُم﴾ أي: آبـاءَكم ـ والخطابُ بـه وبما بعده
للموجودين في زمن نبيّنا، بما أنعم الله على آبائهم، تذكيرًا لهم بنعم الله
ليؤمنوا ـ ﴿مِن آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونَكُم﴾: يُذيقونكم ﴿سُوءَ العَذابِ﴾: أشَدَّه ـ
والجملةُ: حال من ضمير «نجّيناكم» ـ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيانٌ لما قبله ﴿أبناءَكُم﴾
المولودين، ﴿ويَستَحيُونَ﴾: يَستبقُون[1] ﴿نِساءَكُم﴾، لقول بعض الكهنة له:
إنّ مولودًا يُولَدُ في بني إسرائيل يكون سببًا لذهاب ملكك. ﴿وفي ذٰلِكُم﴾
العذابِ أو الإنجاءِ ﴿بَلاءٌ﴾: ابتلاءٌ أو إنعامٌ ﴿مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ﴾.
(٥٠) ـ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إذ فَرَقنا﴾: فلَقنا ﴿بِكُمُ﴾: بسببكمُ ﴿البَحرَ﴾ حتى دخلتموه
هاربين من عدوّكم، ﴿فأنجيناكُم﴾ من الغرق، ﴿وأغرَقنا آلَ فِرعَونَ﴾: قومَه
معه، ﴿وأنتُم تَنظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم، (٥١) ـ ﴿وإذ واعَدنا﴾، بألِفٍ
ودُونها، ﴿مُوسَى أربَعِينَ لَيلَةً﴾ نُعطيه عند انقضائها التوراةَ لتعملوا بها، ﴿ثُمَّ
اتَّخذتُمُ العِجلَ﴾ الذي صاغه لكم السامريّ إلٰـهًا ﴿مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ ذهابه
إلى مِيعادنا، ﴿وأنتُم ظالِمُونَ﴾ باتّخاذه لوضعكم العبادةَ في غير محلّها،
(٥٢) ـ ﴿ثُمَّ عَفَونا عَنكُم﴾: مَحَونا ذُنوبكم ﴿مِن بَعدِ ذٰلِكَ﴾ الاتّخاذِ، ﴿لَعَلَّكُم
تَشكُرُونَ﴾ نعمتَنا عليكم، (٥٣) ـ ﴿وإذ آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراةَ ﴿والفُرقانَ﴾، عطفُ تفسيرٍ أي: الفارقَ بين الحقّ والباطِلِ والحلال والحرام،
﴿لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ به من الضلال.

(٥٤) ـ ﴿وإذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ﴾ الذين عبدوا العِجل: ﴿يا قَومِ، إنَّكُم ظَلَمتُم أنفُسَكُم بِاتِّخاذِكُمُ العِجلَ﴾ إلـٰهًا. ﴿فتُوبُوا إلَى بارِئِكُم﴾: خالِقِكم
من عبادته، ﴿فاقتُلُوا أنفُسَكُم﴾ أي: لِيَقتلِ البريءُ منكم المُجرمَ. ﴿ذٰلِكُم﴾ القتلُ ﴿خَيرٌ لَكُم عِندَ بارِئِكُم﴾. فوفَّقكم لفعل ذلك، وأرسلَ
عليكم سحابة سوداء، لئلا يُبصرَ بعضُكم بعضًا فيرحمَه، حتى قُتِل منكم نحو سبعين ألفًا، ﴿فتابَ عَلَيكُم﴾: قَبِلَ توبتكُم ـ ﴿إنَّهُ هُوَ التَّوّابُ
الرَّحِيمُ﴾، (٥٥) ـ ﴿وإذ قُلتُم﴾، وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العِجل وسمعتم كلامه: ﴿يا مُوسَى، لَن نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى
نَرَى اللهَ جَهرَةً﴾: عِيانًا. ﴿فأخَذَتكُمُ الصّاعِقَةُ﴾: الصيحةُ فمُتّم، ﴿وأنتُم تَنظُرُونَ﴾ ما حلّ بكم.

(٥٦) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثناكُم﴾: أحيَيناكم ﴿مِن بَعدِ مَوتِكُم، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ نِعمتَنا بذلك، (٥٧) ـ ﴿وظَلَّلنا عَلَيكُمُ الغَمامَ﴾: ستَرناكم بالسحاب الرقيق
من حرّ الشمس في التِّيه، ﴿وأنزَلنا عَلَيكُمُ﴾ فيه ﴿المَنَّ والسَّلوَى﴾ ـ هما التَّرَنْجَبِينُ والطَّيرُ السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر ـ وقلنا: ﴿كُلُوا
مِن طَيِّباتِ ما رَزَقناكُم﴾، ولا تدّخروا. فكفروا النعمة وادّخروا فقُطِعَ عنهم. ﴿وما ظَلَمُونا﴾ بذلك، ﴿ولكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ لأن
وَباله عليهم.

﴿يسومونكم﴾: يكلّفونكم ويذيقونكم. ﴿يستحيون نساءكم﴾: يستبقونَ بناتِكُم للخدمةِ. ﴿بلاءٌ﴾: اختبارٌ وامتحانٌ بالنِّعَمِ والنِّقَمِ. ﴿فَرَقنا﴾: فصلْنا وشققْنا.
﴿اتخذتم العجل﴾: جعلتُموهُ إلهاً معبوداً. ﴿الفرقان﴾: الشَّرعَ الفارقَ بينَ الحلالِ والحرامِ. ﴿بارئكم﴾: مُبدِعِكُم ومُحدِثِكُم. ﴿فاقتلوا﴾: فليَقتلِ البريءُ منكُمُ المجرمَ.
﴿جهرةً﴾: عياناً بالبصرِ. ﴿الصّاعقة﴾: نارٌ مِنَ السَّماءِ أو صيحةٌ منها. ﴿الغمام﴾: السَّحابَ الأبيضَ الرَّقيقَ. ﴿المنّ﴾: مادَّةٌ صمغيَّةٌ حلوةٌ كالعسلِ. ﴿والسلوى﴾:
الطَّائرُ المعروفُ بالسُّمانى.

(١) أي: للخدمةِ أو لعدمِ الغرضِ في قتلِهنَّ. (الجمالين).

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

٥٨ ـ ﴿وإذ قُلنا﴾ لهم بعد خروجهم من التِّيه: ﴿ادخُلُوا هذِهِ القَرْيَةَ﴾: بيت المقدس أو أريحا، ﴿فكُلُوا مِنها حَيثُ شِئتُم رَغَدًا﴾: واسعًا لا حَجْرَ فيه، ﴿وادخُلُوا البابَ﴾، أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾: مُنحنينَ، ﴿وقُولُوا﴾: مسألَتُنا ﴿حِطَّةٌ﴾، أي: أن تَحُطَّ عنّا خطايانا. ﴿نَغفِرْ﴾ ـ وفي قراءة بالياء وبالتاء، مَبنيًّا للمفعول فيهما ـ ﴿لكُم خَطاياكُم. وسَنَزيدُ المُحسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

٥٩ ـ ﴿فبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم ﴿قَولاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم﴾، فقالوا: حَبَّةٌ في شَعَرةٍ، ودخلوا يزحفون على أستاههم[1]، ﴿فأنزَلْنا على الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ـ فيه وضعُ الظاهرِ موضعَ المضمر مبالغةً في تقبيح شأنهم ـ ﴿رِجْزًا﴾: عذابًا طاعونًا ﴿مِنَ السَّماءِ، بِما كانُوا يَفسُقُونَ﴾: بسبب فِسقهم، أي: خروجِهم عن الطاعة، فهلَكَ منهم في ساعة سبعون ألفًا أو أقلُّ.

٦٠ ـ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذِ استَسقَى مُوسَى﴾، أي: طلبَ السُّقيا ﴿لِقَومِهِ﴾، وقد عطشوا في التِّيه، ﴿فقُلنا: اضرِبْ بِعَصاكَ الحَجَرَ﴾ ـ وهو الذي فَرَّ بثوبه[2]، خفيفٌ مربَّعٌ كرأس الرجُل، رُخامٌ أو كَذّانٌ ـ فضربه ﴿فانفَجَرَتْ﴾: انشقّتْ وسالتْ ﴿مِنهُ اثنَتا عَشْرةَ عَينًا﴾ بعدد الأسباط ـ ﴿قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ﴾: سِبطٍ منهم ﴿مَشرَبَهُم﴾: موضعَ شُربهم، فلا يَشرَكهم فيه غيرُهم ـ وقلنا لهم: ﴿كُلُوا واشرَبُوا مِن رِزقِ اللهِ، ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾: حالٌ مؤكّدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المثلّثة: أفسَدَ.

٦١ ـ ﴿وإذ قُلتُم: يا مُوسَى، لَن نَصبِرَ على طَعامٍ﴾، أي: نوعٍ منه ﴿واحِدٍ﴾. وهو المَنّ والسَّلوى. ﴿فادْعُ لَنا رَبَّكَ، يُخرِجْ لَنا﴾ شيئًا ﴿مِمّا تُنبِتُ الأرضُ مِن﴾: للبيان ﴿بَقْلِها وقِثّائها وفُومِها﴾: حِنطتِها ﴿وعَدَسِها وبَصَلِها. قالَ﴾ لهم موسى: ﴿أتَستَبدِلُونَ الَّذِي هُوَ أدنَى﴾: أخسُّ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيرٌ﴾: أشرفُ؟ أي: أتأخذونه بَدَلَه؟ والهمزة للإنكار.

فأبَوا أن يرجِعوا فدعا اللهَ، فقال تعالى: ﴿اهبِطُوا﴾: انزِلوا ﴿مِصرًا﴾ من الأمصار. ﴿فإنَّ لكُم﴾ فيه ﴿ما سألتُم﴾ من النَّبات. ﴿وضُرِبَتْ﴾: جُعِلتْ ﴿عليهِمُ الذِّلّةُ﴾: الذلُّ والهوان ﴿والمَسكَنَةُ﴾، أي: أثرُ الفقر. من السكون والخِزي ـ فهي لازمة لهم، وإن كانوا أغنياء، لزومَ الدرهمِ المضروب لسِكّته ـ ﴿وباؤُوا﴾: رَجَعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ. ذلِكَ﴾ أي: الضربُ والغضب ﴿بِأنَّهُم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كانُوا يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كزكريّاءَ ويحيى، ﴿بِغَيرِ الحَقِّ﴾ أي: ظلمًا. ﴿ذلِكَ بِما عَصَوا، وكانُوا يَعتَدُونَ﴾: يتجاوزون الحدّ في المعاصي. وكرّره للتأكيد.

﴿رغداً﴾: أكلاً واسعاً أو هنيئاً لا عناءَ فيه. ﴿قولوا: حِطّة﴾: قولوا: مسألتُنا يا ربَّنا أن تحطَّ عنّا خطايانا. ﴿رجزاً﴾: عذاباً، قيل: هوَ الطّاعونُ. ﴿فانفجرت﴾: فانشقَّتْ و سالَتْ بكثرةٍ. ﴿مشربهم﴾: موضعَ شربِهم. ﴿لا تعثوا في الأرض﴾: لا تُفسِدوا فيها. ﴿مفسدين﴾: مُتمادِينَ في الفسادِ. ﴿فومها﴾: الحنطةُ، أوِ الثُّومُ. ﴿ضُرِبت عليهم﴾: أحاطَتْ بهِم أو ألصقَتْ بهِم. ﴿الذلّة﴾: الذُّلُّ و الصَّغارُ و الهَوانُ. ﴿المسكنة﴾: فقرُ النَّفسِ و شحُّها. ﴿باءو بغضب﴾: رجعوا بهِ مُستحقِّينَ لهُ.

(١) رواه البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ
ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم
مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ
أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا
تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

(٦٢) ـ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالأنبياء من قبلُ ﴿**والَّذِينَ هادُوا**﴾[(١)] هم اليهود ﴿**والنَّصارَى والصَّابِئِينَ**﴾: طائفةٌ من اليهود أو النصارى، ﴿**مَنْ آمَنَ**﴾ منهم ﴿**بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾ في زمن نبيِّنا، ﴿**وعَمِلَ صالِحًا**﴾ بشريعته، ﴿**فلَهُم أجرُهُم**﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿**عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾. رُوعيَ في ضمير «آمَنَ» و«عَمِلَ» لفظ «مَن»، وفيما بعده معناها.

(٦٣) ـ ﴿**و**﴾ اذكروا ﴿**إذ أخَذْنا مِيثاقَكُم**﴾: عَهدَكم بالعمل بما في التوراة، ﴿**و**﴾ قد ﴿**رَفَعْنا فَوقَكُمُ الطُّورَ**﴾: الجبلَ، اقتلعناه من أصله عليكم، لمّا أبيتم قَبولها، وقلنا: ﴿**خُذُوا ما آتَيناكُم بِقُوَّةٍ**﴾: بجِدٍّ واجتهادٍ، ﴿**واذكُرُوا ما فِيهِ**﴾ بالعمل به، ﴿**لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ**﴾ النارَ أو المعاصيَ. (٦٤) ـ ﴿**ثُمَّ تَوَلَّيتُم**﴾: أعرضتم ﴿**مِن بَعدِ ذلِكَ**﴾ الميثاقِ عن الطاعة. ﴿**فلَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحْمتُهُ**﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿**لَكُنتُم مِنَ الخاسِرِينَ**﴾: الهالكين.

(٦٥) ـ ﴿**ولَقَد**﴾ ـ لامُ قسَمٍ ـ ﴿**عَلِمتُمُ**﴾: عَرَفتمُ ﴿**الَّذِينَ اعتَدَوا**﴾: تجاوزوا الحدَّ ﴿**مِنكُم في السَّبتِ**﴾ بصيد السَّمك، وقد نهيْناهم عنه ـ وهم أهل أيلةَ ـ ﴿**فقُلنا لَهُم: كُونُوا قِرَدةً خاسِئِينَ**﴾: مُبعَدين. فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيام،

(٦٦) ـ ﴿**فجَعَلْناها**﴾ أي: تلك العقوبةَ ﴿**نَكالًا**﴾: عِبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا، ﴿**لِما بَينَ يَدَيها وما خَلْفَها**﴾ أي: للأُمم التي في زمانها أو بعدها، ﴿**ومَوعِظةً لِلمُتَّقِينَ**﴾ اللهَ. وخُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم.

(٦٧) ـ ﴿**و**﴾ اذكر ﴿**إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ**﴾، وقد قُتل لهم قتيلٌ لا يُدرَى قاتلُه، وسألوه أن يدعوَ الله أن يُبيّنه لهم فدعاه: ﴿**إنَّ اللهَ يأمُرُكُم أن تَذبَحُوا بَقَرةً. قالُوا: أتَتَّخِذُنا هُزُوًا**﴾: مَهزوءًا بنا، حيث تُجيبنا بمثل ذلك؟ ﴿**قالَ: أعُوذُ**﴾: أمتنعُ ﴿**بِاللهِ**﴾ من ﴿**أن أكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ**﴾: المُستهزئين.

فلمّا علموا أنه عزم، (٦٨) ـ ﴿**قالُوا: ادعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ**﴾؟ أي: ما سِنّها؟ ﴿**قالَ**﴾ موسى: ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: الله ﴿**يَقُولُ: إنَّها بَقَرةٌ لا فارِضٌ**﴾: مُسِنّةٌ، ﴿**ولا بِكرٌ**﴾: صغيرةٌ، ﴿**عَوانٌ**﴾: نصَفٌ ﴿**بَينَ ذلِكَ**﴾ المذكور من السِّنَّين. ﴿**فافعَلُوا ما تُؤمَرُونَ**﴾ به من ذبحها.

(٦٩) ـ ﴿**قالُوا: ادعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما لَونُها؟ قالَ: إنَّهُ يَقُولُ: إنَّها بَقَرةٌ صَفراءُ فاقِعٌ لَونُها**﴾: شديد الصُّفرة، ﴿**تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾ إليها بحسنها، أي: تُعجبهم.

(٧٠) ـ ﴿**قالُوا: ادعُ لَنا رَبَّكَ، يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ**﴾: أسائمةٌ أم عاملة؟ ﴿**إنَّ البَقَرَ**﴾ أي: جِنسَه المنعوتَ بما ذُكر ﴿**تَشابَهَ علَينا**﴾ لكثرته، فلم نهتدِ إلى المقصودة، ﴿**وإنّا ـ إن شاءَ اللهُ ـ لَمُهتَدُونَ**﴾ إليها. وفي الحديث «لو لم يَستثنُوا لما بُيِّنتْ لهم آخِرَ الأبدِ»[(٢)].

﴿هادوا﴾: صاروا يهوداً. ﴿الصّابئين﴾: عبدةَ الملائكةِ أوِ الكواكبِ. ﴿ميثاقكم﴾: العهدَ عليكُم بالعملِ بما في التَّوراةِ. ﴿خاسئين﴾: مُبعَدينَ مطرودينَ صاغرينَ. ﴿فجعلناها نكالاً﴾: عقوبةً. ﴿هزواً﴾: سخريةً. ﴿لا فارض و لا بكر﴾: لا مُسِنَّةٌ و لا فتيَّةٌ. ﴿عوان بين ذلك﴾: نَصَفٌ (وسطٌ) بينَ السِّنَّين. ﴿فاقع لونها﴾: شديدُ الصُّفرةِ.

(١) نزلت في سلمانَ الفارسي رضي الله عنه لمّا أسلم وقصَّ على رسول الله ﷺ قصّة قوم منَ النَّصارى واجتهادِهم في العبادة، فقال ﷺ: «هم في النّار»، قال سلمان: فأظلمَتْ عليَّ الأرض، فنزلت هذه الآيةُ، قال: فكأنّما كُشِفَ عنّي جبلٌ. ابن منده في «التوحيد» (١٥١) عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة. والطبري (٢/ ٤٠)، وابن أبي حاتم (١/ ١٢٧) (٦٣٦) عن السدي. والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤) عن مجاهد بسند صحيح كما في «العجاب» (١/ ٢٥٥).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٢/ ٩٩) عن ابن جريج مرفوعًا مُعضَلاً، وبنحوه سعيد بن منصورٍ في «سننه» (١٩٣ ـ تفسير) عن عكرمةَ مرفوعًا مُرسلاً، وابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» (١/ ١٤١) عن أبي هريرةَ مرفوعًا موصولًا.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ
﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

(٧١) ـ ﴿قالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّها بَقَرةٌ، لا ذَلُولٌ﴾: غيرُ مُذلَّلة بالعمل ﴿تُثِيرُ الأَرضَ﴾: تُقلِّبُها للزراعة ـ والجملة: صفة «ذلول» داخلةٌ في النفي ـ ﴿ولا تَسقِي الحَرْثَ﴾: الأرضَ المُهيَّأة للزراعة، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب وآثار العمل، ﴿لاشِيَةَ﴾: لونَ ﴿فِيها﴾ غيرُ لونها.

﴿قالُوا: الآنَ جِئتَ بِالحَقِّ﴾: نطقتَ بالبيان التامّ. فطلبوها فوجدوها عند الفتى البارّ بأمّه، فاشتروها بمِلءِ مَسكِها ذهبًا. ﴿فذَبَحُوها وما كادُوا يَفعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها. وفي الحديث: «لو ذَبَحُوا أيَّ بَقَرةٍ كانَتْ لأجزأتهم، ولكِنْ شَدَّدُوا على أنفُسِهم فشَدَّدَ اللهُ علَيهِم»[(١)].

(٧٢) ـ ﴿وإذ قَتَلتُم نَفْسًا فادّارأْتُم﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال ـ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيها، واللهُ مُخرِجٌ﴾: مظهرٌ ﴿ما كُنتُم تكتُمُونَ﴾ من أمرها ـ. وهذا اعتراض وهو أوّل القصة ـ (٧٣) ـ ﴿فقُلنا: اضرِبُوهُ﴾ أي: القتيلَ ﴿بِبَعضِها﴾. فضُرِبَ بلسانها أو عَجْبِ ذنبها، فحَيِيَ وقال: «قتلني فلانٌ وفلانٌ» لابْنَي عمّه، ومات فحُرِما الميراثَ وقُتلا[(٢)]. قال تعالى: ﴿كَذلِكَ﴾ الإحياءِ ﴿يُحيِي اللهُ المَوتَى، ويُرِيكُم آياتِهِ﴾: دلائلَ قُدرته، ﴿لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾: تتدبّرون، فتعلمون أن القادرَ على إحياء نفس واحدة قادرٌ على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.

الحِزْب ٢

(٧٤) ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾، أيها اليهود: صَلُبَتْ عن قبول الحقّ ﴿مِن بَعدِ ذلِكَ﴾ المذكور، من إحياء القتيل وما قبلَه من الآيات، ﴿فهِيَ كالحِجارةِ﴾ في القسوة، ﴿أو أَشَدُّ قَسْوةً﴾ منها ـ. ﴿وإِنَّ مِنَ الحِجارةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنهُ الأنهارُ، وإِنَّ مِنها لَما يَشَّقَّقُ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ـ ﴿فيَخرُجُ مِنهُ الماءُ، وإِنَّ مِنها لَما يَهبِطُ﴾: ينزل من علوّ إلى سفلٍ ﴿مِن خَشْيَةِ اللهِ﴾، وقلوبكم لا تتأثّر ولا تلين ولا تخشع، ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾، وإنّما يؤخّركم لوقتكم. وفي قراءة بالتحتيّة، وفيه التفات عن الخِطاب.

(٧٥) ـ ﴿أفتَطمَعُونَ﴾ ـ أيها المؤمنون ـ ﴿أن يُؤمِنُوا﴾ أي: اليهودُ ﴿لَكُم[(٣)]، وقَد كانَ فَرِيقٌ﴾: طائفة ﴿مِنهُم﴾: أحبارهم ﴿يَسمَعُونَ كَلامَ اللهِ﴾ في التوراة، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: يُغيِّرونه ﴿مِن بَعدِ ما عَقَلُوهُ﴾: فهموه، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنهم مفترُون؟ والهمزة للإنكار أي: لا تطمعوا، فلهم سابقة في الكفر (٧٦) ـ ﴿وإذا لَقُوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا: آمَنّا﴾ بأن محمدًا نبيّ، وهو المبشَّر به في كتابنا، ﴿وإذا خَلا﴾: رَجَعَ ﴿بَعضُهم إلَى بَعضٍ قالُوا﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: المؤمنين ﴿بِما فَتَحَ اللهُ علَيكُم﴾[(٤)] أي: عرّفكم في التوراة من نعت محمّد، ﴿لِيُحاجُّوكُم﴾: ليُخاصموكم ـ واللام للصيرورة ـ ﴿بِهِ عِندَ رَبِّكُم﴾ في الآخرة، ويُقيموا عليكم الحُجّة في ترك اتّباعه مع علمكم بصدقه؟ ﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾ أنهم يُحاجّونكم إذا حدّثتموهم فتنتهوا؟

﴿لا ذلول﴾: ليسَتْ هيِّنةً سهلةَ الانقيادِ. ﴿تُثير الأرض﴾: تقلبُ الأرضَ للزِّراعةِ. ﴿الحرث﴾: الزَّرعَ أوِ الأرضَ المُهيَّأةَ لهُ. ﴿مسلّمة﴾: مبرَّأةٌ مِنَ العيوبِ. ﴿لا شية فيها﴾: لا لونَ فيها غيرُ الصُّفرةِ الفاقعةِ. ﴿فادّارأتم فيها﴾: فتدافعْتُم و تخاصمْتُم فيها. ﴿يتفجّر﴾: يتفتَّحُ بسَعةٍ و كثرةٍ. ﴿يشّقق﴾: يتصدَّعُ بطولٍ أو بعرضٍ. ﴿يحرّفونه﴾: يبدِّلونَهُ، أو يؤوِّلونَه بالباطلِ. ﴿خلا بعضهم﴾: مضى إليهِ، أوِ انفردَ معَهُ. ﴿فتح الله عليكم﴾: حكمَ بهِ أو قصَّهُ عليكُم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، وله شاهد رواه البزار (٢١٨٨ ـ كشف) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقال ابن كثير: حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٧٩٤) عن عبيدة السلماني.

(٣) الكلبي: لما قدم ﷺ المدينة دعا اليهود إلى الإيمان بالله وكتابه فجحدوا وكتموا، فأنزل الله هذه الآية. «العجاب» (١/ ٢٦٤).

(٤) نزلت في منافقي اليهود. الطبري (٢/ ١٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي، وابن أبي حاتم (١/ ١٤٩) عن الربيع بن أنس. وعن عكرمة: أصابت امرأة من اليهود فاحشة فاحتكموا إلى النبي ﷺ رجاء الرخصة، فدعا عالمهم ـ فذكر قصة تغييرهم عقوبة الرجم إلى التجبية ـ فنزلت. ابن أبي حاتم (١/ ١٥٠).

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ
تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ ۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٧﴾ ـ قال تعالى: ﴿**أَوَلا يَعلَمُونَ**﴾ ـ الاستفهام للتقرير، والواو الداخلُ عليها للعطف ـ ﴿**أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ**﴾: ما يُخفون وما يُظهرون من ذلك وغيره، فيرعَوُوا عن ذلك؟ ﴿٧٨﴾ ـ ﴿**ومِنهُم**﴾ أي: اليهودِ ﴿**أُمِّيُّونَ**﴾: عوامُّ، ﴿**لا يَعلَمُونَ الكِتابَ**﴾: التوراةَ ﴿**إلَّا**﴾ لكنْ ﴿**أمانيَّ**﴾: أكاذيبَ تلقَّوها من رؤسائهم فاعتمدوها، ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**هُم**﴾، في جحد نبوّة النبيّ وغيره ممّا يختلقونه، ﴿**إلّا يَظُنُّونَ**﴾ ظنًّا ولا عِلمَ لهم. ﴿٧٩﴾ ـ ﴿**فويلٌ**﴾: شِدّةُ عذاب ﴿**لِلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتابَ بأيدِيهِم**﴾ أي: مختلَقًا مِن عندهم، ﴿**ثُمَّ يَقُولُونَ: هذا مِن عِندِ اللهِ. لِيَشتَرُوا بهِ ثَمَنًا قَليلاً**﴾[1] من الدنيا، وهم اليهود غيّروا صفةَ النبيِّ ﷺ في التوراة وآيةَ الرَّجمِ وغيرَها، وكتبوها على خلاف ما أُنزل. ﴿**فوَيلٌ لَهُم مِمّا كَتَبَتْ أيدِيهِم**﴾ من المُختلَق، ﴿**ووَيلٌ لَهُم مِمّا يَكسِبُونَ**﴾ من الرُّشا.

﴿٨٠﴾ ـ ﴿**وقالُوا**﴾ لمّا وعدَهم النبيُّ النارَ: ﴿**لَن تَمَسَّنا**﴾: تُصيبَنا ﴿**النّارُ إلّا أيّامًا مَعدُودةً**﴾[2]: قليلةً أربعين، مُدّةَ عِبادة آبائهم العِجلَ، ثم تزولُ. ﴿**قُلْ**﴾ لهم يا محمّد: ﴿**أتَّخَذْتُم**﴾ ـ حُذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ـ ﴿**عِندَ اللهِ عَهدًا**﴾: ميثاقًا منه بذلك، ﴿**فلَن يُخلِفَ اللهُ عَهدَهُ**﴾ به؟ لا. ﴿**أم**﴾: بل ﴿**تَقُولُونَ على اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾. ﴿٨١﴾ ـ ﴿**بَلَى**﴾ تَمَسُّكم وتَخلدون فيها، ﴿**مَن كَسَبَ سَيِّئةً**﴾: شِركًا، ﴿**وأحاطَتْ بهِ خَطيئتُهُ**﴾ بالإفراد والجمع، أي: استولتْ عليه وأحدقتْ به من كلّ جانب بأن مات مُشركًا، ﴿**فأُولئكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾ ـ رُوعي فيه معنى «مَن» ـ ﴿٨٢﴾ ـ ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾. ﴿٨٣﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ أخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ**﴾ في التوراة، وقلنا: ﴿**لا تَعبُدُونَ**﴾، بالتاء والياء، ﴿**إلّا اللهَ**﴾. خبرٌ بمعنى النهي، وقُرئ: «لا تَعبُدُوا» ـ ﴿**و**﴾ أحسِنوا ﴿**بِالوالِدَينِ إحسانًا**﴾: بِرًّا ﴿**وذِي القُربَى**﴾: القرابةِ، عطفٌ على «الوالدين»، ﴿**واليَتامَى والمَساكِينِ، وقُولُوا لِلنّاسِ**﴾ قولاً ﴿**حَسَنًا**﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمّد، والرفق بهم ـ وفي قراءة بضمّ الحاء وسكون السين، مصدر وُصف به مبالغةً ـ ﴿**وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ**﴾، فقبلتُم ذلك، ﴿**ثُمَّ تَوَلَّيتُم**﴾: أعرضتم عن الوفاء به ـ فيه التفات عن الغَيبة والمرادُ آباؤهم ـ ﴿**إلّا قَليلاً مِنكُم. وأنتُم مُعرِضُونَ**﴾ عنه كآبائكم.

﴿أمّيون﴾: جهلةٌ بكتابِهِمُ (التّوراةِ). ﴿أمانيّ﴾: أكاذيبَ تلقَّوْها عن أحبارِهِم. ﴿فويل﴾: هلكةٌ أو حسرةٌ أو شدَّةُ عذابٍ أو وادٍ عميقٌ في جهنَّمَ. ﴿كسب سيّئة﴾: هيَ هنا الكفرُ. ﴿أحاطت به﴾: أحدقَتْ بهِ و استولَتْ عليهِ.

(١) نزلت في أحبار يهود غيروا نعت النبي ﷺ الذي كان مكتوباً في التوراة. ابن أبي حاتم (١/ ١٥٤)، والواحدي (ص: ٢٦)، و«العجاب» (١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢)، عن ابن عباس والكلبي.

(٢) عن ابن عباس: أنها نزلت في اليهود قالوا: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً. الطبري (٢/ ١٧٥)، والواحدي (ص: ٢٦)، و«العجاب» (١/ ٢٧٣).

وعن عكرمة وزيد بن أسلم: أن اليهود خاصموا النبي ﷺ فقالوا: نمكث في النار أربعين ليلة ثم نخرج فتخلفوننا فيها، فقال ﷺ: «كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبداً»، فأنزل الله هذه الآية تصديقاً لرسوله. الطبري (٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤). وأصله ـ كما في «العجاب» (١/ ٢٧٧) ـ دون ذكر نزول الآية عند البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ
فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٤﴾ ـ ﴿وإذ أخذنا ميثاقَكم﴾، وقلنا: ﴿لا تَسفِكُونَ دِماءَكُم﴾: تُريقونها بقتل بعضكم بعضًا، ﴿ولا تُخرجُونَ أنفُسَكُم مِن دِيارِكُم﴾: لا يُخرِجُ بعضكم بعضًا من داره، ﴿ثُمَّ أقرَرتُم﴾: قبلتم ذلك المِيثاق، ﴿وأنتُم تَشهَدُونَ﴾ على أنفسكم.

﴿٨٥﴾ ـ ﴿ثُمَّ أنتُم﴾ يا ﴿هؤُلاءِ تَقتُلُونَ أنفُسَكُم﴾ بقتل بعضكم بعضًا، ﴿وتُخرِجُونَ فَرِيقًا مِنكُم مِن دِيارِهِم، تَظّاهَرُونَ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء. وفي قراءة بالتخفيف على حذفها ـ تتعاونون ﴿علَيهِم بِالإثمِ﴾: بالمعصية ﴿والعُدوانِ﴾: الظلم ـ ﴿وإن يأتُوكُم أُسارَى﴾ وفي قراءة «أَسرَى» ﴿تَفدُوهُم﴾، وفي قراءة «تُفادُوهُم»: تُنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو ممّا عُهد إليهم ـ ﴿وهُوَ﴾ أي: الشأن ﴿مُحَرَّمٌ علَيكُم إخراجُهُم﴾ متصلٌ بقوله «وتُخرجون» والجملة بينهما اعتراض، أي: كما حُرِّمَ تركُ الفِداء.

وكانت قُرَيظةُ حالفوا الأوسَ والنَّضيرُ الخزرجَ، وكان كلّ فريق يقاتل مع حُلفائه ويُخرّب ديارهم ويُخرجهم، فإذا أُسِروا فدَوهم. وكانوا إذا سُئلوا: لمَ تُقاتلونهم وتَفدونهم؟ قالوا: أُمرنا بالفِداء. فيقال: فلمَ تُقاتلونهم؟ فيقولون: حياءَ أن يُستذَلّ حُلفاؤنا[1].

قال تعالى: ﴿أفتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتابِ﴾ ـ وهو الفِداء ـ ﴿وتَكفُرُونَ بِبَعضٍ﴾، وهو تركُ القتلِ والإخراجِ والمظاهرةِ؟ ﴿فما جَزاءُ مَن يَفعَلُ ذلِكَ مِنكُم إلّا خِزيٌ﴾: هَوان وذلٌّ ﴿في الحَياةِ الدُّنيا﴾ ـ وقد خَزُوا بقتل قُرَيظةَ ونفي النَّضير إلى الشام وضربِ الجزية ـ ﴿ويَومَ القِيامةِ يُرَدُّونَ إلَى أشَدِّ العَذابِ. وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾، بالياء والتاء. ﴿٨٦﴾ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الحَياةَ الدُّنيا بِالآخِرةِ﴾، بأن آثروها عليها، ﴿فلا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ، ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يمنعون منه.

﴿٨٧﴾ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراةَ، ﴿وقَفَّينا مِن بَعدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناهم رسولاً في أثَر رسول، ﴿وآتَينا عِيسَى بنَ مَريَمَ البَيِّناتِ﴾: المُعجزاتِ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ﴿وأيَّدْناهُ﴾: قوَّيناه ﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾ ـ من إضافة الموصوف إلى الصفة ـ أي: الروحِ المقدَّسةِ جبريلَ لِطهارته، يسير معه حيثُ سار، فلم تستقيموا.

﴿أفكُلَّما جاءَكُم رَسُولٌ بِما لا تَهوَى﴾: تُحبُّ ﴿أنفُسُكُمُ﴾ من الحقّ ﴿استَكبَرتُم﴾: تكبّرتم عن اتّباعه، جوابُ «كلّما» وهو محلّ الاستفهام، والمراد به التوبيخ، ﴿ففَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبتُم﴾ كعيسى، ﴿وفَرِيقًا تَقتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية، أي: قتلتُم كزكريّاءَ ويحيى؟

﴿٨٨﴾ ـ ﴿وقالُوا﴾ للنبيّ استهزاءً: ﴿قُلُوبُنا غُلْفٌ﴾ جمعُ أغلَفَ، أي: مُغشّاةٌ بأغطية فلا تعي ما تقول. قال تعالى: ﴿بَل﴾ للإضراب ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ﴾: أبعدَهم عن رحمته وخَذلهم عن القَبول ﴿بِكُفرِهِم﴾[2]، وليس عدمُ قَبولهم لخَللٍ في قلوبهم، ﴿فقَلِيلاً ما يُؤمِنُونَ﴾ ما: زائدة لتأكيد القلّة، أي: إيمانهم قليل جدًّا.

﴿تظاهرون عليهم﴾: تتعاونونَ عليهِم. ﴿أسارى﴾: مأسورينَ. ﴿تفادوهم﴾: تُخرِجوهُم مِنَ الأسرِ بإعطاءِ الفديةِ. ﴿خزي﴾: هوانٌ و فضيحةٌ و عقوبةٌ. ﴿قفينا من بعده بالرسل﴾: أتبعْنا على أثرِهِ الرُّسلَ على منهاجِهِ يحكمونَ بشريعتِهِ. ﴿بروح القدس﴾: بالرُّوحِ المُطهَّرِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ. ﴿قلوبنا غلف﴾: عليها أغشيةٌ و أغطيةٌ خلقيَّةٌ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٨) عن السدي.

(٢) عن ابن عباس: قالت اليهود قلوبنا مملوءة علماً لا نحتاج إلى علم محمد ولا غيره فنزلت. ابن أبي حاتم (١/ ١٧٠) ـ وليس فيه: «فنزلت» ـ و«العجاب» (١/ ٢٧٩).

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا
جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا
مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ
ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا
يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

(٨٩) ـ ﴿**ولَمّا جاءَهُم كِتابٌ مِن عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُم**﴾[1] من التوراة ـ وهو القرآن ـ ﴿**وكانُوا مِن قَبلُ**﴾: قبلِ مجيئه ﴿**يَستَفتِحُونَ**﴾: يَستنصرون ﴿**على الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ يقولون: اللهمَّ، انصرْنا عليهم بالنبيِّ المبعوث آخرَ الزمان، ﴿**فلَمّا جاءَهُم ما عَرَفُوا**﴾ من الحقّ ـ وهو بعثة النبيّ ـ ﴿**كَفَرُوا بِهِ**﴾ حسدًا وخوفًا على الرياسة. وجوابُ «لمّا» الأولى دلّ عليه جوابُ الثانية. ﴿**فلَعْنَةُ اللهِ على الكافِرِينَ**﴾.

(٩٠) ـ ﴿**بِئسَ ما اشتَرَوا**﴾: باعوا ﴿**بِهِ أنفُسَهُم**﴾ أي: حظَّها من الثواب، وما: نكرة بمعنى «شيئًا» تمييز لفاعل «بئس»، والمخصوص بالذم ﴿**أن يَكفُرُوا**﴾ أي: كفرُهم ﴿**بِما أنزَلَ اللهُ**﴾ من القرآن، ﴿**بَغْيًا**﴾: مفعول له لـ«يكفروا» أي: حَسدًا على ﴿**أن يُنزِلَ اللهُ**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾: الوحيَ ﴿**على مَن يَشاءُ**﴾ للرسالة ﴿**مِن عِبادِهِ! فباؤُوا**﴾: رجَعوا ﴿**بِغَضَبٍ**﴾ من الله بكفرهم بما أنزل ـ والتنكيرُ للتعظيم ـ ﴿**على غَضَبٍ**﴾ استحقوه من قبلُ بتضييع التوراة والكفر بعيسى، ﴿**ولِلكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ**﴾: ذو إهانة.

(٩١) ـ ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: آمِنُوا بِما أنزَلَ اللهُ**﴾: القرآنِ وغيره ﴿**قالُوا: نُؤمِنُ بِما أُنزِلَ علَينا**﴾ أي: التوراةِ. قال تعالى: ﴿**ويَكفُرُونَ**﴾ ـ الواو للحال ـ ﴿**بِما وَراءَهُ**﴾: سِواه أو بعدَه من القرآن، ﴿**وهُوَ الحَقُّ**﴾: حال، ﴿**مُصَدِّقًا**﴾: حال ثابتة مؤكّدة، ﴿**لِما مَعَهُم. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**فلِمَ تَقتُلُونَ**﴾ أي: قتلتُم ﴿**أنبِياءَ اللهِ مِن قَبلُ، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ بالتوراة، وقد نُهيتم فيها عن قتلهم؟ والخطاب للموجودين في زمن نبيّنا بما فعلَ آباؤهم لِرضاهم به.

(٩٢) ـ ﴿**ولَقَد جاءَكُم مُوسَى بِالبَيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات كالعصا واليد وفلق البحر، ﴿**ثُمَّ اتَّخَذتُمُ العِجلَ**﴾ إلـهًا ﴿**مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ ذَهابِه إلى المِيقات، ﴿**وأنتُم ظالِمُونَ**﴾ باتّخاذه.

(٩٣) ـ ﴿**وإذ أخَذنا مِيثاقَكُم**﴾ على العمل بما في التوراة، ﴿**و**﴾ قد ﴿**رَفَعْنا فَوقَكُمُ الطُّورَ**﴾: الجبلَ حين امتنعتم من قبولها ليَسقط عليكم، وقلنا: ﴿**خُذُوا ما آتَيناكُم بِقُوَّةٍ**﴾ بجِدّ واجتهاد، ﴿**واسمَعُوا**﴾ ما تؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿**قالُوا: سَمِعْنا**﴾ قولَك ﴿**وعَصَينا**﴾ أمرك، ﴿**وأُشرِبُوا في قُلُوبِهِمِ العِجلَ**﴾، أي: خالط حبُّه قلوبَهم كما يُخالط الشرابُ، ﴿**بِكُفرِهِم. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**بِئسَ ما**﴾: شيئًا ﴿**يأمُرُكُم بِهِ إيمانُكُم**﴾ بالتوراة عبادةُ العِجل، ﴿**إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ بها، كما زعمتم! المَعنَى: لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العِجل، والمراد آباؤهم، أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة، وقد كذَّبتم محمّدًا، والإيمانُ بها لا يأمر بتكذيبه.

﴿يستفتحون﴾: يستنصرونَ ببعْثَتِهِ ﷺ. ﴿اشتروا به أنفسهم﴾: باعوا بِهِ أنفسَهُم . ﴿بغياً﴾: حسداً. ﴿فباءو بغضب﴾: فرجعوا بِهِ مُسْتحِقّينَ لهُ. ﴿اتخذتم العجل﴾: جعلتُموهُ إلهاً معبوداً. ﴿قلوبهم العجل﴾: حبَّ العِجلِ الَّذي عبدوهُ.

(١) عن ابن عبّاسٍ بسند ضعيف: أنها نزلت في يهود خيبرَ كانوا يسألون النصر على غطفان بحقِّ النَّبيِّ الأمِّيِّ الذي سيخرج في آخرِ الزَّمان فينصرون، فلمّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ كفروا به. الحاكم (٣٠٤٢) والواحدي (ص: ٢٨).

وفي رواية عنه: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وقال بعضهم: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم! فأنزل الله الآية. الطبري (٢/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم (١/ ١٧٢).

قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٩٤) وَلَن
يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
(٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ
يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ
ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ (٩٦) قُلۡ مَن
كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ
ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ
(٩٧) مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ (٩٨) وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ
إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ (٩٩)
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ
لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (١٠١)

(٩٤) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إن كانَتْ لكُمُ الدّارُ الآخِرةُ﴾ أي: الجَنّةُ ﴿عِندَ اللهِ خالِصةً﴾: خاصّةً ﴿مِنَ دُونِ النّاسِ﴾[1]، كما زعمتم، ﴿فتَمَنَّوُا المَوتَ، إن كُنتُم صادِقِينَ﴾، تعلّق بتمنّيه الشرطانِ، على أن الأوّل قيدٌ في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها والمُوصِّلُ إليها الموتُ، فتمنَّوه. (٩٥) ـ ﴿ولَن يَتَمَنَّوهُ أبدًا بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾، من كفرِهم بالنبيّ المستلزمِ لكذبهم ـ ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾: الكافرين، فيُجازيهم ـ (٩٦) ـ ﴿ولَتَجِدَنَّهُم﴾: لامُ قسمٍ ﴿أحرَصَ النّاسِ علَى حَياةٍ[2]، و﴾ أحرَصَ ﴿مِنَ الَّذِينَ أشرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليها، لعِلمهم بأنّ مصيرهم النارُ دُونَ المشركين، لإنكارهم له. ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنّى ﴿أحَدُهُم لو يُعَمَّرُ ألفَ سَنةٍ﴾ ـ لو: مصدرية بمعنى: أن. وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يودّ» ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: أحدُهم ﴿بِمُزَحزِحِهِ﴾: مُبعِدِه ﴿مِنَ العَذابِ﴾: النارِ ﴿أن يُعَمَّرَ﴾: فاعلُ «مزحزِحه» أي: تعميرُه. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ فيُجازيهم.

وسأل ابن صُورِيا النبيَّ أو عُمرَ عمّن يأتي بالوحي من الملائكة، فقال: جِبريلُ. فقال: هو عدوّنا يأتي بالعذاب. ولو كان ميكائيلَ لآمَنّا لأنّه يأتي بالخِصب والسلم[3]. فنزل: (٩٧) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن كانَ عَدُوًّا لِجِبرِيلَ﴾ فلْيَمُتْ غيظًا، ﴿فإنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿علَى قَلبِكَ، بِإذنِ﴾: بأمرِ ﴿اللهِ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه من الكتب، ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وبُشرَى﴾ بالجنّة ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾.

(٩٨) ـ ﴿مَن كانَ عَدُوًّا للهِ ومَلائكَتِهِ ورُسُلِهِ وجِبرِيلَ﴾ ـ بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبه بياء ودونها ـ ﴿ومِيكالَ﴾: عطفٌ على الملائكة من عطف الخاصّ على العامّ ـ وفي قراءة «مِيكائِيلَ» بهمزة وياء، وفي أُخرى بلا ياء ـ ﴿فإنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلكافِرِينَ﴾. أوقعَه موقع «لهم» بيانًا لحالهم.

(٩٩) ـ (١٠٠) ـ (١٠١) ـ ﴿ولَقَد أنزَلْنا إلَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿آياتٍ بَيِّناتٍ﴾[4]: واضحات. ردٌّ لقول ابن صُورِيا للنبيّ: ما جئتَنا بشيء. ﴿وما يَكفُرُ بِها إلّا الفاسِقُونَ، أ﴾ كفرُوا بها، ﴿وَكُلَّما عاهَدُوا﴾ اللهَ ﴿عَهدًا﴾ على الإيمان بالنبيّ إن خرجَ، أو النبيَّ ألّا يُعاونوا عليه المُشركينَ، ﴿نَبَذَهُ﴾: طرحَه ﴿فَرِيقٌ مِنهُم﴾[5] بنقضه؟ جوابُ «كلّما» وهو محلّ الاستفهام الإنكاريّ، ﴿بَل﴾ ـ للانتقال ـ ﴿أكثَرُهُم لا يُؤمِنُونَ، ولَمّا جاءَهُم رَسُولٌ مِن عِندِ اللهِ﴾، محمّدٌ ﷺ، ﴿مُصدِّقٌ لِما مَعَهُم[6] نَبَذَ فَرِيقٌ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ، كِتابَ اللهِ﴾ أي: التوراةَ ﴿وَراءَ ظُهُورِهِم﴾ أي: لم يَعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره، ﴿كأَنَّهُم لا يَعلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبيّ حقّ أو أنها كتاب الله.

﴿لو يُعمّر﴾: لو يطولُ عُمُرُهُ. ﴿نبذه﴾: طرحَهُ و نقضَهُ.

(١) عن أبي العالية: قالت اليهود ـ يعني: والنصارى ـ: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾، وقالوا: ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ فأنزل الله عز وجل: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة﴾ الآية. الطبري (٢/ ٢٧٠)، و«العجاب» (١/ ٢٨٥).

(٢) عن ابن عباس: كان أهل الكتاب يقول أحدهم لصاحبه: عش ألف سنة، كُلْ ألف سنة، فنزلت. الفريابي في «تفسيره» كما في «العجاب» (١/ ٢٨٨).

(٣) قوله: «وسأل ابن صوريا النبي أو عمر..» قصة سؤال ابن صوريا النبي ﷺ ذكرها الثعلبي (٣/ ٤٥٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠)، عن ابن عباس بسند ضعيف كما في «العجاب» (١/ ٢٩٧). لكن روي عنه بنحوه بسند حسن دون تعيين السائل في «مسند أحمد» (٢٤٨٣)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٩٠٢٤). وقصة عمر رواها الطبري (٢/ ٢٨٧) عن الشعبي و(٢/ ٢٨٩) عن قتادة، وليس فيها تعيين السائل، وفيها مناظرة جرت بين عمر وبين اليهود، وأن جبريل نزل بهذه الآية موافقاً لعمر. وعن رجل من قريش: أن النبي ﷺ سأل اليهود: «أسألكم بكتابكم الذي تقرؤون، هل تجدونني قد بشر بي عيسى أن يأتيكم رسول اسمه أحمد؟» قالوا: اللهم وجدناك في كتبنا، ولكنا كرهناك لأنك تستحل الأموال ـ يعني الغنائم ـ وتهريق الدماء. فأنزل الله عز وجل ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾. الطبري (٢/ ٣٠١).

(٤) عن ابن عباس: قال ابن صوريا لرسول ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة نتبعك بها، فأنزل الله عز وجل هذه الآية. الطبري (٢/ ٣٠٥).

(٥) عن ابن عباس قال: قال مالك بن الصَّيْف ـ حين بُعث رسول الله ﷺ وذكَّرهم ما أخذ الله عليهم من الميثاق وما عهد إليهم فيه ـ: والله ما عهد الله إلينا في محمد، وما أخذ له علينا ميثاقاً، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٢/ ٣٠٨).

(٦) عن السدي قال: لما جاءهم محمد عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفق التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف ونسخة هاروت وماروت فلم توافق القرآن، فأنزل الله عز وجل هذه الآية إلى قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾. الطبري (٢/ ٣١٢)، و«العجاب» (١/ ٣٠٣).

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ
وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ
ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ
لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا
وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿١٠٢﴾ ـ ﴿**واتَّبَعُوا**﴾ ـ عطفٌ على «نَبَذَ» ـ ﴿**ما تَتلُو**﴾ أي: تَلَتِ. ﴿**الشَّياطِينُ علَى**﴾ عهدِ ﴿**مُلكِ سُلَيمانَ**﴾ من السِّحر. وكانت دفنتْه تحت كُرسيّه لمّا نُزِعَ مُلكُه[1]، أو كانت تسترق السمع وتضمّ إليه أكاذيب ـ وتُلقيه إلى الكهنة فيدوّنونه[2]. وفشا ذلك وشاع أن الجنّ تَعلمُ الغيبَ، فجمع سليمان الكُتب ودفنها، فلمّا مات دلّت الشياطينُ عليها الناسَ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنّما مَلَكَكم بهذا. فتعلّموه ورفضوا كتب أنبيائهم.

قال تعالى تبرئةً لسليمان وردًّا على اليهود في قولهم: «انظروا إلى محمّد، يَذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلّا ساحرًا»: ﴿**وما كَفَرَ سُلَيمانُ**﴾ أي: لم يعملِ السحرَ لأنه كُفرٌ، ﴿**ولكِنَّ**﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿**الشَّياطِينَ كَفَرُوا، يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحرَ**﴾ ـ الجملةُ حال من ضمير «كفروا» ـ ﴿**و**﴾ يُعلّمونهم ﴿**ما أُنزِلَ علَى المَلَكَينِ**﴾.

أي: أُلهِماه من السحر ـ وقُرئ بكسر اللام ـ الكائنَينِ ﴿**بِبابِلَ**﴾: بلدٍ في سَواد العراق، ﴿**هارُوتَ ومارُوتَ**﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان للملَكين. قال ابن عبّاس: هما ساحرانِ كانا يُعلّمان السحرَ[3]. وقيل: مَلَكانِ أُنزلا لتعليمه ابتلاءً من الله للناس.

﴿**وما يُعَلِّمانِ مِن**﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿**أحَدٍ حَتَّى يَقُولا**﴾ له نُصحًا: ﴿**إنَّما نَحنُ فِتنَةٌ**﴾: بليّةٌ من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه، فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن، ﴿**فلا تَكفُرْ**﴾ بتعلّمه. فإن أبى إلّا التعليم علّماه. ﴿**فيَتَعَلَّمُونَ مِنهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَينَ المَرءِ وزَوجِهِ**﴾ بأن يُبغَّضَ كلٌّ إلى الآخر، ﴿**وما هُم**﴾ أي: السَّحَرةُ ﴿**بِضارِّينَ بِهِ**﴾: بالسحر ﴿**مِن**﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿**أحَدٍ إلّا بِإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته، ﴿**ويَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُم**﴾ في الآخرة، ﴿**ولا يَنفَعُهُم**﴾، وهو السحر.

﴿**ولَقَد**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**عَلِمُوا**﴾ أي اليهودُ: ﴿**لَمَنِ**﴾ ـ لامُ ابتداء مُعلِّقة لما قبلَها، ومَن: موصولة ـ ﴿**اشتَراهُ**﴾: اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿**ما لَهُ في الآخِرةِ مِن خَلاقٍ**﴾: نصيبٍ في الجنّة، ﴿**ولَبِئسَ ما**﴾: شيئًا ﴿**شَرَوا**﴾: باعوا ﴿**بِهِ أنفُسَهُم**﴾ أي الشارينَ، أي: حظَّها من الآخرة أن تعلّموه حيث أوجب لهم النارَ! ﴿**لَو كانُوا يَعلَمُونَ**﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلّموه. ﴿١٠٣﴾ ـ ﴿**ولَو أنَّهُم**﴾ أي: اليهودَ ﴿**آمَنُوا**﴾ بالنبيّ والقرآن، ﴿**واتَّقَوا**﴾ عقابَ الله بترك معاصيه كالسحر، وجوابُ «لو» محذوف أي: لأُثيبُوا، دلّ عليه ﴿**لَمَثُوبَةٌ**﴾: ثوابٌ ـ وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ـ ﴿**مِن عِندِ اللهِ خَيرٌ**﴾، خبرُه، ممّا شروا به أنفسَهم. ﴿**لَو كانُوا يَعلَمُونَ**﴾ أنه خير لَما آثروه عليه.

﴿١٠٤﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَقُولُوا**﴾ للنبيّ: ﴿**راعِنا**﴾[4]. أمرٌ من المُراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبٌّ من الرُّعونة ـ فسُرُّوا بذلك وخاطبوا بها النبيَّ، فنُهي المؤمنون عنها ـ ﴿**وقُولُوا**﴾ بدلَها: ﴿**انظُرْنا**﴾ أي: انظر إلينا. ﴿**واسمَعُوا**﴾ ما تُؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿**ولِلكافِرِينَ عَذابٌ ألِيمٌ**﴾: مؤلمٌ هو النار.

﴿١٠٥﴾ ـ ﴿**ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، مِن أهلِ الكِتابِ، ولا المُشرِكِينَ**﴾[5] من العرب ـ عطفٌ على أهل الكتاب، ومِن: للبيان ـ ﴿**أن يُنَزَّلَ عَلَيكُم مِن**﴾، زائدةٌ، ﴿**خَيرٍ**﴾: وحيٍ ﴿**مِن رَبِّكُم**﴾ حَسدًا لكم. ﴿**واللهُ يَختَصُّ بِرَحمَتِهِ**﴾: بنُبوّته ﴿**مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾.

﴿تتلوا الشّياطين﴾: تقرأُ أو تكذِبُ مِنَ السِّحرِ. ﴿نحن فتنة﴾: ابتلاءٌ و اختبارٌ مِنَ اللهِ تعالى. ﴿خَلاق﴾: نصيبٌ مِنَ الخيرِ، أو قدْرٌ. ﴿شروا به أنفسهم﴾: باعوا بِهِ أنفسَهُم. ﴿لا تقولوا: راعنا﴾: كلمةُ سبٍّ و تنقيصٍ عندَ اليهودِ. ﴿قولوا: انظرنا﴾: انظرْ إلينا أوِ انتظرْنا و تأنَّ علينا.

(١) الواحدي (ص: ٣٢) مطولًا عن الكلبي، وقوله الآتي: «إنما ملككم بهذا» قطعة منه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٦) عن ابن إسحاق، وقوله الآتي: «انظروا إلى محمد..» قطعة منه.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٠٧ ـ تفسير)، والطبري (٢/ ٣٢٥)، والحاكم (٣٠٥٠)، والواحدي (ص: ٣٢)، وإسناده صحيح.
ومما روي في نزولها أيضاً: عن الربيع بن أنس: أن اليهود سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا! وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٢/ ٣١٥).

(٣) ذكره الثعلبي (٣/ ٤٨٠)، والبغوي (١/ ١٢٩).

(٤) عن قتادة: كانوا يقولون: راعنا سمعك، فكانت اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين، فنزلت. الطبري (٢/ ٣٧٥)، و«العجاب» (١/ ٣٤٤). وروي نحوه مطولاً عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن إسناده ضعيف جداً. الواحدي (ص: ٣٣) و«العجاب» (١/ ٣٤٤).

(٥) قال المفسرون: كان المسلمون إذا قالوا لحلفائهم: آمنوا بمحمد، قالوا: ما هذا الدين الذي تدعوننا بخير من الدين الذي نحن فيه، ولوددنا لو كان خيراً، فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم. الثعلبي (٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥)، والواحدي (ص: ٣٤)، و«العجاب» (١/ ٣٤٧).

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ١٠٩ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟
لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ١١٠ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا
أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ
أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢

الحزب ٢

ولمّا طَعَنَ الكُفّار في النَّسخ، وقالوا: «إنّ محمّدًا يأمر أصحابه اليوم بأمر، وينهى عنه غدًا»[1] أنزلَ الله: (١٠٦) ـ ﴿ما﴾: شرطيةٌ ﴿نَنسَخْ مِن آيَةٍ﴾ أي: نُزِلْ حُكمَها إمّا مع لفظها أوْ لا ـ وفي قراءة بضمّ النون من: أنسَخَ، أي نأمُرك أو جبريلَ بنسخها ـ ﴿أو نَنسأها﴾: نُؤخّرْها فلا نُزِلْ حُكمَها ونرفعُ تلاوتَها، أو نُؤخّرْها في اللوح المحفوظ ـ وفي قراءة بلا همز من النسيان، أي: نُنسِكَها، أي: نَمحُها من قلبك ـ وجوابُ الشرط ﴿نأتِ بخَيرٍ منها﴾: أنفعَ للعباد في السهولة أو كثرة الأجر، ﴿أو مِثلِها﴾ في التكليف والثواب. ﴿ألم تَعلَمْ أنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾، ومنه النسخ والتبديل؟ والاستفهام للتقرير.

(١٠٧) ـ ﴿ألم تَعلَمْ أنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء، ﴿وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿وَليٍّ﴾ يحفظكم، ﴿ولا نَصيرٍ﴾ يمنع عذابه عنكم، إن أتاكم؟

ونزل لمّا سأله أهل مكّة أن يوسّعَها ويجعلَ الصفا ذهبًا[2]: (١٠٨) ـ ﴿أم﴾: بل أ﴿تُريدُونَ أن تَسألُوا رَسُولَكُم كما سُئِلَ مُوسَى﴾ أي: سأله قومه ﴿مِن قَبلُ﴾، من قولهم: «أرِنا اللهَ جَهْرةً»، وغيرَ ذلك؟ ﴿ومَن يَتَبدَّلِ الكُفرَ بالإيمانِ﴾، أي: يأخذه بدله بتركِ النظر في الآيات البيّنات واقتراح غيرها، ﴿فقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ﴾: أخطأ الطريقَ الحقّ. والسواءُ في الأصل: الوَسَطُ.

(١٠٩) ـ ﴿وَدَّ كَثيرٌ مِن أهلِ الكِتابِ لَو﴾[3]: مصدريةٌ ﴿يَرُدُّونكُم مِن بَعدِ إيمانِكُم كُفّارًا حَسَدًا﴾: مفعول له، كائنًا ﴿مِن عِندِ أنفُسِهِم﴾ أي: حملتْهم عليه أنفسُهم الخبيثة، ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿الحَقُّ﴾ في شأن النبيِّ ﷺ.

﴿فاعفُوا﴾ عنهم، أي: اتركوهم، ﴿واصفَحُوا﴾: أعرِضوا فلا تُجازوهم، ﴿حَتَّى يأتِيَ اللهُ بِأمرِهِ﴾[4] فيهم من القتال ـ ﴿إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ ـ. (١١٠) ـ ﴿ وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ. وما تُقَدِّمُوا لِأنفُسِكُم مِن خَيرٍ﴾: طاعةٍ كصِلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابَه ﴿عِندَ اللهِ. إنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ بَصيرٌ﴾، فيُجازيكم به.

(١١١) ـ ﴿وقالُوا: لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إلّا مَن كانَ هُودًا﴾: جمع هائد، ﴿أو نَصارَى﴾. قال ذلك يهود المدينةِ ونصارى نجرانَ، لمّا تناظروا بين يدَيِ النبيّ ﷺ، أي: قال اليهود: لن يدخلها إلّا اليهودُ، وقال النصارى: لن يدخلها إلّا النصارى[5]. ﴿تِلكَ﴾ القَولةُ ﴿أمانِيُّهُم﴾: شهواتُهم الباطلة. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هاتُوا بُرهانَكُم﴾: حُجّتَكم على ذلك، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه. (١١٢) ـ ﴿بَلَى﴾، يدخل الجنّةَ غيرُهم، ﴿مَن أسلَمَ وَجهَهُ للهِ﴾، أي: انقاد لأمره ـ وخُصّ الوجه لأنه أشرف الأعضاء، فغيرُه أولى ـ ﴿وهُوَ مُحسِنٌ﴾[6]: مُوحّدٌ ﴿فلَهُ أجرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾، أي: ثوابُ عمله الجنّةُ، ﴿ولا خَوفٌ عليهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخِرة.

﴿ما ننسخ من آية﴾: ما نُزِلْ و نرفعْ مِن حُكمِ آيةٍ أوِ التَّعبُّدِ بها. ﴿نُنسِها﴾: نمحُها مِنَ القلوبِ و الحوافظِ. ﴿وليّ﴾: مالكٍ أو مُتولٍّ لأمورِكُم. ﴿سواء السبيل﴾: قصدَ الطَّريقِ و وسطَهُ. ﴿أمانيّهم﴾: شهواتُهُم و مُتمنَّياتُهُمُ الباطلةُ. ﴿أسلم وجهه لله﴾: أخلصَ نفسَهُ أو قصدَهُ أو عبادتَهُ للهِ.

(١) ذكره الثعلبي (٤/ ٥) دون عزو، والواحدي (ص: ٣٤) وعزاه للمفسرين، وعنهما الحافظ في «العجاب» (١/ ٣٤٨). وعن عكرمةَ عن ابن عباس قال: كان ممَّا يَنزلُ على النبيِّ ﷺ الوحي باللَّيل وينساه بالنَّهار، فأنزل الله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾. ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٠).

(٢) ذكره الثعلبي (٤/ ٢٥)، والواحدي (ص: ٣٤) عن ابن عباس، وقال الحافظ في «العجاب» (١/ ٣٥٠): «لعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس». ورواه الطبري (٢/ ٤١٠) عن مجاهد. وروي في نزولها عن ابن عباس أيضاً: أن بعض المشركين قالوا: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجِّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك، فنزلت. الطبري (٢/ ٤٠٩)، «العجاب» (١/ ٣٥١). وعن أبي العالية قال: قال رجل: يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني اسرائيل؟ فقال ﷺ: «اللهم لا نبغيها» ثلاثاً «ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني اسرائيل...» في حديث طويل وفي آخره: فأنزل الله عز وجل: ﴿أم تريدون..﴾. ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٣)، «العجاب» (١/ ٣٥٢) وقوى الحافظ إسناده ورجحه سبباً للنزول، لكنه مرسل.

(٣) عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه: أن كعب بن الأشرف كان يهوديًّا شاعراً، فكان يهجو النبي ﷺ ويحرض قريشاً عليه، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمرهم الله بالصبر والعفو، وفيهم نزلت هذه الآية. «المعجم الكبير» (١٩/ ٧٦)، الواحدي (ص: ٣٥)، «العجاب» (١/ ٣٥٦)، وفيه: سنده صحيح. وعن ابن عباس: أنها نزلت في حيي بن أخطب وأبي ياسر بن أخطب، كانا من أشد يهود للعرب حسداً إذ خصهم الله تعالى برسوله، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام. الطبري (٢/ ٤١٩)، «العجاب» (١/ ٣٥٤).

(٤) وعن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ ركب على حمار فقال لسعد: «ألم تسمع ما قال أبو الحباب؟» يريد عبد الله بن أبي «قال: كذا وكذا» فقال سعد بن عبادة: اعف عنه واصفح، فعفا عنه رسول الله ﷺ ـ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن أهل الكتاب والمشركين ـ فأنزل الله عز وجل: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٧٤)، وهو في البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (٤٦٥٩) دون ذكر النزول.

(٥) ذكره في تفاسيرهم دون عزو السمرقندي (١/ ٨٤)، والسمعاني (١/ ١٢٧)، والبغوي (١/ ١٣٧).

(٦) عن السدي وغيره: نزلت في الذين قالوا: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾. «العجاب» (١/ ٣٥٧).

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن
مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ
أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي
ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ
وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ
كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ
قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩

(١١٣) ـ ﴿وقالَتِ اليَهُودُ: لَيسَتِ النَّصارَى علَى شَيءٍ﴾[1] معتدٍّ به، وكفَرتْ بعيسى، ﴿وقالَتِ النَّصارَى: لَيسَتِ اليَهُودُ علَى شَيءٍ﴾ معتدٍّ به، وكفَرتْ بموسى، ﴿وهُم﴾ أي: الفريقانِ ﴿يَتلُونَ الكِتابَ﴾ المُنزَلَ عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى. والجملة: حال. ﴿كَذلِكَ﴾: كما قال هؤلاء ﴿قالَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾، أي: المشركون من العرب وغيرُهم، ﴿مِثلَ قَولِهِم﴾: بيانٌ لمعنى «ذلك»، أي: قالوا لكلّ ذي دِين: ليسوا على شيء. ﴿فاللهُ يَحكُمُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيُدخِل المُحِقَّ الجنةَ والمُبطِلَ النارَ.

(١١٤) ـ ﴿ومَن أظلَمُ﴾ أي: لا أحدَ أظلمُ ﴿مِمَّن مَنَعَ مَساجِدَ اللهِ أن يُذكَرَ فِيها اسمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح، ﴿وسَعَى في خَرابِها﴾ بالهدم أو التعطيل؟ نزلتْ إخبارًا عن الروم الذين خرّبوا بيت المَقدس[2]، أو في المشركين لمّا صدّوا النبيّ ﷺ عامَ الحُديبية عن البيت[3]. ﴿أُولئِكَ ما كانَ لَهُم أن يَدخُلُوها إلّا خائفِينَ﴾. خبرٌ بمعنى الأمر، أي: أخِيفوهم بالجهاد، فلا يدخلْها أحد آمنًا، ﴿لَهُم في الدُّنيا خِزيٌ﴾: هوانٌ بالقتل والسبي والجزية، ﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. ونزل، لمّا طعن اليهود[4] في نسخ القِبلة أو في صلاة النافلة[5] على الراحلة في السفر حيثما توجّهتْ:

(١١٥) ـ ﴿ولِلهِ المَشرِقُ والمَغرِبُ﴾ أي: الأرضُ كلّها لأنهما ناحِيتاها. ﴿فأينَما تُوَلُّوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فثَمَّ﴾: هناكَ ﴿وَجهُ اللهِ﴾: قِبلتُه التي رضيها. ﴿إنَّ اللهَ واسِعٌ﴾: يسعُ فضلُه كلّ شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه.

(١١٦) ـ ﴿وقالُوا﴾، بواو ودونِها، أي: اليهودُ والنصارَى ومَن زعم أنّ الملائكةَ بناتُ الله: ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾. قال تعالى: ﴿سُبحانَهُ﴾[6]: تنزيهًا له عنه! ﴿بَل لَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا ـ والملكيّةُ تُنافي الولادة. وعُبّر بـ«ما» تغليبًا لِما لا يعقل ـ ﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾: مُطيعون، كلٌّ بما يُراد منه، وفيه تغليب العاقل. (١١٧) ـ ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُوجِدُهما لا على مثالٍ سبق، ﴿وإذا قَضَى﴾: أراد ﴿أمرًا﴾ أي: إيجادَه ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾ أي: فهو يكونُ. وفي قراءة بالنصبِ جوابًا للأمر.

(١١٨) ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ أي: كُفّارُ مكّة للنبيّ: ﴿لَولا﴾ هلّا ﴿يُكَلِّمُنا اللهُ﴾[7] أنك رسوله، ﴿أو تأتِينا آيةٌ﴾ ممّا اقترحناه على صِدقك. ﴿كَذلِكَ﴾: كما قال هؤلاء ﴿قالَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾، مِن كُفّار الأُمم الماضية لأنبيائهم، ﴿مِثلَ قَولِهِم﴾ من التعنّت وطلب الآيات، ﴿تَشابَهَتْ قُلُوبُهُم﴾ في الكُفر والعِناد. فيه تسلية للنبيّ ﷺ. ﴿قد بَيَّنّا الآياتِ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾: يعلمون أنّها آيات فيؤمنون. فاقتراحُ آية معها تعنُّت.

(١١٩) ـ ﴿إنّا أرسَلْناكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿بالحَقِّ﴾: بالهُدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَن أَجاب إليه بالجنّة، ﴿ونَذِيرًا﴾ مَن لم يُجب إليه بالنار، ﴿ولا تُسألُ عَن أصحابِ الجَحِيمِ﴾[8] النارِ، أي: الكُفّارِ، ما لهم لم يؤمنوا؟ إنّما عليك البلاغ ـ وفي قراءة بجزم «تَسألْ» نهيًا ـ.

﴿خِزيٌ﴾: ذلٌّ و صَغارٌ، و قتلٌ و أسرٌ. ﴿فثمّ وجه الله﴾: جِهتُهُ الّتي رضيَها و أمرَكُم بها. ﴿سُبحانه﴾: تنزيهاً لهُ تعالى عنِ اتِّخاذِ الولدِ. ﴿له قانتون﴾: مُطيعونَ مُنقادونَ لهُ تعالى. ﴿بديع﴾: مُبدعُ و مُخترعُ. ﴿قضى أمراً﴾: أرادَ شيئاً أو أحكمَهُ أو حتَّمَهُ. ﴿كنْ فيكون﴾: احْدُثْ، فهوَ يحدُثُ.

(١) عن ابن عباس: أنها نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران، تنازعوا عند رسول الله ﷺ حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة. فنزلت. الطبري (٢/ ٤٣٤)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٠٨)، والواحدي (ص: ٣٦)، و«العجاب» (١/ ٣٥٧).

(٢) الواحدي (ص: ٣٦) عن ابن عباس من رواية الكلبي، وذكره في تفسيريهما السمرقندي (١/ ٨٦) وابن أبي زمنين (١/ ١٧١) عن الكلبي.

(٣) الطبري (٢/ ٤٤٤) عن ابن زيد. وروي عن ابن عباس في رواية عطاء: نزلت في مشركي مكة ومنعهم المسلمين من ذكر الله تعالى في المسجد الحرام. الواحدي (ص: ٣٦)، و«العجاب» (١/ ٣٥٧).

(٤) ذكره الواحدي (ص: ٣٩) من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وعنه الحافظ في «العجاب» (١/ ٣٦٥). وهو عند الطبري (٢/ ٤٥٠) لكن وقع فيه ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ثم كرره عند تفسير هذه الآية (٢/ ٤٦٢).

(٥) رواه مسلم (٧٠٠) عن ابن عمر: كان رسولُ الله ﷺ يصلِّي وهو مُقبِلٌ مِن مكةَ إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهُه، وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾. وروي: أنها نزلت رخصةً للمتحرِّي عندَ اشتباه القِبلة. وفيه قصة. رواه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠) من حديث عامر بن ربيعة. والدارقطني (١٠٦٢)، والبيهقي (٢٢٤٣)، من حديث جابر. وفي كليهما مقال كما في «العجاب» (١/ ٣٥٧).

(٦) نزلت في وفد نصارى نجران قدموا على النبي ﷺ بالمدينة فقالوا: عيسى ابن الله، فأكذبهم الله سُبْحَانَهُ وعظم نفسه. «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٣)، «العجاب» (١/ ٣٦٧).

(٧) عن ابن عباس: قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: إن كنت رسولًا من عند الله كما تقول فقل لله عز وجل فليكلمنا حتى نسمع كلامه! فأنزل الله عز وجل هذه الآية. الطبري (٢/ ٤٧٤)، «العجاب» (١/ ٣٦٨).

(٨) عن ابن عباس ومحمد بن كعب: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَيْتَ شِعْري ما فعلَ أبواي»؟ فنزلت. «تفسير عبد الرزاق» (١٢٦)، و«غريب الحديث» للحربي (١/ ١٤٤)، والطبري (٢/ ٤٨١)، عن محمد بن كعب مرسلاً. والواحدي (ص: ٤٠) عن ابن عباس، ووهَّى الحافظ في «العجاب» (١/ ٣٦٩) إسناده عن ابن عباس.

وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ
إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي
جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن
يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ
ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ
فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ
لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ
وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ
وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ
﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ
مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

﴿١٢٠﴾ ـ ﴿**وَلن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصارَى**[1]، **حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم**﴾: دِينَهم. ﴿**قُل: إنَّ هُدَى اللهِ**﴾: الإسلامَ ﴿**هُوَ الهُدَى**﴾، وما عداه ضلال. ﴿**ولَئِنِ**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**اتَّبَعتَ أهْواءَهُم**﴾ التي يدعونكَ إليها فرَضًا ﴿**بَعدَ الَّذي جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾: الوحيِ من الله ﴿**مالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ**﴾ يحفظك، ﴿**ولا نَصيرٍ**﴾ يمنعك منه.

﴿١٢١﴾ ـ ﴿**الَّذينَ آتيناهُمُ الكِتابَ**﴾ مبتدأٌ ﴿**يَتلُونَهُ حَقَّ تِلاوتِهِ**﴾: يقرؤونه كما أُنزل ـ والجملةُ: حال، وحقَّ: نصب على المصدر ـ والخبرُ ﴿**أُولئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ**﴾ ـ نزلتْ في جماعة[2]، قَدِموا من الحبشة وأسلموا ـ ﴿**ومَن يَكفُرْ بِهِ**﴾ أي: بالكتاب المُؤتَى بأن يُحرّفه ﴿**فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم.

ربع الحزب

﴿١٢٢﴾ ـ ﴿**يا بَني إسرائيلَ، اذكُرُوا نِعمَتِيَ الَّتي أنعمتُ عليكُم، وأنِّي فَضَّلتُكُم علَى العالَمينَ**﴾ ـ تقدّمَ مِثلُه ـ ﴿١٢٣﴾ ـ ﴿**واتَّقُوا**﴾: خافوا ﴿**يَومًا، لا تَجزي**﴾: تُغني ﴿**نَفسٌ عَن نَفسٍ**﴾ فيه ﴿**شَيئًا! ولا يُقبَلُ مِنها عَدلٌ**﴾: فِداءٌ، ﴿**ولا تَنفَعُها شَفاعةٌ، ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾: يُمنَعون من عذاب الله.

﴿١٢٤﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذِ ابتَلَى**﴾: اختبرَ ﴿**إبراهِيمَ**﴾ ـ وفي قراءةٍ «إبراهامَ» ـ ﴿**رَبُّهُ بِكَلماتٍ**﴾: بأوامرَ ونواهٍ كلّفه بها ـ قيل: هي مناسكُ الحجّ. وقيل: المضمضةُ والاستنشاق والسِّواكُ وقصُّ الشارب وفرقُ الرأس وقلْمُ الأظفار ونتفُ الإبط وحلقُ العانة والخِتانُ والاستنجاءُ ـ ﴿**فأتَمَّهُنَّ**﴾: أدّاهنّ تامّاتٍ.

﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**إنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إمامًا**﴾: قُدوة في الدِّين. ﴿**قالَ: ومِن ذُرِّيَّتي**﴾: أولادي اجعلْ أئمّةً. ﴿**قالَ: لا يَنالُ عَهدِيَ**﴾ بالإمامة ﴿**الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين منهم. دلّ على أنه ينال غيرَ الظالم.

﴿١٢٥﴾ ـ ﴿**وإذ جَعَلْنا البَيتَ**﴾: الكعبةَ ﴿**مَثابَةً لِلنّاسِ**﴾: مَرجِعًا يثوبون إليه من كلّ جانبٍ ﴿**وأمْنًا**﴾: مأمنًا لهم من الظُّلم والإغارات الواقعة في غيره. كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يُهيجه ـ ﴿**واتَّخِذُوا**﴾، أيها الناس، ﴿**مِن مَقامِ إبراهِيمَ**﴾، هو الحَجرُ الذي قام عليه عند بناء البيت، ﴿**مُصَلًّى**﴾[3]: مكانَ صلاة بأن تُصلّوا خلفه ركعتَي الطواف. وفي قراءة بفتح الخاء، خبرٌ ـ ﴿**وعَهِدْنا إلَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ**﴾: أمرْناهما ﴿**أن**﴾ أي: بأن ﴿**طَهِّرا بَيتِيَ**﴾ من الأوثان ﴿**لِلطّائِفينَ والعاكِفينَ**﴾: المقيمين فيه ﴿**والرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾: جمع راكع وساجد، المُصلّين.

﴿١٢٦﴾ ـ ﴿**وإذ قالَ إبراهِيمُ: رَبِّ، اجعَلْ هذا**﴾ المكانَ ﴿**بَلَدًا آمِنًا**﴾: ذا أمن ـ وقد أجاب الله دعاءه فجعله حَرَمًا، لا يُسفَك فيه دمُ إنسان، ولا يُظلم فيه أحدٌ، ولا يُصاد صيدُه، ولا يُختلَى خَلاه ـ ﴿**وارزُقْ أهلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ**﴾ ـ وقد فعَلَ بنقل الطائف من الشام إليه[4]، وكان أقفرَ لا زرعَ به ولا ماءَ ـ ﴿**مَن آمَنَ مِنهُم باللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾: بدلٌ من «أهله». وخصّهم بالدعاء لهم موافقة لقوله «لا يَنالُ عَهدِيَ الظّالِمِينَ». ﴿**قالَ**﴾ تعالى: ﴿**و**﴾ أرزقُ ﴿**مَن كَفَرَ فأُمَتِّعُهُ**﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ في الدنيا بالرزق ﴿**قَليلاً**﴾: مُدّةَ حياته، ﴿**ثُمَّ أضطَرُّهُ**﴾: أُلجئُه في الآخرة ﴿**إلَى عَذابِ النّارِ**﴾، فلا يجد عنها مَحيصًا. ﴿**وبِئسَ المَصِيرُ**﴾: المَرجِعُ هي!

﴿العالمين﴾: عالمي زمانِكُم. ﴿لا تجزي نفسٌ﴾: لا تقضي و لا تؤدّي نفسٌ. ﴿عدلٌ﴾: فِدْيةٌ. ﴿ابتلى﴾: اختبرَ و امتحنَ. ﴿بكلماتٍ﴾: بأوامرَ و نواهٍ. ﴿فأتمّهنّ﴾: أدّاهُنَّ للهِ تعالى على كمالٍ. ﴿مثابةً للنّاس﴾: مَرْجِعاً أو ملجأً أو مَجْمَعاً أو موضعَ ثوابٍ لهُم. ﴿عهدنا﴾: وصَّيْنا أو أمرْنا أو أوحيْنا.. ﴿بيْتِيَ﴾: الكعبةَ المشرَّفةَ بمكّةَ المكرَّمةِ. ﴿أضطرّه﴾: أدفعُهُ و أسوقُهُ و أُلجِئُهُ.

(١) ابن عبّاسٍ: نزلَتْ في شأن القِبْلة، وذلك أنَّ يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أنَّ النَّبيَّ ﷺ يصلّي إلى قبلتهم، فلمّا صُرفَتِ القِبلةُ إلى الكعبة شقَّ ذلك عليهم، ويئسوا منه أن يوافقَهم على دينِهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. الثعلبي (٤/ ٦٨)، والواحدي (ص: ٤٠)، و«العجاب» (١/ ٣٧٣). وقيل: إنَّ اليهود والنَّصارى كانوا يسألون النَّبيَّ ﷺ الهدنةَ، ويُطمِعُونه في موافقتِهم إيّاه واتِّباعه إنْ هادنَهم وأمهلَهم، فنزلت. الواحدي (ص: ٤٠)، و«العجاب» (١/ ٣٧٢).

(٢) ذكره الثعلبي (٤/ ٦٩)، والواحدي (ص: ٤٠)، عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي (وكلا الروايتين واهية): أنها نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، كانوا أربعين رجلاً من الحبشة وأهل الشام. وقيل: نزلت فيمن آمن من اليهود. الثعلبي (٤/ ٧٠) عن الضحاك، والطبري (٢/ ٤٨٦) عن ابن زيد، ورجَّحه لأن السياق عن اليهود، وابن أبي حاتم (١/ ٢١٨) عن قتادة. وقيل: نزلَت في أصحاب رسولِ الله ﷺ. الطبري (٢/ ٤٨٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٢١٨) عن قتادة، والواحدي (ص: ٤٠) عن عكرمة وقتادة. و«العجاب» (١/ ٣٧٣).

(٣) قال عمر: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت، الحديثَ. البخاري (٤٠٢) واللفظ له، ومسلم (٢٣٩٩).

(٤) الواحدي في «البسيط» (٣/ ٣٠٧) من رواية عطاء عن ابن عباس، وإسناده واه، وروى معناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٣٠) عن الزهري ومحمد بن مسلم الطائفي.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿١٢٧﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ يرفَعُ إبراهيمُ القواعِدَ﴾: الأُسُسَ أو الجُدُر، ﴿مِنَ البيتِ﴾: يبنيه ـ متعلّق بـ «يرفع» ـ ﴿وإسماعيلُ﴾: عطفٌ على «إبراهيم»، يقولان: ﴿رَبَّنا، تقبَّلْ مِنّا﴾ بناءنا ـ ﴿إنَّكَ أنتَ السَّميعُ﴾ للقول، ﴿العَليمُ﴾ بالفعل ـ ﴿١٢٨﴾ ـ ﴿رَبَّنا، واجعَلْنا مُسلِمَينِ﴾: مُنقادَينِ ﴿لكَ، و﴾ اجعلْ ﴿مِن ذُرِّيَّتِنا﴾: أولادِنا ﴿أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مُسلِمةً لكَ﴾ ـ ومِن: للتبعيض، وأتى به لتقدّم قوله له «لا يَنالُ عَهدِي الظّالِمِين» ـ ﴿وأرِنا﴾: علِّمْنا ﴿مَناسِكَنا﴾: شرائعَ عبادتنا أو حجِّنا، ﴿وتُبْ علَينا ـ إنَّكَ أنتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ﴾. سألاه التوبة مع عِصمتهما تواضعًا وتعليمًا لذرّيّتهما ـ ﴿١٢٩﴾ ـ ﴿رَبَّنا، وابعَثْ فِيهِم﴾ أي: أهلِ البيت ﴿رَسُولاً مِنهُم﴾ من أنفسهم ـ وقد أجاب الله دعاءه بمحمّد ﷺ ـ ﴿يَتلُو علَيهِم آياتِكَ﴾: القرآنَ ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾: القرآنَ ﴿والحِكمةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿ويُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرهم من الشِّرك. ﴿إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

﴿١٣٠﴾ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا ﴿يَرغَبُ عَن مِلّةِ إبراهيمَ﴾ فيتركُها ﴿إلّا مَن سَفِهَ نَفسَهُ﴾[1]: جهِلَ أنها مَخلوقة لله يجب عليها عبادته، أو استخفّ بها وامتهنَها؟ ﴿ولَقَدِ اصطَفَيناهُ﴾: اختَرناه ﴿في الدُّنيا﴾ بالرسالة والخُلّة، ﴿وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ﴾: الذين لهم الدرجات العُلى، اذكرْ

﴿١٣١﴾ ـ ﴿١٣٢﴾ ـ ﴿إذ قالَ لَهُ رَبُّهُ: أسلِمْ﴾: انقَدْ، وأخلِص له دِينك. ﴿قالَ: أسلَمتُ لِرَبِّ العالَمِينَ. ووَصَّى﴾ ـ وفي قراءة «أوصَى» ـ ﴿بِها﴾ بالمِلّة ﴿إبراهيمُ بَنِيهِ ويَعقُوبُ﴾ بنيه، قال: ﴿يا بَنِيَّ، إنَّ اللهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ دينَ الإسلام. ﴿فلا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتُم مُسلِمُونَ﴾. نَهى عن تركِ الإسلام، وأمر بالثبات عليه إلى مُصادفة الموت.

ولمّا قال اليهود للنبيّ: «ألستَ تعلم أنّ يعقوب يومَ ماتَ أوصى بنيه باليهوديّة»[2]؟ نزل: ﴿١٣٣﴾ ـ ﴿أم كُنتُم شُهَداءَ﴾: حُضورًا، ﴿إذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ، إذ﴾ ـ بدلٌ من «إذ» قبله ـ ﴿قالَ لِبَنِيهِ: ما تَعبُدُونَ مِن بَعدِي﴾: بعدِ موتي؟ ﴿قالُوا: نَعبُدُ إلٰهَكَ وإلٰهَ آبائكَ، إبراهيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ﴾ ـ عَدُّ إسماعيل من الآباء تغليبٌ، ولأن العمّ بمنزلة الأب ـ ﴿إلٰهًا واحِدًا﴾: بدلٌ من «إلٰهَكَ»، ﴿ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾. وأم: بمعنى همزة الإنكار أي: لم تَحضُروه وقت موته، فكيف تنسبون إليه ما لا يَليق به؟

﴿١٣٤﴾ ـ ﴿تِلكَ﴾: مبتدأ ـ والإشارة إلى إبراهيمَ ويعقوب وبَنِيهما، وأُنّث لتأنيث خبره ـ ﴿أُمّةٌ قَد خَلَتْ﴾: سَلَفت. ﴿لَها ما كَسَبَتْ﴾ من العمل أي: جزاؤه ـ استئناف ـ ﴿ولَكُم﴾ الخطاب لليهود ﴿ما كَسَبتُم، ولا تُسألُونَ عَمّا كانُوا يَعمَلُونَ﴾ كما لا يُسألون عن عملكم. والجملة: تأكيد لما قبلها.

﴿مسلمين لك﴾: مُنقادَينِ خاضعَينِ مُخلِصَينِ لكَ. ﴿أرنا مناسكنا﴾: عرِّفْنا معالمَ حجِّنا أو شرائعَهُ. ﴿يُزكّيهم﴾: يطهِّرُهم مِنَ الشِّركِ و المعاصي. ﴿يرغب عنْ..﴾: يزهدُ و ينصرفُ عن. ﴿سفِه نفسه﴾: جهلَها أوِ امتهنَها و استخفَّ بها، أو أهلكَها. ﴿أسلِم﴾: انقَدْ أو أخلِصِ العبادةَ لي. ﴿الدّين﴾: دينَ الإسلامِ صفوةَ الأديانِ. ﴿خلت﴾: مضَتْ و سلفَتْ.

(١) دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام وذكرهما بما في التوراة من ذكر بعثة النبي ﷺ، وأن مَن لم يُؤمنْ به فهو ملعونٌ، فأسْلَمَ سَلمةُ وأبى مُهاجِرٌ، فنزلت. «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٩) والثعلبي (٤/ ١٣١)، و«العجاب» (١/ ٣٧٢).

(٢) قوله: «ولما قال اليهود للنبي ﷺ: ألست تعلم...» الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١) دون عزو، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٤٠)، وعنهما «العجاب» (١/ ٣٧٩).

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟
فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ
ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

(١٣٥) ـ (١٣٦) ـ **﴿وقالوا: كُونوا هُودًا أو نَصارَى، تَهتَدُوا﴾**[١] أو: للتفصيل، وقائل الأول يهود المدينةِ والثاني نصارى نجرانَ[٢]. **﴿قُلْ﴾** لهم: **﴿بَلْ﴾** نتّبعُ **﴿مِلّةَ إبراهِيمَ حَنِيفًا﴾**: حالٌ من إبراهيم، مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدين القيِّم، **﴿وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ. قُولُوا﴾** خطابٌ للمؤمنين: **﴿آمَنّا بِاللهِ وما أُنزِلَ إلَينا﴾**[٣] من القرآن **﴿وما أُنزِلَ إلَى إبراهِيمَ﴾** من الصُّحف العشر **﴿وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطِ﴾**: أولادِه، **﴿وما أُوتِيَ مُوسَى﴾** من التوراة **﴿وعِيسَى﴾** من الإنجيل، **﴿وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم﴾** من الكتب والآيات، **﴿لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم﴾** فنؤمنَ ببعض ونكفرَ ببعض كاليهود والنصارى، **﴿ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾**.

(١٣٧) ـ **﴿فإن آمَنُوا﴾** أي: اليهودُ والنصارى **﴿بِمِثلِ﴾** ـ مثل: زائدٌ ـ **﴿ما آمَنتُم بِهِ فقَدِ اهتَدَوا، وإن تَوَلَّوا﴾** عن الإيمان به **﴿فإنَّما هُم في شِقاقٍ﴾**: خلاف معكم، **﴿فَسَيَكفِيكَهُمُ اللهُ﴾** يا محمّد: شِقاقَهم. **﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾** لأقوالهم **﴿العَلِيمُ﴾**[٤] بأحوالهم. وقد كفاه إيّاهم بقتل قُريظةَ ونفي النَّضير وضرب الجزية عليهم.

(١٣٨) ـ **﴿صِبغَةَ اللهِ﴾**[٥]: مصدرٌ مؤكِّد لـ «آمنّا» ونصبُه بفعل مقدر، أي: صَبَغَنا اللهُ ـ والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصِّبغ في الثوب. **﴿ومَن﴾** أي: لا أحدَ **﴿أحسَنُ مِنَ اللهِ صِبغَةً﴾**؟ تمييز ـ **﴿ونَحنُ لَهُ عابِدُونَ﴾**.

قال اليهود للمسلمين: «نحن أهل الكتاب الأوّل، وقِبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمّد نبيًّا لكان منّا»، فنزل: (١٣٩) ـ **﴿قُلْ﴾** لهم: **﴿أتُحاجُّونَنا﴾**: تُخاصموننا **﴿في اللهِ﴾** أن اصطفى نبيًّا من العرب، **﴿وهُوَ رَبُّنا ورَبُّكُم﴾** ـ فله أن يصطفيَ من يشاء ـ **﴿ولَنا أعمالُنا﴾** نُجازَى بها، **﴿ولَكُم أعمالُكُم﴾** تُجازَون بها ـ فلا يبعدُ أن يكون في أعمالنا ما نستحقّ الإكرام به ـ **﴿ونَحنُ لَهُ مُخلِصُونَ﴾** الدِّينَ والعمل دونكم. فنحن أولى بالاصطفاء؟ والهمزة للإنكار، والجُمل الثلاث أحوال.

(١٤٠) ـ **﴿أم﴾**: بل أ **﴿يَقُولُونَ﴾** بالياء والتاء: **﴿إنَّ إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطَ كانُوا هُودًا أو نَصارَى؟ قُلْ﴾** لهم: **﴿أأنتُم أعلَمُ أمِ اللهُ﴾**؟ أي: اللهُ أعلم. وقد برّأ منهما إبراهيمَ بقوله «ما كانَ إبراهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصرانِيًّا»، والمذكورون معه تبعٌ له. **﴿ومَن أظلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾**: أخفَى عن الناس **﴿شَهادةً عِندَهُ﴾**، كائنةً **﴿مِنَ اللهِ﴾**؟ أي: لا أحد أظلم منه. وهم اليهود، كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفيّة. **﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾**، تهديدٌ لهم. (١٤١) ـ **﴿تِلكَ أُمَّةٌ قَد خَلَتْ، لَها ما كَسَبَتْ ولَكُم ما كَسَبتُم، ولا تُسألُونَ عَمّا كانُوا يَعمَلُونَ﴾**، تقدّمَ مِثله.

﴿حنيفاً﴾: مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ. ﴿الأسباط﴾: أولادِ يعقوبَ أو أحفادِهِ. ﴿صبغة الله﴾: الزَموا دينَ اللهِ، أو فطرةَ اللهِ.

(١) عن ابن عباس: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد! وقالت النصارى مثل ذلك. فنزلت. الطبري (٢/ ٥٨٩)، و«العجاب» (١/ ٣٨١).

(٢) قوله: «وقائل الأول...» ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١)، عن ابن عباس، وما ذكره المصنف هو مختصر ذلك الخبر. قوله: «وقالت اليهود للمسلمين..» ذكره الواحدي في «البسيط» (٣/ ٣٦٢) دون عزو.

(٣) عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نفر من اليهود ـ سماهم ـ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال: «أؤمن بالله وما أنزل إلينا ـ إلى قوله ـ وما أوتي موسى وعيسى» فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به، فأنزل الله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، وأنزل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾ الآية. «العجاب» (١/ ٣٨٢) وتفرد ابن حجر بذكر آية البقرة في هذا الخبر.

(٤) قال مقاتل بن سليمان: لما تلا النبي ﷺ على الناس هذه الآية: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّه﴾ قالت اليهود: لم نجد للإسلام في التوراة ذكراً، وقالت النصارى: كيف نتبعك وأنت تجعل عيسى كالأنبياء؟! فأنزل الله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ فأنجز له ما وعده به فأجلى بني النضير وقتل قريظة. «العجاب» (١/ ٣٨٢).

(٥) قالت بنو إسرائيل: يا موسى، هل يصبغ ربك؟ فقال: اتقوا الله، فناداه ربه يا موسى الألوان كلها من صبغي، وأنزل الله على نبيه: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾. ابن مردويه كما في «العجاب» (١/ ٣٨٤)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١١٠)، كلاهما عن ابن عباس مرفوعاً، ورواه ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٥) عنه موقوفاً، وقال ابن كثير عند هذه الآية من «تفسيره»: وهو أشبه إن صح إسناده. وعن ابن عباس أيضاً: إن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد فأتت عليه سبعة أيام صبغوه في ماء لهم يقال له: المعمودي، ليطهروه بذلك ويقولون: هذا طهور مكان الختان. فإذا فعلوا ذلك قالوا: الآن صار نصرانيًّا حقاً، فأنزل الله هذه الآية.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الجزء ٢ الحزب ٣

﴿١٤٢﴾ ـ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهاءُ﴾: الجُهّال ﴿مِنَ النّاسِ﴾ اليهودِ والمشركين: ﴿ما وَلّاهُم﴾: أيُّ شيءٍ صَرفَ النبيّ والمؤمنين ﴿عَن قِبلتِهِم الَّتي كانُوا علَيها﴾[1]: على استقبالها في الصَّلاة؟ وهي بيت المقدس، والإِتيانُ بالسين الدالّةِ على الاستقبال من الإِخبار بالغيب. ﴿قُلْ: لله المَشرِقُ والمَغرِبُ﴾ أي: الجهاتُ كلُّها، فيأمر بالتوجّه إلى أيّ جهة شاء، لا اعتراض عليه، ﴿يَهدِي مَن يَشاءُ﴾ هدايته ﴿إلَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيم﴾: دينِ الإِسلام، أي: ومنهم أنتم. دلّ على هذا: ﴿١٤٣﴾ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما هدَيناكم إليه ﴿جَعَلْناكُم﴾ ـ يا أُمّة محمّد ـ ﴿أُمّةً وَسَطًا﴾[2]: خِيارًا عُدولاً، ﴿لِتكُونُوا شُهَداءَ علَى النّاسِ﴾ يوم القيامة أنَّ رُسلهم بلّغتْهم، ﴿ويَكُونَ الرَّسُولُ علَيكُم شَهِيدًا﴾ أنّه بلّغكم. ﴿وما جَعَلْنا﴾: صَيّرنا ﴿القِبْلَةَ﴾ لكَ الآن الجهةَ ﴿الَّتي كُنتَ علَيها﴾ أوّلاً ـ وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلّي إليها، فلمّا هاجر أُمر باستقبال بيت المقدس تألُّفًا لليهود[3]، فصلّى إليه ستّةَ أو سبعةَ عشَرَ شهرًا، ثمّ حُوِّل ـ ﴿إلّا لِنَعلَمَ﴾ عِلمَ ظُهورِ ﴿مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ فيُصدّقه ﴿مِمَّن يَنقلِبُ على عَقِبَيهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر شكًّا في الدِّين، وظنًّا أن النبيّ ﷺ في حَيرة من أمره ـ وقد ارتدّ لذلك جماعة[4] ـ ﴿وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف أي: وإنّها ﴿كانَتْ﴾ أي: التَّولِيةُ إليها ﴿لَكَبِيرةً﴾: شاقّةً على الناس ﴿إلّا على الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ منهم، ﴿وما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانكُم﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يُثيبكم عليه. لأنّ سبب نزولها السؤال عمّن مات قبل التحويل[5]. ﴿إنَّ اللهَ بِالنّاسِ﴾: المؤمنين ﴿لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم. والرأفةُ: شِدّة الرحمة، وقُدّم الأبلغُ للفاصلة.

﴿١٤٤﴾ ـ ﴿قَد﴾ للتحقيق ﴿نَرَى تَقَلُّبَ﴾: تصرُّفَ ﴿وَجهِكَ في﴾ جهةِ ﴿السَّماءِ﴾[6]، مُتطلّعًا إلى الوحي ومُتشوّقًا للأمر باستقبال الكعبة. وكان يودّ ذلك لأنّها قِبلة إبراهيم ولأنه أدعى إلى إسلام العرب. ﴿فلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نُحوِّلَنّك ﴿قِبْلَةً تَرضاها﴾: تُحبّها. ﴿فوَلِّ وَجهَكَ﴾: استقبلْ في الصّلاة ﴿شَطْرَ﴾: نحوَ ﴿المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: الكعبةِ، ﴿وحَيثُما كُنتُم﴾ خطابٌ للأمّة ﴿فوَلُّوا وُجُوهَكُم﴾ في الصّلاة ﴿شَطْرَهُ. وإنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيَعلَمُونَ أنَّهُ﴾ أي: التولّيَ إلى الكعبةِ ﴿الحَقُّ﴾: الثابت ﴿مِن رَبِّهِم﴾ لما في كُتبهم في نعت النبيّ من أنه يتحوّل إليها. ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تعمَلُونَ﴾، بالتاء: أيّها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء أي: اليهود من إنكار أمر القِبلة.

﴿١٤٥﴾ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿أتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿ما تَبِعُوا﴾ أي: يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾[7] عِنادًا،

﴿السّفهاء﴾: الخفافُ العقولِ: اليهودُ و مَن شاكلَهُم في إنكارِ تحويلِ القِبلةِ. ﴿ما ولّاهم؟﴾: أيُّ شيءٍ صرفَهُم. ﴿عن قِبلتهم﴾: عن بيتِ المَقدسِ. ﴿أمّة وسطاً﴾: خياراً أو مُتوسِّطين مُعتدلينَ. ﴿ينقلب على عقبيه﴾: يرتدّ عنِ الإسلامِ عندَ تحويلِ القِبلةِ إلى الكعبةِ. ﴿لكبيرةً﴾: لشاقّةً ثقيلةً على النُّفوسِ. ﴿ليضيع إيمانكم﴾: صلاتكُم إلى بيتِ المَقدسِ. ﴿شطر المسجد الحرام﴾: تِلقاءَ الكعبةِ.

(١) عن ابن عباس: لما صُرفت القبلةُ عن الشام إلى الكعبة أتى رسولَ الله ﷺ ـ فذكر جماعة من اليهود بأسمائهم ـ فقالوا: يا محمد، ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنتَ تزعمُ أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعْك ونصدقك! وإنما يريدون فتنته عن دينه. فأنزل فيهم ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾. الطبري (٢/ ٦١٨)، «العجاب» (١/ ٣٨٨).

(٢) نزلت في زعماء يهود قالوا لمعاذ: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً، وإن قبلتنا قبلة الأنبياء، ولقد علم محمد أنّا عدل بين الناس. فقال معاذ: إنا على حق وعدل، فأنزل الله في قول معاذ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ يعني: عدلاً. «تفسير مقاتل» (١/ ١٤٥)، «العجاب» (١/ ٣٨٩).

(٣) ورد في الصحيح ـ دون قوله: «تألفاً لليهود» ـ في الآية التي بعدها كما ذكرناه.

(٤) رواه الطبري (٢/ ٦٤١) عن ابن جُريج قال: «بَلَغني أنَّ ناسًا مِمَّن أَسلَم رجعوا فقالوا: مَرَّةً هاهنا ومَرَّةً هاهنا».

(٥) أحمد في «المسند» (٢٦٩١)، وأبو داود (٤٦٨٠)، والترمذي (٢٩٦٤) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي البخاري (٧٢٥٢) عن البراء بن عازب في قصة تحويل القبلة: وكان الذي مات على القِبلة قَبْلَ أنْ تُحوَّل قِبَلَ البيت رجالٌ قُتلوا لم نَدْرِ ما نقولُ فيهم، فأنزل اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

(٦) عن البراء بن عازب: لَمَّا قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ صلَّى نحوَ بيت المَقْدس ستَّة عشر أو سبعةَ عشَر شهرًا، وكان يحبُّ أنْ يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾. البخاري (٧٢٥٢).

(٧) عن السدي قال: لما حوَّل النبي ﷺ إلى الكعبة قالت اليهود: إن محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده، ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون هو صاحبَنا الذي ننتظر، فنزلت. الطبري (٢/ ٦٦٨)، «العجاب» (١/ ٣٩٨) واللفظ له.

الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ
هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿**وما أنتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُم**﴾ ـ قطعٌ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ـ ﴿**وما بعضُهُم بِتابعٍ قِبْلَةَ بعضٍ**﴾ أي: اليهودُ قِبلةَ النصارى وبالعكس، ﴿**ولَئِنِ اتَّبعتَ أهْواءَهُم**﴾ التي يدعونك إليها ﴿**مِن بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾: الوَحيِ ﴿**إنَّكَ إذًا**﴾ ـ إن اتبعتهم فَرْضًا ـ ﴿**لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾.

﴿١٤٦﴾ ـ ﴿**الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ يَعرِفُونَهُ**﴾ أي: محمّدًا ﴿**كَما يَعرِفُونَ أبناءَهُم**﴾ بنعته في كتبهم ـ قال ابن سلام: «لقد عرَفتُه حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمّد أشدّ»[١] ـ ﴿**وإنَّ فَرِيقًا مِنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ**﴾: نعتَه، ﴿**وهُم يَعلَمُونَ**﴾. هذا الذي أنت عليه ﴿١٤٧﴾ ـ ﴿**الحَقُّ**﴾ كائنًا ﴿**مِن رَبِّكَ ـ فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ**﴾ الشاكِّين فيه، أي: من هذا النوع. فهو أبلغ من «لا تمترِ» ـ.

﴿١٤٨﴾ ـ ﴿**ولِكُلٍّ**﴾ من الأمم ﴿**وِجْهَةٌ**﴾: قِبلةٌ، ﴿**هُوَ مُوَلِّيها**﴾ وَجهَهُ في صلاته. وفي قراءة «مُوَلّاها». ﴿**فاستَبِقُوا الخَيراتِ**﴾: بادروا إلى الطاعات وقَبولها. ﴿**أينَما تَكُونُوا يأتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا**﴾: يجمعُكم يوم القيامة، فيُجازيكم بأعمالكم. ﴿**إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾.

﴿١٤٩﴾ ـ ﴿**ومِن حَيثُ خَرَجتَ**﴾ لسفر ﴿**فوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ المَسجِدِ الحَرامِ ـ وإنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَبِّكَ، وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ**﴾، بالتاء والياء، تقدّم مِثله، وكرّره لبيان تساوي حُكم السفر وغيره ـ ﴿١٥٠﴾ ـ ﴿**ومِن حَيثُ خَرَجتَ فوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ المَسجِدِ الحَرامِ، وحَيثُما كُنتُم فوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ**﴾ ـ كرّره للتأكيد ـ ﴿**لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ**﴾: اليهودِ أو المشركين ﴿**عَلَيكُم حُجَّةٌ**﴾[٢] أي: مجادلةٌ في التولّي إلى غيره، لتنتفي مجادلتهم لكم من قولِ اليهود: «يَجحدُ دِينَنا ويتبع قِبلتَنا»، وقولِ المشركين: «يدّعي ملّةَ إبراهيم ويُخالف قبلته»، ﴿**إلّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم**﴾ بالعِناد. فإنهم يقولون: «ما تَحوّلَ إليها إلّا ميلاً إلى دين آبائه» ـ والاستثناءُ متّصل، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلّا كلامُ هؤلاء. ﴿**فلا تَخشَوهُم**﴾: تخافوا جدالهم في التولّي إليها، ﴿**واخشَوني**﴾ بامتثال أمري ـ ﴿**ولِأُتِمَّ**﴾: عطفٌ على «لئلّا يكُون»، ﴿**نِعمَتي عَلَيكُم**﴾ بالهداية إلى مَعالم دينكم، ﴿**ولَعَلَّكُم تَهتَدُونَ**﴾ إلى الحقّ، ﴿١٥١﴾ ـ ﴿**كَما أرسَلنا**﴾ متعلّق بـ«أُتمّ» أي: إتمامًا كإتمامها بإرسالنا ﴿**فِيكُم رَسُولاً مِنكُم**﴾ محمّدًا ﷺ، ﴿**يَتلُو عَلَيكُم آياتِنا**﴾: القُرآنَ، ﴿**ويُزَكِّيكُم**﴾: يطهّركم من الشرك، ﴿**ويُعَلِّمُكُمُ الكِتابَ**﴾: القرآنَ ﴿**والحِكمَةَ**﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿**ويُعَلِّمُكُم ما لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ**﴾.

﴿١٥٢﴾ ـ ﴿**فاذكُرُوني**﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه، ﴿**أذكُرْكُم**﴾ ـ قيل: معناه: أُجازِكم. وفي الحديث عن الله: «مَن ذَكَرَني في نَفْسِه ذَكَرتُه في نَفْسِي، ومَن ذَكَرَني في مَلَأٍ ذَكَرتُه في مَلَأٍ خَيرٍ مِن مَلَئِه»[٣] ـ ﴿**واشكُرُوا لِي**﴾ نعمتي بالطاعة، ﴿**ولا تَكفُرُونِ**﴾ بالمعصية.

﴿١٥٣﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، استَعِينُوا**﴾ على الآخِرة ﴿**بالصَّبرِ**﴾ على الطاعة والبلاء ﴿**والصَّلاةِ**﴾. خصّها بالذكر لتكرّرها وعِظَمها ـ ﴿**إنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾ بالعونِ ـ.

﴿المُمترين﴾: الشَّاكِّينَ في كتمانِهِمُ الحقَّ معَ العلمِ بهِ. ﴿يُزكّيكم﴾: يُطهِّرُكم مِنَ الشِّركِ و المعاصي. ﴿الكتاب والحكمة﴾: القرآنَ و السُّنَنَ و الفقهَ في الدِّين.

(١) رواه الثعلبي (٤/ ١٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ساقط، وذكره دون عزو الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤). وهو في «تفسير ابن أبي زمنين» (١/ ١٨٦)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٣)، من قول الكلبي.

(٢) عن ابن عباس وابن مسعود: لما صُرف النبيّ ﷺ نحوَ الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس قال المشركون من أهل مكة: تحيّر على محمد دينه فتوجّه بقبلته إليكم، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلاً، ويُوشك أن يدخل في دينكم! فنزلت. ونحوه عن مجاهد وقتادة. الطبري (٢/ ٦٨٦)، «العجاب» (١/ ٤٠١).

(٣) البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾
ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ
وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾
وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

﴿١٥٤﴾ ـ ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[1]: هم ﴿أَمْوَاتٌ. بَلْ﴾ هم ﴿أَحياءٌ﴾، أرواحهم في حَواصلِ طيورٍ خُضرٍ، تسرح في الجنّة حيث شاءت، لحديث بذلك[2]، ﴿وَلَكِن لا تَشْعُرُونَ﴾: تعلمون ما هم فيه.

﴿١٥٥﴾ ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيءٍ مِنَ الخَوفِ﴾ للعدوّ ﴿وَالجُوعِ﴾: القحط ﴿وَنَقصٍ مِنَ الأَموالِ﴾ بالهلاك، ﴿وَالأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض، ﴿وَالثَّمَراتِ﴾ بالجوائح، أي: لَنَختبرَنّكم فننظرَ: أتصبرون أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنّة. ﴿١٥٦﴾ ـ هم ﴿الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُم مُصِيبَةٌ﴾: بلاء ﴿قالُوا: إِنّا لِلَّهِ﴾ مُلكًا وعبيدًا، يفعل بنا ما يشاء، ﴿وَإِنّا إِلَيهِ راجِعُونَ﴾ في الآخرة فيُجازينا. في الحديث «مَن استرجَعَ عِندَ المُصيبةِ آجَرَهُ اللهُ فِيها، وأخلَفَ علَيهِ خيرًا»[3]. وفيه أنّ مِصباحَ النبيِّ ﷺ طَفِيء فاسترجَعَ، فقالَتْ عائشةُ: إنّما هذا مِصباحٌ! فقال: «كُلُّ ما ساءَ المُؤمنَ فَهُوَ مُصِيبةٌ». رواه أبو داودَ في مَراسيله[4].

﴿١٥٧﴾ ـ ﴿أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَواتٌ﴾: مغفرة ﴿مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ﴾: نِعمة، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ﴾ إلى الصواب.

﴿١٥٨﴾ ـ ﴿إِنَّ الصَّفا وَالمَرْوَةَ﴾: جَبَلانِ بِمكّةَ ﴿مِن شَعائِرِ اللهِ﴾[5]: أعلامِ دِينه، جمعُ شَعيرة. ﴿فَمَن حَجَّ البَيتَ أَوِ اعتَمَرَ﴾ أي: تلبَّس بالحجّ أو العُمرة ـ وأصلُهما القصد والزيارة ـ ﴿فَلا جُناحَ﴾: إثمَ ﴿عَلَيهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، ﴿بِهِما﴾ بأن يسعى بينهما سبعًا ـ نزلتْ لمّا كرِه المسلمون ذلك لأنّ أهل الجاهليّة كانوا يطّوّفون بهما[6]، وعليهما صنمانِ يمسحونهما. وعن ابن عبّاس أنّ السعي غيرُ فرضٍ، لِما أفاده رفع الإثم من التخيير[7]. وقال الشافعيّ وغيره: رُكنٌ. وبيَّنَ ﷺ فرضِيّته بقوله: «إنَّ اللهَ كَتَبَ عليكُمُ السَّعيَ»[8]. رواه البيهقيّ وغيره، وقال: «أبدأُ بما بَدَأَ اللهُ بِهِ». يعني: الصفا. رواه مسلم[9] ـ ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾، وفي قراءة بالتحتيّة وتشديد الطاء مجزومًا وفيه إدغام التاء فيها، ﴿خَيرًا﴾ أي: بخير، أي: فعَمِلَ ما لم يجب عليه من طواف وغيره، ﴿فَإِنَّ اللهَ شاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه، ﴿عَلِيمٌ﴾ به.

﴿لَنَبْلُوَنَّكم﴾: لنختبرَنَّكُم و نحنُ أعلمُ بأمورِكُم. ﴿صلوات من رَبهم﴾: ثناءٌ أو مغفرةٌ منهُ تعالى. ﴿شعائر الله﴾: معالم دينِهِ في الحجِّ و العمرةِ. ﴿اعتمر﴾: زارَ البيتَ المُعظَّمَ على الوجهِ المشروعِ. ﴿فلا جناح عليه﴾: فلا إثمَ عليهِ. ﴿يطّوف بهما﴾: يدورَ بهما و يسعى بينَهُما. ﴿يلعنهم الله﴾: يطردُهُم مِن رحمتِهِ. ﴿يُنظَرون﴾: يؤخَّرونَ عنِ العذابِ لحظةً.

(١) نزلَتْ في قتلى بدرٍ من المسلمين. «معرفة الصحابة» لابن مردويه (ص: ٣٢٦) عن ابن عباس من رواية الكلبي. وزاد غيره: وذلك أنَّ النّاس كانوا يقولون للرَّجل يُقتَل في سبيل الله: مات فلانٌ وذهبَ عنه نعيمُ الدُّنيا ولذَّتُها، فنزلت. «تفسير مقاتل» (١/ ١٥٠)، والثعلبي (٤/ ٢١٩)، والواحدي (٣/ ٤٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود.

(٣) ابن أبي حاتم (١/ ٢٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٢٤٠)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرفوعاً. وهو منقطع. ويشهد له حديث أم سلمة رضي الله عنها عند مسلم (٩١٨).

(٤) هو في «المراسيل» لأبي داود (٤١٢) عن عمران القصير.

(٥) عن عائشة رضي الله عنها: أنزلت في الأنصار كانوا يهلون لمناة...، وكانوا يَتحرَّجون أن يَطُوفوا بين الصَّفا والمروة، فلمَّا جاء الإسلام سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾. البخاري (١٧٩٠)، مسلم (١٢٧٧).

(٦) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٤ ـ تفسير)، والفاكهي في «أخبار مكة» (١٤٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٧١٤)، عن الشعبي: أن وَثَنًا كان في الجاهلية على الصفا يسمى إسافًا، ووثنًا على المرْوة يسمى نائلة، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مَسَحوا الوثَنين، فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان قال المسلمون: إنّ الصفا والمرْوة إنما كانَ يُطاف بهما من أجل الوَثَنين، وليس الطواف بهما من الشعائر! فنزلت. وصحح الحافظ في «الفتح» (٣/ ٥٠٠) سنده إلى الشعبي. وعزاه الثعلبي (٤/ ٢٤٣)، والواحدي (ص: ٤٦)، لابن عباس مع بعض الزيادة. والذي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنزلت في الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناةُ حذوَ قُديدٍ، وكانوا يَتحرَّجون أن يَطُوفوا بين الصَّفا والمروة، فلمَّا جاء الإسلام سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾. البخاري (١٧٩٠)، مسلم (١٢٧٧). (٧) رواه ابن أبي شيبة (١٤٢٠٦)، والطبري (٢/ ٧٢٣).

(٨) رواه أحمد (٢٧٣٦٧)، وابن خزيمة (٢٧٦٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩٣٦٦)، مِن حديثِ حبيبةَ بنتِ أبي تَجْراةَ. وهو حديث حسن بطرقه وشواهده.

(٩) في «صحيحه» (١٢١٨) ضمن حديث جابر الطويل في الحج.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

ونزل في اليهود[1]: ﴿١٥٩﴾ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناسَ ﴿ما أنزلنا مِنَ البيِّناتِ
والهُدَى﴾ كآية الرجم ونعت محمّد، ﴿مِن بَعدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ في الكِتابِ﴾: التوراة،
﴿أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ﴾: يُبعِدهم من رحمته، ﴿ويَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ﴾: الملائكة
والمؤمنون أو كلّ شيء بالدعاء عليهم باللعنة، ﴿١٦٠﴾ ـ ﴿إلّا الَّذِينَ تابُوا﴾: رجعوا
عن ذلك، ﴿وأَصلَحُوا﴾ عملَهم، ﴿وبَيَّنُوا﴾ ما كتموا. ﴿فأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيهِم﴾:
أقبلُ توبتهم. ﴿وأنا التَّوّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. ﴿١٦١﴾ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وماتُوا
وهُم كُفّارٌ﴾: حالٌ، ﴿أُولئِكَ عَلَيهِم لَعنَةُ اللهِ والمَلائكةِ والنّاسِ أجمَعِينَ﴾ أي:
هم مستحقّون ذلك في الدنيا والآخرة ـ والناسُ قيل: عامّ. وقيل: المؤمنون ـ
﴿١٦٢﴾ ـ ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ أي: اللعنةِ أو النارِ المدلولِ بها عليها، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ
العَذابُ﴾ طرفةَ عينٍ، ﴿ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو مَعذرة.
ونزل لمّا قالوا: «صِفْ لنا ربّك»[2]: ﴿١٦٣﴾ ـ ﴿وإلـهُكُم﴾: المستحقّ للعبادة منكم
﴿إلـهٌ واحِدٌ﴾: لا نظير له في ذاته ولا في صفاته، ﴿لا إلـهَ إلّا هُوَ﴾، هو ﴿الرَّحمنُ
الرَّحِيمُ﴾.
وطلبوا آية على ذلك[3]، فنزل: ﴿١٦٤﴾ ـ ﴿إنَّ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾ وما
فيهما من العجائب، ﴿واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة
والنقصان، ﴿والفُلكِ﴾: السُّفنِ ﴿الَّتِي تَجرِي في البَحرِ﴾ ولا ترسب، مَوقورةً
﴿بما يَنفَعُ النّاسَ﴾ من التجارات والحمل، ﴿وما أنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن ماءٍ﴾:
مطرٍ، ﴿فأحيا بِهِ الأرضَ﴾ بالنبات ﴿بَعدَ مَوتِها﴾: يُبسِها، ﴿وبَثَّ﴾: فرّق ونشر به
﴿فِيها مِن كُلِّ دابَّةٍ﴾ لأنهم يَنمون بالخِصب الكائن عنه، ﴿وتَصرِيفِ الرِّياحِ﴾:
تقليبِها جنوبًا وشَمالاً حارّة وباردة، ﴿والسَّحابِ﴾: الغيم ﴿المُسَخَّرِ﴾: المُـذلّلِ بأمر الله يسير إلى حيث شاء اللهُ ﴿بَينَ السَّماءِ والأرضِ﴾ بلا
عِلاقة، ﴿لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على وحدانيّته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.
﴿١٦٥﴾ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه ﴿أندادًا﴾: أصنامًا، ﴿يُحِبُّونَهُم﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ اللهِ﴾، أي: كحبّهم له،
﴿والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ من حبّهم للأنداد لأنهم لا يعدِلون عنه بحالٍ ما، والكفّارُ يعدِلون في الشّدّة إلى الله.
﴿ولَو تَرَى﴾: تُبصِرُ ـ يا محمّد ـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتّخاذ الأنداد، ﴿إذ يَرَونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول: يُبصِرون ﴿العَذابَ﴾، لرأيتَ أمرًا
عظيمًا ـ وإذ بمعنى: إذا ـ ﴿أنَّ﴾، أي: لأنّ ﴿القُوَّةَ﴾: القُدرةَ والغَلَبةَ ﴿لِلهِ جَمِيعًا﴾: حالٌ، ﴿وأنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذابِ﴾. وفي قراءة: «يَرَى»
بالتحتيّة، والفاعل قيل: ضمير السامع، وقيل: الذين ظلموا. فهي بمعنى: يَعلم. و«أنّ» وما بعدها سدّت مسدّ المفعولين، وجواب «لو»
محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شِدّة عذاب الله وأنّ القُدرة لله وحده وقتَ مُعاينتهم له ـ وهو يوم القيامة ـ لَما اتّخذوا من دونه أندادًا.
﴿١٦٦﴾ ـ ﴿إذ﴾: بدلٌ من «إذ» قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ أي: الرؤساءُ ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالَهم، ﴿و﴾ قد ﴿رَأَوُا العَذابَ، وتَقَطَّعَت﴾:
عطفٌ على «تبرّأ» ﴿بِهِم﴾: عنهم ﴿الأسبابُ﴾: الوُصَلُ التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودّة، ﴿١٦٧﴾ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا: لَو أنَّ
لَنا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدنيا، ﴿فنَتَبَرَّأَ مِنهُم﴾ أي: المتبوعينَ ﴿كما تَبَرَّؤُوا مِنّا﴾ اليوم. ولو: للتمنّي. ونتبرّأ: جوابه ﴿كَذلِكَ﴾: كما أراهم شدّة
عذابه، وتبرّأ بعضهم من بعض، ﴿يُرِيهِمُ اللهُ أعمالَهُم﴾ السيّئة ﴿حَسَراتٍ﴾ حالٌ: نداماتٍ ﴿عَلَيهِم، وما هُم بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ﴾ بعد دخولها.
ونزل فيمن حرّم السوائب ونحوها[4]: ﴿١٦٨﴾ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، كُلُوا مِمّا في الأرضِ حَلالاً﴾: حالٌ ﴿طَيِّبًا﴾: صفةٌ مؤكّدة أو مُستلَذًّا، ﴿ولا تَتَّبِعُوا
خُطُواتِ﴾: طُرُقَ ﴿الشَّيطانِ﴾ أي: تزيينَه. ﴿إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ العداوة. ﴿١٦٩﴾ ـ ﴿إنّما يأمُرُكُم بِالسُّوءِ﴾: الإثم ﴿والفَحشاءِ﴾: القبيح

﴿بثّ فيها﴾: فرَّقَ و نشرَ فيها بالتَّوالُدِ. ﴿تصريف الرّياح﴾: تقليبها في مهابّها و أحوالِها. ﴿أنداداً﴾: أمثالاً مِنَ الأوثانِ يعبدونَها. ﴿تقطّعت بهم الأسباب﴾: تفرَّقَتِ الصِّلاتُ الَّتي كانَتْ بينَهُم في الدُّنيا مِن نسبٍ و صداقةٍ و عهودٍ. ﴿كرّة﴾: عودةً إلى الدُّنيا. ﴿حسرات﴾: نداماتٍ شديدةً. ﴿خطوات الشيطان﴾: طُرُقَهُ و آثارَهُ وأعمالَهُ. ﴿يأمركم بالسّوء﴾: بالمعاصي و الذُّنوبِ. ﴿الفحشاء﴾: ما عظُمَ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنوبِ.

(١) دون نسبة عند الثعلبي (٤/ ٢٥٦)، والواحدي (ص: ٤٧)، وعن ابن عباس نحوه عند الطبري (٢/ ٧٣٠).
(٢) الثعلبي (٤/ ٢٦٢) عن ابن عباس من رواية الكلبي.
(٣) الطبري (٣/ ٢٦٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٢)، عن أبي الضُّحى. وروى الطبري (٣/ ٧) عن عطاء: أنَّ المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: أَرِنا آيةً، فنزلت. وعن ابن عباس من طريق جيد موصول ـ كما في «لباب النقول» (ص: ٢١) ـ: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً نتقوى به على عدوِّنا، فأوحى الله إليه أني معطيهم ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال: «رب دعني وقومي فأدعوهم يوماً بيوم» فأنزل الله هذه الآية: ﴿إن في خلق السموات والأرض..﴾. ابن أبي حاتم (١/ ٢٧٣)، وهو عند الطبري (٣/ ٧) وعن سعيد بن جبير.
(٤) الواحدي في «البسيط» (٣/ ٤٨٢) من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية الكلبي.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا
عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ
ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

شرعًا، **﴿وأنْ تَقُولوا على اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾** من تحريم ما لم يُحرَّم وغيرِه.

﴿١٧٠﴾ ـ **﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ﴾** أي: الكفّار: **﴿اتَّبِعُوا ما أنزَلَ اللهُ﴾**[1] من التوحيد وتحليل الطيِّبات، **﴿قالُوا﴾**: لا **﴿بَل نَتَّبِعُ ما أَلفَينا﴾**: وجَدْنا **﴿عَلَيهِ آباءَنا﴾** من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر. قال تعالى: **﴿أ﴾** يتّبعونهم، **﴿وَلَو كانَ آباؤُهُم لا يَعقِلُونَ شَيئًا﴾** من أمر الدِّين، **﴿ولا يَهتَدُونَ﴾** إلى الحقّ؟ والهمزةُ للإنكار.

﴿١٧١﴾ ـ **﴿ومَثَلُ﴾**: صِفةُ **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ومَن يدعوهم إلى الهُدى **﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ﴾**: يُصوِّتُ **﴿بما لا يَسمَعُ إلّا دُعاءً ونِداءً﴾** أي: صوتًا ولا يفهم معناه، أي: هم في سماع الموعظة وعدم تدبّرها كالبهائم، تسمع صوت راعيها ولا تفهمه. هم **﴿صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ، فهُم لا يَعقِلُونَ﴾** الموعظة.

﴿١٧٢﴾ ـ ﴿١٧٣﴾ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُلُوا مِن طَيِّباتِ﴾**: حلالاتِ **﴿ما رَزَقْناكُم، واشكُرُوا للهِ﴾** على ما أحلّ لكم، **﴿إن كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ. إنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيْتَةَ﴾** أي: أكلَها ـ إذِ الكلام فيه، وكذا ما بعدها. وهي ما لم يُذَكَّ شرعًا. وأُلحِق بها بالسُّنّة ما أُبِينَ من حيٍّ[2]، وخُصّ منها السمكُ والجراد[3] ـ **﴿والدَّمَ﴾** أي: المسفوحَ كما في «الأنعام»، **﴿ولَحمَ الخِنزِيرِ﴾** ـ خُصّ اللحم لأنّه مُعظم المقصود، وغيرُه تبعٌ له ـ **﴿وما أُهِلَّ بِهِ لِغَيرِ اللهِ﴾** أي: ذُبح على اسم غيره. والإهلالُ: رفع الصوت. وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم.

﴿فمَنِ اضطُرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء ممّا ذُكر، فأكلَه **﴿غَيرَ باغٍ﴾**: خارجٍ على المسلمين، **﴿ولا عادٍ﴾**: مُتعدٍّ عليهم بقطع الطريق، **﴿فلا إثمَ علَيهِ﴾** في أكْله. **﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾** لأوليائه، **﴿رَحِيمٌ﴾** بأهل طاعته، حيث وسّع لهم في ذلك. وخَرجَ الباغي والعادي، ويُلحق بهما كلّ عاصٍ بسفره كالآبق والمَكّاس، فلا يحلّ لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا. وعليه الشافعيُّ.

﴿١٧٤﴾ ـ **﴿إنَّ الَّذِينَ يَكتُمُونَ ما أنزَلَ اللهُ مِنَ الكِتابِ﴾**[4] المشتمل على نعت محمّد ـ وهم اليهود ـ **﴿ويَشتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾** من الدنيا يأخذونه بدلَه من سَفِلتهم، فلا يُظهرونه خوفَ فوته عليهم، **﴿أُولئِكَ ما يأكُلُونَ في بُطُونِهِم إلّا النّارَ﴾** لأنها مآلُه، **﴿ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَومَ القِيامةِ﴾** غضبًا عليهم، **﴿ولا يُزَكِّيهِم﴾**: يُطهِّرهم من دنس الذنوب، **﴿ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾**: مؤلم هو النار. ﴿١٧٥﴾ ـ **﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الضَّلالةَ بِالهُدَى﴾**: أخذوها بدله في الدنيا، **﴿والعَذابَ بِالمَغفِرةِ﴾** المُعَدّة لهم في الآخرة، لو لم يكتموا. **﴿فما أصبَرَهُم على النّارِ﴾**! أي: ما أشدَّ صبرَهم! وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم مُوجِباتِها من غير مُبالاة. وإلّا فأيُّ صبر لهم؟

﴿١٧٦﴾ ـ **﴿ذلِكَ﴾** الذي ذُكِرَ من أكلهم النارَ وما بعده **﴿بِأنَّ﴾**: بسببِ أنّ **﴿اللهَ نَزَّلَ الكِتابَ بِالحَقِّ﴾**: متعلّقٌ بـ «نزّل»، فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكتمه، **﴿وإنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا في الكِتابِ﴾** بذلك ـ وهم اليهود ـ وقيل: المشركون، في القرآن حيث قال بعضهم: شِعر، وبعضهم: سِحر، وبعضهم: كِهانة، **﴿لَفِي شِقاقٍ﴾**: خِلافٍ **﴿بَعِيدٍ﴾** عن الحقّ.

﴿ألفينا﴾: وجدْنا. **﴿ينعِق﴾**: يُصوِّتُ و يصيحُ. **﴿بُكمٌ﴾**: خرسٌ عنِ النُّطقِ بالحقِّ. **﴿الدم﴾**: المسفوحَ و هوَ السَّائلُ. **﴿لحم الخنزير﴾**: يعني الخنزيرَ بجميعِ أجزائِهِ. **﴿ما أهلّ به لغير الله﴾**: ما ذُكِرَ عندَ ذبحِهِ اسمُ غيرِهِ تعالى مِنَ الأصنامِ و غيرِها. **﴿اضطرّ﴾**: ألجأتْهُ الضَّرورةُ إلى التَّناوُلِ ممَّا حُرِّمَ. **﴿غير باغٍ﴾**: غيرَ طالبٍ للمُحرَّمِ للذَّةٍ أو استئثارٍ على مُضطرٍّ آخر. **﴿و لا عادٍ﴾**: و لا مُتجاوزٍ ما يسدُّ الرَّمقَ. **﴿ثمناً قليلاً﴾**: عِوضاً يسيراً. **﴿لا يزكّيهم﴾**: لا يُطهِّرُهُم مِن دنسِ ذنوبِهِم. **﴿شقاقٍ بعيد﴾**: خلافٍ و نزاعٍ بعيدٍ عنِ الحقِّ.

(١) عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً منا وأعلم، فنزلت. الطبري (٣/ ٤٢)، ابن أبي حاتم (١/ ١٥٠٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٨٥٨)، والترمذي (١٤٨٠)، عن أبي واقدٍ الليثيِّ مرفوعاً: «ما قُطعَ من البَهيمةِ وهيَ حيَّةٌ فهي ميتةٌ» قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن أسلم، والعمل على هذا عند أهل العلم.

(٣) أي: في حديث: «أُحِلَّت لنا ميتتانِ ودَمانِ: السَّمكُ والجرادُ والكَبِدُ والطِّحالُ» رواه أحمد في «مسنده» (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٣٢١٨)، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٢١١) عنه موقوفاً، وقال: «إسناد صحيح وهو في معنى المسند».

(٤) عن ابن عباس من رواية الكلبي: نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب مأكلتهم ورئاستهم، فغيروا صفته ﷺ وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت النبي الذي خرج بمكة، فإذا نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلا يتبعونه، فنزلت. الثعلبي (٤/ ٣١٦)، والواحدي (ص: ٤٩).

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ
وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ
بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ
فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)

(١٧٧) ـ ﴿لَيسَ البِرَّ أن تُوَلُّوا وُجُوهَكُم﴾ في الصَّلاة ﴿قِبَلَ المَشرِقِ والمَغرِبِ﴾ ـ نزل ردًّا على اليهود والنصارى(١)، حيث زعموا ذلك ـ ﴿ولكنَّ البِرَّ﴾ أي: ذا البرِّ ـ وقُرِئ: «البارّ» ـ ﴿مَن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ والمَلائكةِ والكِتابِ﴾. أي: الكُتبِ ﴿والنَّبِيِّينَ، وآتى المالَ على﴾: معَ ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي القُربَى﴾: القرابةِ، ﴿واليَتامَى والمَساكِينَ وابنَ السَّبِيلِ﴾: المُسافرَ، ﴿والسَّائلِينَ﴾: الطالبينَ، ﴿وفي﴾ فكِّ ﴿الرِّقابِ﴾: المُكاتَبِينَ والأسرى، ﴿وأقامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ﴾ المفروضةَ وما قبله في التطوّع، ﴿والمُوفُونَ بِعَهدِهِم إذا عاهَدُوا﴾ اللهَ أو الناسَ، ﴿والصّابِرِينَ﴾: نُصِبَ على المدح، ﴿في البأساءِ﴾: شِدّةِ الفقر ﴿والضَّرّاءِ﴾: المرضِ، ﴿وحِينَ البأسِ﴾: وقتَ شِدّةِ القتال في سبيل الله. ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم أو ادّعاء البرّ، ﴿وأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ اللهَ.

(١٧٨) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيكُمُ القِصاصُ﴾: المُماثلةُ ﴿في القَتلَى﴾(٢) وصفًا وفِعلاً: ﴿الحُرُّ﴾ يُقتَل ﴿بالحُرِّ﴾ ولا يُقتَل بالعبد، ﴿والعَبدُ بالعَبدِ، والأُنثَى بالأُنثَى﴾. وبيَّنتِ السُّنّة أنّ الذَّكر يُقتل بها، وأنه تُعتبر المُماثلة في الدِّين فلا يُقتل مُسلم ـ ولو عبدًا ـ بكافر ولو حُرًّا.

﴿فمَن عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلينَ ﴿مِن﴾ دم ﴿أخِيهِ﴾ المقتولِ ﴿شَيءٌ﴾، بأن تُرِكَ القِصاص منه ـ وتنكيرُ «شيء» يفيد سقوط القِصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذِكر «أخيه» تعطُّفٌ داعٍ إلى العفو وإيذانٌ بأنّ القتل لا يقطع أخوّة الإيمان ـ ومَن: مبتدأ شرطيّة، أو موصولة والخبر ﴿فاتِّباعٌ﴾، أي: فعلى العافي اتّباعٌ للقاتل ﴿بالمَعرُوفِ﴾: بأن يُطالبه بالدِّيَة بلا عُنف ـ وترتيبُ الاتّباع على العفو يُفيد أنّ الواجب أحدُهما ـ وهو أحد قولَي الشافعيّ ـ والثاني: الواجبُ القِصاصُ، والدِّيَةُ بدلٌ عنه. فلو عفا ولم يُسمِّها فلا شيء، ورُجِّحَ ـ ﴿و﴾ على القاتل ﴿أداءٌ﴾ للدّية ﴿إلَيهِ﴾، أي: العافي وهو الوارث، ﴿بإحسانٍ﴾: بلا مَطل ولا بخس.

﴿ذلِكَ﴾ الحكمُ المذكور، من جواز القِصاص والعفوِ عنه على الدِّيَة، ﴿تَخفِيفٌ﴾: تسهيلٌ ﴿مِن رَبِّكُم﴾ عليكم ﴿ورَحمَةٌ﴾ بكم، حيث وسَّع في ذلك ولم يُحتِّم واحدًا منهما كما حَتَّم على اليهود القِصاصَ وعلى النصارى الدِّيَةَ. ﴿فمَنِ اعتَدَى﴾: ظلمَ القاتلَ بأن قتله ﴿بَعدَ ذلِكَ﴾ أي: العفوِ، ﴿فلَهُ عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل. (١٧٩) ـ ﴿ولَكُم في القِصاصِ حَياةٌ﴾ أي: بقاء عظيم ـ ﴿يا أُولِي الألبابِ﴾: ذوِي العقول ـ لأنّ القاتل إذا علم أنه يُقتل ارتدع فأحيا نفسه. ومن أراد قتله، فشُرِع ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ القتلَ مخافةَ القَوَد.

(١٨٠) ـ ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيكُم، إذا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوتُ﴾ أي: أسبابُه ﴿إن تَرَكَ خَيرًا﴾: مالاً، ﴿الوَصِيَّةُ﴾ ـ مرفوعٌ بـ «كُتب» ومتعلّقٌ «إذا» إن كانت ظرفيّة، ودالٌّ على جوابها إن كانت شرطيّة، وجوابُ «إن» محذوف أي: فلْيُوصِ ـ ﴿لِلوالِدَينِ والأقرَبِينَ بالمَعرُوفِ﴾: بالعدل بألّا يزيدَ على الثُّلث ولا يُفضِّلَ الغنيَّ، ﴿حَقًّا﴾: مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجملة قبله، ﴿عَلَى المُتَّقِينَ﴾ اللهَ. وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث(٣): «لا وَصِيّةَ لِوارِثٍ» رواه الترمذيّ(٤). (١٨١) ـ ﴿فمَن بَدَّلَهُ﴾ أي: الإيصاءَ من شاهد ووصيّ ﴿بَعدَ ما سَمِعَهُ﴾: عَلِمَه ﴿فإنَّما إثمُهُ﴾ أي: الإيصاءِ المُبدَّلِ ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾. فيه إقامة الظاهر مقامَ المُضمر. ﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لقول المُوصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصيّ فمُجازٍ عليه.

﴿البِرّ﴾: هوَ التَّوسُّعُ في الطَّاعاتِ و أعمالِ الخيرِ. ﴿ابن السَّبيل﴾: المسافرَ الَّذي انقطعَ عن أهلِهِ. ﴿في الرِّقاب﴾: في تحريرِها مِنَ الرِّقِّ أوِ الأسرِ. ﴿الصَّابرين﴾: أخصَّ الصَّابرينَ لمزيدِ فضلِهِم. ﴿البأساء و الضَّرّاء﴾: البؤسِ و الفقرِ و السُّقمِ و الألمِ. ﴿حين البأس﴾: وقتَ قتالِ العدوِّ. ﴿كُتب عليكم﴾: فُرِضَ عليكُم. ﴿عُفِي له من أخيه﴾: تُرِكَ لهُ مِن وليِّ المقتولِ. ﴿ترك خيراً﴾: خلَّفَ مالاً كثيراً. ﴿الوصيَّة﴾: نُسِخَ وجوبُها بآيةِ المواريثِ.

(١) عبد الرزاق (١٦٠)، والطبري (٣/ ٧٥)، عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قِبَل المغرب والنصارى قِبَل المشرق، فنزلت. وعن قتادة أيضاً: ذكر لنا أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البر فأنزل الله هذه الآية، قال: وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ثم مات على ذلك يُرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٣/ ٧٦)، و«العجاب» (١/ ٤٢١).

(٢) الشعبي: نزلت في قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا قتالَ عمِّيَّة، فقالوا: نقتل بعبدنا فلانَ بن فلان، وبفلانة فلانَ بن فلان، فأنزل الله: ﴿الحر بالحر..﴾ الآية. الطبري (٢/ ٩٥) ـ وروى معناه عن قتادة وأبي مالك ـ، والواحدي (ص: ٤٩).

(٣) رواه أبو داود (٢٨٦٩) عن ابن عباس: «﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ فكانت الوصيةُ كذلك حتى نسختها آيةُ الميراثِ»، ورواه عنه بمعناه البخاري (٢٧٤٧).

(٤) رواه الترمذي (٢١٢١)، والنسائي (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٧١٢)، من حديث عمرو بن خارجة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه أبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠) وحسنه، وابن ماجه (٢٧١٣)، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى
ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

(١٨٢) ـ ﴿فَمَن خافَ مِن مُوْصٍ﴾ ـ مُخفَّفًا ومُثقَّلاً ـ ﴿جَنَفًا﴾: مَيلاً عن الحقّ خطأً ﴿أو إثمًا﴾ بأن تَعمّد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنيّ مَثلاً، ﴿فأصلَحَ بَينَهُم﴾: بين المُوصِي والمُوصَى له بالأمر بالعدل، ﴿فلا إثمَ علَيهِ﴾ في ذلك. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (١٨٣) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿علَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ علَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾[1] من الأُمم، ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾ المعاصيَ ـ فإنّه يَكسِرُ الشهوة التي هي مبدؤها ـ (١٨٤) ـ ﴿أيامًا﴾: نُصِبَ بـ«الصيام» أو بـ«صوموا» مُقدَّرًا، ﴿مَعدُوداتٍ﴾ أي: قلائلَ أو مُؤقّتاتٍ بعددٍ معلوم. وهي رمضانُ كما سيأتي، وقلّله تسهيلاً على المكلَّفين. ﴿فمَن كانَ مِنكُم﴾ حين شُهوده ﴿مَرِيضًا أو علَى سَفَرٍ﴾، أي: مُسافرًا سفرَ القَصْرِ وأجهَده الصوم في الحالَين فأفطر، ﴿فعِدّةٌ﴾: فعلَيه عَدَدُ ما أفطر ﴿مِن أيّامٍ أُخَرَ﴾، يصومها بدلَه

﴿وعلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾[2] لِكِبَرٍ أو مرضٍ لا يُرجى بُرؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾، هي ﴿طَعامُ مِسكِينٍ﴾، أي: قدرُ ما يأكله في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكلّ يوم. وفي قراءة بإضافة «فِدْيةُ» وهي للبيان. وقيل: «لا» غيرُ مُقدّرة، وكانوا مُخيَّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثمّ نُسخ بتعيين الصوم، بقوله «فمن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهرَ فلْيَصُمْهُ»[3]. قال ابن عبّاس: إلّا الحاملَ والمُرضِعَ، إذا أفطرتا خوفًا على الولد، فإنّها باقية بلا نسخ في حقّهما[4]. ﴿فمَن تَطَوَّعَ خَيرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فهْوَ﴾ أي: التطوّع ﴿خَيرٌ لَهُ. وأنْ تَصُومُوا﴾. مبتدأٌ خبرُه ﴿خَيرٌ لَكُم﴾ من الإفطار والفدية. ﴿إنْ كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام (١٨٥) ـ ﴿شَهرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القَدْر منه، ﴿هُدًى﴾: حالٌ هاديًا من الضلالة ﴿لِلّناسِ وبَيِّناتٍ﴾: آياتٍ واضحاتٍ ﴿مِنَ الهُدَى﴾ ممّا يهدي إلى الحقّ من الأحكام ﴿و﴾ من ﴿الفُرقانِ﴾ ممّا يفرق بين الحقّ والباطل. ﴿فمَن شَهِدَ﴾: حضرَ ﴿مِنكُمُ الشَّهرَ فلْيَصُمْهُ﴾[5]، ﴿وَمَن كانَ مَرِيضًا أو علَى سَفَرٍ فعِدّةٌ مِن أيّامٍ أُخَرَ﴾. تقدّمَ مثلُه، وكُرِّر لئلّا يُتوهَّم نسخُه بتعميم «مَن شهد».

﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسرَ، ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ﴾ ـ ولذا أباح لكم الفِطر في المرضِ والسفرِ ـ ولكون ذلك في معنى العلّة أيضًا للأمر بالصوم عُطف عليه ﴿ولِتُكمِلُوا﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿العِدّةَ﴾ أي: عِدّةَ صوم رمضانَ، ﴿ولِتُكبِّرُوا اللهَ﴾ عند إكمالها ﴿علَى ما هَداكُم﴾: أرشدَكم لمَعالم دِينه، ﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

وسأل جماعة النبيَّ: «أقريبٌ ربُّنا فنُناجيَهُ، أم بعيدٌ فنُناديَهُ»[6]؟ فنزلَ: (١٨٦) ـ ﴿وإذا سأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي، فأخبِرْهم بذلك، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعانِ﴾ بإنالته ما سأل. ﴿فلْيَستَجِيبُوا لِي﴾ دُعائي بالطاعة، ﴿ولْيُؤْمِنُوا﴾: يُدِيموا على الإيمان ﴿بِي، لَعَلَّهُم يَرشُدُونَ﴾: يهتدون.

﴿جنفاً﴾: ميلاً عنِ الحقِّ خطأً و جهلاً. ﴿إثماً﴾: ارتكاباً للظُّلمِ عمداً. ﴿يُطيقونه﴾: يستطيعونَهُ، و الحكمُ منسوخٌ بآيةِ «فَمَنْ شَهِدَ». ﴿تطوّع خيراً﴾: زادَ في الفديةِ. ﴿لتكبّروا الله﴾: لتحمدوا اللهَ و تُثنوا عليهِ.

(١) قال مقاتل بن سليمان: كبر لبيد الأنصاري من بني عبد الأشهل فعجز عن الصوم، فقال للنّبي ﷺ: ما على مَن عجز عن الصوم؟ «تفسير مقاتل» (١/ ١٦٠)، و«العجاب» (١/ ٤٢٨).

(٢) عن مجاهد: هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب فأفطر وأطعم لكل يوم مسكيناً. «طبقات ابن سعد» (٥/ ٤٤٦)، «لباب النقول» (ص: ٢٢).

(٣) رواه البخاري (٤٥٠٧)، ومسلم (١١٤٥)، من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن الجارود في «المنتقى» (٣٨١)، والطبري (٣/ ١٦٧). ورواه أبو داود (٢٣١٨) فاختصر بعضه.

(٥) روى عبد بن حميد عن الشعبي: لما نزلت ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أفطر الأغنياء وأطعموا، وحصل الصوم على الفقراء، فأنزل الله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه﴾. وهذا مرسل صحيح السند. «العجاب» (١/ ٤٣٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٤)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٣٥)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١٤٣٦)، من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه. وفي سنده ضعف كما قال الحافظ في «العجاب» (١/ ٤٣٤)، وأخرج نحوه الطبري عقبه عن الحسن مرسلاً. وروى الفريابي عن عطاء: أنه بلغه لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾ قال الناس: لو نعلم أيَّ ساعة ندعو؟ فنزلت ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الآية. «العجاب» (١/ ٤٣٣). وعن علي مرفوعاً: «لا تعجزوا عن الدعاء فإن الله أنزل عليَّ: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فقال رجل: يا رسول الله! ربُّنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ الآية. «تاريخ دمشق» (٢/ ٣٢٨)، «لباب النقول» (ص: ٢٣).

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ
لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ
تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ
بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ
ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ
عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ
وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ
مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ
يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿١٨٧﴾ ـ ﴿**أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ**﴾ بمعنى الإفضاء ﴿**إِلَى نِسائِكُم**﴾ بالجِماع. نزل نسخًا لِما كان في صدرِ الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العِشاء[1]. ﴿**هُنَّ لِباسٌ لَكُم، وأَنتُم لِباسٌ لَهُنَّ**﴾: كنايةٌ عن تعانقهما أو احتياج كلِّ منهما إلى صاحبه. ﴿**عَلِمَ اللهُ أَنَّكُم كُنتُم تَختانونَ**﴾: تخونون ﴿**أَنفُسَكُم**﴾، بالجماع ليلة الصيام ـ وقع ذلك لعُمرَ وغيره[2]، واعتذروا إلى النبيِّ ﷺ ـ ﴿**فَتابَ عَلَيكُم**﴾: قَبِلَ توبتكم، ﴿**وعَفا عَنكُم. فالآنَ**﴾: إذ أُحِلَّ لكم ﴿**باشِرُوهُنَّ**﴾: جامعوهنَّ، ﴿**وابتَغُوا**﴾: اطلبوا ﴿**ما كَتَبَ اللهُ لَكُم**﴾ أي: أباحَه من الجِماع أو قدَّره من الولد، ﴿**وكُلُوا واشرَبُوا**﴾ الليلَ كلَّه، ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ**﴾: يظهرَ ﴿**لَكُمُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيطِ الأَسوَدِ مِنَ الفَجرِ**﴾ أي: الصادق. بيانٌ للخيط الأبيض، وبيانُ الأسود محذوفٌ أي: من الليل. شُبِّه ما يبدو من البياض وما يمتدُّ معه من الغَبَش بخيطينِ أبيضَ وأسودَ في الامتداد.

﴿**ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ**﴾ من الفجر ﴿**إِلَى اللَّيلِ**﴾، أي: إلى دخوله بغروب الشمس، ﴿**ولا تُباشِرُوهُنَّ**﴾ أي: نساءكم، ﴿**وأَنتُم عاكِفُونَ**﴾: مقيمون بنيَّة الاعتكاف ﴿**في المَساجِدِ**﴾: متعلِّق بـ«عاكفون». نهيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف، فيجامع امرأته ويعود[3].

ثلاثة أرباع الحزب ٣

﴿**تِلكَ**﴾ الأحكام المذكورة ﴿**حُدُودُ اللهِ**﴾، حَدَّها لعباده ليقفوا عندها. ﴿**فلا تَقرَبُوها**﴾. أبلغُ من «لا تعتدوها» المُعبَّرِ به في آية أُخرى. ﴿**كَذَلِكَ**﴾: كما بيَّن لكم ما ذُكِرَ ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ آياتِهِ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ محارمَه.

﴿١٨٨﴾ ـ ﴿**ولا تَأكُلُوا أَموالَكُم بَينَكُم**﴾ أي: يأكلْ بعضُكم مالَ بعض ﴿**بِالباطِلِ**﴾[4]: الحرام شرعًا كالسرقةِ والغصب، ﴿**و**﴾ لا ﴿**تُدلُوا**﴾: تُلقوا ﴿**بِها**﴾ أي: بحكومتها أو بالأموال رِشوةً ﴿**إِلَى الحُكّامِ لِتَأكُلُوا**﴾ بالتحاكم ﴿**فَرِيقًا**﴾: طائفةً ﴿**مِن أَموالِ النّاسِ**﴾ متلبِّسين ﴿**بِالإِثمِ، وأَنتُم تَعلَمُونَ**﴾ أنكم مُبطِلون.

﴿١٨٩﴾ ـ ﴿**يَسأَلُونَكَ**﴾ ـ يا محمد ـ ﴿**عَنِ الأَهِلَّةِ**﴾ جمعِ هِلال: لِمَ تبدو دقيقة ثمّ تزيدُ حتّى تمتلئَ نورًا، ثمّ تعودُ كما بدت، ولا تكونُ على حالة واحدة كالشمس[5]؟ ﴿**قُل**﴾ لهم: ﴿**هِيَ مَواقِيتُ**﴾: جمعُ مِيقاتٍ ﴿**لِلنّاسِ**﴾: يعلمون بها أوقات زرعِهم ومتاجرِهم وعِدَدِ نسائهم وصيامِهم وإفطارهم، ﴿**والحَجِّ**﴾: عطفٌ على «الناس»، أي: يُعلَم بها وقته ـ فلو استمرَّت على حالة لم يُعرف ذلك ـ ﴿**ولَيسَ البِرُّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِها**﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقبًا تدخلون منه وتخرجون، وتتركوا الباب ـ وكانوا يفعلون ذلك[6]، ويزعمونه بِرًّا ـ ﴿**ولَكِنَّ البِرَّ**﴾ أي: ذا البِرِّ ﴿**مَنِ اتَّقَى**﴾ اللهَ بترك مُخالفته، ﴿**وأْتُوا البُيُوتَ مِن أَبوابِها**﴾ في الإحرام كغيره، ﴿**واتَّقُوا اللهَ، لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾: تفوزون.

ولمّا صُدَّ ﷺ عن البيت عامَ الحُديبية[7]، وصالَح الكُفّارَ على أن يعود العامَ القابلَ ويُخْلُوا له مكّة ثلاثة أيام، وتجهّزَ لعُمرة القضاء، وخافوا ألّا تفِيَ قُريش ويُقاتلوهم، وكرِهَ المسلمون قتالهم في الحَرَم والإحرام والشهر الحرام، نزل: ﴿١٩٠﴾ ـ ﴿**وقاتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾، أي: لإعلاء دِينه ﴿**الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُم**﴾ من الكُفّار، ﴿**ولا تَعتَدُوا**﴾ عليهم بالابتداء بالقتال. ﴿**إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ**﴾: المتجاوزين ما حُدَّ لهم.

﴿الرَّفث﴾: الوِقاعُ. ﴿هنّ لباس لكم﴾: سكنٌ أو سترٌ لكُم عنِ الحرام. ﴿حدود الله﴾: منهيّاتُهُ و محرّماتُهُ. ﴿تدلوا بها﴾: تُلقوا بالخصومةِ فيها ظلماً و باطلاً.

(١) رواه أبو داود (٥٠٦) ضمن حديث الأذان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أصحاب النبي ﷺ. قال ابن حزم في «المحلى» (٣/ ١٥٨): «إسناده في غاية الصحة». ونزولها في نسخ تحريم الأكل والشرب رواه البخاري (١٩١٥) من حديث البراء. وروى البخاري (١٩١٧)، ومسلم (١٠٩١)، في نزول قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ عن سهل بن سعد، قال: لمَّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ قال: كان الرَّجلُ يأخذُ خيطًا أبيض وخيطًا أسودَ، فيأكلُ حتَّى يَستبينهما، حتَّى أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فبيَّن ذلك.

(٢) قصة عمر في حديث ابن أبي ليلى المتقدم، وفي «المسند» (١٥٧٩٥) من حديث كعب بن مالك أن ذلك وقع لعمر ولكعب.

(٣) رواه الطبري (٣/ ٢٦٩) عن الضحاك وقتادة والربيع، وهو في «العجاب» (١/ ٤٤٩).

(٤) نزلت في امرئِ القيسِ بن عابسٍ الكنديِّ وعبدانَ بنِ أَشْوَع، اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرضٍ، وكان الطالبُ عبدانَ، فأنزلَ الله هذه الآية، فحكَّمَه عبدانُ في أرضه ولم يخاصمْه. الثعلبي (٥/ ٧) عن مقاتل بن حيان والكلبي، وابن أبي حاتم (١/ ٣٢١) عن سعيد بن جبير.

(٥) روى الكلبي ومقاتل: أن السائل معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمة من الأنصار، وأنه سبب نزول هذه الآية. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٦٥)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ١٢٦)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ١٧)، و«النكت والعيون» (١/ ٢٤٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٣)، و«تاريخ ابن عساكر» (١/ ٢٥). وقال الحافظ في «العجاب» (١/ ٤٥٥): قد توارد من لا يد لهم في صناعة الحديث على الجزم بأن هذا كان سبب النزول مع وهاء السند فيه، ولا شعور عندهم بذلك، بل كاد يكون مقطوعاً به لكثرة من ينقله من المفسرين وغيرهم.

(٦) البخاري (١٨٠٣)، ومسلم (٣٠٢٦)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) الثعلبي (٥/ ٣٤)، والواحدي (ص: ٥٥)، عن ابن عباس من رواية الكلبي.

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ
بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ
فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

وهذا منسوخ بآية «براءة»[1] أو بقوله: ﴿١٩١﴾ - ﴿١٩٢﴾ - ﴿واقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم﴾: وجدتموهم، ﴿وأخرِجُوهُم مِن حَيثُ أخرَجُوكُم﴾، أي: من مكّة - وقد فُعِل بهم ذلك عامَ الفتح. ﴿والفِتْنَةُ﴾: الشِّرك منهم ﴿أشَدُّ﴾: أعظمُ ﴿مِنَ القَتلِ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتُموه - ﴿ولا تُقاتِلُوهُم عِندَ المَسجِدِ الحَرام﴾، أي: في الحَرَم ﴿حَتَّى يُقاتِلُوكُم فِيهِ، فإنْ قاتَلُوكُم﴾ فيه ﴿فاقتُلُوهُم﴾ فيه. وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة - ﴿كَذلِكَ﴾ القتلِ والإخراج ﴿جَزاءُ الكافِرِينَ. فإنِ انتَهَوا﴾ عن الكُفر وأسلموا ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم - ﴿١٩٣﴾ - ﴿وقاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ﴾: تُوجد ﴿فِتْنَةٌ﴾: شِرك ﴿ويَكُونَ الدِّينُ﴾: العِبادة ﴿للهِ﴾ وحده ولا يُعبدَ سواه، ﴿فإنِ انتَهَوا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم، دلّ على هذا ﴿فلا عُدْوانَ﴾: اعتداءَ بقتل أو غيره ﴿إلّا على الظّالِمِينَ﴾. ومن انتهى فليس بظالم، فلا عُدوان عليه.

﴿١٩٤﴾ - ﴿الشَّهرُ الحَرامُ﴾: المُحَرَّمُ مُقابَلٌ ﴿بالشَّهرِ الحَرام﴾. فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله - ردٌّ لاستعظام المسلمين ذلك - ﴿والحُرُماتُ﴾: جمع حُرْمة، ما يجب احترامه ﴿قِصاصٌ﴾[2] أي: يُقتَصُّ بمثلها إذا انتُهكتْ. ﴿فمَنِ اعتَدَى عليكُم﴾، بالقتال في الحَرَم أو الإحرام أو الشهر الحرام، ﴿فاعتَدُوا عليهِ بمِثلِما اعتَدَى عليكُم﴾ - سَمَّى مُقابلتَه اعتداءً لشَبهها بالمُقابَل به في الصُّورة - ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر، ﴿١٩٥﴾ - ﴿وأنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾: طاعتِه الجهادِ وغيره، ﴿ولا تُلقُوا بأيدِيكُم﴾ أي: أنفُسِكم، والباء زائدة، ﴿إلَى التَّهلُكةِ﴾[3]: الهلاك بالإمساكِ عن النفقة في الجهاد أو تركِهِ لأنّه يُقوّي العدوّ عليكم، ﴿وأحسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ أي: يُثيبهم.

﴿١٩٦﴾ - ﴿وأتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرةَ لِلهِ﴾: أدُّوهما بحقوقهما، ﴿فإنْ أُحصِرتُم﴾: مُنِعتم عن إتمامهما بعدوٍّ ﴿فما استَيسَرَ﴾: تيسَّر ﴿مِنَ الهَدْيِ﴾ عليكم - وهو شاةٌ - ﴿ولا تَحلِقُوا رُؤُوسَكُم﴾ أي: لا تتحلّلوا، ﴿حَتَّى يَبلُغَ الهَدْيُ﴾ المذكورُ ﴿مَحِلَّهُ﴾: حيث يَحِلّ ذبحُه. وهو مكان الإحصار عند الشافعيّ، فيُذبح فيه بنيّة التحلّل ويُفرَّق على مساكينه، ويُحلَق، وبه يحصل التحلّل. ﴿فمَن كانَ مِنكُم مَرِيضًا، أو بِهِ أذًى مِن رأسِهِ﴾[4] كقملٍ وصُداع، فحلَقَ في الإحرام، ﴿ففِدْيةٌ﴾ عليه ﴿مِن صِيامٍ﴾ لثلاثة أيام، ﴿أو صَدَقةٍ﴾ بثلاثة آصُعٍ من غالب قوت البلد على ستّة مساكين، ﴿أو نُسُكٍ﴾ أي: ذبح شاةٍ - وأو: للتخيير. وأُلحِق به مَن حلقَ لغير عُذرٍ لأنّه أولى بالكفّارة، وكذا مَن استمتعَ بغير الحلق كالطِّيب واللُّبس والدُّهن لعُذر أو غيره - ﴿فإذا أَمِنتُم﴾ العدوّ بأن ذهب أو لم يكن ﴿فمَن تَمَتَّعَ﴾: استمتع ﴿بالعُمْرةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إلَى الحَجِّ﴾ أي: الإحرامِ به بأن يكون أحرمَ بها في أشهره ﴿فما استَيسَرَ﴾: تيسَّر ﴿مِنَ الهَدْيِ﴾ عليه، وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يومَ النحر.

﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾ الهديَ لفقده أو فقد ثمنه ﴿فصِيامُ﴾ أي: فعليه صيامُ ﴿ثَلاثةِ أيّامٍ في الحَجِّ﴾ أي: في حال الإحرام به - فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجّة، والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفةَ. ولا يجوز صومها أيّام التشريق على أصحّ قولَي الشافعيّ - ﴿وسَبْعةٍ إذا رَجَعتُم﴾ إلى وطنكم مكّةَ أو غيرِها. وقيل: إذا فرَغتم من أعمال الحجّ. وفيه التفات عن الغَيبة. ﴿تِلكَ عَشَرةٌ كامِلةٌ﴾: جملةٌ تأكيدٌ لِما قبلها. ﴿ذلِكَ﴾ الحُكم المذكور، من وجوب الهديِ أو الصيام على من تمتّع، ﴿لِمَن لَم يَكُنْ أهلُهُ حاضِرِي المَسجِدِ الحَرام﴾ بأن لم يكونوا على دونِ مرحلتينِ من الحَرَم عند الشافعيّ. فإن كان فلا دم عليه ولا صيام، وإن تمتّع. وفي ذِكر الأهل إشعارٌ باشتراط الاستيطانَ. فلو أقام قبل أشهر الحجّ، ولم يستوطن وتمتّع، فعليه ذلك. وهو أحد وجهين عندنا، والثاني: لا، والأهل، كناية عن النفس. وأُلحِقَ بالمتمتّع فيما ذُكر بالسُّنّةِ القارنُ، وهو من يُحرم بالعُمرة والحجّ معًا، أو يُدخِلُ الحجَّ عليها قبل الطواف. ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ لمن خالفه.

﴿ثقفتموهم﴾: وجدتُموهُم و أدركتُموهُم. ﴿الفتنة﴾: الشِّركُ باللهِ وهم في الحَرَمِ. ﴿عند المسجد الحرام﴾: في الحَرَمِ كلِّهِ. ﴿الحُرُمات﴾: ما تجبُ المحافظةُ عليهِ. ﴿التَّهلُكة﴾: الهلاكِ بتركِ الجهادِ و الإنفاقِ فيهِ. ﴿أُحصِرتم﴾: مُنِعتُم عنِ الإتمامِ بعدَ الإحرامِ. ﴿فما استيسر﴾: فعليكُم ما تيسَّرَ و تسهَّلَ. ﴿من الهدْي﴾: ممَّا يُهدى إلى البيتِ مِنَ الأنعامِ. ﴿لا تحلقوا رءوسكم﴾: لا تحلُّوا مِنَ الإحرامِ بالحلقِ. ﴿يبلغ الهدي محلّه﴾: مكانَ وجوبِ ذبحِهِ (الحرم) أو حيثُ أحصِرتُم (حِلاً أو حَرَماً). ﴿ففِدية﴾: فعليهِ إذاَ حلقَ فديةٌ. ﴿نُسُك﴾: ذبيحةٍ، و المرادُ هنا شاةٌ. ﴿من الهدْي﴾: هوَ هديُ التَّمتُّعِ.

(١) الطبري (٣/ ٢٩٠) عن ابن زيد.

(٢) نزلت في عمرة القضاء، وكانت الحديبية في ذي القعدة، وهذه بعدها بعام في ذي القعدة، وكان المشركون قد فجروا عليه ﷺ حين ردّوه، فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردّوه فيه، فأنزل الله ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ الآية. الطبري (٢١/ ٢٩٣) عن قتادة، وابن أبي حاتم (١/ ٣٢٨) عن أبي العالية.

(٣) قال أبو أيوب: إنما نزلتْ هذه الآيةُ فينا معشرَ الأنصارِ لمَّا نصر الله نبيه ﷺ وأظهرَ الإسلامَ قلنا: هَلُمَّ نقيمُ في أموالِنا ونُصلِحُها، فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، فالإلقاء بالأيدي إلى التَّهْلُكةِ: أن نقيمَ في أموالِنا ونصلِحُها وندعَ الجهاد. أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢) وقال: حسن صحيح غريب.

(٤) نزلت في كعبِ بنِ عُجْرةَ في الحديبية لما رأى النبي ما وقع به من أذى الهوام فأمره أن يحلق..، الحديث، رواه البخاري (١٨١٥) و(٥٧٠٣)، ومسلم (١٢٠١)، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

﴿١٩٧﴾ ـ ﴿الحَجُّ﴾: وقتُه ﴿أشهُرٌ مَعلُوماتٌ﴾: شوّالٌ وذو القَعدة وعشرُ ليالٍ من ذي الحِجّة، وقيل: كلُّه. ﴿فمَن فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ الحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فلا رَفَثَ﴾: جِماعَ فيه، ﴿ولا فُسُوقَ﴾: مَعاصيَ، ﴿ولا جِدالَ﴾: خِصامَ ﴿في الحَجِّ﴾ ـ وفي قراءة بفتح الأوّلَين. والمراد في الثلاثة النهيُ ـ ﴿وما تفعَلُوا مِن خَيرٍ﴾ كصَدَقةٍ ﴿يَعلَمْهُ اللهُ﴾، فيُجازيكم به. ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجّون بلا زاد، فيكونون كَلًّا على الناس: ﴿وتَزَوَّدُوا﴾ ما يُبلِّغكم لسفركم. ﴿فإنَّ خَيرَ الزّادِ التَّقوَى﴾[1]: ما يُتَّقى به سُؤالُ الناس وغيرُه. ﴿واتَّقُونِ يا أُولِي الألبابِ﴾: ذوي العقول.

﴿١٩٨﴾ ـ ﴿١٩٩﴾ ﴿لَيسَ عليكُم جُناحٌ﴾ في ﴿أن تَبتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿فَضلاً﴾: رزقًا ﴿مِن رَبِّكُم﴾[2] بالتجارة في الحجّ ـ نزل ردًّا لكراهتهم ذلك[3] ـ ﴿فإذا أفَضتُم﴾: دفعتم ﴿مِن عَرَفاتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فاذكُرُوا اللهَ﴾ بعد المَبيت بمُزدلِفةَ بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِندَ المَشعَرِ الحَرامِ﴾. هو جبل في آخر المُزدلِفَة، يقال له: قُزَحُ ـ وفي الحديث «أنّه ﷺ وَقفَ به يَذكُرُ اللهَ ويَدعُو حتّى أسفرَ جدًّا»[4]. رواه مسلم ـ ﴿واذكُرُوهُ كما هَداكُم﴾ لمَعالم دِينه ومَناسك حجّه، والكافُ: للتعليل ـ ﴿وإنْ﴾: مخفّفةٌ ﴿كُنتُم مِن قَبلِهِ﴾: قبلَ هُداه ﴿لَمِنَ الضّالِّينَ ـ ثُمَّ أفِيضُوا﴾ ـ يا قُريش ـ ﴿مِن حَيثُ أفاضَ النّاسُ﴾[5]، أي: من عَرَفةَ بأن تقفوا بها معهم ـ وكانوا يقفون بالمُزدلفة ترفّعًا عن الوقوف معهم. وثمّ: للترتيب في الذِّكر ـ ﴿واستَغفِرُوا اللهَ﴾ من ذُنوبكم. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿٢٠٠﴾ ـ ﴿فإذا قَضَيتُم﴾: أدّيتم ﴿مَناسِكَكُم﴾: عباداتِ حجّكم بأن رمَيتم جَمْرة العقبة وطُفتم واستقررتم بمنى ﴿فاذكُرُوا اللهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكرِكُم آباءَكُم﴾[6]: كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حَجّكم بالمُفاخرة ﴿أو أشَدَّ ذِكرًا﴾ من ذِكركم إيّاهم. ونصبُ «أشدَّ» على الحال من «ذكرًا» المنصوب بـ«اذكروا»، إذ لو تأخّر عنه لكان صفة له.

﴿فمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: رَبَّنا، آتِنا﴾[7] نصيبنا ﴿في الدُّنيا﴾. فيُؤتاه فيها، ﴿وما لَهُ في الآخِرةِ مِن خَلاقٍ﴾: نصيبٍ، ﴿٢٠١﴾ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَقُولُ: رَبَّنا، آتِنا في الدُّنيا حَسَنةً﴾: نِعمةً ﴿وفي الآخِرةِ حَسَنةً﴾ هي الجنّة، ﴿وقِنا عَذابَ النّارِ﴾ بعدم دخولها. وهذا بيان لِما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين. والقصد به الحثّ على طلب خيرَيِ الدارين كما وَعدَ بالثواب عليه بقوله: ﴿٢٠٢﴾ ـ ﴿أُولئِكَ لَهُم نَصِيبٌ﴾: ثواب، ﴿مِـ﴾ـن أجلِ ﴿ـمّا كَسَبُوا﴾: عملوا من الحجّ والدعاء. ﴿واللهُ سَرِيعُ الحِسابِ﴾، يُحاسب الخلق كلّهم في قدر نصف نهار من أيّام الدنيا، لحديث بذلك[8].

﴿فَرَضَ﴾: ألزمَ نفسَهُ بالإحرام. ﴿فلا رفث﴾: فلا وقاعَ، أو فلا إفحاشَ في القولِ. ﴿لا جدال في الحجّ﴾: لا خصامَ و لا مُماراةَ و لا مُلاحاةَ فيه. ﴿جُناحٌ﴾: إثمٌ وحرجٌ. ﴿فضلاً﴾: رزقاً بالتِّجارةِ و الاكتسابِ في الحجِّ. ﴿أفضتم﴾: دفعتُم أنفسَكُم بكثرةٍ و سرعةٍ. ﴿المشعر الحرام﴾: مُزدلفةَ كلِّها أو جبلِ قُزح. ﴿مناسككم﴾: عباداتِكُمُ الحجِّيَّة. ﴿خلاق﴾: نصيبٌ مِنَ الخيرِ أو قدرٌ. ﴿في الدّنيا حسنة﴾: النِّعمةُ و العافيةُ و التَّوفيقُ. ﴿في الآخرة حسنة﴾: الرَّحمةُ و الإحسانُ و النَّجاةُ.

(١) عن ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون يقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فنزلت. البخاري (١٥٢٣).

(٢) نزلت في التُّجار والجمّالين؛ وكانوا يتَّقون البيعَ والتِّجارةَ في الحجِّ، ويقولون: هذه أيّامُ ذكرِ الله؛ فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٣/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥) عن ابن عبّاسٍ وابن عمر.

(٣) البخاري (٢٠٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. (٤) قطعة من حديث جابر الطويل في الحج، رواه مسلم (١٢١٨).

(٥) عن عائشة: كانت العرب تفيض من عرفات، وقريش ومن دان بدينها تفيض من جمع من المشعر الحرام، فأنزل الله هذه الآية. الواحدي (ص: ٦٤)، «العجاب» (١/ ٥٠٥)، وبنحوه في البخاري (٤٥٢٠)، ومسلم (١٢١٩).

(٦) عن مجاهد: كان أهل الجاهلية إذا اجتمعوا في الموسم ذكروا فعل آبائهم في الجاهلية وأيامهم وأنسابهم وتفاخروا، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٣/ ٥٣٦)، الواحدي (ص:٦٥)، «العجاب» (١/ ٤٩٨).

(٧) عن ابن عباس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم: ﴿فمن الناس من يقول﴾. ابن أبي حاتم (٢/ ٣٥٥). و عن عبد الله بن الزبير: كان النّاس في الجاهلية إذا وقفوا عند المشعر الحرام دعوا فقال أحدهم: اللهم ارزقني إبلًا، وقال الآخر: اللهم ارزقني غنمًا، فأنزل الله هذه الآية. «الدعاء» للطبراني (٨٧٩)، «العجاب» (١/ ٥١٦).

(٨) ابن المبارك في «الزهد» (٤٦٣)، والطبري (١٩/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٠)، والحاكم (٣٥١٧) عن ابن مسعود قال: لا يَنتصِفُ النَّهارُ من يوم القيامة حتى يَقِيل هؤلاء وهؤلاء، ثُم قرأ ﴿إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨].

* وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ
ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾
وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ
وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ
أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ
ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ
مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

الحزب ٤

﴿٢٠٣﴾ ـ ﴿واذكُروا اللهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجَمَرات ﴿في أيّامٍ مَعدُوداتٍ﴾، أي: أيّام التشريق الثلاثة ـ ﴿فمَن تعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من منى ﴿في يومَينِ﴾ أي: في ثاني أيّام التشريق بعد رمي جماره ﴿فلا إثمَ علَيهِ﴾ بالتعجيل، ﴿ومَن تأخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالثِ ورمَى جِماره ﴿فلا إثمَ علَيهِ﴾ بذلك. أي: هم مُخيَّرون في ذلك. ونفيُ الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقى﴾ اللهَ في حجّه لأنه الحاجّ على الحقيقة ـ ﴿واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّكُم إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

﴿٢٠٤﴾ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ في الحَياةِ الدُّنيا﴾، ولا يُعجبك في الآخرة لمُخالفته لاعتقاده، ﴿ويُشهِدُ اللهَ على ما في قَلبِهِ﴾ أنّه مُوافق لقوله، ﴿وهُوَ ألَدُّ الخِصامِ﴾: شديد الخُصومة لك ولأتباعك لعداوته لك ـ. وهو الأخنسُ بنُ شَرِيق[1]، كان مُنافقًا حلو الكلام للنبيّ، يحلف أنّه مؤمن به ومُحبّ له فيُدني مجلسَه، فأكذَبَه اللهُ في ذلك ـ ومرَّ بزرع وحُمُرٍ لبعض المسلمين، فأحرقَه وعقَرها ليلاً كما قال تعالى: ﴿٢٠٥﴾ ـ ﴿وإذا تَوَلَّى﴾: انصرف عنك ﴿سَعَى﴾: مشى ﴿في الأرضِ، لِيُفسِدَ فِيها، ويُهلِكَ الحَرْثَ والنَّسلَ﴾ من جملة الفساد ـ ﴿واللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾ أي: لا يرضى به ـ ﴿٢٠٦﴾ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللهَ﴾ في فعلك. ﴿أخَذَتْهُ العِزّةُ﴾: حملتْه الأَنفة والحميّة على العمل ﴿بالإثم﴾ الذي أُمر باتّقائه. ﴿فحَسْبُهُ﴾: كافِيهِ ﴿جَهَنَّمُ، ولَبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ هي! ﴿٢٠٧﴾ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَشرِي﴾: يبيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: يبذلها في طاعة الله ﴿ابتغاءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضاةِ اللهِ﴾: رِضاه. وهو صُهيبٌ[2]، لمّا آذاه المشركون هاجر إلى المدينة، وترك لهم ماله. ﴿واللهُ رَؤُوفٌ بالعِبادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رِضاه.

ونزلَ في عبدالله بن سلام وأصحابه لمّا عظّموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام[3]: ﴿٢٠٨﴾ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، ادخُلُوا في السِّلمِ﴾، بفتح السين وكسرها: الإسلامِ ﴿كافّةً﴾: حالٌ من السّلم، أي: في جميع شرائعه، ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ﴾: طُرُقَ ﴿الشَّيطانِ﴾ أي: تزيينَه بالتفريق ـ ﴿إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ العداوة ـ ﴿٢٠٩﴾ ـ ﴿فإنْ زَلَلْتُم﴾: مِلتم عن الدخول في جميعه ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتْكُمُ البَيِّناتُ﴾: الحُجج الظاهرة على أنه حقّ ﴿فاعلَمُوا أنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه ﴿٢١٠﴾ ـ ﴿هَل﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر التاركون الدخولَ فيه ﴿إلّا أنْ يأتِيَهُمُ اللهُ﴾ أي: أمرُه كقوله: «أو يأتيَ أمرُ رَبِّكَ» أَي: عذابُه، ﴿في ظُلَلٍ﴾: جمع ظُلّة ﴿مِنَ الغمامِ﴾: السحاب ﴿والمَلائكةُ، وقُضِيَ الأمرُ﴾: تمّ أمرُ هلاكهم؟ ﴿وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ ـ بالبناء للمفعول والفاعل ـ في الآخرة فيُجازي.

﴿ألدّ الخصام﴾: شديدُ المخاصمةِ في الباطلِ. ﴿الحرث﴾: الزَّرعَ. ﴿أخذته العزّة بالإثم﴾: حملَتْهُ الأنفةُ والحميَّةُ عليهِ. ﴿فحسبه جهنّم﴾: كافيهِ جزاءً نارُ جهنَّم. ﴿لبئس المِهاد﴾: لبئسَ الفراشُ والمضجعُ جهنَّمُ. ﴿يشري نفسه﴾: يبيعُها ببذلِها في طاعةِ اللهِ. ﴿في السلم كافّة﴾: في الإسلامِ وشرائعِهِ كلِّها. ﴿خطوات الشيطان﴾: طُرُقَهُ وآثارَهُ وأعمالَهُ. ﴿زللتم﴾: ملتُم وضللتُم عنِ الحقِّ. ﴿ظلل من الغمام﴾: طاقاتٍ مِنَ السَّحابِ الأبيضِ الرَّقيقِ.

(١) رواه الطبري (٣/ ٥٧٢) عن السدي. وهو عند الواحدي (ص:٦٥)، و«العجاب» (١/ ٥١٩)، وفي آخره عندهم بعد ذكر عقر الحمر: فأنزل الله فيه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى..﴾. وروي عن ابن عباس سبب آخر، قال: لما أصيبت السرية أصحاب خبيب بالرجيع قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المقتولين، لا هم قعدوا في بيوتهم، ولا هم أدَّوْا رسالة صاحبهم! فأنزل الله عز وجلّ: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله..﴾. الطبري (٣/ ٥٧٣)، و«العجاب» (١/ ٥٢٠).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٨)، والحارث في «مسنده» (٦٧٩ ـ بغية الباحث)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٤٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٢٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٥٧٠٦) وصحَّحه، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥١)، جميعهم عن سعيد بن المسيب، ووصله الطبراني والحاكم عن سعيد بن المسيب عن صهيب.

(٣) رواه بهذا اللفظ الواحدي (ص: ٦٧) عن ابن عباس من رواية عطاء وإسناده واهٍ كما في «العجاب» (١/ ٥٢٩). وروى معناه ابن أبي حاتم (١٩٤٤) عن عكرمة عن ابن عباس، والطبري (٣/ ٥٩٩) عن عكرمة.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ
ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

(٢١١) ـ ﴿سَلْ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾ تبكيتًا: ﴿كَم آتيناهُم﴾ كم: استفهامية معلِّقة «سل» عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعولَي «آتينا»، ومميِّزُها ﴿مِن آيةٍ بَيِّنَةٍ﴾: ظاهرة كفلْق البحر وإنزال المنّ والسَّلوى، فبدَّلوها كفرًا؟ ﴿ومَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات لأنّها سبب الهداية، ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتْهُ﴾، كفرًا ﴿فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ له.

(٢١٢) ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿الحَياةُ الدُّنيا﴾ بالتمويه فأحبّوها، ﴿و﴾ هم ﴿يَسخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقرهم كعمّار وبلال وصُهيب، أي: يستهزئون بهم ويتعالَون عليهم بالمال، ﴿والَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشرك ـ وهم هؤلاء ـ ﴿فَوقَهُم يَومَ القِيامةِ. واللهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بغَيرِ حِسابٍ﴾ أي: رزقًا واسعًا في الآخرة أو الدنيا بأن يُملِّك المسخورَ منهم أموالَ الساخرين ورقابَهم.

(٢١٣) ـ ﴿كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدةً﴾ على الإيمان، فاختلفوا بأن آمَن بعض وكفر بعض، ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمن بالجنة ﴿ومُنذِرِينَ﴾ مَن كفر بالنار، ﴿وأنزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ﴾ بمعنى الكُتُب ﴿بِالحَقِّ﴾ متعلّق بـ«أنزل»، ﴿لِيَحكُمَ﴾ به ﴿بَينَ النّاسِ فِيما اختلَفُوا فِيهِ﴾ من الدِّين، ﴿وما اختلَفَ فِيهِ﴾، أي: الدِّينِ ﴿إلّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، أي: الكتابَ، فآمَن بعض وكفر بعض ﴿مِن بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ﴾: الحُجج الظاهرة على التوحيد ـ ومِن: متعلّقة بـ«اختلف»، وهي وما بعدها مقدّم على الاستثناء في المعنى ـ ﴿بَغيًا﴾ من الكافرين ﴿بَينَهُم، فهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِما اختلَفُوا فِيهِ مِنَ﴾: للبيان ﴿الحَقِّ بإذنِهِ﴾ بإرادته. ﴿واللهُ يَهدِي مَن يَشاءُ﴾ هدايته ﴿إلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾: طريق الحقّ.

ونزلَ في جَهدٍ أصابَ المسلمين[1]: (٢١٤) ـ ﴿أم﴾ بل أ﴿حَسِبتُم أنْ تَدخُلُوا الجَنَّةَ، ولَمّا﴾: لم ﴿يأتِكُم مَثَلُ﴾: شِبهُ ما أتى ﴿الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم﴾ من المؤمنين من المحن، فتصبِروا كما صبروا؟ ﴿مَسَّتهُمُ﴾: جملة مستأنفة مبيّنةٌ ما قبلها، ﴿البأساءُ﴾: شِدّة الفقر ﴿والضَّرّاءُ﴾: المرض، ﴿وزُلزِلُوا﴾: أُزعِجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع أي: قال ﴿الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاءً للنّصر لتناهي الشِّدّة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصرُ اللهِ﴾ الذي وُعِدْناه؟ فأُجيبوا من قِبَل الله: ﴿ألا إنَّ نَصرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانُه.

(٢١٥) ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿: ماذا﴾ أيِ: الذي ﴿يُنفِقُونَـ﴾ـهُ؟ والسائل عمرُو بنُ الجموح[2]، وكان شيخًا ذا مال، فسأل النبيَّ عمّا يُنفق وعلى من يُنفق. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ما أنفَقتُم مِن خَيرٍ﴾ بيانٌ لـ«ما» شاملٌ للقليل والكثير، وفيه بيان المُنفَقِ الذي هو أحد شِقَّي السؤالِ، وأجاب عن المَصرِف الذي هو الشِّقّ الآخَر بقوله: ﴿فَلِلوالِدَينِ والأقرَبِينَ واليَتامَى والمَساكِينِ وابنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أَولَى به، ﴿وما تَفعَلُوا مِن خَيرٍ﴾: إنفاق وغيره ﴿فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، فمُجازٍ عليه.

﴿بغير حساب﴾: بلا نهايةٍ لِمَا يُعطيه، أو بلا تقتير. ﴿بغياً بينهم﴾: حسداً بينَهُم وظلماً لتكالُبِهم على الدُّنيا. ﴿مثل الذين خلوا﴾: حالُ الَّذينَ مضَوا مِنَ المؤمنينَ. ﴿البأساء والضَّرّاء﴾: البؤسُ والفقرُ، والسُّقمُ والألمُ. ﴿زُلزِلوا﴾: أُزعِجوا إزعاجاً شديداً بالبلايا.

(١) الطبري (٣/ ٦٣٧)، والواحدي (ص:٦٧)، عن السدي وقتادة: أنها نزلَتْ في غزوة الخندقِ؛ إذ أصابَهم الجهدُ والبرد والخوف وضيق العيش وبلغَتِ القلوبُ الحناجرَ. وعن عطاء: لما دخل المُهاجرون المدينة اشتد الضر عليهم؛ لأنَّهم خرَجُوا بلا مالٍ، وتركوا ديارَهم وأموالَـهم، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسرَّ قوم من الأغنياء النفاق، فنزلت. الثعلبي (٥/ ٣٨٠)، والواحدي (ص: ٦٧).

(٢) هو في «تفسير السمرقندي» (١/ ١٤١)، والثعلبي (٥/ ٣٩٠)، والواحدي (ص: ٦٧)، و«العجاب» (١/ ٥٣٤)، عن ابن عباس من رواية الكلبي.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟
شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ
لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن
يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ
مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿٢١٦﴾ ـ ﴿**كُتِبَ**﴾: فُرِض ﴿**عَلَيكُمُ القِتالُ**﴾، لِلكُفّار، ﴿**وهُوَ كُرْهٌ**﴾: مكروه ﴿**لَكُم**﴾ طبعًا لمشقّته. ﴿**وعَسَى أنْ تكرَهُوا شَيئًا وهُوَ خَيرٌ لَكُم، وعَسَى أنْ تُحِبُّوا شَيئًا وهُوَ شَرٌّ لَكُم**﴾، لميلِ النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونُفورِها عن التكليفات الموجبة لسعادتها. فلعلّ لكم في القتال، وإن كرهتموه، خيرًا لأنّ فيه إمّا الظفرَ والغنيمة أو الشهادةَ والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شرًّا، لأنّ فيه الذلَّ والفقر وحرمان الأجر. ﴿**واللهُ يَعلَمُ**﴾ ما هو خير لكم، ﴿**وأنتُم لا تَعلَمُونَ**﴾ ذلك. فبادروا إلى ما يأمركم به.

وأرسل النبيُّ ﷺ أولَ سراياه[1]، وعليها عبدُ اللهِ بنُ جحش، فقاتلوا المشركين وقتلوا ابنَ الحضرميّ آخِرَ يوم من جُمادَى الآخِرة، والتبس عليهم برجبٍ، فعيّرهم الكفّار باستحلاله، فنزل: ﴿٢١٧﴾ ـ ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرامِ**﴾ المُحرَّم، ﴿**قِتالٍ فِيهِ**﴾: بدل اشتمال. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**﴾: عظيم وِزرًا، مبتدأ وخبر، ﴿**وصَدٌّ**﴾ مبتدأ: منعٌ للناس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِينِه، ﴿**وكُفرٌ بِهِ**﴾: بالله ﴿**و**﴾ صدٌّ عن ﴿**المَسْجِدِ الحَرامِ**﴾، أي: مكّةَ ﴿**وإخراجُ أهلِهِ مِنهُ**﴾ ـ وهم النبيّ والمؤمنون ـ وخبرُ المبتدأ ﴿**أكبَرُ**﴾: أعظم وِزرًا ﴿**عِندَ اللهِ**﴾ من القتال فيه، ﴿**والفِتنَةُ**﴾: الشِّرك منكم ﴿**أكبَرُ مِنَ القَتلِ**﴾ لكم فيه.

ربع الحزب ٤

﴿**ولا يَزالُونَ**﴾ أي: الكفّارُ ﴿**يُقاتِلُونَكُم**﴾ ـ أيها المؤمنون ـ ﴿**حَتَّى**﴾ كي ﴿**يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم**﴾ إلى الكفر، ﴿**إنِ استَطاعُوا. ومَن يَرتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ، فيَمُتْ وهُوَ كافِرٌ، فأُولَئِكَ حَبِطَتْ**﴾: بَطَلَت ﴿**أعمالُهُم**﴾ الصالحة ﴿**في الدُّنيا والآخِرَةِ**﴾، فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها ـ والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطُل عمله، فيثابُ عليه ولا يُعيده كالحجّ مثلاً، وعليه الشافعيّ ـ ﴿**وأُولَئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾.

ولمّا ظنَّ السَّريّةُ أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصلُ لهم أجر نزلَ[2]: ﴿٢١٨﴾ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هاجَرُوا**﴾: فارقوا أوطانهم، ﴿**وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾: لإعلاء دينه، ﴿**أُولَئِكَ يَرجُونَ رَحمَةَ اللهِ**﴾: ثوابَه. ﴿**واللهُ غَفُورٌ**﴾ للمؤمنين ﴿**رَحِيمٌ**﴾ بهم.

﴿٢١٩﴾ ـ ﴿**يَسألُونَكَ عَنِ الخَمرِ والمَيسِرِ**﴾[3]: القمار ما حُكمهما؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**فِيهِما**﴾ أي: في تعاطيهما ﴿**إثمٌ كَبِيرٌ**﴾: عظيم ـ وفي قراءة بالمُثلّثة ـ لِما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش، ﴿**ومَنافِعُ لِلنّاسِ**﴾ باللذةِ والفرحِ في الخمر وإصابةِ المال بلا كدٍّ في الميسر، ﴿**وإثمُهُما**﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿**أكبَرُ**﴾: أعظم ﴿**مِن نَفعِهِما**﴾. ولمّا نزلتْ شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرّمتها آية «المائدة»[4]. ﴿**ويَسألُونَكَ: ماذا يُنفِقُونَ**﴾، أي: ما قَدرُه؟ ﴿**قُلِ**﴾: أنفقوا ﴿**العَفْوَ**﴾[5] أي: الفاضلَ عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتُضيّعوا أنفسكم. وقراءةُ الرفع بتقدير: هو. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما بَيّنَ لكم ما ذُكِر ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ، لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ**﴾.

﴿كُره لكم﴾: مكروهٌ لكُم طبعاً. ﴿كبيرٌ﴾: مُستكبَرٌ عظيمٌ وزراً. ﴿الفتنة﴾: الشِّركُ والكفرُ باللهِ تعالى. ﴿حبطت﴾: فسدَتْ وبطلَتْ. ﴿الميسر﴾: القمارِ. ﴿العفو﴾: ما فضلَ عن قدرِ الحاجةِ.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٦٧٠)، من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه، وإسناده حسن كما في «العجاب» (١/ ٥٣٩). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٥٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه مطولاً ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٠١ـ ٦٠٥) ـ ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٥٠ ـ ٦٥٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٥٨ ـ ٥٩) ـ قال: حدثني الزهري ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، فذكره. قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٧٦): وهو مرسل جيد قوي الإسناد، وقد صرح فيه ابن إسحاق بالسماع.

(٢) قطعة من حديث جندب السابق. انظر: «العجاب» (١/ ٥٤٤).

(٣) عن عمرَ أنّه قال: اللّهمَّ بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت..الحديثَ. رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠) والإمام أحمد في «المسند» (٣٧٨)، والضياء في «المختارة» (٢٥٦)، من حديث عمر رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٨٦٢٠) من حديث أبي هريرة، ورواه الطبري (٣/ ٦٨٠) عن سعيد بن جبير. وعبد الرزاق (٢٥٥) عن مجاهد، والقاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» (١٣٥) عن عمر بن عبد العزيز. وروي معناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه الطيالسي (٢٠٦٩)، والطبري (٣/ ٦٨١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٨٩).

(٥) عن يحيى بن أبي كثير: أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقّاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله الآية. ابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٣) بسند صحيح كما في «العجاب» (١/ ٥٤٦). لكنه مرسل.

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ
خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ
ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ
(٢٢٠) وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ
خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ
حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ
أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ
بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي
ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ
مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ
(٢٢٢) نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ
لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ
وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢٢٤)

(٢٢٠) - ﴿في﴾ أمر ﴿الدُّنيا والآخِرةِ﴾، فتأخذون بالأصلح لكم فيهما. ﴿ويَسألُونَكَ عَنِ اليَتامَى﴾[١] وما يَلقَونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعامًا وحدهم فحَرَجٌ. ﴿قُلْ: إصلاحٌ لَهُم﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خيرٌ﴾ من ترك ذلك، ﴿وإنْ تُخالِطُوهُم﴾ أي: تَخلطوا نفقتهم بنفقتكم ﴿فإخوانُكُم﴾، أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يُخالط أخاه، أي: فلكم ذلك. ﴿واللهُ يَعلَمُ المُفسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ المُصلِحِ﴾ بها، فيُجازي كُلًّا منهما، ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَأعنَتَكُم﴾: لضَيّق عليكم بتحريمِ المخالطة. ﴿إنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكيمٌ﴾ في صُنعه.

(٢٢١) - ﴿ولا تَنكِحُوا﴾: تتزوّجوا - أيها المسلمون - ﴿المُشركاتِ﴾، أي: الكافراتِ ﴿حَتَّى يُؤمِنَّ - ولَأَمَةٌ مُؤمِنةٌ خَيرٌ مِن مُشرِكةٍ﴾ حُرّةٍ لأن سببَ نزولها العيبُ على من تزوّجَ أمَةً وترغيبُه في نكاح حُرّة مشرِكة[٢]، ﴿ولَو أعجَبَتْكُم﴾ لجمالها ومالها - وهذا مخصوص بغير الكتابيّات، بآية «والمُحصَناتُ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ» - ﴿ولا تُنكِحُوا﴾: تُزَوِّجوا ﴿المُشرِكِينَ﴾، أي: الكفّارَ المؤمناتِ ﴿حَتَّى يُؤمِنُوا. ولَعَبدٌ مُؤمِنٌ خَيرٌ مِن مُشرِكٍ، ولَو أعجَبَكُم﴾ لماله وجماله. ﴿أُولئِكَ﴾ أي: أهلُ الشرك ﴿يَدعُونَ إلَى النّارِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجِب لها، فلا تليق مُناكحتهم، ﴿واللهُ يَدعُو﴾ على لسان رسله ﴿إلَى الجَنّةِ والمَغفِرةِ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بإذنِهِ﴾: بإرادته، فتجب إجابته بتزويج أوليائه، ﴿ويُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون.

(٢٢٢) - ﴿ويَسألُونَكَ عَنِ المَحِيضِ﴾، أي: الحيض أو مكانه: ماذا يُفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ: هُوَ أذًى﴾[٣]: قذَرٌ أو محلُّه. ﴿فاعتَزِلُوا النِّساءَ﴾: اتركوا وطْأهنّ ﴿في المَحِيضِ﴾، أي: وقتِه أو مكانِه، ﴿ولا تَقرَبُوهُنَّ﴾ بالجِماع ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ - بسكون الطاء، وتشديدِها والهاءَ وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء - أي: يَغتسلْنَ بعد انقطاعه، ﴿فإذا تَطَهَّرْنَ فائتُوهُنَّ﴾ للجِماع ﴿مِن حَيثُ أمَرَكُمُ اللهُ﴾ بتجنّبه في الحيض وهو القُبُلُ، ولا تَعْدُوه إلى غيره. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾: يُثيب ويكرم ﴿التَّوّابِينَ﴾ من الذنوب، ﴿ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأقذار.

(٢٢٣) - ﴿نِساؤُكُم حَرْثٌ لَكُم﴾ أي: مَحلُّ زرعِكُمُ الولدَ. ﴿فائتُوا حَرْثَكُم﴾، أي: محلَّه - وهو القُبُلُ - ﴿أنَّى﴾: كيف ﴿شِئتُم﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار؟ نزلَ ردًّا لقول اليهود[٤]: من أتى امرأته في قُبُلها، من جهة دُبُرها، جاء الولد أحولَ، ﴿وقَدِّمُوا لِأنفُسِكُم﴾ العمل الصالح كالتسمية عند الجماع، ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ في أمره ونهيه، ﴿واعلَمُوا أنَّكُم مُلاقُوهُ﴾ بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم. ﴿وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ الذين اتّقَوه بالجنّة.

(٢٢٤) - ﴿ولا تَجعَلُوا اللهَ﴾ أي: الحلِفَ به ﴿عُرْضةً﴾: عِلّةً مانعة ﴿لِأيمانِكُم﴾ أي: لِما حلفتم عليه - سُمِّيَ باليمين لملابسته له - أن تفعلوه، لِـ ﴿أنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وتَتَّقُوا وتُصلِحُوا بَينَ النّاسِ﴾. فتُكرَهُ اليمين على ذلك، ويُسنّ فيه الحِنثُ ويُكفِّر بخلافها على فعل البرّ ونحوه، فهي طاعة. المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذُكر من البرّ ونحوه، إذا حلفتم عليه، بلِ ائتوه وكفِّروا، لأنّ سبب نزولها الامتناع من ذلك[٥]. ﴿واللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

﴿لأعنَتكم﴾: لكلَّفَكُم ما يشقُّ عليكُم. ﴿أذى﴾: قذرٌ يُؤذي. ﴿حرث لكم﴾: مزرعُ الذُّرِّيَّةِ لكُم. ﴿أنّى شئتم﴾: كيفَ شئتُم ما دامَ في القُبُلِ. ﴿عرضةً لأيمانكم﴾: مانعاً عنِ الخيرِ لحلفِكُم بِهِ على تركِهِ.

(١) عن ابن عباس: أنه لما نزلت ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ عزلوا أموال اليتامى حتى جعل الطعام يفسد واللحم ينتن، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت. أحمد (٣٠٠٠)، وأبو داود (٢٨٧١)، والنسائي (٣٦٦٩)، والطبري (٣/ ٦٩٨ - ٦٩٩)، و«العجاب» (١/ ٥٤٧).

(٢) رواه الطبري (٣/ ٧١٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٩٨)، وابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٧١)، عن السدي مرسلًا، ووصله الواحدي (ص: ٧٣)، وابن عساكر (٢٨/ ٩٠)، من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس. وفيه: أن عبدَ الله بنِ رواحةَ لطم أمةً له سوداءُ، ثمَّ أخبرَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ بذلك، وأنها تصومُ وتُصلِّي وتُحسِنُ الوضوءَ وتشهدُ الشهادتين، فقال: «يا عبدَ الله، هذه مُؤمنةٌ»، فقال: والله لأُعتِقَنَّها ولأتزوَّجَنَّها، ففعلَ، فطعنَ عليه ناسٌ من المسلمين وقالوا: نكحَ أمةً، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين ويُنكحوهم رغبةً في أحسابهم، فنزلَت.

(٣) عن أنسٍ: أنَّ اليهودَ كانوا إذا حاضتِ المرأةُ فيهم لم يؤاكلوها، ولم يُجامعوهُنَّ في البيوت، فسَأل الصحابةُ النبيَّ ﷺ فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ الآية، فقال رسولُ الله ﷺ: «اصْنَعوا كلَّ شيءٍ إلَّا النِّكاحَ». رواه مسلم (٣٠٢).

(٤) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) أي: الامتناع عن فعل البر، فعن الكلبي: نزلت في عبد الله بن رواحة حلف أن لا يدخل على ختَنه بشير بن النعمان أبداً، ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته، ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفعل ولا يحل لي إلا أن أبر في يميني، فأنزل الله تعالى الآية. السمرقندي (١/ ١٤٨)، والثعلبي (٦/ ١٢٢)، والواحدي (ص: ٧٨-٧٩)، و«العجاب» (١/ ٥٧٦). وعن ابن جريج: نزلت في أبي بكر حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض مع أهل الإفك. الطبري (٤/ ١٠).

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ
إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي
ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ
مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ
فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ
بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا
غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

﴿٢٢٥﴾ - ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغوِ﴾ الكائن ﴿في أيمانِكُم﴾ - وهو ما يَسبِق إليه اللسان من غير قصد الحلف، نحو: لا واللهِ، وبلى واللهِ. فلا إثم فيه ولا كفّارة - ﴿ولكِنْ يُؤاخِذُكُم بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُم﴾، أي: قَصدَتْه من الأيمان إذا حَنِثتم. ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لِما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقّها.

﴿٢٢٦﴾ - ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِسائهِم﴾، أي: يَحلفون ألّا يُجامعوهنّ، ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتظارُ ﴿أربَعةِ أشهُرٍ - فإن فاؤُوا﴾: رَجَعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتَوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، ﴿٢٢٧﴾ - ﴿وإنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ﴾ أي: عليه بأن لم يَفيئوا، فلْيُوقعوه ﴿فإنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم. المعنى: ليس لهم بعد تربّص ما ذُكر إلّا الفَيئةُ أو الطلاق - ﴿٢٢٨﴾ - ﴿والمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: يَنتظِرْنَ ﴿بِأنفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1] تمضي من حين الطلاق. جمع قَرْء بفتح القاف، وهو الطُّهر أو الحيض، قولان. وهذا في المدخول بهنّ، أمّا غيرهنّ فلا عِدّة عليهنّ بقوله: «فما لكُم عَلَيهِنَّ مِن عِدّةٍ»، وفي غير الآيسةِ والصغيرةِ فعِدّتهنّ ثلاثةُ أشهر، والحواملِ فعِدّتهنّ أن يضعن حملهنّ كما في سورة «الطلاق»، والإماءِ فعدّتهنّ قرآنِ بالسُّنّة.

﴿ولا يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكتُمْنَ ما خَلَقَ اللهُ في أرحامِهِنَّ﴾ من الولد أو الحيض، ﴿إنْ كُنَّ يُؤمِنَّ بِاللهِ واليَوم الآخِرِ، وبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهنّ ﴿أحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾، أي: بمراجعتهنّ ولو أبَينَ، ﴿في ذلِكَ﴾، أي: زمنِ التربُّص، ﴿إنْ أرادُوا إصلاحًا﴾ بينهما لا إضرارَ المرأة. وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعيّ. وأحقّ: لا تفضيل فيه، إذ لا حقّ لغيرهم في نكاحهنّ في العِدّة. ﴿ولَهُنَّ﴾ على الأزواجِ ﴿مِثلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِالمَعرُوفِ﴾ شرعًا من حُسن العِشرة وتَرك الضرار ونحو ذلك، ﴿ولِلرِّجالِ عَلَيهِنَّ دَرَجةٌ﴾: فضيلة في الحقّ من وجوب طاعتهنّ لهم لِما ساقوه من المَهر والإنفاق. ﴿واللهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبّره لخلقه.

﴿٢٢٩﴾ - ﴿الطَّلاقُ﴾، أي: التطليق الذي يُراجَع بعده ﴿مَرّتانِ﴾ أي: اثنتان. ﴿فإمساكٌ﴾ أي: فعليكم إمساكُهنّ بعده بأن تراجعوهنّ ﴿بِمَعرُوفٍ﴾ من غير ضِرارٍ، ﴿أو تَسرِيحٌ﴾ أي: إرسالٌ لهنّ ﴿بِإحسانٍ﴾[2]، ولا يَحِلُّ لَكُم﴾ - أيها الأزواج - ﴿أنْ تأخُذُوا مِمّا آتَيتُمُوهُنَّ﴾ من المُهور ﴿شَيئًا﴾، إذا طلّقتموهنّ، ﴿إلّا أنْ يَخافا﴾ أي: الزوجان ﴿ألّا يُقِيما حُدُودَ اللهِ﴾ أي: لا يأتيا بما حَدَّه لهما من الحُقوق - وفي قراءة: «يُخافا» بالبناء للمفعول، فألّا يقيما: بدل اشتمال من الضمير فيه. وقُرئ بالفوقيّة في الفعلين - ﴿فإنْ خِفتُم ألّا يُقِيما حُدُودَ اللهِ فلا جُناحَ عَلَيهِما فِيما افتَدَتْ بِهِ﴾ نفسَها من المال ليطلّقها، أي: لا حرج على الزوجِ في أخذه ولا الزوجةِ في بذله. ﴿تِلكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ. فلا تَعتَدُوها. ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

﴿٢٣٠﴾ - ﴿فإنْ طَلَّقَها﴾ الزوج بعد الثِّنتَين ﴿فلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعدُ﴾ أي: بعدِ الطلقةِ الثالثة، ﴿حَتَّى تَنكِحَ﴾: تَتزوّجَ ﴿زَوجًا غَيرَهُ﴾ ويطأَها كما في الحديث رواه الشيخان[3]، ﴿فإنْ طَلَّقَها﴾ الزوج الثاني ﴿فلا جُناحَ عَلَيهِما﴾، أي: الزوجةِ والزوج الأوّلِ، ﴿أنْ يَتَراجَعا﴾ إلى النكاح بعد

﴿باللغو في أيمانكم﴾: هوَ أن يحلفَ على الشّيءِ مُعتقداً صدقَهُ والأمرُ بخلافِهِ، أو ما يجري على اللّسانِ ممّا لا يُقصَدُ بِهِ اليمينُ. ﴿يؤلون من نسائهم﴾: يحلفونَ على تركِ مواقعةِ زوجاتِهم. ﴿تربّص﴾: انتظارُ. ﴿فاءو﴾: رجعوا في المدّةِ عمّا حلفوا عليهِ. ﴿ثلاثة قروء﴾: حِيَضٍ، وقيلَ أطهار. ﴿بعولتهن﴾: أزواجُهُنَّ. ﴿درجة﴾: منزلةٌ وفضيلةٌ بالرّعايةِ والإنفاقِ. ﴿الطلاق مرّتان﴾: التّطليقُ الرّجعيُّ مرّةً بعدَ مرّةٍ. ﴿تسريح بإحسان﴾: طلاقٌ معَ أداءِ الحقوقِ وعدمِ المضارَّةِ. ﴿تلك حدود الله﴾: أحكامُهُ المفروضةُ.

(١) عن الكلبي ومقاتل: أن إسماعيل بن عبد الله العفاري طلق امرأته قتيلة على عهد رسول الله ﷺ ولم يعلم بحملها، ثم علم فراجعها فولدت فماتت ومات ولدها، فنزلت. «لباب النقول» (ص: ٣٤).

(٢) كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك له وإن طلقها ألف مرة، فطلق رجل امرأة له حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم طلقها وقال: والله لا أُؤويك إلي ولا أخليك أبداً، فنزلت. الترمذي (١١٩٢) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، ثم عن عروة لم يذكر فيه عن عائشة، وقال: هذا أصح.

(٣) قوله: «رواه الشيخان» البخاري (٢٦٣٩) و(٥٢٦٥)، ومسلم (١٤٣٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وفيه أن النبي ﷺ قال لزوجة رفاعة بعد أن طلقها مرتين: «لا تَحِلِّين لزوجك الأول حتى يذوق الآخَرُ عُسَيْلتك وتَذوقي عُسَيلته». وقد جعل الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢١٧) هذه القصة سبباً لنزول الآية، لكن قال الحافظ في «العجاب» (١/ ٥٨٦): وليس في شيء من طرقه أن الآية نزلت فيها، وإنما أوردته تبعاً للثعلبي لاحتمال أن يكون وقعت له رواية.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا
طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ
أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

انقضاء العِدّة، ﴿إنْ ظَنّا أنْ يُقِيما حُدُودَ اللهِ. وتِلكَ﴾ المذكوراتُ ﴿حُدُودُ اللهِ، يُبَيِّنُها لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾: يتدبّرون!

(٢٣١) ـ ﴿وإذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ، فبَلَغْنَ أَجلَهُنَّ﴾: قارَبْنَ انقضاءَ عِدّتهن، ﴿فأمسِكُوهُنَّ﴾ بأن تُراجعوهنّ ﴿بِمَعرُوفٍ﴾ من غير ضِرار، ﴿أو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾: اتركوهنّ حتى تنقضي عِدّتهن، ﴿ولا تُمسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرارًا﴾: مفعول لأجله، ﴿لِتَعتَدُوا﴾ عليهنّ بالإلجاء إلى الافتداء أو التطليق وتطويل الحبس ـ ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ فقَد ظَلَمَ نَفسَهُ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ـ ﴿ولا تَتَّخِذُوا آياتِ اللهِ هُزُوًا﴾(١): مَهزوءًا بها بمخالفتها، ﴿واذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ علَيكُم﴾ بالإسلام ﴿وما أنزَلَ علَيكُم مِنَ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ﴿والحِكْمَةِ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ بِأن تشكروها بالعمل به، ﴿واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيء.

نصف الحزب ٤

(٢٣٢) ـ ﴿وإذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ، فبَلَغْنَ أَجلَهُنَّ﴾: انقضتْ عِدّتهنّ، ﴿فلا تَعضُلُوهُنَّ﴾ ـ خطابٌ للأولياء ـ أي: تمنعوهنّ من ﴿أن يَنكِحْنَ أزواجَهُنَّ﴾ المطلِّقين لهنّ، لأنّ سبب نزولها أنّ أُخت مَعقِلِ بنِ يسار طلّقها زوجُها، فأراد أن يُراجعها فمنعها مَعقل كما رواه الحاكم(٢)، ﴿إذا تَراضَوا﴾ أي: الأزواجُ والنساء ﴿بَينَهُم بِالمَعرُوفِ﴾ شرعًا. ﴿ذلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كانَ مِنكُم يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ لأنه المنتفع به. ﴿ذلِكُم﴾ أي: ترك العضل ﴿أزكَى﴾: خيرٌ ﴿لَكُم، وأطهَرُ﴾ لكم ولهنّ، لِما يُخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما، ﴿واللهُ يَعلَمُ﴾ ما فيه المصلحة، ﴿وأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ ذلك. فاتَّبِعوا أمره.

(٢٣٣) ـ ﴿والوالِداتُ يُرضِعْنَ﴾ أي: لِيُرضِعْن ﴿أولادَهُنَّ حَولَينِ﴾: عامَينِ ﴿كامِلَينِ﴾: صفةٌ مؤكِّدة ـ ذلك ﴿لِمَن أرادَ أنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ـ ﴿وعلَى المَولُودِ لَهُ﴾ أي: الأبِ ﴿رِزقُهُنَّ﴾: إطعامُ الوالدات، ﴿وكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كنّ مطلَّقات ﴿بِالمَعرُوفِ﴾: بقدر طاقته ـ ﴿لا تُكَلَّفُ نَفسٌ إلّا وُسعَها﴾: طاقتَها. ﴿لا تُضارَّ والِدةٌ بِوَلَدِها﴾: بسببه بأن تُكره على إرضاعه إذا امتنعتْ، ﴿ولا﴾ يُضارَّ ﴿مَولُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي: بسببه بأن يُكلَّف فوق طاقته. وإضافةُ الولد إلى كلّ منهما في الموضعين للاستعطاف ـ ﴿وعلَى الوارِثِ﴾ أي: وارثِ الأب وهو الصبيُّ، أي: على وليّه في ماله ﴿مِثلُ ذلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة.

﴿فإنْ أرادا﴾ أي: الوالدان ﴿فِصالاً﴾: فِطامًا له قبل الحولَين، صادرًا ﴿عَن تَراضٍ﴾: اتّفاق ﴿مِنهُما، وتَشاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبيّ فيه، ﴿فلا جُناحَ علَيهِما﴾ في ذلك، ﴿وإنْ أرَدتُم﴾ ـ خطابٌ للآباء ـ ﴿أنْ تَستَرضِعُوا أولادَكُم﴾ مَراضعَ غيرَ الوالدات ﴿فلا جُناحَ علَيكُم﴾ فيه، ﴿إذا سَلَّمتُم﴾ إليهنّ ﴿ما آتَيتُم﴾، أي: أردتم إيتاءه لهنّ من الأُجرة ﴿بِالمَعرُوفِ﴾: بالجميل كطِيب النفس، ﴿واتَّقُوا اللهَ، واعلَمُوا أنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يخفى عليه شيء منه.

﴿فبلغن أجلهنّ﴾: شارفْنَ انقضاءَ عدَّتِهِنَّ. ﴿و لا تمسكوهنّ ضراراً﴾: مضارَّةً لهُنَّ. ﴿آيات الله هزواً﴾: سخريةً بالتَّهاوُنِ في المحافظةِ عليها. ﴿الكتاب والحكمة﴾: القرآنِ والسُّنَّةِ. ﴿فلا تعضلوهنّ﴾: فلا تمنعوهُنَّ. ﴿أزكى لكم﴾: أنمى وأنفعُ لكُم. ﴿وُسعها﴾: طاقتَها وقدرَ إمكانِها. ﴿و على الوارث﴾: وارثِ الولدِ عندَ عدمِ الأبِ. ﴿أرادا فصالاً﴾: فطاماً للولدِ قبلَ الحولَينِ.

(١) عن الحسن: كان الرجل في الجاهلية يطلق ثم يرجع، يقول: كنت لاعباً، ويعتق ثم يرجع يقول: كنت لاعباً، فأنزل الله: ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾، الحديث. ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٨٤٠٦) واللفظ له، والطبري في «تفسيره» (٤/ ١٨٤)، و«العجاب» (١/ ٥٨٩).

(٢) في «المستدرك» (٢٧١٩)، وهو عند البخاري (٥١٣٠).

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ
وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى
ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ
فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ
أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ
وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٧﴾

(٢٣٤) ـ ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ**﴾: يموتون ﴿**مِنكُم، وَيَذَرُونَ**﴾: يتركون ﴿**أَزواجًا، يَتَرَبَّصْنَ**﴾ أي: لِيتربّصْنَ ﴿**بِأنفُسِهِنَّ**﴾ بعدهم عن النكاح ﴿**أَربَعَةَ أَشهُرٍ وعَشْرًا**﴾ من الليالي ـ وهذا في غير الحوامل، وأمّا الحواملُ فعِدّتهنّ أن يضعن حملهنّ بآية «الطلاق»، والأمةُ على النِّصف من ذلك بالسُّنّة ـ ﴿**فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾: انقضتْ مُدّة تربُّصِهنّ ﴿**فلا جُناحَ عليكُم**﴾ ـ أيها الأولياء ـ ﴿**فِيما فَعَلْنَ في أنفُسِهِنَّ**﴾ من التزيُّن والتعرُّض للخُطّاب ﴿**بِالمَعرُوفِ**﴾ شرعًا. ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾: عالم بباطنه كظاهره.

(٢٣٥) ـ ﴿**ولا جُناحَ عليكُم فِيما عَرَّضتُم**﴾: لوّحتم ﴿**بِهِ، مِن خِطْبَةِ النِّساءِ**﴾[1]. المتوفَّى عنهنّ أزواجُهنّ في العِدّة ـ كقول الإنسان مثلاً: إنكِ لَجميلة، ومن يجدُ مِثلَكِ؟ ورُبَّ راغبٍ فيك ـ ﴿**أو أكنَنتُم**﴾: أضمرتم ﴿**في أنفُسِكُم**﴾ من قصد نكاحهنّ ـ ﴿**عَلِمَ اللهُ أَنَّكُم سَتَذكُرُونَهُنَّ**﴾ بالخِطبة ولا تصبرون عنهنّ، فأباح لكم التعريض ـ ﴿**ولكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا**﴾ أي: نكاحًا، ﴿**إلّا**﴾ لكن ﴿**أنْ تَقُولُوا قَولاً مَعرُوفًا**﴾ أي: ما عُرِف شرعًا من التعريض فلكم ذلك، ﴿**ولا تَعزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ**﴾ أي: على عَقدِه، ﴿**حَتّى يَبلُغَ الكِتابُ**﴾ أي: المكتوب من العِدّة ﴿**أَجَلَهُ**﴾ بأن ينتهي، ﴿**واعلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في أنفُسِكُم**﴾ من العزم وغيره. ﴿**فاحذَرُوهُ**﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم، ﴿**واعلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ لمن يحذره ﴿**حَلِيمٌ**﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقّها.

(٢٣٦) ـ ﴿**لا جُناحَ عليكُم، إنْ طَلَّقتُمُ النِّساءَ ما لَم تَمَسُّوهُنَّ**﴾ ـ وفي قراءة «تُماسُّوهُنَّ» ـ أي: تُجامعوهنّ، ﴿**أو**﴾ لم ﴿**تَفرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾ مَهرًا ـ وما: مصدريّة ظرفيّة، أي: لا تبعةَ عليكم في الطلاق زمنَ عدم المسيس والفرض بإثم ولا مَهر ـ فطلّقوهنّ ﴿**ومَتِّعُوهُنَّ**﴾: أعطوهنّ ما يتمتّعن به، ﴿**على المُوسِعِ**﴾: الغنيّ منكم ﴿**قَدَرُهُ، وعلى المُقتِرِ**﴾: الضيِّق الرزقِ ﴿**قَدَرُهُ**﴾[2] ـ يفيد أنّه لا نظر إلى قدر الزوجة ـ ﴿**مَتاعًا**﴾: تمتيعًا ﴿**بِالمَعرُوفِ**﴾ شرعًا: صفةُ «متاعًا»، ﴿**حَقًّا**﴾: صفةٌ ثانية أو مصدر مؤكِّد ﴿**على المُحسِنِينَ**﴾: المطيعين.

(٢٣٧) ـ ﴿**وإنْ طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ، وقد فَرَضتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً، فَنِصفُ ما فَرَضتُم**﴾ يجبُ لهنّ، ويرجع لكم النصف، ﴿**إلّا**﴾: لكنْ ﴿**أنْ يَعفُونَ**﴾ أي: الزوجاتُ فيتركْنَه، ﴿**أو يَعفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ**﴾ ـ وهو الزوجُ، فيتركَ لها الكلّ. وعن ابن عبّاس: الوليُّ إذا كانت محجورة ـ فلا حرج في ذلك[3]، ﴿**وأنْ تَعفُوا**﴾: مبتدأ خبره ﴿**أَقرَبُ لِلتَّقوَى، ولا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُم**﴾، أي: أن يتفضّل بعضكم على بعض. ﴿**إنَّ اللهَ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، فيجازيكم به.

﴿عرّضتم به﴾: لوّحتُم وأشرتُم بهِ. ﴿أكننتم﴾: أسررتُم وأخفيتُم. ﴿لا تواعدوهنّ سرًّا﴾: لا تذكروا لهُنَّ صريحَ النّكاحِ. ﴿يبلغ الكتاب أجله﴾: ينتهيَ المفروضُ مِنَ العدَّةِ. ﴿فريضة﴾: مهراً. ﴿متّعوهن﴾: أعطوهُنَّ ما يتمتَّعْنَ بهِ. ﴿الموسع﴾: ذي السَّعةِ والغنى. ﴿قدره﴾: قدرُ إمكانِهِ وطاقتِهِ. ﴿المقتر﴾: الفقيرِ الضَّيِّقِ الحالِ.

---

(١) قال ابن ظفر: قيل: كان السبب في نزولها أن الفاجر كان يدخل على المعتدة فتظهر له شدة الرغبة في التزويج فيطالبها بتعجيل الوقاع. «العجاب» (١/ ٥٩٥).

(٢) مجاهد: نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهراً ثم طلقها قبل أن يمسها. «العجاب» (١/ ٥٩٦) ولم أجده عن مجاهد عند غيره، وقاله مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٣) عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٨٥٢)، والطبري (٤/ ٣١٨ و٣٢٢).

حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ
فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا
وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ
خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ
مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ
بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾ مَّن
ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا
كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(٢٣٨) ـ ﴿**حافِظُوا علَى الصَّلَواتِ**﴾ الخمسِ بأدائها في أوقاتها، ﴿**والصَّلاةِ الوُسطَى**﴾[١] ـ هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال. وأفردها بالذكر لفضلها ـ ﴿**وقُومُوا للهِ**﴾ في الصلاة ﴿**قانِتِينَ**﴾. قيل: مُطيعِين، لقوله ﷺ: «كُلُّ قُنُوتٍ في القُرآنِ فهُوَ طاعةٌ»: رواه أحمد وغيره[٢] ـ وقيل: ساكتِين، لحديث زيدِ بن أرقمَ: «كُنَّا نَتكلَّمُ في الصَّلاةِ حتّى نَزَلَتْ، فأُمِرنا بالسُّكوتِ ونُهينا عنِ الكَلامِ»، رواه الشيخان[٣]. (٢٣٩) ـ ﴿**فإنْ خِفتُم**﴾ من عدوٍّ أو سيل أو سَبُع ﴿**فرِجالاً**﴾: جمعُ راجل أي: مُشاةً صلُّوا، ﴿**أو رُكبانًا**﴾: جمعُ راكب، أي: كيفَ أمكن، مستقبلِي القبلةِ أو غيرِها، ويُومأُ بالركوع والسجود، ﴿**فإذا أمِنتُم**﴾ من الخوفِ ﴿**فاذكُرُوا اللهَ**﴾ أي: صلّوا، ﴿**كما علَّمَكُم ما لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ**﴾ قبل تعليمه مِن فرائضها وحقوقِها. والكاف: بمعنى مِثل. وما: موصولة أو مصدريّة.

نصف الحزب ٤

(٢٤٠) ـ ﴿**والَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنكُم**﴾[٤]، ﴿**ويَذَرُونَ أزواجًا**﴾، فليوصوا ﴿**وَصِيَّةً**﴾ ـ وفي قراءة بالرفع، أي: عليهم ـ ﴿**لأزواجِهِم**﴾، ويعطوهنّ ﴿**مَتاعًا**﴾: ما يَتمتّعن به من النفقة والكسوة ﴿**إلَى**﴾ تمام ﴿**الحَولِ**﴾ من موتهم الواجبِ عليهنَّ تربُّصُه، ﴿**غيرَ إخراجٍ**﴾: حالٌ، أي: غيرَ مُخرَجاتٍ من مسكنهنّ، ﴿**فإنْ خَرَجْنَ**﴾ بأنفسهنّ ﴿**فلا جُناحَ علَيكُم**﴾ ـ يا أولياء الميّت ـ ﴿**فِيما فَعَلْنَ في أنفُسِهِنَّ مِن مَعرُوفٍ**﴾ شرعًا كالتزيّن وترك الإحداد وقطع النفقة عنها. ﴿**واللهُ عَزِيزٌ**﴾ في ملكه ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه. والوصيّةُ المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربّصُ الحول بآيةِ «أربعةَ أشهُرٍ وعَشرًا» السابقةِ المتأخّرةِ في النزول، والسُّكنى ثابتةٌ لها عند الشافعيّ.

(٢٤١) ـ ﴿**ولِلمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ**﴾ يُعطَونه ﴿**بالمَعرُوفِ**﴾ بقدر الإمكان ﴿**حَقًّا**﴾ نُصب بفعله المقدّر، ﴿**علَى المُتَّقِينَ**﴾[٥] اللهَ. كرّره ليَعمّ المَمسوسة أيضًا، إذِ الآية السابقة في غيرها. (٢٤٢) ـ ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما بَيّنَ لكم ما ذُكِرَ ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ**﴾ تتدبّرون.

(٢٤٣) ـ ﴿**أَلَم تَرَ**﴾ ـ استفهامُ تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده ـ أي: يَنتهِ عِلمُك ﴿**إلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم، وَهُم أُلُوفٌ**﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفًا، ﴿**حَذَرَ المَوتِ**﴾: مفعول له ـ وهم قوم من بني إسرائيل، وقع الطاعون ببلادهم ففرّوا ـ ﴿**فقالَ لَهُمُ اللهُ: مُوتُوا**﴾، فماتوا، ﴿**ثُمَّ أحياهُم**﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثرَ، بدُعاء نبيّهم حِزقِيل[٦]، بكسر المهملةِ والقافِ وسكون الزاي، فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يَلبَسون ثوبًا إلّا عاد كالكفن، واستمرّت في أسباطهم[٧]؟ ﴿**إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ علَى النّاسِ**﴾ ومنه إحياء هؤلاء، ﴿**ولكِنَّ**﴾

﴿الصّلاة الوسطى﴾: صلاةِ العصرِ لمزيدِ فضلِها. ﴿قانتين﴾: مُطيعينَ لله خاشعينَ. ﴿فرجالاً﴾: فصلُّوا مُشاةً على أرجلِكُم. ﴿للمطلقات متاع﴾: متعةٌ أو نفقةُ العدَّةِ.
﴿قرضاً حسناً﴾: احتساباً بِهِ عن طيبةِ نفسٍ. ﴿يقبض ويبسط﴾: يضيِّقُ على بعضٍ ويوسِّعُ على آخرينَ.

(١) عن زيد بن ثابت: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة، ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحابه منها، فنزلت ﴿حَافِظُوا..﴾ الآية. أحمد (٢١٥٩٥)، أبو داود (٤١١)، النسائي في «الكبرى» (٣٥٥)، الطبري (٤/ ٣٦٢).

(٢) لم أجده عند أحمد، ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٠٨) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وإسناده ضعيف لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم. وقد صح من قول قتادة، رواه عنه عبد الرزاق في «التفسير» (٢٣٣٦).

(٣) البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٥٣٩).

(٤) نزلَتْ في رجل من أهلِ الطّائفِ، هاجرَ إلى المدينةِ ومعه أبواه وامرأتُه وأولادُه، فمات، فنزلَتْ هذه الآيةُ، فأعطى رسولُ الله أولادَه ووالدَيه ميراثَه لـمَّا ماتَ، ولـم يُعطِ امرأتَه شيئًا، غيرَ أنَّه أمرَهم أن يُنفِقوا عليها من تركةِ زوجِها حولًا. الثعلبي (٦/ ٤٣٢)، والواحدي في «البسيط» (٤/ ٢٩٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه إسحاق بن راهويه كما في «العجاب» (١/ ٦٠٠) عن مقاتل بن حيان، وذكره أيضاً مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٢٠٢) وسمى الرجل: حكيم بن الأشرف.

(٥) قال ابن زيد: لما نزلت ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ الآية، قال رجل: إن أحسنتُ فعلتُ وإن لم أُرِدْ ذلك لم أفعل، فأنزل الله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. الطبري (٤/ ٤١٢)، «العجاب» (١/ ٦٠١).

(٦) رواه الطبري (٤/ ٤١٧) عن السدي.

(٧) رواه الطبري (٤/ ٤١٧) عن مجاهد.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ
قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ
قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ
قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ
قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ
ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ
وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٤٨

أكثَرَ النّاسِ﴾ ـ هم الكُفّار ـ **﴿لا يَشكُرُونَ﴾**. والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عُطف عليه:

٢٤٤ ـ **﴿وقاتِلوا في سَبيلِ اللهِ﴾** أي: لإعلاء دينه، **﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾** لأقوالكم **﴿عَلِيمٌ﴾** بأحوالكم فمُجازيكم. ٢٤٥ ـ **﴿مَن ذا الَّذي يُقرِضُ اللهَ﴾** بإنفاق ماله في سبيل الله **﴿قَرضًا حَسَنًا﴾**[1] بأن يُنفقه لله عن طيب قلب، **﴿فيُضاعِفُهُ﴾** ـ وفي قراءة: «فيُضَعِّفُهُ» بالتشديد ـ **﴿لَهُ أضعافًا كثِيرةً﴾** من عَشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتي؟ **﴿واللهُ يَقبِضُ﴾** يُمسِك الرزق عمّن يشاء ابتلاءً، **﴿ويَبسُطُ﴾**: يوسّعه لمن يشاء امتحانًا، **﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾** في الآخرة بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم.

٢٤٦ ـ **﴿ألَم تَرَ إلَى المَلَإِ﴾**: الجماعة **﴿مِن بَنِي إسرائيلَ مِن بَعدِ﴾** موت **﴿مُوسَى﴾** أي: إلى قصّتهم وخبرهم، **﴿إذ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾** هو شَمْوِيل: **﴿ابعَثْ﴾**: أقِمْ **﴿لَنا مَلِكًا، نُقاتِلْ﴾** معه **﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾** تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه؟ **﴿قالَ﴾** النبيّ لهم: **﴿هَل عَسَيتُم﴾** ـ بالفتح والكسر ـ **﴿إنْ كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتالُ ألّا تُقاتِلُوا﴾**؟ خبرُ «عسى»، والاستفهامُ لتقرير التوقّع بها. **﴿قالُوا: وما لَنا ألّا نُقاتِلَ في سَبِيلِ اللهِ، وقَد أُخرِجنا مِن دِيارِنا وأبنائِنا﴾** بسَبيِهم وقتلهم؟ وقد فعَل بهم ذلك قومُ جالوتَ، أي: لا مانع لنا منه مع وجود مُقتضيه. قال تعالى: **﴿فلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمِ القِتالُ تَوَلَّوا﴾** عنه وجَبُنوا **﴿إلّا قَلِيلاً مِنهُم﴾**. وهم الذين عبروا النهر مع طالوتَ كما سيأتي. **﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾** فمُجازيهم.

وسأل النبيُّ ربَّه إرسالَ ملِكٍ، فأجابه إلى إرسال طالوتَ، ٢٤٧ ـ **﴿وقالَ لَهُم نَبِيُّهُم: إنَّ اللهَ قَد بَعَثَ لَكُم طالُوتَ مَلِكًا. قالُوا: أنّى﴾**: كيف **﴿يَكُونُ لَهُ المُلكُ علَينا، ونَحنُ أحَقُّ بِالمُلكِ مِنهُ﴾** لأنّه ليس من سِبط المملكة ولا النبوّة، وكان دبّاغًا أو راعيًا، **﴿ولَم يُؤتَ سَعةً مِنَ المالِ﴾** يستعين بها على إقامة الملك؟ **﴿قالَ﴾** النبيّ لهم: **﴿إنَّ اللهَ اصطَفاهُ﴾**: اختاره للمُلك **﴿عَلَيكُم، وزادَهُ بَسطةً﴾**: سَعة، **﴿في العِلمِ والجِسمِ﴾** ـ وكان أعلمَ بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمّهم خَلقًا ـ **﴿واللهُ يُؤتِي مُلكَهُ مَن يَشاءُ﴾** إيتاءه لا اعتراض عليه، **﴿واللهُ واسِعٌ﴾** فضلُه **﴿عَلِيمٌ﴾** بمن هو أهل له.

٢٤٨ ـ **﴿وقالَ لَهُم نَبِيُّهُم﴾** لمّا طلبوا منه آية على مُلكه: **﴿إنَّ آيةَ مُلكِهِ أنْ يأتِيَكُمُ التّابُوتُ﴾**: الصُّندوقُ، كان فيه صوَر الأنبياء، أنزله الله على آدمَ واستمرّ إليهم، فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه، وكانوا يَستفتحون به على عدوّهم، ويقدّمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى: **﴿فِيهِ سَكِينةٌ﴾** طمأنينةٌ لقلوبكم **﴿مِن رَبِّكُم، وبَقِيّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وآلُ هارُونَ﴾** أي: تركاه هما ـ وهو نعلا موسى وعصاه وعِمامةُ هارونَ، وقَفيزٌ من المَنِّ الذي كان ينزل عليهم، ورُضاضٌ من الألواح ـ **﴿تَحمِلُهُ المَلائكةُ﴾**: حال من فاعل «يأتيكم». **﴿إنَّ في ذلِكَ لآيةً لَكُم﴾** على مُلكه، **﴿إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾**. فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه، حتّى وضعته عند طالوتَ، فأقرّوا بمُلكه وتسارعوا إلى الجهاد، فاختار من شُبّانهم سبعين ألفًا.

﴿الملإ﴾: وجوهِ القومِ وكُبرائِهم. ﴿عسيتم﴾: قاربتُم. ﴿أنّى يكون؟﴾: كيفَ أو مِن أينَ يكونُ؟. ﴿زاده بسطة﴾: سعةً وامتداداً وفضيلةً. ﴿يأتيكم التابوت﴾: صندوقُ التَّوراةِ. ﴿فيه سكينة﴾: سكونٌ وطمأنينةٌ لقلوبِكُم.

(١) عن ابن عمر قال: لما نزلت ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية قال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت. ابن حبان (٤٦٤٨).

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

﴿٢٤٩﴾ - ﴿فلمّا فَصَلَ﴾: خرج ﴿طالُوتُ بِالجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حَرًّا شديدًا وطلبوا منه الماء، ﴿قالَ: إنَّ اللهَ مُبتَلِيكُم﴾: مُختبِرُكم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليَظهرَ المطيعُ منكم والعاصي، وهو بين الأردنّ[١] وفلسطين[٢] ﴿فمَن شَرِبَ مِنهُ﴾ أي: مِن مائه ﴿فلَيسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي - ﴿ومَن لَم يَطعَمْهُ﴾: يَذقْه ﴿فإنَّهُ مِنِّي - إلّا مَنِ اغترَفَ غَرْفَةً﴾ - بالفتح[٣] والضمّ - ﴿بِيَدِهِ﴾، فاكتفى بها ولم يزد عليها، فإنه منّي. ﴿فشَرِبُوا مِنهُ﴾ لمّا وافوه بكثرة ﴿إلّا قَلِيلاً مِنهُم﴾ فاقتصروا على الغرفة. رُوي أنّها كفتهم لشربهم ودوابِّهم[٤]، وكانوا ثلاثَمِائَةٍ وبضعةَ عشرَ[٥].

﴿فلَمّا جاوَزَهُ هُوَ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، وهم الذين اقتصروا على الغرفة، ﴿قالُوا﴾ أي: الذين شربوا: ﴿لا طاقةَ﴾: قوّة ﴿لَنا اليَومَ بِجالُوتَ وجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم. وجَبُنوا ولم يجاوزوه. ﴿قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقنون ﴿أنَّهُم مُلاقُو اللهِ﴾ بالبعث، وهم الذين جاوزوه: ﴿كَم﴾: خبريةٌ بمعنى: كثيرٌ ﴿مِن فِئَةٍ﴾: جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته! ﴿واللهُ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

﴿٢٥٠﴾ - ﴿٢٥١﴾ - ﴿ولَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وجُنُودِهِ﴾ أي: ظهروا لقتالهم وتصافُّوا ﴿قالُوا: رَبَّنا، أفرِغْ﴾: اصبُبْ[٦] ﴿عَلَينا صَبرًا، وثَبِّتْ أقدامَنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد، ﴿وانصُرْنا على القَومِ الكافِرِينَ. فهَزَمُوهُم﴾: كسروهم ﴿بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿وقَتَلَ داوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جالُوتَ، وآتاهُ﴾ أي: داودَ ﴿اللهُ المُلكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿والحِكمَةَ﴾: النبوّة، بعد موت شَمْوِيلَ وطالوتَ، ولم يجتمعا لأحد قبله، ﴿وعَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ﴾ كصنعة الدُّروع ومنطق الطير. ﴿ولَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم﴾: بدلُ بعض من «الناس» ﴿بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأرضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجِد، ﴿ولكِنَّ اللهَ ذُو فَضلٍ على العالَمِينَ﴾، فدفع بعضَهم ببعض.

﴿٢٥٢﴾ - ﴿تِلكَ﴾: هذه الآيات ﴿آياتُ اللهِ، نَتلُوها﴾: نقصّها ﴿عَلَيكَ﴾ - يا محمّد - ﴿بِالحَقِّ﴾: بالصدق، ﴿وإنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ﴾. التأكيد بـ«إنَّ» وغيرِها[٧] ردٌّ لقول الكفار له: «لَستَ مُرسَلاً».

﴿فصل طالوت﴾: انفصلَ عن بيت المَقدسِ. ﴿مُبتليكم﴾: مُختبِرُكم وهوَ أعلمُ بأمرِكُم. ﴿اغترف﴾: أخذَ بيدِهِ دونَ الكَرْعِ. ﴿لا طاقة لنا﴾: لا قدرةَ ولا قوّةَ لنا. ﴿فئة﴾: جماعةٍ مِنَ النَّاسِ. ﴿برزوا﴾: ظهروا وانكشفوا. ﴿الحكمة﴾: النُّبوَّةَ.

(١) بمضمومةٍ وسكون راءٍ وضمِّ دالٍ مهملةٍ وشدَّة نونٍ: نهرٌ معروفٌ، وفي «القاموسِ»: كورةٌ بالشَّامِ. (الجمالين).

(٢) بكسر فاءٍ، وقد يُفتحُ: بلادُ بيتِ المقدسِ. (الجمالين).

(٣) لنافعٍ والمكّيِّ والبصريِّ. (الجمالين).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٧٤) عن الحسن، وروى معناه عن ابن عباس.

(٥) رواه البخاري (٣٩٥٨) عن البراء رضي الله عنه.

(٦) على وزنِ انصُرْ. (الجمالين).

(٧) من اللاَّمِ والجملةِ الاسميَّةِ. (الجمالين).

۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن
بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا
بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

﴿٢٥٣﴾ ـ ﴿**تِلكَ**﴾: مبتدأ ﴿**الرُّسُلُ**﴾: صفة، والخبر ﴿**فَضَّلْنا بَعضَهُم على بَعضٍ**﴾ بتخصيصه بمَنقبة ليست لغيره، ﴿**مِنهُم مَن كَلَّمَ اللهُ**﴾ كموسى، ﴿**ورَفَعَ بَعضَهُم**﴾ أي: محمّدًا ﴿**دَرَجاتٍ**﴾ على غيره بعموم الدعوة وختم النبوّة به وتفضيل أُمّته على سائر الأُمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة، ﴿**وآتَينا عِيسَى ابنَ مَريَمَ البَيِّناتِ، وأيَّدْناهُ**﴾: قوّيناه ﴿**بِرُوحِ القُدُسِ**﴾: جبريلَ، يسير معه حيث سار.

﴿**ولَو شاءَ اللهُ**﴾ هُدى الناسِ جميعًا ﴿**ما اقتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعدِهِم**﴾: بعدِ الرسل، أي: أُممُهم ﴿**مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّناتُ**﴾ لاختلافهم، وتضليلِ بعضهم بعضًا، ﴿**ولكِنِ اختَلَفُوا**﴾ لمشيئته ذلك ـ ﴿**فَمِنهُم مَن آمَنَ**﴾: ثَبتَ على إيمانه، ﴿**ومِنهُم مَن كَفَرَ**﴾ كالنصارى بعد المسيح ـ ﴿**ولَو شاءَ اللهُ ما اقتَتَلُوا**﴾: تأكيدٌ، ﴿**ولكِنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يُرِيدُ**﴾ مِن توفيق مَن شاء وخُذلان مَن شاء.

﴿٢٥٤﴾ ـ ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أنفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُم**﴾ زكاتَه ﴿**مِن قَبلِ أنْ يأتِيَ يَومٌ، لا بَيعٌ**﴾: فِداء ﴿**فِيهِ ولا خُلَّةٌ**﴾: صداقة تنفع ﴿**ولا شَفاعَةٌ**﴾ بغير إذنه، وهو يوم القيامة. وفي قراءة برفع الثلاثة. ﴿**والكافِرُونَ**﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿**هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ لوضعهم أمرَ الله في غير محلّه.

﴿٢٥٥﴾ ـ ﴿**اللهُ لا إلَـهَ**﴾ أي: لا معبودَ بحقّ في الوجود ﴿**إلّا هُوَ، الحَيُّ**﴾: الدائم البقاء ﴿**القَيُّومُ**﴾: المُبالِغ في القيام بتدبير خلقه، ﴿**لا تأخُذُهُ سِنةٌ**﴾: نُعاسٌ ﴿**ولا نَومٌ، لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**مَن ذا الَّذِي**﴾ أي: لا أحدَ ﴿**يَشفَعُ عِندَهُ إلّا بِإذنِهِ**﴾ له فيها؟ ﴿**يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم**﴾ أي: الخلقِ ﴿**وما خَلفَهُم**﴾. أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿**ولا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِهِ**﴾: لا يعلمون شيئًا من معلوماته ﴿**إلّا بِما شاءَ**﴾ أن يُعلِمَهم به منها بإخبار الرسل، ﴿**وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّماواتِ والأرضَ**﴾ ـ قيل: أحاط علمُه بهما. وقيل: مُلكُه. وقيل: الكرسيُّ بعَينِه مشتمل عليهما لعظمته لحديثِ «ما السَّماواتُ السَّبعُ في الكُرسيِّ إلّا كَدَراهِمَ سَبعةٍ أُلقِيَتْ في تُرْسٍ»[1] ـ ﴿**ولا يَؤُودُهُ**﴾: يُثقِله ﴿**حِفظُهُما**﴾ أي: السماواتِ والأرضِ، ﴿**وهُوَ العَلِيُّ**﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿**العَظِيمُ**﴾: الكبير.

﴿٢٥٦﴾ ـ ﴿**لا إكراهَ في الدِّينِ**﴾ على الدخول فيه. ﴿**قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ أي: ظهر بالآيات البيّنات أنّ الإيمانَ رشد والكفرَ غيّ. نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد[2]، أراد أن يكرههم على الإسلام. ﴿**فَمَن يَكفُرْ بِالطّاغُوتِ**﴾: الشيطانِ أو الأصنام ـ وهو يُطلق على المفرد والجمع ـ ﴿**ويُؤمِنْ بِاللهِ فَقَدِ استَمسَكَ**﴾: تمسّك ﴿**بِالعُروَةِ الوُثقَى**﴾: بالعَقد المُحكَم ﴿**لا انفِصامَ**﴾: انقطاعَ ﴿**لَها. واللهُ سَمِيعٌ**﴾ لما يقال ﴿**عَلِيمٌ**﴾ بما يُفعل.

﴿بروح القدس﴾: جبريلَ عليهِ السَّلامُ. ﴿لا خُلّة﴾: لا مودّةٌ ولا صداقةٌ. ﴿الحيّ﴾: الدَّائمُ الحياةِ بلا زوالٍ. ﴿القيّوم﴾: الدَّائمُ القيامِ بتدبيرِ الخلقِ وحفظِهم. ﴿سِنةٌ﴾: نعاسٌ وغفوةٌ. ﴿لا يؤوده﴾: لا يُثقِلُهُ، ولا يشقُّ عليهِ. ﴿تبين الرّشد﴾: تميّزَ الهدى والإيمانُ. ﴿من الغيّ﴾: مِنَ الضَّلالةِ والكفرِ. ﴿بالطّاغوت﴾: ما يُطغي مِن صنمٍ وشيطانٍ ونحوِهما. ﴿بالعروة الوُثقى﴾: بالعقيدةِ المُحكمةِ الوثيقةِ. ﴿لا انفصام لها﴾: لا انقطاعَ ولا زوالَ لها.

(١) قوله: «ما السَّماوات السَّبع في الكرسي..» رواه الطبري (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٢٢)، من طريق زيد بن أسلم عن النبي ﷺ. وذكره الثعلبي (٧/ ١٠٥) من قول أبي موسى والسدي وغيرهما.

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٤٦). بإسناد صحيح عن ابن عباس: كانت المرأة تكون مقلاتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا نَدَع أبناءنا! فأنزل الله تعالى: ﴿إكراه في الدين﴾. وعن ابن عباس: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك. الطبري (٤/ ٥٤٧ ـ ٥٤٨) عن ابن عباس والسدي.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

(٢٥٧) ـ ﴿**اللهُ وَلِيُّ**﴾: ناصرُ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا، يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾[١]: الإيمان، ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا أولياؤُهُمُ الطّاغُوتُ، يُخرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إلَى الظُّلُماتِ**﴾. ذِكرُ الإخراج إمّا في مقابلة قوله «يُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ»، أو فيمن آمن بالنبيّ قبل بَعثِه من اليهود ثمّ كفر به، ﴿**أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾.

(٢٥٨) ـ ﴿**ألَم تَرَ إلَى الَّذِي حاجَّ**﴾: جادلَ ﴿**إبراهِيمَ في رَبِّهِ**﴾، لـ ﴿**أنْ آتاهُ اللهُ المُلكَ**﴾ أي: حملَه بطرُه بنعمة الله على ذلك ـ وهو نُمروذُ ـ ﴿**إذ**﴾: بدلٌ من «حاجَّ» ﴿**قالَ إبراهِيمُ**﴾ لمّا قال له: «مَن ربُّك الذي تدعونا إليه»؟: ﴿**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ**﴾ أي: يخلقُ الحياة والموت في الأجساد. ﴿**قالَ**﴾ هو: ﴿**أنا أُحْيِي وأُمِيتُ**﴾ بالقتل والعفو عنه. ودعا برجلين[٢]، فقتلَ أحدَهما وتَركَ الآخَرَ. فلمّا رآه غبيًّا ﴿**قالَ إبراهِيمُ**﴾ منتقلاً إلى حُجّةٍ أوضحَ منها: ﴿**فإنَّ اللهَ يأتِي بالشَّمسِ مِنَ المَشرِقِ. فأْتِ بِها**﴾ أنت ﴿**مِنَ المَغرِبِ. فبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾: تَحيَّرَ ودَهِشَ. ﴿**واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾ بالكفر إلى مَحجّة الاحتجاج. (٢٥٩) ـ ﴿**أو**﴾ رأيتَ ﴿**كالَّذِي**﴾ ـ الكاف: زائدة ـ ﴿**مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ**﴾ هي بيت المَقدس، راكبًا على حمار، ومعه سلّةُ تينٍ وقَدَحُ عَصير ـ وهو عُزَيرٌ ـ ﴿**وهِيَ خاوِيةٌ**﴾: ساقطة ﴿**عَلَى عُرُوشِها**﴾: سُقوفِها، لمّا خرّبها بُختَنَصَّرُ، ﴿**قالَ: أنَّى**﴾: كيف ﴿**يُحيِي هذِهِ اللهُ بَعدَ مَوتِها**﴾؟ استعظامًا لقُدرته تعالى. ﴿**فأماتَهُ اللهُ**﴾ وألبثه ﴿**مِائَةَ عامٍ، ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾: أحياه ليُريَه كيفيّة ذلك، ﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**كَم لَبِثتَ**﴾: مكثتَ هنا؟ ﴿**قالَ: لَبِثتُ يَومًا أو بَعضَ يَومٍ**﴾، لأنّه نام أوّل النهار فقُبِض، وأُحيِي عند الغُروب فظنَّ أنّه يومُ النوم.

﴿**قالَ: بَل لَبِثتَ مِائَةَ عامٍ. فانظُرْ إلَى طَعامِكَ**﴾ التينِ ﴿**وشَرابِكَ**﴾ العَصير، ﴿**لَم يَتَسَنَّهْ**﴾: لم يتغيّر مع طول الزمان ـ والهاء قيل: أصلٌ من «سانهتُ». وقيل: للسَّكت من «سانيتُ» وفي قراءة بحذفها ـ ﴿**وانظُرْ إلَى حِمارِكَ**﴾ كيف هو؟ فرآه ميتًا وعظامه بيض تلوح، فعلْنا ذلك لتعلم، ﴿**ولِنَجعَلَكَ آيةً**﴾ على البعث ﴿**لِلنّاسِ، وانظُرْ إلَى العِظامِ**﴾ من حِمارك، ﴿**كَيفَ نُنشِزُها**﴾: نُحيِيها ـ بضمِّ النون وفتحِها من «أنشَرَ ونَشَرَ» لغتانِ. وفي قراءة بضمِّها والزاي: نُحرّكها ونَرفعها ـ ﴿**ثُمَّ نَكسُوها لَحمًا**﴾؟ فنظر إليها، وقد تركّبت وكُسيت لحمًا ونُفخ فيه الروح ونَهَقَ، ﴿**فلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ**﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿**قالَ: أعلَمُ**﴾ عِلمَ مشاهدةٍ ﴿**أنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾. وفي قراءة: «اعلَمْ» أمرٌ من الله له.

﴿الذي حاجّ إبراهيم﴾: هو نمرودُ بنُ كنعان الجبّارُ. ﴿فبُهِتَ﴾: غُلِبَ وتحيّرَ وانقطعَتْ حُجّتُهُ. ﴿خاوية على عروشها﴾: ساقطةٌ على سقوفِها الّتي سقطَتْ. ﴿أنّى يحيي؟﴾: كيفَ أو متى يُحيي؟. ﴿لم يتسنّه﴾: لم يتغيَّرْ معَ مرورِ السِّنينَ عليهِ. ﴿ننشزها﴾: نرفعُها مِنَ الأرضِ لنؤلِّفَها.

(١) عن عَبدةَ بن أبي لُبابَةَ: هم الذين كانوا آمنوا بعيسى، فلمّا جاءهم محمدٌ ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية. الطبري (٤/ ٥٦٥)، «العجاب» (١/ ٦١٥).

(٢) رواه الطبري (٤/ ٥٧١ و٥٧٤) عن قتادة والربيع.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
٢٦٠ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ
يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ
أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ٢٦٢ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ
يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ
رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ
صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٦٤

٢٦٠ ـ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قالَ إبراهيمُ: رَبِّ، أرِني كيفَ تُحيي الموتَى؟ قالَ﴾ تعالى له: ﴿أوَلَم تُؤمِنْ﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك، ليُجيبه بما سأل، فيَعلم السامعون غرضه. ﴿قالَ: بَلَى﴾ آمنتُ، ﴿ولكِن﴾ سألتكَ ﴿لِيَطمَئِنَّ﴾: يسكن ﴿قَلبِي﴾ بالمُعاينة المضمومة إلى الاستدلال.

﴿قالَ: فخُذْ أربعَةً مِنَ الطَّيرِ، فصُرْهُنَّ إليكَ﴾، بكسر الصاد وضمّها: أمِلْهنّ إليك، وقطّعْهنّ واخلِطْ لحمهنّ وريشهنّ، ﴿ثُمَّ اجعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضكَ ﴿مِنهُنَّ جُزءًا، ثُمَّ ادعُهُنَّ﴾ إليك، ﴿يأتِينَكَ سَعْيًا﴾: سريعًا، ﴿واعلَمْ أنَّ اللهَ عَزيزٌ﴾: لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. فأخذ طاووسًا ونسرًا وغُرابًا وديكًا[1]، وفعل بهنّ ما ذُكر، وأمسك رؤوسهنّ عنده ودعاهنّ، فتطايرَتِ الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملتْ، ثم أقبلتْ إلى رؤوسها.

٢٦١ ـ ﴿مَثَلُ﴾: صِفةُ نفقاتِ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبَتَتْ سَبعَ سَنابِلَ، في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ ـ فكذلك نفقاتُهم تُضاعفُ لسبعِمائَةِ ضِعف. ﴿واللهُ يُضاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَن يَشاءُ، واللهُ واسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ المُضاعفة ـ ٢٦٢ ـ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم في سَبِيلِ اللهِ[2]، ثُمَّ لا يُتبِعُونَ ما أنفَقُوا مَنًّا﴾ على المُنفَقِ عليه بقولهم مَثلاً: «قد أَحسنتُ إليه وجبرتُ حاله»، ﴿ولا أذًى﴾ له بِذكر ذلك لمن لا يُحبّ وقوفَه عليه ونحوِه، ﴿لَهُم أجرُهُم﴾: ثواب إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ عَلَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٢٦٣ ـ ﴿قَولٌ مَعرُوفٌ﴾: كلام حسن وردٌّ على السائل جميل، ﴿ومَغفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه، ﴿خَيرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتبَعُها أذًى﴾ بالمنّ وتعييرٌ له بالسؤال، ﴿واللهُ غَنِيٌّ﴾ عن صَدَقة العِباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المانِّ والمؤذي. ٢٦٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُبطِلُوا صَدَقاتِكُم﴾ أي: أُجورَها ﴿بالمَنِّ والأذَى﴾ إبطالاً ﴿كالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مالَه رِئاءَ النّاسِ﴾ مُرائيًا لهم، ﴿ولا يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ ـ وهو المُنافق ـ ﴿فمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفوانٍ﴾: حجرٍ أملسَ ﴿عَلَيهِ تُرابٌ، فأصابَهُ وابِلٌ﴾: مطر شديد، ﴿فتَرَكَهُ صَلدًا﴾: صُلبًا أملس لا شيء عليه. ﴿لا يَقدِرُونَ﴾ ـ استئناف لبيان مَثَل المُنافق المُنفق رياءً. وجُمع الضمير باعتبار معنى «الذي» ـ ﴿على شَيءٍ مِمّا كَسَبُوا﴾: عملوا، أي: لا يجدون له ثوابًا في الآخرة كما لا يُوجد على الصفْوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ﴾.

﴿فصرهنّ إليك﴾: أمِلْهنَّ: أو قطِّعْهُنَّ ممالةً إليكَ. ﴿منًّا﴾: عدّاً للإحسان وإظهاراً لهُ. ﴿أذىً﴾: تطاولاً وتفاخراً بالانفاقِ أو تبرُّماً منهُ. ﴿رئاء النّاس﴾: مُراءاةً لهُم وسُمعةً لا لوجهِ اللهِ تعالى. ﴿صفوان﴾: حجرٍ كبيرٍ أملسَ. ﴿وابل﴾: مطرٌ شديدٌ عظيمُ القطرِ. ﴿صلداً﴾: أجردَ نقيّاً مِنَ التُّرابِ.

(١) الثعلبي (٧/ ٢٠١) عن ابن عباس. وعنه من رواية الضحاك: «وَزٌّ ورَأْلٌ وديكٌ وطاووسٌ». والرَّأْلُ: فَرْخ النَّعام. ومن رواية حنش: «الغُرْنوقُ والطَّاووسُ والدِّيكُ والحمامةُ». والغُرْنوقُ: الكُرْكي. ابن أبي حاتم (٢/ ٥١٠ و٥١١).

(٢) نزلت في عثمان في نفقته في غزاة تبوك، وفي شرائه رومة ـ ركيّة بالمدينة ـ وتصدُّقِه بها على المسلمين، وفي عبد الرحمن بن عوف حين تصدق بأربعةِ آلاف درهم وكان نصف ماله. «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٢١٩)، وذكره الثعلبي (٧/ ٢٢٦)، والواحدي (ص: ٨٧)، عن الكلبي.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩

٢٦٥ ـ ﴿**وَمَثَلُ**﴾ نفقاتِ ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أموالَهُمُ ابتِغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**مَرضاةِ اللهِ وتَثبِيتًا مِن أنفُسِهِم**﴾ أي: تحقيقًا للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له ـ ومِن: ابتدائيّة ـ ﴿**كَمَثَلِ جَنّةٍ**﴾: بستانٍ ﴿**بِرُبْوةٍ**﴾، بضمّ الراء وفتحها: مكانٍ مرتفع مستو، ﴿**أصابَها وابِلٌ فآتَتْ**﴾: أعطت ﴿**أُكْلَها**﴾، بضمّ الكاف وسكونها: ثمرَها ﴿**ضِعفَينِ**﴾: مِثلَي ما يُثمر غيرُها، ﴿**فإنْ لَم يُصِبْها وابِلٌ فطَلٌّ**﴾: مطرٌ خفيف يُصيبها ويكفيها لارتفاعها. المعنى: تُثمر وتزكو، كَثُرَ المطرُ أم قلّ. فكذلك نفقات مَن ذُكِرَ تزكو عند الله، كَثُرَتْ أم قلّت. ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، فيجازيكم به.

٢٦٦ ـ ﴿**أيَوَدُّ**﴾: أيُحبّ ﴿**أحَدُكُم أنْ تَكُونَ لَهُ جَنّةٌ**﴾: بستانٌ ﴿**مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، لَهُ فِيها**﴾ ثمرٌ ﴿**مِن كُلِّ الثَّمَراتِ**، و﴾ قد ﴿**أصابَهُ الكِبَرُ**﴾ فضَعُفَ من الكبَر عن الكسب، ﴿**ولَهُ ذُرِّيّةٌ ضُعَفاءُ**﴾: أولاد صغار لا يقدرون عليه، ﴿**فأصابَها إعصارٌ**﴾: ريح شديدة ﴿**فِيهِ نارٌ فاحتَرَقَتْ**﴾، ففقَدَها أحوجَ ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عَجَزةً متحيّرين لا حيلة لهم؟ وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ في ذهابها وعدم نفعها، أحوجَ ما يكون إليها في الآخرة. والاستفهام بمعنى النفي وعن ابن عبّاس: هو لرجل عمل بالطاعات، ثمّ بُعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتّى أحرقَ أعماله. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما بيّنَ ما ذُكر ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ، لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ**﴾ فتعتبرون. ٢٦٧ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أنفِقُوا**﴾ أي: زكّوا ﴿**مِن طَيِّباتِ**﴾: جيادِ ﴿**ما كَسَبتُم**﴾ من المالِ، ﴿**ومِـ**﴾ـن طيّبات ﴿**ـمّا أخرَجْنا لَكُم مِنَ الأرضِ**﴾ من الحُبوب والثِّمار، ﴿**ولا تَيَمَّمُوا**﴾: تقصِدوا ﴿**الخَبِيثَ**﴾: الرديء ﴿**مِنهُ**﴾ أي: من المذكور، ﴿**تُنفِقُونَـ**﴾[1] ـه في الزكاة: حالٌ من ضمير «تيَمّموا»، ﴿**ولَستُم بآخِذِيهِ**﴾ أي: الخبيثِ، لو أُعطيتُموه في حقوقكم، ﴿**إلّا أنْ تُغمِضُوا فِيهِ**﴾ بالتساهل وغضّ البصر. فكيف تؤدّون منه حقَّ الله؟ ﴿**واعلَمُوا أنَّ اللهَ غَنِيٌّ**﴾ عن نفقاتكم ﴿**حَمِيدٌ**﴾: محمود على كلّ حال.

٢٦٨ ـ ﴿**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ**﴾ يُخوّفكم به إن تصدّقتم فتُمسكوا، ﴿**ويأمُرُكُم بِالفَحشاءِ**﴾: البُخل ومنع الزكاة، ﴿**واللهُ يَعِدُكُم**﴾ على الإنفاق ﴿**مَغفِرةً مِنهُ**﴾ لذُنوبكم ﴿**وفَضلًا**﴾: رزقا خَلَفًا منه. ﴿**واللهُ واسِعٌ**﴾ فضله ﴿**عَلِيمٌ**﴾ بالمُنفِق، ٢٦٩ ـ ﴿**يُؤتِي الحِكمةَ**﴾ أي: العلمَ النافع المؤدّيَ إلى العمل ﴿**مَن يَشاءُ. ومَن يُؤتَ الحِكمةَ فقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا**﴾ لمَصيره إلى السعادة الأبديّة. ﴿**وما يَذَّكَّرُ**﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: يتّعظُ ﴿**إلّا أُولُو الألبابِ**﴾: أصحابُ العقول.

﴿تثبيتاً﴾: تصديقاً ويقيناً بثوابِ الإنفاقِ. ﴿جنّة بربوة﴾: بستانٍ بمرتفعٍ مِنَ الأرضِ. ﴿أُكُلها﴾: ثمرُها الَّذي يؤكَلُ. ﴿فطلّ﴾: فمطرٌ خفيفٌ (رذاذٌ). ﴿إعصار﴾: ريحٌ عاصفٌ (زوبعةٌ). ﴿فيه نار﴾: سمومٌ شديدٌ أو صاعقةٌ. ﴿لا تيمّموا الخبيث﴾: لا تقصدوا المالَ الرَّديءَ. ﴿تُغمضوا فيه﴾: تتساهلوا وتتسامحوا في أخذِهِ.

---

(١) كانت الأنصار تُخرِجُ إذا كان جِدادُ النَّخل من حيطانها أقناءً من التَّمرِ والبُسْر، فيعلِّقونها على حبلٍ بين أسطوانَتَين في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فيأكُلُ منه فقراءُ المهاجرين، وكان الرَّجلُ يعمِدُ فيُدخِلُ قِنْوَ الحَشَفِ فيه وهو يظنُّ أنَّه جائزٌ عنه في كثرة ما يُوضَعُ من الأقْناءِ، فنزلَ فيمَن فعلَ ذلك هذه الآية. الترمذي (٢٩٨٧) وصححه، وابن ماجه (١٨٢٢)، عن البراء رضي الله عنه، والقنوُ: العذقُ بما فيه من الرُّطب، والحشَفُ: رديءُ التَّمر. وعن جابر رضي الله عنه: لـمَّا أمرَ النَّبيُّ ﷺ بصدقةِ الفطرِ جاء رجلٌ بتمرٍ رديءٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ. الحاكم في «المستدرك» (٣١٢٢) وصحَّحه.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن
سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ
عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا
تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا
ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ
يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ
خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

(٢٧٠) ـ ﴿**وما أنفقتُم مِن نَفَقةٍ**﴾: أدّيتم من زكاة أو صدقة، ﴿**أو نَذَرتُم مِن نَذرٍ**﴾ فوفَيتم به، ﴿**فإنَّ اللهَ يَعلَمُهُ**﴾ فيجازيكم عليه. ﴿**وما لِلظّالِمينَ**﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محلّه من معاصي الله، ﴿**مِن أنصارٍ**﴾: مانعين لهم من عذابه.

(٢٧١) ـ ﴿**إنْ تُبدوا**﴾: تُظهِروا ﴿**الصَّدَقاتِ**﴾ أي: النوافلَ ﴿**فنِعِمّا هِيَ**﴾[1] أي: نِعْمَ شيئًا إبداؤها! ﴿**وإنْ تُخفُوها**﴾: تُسِرّوها ﴿**وتُؤتُوها الفُقَراءَ فهُوَ خَيرٌ لكُم**﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياءَ ـ أمّا صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليُقتدى به ولئلا يُتّهَم، وإيتاؤها الفقراءَ مُتعيِّنٌ ـ ﴿**ويُكَفِّرُ**﴾ ـ بالياء، وبالنون مجزومًا بالعطف على محلّ «فهو»، ومرفوعًا على الاستئناف ـ ﴿**عَنكُم مِن**﴾ بعضِ ﴿**سَيِّئاتِكُم. واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبيرٌ**﴾: عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه.

ولمّا مَنَع رسولُ الله ﷺ من التصدّق على المشركين ليُسلمُوا نزل[2]: (٢٧٢) ـ ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُداهُم**﴾ أي: الناسِ إلى الدخول في الإسلام، إنّما عليك البلاغ ـ ﴿**ولكنَّ اللهَ يَهدي مَن يَشاءُ**﴾ هدايتَه إلى الدخول فيه ـ ﴿**وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ**﴾: مال ﴿**فلِأنفُسِكُم**﴾ لأنّ ثوابه لَها، ﴿**وما تُنفِقُونَ إلّا ابتِغاءَ وَجهِ اللهِ**﴾ أي: ثوابِهِ لا غيره من أعراض الدنيا، خبرٌ بمعنى النهي، ﴿**وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ يُوَفَّ إلَيكُم**﴾ جزاؤه، ﴿**وأنتُم لا تُظلَمُونَ**﴾: تُنقَصون منه شيئًا. والجملتان تأكيد للأولى.

(٢٧٣) ـ ﴿**لِلفُقَراءِ**﴾: خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي: الصدقاتُ لهم، ﴿**الَّذينَ أُحصِرُوا في سَبيلِ اللهِ**﴾[3] أي: حَبَسوا أنفُسَهم على الجهاد ـ نزلتْ في أهل الصُّفّة، وهم أربعُمِائَةٍ من المهاجرين، أرصَدوا لتعلّم القرآن والخروج مع السرايا ـ ﴿**لا يَستَطيعُونَ ضَربًا**﴾: سَفَرًا ﴿**في الأرضِ**﴾ للتجارة والمعاش لشُغلهم عنه بالجهاد، ﴿**يَحسَبُهُمُ الجاهِلُ**﴾ بحالهم ﴿**أغنياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ أي: لتعفّفِهم عن السؤال وتركِه، ﴿**تَعرِفُهُم**﴾ ـ يا مُخاطَبًا ـ ﴿**بِسِيماهُم**﴾: علامتِهم من التواضع وأثر الجَهد، ﴿**لا يَسألُونَ النّاسَ**﴾ شيئًا فيُلحِفون ﴿**إلحافًا**﴾ أي: لا سؤالَ لهم أصلاً، فلا يقع منهم إلحاف، وهو الإلحاح.

(٢٧٤) ـ ﴿**وما تُنفِقُوا مِن خَيرٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَليمٌ**﴾، فمُجازٍ عليه. ﴿**الَّذينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم باللَّيلِ والنَّهارِ**﴾[4] **سِرًّا وعَلانيةً فلَهُم أجرُهُم عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾.

﴿أحصروا﴾: حبسَهُمُ الجهادُ عنِ التَّصرُّفِ. ﴿ضرباً﴾: ذهاباً وسيراً للتَّكسُّبِ. ﴿التعفف﴾: التَّنزُّهِ عنِ السُّؤالِ. ﴿بسيماهم﴾: بهيئَتِهِمُ الدَّالَّةِ على الفاقةِ والحاجةِ. ﴿إلحافاً﴾: إلْحاحاً في السُّؤال.

(١) الكلبيُّ: لمَّا نزلَ: ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ قيلَ: يا رسولَ الله، صدقةُ السِّرِّ أفضلُ أم صدقةُ العلانيةِ؟ فنزلت. الواحديُّ (ص: ٨٩)، وبلا نسبة الثعلبي (٧/ ٣١٦). وعن الشعبي: أنزلت في أبي بكر وعمر: جاء عمر بنصف ماله، وجاء أبو بكر بماله كله يكاد يخفيه من نفسه، فدفعاه للنبي ﷺ. ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٦)، و«العجاب» (١/ ٦٢٧).

(٢) ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٧)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١١٥)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٣٩٨)، والواحدي (ص: ٨٩)، عن سعيد بن جبير مرسلًا. وروى النسائي في «الكبرى» (١٠٩٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٢٨) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم كانوا يكرهون أن يَرضخوا لأنسابِهم وهم مشركون فنزلت.

(٣) عن ابن عباس: نزلت في الفقراء أهل الصفة مهاجرة الأعراب. ذكره ابن ظفر كما في «العجاب» (١/ ٦٣٣)، ولم أجده عند غيره. وعن سعيد بن جبير: نزلت في قوم أصابتهم جراحات في سبيل الله فصاروا زمنى. «الهداية» لمكي (١/ ٩٠٣). ورواه دون قوله: «نزلت في» ابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٠)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٢/ ٨٩).

(٤) عن ابن عباس: نزلَتْ في عليٍّ رضي الله عنه، كان عندَه أربعةُ دراهمَ، فتصدَّقَ بدرهمٍ سرًّا، ودرهمٍ علانيةً، ودرهمٍ ليلاً، ودرهمٍ نهارًا. عبد الرزاق (٣٤٤)، ومن طريقه الطبري (٥/ ٣٣)، والواحدي (ص: ٩١)، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد متروك. وذكره الواحدي (ص: ٩٢) عن الكلبي، ومقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٢٥). وروي عن عريب المليكي مرفوعاً: «أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَصْحَابِ الْخَيْلِ». ابن المنذر في «تفسيره» (١٨)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٨٨)، والواحدي (ص: ٩٠). وفيه سعيد بن سنان وهو متروك.

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ
مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ
مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ
عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ
فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ
أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿٢٧٥﴾ ـ ﴿**الَّذِينَ يأْكُلُونَ الرِّبا**﴾ أي: يأخذونه ـ وهو الزيادة في المُعاملة بالنقود والمطعومات في القَدْر أو الأجَل ـ ﴿**لا يَقُومُونَ**﴾ من قبورهم ﴿**إلَّا**﴾ قيامًا ﴿**كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ**﴾: يصرَعه ﴿**الشَّيطانُ، مِنَ المَسِّ**﴾ الجنونِ بهم، متعلّق بـ «يقومون». ﴿**ذلِكَ**﴾ الّذي نزل بهم ﴿**بِأَنَّهُم**﴾: بسبب أنّهم ﴿**قالُوا: إنَّما البَيْعُ مِثْلُ الرِّبا**﴾ في الجواز. وهذا من عكس التشبيه مُبالغةً.

فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿**وأَحَلَّ اللهُ البَيعَ وحَرَّمَ الرِّبا. فَمَن جاءَهُ**﴾: بلغه ﴿**مَوعِظَةٌ**﴾: وعظٌ ﴿**مِن رَبِّهِ، فانتَهَى**﴾ عن أكله، ﴿**فلَهُ ما سَلَفَ**﴾ قبلَ النهي أي لا يُستردّ منه، ﴿**وأمرُهُ**﴾ في العفو عنه ﴿**إلَى اللهِ، ومَن عادَ**﴾ إلى أكله مُشبِّهًا له بالبيع في الحِلّ ﴿**فأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾.

﴿٢٧٦﴾ ـ ﴿**يَمحَقُ اللهُ الرِّبا**﴾: يُنقِصه ويُذهب بركتَه، ﴿**ويُربِي الصَّدَقاتِ**﴾: يزيدها ويُنمّيها ويُضاعف ثوابها، ﴿**واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ**﴾ بتحليل الربا، ﴿**أثِيمٍ**﴾: فاجر بأكله، أي: يُعاقبه. ﴿٢٧٧﴾ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، لَهُم أجرُهُم عِندَ رَبِّهِم، ولا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ**﴾.

﴿٢٧٨﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ وذَرُوا**﴾: اتركوا ﴿**ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا، إنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ**﴾: صادقين في إيمانكم ـ فإنّ من شأن المؤمن امتثالَ أمر الله. نزلتْ لمّا طالب بعض الصحابة بعد النهي بِرِبًا كان له قبلُ[1] ـ. ﴿٢٧٩﴾ ـ ﴿**فإنْ لَم تَفعَلُوا**﴾ ما أُمرتم به ﴿**فائْذَنُوا**﴾: اعلَموا ﴿**بِحَربٍ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ**﴾ لكم ـ فيه تهديد شديد لهم. ولمّا نزلتْ قالوا: لا يَدَ لنا بحربه[2] ـ ﴿**وإنْ تُبتُم**﴾: رجعتم عنه ﴿**فلَكُم رُؤُوسُ**﴾: أصولُ ﴿**أموالِكُم، لا تَظلِمُونَ**﴾ بزيادة ﴿**ولا تُظلَمُونَ**﴾ بنقص.

﴿٢٨٠﴾ ـ ﴿**وإنْ كانَ**﴾: وقعَ غريمٌ ﴿**ذُو عُسْرةٍ فنَظِرَةٌ**﴾[3] له أي: عليكم تأخيرُه ﴿**إلَى مَيسَرةٍ**﴾، بفتح السين وضمّها، أي: وقتِ يُسرِه، ﴿**وأنْ تَصَدَّقُوا**﴾ ـ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد، وبالتخفيف على حذفها ـ أي: تتصدّقوا على المُعسر بالإبراء ﴿**خَيرٌ لَكُم، إنْ كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ أنّه خير فافعلوه. في الحديث «مَن أنظرَ مُعسِرًا أو وَضَعَ عَنهُ أظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّهُ» رواه مسلم[4]. ﴿٢٨١﴾ ـ ﴿**واتَّقُوا يَومًا تُرجَعُونَ**﴾ بالبناء للمفعولِ: تُردّون، وللفاعلِ: تَصيرون ﴿**فِيهِ إلَى اللهِ**﴾ هو يوم القيامة، ﴿**ثُمَّ تُوَفَّى**﴾ فيه ﴿**كُلُّ نَفسٍ**﴾ جزاءَ ﴿**ما كَسَبَتْ**﴾: عملت من خير وشرّ، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ بنقصِ حسنة أو زيادةِ سيّئة.

﴿يتخبطه الشيطان﴾: يصرعُهُ ويضربُ بِهِ الأرضَ. ﴿المسّ﴾: الجنونِ والخبلِ. ﴿يمحق الله الرّبا﴾: يُهلكُ المالَ الَّذي يدخلُ فيهِ. ﴿يربي الصّدقات﴾: ينمِّي المالَ الَّذي أُخرجَتْ منهُ. ﴿فأذنوا بحرب﴾: فأيقِنوا بِهِ. ﴿عسرة﴾: ضيقِ الحالِ مِنْ عُدْمِ المالِ. ﴿فنظرة﴾: فإمهالٌ وتأخيرٌ واجبٌ عليكُم.

(١) كان بنو المُغيرةِ يُربُونَ لثقيفٍ، فلمَّا فُتِحَت مكَّةُ وضعَ رسولُ الله ﷺ الرِّبا كلَّه، فأبى بنو عمرِو بنِ عُمَيرٍ أن يترُكوا رِباهُم على بني المُغيرةِ، فنزلتِ الآيةُ. رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣ ـ ٩٤)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠) عن ابن جريجٍ، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩) عن مقاتل.
وعن السدي: نزلَتْ في العبَّاسِ ورجل من بني المغيرة، كانا شريكَين في الجاهليَّةِ يُسلفانِ في الربا. الطبري (٥/ ٤٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٨).

(٢) «تفسير مقاتل» (١/ ٢٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٤٣٢). وورد في حديث ابن عباس السابق عند أبي يعلى والواحدي أنه بعد نزول هذه الآيةِ والتي بعدها: «فعرَف بنو عَمْرٍو أنْ لا يَدَان لهم بحربٍ من الله ورسوله».

(٣) عن الكلبي: لـمَّا رضي بنُو ثقيفٍ من بني المُغيرةِ بأن يرُدُّوا رؤوسَ أموالِـهم شكا بنو المُغيرةِ العُسرةَ، وقالوا: أخِّرونا إلى إدراكِ الثَّمرةِ، فأبَوا، فنزلَتْ هذه الآيةُ. الواحدي (ص: ٩٤).

(٤) هو عند مسلم (٣٠٠٦) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه دون قوله: «يوم لا ظل إلا ظله».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

(٢٨٢) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا تَدايَنتُم﴾: تعاملتم ﴿بِدَينٍ﴾ كسَلَم وقَرْضٍ ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: معلوم ﴿فاكتُبُوهُ﴾ استيثاقًا ودفعًا للنزاع، ﴿ولْيَكتُبْ﴾ كِتابَ الدَّين ﴿بَينكُم كاتِبٌ بِالعَدلِ﴾: بالحقّ في كتابته، لا يزيد في المال والأجل ولا يَنقُص، ﴿ولا يأبَ﴾: يمتنعْ ﴿كاتِبٌ﴾ من ﴿أنْ يَكتُبَ﴾ إذا دُعي إليها، ﴿كَما عَلَّمَهُ اللهُ﴾ أي: فضّله بالكتابة فلا يبخل بها ـ والكاف: متعلقة بـ «يأب» ـ ﴿فلْيَكتُبْ﴾ تأكيدٌ، ﴿ولْيُملِلِ﴾: يُمِلَّ الكاتبَ ﴿الَّذِي علَيهِ الحَقُّ﴾: الدَّينُ لأنه المشهود عليه فيُقِرّ ليُعلَم ما عليه، ﴿ولْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه، ﴿ولا يَبخَسْ﴾: يُنقِصْ ﴿مِنهُ﴾ أي: الحقِّ ﴿شَيئًا، فإنْ كانَ الَّذِي علَيهِ الحَقُّ سَفِيهًا﴾: مُبذِّرًا، ﴿أو ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصِغَر أو كِبَر، ﴿أو لا يَستَطِيعُ أن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخَرَس أو جهل باللغة أو نحو ذلك، ﴿فلْيُملِلْ وَلِيُّهُ﴾: متولّي أمره من والد ووصيّ وقيِّم ومترجم ﴿بِالعَدلِ﴾.

﴿واستَشهِدُوا﴾: أشهِدوا على الدَّين ﴿شَهِيدَينِ﴾: شاهدين ﴿مِن رِجالِكُم﴾ أي: بالِغِي المسلمين الأحرار، ﴿فإنْ لَم يَكُونا﴾ أي: الشاهدان ﴿رَجُلَينِ فرَجُلٌ وامرأتانِ﴾ يشهدون، ﴿مِمَّن تَرضَونَ مِنَ الشُّهَداءِ﴾ لدِينه وعدالته، وتعدّدُ النساء لأجل ﴿أنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إحداهُما﴾ الشهادةَ لنقص عقلِهنّ وضبطهنّ ﴿فتُذْكِرَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿إحداهُما﴾ الذاكرةُ ﴿الأُخرَى﴾ الناسيةَ ـ وجملة الإذكار محلُّ العِلّة، أي: لِتُذكِرَ أن ضلّت، ودخلت على الضلال لأنّه سببه. وفي قراءة بكسر «إنْ» شرطيّةً ورفعِ «تُذَكِّرُ» استئنافٌ جوابُه ـ ﴿ولا يأبَ الشُّهَداءُ، إذا ما﴾: زائدة ﴿دُعُوا﴾[1] إلى تحمّل الشهادة وأدائها.

﴿ولا تَسأمُوا﴾: تَملُّوا من ﴿أنْ تكتُبُوهُ﴾، أي: ما شهدتم عليه من الحقّ لكثرة وقوع ذلك، ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أو كَبِيرًا﴾: قليلاً أو كثيرًا، ﴿إلَى أجَلِهِ﴾: وقتِ حلوله، حالٌ من الهاء في «تكتبوه». ﴿ذلِكُم﴾ أي: الكَتبُ ﴿أقسَطُ﴾: أعدلُ ﴿عِندَ اللهِ، وأقوَمُ لِلشَّهادةِ﴾، أي: أعْوَنُ على إقامتها لأنّه يَذكرها، ﴿وأدنَى﴾: أقربُ إلى ﴿ألّا تَرتابُوا﴾: تشكّوا في قَدْر الحقّ والأجَل. ﴿إلّا أنْ تَكُونَ﴾: تقعَ ﴿تِجارةٌ حاضِرةٌ﴾ ـ وفي قراءة بالنصب، فـ «تكونَ» ناقصةٌ واسمها ضمير التجارة ـ ﴿تُدِيرُونَها بَينكُم﴾ أي: تقبضونها ولا أجلَ فيها، ﴿فلَيسَ علَيكُم جُناحٌ﴾ في ﴿ألّا تكتُبُوها﴾. والمراد بها المُتَّجَرُ فيه.

﴿وأشهِدُوا إذا تَبايَعتُم﴾ عليه ـ فإنه أدفع للاختلاف. وهذا وما قبله أمرُ ندبٍ ـ ﴿ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولا شَهِيدٌ﴾[2] صاحبَ الحقّ ومَن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، أو لا يَضُرَّهما صاحبُ الحقّ بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة. ﴿وإنْ تَفعَلُوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فإنَّهُ فُسُوقٌ﴾: خروجٌ عن الطاعة لاحِقٌ ﴿بِكُم، واتَّقُوا اللهَ﴾ في أمره ونهيه، ﴿ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ مَصالِح أُموركم ـ حالٌ مقدَّرة أو مستأنفٌ ـ ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وليملل﴾: وليُمْلِ وليُقِرَّ. ﴿لا يبخس منه﴾: لا ينقصْ مِنَ الحقِّ الَّذي عليهِ. ﴿أن يملّ هو﴾: أن يُمليَ ويقرَّ بنفسِهِ. ﴿لا يأب﴾: لا يمتنعْ. ﴿لا تسأموا﴾: لا تملُّوا لا تضجروا. ﴿أقسط﴾: أعدلُ. ﴿أقوم للشهادة﴾: أثبتُ لها وأعونُ على أدائِها. ﴿أدنى﴾: أقربُ. ﴿فسوق﴾: خروجٌ عنِ الطَّاعةِ إلى المعصيةِ.

(١) عن الربيع قال: كان الرجل يطوف في القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا، فلا يتبعه أحد منهم، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٥/ ٩٤)، و«العجاب» (١/ ٦٤٣).

(٢) عن الربيع بن أنس: لما نزل: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ..﴾ كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول له: اكتب لي، فيعتذر بحاجة له، فيَلزمه ويقول: إنك قد أُمرت أن تكتب لي، ويضارُّه بذلك وهو يجد غيره ـ وذكر نحو ذلك في الشاهد ـ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيد﴾. الطبري (٥/ ١١٧)، و«العجاب» (١/ ٦٤٣).

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

نصف الحزب ٩

٢٨٣ـ ﴿**وإنْ كُنتُم على سَفَرٍ**﴾، أي: مسافرين وتداينتم، ﴿**ولَم تَجِدُوا كاتِبًا، فرُهُنٌ**﴾، وفي قراءة: «فرِهانٌ»: جمع رَهْن ﴿**مَقبوضةٌ**﴾ تستوثقون بها ـ وبيّنَتِ السُّنّةُ جوازَ الرَّهن في الحضرِ ووجودِ الكاتب. فالتقييد بما ذُكِر لأنّ التوثُّق فيه أشدُّ. وأفاد قوله «مقبوضةٌ» اشتراطَ القبض في الرهن والاكتفاء به من المُرتهِن ووكيله ـ ﴿**فإنْ أَمِنَ بَعضُكُم بَعضًا**﴾ أي: الدائنُ المَدينَ على حقّه، فلم يَرتهِن، ﴿**فليُؤدِّ الَّذي اؤْتُمِنَ**﴾، أي: المَدينُ، ﴿**أمانتَهُ**﴾: دَينَه، ﴿**وليَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ**﴾ في أدائه، ﴿**ولا تكتُمُوا الشَّهادةَ**﴾، إذا دُعيتم لإقامتها. ﴿**ومَن يَكتُمْها فإنَّهُ آثِمٌ قَلبُهُ**﴾. خُصّ بالذكرِ لأنّه محلّ الشهادة وأنّه إذا أثِم تبعه غيره، فيُعاقَب عليه مُعاقبةَ الآثمين. ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾، لا يخفى عليه شيء منه.

٢٨٤ـ ﴿**للهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، وإنْ تُبدُوا**﴾: تُظهِروا ﴿**ما في أنفُسِكُم**﴾ من السُّوءِ والعزمِ عليه، ﴿**أو تُخفُوهُ**﴾: تُسِرّوه، ﴿**يُحاسِبْكُم**﴾: يُخبِرْكم ﴿**بِهِ اللهُ**﴾ يوم القيامة، ﴿**فيَغفِرُ لِمَن يَشاءُ**﴾ المغفرةَ له، ﴿**ويُعذِّبُ مَن يَشاءُ**﴾ تعذيبَه. والفعلانِ بالجزمِ عطفًا على جواب الشرط، والرفعِ أي: فهو. ﴿**واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾، ومنه محاسبتُكم وجزاؤكم.

٢٨٥ـ ﴿**آمَنَ**﴾: صدّقَ ﴿**الرَّسُولُ**﴾ محمّدٌ ﴿**بِما أُنزِلَ إليهِ مِن رَبِّهِ**﴾ من القرآن ﴿**والمُؤمِنُونَ**﴾: عطف عليه، ﴿**كُلٌّ**﴾ تنوينُه عوض من المضاف إليه ﴿**آمَنَ باللهِ ومَلائكتِهِ وكُتُبِهِ**﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿**ورُسُلِهِ**﴾، يقولون: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِن رُسُلِهِ**﴾، فنؤمنَ ببعض ونكفرَ ببعض كما فعل اليهود والنصارى، ﴿**وقالُوا: سَمِعْنا**﴾ أي: ما أُمِرنا به سماعَ قَبول ﴿**وأطَعْنا**﴾. نسألُك ﴿**غُفرانَكَ ـ رَبَّنا ـ وإلَيكَ المَصِيرُ**﴾: المرجعُ بالبعث.

ولمّا نزلتِ الآيةُ قبلَها شكا المؤمنون من الوسوسة[1]، وشقَّ عليهم المحاسبةُ بها، فنزل: ٢٨٦ـ ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفسًا إلّا وُسْعَها**﴾ أي: ما تَسَعُه قُدرتُها. ﴿**لَها ما كَسَبَتْ**﴾ من الخير، أي: ثوابُه، ﴿**وعلَيها ما اكتَسَبَتْ**﴾ من الشرّ، أي: وِزرُه. ولا يُؤاخَذُ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسِبه ممّا وسوستْ به نفسُه.

قُولوا: ﴿**رَبَّنا، لا تُؤاخِذْنا**﴾ بالعِقاب، ﴿**إنْ نَسِينا أو أخطأْنا**﴾: تركْنا الصواب لا عن عمد كما آخذتَ به مَن قبلَنا ـ وقد رَفع اللهُ ذلك عن هذه الأُمّة كما ورد في الحديث[2]. فسؤاله اعتراف بنعمة الله ـ ﴿**رَبَّنا، ولا تَحمِلْ علَينا إصْرًا**﴾: أمرًا يثقُل علينا حَملُه ﴿**كَما حَمَلتَهُ علَى الَّذِينَ مِن قَبلِنا**﴾ أي: بني إسرائيلَ من قتلِ النفس في التوبة وإخراجِ رُبع المال في الزكاة وقرضِ موضع النجاسة، ﴿**رَبَّنا، ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقةَ**﴾: قوّةَ ﴿**لَنا بِهِ**﴾ من التكاليف والبلاء، ﴿**واعْفُ عَنّا**﴾: امحُ ذُنوبَنا، ﴿**واغفِرْ لَنا وارحَمْنا**﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة. ﴿**أنتَ مَولانا**﴾: سيّدنا ومتولِّي أمورنا. ﴿**فانصُرْنا على القَومِ الكافِرِينَ**﴾ بإقامةِ الحُجّة والغَلَبةِ في قتالهم. فإنّ مِن شأن المولى أن ينصر مَواليَه على الأعداء. وفي الحديث «لَمّا نَزَلتْ هذهِ الآيةُ فقرأها ﷺ قِيلَ له عَقِبَ كُلِّ كَلِمةٍ: قَد فَعَلتُ»[3].

﴿غفرانك﴾: نسألُكَ مغفرتَكَ. ﴿وُسعها﴾: طاقتَها وما تقدرُ عليهِ. ﴿إصراً﴾: عبئاً ثقيلاً وهوَ التّكاليفُ الشّاقّةُ. ﴿لا طاقة لنا به﴾: لا قدرةَ لنا على القيامِ بهِ.

---

(١) رواه مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث طويل مشهور. وعن السدي: حدثني من سمع عليًا يقول: لما نزلت ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أحزنتنا فقلنا: يحدث أحدنا نفسه فنحاسب فلا ندري من يغفر له منا ومن لا يغفر له؟ فنزلت هذه الآية بعدها فنسختها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. الترمذي (٢٩٩٠)، «العجاب» (١/ ٦٥٢).

(٢) وهو: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأَ والنِّسيانَ وما استُكرِهوا عليه» رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٠١)، وابن حزم في «الإحكام» (٥/ ١٤٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم وابن حزم.

(٣) رواه مسلم (١٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ
عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ (٥) هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) هُوَ
الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ
إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ
رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ
إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَآ
إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)

٣

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ[1]

مدنية، مِائتان أو إلّا آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿الم﴾ الله أعلم بمراده بذلك. (٢) ـ (٣) ـ (٤) ـ ﴿اللهُ لا إلـٰهَ إلّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، نَزَّلَ علَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿الكِتابَ﴾: القرآنَ مُلتبسًا ﴿بالحَقِّ﴾: بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه من الكُتب، ﴿وأنزَلَ التَّوراةَ والإنجِيلَ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ تنزيله ﴿هُدًى﴾: حال بمعنى: هادِيَينِ من الضلالة ﴿لِلنّاسِ﴾ ممّن تبعهما ـ وعَبّر فيهما بـ«أنزل» وفي القرآن بـ«نزّل» المقتضي للتكرير لأنّهما أُنزلا دُفعةً واحدة بخلافه ـ ﴿وأنزَلَ الفُرقانَ﴾ بمعنى الكُتب الفارقة بين الحقّ والباطل. وذَكَره بعد ذِكر الثلاثة ليعمّ ما عداها. ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللهِ﴾: القرآنِ وغيره ﴿لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ[2]، واللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعيده ووعده، ﴿ذُو انتِقام﴾: عقوبةٍ شديدة ممّن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد.
(٥) ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يَخفَى علَيهِ شَيءٌ﴾ كائنٌ ﴿في الأرضِ ولا في السَّماءِ﴾، لعلمه بما يقع في العالم من كلّيّ وجزئيّ ـ وخصَّهما بالذكر لأنّ الحسّ لا يتجاوزهما ـ (٦) ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُم في الأرحام، كَيفَ يَشاءُ﴾ من ذُكورة وأُنوثة وبياض وسواد، وغير ذلك؟ ﴿لا إلـٰهَ إلّا هُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه، (٧) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ علَيكَ الكِتابَ[3]، مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ﴾: واضحاتُ الدلالة، ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾: أصلُه المُعتمَد عليه في الأحكام، ﴿وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾ لا تُفهم معانيها كأوائل السُّوَر، وجعله كلّه مُحكَمًا في قوله «أُحكِمَتْ آياتُهُ» بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومُتشابهًا في قوله «كِتابًا مُتَشابِهًا» بمعنى أنه يُشبه بعضه بعضًا في الحُسن والصِّدق.
﴿فأمّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِم زَيغٌ﴾: مَيلٌ عن الحقّ ﴿فيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ ابتِغاءَ﴾: طلبَ ﴿الفِتنَةِ﴾ لحبّهم لها بوقوعهم في الشُّبهات واللَّبس، ﴿وابتِغاءَ تأوِيلِهِ﴾: تفسيرِه، ﴿وما يَعلَمُ تأوِيلَهُ﴾: تفسيرَه ﴿إلّا اللهُ﴾ وحده، ﴿والرّاسِخُونَ﴾: الثابتون المتمكّنون ﴿في العِلمِ﴾: مبتدأ خبرُه ﴿يَقُولُونَ: آمَنّا بِهِ﴾ أي: بالمُتشابه أنّه من عند الله ولا نعلم معناه. ﴿كُلٌّ﴾ من المُحكَم والمُتشابِه ﴿مِن عِندِ رَبِّنا. وما يَذَّكَّرُ﴾ ـ بإدغام التاء في الأصل في الذال ـ أي: يتّعظ ﴿إلّا أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.
ويقولون أيضًا إذا رأوا من يَتّبعه: (٨) ـ ﴿رَبَّنا، لا تُزِغْ قُلُوبَنا﴾: تُمِلْها عن الحقّ بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغتَ قُلوب أولئك ﴿بَعدَ إذْ هَدَيتَنا﴾: أرشدْتَنا إليه، ﴿وهَبْ لَنا مِن لَدُنكَ﴾: من عِندك ﴿رَحْمَةً﴾: تثبيتًا ـ ﴿إنَّكَ أنتَ الوَهّابُ﴾ ـ (٩) ـ يا ﴿رَبَّنا، إنَّكَ جامِعُ النّاسِ﴾: تجمعُهم ﴿لِيَوم﴾ أي: في يوم، ﴿لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ﴾. هو يوم القيامة. فتُجازيهم بأعمالهم كما وعدتَ بذلك. ﴿إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ المِيعادَ﴾: موعدَه بالبعث. فيه التفاتٌ عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى. والغرض من الدعاءِ بذلك بيان أنّ همَّهم أمر الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها.
رَوى الشيخانِ عن عائشةَ قالت: «تلا رَسُولُ اللهِ ﷺ هذه الآيَةَ: هُوَ الّذِي أنزَلَ علَيكَ الكِتابَ مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ، إلى آخِرها، وقالَ: فإذا رأَيتِ

﴿الحيّ﴾: الدَّائمُ الحياةِ بلا زوالٍ. ﴿القيوم﴾: الدَّائمُ القيام بتدبيرِ خلقِهِ وحفظِهِم. ﴿أنزل الفرقان﴾: ما فُرِقَ بِهِ بينَ الحقِّ والباطلِ. ﴿الله عزيز﴾: غالبٌ قويٌّ، منيعُ الجانبِ. ﴿آيات محكمات﴾: واضحاتٌ لا احتمالَ فيها ولَا اشْتِباهَ. ﴿أم الكتاب﴾: أصلُهُ يُردُّ إليها غيرُها. ﴿متشابهات﴾: خفيَّاتٌ استأثرَ اللهُ بعلمِها، أو لا تتَّضحُ إلّا بنظرٍ دقيقٍ. ﴿زيغ﴾: مَيْلٌ وانحرَافٌ عنِ الحقِّ. ﴿تأويله﴾: تَفسيرِهِ بما يُوافِقُ أهواءَهُم. ﴿لا تزغ قلوبنا﴾: لا تُمِلْها عنِ الحقِّ والهُدَى.

(١) نزل أوّلُها في قصة وفد نجران، وهي قصة طويلة رواها ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير، وفيه: أن حَبْرَيهم لما كلما النبي ﷺ في عيسى قالا: فمَن أبوه يا محمد؟ فصمَتَ رسول الله ﷺ فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلافِ أمرهم صدرَ سورةِ آل عمرانَ إلى بضعٍ وثمانين آيةً منها، إلى قصة المباهلة. «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٦)، و«تفسير الطبري» (٥/ ١٧٢ ـ ١٧٤). وروى نحوه الطبري (٥/ ١٧٤)، وابنُ أبي حاتم (٢/ ٥٨٥)، عن الربيع. وذكره الواحدي (ص: ٩٧ ـ ٩٨). وقوله: «روى الشيخان عن عائشة...» البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥). وقوله: «وروى الطبراني في الكبير عن أبي مالك..» برقم (٣٤٤٢)، وقال في «المجمع» (١/ ١٢٨): فيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه ولم يسمع من أبيه.

(٢) نزلت في اليهود منهم حيي وجدي وأبو ياسر بنو أخطب وكعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وزيد بن التابوت. «العجاب» (٢/ ٦٦٧) عن مقاتل بن سليمان، وهو في «تفسيره» (١/ ٢٦٣) بلفظ: «وهم» بدل «نزلت في».

(٣) روى ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رئاب ما ملخصه: أن رهطًا من اليهود أتوا النبي ﷺ فصاروا يسألونه عن فواتح السور ويستنبطون منها مدة ملك أمته بحساب الجُمَّل، وفي الأخير قالوا: لقد تشابه علينا أمره. ويزعمون أنّ هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾. «التاريخ الكبير» للبخاري (٢/ ٢٠٨)، والطبري (١/ ٢٢١)، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٤٥). وإسناده ضعيف جدًّا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

الَّذينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنهُ فأُولَئكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فاحذَرُوهُمُ»، وروى الطبرانيّ في «الكبير» عن أبي مالك الأشعريّ أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: «ما أخافُ على أُمّتي إلّا ثَلاثَ خِلالٍ»، وذكر منها «أن يُفتحَ لهُمُ الكِتابُ فيأخُذَهُ المُؤمِنُ يبتَغِي تأويلَهُ، ولَيسَ يَعلَمُ تأويلَهُ إلّا اللهُ، والرّاسِخُونَ في العِلمِ يَقُولُونَ: آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا. وما يَذَّكَّرُ إلّا أُولُو الألبابِ» الحديثَ.

(١٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ﴾: تدفعَ ﴿عَنهُم أَموالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابِه ﴿شَيئًا! وأُولئِكَ هُم وَقُودُ النّارِ﴾، بفتح الواو: ما يُوقد به، دأبُهم

(١١) ـ ﴿كَدأْبِ﴾: كعادةِ ﴿آلِ فِرعَونَ والَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأمم كعادٍ وثمودَ، ﴿كَذَّبُوا بآياتِنا، فأَخَذَهُمُ اللهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِم﴾. والجملة: مفسّرة لما قبلها. ﴿واللهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

ونزل لمّا أمر رسول الله ﷺ اليهودَ بالإسلام[1]، مَرجِعَه من بدر، فقالوا له: «لا يَغرَّنّكَ أن قتلتَ نفرًا من قُرَيشٍ أغمارًا لا يَعرفونَ القِتالَ»: (١٢) ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اليهود: ﴿سَتُغلَبُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك، ﴿وتُحشَرُونَ﴾ ـ بالوجهين ـ في الآخرة ﴿إلى جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها، ﴿وبِئسَ المِهادُ﴾: الفراشُ هي!

الحزب ٦

(١٣) ـ ﴿قَد كانَ لَكُم آيَةٌ﴾: عِبرةٌ ـ وذُكِّر الفِعل للفصل ـ ﴿في فِئَتَينِ﴾: فِرقتَين ﴿التَقَتا﴾[2] يوم بدر للقتال، ﴿فِئَةٌ تُقاتِلُ في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: طاعته ـ وهم النبيّ ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلاثَمِائَةٍ وثلاثةَ عشَرَ رجلاً، معهم فَرَسانِ وسِتُّ أدرُعٍ وثمانيةُ سُيوفٍ، وأكثرُهم رَجّالة ـ ﴿وأُخرَى كافِرَةٌ، يَرَونَهُم﴾ أي: الكُفّارُ ﴿مِثلَيهِم﴾ أي: المسلمين أي: أكثرَ منهم، وكانوا نحوَ ألف، ﴿رأيَ العَينِ﴾ أي: رُؤيةً ظاهرةً مُعايَنةً. وقد نصرهم الله مع قلّتهم. ﴿واللهُ يُؤَيِّدُ﴾: يُقوِّي ﴿بِنَصرِهِ مَن يَشاءُ﴾ نَصرَه. ﴿إِنَّ في ذَلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَعِبرَةً لِأُولي الأبصارِ﴾: لذوي البصائر، أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟

(١٤) ـ ﴿زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ﴾[3]: ما تَشتهيه النفس وتدعو إليه، زيّنها اللهُ ابتلاءً أوِ الشيطانُ، ﴿مِنَ النِّساءِ والبَنِينَ، والقَناطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة ﴿المُقَنطَرَةِ﴾: المجمّعة ﴿مِنَ الذَّهَبِ والفِضّةِ والخَيلِ المُسَوَّمَةِ﴾: الحِسانِ ﴿والأنعامِ﴾ أي: الإبلِ والبقرِ والغنمِ ﴿والحَرثِ﴾: الزرع. ﴿ذلِكَ﴾ المذكورُ ﴿مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾: يُتمتَّع به فيها ثمّ يَفنى، ﴿واللهُ عِندَهُ حُسنُ المآبِ﴾: المَرجِعِ، وهو الجنّة، فينبغي الرغبة فيه دون غيره.

(١٥) ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا محمّد ـ لقومك: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾: أُأخبِرُكم ﴿بِخَيرٍ مِن ذلِكُم﴾[4] المذكورِ من الشهوات؟ استفهام تقرير. ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ ﴿عِندَ رَبِّهِم﴾: خبرٌ مبتدؤه ﴿جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ﴾ أي: مقدِّرين الخلودَ ﴿فِيها﴾ إذا دخلوها، ﴿وأزواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحَيض وغيره ممّا يُستقذَر، ﴿ورِضْوانٌ﴾ ـ بكسر أوّله وضمّه لغتانِ ـ أي: رضًا كثير ﴿مِنَ اللهِ ـ واللهُ بَصِيرٌ﴾: عالم ﴿بالعِبادِ﴾، فيُجازي كُلًّا منهم بعمله ـ ....

﴿كدأب﴾: كعادةٍ وشأنٍ. ﴿بئس المهاد﴾: بئسَ الفراشُ، والمضجعُ جهنَّمُ. ﴿لعبرة﴾: لعظةً ودلالةً. ﴿حب الشهوات﴾: المُشتهياتُ بالطَّبعِ. ﴿المقنطرة﴾: المضاعفةِ، أو المحكمة المُحصَّنةِ. ﴿المسوّمة﴾: المُعْلَمةِ. أو المُطهَّمةِ الحِسانِ. ﴿الأنعام﴾: الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ. ﴿الحرث﴾: المزروعاتِ. ﴿حسن المآب﴾: المرجعِ: أي المرجعِ الحسنِ.

(١) أبو داود (٣٠٠١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٣٩)، و«العجاب» (٢/ ٦٦٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٤) من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً. وعن ابن عباس من رواية الكلبي: أن يهود المدينة لما رأوا وقعة بدر همُّوا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النبي الذي نجده في كتابنا لا ترد له راية، فلما كانت أُحد شكُّوا، ونقضوا عهداً كان بينهم وبين النبيِّ ﷺ، وطلبوا التحالف مع قريش عليه، فنزلت. الواحدي (ص: ٩٨).

(٢) نزلت في بني قينقاع لما أتوا النَّبيَّ ﷺ بعد قتال بدر يُوْعِدونه القتال. «تفسير مقاتل» (١/ ٢٦٥)، و«العجاب» (٢/ ٦٦٧).

(٣) قيل: إن وفد نجران لما دخلوا المدينة تزينوا بأحسن زي، فتشوفت نفوس رجال من فقراء المسلمين إليهم فنزلت. ذكره ابن ظفر كما في «العجاب» (٢/ ٦٦٧).

(٤) عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: قال عمر لما نزل ﴿زُيِّن للناس حب الشهوات﴾: قلت: الآن يا رَبِّ حين زيَّنتها لنا! فنزلت: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ الآية. الطبري (٥/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٠٦)، و«العجاب» (٢/ ٦٦٧).

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ
وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ
أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا
بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ
عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ
فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ
وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ
ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

(١٦) ـ (١٧) ـ ﴿الَّذِينَ﴾: نعت أو بدل مِن «الّذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنا، إنَّنا آمَنَّا﴾: صدَّقْنا بك وبرسولك.

﴿فاغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وقِنا عَذابَ النّارِ، الصّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعنِ المَعصية: نعت، ﴿والصّادِقِينَ﴾ في الإيمان، ﴿والقانِتِينَ﴾: المطيعين للهِ، ﴿والمُنفِقِينَ﴾: المتصدِّقين، ﴿والمُستَغفِرِينَ﴾ اللهَ بأن يقولوا: «اللّهمَّ اغفِرْ لنا» ﴿بِالأسحارِ﴾: أواخرِ الليل. خُصّت بالذكر لأنّها وقتُ الغفلة ولذّة النوم.

(١٨) ـ ﴿شَهِدَ اللهُ﴾: بَيَّنَ لِخَلقِه بالدلائل والآيات ﴿أنَّهُ لا إلٰـهَ﴾: معبودَ في الوجود بحقّ ﴿إلّا هُوَ﴾[1]، و﴿ شهدَ بذلك ﴿المَلائكةُ﴾ بالإقرار ﴿وأُولُو العِلمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ، ﴿قائمًا﴾ بتدبير مصنوعاته ـ ونصبُه على الحال، والعامل فيها معنى الجملة أي: تفرّدَ ـ ﴿بِالقِسطِ﴾: بالعدل، ﴿لا إلٰـهَ إلّا هُوَ﴾ كرّره تأكيدًا ﴿العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

(١٩) ـ ﴿إنَّ الدِّينَ﴾ المَرْضِيَّ ﴿عِندَ اللهِ﴾ هو ﴿الإسلامُ﴾ أي: الشرعُ المبعوثُ به الرسل المَبنيُّ على التوحيد ـ وفي قراءة بفتح «أنّ» بدل من «أنّه» إلى آخره بدلَ اشتمال ـ ﴿وما اختَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾: اليهودُ والنصارى في الدين بأن وحَّد بعض وكفر بعض، ﴿إلّا مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ﴾ بالتوحيد، ﴿بَغْيًا﴾ منَ الكافرين ﴿بَينَهُم. ومَن يَكفُرْ بِآياتِ اللهِ فإنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ أي: المُجازاةِ له.

(٢٠) ـ ﴿فإنْ حاجُّوكَ﴾[2]: خاصمَك الكُفّار ـ يا محمّد ـ في الدين ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿أسلَمتُ وَجهِيْ للهِ﴾: انقَدْت له أنا ﴿ومَنِ اتَّبَعَنِي﴾. وخُصّ الوجهُ بالذكر لشرفه، فغيره أولى. ﴿وقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾: اليهودِ والنصارى ﴿والأُمِّيِّينَ﴾: مشركِي العرب: ﴿أأسلَمتُم﴾؟ أي: أسلِموا. ﴿فإنْ أسلَمُوا فقَدِ اهتَدَوا﴾ من الضلال، ﴿وإنْ تَوَلَّوا﴾ عن الإسلام ﴿فإنَّما علَيكَ البَلاغُ﴾: التبليغُ للرسالة. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾ فمجازيهم بأعمالهم. وهذا قبلَ الأمر بالقتال.

(٢١) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ﴾ ـ وفي قراءة «ويُقاتِلُونَ» ـ ﴿النَّبِيِّينَ بِغَيرِ حَقٍّ، ويَقتُلُونَ الَّذِينَ يأمُرُونَ بِالقِسطِ﴾: بالعدل ﴿مِنَ النّاسِ﴾، وهم اليهود ـ رُوي أنّهم قتلوا ثلاثةً وأربعين نبيًّا[3]، فنهاهم مِائَةٌ وسبعون من عُبّادهم فقتلوهم من يومهم ـ ﴿فبَشِّرْهُم﴾: أعلِمْهم ﴿بِعَذابٍ ألِيمٍ﴾: مؤلم. وذكرُ البشارة تهكّم بهم، ودخلت الفاء في خبر «إنّ» لشَبه اسمها الموصول بالشرط، (٢٢) ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أعمالُهُم﴾: ما عملوا من خير كصدَقة وصِلة رَحِم ﴿في الدُّنيا والآخِرةِ﴾، فلا اعتداد بها لعدم شرطها، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرِينَ﴾: مانِعين من العذاب.

﴿القانتين﴾: المُطيعينَ الخاضعينَ للهِ تعالى. ﴿بالأسحار﴾: في أواخرِ اللّيلِ إلى طلوعِ الفجرِ. ﴿قائماً بالقسط﴾: مُقيماً للعدل في كلِّ أمرٍ. ﴿الدِّين﴾: الطّاعةَ والانقيادَ للهِ، أو الملّةَ. ﴿الإسلام﴾: الإقرارُ بالتّوحيدِ معَ التّصديقِ والعملِ بشريعتِهِ تعالى. ﴿بغياً﴾: حسداً وطلباً للرِّياسةِ. ﴿أسلمت وجهي لله﴾: أخلصتُ نفسي أو عبادتي للهِ. ﴿الأمّيين﴾: مُشركي العربِ. ﴿حبطت أعمالهم﴾: بطلَتْ أعمالُهُم وخلَتْ عن ثمراتِها.

(١) الكلبيُّ: لمَّا ظهرَ رسولُ الله ﷺ قدِمَ عليه حبرانِ منَ الشَّامِ، فلما أبصرا المدينةَ قال أحدُهما لصاحبِه: ما أشبهَ هذه المدينةَ بصفةِ مدينةِ النَّبيِّ الذي يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ، فلمَّا رأيا النَّبيَّ عليه السَّلامُ عرَفاه بالصِّفةِ فقالا له: أنتَ محمَّدٌ؟ قال: «نعم»، قالا: وأنتَ أحمدُ؟ قال: «نعم»، قالا: فإنَّا نسألُكَ عن شهادةٍ فإنْ أخبَرْتَنا بها صدَّقناكَ، أخبِرْنا عن أعظمِ شهادةٍ في كتابِ الله، فأنزلَ الله على نبيِّه عليه السَّلامُ: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾، فأسلَمَ الحبرانِ. الثعلبي (٨/ ١٥٥)، والواحدي (ص: ٩٩).

(٢) الكلبي: لما نزلت: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ قالت اليهود والنصارى: لسنا على ما سمَّيتنا به يا محمد، إنما اليهودية والنصرانية نسب، والدين هو الإسلام، ونحن عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾. الثعلبي (٨/ ١٦٩)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٠)، وفيه: «ليست لنا» بدل: «نسب».

(٣) البزار (١٢٨٥)، والطبري (٥/ ٢٩١)، من حديث أبي عبيدة رضي الله عنه. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٢٥): فيه أبو الحسن مولى بني أسد وهو مجهول.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ
ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ
وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن
تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن
تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ
وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ
تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

(٢٣) ـ ﴿**أَلَم تَرَ**﴾: تنظرْ ﴿**إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا**﴾: حظًّا ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾ التوراة، ﴿**يُدْعَونَ**﴾: حالٌ، ﴿**إلَى كِتابِ اللهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم، ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنهُم، وهُم مُعرِضُونَ**﴾ عن قَبول حُكمه. نزل في اليهود، زنَى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبيّ ﷺ، فحكم عليهما بالرجم فأبَوا، فجيء بالتوراة فوُجد فيها، فرُجِما فغَضِبوا[١].

(٢٤) ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ التولّي والإعراضُ ﴿**بِأَنَّهُم قالُوا**﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿**لَن تَمَسَّنا النّارُ إلّا أيّامًا مَعدُوداتٍ**﴾ أربعينَ يومًا مُدّةَ عبادة آبائهم العجلَ، ثمّ تَزولُ عنهم. ﴿**وغَرَّهُم في دِينِهِم**﴾: متعلّق بقوله: ﴿**ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ من قولهم ذلك.

(٢٥) ـ ﴿**فكَيفَ**﴾ حالُهم، ﴿**إذا جَمَعْناهُم لِيَومٍ**﴾ أي: في يوم ﴿**لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيهِ**﴾ ـ هو يوم القيامة ـ ﴿**ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ**﴾ من أهلِ الكتاب وغيرِهم جزاءَ ﴿**ما كَسَبَتْ**﴾: عمِلتْ من خير وشرّ، ﴿**وهُم**﴾ أيِ: الناس ﴿**لا يُظلَمُونَ**﴾ بنقصِ حسنة أو زيادةِ سيّئة؟

ونزل لمّا وَعَدَ النبيّ ﷺ أُمّتَه مُلكَ فارسَ والروم، فقال المنافقون: «هَيهاتَ»![٢]:

(٢٦) ـ (٢٧) ـ ﴿**قُلِ: اللّٰهُمَّ**﴾: يا أللهُ، ﴿**مالِكَ المُلْكِ، تُؤتِي**﴾: تُعطي ﴿**المُلكَ مَن تَشاءُ**﴾ من خلقك، ﴿**وتَنزِعُ المُلكَ مِمَّن تَشاءُ، وتُعِزُّ مَن تَشاءُ**﴾ بإيتائه، ﴿**وتُذِلُّ مَن تَشاءُ**﴾، بنزعه منه. ﴿**بِيَدِكَ**﴾: بقُدرتك ﴿**الخَيرُ**﴾ أي: والشرُّ. ﴿**إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ**﴾: تُدخِلُ ﴿**اللَّيلَ في النَّهارِ، وتُولِجُ النَّهارَ**﴾: تُدخِلُه ﴿**في اللَّيلِ**﴾، فيزيد كلّ منهما بما نقَص من الآخَر، ﴿**وتُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ**﴾، كالإنسان والطائر من النُّطفة والبيضة، ﴿**وتُخرِجُ المَيْتَ**﴾ كالنُّطفة والبيضة ﴿**مِنَ الحَيِّ، وتَرزُقُ مَن تَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ**﴾، أي: رزقًا واسِعًا.

(٢٨) ـ ﴿**لا يَتَّخِذِ المُؤمِنُونَ الكافِرِينَ أولِياءَ**﴾[٣] يُوالونهم ﴿**مِن دُونِ**﴾ أي: غيرِ ﴿**المُؤمِنِينَ ـ ومَن يَفعَلْ ذلِكَ**﴾ أي: يُوالِهم ﴿**فلَيسَ مِنَ**﴾ دِينِ ﴿**اللهِ في شَيءٍ ـ إلّا أنْ تَتَّقُوا مِنهُم تُقاةً**﴾: مصدر: تَقَيتُه، أي: تخافوا مَخافةً، فلكم موالاتُهم باللسان دُون القلب. وهذا قبل عِزّة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويًّا فيها. ﴿**ويُحَذِّرُكُمُ**﴾: يُخوِّفُكم ﴿**اللهُ نَفْسَهُ**﴾ أن يغضب عليكم، إن والَيتُموهم، ﴿**وإلَى اللهِ المَصِيرُ**﴾: المَرجِع فيجازيكم.

(٢٩) ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنْ تُخفُوا ما في صُدُورِكُم**﴾: قُلوبكم من مُوالاتهم، ﴿**أو تُبدُوهُ**﴾: تُظهروه، ﴿**يَعلَمْهُ اللهُ. و**﴾ هو ﴿**يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ. واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾، ومنه تعذيب مَن والاهم.

﴿غرّهم﴾: خدعَهُم وأطمَعَهُم في غيرِ مطمعٍ. ﴿يفترون﴾: يكذبونَ على اللهِ. ﴿تولج﴾: تُدخِلُ. ﴿بغير حساب﴾: بلا نهايةٍ لِمَا تُعطي أو بتوسعةٍ. ﴿أولياء﴾: بطانةً أوِدّاءَ وأعواناً وأنصاراً. ﴿تتقوا منهم تقاة﴾: تخافوا مِن جهتِهم أمراً يجبُ اتِّقاؤُهُ. ﴿يحذركم الله نفسه﴾: يخوِّفُكُمُ اللهُ غضبَهُ وعقابَهُ.

(١) الثعلبي (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأصله في البخاري (٤٥٥٦)، ومسلم (١٦٩٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما دون ذكر نزول هذه الآية. وعن ابنِ عبّاسٍ أيضاً: دخلَ رسولُ الله ﷺ بيتَ المِدْراسِ على جماعةٍ منَ اليهودِ فدعاهُم إلى الله، فقال نُعَيمُ بنُ عمرٍو والحارثُ بنُ زيدٍ: على أيِّ دينٍ أنتَ يا محمَّدُ؟ فقال: «على ملَّةِ إبراهيمَ»، فقالا: إنَّ إبراهيمَ كان يهوديًّا، فقال: «فهلُمُّوا إلى التَّوراةِ فهي بيننَا وبينكم»، فأبَيا عليه، فنزلَتْ هذه الآيةُ. الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩٣). وقال السدي: دعا النبي ﷺ اليهود إلى الإسلام، فقال له النعمان بن أبي أوفى: هلمَّ يا محمدُ نخاصمك إلى الأحبار، فقال ﷺ: «بل إلى كتاب الله». فقال: بل إلى الأحبار، فنزلت. الثعلبي (٨/ ١٨١)، والواحدي (ص: ٩٩).

(٢) الثعلبي (٨/ ١٩١)، والواحدي (ص: ١٠٠)، عن ابن عباس. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٢٥): لم أجد له إسنادًا. وأورد بعض المفسرين نزولها ضمن حديث عمرو بن عوف الطويل في قصة حفر الخندق، وتبشير النبي ﷺ لهم بقُصورِ الحيرَةِ، ثم بالقصور الحمر من أرض الرُّومِ، ثم بقصورِ صنعاءَ، فتكلم المنافقون في ذلك وسخروا، فنزلت. الثعلبي (٨/ ١٩١ ـ ١٩٦)، وعنه الواحدي (ص: ١٠٠ ـ ١٠٢)، ورواه الطبري (١٩/ ٤٠) لَكن في نزول: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ١٢]. وعلى كل فالحديث ضعيف بسبب كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف.

(٣) عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن جماعة من اليهود ـ سماهم ـ قد بَطَنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم! فأبى أولئك النفر إلا مُباطنتهم ولزومهم، فنزلت. الطبري (٥/ ٣١٦)، والواحدي (ص: ١٠٢)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٦). وعن ابن عباس من رواية الكلبي: نزلت في عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار يرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم. الواحدي (ص: ١٠٢)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٦). وعن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: نزلت في عبادة بن الصامت، كان له حلفاء من اليهود، فقال للنبي ﷺ يوم الأحزاب: يا نبي الله، إن معي خمسَ مئة رجلٍ من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو، فنزلت. الواحدي (ص: ١٠٢)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٦). جويبر متروك.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ
نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

(٣٠) ـ اذكرْ ﴿يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفسٍ ما عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِن خَيرٍ مُحضَرًا، وما عَمِلَتْ﴾ ـه ﴿مِن سُوءٍ﴾: مبتدأ خبرُه ﴿تَوَدُّ لَو أَنَّ بَينَها وبَينَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾: غايةً في نهاية البعد، فلا يصل إليها. ﴿ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفسَهُ﴾ ـ كُرِّر للتأكيد ـ ﴿واللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبادِ﴾.

ونزل لمّا قالوا: «ما نعبد الأصنام إلّا حُبًّا لله، ليُقرّبونا إليه»[1]: (٣١) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم، يا محمّد: ﴿إنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني، يُحبِبكُمُ اللهُ﴾ بمعنى أنه يُثيبكم، ﴿ويَغفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم. واللهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتّبعني ما سلفَ منه قبل ذلك ﴿رَحِيمٌ﴾ به. (٣٢) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ﴾[2] فيما يأمركم به من التوحيد. ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن الطاعة ﴿فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾. فيه إقامة الظاهر مَقام المُضمر أي: لا يُحبُّهم بمعنى أنه يُعاقبهم.

(٣٣) ـ ﴿إنَّ اللهَ اصطَفَى﴾: اختار ﴿آدَمَ ونُوحًا وآلَ إبراهِيمَ وآلَ عِمرانَ﴾ بمعنى: أنفُسَهما ﴿على العالَمِينَ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم، (٣٤) ـ ﴿ذُرِّيَّةً بَعضُها مِن﴾ ولدِ ﴿بَعضٍ﴾ منهم. ﴿واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(٣٥) ـ اذكرْ ﴿إذ قالَتِ امرأةُ عِمرانَ﴾ حَنّةُ، لمّا أسنَّت واشتاقت للولد، فدعَتِ اللهَ وأحسَّت بالحمل: يا ﴿رَبِّ، إنِّي نَذَرتُ﴾ أن أجعلَ ﴿لَكَ ما في بَطني مُحَرَّرًا﴾: عتيقًا خالِصًا من شواغل الدنيا لخِدمة بيتك المُقدّس. ﴿فتَقَبَّلْ مِنِّي. إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ﴾ للدُّعاء ﴿العَلِيمُ﴾ بالنيّات. وهَلَكَ عِمرانُ وهي حاملٌ[3].

(٣٦) ـ ﴿فلَمّا وَضَعَتْها﴾: ولَدَتْها جارية، وكانت ترجو أن يكون غُلامًا إذ لم يكن يُحرَّرُ إلّا الغِلمانُ، ﴿قالَتْ﴾ مُعتذرةً: يا ﴿رَبِّ، إنِّي وَضَعتُها أُنثَى ـ واللهُ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِما وَضَعَتْ﴾: جملةُ اعتراض من كلامه تعالى. وفي قراءة بضمّ التاء. ﴿ولَيسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبتْ ﴿كالأُنثَى﴾ التي وَهَبتُ لأنّه يُقصَد للخِدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعَورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ـ ﴿وإنِّي سَمَّيتُها مَريَمَ، وإنِّيَ أُعِيذُها بِكَ وذُرِّيَّتَها﴾: أولادَها ﴿مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾: المطرود. وفي الحديث: «ما مِن مَولودٍ يُولَدُ إلّا مَسَّهُ الشَّيطانُ حِينَ يُولَدُ، فيَستهِلُّ صارِخًا [مِن مَسِّهِ إيّاهُ]، إلّا مَريَمَ وابنَها». رواه الشيخان.

(٣٧) ـ ﴿فتَقَبَّلَها رَبُّها﴾ أي: قَبِلَ مريمَ من أُمّها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وأنبَتَها نَباتًا حَسَنًا﴾: أنشأها بخَلق حسن، فكانت تَنبتُ في اليوم كما ينبت المولود في العام ـ وأتت بها أُمُّها الأحبارَ سَدَنةَ بيت المقدس، فقالت: دُونكم هذه النَّذيرة فتنافسوا فيها لأنّها بنتُ إمامهم، فقال زكريّاءُ: أنا أحقّ بها لأن خالتها عندي. فقالوا: لا، حتّى نقترعَ. فانطلقوا، وهم تسعة وعشرون، إلى نهر الأُردُنّ وألقَوا أقلامهم، على أنّ مَن ثَبَتَ قلمه في الماء وصعِدَ فهو أَولى بها، فثَبَتَ قلم زكريّاءَ فأخذها[4]، وبنى لها غُرفة في المسجد بِسُلّم، لا يَصعد إليها غيرُه ـ وكان يأتيها بأكلها وشُربها ودُهنها، فيجد

﴿مُحضراً﴾: مشاهداً لها في صحفِ الأعمالِ. ﴿آل عمران﴾: عيسى وأمُّهُ مريمَ بنتَ عمرانَ. ﴿محرّراً﴾: عتيقاً مفرّغاً لعبادتِكَ وخدمةِ بيتِ المَقدسِ. ﴿أعيذها بك﴾: أجيرُها بحفظِكَ وأحصِّنُها بكَ. ﴿كفّلها زكريا﴾: جعلَهُ كافلاً لها وضامناً لمصالحِها. ﴿المحراب﴾: غرفةَ عبادتِها في بيتِ المَقدسِ. ﴿أنى لك هذا﴾: كيفَ أو مِن أينَ لكِ هذا ؟. ﴿بغير حساب﴾: بلا نهايةٍ لِمَا يُعطي.

(١) الثعلبي (٨/ ٢٣٧)، والواحدي (ص: ١٠٣)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٨)، من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. قال الحافظ: وهذا من منكرات جويبر؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت بمكة قبل الهجرة. وعن ابن عباس من رواية الكلبي: نزلَتْ لـمَّا قالتِ اليهودُ: نحنُ أبناءُ الله وأحبّاؤُه. الثعلبي (٨/ ٢٣٨)، والواحدي (ص: ١٠٣)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٧). وعن محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت في نصارى نجران، وذلك؛ أنهم قالوا: إنما نعظِّم المسيح ونعبده حبًّا لله وتعظيمًا له. الثعلبي (٨/ ٢٣٩)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٧)، وبنحوه الطبري (٥/ ٣٢٦)، ورجَّحه لأنه لم يجرِ لغير وفد نجران في هذه السورة ـ ولا قبل هذه الآية ـ ذكرُ قوم ادعوا أنهم يحبون الله ولا أنهم يعظمونه. وعن ابن جريج: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فنزلت وجعل اتباع نبيه علَماً لحبه. الطبري (٥/ ٣٢٦)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٧) واللفظ له.

(٢) لمَّا نزلَ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ قال ابنُ أُبيٍّ: إنَّ محمَّدًا يجعلُ طاعتَه كطاعةِ الله، ويأمرُنا أن نُحِبَّه كما تُحِبُّ النَّصارى عيسى، فنزلَتْ. الثعلبي (٨/ ٢٤٣)، و«العجاب» (٢/ ٦٧٩). وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في اليهود. فقال في «العجاب» (٢/ ٦٧٩): وهذا هو الراجح.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٢) عن ابن إسحاق.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤٩) عن السدي، و(٥/ ٣٥٠) عن عكرمة. والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٤٨٤) عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة. وعلق البخاري قبل الحديث (٢٦٨٦) بالجزم عن ابن عباس: «اقترعوا فجرت الأقلام مع الجِرْيَة، وعال قلم زكرياء الجرية فكفلها زكرياء».

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء[1]، كما قال تعالى ﴿وكَفَلَها زَكَرِيّاءُ﴾: ضمَّها إليه ـ وفي قراءة بالتشديد ونصبِ «زكريّاء» ممدودًا ومقصورًا، والفاعلُ اللهُ ـ ﴿كُلَّما دَخَلَ عليها زَكَرِيّاءُ المِحرابَ﴾: الغُرفة ـ وهي أشرف المَجالس ـ ﴿وَجَدَ عِندَها رِزقًا. قالَ: يا مَريَمُ، أنّى﴾: مِن أينَ ﴿لَكِ هذا؟ قالَتْ﴾ وهي صغيرةٌ: ﴿هُوَ مِن عِندِ اللهِ﴾ يأتيني به من الجنّة. ﴿إنَّ اللهَ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تَبِعة.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿٣٩﴾ ـ ﴿هُنالِكَ﴾ أي: لمّا رأى زكريّاءُ ذلك، وعلم أنّ القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإتيان بالولد على الكِبَر، وكان أهل بيته انقرضوا، ﴿دَعا زَكَرِيّاءُ رَبَّهُ﴾ لمّا دخل المِحراب للصلاة جوف الليل، ﴿قالَ: رَبِّ، هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ﴾: مِن عِندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولدًا صالحًا. ﴿إنَّكَ سَمِيعُ﴾: مُجيبُ ﴿الدُّعاءِ. فنادَتهُ المَلائكةُ﴾ أي: جبريل، ﴿وهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي في المِحرابِ﴾ أي: المسجدِ ﴿أنَّ﴾ أي: بأنّ ـ وفي قراءة بالكسر بتقدير القول ـ ﴿اللهَ يُبَشِّرُكَ﴾، مثقّلاً ومخفّفًا، ﴿بِيَحيى مُصَدِّقًا بِكَلِمةٍ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: بعيسى أنه رُوح الله ـ وسُمّي كلمةً لأنّه خُلق بكلمة «كُن» ـ ﴿وسَيِّدًا﴾: متبوعًا ﴿وحَصُورًا﴾: مَنُوعًا من النساء ﴿ونَبِيًّا مِنَ الصّالِحِينَ﴾. رُوي أنه لم يعمل خطيئةً، ولم يَهِمّ بها[2].

﴿٤٠﴾ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، أنّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾: ولد، ﴿وقَد بَلَغَنِيَ الكِبَرُ﴾ أي: بلغتُ نهايةَ السنِّ مِائةً وعشرين سنة، ﴿وامرأتِي عاقِرٌ﴾ بلغتْ ثمانيَ وتسعين سنة؟ ﴿قالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذلِكَ﴾ مِن خلقِ غلامٍ منكما. ﴿اللهُ يَفعَلُ ما يَشاءُ﴾ لا يُعجزه عنه شيء. ولإظهار هذه القُدرة العظيمة ألهمَه السؤالَ ليُجابَ بها. ولمّا تاقت نفسه إلى سرعة المُبشَّر به. ﴿٤١﴾ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، اجعَل لِيَ آيةً﴾ أي: علامةً على حمل امرأتي. ﴿قالَ: آيَتُكَ﴾ عليه ﴿ألّا تُكَلِّمَ النّاسَ﴾ أي: تمتنعَ من كلامهم، بخلاف ذِكرِ الله ـ تعالى ـ ﴿ثَلاثَةَ أيّامٍ﴾ أي: بلياليها، ﴿إلّا رَمزًا﴾: إشارة. ﴿واذكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا، وسَبِّحْ﴾: صلِّ ﴿بِالعَشِيِّ والإبكارِ﴾: أواخرِ النهار وأوائلِه.

﴿٤٢﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَتِ المَلائكةُ﴾ أي: جبريلُ: ﴿يا مَريَمُ، إنَّ اللهَ اصطَفاكِ﴾: اختاركِ ﴿وطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال، ﴿واصطَفاكِ عَلى نِساءِ العالَمِينَ﴾ أي: أهلِ زمانكِ. ﴿٤٣﴾ ـ ﴿يا مَريَمُ، اقنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أطيعيه، ﴿واسجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرّاكِعِينَ﴾ أي: صلِّي مع المُصلِّين.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريّاءَ ومريمَ ﴿مِن أنباءِ الغَيبِ﴾: أخبار ما غاب عنك، ﴿نُوحِيهِ إلَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿وما كُنتَ لَدَيهِم إذ يُلقُونَ أقلامَهُم﴾ في الماء، يقترعون ليَظهر لهم ﴿أيُّهُم يَكفُلُ﴾: يُربّي ﴿مَريَمَ؟ وما كُنتَ لَدَيهِم إذ يَختَصِمُونَ﴾ في كفالتها، فتعرفَ ذلك فتُخبرَ به. وإنما عرَفتَه من جهة الوحي.

﴿٤٥﴾ ـ اذكرْ ﴿إذ قالَتِ المَلائكةُ﴾ أي جبريلُ: ﴿يا مَريَمُ، إنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمةٍ مِنهُ﴾ أي: ولدٍ ﴿اسمُهُ المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ﴾ ـ خاطبها بنسبته إليها تنبيهًا على أنها تلده بلا أبٍ، إذْ عادةُ الرجال نسبتُهم إلى آبائهم ـ ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاه ﴿في الدُّنيا﴾ بالنبوّة ﴿والآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العُلا، ﴿ومِنَ المُقَرَّبِينَ﴾ عند الله، ....

﴿بكلمةٍ﴾: بعيسى ـ خلقَ بـ«كُنْ» بلا أبٍ. ﴿حصوراً﴾: لا يأتي النِّساءَ معَ القدرة على إتيانِهنَّ تعفُّفاً وزهداً. ﴿أنّى يكون؟﴾: كيفَ أو مِنْ أينَ يكونُ؟. ﴿آية﴾: علامةً على حملِ زوجتي لأشكرَكَ. ﴿أن لا تكلّم النّاس﴾: أن تعجزَ عن تكليمِهم بغيرِ آفةٍ. ﴿إلّا رمزاً﴾: إلّا إيماءً وإشارةً. ﴿سبِّح بالعشيِّ﴾: صلِّ مِنَ الزّوالِ إلى الغروبِ. ﴿الإبكار﴾: مِن طلوعِ الفجرِ إلى الضُّحى. ﴿اقنتي﴾: أخلصي العبادةَ وأديمي الطّاعةَ. ﴿يُلقون أقلامهم﴾: يطرحونَ سهامَهُم للاقتراعِ بها. ﴿بكلمة منه﴾: بقولِ «كنْ» مُبتدأً مِنَ الله. ﴿وجيهاً﴾: ذا جاهٍ وقدْرٍ وشرفٍ.

(١) رواه الطبري (٥/ ٣٥٣ ـ ٣٥٧) عن ابن عباس وجمع.

(٢) قوله: «روي أنه لم يعمل...» ابن عساكر (٦٤/ ١٩٥) عن ضمرة بن حبيب وعن علي بن أبي طلحة كلاهما عن النبي ﷺ مرسلًا. وجاء أيضاً: «كلُّ بني آدم يَلقى الله بذنبٍ أذنبه إلا يحيى بنَ زكريّا» روي عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص أو عن أبيه عمرو، وأبي هريرة، والحسن البصري مرسلاً، ويحيى بن جعدة مرسلاً.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ
ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ
﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن
رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ
وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ
ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٦﴾ ـ ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهْلاً، وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿قَالَتْ: رَبِّ، أَنَّى﴾: كيفَ ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ، وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوّج ولا غيره؟ ﴿قَالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذَلِكِ﴾ من خلق ولد منك بلا أب. ﴿اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾: أراد خلقَه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿الْكِتَابَ﴾: الخطَّ ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، ﴿٤٩﴾ ـ ﴿وَ﴾ نجعلُه ﴿رَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الصِّبا أو بعدَ البلوغ. فنفخ جبريلُ في جَيبِ دِرعها فحَملتْ، وكان من أمرها ما ذُكر في سورة «مريم». فلمّا بعثه اللهُ إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول اللهِ إليكم، ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾: علامة على صدقي ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾، هي ﴿أَنِّيَ﴾ ـ وفي قِراءة بالكسر استئنافًا ـ ﴿أَخْلُقُ﴾: أصوِّر ﴿لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: مثلَ صورته ـ فالكاف: اسمٌ مفعولٌ ـ ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضميرُ للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾، وفي قراءةٍ: «طائرًا»، ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾: بإرادته ـ فخلق لهم الخُفّاش لأنه أكمل الطير خَلقًا[1]، فكان يطير وهم ينظرونه[2]، فإذا غاب عن أعيُنهم سقط ميتًا ـ ﴿وَأُبْرِئُ﴾: أَشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾: الذي وُلد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ ـ وخُصّا بالذكر لأنهما داءا إعياء، وكان بعثُه في زمن الطبّ، فأبرأ في يوم خمسين ألفًا بالدعاء بشرط الإيمان ـ ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾ ـ كرّره لنفي توهّم الألوهيّة فيه. فأحيا عازرَ صديقًا له وابنَ العجوز وابنةَ العاشر، فعاشوا ووُلِدَ لهم، وسامَ بن نوح وماتَ في الحال[3] ـ ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾: تَخبَؤُون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ ممّا لم أُعاينْه. فكان يُخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لَكُم، إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾.

ربع الحزب ٦

﴿٥٠﴾ ـ ﴿وَ﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: قَبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ، وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها ـ فأحَلّ لهم من السمك والطير ما لا صِيصِيةَ له. وقيل: أحلّ الجميع، فبعض بمعنى: كلّ ـ ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ـ كرّره تأكيدًا وليُبنَى عليه: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمُرُكم به من توحيد الله وطاعته ـ ﴿٥١﴾ ـ ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُم. فَاعْبُدُوهُ. هَذَا﴾ الذي آمرُكم به ﴿صِرَاطٌ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾. فكذّبوه ولم يؤمنوا به.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿٥٣﴾ ـ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾: عَلِمَ ﴿عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾، وأرادوا قتله، ﴿قَالَ: مَنْ أَنْصَارِيَ﴾: أعواني ذاهبًا ﴿إِلَى اللهِ﴾ لأنصرَ دينه؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾: أعوان دينه ـ وهم أصفياء عيسى أوّلُ مَن آمنَ به، وكانوا اثنَي عَشَرَ من الحَوَرِ، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثياب[4] أي: يُبيّضونها ـ ﴿آمَنَّا﴾: صدّقنا ﴿بِاللهِ. وَاشْهَدْ﴾ ـ يا عيسى ـ ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا، آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ من الإنجيل، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى. ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك بالوحدانيّة ولرسولك بالصِّدق.

﴿في المَهْدِ﴾: في مقرِّهِ زمنَ رضاعِهِ قبلَ أوانِ الكلامِ. ﴿كهلاً﴾: حالَ اكتمالِ قُوَّتِهِ (بعدَ نزولِهِ). ﴿قضى أمرًا﴾: أرادَ شيئاً. أو أحكمَهُ وحتَّمَهُ. ﴿الكتاب﴾: الخطَّ باليدِ كأحسنِ ما يكونُ. ﴿الحكمة﴾: الفقهَ أوِ الصَّوابَ قولاً وعملاً. ﴿أخلقُ لكم﴾: أُصوِّرُ لكُم وأقدِّرُ لردِّ إنكارِكم. ﴿أُبرئُ الأكمه﴾: أخلِّصُ الأعمى خِلقةً مِنَ العمى. ﴿ما تدّخِرون﴾: ما تخبّئونَهُ للأكلِ فيما بعدُ. ﴿أحسَّ﴾: عَلِمَ بلا شُبهةٍ. ﴿الحواريّون﴾: أصدقاءُ عيسى وخواصُّهُ وأنصارُهُ.

(١) رواه الطبري (٥/ ٤٢٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٧)، عن ابن جريج. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨٤) عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

(٢) الثعلبي (٨/ ٣٣٣) عن وهب.

(٣) السمعاني في «تفسيره» (١/ ٣٢١)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٠)، عن ابن عباس.

(٤) ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩) من طريق جويبر عن الضحاك. وروى الثعلبي (٨/ ٣٥٤) عن مصعب أنهم إنما أصبحوا قصارين بعد أن صحبوه فشجعهم على الأكل من كسبهم.

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ
﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم
مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ
عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ
﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟
نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا
وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿٥٤﴾ ـ قال تعالى: ﴿**ومَكَرُوا**﴾ أي: كُفّارُ بني إسرائيل بعيسى، إذ وكلوا به من يقتله غِيلة، ﴿**ومَكَرَ اللهُ**﴾ بهم بأن ألقى شَبَهَ عيسى على مَن قصد قتله فقتلوه، ورُفع عيسى، ﴿**واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ**﴾: أعلمُهم به. ﴿٥٥﴾ ـ اذكرْ ﴿**إذ قالَ اللهُ: يا عِيسَى، إنّي مُتَوَفِّيكَ**﴾: قابضك، ﴿**ورافِعُكَ إليَّ**﴾ من الدنيا من غير موت، ﴿**ومُطَهِّرُكَ**﴾: مُبعِدك ﴿**مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ**﴾: صدّقوا بنبوّتك من المُسلمين والنصارى ﴿**فَوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بك وهم اليهود، يَعلُونهم بالحُجّة والسيف ﴿**إلَى يَومِ القِيامةِ، ثُمَّ إليَّ مَرجِعُكُم، فأحكُمُ بَينَكُم فِيما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ**﴾ من أمر الدين. ﴿٥٦﴾ ـ ﴿**فأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا فأُعَذِّبُهُم عَذابًا شَدِيدًا في الدُّنيا**﴾ بالقتل والسبي وأخذ الجِزية ﴿**والآخِرةِ**﴾ بالنار، ﴿**وما لَهُم مِن ناصِرِينَ**﴾: مانعين منه. ﴿٥٧﴾ ـ ﴿**وأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُوَفِّيهِم**﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿**أُجُورَهُم. واللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ**﴾ أي: يُعاقبُهم.

رُوي أنّ الله أرسل إليه سحابة فرفعتْه، فتعلّقتْ به أُمّه وبكت، فقال لها: إنّ القِيامة تجمَعنا. وكان ذلك ليلةَ القدر ببيت المَقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أُمّه بعده ستَّ سِنين. وروى الشيخان حديثَ «أنه يَنزِلُ قُربَ السّاعةِ ويَحكُمُ بِشَريعةِ نَبيِّنا[١]، ويَقتُلُ الدَّجّالَ والخِنزيرَ ويَكسِرُ الصَّليبَ ويَضَعُ الجِزيةَ». وفي حديث مسلم أنه يمكثُ سبعَ سنينَ[٢] ـ وفي حديثٍ عند أبي داودَ الطيالسيّ: أربعينَ سنة ـ ويُتوفّى ويُصلّى عليه. فيُحتمل أنّ المُراد مجموع لَبثِه في الأرض قبل الرفع وبعده[٣].

﴿٥٨﴾ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿**نَتلُوهُ**﴾: نقصّه ﴿**عَلَيكَ**﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿**مِنَ الآياتِ**﴾: حالٌ من الهاء في «نتلوه» وعامِلُه ما في «ذلك» من معنى الإشارة، ﴿**والذِّكرِ الحَكِيمِ**﴾[٤] المُحكَمِ أيِ: القرآن ﴿٥٩﴾ ـ ﴿**إنَّ مَثَلَ عِيسَى**﴾: شأنَه الغريبَ ﴿**عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾[٥]: كشأنه في خلقه من غير أب ـ وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقطعَ للخصم وأوقع في النفس ـ ﴿**خَلَقَهُ**﴾ أي: آدمَ أي: قالَبَهُ ﴿**مِن تُرابٍ، ثُمَّ قالَ لَهُ: كُنْ**﴾ بَشرًا. ﴿**فيَكُونُ**﴾ أي: فكان. وكذلك عيسى قال له: كنْ من غير أب. فكان. ﴿٦٠﴾ ـ ﴿**الحَقُّ مِن رَبِّكَ**﴾: خبرُ مبتدأٍ محذوف أي: أمرُ عيسى. ﴿**فلا تَكُنْ مِنَ المُمتَرِينَ**﴾: الشاكّين فيه.

﴿٦١﴾ ـ ﴿**فمَن حاجَّكَ**﴾: جادلَك من النصارى ﴿**فِيهِ مِن بَعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾ بأمرِه ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**تَعالَوا، نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُم**﴾[٦] ﴿**ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم**﴾ فنجمَعْهم، ﴿**ثُمَّ نَبتَهِلْ**﴾: نتضرَّعْ في الدعاء، ﴿**فنَجعَلْ لَعنةَ اللهِ على الكاذِبِينَ**﴾ بأن نقول: اللّهمّ العنِ الكاذبَ في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وفدَ نجرانَ لذلك لمّا حاجُّوه فيه[٧]، فقالوا: حتّى ننظرَ في أمرنا ثمّ نأتيَك. فقال ذو رأيهم: لقد عرفتُم نبوّته، وأنه ما باهَلَ قومٌ نبيًّا إلّا هَلَكوا. فوادِعوا الرجلَ وانصرِفوا. فأتَوهُ وقد خرج، ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعليّ، وقال لهم: «إذا دَعَوتُ

﴿مكروا﴾: أي الكفّارُ فدبَّروا اغتيالَهُ. ﴿مَكَرَ الله﴾: دبَّر تدبيراً مُحكماً أبطلَ مكرَهُم. ﴿مُتوفّيك﴾: آخِذُكَ وافياً بروحِكَ وبدنِكَ. ﴿مثل عيسى﴾: حالَهُ وصفتَهُ العجيبةَ. ﴿الممْترين﴾: الشّاكّينَ في أنّهُ الحقُّ. ﴿تعالوا﴾: هلمُّوا، أقبِلوا بالعزمِ والرَّأيِ. ﴿نبْتهل﴾: ندْعُ باللّعنةِ على الكاذبِ منّا.

(١) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، من حديث أبي هريرة.

(٢) برقم (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) الطيالسي (٢٦٩٨) من حديث أبي هريرة. ورواه أيضاً أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وصححه ابن حبان (٦٨٢١)، والحاكم (٤١٦٣)، والحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩٣). وله شاهد من حديث عائشة عند أحمد (٢٤٤٦٧)، وابن حبان (٦٨٢٢) وإسناده جيد. وقال بعض العلماء: هذا ما صح في مدة لبثه، وما دل على خلاف ذلك فهو مُؤَوَّل. انظر: «بذل المجهود في حل سنن أبي داود» (١٢/ ٣٧٦).

(٤) عن الحسن قال: أتى رسولَ الله ﷺ راهبَا نجرانَ فقال أحدهما: مَن أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يؤامِر ربه، فنزلت. ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٤)، «لباب النقول» (ص: ٤١).

(٥) عن الشعبي: كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولًا، فكانوا يجادلون النبي ﷺ فيه، فنزلت. الطبري (٥/ ٤٥٩)، «العجاب» (٢/ ٦٨٠). وتفصيل ذلك عن ابن عباس بإسناد ضعيف: أن رهطاً من أهل نجران قدموا على النبي ﷺ فقالوا: ما شأنُك تذكر صاحبنا تزعم أنه عبد الله؟! قال: «أجل إنه عبد الله» قالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل بأمر الله فقال: قل لهم إذا أتوك: ﴿إنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ الآية. الطبري (٥/ ٤٦٠)، ابن أبي حاتم (٢/ ٦٦٥)، «العجاب» (٢/ ٦٨٠). وقد روي في نزول هذه الآية أخبار كثيرة عند الطبري و«العجاب» وكلها متفقة على أنها نزلت في أهل نجران.

(٦) نزلت في وفد نجران كما روى الآجري في «الشريعة» (١٦٩٠)، والواحدي (ص: ١٠٥) عن جابر.

(٧) الآجري في «الشريعة» (١٦٩٠)، والواحدي (ص: ١٠٥)، من حديث جابر رضي الله عنه، وفي آخره: «والذي بعثني بالحقّ لو فعلا لمطرَ الوادي نارًا».

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ
﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ
تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا
وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾
إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

فأمِّنُوا»، فأبَوا أن يُباهِلوا، وصالَحوه على الجِزية. وعن ابن عبّاس: لو خرج الذين يباهِلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً[١]. وفي رواية: لو خرجوا لاحترقوا[٢].

(٦٢) ـ ﴿إنَّ هذا﴾ المذكورَ ﴿لَهُوَ القَصَصُ﴾: الخبر ﴿الحَقُّ﴾: الذي لا شكّ فيه، ﴿وما مِن﴾: زائدةٌ ﴿إلٰهٍ إلّا اللهُ، وإنَّ اللهَ لَهُوَ العَزيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكيمُ﴾ في صُنعه. (٦٣) ـ ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن الإيمان ﴿فإنَّ اللهَ عَليمٌ بِالمُفسِدِينَ﴾ فيُجازيهم. وفيه وضع الظاهر موضع المُضمر.

(٦٤) ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ﴾: اليهودَ والنصارى، ﴿تعالَوا إلى كَلِمةٍ سَواءٍ﴾: مصدرٌ بمعنى مُستوٍ أمرُها ﴿بينَنا وبينَكم﴾، هي ﴿ألّا نعبُدَ إلّا اللهَ ولا نُشرِكَ بِهِ شَيئًا، ولا يَتَّخِذَ بَعضُنا بَعضًا أربابًا مِن دُونِ اللهِ﴾ كما اتّخذتم الأحبارَ والرُّهبان. ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن التوحيد ﴿فقُولُوا﴾ أنتم لهم: ﴿اشهَدُوا بِأنّا مُسلِمُونَ﴾: موحِّدُون.

ونزل لمّا قال اليهود: «إبراهيمُ يهوديّ ونحن على دِينه»[٣]، وقالت النصارى كذلك: (٦٥) ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تُحاجُّونَ﴾: تُخاصِمون ﴿في إبراهيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم، ﴿وما أُنزِلَتِ التَّوراةُ والإنجيلُ إلّا مِن بَعدِهِ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حَدَثَتِ اليهوديّة والنصرانيّة؟ ﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾ بُطلانَ قولكم؟ (٦٦) ـ ﴿ها﴾: للتنبيه ﴿أنتُم﴾: مبتدأ يا ﴿هؤُلاءِ﴾ والخبرُ: ﴿حاجَجتُم، فِيما لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾، من أمر موسى وعيسى، وزعمتم أنكم على دينهما. ﴿فلِمَ تُحاجُّونَ، فِيما ليسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ﴾ من شأن إبراهيم؟ ﴿واللهُ يَعلَمُ﴾ شأنه، ﴿وأنتُم لا تَعلَمُونَـ﴾ـهُ.

قال تعالى تبرئةً لإبراهيم: (٦٧) ـ (٦٨) ـ ﴿ما كانَ إبراهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصرانِيًّا[٤]، ولكِنْ كانَ حَنيفًا﴾: مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدين القيِّم ﴿مُسلِمًا﴾: مُوحِّدًا، ﴿وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ. إنَّ أولَى النّاسِ﴾: أحقَّهم ﴿بِإبراهيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه، ﴿وهذا النَّبِيُّ﴾[٥] محمّدٌ لِمُوافقته له في أكثرِ شرعه، ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِن أُمّته ـ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: «نحن على دينه» لا أنتم ـ ﴿واللهُ وَلِيُّ المُؤمِنِينَ﴾: ناصرُهم وحافظهم.

ونزل لمّا دعا اليهودُ مُعاذًا وحُذيفةَ وعمّارًا إلى دينهم[٦]: (٦٩) ـ ﴿وَدَّتْ طائِفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ لَو يُضِلُّونَكُم، وما يُضِلُّونَ إلّا أنفُسَهُم﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ بذلك. (٧٠) ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: القرآنِ المشتمل على نعت محمّد، ﴿وأنتُم تَشهَدُونَ﴾: تعلمون أنه حقّ؟

﴿كلمة سواءٍ﴾: كلام عدلٍ أولا تختلفُ فيه الشّرائعُ. ﴿كان حنيفًا﴾: مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّنِ الحقِّ. ﴿مُسلماً﴾: موحِّداً. أو منقاداً للهِ مُطيعاً. ﴿وليّ المؤمنين﴾: ناصرُهُم ومُجازيهم بالحُسنى.

(١) أحمد (٢٢٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٩٥). (٢) الطبري (٥/ ٤٧١) عن السدي.

(٣) الطبري (٥/ ٤٨١) عن ابن عباس وقتادة، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٧١) عن السدي.

(٤) الشعبي: قالت اليهود: إبراهيم على ديننا، وقالت النصارى: إبراهيم على ديننا، فأنزل الله هذه الآية فبرأه منهما. الطبري (٥/ ٤٨٦)، «العجاب» (٢/ ٦٨٩). وعن مقاتل بن حيان: قال كعب ـ يعني: ابن الأشرف ـ وأصحابه: إن إبراهيم منا وموسى منا والأنبياء منا، فنزلت. ابن أبي حاتم (٢/ ٦٧٣)، «العجاب» (٢/ ٦٨٩).

(٥) عن ابن عباس: أن رؤساء اليهود قالوا: يا محمد لقد علمت أنا أولى بإبراهيم منك ومن غيرك، وأنه كان يهوديًّا، وما بك إلا الحسد، فنزلت. الثعلبي (٨/ ٣٩٧)، الواحدي (ص: ١٠٦)، «العجاب» (٢/ ٦٨٩). وعن عبد الرحمن بن غَنْم: أنها نزلت في قصة عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد اللذين أرسلتهما قريش إلى النجاشي يؤلبونه على من هاجر إليه من المسلمين.. ، وفيه: أن النجاشي قال بعد أن سمع كلام الصحابة: لا دهوره ـ أي: لا خوف ـ على حزب إبراهيم، فقال عمرو: من هم حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن اتبعه، فأنزلت ذلك اليوم ـ يوم خصومتهم ـ على رسول الله ﷺ هذه الآية. عبد بن حميد كما في «العجاب» (٢/ ٦٩٠ ـ ٦٩١).

(٦) «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٣)، والثعلبي (٨/ ٤٠٨)، والواحدي (ص: ١٠٩)، وقال عنه أبو حيّان في «البحر المحيط» (٥/ ٤٥٤): «أجمع المفسرون أنها نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة وعمّار دعوهم يهود بني النضير وقريظة وقينقاع إلى دينهم». لكن قال الحافظ في «العجاب» (١/ ٣٥٦): لم أجده مسندًا.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

﴿٧١﴾ ـ ﴿**يا أهلَ الكِتاب، لِمَ تَلبِسُونَ**﴾: تخلِطون ﴿**الحَقَّ بالباطِلِ**﴾ بالتحريف والتزوير، ﴿**وتكتُمُونَ الحَقَّ**﴾ أي: نعتَ النبيِّ، ﴿**وأنتُم تَعلَمُونَ**﴾ أنه حقٌّ؟

﴿٧٢﴾ ـ ﴿**وقالَتْ طائفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ**﴾[1] اليهود لبعضهم: ﴿**آمِنُوا بالَّذي أُنزِلَ علَى الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي: القرآنِ ﴿**وَجهَ النَّهارِ**﴾: أوّلَه، ﴿**واكفُرُوا**﴾ به ﴿**آخِرَهُ، لَعَلَّهُم**﴾ أي: المُؤمنين ﴿**يَرجِعُونَ**﴾ عن دينهم. إذ يقولون: ما رَجَعَ هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه، وهم أولو عِلم، إلّا لِعلمهم بُطلانَه.

﴿٧٣﴾ ـ وقالوا أيضًا: ﴿**ولا تُؤمِنُوا**﴾: تُصدِّقوا ﴿**إلّا لِمَن**﴾ اللام زائدةٌ ﴿**تَبِعَ**﴾: وافق ﴿**دِينَكُم**﴾ ـ قال تعالى: ﴿**قُلْ**﴾ لهم، يا محمّد: ﴿**إنَّ الهُدَى هُدَى اللهِ**﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال[2]. والجملة: اعتراض ـ ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**يُؤتَى أحَدٌ مِثلَ ما أُوتِيتُم**﴾ من الكِتاب والحِكمة والفضائل وأنْ: مفعول «تؤمنوا»، والمُستثنى منه «أحدٌ» قُدِّم عليه المُستثنى. المعنى: لا تُقِرّوا بأن أحدًا يُؤتى ذلك إلّا مَن تبعَ دِينكم، ﴿**أو**﴾ أن ﴿**يُحاجُّوكُم**﴾ أي: المؤمنون يغلبوكم ﴿**عِندَ رَبِّكُم**﴾ يوم القيامة لأنّكم أصحّ دينًا. وفي قراءة: «أَأَنْ» بهمزة التوبيخ أي: أإيتاءُ أحدٍ مثلَه تُقِرّون به؟

قال تعالى: ﴿**قُلْ: إنَّ الفَضلَ بيَدِ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ**﴾. فمِن أين لكم أنه لا يُؤتَى أحد مِثلَ ما أوتيتم؟ ﴿**واللهُ واسِعٌ**﴾: كثير الفضل ﴿**عَلِيمٌ**﴾ بمن هو أهله،

﴿٧٤﴾ ـ ﴿**يَختَصُّ بِرَحْمتِهِ مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾.

﴿٧٥﴾ ـ ﴿**ومِن أهلِ الكِتابِ مَن إنْ تأمَنْهُ بِقِنطارٍ**﴾ أي: بمال كثير ﴿**يُؤَدِّهِ إلَيكَ**﴾ لأمانته كعبدالله بن سلام، أودعه رجل ألفًا ومائتَي أُوقيّةٍ ذهبًا فأدّاها إليه، ﴿**ومِنهُم مَن إنْ تأمَنْهُ بِدينارٍ لا يُؤَدِّهِ إلَيكَ**﴾ لخِيانته ﴿**إلّا ما دُمتَ عليهِ قائمًا**﴾ لا تفارقه. فمتى فارقتَه أنكره ككعب بن الأشرف، استودعه قرشيٌّ دينارًا فجحده.

﴿**ذلِكَ**﴾ أي: تركُ الأداء ﴿**بِأنَّهُم قالُوا**﴾ بسبب قولهم: ﴿**لَيسَ علَينا في الأُمِّيِّينَ**﴾ أي: العربِ ﴿**سَبِيلٌ**﴾ أي: إثم. لاستحلالهم ظلمَ من خالفَ دِينهم، ونسبوه إليه تعالى. قال تعالى: ﴿**ويَقُولُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ**﴾ في نِسبة ذلك إليه، ﴿**وهُم يَعلَمُونَ**﴾ أنهم كاذبون. ﴿٧٦﴾ ـ ﴿**بَلَى**﴾ عليهم فيهم سبيلٌ، ﴿**مَن أَوفَى بِعَهدِهِ**﴾ الذي عاهد عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره، ﴿**واتَّقَى**﴾ الله بتركِ المعاصي وعملِ الطاعات، ﴿**فإنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ**﴾. فيه وضع الظاهر موضع المُضمر أي: يُحبّهم بمعنى: يُثيبهم.

ونزل في اليهود لمّا بدّلوا نعتَ النبيّ وعهدَ الله إليهم في التوراة[3]، أو فيمن حلفَ كاذبًا في دعوَى أو في بيعِ سِلعةٍ[4]: ﴿٧٧﴾ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَشتَرُونَ**﴾: يستبدلون ﴿**بِعَهدِ اللهِ**﴾ إليهم في الإيمانِ بالنبيّ وأداءِ الأمانة ﴿**وأيمانِهِم**﴾: حلفِهم به ـ تعالى ـ كاذبًا ﴿**ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ من الدُّنيا، ﴿**أُولئِكَ لا خَلاقَ**﴾: نصيبَ ﴿**لَهُم في الآخِرةِ، ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ**﴾ غضبًا عليهم، ﴿**ولا يَنظُرُ إلَيهِم**﴾: يرحمهم ﴿**يَومَ القِيامةِ، ولا يُزَكِّيهِم**﴾: يُطهّرهم، ﴿**ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾: مؤلِم.

﴿تلبِسون﴾: تخلِطونَ أو تسترُونَ. ﴿عليه قائماً﴾: ملازماً لهُ تطالبُهُ وتُقاضيه. ﴿في الأمِّيِّين﴾: فيما أصبْنا مِن أموالِ العربِ. ﴿سبيل﴾: عِتابٌ وذمٌّ أو إثمٌ وحرجٌ. ﴿لا خلاق لهم﴾: لا نصيبَ مِنَ الخيرِ أو لا قدْرَ لهُم. ﴿لا ينظر إليهم﴾: لا يُحسنُ إليهم ولا يرحمُهُم. ﴿لا يزكّيهم﴾: لا يطهِّرُهُم أو لا يُثني عليهم.

(١) تواطأ اثنا عشرَ حبرًا من يهودِ خيبرَ وغيرِهم، فقالوا: ادخُلوا في دينِه أوَّلَ النَّهارِ باللِّسانِ دونَ الاعتقادِ، واكفُروا به آخرَه، وقولوا: «نظَرْنا في كتُبِنا وشاوَرْنا علماءَنا فوجَدْنا محمّدًا ليس بمَن ظنَنّاه، وظهرَ لنا كَذِبُه»؛ حتّى يشُكَّ أصحابُه في دينِهم ويقولوا: إنّهم أهلُ كتابٍ وهم أعلَمُ به منّا، فأنزل الله هذه الآيةَ، وأخبرَ به نبيَّه عليه السّلامُ. الطبري (٥/ ٤٩٦) عن السدي. والثعلبي (٨/ ٤١٠ ـ ٤١١)، والواحدي (ص: ١٠٩)، عن الحسن والسدي. وقيلَ: جرَى هذا في أمرِ تحويلِ القِبلةِ، قال كعبُ بنُ الأشرفِ لأصحابِه: صلُّوا إلى الكعبةِ أوَّلَ النَّهارِ ثمَّ اكفُروا به في آخرِ النَّهارِ، لعلَّهم يرجعون إلى قِبلتِنا. الثعلبي (٨/ ٤١١)، والواحدي (ص: ١٠٩)، عن مجاهد ومقاتل والكلبي.

(٢) «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٥). وعند الثعلبي (٨/ ٤٢٢)، والبغوي (٢/ ٥٦)، نحوه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وفيه: فنحاص بن عازوراء بدل كعب بن الأشرف. جويبر ومقاتل متروكان.

(٣) الثعلبي (٨/ ٤٣٨)، والواحدي (ص: ١١٢)، عن الكلبي: أن كعب بن الأشرف سأل بعض أحبارِ اليهود: ما تقولون في محمَّدٍ؟ فقالوا: إنَّه نبيٌّ، فهددهم بقطع العطايا عنهم، فذهبوا فغيروا صفته ﷺ ثم رجعوا إلى كعب وأخرجوا النعت الذي كتبوه، ففرح كعب بذلك ومارَهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وروي نحوه عن عكرمة. الطبري (٥/ ٥١٦)، الثعلبي (٨/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨)، الواحدي (ص: ١١٢).

(٤) رواه البخاري (٢٠٨٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه. والبخاري (٢٣٥٦) ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه قصة خصام الأشعث بن قيس مع رجل على أرض. وروي في سبب النزول نحوه لكن بين امرئ القيس بن عابس الكندي ورجل من حضرموت، رواه أحمد (١٧٧١٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥٩٥٣)، من حديث عدي بن عميرة. وسنده صحيح. ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بأن الآية نزلت في واحدة من القصص المذكورة، وتلاها النبي ﷺ في باقي الحوادث تلاوة فقط تحذيراً من الحلف الكاذب.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ
ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن
تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم
مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم
مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

(٧٨) ـ ﴿**وإنَّ مِنهُم**﴾ أي: أهلِ الكتاب ﴿**لَفَرِيقًا**﴾: طائفةً ككعب بن الأشرف ﴿**يَلْوُونَ أَلسِنَتَهُم بالكِتابِ**﴾[1] أي: يعطفونها بقراءته عن المُنزَل إلى ما حرّفوه، من نعت النبي ﷺ ونحوه، ﴿**لِتَحسِبُوهُ**﴾ أي: المُحرَّفَ ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾ الذي أنزله الله، ﴿**وما هُوَ مِنَ الكِتابِ، وَيَقُولُونَ: هُوَ مِن عِندِ اللهِ. وما هُوَ من عِندِ اللهِ، ويقُولُونَ على اللهِ الكَذِبَ، وهُم يَعلَمُونَ**﴾ أنهم كاذبون.

ونزل لمّا قال نصارى نجران: «إنّ عيسى أمرَهم أن يتّخذوه ربًّا»[2] أو لمّا طلب بعض المسلمين السُّجود له ﷺ[3]: (٧٩) ـ ﴿**ما كانَ**﴾: ينبغي ﴿**لِبَشَرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكِتابَ والحُكمَ**﴾ أي: الفهمَ للشريعة ﴿**والنُّبوّةَ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنّاسِ: كُونُوا عِبادًا لِي مِن دُونِ اللهِ. ولكِنْ**﴾ يقول: ﴿**كُونُوا رَبّانِيِّينَ**﴾: عُلماءَ عاملين ـ منسوب إلى الربّ بزيادة ألف ونون تفخيمًا ـ ﴿**بِما كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**الكِتابَ وبما كُنتُم تَدرُسُونَ**﴾ أي: بسبب ذلك: فإنّ فائدته أن تعملوا. (٨٠) ـ ﴿**ولا يأمُرَكُم**﴾، بالرفعِ استئنافًا أي: اللهُ، والنصبِ عطفًا على «يقولَ» أي: البشرُ ﴿**أنْ تَتَّخِذُوا المَلائكةَ والنَّبيِّينَ أربابًا**﴾ كما اتّخذتِ الصابئةُ الملائكةَ، واليهودُ عُزَيرًا، والنصارى عيسى. ﴿**أيأمُرُكُم بالكُفرِ، بَعدَ إذ أنتُم مُسلِمُونَ**﴾؟ لا ينبغي له هذا.

(٨١) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ**﴾: حينَ ﴿**أخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ**﴾: عهدَهم ﴿**لَما**﴾ ـ بفتحِ اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذِ الميثاق، وكسرِها متعلّقةً بـ«أخذَ»، وما: موصولة على الوجهين ـ أي: لَلَّذي ﴿**آتيتُكُم**﴾ إيّاه، وفي قراءة: «آتيناكُم»، ﴿**مِن كِتابٍ وحِكمةٍ، ثُمَّ جاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُم**﴾ من الكتاب والحِكمة ـ وهو محمّد ـ ﴿**لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ولَتَنصُرُنَّهُ**﴾: جوابُ القسم، إن أدركتُموه، وأُممُهم تَبَعٌ لهم في ذلك. ﴿**قالَ**﴾ تعالى لهم: ﴿**أأقرَرتُم**﴾ بذلك، ﴿**وأخَذتُم**﴾: قَبِلتم ﴿**على ذلِكُم إصرِي**﴾: عهدي؟ ﴿**قالُوا: أقرَرنا. قالَ: فاشهَدُوا**﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك، ﴿**وأنا مَعَكُم مِنَ الشّاهِدِينَ**﴾، عليكم وعليهم. (٨٢) ـ ﴿**فمَن تَوَلَّى**﴾: أعرض ﴿**بَعدَ ذلِكَ**﴾ الميثاقِ ﴿**فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ**﴾.

(٨٣) ـ ﴿**أفَغَيرَ دِينِ اللهِ يَبغُونَ**﴾[4] بالياءِ أيِ: المتولّون، والتاءِ، ﴿**ولَهُ أسلَمَ**﴾: انقاد ﴿**مَن في السّماواتِ والأرضِ طَوعًا**﴾: بلا إباءٍ ﴿**وكَرهًا**﴾ بالسيفِ ومُعاينةِ ما يُلجِئُ إليه، ﴿**وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾؟ بالتاء والياء والهمزةُ للإنكار.

﴿يلوون ألسنتهم﴾: يُميلونَها عنِ الصَّحيحِ إلى المحرَّفِ. ﴿الحُكْمَ﴾: الحِكمةَ أو الفهمَ والعِلمَ. ﴿كونوا ربَّانيِّين﴾: علماءَ مُعلِّمينَ فقهاءَ في الدِّينِ. ﴿تدْرسون﴾: تقرؤونَ الكِتابَ. ﴿إِصْري﴾: عهدي. ﴿له أسلم﴾: لهُ انقادَ وخضعَ.

(١) عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: نزلت في اليهود والنصارى حرَّفوا التوراة والإنجيل، وضربوا كتاب الله بعضه ببعض وألحقوا به ما ليس منه، وأسقطوا منه الدين الحنيف. الثعلبي (٨/ ٤٥٥)، و«العجاب» (٢/ ٧٠٣).

(٢) الثعلبي (٨/ ٤٥٦)، والواحدي (ص: ١١٢)، عن الضحاك ومقاتل قالا: نزلت في نصارى نجرانَ عَبدوا عيسى.

(٣) رواه عبد بن حميد عن الحسن مرسلًا كما في «العجاب» (٢/ ٧٠٥). وقيلَ: نزلت في قوم من اليهود ونصارى نجران قالوا: أتريد يا محمد أن نعبدك، وإليه تدعونا؟! فقال ﷺ: «معاذَ الله أن نَعبُد غيرَ الله، أو نأمر بعبادة غيره» فنزلت. الطبري (٥/ ٥٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٨٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٦٤٢) عن ابن إسحاق، وهو كذلك في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٥٤). وذكره عن ابن عباس الثعلبي (٨/ ٤٥٦)، والواحدي (ص: ١١٢).

(٤) عن ابن عباس: أن أهل الكتابين اختصَموا إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم عليه السلام، وكلُّ واحدٍ من الفريقين ادَّعى أنه أَوْلَى به، فقال ﷺ: «كِلَا الفريقين بريءٌ من دِينِ إبراهيمَ عليه السلام» فقالوا: ما نرضَى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فنزلت. الثعلبي (٨/ ٤٧٧)، والواحدي (ص: ١١٣). قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٢٧): لم أجد له إسنادًا.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ
يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ
ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿٨٤﴾ - ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمّد: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وما أُنزِلَ علَينا، وما أُنزِلَ علَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ والأسباطِ﴾: أولاده، ﴿وما أُوتِيَ مُوسَى وعِيسَى والنَّبِيُّونَ مِن ربِّهِم، لا نُفرِّقُ بَينَ أحَدٍ مِنهُم﴾ بالتصديق والتكذيب، ﴿ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾ مُخلصون في العبادة.

ونزل فيمن ارتدّ ولحق بالكفّار[1]: ﴿٨٥﴾ - ﴿ومَن يَبتَغِ غَيرَ الإسلامِ دِينًا فلَن يُقبَلَ مِنهُ، وهُوَ في الآخِرةِ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبَّدة عليه.

﴿٨٦﴾ - ﴿كَيفَ﴾ أي: لا ﴿يَهدِي اللهُ قَومًا كَفَرُوا بَعدَ إيمانِهِم[2] وشَهِدُوا﴾ أي: وشهادتهم ﴿أنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، و﴾ قد ﴿جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾: الحججُ الظاهرات على صدق النبيّ، ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين؟

﴿٨٧﴾ - ﴿أُولئِكَ جَزاؤُهُم أنَّ علَيهِم لَعنَةَ اللهِ والمَلائكةِ والنّاسِ أجمَعِينَ،

﴿٨٨﴾ - ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ أي: اللعنةِ أو النار المدلولِ بها عليها، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذابُ، ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون، ﴿٨٩﴾ - ﴿إلّا الَّذِينَ تابُوا مِن بَعدِ ذلِكَ وأصلَحُوا﴾ عملَهم. ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

ونزل في اليهود[3]: ﴿٩٠﴾ - ﴿٩١﴾ - ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعدَ إيمانِهِم﴾ بموسى، ﴿ثُمَّ ازدادُوا كُفرًا﴾ بمحمّد، ﴿لَن تُقبَلَ تَوبتُهُم﴾ إذا غرغرُوا أو ماتوا كفّارًا، ﴿وأُولئِكَ هُمُ الضّالُّونَ. إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، وماتُوا وهُم كُفّارٌ، فلَن يُقبَلَ مِن أحَدِهِم مِلءُ الأرضِ﴾: مقدارُ ما يملؤها ﴿ذَهَبًا، ولَوِ افتَدَى بِهِ﴾ - أدخل الفاء في خبر «إنّ» لشَبه «الذين» بالشرط وإيذانًا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر - ﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلم، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرِينَ﴾: مانعِين منه.

﴿٩٢﴾ - ﴿لَن تَنالُوا البِرَّ﴾ أي: ثوابَه - وهو الجنّة - ﴿حَتَّى تُنفِقُوا﴾: تَتَصَدَّقوا ﴿مِمّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم، ﴿وما تُنفِقُوا مِن شَيءٍ فإنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيُجازي عليه.

ونزل لمّا قال اليهود: «إنّكَ تزعمُ أنك على مِلّة إبراهيمَ[4]، وكان لا يأكل لُحومَ الإبلِ وألبانَها»: ﴿٩٣﴾ - ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلًّا﴾: حَلالاً ﴿لِبَنِي إسرائيلَ، إلّا ما حَرَّمَ إسرائيلُ﴾: يعقوبُ ﴿علَى نَفسِهِ﴾ - وهو الإبِلُ، لمّا حصَل له عِرقُ النَّسا[5]، بالفتح والقصر، فنَذَرَ إن شُفي لا يأكلها فحُرِّم عليهم -

﴿الأسباط﴾: أولادِ يعقوبَ أو أحفادِه. ﴿الإسلام﴾: التَّوحيدِ أو شريعةِ نبيِّنا ﷺ. ﴿يُنظَرون﴾: يؤخَّرونَ عنِ العذابِ لحظةً.

(١) قال مقاتل: نزلت في طعمة بن أبيرق من الأوس، ارتد عن الإسلام ولحق بكفار مكة. «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٨)، «العجاب» (٢/ ٧٠٧).

(٢) عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالمشركين، ثم ندم فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله هل لي من توبة؟ فسألوا فقالوا: إن صاحبنا قد ندم، وإنه قد أمرنا أن نسأل هل له توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأرسل إليه فأسلم. أحمد (٢٢١٨)، والنسائي (٤٠٦٨)، وابن حبان (٤٤٧٧)، والطبري (٥/ ٥٥٧). وفي رواية: فلما قرئت عليه قال: والله ما كذبني قومي على رسول الله ولا كذب رسول الله، والله تعالى أصدق، فرجع تائبًا فقبل منه. الواحدي (ص: ١١٣ - ١١٤). وعن مجاهدٍ نحوُه وسمى الرجل: الحارث بن سويد، رواه عبد الرزاق (٤٢٦).

(٣) الطبري (٥/ ٥٦٤) عن قتادة، والثعلبي (٨/ ٤٨٩)، والواحدي (ص: ١١٥)، عن الحسن وقتادة وعطاء الخراساني. وعن ابن عباس: أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا فأرسلوا إلى قومهم يسألون فنزلت. رواه البزار كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية، وقال: إسناده جيد. لكن الحافظ في «العجاب» (٢/ ٧٠٩) وهَّم البزار في هذه الرواية، وتابعه السيوطي فخطأه في «الدر المنثور» (٢/ ٢٥٨).

(٤) الثعلبي (٨/ ٥٠٦)، والواحدي (ص: ١١٥)، عن أبي روق والكلبي.

(٥) الترمذي (٣١١٧) وحسنه، والنسائي في «الكبرى» (٩٠٢٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ
ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ
إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ
مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء ٤ الحزب ٧

﴿مِن قَبلِ أنْ تُنزَلَ التَّوراةُ﴾. وذلك بعد إبراهيم، ولم يكن على عهده حرامًا كما زعموا. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فأْتُوا بالتَّوراةِ فاتلُوها﴾ ليتبيّن صِدق قولكم، ﴿إنْ كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه. فبُهتوا ولم يأتوا بها. ﴿٩٤﴾ ـ قال تعالى: ﴿فمَنِ افترَى علَى اللهِ الكَذِبَ مِن بَعدِ ذلِكَ﴾، أي: ظهورِ الحُجّة بأنّ التحريم إنّما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم، ﴿فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾: المتجاوزون الحقَّ إلى الباطل. ﴿٩٥﴾ ـ ﴿قُلْ: صَدَقَ اللهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به. ﴿فاتَّبِعُوا مِلّةَ إبراهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنيفًا﴾: مائلاً عن كلّ دِين إلى الإسلام، ﴿وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾.

ونزل لمّا قالوا: «قِبلتُنا قَبلَ قِبلتكم»[١]: ﴿٩٦﴾ ـ ﴿إنَّ أوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ﴾ مُتعبَّدًا ﴿لِلنّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكّةَ﴾ ـ بالباء لُغةٌ في «مكّة»، سُمّيت بذلك لأنّها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، أي: تدقّها بناه الملائكة قبل خلقِ آدم، ووُضِع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين[٢]. وفي حديثٍ «أنّه أوّلُ ما ظهرَ على وجهِ الماءِ[٣]، عِندَ خَلقِ السّماواتِ والأرضِ، زُبدةً بَيضاءَ، فدُحِيَتِ الأرضُ من تحتِهِ» ـ ﴿مُبارَكًا﴾: حالٌ من «الذي» أي: ذا بركة ﴿وهُدًى لِلعالَمِينَ﴾ لأنه قِبلتهم ﴿٩٧﴾ ـ ﴿فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ﴾، منها ﴿مَقامُ إبراهِيمَ﴾ أي: الحجَرُ الذي قام عليه عند بناء البيت فأثّر قدماه فيه، وبقي إلى الآنَ مع تطاوُلِ الزمان وتداوُلِ الأيدي عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه وأنّ الطير لا يعلوه، ﴿ومَن دَخَلَهُ كانَ آمِنًا﴾: لا يُتعرَّض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ـ ﴿وللهِ علَى النّاسِ حِجُّ البَيتِ﴾[٤] واجبٌ ـ بكسر الحاء وفتحها، لغتانِ في مصدر: حَجَّ، بمعنى: قَصَدَ ـ ويُبدَلُ من «الناس» ﴿مَنِ استَطاعَ إلَيهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا، فسَّره ﷺ بالزاد والراحلة، رواه الحاكم وغيره[٥]. ﴿ومَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحجّ ﴿فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ﴾: الإنسِ والجنِّ والملائكة وعن عِبادتهم.

﴿٩٨﴾ ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: القرآنِ، ﴿واللهُ شَهِيدٌ علَى ما تَعمَلُونَ﴾، فيُجازيكم عليه؟ ﴿٩٩﴾ ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لِمَ تَصُدُّونَ﴾: تصرِفون ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن دِينه ﴿مَن آمَنَ﴾ بتكذيبكم النبيَّ وكتم نعته، ﴿تَبغُونَها﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾: مصدرٌ بمعنى: مُعْوَجّةً أي: مائلةً عن الحقّ، ﴿وأنتُم شُهَداءُ﴾: عالمون بأنّ الدين المَرْضِيَّ هو القَيِّمُ دينُ الإسلام كما في كتابكم؟ ﴿وما اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعمَلُونَ﴾ من الكُفر والتكذيب، وإنّما يُؤخّركم إلى وقتكم فيُجازيكم.

ونزل لمّا مرَّ بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تآلفهم[٦]، فذكَّرهم بما كان بينهم في الجاهليّة من الفتن، فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ﴿١٠٠﴾ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُم بَعدَ إيمانِكُم كافِرِينَ،﴾........

﴿البِرّ﴾: الإحسانَ وكمالَ الخيرِ. ﴿إسرائيل﴾: يعقوبُ بنُ إسحاقَ عليهما السَّلامُ. ﴿حنيفاً﴾: مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ. ﴿بِبكّة﴾: مكّةَ المُكرَّمةِ. ﴿تبغونها عِوجاً﴾: تطلبونَها مُعْوجَّةً أو ذاتَ اعوجاجٍ.

(١) ذكره بهذا اللفظ النسفي (١/ ٢٧٥) دون نسبة. وعند الثعلبي (٩/ ٧) والواحدي (ص: ١١٥) عن مجاهد قال: تفاخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء، وفي الأرض المقدسة. وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل. وهكذا رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٨، ٢٩٩)، عن ابن جريج.

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. (٣) الطبري (٥/ ٥٩١) عن عبد الله بن عمرو موقوفاً.

(٤) عن عكرمة في قول الله عز وجل: (﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥]، فقالت الملل: نحن مسلمون! فأنزل الله عز وجل: ﴿ولله على الناس حجّ البيت﴾ الآية. وفي رواية: فقالت اليهود. الطبري (٥/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦)، و«العجاب» (٢/ ٧١٨).

(٥) الحاكم (١٦١٣) وصححه من حديث أنس. والترمذي (٨١٣) وضعفه، وابن ماجه (٢٨٩٦)، من حديث ابن عمر. والدارقطني في «سننه» الأحاديث (٢٤١٣ ـ ٢٤٢٧) من حديث جابر وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وأنس وعائشة وابن عمر وابن عباس. وضعف أسانيدها الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٢٨). وقال الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١٧): «في أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدِّين». وقال ابن المنذر في «الإشراف» (٣/ ١٧٥): ولا يثبت في هذ الباب حديث مسند. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٦)، والإمام أحمد في «مسائله برواية ابنه عبد الله» (ص: ١٩٧)، عن الحسن مرسلاً. وهو الصحيح. انظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢١).

(٦) الطبري (٥/ ٦٢٧) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني الثقة عن زيد بن أسلم، وهو مرسل، وفيه راو مبهم، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٧٦٢) عن عكرمة. والطبري (٥/ ٦٣١ ـ ٦٣٢) عن السدي ومجاهد.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ
ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٤)
وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٨)

(١٠١) ـ ﴿وكَيفَ تَكفُرُونَ﴾ ـ استفهام تعجيب وتوبيخ ـ ﴿وأنتُم تُتلَى علَيكُم آياتُ اللهِ﴾[1]، ﴿وفِيكُم رَسُولُهُ﴾؟ ﴿ومَن يَعتَصِمْ﴾: يتمسّكْ ﴿بِاللهِ فقد هُدِيَ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾.

(١٠٢) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ﴾[2] بـ «أن يُطاعَ فلا يُعصَى[3]، ويُشكَرَ فلا يُكفَرَ، ويُذكَرَ فلا يُنسَى» ـ فقالوا: يا رسول الله، ومَن يقوى على هذا؟[4] فنُسخ بقوله تعالى: «فاتَّقوا اللهَ ما استطَعتُم» ـ ﴿ولا تَمُوتُنَّ إلّا وأنتُم مُسلِمُونَ﴾: موحّدون، (١٠٣) ـ ﴿واعتَصِمُوا﴾: تمسّكوا ﴿بِحَبلِ اللهِ﴾، أي: دِينه ﴿جَمِيعًا، ولا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام، ﴿واذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ﴾: إنعامَه ﴿علَيكُم﴾ ـ يا معشر الأوس والخزرج ـ ﴿إذ كُنتُم﴾ قبل الإسلام ﴿أعداءً، فألَّفَ﴾: جمعَ ﴿بَينَ قُلُوبِكُم﴾ بالإسلام، ﴿فأصبَحتُم﴾: فصِرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إخوانًا﴾ في الدِّين والوِلاية، ﴿وكُنتُم علَى شَفا﴾: طرفِ ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ﴾، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلّا أن تموتوا كُفّارًا، ﴿فأنقَذَكُم مِنها﴾ بالإيمان. ﴿كَذلِكَ﴾: كما بَيَّن لكم ما ذُكِر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾.

(١٠٤) ـ ﴿ولْتَكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ، يَدعُونَ إلَى الخَيرِ﴾: الإسلام، ﴿ويأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ ـ وأُولئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون. ومِن: للتبعيض لأنّ ما ذُكر فرضُ كِفايةٍ لا يَلزم كلَّ الأمّة، ولا يليق بكلّ أحد كالجاهل. وقيل: زائدة. أي: لتكونوا أُمّةً.

(١٠٥) ـ (١٠٦) ـ (١٠٧) ـ ﴿ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عن دينهم، ﴿واختَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾، وهم اليهود والنصارى. ﴿وأُولئِكَ لَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ، يَومَ تَبيَضُّ وُجُوهٌ وتَسوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿فأمّا الَّذِينَ اسوَدَّتْ وُجُوهُهُم﴾ ـ وهم الكافرون ـ فيُلقَون في النار، ويُقال لهم توبيخًا: ﴿أكَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم﴾ يومَ أخذِ الميثاقِ؟ ﴿فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكفُرُونَ. وأمّا الَّذِينَ ابيَضَّتْ وُجُوهُهُم﴾ ـ وهم المؤمنون ـ ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ﴾ أي: جَنّته. ﴿هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

(١٠٨) ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ اللهِ، نَتلُوها علَيكَ﴾ ـ يامحمّد ـ ﴿بِالحَقِّ. وما اللهُ يُرِيدُ ظُلمًا لِلعالَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جُرم،......

﴿من يعتصِم بالله﴾: يلتجِئْ إليهِ أو يستمسكْ بدينِهِ. ﴿حقّ تُقاتِه﴾: حقَّ تقواهُ: أيِ اتقاءً حقّاً واجباً. ﴿اعتصموا بحبل الله﴾: تمسَّكوا بعهدِهِ أو دينِهِ أو كتابِهِ. ﴿شفا حُفرة﴾: طرفِ حفرةٍ.

(١) عن ابن عباس: كانت الأوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية، فذكروا ما كان بينهم، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت هذه الآية: ﴿وكيف تكفرون﴾ إلى آخر الآيتين. الطبري (٥/ ٦٣٦)، وابن المنذر (٧٦٤)، و«مشكل الآثار» (٨٥٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٠)، والواحدي (ص: ١١٨).

(٢) عن عطاء: أن رسول الله ﷺ صعد المنبر وقال: «يا معشر المسلمين ما لي أوذى في أهلي» ـ فذكر قصة الإفك، وما جرى بين سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيّد الخزرج ـ فثار الأوس والخزرج حتى همُّوا أن يقتتلوا، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سكنوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. الثعلبي (٩/ ٧٠)، «العجاب» (٣/ ٧٢٦). والقصة في الصحيح دون ذكر نزول الآية.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٣٨) من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «والأظهر أنه موقوف». قلت: وهو الذي في غالب كتب الحديث والتفسير والنواسخ، كما في «الزهد» لابن المبارك (٢٢)، و«تفسير عبد الرزاق» (٤٤١)، و«الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (٤٧٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٥٥٣)، و«الزهد» لأبي داود (١٤٥)، و«الكبرى» للنسائي (١١٨٤٧)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٣٧)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٢٨١)، و«المستدرك» (٣١٥٩) وصححه، و«الحلية» (٧/ ٢٣٨). وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح موقوف.

(٤) رواه بهذه الزيادة البيهقي في «الزهد» (٨٧٨) وفي «القضاء والقدر» (٢٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله: «وأن يشكر فلا يكفر»، وفي إسناده بكر بن سهل، وهو ضعيف.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ
ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ
ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ
يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ
ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ
بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞لَيۡسُواْ
سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا
يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

(١٠٩) ـ ﴿**و للهِ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**وإلَى اللهِ تُرجَعُ**﴾: تَصِير ﴿**الأُمُورُ**﴾.

(١١٠) ـ ﴿**كُنتُم**﴾ ـ يا أُمّة محمّد ـ في علم الله تعالى ﴿**خَيرَ أُمّةٍ**﴾[1]، ﴿**أُخرِجَتْ**﴾ أي: أُظهرتْ ﴿**لِلنّاسِ، تأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وتنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، وتُؤمِنُونَ باللهِ. ولو آمَنَ أهلُ الكِتابِ لكانَ**﴾ الإيمانُ ﴿**خَيرًا لَهم. مِنهُمُ المُؤمِنُونَ**﴾ كعبدِ الله بن سلام وأصحابِه، ﴿**وأكثَرُهُمُ الفاسِقُونَ**﴾: الكافرون.

(١١١) ـ ﴿**لَن يَضُرُّوكُم**﴾ أي: اليهودُ ـ يا معشرَ المسلمين ـ بشيء ﴿**إلّا أذًى**﴾[2] باللسان من سبٍّ ووعيد، ﴿**وإنْ يُقاتِلُوكُم يُوَلُّوكُمُ الأدبارَ**﴾ منهزمين، ﴿**ثُمّ لا يُنصَرُونَ**﴾ عليكم، بل لكم النصر عليهم.

ربع الحزب ٧

(١١٢) ـ ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيهِمِ الذِّلّةُ، أينَما ثُقِفُوا**﴾: حيثُما وُجدوا فلا عزَّ لهم ولا اعتصام ﴿**إلّا**﴾ كائنين ﴿**بِحَبلٍ مِنَ اللهِ وحَبلٍ مِنَ النّاسِ**﴾: المؤمنين ـ وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية ـ أي: لا عِصمة لهم غيرُ ذلك، ﴿**وباؤُوا**﴾: رجَعوا ﴿**بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وضُرِبَتْ عَلَيهِمُ المَسكَنَةُ. ذلِكَ بِأنّهُم**﴾ أي: بسبب أنهم ﴿**كانُوا يَكفُرُونَ بِآياتِ اللهِ، ويَقتُلُونَ الأنبِياءَ بِغَيرِ حَقٍّ. ذلِكَ**﴾: تأكيدٌ ﴿**بِما عَصَوا**﴾ أمر الله، ﴿**وكانُوا يَعتَدُونَ**﴾: يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

(١١٣) ـ ﴿**لَيسُوا**﴾ أي: أهلُ الكتاب ﴿**سَواءً**﴾[3]: مُستوين. ﴿**مِن أهلِ الكِتابِ أُمّةٌ قائمةٌ**﴾: مُستقيمة ثابتة على الحقّ كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿**يَتلُونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللّيلِ**﴾ أي: في ساعاته، ﴿**وهُم يَسجُدُونَ**﴾: يُصلُّون ـ حالٌ ـ (١١٤) ـ ﴿**يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، ويأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وينهَونَ عَنِ المُنكَرِ، ويُسارِعُونَ في الخَيراتِ. وأُولئِكَ**﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿**مِنَ الصّالِحِينَ**﴾، ومنهم مَن ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين. (١١٥) ـ ﴿**وما تَفعَلُوا**﴾ ـ بالتاء أيُّها الأمّة، وبالياء أي: الأمّةُ القائمة ـ ﴿**مِن خَيرٍ فلَن تُكفَرُوهُ**﴾، بالوجهين أي: تَعدَموا ثوابه، بل تُجازَون عليه. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ**﴾.

﴿أذى﴾: ضرراً يسيراً بالكذِبِ أو التّهديدِ. ﴿يُولّوكم الأدبار﴾: ينهزموا ويُخْذلوا. ﴿ضُرِبت عليهم﴾: أحاطَتْ بهِم أو ألصقَتْ بهِم. ﴿الذِلة﴾: الذُّلُّ والصَّغارُ والهوانُ. ﴿ثُقِفوا﴾: وُجِدوا أو أُدْرِكوا. ﴿بحبلٍ من الله﴾: بعهدٍ منهُ تعالى وهوَ الإسلامُ. ﴿حبل من النّاس﴾: عهدٍ مِنَ المُسلمينَ. ﴿باءُو بغضب﴾: رجعوا بهِ مُستحِقّينَ لهُ. ﴿المَسْكنة﴾: فقرُ النّفسِ وشُحُّها. ﴿ليسوا سواءً﴾: ليسَ أهلُ الكتابِ بمُستوينَ. ﴿أُمّة قائمة﴾: طائفةٌ مستقيمةٌ ثابتةٌ على الحقِّ.

(١) نزلَتْ في ابنِ مسعودٍ وأُبيِّ بنِ كعبٍ ومُعاذِ بنِ جبلٍ وسالمٍ مولى أبي حُذَيفةَ؛ فإنَّ اليهودَ قالوا لهم: دينُنا خيرٌ مما تدعوننا إليه، ونحنُ خيرٌ وأفضلُ منكم، فنزلَتِ الآيةُ. الثعلبي (٩/ ١٤٣)، والواحدي (ص: ١١٨)، عن عكرمة ومقاتل، ونبَّه ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٣٣) أن عكرمة روى بعضه ومقاتلاً بعضه. وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٥).

(٢) عن مقاتل: إن رؤوس اليهود ـ وسماهم ـ عمدوا إلى مؤمنيهم عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾. «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٥)، والثعلبي (٩/ ١٦٥)، والواحدي (ص: ١١٨)، و«العجاب» (٢/ ٧٣٤).

(٣) عن ابن مسعودٍ: أَخَّرَ رسولُ الله ﷺ ليلةً صلاةَ العشاءِ، ثمَّ خرجَ إلى المسجدِ، فإذا النّاسُ ينتظِرونَ الصَّلاةَ فقال: «إنَّه ليس من أهلِ الأديانِ أحدٌ يذكرُ اللهَ في هذه السّاعةِ غيرَكم»، وأنزلَ الله: ﴿ليسوا سواء﴾. أحمد (٣٧٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠٠٧)، وابن حبان (١٥٣٠)، والواحدي (ص: ١١٩). وعن ابن عباس: لما أسلم عبد الله بن سلام وغيره من اليهود وصدَّقوا ورسخوا في الإسلام، قالت أحبار يهود: ما آمن بمحمد إلا شرارُنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم إلى غيره، فنزلت. الطبري (٥/ ٦٩١)، «العجاب» (٢/ ٧٣٥). وعن عطاءٍ: نزلَتْ في أربعينَ رجلًا من أهلِ نجرانَ، واثنَين وثلاثينَ رجلًا منَ الحبشةِ، وثمانيةٍ منَ الرُّومِ، وكانوا على دينِ عيسى، وصدَّقوا بمُحمَّدٍ ﷺ، وكانَ منَ الأنصارِ فيهم عشرةٌ قبلَ مَقدمِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ المدينةَ، وكانوا مُوحِّدينَ يغتسلونَ منَ الجنابةِ، ويقومونَ بما عرَفُوا من الحنيفيَّةِ حتَّى جاءَهُم الله بالنَّبيِّ عليه السَّلامُ فاتَّبعوه. الثعلبي (٩/ ١٧٩)، «العجاب» (٢/ ٧٣٦).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ
ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ
﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ
كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ
ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

(١١٦) ـ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ**﴾: تدفعَ ﴿**عَنهُم أموالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ**﴾ أي: عذابِه ﴿**شَيئًا**﴾ ـ وخصّهما بالذكر لأنّ الإنسان يدفع عن نفسه تارةً بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ـ ﴿**وأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ، مَثَلُ**﴾: صفةُ ﴿**ما يُنفِقُونَ**﴾ أي: الكُفّارُ، ﴿**في هذِهِ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ في عداوةِ النبيّ أو صدَقةٍ ونحوِها، ﴿**كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ**﴾: حَرّ أو برد شديد، ﴿**أصابَتْ حَرْثَ**﴾: زرعَ ﴿**قَومٍ، ظَلَمُوا أنفُسَهُم**﴾ بالكُفر والمعصية، ﴿**فأهلَكَتْهُ**﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتُهم ذاهبة لا ينتفعون بها. ﴿**وما ظَلَمَهُمُ اللهُ**﴾ بضياع نفقاتهم، ﴿**ولكِنْ أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ بالكفر المُوجِب لضياعها.

(١١٧) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً**﴾: أصفياءَ تُطلعونهم على سِرّكم ﴿**مِن دُونِكُم**﴾[١] أي: غيرَكُم من اليهود والنصارى والمنافقين. ﴿**لا يألُونَكُم خَبالًا**﴾ ـ نُصب بنزع الخافض ـ أي: لا يُقصّرون جُهدَهم لكم في الفساد، ﴿**وَدُّوا**﴾: تمنَّوا ﴿**ما عَنِتُّم**﴾ أي: عَنَتكُم ـ وهو شِدّة الضرر ـ ﴿**قَد بَدَتِ**﴾: ظهرتِ ﴿**البَغضاءُ**﴾: العداوةُ لكم ﴿**مِن أفواهِهِم**﴾ بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سِرّكم، ﴿**وما تُخفِي صُدُورُهُم**﴾ من العداوة ﴿**أكبَرُ. قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ**﴾ على عداوتهم، ﴿**إنْ كُنتُم تَعقِلُونَ**﴾ ذلك فلا تُوالُوهم.

(١١٨) ـ ﴿**ها**﴾: للتنبيه ﴿**أنتُم**﴾ يا ﴿**أُولاءِ**﴾ المؤمنين ﴿**تُحِبُّونَهُم**﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم، ﴿**ولا يُحِبُّونَكُم**﴾ لمخالفتهم لكم في الدين، ﴿**وتُؤمِنُونَ بِالكِتابِ كُلِّهِ**﴾ أي: بالكُتب كلّها ولا يؤمنون بكِتابكم، ﴿**وإذا لَقُوكُم قالُوا: آمَنّا. وإذا خَلَوا عَضُّوا عَلَيكُمُ الأنامِلَ**﴾: أطراف الأصابع ﴿**مِنَ الغَيظِ**﴾: شِدّة الغضب لِما يَرَون مِن ائتلافكم. ويُعبَّرُ عن شِدّة الغضب بعَضِّ الأنامل مجازًا، وإن لم يكن ثَمَّ عضّ. ﴿**قُلْ: مُوتُوا بِغَيظِكُم**﴾ أي: ابقَوا عليه إلى الموت فلن ترَوا ما يسرّكم. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾: بما في القلوب، ومنه ما يُضمره هؤلاء.

(١١٩) ـ ﴿**إنْ تَمسَسْكُم**﴾: تُصِبكم ﴿**حَسَنَةٌ**﴾: نعمة كنصر وغنيمة ﴿**تَسُؤْهُم**﴾: تُحزنهم، ﴿**وإنْ تُصِبكُم سَيِّئَةٌ**﴾ كهزيمة وجدب ﴿**يَفرَحُوا بِها**﴾ ـ وجُملة الشرط مُتّصلة بالشرط قبلُ، وما بينهما اعتراض. والمعنى أنهم مُتناهون في عداوتكم. فلِمَ تُوالونهم؟ فاجتنبوهم ـ ﴿**وإنْ تَصبِرُوا**﴾ على أذاهم، ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ اللهَ في مُوالاتهم وغيرها، ﴿**لا يَضِرْكُم**﴾ ـ بكسر الضاد وسُكون الراء، وضمِّهما وتشديدها ـ ﴿**كَيدُهُم شَيئًا! إنَّ اللهَ بِما يَعمَلُونَ**﴾، بالياء والتاء، ﴿**مُحِيطٌ**﴾: عالم فيُجازيهم به.

(١٢٠) ـ ﴿**و**﴾ اذكر ـ يا محمّد ـ ﴿**إذ غَدَوتَ مِن أهلِكَ**﴾ من المدينة، ﴿**تُبَوِّئُ**﴾: تُنزل ﴿**المُؤمِنِينَ**[٢] **مَقاعِدَ**﴾: مراكزَ يقفون فيها ﴿**لِلقِتالِ. واللهُ سَمِيعٌ**﴾ لأقوالكم ﴿**عَلِيمٌ**﴾ بأحوالكم. وهو يومُ أُحد، خرج النبيّ ﷺ بألف أو إلّا خمسين رجلاً[٣]، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشِّعب يومَ السبت سابعَ شوّال سنةَ ثلاث من الهجرة، وجعل ظهرَه وعسكره إلى أُحُد، وسوَّى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرُّماة، وأَمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير بسفح الجبل، وقال: «انضَحُوا عَنّا بالنَّبلِ لا يأتُونا مِن وَرائنا، ولا تَبرَحُوا غُلِبْنا أو نُصِرْنا».

﴿لنْ تغني عنهم﴾: لنْ تدفعَ عنهُم أو تجزيَ عنهُم. ﴿فيها صِرٌّ﴾: بردٌ شديدٌ أو سمومٌ حارَّةٌ. ﴿حرث قوم﴾: زرعَهُم. ﴿بِطانة﴾: خواصَّ يستبطنونَ أمرَكُم. ﴿لا يألونكم خبالًا﴾: لا يقصِّرونَ في فسادِ دينِكُم. ﴿ودُّوا ما عنتُّم﴾: أحبُّوا مشقَّتَكُمُ الشَّديدةَ. ﴿خلَوْا﴾: مَضَوْا. أوِ انفردَ بعضُهُم ببعضٍ. ﴿من الغيظ﴾: أشدِّ الغضبِ والحَنَقِ. ﴿غدوت﴾: خرجتَ أوَّلَ النَّهارِ مِنَ المدينةِ. ﴿تبوّئ﴾: تُنزِلُ وتُوطِّنُ. ﴿مقاعدَ للقتال﴾: مواطنَ ومواقفَ لهُ يومَ أُحُدٍ.

(١) عن ابن عباس قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالًا من اليهود لِمَا كان بينهم من الجوار والحِلْف في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم تخوُّفَ الفتنة عليهم منهم. الطبري (٥/ ٧٠٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٧٤٢)، والواحدي (ص: ١٢٠)، و«العجاب» (٢/ ٧٣٩).

(٢) عن ابن إسحاقَ: ممَّا نزل في يوم أحدٍ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾. الطبري (٦/ ٧).

(٣) القصةُ بطولها في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٢ ـ ٦٦). وقصة الرماة رواها البخاري (٣٠٣٩) عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما، قال: جَعَل النبيُّ ﷺ على الرَّجَّالة يومَ أُحُدٍ ـ وكانوا خمسين رجلًا ـ عبدَ الله بن جُبير، فقال: «إن رأيتُمونا تَخطَفُنا الطيرُ فلا تَبرَحوا مكانكم هذا حتى أرسلَ إليكم، وإن رأيتُمونا هَزَمْنا القوم وأوطَأْناهم فلا تبرحوا حتى أرسلَ إليكم» الحديث.

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ
وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ
لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

(١٢٢) ـ ﴿إذ﴾: بدلٌ من «إذ» قبله ﴿هَمَّتْ طائفتانِ مِنكُم﴾ بنو سَلِمةَ وبنو حارثةَ[١] جَناحا العسكر ﴿أنْ تفشَلا﴾: تجبُنا عن القِتال وترجِعا، لمّا رجَع عبد الله بن أُبيٍّ المُنافقُ وأصحابه، وقال: عَلامَ نَقتلُ أنفُسَنا وأولادَنا؟ وقال لأبي جابرٍ السَّلَميّ القائلِ له: «أنشُدُكمُ اللهَ في نَبيِّكُم وأنفُسِكم»: «لو نعلمُ قِتالاً لاتّبعناكم». فثبّتهما الله ولم ينصرفا[٢]، ﴿والله وَلِيُّهما﴾: ناصرهما. ﴿وعلى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾: لِيثقوا به دون غيره.

ونزل لمّا هُزموا، تذكيرًا لهم بنعمة الله: (١٢٣) ـ ﴿ولَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدرٍ﴾: موضع بين مكّة والمدينة، ﴿وأنتُم أذِلّةٌ﴾ بِقلّة العدد والسلاح ـ ﴿فاتَّقُوا اللهَ، لَعَلَّكُمْ تَشكُرُونَ﴾ نِعَمَه ـ (١٢٤) ـ ﴿إذ﴾: ظرفٌ لـ«نَصَرَكم» ﴿تَقُولُ لِلمُؤمِنِينَ﴾ تُوعِدُهم تَطمينًا: ﴿ألَن يَكفِيَكُم أنْ يُمِدَّكُم﴾: يُعينكم ﴿رَبُّكُم[٣] بِثَلاثةِ آلافٍ مِنَ المَلائكةِ مُنْزَلِينَ﴾؟ بالتخفيف والتشديد.

(١٢٥) ـ ﴿بَلَى﴾ يكفيكم ذلك. وفي «الأنفال»: «بألْفٍ» لأنّه أمدَّهم أوّلاً بها، ثمّ صارت ثلاثة، ثمّ صارت خمسة كما قال تعالى: ﴿إنْ تَصبِرُوا﴾ على لقاء العدوّ، ﴿وتَتَّقُوا﴾ الله في المُخالفة، ﴿ويأتُوكُم﴾ أي: المشركون ﴿مِن فَورِهِم﴾: وقتِهم ﴿هذا، يُمدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمسةِ آلافٍ مِنَ المَلائكةِ مُسَوِّمِينَ﴾، بكسر الواو وفتحها، أي: مُعلِّمين. وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلتْ معهم الملائكة على خيلٍ بُلقٍ، عليهم عمائمُ صُفرٌ[٤] أو بيض، أرسلوها بين أكتافهم. (١٢٦) ـ ﴿وما جَعَلَهُ اللهُ﴾ أي: الإمدادَ ﴿إلّا بُشرَى لَكُم﴾ بالنصر، ﴿ولِتَطمَئِنَّ﴾: تسكنَ ﴿قُلُوبُكُم بِهِ﴾، فلا تجزعَ من كثرة العدوّ وقلَّتكم. ﴿وما النَّصرُ إلّا مِن عِندِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجُند.

(١٢٧) ـ ﴿لِيَقطَعَ﴾: متعلّق بـ«نَصَرَكم» أي: لِيُهلِكَ ﴿طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر، ﴿أو يَكبِتَهُم﴾: يُذلَّهم بالهزيمة، ﴿فيَنقَلِبُوا﴾: يَرجِعوا ﴿خائبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه.

ونزلَ لمّا كُسرت رباعِيَتُه ﷺ وشُجّ وجهُه يوم أُحُد[٥]، وقال: «كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ خَضَبُوا وَجهَ نَبِيِّهِم بالدَّم»؟: (١٢٨) ـ ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيءٌ﴾ بل الأمر لله ـ فاصبرْ ـ ﴿أو﴾ بمعنى: إلى أن ﴿يَتُوبَ عَلَيهِم﴾ بالإسلام ﴿أو يُعَذِّبَهُم ـ فإنَّهُم ظالِمُونَ﴾ بالكُفر ـ (١٢٩) ـ ﴿ولله ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرةَ له، ﴿ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ﴾ تعذيبَه. ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

(١٣٠) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تأكُلُوا الرِّبا أضعافًا مُضاعَفَةً﴾[٦] ـ بألِفٍ ودُونِها ـ بأن تزيدوا في المال عِند حُلول الأجل وتُؤخّروا الطلب، ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ بتركِه، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون، (١٣١) ـ ﴿واتَّقُوا النّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلكافِرِينَ﴾ أن تُعذَّبوا بها، (١٣٢) ـ ﴿وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ، لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾.

﴿أن تفشلا﴾: تجبُنا وتضعُفا عنِ القتالِ. ﴿أذلّةٌ﴾: بقلّةِ العددِ والعُدَّةِ. ﴿أن يمِدّكم﴾: يقوِّيَكُم ويعينكُم يومَ بدرٍ. ﴿يأتوكم﴾: أي المشركونَ. ﴿فورهم هذا﴾: ساعتِهم هذهِ بلا إبطاءٍ. ﴿مسوّمين﴾: مُعلمينَ أنفسَهُم أو خيلَهُم بعلاماتٍ. ﴿ليقطع طرفاً﴾: ليُهلِكَ طائفةً. ﴿يكبتهم﴾: يُخزيَهُم ويغمَّهُم بالهزيمةِ. ﴿مضاعفة﴾: كثيرةً وقليلُ الرِّبا ككثيرِهِ حرامٌ.

(١) رواه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: فينا نزلتْ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ بنو سَلِمةَ وبنو حارثةَ، وما نحبُّ أنها لم تنزل؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

(٢) الطبري (٦/ ٢٢٢)، وابن المنذر (١١٦٦)، من طريق ابن إسحاق عن جمع من أشياخه ـ سماهم ـ منهم الزهري، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٤)، ورواه الطبري أيضاً عن السدي. وجاء في حديث ابن إسحاق: «عمرو بن حرام» بدل: «أبو جابر السلمي».

(٣) عن الشعبي: حُدِّث المسلمون أن كُرز بن جابر المحاربي يُمِدُّ المشركين، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله: ﴿ألن يكفيَكم﴾ الآية. الطبري (٦/ ٢٠)، وابن المنذر (٨٨٦)، و«العجاب» (٢/ ٧٤٥).

(٤) عبد الرزاق (٤٥١)، والطبري (٦/ ٣٦)، عن عُرْوَةَ. ونزول الملائكة على خيل بلق رواه أيضاً ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٤٧)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٧٣)، والبزار (٣٨٦٦)، والطبري (٦/ ٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٥٤٠٣)، من حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٨): «وفي إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله، وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات». ورواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٧٦) من حديث سهيل بن عمرو رضي الله عنه. وكون العمائم بيضاً مرسلة بين أكتافهم رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٠٨٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٥٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٣): فيه عمَّارُ بن أبي مالك الجَنْبيُّ ضعَّفه الأَزْديُّ.

(٥) رواه بهذا اللفظ أحمد (١٢٣١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠١١)، وابن ماجه (٤٠٢٧)، من حديث أنس. وهو عند مسلم (١٧٩١) بلفظ: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته..؟». وذكره البخاري معلقاً قبل الحديث (٤٠٦٩). سبب آخر: روى البخاري (٤٠٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الرُّكوع في الرَّكعة الآخرة من الفجر يقول: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» فنزلت الآية. وروى نحوَه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥)، من حديث أبي هريرة.

(٦) عن مجاهد: «كانوا يتبايعون إلى الأجل، فإذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل فنزلت»، وعن عطاء: «كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نُرْبيكم وتؤخرون عنا، فنزلت». رواهما الفريابي كما في «لباب النقول» (ص: ٤٧).

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

الحزب ٧

١٣٣ ـ ﴿وسارِعوا﴾ ـ بواو ودُونها ـ ﴿إلَى مَغفِرةٍ مِن رَبِّكُم، وجَنّةٍ عَرضُها السَّماواتُ والأرضُ﴾ أي: كعرضهما، لو وُصلت إحداهما بالأُخرى ـ والعرض: السَّعة ـ ﴿أُعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ﴾ اللهَ بعمل الطاعات وترك المعاصي، ١٣٤ ـ ﴿الَّذينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ﴾: اليُسر والعُسر، ﴿والكاظِمِينَ الغَيظَ﴾: الكافِّين عن إمضائه مع القُدرة، ﴿والعافِينَ عَنِ النّاسِ﴾ ممّن ظلمهم، أي: التاركين عُقوبتَه ـ ﴿واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال، أي: يُثيبهم ١٣٥ ـ ﴿والَّذِينَ إذا فَعَلُوا فاحِشةً﴾[1]: ذنبًا قبيحًا كالزِّنى، ﴿أو ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بما دُونه كالقُبلة، ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾ أي: وعيدَه، ﴿فاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم، ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلّا اللهُ؟ ولَم يُصِرُّوا﴾: يُديموا ﴿عَلَى ما فَعَلُوا﴾ بل أقلعوا عنه، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنّ الذي أتَوه معصية ١٣٦ ـ ﴿أُولئِكَ جَزاؤُهُم مَغفِرةٌ، مِن رَبِّهِم وجَنّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها﴾: حالٌ مُقدَّرة، أي: مقدِّرين الخلودَ فيها إذا دخلوها. ﴿ونِعمَ أجرُ العامِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجرُ!

ونزل في هزيمة أُحد[2]: ١٣٧ ـ ﴿قَد خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبلِكُم سُنَنٌ﴾: طرائقُ في الكُفّار بإمهالهم ثمّ أخذِهم. ﴿فَسِيرُوا﴾ ـ أيُّها المُؤمنون ـ ﴿في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسلَ أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ فلا تحزنوا لغلبتهم، فأنا أُمهِلُهم لِوقتهم ـ ١٣٨ ـ ﴿هذا﴾ القرآنُ ﴿بَيانٌ لِلنّاسِ﴾ كلّهم ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ومَوعِظةٌ لِلمُتَّقِينَ﴾ منهم ـ ١٣٩ ـ ﴿ولا تَهِنُوا﴾: تَضعُفوا عن قتال الكُفّار، ﴿ولا تَحزَنُوا﴾[3] على ما أصابكم بأُحُد، ﴿وأنتُمُ الأعلَونَ﴾ بالغلبة عليهم، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ حقًّا، وجوابه دلّ عليه مجموع ما قبله.

١٤٠ ـ ﴿إن يَمسَسْكُم﴾: يُصِبكم بأُحُدٍ ﴿قَرحٌ﴾[4]، بفتح القاف وضمّها: جَهدٌ من جَرح ونحوه، ﴿فقَد مَسَّ القَومَ﴾: الكُفّارَ ﴿قَرحٌ مِثلُهُ﴾ ببدرٍ، ﴿وتِلكَ الأيّامُ نُداوِلُها﴾: نُصرِّفها ﴿بَينَ النّاسِ﴾ يومًا لِفرقة ويومًا لأُخرى، لِيتّعظوا ﴿ولِيَعلَمَ اللهُ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أخلصوا

﴿السرّاء والضرّاء﴾: اليسرِ والعسرِ. ﴿الكاظمين الغيظ﴾: الحابسينَ غيظَهُم في قلوبِهِم. ﴿فعلوا فاحشة﴾: معصيةً كبيرةً متناهيةً في القُبحِ. ﴿خلت﴾: مضَتْ وانقضَتْ. ﴿سننٌ﴾: وقائعُ في الأُممِ المُكذِّبةِ. ﴿لا تهنوا﴾: لا تضعفوا عن قتالِ أعدائِكُم. ﴿قرْحٌ﴾: جراحةٌ يومَ أُحُدٍ. ﴿قرحٌ مثله﴾: يومَ بدرٍ. ﴿نداوِلُها﴾: نصرِّفُها بأحوالٍ مُختلفةٍ.

---

(١) عن ابن عباس وعطاء: نزلَتْ في نبهانَ التَّمّارِ، ابتاعَتِ امرأةٌ حسناءُ منه تمرًا فضمَّها إلى نفسِه فقبَّلَها، ثمَّ ندمَ وأخبرَ النَّبيَّ ﷺ، فنزلتِ الآيةُ. الثعلبي (٩/ ٢٧١)، والواحدي (ص: ١٢٣)، ولهذا الخبر عن ابن عباس طريقان لا يخلو كل منهما من هالك أو متروك، وتفصيل ذلك في «الإصابة» (٦/ ٣٣٠). وروي نحوه عن رجل من الأنصار وزوجة ثقفي خرج إلى الغزو واستخلف الأنصاري على أهله، وأطالوا فيها. «تفسير مقاتل» (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، والثعلبي (٩/ ٢٧٢)، والواحدي (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤)، و«العجاب» (٢/ ٧٥٦ ـ ٧٥٧). وليس له سوى طريق مقاتل والكلبي، وهما متروكان. وسبب آخر عن عطاء: «قالتِ الصَّحابةُ: كانت بنو إسرائيلَ أكرمَ منَّا، كان أحدُهم إذا أذنبَ ذنبًا أصبحَتْ كفَّارةُ ذنبِه مكتوبةً في عتبةِ بابِه: اجدَعْ أنفَكَ، افعَلْ كذا، فنزلت هذه الآية». الطبري (٦/ ٦٢)، وابن المنذر (١/ ٣٧٩)، والواحدي (ص: ١٢٤)، وقال في «العجاب» (٢/ ٧٥٤): سنده قوي إلى عطاء. وذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٦٠٠) عن ابن مسعود.

(٢) يريد أن ما سيأتي هو مطلَع ما نزل في ذلك، لا أنه الآية الآتية فقط، وفي «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠٩)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٧٢)، عن ابن إسحاق قال: استقبل ذكر المصيبةَ التي نزلت بهم ـ يعني: بالمسلمين يوم أحد ـ والبلاءَ الذي أصابهم، والتمحيصَ لِمَا كان فيهم، واتخاذَه الشهداء منهم، فقال تعزية لهم وتعريفًا لهم فيما صنعوا وما هو صانع بهم: ﴿قد خلت من قبلكم سنن..﴾.

(٣) عن ابن عباسٍ: انهزمَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يومَ أُحدٍ، فأقبلَ خالدٌ بخيلِ المشركينِ يُريدُ أن يعلُوَ عليهم الجبلَ، فقالَ عليه السَّلامُ: «اللَّهمَّ لا يُعْلَى علينا، اللَّهمَّ لا قوَّةَ لنا إلّا بكَ، اللَّهمَّ ليس لعبدِكَ بهذه البلدةِ غيرُ هؤلاءِ النَّفرِ»، فنزلتِ الآيةُ، وثابَ نفرٌ منَ المسلمين رُماةٌ، فصعِدُوا الجبلَ، ورَمَوا خيلَ المشركين حتَّى هزَمُوهم، فذلك قولُه: ﴿وأنتم الأعلون﴾. الثعلبي (٩/ ٢٨٦) وقد جمعه الثعلبي ـ كعادته في جمع الأخبار في سياق واحد ـ مما رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٨ و٧٩) عن ابن جريج، وعن ابن عباس من رواية عطية العوفي، وأخذه عنه تلميذه الواحدي (ص: ١٢٤)، وعطية ضعيف. وعن الزهري: كثر في أصحاب محمد القتل والجراح حتى خلص إلى كل امرىء منهم اليأس، فأنزل الله القرآن فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً قبلهم من الأمم المؤمنة الماضية فقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾. الطبري (٦/ ٧٧)، «العجاب» (٢/ ٧٥٨).

(٤) عن عكرمة عن ابن عباس: لما كان قتال أُحُد، وأصابَ المسلمين ما أصاب، صعد النبيّ ﷺ الجبل، فجاء أبو سفيان ـ فذكر الحوار الذي جرى على الجبل ـ فقال أبو سفيان: موعدنا وموعدكم بدر الصغرى، ونام المسلمون وبهم الكلوم، قال عكرمة: وفيهم أنزلت: ﴿إن يمسسكم قرحٌ﴾ الآية، وفيهم أنزلت: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ﴾ الآية [النساء: ١٠٤]. الطبري (٧/ ٤٥٥). وعن راشدِ بنِ سعدٍ: انصرفَ رسولُ الله ﷺ يومَ أُحدٍ كئيبًا، وجعلتِ المرأةُ تُجاءُ بزوجِها وابنِها وأبيها مقتولِين وهي تلتدِمُ [أي: تضرب صدرها وعضديها في النِّياحة]، فقالَ عليه السَّلامُ: «أهكذا تفعلُ برسولِكَ؟»، فأنزلَ الله هذه الآيةَ. الثعلبي (٩/ ٢٨٧)، والواحدي (ص: ١٢٥)، و«العجاب» (٢/ ٧٦٠)، ولفظ الواحدي وابن حجر: «أهكذا يُفعَل برسولك؟» وعلى كل فالحديث ضعيف لإرساله.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ
حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن
قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ
ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ
ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ
وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن
قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا
وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ
ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

في إيمانهم من غيرهم، ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَدَاءَ**﴾[1] يُكرِمُهم بالشهادة ـ ﴿**واللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين، أي: يُعاقبهم، وما يُنعِم به عليهم استدراجٌ ـ

﴿١٤١﴾ ـ ﴿**وليُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: يُطهِّرهم من الذُّنوب بما يُصيبهم، ﴿**ويَمحقَ**﴾: يُهلِكَ ﴿**الكافِرِينَ**﴾. ﴿١٤٢﴾ ـ ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**حَسِبتُم أنْ تَدخُلُوا الجَنّةَ**﴾[2]، ﴿**ولَمّا**﴾: لم ﴿**يَعلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُم**﴾ عِلمَ ظُهورٍ، ﴿**ويَعلَمَ الصّابِرِينَ**﴾ في الشدائد؟ ﴿١٤٣﴾ ـ ﴿**ولَقَد كُنتُم تَمَنَّونَ**﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ـ ﴿**المَوتَ مِن قَبلِ أنْ تَلقَوهُ**﴾[3]، حيث قلتم: ليت لنا يومًا كيوم بدر لننال ما نال شُهداؤه. ﴿**فقَد رأَيتُمُوهُ**﴾ أي: سَبَبَهُ الحربَ، ﴿**وأنتُم تَنظُرُونَ**﴾ أي: بُصراءُ تتأمّلون الحال كيف هي؟ فلِمَ انهزمتم؟

ونزل في هزيمتهم لمّا أُشيعَ أنّ النبيَّ قُتل[4]، وقال لهم المُنافقون: «إن كان قُتل فارجِعوا إلى دِينكم»: ﴿١٤٤﴾ ـ ﴿**وما مُحَمَّدٌ إلّا رَسُولٌ، قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ. أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ**﴾ كغيره ﴿**انقَلَبتُم على أعقابِكُم**﴾: رجَعتم إلى الكُفر؟ والجملة الأخيرة محلّ الاستفهام الإنكاريّ، أي: ما كان معبودًا فترجِعوا، ﴿**ومَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيهِ فلَن يَضُرَّ اللهَ شَيئًا**﴾! وإنما يضرّ نفسه، ﴿**وسَيَجزِي اللهُ الشّاكِرِينَ**﴾ نِعمَه بالثبات.

﴿١٤٥﴾ ـ ﴿**وما كانَ لِنَفسٍ أنْ تَمُوتَ إلّا بِإذنِ اللهِ**﴾: بقضائه، ﴿**كِتابًا**﴾: مصدرٌ، أي: كَتَبَ اللهُ ذلك، ﴿**مُؤَجَّلًا**﴾: مُؤَقّتًا لا يتقدّم ولا يتأخّر. فلِمَ انهزمتم، والهزيمةُ لا تدفع الموتَ، والثباتُ لا يقطع الحياة؟ ﴿**ومَن يُرِدْ**﴾ بعمله ﴿**ثَوابَ الدُّنيا**﴾ أي: جزاءَه منها ﴿**نُؤتِهِ مِنها**﴾ ما قُسم له ولا حظَّ له في الآخرة، ﴿**ومَن يُرِدْ ثَوابَ الآخِرةِ نُؤتِهِ مِنها**﴾ أي: من ثوابها. ﴿**وسَنَجزِي الشّاكِرِينَ**﴾.

﴿١٤٦﴾ ـ ﴿**وكَأَيِّنْ**﴾: كم ﴿**مِن نَبِيٍّ قُتِلَ**﴾ ـ وفي قراءة: «قاتَلَ» والفاعل ضميره ـ ﴿**مَعَهُ**﴾: خبرٌ مبتدؤه ﴿**رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾: جموعٌ كثيرة، ﴿**فما وَهَنُوا**﴾: جَبُنوا، ﴿**لِما أصابَهُم في سَبِيلِ اللهِ**﴾ من الجراحِ وقتلِ أنبيائهم وأصحابهم، ﴿**وما ضَعُفُوا**﴾ عنِ الجهاد، ﴿**وما استَكانُوا**﴾: خضعوا لعدوّهم كما فعلتم حين قيل: قُتل النبيّ! ـ ﴿**واللهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ**﴾ على البلاء، أي: يُثيبهم ـ

﴿١٤٧﴾ ـ ﴿١٤٨﴾ ـ ﴿**وما كانَ قَولَهُم**﴾ عند قتل نبيّهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿**إلّا أنْ قالُوا: رَبَّنا، اغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وإسرافَنا**﴾: تجاوُزَنا الحدَّ ﴿**في أمرِنا**﴾ إيذانًا بأنّ ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمًا لأنفسهم، ﴿**وثَبِّتْ أقدامَنا**﴾ بالقوّة على الجِهاد، ﴿**وانصُرْنا على القَومِ الكافِرِينَ. فآتاهُمُ اللهُ ثَوابَ الدُّنيا**﴾: النصرَ والغنيمةَ، ﴿**وحُسنَ ثَوابِ الآخِرةِ**﴾ أي: الجنّةَ. وحُسنه: التفضّل فوق الاستحقاق. ﴿**واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**﴾.

﴿ليمحّص﴾: ليُصفّي ويُطهِّرَ مِنَ الذُّنوبِ. ﴿يمحق﴾: يُهلكَ ويستأصلَ. ﴿كتاباً مُؤجلاً﴾: مؤقّتاً بوقتٍ معلوم. ﴿كأيّن من نبيّ﴾: كم مِن نبيّ ـ كثير مِنَ الأنبياءِ. ﴿ربّيون﴾: علماءُ فقهاءُ أو جموعٌ كثيرةٌ. ﴿فما وهنوا﴾: فما عجزوا أو فما جبُنوا. ﴿ما استكانوا﴾: ما خضعوا أو ذلّوا لعدوِّهم.

(١) عن عكرمة: خرج النساء يوم أحد يستخبرن الخبر فإذا رجلان مقتولان على بعير، فقالت امرأة من الأنصار: من هذان؟ قالوا: فلان وفلان ـ أخوها وزوجها، أو زوجها وابنها ـ، فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، فنزل القرآن على وفق ما قالت: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾. ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٤). وفي «العجاب» (٢/ ٧٦٠): هذا مرسل رجاله من رجال البخاري.

(٢) عن مقاتل بن سليمان: سببها: أن المنافقين قالوا للمؤمنين يوم أحد بعد الهزيمة: لِمَ تقتلون أنفسكم وتهلكون أموالكم فإن محمداً لو كان نبيًا لم يُسلَّطوا عليه؟ فنزلت. «تفسير مقاتل» (١/ ٣٠٤)، و«العجاب» (٢/ ٧٦١) واللفظ له.

(٣) عن ابن عباس بسند ضعيف: أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون: ليتنا نُقتل كما قتل أصحاب بدر ونُستشهَد، أو: ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيراً ونلتمس الشهادة والجنة، فأشهدهم الله أحداً فلم يثبتوا إلا مَن شاء الله منهم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾. ابن أبي حاتم (٣/ ٧٧٦)، و«لباب النقول» (ص: ٤٧)، وفيه: «فأنزل الله» مكان: «فقال الله». ونحوه عند الطبري (٦/ ٩٣ ـ ٩٥) عن مجاهد وقتادة والحسن والربيع والسدي.

(٤) الطبري (٦/ ١٠٣ ـ ١٠٥) عن الضحاك وابن جريج. وبنحوه عن ابن عباس ومجاهد، وإسناد حديث ابن عباس ضعيف جدًّا. وعن عمر قال: «تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فصعدت الجبل فسمعت يهوديًّا يقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحداً يقول: قتل محمد، إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ الآية. ابن المنذر (٩٧٥)، و«لباب النقول» (ص: ٤٨). قوله: «يتراجعون»؛ أي: يعود إليه مَن كان قد خرج من أرض المعركة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿١٤٩﴾ ـ ﴿١٥٠﴾ ـ ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا، إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ فيما يأمرونكم به ﴿**يَرُدُّوكُم على أعقابِكُم**﴾ إلى الكُفر، ﴿**فتنقَلِبُوا خاسِرِينَ. بَلِ اللهُ مولاكُم**﴾: ناصركم، ﴿**وهُوَ خيرُ النّاصِرِينَ**﴾. فأطيعوه دونهم. ﴿١٥١﴾ ـ ﴿**سَنُلقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾، بسكُون العين وضمّها: الخوفَ ـ وقد عزموا بعد ارتحالهم من أُحُد على العَود واستئصال المسلمين[1]، فرُعِبُوا ولم يرجعوا ـ ﴿**بِما أشرَكُوا**﴾: بسبب إشراكهم ﴿**باللهِ ما لَم يُنزِلْ بِهِ سُلطانًا**﴾: حُجّة على عبادته ـ وهو الأصنام ـ ﴿**ومأواهُمُ النّارُ، وبِئسَ مَثوى**﴾: مأوى ﴿**الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين هي!

﴿١٥٢﴾ ـ ﴿**ولَقَد صَدَقَكُمُ اللهُ وَعدَهُ**﴾ إيّاكم بالنصر، ﴿**إذ تَحُسُّونَهُم**﴾: تقتلونهم ﴿**بِإذنِهِ**﴾: بإرادته، ﴿**حَتَّى إذا فَشِلتُم**﴾: جبُنتم عن القتال، ﴿**وتَنازَعتُم**﴾: اختلفتم ﴿**في الأمرِ**﴾ أي: أمرِ النبيّ بِالمُقام في سفح الجبل للرمي ـ فقالَ بعضُكم: نَذهبُ فقد نُصِرَ أصحابنا[2]. وبعضُكم: لا نُخالِفُ أمرَ النبيّ ـ ﴿**وعَصَيتُم**﴾ أمره فتركتم المركز لأجل الغنيمة ﴿**مِن بَعدِ ما أراكُم**﴾ اللهُ ﴿**ما تُحِبُّونَ**﴾ من النصر. وجواب «إذا» دلّ عليه ما قبله أي: منعكم نصرَه ـ ﴿**مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنيا**﴾ فترك المركز للغنيمة، ﴿**ومِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾ فثبَتَ بِه حتّى قُتل كعبد الله بن جُبير وأصحابه ـ ﴿**ثُمَّ صَرَفَكُم**﴾: عطفٌ على جواب «إذا» المُقدّر، ردّكم بالهزيمة ﴿**عَنهُم**﴾ أي: الكُفّار، ﴿**لِيَبتَلِيَكُم**﴾: ليَمتحنكم فيَظهَرَ المخلصُ من غيره ـ ﴿**ولَقَد عَفا عَنكُم**﴾ ما ارتكبتموه. ﴿**واللهُ ذُو فَضلٍ على المُؤمِنِينَ**﴾ بالعفو ـ اذكروا ﴿١٥٣﴾ ـ ﴿**إذ تُصعِدُونَ**﴾: تُبعِدون في الأرض هاربين، ﴿**ولا تَلْوُونَ**﴾: تُعَرِّجون ﴿**على أحَدٍ، والرَّسُولُ يَدعُوكُم في أُخراكُم**﴾ أي: من ورائكم، يقول: «إليَّ عِبادَ اللهِ، إليَّ عِبادَ اللهِ»[3]، ﴿**فأثابَكُم**﴾: فجازاكم ﴿**غَمًّا**﴾ بالهزيمة ﴿**بِغَمٍّ**﴾: بسبب غمِّكم الرسولَ بالمُخالفة ـ وقيل: الباء بمعنى: على، أي: مُضاعَفًا، على غمِّ فَوتِ الغنيمة ـ ﴿**لِكَيلا**﴾، متعلّق بـ«عفا»، أو بـ«أثابكم» فـ«لا»: زائدة، ﴿**تَحزَنُوا على ما فاتَكُم**﴾ من الغنيمة ﴿**ولا ما أصابَكُم**﴾ من القتل والهزيمة. ﴿**واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ**﴾.

﴿الله مولاكم﴾: اللهُ ناصرُكم لا غيرُه. ﴿الرّعب﴾: الخوفَ والفزعَ. ﴿سُلطاناً﴾: حُجَّةً وبرهاناً. ﴿مثوى الظّالمين﴾: مأواهُم ومُقامُهُم. ﴿تحُسّونهم﴾: تقتلونَهُم قتلاً ذريعاً. ﴿فشِلتم﴾: فزعتُم وجبُنتُم عن عدوِّكُم. ﴿ليبتليكم﴾: ليمتحِنَ صبرَكُم وثباتَكُم. ﴿تُصعِدون﴾: تذهبونَ في الوادي هرباً. ﴿لا تلوون﴾: لا تُعرِّجونَ. ﴿فأثابكم﴾: فجازاكُمُ اللهُ بما عصيتُم. ﴿غمًّا بغم﴾: حزناً متَّصلاً بحزنٍ.

(١) هذا هو سبب نزول الآية كما روي عن السدي: أنَّ أبا سُفيانَ لمَّا انصرَفَ من أُحدٍ ندِمَ هو وحِزبُه، وقالوا: قتَلْناهم، حتَّى إذا لـم يبقَ منهم إلاَّ الشَّريدُ تركْناهم، ارجِعُوا فاستأصِلُوهم، وهمُّوا بذلك، فألقى الله في قلوبِهم الرُّعبَ ولـم يرجِعُوا، فنزلت الآية. الطبري (٦/ ١٢٨)، والواحدي (ص: ١٢٥)، و«العجاب» (٢/ ٧٦٥).

(٢) رواه بمعناه البخاري (٣٠٣٩) عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما. ورويت هذه القصة في سبب النزول، فعن عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه: وضع رسول الله ﷺ يوم أحد خمسين من الرماة إزاء خالد بن الوليد وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، فلما انهزم المشركون قال طائفة منهم: نلحق بالناس لا يسبقونا بالغنائم، وقالت طائفة: عهد إلينا النبي ﷺ أن لا نزيغ من مكاننا حتى يأتينا أمره، فمضى أولئك، فرأى خالد رقتهم فحمل عليهم فقتلهم، ونزلت هذه الآية. عبد بن حميد كما في «العجاب» (٢/ ٧٦٨).

وروي فيها سببٌ آخر، قال محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ: لمَّا رجعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ بعد أُحدٍ وقد أُصيبُوا قال بعضُهم لبعضٍ: من أينَ أصابَنا هذا وقد وعدَنا الله النَّصرَ؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ. الثعلبي (٩/ ٣٢٨)، والواحدي (ص: ١٢٥).

(٣) الطبري (٦/ ١٤٦ ـ ١٤٨) عن قتادة والربيع والسدي.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ
ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ
قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ
يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ
فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ
مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا
ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ
وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ
وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧

١٥٤ ـ ﴿ثُمَّ أنزلَ عليكُم مِن بَعدِ الغَمِّ أَمَنةً﴾: أمْنًا، ﴿نُعاسًا﴾: بدلٌ ﴿يَغشى﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿طائفةً مِنكُم﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يَميدون تحت الحَجَفِ وتسقط السيوف منهم، ﴿وطائفةٌ قد أهمَّتهُم أنفُسُهُم﴾ أي: حَملتهم على الهمّ، فلا رغبةَ لهم إلّا نجاتُها دُونَ النبيّ وأصحابه، فلم يناموا ـ وهم المنافقون ـ ﴿يَظنُّونَ باللهِ﴾ ظنًّا ﴿غَيرَ﴾ الظنِّ ﴿الحَقِّ، ظَنَّ﴾ أي: كظنِّ ﴿الجاهلِيّةِ﴾، حيث اعتقدوا أنّ النبيّ قُتل أو لا يُنصر، ﴿يَقولُونَ: هَل﴾ ما ﴿لَنا مِنَ الأمرِ﴾ أي: النصرِ الذي وُعِدْناه ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ؟ ـ قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّ الأمرَ كُلَّهُ﴾ بالنصبِ: توكيدًا، والرفع: مبتدأ خبره: ﴿للهِ﴾ أي: القضاءَ له يفعل ما يشاء ـ ﴿يُخفُونَ في أنفُسِهِم ما لا يُبدُونَ﴾: يُظهرون ﴿لَكَ، يَقولُونَ﴾ بيانٌ لما قبله: ﴿لَو كانَ لَنا مِنَ الأمرِ شَيءٌ ما قُتِلنا هَهُنا﴾[1] أي: لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نُقتل. لكن أُخرجنا كُرهًا.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو كُنتُم في بُيُوتِكُم﴾، وفيكم من كَتَبَ اللهُ عليه القتل، ﴿لَبرزَ﴾: خرج ﴿الّذِينَ كُتِبَ﴾: قُضِي ﴿عَلَيهِمِ القَتلُ﴾ منكم ﴿إلى مَضاجِعِهِم﴾: مَصارعهم فيقتلوا، ولم يُنجِهم قُعودُهم، لأنّ قضاءه ـ تعالى ـ كائن لا محالة، ﴿و﴾ فُعِل ما فُعِل بأُحُد، ﴿لِيَبتَلِيَ﴾: يختبرَ ﴿اللهُ ما في صُدُورِكُم﴾: قُلوبكم من الإخلاص والنفاق، ﴿ولِيُمَحِّصَ﴾: يميزَ ﴿ما في قُلُوبِكُم، واللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوب، لا يخفى عليه شيء، وإنّما يَبتلي ليُظهِر للناس.

١٥٥ ـ ﴿إنَّ الّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُم﴾ عن القتال ﴿يَومَ التَقَى الجَمعانِ﴾: جمعُ المسلمين وجمع الكافرين بأُحُد ـ وهم المسلمون إلّا اثني عشر رجلًا[2] ـ ﴿إنّما استَزَلَّهُمُ﴾: أزلّهم ﴿الشَّيطانُ﴾ بوسوسته، ﴿بِبَعضِ ما كَسَبُوا﴾ من الذُّنوب، وهو مُخالفة أمر الرسول، ﴿ولَقَد عَفا اللهُ عَنهُم. إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمُؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يُعجّل على العُصاة.

١٥٦ ـ ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، لا تَكُونُوا كالّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المنافقين، ﴿وقالُوا لإخوانِهِم﴾ أي: في شأنهم، ﴿إذا ضَرَبُوا﴾: سافروا ﴿في الأرضِ﴾ فماتوا ﴿أو كانُوا غُزًّى﴾: جمع غازٍ، فقُتلوا: ﴿لَو كانُوا عِندَنا ما ماتُوا، وما قُتِلُوا﴾. أي: لا تقولوا كقولهم، ﴿لِيَجعَلَ اللهُ ذلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسرَةً في قُلُوبِهِم. واللهُ يُحيِي ويُمِيتُ﴾، فلا يمنع عن الموت قعودٌ، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

١٥٧ ـ ﴿ولَئِن﴾: لامُ قسم ﴿قُتِلتُم في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: الجِهاد، ﴿أو مُتُّم﴾ ـ بضم الميم وكسرها من: ماتَ يَموتُ ويَماتُ ـ أي: أتاكم الموت فيه، ﴿لَمَغفِرَةٌ﴾ كائنةٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾ لذنوبكم ﴿ورَحمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم، وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره: ﴿خَيرٌ مِمّا تَجمَعُونَ﴾ من الدنيا، بالتاء والياء. ....

﴿أمنةً﴾: أمناً وعدمَ خوفٍ. ﴿نُعاساً﴾: سكوناً وهدوءاً أو مُقاربةً للنَّوم. ﴿يغشى﴾: يُلابسُ كالغشاءِ. ﴿لبرز﴾: لَخَرَجَ. ﴿مضاجعهم﴾: مصارعِهِمُ المقدَّرةِ لهُم أزلاً. ﴿لبتلِي﴾: ليختبرَ وليمتحِنَ وهوَ العليمُ الخبيرُ. ﴿ليُمحّص﴾: ليخلِّصَ ويزيلَ أو ليكشفَ ويميزَ. ﴿استزلّهم الشّيطان﴾: حملَهُم على الزَّلَّةِ بوسوستِهِ. ﴿ضربوا﴾: سافروا لتجارةٍ أو غيرِها فماتوا. ﴿غزًّى﴾: غُزاةً مجاهدينَ فاستشهدوا.

(١) عن عبد الله بن الزبير عن الزبير: «لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، قال: فوالله إني لأسمع قول مُعتِّب بن قُشيرٍ ما أسمعه إلا كالحلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا»، فحفَظَها منه، وفي ذلك أنزل الله: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا﴾». ابن أبي حاتم (٣/ ٧٩٥)، وعند ابن المنذر (١٠٩١): «.. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ إِلَى قوله: ﴿مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾».

(٢) البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء رضي الله عنه.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ
مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ
أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿١٥٨﴾ ـ ﴿وَلَئِن﴾: لامُ قسم ﴿مُتُّم﴾، بالوجهين، ﴿أَو قُتِلتُم﴾ في الجهاد أو غيره ﴿لَإِلَى اللهِ﴾ لا غيره ﴿تُحشَرُونَ﴾ في الآخرة فيُجازيكم.

﴿١٥٩﴾ ـ ﴿فبِما﴾ ما: زائدةٌ ﴿رَحمةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لَهُم﴾: أي: سَهّلت أخلاقَكَ إذ خالفوك، ﴿ولَو كُنتَ فَظًّا﴾: سيّئ الخُلق ﴿غَلِيظَ القَلبِ﴾: جافيًا فأغلظت لهم ﴿لَانفَضُّوا﴾: تفرّقوا ﴿مِن حَولِكَ. فاعفُ﴾: تجاوزْ ﴿عَنهُم﴾ ما أتوه، ﴿واستَغفِر لَهُم﴾ ذَنبَهم حتّى أغفرَ لهم، ﴿وشاوِرهُم﴾: استخرجْ آراءهم ﴿في الأمرِ﴾ أي: شأنِك من الحرب وغيره، تَطييبًا لقلوبهم وليُستنّ بك ـ وكان ﷺ كثير المُشاورة لهم ـ ﴿فإذا عَزَمتَ﴾ على إمضاء ما تُريد بعد المُشاورة ﴿فتَوَكَّل على اللهِ﴾: ثِقْ به لا بالمُشاورة. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

﴿١٦٠﴾ ـ ﴿إنْ يَنصُرْكُمُ اللهُ﴾: يُعِنْكم على عدوّكم كيوم بدر ﴿فلا غالِبَ لَكُم، وإنْ يَخذُلْكُم﴾: يَترك نصركم كيوم أُحُد ﴿فمَن ذا الَّذي يَنصُرُكُم مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ خِذلانه؟ أي: لا ناصرَ لكم. ﴿وعلى اللهِ﴾ لا غيرِه ﴿فلْيَتَوَكَّلِ﴾: لِيَثِق ﴿المُؤمِنُونَ﴾.

ونزل لمّا فُقِدتْ قَطيفةٌ حمراء يومَ بدر[1]، فقال بعضُ الناس: «لعلّ النبيَّ أخذَها»: ﴿١٦١﴾ ـ ﴿وما كانَ﴾: ما ينبغي ﴿لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ﴾: يخونَ في الغنيمة ـ فلا تظنّوا به ذلك. وفي قراءة بالبناء للمفعول أي: يُنسبَ إلى الغُلول ـ ﴿ومَن يَغلُلْ يأتِ بما غَلَّ يَومَ القِيامةِ﴾ حاملاً له على عُنقه، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ﴾ الغالُّ وغيرُه جزاءَ ﴿ما كَسَبَتْ﴾: عملت، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا.

﴿١٦٢﴾ ـ ﴿أفمَنِ اتَّبَعَ رِضوانَ اللهِ﴾، فأطاع ولم يَغُلَّ، ﴿كَمَن باءَ﴾: رَجَع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ لِمعصيته وغلوله، ﴿ومأواهُ جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾: المرجعُ هي؟ لا. ﴿١٦٣﴾ ـ ﴿هُم دَرَجاتٌ﴾ أي: أصحابُ درجاتٍ ﴿عِندَ اللهِ﴾ أي: مختلفو المنازل، فلِمَن اتّبع رضوانه الثوابُ، ولِمَن باء بسَخطه العِقابُ، ﴿واللهُ بَصِيرٌ بما يَعمَلُونَ﴾ فيُجازيهم به.

﴿١٦٤﴾ ـ ﴿لَقَد مَنَّ اللهُ على المُؤمِنِينَ إذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أنفُسِهِم﴾ أي: عربيًّا مِثلَهم، ليفهموا عنه ويَشرُفوا به، لا مَلَكًا ولا عَجميًّا، ﴿يَتلُو عَلَيهِم آياتِهِ﴾: القرآنَ، ﴿ويُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرهم من الذّنوب، ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾: القرآنَ ﴿والحِكمةَ﴾: السُّنّةَ، ﴿وإنْ﴾ مُخفّفةٌ أي: إنهم ﴿كانُوا مِن قَبلُ﴾ أي: قبلَ بَعثه ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن.

﴿١٦٥﴾ ـ ﴿أوَلَمّا أصابَتكُم مُصِيبةٌ﴾[2] بأُحُد بقتل سبعين منكم، ﴿قَد أصَبتُم مِثلَيها﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم، ﴿قُلتُم﴾ مُتعجّبين: ﴿أنَّى﴾: مِن أين لنا ﴿هذا﴾ الخِذلانُ، ونحن مسلمون، ورسول الله فينا؟ والجملة الأخيرة: محلّ الاستفهام الإنكاريّ. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِن عِندِ أنفُسِكُم﴾ لأنكم تركتم المركز، فخُذِلتم ﴿إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصرُ ومنعُه، وقد جازاكم بخِلافكم.

﴿فبما رحمة﴾: فبرحمةٍ عظيمةٍ. ﴿لِنْتَ لهم﴾: سهّلْتَ لهُم أخلاقَكَ ولم تُعنِّفْهُم. ﴿فظًّا﴾: جافياً في المُعاشرةِ قولاً وفعلاً. ﴿لانفضّوا﴾: لتفرّقوا ونفروا. ﴿فلا غالب لكم﴾: فلا قاهرَ ولا خاذلَ لكُم. ﴿يغُلّ﴾: يخونَ في الغنيمةِ. ﴿باء بسخطٍ﴾: رجعَ متلبّساً بغضبٍ شديدٍ. ﴿يُزكّيهم﴾: يُطهِّرُهُم مِن أدناسِ الجاهليّةِ. ﴿أنّى هذا؟﴾: مِن أينَ لنا هذا الخذلانُ ؟.

(١) أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩) وحسنه، والطبري (٦/ ١٩٤)، من طريق مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقد روي من طريق مجاهد عن ابن عباس ما يدل على أن قائل ذلك كان من المنافقين، رواه الطبراني في «الكبير» (١١١٧٤)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٧). وعن حبيب بن أبي ثابتٍ عن ابن عباس: بعث النبي ﷺ جيشاً فردت، ثم بعث فردت رايته، ثم بعث فردت بغلولِ رأس غزال من ذهب فنزلت. الطبراني في «الكبير» (١٢٦٨٤)، والضياء في «المختارة» (٥١٢)، ورجاله ثقات كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٨). وعن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: غَلَّ رجلٌ بِمِخْيَطٍ من غنائم هوازنَ يومَ حُنينٍ فنزلَتِ الآيةُ. الثعلبي (٩/ ٢٧٧)، والواحدي (ص: ١٢٧)،. وجويبر متروك، وقال ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٧٧٩): وهذا من تخليط جويبر، فإن هذه الآية نزلت في يوم أحد اتفاقاً. وفي رواية أخرى عن ابن عباس بلا سند: التمَسَ أشرافُ النّاسِ تخصيصَهم بشيءٍ منَ المغانمِ فنزلَتْ هذه الآيةُ. الواحدي (ص: ١٢٧)، و«زاد المسير» (١/ ٣٤١). وعن قتادة والربيع: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ يوم بدر، وقد غَلَّ طوائف من أصحابه. الطبري (٦/ ١٩٩)، و«العجاب» (٢/ ٧٧٨). وعن الضَّحَّاكُ: بعثَ عليه السَّلامُ طلائعَ فغنِمَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ، فقسمَها بين النّاسِ ولم يقسمْ على الطّلائع شيئًا، فنزلَتِ الآيةُ. «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٣٢٣١)، والطبري (٦/ ١٩٦)، والواحدي (ص: ١٢٧).

(٢) عن عمرَ رضي الله عنه: عُوقبوا بما صنَعوا يومَ بدرٍ من أخذهم الفداء، فقُتِل منهم سبعون، وفرَّ أصحابُ النبيِّ عليه السَّلامُ، وهُشِمت البيضةُ على رأسه، وكُسِرَتْ رَباعيَتُه، فنزلت الآية إلى قولِه: ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾؛ أي: بأخذِكُم الفِداءَ. أحمد (٢٠٨) في خبر طويل عن عمر رضي الله عنه، والواحدي (ص: ١٢٧). وأصله عند مسلم (١٧٦٣) دون هذه القطعة.

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
(١٦٦) وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ
أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ (١٦٧) ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ
لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٦٨) وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم
مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (١٧٠) ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ
بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٧١) ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ
ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)
ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ
فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ (١٧٣)

(١٦٦) ـ ﴿وما أصابَكُم يَومَ التَقَى الجَمْعانِ﴾ بأُحُد ﴿فبِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿وليَعلَمَ﴾ اللهُ عِلمَ ظُهورِ ﴿المُؤمِنينَ﴾ حقًّا، (١٦٧) ـ ﴿وليَعلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا و﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُم﴾ لمّا انصرفوا عن القتال، وهم عبدالله بن أُبيّ وأصحابه: ﴿تعالَوا قاتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ أعداءه، ﴿أوِ ادفَعُوا﴾ عنّا القوم بتكثير سَوادكم، إن لم تُقاتلوا. ﴿قالُوا: لَو نَعلَمُ﴾: نُحسِنُ ﴿قِتالاً لاتَّبَعْناكُم﴾.

قال تعالى تكذيبًا لهم: ﴿هُم لِلكُفرِ يَومَئذٍ أقرَبُ مِنهُم لِلإيمانِ﴾ بما أظهروا من خِذلانهم للمؤمنين، وكانوا قبلُ أقربَ إلى الإيمان من حيث الظاهرُ. ﴿يَقُولُونَ بأفواهِهِم ما لَيسَ في قُلُوبِهِم﴾، ولو علموا قتالاً لم يتّبعوكم، ﴿واللهُ أعلَمُ بِما يَكتُمُونَ﴾ منَ النِّفاق، (١٦٨) ـ ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ من «الذين» قبله أو نعت ﴿قالُوا لِإخْوانِهِم﴾ في الدِّين، ﴿و﴾ قد ﴿قَعَدُوا﴾ عن الجِهاد: ﴿لَو أطاعُونا﴾ أي: شُهداءُ أُحُد أو إخواننا، في القُعود ﴿ما قُتِلُوا. قُلْ﴾ لهم: ﴿فادرَؤُوا﴾: ادفعوا ﴿عَن أنفُسِكُمُ المَوتَ، إنْ كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أن القعود يُنجي منه.

الحِزبُ ٨

ونزل في الشهداء[1]: (١٦٩) ـ ﴿ولا تَحسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: لأجل دِينه ﴿أمواتًا. بَل﴾ هم ﴿أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم﴾ أرواحهم في حَواصلِ طُيور خُضر، تسرح في الجنَّة حيث شاءت كما ورد في حديث[2]، ﴿يُرزَقُونَ﴾: يأكلون من ثِمار الجنّة، (١٧٠) ـ ﴿فَرِحِينَ﴾: حالٌ من ضمير «يُرزقون» ﴿بِماآتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ، و﴾ هم ﴿يَستَبشِرُونَ﴾: يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَم يَلحَقُوا بِهِم مِن خَلفِهِم﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويُبدل من «الذين»: ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا خَوفٌ علَيهِم﴾ أي: الذين لم يلحقوا بهم، ﴿ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخرة ـ المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم ـ (١٧١) ـ ﴿يَستَبشِرُونَ بِنِعْمةٍ﴾: ثواب ﴿مِنَ اللهِ وفَضلٍ﴾: زيادةٍ عليه، ﴿وأنَّ﴾ ـ بالفتح عطفًا على «نعمة» والكسرِ استئنافًا ـ ﴿اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُؤمِنِينَ﴾، بل يأجرهم.

(١٧٢) ـ ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿استَجابُوا للهِ والرَّسُولِ﴾ دُعاءه بالخُروج للقِتال لمّا أراد أبو سفيان وأصحابه العَودَ[3]، وتواعدوا مع النبيّ سُوقَ بَدر العامَ المُقبل من يوم أُحُد، ﴿مِن بَعدِ ما أصابَهُمُ القَرحُ﴾ بأُحُد، وخبرُ المبتدأ: ﴿لِلَّذِينَ أحسَنُوا مِنهُم﴾ بطاعته ﴿واتَّقَوا﴾ مُخالفته ﴿أجرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنّة، (١٧٣) ـ ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ من «الذين» قبله أو نعت ﴿قالَ لَهُمُ النّاسُ﴾ أي: نُعيم بن مسعود الأشجعيّ: ﴿إنَّ النّاسَ﴾: أبا سُفيان وأصحابه ﴿قَد

﴿فادْرءُوا﴾: فادفعوا. ﴿أصابهم القرح﴾: نالَتْهُمُ الجراحُ يومَ أُحُدٍ.

(١) قوله: «ونزل في الشهداء...» قال النَّبيُّ ﷺ: «لمَّا أُصيبَ إخوانُكم بأُحدٍ جعلَ الله أرواحَهم في أجوافِ طيرٍ خُضرٍ تَرِدُ أنهارَ الجنَّةِ، وتأكلُ من ثمارِها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ مُعلَّقةٍ في ظلِّ العرشِ، فلمَّا وجَدُوا طيبَ مأكلِهم ومشربِهم ومَقيلِهم قالوا: مَن يُبلِّغُ إخوانَنا عنَّا أنَّا في الجنَّةِ نُرزَقُ لئلَّا يزهَدُوا في الجهادِ ولا يَنكُلُوا عندَ الحربِ، فقالَ الله: أنا أُبلِّغُهم عنكم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن﴾ الآية». أبو داود (٢٥٢٠) من حديث ابن عباس، وإسناده صحيح كما قال القرطبي في «تفسيره» (٥/ ٤٠٦). وعن جابرٍ: نظرَ إليَّ رسولُ الله ﷺ فقالَ: «ما لي أراكَ مُهتمًّا؟» فقلتُ: قُتِلَ أبي وترَكَ دَينًا وعِيالًا، فقال: «ألا أُخبِرُكَ؟ ما كلَّمَ الله أحدًا إلّا من وراءِ حجابٍ، وإنَّه كلَّمَ أباكَ كِفاحًا، فقال: يا عبدي، سَلْني أُعطِكَ، فقال: أسألُكَ أن ترُدَّني إلى الدُّنيا فأُقتَلَ فيك ثانيةً، فقالَ: إنَّه سبقَ منِّي أنَّهم إليها لا يُرجَعُونَ، قال: يا ربِّ، فأبلِغْ مَن وَرائي، فأنزَلَ اللهُ: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا﴾ الآية». الترمذي (٣٠١٠) وحسنه، وابن ماجه (١٩٠) و(٢٨٠٠). وقد روي أيضاً أن الآية نزلَت في شهداءِ بئرِ معونةَ. الطبري (٦/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه بذكر قصتهم. وأصله في «البخاري» (٢٨٠١) ومسلم (٦٧٧)، دون ذكر هذه الآية.

(٢) رواه مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود.

(٣) روي هذا في سبب نزول هذه الآية والتي بعدها، فعن عكرمة عن ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن أحد وبلغوا الرَّوْحاء قالوا: لا محمدًا قتلتموه، ولا الكواعب أردفتم، وبئس ما صنعتم، ارجعوا، فبَلَغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فندب الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد وبئر أبي عُتَيْبة، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ﴾، وقد كان أبو سفيان قال لِلنَّبيِّ ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة، فلم يجدوا به أحدًا، وتسوَّقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لم يمسسهم سوء﴾. النسائي في «الكبرى» (١١٠١٧)، و«المعجم الكبير» (١١٦٣٢). ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ٨١٦) عن عكرمة مرسلاً، وهو المحفوظ كما في «الفتح» (٨/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩)؛ وإن كان المتصل رجاله رجال الصحيح كما فيه أيضاً. وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ فعن عكرمة قال: كانت بدر متجراً في الجاهلية، فلما كان يوم أحد قال أبو سفيان للنبي ﷺ: موعدك عام قابل بدر، فقال: «هو موعد لك». فلما خرج النبي ﷺ لموعدهم لقيهم رجل فقال: إن بها جموعاً من المشركين فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة التجارة وأهبة القتال، وقالوا: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾. ثم خرجوا حتى جاؤوها فتسوقوا بها ولم يجدوا عندها أحداً فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الآية. عبد الرزاق (٤٨٧)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨١٨ ـ ٨١٩)، و«العجاب» (٢/ ٧٩٤).

فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ
رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ
شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا
نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ
عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ
عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ
ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ
بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ
مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾

﴿جَمَعُوا لَكُم﴾ الجُموعَ لِيستأصِلوكم. ﴿فاخشَوهُم﴾ ولا تأتوهم. ﴿فزادَهُم﴾ ذلك القولُ ﴿إيمانًا﴾: تصديقًا بالله ويقينًا، ﴿وقالوا: حَسْبُنا اللهُ﴾: كافِينا أمرَهم، ﴿ونِعمَ الوَكِيلُ﴾: المُفوَّضُ إليه الأمرُ هو! وخرجوا مع النبيّ فوافَوا سُوقَ بدر، وألقى الله الرُّعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا، وكان معهم تجارات، فباعوا وربحوا.

﴿١٧٤﴾ ـ قال الله تعالى: ﴿فانقلَبُوا﴾: رجَعوا من بَدر، ﴿بِنِعمَةٍ مِنَ اللهِ وفَضلٍ﴾: بسلامة وربح، ﴿لَم يَمسَسْهُم سُوءٌ﴾ من قتل أو جَرح، ﴿واتَّبَعُوا رِضوانَ اللهِ﴾ بطاعته ورسولَه في الخُروج. ﴿واللهُ ذُو فَضلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

﴿١٧٥﴾ ـ ﴿إنّما ذلِكُمُ﴾ أي: القائلُ لكم «إنّ الناس» إلى آخره ﴿الشَّيطانُ، يُخَوِّفُ﴾ـكم ﴿أولِياءَهُ﴾: الكُفّارَ. ﴿فلا تَخافُوهُم وخافُونِ﴾ في ترك أمري، ﴿إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ حقًّا.

﴿١٧٦﴾ ـ ﴿ولا يُحزِنْكَ﴾ ـ بضمّ الياء وكسر الزاي، وبفتحها وضمّ الزاي من: حَزَنَه، لغةٌ في: أحزَنَه ـ ﴿الَّذِينَ يُسارِعُونَ في الكُفرِ﴾: يقعون فيه سريعًا بنُصرته ـ وهم أهل مكّة والمنافقون ـ أي: لا تَهتمَّ لكُفرهم. ﴿إنَّهُم لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيئًا﴾ بفِعلهم! وإنّما يضرّون أنفُسَهم. ﴿يُرِيدُ اللهُ ألّا يَجعَلَ لَهُم حَظًّا﴾: نصيبًا ﴿في الآخِرةِ﴾ أي: في الجنّة ـ فلذلك خذلهم ـ ﴿ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

﴿١٧٧﴾ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ اشتَرَوُا الكُفرَ بالإيمانِ﴾ أي: أخذوه بدلَه ﴿لَن يَضُرُّوا اللهَ﴾ بكُفرهم ﴿شَيئًا! ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلم.

﴿١٧٨﴾ ـ ﴿ولا يَحسِبَنَّ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ ما نُملِي﴾ أي: إملاءنا ﴿لَهُم﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيرٌ لِأنفُسِهِم﴾. و«أنّ» ومعمولاها سدّت مسدّ المفعولين في قراءة التحتانيّة ومسدّ الثاني في الأُخرى. ﴿إنَّما نُملِي﴾: نُمهل ﴿لَهُم لِيَزدادُوا إثمًا﴾ بكثرة المعاصي، ﴿ولَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة في الآخرة.

﴿١٧٩﴾ ـ ﴿ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ﴾[1]: ليترك ﴿المُؤمِنِينَ على ما أنتُم﴾ ـ أيُّها النّاس ـ ﴿علَيهِ﴾ من اختلاط المنافق بغيره، ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾، بالتخفيف والتشديد: يَفصِلَ ﴿الخَبِيثَ﴾: المُنافقَ ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمنِ بالتكاليف الشاقّة المبيِّنة لذلك، ففعل ذلك يوم أُحُد، ﴿وما كانَ اللهُ لِيُطلِعَكُم علَى الغَيبِ﴾، فتعرفوا المُنافقَ من غيره قبل التمييز، ﴿ولكِنَّ اللهَ يَجتَبِي﴾: يختارُ ﴿مِن رُسُلِهِ مَن يَشاءُ﴾، فيُطلِعُه على غَيبه كما أَطلع النبيَّ على حال المُنافقين. ﴿فآمِنُوا باللهِ ورُسُلِهِ. وإنْ تُؤمِنُوا وتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فلَكُم أجرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١٨٠﴾ ـ ﴿ولا تَحسِبَنَّ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿الَّذِينَ يَبخَلُونَ[2] بما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾ أي: بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي: بُخلَهم ﴿خَيرًا لَهُم﴾: مفعول ثان والضمير للفصل، والأوّل «بُخلَهم» مقدّرًا قبل المَوصول على الفوقانيّة، وقبل الضمير على التحتانيّة. ﴿بَل هُوَ شَرٌّ لَهُم، سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ﴾ أي: بزكاته من المال ﴿يَومَ القِيامةِ﴾ بأن يُجعل حيّة في عُنقه تَنهشه كما ورد في الحديث، ﴿ولِلّهِ مِيراثُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ يَرِثُهما بعد فناء أهلهما، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿خَبِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

﴿أنّما نُملي لهم﴾: أنَّ إمهالَنا لهُم معَ كفرِهِم. ﴿يجتبي﴾: يصطفي ويختارُ. ﴿سيُطوّقون﴾: سيُجعلُ طوقاً في أعناقِهِم.

(١) قال السُّدِّيُّ: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرِضَتْ عليَّ أمّتي في صُوَرِها كما عُرِضَتْ على آدمَ، وأُعلِمْتُ مَن يُؤمِنُ بي ومَن يكفُرُ»، قال المُنافقون: فلِمَ لا يعرِفُنا ونحنُ معَه؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ. الثعلبي (٩/ ٤٨٢)، والواحدي (ص: ١٣٢)، ورواه دون المرفوع الطبري (٦/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨١٤). وعن الكلبي: قال المشركونَ: تزعُمُ أنَّ مَن اتَّبعَكَ فهو في الجنّةِ، ومَن خالفَكَ فهو في النّارِ، فأخبِرْنا بمَن يُؤمِنُ بك ومَن لا يُؤمِنُ، فنزلت. الثعلبي (٩/ ٤٨١)، والواحدي (ص: ١٣٢) وهو في «العجاب» (٢/ ٧٩٩) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. أبو العالية: قال المسلمونَ: ليتَ لنا علامةً نُفرِّقُ بها بينَ المُؤمنِ والمُنافقِ، فنزلَتِ الآيةُ. الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٢).

(٢) قال الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣٣): أجمع جمهور المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة. قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٢٣٠): «وفي صحة هذا النقل نظر، فقد قيل: إنها نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد، قاله ابن جريج، واختاره الزجاج. وقيل: فيمن يبخل بالنفقة في الجهاد، وقيل: على العيال وذي الرحم المحتاج، نعم الأول هو الراجح». ثم قال الواحدي: وروى عطية العوفي عن ابن عباس: أنها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ونبوته، والبخل على هذا: كتمان العلم. وهذا أخذه عن الثعلبي (٩/ ٥٠٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٢٦) بلفظ: يعني بذلك أهل الكتاب؛ أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس. وعلى كل فالخبر ضعيف جدًا.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ١٨٢ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
١٨٣ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو
بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ١٨٤ كُلُّ نَفْسٍ
ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥ * لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ
أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا
وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ١٨٦

١٨١ ـ ﴿لَقَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ فَقِيرٌ، ونَحنُ أغنِياءُ﴾، وهم اليهود قالوه لمّا نزل «مَن ذا الّذِي يُقرِضُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا»؟[1] وقالوا: لو كان غنيًّا ما استقرَضَنا. ﴿سَنكتُبُ﴾: نأمر بكتب ﴿ما قالُوا﴾ في صحائف أعمالهم ليُجازَوا عليه ـ وفي قراءة بالياء مبنيًّا للمفعول ـ ﴿و﴾ نكتبُ ﴿قَتلَهُمُ﴾، بالنصب والرفع، ﴿الأنبِياءَ بِغَيرِ حَقٍّ، ونَقُولُ﴾ بالنون، والياء أي: اللهُ لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ﴾: النار. ويقال لهم إذا أُلقوا فيها: ١٨٢ ـ ﴿ذلِكَ﴾ العذاب ﴿بِما قَدَّمتْ أيدِيكُم﴾ ـ عُبّر بهما عن الإنسان لأنّ أكثر الأفعال تُزاوَل بهما ـ ﴿وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ﴾ أي: بذي ظُلم ﴿لِلعَبِيدِ﴾، فيُعذِّبَهم بغير ذنب. ١٨٣ ـ ﴿الَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ«الذين» قبله ﴿قالُوا﴾ لمحمّد: ﴿إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَينا﴾[2] في التوراة ﴿ألّا نُؤمِنَ لِرَسُولٍ﴾: نصدِّقَه، ﴿حَتَّى يأتِيَنا بِقُربانٍ تأكُلُهُ النّارُ﴾، فلا نُؤمنُ لك حتّى تأتينَا به. وهو ما يُتقرَّبُ به إلى الله من نَعَمٍ وغيرِها. فإن قُبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، وإلّا بقي مكانه. وعَهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلّا في المسيح ومحمّد. قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخًا: ﴿قَد جاءَكُم رُسُلٌ مِن قَبلِي بِالبيِّناتِ﴾: بالمُعجزات ﴿وبِالَّذِي قُلتُم﴾ كزكريّاء ويحيى، فقتلتموهم. والخِطاب لمن في زمن نبيّنا، وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به. ﴿فلِمَ قَتَلتُمُوهُم، إنْ كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟ ١٨٤ ـ ﴿فإنْ كَذَّبُوكَ فقَد كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ، جاؤُوا بِالبيِّناتِ﴾: المُعجزات ﴿والزُّبُرِ﴾ كصُحف إبراهيم ﴿والكِتابِ﴾ ـ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما ـ ﴿المُنِيرِ﴾: الواضح ـ هو التوراة والإنجيل ـ فاصبرْ كما صبروا.

ربع الحزب ٨

١٨٥ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ المَوتِ، وإنَّما تُوَفَّونَ أُجُورَكُم﴾: جزاءَ أعمالكم ﴿يَومَ القِيامةِ. فمَن زُحزِحَ﴾: بُعِّدَ ﴿عَنِ النّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فقَد فازَ﴾: نال غاية مطلوبه، ﴿وما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: العيشُ فيها ﴿إلّا مَتاعُ الغُرُورِ﴾: الباطلِ، يُتمتّع به قليلاً ثم يفنى. ١٨٦ ـ ﴿لَتُبلَوُنَّ﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: لتُختبَرُنَّ ﴿في أموالِكُم﴾ بالفرائض فيها والجوائح ﴿وأنفُسِكُم﴾[3] بالعبادات والبلاء، ﴿ولَتسمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم﴾ اليهودِ والنصارى، ﴿ومِنَ الَّذِينَ أشرَكُوا﴾ من العرب ﴿أذَى كَثِيرًا﴾ من السبِّ والطعن والتشبيب بنسائكم. ﴿وإنْ تَصبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وتَتَّقُوا﴾ اللهَ ﴿فإنَّ ذلِكَ مِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ أي: من مَعزوماتها التي يُعزَم عليها لوجوبها.

﴿عهِدَ إلينا﴾: أمرَنا وأوصانا في التَّوراةِ. ﴿بقربان﴾: ما يُتقرَّبُ بهِ مِنَ البرِّ إليهِ تعالى. ﴿الزُّبُر﴾: كتبِ المواعظِ والزَّواجرِ. ﴿زحزِح عن النّار﴾: بُعِّدَ ونُحِّيَ عنها. ﴿الغرور﴾: الخِداع أو الباطلِ الفاني. ﴿لَتُبْلونّ﴾: لتُمتحنُنَّ وتختبرنَّ بالمحنِ.

(١) رواه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٨) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتت اليهود محمداً ﷺ حين أنزل الله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فقالوا: يا محمد، أفقير ربك يسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية. وفي طريق آخر ـ أتم منه كما في «العجاب» (٢/ ٨٠٥) ـ عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر بيت المدراس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيًّا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه، فشكا فنحاص أبا بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال: «يا أبا بكر، ما حملك على ما صنعت؟» قال: يا رسول الله قولاً عظيماً، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فجحد فنحاص فأنزل الله الآية. الطبري (٦/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٨)، و«مشكل الآثار» (١٨٣٠). وهو في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٥٨) عن ابن إسحاق، ورواه بنحوه الطبري (٦/ ٢٧٩) عن السدي. وخبر ابن عباس ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد الراوي عن عكرمة.

(٢) عن الكلبي: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من رؤساء اليهود قالوا: يا محمد إنك تزعم أن الله بعثك إلينا رسولًا وأنزل عليك كتاباً، وإن الله أنزل علينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك. فنزلت. الثعلبي (٩/ ٥١٠)، والواحدي (ص: ١٣٤).

(٣) عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه: أن كعب بن الأشرف كان شاعراً، وكان يؤذي النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان النبي ﷺ قدم المدينة وبها المشركون واليهود، فأراد أن يستصلحهم وكانوا يؤذونه وأصحابه أشد الأذى، فأمره الله بالصبر على ذلك منهم وأنزل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيرًا﴾. أبو داود (٣٠٠٠)، و«المعجم الكبير» (١٩/ ٧٦)، وزاد الطبراني: وفيهم أنزل اللهُ تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩] وقد تقدم الحديث عندها. وسنده صحيح كما في «العجاب» (١/ ٣٥٦)، وفيه (٢/ ٨١٠): وشاهده في «صحيح البخاري» (٤٥٦٦) من حديث أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، وتحته قطيفة، فذكر القصة، وفيها: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيرًا﴾ إلى آخر الآية.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ
أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

﴿١٨٧﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ أخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ أي: العهدَ عليهم في التوراة، ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي: الكتابَ ﴿لِلنّاسِ ولا يَكتُمُونَهُ﴾ ـ بالياء والتاء في الفعلين ـ ﴿فنَبَذُوهُ﴾: طرحوا المِيثاقَ ﴿وَراءَ ظُهُورِهِم﴾ فلم يعملوا به، ﴿واشتَرَوا بِهِ﴾: أخذوا بدَله ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا من سَفِلتهم برياستهم في العلم، فكتموه خوفَ فَوتِه عليهم. ﴿فبِئسَ ما يَشتَرُونَ﴾: شراؤهم هذا!

﴿١٨٨﴾ ـ ﴿لا تَحسِبَنَّ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِما أتَوا﴾[1]: فَعلوا من إضلال الناس، ﴿ويُحِبُّونَ أنْ يُحمَدُوا بِما لَم يَفعَلُوا﴾ من التمسّك بالحق، وهم على ضلال، ﴿فلا تَحسِبَنَّهُم﴾ ـ بالوجهين تأكيدٌ ـ ﴿بِمَفازةٍ﴾: بمكانٍ ينجون فيه ﴿مِنَ العَذابِ﴾ في الآخرة، بل هم في مكان يُعذّبون فيه وهو جهنّم ﴿ولَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم فيها ـ ومفعولا «يحسِب» الأُولى دلّ عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانيّة، وعلى الفوقانية حُذف الثاني فقط ـ ﴿١٨٩﴾ ـ ﴿ولِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خزائنِ المطر والرزق والنبات وغيرها، ﴿واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين.

﴿١٩٠﴾ ـ ﴿إنَّ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾ وما فيهما من العجائب، ﴿واختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾[2] بالمجيء والذَّهاب والزِّيادة والنُّقصان، ﴿لَآياتٍ﴾: دلالات على قدرته ـ تعالى ـ ﴿لِأُولِي الألبابِ﴾: لذوي العُقول، ﴿١٩١﴾ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: نعتٌ لما قبله أو بدل ﴿يَذكُرُونَ اللهَ قِيامًا وقُعُودًا وعلَى جُنُوبِهِم﴾: مُضطجعين، أي: في كلّ حال ـ وعن ابن عبّاس: يُصلّون كذلك حَسَبَ الطاقة[3] ـ ﴿ويَتَفَكَّرُونَ في خَلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾، ليستدلّوا به على قُدرة صانعهما، يقولون:

﴿١٩٢﴾ ـ ﴿رَبَّنا، ما خَلَقتَ هذا﴾ الخلقَ الذي نراه ﴿باطِلاً﴾: حالٌ، عَبَثًا بل دليلاً على كمال قُدرتك. ﴿سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عن العبث! ﴿فقِنا عَذابَ النّارِ. رَبَّنا، إنَّكَ مَن تُدخِلِ النّارَ﴾ للخُلود فيها ﴿فقَد أخزَيتَهُ﴾: أهنته، ﴿وما لِلظّالِمِينَ﴾: الكافرين ـ فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر إشعارًا بتخصيص الخِزي بهم ـ ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿أنصارٍ﴾: يمنعونهم من عذاب الله.

﴿١٩٣﴾ ـ ﴿رَبَّنا، إنَّنا سَمِعنا مُنادِيًا يُنادِي﴾: يدعو الناسَ ﴿لِلإيمانِ﴾ أي: إليه ـ وهو مُحمّد أو القُرآن ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿آمِنُوا بِرَبِّكُم. فآمَنّا﴾ به. ﴿رَبَّنا، فاغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، وكَفِّرْ﴾: غطِّ ﴿عَنّا سَيِّئاتِنا﴾ فلا تُظهرْها بالعِقاب عليها، ﴿وتَوَفَّنا﴾: اقبِض أرواحنا ﴿مَعَ﴾: في جُملة ﴿الأبرارِ﴾: الأنبياء والصالحين ـ ﴿١٩٤﴾ ـ ﴿رَبَّنا ـ وآتِنا﴾: أعطِنا ﴿ما وَعَدتَنا﴾ به ﴿عَلَى﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل ـ وسُؤالُهم ذلك، وإن كان وعدُه ـ تعالى ـ لايُخلَف، سؤالُ أن يجعلهم من مُستحِقّيه لأنهم لم يتيقّنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربّنا» مبالغةٌ في التضرّع ـ ﴿ولا تُخزِنا يَومَ القِيامةِ. إنَّكَ لا تُخلِفُ المِيعادَ﴾: الوعدَ بالبعث والجزاء.

﴿فنبذوه﴾: طرحوهُ ولم يُراعوهُ. ﴿بِمفازة﴾: بفوزٍ ومَنجاةٍ. ﴿باطلاً﴾: عبثاً عارياً عنِ الحكمةِ. ﴿فقنا عذاب النّار﴾: فاحفظْنا مِن عذابِها. ﴿أخزيته﴾: فضحتَهُ أو أهنتَهُ أو أهلكتَهُ. ﴿منادياً﴾: الرَّسولَ أوِ القرآنَ. ﴿ذنوبنا﴾: الكبائرَ. ﴿كفِّر عنّا سيّئاتنا﴾: أزِلْ عنَّا صغائرَ ذنوبِنا.

(١) عن أبي سعيد الخدري: أن رجالًا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت. البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٧). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: سأل النَّبيُّ اليهود عن شيءٍ فأخبروه بغيره، وفرحوا بما أتوا من كتمانِهم فنزلت الآيةُ. البخاري (٤٥٦٨)، ومسلم (٢٧٧٨).

(٢) عن سعيد بن جبير عن ابنِ عَبَّاسٍ، أن قريشاً سألوا اليهودَ والنصارى عما جاء به موسى وعيسى من الآيات، فأخبروهم بأعظمها، فأَتَوا النبيَّ ﷺ، فقالوا: ادعُ لنا ربَّك أن يجعل لنا الصَّفا ذهبًا، فدعا ربَّه، فنزلت. ابن المنذر (١٢٦٠)، و«مشكل الآثار» (٤٦١٦). وذكر في «العجاب» (٢/ ٨١٦ ـ ٨١٧) أن عبد بن حميد رواه عن سعيد بن جبير مرسلاً، والمرسل أصح كما قال.

(٣) الثعلبي (٣/ ٢٣١) عن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ والنخعي وقتادة. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

(١٩٥) ـ ﴿**فاستَجابَ لَهُم رَبُّهُم**﴾ دُعاءهم ﴿**أنّي**﴾ أي: بأني ﴿**لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنكُم مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى. بَعضُكُم**﴾ كائنٌ ﴿**مِن بَعضٍ**﴾، أي: الذكور من الإناث وبالعكس والجملة: مؤكِّدة لِما قبلها، أي: هم سواء في المُجازاة بالأعمال وترك تضييعها. نزلتْ لمّا قالت أُمّ سَلَمَة: يا رسول الله، إنّي لا أسمع ذِكر النساء في الهجرة بشيء[1].

﴿**فالَّذِينَ هاجَرُوا**﴾ من مكّة إلى المدينة، ﴿**وأُخرِجُوا مِن دِيارِهِم، وأُوذُوا في سَبِيلِي**﴾: ديني، ﴿**وقاتَلُوا**﴾ الكُفّار، ﴿**وقُتِلُوا**﴾ ـ بالتخفيف والتشديد. وفي قراءة بتقديمه ـ ﴿**لأُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم**﴾: أسترُها بالمغفرة، ﴿**ولأُدخِلَنَّهُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، ثَوابًا**﴾: مصدرٌ من معنى: «لأُكفرنّ» مؤكِّد له ﴿**مِن عِندِ اللهِ**﴾. فيه التفات عن التكلّم. ﴿**واللهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوابِ**﴾: الجزاء.

ونزل لمّا قال المسلمون: «أعداءُ الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجَهدِ»[2]:

(١٩٦) ـ ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾: تصرُّفهم ﴿**في البِلادِ**﴾ بالتجارة والكسب. (١٩٧) ـ هو ﴿**مَتاعٌ قَلِيلٌ**﴾ يتمتّعون به في الدنيا يسيرًا ويفنى، ﴿**ثُمَّ مأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المِهادُ**﴾: الفِراشُ هي! (١٩٨) ـ ﴿**لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم لَهُم جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ**﴾ أي: مقدِّرين الخلودَ ﴿**فِيها، نُزُلاً**﴾ هو ما يُعَدّ للضيف ـ ونصبُهُ على الحال من «جنّات» والعاملُ فيها معنى الظرف ـ ﴿**مِن عِندِ اللهِ، وما عِندَ اللهِ**﴾، من الثواب، ﴿**خَيرٌ لِلأبرارِ**﴾ من متاع الدنيا.

(١٩٩) ـ ﴿**وإنَّ مِن أهلِ الكِتابِ لَمَن يُؤمِنُ بِاللهِ**﴾ كعبدالله بن سلام[3] وأصحابه والنجاشيُّ[4] ﴿**وما أُنزِلَ إلَيكُم**﴾ أي: القرآنِ، ﴿**وما أُنزِلَ إلَيهِم**﴾ أي: التوراةِ والإنجيل، ﴿**خاشِعِينَ**﴾: حالٌ من ضمير «يؤمن» مُراعًى فيه معنى «مَن» أي: مُتواضعين ﴿**لِلهِ، لا يَشتَرُونَ بِآياتِ اللهِ**﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت النبيّ ﴿**ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفًا على الرياسة كفِعل غيرهم من اليهود. ﴿**أُولئِكَ لَهُم أجرُهُم**﴾: ثوابُ أعمالهم ﴿**عِندَ رَبِّهِم**﴾، يُؤتَونه مرّتين كما في «القَصص». ﴿**إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ يحاسب الخلق في قدْر نصف نهار من أيّام الدنيا.

(٢٠٠) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اصبِرُوا**﴾[5] على الطاعات والمصائب وعن المعاصي، ﴿**وصابِرُوا**﴾ الكُفّارَ فلا يكونوا أشدّ صبرًا منكم، ﴿**ورابِطُوا**﴾: أقيموا على الجِهاد، ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في جميع أحوالكم، ﴿**لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾: تفوزون بالجنّة وتنجون من النار.

﴿لا يغُرَّنّك﴾: لا يخدعنَّكَ عن الحقيقةِ. ﴿تقلُّبُ﴾: تصرُّفُ. ﴿متاع قليل﴾: بُلغةٌ فانيةٌ ونعمةٌ زائلةٌ. ﴿بِئس المهاد﴾: بئسَ الفراشُ، والمضجعُ جهنَّمُ. ﴿نُزلاً﴾: ضِيافةٌ وتكرِمةٌ وجزاءٌ. ﴿صابروا﴾: غالبوا الأعداءَ في الصَّبرِ. ﴿رابطوا﴾: أقيموا بالحدودِ مُتأهِّبينَ للجهادِ.

(١) الترمذي (٣٠٢٣)، والحاكم (٣١٧٤) وصححه.

(٢) «تفسير مقاتل» (١/ ٣٢٣)، وهو عند الثعلبي (٩/ ٥٧٦)، والواحدي (ص: ١٣٩)، دون نسبة، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٦٣) لمقاتل.

(٣) نزولها في عبد الله بن سلام في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٥٨٧)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٥٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٦)، عن مجاهد. ورواه عنه الطبري (٦/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٤٦)، دون التصريح بسبب النزول.

(٤) نزولها في النجاشي روي عن جابر بن عبد الله عند الطبري (٦/ ٣٢٧) وقال: في إسناده نظر. وعن أنس في «السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٢٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٨٤٦)، وعن أبي سعيد الخدري عند الطبراني في «الأوسط» (٤٦٤٥)، وعن ابن عباس ذكره الثعلبي (٩/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦)، ولا يخلو شيء منها من مقال، وعن قتادة في «تفسير عبد الرزاق» (٤٩٩)، والطبري (٢/ ٤٥٥) و(٦/ ٣٢٨)، وعن الحسن في «السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٢٣)، وقد جمعها الثعلبي في سياق واحد بما معناه: أنه لمَّا ماتَ النجاشي أخبرَ جبريلُ النَّبيَّ عليهما السَّلامُ بذلك فقال: «اخرُجُوا فصلُّوا على أخٍ لكم ماتَ بغيرِ أرضِكم»، فقيلَ: مَن هو؟ فقال: «النجاشيُّ»، فخرَجُوا وصلَّى عليه وكبَّرَ أربعَ تكبيراتٍ، واستغفرَ له، ولما انتهوا قال المُنافقونَ: يُصلِّي على علجٍ نصرانيٍّ حبشيٍّ لم يرَه قطُّ، وليس على دينِه، فنزلَتِ الآيةُ. وأصل القصة من نعي النبي ﷺ النجاشي يوم موته، وصلاته عليه في المصلى أربع تكبيرات، رواها البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) عن داود بن صالح قال: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية؟ قال: قلت: لا! قال: إنه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يُرابَطُ فيه، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة. ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٨)، ومن طريقه الطبري (٦/ ٣٣٤)، وابن المنذر (١٢٩٦)، والواحدي (ص: ١٤١). ورواه الحاكم (٣١٧٧) من طريق ابن المبارك أيضاً، إلا أن فيه: «قلت: لا، قال: يا ابن أخي إني سمعت أبا هريرة يقول: لم يكن في زمان النبي...» الحديث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

٤

سورة النساء

نصف الحزب ٨

مدنية وهي مِائةٌ وخمسٌ أو ستٌّ أو سبعٌ وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

①ـ ﴿يا أيُّها النَّاسُ﴾ أي: أهلَ مكة، ﴿اتَّقوا رَبَّكُمُ﴾ أي: عِقابَه بأن تُطيعوه، ﴿الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدةٍ﴾: آدمَ، ﴿وخَلَقَ مِنها زَوجَها﴾: حوّاءَ بالمدِّ، من ضِلَع من أضلاعه اليُسرى، ﴿وبَثَّ﴾: فرّق ونشر ﴿مِنهُما﴾ من آدم وحوّاء ﴿رِجالًا كَثيرًا ونِساءً﴾ كثيرة، ﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسّاءَلُونَ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها ـ أي: تتساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض: أسألكَ بالله وأنشُدكَ بالله، ﴿و﴾ اتّقوا ﴿الأرحامَ﴾ أن تقطعوها. وفي قراءة بالجرّ عطفًا على الضمير في «بِهِ». وكانوا يتناشدون بالرَّحِم. ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلَيكُم رَقيبًا﴾: حافظًا لأعمالكم فيُجازيكم بها، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

ونزل في يتيم طلبَ من وليّه مالَه فمنعَه: ②ـ ﴿وآتُوا اليَتامَى﴾ الصِّغارَ الأُلى لا أبَ لهم ﴿أموالَهُم﴾ إذا بلغوا، ﴿ولا تَتَبَدَّلُوا الخَبيثَ﴾: الحرامَ ﴿بِالطَّيِّبِ﴾: الحلالِ، أي: تأخذوه بدَلَه كما تفعلون من أخذ الجيّد من مال اليتيم، وجعل الرديء من مالكم مكانه، ﴿ولا تَأكُلُوا أموالَهُم﴾ مضمومةً ﴿إلَى أموالِكُم. إنَّهُ﴾ أي: أكلَها ﴿كانَ حُوبًا﴾: ذنبًا ﴿كَبيرًا﴾: عظيمًا.

ولمّا نزلت تحرّجوا من وِلاية اليتامى، وكان فيهم مَن تحتَه العَشرُ أو الثمانُ من الأزواج فلا يَعدِل بينهنّ، فنزل: ③ـ ﴿وإنْ خِفتُم ألَّا تُقسِطُوا﴾: تعدِلوا ﴿في اليَتامَى﴾، فتحرّجتُم من أمرهم، فخافوا أيضًا ألّا تعدِلوا بين النِّساء إذا نكحتُموهنّ، ﴿فانكِحُوا﴾: تزوّجوا ﴿ما﴾ بمعنى: مَن ﴿طابَ لَكُم مِنَ النِّساءِ مَثنَى وثُلاثَ ورُباعَ﴾ أي: اثنتين اثنتين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، ولا تزيدوا على ذلك، ﴿فإنْ خِفتُم ألَّا تَعدِلُوا﴾ فيهنّ بالنفقة والقَسْم ﴿فواحِدةً﴾ انكحوها، ﴿أو﴾ اقتصروا على ﴿ما مَلَكَتْ أيمانُكُم﴾ من الإماء، إذ ليس لهنّ من الحُقوق ما للزوجات. ﴿ذلِكَ﴾ أي: نِكاحُ الأربعة فقط أو الواحدةِ أو التسرّي ﴿أدنَى﴾: أقربُ إلى ﴿ألَّا تَعُولُوا﴾: تجوروا.

④ـ ﴿وآتُوا﴾: أعطوا ﴿النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ﴾: جمع صَدُقة مُهورَهنّ ﴿نِحلَةً﴾: مصدر، عطيّةً عن طِيب نفس. ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُم عَن شَيءٍ مِنهُ نَفسًا﴾: تمييزٌ محوّل عن الفاعل، أي: طابت أنفسُهنّ لكم عن شيء من الصَّداق، فوهَبْنَه لكم ﴿فكُلُوهُ هَنيئًا﴾: طيّبًا، ﴿مَريئًا﴾: محمودَ العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة. نزلَ ردًّا على من كرِهَ ذلك.

⑤ـ ﴿ولا تُؤتُوا﴾ ـ أيّها الأولياءُ ـ ﴿السُّفَهاءَ﴾: المُبذِّرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أموالَكُمُ﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم ﴿الَّتي جَعَلَ اللهُ لَكُم قِيامًا﴾: مصدرُ: قامَ، أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أَوَدِكم، فيُضيّعوها في غير وجهها ـ وفي قراءة: «قِيَمًا» جمع قِيمة: ما يُقوَّم به الأمتعةُ ـ ﴿وارزُقُوهُم فيها﴾ أي: أطعِموهم منها، ﴿واكسُوهُم وقُولُوا لَهُم قَولًا مَعرُوفًا﴾: عِدُوهم عِدةً جميلة بإعطائهم أموالَهم إذا رَشَدوا.

⑥ـ ﴿وابتَلُوا﴾: اختبِروا ﴿اليَتامَى﴾[1] قبل البُلوغ في دِينهم وتصرّفهم في أموالهم ـ ﴿حَتَّى إذا بَلَغُوا النِّكاحَ﴾ أي: صاروا أهلًا له بالاحتلام أو السنّ، وهو استكمال خمسَ عشْرةَ سنةً عند الشافعيّ، ﴿فإنْ آنَستُم﴾: أبصرتم ﴿مِنهُم رُشدًا﴾: صلاحًا في دِينهم ومالهم ﴿فادفَعُوا إلَيهِم أموالَهُم ـ ولا تَأكُلُوها﴾ أيّها الأولياء ﴿إسرافًا﴾: بغير حقّ، حالٌ ﴿وبِدارًا﴾ أي: مبادِرين إلى إنفاقها مَخافةَ ﴿أنْ يَكبَرُوا﴾ رُشداءَ، فيلزمُكم تسليمُها إليهم، ﴿ومَن كانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنيًّا فَليَستَعفِفْ﴾[2] أي: يَعِفَّ عن مال اليتيم ويمتنعْ من أكله، ﴿ومَن كانَ فَقيرًا فَليَأكُلْ﴾ منه ﴿بِالمَعرُوفِ﴾ بقدْر أُجرة عمله، ﴿فإذا دَفَعتُم إلَيهِم﴾ أي: إلى اليتامى ﴿أموالَهُم فأشهِدُوا عَلَيهِم﴾ أنهم تسلّموها وبرئتم لئلّا يقع اختلاف فترجِعوا إلى البيِّنة. وهذا أمرُ إرشاد. ﴿وكَفَى بِاللهِ﴾ ـ الباء: زائدة ـ ﴿حَسيبًا﴾: حافظًا لأعمال خلقه ومُحاسبَهم!

﴿بثّ منهما﴾: نشرَ وفرّقَ منهُما بالتَّناسُل. ﴿والأرحام﴾: واتّقوا الأرحام أن تقطعوها. ﴿رقيباً﴾: مُطّلعاً. أو حافظاً لأعمالكُم. ﴿حُوبًا كبيرًا﴾: إثماً أو ذنباً أو ظلماً ـ عظيماً. ﴿ألّا تُقسطوا﴾: أن تعدلوا ولا تُنصِفوا. ﴿ما طاب لكم﴾: ما حلّ لكُم. ﴿رباع﴾: فتحرمُ الزِّيادةُ على أربع. ﴿ألّا تعدلوا﴾: في النَّفقةِ وسائرِ الحقوق. ﴿ذلك أدنى ألّا تعولوا﴾: ذلكَ أقربُ أن لا تجوروا، أو أنْ لا تكثُرَ عيالُكُم. ﴿صَدُقاتهنَّ﴾: مُهُورَهُنَّ. ﴿نِحلة﴾: فريضةً أو عطيّةً بطيبِ نفسٍ. ﴿هنيئًا مريئًا﴾: طيِّباً سائغاً حميدَ المغبّة. ﴿قِياماً﴾: قوامَ معايشِكُم وصلاحِ أمورِكُم. ﴿ابْتلوا اليتامى﴾: اختبروهُم في الاهتداءِ لِحُسنِ التَّصرُّفِ في أموالِهم قبلَ البلوغ. ﴿آنستُم﴾: علِمتُم وتبيّنتُم. ﴿رُشداً﴾: اهتداءً لِحُسنِ التَّصرُّفِ في الأموال. ﴿بدارًا أن يكبروا﴾: مُبادرينَ كبرَهُم ورُشدَهُم. ﴿فليستعفف﴾: فليكفَّ عن أكلِ أموالِهم. ﴿حسيبًا﴾: مُحاسباً لكُم أو شهيداً.

(١) تُوفِّيَ رفاعة وخلّفَ ثابتًا وهو صغيرٌ، فأتى عمُّ ثابتٍ إلى النَّبيِّ ﷺ وقال: إنَّ ابنَ أخي يتيمٌ في حِجري، فما يحِلُّ لي من مالِه؟ ومتى أدفعُ إليه مالَه؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ. «تفسير مقاتل» (١/ ٣٥٨)، والثعلبي (١٠/ ٦٨)، والواحدي (ص: ١٤٣). ورواه بنحوه وأتم منه الطبري (٦/ ٤٢٢)، وابن منده في «معرفة الصحابة» (ص: ٣٥٠)، عن قتادة مرسلاً دون التصريح بالنزول، وقال ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٣٨٧): هذا مرسل رجاله ثقات.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها: أُنزلت في والي اليتيمِ الذي يُقيمُ عليه ويُصلحُ في ماله، إنْ كان فقيرًا أكل منه بالمعروف. البخاري (٢٢١٢)، ومسلم (٣٠١٩).

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ
أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن
كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

ونـزل ردًّا لِمـا كـان عليه الجاهليّة من عـدم توريث النِّساء والصِّغار[1]:

(٧) ـ ﴿لِلرِّجالِ﴾ الأولادِ والأقرباءِ ﴿نَصِيبٌ﴾: حظٌّ ﴿مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ﴾ المتوفَّون، ﴿ولِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ، مِمّا قَلَّ مِنهُ﴾ أي: المالِ ﴿أو كَثُرَ﴾، جعله الله ﴿نَصِيبًا مَفرُوضًا﴾: مقطوعًا بتسليمه إليهم، (٨) ـ ﴿وإذا حَضَرَ القِسمَةَ﴾ للمِيراث ﴿أُولُو القُربَى﴾: ذَوُو القرابة ممّن لا يَرِثُ ﴿واليَتامَى والمَساكِينُ فارزُقُوهُم مِنهُ﴾ شيئًا قبل القِسمة، ﴿وقُولُوا﴾ ـ أيُّها الأولياء ـ ﴿لَهُم﴾ إذا كان الورثة صغارًا ﴿قَولاً مَعرُوفًا﴾: جميلاً، بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه لصغار. وهذا قيل: إنه منسوخ[2]، وقيل: لا ولكن تهاوَنَ الناسُ في تركه. وعليه فهو ندبٌ، وعن ابن عبّاس: واجب[3].

(٩) ـ ﴿ولْيَخشَ﴾ أي: لِيَخَفْ على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَو تَرَكُوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِن خَلفِهِم﴾ أي: بعدَ موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعافًا﴾: أولادًا صِغارًا ﴿خافُوا عليهِم﴾ الضياعَ، ﴿فلْيَتَّقُوا اللهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يُحبّون أن يُفعل بذرّيتهم من بعدهم، ﴿ولْيَقُولُوا﴾ للميّت ﴿قَولاً سَدِيدًا﴾: صوابًا، بأن يأمروه أن يتصدّقَ بدون ثُلثه ويدعَ الباقي لورثته ولا يتركَهم عالةً.

(١٠) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يأكُلُونَ أموالَ اليَتامَى ظُلمًا﴾[4] أي: بغير حقّ ﴿إنَّما يأكُلُونَ في بُطُونِهِم﴾ أي: مِلْأَها ﴿نارًا﴾ لأنه يؤول إليها، ﴿وسَيَصلَونَ﴾، بالبناء للفاعل والمفعول: يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾: نارًا شديدة يحترقون فيها.

(١١) ـ ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يأمرُكم ﴿اللهُ في﴾ شأن ﴿أولادِكُم﴾[5] بما يُذكَر. ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثلُ حَظِّ﴾: نصيبِ ﴿الأُنثَيَينِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نِصفُ المال ولهما النِّصفُ، فإن كان معه واحدةٌ فلها الثُّلثُ وله الثُّلثانِ، وإن انفردَ حازَ المالَ. ﴿فإنْ كُنَّ﴾ أيِ: الأولادُ ﴿نِساءً﴾ فقطْ

﴿مفروضاً﴾: واجباً. أو مُقْتَطعاً محدوداً. ﴿قولاً سديداً﴾: جميلاً. أو صواباً وعدْلاً. ﴿سيصْلوْن سعيراً﴾: سيدخُلونَ ناراً مُوقدةً هائلةً. ﴿يوصيكم الله﴾: يأمُرُكم ويفرضُ عليكُم. ﴿فريضةً﴾: مفروضةً عليكُم.

(١) عن ابن جريج عن عكرمة: «نزلت في أم كحة وثعلبة بن سويد زوجها وأوس أخيه، قالت: يا رسول الله! توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورَّث. فقال عم ولدها: إن ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلًّا، ولا ينكأ عدواً. فنزلت ﴿لِلرِّجالِ نَصِيبٌ﴾ الآية. ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٢) من طريق ابن جريج عن ابن عباس مختصراً، وإسناده منقطع. وورد في كتب التفسير وغيرها معناه مبسوطاً عن مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان والكلبي وابن عباس من رواية الكلبي. «تفسير مقاتل» (١/ ٣٥٩)، والثعلبي (١٠/ ٩٠)، والواحدي (ص: ١٤٣)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي (٤/ ٤٤٦)، و«أسد الغابة» (٢/ ١٢٨)، و«الإصابة» (١/ ٢٩٣). وروى ابن مردويه بسند ضعيف ـ كما في «العجاب» (٢/ ٨٣٥) ـ عن جابر: جاءت أم كجة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن لي ابنتين قد مات أبوهما وليس لهما شيء، فأنزل الله ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيب﴾ الآية.

(٢) عبد الرزاق (٥٢٥)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٧)، والطبري (٦/ ٤٣٥)، عن سعيد بن المسيب. ورواه الطبري (٦/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٨٧٣)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٠٢)، عن ابن عباس، والصحيح عنه أنها محكمة غير منسوخة كما سيأتي.

(٣) رواه عنه البخاري (٢٧٥٩) بلفظ: إنَّ ناسًا يزعمون أنَّ هذه الآيةَ نسخت، ولا واللهِ ما نُسخت، ولكنَّها ممَّا تَهاوَنَ الناسُ، هما واليان، والٍ يرثُ وذاك الذي يَرزُق، ووالٍ لا يرثُ، فذاك الذي يقولُ بالمعروف، يقول: لا أملكُ لك أن أعطيَكَ.

(٤) عن مقاتل بن حيان: أنها نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله. الثعلبي (١٠/ ١٠١)، الواحدي (ص: ١٤٤)، «العجاب» (٢/ ٨٤١).

(٥) عن جابر قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر ماشيين، وفيه: فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت. البخاري (٤٥٧٧)، ومسلم (١٦١٦/ ٦). وعن جابر أيضاً: أن امرأةَ سعد بنِ الرَّبيع شكت إلى رسولِ اللهِ ﷺ أن عم ابنتيها أَخذ مالهما، وقد استشهد أبوهما يومَ أُحُدٍ، فقال: «يَقضِي اللهُ في ذلك» فنزلتْ آيةُ الميراث، الحديث. أحمد (١٤٧٩٨)، والترمذي (٢٠٩٢) وصححه.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

﴿**فوقَ اثنتَينِ فلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ**﴾ الميتُ، وكذا الاثنتان لأنه للأُختين بقوله «فلَهُما الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ» فهما أولى ولأنّ البنت تستحقّ الثُّلث مع الذكر، فمع الأُنثى أولى ـ و«فوقَ» قيل: صلةٌ، وقيل: لدفع توهّم زيادة النصيب بزيادة العدد لمّا فُهم استحقاق الثِّنتين الثُّلثين من جعل الثُّلث للواحدة مع الذَّكر ـ ﴿**وإنْ كانَتْ**﴾ المولودة ﴿**واحِدَةً**﴾ ـ وفي قراءة بالرفع فـ«كان»: تامّةٌ ـ ﴿**فلَها النِّصفُ، ولِأبَوَيهِ**﴾ أي: الميتِ، ويُبدل منهما ﴿**لِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما السُّدُسُ مِمّا تَرَكَ، إنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ**﴾ ذكر أو أُنثى. ونُكتةُ البدل أفادتْ أنهما لا يشتركان فيه. وأُلحِق بالولدِ ولدُ الابن وبالأبِ الجدُّ.

﴿**فإنْ لَم يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ووَرِثَهُ أبَواهُ**﴾ فقطْ أو مع زوج ﴿**فلِأُمِّهِ**﴾ ـ بضمِّ الهمزة، وكسرِها فِرارًا منَ الِانتقال من ضمّة إلى كسرة لِثِقَلِه في الموضعين ـ ﴿**الثُّلُثُ**﴾ أي: ثُلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب، ﴿**فإنْ كانَ لَهُ إخوةٌ**﴾ أي: اثنان فصاعدًا ذكور أو إناث، ﴿**فلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة وإرثُ مَن ذَكر ما ذُكر، ﴿**مِن بَعدِ**﴾ تنفيذِ ﴿**وَصِيَّةٍ يُوصِي**﴾ ـ بالبناء للفاعل والمفعول ـ ﴿**بها أو**﴾ قضاءِ ﴿**دَينٍ**﴾ عليه. وتقديمُ الوصيّة على الدَّين، وإن كانت مؤخّرة عنه في الوفاء، للاهتمام بها ـ ﴿**آباؤُكُم وأبناؤُكُم**﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿**لا تَدرُونَ: أيُّهُم أقرَبُ لَكُم نَفعًا**﴾ في الدنيا والآخرة؟ فظانٌّ أنّ ابنه أنفع له فيُعطيه المِيراثَ فيكون الأبُ أنفع، وبالعكس. وإنّما العالِم بذلك اللهُ، ففرض لكم المِيراث ـ ﴿**فَرِيضَةً مِنَ اللهِ. إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمًا**﴾ فيما دبّره لهم، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

﴿١٢﴾ ـ ﴿**ولَكُم نِصفُ ما تَرَكَ أزواجُكُم، إنْ لَم يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ**﴾ منكم أو من غيركم، ﴿**فإنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فلَكُمُ الرُّبُعُ مِمّا تَرَكْنَ مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِها أو دَينٍ**﴾ ـ أُلحِق بالولد في ذلك ولدُ الابن بالإجماع ـ ﴿**ولَهُنَّ**﴾ أي: الزوجاتِ تَعدَّدْنَ أو لا ﴿**الرُّبُعُ مِمّا تَرَكتُم، إنْ لَم يَكُنْ لَكُم وَلَدٌ، فإنْ كانَ لَكُم وَلَدٌ**﴾ منهنّ أو من غيرهنّ ﴿**فلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمّا تَرَكتُم مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أو دَينٍ**﴾. وولد الابن كالولد في ذلك إجماعًا.

﴿**وإنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ**﴾: صفةٌ والخبر: ﴿**كَلالَةً**﴾ أي: لا والدَ له ولا ولدَ ﴿**أوِ امرأةٌ**﴾ تُورث كلالةً ﴿**ولَهُ**﴾ أي: الموروثِ الكلالةِ ﴿**أخٌ أو أُختٌ**﴾ أي: مِن أُمّ ـ وقرأ به ابن مسعود وغيره ـ ﴿**فلِكُلِّ واحِدٍ مِنهُما السُّدُسُ**﴾ ممّا ترك، ﴿**فإنْ كانُوا**﴾ أي: الإخوةُ والأخوات من الأمّ ﴿**أكثَرَ مِن ذلِكَ**﴾ أي: من واحد ﴿**فهُم شُرَكاءُ في الثُّلُثِ**﴾: يستوي فيه ذَكَرهم وأُنثاهم ﴿**مِن بَعدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بها أو دَينٍ، غَيرَ مُضارٍّ**﴾: حالٌ من ضمير «يُوصِي» أي: غيرَ مُدخلِ الضررَ على الوَرَثة بأن يُوصيَ بأكثرَ من الثلث، ﴿**وَصِيَّةً**﴾: مصدر مؤكِّد لـ«يوصيكم» ﴿**مِنَ اللهِ. واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بما دبّره لخلقه من الفرائض ﴿**حَلِيمٌ**﴾ بتأخير العُقوبة عمّن خالفه. وخَصّتِ السُّنّةُ توريثَ مَن ذُكر بمَن ليس فيه مانع من قتلٍ أو اختلاف دِينٍ أو رِقّ.

﴿١٣﴾ ـ ﴿١٤﴾ ـ ﴿**تِلكَ**﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿**حُدُودُ اللهِ**﴾: شرائعه التي حَدَّها لعباده، ليعملوا بها ولا يتعدَّوها، ﴿**ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ**﴾ فيما حكم به ﴿**يُدْخِلْهُ**﴾ ـ بالياء، والنونِ... التفاتًا ـ ﴿**جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها ـ وذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ ـ ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ**﴾ ـ بالوجهين ـ ﴿**نارًا خالِدًا فِيها، ولَهُ**﴾ فيها ﴿**عَذابٌ مُهِينٌ**﴾: ذو إهانة. ورُوعي في الضمائر في الآيتين لفظ «مَن»، وفي «خالدين» معناها.

﴿كلالةً﴾: ميّتاً لا ولدَ لهُ ولا والدَ. ﴿حُدودُ اللهِ﴾: شرائعُهُ وأحكامُهُ المفروضةُ.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ
أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ
حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾
وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا
فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

(١٥) ـ ﴿واللاتي يأتينَ الفاحِشةَ﴾: الزِّنى ﴿مِن نِسائكُم فاستَشهِدُوا علَيهنَّ أربَعةً مِنكُم﴾ أي: من رجال المسلمين، ﴿فإنْ شَهِدُوا﴾ عليهنّ بها ﴿فأمسِكُوهُنَّ﴾: احبسوهنّ ﴿في البُيُوتِ﴾، وامنعوهنّ من مُخالطَة الناسِ، ﴿حتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أو﴾ إلى أن ﴿يَجعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبيلاً﴾: طريقًا إلى الخُروجِ منها. أُمِروا بذلك أوّلَ الإسلام، ثمّ جَعلَ لهنّ سبيلاً بجلدِ البِكر مِائَةً وتغريبها عامًا ورجمِ المُحصَنة. وفي الحديث: لمّا بيّن الحدَّ قال: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عنّي. قَد جَعلَ اللهُ لهنّ سَبيلاً». رواه مسلم[1].

(١٦) ـ ﴿واللَّذانِ﴾ ـ بتخفيفِ النون وتشديدِها ـ ﴿يأتيانِها﴾ أي: الفاحشةَ الزنى أو اللِّواطَ ﴿مِنكُم﴾ أي: الرجالِ ﴿فآذُوهُما﴾ بالسبّ والضرب بالنعال، ﴿فإنْ تابا﴾ منها ﴿وأصلَحا﴾ العمل ﴿فأعرِضُوا عنهُما﴾ ولا تُؤذوهما. ﴿إنَّ اللهَ كانَ تَوّابًا﴾ على مَن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به. وهذا منسوخ بالحدّ إن أُريد بها الزنى، وكذا إن أُريد بها اللِّواط عند الشافعيّ. لكنّ المفعول به لا يُرجم عنده وإن كان مُحصَنًا، بل يُجلد ويُغرّب. وإرادة اللِّواط أظهر بدليل تثنية الضمير. والأوّلُ قال: أراد الزاني والزانية. ويردّه تبيينُهما بـ «مِن» المُتّصلةِ بضمير الرجال واشتراكُهما في الأذى والتوبة والإعراض. وهو مخصوص بالرجال لِما تقدّم في النساء من الحبس.

(١٧) ـ ﴿إنَّما التَّوبةُ على اللهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولَها بفضله، ﴿لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ﴾: المعصيةَ ﴿بِجَهالةٍ﴾: حالٌ، أي: جاهلين إذ عصَوا ربّهم، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمنٍ ﴿قَرِيبٍ﴾ قبلَ أن يُغرغِروا، ﴿فأُولئِكَ يَتُوبُ اللهُ عليهِم﴾: يقبل توبتهم ـ ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه بهم ـ (١٨) ـ ﴿وليسَتِ التَّوبةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾: الذُّنوبَ ـ ﴿حَتَّى إذا حَضَرَ أحَدَهُمُ المَوتُ﴾ وأخذ في النَّزع ﴿قالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إنِّي تُبتُ الآنَ﴾، فلا ينفعه ذلك ولا يُقبل منه ـ ﴿ولا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وهُم كُفّارٌ﴾، إذا تابوا في الآخرة عند مُعاينة العذاب لا تُقبل منهم. ﴿أُولئِكَ أعتَدْنا﴾: أعددنا ﴿لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا.

(١٩) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا يَحِلُّ لكُم أنْ تَرِثُوا النِّساءَ﴾ أي: ذاتَهنّ ﴿كَرْهًا﴾[2]، بالفتح والضمّ لغتانِ، أي مُكرِهِيهنّ على ذلك ـ كانوا في الجاهليّة يرثون نساء أقربائهم. فإن شاؤوا تزوّجوها بلا صَداق، أو زوّجوها وأخذوا صَداقها، أو عَضَلوها حتّى تفتديَ بما وَرِثَتْه، أو تموتَ فيرثوها. فنهوا عن ذلك ـ ﴿ولا﴾ أن ﴿تَعضُلُوهُنَّ﴾، أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهنّ ولا رغبةَ لكم فيهنّ ضِرارًا، ﴿لِتَذهَبُوا بِبَعضِ ما آتَيتُمُوهُنَّ﴾ من المَهر، ﴿إلّا أنْ يأتِينَ بِفاحِشةٍ مُبَيِّنةٍ﴾، بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنت أو هي بَيِّنة، أي: زِنًى أو نُشوزٍ، فلكم أن تُضارّوهنّ حتّى يَفتدِينَ منكم ويَختلِعْنَ، ﴿وعاشِرُوهُنَّ بالمَعرُوفِ﴾، أي: بالإجمال في القول والنفقة والمَبِيت.

﴿فإنْ كَرِهتُمُوهُنَّ﴾ فاصبِروا ﴿فعَسَى أنْ تَكرَهُوا شَيئًا، ويَجعَلَ اللهُ فِيهِ خَيرًا كَثِيرًا﴾، ولعلّه يجعل فيهنّ ذلك بأن يرزقكم منهنّ ولدًا صالحًا.

﴿بجهالةٍ﴾: بِسفهٍ، وكلُّ مَن عصى جاهلٌ. ﴿كرهًا﴾: مُكرهينَ لهُنَّ أو مُكرهاتٍ عليهِ. ﴿لا تعضلوهنّ﴾: لا تُمسِكوهُنَّ مُضارَّةً لهُنَّ. ﴿بفاحشةٍ مبيّنةٍ﴾: النشُوز وسُوءِ الخُلقِ أوِ الزِّنى.

(١) برقم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) عن ابن عباس: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك. البخاري (٤٥٧٩). وعن أبي أمامة سهل بن حنيف: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته، وكان ذلك لهم في الجاهلية، فنزلت. «السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٢٩)، والطبري (٦/ ٥٢٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٢)، وسنده حسن كما في «لباب النقول» (ص: ٥٤). ووردت في هذه القصة أخبار مرسلة ذكرها في «العجاب» (٢/ ٨٤٨)، وقد جمع الثعلبي (١٠/ ١٤٦) ـ وتابعه الواحدي (ص: ١٤٣) ـ ما ورد فيها فنظمه في سياق واحد طويل وعزاه للمفسرين.

وَإِن أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا
﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ
أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

(٢٠) ـ ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: أخذَها بدلها بأن
طلقتموها، ﴿وَ﴾ قد ﴿آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ أي: الزوجاتِ ﴿قِنطَارًا﴾: مالاً
كثيرًا صداقًا، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ـ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾: ظلمًا ﴿وَإِثْمًا
مُّبِينًا﴾: بيّنًا؟ ونصبُهما على الحال. والاستفهامُ للتوبيخ، وللإنكار في:
(٢١) ـ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: بأيِّ وجهٍ، ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾: وصلَ ﴿بَعْضُكُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالجِماع المُقرِّر للمَهر، ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا﴾: عهدًا
﴿غَلِيظًا﴾: شديدًا؟ وهو ما أمر الله به من إمساكهنّ بمعروف أو تسريحهنّ
بإحسان ـ (٢٢) ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا﴾ بمعنى: مَن ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ
إِلَّا﴾: لكنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾[1] من فِعلكم ذلك فإنه معفوٌّ عنه. ﴿إِنَّهُ﴾ أي:
نِكاحهنّ ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾: قبيحًا، ﴿وَمَقْتًا﴾ سببًا للمقت من الله وهو أشد
البغض، ﴿وَسَاءَ﴾: بئسَ ﴿سَبِيلًا﴾: طريقًا ذلك!

(٢٣) ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أن تَنكحوهنّ، وشَمَلَتِ الجدّاتِ من قِبَلِ الأب أو الأُمّ، ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشَمَلتْ بَناتِ الأولاد وإن سَفَلْنَ، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ من جِهة الأب أو الأُمّ، ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ أي: أخواتُ آبائكم وأجدادِكم، ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ أي: أخواتُ أُمّهاتِكم وجدّاتِكم، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ ـ ويدخل فيهنّ بناتُ أولادِهم ـ ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمسَ رَضَعات كما بيّنَه الحديث، ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ ـ ويُلحق بذلك بالسُّنّة البناتُ منها، وهنّ من أرضعتْهنّ موطوءتُه والعمّاتُ والخالاتُ وبناتُ الأخ وبناتُ الأخت منها، لحديثِ: «يَحرُمُ مِن الرَّضاعِ ما يَحرُمُ مِنَ النَّسبِ». رواه البخاريّ ومُسلم ـ ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾: جمع رَبيبة وهي بنت الزوجة من غيرِه، ﴿اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم﴾ تُربّونها ـ صفةٌ مُوافقة للغالب فلا مَفهوم لها ـ ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهنّ ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نِكاح بناتهنّ إذا فارقتموهنّ ـ ﴿وَحَلَائِلُ﴾: أزواجُ ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾[2] بخِلاف من تبنّيتموهم فلكم نكاحُ حلائلهم، ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رَضاع بالنكاح. ويُلحق بهما بالسُّنّة الجمعُ بينها وبين عمّتها أو خالتها، ويجوز نِكاحُ كلّ واحدة على الانفراد وملكُهما معًا ويَطأ واحدةً. ﴿إِلَّا﴾: لكنْ ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهليّة من نِكاحكم بعضَ ما ذُكر فلا جُناحَ عليكم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

﴿بُهتانًا﴾: باطلاً وظلماً. ﴿أفضى بعضكم﴾: وصلَ، بالوِقاعِ أو الخلوةِ الصَّحيحةِ. ﴿ميثاقاً غليظاً﴾: عهداً وثيقاً. ﴿مقتًا﴾: مبغوضاً مستحقراً جدّاً. ﴿ربائبكم﴾: بناتُ زوجاتِكُم مِن غيرِكُم. ﴿فلا جُناح عليكم﴾: فلا إثمَ عليكُم. ﴿حلائل أبنائكم﴾: زوجاتُهُم.

(١) عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: توفي أبو قيس بن الأسلت وكان من صالحي الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني أعُدُّك ولداً ولكن آتي رسول الله ﷺ أستأمره فأتته، فأخبرته فأنزلت هذه الآية. ابن أبي حاتم (٣/ ٩٠٩)، وابن المنذر (١٥٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٩٣)، و«العجاب» (٢/ ٨٥١). وعن عكرمة قال: نزلت في أبي قيس بن الأسلت، خلف على أم عبيد الله بنت صخر وكانت تحت أبيه الأسلت، وفي الأسود بن خلف، خلف على امرأة أبيه بنت أبي طلحة بن عبد العزى، وفي صفوان بن أمية خلف على فاختة بنت الأسود بن المطلب كانت تحت أبيه فقتل عنها. الطبري (٦/ ٥٤٩)، و«العجاب» (٢/ ٨٥٢).

(٢) عن ابن جريج أنه سأل عطاء عنها فقال: كنا نتحدث أنها نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة زيد ابن حارثة قال المشركون في ذلك فنزلت. «مصنف عبد الرزاق» (١٠٨٣٧)، والطبري (٦/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩١٣)، و«العجاب» (٢/ ٨٥٤).

۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ
بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ
مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا
تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمٗا ٢٤ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ
ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم
مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ
مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ
مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
٢٥ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦

الجزء ٥ الحزب ٩

٢٤ ـ ﴿و﴾ حُرِّمتْ عليكمُ ﴿**المُحصَنتُ**﴾ أي: ذواتُ الأزواج ﴿**مِنَ النِّساءِ**﴾[1]، أن تنكحوهنّ قبل مُفارقة أزواجهنّ، حَرائرَ مسلماتٍ كنّ أوْ لا ـ ﴿**إلّا ما مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهنّ، وإن كان لهنّ أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ـ ﴿**كِتابَ اللهِ**﴾: نُصِب على المصدر أي: كَتَبَ ذلك ﴿**عليكُم، وأحَلَّ**﴾ ـ بالبناء للفاعل والمفعول ـ ﴿**لكُم ما وَراءَ ذلِكُم**﴾ أي: سِوى ما حُرِّم عليكم من النساء، لِـ ﴿**أنْ تَبتَغُوا**﴾: تطلبوا النِّساء ﴿**بِأموالِكُم**﴾ بِصَداق أو ثمن، ﴿**مُحصِنِينَ**﴾: مُتزوِّجين ﴿**غيرَ مُسافِحِينَ**﴾: زانِين. ﴿**فما**﴾: فمَنِ ﴿**استَمتَعتُم**﴾: تمتّعتم ﴿**بِهِ مِنهُنَّ**﴾: ممّن تزوّجتم بالوطء ﴿**فآتُوهُنَّ أُجورَهُنَّ**﴾: مُهورهنّ التي فرضتم لهنّ ﴿**فَرِيضَةً، ولا جُناحَ علَيكُم فِيما تَراضَيتُم**﴾ أنتم وهنّ ﴿**بِهِ مِن بَعدِ الفَرِيضةِ**﴾ مِن حطِّها أو بعضِها أو زيادةٍ عليها. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمًا**﴾ فيما دبّره لهم.

٢٥ ـ ﴿**ومَن لَم يَستَطِعْ مِنكُم طَولاً**﴾ أي: غِنًى لِـ ﴿**أنْ يَنكِحَ المُحصَناتِ**﴾ الحرائرَ ﴿**المُؤمِناتِ**﴾ ـ هو جَرْيٌ على الغالب فلا مفهوم له ـ ﴿**فمِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ يَنكِحُ ﴿**مِن فَتَياتِكُمُ المُؤمِناتِ ـ واللهُ أعلَمُ بإيمانِكُم**﴾. فاكتفُوا بظاهره وكِلوا السرائر إليه. فإنه العالم بتفاصيلها، ورُبَّ أَمَةٍ تَفضُلُ الحُرّةَ فيه. وهذا تأنيس بنِكاح الإماء. ﴿**بَعضُكُم مِن بَعضٍ**﴾ أي: أنتم وهنّ سواء في الدِّين، فلا تستنكفوا من نكاحهنّ ـ ﴿**فانكِحُوهُنَّ بإذنِ أهلِهِنَّ**﴾: مَواليهنّ، ﴿**وآتُوهُنَّ**﴾: أعطوهنّ ﴿**أُجُورَهُنَّ**﴾: مُهورَهنّ ﴿**بِالمَعرُوفِ**﴾: من غير مَطل ونقص، ﴿**مُحصَناتٍ**﴾: عفائف، حالٌ ﴿**غيرَ مُسافِحاتٍ**﴾: زانياتٍ جَهرًا، ﴿**ولا مُتَّخِذاتِ أخدانٍ**﴾: أخِلّاءَ يزنون بهنّ سِرًّا. ﴿**فإذا أُحصِنَّ**﴾: زُوِّجْنَ ـ وفي قراءة بالبناء للفاعل: تزوّجْنَ ـ ﴿**فإنْ أتَينَ بِفاحِشةٍ**﴾: زِنًى ﴿**فعَلَيهِنَّ نِصفُ ما على المُحصَناتِ**﴾: الحرائر الأبكار إذا زَنَينَ، ﴿**مِنَ العَذابِ**﴾: الحدّ. فيُجلَدْنَ خمسين ويُغرَّبْنَ نصفَ سنةٍ. ويُقاس عليهنّ العبيدُ. ولم يُجعل الإحصانُ شرطًا لوجوب الحدّ لإفادة أنه لا رجم عليهنّ أصلاً.

﴿**ذلِكَ**﴾ أي: نِكاح المملوكات عند عدم الطَّول ﴿**لِمَن خَشِيَ**﴾: خاف ﴿**العَنَتَ**﴾: ـ وأصله المشقّة، سُمِّي به الزنى لأنّه سببها بالحدّ في الدنيا والعقوبة في الآخرة ـ ﴿**مِنكُم**﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحلّ له نكاحها، وكذا مَن استطاع طَول حُرّة ـ وعليه الشافعيّ. وخَرجَ بقوله: «مِن فَتَياتِكُمُ المُؤمِناتِ» الكافراتُ، فلا يحلّ له نكاحها ولو عَدِمَ وخاف ـ ﴿**وأنْ تَصبِرُوا**﴾ عن نِكاح المملوكات ﴿**خَيرٌ لَكُم**﴾، لئلا يصير الولدُ رقيقًا، ﴿**واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ بالتوسعة في ذلك.

٢٦ ـ ﴿**يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم**﴾ شرائعَ دينكم ومصالحَ أمركم، ﴿**ويَهدِيَكُم سُنَنَ**﴾: طرائقَ ﴿**الَّذِينَ مِن قَبلِكُم**﴾، من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتّبعوهم، ﴿**ويَتُوبَ علَيكُم**﴾: يرجعَ بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ـ ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بكم ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيما دبّره لكم ـ.........

﴿المُحصنات﴾: ذواتُ الأزواجِ. ﴿مُحصِنين﴾: أعِفّاءَ عنِ الحرامِ. ﴿غير مسافحين﴾: غيرَ زانينَ. ﴿أجورهنّ﴾: مهورَهُنَّ. ﴿طَوْلاً﴾: غِنىً وسعةً. ﴿المُحصنات﴾: الحرائرَ. ﴿فتياتكم﴾: إمائِكُم. ﴿مُحصنات﴾: عفائفَ. ﴿غير مُسافحاتٍ﴾: غيرَ مُجاهراتٍ بالزِّنى. ﴿متخِذات أخدان﴾: مُصاحِباتِ أصدقاءِ للزِّنى سرّاً. ﴿خشِيَ العنتَ﴾: خافَ الزِّنى. أو الإثمَ به. ﴿سُنن﴾: طرائقَ ومناهجَ.

(١) عن أبي سعيد الخدريِّ: أصبنا سبايا يومَ أوطاسٍ ولهنَّ أزواجٌ، فكرهنا أن نقعَ عليهنَّ، فسألنا النَّبيَّ عليه السَّلام، فنزلَت: ﴿والمحصنات من النّساء إلاّ ما ملكت أيمانكم﴾ فاستحللناهنَّ. مسلم (١٤٥٦). وعن ابنُ عباس: نزلتْ يوم خيبر، لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب المسلمون نساءً من نساءِ أهل الكتاب لهُنَّ أزواجٌ، وكان الرجلُ إذا أراد أن يأتي المرأة منهن قالت: إن لي زوجًا، فسُئلَ رسولُ الله ﷺ عن ذلك، فنزلت. «المعجم الكبير» (١٢٦٣٧)، وفيه رزين الجُرجاني قال الهيثميُّ في «المجمع» (٧/ ٣): لم أعرفه.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ
تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

(٢٧) ـ ﴿واللهُ يُريدُ أنْ يَتُوبَ عليكُم﴾، كرّره ليَبنيَ عليه: ﴿ويُريدُ الَّذينَ
يَتَّبِعُونَ الشَّهواتِ﴾: اليهودُ والنصارى أو المجوس أو الزُّناة ﴿أنْ تَمِيلوا مَيلاً
عَظِيمًا﴾[1]: تعدلوا عن الحقّ بارتكاب ما حرّم عليكم، فتكونوا مِثلهم.
(٢٨) ـ ﴿يُريدُ اللهُ أنْ يُخَفِّفَ عَنكُم﴾: يُسهّلَ عليكم أحكام الشرع. ﴿وخُلِقَ
الإنسانُ ضَعِيفًا﴾، لا يصبر عن النساء والشهوات.
(٢٩) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تأكُلُوا أموالَكُم بَينَكُم بالباطِلِ﴾: بالحرام في
الشرع كالرِّبا والغصب ـ ﴿إلّا﴾: لكنْ ﴿أنْ تكُونَ﴾: تقعَ ﴿تِجارةٌ﴾، وفي قراءة
بالنصب أي: تكون الأموالُ أموالَ تجارةٍ، صادرةٌ ﴿عَن تَراضٍ مِنكُم﴾ وطِيب
نفس فلكم أن تأكلوها ـ ﴿ولا تَقتُلُوا أنفُسَكُم﴾ بارتكاب ما يُؤدّي إلى هلاكها
أيًّا كان في الدنيا أو الآخرة، بقرينةِ ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُم رَحِيمًا﴾، في منعه لكم من
ذلك، (٣٠) ـ ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ﴾ أي: ما نَهى عنه ﴿عُدوانًا﴾: تجاوُزًا للحلال،
حالٌ ﴿وظُلمًا﴾: تأكيدٌ، ﴿فسَوفَ نُصلِيهِ﴾: نُدخله ﴿نارًا﴾ يحترق فيها، ﴿وكانَ
ذلِكَ على اللهِ يَسيرًا﴾: هيِّنًا. (٣١) ـ ﴿إنْ تَجتَنِبُوا كَبائرَ ما تُنهَونَ عَنهُ﴾ ـ وهي ما ورد
عليها وعيد كالقتل والزنى والسرقة. وعن ابن عبّاس: هي إلى السبعمِائةِ أقربُ[2]
ـ ﴿نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئاتِكُم﴾ الصغائرَ بالطاعات، ﴿ونُدخِلْكُم مُدخَلاً﴾ ـ بضمِّ
الميم وفتحِها ـ أي: إدخالاً، أو مَوضعًا ﴿كَرِيمًا﴾ هو الجنّة.
(٣٢) ـ ﴿ولا تَتَمَنَّوا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعضَكُم على بَعضٍ﴾ من جهة الدُّنيا أو الدِّين،
لئلّا يُؤدّي إلى التحاسد والتباغض ـ ﴿لِلرِّجالِ نَصِيبٌ﴾: ثوابٌ ﴿مِمّا اكتَسَبُوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره، ﴿ولِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمّا
اكتَسَبْنَ﴾ من طاعة أزواجِهنّ وحفظ فروجهنّ. نزل لمّا قالت أُمّ سلمة: ليتَنا كُنّا رِجالاً فجاهدنا، وكانَ لنا مِثلُ أجرِ الرجالِ[3] ـ ﴿واسألُوا﴾،
بهمزة ودونها، ﴿اللهَ مِن فَضلِهِ﴾ ما احتجتم إليه يُعطِكم. ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾، ومنه محلّ الفضل وسُؤالُكم.
(٣٣) ـ ﴿ولِكُلٍّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنا مَوالِيَ﴾: عَصَبةً، يُعطَون ﴿مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقرَبُونَ﴾ لهم من المال. ﴿والَّذِينَ عاقَدَتْ﴾ ـ
بألف ودُونها ـ ﴿أيمانُكُم﴾: جمع يمين بمعنى القَسَم أو اليد، أي: الحُلفاءُ الذين عاهدتموهم في الجاهليّة على النُّصرة والإرث، ﴿فآتُوهُم﴾
الآنَ ﴿نَصِيبَهُم﴾: حَظَّهم من المِيراث. وهو السُّدس. ﴿إنَّ اللهَ كانَ على كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا﴾: مُطّلعًا، ومنه حالُكم وهذا منسوخ بقوله: «وأُولُو
الأرحامِ بَعضُهُم أولَى بِبَعضٍ»[4].

﴿بالباطل﴾: بما يُخالفُ حكمَ اللهِ تعالى. ﴿نُصليه نارًا﴾: نُدخِلُهُ إيَّاها ونَحرِقُهُ بها. ﴿سيِّئاتكم﴾: ذنوبَكُمُ الصَّغائرَ. ﴿مُدخلاً كريمًا﴾: مكاناً حسناً شريفاً وهوَ الجنَّةُ.
﴿جعلنا مواليَ ممَّا ترك﴾: ورثةً عصبةً يرثونَ ممَّا تركَ. ﴿الّذين عقدت أيمانكم﴾: حالفتُموهُم وعاهدتُموهُم على التَّوارُثِ (و هوَ منسوخٌ عندَ الجمهورِ).

(١) عن مقاتل بن حيان قال: كانت اليهود تزعم أن نكاح الأخت من الأب حلال من الله، فأنزل الله هذه الآية. «العجاب» (٢/ ٨٦١)، وعزاه لابن أبي حاتم، وهو عنده (٣/ ٩٢٦) دون التصريح بالنزول.

(٢) الطبري (٦/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٤)، والثعلبي (١٠/ ٢٦١).

(٣) الترمذي (٣٠٢٢)، وأحمد (٢٦٧٣٦)، من طريق مجاهد عن أم سلمة رضي الله عنها، وقال الترمذي: مرسل، يريد: أنه منقطع بين مجاهد وأم سلمة، ورده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري (٨/ ٢٦٢) بأن مجاهداً أدرك أم سلمة يقيناً وعاصرها، والمعاصرة من الراوي الثقة تحمل على الاتصال. وعن ابن عباس: أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله للذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة امرأتين بشهادة رجل، أفنحن في العمل كذا إن عملت امرأةٌ حسنةً كتب لها نصف حسنة؟ ابن أبي حاتم (٣/ ٩٣٦)، و«العجاب» (٢/ ٨٦٢). وعن عكرمة: إنَّ النِّساءَ سألْنَ الجهادَ، وقلْنَ: وَدِدْنا أنَّ اللهَ جعل لنا الغزوَ فنُصيبُ من الأجر ما يصيبُ الرِّجال، فنزلت. سعيد بن منصور في «سننه» (٦٢٣ ـ التفسير)، وابن المنذر (٢/ ٦٧٧)، و«العجاب» (٢/ ٨٦٣). وعن قتادة: قالت النساء: لو جعل نصيبنا في الميراث كنصيب الرجال، وقال الرجال: إنا لنرجو أن نفضَّل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث، فنزلت؟ الطبري (٦/ ٦٦٧)، والواحدي (ص: ١٥٠)، و«العجاب» (٢/ ٨٦٣).

(٤) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧) عن عبد الله بن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم، ورواه أبو داود (٢٩٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى البخاري (٦٧٤٧)، وأبو داود (٢٩٢٢)، والنسائي (٦٣٨٤) عن ابن عباس أن الناسخ: (والذين عاقدت أيمانكم). وفي سبب النزول: عن أم سعْدٍ بنتِ الربيع ـ وكانت يتيمةً في حِجْر أبي بكر ـ: إنما نزلتْ في أبي بكرٍ وابنِه عبدِ الرحمن حين أبى الإسلامَ، فحلَفَ أبو بكرٍ ألا يُورِّثه، فلما أسلمَ أَمَرهُ نبي الله أن يؤتيَه نصيبَه. أبو داود (٢٩٢٣). وفيه عنعنة ابن إسحاق. وعن سعيد بن المسيب: إنما نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنَّون رجالاً غير أبنائهم ويورِّثونهم.. الخبر. الطبري (٦/ ٦٨١)، والواحدي (ص: ١٥١).

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ
حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا
فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
خَبِيرٗا ٣٥ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ
وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ
وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ
وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧

٣٤ ـ ﴿**الرِّجالُ قَوّامُونَ**﴾: مُسلَّطون ﴿**على النِّساءِ**﴾[1]، يُؤدِّبونهنّ ويأخذون على أيديهنّ، ﴿**بِما فَضَّلَ اللهُ بَعضَهُم على بَعضٍ**﴾، أي: بتفضيله لهم عليهنّ بالعِلم والعقل والوِلاية وغير ذلك، ﴿**وبِما أنفَقُوا**﴾ عليهنّ ﴿**مِن أموالِهِم. فالصّالِحاتُ**﴾ منهنّ ﴿**قانِتاتٌ**﴾: مُطيعات لأزواجهنّ ﴿**حافِظاتٌ لِلغَيبِ**﴾ أي: لفروجهنّ وغيرها في غَيبة أزواجهنّ ﴿**بِما حَفِظَ**﴾ـهنّ ﴿**اللهُ**﴾ حيثُ أوصى عليهنّ الأزواج.

﴿**واللّاتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ**﴾: عِصيانهنّ لكم بأن ظهرت أماراته ﴿**فعِظُوهُنَّ**﴾: فخوّفوهنّ اللهَ، ﴿**واهجُرُوهُنَّ في المَضاجِعِ**﴾: اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرْنَ النُّشوزَ، ﴿**واضرِبُوهُنَّ**﴾ ضربًا غير مُبرِّح، إن لم يرجِعْن بالهجران. ﴿**فإنْ أطَعْنَكُم**﴾ فيما يُراد منهنّ ﴿**فلا تَبغُوا**﴾: تطلبوا ﴿**علَيهِنَّ سَبِيلاً**﴾: طريقًا إلى ضربهنّ ظُلمًا. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾. فاحذروه أن يُعاقبكم إن ظلمتموهنّ.

ربع الحزب ٩

٣٥ ـ ﴿**وإنْ خِفتُم**﴾: علمتم ﴿**شِقاقَ**﴾: خلافَ ﴿**بَينِهِما**﴾: بينِ الزوجين ـ والإضافةُ للاتّساع ـ أي: شقاقًا بينَهما ﴿**فابعَثُوا**﴾ إليهما برضاهما ﴿**حَكَمًا**﴾: رجلاً عدلاً ﴿**مِن أهلِهِ**﴾: أقاربه ﴿**وحَكَمًا مِن أهلِها**﴾. ويُوكِّلُ الزوجُ حَكَمَه في طلاقٍ وقبولِ عِوَضٍ عليه، وتُوكِّلُ هي حَكَمَها في الاختلاع، فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يُفرِّقان إن رأياه قال تعالى: ﴿**إنْ يُرِيدا**﴾ أيِ: الحَكَمانِ ﴿**إصلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَينَهُما**﴾: بين الزوجين، أي: يُقدِّرْهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا**﴾ بكلّ شيء ﴿**خَبِيرًا**﴾ بالبواطن والظواهر. ٣٦ ـ ﴿**واعبُدُوا اللهَ**﴾: وحِّدوه ﴿**ولا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، و**﴾ أحسنوا ﴿**بِالوالِدَينِ إحسانًا**﴾ برًّا ولِينَ جانب ﴿**وبِذِي القُربَى**﴾: القرابة ﴿**واليَتامَى والمَساكِينِ والجارِ ذِي القُربَى**﴾: القريبِ منك في الجِوار أو النسب، ﴿**والجارِ الجُنُبِ**﴾: البعيد عنك في الجِوار أو النسب، ﴿**والصاحِبِ بِالجَنْبِ**﴾: الرفيق في سفر أو صِناعة وقيل: الزوجة، ﴿**وابنِ السَّبِيلِ**﴾: المنقطع في سفره[2]، ﴿**وما مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ من الأرِقّاء[3]. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ مُختالاً**﴾: مُتكبّرًا ﴿**فَخُورًا**﴾ على النّاس بما أُوتي.

٣٧ ـ ﴿**الَّذِينَ**﴾: مبتدأ ﴿**يَبخَلُونَ**﴾[4] بما يجب عليهم، ﴿**ويأمُرُونَ النّاسَ بِالبُخلِ**﴾ به، ﴿**ويَكتُمُونَ ما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ**﴾ من العِلم والمال، وهم اليهود، وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد ـ ﴿**وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ**﴾ بذلك وبغيره ﴿**عَذابًا مُهِينًا**﴾: ذا إهانة ـ.

﴿قوّامون على النّساء﴾: قِيامَ الوِلاةِ المُصلحينَ على الرَّعيّةِ. ﴿قانِتاتٌ﴾: مُطيعاتٌ للهِ ولأزواجِهِنَّ. ﴿حافظات للغيب﴾: صائناتٌ للعرضِ والمالِ في غيبةِ أزواجِهِنَّ. ﴿بما حفظ الله﴾: لهُنَّ مِن حقوقِهِنَّ على أزواجِهِنَّ. ﴿نشوزهنّ﴾: ترفُّعَهُنَّ عن مطاوعتِكُم. ﴿الجار الجُنُب﴾: البعيدِ سكناً أو نسباً. ﴿الصّاحب بالجَنْب﴾: الرَّفيقِ في أمرٍ حسنٍ. ﴿ابن السّبيل﴾: المُسافرِ الغريبِ. أو الضَّيفِ. ﴿مُختالاً﴾: مُتكبِّراً مُعجباً بنفسِهِ. ﴿فخورًا﴾: كثيرَ التَّطاوُلِ والتَّعاظُمِ بالمناقِبِ.

---

(١) عن علي رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت: يا رسول الله إنه ضربني فأثر في وجهي، فقال رسول الله: «ليس له ذلك» فنزلت. ابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ٥٧). ونحوه من طرق عن الحسن: أنها نزلت في رجل لطم امرأته، فطلبت من النبي ﷺ القصاص، فنزلت فتركه. «تفسير القرآن من الجامع لابن وهب» (٧٢)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٧٤٩٣)، و«المراسيل» لأبي داود (٢٧٤)، والطبري (٦/ ٦٨٨)، وابن المنذر (١٧٠١).

(٢) أي: الحجّ، أو الغزوِ، أو مطلقاً، والأظهرُ: أنّه المسافر مِن غيرِ قيدِ الانقطاعِ، أو المرادُ: الضَّيفُ. (الجمالين).

(٣) أي: العبيدِ والإماءِ. (الجمالين).

(٤) عن ابنِ عبّاسٍ: أنها نزلَت في جماعةٍ من اليهود (سماهم)، كانوا يقولونَ للأنصار: لا تنفقُوا أموالَكم؛ فإنّا نخشى عليكم الفقرَ، فنزلت. الطبري (٧/ ٢٣ ـ ٢٤) والثعلبي (١٠/ ٣١٤)، والواحدي (ص: ١٥٢).

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٨﴾ ـ ﴿**وَالَّذِينَ**﴾: عطف على «الّذين» قبله ﴿**يُنفِقُونَ أَموالَهُم رِئاءَ النَّاسِ**﴾: مُرائين لهم، ﴿**ولا يُؤمِنُونَ باللهِ ولا بِاليَومِ الآخِرِ**﴾ كالمنافقين وأهل مكّة. ﴿**ومَن يَكُنِ الشَّيطانُ لَهُ قَرِينًا**﴾: صاحبًا يعمل بأمره كهؤلاء ﴿**فساءَ**﴾: بئس ﴿**قَرِينًا**﴾ هو!

﴿٣٩﴾ ـ ﴿**وماذا علَيهِم، لَو آمَنُوا باللهِ واليَومِ الآخِرِ، وأنفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ**﴾ أي: أيُّ ضرر عليهم في ذلك؟ والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية أي: لا ضرر فيه، وإنّما الضرر فيما هم عليه، ﴿**وكانَ اللهُ بِهِم عَلِيمًا**﴾ فيُجازيهم بما عملوا.

﴿٤٠﴾ ـ ﴿**إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ**﴾ أحدًا ﴿**مِثقالَ**﴾: وزنَ ﴿**ذَرَّةٍ**﴾: أصغرِ نملةٍ بأن يَنقُصَها من حسناته أو يزيدَها في سيّئاته، ﴿**وإنْ تَكُ**﴾ الذرّةُ ﴿**حَسَنةً**﴾ مِن مُؤمن ـ وفي قراءة بالرفع، فـ«كان»: تامّةٌ ـ ﴿**يُضاعِفْها**﴾ من عَشر إلى أكثرَ من سبعِمِائةٍ ـ وفي قراءة: «يُضَعِّفْها» بالتشديد ـ ﴿**ويُؤتِ مِن لَدُنهُ**﴾: من عِنده مع المُضاعفة ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ لا يُقدِّره أحد.

﴿٤١﴾ ـ ﴿٤٢﴾ ـ ﴿**فكَيفَ**﴾ حالُ الكُفّار ﴿**إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ**﴾ يشهد عليها بعملها، ﴿**وجِئنا بِكَ**﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿**على هؤُلاءِ شَهِيدًا؟ يَومَئِذٍ**﴾: يومَ المجيء ﴿**يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وعَصَوُا الرَّسُولَ لَو**﴾ أي: أن ﴿**تُسَوَّى**﴾ ـ بالبناء للمفعول، وللفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع إدغامها في السين أي: تَتَسَوَّى ـ ﴿**بِهِمِ الأرضُ**﴾ بأن يكونوا تُرابًا مِثلَها لعِظَم هوله كما في آية أُخرى: «ويَقُولُ الكافِرُ: يا لَيتَنِي كُنتُ تُرابًا»، ﴿**ولا يَكتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا**﴾ عمّا عملوه. وفي وقتٍ آخر يكتمونه: «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ».

﴿٤٣﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَقرَبُوا الصَّلاةَ**﴾ أي: لا تُصلّوا ﴿**وأنتُم سُكارَى**﴾ من الشراب، لأنّ سبب نزولها صلاة جماعة في حال السُّكر[(١)]، ﴿**حَتَّى تَعلَمُوا ما تَقُولُونَ**﴾ بأن تَصحُوا، ﴿**ولا جُنُبًا**﴾ بإيلاج أو إنزال ـ ونصبُه على الحال. وهو يُطلق على المُفرد وغيره ـ ﴿**إلّا عابِرِي**﴾: مُجتازي ﴿**سَبِيلٍ**﴾: طريق أي: مسافرين ﴿**حَتَّى تَغتَسِلُوا**﴾ فلكم أن تُصلّوا. واستثنَى المسافرَ لأنّ له حُكمًا آخر سيأتي. وقيل: المُراد النهي عن قُربان مواضعِ الصلاة أي: المساجدِ إلّا عبورَها من غير مَكث. ﴿**وإنْ كُنتُم مَرضَى**﴾ مَرَضًا يضرّه الماء، ﴿**أو على سَفَرٍ**﴾ أي: مسافرين وأنتم جُنُب أو مُحدِثون، ﴿**أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائِطِ**﴾ هو المكان المُعَدّ لقضاء الحاجة، أي: أحدَثَ، ﴿**أو لامَستُمُ النِّساءَ**﴾ ـ وفي قراءة بلا ألف. وكلاهما بمعنًى من اللمس وهو الجسّ باليد قاله ابن عُمَرَ وعليه الشافعيّ[(٢)]، وألحَقَ به الجسَّ بباقي البَشَرة. وعن ابن عبّاس: هو الجِماع[(٣)] ـ ﴿**فلَم تَجِدُوا ماءً**﴾ تَطَهَّرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى، ﴿**فتَيَمَّمُوا**﴾: اقصِدوا بعد دخول الوقت ﴿**صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾: تُرابًا طاهرًا، فاضربوا به ضربتين، ﴿**فامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وأيدِيكُم**﴾ إلى المِرفقين منه. ومَسَحَ: يتعدّى بنفسه وبالحرف. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿**أَلَم تَرَ إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا**﴾: حظًّا ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾ ـ وهم اليهود ـ ﴿**يَشتَرُونَ الضَّلالَةَ**﴾ بالهدى، ﴿**ويُرِيدُونَ أنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾: تُخطئوا طريق الحقّ، لتكونوا مِثلهم؟

﴿رِئاء النّاس﴾: مُراءاةً لهُم وسُمعةً لا لِوجهِ اللهِ. ﴿مثقال ذرّة﴾: مقدارَ أصغرِ نملةٍ، أو هباءَةٍ. ﴿لو تُسوّى بهم الأرض﴾: لو كانوا والأرضَ سواءً فلا يُبعَثونَ. ﴿عابري سبيل﴾: مسافرينَ فقدوا الماءَ فيتيمَّمونَ. ﴿الغائط﴾: مكانِ قضاءِ الحاجةِ (كِنايةٌ عنِ الحدثِ). ﴿لامستُمُ النّساء﴾: واقعتُموهُنَّ أو مسستُم بشرتَهُنَّ. ﴿صعيدًا طيباً﴾: تُراباً، أو وجهَ الأرضِ ـ طاهراً.

(١) أبو داود (٣٦٧١) والترمذي (٣٠٢٦) وصححه، من حديث علي رضي الله عنه. وعن عمرَ أنّه قال: اللّهمَّ بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] ثم قال ذلك فنزلت هذه الآية، ثم قاله فنزلت آية المائدة.. الحديثَ. أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠) وأحمد (٣٧٨)، والضياء في «المختارة» (٢٥٦)، من حديث عمر رضي الله عنه، وإسناده صحيح. وتقدم في سورة البقرة. وعن أبي هريرة: حرمت الخمر ثلاث مرات...، فذكر نحو حديث عمر في التدرج بالآيات الثلاث. أحمد (٨٦٢٠).

(٢) رواه الشافعي في «الأم» (١/ ٢٩) عنه قال: قبلةُ الرَّجل امرأته وجسُّها بيده من الملامسة، فمَن قَبَّل امرأته أو جسَّها بيده فعليه الوضوءُ.

(٣) عبد الرزاق (٦٨٣)، والطبري (٧/ ٦٤). ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٧) عن علي رضي الله عنه. وسبب نزول آية التيمم: عن عائشةَ ما ملخصه: كنّا مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ في سفرٍ، فانقطعَ عقدٌ لي، فأقامَ رسولُ الله ﷺ على التِماسِه، وشقَّ ذلك على النّاسِ وعلى أبي بكرٍ لعدَمِ الماءِ في ذلك المكانِ، فأنزلَ الله آيةَ التَّيمُّمِ، الحديث. البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧). وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه مثله. رواه أبو داود (٣٢٠)، والنسائي (٣١٤)، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ
وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

(٤٥) ـ ﴿واللهُ أعلَمُ بأعدائكُم﴾ منكم فيُخبركم بهم لتجتنبوهم، ﴿وكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا﴾: حافظًا لكم منهم! ﴿وكَفَى باللهِ نَصِيرًا﴾: مانعًا لكم من كيدهم!

(٤٦) ـ ﴿مِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ قومٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يُغيِّرون ﴿الكَلِمَ﴾ الذي أنزل اللهُ في التوراة من نعت مُحمّد ﴿عَن مَواضِعِهِ﴾[1] التي وُضع عليها، ﴿ويَقُولُونَ﴾ للنبيِّ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنا﴾ قولك ﴿وعَصَينا﴾ أمرك. ﴿واسمَعْ غيرَ مُسمَعٍ﴾: حالٌ بمعنى الدعاء أي: لا سمعتَ، ﴿و﴾ يقولون له: ﴿راعِنا﴾ ـ وقد نُهيَ عن خِطابه بها. وهي كلمة سبٍّ بلغتهم ـ ﴿لَيًّا﴾: تحريفًا ﴿بألسِنتِهِم وطَعْنًا﴾: قدحًا ﴿في الدِّينِ﴾: الإسلام. ﴿ولَو أنَّهُم قالُوا: سَمِعْنا وأطَعْنا﴾ بَدَلَ «وعَصَينا» ﴿واسمَعْ﴾ فقط، ﴿وانظُرْنا﴾: انظر إلينا بَدَلَ «راعِنا»، ﴿لَكانَ خَيرًا لَهُم﴾ ممّا قالوه ﴿وأقوَمَ﴾: أعدلَ منه، ﴿ولكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾: أبعدَهم عن رحمته ﴿بِكُفرِهِم، فلا يُؤمِنُونَ إلّا قَلِيلاً﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه.

(٤٧) ـ ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ، آمِنُوا بما نَزَّلْنا﴾[2] من القُرآن ﴿مُصَدِّقًا لِما مَعَكُم﴾ من التوراة ﴿مِن قَبلِ أنْ نَطمِسَ وُجُوهًا﴾: نمحوَ ما فيها من العين والأنف والحاجب، ﴿فنَرُدَّها على أدبارِها﴾: فنجعلَها كالأقفاءِ لَوحًا واحدًا، ﴿أو نَلعَنَهُم﴾: نمسخَهم قِردةً ﴿كَما لَعَنّا﴾: مسخنا ﴿أصحابَ السَّبتِ﴾ منهم ـ ﴿وكانَ أمرُ اللهِ﴾: قضاؤه ﴿مَفعُولاً﴾ ـ ولمّا نزلتْ أسلم عبدالله بن سلام[3]، فقيل: كان وعيدًا بشرط، فلمّا أسلم بعضهم رُفع. وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قِيام الساعة ـ (٤٨) ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أن يُشرَكَ بِهِ﴾[4] أي: الإشراكَ بِهِ، ﴿ويَغفِرُ ما دُونَ﴾: سِوَى ﴿ذلِكَ﴾ من الذُّنوب ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرةَ له بأن يُدخله الجنّة بلا عذاب ـ ومَن يشأ يعذّبْه من المؤمنين بذُنوبه، ثمّ يُدخلْه الجنّة ـ ﴿ومَن يُشرِكْ باللهِ فقَدِ افتَرَى إثمًا﴾: ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾: كبيرًا.

(٤٩) ـ ﴿ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أنفُسَهُم﴾؟[5] وهم اليهود حيثُ قالوا: «نَحنُ أبناءُ اللهِ وأحِبّاؤُهُ». أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفُسَهم، ﴿بَلِ اللهُ يُزَكِّي﴾: يُطهّرُ ﴿مَن يَشاءُ﴾ بالإيمان، ﴿ولا يُظلَمُونَ﴾: يُنقَصون من أعمالهم ﴿فَتِيلاً﴾: قَدْرَ قِشرة النَّواة. (٥٠) ـ ﴿انظُرْ﴾ مُتعجّبًا: ﴿كَيفَ يَفتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ﴾، بذلك؟ ﴿وكَفَى بِهِ إثمًا مُبِينًا﴾: بيِّنًا!

﴿يُحرّفون الكلِم﴾: يُغيِّرونَهُ أو يتأوّلونَهُ بالباطلِ. ﴿اسْمَع غير مُسْمَعٍ﴾: قصدَ بِهِ اليهودُ الدُّعاءَ عليهِ ﷺ. ﴿راعِنا﴾: قصدوا بِهِ سبَّهُ وتنْقيصَهُ ﷺ. ﴿ليًّا بألسنتِهم﴾: انْحرافاً إلى جانبِ السُّوءِ في القولِ. ﴿أقوم﴾: أعدلَ وأصوبَ وأسدَّ. ﴿نطمس وُجُوهاً﴾: نمحوَها أو نترُكَهُم في الضَّلالةِ. ﴿يُزكّون أنفسهم﴾: يمدحونَها بالبراءةِ مِنَ الذُّنوبِ. ﴿فتيلاً﴾: قدْرَ الخيْطِ الرَّقيقِ في شِقِّ النَّواةِ. ﴿بالجِبت والطّاغوت﴾: بكلِّ معبودٍ أو مُطاعٍ مِن دونِ اللهِ.

(١) عن ابن عباس: كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود إذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال: راعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام وعابه، فنزلت الآيات الثلاث. الطبري (٧/ ٩٩)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٣ و٩٦٧)، و«العجاب» (٢/ ٨٨١ ـ ٨٨٢). ورواه بنحوه الطبري (٧/ ٩٨) عن عكرمة. وعن ابن عباس أيضاً: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيسألونه عن الأمر، فيخبرهم ويرى أنهم يأخذون بقوله، فإذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾. الثعلبي (١٠/ ٣٨٩)، و«العجاب» (٢/ ٨٨٢).

(٢) عن ابن عباس قال: كلَّم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود فقال لهم: «يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحقٌّ» فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد! وجحدوا ما عرفوا، وأصرّوا على الكفر، فنزلت. الطبري (٧/ ١١٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٨)، و«العجاب» (٢/ ٨٨٢).

(٣) روي أنه لمَّا نزلَتْ جاء عبدُ الله بنُ سلامٍ وأسلَمَ قبلَ أن يأتيَ أهلَه، وقال: ما كنتُ أرى أن أصِلَ إليكَ حتَّى يتحوَّلَ وجهي في قفايَ. دون نسبة في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٠١)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٦٢)، والثعلبي (١٠/ ٣٩٢)، و«الوسيط» للواحدي (٢/ ٦٢).

(٤) عن أبي أيوب الأنصاريِّ: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: «وما دينه» قال: يصلي ويوحِّد الله، قال: «استوهب منه دينه، فإن أبى فابتعه منه» فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه. فنزلت. ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧١)، والطبراني (٤٠٦٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥): فيه واصل بنُ السَّائب، وهو ضعيفٌ. وعن ابن عباس: أنها نزلَت في وحشيٍّ لما أتى النبي ﷺ يريد الإسلام..، في حديث طويل في قصة إسلامه. الطبراني في «الكبير» (١١٤٨٠)، والواحدي (ص: ٣٣٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): «فيه أبين بن سفيان، وهو ضعيف». وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٢٩): في هذا الحديث المذكور عنه نظر، وهو بعيد الصحّة، والمحفوظ في إسلامه غير هذا.

(٥) عن الكلبي: نزلَتْ في رجالٍ منَ اليهودِ أتَوا رسولَ الله بأطفالِهم، فقالوا: هل على أولادِنا هؤلاءِ من ذنبٍ؟ فقال: «لا»، فقالوا: والذي يُحلَفُ به ما نحنُ إلّا كهيئَتِهم، ما من ذنبٍ نعملُه بالنَّهارِ إلّا كُفِّرَ عنّا باللَّيلِ، وما من ذنبٍ نعملُه باللَّيلِ إلّا كُفِّرَ عنّا بالنَّهارِ. الثعلبي (١٠/ ٤٠٠)، والواحدي (ص: ١٥٥)،، وبنحوه الطبري (٧/ ١٢٥) عن السدي.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من عُلماء اليهود لمّا قَدِموا مكّة وشاهدوا قتلى بدر[1]، وحرّضوا المُشركين على الأخذ بثارهم ومُحاربة النبي ﷺ:

﴿٥١﴾ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ، يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ والطَّاغُوتِ﴾: صنمانِ لقُريش، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سُفيان وأصحابه، حين قالوا لهم: «أنحن أهدى سبيلاً، ونحن وُلاة البيت: نسقي الحاجّ ونَقري الضيف ونفكّ العانيَ ونفعلُ، أم مُحمّد، وقد خالف دِينَ آبائه وقطع الرَّحِم وفارق الحَرَم»؟: ﴿هؤُلاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾: أقوَمُ طريقًا؟

﴿٥٢﴾ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ[2]، وَمَن يَلعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾: مانعًا من عذابه.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿أَم﴾: بل أ ﴿لَهُم نَصِيبٌ مِنَ المُلْكِ﴾؟ أي: ليس لهم شيء منه، ولو كان ﴿فإذًا لا يُؤتُونَ النّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: شيئًا تافهًا قدرَ النُّقرة في ظهر النواة لفرط بُخلهم. ﴿٥٤﴾ ـ ﴿أم﴾: بل أ ﴿يَحسُدُونَ النّاسَ﴾ أي: النبيَّ ﴿عَلى ما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ﴾[3] من النبوّة وكثرة النِّساء؟ أي: يتمنّون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبيًّا لاشتغل عن النِّساء. ﴿فقد آتينا آلَ إبراهِيمَ﴾ جدّه كموسى وداودَ وسُليمانَ ﴿الكِتابَ والحِكْمَةَ﴾: النبوّة، ﴿وآتيناهُم مُلكًا عَظِيمًا﴾، فكان لداودَ تسع وتسعون امرأة، ولسليمانَ ألفٌ ما بين حُرّة وسُرِّيّة. ﴿٥٥﴾ ـ ﴿فمِنهُم مَن آمَنَ بِهِ﴾: بمُحمّد ﴿ومِنهُم مَن صَدَّ﴾: أعرض ﴿عَنهُ﴾ فلم يُؤمن، ﴿وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: عذابًا لمن لا يُؤمن!

﴿٥٦﴾ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوفَ نُصلِيهِم﴾: نُدخلهم ﴿نارًا﴾ يحترقون فيها، ﴿كُلَّما نَضِجَتْ﴾: احترقتْ ﴿جُلُودُهُم، بَدَّلْناهُم جُلُودًا غَيرَها﴾ بأن تُعاد إلى حالها الأوّل غيرَ محترقة، ﴿لِيَذُوقُوا العَذابَ﴾: ليُقاسوا شِدّته ـ ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عَزِيزًا﴾: لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه ـ ﴿٥٧﴾ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَنُدخِلُهُم جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، لَهُم فِيها أزواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحَيض وكلّ قذر، ﴿ونُدخِلُهُم ظِلًّا ظَلِيلاً﴾: دائمًا لا تنسخه شمس. وهو ظِلّ الجنّة.

﴿٥٨﴾ ـ ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أن تُؤَدُّوا الأماناتِ﴾ ما اؤْتُمِنَ عليه من الحُقوق ﴿إلى أهلِها﴾ ـ نزلتْ لمّا أخذ عليٌّ مِفتاحَ الكعبة من عُثمانَ بنِ طلحةَ الحَجَبيِّ سادنِها قسرًا لمّا قدم النبيّ ﷺ مكّةَ عامَ الفتح[4]، ومَنَعَه وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه. فأمَرَ ﷺ بردّه إليه، وقال: «هاكَ خالِدَةً تالِدةً». فعَجِبَ من ذلك، فقرأ له عليّ الآية فأسلمَ وأعطاه عند موته لأخيه شيبةَ، فبقي في ولده. والآية وإن وردت على سبب خاصّ فعمومها

﴿نقيرًا﴾: قدرَ النُّقرةِ في ظهرِ النَّواةِ. ﴿نُصليهم نارًا﴾: نُدْخِلُهُم نارًا هائلةً نشويهم فيها. ﴿نضجت جلودهم﴾: احترقَتْ وتهرَّتْ وتلاشَتْ. ﴿ظليلاً﴾: دائمًا لا حرَّ فيه ولا قرَّ. ﴿تؤدّوا الأمانات﴾: جميعَ حقوقِ اللهِ وحقوقِ العِبادِ. ﴿نِعمّا يعظكم به﴾: نِعْمَ الّذي يعِظُكُم به ما ذُكِرَ. ﴿أحسنُ تأويلاً﴾: أجملُ عاقبةً وأحمدُ مآلاً.

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٦٤٣)، وابن حبان (٦٥٧٢)، والطبري (٧/ ١٤٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه عبد الرزاق (٦٠٣)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٦٤٨ ـ تفسير)، والطبري (٧/ ١٤٣)، وابن المنذر (١٨٨٣)، والواحدي (ص: ١٥٧)، عن عكرمة. وروي في هذه القصة أخبار غير هذا أوردها في «العجاب» (٢/ ٨٨٥ ـ ٨٨٨)، لكن لم أجد في شيء منها ما ذكره من رؤية قتلى بدر والتحريض على الأخذ بثأرهم، بل نص الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٦) على أن القصة وقعت بعد أحد.

(٢) عن قتادة: ذُكر لنا أن هذه الآية نزلت في كعب بن الأشرف وحييّ بن أخطبَ من بَني النَّضير، لَقِيَا قريشاً بالموسم فقال لهم المشركون: نحن أهدى أم محمدٌ وأصحابه؟ فقالا: بل أنتم أهدى من محمد، وهما يعلمان أنّهما كاذبان، فنزلت. الطبري (٧/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٧)، والواحدي (ص: ١٥٧).

(٣) عن مقاتل بن حيان قال: أُعطيَ رسولُ الله ﷺ بُضعَ سبعين شابًّا، فحسدته اليهود، فنزلت هذه الآية. ابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٩)، و«العجاب» (٢/ ٨٨٨). وعن ابن عباس بإسناد ضعيف: قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضعٍ وله تسع نسوة، وليس همه إلا النكاح، فأي مِلكٍ أفضل من هذا؟ فنزلت. الطبري (٧/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٨)، و«العجاب» (٢/ ٨٨٨).

(٤) الثعلبي (١٠/ ٤٢٩)، والواحدي (ص: ١٥٧)، والبغوي (٢/ ٢٣٨)، و«العجاب» (٢/ ٨٩٣) وفيه: «كذا أورده الثعلبي بغير سند جازماً به، وتلقاه عنه غير واحد، وفيه زيادات منكرة»، فذكر منها: أن المحفوظ أن إسلام عثمان بن طلحة كان قبل الفتح بمدة هو وعمرو بن العاص وخالد، ومنها: أن المعروف في كتب السير أن المفتاح كان عند أمه، إلى غير ذلك من ملاحظات تنظر ثمة. ورواه مختصراً عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٠٧٦)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٦٥)، والواحدي (ص: ١٥٨)، عن مجاهد. وروى الطبراني في «الكبير» (١١٢٣٤) عن ابن عباس مرفوعاً: «خذوها يا بني طلحة خالدةً تالدةً لا يَنزِعُها منكم إلّا ظالمٌ» يعني: حجابة الكعبة. قال في «المجمع» (٣/ ٢٨٥): فيه عبد الله بن المؤمل، وثّقه ابن حبان وقال: يخطئ، ووثّقه ابن معين في رواية، وضعّفه جماعة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

مُعتبر بقرينة الجمع ـ ﴿وإذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ﴾ يأمرُكم ﴿أنْ تَحكُمُوا بِالعَدلِ. إنَّ اللهَ نِعِمّا﴾ ـ فيه إدغام ميم «نِعِمَ» في «ما» النكرة الموصوفة ـ أي: نِعْمَ شيئًا ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ تأديةُ الأمانة والحكمُ بالعدل! ﴿إنَّ اللهَ كانَ سَمِيعًا﴾ لِما يُقال ﴿بَصِيرًا﴾ بما يُفعل.

(٥٩) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ[١] وأطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي﴾: وأصحابَ ﴿الأمرِ﴾ أي: الوُلاةَ ﴿مِنكُم﴾، إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله، ﴿فإنْ تَنازَعتُم﴾: اختلفتم ﴿في شَيءٍ فرُدُّوهُ إلَى اللهِ﴾ أي: كتابِه ﴿والرَّسُولِ﴾ مُدّةَ حياته، وبعده إلى سُنَّتِه أي: اكشفوا عليه منهما، ﴿إنْ كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ. ذلِكَ﴾ أي: الردّ إليهما ﴿خَيرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وأحسَنُ تأوِيلاً﴾: مآلاً.

ونزل لمّا اختصم يهوديّ ومُنافق[٢]، فدعا المُنافقُ إلى كعبِ بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهوديُّ إلى النبيّ ﷺ، فأتياه فقضى لليهوديّ فلم يرضَ المُنافقُ، وأتيا عُمرَ فذكر اليهوديُّ له ذلك، فقال للمُنافق: أكذلك؟ فقال: نعم. فقتله:

(٦٠) ـ ﴿ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ يَزعُمُونَ أنَّهُم آمَنُوا بِما أُنزِلَ إلَيكَ وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ، يُرِيدُونَ أن يَتَحاكَمُوا إلَى الطّاغُوتِ﴾: الكثير الطُّغيان ـ وهو كعب بن الأشرف ـ ﴿وقَد أُمِرُوا أنْ يَكفُرُوا بِهِ﴾ ولا يُوالوه، ﴿ويُرِيدُ الشَّيطانُ أنْ يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحقّ، (٦١) ـ (٦٢) ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: تَعالَوا إلَى ما أنزَلَ اللهُ﴾ في القُرآن من الحُكم ﴿وإلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رأيتَ المُنافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يُعرِضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا ـ فكَيفَ﴾ يصنعون ﴿إذا أصابَتهُم مُصِيبةٌ﴾ عقوبة ﴿بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾ من الكُفر والمعاصي، أي: أيقدِرون على الإِعراض والفِرار منها؟ لا ـ ﴿ثُمَّ جاؤُوكَ﴾: معطوفٌ على «يصدّون»، ﴿يَحلِفُونَ بِاللهِ إنْ﴾: ما ﴿أرَدْنا﴾ بالمُحاكمة إلى غيرك ﴿إلّا إحسانًا﴾: صُلحًا ﴿وتَوفِيقًا﴾: تأليفًا بين الخصمين بالتقريب في الحُكم دون الحمل على مُرِّ الحقّ؟ (٦٣) ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ يَعلَمُ اللهُ ما في قُلُوبِهِم﴾ من النِّفاق وكذبهم في عُذرهم. ﴿فأعرِضْ عَنهُم﴾ بالصفح، ﴿وعِظْهُم﴾: خوِّفْهُمُ اللهَ، ﴿وقُلْ لَهُم في﴾ شأن ﴿أنفُسِهِم قَولاً بَلِيغًا﴾: مُؤثّرًا فيهم، أي: أزجُرْهم ليرجِعوا عن كُفرهم. (٦٤) ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن رَسُولٍ إلّا لِيُطاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم، ﴿بِإذنِ اللهِ﴾: بأمره لا ليُعصَى ويُخالَف. ﴿ولَو أنَّهُم، إذ ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت، ﴿جاؤُوكَ﴾ تائبين، ﴿فاستَغفَرُوا اللهَ واستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب تفخيمًا لشأنه ـ ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوّابًا﴾ عليهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

(٦٥) ـ ﴿فلا ـ وَرَبِّكَ ـ لا يُؤمِنُونَ﴾[٣] لا: زائدة ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ﴾: اختلطَ ﴿بَينَهُم، ثُمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسِهِم حَرَجًا﴾: ضِيقًا أو شكًّا ﴿مِمّا قَضَيتَ﴾ به، ﴿ويُسَلِّمُوا﴾: ينقادوا لحُكمك ﴿تَسلِيمًا﴾ من غير مُعارضة.

﴿الطّاغوت﴾: الضّليل كعبِ بنِ الأشرفِ اليهوديِّ. ﴿يصُدّون عنك﴾: يُعرضونَ عنكَ. ﴿شجر بينهم﴾: أشكلَ والتبسَ عليهِم مِنَ الأُمورِ. ﴿حَرَجاً﴾: ضِيقاً أو شكّاً.

(١) عن ابن عباس: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ حُذافةَ، بعثَه رسولُ الله ﷺ في سريّةٍ. رواه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤). وعن السدي: أنها نزلت في خصومة بين عمار بن ياسر وخالد رضي الله عنهما وقد بعثهما ﷺ في سرية وأمَّر عليها خالداً، في خبر طويل رواه الطبري (٧/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٨)، ووصله ابن مردويه من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، وأبو صالح باذام ضعيف ولم يسمع من ابن عباس.

(٢) الثعلبي (١٠/ ٤٥٣)، والواحدي (ص: ١٦٢)، والبغوي (٢/ ٢٤٢)، عن ابن عباس من رواية الكلبي. وعن الشعبي نحوُه دون قصة عمر عند الطبري (٧/ ١٩٠)، وعن قتادة نحوه دونها أيضاً عند عبد بن حميد كما في «العجاب» (٢/ ٩٠٣). وعن ابن عبّاسٍ قال: كَان أبو بردةَ الأسلميُّ كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافرَ إليه ناسٌ من المسلمين، فنزلت. ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩١)، والطبراني (١٢٠٤٥)، والضياء في «المختارة» (١٢/ ١١٥)، قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦): «رجاله رجال الصحيح». ووقع عند الطبراني: «أبو برزة» وهو خطأ، فإن أبا برزة نضلة بن عبيد صحابي جليل. وعن ابن عباس أيضاً: كان الجُلاس بن الصامت ومعتِّب بن قشير ورافع بن زيد وبشر يدَّعون الإسلام، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعوهم إلى الكهَّان حكام الجاهلية. ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٢/ ٥٨٠). وهو في «السيرة» لابن هشام (١/ ٥٢٦)، و«العجاب» (٢/ ٩٠٢).

(٣) خاصم الزُّبيرَ رجلٌ من الأنصار، فقال النبيُّ ﷺ: «يا زبير اسقِ، ثم أرسِل»، فقال الأنصاريُّ: إنه ابنُ عمَّتِك، فقال عليه السَّلامُ: «اسْقِ يا زبيرُ، ثُم يَبلُغُ الماءُ الجَدْرَ، ثُم أَمْسِكْ» فقال الزُّبير: فأحسِبُ هذه الآيةَ نزلتْ في ذلك. البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧)، عن عروة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، والبخاري (٢٣٦١) عن عروة. وروى ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: «اختصم رجلان... » وتتمته بنحو قصة اليهودي والمنافق وقتلِ عمر له، وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية. وهو مرسل.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن
دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ
بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم
مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا
﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ ۚ
وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن
مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

﴿٦٦﴾ ـ ﴿**وَلَو أنّا كَتَبْنا عليهِم أنِ**﴾: مُفسِّرةٌ[(١)] ﴿**اقتُلُوا أنفسَكُم، أوِ اخرُجُوا مِن دِيارِكُم**﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل، ﴿**ما فَعَلُوهُ**﴾ أي: المَكتوبَ عليهم ﴿**إلّا قَليلٌ**﴾ ـ بالرفعِ على البدل[(٢)]، والنصبِ على الاستثناء[(٣)] ـ ﴿**مِنهُم، ولَو أنّهُم فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ**﴾[(٤)] من طاعة الرسول ﴿**لَكانَ خَيرًا لَهُم وأشَدَّ تَثبيتًا**﴾: تحقيقًا لإيمانهم، ﴿٦٧﴾ ـ ﴿**وإذًا**﴾ أي: لو ثَبَتُوا ﴿**لَآتَيناهُم مِن لَدُنّا**﴾: من عِندِنا ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ هو الجنّة، ﴿٦٨﴾ ـ ﴿**ولَهَدَيناهُم صِراطًا مُستَقِيمًا**﴾.

قال بعض الصحابة للنبيِّ ﷺ: كيف نراكَ في الجنّة[(٥)]، وأنتَ في الدرجات العُلا، ونحن أسفلَ منك؟ فنزل: ﴿٦٩﴾ ـ ﴿**ومَن يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ**﴾ فيما أمرًا به ﴿**فأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عليهِم، مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ**﴾: أفاضلِ أصحاب الأنبياء لمُبالغتهم في الصِّدق والتصديق ﴿**والشُّهَداءِ**﴾: القَتلى في سبيل الله ﴿**والصّالِحِينَ**﴾ غيرِ مَن ذُكِر، ﴿**وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا**﴾: رُفقاءَ في الجنّة بأن يُستمتَع فيها برُؤيتهم وزيارتهم والحُضور معهم، وإن كان مقرّهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم! ﴿٧٠﴾ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: كونهم مع من ذُكِرَ، مبتدأ خبرُه: ﴿**الفَضلُ مِنَ اللهِ**﴾ تفضّل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم، ﴿**وكَفَى باللهِ عَلِيمًا**﴾ بثواب الآخرة! أي: فثقوا بما أخبركم به، «ولا يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبِيرٍ». ﴿٧١﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، خُذُوا حِذرَكُم**﴾ من عدوّكم، أي: احترزوا منه وتيقّظوا له، ﴿**فانفِرُوا**﴾: انهضوا إلى قتاله ﴿**ثُباتٍ**﴾: مُتفرّقين سَرِيّةً بعد أُخرى، ﴿**أوِ انفِرُوا جَمِيعًا**﴾: مجتمعين، ﴿٧٢﴾ ـ ﴿**وإنَّ مِنكُم لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ**﴾: ليتأخّرَنّ عن القِتال كعبدالله بن أُبيٍّ المُنافقِ وأصحابه ـ وجعله منهم من حيث الظاهر. واللام في الفعل للقسم ـ ﴿**فإنْ أصابَتكُم مُصِيبةٌ**﴾ كقتل وهزيمة ﴿**قالَ: قَد أنعَمَ اللهُ عليَّ، إذ لَم أكُنْ مَعَهُم شَهِيدًا**﴾: حاضرًا فأُصاب، ﴿٧٣﴾ ـ ﴿**ولَئِنْ**﴾: لامُ قسم ﴿**أصابَكُم فَضلٌ مِنَ اللهِ**﴾ كفتح وغنيمة ﴿**لَيَقُولَنَّ**﴾ نادمًا ﴿**كأنْ**﴾ ـ مُخفّفةٌ واسمها محذوف ـ أي: كأنّه ﴿**لَم يَكُنْ**﴾، بالياء والتاء، ﴿**بَينَكُم وبَينَهُ مَوَدَّةٌ**﴾: معرفةٌ وصداقة ـ وهذا راجع إلى قوله «قَد أنعَمَ اللهُ عليَّ» اعترُض به بين القول ومقوله وهو ـ: ﴿**يا**﴾ للتنبيه ﴿**لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُم، فأفُوزَ فَوزًا عَظِيمًا**﴾: آخُذَ حظًّا وافرًا من الغنيمة.

﴿٧٤﴾ ـ قال تعالى: ﴿**فلْيُقاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ**﴾: لإعلاء دينه ﴿**الَّذِينَ يَشرُونَ**﴾: يبيعون ﴿**الحَياةَ الدُّنيا بالآخِرَةِ. ومَن يُقاتِلْ في سَبِيلِ اللهِ، فيُقتَلْ**﴾: يُستشهَدْ ﴿**أو يَغلِبْ**﴾: يَظفرْ بعدوّه، ﴿**فسَوفَ نُؤتِيهِ أجرًا عَظِيمًا**﴾: ثوابًا جزيلاً.

ثلاثة أرباع الحزب ٩

﴿أشدَّ تثبيتًا﴾: أقربَ إلى ثباتِ إيمانِهم. ﴿خُذوا حِذرَكم﴾: خذوا سلاحَكُم أو تيقَّظوا لعدوِّكُم. ﴿فانفروا ثُباتٍ﴾: اخرجوا للجهادِ جماعاتٍ مُتفرِّقينَ. ﴿ليُبطِّئنّ﴾: ليَتثاقَلَنَّ أو لَيُثبِّطَنَّ عنِ الجهادِ. ﴿يشْرُون﴾: يبيعونَ (و همُ المؤمنونَ).

(١) لأنَّ ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: أمرْنَا، أو مصدريّةٌ. (الجمالين).

(٢) مِن ضَميرِ ﴿فَعَلُوهُ﴾ أي: الإناسُ قليلٌ؛ وهمُ المخلصُونَ. (الجمالين).

(٣) أي: إلاَّ جمعاً قليلًا، وعلى المصدريّةِ؛ أي: إلاّ فعلًا قليلًا. (الجمالين).

(٤) عن السدي: افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من يهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا. فقال ثابت: والله لو كُتب علينا ذلك لقتلنا أنفسنا. فنزلت. الطبري (٧/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٦).

(٥) الطبراني في «الصغير» (٥٢)، و«الأوسط» (٤٧٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٤٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال في «العجاب» (٢/ ٩١٤): «رجاله موثقون». وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٣٤): «روي نحوه عن جماعة من الصحابة»، وفي بعض الروايات تسمية القائل: ثوبان، ذكره الواحدي (ص: ١٦٥) عن الكلبي، وذكره في «البسيط» (٦/ ٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي، وذكر مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣٨٧) أنها نزلت في عبد الله بن زيد الأنصاري.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا
﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي
سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ
كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ
عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟
يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ
عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ
فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

﴿٧٥﴾ ـ ﴿**وما لكُم لا تُقاتِلُونَ**﴾ ـ استفهام توبيخ ـ أي: لا مانع لكم من القِتال ﴿**في سَبِيلِ اللهِ و**﴾ في تخليص ﴿**المُستَضعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ**﴾ الذين حبَسَهم الكُفّار عن الهجرة وآذَوهم ـ قال ابن عبّاس: كنتُ أنا وأُمّي منهم[١] ـ ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ**﴾ داعين: يا ﴿**رَبَّنا، أخرِجْنا مِن هذِهِ القَرْيةِ**﴾: مكّةَ ﴿**الظّالِمِ أهلُها**﴾ بالكُفر، ﴿**واجعَلْ لَنا مِن لَدُنْكَ**﴾: من عِندك ﴿**وَلِيًّا**﴾ يتولّى أمورنا، ﴿**واجعَلْ لَنا مِن لَدُنْكَ نَصِيرًا**﴾: يمنعنا منهم؟ وقد استجاب الله دعاءهم، فيسّر لبعضهم الخُروجَ، وبقي بعضهم إلى أن فُتحت مكّة، وولّى عليهم ﷺ عتّابَ بنَ أَسِيدٍ[٢]، فأنصفَ مظلومهم من ظالمهم. ﴿٧٦﴾ ـ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ، والَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ الطّاغُوتِ**﴾: الشيطانِ. ﴿**فقاتِلُوا أولِياءَ الشَّيطانِ**﴾: أنصارَ دِينه، تغلبوهم لقوّتكم بالله. ﴿**إنَّ كَيدَ الشَّيطانِ**﴾ بالمُؤمنين ﴿**كانَ ضَعِيفًا**﴾: واهيًا، لا يُقاوِم كيد الله بالكافرين.

﴿٧٧﴾ ـ ﴿**ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُم: كُفُّوا أيدِيَكُم**﴾ عن قِتال الكُفّار، لمّا طلبوه بمكّة لأذى الكُفّار لهم[٣] ـ وهم جماعة من الصحابة ـ ﴿**وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ. فلَمّا كُتِبَ**﴾: فُرض ﴿**علَيهِمِ القِتالُ إذا فَرِيقٌ مِنهُم يَخشَونَ**﴾: يخافون ﴿**النّاسَ**﴾: الكُفّارَ، أي: عذابَهم بالقتل ﴿**كَخَشْيَةِ**﴾ ـهم عذابَ ﴿**اللهِ أو أشَدَّ خَشْيةً**﴾ من خشيتهم له؟ ونُصبَ «أشدَّ» على الحال، وجواب «لمّا» دلَّ عليه «إذا» وما بعدها، أي: فاجأهمُ الخَشيةُ، ﴿**وقالُوا**﴾ جزَعًا من الموت: ﴿**رَبَّنا، لِمَ كَتَبتَ علَينا القِتالَ؟ لَولا**﴾: هلّا ﴿**أخَّرْتَنا إلَى أجَلٍ قَرِيبٍ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**مَتاعُ الدُّنيا**﴾: ما يُتمتّع به فيها أو الاستمتاعُ بها ﴿**قَلِيلٌ**﴾ آيِلٌ إلى الفناء، ﴿**والآخِرةُ**﴾ أي: الجنّة ﴿**خَيرٌ لِمَنِ اتَّقَى**﴾ عِقابَ الله بترك معصيته، ﴿**ولا تُظلَمُونَ**﴾ ـ بالتاء والياء ـ تُنقَصون من أعمالكم ﴿**فَتِيلاً**﴾: قَدْرَ قِشرة النواة. فجاهِدوا. ﴿٧٨﴾ ـ ﴿**أينَما تَكُونُوا يُدرِكْكُمُ المَوتُ**[٤]، **ولَو كُنتُم في بُرُوجٍ**﴾: حُصون ﴿**مُشَيَّدةٍ**﴾: مرتفعة. فلا تخشَوُا القتالَ خوفَ الموت.

﴿**وإنْ تُصِبْهُم**﴾ أي: اليهودَ ﴿**حَسَنةٌ**﴾: خِصب وسَعة ﴿**يَقُولُوا: هذِهِ مِن عِندِ اللهِ. وإنْ تُصِبْهُم سَيِّئةٌ**﴾: جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبيّ ﷺ المدينةَ ﴿**يَقُولُوا: هذِهِ مِن عِندِكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ أي: بشُؤمك. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**كُلٌّ**﴾ من الحسنة والسيّئة ﴿**مِن عِندِ اللهِ**﴾: من قِبَلِه. ﴿**فما لِهؤُلاءِ القَومِ، لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ**﴾ أي: لا يُقاربون أن يفهموا ﴿**حَدِيثًا**﴾ يُلقى إليهم؟ وما: استفهامُ تعجيبٍ من فَرط جهلهم، ونفيُ مُقاربة الفعل أشدّ من نفيه.

﴿٧٩﴾ ـ ﴿**ما أصابَكَ**﴾ ـ أيّها الإنسان ـ ﴿**مِن حَسَنةٍ**﴾: خيرٍ ﴿**فمِنَ اللهِ**﴾ أَتتك فضلاً منه، ﴿**وما أصابَكَ مِن سَيِّئةٍ**﴾: بليّةٍ ﴿**فمِن نَفسِكَ**﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذُّنوب. ﴿**وأرسَلناكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**لِلنّاسِ رَسُولاً**﴾: حالٌ مؤكِّدة، ﴿**وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**﴾ على رِسالتك!

﴿٨٠﴾ ـ ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فقَد أطاعَ اللهَ**[٥]، **ومَن تَوَلَّى**﴾: أَعرض عن طاعتِه فلا يُهِمَّنَّك ﴿**فما أرسَلْناكَ عَلَيهِم حَفِيظًا**﴾: حافظًا لأعمالهم بل نذيرًا، وإلينا أمرهم فنُجازيهم. وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿الطّاغوت﴾: الشَّيطانِ وسبيلُهُ الكفرُ. ﴿فتيلاً﴾: قدرَ الخيطِ الرَّقيقِ في شقِّ النَّواةِ. ﴿بروج﴾: حصونٍ وقلاعٍ. أو قصورٍ. ﴿مُشيّدة﴾: مُحكمةٍ أو مُطوَّلةٍ مُرتفعةٍ.

(١) البخاري (١٣٥٧).

(٢) «البسيط» للواحدي (٦/ ٦٠٢) عن ابن عباس، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٣١٨) عن الكلبي.

(٣) النسائي (٣٠٨٦)، والطبري (٧/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٥)، عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له طلبوا الإذن بالقتال من النبي ﷺ في مكة فلم يؤذن لهم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فنزلت.

(٤) قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لمَّا استُشهدَ مَن استُشهدَ يومَ أحدٍ قال المنافقون الذين تخلَّفوا عن الجهاد: لو كان إخوانُنا الذين قُتلوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، فنزلَت. الواحدي (ص: ١٦٧)، و«العجاب» (٢/ ٩١٩)، وفيه: أنه من طريق الكلبي عن أبي صالح. وبهذه الآية ينتهي ما وجد من «العجاب» من أسباب النزول.

(٥) نزلت لمَّا قال عليه السَّلامُ: «مَن أحبَّني فقد أحبَّ الله، ومَن أطاعَني فقد أطاعَ الله»، فقال المُنافقون: لقد قارَفَ الشِّركَ وهو ينهَى أن يُعبَدَ غيرُ الله، وما يُريدُ إلاّ أن نتَّخِذَه ربًّا كما اتَّخذَتِ النَّصارَى عيسى، فنزلَت تصديقًا لقولِه عليه السَّلامُ. «تفسير مقاتل» (١/ ٣٩١)، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٣٦): غريب جدًا.

مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ
بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ
لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ
أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾
فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ
نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟
بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

﴿٨١﴾ ـ ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾ أي: المنافقون، إذا جاؤوك: أمرُنا ﴿**طاعةٌ**﴾ لك. ﴿**فإذا بَرَزُوا**﴾: خرجوا ﴿**مِن عِندِكَ بَيَّتَ طَّائفةٌ مِنهُم**﴾ ـ بإدغامِ التاء في الطاء وتركِه ـ أي: أضمرتْ ﴿**غَيرَ الَّذِي تَقُولُ**﴾ لك في حُضورك من الطاعة، أي: عِصيانَك، ﴿**واللهُ يَكتُبُ**﴾: يأمر بكتب ﴿**ما يُبَيِّتُونَ**﴾ في صحائفهم ليُجازَوا عليه.

﴿**فأعرِضْ عَنهُم**﴾ بالصفح، ﴿**وتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾: ثِقْ به فإنه كافيك، ﴿**وكَفَى باللهِ وَكِيلاً**﴾: مُفوَّضًا إليه! ﴿٨٢﴾ ـ ﴿**أفلا يَتَدَبَّرُونَ**﴾: يتأمّلون ﴿**القُرآنَ**﴾ وما فيه من المعاني البديعة؟ ﴿**ولَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافًا كَثِيرًا**﴾: تناقضًا في معانيه وتباينًا في نظمه.

﴿٨٣﴾ ـ ﴿**وإذا جاءَهُم أمرٌ**﴾ عن سرايا النبيِّ ﷺ ممّا حصل لهم ﴿**مِنَ الأمنِ**﴾ بالنصر ﴿**أوِ الخَوفِ**﴾ بالهزيمة ﴿**أذاعُوا بِهِ**﴾: أفشَوه. نزلَ في جماعة من المُنافقين[1] أو في ضُعفاء المؤمنين، كانوا يفعلون ذلك، فتضعُف قلوبُ المؤمنين ويتأذَّى النبيّ ﷺ، ﴿**ولَو رَدُّوهُ**﴾ أي: الخبرَ ﴿**إلَى الرَّسُولِ وإلَى أُولِي الأمرِ مِنهُم**﴾ أي: ذوِي الرأي من أكابر الصحابة، أي: لو سكتوا عنه حتّى يُخبَروا به ﴿**لَعَلِمَهُ**﴾: هل هو ممّا ينبغي أن يذاع؟ أو لا ﴿**الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ**﴾: يتّبعونه ويطلبون عِلمه ـ وهم المُذيعون ـ ﴿**مِنهُم**﴾: منَ الرسول وأولي الأمر. ﴿**ولَولا فَضلُ اللهِ عَلَيكُم**﴾ بالإسلام ﴿**ورَحمَتُهُ**﴾ لكم بالقرآن ﴿**لاتَّبَعتُمُ الشَّيطانَ**﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿**إلّا قَلِيلاً**﴾.

﴿٨٤﴾ ـ ﴿**فقاتِلْ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**في سَبِيلِ اللهِ، لا تُكَلَّفُ إلّا نَفسَكَ**﴾، فلا تهتمَّ بتخلّفهم عنك. المعنى: قاتل ولو وحدَك، فإنك موعود بالنصر، ﴿**وحَرِّضِ المُؤمِنِينَ**﴾: حُثَّهم على القِتال ورَغّبْهم فيه، ﴿**عَسَى اللهُ أنْ يَكُفَّ بأسَ**﴾: حربَ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا. واللهُ أشَدُّ بأسًا**﴾ منهم ﴿**وأشَدُّ تَنكِيلاً**﴾: تعذيبًا منهم. فقال ﷺ: «والَّذي نَفسِي بِيَدِهِ لأخرُجَنَّ ولَو وَحدِي»، فخرج بسبعين راكبًا إلى بدر الصُّغرى[2]، فكفَّ اللهُ بأسَ الكُفّار بإلقاء الرُّعب في قُلوبهم، ومَنَعَ أبا سُفيان عن الخروج كما تقدّم في «آل عمران».

﴿٨٥﴾ ـ ﴿**مَن يَشفَعْ**﴾ بين الناس ﴿**شَفاعةً حَسَنةً**﴾: مُوافقة للشرع ﴿**يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ**﴾ من الأجر ﴿**مِنها**﴾: بسببها، ﴿**ومَن يَشفَعْ شَفاعةً سَيِّئةً**﴾: مُخالفة له ﴿**يَكُنْ لَهُ كِفلٌ**﴾: نصيب من الوِزر ﴿**مِنها**﴾: بسببها. ﴿**وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقِيتًا**﴾: مقتدرًا فيُجازي كلّ أحد بما عمل.

﴿٨٦﴾ ـ ﴿**وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيّةٍ**﴾ كأنْ قِيل لكم: سلامٌ عليكم ﴿**فحَيُّوا**﴾ المُحيِّيَ ﴿**بأحسَنَ مِنها**﴾ بأن تقولوا له: عليك السلامُ ورحمةُ الله وبركاته، ﴿**أو رُدُّوها**﴾ بأن تقولوا له كما قال، أي: الواجبُ أحدهما، والأوّل أفضل. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ على كُلِّ شَيءٍ حَسِيبًا**﴾: مُحاسبًا فيُجازي عليه، ومنه ردُّ السلام ـ وخَصّت السُّنّةُ الكافرَ والمُبتدِعَ والفاسقَ والمسلِّمَ على قاضي الحاجة، ومَن في الحمّام والآكلِ، فلا يجب الردّ عليهم، بل يُكره في غير الأخير. ويقال للكافر: وعليكَ ـ ....

﴿حفيظًا﴾: حافظاً مُهيمناً ورقيباً. ﴿برزوا﴾: خرجوا. ﴿بَيّت طائفة﴾: دبَّرَتْ بليلٍ، أو زوَّرَتْ وسوَّتْ. ﴿أذاعوا به﴾: أفشوهُ وأشاعوهُ وذلكَ مفسدةٌ. ﴿يستنبطونه﴾: يستخرجونَ تدبيرَهُ، أو عِلمَهُ. ﴿بَأس..﴾: نكايةَ وبطْش وشِدَّة. ﴿أشدُّ بأساً﴾: أعظمُ قوّةً وصولةً. ﴿أشدّ تنكيلاً﴾: أشدُّ تعذيباً وعقاباً. ﴿كِفلٌ منها﴾: نصيبٌ وحظٌّ مِن وِزْرِها. ﴿مُقيتًا﴾: مُقْتدراً. أو حفيظاً. ﴿حسيبًا﴾: مُحاسباً ومُجازياً، أو شهيداً.

(١) «النكت والعيون» (١/ ٥١١) عن الضحاك. وقوله: «أو ضعفاء المؤمنين» «النكت والعيون» (١/ ٥١١) عن الحسن. وجمع ابن زيد القولين فيما رواه عنه الطبري (٧/ ٢٥٤) أنه قال: والذين أذاعوا به قومٌ إمَّا منافقون وإمَّا آخرون ضعفاءُ. وعن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية ﴿وإذا جاءهم..﴾ فكنت أنا استنبطتُ ذلك الأمر. مسلم (١٤٧٩) مطولاً، و«لباب النقول» (ص: ٦٤).

(٢) ذكره في سبب نزول هذه الآية دون عزو كل من أبي الليث والثعلبي والبغوي والزمخشري والقرطبي، وعزاه الطبرسي في «مجمع البيان» (٥/ ١٧٦ ـ ١٧٧) للكلبي، والكلبي متروك، وهو يخالف ما عند النسائي في «الكبرى» (١١٠١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه سبب نزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤]. وانظر ما تقدم عند تفسير الآية المذكورة.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ
وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ
أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ
كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ
صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ
لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ
مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ
إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ
ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

الحزب ١٠

﴿٨٧﴾ ـ ﴿اللهُ لا إلـٰهَ إلّا هُوَ﴾، واللهِ ﴿لَيَجمَعَنَّكُم﴾ من قُبوركم ﴿إلى﴾: في ﴿يَومِ القِيامةِ، لاريبَ﴾: شكَّ ﴿فيهِ، ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أصدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾: قولاً؟

ولمّا رجَع ناس من أُحُد اختلف الناس فيهم[1]، فقال فريقٌ: اقتلْهم. وقال فريق: لا. فنزل: ﴿٨٨﴾ ـ ﴿فما لكُم﴾ أي: ما شأنكم صِرتم ﴿في المُنافِقينَ فِئتَينِ﴾: فرقتَين، ﴿واللهُ أركَسَهم﴾: ردّهم ﴿بما كَسَبُوا﴾ من الكُفر والمعاصي؟ ﴿أتُريدُونَ أن تهدُوا مَن أضَلَّ﴾ ﴿اللهُ﴾ أي: تَعدُّوهم من جُملة المُهتدين؟ والاستفهامُ في الموضعين للإنكار ـ ﴿ومَن يُضْلِلِ اللهُ فلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾: طريقًا إلى الهُدى ـ

﴿٨٩﴾ ـ ﴿وَدُّوا﴾: تمنَّوا ﴿لو تكفُرُونَ كما كَفَرُوا، فتكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَواءً﴾ في الكُفر. ﴿فلا تَتَّخِذُوا مِنهُم أولِياءَ﴾ تُوالونهم، وإن أظهروا الإيمان، ﴿حَتَّى يُهاجِرُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ هِجرةً صحيحة تُحقِّق إيمانهم. ﴿فإنْ تَوَلَّوا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فخُذُوهُم﴾ بالأسر، ﴿واقتُلُوهُم حَيثُ وَجَدتُمُوهُم، ولا تَتَّخِذُوا مِنهُم وَلِيًّا﴾ تُوالونه ﴿ولا نَصِيرًا﴾ تنتصرون به على عدوّكم.

﴿٩٠﴾ ـ ﴿إلّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يلجؤون ﴿إلى قَومٍ، بَينَكُم وبَينَهُم مِيثاقٌ﴾: عهدٌ بالأمان لهم ولمن وصلَ إليهم كما عاهد النبيُّ هِلالَ بنَ عُويمِرٍ الأسلميَّ[2]، ﴿أوْ﴾ الّذين ﴿جاؤُوكُم﴾ وقد ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت ﴿صُدُورُهُم﴾ عن ﴿أنْ يُقاتِلُوكُم﴾ مع قومهم ﴿أو يُقاتِلُوا قَومَهُم﴾ معكم، أي: مُمسكينَ عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرّضوا إليهم بأخذ ولا قتل ـ وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف[3]. ﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ تسليطَهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُم علَيكُم﴾ بأن يُقوّيَ قلوبَهم، ﴿فلَقاتَلُوكُم﴾، ولكنه لم يشأه، فألقى في قلوبهم الرُّعب ـ ﴿فإنِ اعتَزَلُوكُم فلَم يُقاتِلُوكُم، وألقَوا إلَيكُمُ السَّلَمَ﴾: الصُّلحَ أي: انقادوا، ﴿فما جَعَلَ اللهُ لكُم علَيهِم سَبِيلاً﴾: طريقًا بالأخذ والقتل.

﴿٩١﴾ ـ ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ، يُرِيدُونَ أنْ يأمَنُوكُم﴾ بإظهار الإيمان عندكم، ﴿ويأمَنُوا قَومَهُم﴾ بالكُفر إذا رجعوا إليهم ـ وهم أسدٌ وغطفانُ ـ ﴿كُلَّما رُدُّوا إلَى الفِتنَةِ﴾: دُعوا إلى الشِّرك ﴿أُركِسُوا فِيها﴾: وقعوا أشدَّ وقوع. ﴿فإنْ لَم يَعتَزِلُوكُم﴾ بترك قِتالكم، ﴿و﴾ لم ﴿يُلقُوا إلَيكُمُ السَّلَمَ و﴾ لم ﴿يَكُفُّوا أيدِيَهُم﴾ عنكم، ﴿فخُذُوهُم﴾ بالأسر، ﴿واقتُلُوهُم حَيثُ ثَقِفتُمُوهُم﴾: وجدتُموهم. ﴿وأُولئِكُم جَعَلْنا لكُم علَيهِم سُلطانًا مُبِينًا﴾: بُرهانًا بيّنًا ظاهرًا على قتلهم وسبيهم لغدرهم.

﴿أركسهم﴾: نكّسَهُم وردَّهُم إلى حُكمِ الكُفرِ. ﴿حصِرت صدُورُهم﴾: ضاقَتْ وانقبَضَتْ. ﴿السَّلَمَ﴾: الاستسلامَ والانقيادَ للصُّلحِ. ﴿أُركِسوا فيها﴾: قُلِبُوا في الفتنةِ أشنعَ قلبٍ. ﴿ثقِفتموهم﴾: وجدتُموهُم أو تمكَّنْتُم منهُم.

(١) البخاري (١٨٨٤)، ومسلم (٢٧٧٦)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. وقيلَ: نزلَتْ في قومٍ منَ العربِ قدِمُوا المدينةَ وأسلَمُوا، فأصابَهم وباؤها فخرَجُوا منها، فقال لهم نفرٌ من أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ: ما لكم رجَعْتُم، أمَا لكُم في رسولِ الله أُسوةٌ؟ فقال بعضُهم: نافَقوا، وقال البعضُ: لـم يُنافِقُوا. أحمد في «المسند» (١٦٦٧) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. وقال في «المجمع» (٧/ ٧): فيه ابن إسحاق وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه. وروي عن ابن سعد بن معاذ أنها نزلت في حادثة الإفك، لمَّا جرى بين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ما جرى من الخصام، رواه ابن المنذر (٢٠٨٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٣)، والقصة في الصحيحين دون ذكر النزول.

(٢) عن مجاهدٍ: ﴿أو جاؤكم حَصِرَتْ صُدُورهم﴾: هلال بن عويمرٍ، وهو الذي حصِرَ صدرُه أن يقاتل المؤمنين أو يقاتل قومه. ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٨). وروى الطبري (٧/ ٢٩٣) عن عكرمة: «نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بن جعشم، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف». وهكذا رواه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٧) عن عكرمة عن ابن عباس. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦١٢) عن الحسن خبراً طويلاً فيه أن الآية نزلت في بني مدلج كرِهوا قتالَ الفريقين، فأُخذ عليهم أن لا يُعِينوا على رسول الله ﷺ، فإن أسلمت قريشٌ أسلموا معهم، قال الحسن: فالذين حصرت صدورهم بنو مدلجٍ.

(٣) أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٦٦)، وابن المنذر (٢٠٩١)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٧)، بإسناد ضعيف عن ابن عباس. ورواه الطبري (٧/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) عن قتادة وابن زيد.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

﴿٩٢﴾ ـ ﴿**وما كانَ لِمُؤمِنٍ أنْ يَقتُلَ مُؤمِنًا**﴾[1] أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتلٌ له ﴿**إلّا خطَأً**﴾: مُخطئًا في قتله من غير قصد، ﴿**ومَن قَتَلَ مُؤمِنًا خطأً**﴾ بأن قصدَ رميَ غيره كصيد أو شجرة فأصابه، أو ضربه بما لا يَقتل غالبًا، ﴿**فتحريرُ**﴾: عتقُ ﴿**رقَبةٍ**﴾: نَسَمةٍ ﴿**مؤمنةٍ**﴾ عليه ﴿**ودِيَةٌ مُسَلَّمةٌ**﴾: مُؤدّاة ﴿**إلى أهلِهِ**﴾ أي: ورثةِ المقتول، ﴿**إلّا أنْ يَصَّدَّقُوا**﴾: يتصدّقوا عليه بها، بأن يعفوا عنها. وبيّنَتِ السُّنّة أنها مِائةٌ من الإبل: عشرون بنتُ مَخاض، وكذا بناتُ لَبُونٍ وبنو لَبُونٍ وحِقاقٌ وجِذاعٌ، وأنها على عاقلةِ القاتلِ ـ وهم عَصَبتُه ـ إلّا الأصلَ والفرع، مُوزّعةً عليهم على ثلاث سنين، على الغنيِّ منهم نِصفُ دينار والمتوسّطِ رُبعٌ كلَّ سنة. فإن لم يفُوا فمِن بيت المال، فإن تعذّر فعلى الجاني.

﴿**فإنْ كانَ**﴾ المقتول ﴿**مِن قومٍ عَدُوٍّ**﴾: حربٍ ﴿**لَكُم، وهُوَ مُؤمِنٌ، فتحريرُ رَقَبةٍ مُؤمنةٍ**﴾ على قاتله كفّارةً، ولا دِيَةَ تُسلَّم إلى أهله لحِرابتهم، ﴿**وإنْ كانَ**﴾ المقتول ﴿**مِن قومٍ بينَكُم وبينَهُم ميثاقٌ**﴾: عهدٌ كأهل الذِّمّة ﴿**فَدِيَةٌ**﴾ له، ﴿**مُسلَّمةٌ إلى أهلِهِ**﴾ ـ وهي ثُلُث دِيةِ المؤمنِ إن كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، وثلثا عُشرِها إن كان مجوسيًّا ـ ﴿**وتَحريرُ رَقَبةٍ مُؤمنةٍ**﴾ على قاتله، ﴿**فمَن لَم يَجِدْ**﴾ الرقبة بأن فقَدها وما يُحصِّلها به ﴿**فصِيامُ شَهرَينِ مُتَتابِعَينِ**﴾ عليه كفّارةً ـ ولم يذكرِ اللهُ تعالى الانتقال إلى الطعام كالظِّهار. وبه أخَذ الشافعيّ في أصحّ قولَيه ـ ﴿**تَوبةً مِنَ اللهِ**﴾: مصدر منصوب بفعله المقدّر. ﴿**وكانَ اللهُ عَليمًا**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمًا**﴾ فيما دبّره لهم.

﴿٩٣﴾ ـ ﴿**ومَن يَقتُلْ مُؤمنًا مُتعَمِّدًا**﴾[2] بأن يقصِد قتله بما يَقتل غالبًا عالمًا بإيمانه ﴿**فجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِدًا فِيها، وغَضِبَ اللهُ علَيهِ ولَعَنَهُ**﴾: أبعده من رحمته، ﴿**وأعَدَّ لَهُ عَذابًا عَظِيمًا**﴾ في النار. وهذا مُؤوّلٌ بمن يستحلّه، أو بأنّ هذا جزاؤه إن جُوزي، ولا بِدْع في خُلف الوعيد لقوله: «ويَغفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَن يَشاءُ».

وعن ابن عبّاس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة[3]. وبيّنتْ آيةُ «البقرة» أنّ قاتل العَمد يُقتل به وأنّ عليه الدِّيَةَ إن عُفي عنه، وسَبَق قَدرُها، وبيّنَتِ السُّنّة أنّ بين العَمد والخطأ قتلاً يُسمَّى شِبهَ العَمد ـ وهو أن يَقتله بما لا يَقتل غالبًا ـ فلا قِصاص فيه، بل دِية كالعمدِ في الصفة والخطأِ في التأجيل والحمل، وهو والعمدُ أولى بالكفّارة من الخطأ.

ونزل لمّا مرّ نفر من الصحابة برجل من بني سُليم وهو يسوق غنمًا فسلّم عليهم[4]، فقالوا: ما سلّم علينا إلّا تَقِيّةً، فقتلوه واستاقوا غنمه:

﴿٩٤﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، إذا ضَرَبتُم**﴾: سافرتم للجهاد ﴿**في سَبِيلِ اللهِ فتَبيَّنُوا**﴾ ـ وفي قراءة «فتَثَبَّتُوا» بالمُثلّثة في الموضعين ـ ﴿**ولا تَقُولُوا لِمَن ألقَى إلَيكُمُ السَّلامَ**﴾، بألِف ودونها، أي: التحيّةَ أو الانقيادَ بقول كلمة الشهادة التي هي أمارة على إسلامه:

﴿**لَستَ مُؤمنًا**﴾، وإنّما قُلتَ هذا تقيّةً لنفسك ومالك. فتقتلوه ﴿**تَبتَغُونَ**﴾: تطلبون بذلك ﴿**عَرَضَ الحياةِ الدُّنيا**﴾: متاعَها من الغنيمة ـ ﴿**فعِندَ اللهِ مَغانِمُ كَثيرةٌ**﴾ تُغنيكم عن قتل مِثله لماله. ﴿**كَذلِكَ كُنتُم مِن قَبلُ**﴾، تُعصم دِماؤكم وأموالكم بمجرّد قولكم الشهادة، ﴿**فمَنَّ اللهُ علَيكُم**﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ـ ﴿**فتَبيَّنُوا**﴾ أن تقتلوا مؤمنًا، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم. ﴿**إنَّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلُونَ خَبيرًا**﴾ فيُجازيكم به.

﴿ضربتم﴾: سافرتُم وذهبتُم. ﴿السّلام﴾: الاستسلامَ أو تحيّةَ الإسلام. ﴿عرض الحياة الدّنيا﴾: الغنيمةَ وهيَ مالٌ زائلٌ.

(١) نزلَت في قتل عياش بن أبي ربيعة للحارثِ بنِ يزيد، وكان الحارث قد أعان أبا جهل على إرجاع عيّاشٍ إلى أمه في مكة لما خرج مهاجراً، ثمّ إنّ عيّاشًا هاجرَ بعد ذلك إلى المدينةِ، ثم أسلَمَ الحارثُ أيضاً وهاجرَ ولـم يعلَمْ عيّاشٌ بإسلامِه، فلقِيَه يومًا فحمَلَ عليه وقتَلَه، فنزلَت. الطبري (٧/ ٣٠٧) عن عكرمة، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣١) عن سعيد بن جبير. والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١٠/ ١٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨٣٠)، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه. وذكره الواحدي (ص: ١٦٩) عن الكلبي مبسوطاً مطولاً.

(٢) نزلَتْ في مقيسِ بنِ صُبابةَ، وجدَ أخاه هشامًا قتيلاً في بني النَّجّارِ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ معه رسولاً من بني فهرٍ إليهم أنِ ادفعوا إلى مقيسٍ قاتل أخيه إن علمتُموه وإلا فالدِّيةُ، فقالوا: والله ما نعلَمُ له قاتلًا، فأعطَوه ديته مئةً منَ الإبلِ، فلما انصرفا راجعين عمد مقيس إلى الفِهريِّ فقتله ولحق بمكّةَ كافرًا، فنزلَتْ هذه الآيةُ. الطبري (٧/ ٣٤١) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧) عن سعيد بن جبير، والبيهقي في «الشعب» (٢٩٢) من طريق الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري (٧/ ٣٤١) عن ابن جريج عن عكرمة وفيه: فأعطاه النبيُّ ﷺ الدِّيَةَ فقبلها، ثُم وثب على قاتل أخيه فقتَله.

(٣) البخاري (٤٧٦٤)، ومسلم (٣٠٢٣/ ٢٠).

(٤) البخاري (٤٥٩١)، ومسلم (٣٠٢٥)، عن ابن عباس. وهذا أصح ما جاء في نزولها، وروي في ذلك قصص غير هذه لكنها تدور في معناها، ولا يتسع المجال لذكرها هنا تنظر في «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٢ ـ ١٧٥)، و«لباب النقول» (ص: ٦٦ ـ ٦٧).

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن
يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن
يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ
وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

﴿٩٥﴾ ـ ﴿لا يَستَوِي القاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ عنِ الجِهاد ﴿غَيرُ أولِي الضَّرَرِ﴾[1] ـ بالرفعِ صفةً والنصبِ استثناءً ـ من زمانةٍ أو عمًى أو نحوه ﴿والمُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ بأموالِهِم وأنفُسِهِم. فَضَّلَ اللهُ المُجاهِدِينَ بأموالِهِم وأنفُسِهِم علَى القاعِدِينَ﴾ لضررٍ ﴿دَرَجَةً﴾: فضيلة لاستوائهما في النيّة وزيادة المجاهدين بالمباشرة ـ ﴿وكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللهُ الحُسنَى﴾: الجنّة ـ ﴿وفَضَّلَ اللهُ المُجاهِدِينَ علَى القاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾، ويُبدل منه: ﴿٩٦﴾ ـ ﴿دَرَجاتٍ مِنهُ﴾: منازلَ بعضها فوق بعض من الكرامة، ﴿ومَغفِرةً ورَحمةً﴾: منصوبان بفعلهما المُقدّر. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

ونزل في جماعة أسلموا ولم يُهاجروا، فقُتلوا يوم بدر مع الكُفّار[2]: ﴿٩٧﴾ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائكةُ ظالِمِي أنفُسِهِم﴾ بالمُقام مع الكُفّار وترك الهجرة، ﴿قالُوا﴾ لهم مُوبّخين: ﴿فِيمَ كُنتُم﴾ أي: في أيّ شيء كنتم في أمر دينكم؟ ﴿قالُوا﴾ مُعتذرين: ﴿كُنّا مُستَضعَفِينَ﴾: عاجزين عن إقامة الدين ﴿في الأرضِ﴾: أرض مكّة. ﴿قالُوا﴾ لهم توبيخًا: ﴿ألَم تَكُن أرضُ اللهِ واسِعةً، فتُهاجِرُوا فِيها﴾ من أرض الكُفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم؟ قال الله تعالى: ﴿فأُولئِكَ مأواهُم جَهَنَّمُ، وساءَتْ مَصِيرًا﴾ هي! ﴿٩٨﴾ ـ ﴿إلّا المُستَضعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلدانِ﴾ الذين ﴿لا يَستَطِيعُونَ حِيلةً﴾: لا قُوّة لهم على الهجرة ولا نفقة، ﴿ولا يَهتَدُونَ سَبِيلًا﴾: طريقًا إلى أرض الهجرة. ﴿٩٩﴾ ـ ﴿فأُولئِكَ عَسَى اللهُ أن يَعفُوَ عَنهُم. وكانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿١٠٠﴾ ـ ﴿ومَن يُهاجِرْ في سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ في الأرضِ مُراغَمًا﴾: مُهاجَرًا ﴿كَثِيرًا وسَعةً﴾ في الرِّزق، ﴿ومَن يَخرُجْ مِن بَيتِهِ مُهاجِرًا إلَى اللهِ ورَسُولِهِ، ثُمَّ يُدرِكْهُ المَوتُ﴾ في الطريق كما وقع لجُندُع بنِ ضَمرةَ الليثيّ[3] ﴿فقَد وَقَعَ﴾: ثَبَتَ ﴿أجرُهُ علَى اللهِ. وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿١٠١﴾ ـ ﴿وإذا ضَرَبتُم﴾: سافرتم ﴿في الأرضِ﴾[4] ﴿فلَيسَ علَيكُم جُناحٌ﴾ في ﴿أن تَقصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾ بأن تردّوها من أربع إلى اثنتين، ﴿إنْ خِفتُم أنْ يَفتِنَكُمُ﴾ أي: ينالكم بمكروهٍ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيانٌ للواقع إذ ذاك، فلا مَفهوم له. وبَيَّنَتِ السُّنّة أنّ المُراد بالسفرِ الطويلُ، وهو أربعة بُرُدٍ وهي مرحلتان. ويُؤخذ من قوله «فلَيسَ علَيكُم جُناحٌ» أنه رُخصة لا واجب، وعليه الشافعيّ. ﴿إنَّ الكافِرِينَ كانُوا لَكُم عَدُوًّا مُبِينًا﴾: بيِّنَ العداوة.

﴿أُولِي الضَّرر﴾: أربابِ العذرِ المانعِ مِنَ الجهادِ. ﴿مراغمًا﴾: مُهاجَراً ومُتحوَّلاً يَنْتَقِلُ إليهِ. ﴿يفتِنكم﴾: ينالكُم بمكروهِ.

(١) عن البراء: لمَّا نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسولُ الله ﷺ زيدًا، فجاء بكتفٍ فكتبها، وشكا ابنُ أُم مكتوم ضَرَارته، فنزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. البخاري (٢٨٣١)، ومسلم (١٨٩٨). وبنحوه من حديث زيد بن ثابت عند البخاري (٢٨٣٢)، ومسلم (١٨٩٨).

(٢) الطبري (٧/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٦)، وروى البخاري (٤٥٩٦) عن ابن عباس: أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيُرمَى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيُقتل، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾.

(٣) ذكره الواحدي (ص: ١٧٨) عن ابن عباس من رواية عطاء وسماه: «حبيب بن ضمرة»، ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٥١) عن ابن عباس من رواية عكرمة، وفيه: «ضمرة بن جندب»، ومن هذا الطريق عن ابن عباس رواه الطبري (٧/ ٣٩٨) وفيه: «ضمرة من بني بكر»، ورواه الطبري أيضاً (٧/ ٣٩٦) عن عكرمة، وفيه: «جندب بن ضمرة»، وهذه القصة هي سبب نزول الآية. وقيل في اسمه أيضًا: «ضمرة بن العيص»، و«العيص بن ضمرة»، و«ضمضم بن عمرو». انظر: «الإصابة» (١/ ٦١٨ ـ ٦١٩).

(٤) عن علي قال: سأل قومٌ من التجار رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فنزلت إلى قوله: ﴿أن تقصروا من الصلاة﴾..، وتتمة الخبر في نزول قوله تعالى: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ بنحو الخبر الآتي في نزول الآية التي بعدها، وذاك الخبر أصح؛ لأن هذا في إسناده سيف بن عمر وهو متروك. الطبري (٧/ ٤٠٦)، «لباب النقول» (ص: ٧٠).

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِي
ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ
بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

﴿١٠٢﴾ ـ ﴿وإذا كُنتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ حاضرًا ﴿فيهم﴾، وأنتم تخافون العدوّ، ﴿فأقَمتَ لَهُمُ الصَّلاةَ﴾[1] ـ وهذا جَرْيٌ على عادة القرآن في الخِطاب، فلا مفهوم له ـ ﴿فلْتَقُمْ طائفةٌ مِنهُم مَعَكَ﴾ وتتأخّرْ طائفة، ﴿ولْيأخُذُوا﴾ أي: الطائفةُ التي قامت معك ﴿أسلِحتَهُم﴾ معهم، ﴿فإذا سَجَدُوا﴾ أي: صلَّوا ﴿فلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفةُ الأُخرى ﴿مِن وَرائكُم﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهبَ هذه الطائفة تحرسُ، ﴿ولْتأتِ طائفةٌ أُخرَى لَم يُصَلُّوا فلْيُصَلُّوا مَعَكَ، ولْيأخُذُوا حِذْرَهُم وأسلِحتَهُم﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة. وقد فعل النبيّ ﷺ كذلك ببطن نخل. رواه الشيخان. ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو تَغفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَن أسلِحتِكُم وأمتِعتِكُم، فيَمِيلُونَ عليكُم مَيلةً واحِدةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم. وهذا عِلّة الأمر بأخذ السلاح.

﴿ولا جُناحَ عليكُم، إنْ كَانَ بِكُم أذًى مِن مَطَرٍ أو كُنتُم مَرضَى[2]، أنْ تَضَعُوا أسلِحتَكُم﴾ فلا تحملوها ـ وهذا يُفيد إيجاب حملها عند عدم العُذر، وهو أحد قولَي الشافعيّ، والثاني أنّه سُنّة ورُجِّح ـ ﴿وخُذُوا حِذْرَكُم﴾ من العدوّ أي: احترزوا منه ما استطعتم ـ ﴿إنَّ اللهَ أعَدَّ لِلكافِرِينَ عَذابًا مُهِينًا﴾: ذا إهانة ـ

﴿١٠٣﴾ ـ ﴿فإذا قَضَيتُمُ الصَّلاةَ﴾: فرَغتم منها ﴿فاذكُرُوا اللهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيامًا وقُعُودًا وعلَى جُنُوبِكُم﴾: مضطجعين، أي: في كُلّ حال، ﴿فإذا طْمأنَنتُم﴾: أمِنتم ﴿فأقِيمُوا الصَّلاةَ﴾: أدُّوها بحُقوقها. ﴿إنَّ الصَّلاةَ كانَتْ علَى المُؤمِنِينَ كِتابًا﴾: مكتوبًا أي: مفروضًا ﴿مَوقُوتًا﴾ أي: مُقدّرًا وقتها، فلا تُؤخَّرُ عنه.

ونزل لَمّا بَعثَ النبيُّ ﷺ طائفة في طلب أبي سُفيانَ وأصحابِه، لمّا رَجعوا من أُحُد فشكَوُا الجراحاتِ: ﴿١٠٤﴾ ـ ﴿ولا تَهِنُوا﴾: تَضعُفوا ﴿في ابتغاءِ﴾: طلبِ ﴿القَومِ﴾ الكُفّارِ لتُقاتلوهم. ﴿إنْ تَكُونُوا تألَمُونَ﴾: تجدون ألم الجِراح ﴿فإنَّهُم يألَمُونَ كَما تألَمُونَ﴾ أي: مِثلكم، فلا تَجبُنوا عن قتالهم، ﴿وتَرجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿ما لا يَرجُونَ﴾ هم. فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه. ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بكُلّ شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه.

وسرقَ طُعمةُ بنُ أُبَيرِقَ دِرعًا وخَبَأها عند يهوديّ[3]، فوُجدت عنده، فرماه طُعمةُ بها وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومُه النبيَّ أن يُجادل عنه

﴿حِذرهم﴾: احترازَهُم مِن عدوِّهِم. ﴿تغفُلون﴾: تسهونَ. ﴿كتابًا موقوتًا﴾: مكتوباً محدودَ الأوقاتِ مقدَّراً. ﴿لا تهِنوا﴾: لا تضْعُفوا ولا تتوانَوا. ﴿خصيمًا﴾: مخاصِماً مُدافِعاً عنهُم.

(١) عن أبي عيّاشٍ الزُّرقيِّ رضي الله عنه قال: صلَّينا مع رسول الله ﷺ الظُّهرَ، فقال المشركون: قد كانوا على حالٍ لو كنّا أصبنا منهم غِرّةً، فقالوا: تأتي عليهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من آبائهم، قال: وهي العصرُ، قال: فنزلَ جبريلُ عليه السَّلام بهذه الآيات بين الأولى والعصرِ وهم بعُسفانَ. أبو داود (١٢٣٦)، والنسائي (١٥٥٠)، وابن حبان (٢٨٧٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٠)، وقال في «الإصابة» (٧/ ٢٤٥): سنده جيد.

(٢) عن ابن عباس: نزلت في عبد الرحمن بن عوف كان جريحاً. البخاري (٤٥٩٩)، و«لباب النقول» (ص: ٧٠). ولفظ البخاري: «هو» بدل: «نزلت في».

(٣) الطبري (٧/ ٤٥٨ ـ ٤٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وعكرمة. وخبر ابن عباس ضعيف جدًّا. ورواه مطولًا الترمذي (٣٠٣٦) من حديث قتادة بن النعمان. وقال: «غريب، ولا نعلم أسنده إلا محمد بن سلمة، ورواه غير واحد عن عاصم بن عمر مرسلاً». فالخبر ما بين مرسل ومتصل ضعيف، لكن قال الواحدي في «البسيط» (٧/ ٦٩) والكرماني في «لباب التفاسير» (٢/ ٤٢٣): أجمعَ المفسِّرون على أنَّ هذه الآياتِ نزلَت في طُعْمَةَ بنِ أُبَيْرِقٍ. زاد الكرماني: إلَّا ابنَ بحرٍ؛ فإنَّه قال: نزلَت في المنافقين، وهو متَّصلٌ بقولِه: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾. وعن محمود بن لبيد قال: عدا بشير بن الحارث على علِّية رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاماً له ودرعين بأداتهما، ثم رمى بذلك لبيد بن سهل رجلاً من أهل الدار ذا حسب ونسب، فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾. «طبقات ابن سعد» ط: الخانجي (٤/ ٢٦٥)، و«لباب النقول» (ص: ٧٠). وفيه الواقدي شيخ ابن سعد متروك.

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ
جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ
أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

ويبرّئه، فنزل: ﴿١٠٥﴾ ـ ﴿إنّا أنزلْنا إليكَ الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿بالحَقِّ﴾ متعلّق بـ «أنزل» ﴿لتَحكُمَ بَينَ النّاسِ بِما أراكَ﴾: علّمك ﴿اللهُ﴾ فيه، ﴿ولا تكُنْ للخائنينَ﴾ كطُعمةَ ﴿خَصِيمًا﴾: مُخاصمًا عنهم، ﴿١٠٦﴾ ـ ﴿واستَغفِرِ اللهَ﴾ مِمّا هممتَ به. ﴿إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿١٠٧﴾ ـ ﴿ولا تُجادِلْ عَنِ الَّذينَ يَختانُونَ أنفُسَهُم﴾: يخونونها بالمعاصي لأنّ وبال خيانتهم عليهم. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ خَوّانًا﴾: كثير الخيانة ﴿أثِيمًا﴾ أي: يُعاقبه. ﴿١٠٨﴾ ـ ﴿يَستَخفُونَ﴾ أي: طُعمةُ وقومه حياءً ﴿مِنَ النّاسِ، ولا يَستَخفُونَ مِنَ اللهِ وهُوَ مَعَهُم﴾ بعلمه، ﴿إذ يُبَيِّتُونَ﴾: يُضمِرون ﴿ما لا يَرضَى مِنَ القَولِ﴾ من عزمهم على الحَلِف على نفي السرقة ورمي اليهوديّ بها. ﴿وكانَ اللهُ بِما يَعمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عِلمًا.

﴿١٠٩﴾ ـ ﴿ها أنتُم﴾ يا ﴿هؤُلاءِ﴾: خِطابٌ لقوم طُعمةَ، ﴿جادَلتُم﴾: خاصمتم ﴿عَنهُم﴾ أي: عن طُعمة وذويه ـ وقُرئ: «عَنهُ» ـ ﴿في الحَياةِ الدُّنيا. فمَن يُجادِلُ اللهَ عَنهُم يَومَ القِيامةِ﴾ إذا عذّبهم؟ ﴿أم مَن يَكُونُ عَلَيهِم وَكِيلًا﴾: يتولّى أمرهم ويذُبّ عنهم؟ أي: لا أحد يفعل ذلك.

﴿١١٠﴾ ـ ﴿ومَن يَعمَلْ سُوءًا﴾: ذنبًا يسوءُ به غيره كرمي طُعمةَ اليهوديَّ ﴿أو يَظلِمْ نَفسَهُ﴾: بعمل ذنب قاصر عليه، ﴿ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ﴾ منه أي: يتُبْ، ﴿يَجِدِ اللهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به، ﴿١١١﴾ ـ ﴿ومَن يَكسِبْ إثمًا﴾: ذنبًا ﴿فإنَّما يَكسِبُهُ على نَفسِهِ﴾ لأنّ وباله عليها ولا يضرّ غيره ـ ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صُنعه ـ ﴿١١٢﴾ ـ ﴿ومَن يَكسِبْ خَطِيئةً﴾: ذنبًا صغيرًا ﴿أو إثمًا﴾: ذنبًا كبيرًا[1]، ﴿ثُمَّ يَرمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه، ﴿فقَدِ احتَمَلَ﴾: تحمّلَ ﴿بُهتانًا﴾ برَميه[2] ﴿وإثمًا مُبِينًا﴾: بيّنًا بكسبه.

﴿١١٣﴾ ـ ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ عَلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿ورَحمَتُهُ﴾ بالعِصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾: أضمرتْ ﴿طائفةٌ مِنهُم﴾: من قوم طُعمةَ ﴿أنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحقّ بتلبيسهم عليك، ﴿وما يُضِلُّونَ إلّا أنفُسَهُم، وما يَضُرُّونَكَ مِن﴾: زائدةٌ[3] ﴿شَيءٍ﴾ لأنّ وبال إضلالهم عليهم! ﴿وأنزَلَ اللهُ عَلَيكَ الكِتابَ﴾ القُرآنَ ﴿والحِكمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿وعَلَّمَكَ ما لَم تَكُنْ تَعلَمُ﴾ من الأحكام والغيب، ﴿وكانَ فَضلُ اللهِ عَلَيكَ﴾ بذلك وغيره[4] ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿يختانون أنفسهم﴾: يخونونَها بارتكابِ المعاصي. ﴿يُبيِّتون﴾: يُدبِّرونَ بليلٍ. ﴿وكيلاً﴾: حافظاً ومُحامياً مِن بأسِ اللهِ. ﴿بُهتاناً﴾: كذِباً فظيعاً.

(١) أي: ما كانَ عن عمدٍ، وقيلَ: الخَطيئةُ تكونُ عن عمدٍ وغيرِ عمدٍ، والإثمُ لا يكونُ إلاّ عن عمدٍ، وقيلَ: الخَطيئةُ ما بينَهُ وبينَ اللهِ والإثمُ ما بينَهُ وبينَ النَّاسِ. (الجمالين).

(٢) أي: بسببِ رمْيِ البَريءِ، وتبرئةِ النَّفسِ الخاطئةِ، ولذلكَ سوَّى بينهُما في الجزاءِ وإنْ كانَ مقترفاً أحدَهمَا دونَ الآخرِ. (الجمالين).

(٣) لتأكيدِ الاستِغراقِ. (الجمالين).

(٤) إذ لا فضلَ أعظَمُ منَ النُّبوَّةِ، ولا نبوَّةَ أعظمُ مِن نبوَّتهِ ﷺ. (الجمالين).

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ
عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ
وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

(الحزب ١٠)

﴿١١٤﴾ ـ ﴿لا خَيرَ في كَثِيرٍ مِن نَجواهُم﴾ أي: الناسِ، أي: ما يتناجَون فيه ويتحدّثون، ﴿إلّا﴾ نجوى ﴿مَن أمَرَ بِصَدَقةٍ أو مَعرُوفٍ﴾: عملِ بِرٍّ ﴿أو إصلاحٍ بَينَ النّاسِ، ومَن يَفعَلْ ذلِكَ﴾ المذكورَ ﴿ابتِغاءَ﴾: طلبَ ﴿مَرضاةِ اللهِ﴾ لا غيرِه من أُمور الدُّنيا ﴿فَسَوفَ نُؤتِيهِ﴾ ـ بالنون والياءِ أي: اللهُ ـ ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾.

﴿١١٥﴾ ـ ﴿ومَن يُشاقِقِ﴾: يُخالفِ ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحقّ ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى﴾: ظهرَ له الحقّ بالمُعجزات، ﴿ويَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ﴾ أي: طريقِهم الذي هم عليه من الدِّين بأن يكفر، ﴿نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى﴾: نجعلْه واليًا لِما تولّاه من الضلال بأن نُخلّي بينه وبينه[1] في الدُّنيا، ﴿ونُصْلِهِ﴾: نُدخِلْه في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ ليحترق فيها، ﴿وساءَتْ مَصِيرًا﴾: مَرجِعًا هي!

﴿١١٦﴾ ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أنْ يُشرَكَ بِهِ، ويَغفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ، ومَن يُشرِكْ بِاللهِ فقد ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ عن الحقّ.

﴿١١٧﴾ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يَعبدُ المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿إلّا إناثًا﴾: أصنامًا مُؤنّثة[2] كاللّاتِ والعُزّى ومَناةَ، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿يَدعُونَ﴾: يَعبدون بعبادتها ﴿إلّا شَيطانًا مَرِيدًا﴾: خارجًا عن الطاعة لطاعتهم له فيها ـ وهو إبليس ـ ﴿١١٨﴾ ـ ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾: أبعده عن رحمته، ﴿وقالَ﴾ أي: الشيطانُ: ﴿لَأتَّخِذَنَّ﴾: لَأجعلنّ لي ﴿مِن عِبادِكَ نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مَفرُوضًا﴾: مقطوعًا، أدعوهم إلى طاعتي، ﴿١١٩﴾ ـ ﴿ولَأُضِلَّنَّهُم﴾ عنِ الحقّ بالوسوسة، ﴿ولَأُمَنِّيَنَّهُم﴾: أُلقي في قُلوبهم طُول الحياة[3] وأنْ لا بعثَ ولا حِساب، ﴿ولَآمُرَنَّهُم فلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يُقطِّعُنّ ﴿آذانَ الأنعامِ﴾ ـ وقد فُعل ذلك بالبحائر ـ ﴿ولَآمُرَنَّهُم فلَيُغَيِّرُنَّ خلقَ اللهِ﴾: دِينَه بالكُفر وإحلال ما حرّم وتحريم ما أحلّ.

﴿ومَن يَتَّخِذِ الشَّيطانَ وَلِيًّا﴾ يتولّاه ويُطيعه ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿فقَد خَسِرَ خُسرانًا مُبِينًا﴾: بَيِّنًا لمصيره إلى النار المُؤبّدة عليه.

﴿١٢٠﴾ ـ ﴿يَعِدُهُم﴾ طُولَ العمر[4]، ﴿ويُمَنِّيهِم﴾ نَيلَ الآمال في الدُّنيا وأنْ لا بعثَ ولا جزاء، ﴿وما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ﴾ بذلك ﴿إلّا غُرُورًا﴾: باطلاً.

﴿١٢١﴾ ـ ﴿أُولئِكَ مأواهُم جَهَنَّمُ، ولا يَجِدُونَ عَنها مَحِيصًا﴾: مَعدِلاً. ....

﴿نجواهم﴾: ما يتناجى بهِ النَّاسُ ويتحدَّثونَ. ﴿يُشاقق الرّسول﴾: يُخالِفْهُ. ﴿نُولّهِ ما تولّى﴾: نخلِّي بينَهُ وبينَ ما اختارَهُ لنفسِهِ. ﴿نصله جهنّم﴾: نُدخِلْهُ إيَّاها فيُشوى بها. ﴿إناثًا﴾: أصناماً يُزيِّنونَها كالنِّساءِ. ﴿شيطانًا مريدًا﴾: مُتمرِّداً مُتجرِّداً مِنَ الخيرِ. ﴿مفروضًا﴾: مقطوعاً لي بهِ. ﴿فليُبتّكُنّ﴾: فليُقطِّعُنَّ أو فليشقُّنَّ. ﴿خلق الله﴾: فطرةَ اللهِ وهيَ دينُ الإسلامِ. ﴿غرورًا﴾: خداعاً وباطلاً. ﴿محيصًا﴾: مَحيداً ومهرباً ومعدِلاً.

(١) أي: بينَ ما اختارَهُ مِنَ الضَّلالِ. (الجمالين).

(٢) مؤنَّثةَ الأسماءِ. (الجمالين).

(٣) معَ التَّسويفِ والتَّأخيرِ، ومنَ الأمَانِي البَاطِلةِ إدراكُ الآخِرةِ معَ المعَاصِي. (الجمالين).

(٤) وما لا يُنْجَزُ، وهذا الوَعدُ إمَّا بالخواطرِ الفاسدةِ أو بلسانِ أوليائهِ. (الجمالين).

وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ
وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن
يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ
وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ
وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿١٢٢﴾ ـ ﴿**والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدخِلُهُم جَنّاتٍ، تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، وَعْدَ اللهِ حَقًّا**﴾ أي: وعَدَهم اللهُ ذلك وحَقَّه حقًّا. ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحدَ ﴿**أصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً**﴾: قولاً[1]؟

ونزل لمّا افتخر المسلمون وأهل الكتاب[2]: ﴿١٢٣﴾ ـ ﴿**لَيسَ**﴾ الأمر[3] منوطًا ﴿**بِأمانِيِّكُم ولا أمانِيِّ أهلِ الكِتابِ**﴾، بل بالعمل الصالح[4] ﴿**مَن يَعمَلْ سُوءًا يُجزَ بِهِ**﴾ إمّا في الآخرة أو في الدُّنيا بالبلاء والمِحن كما ورد في الحديث، ﴿**ولا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه ﴿**وَلِيًّا**﴾ يحفظُه ﴿**ولا نَصِيرًا**﴾ يمنعه منه، ﴿١٢٤﴾ ـ ﴿**ومَن يَعمَلْ**﴾ شيئًا ﴿**مِنَ الصّالِحاتِ مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فأُولئِكَ يُدخَلُونَ**﴾ ـ بالبناءِ للمفعول والفاعلِ ـ ﴿**الجَنَّةَ ولا يُظلَمُونَ نَقِيرًا**﴾: قدْرَ نُقرةِ النواة.

﴿١٢٥﴾ ـ ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحد ﴿**أحسَنُ دِينًا مِمَّن أسلَمَ وَجهَهُ**﴾ أي: انقاد[5] وأخلص عمله[6] ﴿**لِلهِ، وهُوَ مُحسِنٌ**﴾: مُوحِّد[7]، ﴿**واتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهِيمَ**﴾ المُوافقة لمِلَّة الإسلام ﴿**حَنِيفًا**﴾؟ حالٌ، أي: مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدِّين القيِّم ـ ﴿**واتَّخَذَ اللهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً**﴾: صفيًّا خالص المحبّة له ـ ﴿١٢٦﴾ ـ ﴿**ولِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطًا**﴾ عِلمًا وقُدرة، أي: لم يزل متّصفًا بذلك.

﴿١٢٧﴾ ـ ﴿**ويَستَفتُونَكَ**﴾: يطلبون منك الفتوى ﴿**في**﴾ شأنِ ﴿**النِّساءِ**﴾[8] وميراثهنّ. ﴿**قُلِ**﴾ لهم: ﴿**اللهُ يُفتِيكُم فِيهِنَّ وما يُتلَى علَيكُم في الكِتابِ**﴾: القرآن من آية المِيراث يُفتيكم أيضًا ﴿**في يَتامَى النِّساءِ اللّاتِي لا تُؤتُونَهُنَّ ما كُتِبَ**﴾: فُرض ﴿**لَهُنَّ**﴾ منَ المِيراث، ﴿**وتَرغَبُونَ**﴾ ـ أيّها الأولياءُ ـ عن ﴿**أنْ تَنكِحُوهُنَّ**﴾ لِدَمامتهنّ، وتَعضُلوهنّ أن يتزوّجن طمعًا في مِيراثهنّ، أي: يُفتيكم ألّا تفعلوا ذلك، ﴿**و**﴾ في ﴿**المُستَضعَفِينَ**﴾: الصِّغار ﴿**مِنَ الوِلدانِ**﴾ أن تُعطوهم حُقوقهم، ﴿**و**﴾ يأمُركم ﴿**أنْ تَقُومُوا لِليَتامَى بِالقِسطِ**﴾: بالعدل في المِيراث والمَهر. ﴿**وما تَفعَلُوا مِن خَيرٍ فإنَّ اللهَ كانَ بِهِ عَلِيمًا**﴾ فيُجازيكم عليه.

﴿قيلاً﴾: قولاً. ﴿نقيرًا﴾: قدْرَ النُّقرةِ في ظهرِ النَّواةِ. ﴿أسلم وجهه لله﴾: أخلصَ نفسَهُ أو توجُّهَهُ وعبادتَهُ للهِ. ﴿حنيفًا﴾: مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ. ﴿بالقسط﴾: بالعدلِ في الميراثِ والأموالِ.

(١) تمييزٌ؛ أي: وَعْداً ووَعِيداً، والجُملةُ مؤكِّدةٌ بليغةٌ. (الجمالين).

(٢) سعيد بن منصور في «سننه» (٦٩٣ ـ تفسير) عن مسروق، والطبري (٧/ ٥٠٧ ـ ٥١١) عن ابن عباس ـ بإسناد ضعيف جدًا ـ والسدي وقتادة والضحاك وأبي صالح ومسروق.

(٣) أي: أمرُ الدِّينِ، أو أمرُ الثَّوابِ الَّذي وعدَهُ اللهُ بأمانيِّكم أيُّها المسلمُونَ. (الجمالين).

(٤) الأظهَرُ: بالإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، وقيل: ليسَ الإيمانُ بالتَّمنِّي، ولكِنْ ما وقَرَ في القلبِ وصدَّقَهُ العَمَلُ. (الجمالين).

(٥) بذلَ وجهَهُ له في السُّجودِ. (الجمالين).

(٦) أو نفسَهُ، أو قصدَهُ، أو خضعَ في عبادتِهِ. (الجمالين).

(٧) أو مؤمنٌ، أو تابعٌ للشَّريعةِ، أو آتٍ بالحسَناتِ تاركٌ للسَّيئاتِ، والأظهرُ: أنْ يقال: محسنٌ في عقيدتِهِ. (الجمالين).

(٨) عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [النساء: ٣]، قالت: هذه اليتيمةُ تكونُ في حجر وليِّها، فيرغب في جمالها ومالها...، الحديثَ وقد مر، قالت: واستفتَى الناسُ رسول الله ﷺ بعد ذلك فيهن، فأنزل: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾. البخاري (٥٠٩٢)، ومسلم (٣٠١٨).

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ
وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا
بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا
كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ
وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا
﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا
﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ
ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

(١٢٨) ـ ﴿**وإنِ امرأةٌ**﴾: مرفوع بفعل يُفسِّره ﴿**خافَتْ**﴾: توقّعتْ ﴿**مِن بَعلِها**﴾: زوجها ﴿**نُشوزًا**﴾[1] ترفّعًا عليها بترك مُضاجعتها والتقصير في نفقتها لبُغضها وطُموح عينه إلى أجملَ منها، ﴿**أو إعراضًا**﴾ عنها بوجهه، ﴿**فلا جُناحَ عليهما أن يَصّالَحا**﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: «يُصْلِحا» من: أصلَحَ ـ ﴿**بَينَهُما صُلحًا**﴾ في القَسْم والنفقة بأن تترك له شيئًا طلبًا لبقاء الصُّحبة.

فإن رضيتْ بذلك، وإلّا فعلى الزوج أن يُوفّيَها حقّها أو يُفارقَها. ﴿**والصُّلحُ خيرٌ**﴾ منَ الفُرقة والنُّشوز والإعراض.

قال تعالى في بيان ما جُبِلَ عليه الإنسان: ﴿**وأُحضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ**﴾: شِدّةَ البُخل، أي: جُبِلتْ عليه، فكأنّها حاضِرتُه لا تَغيب عنه ـ المعنى: أنّ المرأةَ لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجلَ لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحبّ غيرها ـ ﴿**وإنْ تُحسِنُوا**﴾ عِشرة النِّساء ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ الجَور عليهنّ ﴿**فإنَّ اللهَ كانَ بِما تعمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ فيُجازيكم به.

(١٢٩) ـ ﴿**ولَن تَستَطِيعُوا أنْ تَعدِلُوا**﴾: تُسوُّوا ﴿**بَينَ النِّساءِ**﴾ في المحبّة، ﴿**ولَو حَرَصتُم**﴾ على ذلك ـ ﴿**فلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيلِ**﴾ إلى التي تُحبّونها في القَسْم والنفقة، ﴿**فتَذَرُوها**﴾ أي: تتركوا المُمالَ عنها ﴿**كالمُعَلَّقةِ**﴾ التي لا هي أيّمٌ ولا هي ذات بعل ـ ﴿**وإنْ تُصلِحُوا**﴾ بالعدل في القَسْم ﴿**وتَتَّقُوا**﴾ الجورَ ﴿**فإنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا**﴾ لِما في قلوبكم من المَيل ﴿**رَحِيمًا**﴾ بكم في ذلك. (١٣٠) ـ ﴿**وإنْ يَتَفَرَّقا**﴾ أي: الزوجانِ بالطلاق ﴿**يُغْنِ اللهُ كُلًّا**﴾ عن صاحبه ﴿**مِن سَعتِهِ**﴾ أي: فضله بأن يرزقها زوجًا غيره ويرزقه غيرها. ﴿**وكانَ اللهُ واسِعًا**﴾ لخلقه في الفضل ﴿**حَكِيمًا**﴾ فيما دبّره لهم.

(١٣١) ـ ﴿**ولِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ. ولَقَد وَصَّينا الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ**﴾ بمعنى الكُتُب ﴿**مِن قَبلِكُم**﴾ أي: اليهودَ والنصارى ﴿**وإيّاكُم**﴾ ـ يا أهل القُرآن ـ ﴿**أنِ**﴾ أي: بأنِ ﴿**اتَّقُوا اللهَ**﴾: خافوا عقابه بأن تُطيعوه، ﴿**و**﴾ قلنا لهم ولكم: ﴿**إنْ تَكفُرُوا**﴾ بما وُصِّيتم به ﴿**فإنَّ لِلهِ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ خلقًا ومُلكًا وعبيدًا، فلا يضرُّه كُفركم، ﴿**وكانَ اللهُ غَنِيًّا**﴾ عن خلقه وعِبادتِهم ﴿**حَمِيدًا**﴾: محمودًا في صُنعه بهم، (١٣٢) ـ ﴿**ولِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ ـ كرّره تأكيدًا لتقرير مُوجِب التقوى ـ ﴿**وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً**﴾: شهيدًا بأنّ ما فيهما له!

(١٣٣) ـ ﴿**إنْ يَشأْ يُذهِبْكُم ـ**﴾ يا ﴿**أيُّها النّاسُ ـ ويأتِ بِآخَرِينَ**﴾ بدَلَكم، ﴿**وكانَ اللهُ على ذلِكَ قَدِيرًا**﴾. (١٣٤) ـ ﴿**مَن كانَ يُرِيدُ**﴾ بعمله ﴿**ثَوابَ الدُّنيا فعِندَ اللهِ ثَوابُ الدُّنيا والآخِرةِ**﴾ لمن أراده لا عند غيره. فلِمَ يَطلُبُ أحدَهما الأخسَّ؟ وهلّا طَلَب الأعلى بإخلاصه له، حيث كان مَطلبه لا يوجد إلّا عنده. ﴿**وكانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾.

﴿بعلِها﴾: زوجِها. ﴿نشوزًا﴾: تجافياً عنها ظُلماً. ﴿الشّحّ﴾: البُخلَ معَ الحِرصِ. ﴿أن تعدِلوا﴾: في المحبَّةِ وميلِ القلبِ والمُؤانسةِ. ﴿سعتِه﴾: فضلِهِ وغناهُ ورزقِهِ. ﴿وكيلاً﴾: شهيداً أو دافعاً ومُجيراً أو قيِّماً.

(١) عن ابن عباس قال: خَشيتْ سَودة أن يُطلِّقَها رسول الله ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسِكني، وأجعَلُ يَومي لعائشة، فَفعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. الترمذي (٣٠٤٠) وقال: حسن غريب. وحسنه الحافظ في «الإصابة» (٨/ ١٩٦). وعن عائشة نحوُه عند أبي داود (٢١٣٥). وعن عائشةَ أيضاً: نزلت: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ في رجلٍ كانت تحته امرأةٌ قد طالت صحبتُها وولدت منه أولادًا، فأراد أن يستبدل بها، فَراضَتْه على أن يقيم عندها ولا يَقْسِمَ لها. ابن ماجه (١٩٧٤) وإسناده صحيح، ورواه بنحوه البخاري (٢٤٥٠)، ومسلم (٣٠٢١). وعن سعيد بن المسيب: أن بنت محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج، فكره منها أمراً إما كبراً أو غيره، فأراد طلاقها فقالت: لا تطلقني وأمسكني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها﴾ الآية. الشافعي في «مسنده» (٨٦ ـ ترتيب السندي)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٧٠١ ـ تفسير)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٤٦٩)، والواحدي (ص: ١٨٥ ـ ١٨٦).

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا
فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟
أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ
كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى
ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

(نصف الحزب ١٠)

﴿١٣٥﴾ ـ ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا، كُونُوا قوّامِينَ﴾: قائمين ﴿بِالقِسطِ﴾[1]: بالعدل ﴿شُهَداءَ﴾ بالحقّ ﴿لِلهِ، ولَو﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أنفُسِكُم﴾ فاشهدوا عليها بأن تُقرّوا بالحقّ ولا تكتموه، ﴿أوِ﴾ على ﴿الوالِدَينِ والأقرَبينَ ـ إنْ يَكُنْ﴾ المشهودُ عليه ﴿غَنِيًّا أو فَقِيرًا فاللهُ أولَى بِهِما﴾ منكم وأعلَمُ بمصالحهما ـ ﴿فلا تَتَّبِعُوا الهَوَى﴾ في شهادتكم بأن تُحابوا الغنيَّ لرضاه أو الفقيرَ رحمة له، لـ﴿أنْ﴾ لا ﴿تَعدِلُوا﴾: تميلوا عن الحقّ، ﴿وإنْ تَلْوُوا﴾: تُحرّفوا الشهادة ـ وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفًا ـ ﴿أو تُعرِضُوا﴾ عن أدائها ﴿فإنَّ اللهَ كانَ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجازيكم به.

﴿١٣٦﴾ ـ ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا، آمِنُوا﴾: داوموا على الإيمان ﴿بِاللهِ ورَسُولِهِ[2] والكِتابِ الَّذي نُزِّلَ على رَسُولِهِ﴾ مُحمّد ـ وهو القرآن ـ ﴿والكِتابِ الَّذي أُنزِلَ مِن قَبلُ﴾ على الرُّسل بمعنى: الكُتُب. وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين. ﴿ومَن يَكفُرْ بِاللهِ ومَلائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَومِ الآخِرِ فقَد ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا﴾ عن الحقّ. ﴿١٣٧﴾ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمُوسى ـ وهم اليهود ـ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادة العِجل، ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعِيسى، ﴿ثُمَّ ازدادُوا كُفرًا﴾ بمُحمّد، ﴿لَم يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم﴾ ما أقاموا عليه، ﴿ولا لِيَهدِيَهُم سَبِيلًا﴾: طريقًا إلى الحقّ.

﴿١٣٨﴾ ـ ﴿بَشِّرِ﴾: أخبِرْ ـ يا مُحمّد ـ ﴿المُنافِقِينَ بِأنَّ لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا ـ هو عذاب النار ـ ﴿١٣٩﴾ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ الكافِرِينَ أولِياءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ﴾ لِما يتوهّمون فيهم من القوّة. ﴿أيَبتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿عِندَهُمُ العِزَّةَ﴾؟ استفهام إنكار، أي: لا يجدونها عندهم. ﴿فإنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ في الدُّنيا والآخرة ولا ينالها إلّا أولياؤه.

﴿١٤٠﴾ ـ ﴿وقَد نَزَّلَ﴾، بالبناء للفاعل والمفعول، ﴿عَلَيكُم في الكِتابِ﴾: القُرآنِ في سورة «الأنعام» ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿إذا سَمِعتُم آياتِ اللهِ﴾: القُرآنَ، ﴿يُكفَرُ بِها ويُستَهزأُ بِها، فلا تَقعُدُوا مَعَهُم﴾ أيِ: الكافرين والمُستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيرِهِ. إنَّكُم إذًا﴾: إن قعدتم معهم ﴿مِثلُهُم﴾ في الإثم ﴿إنَّ اللهَ جامِعُ المُنافِقِينَ والكافِرِينَ في جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدُّنيا على الكُفر والاستهزاء.

﴿أن تعدِلوا﴾: كراهةَ العدولِ عنِ الحقّ. ﴿تلووا﴾: تُحرِّفوا في الشَّهادةِ. ﴿تُعرِضوا﴾: تتركوا إقامتَها رأساً. ﴿العزّة﴾: المَنعَةَ والقوَّةَ والنُّصرةَ.

(١) قال السُّدِّيّ: اختصَمَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ غنيٌّ وفقيرٌ، وكان ضَلْعُه مع الفقيرِ، ورأى أنَّ الفقيرَ لا يظلمُ الغنيَّ، فنزلَتِ هذه الآيةُ. الطبري (٧/ ٥٨٥)، ضَلعه: ميله. انظر: «النهاية» (مادة: ضلع).

(٢) قال ابنُ عبَّاسٍ: قال مَن أسلَمَ من أهلِ الكتابِ كعبدِ الله بنِ سلامٍ، وأسدٍ وأسيدِ ابنَي كعبٍ، وغيرِهم: يا رسولَ الله، إنَّا نُؤمِنُ بك وبمُوسى وعُزَيرٍ لا غيرُ، فنزلَتْ هذه الآيةُ. أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤٢٢) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهكذا ذكره الثعلبي (١١/ ٤٤ ـ ٤٥)، وذكره السمرقندي (١/ ٣٤٧)، والواحدي (ص: ١٨٦)، عن الكلبي.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

(١٤١) ـ ﴿الَّذِينَ﴾: بدلٌ من «الّذين» قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾: ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائرَ، ﴿فَإِنْ كانَ لَكُم فَتحٌ﴾: ظفرٌ وغنيمة ﴿مِنَ اللهِ قالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَم نَكُنْ مَعَكُم﴾ في الدِّين والجِهاد؟ فأعطُونا من الغنيمة، ﴿وإنْ كانَ لِلكافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ منَ الظفر عليكم ﴿قالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَم نَستَحوِذْ﴾: نَستَولِ ﴿عَلَيكُم﴾، ونَقدِرْ على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم، ﴿وَ﴾ ألَم ﴿نَمنَعْكُم مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم؟ فلنا عليكم المِنّة. قال الله تعالى: ﴿فَاللهُ يَحكُمُ بَينَكُم﴾ وبينهم ﴿يَومَ القِيامَةِ﴾ بأن يُدخلكم الجنّة ويُدخلَهم النار، ﴿وَلَن يَجعَلَ اللهُ لِلكافِرِينَ عَلَى المُؤمِنِينَ سَبِيلاً﴾: طريقًا بالاستئصال.

(١٤٢) ـ ﴿إِنَّ المُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللهَ﴾ بإظهار خِلاف ما أبطنوه من الكُفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدُّنيويّة، ﴿وَهُوَ خادِعُهُم﴾ فيُجازيهم على خِداعهم، فيُفضَحون في الدُّنيا بإطلاع الله نبيَّه على ما أبطنوه، ويُعاقبون في الآخرة، ﴿وإذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ﴾ مع المُؤمنين ﴿قامُوا كُسالَى﴾: مُتثاقِلينَ، ﴿يُراؤُونَ النّاسَ﴾ بصلاتهم، ﴿ولا يَذكُرُونَ اللهَ﴾: يُصلّون ﴿إلّا قَلِيلاً﴾ رياءً، (١٤٣) ـ ﴿مُذَبذَبِينَ﴾: مُتردِّدين[١] ﴿بَينَ ذلِكَ﴾: الكفرِ والإيمان، ﴿لا﴾ منسوبين[٢] ﴿إِلَى هؤُلاءِ﴾ أي: الكُفّارِ ﴿ولا إِلَى هؤُلاءِ﴾ أي: المؤمنين. ﴿وَمَن يُضلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾: طريقًا إلى الهُدى.

(١٤٤) ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا الكافِرِينَ أَولِياءَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ. أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجعَلُوا للهِ عَلَيكُم﴾ بمُوالاتهم ﴿سُلطانًا مُبِينًا﴾: بُرهانًا بيِّنًا على نِفاقكم؟ (١٤٥) ـ ﴿إِنَّ المُنافِقِينَ فِي الدَّركِ﴾: المكان ﴿الأَسفَلِ مِنَ النّارِ﴾ ـ وهو قعرها ـ ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُم نَصِيرًا﴾: مانعًا من العذاب. (١٤٦) ـ ﴿إلّا الَّذِينَ تابُوا﴾ من النِّفاق ﴿وأَصلَحُوا﴾ عملهم، ﴿واعتَصَمُوا﴾: وثِقوا ﴿بِاللهِ وأَخلَصُوا دِينَهُم﴾ من الرِّياء، ﴿لِلهِ فَأُولئِكَ مَعَ المُؤمِنِينَ﴾ فيما يُؤتَونه[٣]. ﴿وَسَوفَ يُؤتِي اللهُ المُؤمِنِينَ أَجرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة، هو الجنّة. (١٤٧) ـ ﴿ما يَفعَلُ اللهُ بِعَذابِكُم، إنْ شَكَرتُم﴾ نِعَمَه ﴿وآمَنتُم﴾ به؟ والاستفهام بمعنى النفي[٤]، أي: لا يُعذّبُكم. ﴿وكانَ اللهُ شاكِرًا﴾ لأعمال المُؤمنين بالإثابة[٥] ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه.

﴿يتربّصون بكم﴾: ينتظرونَ بكُم ما يحدثُ لكُم. ﴿فتحٌ﴾: نصرٌ وظفرٌ وغنيمةٌ. ﴿ألَمْ نَستَحوذ عليكم﴾: ألم نغلبْكُم فأبقيْنا عليكُم. ﴿مذبذبين بين ذلك﴾: مُردَّدينَ بينَ الكُفرِ والإيمانِ. ﴿سُلطاناً مُبيناً﴾: حُجَّةً ظاهرةً في العذابِ. ﴿الدّرك الأسفل﴾: الطَّبقِ الّذي في قعرِ جهنَّمَ.

(١) حالٌ مِن واوِ ﴿يُرَاؤُونَ﴾ كقولِهِ: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ﴾ أي: يراؤُونَهُم غيرَ ذاكِرينَ ﴿مذبذَبِينَ﴾ أو واو ﴿يذكرُونَ﴾، أو منصوبٌ على الذَّمِّ، وهو الأظهرُ. (الجمالين).

(٢) الأنسبُ: منضمِّينَ، و﴿لا﴾ بمعنَى: غير. (الجمالين).

(٣) بفتحِ التَّاء؛ يعني: فيمَا يُعطاهُ المؤمنونَ منَ الثَّوابِ في الآخِرةِ، أو معهُم في زمرَتِهِم وعدادِهِم وأحكامِهِم في الدَّارينِ. (الجمالين).

(٤) أي: يتشفَّى بهِ غيظاً، أو يدفعُ بهِ ضَرراً، أو يَستجلِبُ بهِ نفعاً، وهو الغنيُّ المتعالِ لا كالملُوكِ. (الجمالين).

(٥) يقبَلُ اليسِيرَ ويُعطِي الكثيرَ. (الجمالين).

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ
أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا
عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الجزء ٦ الحزب ١١

﴿١٤٨﴾ ـ **﴿لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بالسُّوءِ**[1] **مِنَ القَولِ﴾** من أحد، أي: يُعاقِبُ عليه **﴿إلَّا مَن ظُلِمَ﴾** فلا يُؤاخذه بالجهر به بأن يُخبِرَ عن ظُلم ظالمه ويدعوَ عليه **﴿وكانَ اللهُ سَمِيعًا﴾** لِما يُقال **﴿عَلِيمًا﴾** بما يُفعل.

﴿١٤٩﴾ ـ **﴿إن تُبدُوا﴾**: تُظهِروا **﴿خيرًا﴾** من أعمال البِرِّ **﴿أو تُخفُوهُ﴾**: تَعملوه سِرًّا، **﴿أو تعفُوا عَن سُوءٍ﴾**: ظُلمٍ، **﴿فإنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾**.

﴿١٥٠﴾ ـ **﴿إنَّ الَّذينَ يَكفُرُونَ باللهِ ورُسُلِهِ، ويُرِيدُونَ أنْ يُفَرِّقُوا بَينَ اللهِ ورُسُلِهِ﴾** بأن يُؤمنوا به دونهم، **﴿ويَقُولُونَ: نُؤمِنُ بِبَعضٍ﴾** من الرُّسلِ **﴿ونكفُرُ بِبَعضٍ﴾** منهم، **﴿ويُرِيدُونَ أنْ يَتَّخِذُوا بَينَ ذلِكَ﴾**: الكفرِ والإيمانِ **﴿سَبِيلاً﴾**: طريقًا يذهبون إليه، ﴿١٥١﴾ ـ **﴿أُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ حَقًّا﴾**: مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجُملة قبله، **﴿وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ عَذابًا مُهِينًا﴾**: ذا إهانة هو عذاب النار، ﴿١٥٢﴾ ـ **﴿والَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ﴾**، كلِّهم، **﴿ولَم يُفَرِّقُوا بَينَ أحَدٍ مِنهُم، أُولئِكَ سَوفَ نُؤتِيهِم﴾** ـ بالنون والياء ـ **﴿أُجُورَهُم﴾**: ثوابَ أعمالهم. **﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾** لأوليائه **﴿رَحِيمًا﴾** بأهل طاعته.

﴿١٥٣﴾ ـ **﴿يَسأَلُكَ﴾** ـ يا مُحمّد ـ **﴿أهلُ الكِتابِ﴾**[2]: اليهودُ **﴿أنْ تُنَزِّلَ عَلَيهِم كِتابًا مِنَ السَّماءِ﴾** جُملةً كما أُنزل على مُوسى تعنّتًا. فإن استكبرتَ ذلك **﴿فقَد سألُوا﴾** أي: آباؤهم **﴿مُوسَى أكبَرَ﴾**: أعظمَ **﴿مِن ذلِكَ، فقالُوا: أرِنا اللهَ جَهرَةً﴾**: عِيانًا، **﴿فأخَذَتهُمُ الصّاعِقَةُ﴾**: الموت عِقابًا لهم **﴿بِظُلمِهِم﴾** حيث تعنّتوا في السُّؤال، **﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا العِجلَ﴾** إلـهًا **﴿مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّناتُ﴾**: المُعجزات على وحدانيّة الله، **﴿فعَفَونا عَن ذلِكَ﴾** ولم نستأصلْهم، **﴿وآتَينا مُوسَى سُلطانًا مُبِينًا﴾**: تسلُّطًا بيّنًا ظاهرًا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفُسهم توبةً فأطاعوه، ﴿١٥٤﴾ ـ **﴿ورَفَعْنا فَوقَهُمُ الطُّورَ﴾**: الجبل **﴿بِمِيثاقِهِم﴾**: بسبب أخذ المِيثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه، **﴿وقُلْنا لَهُم﴾** وهو مُظِلٌّ عليهم: **﴿ادخُلُوا البابَ﴾** أي: باب القرية **﴿سُجَّدًا﴾** سُجودَ انحناءٍ. **﴿وقُلْنا لَهُم: لا تَعْدُوا﴾** ـ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال ـ أي: لا تعتدوا **﴿في السَّبتِ﴾** باصطياد الحِيتان فيه، **﴿وأخَذْنا مِنهُم مِيثاقًا غَلِيظًا﴾** على ذلك فنقضوه.

﴿جهرةً﴾: عِياناً بالبصرِ. ﴿الصّاعقة﴾: نارٌ مِنَ السَّماءِ أو صيحةٌ منها. ﴿لا تعدوا في السبت﴾: لا تعتدوا باصطيادِ الحيتانِ فيهِ. ﴿ميثاقًا غليظًا﴾: عهداً وثيقاً بطاعةِ اللهِ.

(١) قال مجاهدٌ: سببُ نزولِه: أنَّ رجلاً نزلَ بقومٍ فلم يُحسِنوا قِرَاه، فشَكاهُم. عبد الرزاق (٦٥٤)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٧٠٧ ـ تفسير)، والطبري (٧/ ٦٢٨).
وقيلَ: نزلَتِ الآيةُ في رجلٍ شتمَ أبا بكرٍ فسكتَ عنه مرارًا، ثمَّ ردَّ عليه. «تفسير مقاتل» (١/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، وذكره السمرقندي (١/ ٣٥٢) دون نسبة، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٤٠) عن عبد الرحمن بن زيد، وأخرج أبو داود في «سننه» (٤٨٩٧) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه نحو هذه القصة دون ذكر نزول الآية.

(٢) عن محمد بن كعبٍ القُرَظيِّ: جاء أناسٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنَّ موسى جاء بالألواح من عند الله فأْتنا بالألواح من عند الله حتى نصدِّقك، فنزلت. الطبري (٧/ ٦٣٩).

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا
عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ
ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

(١٥٥) ـ ﴿**فبما نقضِهم**﴾ ما: زائدةٌ، والباء: للسببيّة متعلّقة بمحذوف، أي: لعنّاهم بسبب نقضهم ﴿**ميثاقَهم، وكُفرِهم بآياتِ الله، وقتلِهِم الأنبياءَ بغيرِ حَقٍّ، وقَولِهِم**﴾ للنبيِّ: ﴿**قُلُوبُنا غُلفٌ**﴾: لا تعي كلامَك ـ ﴿**بَل طَبَعَ**﴾: ختمَ ﴿**اللهُ عليها بكُفرِهِم**﴾ فلا تعي وعظًا، ﴿**فلا يُؤمِنُونَ إلّا قَليلاً**﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه ـ (١٥٦) ـ ﴿**وبِكُفرِهِم**﴾ ثانيًا بعيسى، وكرّر الباء للفصل بينه وبين ما عُطف عليه، ﴿**وقَولِهِم على مَريَمَ بُهتانًا عَظِيمًا**﴾ حيثُ رَموها بالزِّنى، (١٥٧) ـ ﴿**وقَولِهِم**﴾ مفتخرين: ﴿**إنّا قَتَلْنا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَريمَ رَسُولَ اللهِ**﴾ في زعمهم، أي: بمجموع ذلك عذّبناهم.

قال تعالى تكذيبًا لهم في قتله: ﴿**وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ، ولكِنْ شُبِّهَ لَهُم**﴾ المقتولُ والمصلوب ـ وهو صاحبهم ـ بعيسى، أي: ألقى الله عليه شَبهَه فظنّوه إيّاه. ﴿**وإنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ**﴾ أي: في عيسى ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنهُ**﴾: من قتله ـ حيثُ قال بعضهم لمّا رأَوُا المقتول[1]: الوجهُ وجه عيسى والجسد ليس بجسده، فليس به. وقال آخرون: بل هو هو ـ ﴿**ما لَهُم بِهِ**﴾: بقتله ﴿**مِن عِلمٍ، إلّا اتِّباعَ الظَّنِّ**﴾: استثناءٌ مُنقطع، أي: لكن يتّبعون فيه الظنّ الذي تخيّلوه، ﴿**وما قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾: حالٌ مؤكِّدة لنفي القتل، (١٥٨) ـ ﴿**بَل رَفَعَهُ اللهُ إلَيهِ. وكانَ اللهُ عَزِيزًا**﴾ في مُلكه ﴿**حَكِيمًا**﴾ في صُنعه.

(١٥٩) ـ ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**مِن أهلِ الكِتابِ**﴾ أحدٌ ﴿**إلّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ**﴾: بعيسى ﴿**قَبلَ مَوتِهِ**﴾ أي: الكتابيِّ حين يُعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه، أو قبلَ موت عيسى لمّا ينزلُ قُربَ الساعة كما ورد في حديث، ﴿**ويَومَ القِيامةِ يَكُونُ**﴾ عيسى ﴿**عليهِم شَهِيدًا**﴾ بما فعلوه لمّا بُعث إليهم.

(١٦٠) ـ ﴿**فبِظُلمٍ**﴾ أي: بسبب ظُلمٍ ﴿**مِنَ الَّذِينَ هادُوا**﴾، هم اليهود، ﴿**حَرَّمنا عليهِم طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُم**﴾ ـ هي التي في قوله: «حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» الآيةَ ـ ﴿**وبِصَدِّهِمْ**﴾ الناسَ ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دينه صدًّا ﴿**كَثِيرًا، وأخذِهِمُ الرِّبا وقَد نُهُوا عَنهُ**﴾ في التوراة، (١٦١) ـ ﴿**وأكلِهِم أموالَ النّاسِ بالباطِلِ**﴾: بالرُّشا في الحُكم، ﴿**وأعتَدْنا لِلكافِرِينَ مِنهُم عَذابًا أَلِيمًا**﴾: مؤلمًا.

(١٦٢) ـ ﴿**لكِنِ الرّاسِخُونَ**﴾: الثابتون ﴿**في العِلمِ مِنهُم**﴾ كعبد الله بن سلام ﴿**والمُؤمِنُونَ**﴾: المهاجرون والأنصار ﴿**يُؤمِنُونَ بما أُنزِلَ إلَيكَ وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ**﴾ من الكُتب ـ ﴿**والمُقِيمِينَ الصَّلاةَ**﴾ نُصبَ على المدح وقُرئ بالرفع ـ ﴿**والمُؤتُونَ الزَّكاةَ والمُؤمِنُونَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، أُولئِكَ سَنُؤتِيهِم**﴾، بالنون والياء، ﴿**أجرًا عَظِيمًا**﴾ هو الجنّة.

﴿قلوبُنا غلف﴾: مغشّاةٌ بأغطيةٍ خِلقيَّةٍ فلا تعي. ﴿طبع الله عليها﴾: ختمَ عليها فحجبَها عنِ العِلمِ. ﴿بُهتانًا عظيماً﴾: كذباً وباطلاً فاحشاً. ﴿شُبِّه لهم﴾: أُلقِيَ على المقتولِ شَبهُ عيسى. ﴿والمقيمين الصّلاة﴾: وأمدحُ المُقيمينَ لها.

(١) السمرقندي (١/ ٢١٧) عن الكلبي، والثعلبي (١١/ ٦٩) عن محمد بن مروان. ومحمد بن مروان هو المسمى بالسدي الصغير ممن يروي عن الكلبي، وهو متروك متهم كشيخه.

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ
طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ
مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

ربع الحزب ١١

﴿١٦٣﴾ ـ ﴿**إنّا أَوحَينا إليكَ**﴾[1] **كَما أَوحَينا إلَى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِن بَعدِهِ**، و﴾ كما ﴿**أوحَينا إلَى إبراهِيمَ وإسماعِيلَ وإسحاقَ**﴾ ابنَيه ﴿**ويَعقُوبَ**﴾ بنِ إسحاقَ ﴿**والأسباطِ**﴾ أولادِه، ﴿**وعِيسَى وأيُّوبَ ويُونُسَ وهارُونَ وسُلَيمانَ، وآتينا**﴾ أباه ﴿**داوُدَ زَبورًا**﴾، بالفتح: اسمٌ للكتابِ المُؤتَى، والضمّ: مصدرٌ بمعنى: مَزبورًا، أي: مكتوبًا.

﴿١٦٤﴾ ـ ﴿١٦٥﴾ ـ ﴿**و**﴾ أرسلنا ﴿**رُسُلاً قد قَصَصْناهُم عليكَ**﴾[2] **مِن قَبلُ، ورُسُلاً لَم نَقصُصْهُم عليكَ**﴾ ـ رُوي أنه تعالى بعث ثمانيةَ آلافِ نبيّ: أربعةَ آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس[3]. قاله الشيخ في سورة «غافر» ـ ﴿**وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى**﴾ بلا واسطةٍ ﴿**تكليمًا، رُسُلاً**﴾: بدلٌ من «رُسلاً» قبلُ، ﴿**مُبَشِّرينَ**﴾ بالثواب مَن آمنَ ﴿**ومُنذِرينَ**﴾ بالعِقاب من كفر، أرسلناهم ﴿**لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ علَى اللهِ حُجّةٌ**﴾ تُقال ﴿**بَعدَ**﴾ إرسال ﴿**الرُّسُلِ**﴾ إليهم، «**فيَقُولُوا**: ربَّنا، لَولا أرسلتَ إلَينا رَسولاً، فنَتَّبعَ آياتِكَ ونكُونَ مِنَ المُؤمنِينَ»، فبعثناهم لقطع عُذرهم. ﴿**وكانَ اللهُ عَزيزًا**﴾ في مُلكه ﴿**حَكِيمًا**﴾ في صُنعه.

ونزل لمّا سُئل اليهود عن نبوّته ﷺ فأنكروه[4]: ﴿١٦٦﴾ ـ ﴿**لكِنِ اللهُ يَشهَدُ**﴾: يُبيِّن نبوّتَك ﴿**بِما أنزَلَ إلَيكَ**﴾ من القرآن المُعجز، ﴿**أنزَلَهُ**﴾ مُلتبسًا ﴿**بِعِلمِهِ**﴾ أي: عالمًا به أو: وفيه علمه، ﴿**والمَلائكةُ يَشهَدُونَ**﴾ لك أيضًا، ﴿**وكَفَى باللهِ شَهِيدًا**﴾ على ذلك! ﴿١٦٧﴾ ـ ﴿**إنَّ الّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بالله ﴿**وصَدُّوا**﴾ الناس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِين الإسلام بكتمهم نعتَ مُحمّد ـ وهم اليهود ـ ﴿**قد ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا**﴾ عن الحقّ. ﴿١٦٨﴾ ـ ﴿**إنَّ الّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بالله ﴿**وظَلَمُوا**﴾ نبيّه بكِتمان نعته ﴿**لَم يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم، ولا لِيَهدِيَهُم طَرِيقًا**﴾ من الطُّرق ﴿١٦٩﴾ ـ ﴿**إلّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ**﴾ أي: الطريقَ المؤدّيَ إليها، ﴿**خالِدِينَ**﴾: مُقدِّرين الخلودَ ﴿**فِيها**﴾ إذا دخلوها ﴿**أبَدًا، وكانَ ذلِكَ علَى اللهِ يَسِيرًا**﴾: هيّنًا.

﴿١٧٠﴾ ـ ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي: أهلُ مكّة، ﴿**قد جاءَكُمُ الرَّسُولُ**﴾ مُحمّد ﴿**بِالحَقِّ مِن رَبِّكُم. فآمِنُوا**﴾ به، واقصدوا ﴿**خَيرًا لَكُم**﴾ مِمّا أنتم فيه، ﴿**وإنْ تَكفُرُوا**﴾ به ﴿**فإنَّ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، فلا يضرُّه كُفركم، ﴿**وكانَ اللهُ عَلِيمًا**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمًا**﴾ في صُنعه بهم.

﴿الأسباط﴾: أولادِ يعقوبَ أو حفدتِهِ. ﴿زبوراً﴾: كتاباً فيه مواعظُ وحِكَمٌ.

(١) قال ابنُ عبّاسٍ: قال سكينٌ وعديُّ بن زيد: يا محمدُ ما نعلمُ اللهَ أنزل على بشرٍ من شيءٍ بعد موسى، فنزلت. الطبري (٧/ ٦٨٦)، والضياء في «المختارة» (٣٧٩).

(٢) قال ابنُ عبّاسٍ: قالت اليهودُ: ذكرَ محمّدٌ الأنبياءَ ولم يذكُرْ موسى، فنزلتِ الآيةُ. الواحدي في «البسيط» (٧/ ١٩٥)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (٥/ ٢٦٣).

(٣) أبو يعلى (٤١٣٢)، و«المجالسة» للدينوري (٣٢٠٥)، و«معجم ابن الأعرابي» (٢٩٥)، و«المعجم الأوسط» (٧٧٤)، من حديث أنس رضي الله عنه. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٦٠٩٠).

(٤) ذكر الواحدي (ص: ١٨٧) عن الكلبي، والسمرقندي (١/ ٣٥٨) والثعلبي (٣/ ٤١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رؤساءَ أهلِ مكّةَ أتَوا رسولَ الله عليه السَّلام فقالوا: سألنا عنك اليهودَ فزعموا أنّهم لا يعرفونك، فأتنا بمَن يشهدُ أنّك نبيُّه، وأنّه بعثَكَ إلينا رسولًا، فأنزلَ الله هذه الآية. وروى الطبري (٧/ ٦٩٤) عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس: دخل على رسول الله ﷺ جماعةٌ من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم إنكم لتعلمون أني رسول الله» فقالوا: ما نعلم ذلك. فنزلت.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

(١٧١) ـ ﴿يا أهلَ الكِتابِ﴾: الإنجيل، ﴿لا تَغلُوا﴾: تتجاوزوا الحدَّ ﴿في دِينِكُم﴾[1]، ولا تَقُولُوا علَى اللهِ إلّا﴾ القولَ ﴿الحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد. ﴿إنّما المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَريَمَ رَسُولُ اللهِ، وكَلِمتُهُ ألقاها﴾: أوصلها ﴿إلَى مَرْيَمَ، ورُوحٌ﴾ أي: ذو رُوح ﴿مِنهُ﴾. أضيف إليه ـ تعالى ـ تشريفًا له، وليس كما زعمتم ابنَ الله أو إلـٰهًا معه أو ثالثَ ثلاثة لأنّ ذا الرُّوح مركّبٌ والإلـٰهَ منزّهٌ عن التركيب وعن نسبة المُركّب إليه. ﴿فآمِنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ، ولا تَقُولُوا﴾: الآلهةُ ﴿ثَلاثةٌ﴾ اللهُ وعيسى وأُمُّه. ﴿انتَهُوا﴾ عن ذلك وائتوا ﴿خَيرًا لَكُم﴾ منه، وهو التوحيد. ﴿إنّما اللهُ إلـٰهٌ واحِدٌ، سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له عن ﴿أنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ خلقًا ومُلكًا ـ والمُلكيّة تُنافي البُنوّة ـ ﴿وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾: شهيدًا على ذلك!

(١٧٢) ـ ﴿لَن يَستَنكِفَ﴾: يتكبّرَ ويأنفَ ﴿المَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إلـٰهٌ عن ﴿أنْ يَكُونَ عَبدًا لِلهِ[2]، ولا المَلائكةُ المُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدًا وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكر للردّ على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رُدّ بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصودِ خِطابُهم. ﴿ومَن يَستَنكِفْ عَن عِبادتِهِ ويَستكبِرْ فسَيَحشُرُهُم إلَيهِ جَمِيعًا﴾ في الآخرة.

(١٧٣) ـ ﴿فأمّا الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُوَفِّيهِم أُجُورَهُم﴾: ثوابَ أعمالهم، ﴿ويَزِيدُهُم مِن فَضلِهِ﴾ «ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ»، ﴿وأمّا الّذِينَ استَنكَفُوا واستكبَرُوا﴾ عن عِبادته ﴿فيُعَذِّبُهُم عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا هو عذاب النار، ﴿ولا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿وَلِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿ولا نَصِيرًا﴾ يمنعهم منه.

(١٧٤) ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، قَد جاءَكُم بُرهانٌ﴾: حُجّة ﴿مِن رَبِّكُم﴾ عليكم ـ وهو النبيّ ـ ﴿وأنزَلْنا إلَيكُم نُورًا مُبِينًا﴾: بيّنًا، وهو القُرآن.

(١٧٥) ـ ﴿فأمّا الّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ واعتَصَمُوا بِهِ فسَيُدخِلُهُم في رَحْمةٍ مِنهُ وفَضلٍ، ويَهدِيهِم إلَيهِ صِراطًا﴾: طريقًا ﴿مُستَقِيمًا﴾، هو دِين الإسلام.

(١٧٦) ـ ﴿يَستَفتُونَكَ﴾[3] في الكَلالة. ﴿قُلِ: اللهُ يُفتِيكُم في الكَلالةِ. إنِ امرُؤٌ﴾: مرفوع بفعل يُفسّره ﴿هَلَكَ﴾: مات، ﴿لَيسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: ولا والد ـ وهو الكَلالة ـ ﴿ولَهُ أُختٌ﴾ من أبوين أو أبٍ، ﴿فلَها نِصفُ ما تَرَكَ، وهُوَ﴾ أي: الأخُ كذلك ﴿يَرِثُها﴾ جميعَ ما تركتْ، ﴿إنْ لَم يَكُنْ لَها وَلَدٌ﴾ ـ فإن كان لها ولد ذَكر فلا شيءَ له، أو أُنثى فله ما فضل من نصيبها، ولو كانت الأُختُ أو الأخ من أُمّ ففرضُه السُّدس كما تقدم أوّلَ السُّورة ـ ﴿فإنْ كانَتا﴾ أي: الأُختانِ ﴿اثنتَينِ﴾ أي: فصاعدًا لأنّها نزلتْ في جابر، وقد مات عن أَخوات، ﴿فلَهُما الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ﴾ الأخُ، ﴿وإنْ

﴿لا تغلوا﴾: لا تُجاوزوا الحدَّ ولا تُفرطوا. ﴿كلمته﴾: وُجِد بكلمةِ «كنْ» بلا أبٍ ونطفةٍ. ﴿روحٌ منه﴾: ذو روحٍ مِن أمرِ ربِّهِ. ﴿لن يستنكِف﴾: لن يأنفَ ويترفَّعَ ويستكبرَ. ﴿برهانٌ﴾: هوَ محمَّدٌ ﷺ. ﴿نوراً مُبيناً﴾: هوَ القرآنُ العظيمُ.

(١) نزلَتْ في النَّصارَى حيثُ قالوا: ﴿المسيحُ ابنُ الله﴾ [النساء: ١٥٧]. «تفسير مقاتل» (١/ ٤٢٤)، والثعلبي (١١/ ٩٢)، والواحدي (ص: ١٨٧).

(٢) نزلَتْ في وفدِ نجرانَ، قالوا: يا محمَّدُ، لِمَ تَعيبُ صاحبَنا فتقولَ: إنَّه عبدُ الله؟ فقال عليه السَّلامُ: إنَّه ليس بعارٍ لعيسى أن يكونَ عبدًا لله، قالوا: بلى، هو عارٌ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ. الثعلبي (١١/ ٩٨)، ونسبه الواحدي (ص: ١٨٧) للكلبي. وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٠٢) للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) عن جابرٍ رضي الله عنه: مَرضتُ فأتاني رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ يعوداني..، وفيه: قلتُ: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟ فلم يَرُدَّ عليَّ شيئًا حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الآية. البخاري (١٩٤)، ومسلم (١٦١٦/ ٥).

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن
لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ
وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ
إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن
تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

﴿كانُوا﴾ أي: الورثةُ **﴿إخوةً رِجالاً ونساءً فلِلذَّكَرِ﴾** منهم **﴿مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ. يُبَيِّنُ اللهُ لكُم﴾** شرائعَ دِينكم لِـ**﴿أَنْ﴾** لا **﴿تَضِلُّوا. واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾**، ومنه الميراث. روى الشيخانِ عن البراء أنها آخرُ آية نزلت أي: من الفرائض.

***

٥
سُورَةُ المَائِدَة

مدنية، وهي مِائةٌ وعشرون آية، أو واثنتانِ أو وثلاث.

بسم الله الرحمن الرحيم

ربع الحزب ١١

(١) ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أَوفُوا بالعُقُودِ﴾**: العُهودِ المُؤكَّدة التي بينكم وبين الله والناس. **﴿أُحِلَّتْ لكُم بَهِيمةُ الأنعام﴾**: الإبلِ والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح، **﴿إلّا ما يُتلَى عليكُم﴾** تحريمُه في: «حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيْتَةُ» الآيَةَ ـ فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون مُتصلاً، والتحريمُ لِما عَرَض من الموت ونحوه ـ **﴿غيرَ مُحِلِّي الصَّيدِ وأنتم حُرُمٌ﴾**، أي: مُحرِمون ونُصِب «غيرَ» على الحال من ضمير «لكم». **﴿إنَّ اللهَ يَحكُمُ ما يُرِيدُ﴾** من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

(٢) ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُحِلُّوا شَعائرَ اللهِ﴾**[1]: جمع شَعيرة، أي: معالمَ دِينه بالصيد في الإِحرام، **﴿ولا الشَّهرَ الحَرامَ﴾** بالقتال فيه، **﴿ولا الهَدْيَ﴾**: ما أُهدِيَ إلى الحَرَم من النَّعم بالتعرّض له، **﴿ولا القَلائدَ﴾**: جمع قِلادة ـ وهي ما كان يتقلّد به مَن يَنحر الهدْيَ لِيأمَنَ ـ أي: فلا تتعرّضوا لها ولا لأصحابها، **﴿ولا﴾** تُحِلّوا **﴿آمِّينَ﴾**: قاصدِين **﴿البيتَ الحرامَ﴾** بأن تقاتلوهم، **﴿يَبتَغُونَ فَضْلاً﴾**: رزقًا **﴿مِن رَبِّهِم﴾** بالتِّجارة **﴿ورِضْوانًا﴾** منه بقصده بزعمهم ـ وهذا منسوخ بآية «براءة»[2] ـ **﴿وإذا حَلَلْتُم﴾** من الإحرام **﴿فاصطادُوا﴾**: أمرُ إباحةٍ.

﴿ولا يَجرِمَنَّكُم﴾: يُكسِبَنَّكم **﴿شَنَآنُ﴾**، بفتحِ النون وسكونِها: بُغضُ **﴿قَومٍ﴾**، لأجلِ **﴿أنْ صَدُّوكُم عَنِ المَسجِدِ الحَرامِ، أنْ تَعتَدُوا﴾** عليهم بالقتل وغيره، **﴿وتَعاوَنُوا علَى البِرِّ﴾** فعلِ ما أُمرتم به، **﴿والتَّقوَى﴾** بترك ما نُهيتم عنه، **﴿ولا تَعاوَنُوا﴾** ـ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ـ **﴿علَى الإثمِ﴾**: المَعاصي **﴿والعُدْوانِ﴾**: التعدّي في حدود الله، **﴿واتَّقُوا اللهَ﴾**: خافوا عِقابه بأن تُطيعوه. **﴿إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾** لمَن خالفه.

(٣) ـ **﴿حُرِّمَتْ عليكُمُ المَيْتَةُ﴾**[3] أي: أكلُها **﴿والدَّمُ﴾** أي: المسفوح كما في «الأنعام»، **﴿ولَحمُ الخِنزِيرِ، وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ﴾** بأن

﴿الكلالة﴾: الميّتِ لا ولدَ لهُ ولا والدَ. ﴿بالعقود﴾: بالعهودِ المُؤكَّدةِ الوثيقةِ. ﴿الأنعام﴾: الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ. ﴿غير محلي الصيد﴾: غيرَ مُستحلِّيهِ فهوَ حرامٌ. ﴿وأنتم حُرُمٌ﴾: مُحرِمونَ بالحجِّ أو العمرة. ﴿لا تُحلوا﴾: لا تنتهكوا. ﴿شعائر الله﴾: مناسكَ الحجِّ أو معالمَ دينِهِ. ﴿الشهر الحرام﴾: الأشهرَ الأربعةَ الحرمَ. ﴿الهدى﴾: ما يُهدى مِنَ الأنعامِ إلى الكعبةِ. ﴿القلائد﴾: ما يُقلَّدُ بِهِ الهديُ علامةً لهُ. ﴿آمّين البيت﴾: قاصدينَهُ وهمُ الحجَّاجُ والعمَّارُ. ﴿لا يجرمنكم﴾: لا يحملنَّكُم أو لا يكسبَنَّكُم. ﴿شنآن قوم﴾: بغضُكُم لهُم.

---

(١) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَت في الحُطَمِ، واسمُه شُرَيحُ بن ضُبَيعة..، فذكر قصة ملخصها: أنه أتى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام، ثم خرج وغدر بالمسلمين واستاق سرح المدينة، وفي عام القضيّةِ سمعَ ﷺ تلبيةَ حُجَّاج اليَمامة فعرفه، فتوجَّه المسلمون في طلبه فنزلت الآية. الواحدي (ص: ١٨٩) مطولاً، ورواه بنحوه الطبري (٨/ ٣١ ـ ٣٣) عن السدي وعكرمة. زيدُ بنُ أسلَمَ: لمَّا صُدَّ المُسلمون عن البيتِ عامَ الحديبيةِ مرَّ بهم ناسٌ منَ المُشركينَ يُريدونَ العمرةَ، فقال المُسلمونَ: نصُدُّهم كما صَدَّنا أصحابُهم، فنزَلَتْ هذه الآيةُ. ابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية، والواحدي (ص: ١٨٩).

(٢) أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٤٧) و(٢٤٨) و(٣٥٣)، والطبري (٨/ ٣٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٥٩)، عن ابن عباس ومجاهد والشعبي، وزاد الطبري قتادة والضحاك والسدي وحبيب بن أبي ثابت وابن زيد.

(٣) حيان بن الأبجر قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحمُ ميتةٍ، فنزل تحريم الميتة فأُكفئت القدور. «معرفة الصحابة» لابن منده (ص: ٤١٢)، ولأبي نعيم (٢/ ٨٧٦)، و«أسد الغابة» (٢/ ٩٩)، و«لباب النقول» (ص: ٧٥).

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ
وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ
ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟
بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ
غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ
أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾
ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ
بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

ذُبح على اسمِ غيرِه، ﴿والمُنخَنِقةُ﴾: المَيْتة خنقًا، ﴿والمَوقُوذةُ﴾: المقتولة ضربًا، ﴿والمُتَرَدِّيَةُ﴾: الساقطة من علوّ إلى أسفلَ فماتت، ﴿والنَّطِيحةُ﴾: المقتولة بنطح أُخرى لها، ﴿وما أكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فماتَ ﴿إلّا ما ذَكَّيتُم﴾: أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه، ﴿وما ذُبِحَ علَى﴾ اسم ﴿النُّصُبِ﴾: جمع نِصاب ـ وهي الأصنام ـ ﴿وأنْ تَستَقسِمُوا﴾: تطلبوا القَسْم والحُكم ﴿بِالأزلامِ﴾: جمع زَلَم، بفتح الزاي وضمّها مع فتح اللام: قِدْحٌ بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل. وكانت سبعةً عند سادِنِ الكعبة عليها أعلام، وكانوا يحكِّمونها. فإن أمرتْهمُ ائتمروا وإن نهتهمُ انتهَوا. ﴿ذلِكُم فِسقٌ﴾: خُروج عن الطاعة.

ونزل بعَرَفةِ عامِ حَجّةِ الوداع[1]: ﴿اليَومَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُم﴾ أن ترتدّوا عنه بعد طمعهم في ذلك لِما رأوا من قوّته. ﴿فلا تَخشَوهُم واخشَونِ. اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾: أحكامه وفرائضه ـ فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ـ ﴿وأتمَمْتُ علَيكُم نِعْمَتِي﴾ بإكماله، وقيل: بدُخول مكّة آمِنِينَ. ﴿ورَضِيتُ﴾: اختَرتُ ﴿لَكُمُ الإسلامَ دِينًا. فمَنِ اضطُرَّ في مَخمَصةٍ﴾: مجاعة إلى أكل شيء مِمّا حُرّم عليه فأكل ﴿غَيرَ مُتَجانِفٍ﴾: مائل ﴿لِإثمٍ﴾: معصية ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكلَ ﴿رَحِيمٌ﴾ به في إباحته له، بخلاف المائلِ لِإثم، أي: المُتلبِّسِ به كقاطع الطريق والباغي مثلاً، فلا يَحِلّ له الأكلُ.

﴿٤﴾ ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ يا مُحمّد: ﴿ماذا أُحِلَّ لَهُم﴾[2] منَ الطعام؟ ﴿قُلْ: أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ﴾: المُستلَذّاتُ ﴿و﴾ صَيدُ ﴿ما عَلَّمتُم مِنَ الجَوارِحِ﴾: الكواسِبِ من الكِلاب والسِّباع والطير، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: حالٌ ـ من: كَلَّبْتُ الكلبَ بالتشديد: أرسلتُه على الصيدِ ـ ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: حالٌ من ضمير «مكلّبينَ» أي: تُؤدّبونهنَّ ﴿مِمّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ مِن آداب الصيد.

﴿فكُلُوا مِمّا أمسَكْنَ علَيكُم﴾، وإن قتلنَه بأن لم يأكلنَ منه بخلاف غير المُعلَّمة فلا يَحِلّ صيدُها ـ وعلامتُها أن تَسترسلَ إذا أُرسِلتْ، وتَنزجرَ إذا زُجرتْ، وتُمسِكَ الصيدَ ولا تأكلَ منه. وأقلُّ ما يُعرف به ذلك ثلاثُ مرّات، فإن أكلْنَ منه فليس ممّا أمسكْن على صاحبهنّ فلا يَحِلُّ أكله كما في حديث الصحيحين[3]، وفيه أنّ صيد السهم، إذا أرسل وذُكر اسم الله عليه، كصيد المُعلَّم من الجوارح ـ ﴿واذكُرُوا اسمَ اللهِ علَيهِ﴾ عِند إرساله، ﴿واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾.

﴿٥﴾ ـ ﴿اليَومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ﴾: المُستلَذّات، ﴿وطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ أي: ذبائحُ اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ﴾: حلال ﴿لَكُم، وطَعامُكُم﴾ إيّاهم ﴿حِلٌّ لَهُم، والمُحصَناتُ مِنَ المُؤمِناتِ، والمُحصَناتُ﴾: الحرائرُ ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم﴾ حِلٌّ لكم أن تنكحوهنّ، ﴿إذا آتَيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنّ ﴿مُحصِنِينَ﴾: مُتزوّجين ﴿غَيرَ مُسافِحِينَ﴾: مُعلِنينَ بالزِّنى بهنّ، ﴿ولا مُتَّخِذِي أخدانٍ﴾ منهنّ تُسِرّون بالزِّنى

﴿الدمُ﴾: الدَّمُ المسفوحُ وهوَ السَّائلُ. ﴿لحمُ الخنزير﴾: يعني الخنزيرَ بجميعِ أجزائِهِ. ﴿ما أُهل لغير الله به﴾: ما ذُكِرَ عندَ ذبحِهِ اسمُ غيرِهِ تعالى. ﴿المنخنقة﴾: الميتةُ بالخنقِ. ﴿الموقوذة﴾: الميتةُ بالضَّربِ. ﴿المتردية﴾: الميتةُ بالسُّقوطِ مِن علوٍّ. ﴿النطيحة﴾: الميتةُ بالنَّطحِ. ﴿ما أكل السبع﴾: ما أكلَ منهُ فماتَ بجرحِهِ. ﴿ما ذكيتم﴾: ما أدركتُموهُ وفيهِ حياةٌ فذبحتُموهُ. ﴿النصب﴾: حجارةٌ حولَ الكعبةِ يعظِّمونَها. ﴿تستقسموا﴾: تطلبوا معرفةَ ما قُسِمَ لكُم. ﴿بالأزلام﴾: قداحٌ مُعلمةٌ معروفةٌ في الجاهليَّةِ. ﴿ذلكم فسق﴾: خروجٌ عن طاعةِ اللهِ إلى معصيتِهِ. ﴿اضطُرَّ﴾: ألجَأتْهُ الضَّرورةُ للتَّناولِ منها. ﴿مخمصة﴾: مجاعةٍ شديدةٍ. ﴿مُتجانف لإثم﴾: مائلٍ إليهِ بتجاورز قدرِ الضَّرورةِ. ﴿الطيباتُ﴾: ما أَذِنَ الشَّارعُ في أكلِهِ. ﴿الجوارح﴾: الكواسبِ للصَّيدِ مِنَ السِّباعِ والطَّيرِ. ﴿مُكلبين﴾: مُعلمينَ لها الصَّيدَ. ﴿طعامُ﴾: ذبائحُ اليهودِ والنَّصارى. ﴿المُحصناتُ﴾: العفائفُ أوِ الحرائرُ. ﴿أُجورهُنَّ﴾: مهورَهُنَّ. ﴿مُحصنين﴾: مُتعفِّفينَ بالزَّواجِ عنِ الزِّنى. ﴿غير مُسافحين﴾: غيرَ مُجاهرينَ بالزِّنى. ﴿مُتخذي أخدان﴾: مُصاحبي خليلاتٍ للزِّنى سرّاً. ﴿يكفُر بالإيمان﴾: يُنكرْ شرائعَ الإسلامِ. ﴿حبط عملُهُ﴾: بطَلَ ثوابُ عملِهِ السَّابقِ.

(١) البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) قال أبو رافع: أمرَني رسولُ الله أن لا أدعَ بالمدينةِ كلبًا إلاّ قتلتُه، فجاء ناسٌ وقالوا: ماذا يحلُّ لنا من هذه الأمّةِ التي أَمرْتَ بقتلِها؟ فسكتَ، فنزلَتْ. الطبري (٨/ ١٠٠ ـ ١٠١)، و«المعجم الكبير» (٩٧٢)، و«المستدرك» (٣٢١٢) وصححه. وعن سعيد بن جبير: نزلَتْ في عديِّ بنِ حاتمٍ، وزيدِ الخيرِ، سألاه ﷺ عما يحلُّ لهم مما تمسكه كلاب الصيد، فنزلت. ابن أبي حاتم كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والثعلبي (١١/ ١٦٨)،، والواحدي (ص: ١٩٢). وعن عدي بن حاتم قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت هذه الآية: ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾. الطبري (٨/ ١٠٨).

(٣) البخاري (١٧٥)، ومسلم (٢٠٢٢)، من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ
ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا
طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ
لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

بهنّ. ﴿**وَمَن يَكفُرْ بِالإيمانِ**﴾ أي: يرتدَّ ﴿**فقد حَبِطَ عَمَلُهُ**﴾[1] الصالح قبل ذلك، فلا يُعتدّ به ولا يُثاب عليه، ﴿**وهُوَ في الآخرةِ مِنَ الخاسِرينَ**﴾ إذا مات عليه.

﴿٦﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، إذا قُمتُم**﴾ أي: أردتمُ القِيام ﴿**إلَى الصَّلاةِ**﴾[2]، وأنتم مُحدِثون، ﴿**فاغسِلُوا وُجُوهَكُم وأيدِيَكُم إلَى المَرافِقِ**﴾ أي: معها كما بَيّنته السُّنّة، ﴿**وامسَحُوا بِرُؤُوسِكُم**﴾ ـ الباء: للإلصاق أي: ألصِقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس، فيكفي أقلّ ما يصدق عليه، وهو مسح بعضِ شَعرةٍ. وعليه الشافعيّ ـ ﴿**وأرجُلَكُم**﴾، بالنصبِ عطفًا على «أيديَكم» والجرِّ على الجِوار، ﴿**إلَى الكَعبَينِ**﴾ أي: معهما كما بيّنته السُّنّة ـ وهما العظمان الناتئان في كلّ رِجل عند مَفصِل الساق والقدم. والفصلُ بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأسِ الممسوحِ يفيدُ وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعيّ. ويُؤخذ من السُّنّة وجوب النيّة فيه كغيره من العِبادات ـ ﴿**وإنْ كُنتُم جُنُبًا فاطَّهَّرُوا**﴾: فاغتسلوا.

﴿**وإنْ كُنتُم مَرضَى**﴾ مَرَضًا يضرّه الماء، ﴿**أو علَى سَفَرٍ**﴾ أي: مُسافِرين، ﴿**أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائطِ**﴾ أي: أحدَثَ، ﴿**أو لامَستُمُ النِّساءَ**﴾ ـ سبق مِثلُه في آية «النساء» ـ ﴿**فلَم تَجِدُوا ماءً**﴾ بعد طَلَبِه، ﴿**فتَيَمَّمُوا**﴾: اقصِدوا ﴿**صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾: تُرابًا طاهرًا، ﴿**فامسَحُوا بِوُجُوهِكُم وأيدِيكُم**﴾ مع المِرفَقَينِ ﴿**مِنهُ**﴾ بضربتين، والباء: للإلصاق. وبَيّنَتِ السُّنّةُ أنّ المُرادَ استيعابُ العُضوَينِ بالمسح. ﴿**ما يُريدُ اللهُ لِيَجعَلَ علَيكُم**﴾ في الدِّين ﴿**مِن حَرَجٍ**﴾: ضِيق بما فرض عليكم من الوضوء والغُسل والتيمّم، ﴿**ولكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم**﴾ من الأحداث والذُّنوب، ﴿**ولِيُتِمَّ نِعمَتَهُ علَيكُم**﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدِّين، ﴿**لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ نِعَمَه.

﴿٧﴾ ـ ﴿**واذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم**﴾ بالإسلام ﴿**ومِيثاقَهُ**﴾ عهده ﴿**الَّذي واثَقَكُم بِهِ**﴾: عاهدكم عليه، ﴿**إذ قُلتُم**﴾ للنبيّ حين بايعتموه: ﴿**سَمِعنا وأطَعنا**﴾ في كلّ ما تأمر به وتنهى عنه مِمّا تُحبّ وتكره، ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في مِيثاقه أن تنقضوه. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾: بما في القُلوب فبغيره أولى.

﴿٨﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، كُونُوا قَوّامِينَ**﴾: قائمين ﴿**لِلهِ**﴾ بحُقوقه ﴿**شُهَداءَ بِالقِسطِ**﴾: بالعدل، ﴿**ولا يَجرِمَنَّكُم**﴾: يَحمِلنّكم ﴿**شَنَآنُ**﴾: بُغضُ ﴿**قَومٍ**﴾ أيِ: الكُفّارِ ﴿**علَى ألّا تَعدِلُوا**﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم. ﴿**اعدِلُوا**﴾ في العدوّ والوليّ ـ ﴿**هُوَ**﴾ أي: العدل ﴿**أقرَبُ لِلتَّقوَى ـ واتَّقُوا اللهَ**﴾[3]. ﴿**إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ**﴾ فيُجازيكم به. ﴿٩﴾ ـ ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾ وعدًا حسنًا ﴿**لَهُم مَغفِرَةٌ وأجرٌ عَظِيمٌ**﴾ هو الجنّة،

﴿الغائط﴾: موضعُ قضاءِ الحاجةِ (كنايةٌ عنِ الحدثِ). ﴿لامستم النساء﴾: واقعتُموهُنَّ أو مسستُم بشرتَهُنَّ. ﴿صعيداً طيباً﴾: تُراباً. أو وجهَ الأرضِ ـ طاهراً. ﴿حرج﴾: ضيقٍ في دينِهِ وتشريعِهِ. ﴿ميثاقه﴾: عهدَهُ. ﴿شُهداء بالقسط﴾: شاهدينَ بالعدلِ. ﴿لا يجرمنكم﴾: لا يحملَنَّكُم، أو لا يكسبَنَّكُم. ﴿شنآن قوم﴾: بُغضُكُم لهُم.

(١) عن قتادة: ذكر لنا أن ناسًا من المسلمين قالوا: كيف نتزوّج نساءهم ـ يعني: نساء أهل الكتاب ـ وهم على غير ديننا؟ فنزلت، فأحل الله تزويجهن على علم. الطبري (٨/ ١٥٠).

(٢) عن عائشةَ رضي الله عنها: سقطت قلادةٌ لي بالبيداء ونحن داخلون المدينةَ، فأناخَ النبيُّ ﷺ ونزل فثنى رأسه في حَجري راقدًا... ثم إنَّ النبيَّ ﷺ استيقظ وحضرت الصُّبح، فالتُمس الماء فلم يُوجد فنزلت الآية. البخاري (٤٦٠٨)، و«لباب النقول» (ص: ٧٦)، وفيه: وفي رواية البخاري هذه التصريح بأن آية التيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواة قالوا: «فنزلت آية التيمم» ولم يبينوها، وقد قال ابن عبد البر: «هذه معضلة ما وجدت لدائها دواء؛ لأنّا لا نعلم أيَّ الآيتين عنت عائشة» واختار ابن بطال بأنها آية النساء، لأنها لا ذكر للوضوء بها فيتجه تخصيصها بأية التيمم. وقد تقدم ذكر حديث عائشة في سبب نزول آية النساء.

(٣) عن ابن جُريجٍ عن عبد الله بن كثيرٍ: نزلت في يهود خيبر؛ ذهب رسول الله ﷺ ليستعينهم في دِيَة فهموا ليقتلوه، فذلك قوله: ﴿وَلاَ يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ الآية. الطبري (٨/ ٢٢٣). وهذا معضل مع عنعنة ابن جريج.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١٠) ـ ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصحابُ الجَحِيمِ**﴾.

(١١) ـ ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكُم**﴾[١]، ﴿**إذ هَمَّ قَومٌ**﴾ ـ هُم قُرَيش ـ ﴿**أَنْ يَبْسُطُوا**﴾: يَمدّوا ﴿**إِلَيكُم أيدِيَهُم**﴾ ليفتِكوا بكم، ﴿**فكَفَّ أيدِيَهُم عَنكُم**﴾ وعصمكم مِمّا أرادوا بكم، ﴿**واتَّقُوا اللهَ، وعلَى اللهِ فلْيَتَوكَّلِ المُؤمِنُونَ**﴾.

ربع الحزب ١١

(١٢) ـ ﴿**ولَقَد أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ بَنِي إسرائيلَ**﴾ بما يُذكَر بعدُ، ﴿**وبَعَثْنا**﴾ ـ فيه التفاتٌ عن الغَيبة ـ أقمنا ﴿**مِنهُمُ اثنَي عَشَرَ نَقِيبًا**﴾ من كلّ سِبط نقيبٌ، يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقةً عليهم، ﴿**وقالَ**﴾ لهمُ ﴿**اللهُ: إنِّي مَعَكُم**﴾ بالعون والنصر. ﴿**لَئِنْ**﴾: لامُ قسم ﴿**أَقَمتُمُ الصَّلاةَ وآتَيتُمُ الزَّكاةَ، وآمَنتُم بِرُسُلِي وعَزَّرتُمُوهُم**﴾: نصرتموهم ﴿**وأَقرَضتُمُ اللهَ قَرضًا حَسَنًا**﴾ بالإنفاق في سبيله، ﴿**لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُم سَيِّئاتِكُم ولَأُدخِلَنَّكُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، فمَن كَفَرَ بَعدَ ذلِكَ**﴾ المِيثاقِ ﴿**مِنكُم فقد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ**﴾: أخطأ طريق الحقّ. والسواءُ في الأصل: الوسَط. فنقضوا الميثاق.

(١٣) ـ قال تعالى: ﴿**فبِما نَقضِهِم**﴾ ـ ما: زائدة ـ ﴿**مِيثاقَهُم لَعَنّاهُم**﴾: أبعدْناهم عن رحمتنا، ﴿**وجَعَلنا قُلُوبَهُم قاسِيَةً**﴾ لا تلين لقَبول الإيمان، ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ**﴾ الذي في التوراة من نعتِ مُحمّد وغيره ﴿**عَن مَواضِعِهِ**﴾ التي وضعه الله عليها، أي: يُبدّلونه، ﴿**ونَسُوا**﴾: تركوا ﴿**حَظًّا**﴾ نصيبًا ﴿**مِمّا ذُكِّرُوا**﴾: أُمِروا ﴿**بِهِ**﴾ في التوراة من اتّباع مُحمّد، ﴿**ولا تَزالُ**﴾ ـ خِطابٌ للنبيّ ـ ﴿**تَطَّلِعُ**﴾: تَظهَرُ ﴿**على خائنَةٍ**﴾ أي: خِيانة ﴿**مِنهُم**﴾ بنقض العهد وغيره ﴿**إلّا قَلِيلاً مِنهُم**﴾ مِمّن أسلم. ﴿**فاعفُ عَنهُم واصفَحْ. إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحسِنِينَ**﴾. هذا منسوخ بآية السيف[٢].

﴿يبسطوا إليكم أيديهم﴾: يبطشوا بكُم بالقتلِ والإهلاكِ. ﴿نقيباً﴾: أميناً كفيلاً. ﴿عزّرتُموهم﴾: نصرتُموهُم. أو عظّمتُموهُم. ﴿قرضاً حسناً﴾: احتساباً بطيبةِ نفسٍ. ﴿يُحرفون الكلم﴾: يُغيّرونَهُ. أو يُؤوِّلونَهُ بالباطلِ. ﴿نسُوا حظاً﴾: تركوا نصيباً وافراً. ﴿خائنةٍ﴾: خيانةٍ وغدرٍ. أو فعلةٍ خائنةٍ.

(١) عن جابر رضي الله عنه: أن رجلًا من بني محارب اسمه غورث بن الحارث أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ وسيفُه في حِجره، فأخذ السيف وهزه، وقال: يا محمد مَن يمنعك مني؟ قال: «الله»، فرد غورث السيف مكانه، فنزل في ذلك هذه الآية. أبو نعيم في «الدلائل» (١٤٥) وفي إسناده عمرو بن عبيد وهو ضعيف متهم، والصواب ما رواه البخاري (٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣)، عن جابر دون ذكر الآية. وعن قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا بالنبي ﷺ، فأرسلوا إليه الأعرابي ـ يعني: الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل ـ فأخذ سلاحه وقال: مَن يحول بيني وبينك؟ فقال: «الله»، فشام السيف ولم يعاقبه. الطبري (٨/ ٢٣٢). سبب آخر: عن عكرمة ويزيد بن أبي زياد وجمع: أن النبي ﷺ خرج ومعه بعض الصحابة حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه، فقالوا: نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، ثم تآمروا على قتله فجاءوا إلى رحى عظيمة ليطرحوها عليه، فأخبره جبريل بذلك فقام، ونزلت الآية. الطبري (٨/ ٢٢٨ ـ ٢٣١). وروى أبو نعيم (٤٢٥) هذه القصة بأتم من هذا من طريقين واهيين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) عبد الرزاق (٦٨٧) عن قتادة قال: قال: نسختها: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الأخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩].

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ
حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ
جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ
قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ السَّلَٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِۦ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ
الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ
الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

(١٤) ـ ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قالُوا: إنّا نَصارَى**﴾ متعلّق بقوله ﴿**أَخَذْنا مِيثاقَهُم**﴾، كَما أخذنا على بني إسرائيلَ اليهودِ، ﴿**فَنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ في الإِنجيل، من الإِيمان وغيره، ونقضوا الميثاق، ﴿**فأغرَينا**﴾: أوقَعْنا[1] ﴿**بَيْنَهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ، إلى يومِ القِيامةِ**﴾ بتفرّقهم واختلاف أهوائهم، فكُلُّ فِرقة تُكفِّرُ الأُخرى، ﴿**وسَوفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ**﴾ في الآخرة ﴿**بما كانُوا يَصنَعُونَ**﴾، فيُجازيهم عليه.

(١٥) ـ ﴿**يا أهلَ الكِتابِ**﴾: اليهودَ والنصارى، ﴿**قَد جاءَكُم رَسُولُنا**﴾[2] مُحمّد، ﴿**يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيرًا مِمّا كُنتُم تُخفُونَ**﴾: تكتمون ﴿**مِنَ الكِتابِ**﴾: التوراةِ والإِنجيل كآية الرجم وصفته، ﴿**ويَعفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ من ذلك[3] فلا يُبَيِّنُه، إذا لم يكن فيه مصلحةٌ إلّا افتضاحُكم. ﴿**قَد جاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ**﴾ هو النبيّ، ﴿**وكِتابٌ**﴾: قُرآنٌ[4] ﴿**مُبِينٌ**﴾: بيّنٌ ظاهر[5]، (١٦) ـ ﴿**يَهدِي بِهِ**﴾ أي: بالكِتاب[6] ﴿**اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ**﴾ بأن آمن ﴿**سُبُلَ السَّلامِ**﴾: طُرقَ السلامة، ﴿**ويُخرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكُفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾: الإيمان ﴿**بإذنِهِ**﴾: بإرادته، ﴿**ويَهدِيهِم إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ**﴾: دِين الإسلام[7].

(١٧) ـ ﴿**لَقَد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ بنُ مَريَمَ**﴾ حيث جعلوه إلٰهًا. وهم اليعقوبيّة[8] فِرقة من النصارى. ﴿**قُلْ: فَمَن يَملِكُ**﴾ أن يدفع ﴿**مِنَ**﴾ عذاب ﴿**اللهِ شَيئًا، إنْ أرادَ أنْ يُهلِكَ المَسِيحَ بنَ مَريَمَ وأُمَّهُ ومَن في الأرضِ**[9] **جَمِيعًا**﴾؟ أي: لا أحد يملك ذلك ـ ولو كان المسيح إلٰهًا لقدَرَ عليه ـ ﴿**وللهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما. يَخلُقُ ما يَشاءُ، واللهُ على كُلِّ شَيءٍ**﴾ شاءه ﴿**قَدِيرٌ**﴾.

﴿فأغرينا﴾: هيَّجْنا وحرَّشْنا. أو ألصقْنا. ﴿نور﴾: هوَ محمَّدٌ ﷺ.

(١) أو ألزَمنا وألصَقنا، من غرِيَ بالشَّيءِ: إذا لَصِقَ به، أو هيَّجنا؛ منَ الإغراءِ. (الجمالين).

(٢) عن عكرمة: أن النبي ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم فقال: «أيكم أعلم؟» فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوارة على موسى والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفكلُ ـ رِعدة من برد أو خوف أو غيرهما ـ فقال: إنه لمَّا كثر فينا جلدنا مئة وحلقنا الرؤوس، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٨/ ٢٦٣)، و«لباب النقول» (ص: ٧٨).

(٣) أي: ممَّا كنتُم تخفُونَهُ؛ أي: عن كثيرٍ منكُم، فلا يؤاخذُهُ بجُرمِهِ. (الجمالين).

(٤) أو المرادُ بهما: القرآنُ، فإنَّهُ الكاشفُ لظلُمَاتِ الشَّكِّ والضَّلالِ، والكتابُ الواضحُ الإعجَازِ. (الجمالين).

(٥) أو مبيِّنٌ طريقَ الهدايةِ والضَّلالِ وموضِّحٌ للحرامِ والحلالِ. (الجمالين).

(٦) وحَّدَ الضَّميرَ؛ لأنَّ المرادَ بهما واحدٌ، أو لأنَّهما في الحُكمِ كواحِدٍ. (الجمالين).

(٧) أي: طريقٍ هو أقرَبُ الطُّرقِ إلى اللهِ، فهو أخصُّ من ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾. (الجمالين).

(٨) الَّذين قالُوا بالاتِّحاد؛ أي: اتِّحادِ اللاَّهُوتِ والنَّاسُوتِ. (الجمالين).

(٩) عطفٌ على ﴿المسِيح﴾ عطفَ العامِّ على الخاصِّ، فكلٌّ من المسيحِ وأمِّهِ مذكورٌ مرَّتين: مرَّةً بالتَّصريحِ، ومرَّةً بالعمومِ، قيل: فائدةُ عطفِ ﴿مَن في الأرضِ﴾ عليه للدَّلالةِ على أنَّهما من جنسِ ما في الأرضِ لا تفاوتَ بينهما وبينهم في البشريَّةِ. (الجمالين).

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (١٨) يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٢٠) يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟
عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ (٢١) قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ
فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ
غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣)

(١٨) ـ **﴿وقالَتِ اليَهودُ﴾**[1] **والنَّصارى﴾** أي: كلّ منهم: **﴿نحنُ أبناءُ اللهِ﴾**، أي: كأبنائه في القُرب والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة، **﴿وأحِبّاؤُهُ. قُلْ﴾** لهم يا مُحمّد: **﴿فلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾**، إن صدقتم في ذلك؟ ولا يُعذِّب الأبُ ولدَه ولا الحبيبُ حبيبَه، وقد عذّبكم. فأنتم كاذبون. **﴿بَل أنتُم بَشَرٌ مِـ﴾**ـن جملةِ **﴿ـمَّن خَلَقَ﴾** من البشر، لكم مالَهم وعليكم ما عليهم، **﴿يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ﴾** المغفرةَ له، **﴿ويُعذِّبُ مَن يَشاءُ﴾** تعذيبه، لا اعتراض عليه. **﴿وللهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، وإلَيهِ المَصيرُ﴾**: المَرجِع.

(١٩) ـ **﴿يا أهلَ الكِتابِ، قَد جاءَكُم رَسُولُنا﴾**[2]: مُحمّد، **﴿يُبَيِّنُ لَكُم﴾** شرائعَ الدين **﴿على فَترةٍ﴾**: انقطاع، **﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾** ـ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومُدّة ذلك خمسُمِائَةٍ وتسعٌ وستُّونَ سنةً[3] ـ **﴿أنْ﴾** لا **﴿تَقُولُوا﴾** إذا عُذّبتم: **﴿ما جاءَنا مِن﴾**: زائدةٌ **﴿بَشيرٍ ولا نَذيرٍ. فقَد جاءَكُم بَشيرٌ ونَذيرٌ﴾**، فلا عذر لكم إذًا. **﴿واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾**، ومنه تعذيبُكم، إن لم تتّبعوه.

(٢٠) ـ **﴿و﴾** اذكرْ **﴿إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: يا قَومِ، اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم إذ جَعَلَ فِيكُم﴾** أي: منكم **﴿أنبِياءَ، وجَعَلَكُم مُلُوكًا﴾** أصحابَ خَدَمٍ وحَشَم، **﴿وآتاكُم ما لَم يُؤتِ أحَدًا مِنَ العالَمِينَ﴾** من المنّ والسلوى وفَلقِ البحر وغيرِ ذلك. (٢١) ـ **﴿يا قَومِ، ادخُلُوا الأرضَ المُقَدَّسةَ﴾**: المُطهّرة **﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُم﴾**: أمرَكم بدخولها ـ وهي الشام ـ **﴿ولا تَرتَدُّوا على أدبارِكُم﴾**: تنهزموا خوف العدوّ، **﴿فتَنقَلِبُوا خاسِرِينَ﴾** في سعيكم. (٢٢) ـ **﴿قالُوا: يا مُوسَى، إنَّ فِيها قَومًا جَبّارِينَ﴾** من بقايا عادٍ طِوالاً ذوي قُوّة، **﴿وإنّا لَن نَدخُلَها حَتّى يَخرُجُوا مِنها. فإنْ يَخرُجُوا مِنها فإنّا داخِلُونَ﴾** لها.

(٢٣) ـ **﴿قالَ﴾** لهم **﴿رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ﴾** مُخالفةَ أمرِ الله ـ وهما يُوشَعُ وكالَبُ، من النُّقباء الذين بعثهم مُوسى في كشف أحوال الجبابرة ـ **﴿أنعَمَ اللهُ عَلَيهِما﴾** بالعِصمة، فكتما ما اطّلعا عليه من حالهم إلّا عن موسى، بخلاف بقيّة النُّقباء فأفشَوه، فجَبُنوا: **﴿ادخُلُوا عَلَيهِمُ البابَ﴾**: باب القرية ولا تخشَوهم، فإنهم أجساد بلا قُلوبٍ ـ **﴿فإذا دَخَلتُمُوهُ فإنَّكُم غالِبُونَ﴾**. قالا ذلك تيقّنًا بنصر الله وإنجاز وعده ـ **﴿وعلى اللهِ فتَوَكَّلُوا، إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾**.

﴿فترة﴾: فتورٍ وانقطاعٍ وسكونٍ.

(١) عن ابن عباس: أتى رسولَ الله ﷺ نعمانُ بن أضاء وبحريّ بن عمرو وشأس بن عدي، فكلموه، فكلّمهم رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تُخوّفنا، يا محمد!! نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه، فنزلت هذه الآية. الطبري (٨/ ٢٦٩)، و«لباب النقول» (ص: ٧٨).

(٢) عن ابن عباس: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٨/ ٢٧٣)، و«لباب النقول» (ص: ٧٩).

(٣) ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٤) من طريق هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس. وهشام وأبوه متروكان، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، وصح من قول سلمان رضي الله عنه: أنها ست مئة، رواه البخاري (٣٩٤٨).

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ
يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾
۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ
مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

(٢٤) ـ ﴿**قالُوا: يا مُوسَى، إنّا لَن نَدخُلَها أبَدًا ما دامُوا فِيها. فاذهَبْ أنتَ ورَبُّكَ فقاتِلا**﴾ هم. ﴿**إنّا هٰهُنا قاعِدُونَ**﴾ عن القتال. (٢٥) ـ ﴿**قالَ**﴾ مُوسى حينئذ: ﴿**رَبِّ، إنّي لا أملِكُ إلّا نَفسِي و**﴾ إلّا ﴿**أخِي**﴾، ولا أملك غيرهما فأجبُرَهم على الطاعة. ﴿**فافرُقْ**﴾: فافصِلْ ﴿**بَينَنا وبَينَ القَومِ الفاسِقِينَ**﴾.

(٢٦) ـ ﴿**قالَ**﴾ تعالى له: ﴿**فإنَّها**﴾ أي: الأرضَ المُقدَّسة ﴿**مُحَرَّمةٌ علَيهِم**﴾ أن يدخلوها ﴿**أربَعِينَ سَنةً، يَتِيهُونَ**﴾: يتحيّرون ﴿**في الأرضِ**﴾. وهي تسعةُ فراسخَ[1]، قاله ابن عبّاس ﴿**فلا تأسَ**﴾: تَحزَنْ ﴿**على القَومِ الفاسِقِينَ**﴾. رُوي أنهم كانوا يسيرون الليل جادِّينَ[2]، فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه، ويسيرون النهار كذلك، حتّى انقرضوا كلّهم إلّا من لم يبلغِ العِشرينَ. قيل: وكانوا سِتَّمِائَةِ ألفٍ. ومات هارون وموسى في التِّيه[3]، وكان رحمةً لهما وعذابًا لأولئك. وسأل موسى ربَّه عند موته أن يُدنيه من الأرض المُقدّسة رَميةً بحجر، فأدناه كما في الحديث[4].

الحزب ١٢

ونُبِّئ يُوشَعُ بعدَ الأربعين وأُمرَ بقتال الجبّارين، فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يومَ الجمعة، ووقفتْ له الشمسُ ساعةً حتّى فَرَغَ من قتالهم. وروى أحمدُ في مُسنده[5] حديثَ «إنّ الشَّمسَ لَم تُحبَسْ على بَشَرٍ، إلّا لِيُوشَعَ لَياليَ سارَ إلى بَيتِ المَقدِسِ».

(٢٧) ـ (٢٨) ـ ﴿**واتلُ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**علَيهِم**﴾: على قومك ﴿**نَبأَ**﴾: خبرَ ﴿**ابنَي آدَمَ**﴾ هابيلَ وقابيلَ ﴿**بالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ«اتل»، ﴿**إذ قَرَّبا قُربانًا**﴾ إلى الله ـ وهو كبشٌ لهابيلَ وزرعٌ لقابيلَ ـ ﴿**فتُقُبِّلَ مِن أحَدِهِما**﴾ وهو هابيلُ، بأن نزلَتْ نار من السماء فأكلتْ قُربانَه، ﴿**ولَم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ**﴾ وهو قابيلُ، فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حجّ آدم.

﴿**قالَ**﴾ له: ﴿**لَأقتُلَنَّكَ**﴾. قال: لِمَ؟ قال: لِتقبُّلِ قُربانِكَ دُوني. ﴿**قالَ: إنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ. لَئِنْ**﴾: لامُ قسم ﴿**بَسَطتَ**﴾: مددتَ ﴿**إلَيَّ يَدَكَ لِتَقتُلَني، ما أنا بباسِطٍ يَدِيَ إلَيكَ لِأقتُلَكَ. إنّيَ أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ**﴾ في قتلك. (٢٩) ـ (٣٠) ـ ﴿**إنّي أُرِيدُ أنْ تَبُوءَ**﴾: ترجِع ﴿**بإثمِي**﴾: بإثم قتلي ﴿**وإثمِكَ**﴾ الذي ارتكبته من قبلُ، ﴿**فتَكُونَ مِن أصحابِ النّارِ**﴾، ولا أُريد أن أبوءَ بإثمك إذا قتلتك فأكونَ منهم.

قال تعالى: ﴿**وذلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ. فطَوَّعَتْ**﴾: زيّنتْ ﴿**لَهُ نَفسُهُ قَتلَ أخِيهِ فقَتَلَهُ، فأصبَحَ**﴾: فصار ﴿**مِنَ الخاسِرِينَ**﴾ بقتله ـ ولم يدرِ ما يصنع به لأنّه أوّل ميّت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره ـ (٣١) ـ ﴿**فبَعَثَ اللهُ غُرابًا، يَبحَثُ في الأرضِ**﴾: يَنبُش التراب بمِنقاره وبرِجليه، ويُثيره على غُراب ميّت معه حتّى واراه، ﴿**لِيُرِيَهُ كَيفَ يُوارِي**﴾ يستُرُ ﴿**سَوءَةَ**﴾: جِيفةَ ﴿**أخِيهِ؟ قالَ: يا وَيلَتا، أعَجَزتُ**﴾ عن ﴿**أنْ أكُونَ مِثلَ هذا الغُرابِ، فأُوارِيَ سَوءةَ أخِي؟ فأصبَحَ مِنَ النّادِمِينَ**﴾ على حمله، وحَفَرَ له وواراه.

﴿فافرق﴾: فافصِلْ بحُكمِكَ. ﴿يتيهون في الأرض﴾: يسيرونَ فيها مُتحيِّرينَ ضالِّينَ. ﴿فلا تأس﴾: فلا تحزنْ. ﴿قرباناً﴾: ما يُتقرَّبُ بهِ مِنَ البرِّ إليهِ تعالى. ﴿تبوأ بإثمي﴾: ترجعَ بإثمِ قتلي إذا قتلتَني. ﴿و إثمك﴾: السَّابق المانع مِن قبولِ قُربانِكَ. ﴿فطوعت له نفسُهُ﴾: زيَّنَتْ وسهَّلَتْ لهُ نفسُهُ. ﴿يبحثُ في الأرض﴾: يحفرُ فيها ليدفنَ غُراباً قتلَهُ. ﴿سوأة أخيه﴾: جيفتَهُ أو عورتَهُ. ﴿يا ويلتا﴾: كلمةُ جزعٍ وتحسُّرٍ.

(١) ذكره عن ابن عباس ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٥٣٥).
(٢) رواه الطبري (٨/ ٣٠٧) عن الربيع.
(٣) الطبري (٨/ ٣٠٩) عن ابن عباس، عدا «وكانوا ست مئة ألف» فهو من خبر الربيع.
(٤) البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) برقم (٨٣١٥) من حديث أبي هريرة، ورجاله رجال الصحيح.

مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا
مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ
وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ
لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم
مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ
عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦

٣٢ ـ **﴿مِن أجْلِ ذلِكَ﴾** الذي فعله قابيل **﴿كَتَبْنا علَى بَنِي إسرائيلَ أنَّهُ﴾** أي: الشأنَ **﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بغَيرِ نَفْسٍ﴾**: قَتَلها، **﴿أو﴾** بغير **﴿فَسادٍ﴾** أتاه **﴿في الأرضِ﴾** من كُفرٍ أو زِنًى أو قطعِ طريقٍ ونحوِه، **﴿فكأنَّما قتَلَ النّاسَ جَمِيعًا، ومَن أحياها﴾** بأنِ امتنع من قتلها **﴿فكأنَّما أحيا النّاسَ جَمِيعًا﴾**. قال ابن عبّاس: من حيثُ انتهاكُ حُرمتِها وصَونُها. **﴿ولَقَد جاءَتْهُم﴾** أي: بني إسرائيل **﴿رُسُلُنا بالبَيِّناتِ﴾**: المُعجِزات، **﴿ثُمَّ إنَّ كَثِيرًا مِنهُم بَعدَ ذلِكَ في الأرضِ لَمُسرِفُونَ﴾**: مجاوزون الحدَّ بالكُفر والقتل وغير ذلك.

ونزل في العُرَنِيِّينَ لمّا قَدِموا المدينةَ وهم مرضى(١)، فأذن لهم النبيّ ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلمّا صحُّوا قتلوا راعي النبيّ ﷺ واستاقوا الإبل: ٣٣ ـ **﴿إنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ ورَسُولَهُ﴾** بمُحاربة المُسلمين، **﴿ويَسعَونَ في الأرضِ فَسادًا﴾** بقطع الطريق، **﴿أنْ يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيدِيهِم وأرجُلُهُم مِن خِلافٍ﴾** أي: أيديهم اليُمنى وأرجلُهم اليُسرى، **﴿أو يُنفَوا مِنَ الأرضِ﴾** أو: لترتيب الأحوال، فالقتلُ لمن قَتَلَ فقط، والصلبُ لمن قَتَلَ وأخذَ المال، والقطعُ لمن أخذَ المال ولم يقتل، والنفيُ لمن أخافَ فقطْ قاله ابن عبّاس، وعليه الشافعيّ(٢). وأصحّ قوليه أنّ الصلب ثلاثًا بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويُلحَق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره.

﴿ذلِكَ﴾ الجزاءُ المذكور **﴿لَهُم خِزيٌ﴾**: ذُلٌّ **﴿في الدُّنيا، ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾** هو عذاب النار، ٣٤ ـ **﴿إلّا الَّذِينَ تابُوا﴾** من المُحاربين والقُطّاع **﴿مِن قَبلِ أنْ تَقدِرُوا علَيهِم. فاعلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾** لهم ما أتوه **﴿رَحِيمٌ﴾** بهم. عَبَّرَ بذلك دُون «فلا تَحُدُّوهُم» ليُفيد أنه لا يَسقط عنه بتوبته إلّا حُدودُ الله ـ تعالى ـ دُونَ حُقوقِ الآدميِّينَ. كذا ظهرَ لي، ولم أرَ مَن تعرّضَ له، والله أعلم فإذا قَتَلَ وأخذَ المالَ يُقتل ويُقطع ولا يُصلب ـ وهو أصحّ قولَي الشافعيّ ـ ولا تُفيد توبتُه بعد القُدرة عليه شيئًا. وهو أصحّ قولَيه أيضًا.

٣٥ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ﴾**: خافوا عِقابه بأن تُطيعوه، **﴿وابتَغُوا﴾**: اطلبوا **﴿إلَيهِ الوَسِيلةَ﴾**: ما يُقرّبكم إليه من طاعته، **﴿وجاهِدُوا في سَبِيلِهِ﴾** لإعلاء دينه، **﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾**: تفوزون. ٣٦ ـ **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو﴾** ثَبَتَ **﴿أنَّ لَهُم ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ، لِيَفتَدُوا بهِ مِن عَذابِ يَومِ القِيامةِ، ما تُقُبِّلَ مِنهُم، ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾**.

٣٧ ـ **﴿يُرِيدُونَ﴾**: يتمنّون **﴿أنْ يَخرُجُوا مِنَ النّارِ، وما هُم بخارِجِينَ مِنها، ولَهُم عَذابٌ مُقِيمٌ﴾**: دائم.

٣٨ ـ **﴿والسّارِقُ والسّارِقةُ﴾**(٣) «أل» فيهما: موصولة مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو **﴿فاقطَعُوا أيدِيَهُما﴾** أي: يمينَ كلّ

﴿يُنفوا من الأرض﴾: يُبعدوا أو يُسجنوا. ﴿خزيٌ﴾: ذلٌّ وفضيحةٌ وعقوبةٌ. ﴿الوسيلة﴾: الزُّلفى بفعلِ الطّاعاتِ وتركِ المعاصي.

(١) أبو داود (٤٣٦٦)، والنسائي (٤٠٢٥)، من حديث أنس رضي الله عنه. وهو عند البخاري (٦٨٠٥)، ومسلم (١٦٧١)، دون ذكر النزول.
وقيلَ: نزلَتْ في قومِ هلالِ بنِ عُوَيمرٍ الأسلَميِّ، وكانوا مُشركينَ، وكان عليه السَّلامُ وادَعَه، فمرَّ به أناسٌ من بني كنانةَ يُريدونَ الإسلامَ، وكان هلالٌ غائبًا فقتَلَهم أصحابُ هلالٍ. الثعلبي (١١/ ٢٩٤) عن الكلبي، والسمرقندي (١/ ٣٨٦) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، فهو من طريق الكلبي أيضاً.

(٢) رواه عن ابن عباس الشافعي في «تفسيره» (٢/ ٧٣٣)، ومن طريقه رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٨٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٥٧٠). ثم قال الشافعي عقبه: وبهذا نقول، وهو موافق معنى كتاب الله تبارك وتعالى.

(٣) نزلَتْ في طُعمةَ بنِ أُبيرقٍ سارقِ الدِّرعِ. «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٥١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والواحدي (ص: ٩٥) عن الكلبي. و«درج الدرر» (١/ ٥٦٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقد مضت قصته.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ
يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ
لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ * يَا أَيُّهَا
الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ
الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ
فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ
فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

منهما من الكوع ـ وبيّنَتِ السُّنّة أنّ الذي يُقطع فيه ربعُ دينار فصاعدًا، وأنّه إن عاد قُطعتْ رِجله اليُسرى من مَفصِل القَدَم ثمّ اليدُ اليُسرَى ثمّ الرِّجلُ اليُمنى[1]، وبعد ذلك يُعزَّر ـ ﴿جزاءً﴾: نصبٌ على المصدر ﴿بما كَسَبا نكالاً﴾: عُقوبةً لهما ﴿مِنَ اللهِ. واللهُ عَزيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه.

٣٩ ـ ﴿فمَن تاب مِن بَعدِ ظُلمِهِ﴾: رجَعَ عن السرقة، ﴿وأصلَحَ﴾ عمله، ﴿فإنَّ اللهَ يَتُوبُ عليه[2]. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. في التعبير بهذا ما تقدّم، فلا يَسقطُ بتوبته حقُّ الآدميّ من القطع وردُّ المال. نَعَمْ بيّنَتِ السُّنّة أنه إن عَفا[3] عنه قَبْلَ الرفعِ إلى الإمام سَقطَ القطعُ[4]. وعليه الشافعيّ.

ربع الحزب ١٢

٤٠ ـ ﴿أَلَم تَعلَمْ﴾ ـ الاستفهام فيه للتقرير ـ ﴿أنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السّماواتِ والأرضِ، يُعذِّبُ مَن يَشاءُ﴾ تعذيبَه، ﴿ويَغفِرُ لِمَن يَشاءُ﴾ المغفرةَ له، ﴿واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه التعذيب والمغفرة؟

٤١ ـ ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ، لا يَحزُنْكَ﴾ صُنعُ ﴿الَّذِينَ يُسارِعُونَ في الكُفْرِ﴾[5]: يقعون فيه بسُرعة، أي: يُظهرونه إذا وجدوا فُرصة، ﴿مِنَ﴾: للبيان ﴿الَّذِينَ قالُوا: آمَنّا. بِأَفواهِهِم﴾: بألسنتهم متعلّق بـ «قالوا»، ﴿ولَم تُؤمِنْ قُلُوبُهُم﴾ وهم المنافقون. ﴿ومِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ قومٌ ﴿سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سَماعَ قَبولٍ، ﴿سَمّاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَومٍ﴾: لِأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَم يأْتُوكَ﴾ ـ وهم أهل خيبرَ، زنى فيهم مُحصَنانِ فكرهوا رجمهما، فبعثوا قُرَيظةَ ليسألوا النبيَّ عن حكمهما ـ ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِن بَعدِ مَواضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي: يبدّلونه، ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إنْ أُوتِيتُم هذا﴾ الحُكمَ المحرَّف، أي: الجَلدَ، أي: أفتاكم به مُحمّد ﴿فخُذُوهُ﴾: فاقبلوه، ﴿وإنْ لَم تُؤتَوهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فاحذَرُوا﴾ أن تقبلوه.

﴿ومَن يُرِدِ اللهُ فِتنَتَهُ﴾: إضلالَه ﴿فلَن تَملِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيئًا﴾ في دفعها. ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَم يُرِدِ اللهُ أنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم﴾ من الكفر ـ ولو أراده لكان ـ ﴿لَهُم في الدُّنيا خِزيٌ﴾: ذُلّ بالفضيحة والجزية، ﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿نكالاً﴾: عُقوبةً تمنعُ مِنَ العَوْدِ. ﴿سمّاعُون للكذب﴾: يسمعونَ كلامَكُ فيمسخُونَهُ ليكذبوا عليكَ فيه. ﴿سمّاعُون لقوم آخرين﴾: يسمعُونَ كلامَكَ للتَّجسُّسِ لآخرينَ. ﴿يحرفون الكلم﴾: يُبدِّلونه أو يُؤوِّلونَهُ بالباطلِ. ﴿فتنته﴾: ضلالتَهُ وكُفرَهُ أو إهلاكَهُ. ﴿خزيٌ﴾: افتضاحٌ وذلٌّ.

(١) رواه من حديث جابر أبو داود (٤٤١٠)، والنسائي (٤٩٨٧) وقال: «حديث منكر»، وفي «الكبرى» (٧٤٢٩) وقال: «هذا الحديثُ ليس بصحيحٍ، ولا أعلمُ في هذا الباب حديثًا صحيحًا عن النبيِّ ﷺ». وفي الباب عن أبي هريرة وجمع من الصحابة، وجاء في بعضها أنه ﷺ أمر بقتله بعد الرابعة. وكلها ضعيفة. انظر تفصيل ذلك في «التلخيص الحبير» ط: العلمية (٤/ ١٨٩).

(٢) عن عبد الله بن عمرو: أن امرأة سرقت حُليًّا، فجاء بها الذين سرقتهم إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ: «اقطعوا يدها اليمنى»، فقطعت، قالت: هل من توبة؟ فقال: «أنتِ اليومَ من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» قال: فأنزل الله جل وعز: ﴿فمن تاب﴾ الآية. «مسند أحمد» (٦٦٥٧)، والطبري (٨/ ٤١١)، وإسناده ضعيف، والحديث ثابت في الصحيحين عن عائشة دون ذكر النزول، رواه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

(٣) أبو داود (٤٤١٠)، والنسائي (٤٨٧٨)، وابن ماجه (٢٥٩٥)، من حديث صفوان بن أمية رضي الله عنه. وصححه ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٤/ ٥٦٣).

(٤) رواه البخاري (٦٧٨٩)، ومسلم (١٦٨٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) عن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه ما ملخصه: مُرَّ على النَّبيِّ عليه السَّلام بيهوديٍّ مُحمَّمٍ مجلودٍ، فدعاهم فقال: «هكذا تجدونَ حدَّ الزِّنى في كتابكم؟» قالوا: نعم، فدعا رجلًا من عُلمائهم هو عبد الله بن صُوريا، فسأله فأجاب: لا، نجدُ حدَّ الزِّنى في كتابِنا الرَّجم، ولكنَّه كثُر في أشرافِنا، فكنَّا نترك الشَّريفَ ونقيم الحد على الوضيعَ، ثم اجتمعنا على التَّحميمِ والجلدِ نُقيمُه على الشَّريفِ والوضيع، فأمرَ به فرُجِم، فأنزلَ الله هذه الآية. مسلم (١٧٠٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما ملخصه: أن طائفتين من اليهود إحداهما قد قهرت الأخرى، فلما جاء الإسلام أرادت الذليلة التحاكم إلى النبي ﷺ، فعلمت الأخرى أنه سيحكم ببطلان ما كانوا يفعلونه، فدَسُّوا إلى رسول الله ﷺ ناسًا من المنافقين لِيَخْبُروا لهم رأيَه على أنه إنْ أعطاهم ما يريدون حكَّموه وإلا لم يحكّموه، فأخبر اللهُ رسولَه بأمرهم، فأنزل هذه الآية. أحمد في «المسند» (٢٢١٢) بسند حسن.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ
وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟
لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن
كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ
وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ
بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ
قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن
لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٤٢﴾ ـ هم **﴿سَمّاعُونَ لِلكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحتِ﴾** ـ بضمّ الحاء وسكونها ـ أي: الحرامِ كالرُّشا. **﴿فإنْ جاؤُوكَ﴾** لتحكم بينهم **﴿فاحكُمْ بَينَهُم، أو أعرِضْ عَنهُم﴾** ـ هذا التخييرُ منسوخ بقوله «وأنِ احكُمْ بَينَهُم» الآيَةَ[1]، فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا. وهو أصحّ قولَي الشافعيّ. فلو ترافعوا إلينا مع مُسلم وجب إجماعًا ـ **﴿وإنْ تُعرِضْ عَنهُم فلَن يَضُرُّوكَ شَيئًا! وإنْ حَكَمتَ﴾** بينهم **﴿فاحكُمْ بَينَهُم بِالقِسطِ﴾**: بالعدل. **﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ﴾**: العادلين في الحكم، أي: يُثيبهم.

﴿٤٣﴾ ـ **﴿وكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ، وعِندَهُمُ التَّوراةُ فِيها حُكمُ اللهِ﴾** بالرجم ـ استفهامُ تعجيب ـ أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحقّ، بل ما هو أهوَنُ عليهم، **﴿ثُمَّ يَتَوَلَّونَ﴾**: يُعرِضون عن حُكمِك بالرجم الموافقِ لكتابهم **﴿مِن بَعدِ ذلِكَ﴾** التحكيم؟ **﴿وما أُولئِكَ بِالمُؤمِنِينَ﴾** ﴿٤٤﴾ ـ **﴿إنّا أَنزَلْنا التوراةَ، فِيها هُدًى﴾** من الضلالة **﴿ونُورٌ﴾**[2]: بيان للأحكام، **﴿يَحكُمُ بِها النَّبِيُّونَ﴾** من بني إسرائيل **﴿الَّذِينَ أَسلَمُوا﴾**: انقادوا للهِ **﴿لِلَّذِينَ هادُوا، والرَّبّانِيُّونَ﴾**: العلماء منهم **﴿والأحبارُ﴾**: الفُقهاء **﴿بِما﴾** أي: بسبب الذي **﴿استُحفِظُوا﴾**: استودِعُوه أي: استحفظَهم اللهُ إيّاه **﴿مِن كِتابِ اللهِ﴾** أن يُبدّلوه، **﴿وكانُوا عَلَيهِ شُهَداءَ﴾** أنه حقّ. **﴿فلا تَخشَوُا النّاسَ﴾** ـ أيُّها اليهود ـ في إظهار ما عِندكم من نعتِ مُحمّد والرجمِ وغيرهما، **﴿واخشَونِي﴾** في كِتمانه، **﴿ولا تَشتَرُوا﴾**: تستبدلوا **﴿بِآياتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾** من الدنيا تأخذونه على كتمانها. **﴿ومَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾**[3] به.

﴿٤٥﴾ ـ **﴿وكَتَبْنا﴾**: فرضنا **﴿عَلَيهِم فِيها﴾** أي: التوراةِ **﴿أنَّ النَّفسَ﴾** تُقتل **﴿بِالنَّفسِ﴾** إذا قَتلَتْها، **﴿والعَينَ﴾** تُفقأ **﴿بِالعَينِ، والأنفَ﴾** يُجدع **﴿بِالأنفِ، والأُذُنَ﴾** تُقطع **﴿بِالأُذُنِ، والسِّنَّ﴾** تُقلع **﴿بِالسِّنِّ﴾** ـ وفي قراءة بالرفع في الأربعة ـ **﴿والجُرُوحَ﴾**، بالوجهين، **﴿قِصاصٌ﴾** أي: يُقتصُّ فيها إن أمكن كاليدِ والرِّجلِ والذَّكَرِ ونحو ذلك، وما لا يُمكن فيه الحُكومةُ. وهذا الحُكم، وإن كُتب عليهم، فهو مقرّر في شرعنا. **﴿فمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾**، أي: بالقِصاص بأن مَكّن من نفسه، **﴿فهُوَ كَفّارةٌ لَهُ﴾**: لِما أتاه، **﴿ومَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ﴾** في القِصاص وغيره **﴿فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾**.

﴿أكالُون للسُّحت﴾: للمالِ الحرامِ، وأفحشُهُ الرُّشا. ﴿بالقسط﴾: بالعدلِ، وهوَ حكمُ الإسلامِ. ﴿المقسطين﴾: العادلينَ فيما وُلُّوا وحكموا فيهِ. ﴿يتولون من بعد ذلك﴾: يُعرِضونَ عن حُكمِكَ الموافقِ للتَّوراةِ بعدَ تحكيمِكَ. ﴿أسلموا﴾: انقادوا لحكمِ ربِّهم في التَّوراةِ. ﴿الربانيُون﴾: عُبَّادُ اليهودِ أوِ العلماءُ الفقهاءُ. ﴿الأحبار﴾: عُـلـماءُ اليهودِ.

(١) روي هذا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز. وذهب غيرهم إلى أن الآية مثبتةٌ، والتَّخييرَ باقٍ، وروي هذا عن الحسن والشعبي وأبي ميسرة والنخعي وعطاء. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد (ص: ١٣٤ ـ ١٣٧)، وللنحاس (ص: ٣٩٦ ـ ٣٩٨).

(٢) عن أبي هريرة قال: زنى رجل من اليهود وامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه نبي بُعِث بالتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا: فُتْيَا نبي من أنبيائك! فأتوه فقالوا: يا أبا القاسم، ما تقول في رجل وامرأة منهم زنيا؟ فلم يكلمهم كلمة، حتى أتى بيت مِدْراسهم، فقام على الباب فقال: «أنشدُكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن».. وساق الحديث بنحو ما تقدم قريباً في حديث البراء، وفي آخره: فأمر بهما فرجما، قال الزهري: فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿إنا أنزلنا التوراة.. ﴾. عبد الرزاق (٧٠٦)، وأبو داود (٤٤٥٠)، والواحدي (ص: ١٦٧).

(٣) في آخر حديث البراء السابق: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾، يقول: ائتوا محمدًا (ﷺ)، فإنْ أمَركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في الكفار كلِّها. مسلم (١٧٠٠).

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٤٦) ـ (٤٧) ـ ﴿وقَفَّينا﴾: أتبَعْنا ﴿علَى آثارِهِم﴾ أي: النبيِّين ﴿بِعِيسَى بنِ مَريَمَ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه ﴿مِنَ التَّوراةِ، وآتيناهُ الإنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿ونُورٌ﴾: بيان للأحكام، ﴿ومُصَدِّقًا﴾: حالٌ ﴿لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ التَّوراةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وهُدًى ومَوعِظةً لِلمُتَّقِينَ، و﴾ قلنا: ﴿لِيَحكُمْ أهلُ الإنجِيلِ بِما أنزَلَ اللهُ فِيهِ﴾[1] من الأحكام. وفي قراءة بنصبِ «يَحكُمَ» وكسرِ لامه عطفًا على معمول «آتيناه». ﴿ومَن لَم يَحكُمْ بِما أنزَلَ اللهُ فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾.

(٤٨) ـ ﴿وأنزَلْنا إلَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿الكِتابَ﴾: القرآنَ ﴿بِالحَقِّ﴾: متعلّق بـ «أنزلنا» ﴿مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه ﴿مِنَ الكِتابِ ومُهَيمِنًا﴾: شاهدًا ﴿عَلَيهِ﴾. و«الكتابِ» بمعنى الكُتب. ﴿فاحكُمْ بَينَهُم﴾: بين أهل الكتاب، إذا ترافعوا إليك ﴿بِما أنزَلَ اللهُ﴾ إليك، ﴿ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم﴾، عادلاً ﴿عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ. لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنكُم﴾ ـ أيها الأُممُ ـ ﴿شِرْعةً﴾: شريعة ﴿ومِنهاجًا﴾: طريقًا واضحًا في الدِّين تمشون عليه، ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمّةً واحِدةً﴾ على شريعة واحدة، ﴿ولكِنْ﴾ فرّقكم فِرَقًا ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: ليختبِرَكم ﴿فِيما آتاكُم﴾ من الشرائع المختلفة، لينظر المُطيعَ منكم والعاصيَ. ﴿فاستَبِقُوا الخَيراتِ﴾: سارعوا إليها. ﴿إلَى اللهِ مَرجِعُكُم جَمِيعًا﴾ بالبعثِ ﴿فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، ويَجزي كُلًّا منكم بعمله.

(٤٩) ـ (٥٠) ـ ﴿وأنِ احكُمْ بَينَهُم بِما أنزَلَ اللهُ، ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم واحذَرْهُم﴾ لِـ ﴿أنْ﴾ لا ﴿يَفتِنُوكَ﴾: يُضِلّوك ﴿عَن بَعضِ ما أنزَلَ اللهُ إلَيكَ، فإن تَوَلَّوا﴾ عن الحُكم المُنزَل، وأرادوا غيره، ﴿فاعلَمْ أنَّما يُرِيدُ اللهُ أنْ يُصِيبَهُم﴾ بالعُقوبة في الدنيا ﴿بِبَعضِ ذُنُوبِهِم﴾ التي أتوها ـ ومنها التولّي ـ ويُجازيَهم على جميعها في الأُخرى ـ ﴿وإنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ لَفاسِقُونَ ـ أفَحُكمَ الجاهِلِيّةِ يَبغُونَ﴾، بالياء والتاء: يطلبون من المُداهنة والمَيل، إذ تولَّوا؟ استفهام إنكار، ﴿ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أحسَنُ مِنَ اللهِ حُكمًا لِقَومٍ﴾: عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به؟ خُصّوا بالذكر لأنهم الذين يتدبّرونه.

(٥١) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أولِياءَ﴾[2] تُوالونهم وتُوادّونهم. ﴿بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ﴾ لاتّحادهم في الكُفر، ﴿ومَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فإنَّهُ مِنهُم﴾: من جُملتهم. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾ بمُوالاة الكُفّار، (٥٢) ـ (٥٣) ـ ﴿فتَرَى الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾:

﴿قفينا على آثارهم﴾: أتبعْنا على آثارِ النَّبيِّينَ. ﴿مُهيمناً عليه﴾: رقيباً أو شاهداً على ما سبقَهُ. ﴿عما جاءك﴾: عادِلاً عمَّا جاءَكَ. ﴿شرعة ومنهاجاً﴾: شريعةً وطريقاً واضحاً في الدِّينِ. ﴿ليبلُوكم﴾: ليختبرَكُم وهوَ أعلمُ بأمرِكُم. ﴿أن يفتِنُوك﴾: يصرفوكَ ويصدُّوكَ بكيدِهِم.

(١) قال ابنُ عبَّاسٍ: اجتمعَ قومٌ منَ الأحبارِ، منهم ابنُ صوريا، وقالوا: اذهَبُوا بنا إلى محمَّدٍ فلعلَّنا نفتِنُه عن دينِه، ثمَّ قالوا: قد عرفتَ يا محمَّدُ أنَّا أحبارُ اليهودِ، وإن اتَّبعناكَ لـم يُخالفْنا أحدٌ منَ اليهودِ، وإنَّ بينَنا وبين قومٍ خُصومة، فنُحاكِمُهم إليكَ، فاقضِ لنا عليهم حتَّى نُؤمِنَ بك، فأبَى رسولُ الله ﷺ، ونزلَتْ هذه الآيةُ. الطبري (٨/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٤)، والواحدي (ص: ١٩٨).

(٢) نزلَت في عبادةَ بنِ الصَّامتِ، قال: يا رسولَ الله، إنَّ لي مواليَ من اليهودِ كثيرٌ عددُهم حاضرٌ نصرُهم، ولكنِّي أبرَأُ إلى الله وإلى رسولِه من ولايةِ اليهودِ وأُوالي اللهَ ورسولَه، فقال عبدُ الله بنُ أُبيٍّ: إنِّي رجلٌ أخافُ الدَّوائرَ، ولا أبرأُ من ولايةِ اليهودِ، فقال عليه السَّلامُ: «ما بخِلْتَ به من ولايةِ اليهودِ على عبادةَ بنِ الصَّامتِ فهو لكَ دونَه»، فقال: قبِلْتُ، فنزلت الآيةُ إلى قولِه: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: ابنَ أُبيٍّ. ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٣٠١)، والطبري (٨/ ٥٠٤)، عن عطية العوفي مرسلاً، ورواه الطبري أيضاً عن الزهري. وبنحوه ابن إسحاق عن أبيه عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٩)، ومن طريق ابن إسحاق الطبري (٨/ ٥٠٥).

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ
نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ
فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ
أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ
مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ
عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا
يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧

نصف الحزب ١٢

ضعفُ اعتقاد كعبد الله بن أُبيّ، ﴿**يُسارِعُونَ فِيهِم**﴾: في مُوالاتهم، ﴿**يَقُولُونَ**﴾ مُعتذرين عنها: ﴿**نَخشَى أن تُصِيبَنا دائرةٌ**﴾ يدورُ بها الدهر علينا من جدب أو غلبة، ولا يتمّ أمر محمّد فلا اتَّمِيرونا.

قال تعالى: ﴿**فعَسَى اللهُ أن يأتِيَ بِالفَتحِ**﴾: بالنصر لنبيّه لإظهار دينه ﴿**أو أمرٍ مِن عِندِهِ**﴾ بهتك سِتر المنافقين وافتضاحهم، ﴿**فيُصبِحُوا على ما أسَرُّوا في أنفُسِهِم**﴾ من الشكّ ومُوالاة الكُفّار ﴿**نادِمِينَ. ويَقُولُ**﴾ - بالرفع استئنافًا بواوٍ ودونها، وبالنصب عطفًا على «يأتي» - ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ لبعضهم إذا هَتَكَ سِترَهم تعجّبًا: ﴿**أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أقسَمُوا بِاللهِ جَهدَ أيمانِهِم**﴾: غايةَ اجتهادهم فيها ﴿**إِنَّهُم لَمَعَكُم**﴾ في الدِّين؟ قال تعالى: ﴿**حَبِطَتْ**﴾: بَطَلَتْ ﴿**أعمالُهُم**﴾ الصالحة، ﴿**فأَصبَحُوا**﴾: صاروا ﴿**خاسِرِينَ**﴾ الدُّنيا بالفضيحة والآخرة بالعِقاب!

٥٤ - ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، مَن يَرتَدِدْ**﴾، بالفكِّ والإدغام: يَرجِعْ ﴿**مِنكُم عَن دِينِهِ**﴾ إلى الكُفر - إخبارٌ بما علم الله - تعالى - وقوعَه منهم. وقد ارتدّ جماعة بعد موت النبيّ ﷺ - ﴿**فَسَوفَ يأتِي اللهُ**﴾ بدلَهم ﴿**بِقَومٍ، يُحِبُّهُم ويُحِبُّونَهُ**﴾ - قال ﷺ: «هُم قومُ هذا» وأشار إلى أبي مُوسى الأشعريّ. رواه الحاكم في صحيحه[1] - ﴿**أذِلَّةٍ**﴾: عاطِفِينَ ﴿**على المُؤمِنِينَ، أعِزَّةٍ**﴾: أشدّاءَ ﴿**على الكافِرِينَ، يُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ، ولا يَخافُونَ لَومةَ لائمٍ**﴾ فيه كما يخاف المُنافقون لوم الكُفّار ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور من الأوصاف ﴿**فَضلُ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ، واللهُ واسِعٌ**﴾: كثير الفضل ﴿**عَلِيمٌ**﴾ بمن هو أهله.

ونزل، لمّا قال ابن سلام[2]: «يا رسولَ اللهِ، إنّ قومَنا هَجَرُونا»: ٥٥ - ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، وهُم راكِعُونَ**﴾: خاشعون، أو مُصلّون صلاةَ التطوّع، ٥٦ - ﴿**ومَن يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا**﴾ - فيُعينُهم ويَنصرُهم - ﴿**فإِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ**﴾ لنصره إيّاهم. أوقعه موقع «فإنّهم» بيانًا لأنهم من حزبِه، أي: أتباعِه.

٥٧ - ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُم هُزُوًا**﴾: مَهزوءًا به ﴿**ولَعِبًا**﴾[3]، ﴿**مِنَ**﴾ - للبيان - ﴿**الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلِكُم والكُفّارِ**﴾: المشركينَ، بالجرِّ والنصبِ، ﴿**أولِياءَ، واتَّقُوا اللهَ**﴾ بترك مُوالاتهم، ﴿**إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾: صادقين في إيمانكم، ....

﴿أولياء﴾: تُؤاخونَهُم وتستنصرونَهُم. ﴿تُصيبنا دائرة﴾: يدورَ علينا الدَّهرُ بنوائبِهِ. ﴿بالفتح﴾: بالنَّصرِ لرسولِهِ ﷺ. ﴿جهد أيمانهم﴾: مجتهدينَ في الحلفِ بأغلظِها وأوكدِها. ﴿حبطت أعمالهم﴾: بطلَتْ وضاعَتْ. ﴿أذلة على المؤمنين﴾: عاطفينَ عليهِم رحماءَ بهِم. ﴿أعزة على الكافرين﴾: أشدَّاءَ عليهِم غلظاءَ. ﴿لومة لائم﴾: اعتراضَ معترضٍ في نصرِهِمُ الدِّينَ. ﴿الله واسع﴾: كثيرُ الفضلِ والجودِ. ﴿هزواً ولعباً﴾: سخريةً، وهزلاً ومُجونًا.

(١) «المستدرك» (٣٢٢٠) وصححه، ورواه أيضاً ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٠٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢٦١)، والطبري (٨/ ٥٢١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٣٠)، جميعهم عن عياض بن عمرو الأشعري عن النبي ﷺ، وعياض مختلف في صحبته. انظر: «الإصابة» (٤/ ٦٢٩). ووصله بنحوه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٥٢) عن عياض عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) الثعلبي (١١/ ٣٩٠)، والواحدي (ص: ١٩٩)، والبغوي (٣/ ٧٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما دون سند. وروي نحوه عن ابن عباس وزاد: أن آخر الآية نزل في عليٍّ رضي الله عنه لأنَّه أعطى خاتمَه سائلًا وهو راكعٌ في الصلاة. رواه الشجري كما في «ترتيب الأمالي الخميسية» (٦٨٠) من طريق سلسلة الكذب - وهي محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح - عن ابن عباس، وذكره الواحدي (ص: ١٩٩) عن الكلبي، وجمع ابن كثير عند هذه الآية من «تفسيره» ما روي في قصة عليٍّ تلك من أحاديث وأخبار ثم قال: وليس يصح شيء منها بالكلية؛ لضعف أسانيدها وجهالة رجالها. وقال في «البداية والنهاية» (١١/ ٩٤): ولم ينزل في عليٍّ شيءٌ من القرآن بخصوصيته.

(٣) قال ابن عبّاسٍ: كان رفاعةُ بنُ زيدٍ وسُويدُ بنُ الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجالٌ من المسلمين يُوادُّونهما، فنزلت. الطبري (٨/ ٥٣٣)، والواحدي (ص: ٢٠٠).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾
قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد
دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟
بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

(٥٨) ـ ﴿وَ﴾ الذين ﴿إذا نادَيتُم﴾: دعوتم ﴿إِلَى الصَّلاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوها﴾ أي: الصلاةَ ﴿هُزُوًا ولَعِبًا﴾[1] بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا. ﴿ذلِكَ﴾ الاتّخاذ ﴿بِأَنَّهُم﴾: بسبب أنهم ﴿قَومٌ لا يَعقِلُونَ﴾.

ونزل لمّا قال اليهود للنبيِّ ﷺ: «بِمَن تُؤمن من الرُّسل»؟[2] فقال: «باللهِ وما أُنزلَ إلَينا» الآيةَ، فلمّا ذكر عيسى قالوا: «لا نعلم دِينًا شرًّا من دينكم»:

(٥٩) ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، هَل تَنقِمُونَ﴾: تُنكرون ﴿مِنّا إلّا أنْ آمَنّا بِاللهِ، وما أُنزِلَ إلَينا وما أُنزِلَ مِن قَبلُ﴾ إلى الأنبياء، ﴿وأنَّ أكثَرَكُم فاسِقُونَ﴾؟ عطفٌ على «أنْ آمَنّا». المعنى: ما تُنكرون إلّا إيمانَنا ومُخالفتكم في عدمِ قبوله المعبَّر عنه بالفسق اللازم عنه. وليس هذا ممّا يُنكَر.

(٦٠) ـ ﴿قُلْ: هَل أُنَبِّئُكُم﴾: أُخبِرُكم ﴿بِشَرٍّ مِن﴾ أهلِ ﴿ذلِكَ﴾ الذي تَنقِمُونه ﴿مَثُوبَةً﴾: ثوابًا بمَعنى: جزاءً ﴿عِندَ اللهِ﴾؟ هو ﴿مَن لَعَنَهُ اللهُ﴾: أبعده من رحمته ﴿وغَضِبَ علَيهِ، وجَعَلَ مِنهُمُ القِرَدَةَ والخَنازِيرَ﴾ بالمَسخ، ﴿وَ﴾ مَن ﴿عَبَدَ الطّاغُوتَ﴾: الشيطان بطاعته. وراعَى في «منهم» معنى «مَن» وفيما قبله لفظها ـ وهم اليهود ـ وفي قراءةٍ بضمِّ باء «عَبُدَ» وإضافتِه إلى ما بعده، اسم جمع لعَبْد، ونصبُه بالعطف على «القِردةَ». ﴿أُولئِكَ شَرٌّ مَكانًا﴾: تمييزٌ، لأنَّ مأواهم النار، ﴿وأَضَلُّ عَن سَواءِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحقّ. وأصل السواء: الوسَط. وذَكرُ «شرّ وأضلّ» في مقابلة قولهم: لا نعلم دينًا شرًّا من دينكم.

(٦١) ـ ﴿وإذا جاؤُوكُم﴾ أي: منافقو اليهود ﴿قالُوا: آمَنّا. وقَد دَخَلُوا﴾ إليكم مُلتبسين ﴿بِالكُفرِ، وهُم قَد خَرَجُوا﴾ من عِندكم مُلتبسين ﴿بِهِ﴾، ولم يؤمنوا ـ ﴿واللهُ أعلَمُ بِما كانُوا يَكتُمُونَـ﴾ ـه من النفاق ـ (٦٢) ـ ﴿وتَرَى كَثِيرًا مِنهُم﴾ أي: اليهودِ ﴿يُسارِعُونَ﴾: يقعون سريعًا ﴿في الإثمِ﴾: الكذب ﴿والعُدوانِ﴾: الظُّلم ﴿وأكلِهِمِ السُّحتَ﴾ الحرامَ كالرُّشا. ﴿لَبِئسَ ما كانُوا يَعمَلُونَـ﴾ ـه عملُهم هذا! (٦٣) ـ ﴿لَولا﴾: هلّا ﴿يَنهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ والأحبارُ﴾ منهم ﴿عَن قَولِهِمِ الإثمَ﴾: الكذبَ ﴿وأكلِهِمِ السُّحُتَ. لَبِئسَ ما كانُوا يَصنَعُونَـ﴾ ـه تركُ نهيِهم!

(٦٤) ـ ﴿وقالَتِ اليَهُودُ﴾ لمّا ضُيِّق عليهم بتكذيبهم النبيَّ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً: ﴿يَدُ اللهِ مَغلُولَةٌ﴾[3]: مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ـ كنَّوا به عن البُخل ـ تعالى عن ذلك قال تعالى: ﴿غُلَّتْ﴾: أُمسِكَتْ ﴿أيدِيهِم﴾ عن فِعل الخيرات، دُعاءً عليهم، ﴿ولُعِنُوا بِما قالُوا. بَل يَداهُ مَبسُوطَتانِ﴾: مُبالغةٌ في الوصف بالجود. وثنّى اليدَ لإفادة الكثرة، إذ غاية ما يبذله السخيّ من ماله أن يُعطيَ بيديه. ﴿يُنفِقُ كَيفَ يَشاءُ﴾ من توسيع وتضييق؟ لا اعتراض عليه.

﴿تنقمون﴾: تكرهونَ أو تعيبونَ وتنكرونَ. ﴿مثوبة﴾: جزاءً ثابتاً وعقوبةً. ﴿عبد الطاغوت﴾: أطاعَ الشَّيطانَ في معصيةِ اللهِ. ﴿سواء السبيل﴾: الطَّريقَ المعتدلَ وهوَ الإسلامُ. ﴿أكلهم السحت﴾: المالَ الحرامَ، وأفحشُهُ الرُّشا. ﴿الربانيون﴾: عُبّادُ اليهودِ، أوِ العلماءُ الفقهاءُ. ﴿الأحبار﴾: علماءُ اليهودِ. ﴿مغلولة﴾: مقبوضةٌ عنِ العطاءِ بُخلاً.

(١) عن الكلبيِّ: كان اليهود إذا نودي إلى الصَّلاة وقامَ المسلمون إليها قالوا استهزاء: قد قاموا لا قاموا، قد صلَّوا لا صلَّوا، قد ركعوا لا ركعوا؛ وضحكوا، فنزلت. الثعلبي (١١/ ٣٩٩)، والواحدي (ص: ٢٠٠). السُّدِّيُّ: نزلَت في رجلٍ من النَّصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذِّنَ يقولُ: أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسول الله، قال: أحرقَ الكاذبُ، فدخلَ خادمُه بنارٍ ذاتَ ليلةٍ وهو وأهلُه نيامٌ، فتطايرَ منها شررٌ فاحترقوا. الطبري (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٣)، والواحدي (ص: ٢٠١). وقيل: حسدُوا رسولَ الله ﷺ على الأذان، وقالُوا: يا محمد لقد أبدَعْتَ شيئًا لـم يُسمَعْ به فيما مضى منَ الأُمم، فمن أينَ لك صياحٌ كصياحِ العيرِ؟ فما أقبحَه من صوتٍ! وما أسمَجَه من أمرٍ! فنزلَتْ. الثعلبي (١١/ ٤٠٠)، والواحدي (ص: ٢٠١)، دون سند ولا راوٍ.

(٢) الطبري (٨/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨)، والثعلبي (١١/ ٤١٣ ـ ٤١٤)، والواحدي (ص: ٢٠١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) عن ابن عباس: قال رجل من اليهود يقال له «النباش بن قيس»: إن ربك بخيل لا ينفق، فنزلت. «المعجم الكبير» (١٢٤٩٧)، و«لباب النقول» (ص: ٨٢)، ورجاله ثقات كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧).

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ
رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ
تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) لَقَدْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)

﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُم ما أُنزلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ من القُرآن ﴿طُغيانًا وكُفرًا﴾ لِكُفرهم به. ﴿وألقَينا بَينَهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ إلَى يوم القِيامةِ﴾. فكلّ فِرقة منهم تُخالف الأُخرى. ﴿كُلَّما أوقَدُوا نارًا لِلحَربِ﴾ أي: لحرب النبيّ ﴿أطفَأَها اللهُ﴾ أي: كلمّا أرادوه ردَّهم. ﴿ويَسعَونَ في الأرضِ فَسادًا﴾ أي: مُفسِدين بالمعاصي. ﴿واللهُ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يُعاقبهم.

ربع الحزب ١٢

(٦٥) ـ (٦٦) ـ ﴿ولَو أنَّ أهلَ الكِتابِ آمَنُوا﴾ بمُحمّد ﴿واتَّقَوا﴾ الكُفرَ ﴿لَكَفَّرْنا عَنهُم سَيِّئاتِهِم، ولَأدخَلْناهُم جَنّاتِ النَّعِيم، ولَو أنَّهُم أقامُوا التَّوراةَ والإنجِيلَ﴾ بالعملِ بما فيهما، ومنه الإيمان بالنبيّ، ﴿وما أُنزِلَ إلَيهِم﴾ من الكُتبِ ﴿مِن رَبِّهِم لَأكَلُوا مِن فَوقِهِم ومِن تَحتِ أرجُلِهِم﴾ بأن يُوسِّع عليهم الرزقُ ويَفيض مِن كُلّ جهة ﴿مِنهُم أُمّةٌ﴾: جماعة ﴿مُقتَصِدةٌ﴾ تعمل به ـ وهم مَن آمنَ بالنبيّ ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه ـ ﴿وكَثِيرٌ مِنهُم ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما﴾ شيئًا ﴿يَعمَلُونَـ﴾ ـه!

(٦٧) ـ ﴿يا أيُّها الرَّسُولُ، بَلِّغْ﴾ جميعَ ﴿ما أُنزِلَ إلَيكَ[1] مِن رَبِّكَ﴾، ولاتكتم شيئًا منه خوفًا أن تُنال بمكروه ـ ﴿وإن لَم تَفعَلْ﴾، أي: لم تُبلّغ جميع ما أُنزل إليك، ﴿فما بَلَّغتَ رِسالَتَهُ﴾، بالإفراد والجمع، لأنّ كِتمان بعضها ككتمان كُلّها ـ ﴿واللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ أن يقتلوك. وكان ﷺ يُحرَس حتّى نزلتْ، فقَال: «انصَرِفُوا. فقَد عَصَمَنِي اللهُ». رواه الحاكم[2]. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ﴾.

(٦٨) ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ، لَستُم علَى شَيءٍ﴾[3] من الدِّين مُعتدٍّ به ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوراةَ والإنجِيلَ وما أُنزِلَ إلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾، بأن تعملوا بما فيه، ومنه الإيمانُ بي. ﴿ولَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُم ما أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾، من القُرآن، ﴿طُغيانًا وكُفرًا﴾ لِكُفرهم به ﴿فلا تأسَ﴾: تحزنْ ﴿علَى القَومِ الكافِرِينَ﴾، إن لم يُؤمنوا بك، أي: لا تهتمَّ بهم.

(٦٩) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، والَّذِينَ هادُوا﴾ هم اليهود: مبتدأٌ، ﴿والصّابِئُونَ﴾: فرقة منهم ﴿والنَّصارَى﴾، ويُبدل من المبتدأ ﴿مَن آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ وعَمِلَ صالِحًا فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخرة: خبرُ المبتدأ ودالٌّ على خبر «إنّ».

﴿أمة مقتصدة﴾: معتدلةٌ. وهم مَن أسلمَ منهُم. ﴿فلا تأس﴾: فلا تحزنْ ولا تتأسَّفْ. ﴿الصابئون﴾: عبدةُ الكواكبِ أوِ الملائكةِ مُبتدأٌ خبرُهُ مُؤخّراً « كذلك».

(١) عن الحسنِ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلام قال: «لـمّا بعثَني اللهُ برسالتِه، ضِقْتُ بها ذَرعًا، وعرفتُ أنَّ مِن النّاسِ مَنْ يُكذِّبُني»، فأنزلَ الله هذه الآية. الثعلبي (١١/ ٤٣٥)، والواحدي (ص: ٢٠٢)، ورواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٣/ ١١٦ ـ ١١٧). ورواه بنحوه بإسناد ضعيف ابن راهويه (٤٤٣)، والطبراني في «الشاميين» (٢٣٧٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال في «الكافي الشاف» (ص: ٥٧): ومرسل الحسن ضعيف، والحديث ضعيف. وعن مجاهد: لما نزلت ﴿يا أيها الرسول بلغ..﴾ قال: «يا رب، كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي؟» فنزلت: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾. ابن أبي حاتم (٤/ ١١٧٣)، و«لباب النقول» (ص: ٨٢).

(٢) في «المستدرك» (٣٢٢١) وصححه، والترمذي (٣٠٤٦)، وقال: حديث غريب. وأشار إلى أنه روي مرسلًا دون ذكر عائشة رضي الله عنها. وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٨٢): إسناده حسن، واختُلف في وصله وإرساله.

وعن أبي هريرة: أنهم كانوا في سفر، فنزل ﷺ تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه وقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ فقال: «الله»، فنزلت. ابن حبان كما في «موارد الظمآن» (١٧٣٩)، و«لباب النقول» (ص: ٨٣). وروى ابن أبي حاتم (٤/ ١١٧٣) نحوه من حديث جابر، وأصله دون ذكر الآية عند البخاري (٤١٣٦) و(٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣).

(٣) عن ابن عباس قال: جاء مالك بن الصيف وجماعة من الأحبار فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم وتؤمن بما في التوراة وتشهد أنها حق؟ قال: «بلى، ولكنكم كتمتم منها ما أمرتم ببيانه، فأنا أبرأ مما أحدثتموه» قالوا: فإنا نتمسك بما في أيدينا من الهدى والحق ولا نؤمن لك ولا بما جئت به، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٨/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٧٤)، و«لباب النقول» (ص: ٨٣ ـ ٨٤). وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (٨/ ٢٦٩).

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ
عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١
لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ
يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ
بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ
صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦ قُلۡ
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ
قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧

٧٠ ـ ﴿لَقَد أخَذْنا مِيثاقَ بَني إسرائيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله، ﴿وأرسَلْنا إلَيهِم رُسُلاً، كُلَّما جاءَهُم رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِما لا تَهوَى أنفُسُهُم﴾ منَ الحقّ كذّبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا، وفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقتُلُونَ﴾ كزكريّاءَ ويحيى ـ والتعبير به دون «قتلوا»، حكايةً للحال الماضية، للفاصلة ـ ٧١ ـ ﴿وحَسِبُوا﴾: ظنّوا ﴿أنْ لا تكُونُ﴾ ـ بالرفع و«أن» مخفّفة، والنصبِ فهي ناصبة ـ أي: تقعُ ﴿فِتْنةٌ﴾: عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم، ﴿فعَمُوا﴾ عن الحقّ فلم يُبصروه، ﴿وصَمُّوا﴾ عن استماعه، ﴿ثُمَّ تابَ اللهُ علَيهِم﴾ لمّا تابوا، ﴿ثُمَّ عَمُوا وصَمُّوا﴾ ثانيًا ﴿كَثِيرٌ مِنهُم﴾: بدلٌ من الضمير. ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

٧٢ ـ ﴿لَقد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ هوَ المَسِيحُ ابنُ مَريَمَ﴾ ـ سبقَ مِثله ـ ﴿وقالَ﴾ لهم ﴿المَسِيحُ: يا بَني إسرائيلَ، اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم﴾. فإنّي عبد ولستُ بإلٰهٍ. ﴿إنَّهُ مَن يُشرِكْ باللهِ﴾ في العبادة غيرَه ﴿فقَد حَرَّمَ اللهُ علَيهِ الجَنَّةَ﴾: منعه أن يدخلها، ﴿ومأواهُ النّارُ، وما لِلظّالِمِينَ مِن﴾: زائدةٌ ﴿أنصارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله. ٧٣ ـ ﴿لَقد كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا: إنَّ اللهَ ثالِثُ﴾ آلهةٍ ﴿ثَلاثةٍ﴾ أي: أحدُها، والآخرانِ عيسى وأُمُّه. وهم فِرقة من النصارى ﴿وما مِن إلٰهٍ إلّا إلٰهٌ واحِدٌ، وإن لَم يَنتَهُوا عَمّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويُوحّدوا، ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ثَبَتُوا على الكُفر ﴿مِنهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلمٌ، هو النار. ٧٤ ـ ﴿أفَلا يَتُوبُونَ إلَى اللهِ ويَستَغفِرُونَهُ﴾ ممّا قالوا ـ استفهام توبيخ ـ ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به؟

٧٥ ـ ﴿ما المَسِيحُ ابنُ مَريَمَ إلّا رَسُولٌ، قَد خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ﴾ ـ فهو يمضي مِثلَهم وليس بإلٰهٍ كما زعموا. وإلّا لَما مضى ـ ﴿وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ﴾: مُبالِغة في الصِّدق. ﴿كانا يأكُلانِ الطَّعامَ﴾ كغيرهما من الحيوانات. ومن كان كذلك لا يكون إلٰـهًا لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط.

﴿انظُرْ﴾ مُتعجّبًا: ﴿كَيفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ﴾ على وحدانيّتنا؟ ﴿ثُمَّ انظُرْ: أنَّى﴾: كيف ﴿يُؤفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن الحقّ مع قيام البرهان؟
٧٦ ـ ﴿قُلْ: أتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿ما لا يَملِكُ لَكُم ضَرًّا ولا نَفعًا، واللهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿العَلِيمُ﴾ بأحوالكم؟ والاستفهام للإنكار.

٧٧ ـ ﴿قُلْ: يا أهلَ الكِتابِ﴾: اليهودَ والنصارى، ﴿لا تَغْلُوا﴾: تُجاوِزوا الحدَّ ﴿في دِينِكُم﴾ غُلوًّا ﴿غَيرَ الحَقِّ﴾، بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقّه، ﴿ولا تَتَّبِعُوا أهواءَ قَومٍ، قَد ضَلُّوا مِن قَبلُ﴾ بغُلوّهم ـ وهم أسلافهم ـ ﴿وأضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناسِ، ﴿وضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحقّ. والسواء في الأصل: الوسَط.

﴿فتنة﴾: بلاءٌ وعذابٌ شديدٌ. ﴿خلت﴾: مضَتْ. ﴿أمه صديقة﴾: كثيرةُ الصِّدقِ معَ اللهِ تعالى. ﴿يأكلان الطعام﴾: كسائرِ البشرِ فكيفَ تزعمونَهُ إلهاً. ﴿أنى يوفكون﴾: كيفَ يُصرفونَ عن تدبُّرِ الدَّلائلِ البيِّنةِ وقَبولِها. ﴿لا تغلوا﴾: لا تجاوزوا الحدَّ ولا تفرطوا. ﴿غير الحق﴾: غلوّاً باطلاً.

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٨﴾ - ﴿٧٩﴾ - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إسرائيلَ على لِسانِ داوُدَ﴾ بأن دعا عليهم فمُسِخوا قِردةً - وهم أصحاب أيلةَ - ﴿وعِيسَى بنِ مَريَمَ﴾ بأن دعا عليهم فمُسِخوا خنازيرَ. وهم أصحاب المائدة. ﴿ذلِكَ﴾ اللعن ﴿بما عَصَوا، وكانُوا يَعتَدُونَ. كانُوا لا يَتَناهَونَ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضًا ﴿عَن﴾ مُعاودةِ ﴿مُنكَرٍ فَعَلُوهُ. لَبِئسَ ما كانُوا يَفعَلُونَـ﴾ ـهُ فِعلُهم هذا!

﴿٨٠﴾ - ﴿٨١﴾ - ﴿تَرَى﴾ - يا مُحمّد - ﴿كَثِيرًا مِنهُم يَتَوَلَّونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة بُغضًا لك. ﴿لَبِئسَ ما قَدَّمَتْ لَهُم أنفُسُهُم﴾ من العملِ لمَعادهم المُوجِبِ لهم ﴿أن سَخِطَ اللهُ عليهِم، وفي العَذابِ هُم خالِدُونَ! ولَو كانُوا يُؤمِنُونَ باللهِ والنَّبِيِّ﴾ مُحمّد ﴿وما أُنزِلَ إلَيهِ ما اتَّخَذُوهُم﴾ أي: الكُفّارَ ﴿أولياءَ، ولكِنَّ كَثِيرًا مِنهُم فاسِقُونَ﴾: خارجون عن الإيمان.

الجزء ٧ الحزب ١٣

﴿٨٢﴾ - ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ - يا مُحمّد - ﴿أشَدَّ النّاسِ عَداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ والَّذِينَ أشرَكُوا﴾ من أهل مكّة، لتضاعُف كُفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتّباع الهوى، ﴿ولَتَجِدَنَّ أقرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا: إنّا نَصارَى. ذلِكَ﴾ أي: قربُ مودّتهم للمؤمنين ﴿بِأنَّ﴾: بسببِ أنّ ﴿مِنهُم قِسِّيسِينَ﴾: عُلماءَ ﴿ورُهبانًا﴾: عُبّادًا، ﴿وأنَّهُم لا يَستَكبِرُونَ﴾ عن اتّباع الحقّ كما يستكبر اليهود وأهل مكّة. نزلتْ في وفد النجاشيْ القادمين عليه من الحبشة[1]، قرأ ﷺ عليهم سورة «يس» فبكَوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبهَ هذا بما كان ينزل على عيسى! قال تعالى: ﴿٨٣﴾ - ﴿وإذا سَمِعُوا ما أُنزِلَ إلَى الرَّسُولِ﴾ من القُرآن ﴿تَرَى أعيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ، مِمّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ، يَقُولُونَ: رَبَّنا، آمَنّا﴾: صدّقْنا نبيَّك وكتابك. ﴿فاكتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ﴾: المُقِرّين بتصديقهما.

﴿و﴾ قالوا، في جواب من عيَّرهم بالإسلام من اليهود:

﴿٨٤﴾ - ﴿ما لَنا لا نُؤمِنُ باللهِ وما جاءَنا مِنَ الحَقِّ﴾: القرآن - أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مُقتضيه - ﴿ونَطمَعُ﴾: عطفٌ على «نُؤمنُ» ﴿أن يُدخِلَنا رَبُّنا مَعَ القَومِ الصّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنّةَ؟

﴿٨٥﴾ - قال تعالى: ﴿فأثابَهُمُ اللهُ بِما قالُوا جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ فِيها. وذلِكَ جَزاءُ المُحسِنِينَ﴾ بالإيمان،

﴿٨٦﴾ - ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ﴾.

ونزل لمّا همَّ قوم من الصحابة أن يُلازموا الصومَ والقيامَ[2]، ولا يَقربوا النساءَ والطِّيبَ، ولا يأكلوا اللحمَ، ولا يناموا على الفراش:

﴿سخط الله عليهم﴾: غضبَ عليهِم بما فعلوا. ﴿تفيض من الدمع﴾: تمتلئُ أعينُهم بالدَّمعِ فتَصبُّهُ.

(١) الطبري (٨/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٤)، والواحدي (ص: ٢٠٤)، عن سعيد بن جبير مرسلًا.
وعن سعيد بن المسيِّب وعروة بنِ الزُّبير وغيرهما قالوا: بعث رسولُ الله عليه السَّلام عَمرَو بن أميّةَ الضَّمريَّ بكتابٍ إلى النَّجاشيِّ، فقَدِمَ عليه وقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ثم دعا النجاشيُّ جعفرَ بنَ أبي طالبٍ والمهاجرين معه، وأرسل إلى الرُّهبان والقسِّيسين فجمعَهم، ثم أمر جعفرًا أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ سورةَ مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينُهم من الدَّمع، وهم الذين أنزلَ فيهم: ﴿ولتجدنَّ أقربهم مودّةً﴾ إلى قوله: ﴿الشّاهدين﴾. ابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٥)، والواحدي (ص: ٢٠٣).

(٢) الطبري (٨/ ٦٠٧ - ٦١٢) عن ابن عباس وقتادة وأبي قلابة ومجاهد وعكرمة وأبي مالك والسدي، وذكره دون عزوٍ مبسوطاً مطولًا: مقاتل (١/ ٤٩٩)، والثعلبي (١١/ ٤٦٦) والواحدي (ص: ٢٠٥). وأصل القصة عند البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، من حديث أنس رضي الله عنه، دون ذكر الآية.
وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا أتى رسولَ الله عليه السَّلام فقال: إنِّي إذا أكلتُ اللَّحمَ انتشرْتُ للنِّساء، وإنِّي حرَّمتُ عليَّ اللَّحم، فنزلَت: ﴿لا تحرّموا﴾. الترمذي (٣٠٥٤)، والطبري (٨/ ٦١٣)، و«المعجم الكبير» (١١٩٨١). قال الترمذي: «حسن غريب».

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟
طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ
بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ
فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟
أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ
رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

﴿٨٧﴾ ـ ﴿٨٨﴾ ـ **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنوا، لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُم، ولا تَعتَدُوا﴾**: تتجاوزوا أمرَ الله ـ **﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ ـ وكُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾**: مفعول، والجارّ والمجرور قبله حال متعلّق به، **﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي أنتُم بِهِ مُؤمِنُونَ﴾**.

﴿٨٩﴾ ـ **﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغوِ﴾** الكائن **﴿في أيمانِكُم﴾** ـ هو ما يَسبِق إليه اللسان من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله ـ **﴿ولكِن يُؤاخِذُكُم بما عَقَدتُم﴾** ـ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة «عاقَدتُم» ـ **﴿الأيمانَ﴾** عليه بأن حلفتم عن قصد. **﴿فكَفّارَتُهُ﴾** أي: اليمينِ إذا حَنِثتُم فيه **﴿إطعامُ عَشَرةِ مَساكِينَ﴾**، لكُلّ مِسكين مُدٌّ **﴿مِن أوسَطِ ما تُطعِمُونَ﴾** منه **﴿أهلِيكُم﴾** أي: أقصدِه وأغلبِه لا أعلاه ولا أدناه، **﴿أو كِسوَتُهُم﴾** بما يُسمَّى كِسوةً كقميص وعِمامة وإزار ـ ولا يكفي دفع ما ذُكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعيّ ـ **﴿أو تَحرِيرُ﴾**: عِتقُ **﴿رَقَبةٍ﴾** أي: مؤمنةٍ كما في كفّارة القتلِ والظِّهار حملاً للمُطلق على المُقيَّد، **﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾** واحدًا ممّا ذُكر **﴿فصِيامُ ثَلاثةِ أيّامٍ﴾** كفّارتُه. وظاهِرُه أنه لا يُشترط التتابعُ، وعليه الشافعيّ. **﴿ذلِكَ﴾** المذكورُ **﴿كَفّارةُ أيمانِكُم إذا حَلَفتُم﴾** وحَنِثتُم. **﴿واحفَظُوا أيمانَكُم﴾**[١] أن تنكثوها ما لم يكن على فعلِ برٍّ أو إصلاح بينَ الناس كما في سورة «البقرة». **﴿كَذلِكَ﴾**: مِثلَما بَيّنَ لكم ما ذُكِرَ **﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ، لَعَلَّكُم تَشكُرُونَـ﴾** ـهُ على ذلك.

﴿٩٠﴾ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّما الخَمرُ﴾**: المُسكِر الذي يُخامِرُ العقلَ **﴿والمَيسِرُ﴾**: القِمار **﴿والأنصابُ﴾**: الأصنام **﴿والأزلامُ﴾**: قِداح الاستقسام **﴿رِجسٌ﴾**: خبيث مُستقذَر **﴿مِن عَمَلِ الشَّيطانِ﴾** الذي يُزيِّنه. **﴿فاجتَنِبُوهُ﴾** أيِ: الرجسَ المعبَّرَ به عن هذه الأشياء، أن تفعلوه، **﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾**.

﴿٩١﴾ ـ **﴿إنَّما يُرِيدُ الشَّيطانُ أن يُوقِعَ بَينَكُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ، في الخَمرِ والمَيسِرِ﴾**[٢] إذا أتيتُموهما لِما يحصُل فيهما من الشرّ والفتن، **﴿ويَصُدَّكُم﴾**

﴿باللغو في أيمانكم﴾: هوَ أن يحلفَ على الشَّيءِ مُعتقداً صدقَه والأمرُ بخلافِهِ أو ما يجري على اللِّسانِ ممَّا لا يُقصدُ بِهِ اليمينُ. ﴿عقدتم الأيمان﴾: وثَّقْتُموها بالقصدِ والنيَّةِ. ﴿الأنصاب﴾: حجارةٌ حولَ الكعبةِ يعظمُّونَها. ﴿الأزلام﴾: قِداحُ الاستقسامِ في الجاهليَّةِ. ﴿رجس﴾: خبيثٌ،قذرٌ، نجسٌ.

= وعن زيد بن أسلم: أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي ﷺ، ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يُطعموا ضيفه انتظاراً له، فقال لامرأته: حبست ضيفي من أجلي! هو حرام علي، فقالت امرأته: هو علي حرام، فقال الضيف: هو علي حرام، فلما رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا بسم الله، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم فقال: «قد أحسنتَ»، فنزلت هذه الآيةُ. الطبري (٨/ ٦١٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٨٧). وهو مرسل.

(١) لمَّا حرَّمَ القومُ طيِّباتِ المطاعمِ والملابسِ والمناكحِ على أنفُسِهم حلَفُوا على ذلك، فلمَّا نزلَ: ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ قالُوا: كيفَ نصنعُ بأيمانِنا؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ في ذلك. الطبري (٨/ ٦١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف. وعن عائشة رضي الله عنها: أُنزلت هذه الآيةُ: في قول الرَّجل: لا واللهِ وبَلَى واللهِ. البخاري (٤٦١٣)، ولا يظهر من هذه الرواية هل كلامها في آية البقرة أم في هذه، كما أن الظاهر أيضاً أن هذا منها رضي الله عنها تفسير لا سبب نزول، ويؤيده ما في بعض الروايات: «هو قول الرجل... » رواه ابن أبي حاتم (٢/ ٤٠٨) في آية البقرة، و(٤/ ١١٨٩) في هذه الآية.

(٢) عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه: أنه شربَ مع قومٍ منَ الأنصارِ فجرَى ذكرُ الأنصار والمهاجرين فقال: المهاجرون خير من الأنصار، فضرَبَه بعضُهم بلَحْيِ رأسِ جملٍ، فجرَحَ أنفَه، قال: فأتيتُ رسولَ الله، فنزلَتْ هذه الآيةُ. مسلم (١٧٤٨) مطولاً.
وذكر الواحدي هنا قصَّةُ عليٍّ والشارِفَينِ، حيثُ جبَّ حمزةُ وهو في الشُّربِ أسنِمَتَهما، وبقَرَ خواصِرَهما، وأخذَ من أكبادِهما، فشكا عليٌّ ذلك إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فدخلَ النَّبيُّ البيتَ الذي فيه حمزةُ وطفِقَ يلومُه، فإذا حمزةُ ثَمِلٌ مُحمرَّةٌ عيناه، فصعَّدَ النَّظَرَ إلى وجهِ رسولِ الله وقالَ: هل أنتُم إلّا عبيدُ أبي، فعرَفَ عليه السَّلامُ أنَّه ثَمِلٌ، فنكَصَ على عقبَيه القهقرَى. البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩)، والواحدي (ص: ٢٠٨)، من حديث علي رضي الله عنه. قال الواحدي: وكانت هذه القصةُ من الأسباب الموجِبة لنزول تحريم الخمر. =

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكرِ اللهِ وعَنِ الصَّلاةِ﴾. خَصّها بالذِّكر تعظيمًا لها. ﴿فهَل أنتم مُنتَهونَ﴾ عن إتيانهما؟ أي: انتهوا.

(٩٢) ـ ﴿وأطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ، واحذَرُوا﴾ المعاصيَ. ﴿فإن تَوَلَّيتُم﴾ عن الطاعة ﴿فاعلَمُوا أنَّما علَى رَسُولنا البَلاغُ المُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّن، وجزاؤكم علينا. (٩٣) ـ ﴿لَيسَ علَى الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا﴾[1]: أكلوا من الخمر والميسر قبلَ التحريم، ﴿إذا ما اتَّقَوا﴾ المُحرَّماتِ ﴿وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، ثُمَّ اتَّقَوا وآمَنُوا﴾: ثَبَتوا على التقوى والإيمان، ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وأحسَنُوا﴾ العملَ. ﴿واللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ﴾ بمعنى أنه يُثيبهم.

(٩٤) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لَيَبلُوَنَّكُمُ﴾: ليَختبِرَنّكم ﴿اللهُ بِشَيءٍ﴾، يُرسله لكم ﴿مِنَ الصَّيدِ تَنالُهُ﴾ أي: الصغارَ منه ﴿أيدِيكُم ورِماحُكُم﴾ الكبارَ منه ـ وكان ذلك بالحُدَيبية وهم مُحرِمون، فكانت الوحش والطير تغشاهم في رِحالهم ـ ﴿لِيَعلَمَ اللهُ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿مَن يَخافُهُ بالغَيبِ﴾: حالٌ، أي: غائبًا لم يَرَه، فيَجتنبُ الصيدَ. ﴿فمَنِ اعتَدَى بَعدَ ذلِكَ﴾ النهي عنه فاصطاده، ﴿فلَهُ عَذابٌ ألِيمٌ﴾.

(٩٥) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَقتُلُوا الصَّيدَ وأنتم حُرُمٌ﴾: مُحرِمون بالحجّ أو العُمرة، ﴿ومَن قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّدًا فجَزاءٌ﴾، بالتنوينِ ورفعِ ما بعده، أي: فعليه جزاءٌ هو ﴿مِثلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: شِبهُهُ في الخِلقة ـ وفي قراءة بإضافة «جَزاءُ» ـ ﴿يَحكُمُ بِهِ﴾ أي: بالمِثل رجُلانِ ﴿ذَوا عَدلٍ مِنكُم﴾: لهما فِطنة يَميزان بها أشبه الأشياء به ـ وقد حكم ابن عبّاس وعُمر وعليّ في النعامة ببَدَنةٍ، وابن عبّاس وأبو عُبيدة في بَقرِ الوحش وحمارِه ببقرة، وابن عُمر وابن عَوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن عبّاس وعُمر وغيرهما في الحَمام لأنه يُشبهها في العَبِّ ـ ﴿هَدْيًا﴾: حالٌ من «جزاء»، ﴿بالِغَ الكَعبَةِ﴾ أي: يُبلَغ به الحَرَمُ فيُذبح فيه ويُتصدّق به على مساكينه ـ ولا يجوز أن يُذبح حيث كان. ونصبُه نعتًا لما قبله، وإن أُضيف، لأن إضافته لفظيّة لا تُفيد تعريفًا. فإن لم يكن للصيد مِثلٌ من النعم كالعُصفور والجراد فعليه قيمتُه ـ ﴿أو﴾ عليه ﴿كَفّارةٌ﴾ غيرُ الجزاء وإن وَجده، هي ﴿طَعامُ مَساكِينَ﴾ من غالب قُوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء، لكُلّ مِسكينٍ مُدٌّ ـ وفي قراءة بإضافة «كفّارةُ» لِما بعده. وهي للبيان ـ ﴿أو﴾ عليه ﴿عَدلُ﴾: مثلُ ﴿ذلِكَ﴾ الطعامِ ﴿صِيامًا﴾ يصومه عن كُلّ مُدٍّ يومًا، وإن وجده. وجب ذلك عليه ﴿لِيَذُوقَ وَبالَ﴾: ثِقَلَ جزاءِ ﴿أمرِهِ﴾ الذي فعله. ﴿عَفا اللهُ عَمّا سَلَفَ﴾ مِن قتل الصيد قبل تحريمه، ﴿ومَن عادَ﴾ إليه ﴿فيَنتَقِمُ اللهُ مِنهُ. واللهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿ذُو انتِقامٍ﴾ ممّن عصاه. وأُلحِق بقتله مُتعمّدًا فيما ذُكِرَ الخطأُ.

(٩٦) ـ ﴿أُحِلَّ لَكُم﴾ ـ أيُّها الناس ـ حَلالًا كنتم أو مُحرِمِينَ ﴿صَيدُ البَحرِ﴾: أن تأكلوه ـ وهو ما لا يعيش إلّا فيه كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البرّ كالسَّرَطان ـ ﴿وطَعامُهُ﴾: ما يقذفه ميتًا، ﴿مَتاعًا﴾: تمتيعًا ﴿لَكُم﴾ تأكلونه ﴿ولِلسَّيّارةِ﴾: المسافرين منكم يتزوّدونه، ﴿وحُرِّمَ علَيكُم صَيدُ البَرِّ﴾ ـ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول ـ أن تصيدوه، ﴿ما دُمتُم حُرُمًا﴾ فلو صاده حَلالٌ فلِلمُحرِم أكلُه كما بيّنته السُّنّة. ﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾.

﴿جناح﴾: إثمٌ وحَرجٌ. ﴿طعموا﴾: شربوا أو أكلوا المحرَّمَ قبلَ تحريمِهِ. ﴿ليبلونكم الله﴾: ليختبرَنَّكُم ويمتحنَنَّكُم. ﴿أنتم حُرُم﴾: مُحرِمونَ بحجٍّ أو عمرةٍ. ﴿النعَم﴾: الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ. ﴿بالغ الكعبة﴾: واصلَ الحرمِ فيُذبحُ به. ﴿عَدْل ذلك﴾: معادلُ الطَّعامِ ومُقابلُهُ. ﴿وبال أمره﴾: ثِقَلَ فعلِهِ وسوءَ عاقبةِ ذنبِهِ.

= ومن أسباب النزول أيضاً ما صح عن عمر رضي الله عنه أنه قال: اللّهمّ بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت آية البقرة [٢١٩] ثم قال ذلك فنزلت آية النساء [٤٣]، ثم قاله فنزلت هذه الآية.. الحديثَ. أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠)، وتقدم.

وعن أبي هريرة: حرمت الخمر ثلاث مرات...، فذكر نحو حديث عمر في التدرج بالآيات الثلاث. أحمد (٨٦٢٠)، وتقدم أيضاً.

(١) عن أنس رضي الله عنه: أنّه لمّا نَزَل تحريم الخمر، قال بعض القوم: قُتل قومٌ وهي في بطونهم، فأنزل الله هذه الآية. البخاري (٢٤٦٤). وعن البراء بن عازب وابن عباس نحوه، رواهما الترمذي (٣٠٥٠) و(٣٠٥٢) وصححهما.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ
قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ
ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

ربع الحزب ١٣

﴿٩٧﴾ ـ ﴿**جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البيتَ الحَرامَ**﴾: المُحرَّمَ ﴿**قِيامًا لِلنّاسِ**﴾: يقوم به أمرُ دِينهم بالحجّ إليه، ودُنياهم بأمنِ داخله وعدمِ التعرّض له، وجَبْي ثمرات كُلّ شيء إليه ـ وفي قراءة «قِيَمًا» بلا ألف مصدرُ «قام» غير مُعَلٍّ ـ ﴿**والشَّهرَ الحَرامَ**﴾ بمعنى: الأشهُر الحُرُم ذو القَعدة وذو الحِجّة والمُحرّم ورجب قيامًا لهم بأمنهمُ القتالَ فيها، ﴿**والهَدْيَ والقَلائدَ**﴾ قيامًا لهم بأمن صاحبهما من التعرُّض له. ﴿**ذلِكَ**﴾ الجعل المذكور ﴿**لِتَعلَمُوا أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، وأنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾. فإنّ جَعْلَه ذلك، لِجلبِ المصالح لكم ودفعِ المضارّ عنكم قبل وقوعها، دليلٌ على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن. ﴿٩٨﴾ ـ ﴿**اعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ**﴾ لأعدائه ﴿**وأنَّ اللهَ غَفُورٌ**﴾ لأوليائه ﴿**رَحِيمٌ**﴾ بهم.

﴿٩٩﴾ ـ ﴿**ما على الرَّسُولِ إلّا البَلاغُ**﴾: الإبلاغ لكم، ﴿**واللهُ يَعلَمُ ما تُبدُونَ**﴾: تُظهرون من العمل ﴿**وما تكتُمُونَ**﴾: تُخفون منه فيُجازيكم به. ﴿١٠٠﴾ ـ ﴿**قُل: لا يَستَوِي الخَبِيثُ**﴾: الحرام ﴿**والطَّيِّبُ**﴾[1]: الحلال، ﴿**ولو أعجَبَكَ**﴾ أي: سرَّك ﴿**كَثْرةُ الخَبِيثِ. فاتَّقُوا اللهَ**﴾ في تركه ـ ﴿**يا أُولِي الألبابِ ـ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾: تفوزون.

ونزل لمّا أكثروا سُؤاله ﷺ[2]: ﴿١٠١﴾ ـ ﴿١٠٢﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَسألُوا عَن أشياءَ، إن تُبْدَ**﴾: تُظهَرْ ﴿**لَكُم تَسُؤْكُم**﴾ لِما فيها من المشقّة، ﴿**وإن تَسألُوا عَنها حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ**﴾ أي: في زمن النبيّ ﴿**تُبْدَ لَكُم**﴾. المعنى: إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزلُ القُرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءَتكم. فلا تسألوا ـ قد ﴿**عَفا اللهُ عَنها**﴾: عن مسألتكم، فلا تعودوا. ﴿**واللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ـ قَد سأَلَها**﴾، أي: الأشياءَ، ﴿**قَومٌ مِن قَبلِكُم**﴾ أنبياءَهم، فأُجيبوا ببيان أحكامها، ﴿**ثُمَّ أصبَحُوا**﴾: صاروا ﴿**بِها كافِرِينَ**﴾، بتركهم العملَ بها.

﴿١٠٣﴾ ـ ﴿**ما جَعَلَ**﴾: شَرَعَ ﴿**اللهُ مِن بَحِيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وَصِيلةٍ ولا حامٍ**﴾ كما كان أهل الجاهليّة يفعلونه ـ روى البُخاريّ عن سعيد بن المُسَيَّب قال: البَحيرةُ: التي يُمنعُ دَرُّها للطواغيت فلا يَحلبها أحد من الناس والسائبة: كانوا يُسَيِّبونها لآلهتهم لا يُحملُ عليها شيء... والوصيلة: الناقة البِكر تُبكِّرُ في أول نِتاج الإبل بأُنثى ثمّ تُثنّي بعدُ بأُنثى. وكانوا يُسَيِّبونها لطواغيتهم إن وَصَلتْ إحداهما بالأُخرى ليس بينهما ذَكَر. والحام: فحلُ الإبل يَضرِبُ الضِّرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضِرابَه وَدَعُوه للطّواغيت وأعفَوه من الحمل فلم يُحمَل عليه شيء وسمَّوه الحاميَ ـ ﴿**ولكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفتَرُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ**﴾ في ذلك ونسبتِه إليه، ﴿**وأكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ**﴾ أنّ ذلك افتراء لأنّهم قلّدوا فيه آباءَهم،

﴿للسيارة﴾: للمسافرينَ. ﴿البيت الحرام﴾: جميعَ الحرمِ وهوَ المرادُ بالكعبةِ. ﴿قياماً للناس﴾: قواماً لمصالحِهم ديناً ودنيا. ﴿الشهر الحرام﴾: الأشهرَ الحرمَ الأربعةَ. ﴿الهدي﴾: ما يُهدى مِنَ الأنعامِ إلى الكعبةِ. ﴿القلائد﴾: ما يُقلَّدُ بِهِ الهَديُ علامةً لهُ. ﴿بحيرة﴾: النَّاقةُ تشقُّ أذنُها وتخلى للطَّواغيتِ إذا ولدَتْ خمسةَ أبطنٍ آخرُها ذكرٌ. ﴿سائبة﴾: النَّاقةُ تُسيَّبُ للأصنامِ لنحوِ برءٍ مِن مرضٍ أو نجاةٍ في حربٍ. ﴿وصيلة﴾: النَّاقةُ تتركُ للطَّواغيتِ إذا بكَّرَتْ بأُنثى ثم ثنَّتْ بأُنثى. ﴿حام﴾: الفحلُ لا يركبُ ولا يحملُ عليهِ إذا لقحَ ولدُ ولدِهِ.

(١) نزلتْ فيمَن قال للنَّبيِّ عليه السَّلام: اكتسَبْتُ أموالاً من جهاتٍ مُحرَّمةٍ، فهل ينفعُني ذلك المالُ إنْ عملتُ فيه بطاعةِ الله؟ فقال: «إنْ أنفقتَه في حجٍّ أو جهادٍ أو صدقةٍ لم يَعدلْ عند الله جناحَ بعوضةٍ، إنَّ الله لا يقبلُ إلّا الطَّيِّبَ»، فأنزل الله هذه الآية تصديقاً لقوله. رواه الواحدي (ص: ٢١٠) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه محمد بن يوسف بن يعقوب الرازي، وهو متهم بالوضع. مقاتل: نزلَتْ في حجاج اليمامة ـ وهم شُريحُ بنِ ضُبيعةَ الملقَّبُ بالحُطمِ وأصحابه وقد تقدمت قصته ـ لـمَّا أرادَ المسلمونَ الإغارةَ عليهم. «تفسير مقاتل» (١/ ٥٠٧)، وهو في «تفسير السمرقندي» (١/ ٤٢١) عن الكلبي.

(٢) البخاري (٤٦٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قومٌ يَسألون رسولَ الله ﷺ استهزاءً، فيقولُ الرجلُ: مَن أبي؟ ويقولُ الرجلُ تَضِلُّ ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل اللهُ فيهم هذه الآية. وروى الترمذي (٣٠٥٥) وحسنه عن عليٍّ قال: لمَّا نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] قالوا: يا رسول الله، في كلِّ عامٍ؟ فسكت، قالوا: يا رسول الله في كلِّ عامٍ؟ قال: «لا، ولو قلتُ نعم لَوجبتْ»، فأنزل الله هذه الآية.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ
فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ
عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ
اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن
شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ
أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ
أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

(١٠٤) ـ ﴿**وإذا قِيلَ لَهُم: تعالَوا إلَى ما أنزَلَ اللهُ وإلَى الرَّسُولِ**﴾ أي: إلى حُكمه من تحليل ما حرّمتم، ﴿**قالُوا: حَسْبُنا**﴾: كافِينا ﴿**ما وَجَدْنا عليهِ آباءَنا**﴾ من الدِّين والشريعة. قال تعالى: ﴿**أَ**﴾ حَسْبُهم ذلك ﴿**وَلَو كانَ آباؤُهُم لا يَعلَمُونَ شَيئًا، ولا يَهتَدُونَ**﴾ إلى الحقّ؟ والاستفهام للإنكار.

(١٠٥) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، علَيكُم أنفُسَكُم**﴾[1] أي: احفظوها وقُوموا بصلاحها. ﴿**لا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إذا اهتَدَيتُم**﴾. قيل: المُراد: لا يضرّكم مَن ضلّ مِن أهل الكتاب. وقيل: المُراد غيرُهم، لحديث أبي ثعلبة الخُشَنيّ: سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتَمِروا بالمَعرُوفِ وتَناهَوا عَنِ المُنكَرِ. حَتّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنيا مُؤثَرةً، وإعجابَ كُلِّ ذِي رأيٍ برأيِه، فعلَيكَ نَفسَكَ». رواه الحاكم وغيره[2]. ﴿**إلَى اللهِ مَرجِعُكُم جَمِيعًا، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ فيُجازيكم به.

(١٠٦) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، شَهادةُ بَينِكُم، إذا حَضَرَ أحدَكُمُ المَوتُ**﴾ أي: أسبابُه ﴿**حِينَ الوَصِيّةِ، اثنانِ ذَوا عَدلٍ مِنكُم**﴾ ـ خبرٌ بمعنى الأمر، أي: لِيَشهَدْ. وإضافة «شَهادةُ» لـ«بين» على الاتّساع. وحينَ: بدلٌ من «إذا» أو ظرف لـ«حَضَرَ» ـ ﴿**أو آخَرانِ مِن غَيرِكُم**﴾ أي: غيرِ مِلّتكم، ﴿**إنْ أنتُم ضَرَبتُم**﴾: سافرتم ﴿**في الأرضِ فأصابَتكُم مُصِيبةُ المَوتِ، تَحبِسُونَهُما**﴾: تُوقِفونهما صفة «آخرانِ» ﴿**مِن بَعدِ الصَّلاةِ**﴾ أي: صلاة العصر، ﴿**فيُقسِمانِ**﴾: يَحلِفان ﴿**باللهِ، إنِ ارتَبتُم**﴾: شككتم فيهما، ويقولان: ﴿**لا نَشتَرِي بِهِ**﴾: بالله ﴿**ثَمَنًا**﴾: عِوَضًا، نأخذُه بدلَه من الدُّنيا بأن نحلف به أو نشهد به كاذبًا لأجله، ﴿**ولَو كانَ**﴾ المُقسَمُ له أو المَشهودُ له ﴿**ذا قُربَى**﴾: قرابةٍ منّا، ﴿**ولا نَكتُمُ شَهادةَ اللهِ**﴾ التي أُمرنا بإقامتها. ﴿**إنّا إذًا**﴾: إن كتمناها ﴿**لَمِنَ الآثِمِينَ**﴾.

(١٠٧) ـ ﴿**فإنْ عُثِرَ**﴾: اطُّلِعَ بعد حلفهما ﴿**علَى أنَّهُما استَحَقّا إثمًا**﴾ أي: فَعَلا ما يُوجبه من خِيانة أو كذِب في الشهادة، بأن وُجد عندهما مثلاً ما اتُّهما به وادّعيا أنّهما ابتاعاه من الميت أو وصّى لهما به، ﴿**فآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما**﴾ في توجّه اليمين عليهما ﴿**مِنَ الَّذِينَ استُحِقَّ علَيهِمُ**﴾ الوصيّةُ ـ وهم الورثة ـ ويُبدل من «آخَرانِ» ﴿**الأَولَيانِ**﴾ بالميت أي: الأقربانِ إليه ـ وفي قراءةٍ «الأَوَّلِينَ»: جمعُ أوّل، صفةٌ أو بدلٌ من «الَّذِين» ـ ﴿**فيُقسِمانِ باللهِ**﴾ على خِيانة الشاهدَين، ويقولان: ﴿**لَشَهادتُنا**﴾: يمينُنا ﴿**أحَقُّ**﴾: أصدقُ ﴿**مِن شَهادتِهِما**﴾: يمينهما، ﴿**وما اعتَدَينا**﴾: تجاوزْنا الحقّ في اليمين. ﴿**إنّا إذًا لَمِنَ الظّالِمِينَ**﴾.

المعنى: لِيُشهِدِ المُحتضَرُ على وصيّته اثنينِ أو يُوصي إليهما من أهلِ دينه، أو غيرِهم إن فَقَدَهم لسفر ونحوه. فإنِ ارتاب الوَرَثة فيهما، فادّعَوا أنهما خانا بأخذِ شيء أو دفعِه إلى شخص زعما أنّ الميت أوصى له به، فلْيحلِفا إلى آخره. فإن اطُّلع على أمارةِ تكذِّبُهما فادّعيا دافعًا له حلفَ أقربُ الورثة على كذبهما وصِدق ما ادّعوه. والحُكمُ ثابتٌ في الوصيَّين منسوخٌ في الشاهدَين، وكذا شهادةُ غير أهل المِلّة منسوخة. واعتبار صلاة العصر للتغليظ، وتخصيصُ الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها. وهي ما رواه البخاريّ[3]:..............

﴿حسبنا﴾: كافينا. ﴿عليكم أنفسكم﴾: الزموها واحفظوها مِنَ المعاصي. ﴿ضربتم في الأرض﴾: سافرتُم فيها. ﴿لا نشتري به ثمناً﴾: لا نأخذُ بقسَمِنا كذباً عرضاً دنيويّاً. ﴿الأوليان﴾: الأقربانِ إلى الميِّتِ الوارثانِ لهُ.

(١) عن ابن عبّاسٍ من رواية الكلبي: نزلَتْ في أهلِ هجَرَ، طلَبُوا أن يُؤَدُّوا الجِزيَةَ، فكتب النَّبيُّ ﷺ إلى عامله عليهم: «أمَّا العربُ فلا تَقبَلْ منهم إلا الإسلام أو السيف، وأمَّا أهلُ الكتابِ والمجوسُ فاقبَل منهم الجزيَةَ»، فلما قُرئ عليهم كتابُ رسولِ الله أسلمتِ العربُ، وأعطى الباقون الجزيةَ، فقال المُنافقون: لِـمَ قبِلَ الجزيةَ من بعضٍ دونَ بعضٍ؟ فنزلَتِ الآيةُ. الواحدي (ص: ٢١٢).

(٢) «المستدرك» (٧٩١٢)، أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨) وحسنه، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (٣٨٥).

(٣) برقم (٢٧٨٠) من حديث ابنِ عباس.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ
إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١٠٩ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًۢا بِإِذْنِىۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِىۖ وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِىۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١١٠ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ
بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ١١١
إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣﴾

نصف الحزب ١٣

أنّ رجلاً من بني سَهم خرج مع تميم الداريّ وعديّ بن بَدّاءٍ ـ أي: وهما نصرانيّان ـ فمات السهميّ بأرض ليس فيها مُسلم، فلمّا قدما بتَرِكته فقَدُوا جامًا من فِضّة مُخوَّصًا بالذهب، فرُفعا إلى النبيّ ﷺ، فنزلتْ فأحلفهما، ثمّ وُجِد الجام بمكّة، فقالوا: ابتَعناه من تميم وعديّ. فنزلتِ الآيةُ الثانية، فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا وفي رواية التِّرمذيّ[1]: فقام عَمرُو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، وكانا أقرب إليه. وفي رواية[2]: فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبلّغا ما ترك أهلَه. فلمّا مات أخذا الجام، ودفعا إلى أهله ما بقي.

١٠٨ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ الحكم المذكور من ردّ اليمين على الورثة ﴿**أدنى**﴾: أقربُ إلى ﴿**أن يأتوا**﴾ أي: الشهودُ أوِ الأوصياء ﴿**بِالشَّهادةِ على وَجهِها**﴾ الذي تحمّلوها عليه من غير تحريف ولا خيانة، ﴿**أو**﴾ أقربُ إلى أن ﴿**يَخافُوا أن تُرَدَّ أَيمانٌ بَعدَ أيمانِهِم**﴾ على الوَرثة المدَّعِينَ ـ فيحلفون على خِيانتهم وكذِبهم فيَفتضِحون ويَغرَمون ـ فلا يكذبوا. ﴿**واتّقُوا اللهَ**﴾، بترك الخِيانة والكذِب، ﴿**واسمَعُوا**﴾ ما تُؤمرون به سماعَ قَبول. ﴿**واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ**﴾: الخارجين عن طاعته، إلى سبيل الخير.

١٠٩ ـ اذكرْ ﴿**يَومَ يَجمَعُ اللهُ الرُّسُلَ**﴾ ـ هو يوم القيامة ـ ﴿**فيَقُولُ**﴾ لهم توبيخًا لقومهم: ﴿**ماذا**﴾ أي: [ما] الذي ﴿**أُجِبتُم**﴾ به حين دَعوتم الناسَ إلى التوحيد؟ ﴿**قالُوا: لا عِلمَ لَنا**﴾ بذلك إلّا ما علّمتَنا. ﴿**إنّكَ أنتَ عَلّامُ الغُيُوبِ**﴾: ما غاب عن العِباد وذهب عنهم عِلمه، لِشدّة هول يوم القيامة وفزعهم. ثمّ يشهدون على أُممهم لمّا يَسكنون.

١١٠ ـ اذكرْ ﴿**إذْ قالَ اللهُ: يا عِيسَى بنَ مَريَمَ، اذكُرْ نِعمَتِي عليكَ وعلَى والِدَتِكَ**﴾ بشكرها، ﴿**إذْ أيّدتُّكَ**﴾: قوّيتك ﴿**بِرُوحِ القُدُسِ**﴾: جِبريلَ، ﴿**تُكَلِّمُ النّاسَ**﴾: حالٌ من الكاف في «أيّدتك» ﴿**في المَهدِ**﴾ أي: طفلاً ﴿**وكَهلاً**﴾ ـ يُفيد نُزولَه قبل الساعة لأنه رُفع قبل الكُهولة كما سبق في «آل عمران»، ﴿**وإذْ عَلّمتُكَ الكِتابَ والحِكمَةَ والتَّوراةَ والإنجِيلَ، وإذْ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ**﴾: كصورةِ ﴿**الطَّيرِ**﴾ ـ والكاف: اسم بمعنى «مِثل» مفعول ـ ﴿**بِإذنِي فتَنفُخُ فِيها فتَكُونُ طَيرًا بِإذنِي**﴾: بإرادتي، ﴿**وتُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ بِإذنِي، وإذْ تُخرِجُ المَوتَى**﴾ من قُبورهم أحياءً ﴿**بِإذنِي، وإذْ كَفَفتُ بَنِي إسرائيلَ عَنكَ**﴾ حين همّوا بقتلك، ﴿**إذْ جِئتَهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: المُعجزات، ﴿**فقالَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم: إنْ**﴾ ما ﴿**هذا**﴾ الذي جئتَ به ﴿**إلّا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾ ـ وفي قراءةٍ «ساحِرٌ» أي: عيسى ـ ١١١ ـ ﴿**وإذْ أوحَيتُ إلَى الحَوارِيِّينَ**﴾: أمرتهم على لسانه، ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**آمِنُوا بِي وبِرَسُولِي**﴾: عيسى. ﴿**قالُوا: آمَنّا**﴾ بهما. ﴿**واشهَدْ بِأنّنا مُسلِمُونَ**﴾. ١١٢ ـ ١١٣ ـ اذكرْ ﴿**إذْ قالَ الحَوارِيُّونَ: يا عِيسَى بنَ مَريَمَ، هَل يَستَطِيعُ**﴾ أي: يفعلُ ﴿**رَبُّكَ**﴾ ـ وفي قراءةٍ بالفوقانيّةِ ونَصبِ ما بعده أي: تقدرُ أن تسأله ـ ﴿**أن يُنزِلَ عَلَينا مائدةً مِنَ السَّماءِ؟ قالَ**﴾ لهم عيسى: ﴿**اتَّقُوا اللهَ**﴾ في اقتراح الآيات، ﴿**إن كُنتُم مُؤمِنِينَ. قالُوا: نُرِيدُ**﴾ سؤالَها من أجلِ ﴿**أن نأكُلَ مِنها، وتَطمَئِنَّ**﴾: تسكنَ ﴿**قُلُوبُنا**﴾ بزيادة اليقين، ﴿**ونَعلَمَ**﴾: نزدادَ علمًا ﴿**أنْ**﴾ مخفّفةٌ، أي: أنّك ﴿**قد صَدَقتَنا**﴾ في ادّعاء النُّبوّة، ﴿**ونَكُونَ عَلَيها مِنَ الشّاهِدِينَ**﴾.

﴿بروح القدس﴾: جبريلَ عليهِ السَّلامُ. ﴿في المهد﴾: في زمنِ الرَّضاعةِ قبلَ أوانِ الكلامِ. ﴿كهلاً﴾: في حالِ اكتمالِ القوَّةِ (بعدَ نزولِهِ). ﴿تخلق﴾: تصوِّرُ وتقدِّرُ.
﴿الأكمه﴾: الأعمى خلقةً. ﴿الحواريين﴾: أنصارِ عيسى عليهِ السَّلامُ وخواصِّهِ.

(١) برقم (٣٠٥٩) وفيه الكلبي وهو متروك.

(٢) هي ضمن الرواية السابقة.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

(١١٤) ـ ﴿**قالَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ: اللّهُمَّ رَبَّنا، أَنزِلْ علَينا مائدةً مِنَ السَّماءِ، تَكُونُ لَنا**﴾، أي: يومُ نُزولِها، ﴿**عِيدًا**﴾ نُعظّمه ونُسَرّ فيه، ﴿**لأوَّلِنا**﴾: بدلٌ من «لنا» بإعادة الجارّ، ﴿**وآخِرِنا**﴾ ممّن يأتي بعدنا، ﴿**وآيةً مِنكَ**﴾ على قُدرتك ونُبوّتي، ﴿**وارزُقْنا**﴾ إيّاها. ﴿**وأنتَ خيرُ الرّازِقِينَ**﴾.

(١١٥) ـ ﴿**قالَ اللهُ**﴾ مُستجيبًا له: ﴿**إنّي مُنزِّلُها**﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿**علَيكُم. فمَن يَكفُرْ بَعدُ**﴾ أي: بعدَ نزولها ﴿**مِنكُم فإنّي أُعذِّبُهُ عَذابًا، لا أُعَذِّبُهُ أحدًا مِنَ العالَمِينَ**﴾ فنزلتِ الملائكة بها من السماء، عليها سبعةُ أرغفةٍ وسبعةُ أحواتٍ، فأكلوا منها حتّى شبعوا. قاله ابن عبّاس[١]. وفي حديثٍ: «أُنزِلَتِ المائدةُ مِنَ السَّماءِ خُبزًا ولَحمًا، فأُمِرُوا ألّا يَخُونُوا ولا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فخانُوا وادَّخَرُوا ورَفَعوا، فمُسِخُوا قِرَدَةً وخَنازِيرَ»[٢].

(١١٦) ـ (١١٧) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذْ قالَ**﴾ أي: يقول ﴿**اللهُ**﴾ لعيسى في القِيامة توبيخًا لقومه: ﴿**يا عِيسَى بنَ مريَمَ، أأنتَ قُلتَ لِلنّاسِ: اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إلـٰهَينِ مِن دُونِ اللهِ؟ قالَ**﴾ عيسى، وقد أُرعِدَ: ﴿**سُبحانَكَ**﴾: تنزيهًا لك عمّا لا يليق بك من الشريك وغيره! ﴿**ما يَكُونُ**﴾: ينبغي ﴿**لِيَ أن أقُولَ ما لَيسَ لي بِحَقٍّ**﴾: خبرُ «ليس»[٣]، ولي: للتبيين[٤]. ﴿**إن كُنتُ قُلتُهُ فقد عَلِمتَهُ. تَعلَمُ ما**﴾ أُخفيه ﴿**في نَفسِي، ولا أعلَمُ ما في نَفسِكَ**﴾ أي: ما تُخفيه من معلوماتك. ﴿**إنَّكَ أنتَ عَلّامُ الغُيُوبِ. ما قُلتُ لَهُم إلّا ما أمَرتَني بِهِ**﴾ ـ وهو ﴿**أنِ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم ـ وكُنتُ عَلَيهِم شَهِيدًا**﴾: رقيبًا أمنعهم ممّا يقولون، ﴿**ما دُمتُ فِيهِم، فلَمّا تَوَفَّيتَني**﴾: قبضتَني بالرفع إلى السماء ﴿**كُنتَ أنتَ الرَّقِيبَ عَلَيهِم**﴾: الحفيظَ لأعمالهم. ﴿**وأنتَ علَى كُلِّ شَيءٍ**﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغيرِ ذلك ﴿**شَهِيدٌ**﴾: مطّلع عالم به. (١١٨) ـ ﴿**إن تُعَذِّبْهُم**﴾ أي: مَن أقام على الكفر منهم ﴿**فإنَّهُم عِبادُكَ**﴾، وأنت مالكهم تتصرّف فيهم كيف شئتَ؟ لا اعتراض عليك، ﴿**وإن تَغفِرْ لَهُم**﴾ أي: لمَن آمن منهم ﴿**فإنَّكَ أنتَ العَزِيزُ**﴾: الغالب على أمره ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في صُنعه.

(١١٩) ـ ﴿**قالَ اللهُ: هذا**﴾ أي: يومُ القيامة ﴿**يَومُ يَنفَعُ الصّادِقِينَ**﴾ في الدُّنيا كعِيسَى ﴿**صِدقُهُم**﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿**لَهُم جَنّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنهُم**﴾ بطاعته، ﴿**ورَضُوا عَنهُ**﴾ بثوابه ـ ﴿**ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾ ـ ولا ينفع الكاذبين في الدُّنيا صِدقهم فيه كالكفّار لمّا يؤمنون عند رُؤية العذاب.

(١٢٠) ـ ﴿**للهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: خزائنِ المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿**وما فِيهِنَّ**﴾ ـ أتى بـ «ما» تغليبًا لغير العاقل ـ ﴿**وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾، ومنه إثابةُ الصادق وتعذيبُ الكاذب. وخَصَّ العقلُ ذاتَه، فليس عليها بقادر.

***

﴿مائدة﴾: خِواناً عليهِ طعامٌ. ﴿عيداً﴾: سروراً وفرحاً أو يوماً نعظِّمُهُ. ﴿سبحانك﴾: تنزيهاً لكَ مِن أن أقولَ ذلكَ. ﴿توفيتني﴾: أخذتَني إليكَ وافياً برفعي إلى السَّماءِ حيّاً.

(١) الطبري (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٦١) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح الموقوف، ثم قال: ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً.

(٣) أي: قَولًا ليس بحقٍّ. (الجمالين).

(٤) يعني: لا يتعلَّقُ بحقٍّ فإنَّ تقديمَ صلَةِ الجارِ على المجرورِ ممتَنِعٌ. (الجمالين).

سُورَةُ الأَنعَام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ
وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

٦
سُورَةُ الأَنعَام

مكيّة إلّا «وما قدروا الله حقّ قدره» الآياتِ الثلاث وإلّا «قل تعالَوا» الآياتِ الثلاث، مِائةٌ وخمسٌ أو ستٌّ وستّون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿**الحَمدُ**﴾، وهو الوصف بالجميل، ثابتٌ ﴿**لِلهِ**﴾ ـ وهل المُراد الإعلام بذلك للإيمانِ به أو الثناء به أو هما؟ احتمالاتٌ أفيدُها الثالثُ. قاله الشيخ[1] في سورة «الكهف» ـ ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ**﴾، خصّهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين، ﴿**وجَعَلَ**﴾: خلق ﴿**الظُّلُماتِ والنُّورَ**﴾ أي: كُلَّ ظُلمة ونور ـ وجَمَعَها دونه لكثرة أسبابها. وهذا من دلائل وحدانيته ـ ﴿**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿**بِرَبِّهِم يَعدِلُونَ**﴾: يُسَوُّون غيرَه في العِبادة.

(٢) ـ ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ**﴾ بخلق أبيكم آدمَ منه، ﴿**ثُمَّ قَضَى أجَلاً**﴾ لكـم تموتون عِند انتهائه، ﴿**وأجَلٌ مُسَمًّى**﴾: مضـروبٌ ﴿**عِندَهُ**﴾ لبعثكم، ﴿**ثُـمَّ أنتُـم**﴾ ـ أيُّها الكُفّار ـ ﴿**تَمترُونَ**﴾: تشكُّون في البعث بعد عِلمكم أنه ابتدأ خلقَكم ـ ومن قَدَرَ على الابتداء فهو على الإعادة أقدرُ ـ

(٣) ـ ﴿**وهُوَ اللهُ**﴾: مُستحقٌّ للعبادة ﴿**في السَّماواتِ وفي الأرضِ، يَعلَمُ سِرَّكُم وجَهرَكُم**﴾: ما تُسِرُّونه، وما تجهرون به بينكم، ﴿**ويَعلَمُ ما تَكسِبُونَ**﴾: تعملون من خير وشرّ.

(٤) ـ (٥) ـ (٦) ـ ﴿**وما تأتِيهِم**﴾ أي: أهلَ مكةَ ﴿**مِن**﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿**آيةٍ مِن آياتِ رَبِّهِم**﴾ من القُرآن ﴿**إلّا كانُوا عَنها مُعرِضِينَ. فقَد كَذَّبُوا بِالحَقِّ**﴾: بالقُرآن ﴿**لَمّا جاءَهُم، فسَوفَ يأتِيهِم أنباءُ**﴾: عواقبُ ﴿**ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ. ألَم يَرَوا**﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿**كَم**﴾: خبريّة بمعنى كثيرًا ﴿**أهلَكنا مِن قَبلِهِم مِن قَرنٍ**﴾: أُمّةٍ من الأُمم الماضية؟ ﴿**مَكَّنّاهُم**﴾: أعطيناهم مكانًا ﴿**في الأرضِ**﴾ بالقُوّة والسَّعة ﴿**ما لَم نُمَكِّنْ**﴾: نُعطِ ﴿**لَكُم**﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿**وأرسَلْنا السَّماءَ**﴾: المطرَ ﴿**عَلَيهِم مِدرارًا**﴾: مُتتابعًا، ﴿**وجَعَلْنا الأنهارَ تَجرِي مِن تَحتِهِم**﴾: تحتَ مساكنهم، ﴿**فأهلَكْناهُم بِذُنُوبِهِم**﴾: بتكذيبهم الأنبياءَ، ﴿**وأنشأنا مِن بَعدِهِم قَرنًا آخَرِينَ**﴾.

(٧) ـ ﴿**ولَو نَزَّلْنا عَلَيكَ كِتابًا في قِرطاسٍ**﴾[2] مكتوبًا ﴿**في قِرطاسٍ**﴾: رَقٍّ كما اقترحوه، ﴿**فلَمَسُوهُ بِأيدِيهِم**﴾ ـ أبلغُ من «عايَنوه» لأنه أنفى للشكّ ـ ﴿**لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ**﴾ ما ﴿**هَذا إلّا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾، تعنتًا وعِنادًا. (٨) ـ ﴿**وقالُوا: لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ عَلَيهِ**﴾: على مُحمّد ﴿**مَلَكٌ**﴾ يُصدِّقُه. ﴿**ولَو أنزَلْنا مَلَكًا**﴾ كما اقترحوه، فلم يُؤمنوا، ﴿**لَقُضِيَ الأمرُ**﴾ بهلاكهم، ﴿**ثُمَّ لا يُنظَرُونَ**﴾: يُمهلون لتوبة أو مَعذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عِند وجود مُقترحهم إذا لم يؤمنوا، ....

﴿جعل..﴾: أنشأَ وأبدعَ. ﴿بربّهم يعدلون﴾: يسوُّونَ بهِ غيرَهُ في العبادةِ. ﴿قضى أجلاً﴾: كتبَ وقدَّرَ زماناً مُعيَّناً للموتِ. ﴿أجل مسمّى عنده﴾: زمنٌ مُعيَّنٌ للبعثِ مُستأثرٌ بعلمِهِ. ﴿تمترون﴾: تشكُّونَ في البعثِ أو تجحدونَهُ. ﴿وهو الله﴾: أيِ المعبودُ أوِ المتوحِّدُ بالألوهيَّةِ. ﴿أنباء﴾: أخبارُ. وهوَ ما ينالُهُم مِنَ العقوباتِ. ﴿كم أهلكنا﴾: كثيراً أهلكْنا. ﴿قرن﴾: أمَّةٍ مِنَ النَّاسِ. ﴿مكّناهم﴾: أعطيْناهُم مِنَ المُكنةِ والقوَّةِ. ﴿السّماء﴾: المطرَ. ﴿مدراراً﴾: غزيراً كثيرَ الصَّبِّ. ﴿كتاباً في قرطاس﴾: مكتوباً في كاغدٍ أو رقٍّ. ﴿لا يُنظرون﴾: لا يُمهلونَ لحظةً بعدَ إنزالِهِ.

(١) أي: قال هذا القول كله الجلال المحلي. «الجمالين» (١/ ٤٢٦).

(٢) نزلَتْ في قومٍ منهم قالوا: لن نُؤمِنَ لك حتّى تأتيَنا بكتابٍ من عندِ الله ومعه أربعةٌ منَ الملائكةِ يشهدونَ أنّه من عندِ الله وأنّك رسولُه. الثعلبي (١٢/ ٣٦) عن مقاتل والكلبي، والواحدي (ص: ٢١٤) عن الكلبي.

﴿٩﴾ ـ ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ**﴾ أي: المُنزَلَ إليهم ﴿**مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ**﴾ أي: المَلَكَ ﴿**رَجُلًا**﴾ أي: على صورته[1]، ليتمكّنوا من رُؤيته، إذ لا قوّة للبشر على رُؤية المَلَك، ﴿**وَ**﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجُلاً ﴿**لَلَبَسْنَا**﴾ شبَّهْنا ﴿**عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ**﴾ على أنفسهم بأن يقولوا: ما هذا إلّا بشر مِثْلُكم.

﴿١٠﴾ ـ ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ**﴾ ـ فيه تسلية للنبيّ ـ ﴿**فَحَاقَ**﴾: نزل ﴿**بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾، وهو العذاب. فكذا يَحيق بمن استهزأ بك. ﴿١١﴾ ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**سِيرُوا فِي الأَرْضِ، ثُمَّ انظُرُوا: كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ**﴾ الرُّسلَ من هلاكهم بالعذاب؟ ليعتبروا.

﴿١٢﴾ ـ ﴿**قُل: لِمَن مَا فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ؟ قُلْ: لِلهِ**﴾، إن لم يقولوه لا جواب غيرُه. ﴿**كَتَبَ**﴾: قضى[2] ﴿**عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ فضلاً منه. وفيه تلطُّف في دعائهم إلى الإيمان ـ ﴿**لَيَجْمَعَنَّكُم إِلَى يَومِ القِيَامَةِ**﴾ ليُجازيَكم بأعمالكم، ﴿**لَا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيهِ. الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم**﴾ بتعريضها[3] للعذاب: مبتدأ خبرُه ﴿**فَهُم لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ ـ ﴿١٣﴾ ـ ﴿**وَلَهُ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**مَا سَكَنَ**﴾: حلَّ ﴿**فِي اللَّيلِ وَالنَّهارِ**﴾[4] أي: كُلُّ شيء، فهو ربّه وخالقه ومالكه، ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾ لما يقال ﴿**العَلِيمُ**﴾ بما يُفعل.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ
سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ
نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ
فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ
مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ
أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ
يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ
وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

﴿١٤﴾ ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أَغَيرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا**﴾ أعبدُه، ﴿**فَاطِرِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ**﴾: مُبدِعهما، ﴿**وَهُوَ يُطْعِمُ**﴾: يرزق ﴿**وَلَا يُطْعَمُ**﴾: يُرزَق؟ لا. ﴿**قُلْ: إِنِّي أُمِرتُ أَن أَكُونَ أَوَّلَ مَن أَسلَمَ**﴾ من هذه الأُمّة. وقيل لي: ﴿**وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾ به. ﴿١٥﴾ ـ ﴿**قُلْ: إِنِّي أَخَافُ، إِن عَصَيتُ رَبِّي**﴾ بعبادة غيره، ﴿**عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ**﴾ هو يوم القِيامة، ﴿١٦﴾ ـ ﴿**مَن يُصرَفْ**﴾ ـ بالبناء للمفعولِ أيِ: العذابُ، وللفاعلِ أيِ: اللهُ، والعائدُ محذوف ـ ﴿**عَنهُ يَومَئِذٍ فَقَد رَحِمَهُ**﴾ تعالى، أي: أراد له الخير. ﴿**وَذَلِكَ الفَوزُ المُبِينُ**﴾: النجاة الظاهرة.

﴿١٧﴾ ـ ﴿**وَإِن يَمسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ**﴾: بَلاءٍ كمرض وفقر ﴿**فَلَا كَاشِفَ**﴾: رافعَ ﴿**لَهُ إِلَّا هُوَ، وَإِن يَمسَسْكَ بِخَيرٍ**﴾ كصحّةٍ وغِنًى ﴿**فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾، ومنه مَسُّك به، ولا يقدِر على ردِّه عنك غيرُه، ﴿١٨﴾ ـ ﴿**وَهُوَ القَاهِرُ**﴾: القادر الذي لا يُعجزه شيء مُستعليًا ﴿**فَوقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الحَكِيمُ**﴾ في خلقه ﴿**الخَبِيرُ**﴾ ببواطنهم كظواهرهم.

﴿للبسنا عليهم ما يلبسون﴾: لخلطْنا وأشكلْنا عليهم حينَئذٍ ما يخلِطونَ على أنفسِهم اليومَ. ﴿فحاق..﴾: أحاطَ، أو نزلَ.. ﴿كتب﴾: قضى وأوجبَ، تفضُّلاً وإحساناً. ﴿خسروا أنفسهم﴾: أهلكوها وغبنوها بالكفرِ. ﴿ما سكن﴾: ما استقرَّ وحلَّ. ﴿وليًّا﴾: ربّاً معبوداً وناصراً مُعيناً. ﴿فاطر..﴾: مُبدعِ ومُخترعِ... ﴿هو يُطعم﴾: يرزقُ عبادَهُ. ﴿من أسلم﴾: خضعَ للهِ بالعبوديَّةِ وانقادَ لهُ.

(١) كما مُثِّلَ جبريلُ في صُورَةِ دحيَةَ. (الجمالين).

(٢) أو التزَمَها تفضُّلًا وإحساناً فمن أقبلَ إليه معَ عظَمِ ذنبِهِ قبلَهُ، والمرادُ بالرَّحمةِ: ما يعُمُّ الدَّارينِ، ومن ذلك الهدايةُ إلى معرفتِهِ والعلمُ بتوحيدِهِ بنصبِ الأدلَّةِ وإنزالِ الكتُبِ والإمهالُ على الكُفرِ. (الجمالين).

(٣) أو بتضييعِ رأسِ مالِهِم وهو الفطرَةُ الأصليَّةُ والعقلُ السَّليمُ. (الجمالين).

(٤) أتى كفارُ مكة النبيَّ ﷺ فقالوا: يا محمَّدُ، قد علِمْنا أنَّه إنَّما يحملُك على ما تدعُوْنا إليه الحاجةُ، فنحن نجعلُ لك نصيبًا في أموالنا حتَّى تكونَ من أغنانا رجلاً وترجعَ عمَّا أنت عليه، فنزلت هذه الآية. الواحدي (ص: ٢١٤) عن الكلبي عن ابن عباس. والثعلبي» (١٢/ ٤٢) عن الكلبي.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً
أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
(١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢)
ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)
انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا
يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧)

ونزل لمّا قالوا للنبيّ: «ائتِنا بمَن يَشهدُ لكَ بالنبوّة، فإنّ أهل الكِتاب أنكرُوكَ»[1]:

(١٩) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أيُّ شَيءٍ أكبَرُ شَهادةً﴾؟ تمييزٌ محوّل عن المبتدأ. ﴿قُلِ: اللهُ﴾. إن لم يقولوه، لا جواب غيرُه. هو ﴿شَهِيدٌ بَيني وبَينَكُم﴾ على صِدقي. ﴿وأُوحِيَ إلَيَّ هذا القُرآنُ لِأُنذِرَكُم﴾ ـ يا أهل مكّةَ ـ ﴿بِهِ ومَن بَلَغَ﴾: عطفٌ على ضمير «أنذركم»، أي: بلغهُ القُرآنُ من الإنس والجنّ. ﴿أإنَّكُم لَتَشهَدُونَ أنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخرَى﴾؟ استفهام إنكار. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لا أشهَدُ﴾ بذلك. ﴿قُلْ: إنَّما هُوَ إلهٌ واحِدٌ، وإنَّني بَرِيءٌ مِمّا تُشرِكُونَ﴾ معه من الأصنام.

(٢٠) ـ ﴿الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ يَعرِفُونَهُ﴾ أي: مُحمّدًا بنعتِه في كِتابهم، ﴿كَما يَعرِفُونَ أبناءَهُم، الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم﴾ منهم ﴿فهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ به،

(٢١) ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه، ﴿أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾: القُرآنِ؟ ﴿إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لا يُفلِحُ الظّالِمُونَ﴾ بذلك.

(٢٢) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أشرَكُوا﴾ توبيخًا: ﴿أينَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ﴾ أنهم شُركاء لله؟ (٢٣) ـ ﴿ثُمَّ لَم تَكُنْ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿فِتنَتُهُم﴾، بالنصب والرفع، أي: معذرتَهم ﴿إلّا أن قالُوا﴾ أي قولُهم: ﴿واللهِ رَبِّنا﴾ ـ بالجرِّ: نعتٌ، والنصبِ: نداءٌ ـ ﴿ما كُنّا مُشرِكِينَ﴾.

(٢٤) ـ قال تعالى: ﴿انظُرْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿كَيفَ كَذَبُوا علَى أنفُسِهِم﴾ بنفي الشِّرك عنهم، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ ـ على الله من الشركاء؟ (٢٥) ـ ﴿ومِنهُم مَن يَستَمِعُ إلَيكَ﴾[2] إذا قرأت، ﴿وجَعَلْنا علَى قُلُوبِهِم أكِنَّةً﴾: أغطية لِـ ﴿أنْ﴾ لا ﴿يَفقَهُوهُ﴾: يفهموا القُرآن، ﴿وفي آذانِهِم وَقرًا﴾: صَممًا، فلا يسمعونه سماعَ قَبول، ﴿وإن يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يُؤمِنُوا بِها ـ حَتَّى إذا جاؤُوكَ، يُجادِلُونَكَ، يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ﴾: ما ﴿هذا﴾ القُرآنُ ﴿إلّا أساطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿الأوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمعُ أُسطورة بالضمّ ـ (٢٦) ـ ﴿وهُم يَنهَونَ﴾ الناسَ ﴿عَنهُ﴾ أي: عن اتّباع النبيّ ﷺ، ﴿ويَنأَونَ﴾: يتباعدون ﴿عَنهُ﴾، فلا يؤمنون به ـ وقيل: نزلتْ في أبي طالب، كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به[3] ـ ﴿وإنْ﴾: ما ﴿يُهلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إلّا أنفُسَهُم﴾ لأنّ ضرره عليهم، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ بذلك.

(٢٧) ـ ﴿ولَو تَرَى﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إذْ وُقِفُوا﴾: عُرضوا ﴿علَى النّارِ، فقالُوا: يا﴾ ـ للتنبيه ـ ﴿لَيتَنا نُرَدُّ﴾ إلى الدُّنيا، ﴿ولا نُكَذِّبُ بِآياتِ رَبِّنا، ونَكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ ـ برفعِ الفعلين استئنافًا، ونصبِهما في جواب التمنّي، ورفعِ الأوّل ونصبِ الثاني ـ وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

﴿من بلغ﴾: مَن بلغَهُ القرآنُ إلى قيامِ السَّاعةِ. ﴿فتنتهم﴾: معذرتُهم. أو عاقبةُ شركِهِم. ﴿ضلّ عنهم﴾: غابَ وزالَ عنهُم. ﴿ما كانوا يفترون﴾: يكذبونَ ـ الأصنامُ وشفاعتُهُم. ﴿أكِنّة﴾: أغطيةٌ كثيرةٌ. ﴿وقرًا﴾: صمماً وثِقلاً في السَّمعِ. ﴿أساطير الأوّلين﴾: أكاذيبُهُم المُسطَّرةُ في كتبِهِم. ﴿ينأون عنه﴾: يتباعدونَ عنِ القرآنِ بأنفسِهِم. ﴿وُقفوا على النّار﴾: عُرِّفوها، أو حُبسوا على متنِها.

(١) الثعلبي (١٢/ ٥١)، والواحدي (ص: ٢١٤)، عن الكلبي. وعن ابن عباس: جاء النحَّام بن زيد وقردم بن كعب وبحريّ بن عمير فقالوا: يا محمد، ما تعلم مع الله إلهًا غيرَه؟ فقال: «لا إله إلا الله، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو»، فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم: ﴿قل أي شيء أكبر﴾ الآية. الطبري (٩/ ١٨٥).

(٢) استمعَ جماعة من زعماء المشركين منهم النضر بن الحارث إلى النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ قالوا للنَّضرِ: ما يقولُ؟ قال: والذي جعلَها بيتَه ما أدري ما يقولُ، إلاَّ أنّي أرى تحريكَ شفتَيه يتكلَّمُ بشيءٍ، وما يقولُ إلّا أساطيرَ الأوَّلينَ مثلَ ما كنتُ أُحدِّثُكم عن القرونِ الماضيةِ، وكان النَّضرُ كثيرَ الحديثِ عن القرونِ الأُوَل، وكان يُحدِّثُ قُريشًا ويستملِحون حديثَه، فأنزلَ الله هذه الآية. الثعلبي (١٢/ ٥٥ ـ ٥٦) عن الكلبي، والواحدي (ص: ٢١٤) عن أبي صالح عن ابن عباس، وهي من رواية الكلبي. وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٥).

(٣) عبد الرزاق (٧٨٥)، والطبري (٩/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧٨)، و«المعجم الكبير» (١٢٦٨٢)، و«المستدرك» (٣٢٢٨) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ
نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

(٢٨) ـ قال تعالى: ﴿بَل﴾ ـ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنّي ـ ﴿بَدا﴾: ظهرَ ﴿لَهُم ما كانُوا يُخفُونَ مِن قَبلُ﴾: يكتمون، بقولهم «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ»، بشهادة جوارحهم، فتمنَّوا ذلك، ﴿ولَو رُدُّوا﴾ إلى الدُّنيا فرَضًا ﴿لَعادُوا لِما نُهُوا عَنهُ﴾ من الشِّرك، ﴿وإنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان.

(٢٩) ـ (٣٠) ـ ﴿وقالُوا﴾ أي مُنكرو البعث: ﴿إن﴾: ما ﴿هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إلّا حَياتُنا الدُّنيا، وما نَحنُ بِمَبعُوثِينَ. ولَو تَرَى إذ وُقِفُوا﴾: عُرِضوا ﴿على رَبِّهِم﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا. ﴿قالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿ألَيسَ هذا﴾ البعثُ والحساب ﴿بِالحَقِّ؟ قالُوا: بَلَى ورَبِّنا﴾ إنه لحقّ. ﴿قالَ: فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكفُرُونَ﴾ به في الدُّنيا.

(٣١) ـ ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ﴾: بالبعث. ﴿حَتَّى﴾ ـ غايةٌ للتكذيب ـ ﴿إذا جاءَتهُمُ السّاعةُ﴾: القِيامة ﴿بَغتَةً﴾: فجأة ﴿قالُوا: يا حَسرَتَنا﴾ ـ هي شِدّة التألُّم، ونداؤها مَجاز أي: هذا أوانُكِ فاحضري ـ ﴿على ما فَرَّطنا﴾: قصّرنا ﴿فِيها﴾ أي: الدُّنيا ﴿وهُم يَحمِلُونَ أوزارَهُم على ظُهُورِهِم﴾ بأن تأتيَهم عِند البعث على أقبحِ شيءٍ صُورةً وأنتنِه رِيحًا فتركبَهم. ﴿ألا ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما يَزِرُونَ﴾: يحملونه حِملُهم ذلك!

(٣٢) ـ ﴿وما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿إلّا لَعِبٌ ولَهْوٌ﴾، وأمّا الطاعة وما يُعين عليها فمِن أُمور الآخِرة، ﴿ولَلدّارُ الآخِرةُ﴾ ـ وفي قراءةٍ: «ولَدارُ الآخِرةِ» ـ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشِّرك. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾، بالياء والتاء، ذلك فيُؤمنون؟

(٣٣) ـ ﴿قَد﴾ للتحقيق ﴿نَعلَمُ إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لَيَحزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾(1) لك من التكذيب ﴿فإنَّهُم لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السِّرّ لعلمهم أنك صادق ـ وفي قراءة بالتخفيف ـ أي: لا يَنسبونك إلى الكذب، ﴿ولكِنَّ الظّالِمِينَ﴾ ـ وضَعه موضِعَ المُضمر ـ ﴿بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿يَجحَدُونَ﴾: يُكذّبون، (٣٤) ـ ﴿ولَقَد كُذِّبَت رُسُلٌ مِن قَبلِكَ﴾ ـ فيه تسلية للنّبي ـ ﴿فصَبَرُوا على ما كُذِّبُوا وأُوذُوا، حَتَّى أتاهُم نَصرُنا﴾ بإهلاك قومهم. فاصبر حتّى يأتيك النصر بإهلاك قومِك، ﴿ولا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾: مَواعِيده. ﴿ولَقَد جاءَكَ مِن نَبَإِ المُرسَلِينَ﴾ ما يَسكُن به قلبُك.

(٣٥) ـ ﴿وإن كانَ كَبُرَ﴾: عظُم ﴿عَلَيكَ إعراضُهُم﴾ عن الإسلام بحرصك عليهم ﴿فإنِ استَطَعتَ أن تَبتَغِيَ نَفَقًا﴾: سَرَبًا ﴿فِي الأرضِ أو سُلَّمًا﴾: مِصعدًا ﴿فِي السَّماءِ، فتَأتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ ممّا اقترحوا، فافعلْ ـ المعنى: إنك لا تستطيع ذلك. فاصبر حتّى يحكُم الله ـ ﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ هِدايتهم ﴿لَجَمَعَهُم على الهُدَى﴾، ولكن لم يشأ ذلك فلم يُؤمنوا. ﴿فلا تَكُونَنَّ مِنَ الجاهِلِينَ﴾ بذلك.

﴿وُقفوا على ربهم﴾: حُبِسُوا على حُكمِهِ تعالى للسُّؤالِ. ﴿بغتة﴾: فجأةً مِن غيرِ شعورٍ. ﴿فرّطنا فيها﴾: قصَّرنا وضيَّعْنا في الحياةِ الدُّنيا. ﴿أوزارهم﴾: ذنوبَهُم وخطاياهُم. ﴿لكلمات الله﴾: آياتِ وعدِهِ بنصرِ رسلِهِ. ﴿كبُر عليك﴾: شقَّ وعظُمَ عليكَ. ﴿نفقاً في الأرض﴾: سرباً فيها ينفذُ إلى ما تحتَها.

(١) قال السُّدِّيُّ: قال الأخنسُ لأبي جهلٍ: يا أبا الحكَم، أخبرني عن محمَّدٍ، أصادقٌ هو أم كاذبٌ؟ فإنَّه ليس هاهنا أحدٌ يسمعُ كلامَك غيري، فقال أبو جهلٍ: واللهِ إنَّ محمَّدًا لصادقٌ، وما كذبَ محمَّدٌ قطُّ، ولكنْ إذا ذهبَ بنو قُصيٍّ باللِّواءِ والسِّقايةِ والحجابةِ والنَّدوةِ والنُّبوّةِ، فماذا يكونُ لسائرِ قريشٍ؟ فنزلت. الطبري (٩/ ٢٢٢)، والواحدي (ص: ٢١٦).

وعن أبي ميسرةَ: أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ مرَّ بأبي جهلٍ وأصحابِه، فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا واللهِ لا نُكذِّبُكَ، إنَّكَ عندَنا لصادقٌ، ولكنْ نُكذِّبُ بما جئتَ به، فنزلَتْ: ﴿فإنّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآيات اللّه يجحدون﴾. الواحدي (ص: ٢١٦)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٤)، وروى نحوه الترمذي (٣٠٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣٠)، والضياء في «المختارة» (٧٤٨)، من طريق ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه. وأعله الترمذي بما روي عن ناجية مرسلاً، وقال: وهذا أصح. وهكذا نقل في «العلل» (٦٥٦) عن شيخه البخاري.

وعن مقاتلٍ: أنَّها نزلت في الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نَوفلٍ، كان يُكذِّبُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ في العلانيةِ، فإذا خلا مع أهلِ بيتِه قال: ما محمَّدٌ من أهلِ الكذبِ، ولا أحسبُه إلَّا صادقًا، فنزلت. «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٨).

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ
ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ
إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ
إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

الحزب ١٤

(٣٦) ـ ﴿إنّما يستجيبُ﴾ دُعاءك إلى الإيمان ﴿الّذينَ يسمَعُونَ﴾ سماعَ تفهُّم واعتبار، ﴿والموتَى﴾ أي: الكُفّارُ ـ شبَّههم بهم في عدم السماع ـ ﴿يبعَثُهُم اللهُ﴾ في الآخِرة، ﴿ثُمَّ إليهِ يُرجَعُونَ﴾: يُردّون، فيُجازيهم بأعمالهم.

(٣٧) ـ ﴿وقالوا﴾ أي: كُفّار مكّةَ: ﴿لولا﴾: هلّا ﴿نُزِّلَ عليهِ آيةٌ مِن ربِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُنَزِّلَ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿آيةً﴾ ممّا اقترحوا، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ نُزولها بلاء عليهم لوُجوب هلاكهم إن جحدوها.

(٣٨) ـ ﴿وما مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿دابّةٍ﴾ تمشي ﴿في الأرضِ، ولا طائرٍ يَطيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَناحَيهِ، إلّا أُمَمٌ أمثالُكُم﴾ في تقدير خلقها ورزقها وأحوالها ـ ﴿ما فَرَّطْنا﴾: تركنا ﴿في الكِتابِ﴾: اللوح المحفوظ، ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ فلم نكتبه ـ ﴿ثُمَّ إلى رَبِّهِم يُحشَرُونَ﴾، فيُقضى بينهم، ويُقتصّ للجمّاء من القرناء، ثم يقول لهم: كونوا تُرابًا.

(٣٩) ـ ﴿والّذينَ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾: القُرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها سماعَ قَبول ﴿وبُكمٌ﴾ عن النُّطق بالحقّ ﴿في الظُّلُماتِ﴾: الكفر. ﴿مَن يَشَأِ اللهُ﴾ إضلالَه ﴿يُضلِلْهُ، ومَن يَشَأْ﴾ هِدايتَه ﴿يَجعَلْهُ على صِراطٍ﴾: طريقٍ ﴿مُستَقيمٍ﴾: دِينِ الإسلام.

(٤٠) ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لأهل مكّة: ﴿أرَأيتَكُم﴾: أخبروني، ﴿إن أتاكُم عَذابُ اللهِ﴾ في الدُّنيا ﴿أو أتَتكُمُ السّاعةُ﴾: القِيامةُ المُشتملة عليه بغتةً، ﴿أغَيرَ اللهِ تدعُونَ﴾؟ لا، ﴿إن كُنتُم صادِقينَ﴾ في أنّ الأصنام تنفعكم فادعوها، (٤١) ـ ﴿بَل إيّاهُ﴾ لا غيرَه ﴿تَدعُونَ﴾ في الشدائد، ﴿فيَكشِفُ ما تدعُونَ إليهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضُّرّ ونحوه، ﴿إن شاءَ﴾ كشفَه، ﴿وتَنسَونَ﴾: تتركون ﴿ما تُشرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه.

(٤٢) ـ ﴿ولَقَد أرسَلنا إلى أُمَمٍ مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿قَبلِكَ﴾ رُسلًا فكذَّبوهم، ﴿فأخَذْناهُم بالبأساءِ﴾: شِدّة الفقر ﴿والضَّرّاءِ﴾: المرض، ﴿لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتذلّلون فيؤمنون. (٤٣) ـ ﴿فلَولا﴾: فهلّا، ﴿إذْ جاءَهُم بأسُنا﴾: عذابنا، ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له، ﴿ولكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُم﴾ فلم تلن للإيمان، ﴿وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من المعاصي فأصرّوا عليها، (٤٤) ـ ﴿فلَمّا نَسُوا﴾: تركوا ﴿ما ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا وخُوّفوا ﴿بِهِ﴾ من البأساء والضرّاء فلم يتّعظوا ﴿فَتَحنا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿عليهِم أبوابَ كُلِّ شَيءٍ﴾ من النِّعم استدراجًا لهم.

﴿حتّى إذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا﴾ فَرَحَ بطرٍ ﴿أخَذْناهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتةً﴾: فجأة، ﴿فإذا هُم مُبلِسُونَ﴾: آيِسُونَ من كُلّ خير، ....

﴿أممٌ أمثالكم﴾: في خلقِنا لها وتدبيرِنا أمورَها. ﴿ما فرّطنا﴾: ما أغفلْنا وتركْنا. ﴿في الظّلمات﴾: ظلماتِ الجهلِ والعنادِ والكفرِ. ﴿أرأيتكم﴾: أخبِروني عن عجيبِ أمرِكُم. ﴿بالبأساء والضرّاء﴾: البؤسِ والفقرِ والسُّقمِ والزَّمانةِ. ﴿يتضرّعون﴾: يتذلّلونَ ويتخشّعونَ ويتوبونَ. ﴿جاءهم بأسنا﴾: أتاهُم عذابُنا. ﴿كلّ شيء﴾: مِنَ النِّعَمِ الكثيرةِ استدراجاً لهُم. ﴿أخذناهم بغتة﴾: أنزلْنا بهِمُ العذابَ فجأةً. ﴿هم مبلسون﴾: آيِسونَ مِنَ الرَّحمةِ أو مُكتئِبونَ.

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ
عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٥﴾ ـ ﴿فقُطِعَ دابِرُ القَومِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخِرُهم، بأن استُؤصِلوا. ﴿والحَمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ على نصر الرُّسل، وهلاك الكافرين.

﴿٤٦﴾ ـ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكّة: ﴿أرَأيتُم﴾: أخبروني، ﴿إن أخَذَ اللهُ سَمعَكُم﴾: أصمَّكم ﴿وأبصارَكُم﴾: أعماكم ﴿وخَتَمَ﴾: طبع ﴿على قُلُوبِكُم﴾ فلا تعرفون شيئًا، ﴿مَن إلـهٌ غَيرُ اللهِ يأتِيكُم بِهِ﴾: بما أخذه منكم بزعمكم؟ ﴿انظُرْ كَيفَ نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّن ﴿الآياتِ﴾: الدلالاتِ على وحدانيّتنا، ﴿ثُمَّ هُم يَصدِفُونَ﴾: يُعرِضون عنها، فلا يؤمنون؟ ﴿٤٧﴾ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أرَأيتَكُم ـ إن أتاكُم عَذابُ اللهِ بَغتَةً أو جَهْرَةً﴾: ليلاً أو نهارًا ـ ﴿هَل يُهلَكُ إلّا القَومُ الظّالِمُونَ﴾ الكافرون؟ أي: ما يُهلَك إلّا هم.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿وما نُرسِلُ المُرسَلِينَ إلّا مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمن بالجنّة ﴿ومُنذِرِينَ﴾ مَن كفرَ بالنار. ﴿فمَن آمَنَ﴾ بهم ﴿وأصلَحَ﴾ عمله ﴿فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾ في الآخِرة، ﴿٤٩﴾ ـ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ العَذابُ بِما كانُوا يَفسُقُونَ﴾: يَخرجون عن الطاعة.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لا أقُولُ لَكُم: عِندِي خَزائنُ اللهِ﴾ التي منها يرزق، ﴿ولا﴾ إنّي ﴿أعلَمُ الغَيبَ﴾: ما غاب عنّي ولم يُوحَ إليّ، ﴿ولا أقُولُ لَكُم: إنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة. ﴿إنْ﴾: ما ﴿أتَّبِعُ إلّا ما يُوحَى إلَيَّ. قُلْ: هَل يَستَوِي الأعمَى﴾: الكافر ﴿والبَصِيرُ﴾: المؤمن؟ لا. ﴿أفلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون؟

﴿٥١﴾ ـ ﴿وأنذِرْ﴾: خوِّف ﴿بِهِ﴾: بالقُرآن ﴿الَّذِينَ يَخافُونَ أن يُحشَرُوا إلَى رَبِّهِم، لَيسَ لَهُم مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرِه ﴿وَلِيٌّ﴾ ينصرهم ﴿ولا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم ـ وجُملة النفي: حال من ضمير «يُحشروا»، وهي محلُّ الخَوف والمُراد بهم المُؤمنون العاصون ـ ﴿لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ الله بإقلاعِهم عمّا هم فيه وعملِ الطاعات.

﴿٥٢﴾ ـ ﴿ولا تَطرُدِ الَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ والعَشِيِّ، يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجهَهُ﴾ ـ تعالى ـ لا شيئًا من أعراض الدنيا، وهم الفُقراء. وكان المُشركون طعنوا فيهم[1]، وطلبوا أن يطردهم ليُجالسوه، وأراد النبيّ ذلك طمعًا في إسلامهم. ﴿ما علَيكَ مِن حِسابِهِم مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿شَيءٍ﴾ إن كان باطنهم غيرَ مَرْضيّ، ﴿وما مِن حِسابِكَ علَيهِم مِن شَيءٍ، فتَطرُدَهُم﴾: جوابُ النفي، ﴿فتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ﴾ إن فعلتَ ذلك.

﴿دابر القوم﴾: آخرُهُم. ﴿أرأيتم﴾: أخبِروني. ﴿نصرّف الآيات﴾: نكرِّرُها على أنحاءٍ مُختلفةٍ. ﴿هم يصدفون﴾: هم يُعرِضونَ عنها ويعدلونَ. ﴿أرأيتكم﴾: أخبِروني. ﴿بغتة﴾: فجاءةً أو ليلاً. ﴿جهرة﴾: مُعاينةً أو نهاراً. ﴿خزائن الله﴾: مرزوقاتُهُ أو مقدوراتُهُ. ﴿بالغداة والعشيّ﴾: في أوَّلِ النَّهارِ وآخرِهِ، أي دواماً.

(١) رواه مسلم (٢٤١٣)، والواحدي (ص: ٢١٧) من حديث سعد رضي الله عنه.
وعن خبَّابٍ: فينا نزلَتْ، كنَّا ضُعفاءَ عندَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بالغداةِ والعشيِّ يُعلِّمنا القرآنَ والخيرَ، ويُخوِّفُنا بالجنَّةِ والنَّارِ، فجاء الأقرعُ بنُ حابسٍ وعُيَينةُ بنُ حصنٍ فقالا: إنَّا من أشرافِ قومِنا، وإنَّا نكرهُ أن يرَونا معهم، فاطرُدْهم إذا جالَسْناك، فهمَّ بذلك طمعاً في إيمانهم، فنزلت: ﴿ولا تطرد الّذين يدعون ربّهم﴾. ابن ماجه (٤١٢٧)، والواحدي (ص: ٢١٧)، قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ
رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا
بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
﴿٥٥﴾ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل
لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ
﴿٥٦﴾ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا
تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ
خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ
ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ
مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ
وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾

(٥٣) ـ ﴿**وكَذلِكَ فَتَنَّا**﴾: ابتلَينا ﴿**بَعضَهُم بِبَعضٍ**﴾ أي: الشريفَ بالوضيعِ والغنيَّ بالفقيرِ بأن قدّمناه بالسبق إلى الإيمان، ﴿**لِيَقُولُوا**﴾ أي: الشُّرفاءُ والأغنياء بمَكّة مُنكِرينَ: ﴿**أَهؤُلاءِ**﴾ الفقراءُ ﴿**مَنَّ اللهُ عليهِم مِن بَينِنا**﴾ بالهداية؟ أي: لو كان ما هم عليه هدًى ما سبقونا إليه. قال تعالى: ﴿**أَليسَ اللهُ بِأعلَمَ بِالشّاكِرِينَ**﴾ له فيهديَهم؟ بلى.

(٥٤) ـ ﴿**وإذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِآياتِنا**﴾[1] **فقُلْ** لهم: ﴿**سَلامٌ عليكُم. كَتَبَ**﴾: قضى ﴿**رَبُّكُم على نَفسِه الرَّحمَةَ، إنَّهُ**﴾ أي: الشأنَ ـ وفي قراءة بالفتح: بدلٌ من «الرحمة» ـ ﴿**مَن عَمِلَ مِنكُم سُوءًا بِجَهالةٍ**﴾ منه حيث ارتكبه، ﴿**ثُمَّ تابَ**﴾: رجَع ﴿**مِن بَعدِهِ**﴾: بعدِ عمله عنه ﴿**وأَصلَحَ**﴾ عمله، ﴿**فإنَّهُ**﴾ أي: اللهَ ﴿**غَفُورٌ**﴾ له ﴿**رَحِيمٌ**﴾ به. وفي قراءة بالفتح أي: فالمغفرة له.

ربع الحزب ١٤

(٥٥) ـ ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما بيَّنّا ما ذُكر ﴿**نُفَصِّلُ**﴾: نُبيِّن ﴿**الآياتِ**﴾ القُرآنَ ليَظهرَ الحقّ فيُعمَلَ به، ﴿**ولِتَستَبِينَ**﴾: تظهرَ ﴿**سَبِيلُ**﴾: طريقُ ﴿**المُجرِمِينَ**﴾ فتُجتنَب. وفي قراءة بالتَّحتانيَّة، وفي أُخرى بالفوقانيَّةِ ونصبِ «سَبيلَ»: خِطابٌ للنبيّ. (٥٦) ـ (٥٧) ـ ﴿**قُلْ: إنِّي نُهِيتُ أن أَعبُدَ الَّذِينَ تَدعُونَ**﴾: تعبدون ﴿**مِن دُونِ اللهِ. قُلْ: لا أتَّبِعُ أهواءَكُم**﴾ في عِبادتها. ﴿**قَد ضَلَلتُ إذًا**﴾: إن اتّبعتُها، ﴿**وما أنا مِنَ المُهتَدِينَ. قُلْ: إنِّي على بَيِّنَةٍ**﴾: بيانٍ ﴿**مِن رَبِّي، و**﴾ قد ﴿**كَذَّبتُم بِهِ**﴾: بربّي حيثُ أشركتم. ﴿**ما عِندِي ما تَستَعجِلُونَ بِهِ**﴾ من العذاب. ﴿**إنِ**﴾: ما ﴿**الحُكمُ**﴾ في ذلك وغيره ﴿**إلّا لِلهِ، يَقضِي**﴾ القضاءَ ﴿**الحَقَّ، وهُوَ خَيرُ الفاصِلِينَ**﴾: الحاكمين. وفي قراءةٍ «يَقُصُّ» أي: يقول.

(٥٨) ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَو أنَّ عِندِي ما تَستَعجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأمرُ بَينِي وبَينَكُم**﴾[2] بأن أُعجّله لكم وأستريح، ولكنّه عِند اللهِ، ﴿**واللهُ أعلَمُ بِالظّالِمِينَ**﴾: متى يُعاقبهم؟ (٥٩) ـ ﴿**وعِندَهُ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**مَفاتِحُ الغَيبِ**﴾: أي: خزائنه أو الطُّرق المُوصِلة إلى عِلمه، ﴿**لا يَعلَمُها إلّا هُوَ**﴾ ـ وهي الخمسة التي في قوله تعالى: «إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ» الآيةَ كما رواه البخاريّ ـ ﴿**ويَعلَمُ ما**﴾ يَحدُثُ ﴿**في البَرِّ**﴾: القِفارِ ﴿**والبَحرِ**﴾: القرى التي على الأنهار، ﴿**وما تَسقُطُ مِن**﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿**وَرَقةٍ إلّا يَعلَمُها، ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ**﴾: عطفٌ على «وَرَقةٍ»، ﴿**إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ**﴾، هو اللوح المحفوظ. والاستثناء بدلُ اشتمال من الاستثناء قبله.

﴿فتنّا﴾: ابتلَيْنا وامتحنَّا ونحنُ أعلمُ بهِم. ﴿كتب ربّكم﴾: قضى وأوجبَ ـ تفضُّلاً وإحساناً. ﴿بجهالة﴾: بسفاهةٍ وكلُّ عاصٍ مُسيء جاهلٌ. ﴿يقصّ الحقّ﴾: يتبعُهُ فيما يحكمُ بِهِ أو يُبيِّنُهُ بياناً شافياً. ﴿خير الفاصلين﴾: بينَ الحقِّ والباطلِ بحكمِهِ العدلِ. ﴿كتاب مبين﴾: اللَّوحِ المحفوظِ أو علمِهِ تعالى.

(١) قال عكرمةُ: نزلت في الذين نهى اللهُ نبيَّه عن طَردِهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسَّلامِ وقال: «الحمدُ لله الذي جعَلَ في أُمَّتي مَن أمرَني أن أبدَأَهُم بالسَّلامِ». الثعلبي (١٢/ ٩٠)، والواحدي (ص: ٢١٩).
وعن ماهان الحنفي: أنّ قومًا جاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد، إنا أصبنا ذنوبًا عظامًا، فما إخاله ردّ عليهم شيئًا، فانصرفوا، فأنزل الله هذه الآية، فدعاهم فقرأها عليهم. الطبري (٩/ ٢٧٢)، والواحدي (ص: ٢١٩). وهو مرسل كالذي قبله.
وعن عطاء: نزلَتْ في أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ وبلال وسالم وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر، والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد. الثعلبي (١٢/ ٩٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما مقتصراً على الخلفاء الأربعة.
(٢) قال الكلبيُّ: نزلتْ في النَّضر بن الحارث ورؤساء قريشٍ، كانوا يقولون: «يا محمدُ ائتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا به» استهزاءً منهم، فنزلت. الواحدي (ص: ٢١٩).
قوله: «كما رواه البخاري» برقم (٤٦٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ
يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ
يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ
وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ
رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ
أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ
هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ
ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن
فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم
بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ
بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ
مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

(٦٠) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي يَتوفّاكُم باللَّيلِ﴾: يقبِض أرواحكم عِند النوم، ﴿ويَعلَمُ ما جَرحتُم﴾: كسَبتم ﴿بالنَّهارِ، ثُمَّ يَبعَثُكُم فِيهِ﴾ أي: النهارِ بردِّ أرواحكم ﴿لِيُقضَى أجَلٌ مُسمًّى﴾ هو أجل الحياة، ﴿ثُمَّ إلَيهِ مَرجِعُكُم﴾ بالبعث، ﴿ثُمَّ يُنبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به، (٦١) ـ ﴿وهُوَ القاهِرُ﴾ مُستعليًا ﴿فَوقَ عِبادِهِ، ويُرسِلُ علَيكُم حَفَظةً﴾: ملائكة تُحصي أعمالكم. ﴿حَتَّى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوتُ توَفَّتهُ﴾ ـ وفي قراءةٍ «تَوَفّاهُ» ـ ﴿رُسُلُنا﴾: الملائكة المُوكّلون بقبض الأرواح، ﴿وهُم لا يُفرِّطُونَ﴾: يقصِّرون فيما يُؤمرون به، (٦٢) ـ ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ أي: الخَلقُ ﴿إلَى اللهِ مَولاهُمُ﴾: مالكِهم ﴿الحَقِّ﴾: الثابتِ العدلِ ليُجازيهم. ﴿ألا لَهُ الحُكمُ﴾: القضاء النافذ فيهم، ﴿وهُوَ أسرَعُ الحاسِبِينَ﴾ يحاسِبُ الخلق كلّهم في قدر نصف نهار من أيّام الدنيا، لحديث بذلك.

(٦٣) ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لأهل مكّة: ﴿مَن يُنجِّيكُم مِن ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾: أهوالِهما في أسفاركم، حين ﴿تَدعُونَهُ تَضرُّعًا﴾: علانية ﴿وخُفْيةً﴾: سِـرًّا، تـقـولون: ﴿لَئِنْ﴾ لامُ قسم ﴿أنجَيتَنا﴾ ـ وفي قراءةٍ: «أنجانا» أي: اللهُ ـ ﴿مِن هذِهِ﴾ الظُّلُمات والشدائد، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾: المؤمنين؟ (٦٤) ـ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿اللهُ يُنجِّيكُم﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِنها ومِن كُلِّ كَربٍ﴾: غمّ سواها، ﴿ثُمَّ أنتُم تُشرِكُونَ﴾ به.

(٦٥) ـ ﴿قُلْ: هُوَ القادِرُ علَى أن يَبعَثَ علَيكُم عَذابًا مِن فَوقِكُم﴾: من السماء كالحِجارة والصيحة ﴿أو مِن تَحتِ أرجُلِكُم﴾ كالخَسف، ﴿أو يَلبِسَكُم﴾: يخلِطَكم ﴿شِيَعًا﴾: فِرَقًا مُختلفة الأهواء، ﴿ويُذِيقَ بَعضَكُم بأسَ بَعضٍ﴾ بالقِتال. قال ﷺ لمّا نزلت: «هذا أهوَنُ» أو «أيسَرُ»، ولمّا نزل ما قبله: «أعوذُ بوَجهِكَ». رواه البخاريّ[1]. وروى مُسلم حديثَ[2] «سألتُ ربِّي ألّا يَجعلَ بأسَ أُمّتي بينَهُم، فمَنَعَنِيها». وفي حديثٍ «لمّا نَزلَتْ قالَ: أما إنّها كائنةٌ، ولَم يأتِ تأويلُها بَعدُ». ﴿انظُرْ: كَيفَ نُصرِّفُ﴾: نُبيِّنُ لهم ﴿الآياتِ﴾: الدلالات على قُدرتنا، ﴿لَعَلَّهُم يَفقَهُونَ﴾: يعلمون أنّ ما هم عليه باطل؟

(٦٦) ـ ﴿وكَذَّبَ بِهِ﴾: بالقرآنِ ﴿قَومُكَ، وهُوَ الحَقُّ﴾: الصِّدق. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَستُ علَيكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأُجازيَكم، إنّما أنا مُنذر، وأمرُكم إلى الله. وهذا قبل الأمر بالقِتال. (٦٧) ـ ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ﴾: خبرٍ ﴿مُستَقَرٌّ﴾: وقتٌ يقع فيه ويستقرّ، ومنه عذابكم، ﴿وسَوفَ تَعلَمُونَ﴾. تهديدٌ لهم.

(٦٨) ـ ﴿وإذا رأيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ في آياتِنا﴾: القُرآنِ بالاستهزاء ﴿فأعرِضْ عَنهُم﴾ ولا تُجالِسْهم، ﴿حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيرِهِ. وإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ـ ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾، بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد، ﴿الشَّيطانُ﴾ فقعدتَ معهم ﴿فلا تَقعُدْ بَعدَ الذِّكرَى﴾ أي: تذكُّرِهِ ﴿مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾. فيه وضعُ الظاهر موضعَ المُضمر.

﴿جرحتم بالنّهار﴾: كسبتُم فيهِ بجوارِحِكُم مِنَ الإثمِ. ﴿لا يفرّطون﴾: لا يتوانونَ أو لا يُقصِّرونَ. ﴿تضرّعاً﴾: مُعلنينَ الضَّراعةَ والتَّذلُّلَ لهُ. ﴿خُفية﴾: مسرِّينَ بالدُّعاءِ.
﴿يلبسكم﴾: يخلطُكُم في ملاحمِ القتالِ. ﴿شيعاً﴾: فِرقاً مُختلفةَ الأهواءِ. ﴿بأس بعض﴾: شدَّةَ بعضٍ في القتالِ. ﴿نصرّف الآيات﴾: نكرِّرُها بأساليبَ مختلفةٍ.
﴿بوكيل﴾: بحفيظٍ وُكِّلَ إليَّ أمرُكم فأجازيكُم. ﴿يخوضون﴾: يأخذونَ في الاستهزاءِ والطَّعنِ.

(١) برقم (٤٦٢٨) عن جابر رضي الله عنه قال: لمَّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أعوذُ بوجهكَ»، قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذُ بوجهك»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «هذا أهونُ ـ أو: هذا أيسرُ ـ».
وفي سبب النزول: عن زيد ابن أسلم قال: لما نزلت ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً﴾ الآيةَ، قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف» قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله؟! فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون! فنزلت: ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ إلى: ﴿وسوف تعلمون﴾. ابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٢)، و«لباب النقول» (ص: ٩٠).
(٢) مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد رضي الله عنه.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن
تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ
حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ
أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

وقال المُسلمون: إن قُمنا كلّما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف[1]. فنزل: ﴿٦٩﴾ ـ ﴿**وما على الَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ اللهَ ﴿**مِن حِسابِهِم**﴾ أي: الخائضين ﴿**مِن**﴾ ـ زائدةٌ[2] ـ ﴿**شَيْءٍ**﴾ إذا جالسوهم، ﴿**ولكِن**﴾ عليهم ﴿**ذِكرَى**﴾: تذكرةٌ لهم ووعظ، ﴿**لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ الخوض.

﴿٧٠﴾ ـ ﴿**وذَرِ**﴾: اترُكِ ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم**﴾ الذي كُلِّفوه ﴿**لَعِبًا ولَهْوًا**﴾ باستهزائهم به، ﴿**وغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا**﴾، فلا تتعرّض[3] لهم ـ وهذا قبلَ الأمر بالقتال ـ ﴿**وذَكِّر**﴾: عِظ ﴿**بِهِ**﴾: القرآنِ الناسَ لِـ ﴿**أن**﴾ لا ﴿**تُبسَلَ نَفسٌ**﴾: تُسلَمَ[4] إلى الهلاك، ﴿**بِما كَسَبَت**﴾: عملته، ﴿**لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيره ﴿**وَلِيٌّ**﴾: ناصر ﴿**ولا شَفِيعٌ**﴾ يمنع عنها العذاب، ﴿**وإن تَعدِل كُلَّ عَدلٍ**﴾: تفدِ كُلَّ فِداء ﴿**لا يُؤخَذ مِنها**﴾ ما تُفدَى به. ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ أُبسِلُوا بِما كَسَبُوا، لَهُم شَرابٌ مِن حَمِيمٍ**﴾: ماءٍ بالغٍ نهايةَ الحرارة ﴿**وعَذابٌ أَلِيمٌ**﴾: مُؤلم ﴿**بِما كانُوا يَكفُرُونَ**﴾: بكُفرهم.

﴿٧١﴾ ـ ﴿**قُل: أَندعُو**﴾: أنعبدُ ﴿**مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُنا**﴾ بعبادته، ﴿**ولا يَضُرُّنا**﴾ بتركها ـ وهو الأصنام ـ ﴿**ونُرَدُّ على أعقابِنا**﴾: نرجع مُشركين ﴿**بَعدَ إذ هَدانا اللهُ**﴾ إلى الإسلام، ﴿**كالَّذِي استَهوَتهُ**﴾: أضلّته ﴿**الشَّياطِينُ في الأرضِ، حَيرانَ**﴾: مُتحيّرًا لا يدري: أين يذهب؟ حالٌ من الهاء، ﴿**لَهُ أصحابٌ**﴾: رُفقة ﴿**يَدعُونَهُ إلَى الهُدَى**﴾ أي: ليهدوه الطريق، يقولون له: ﴿**ائتِنا**﴾، فلا يُجيبهم فيَهلِك؟ والاستفهام للإنكار، وجملة التشبيه حال من ضمير «نُردّ». ﴿**قُل: إنَّ هُدَى اللهِ**﴾ الذي هو الإسلام ﴿**هُوَ الهُدَى**﴾، وما عداه ضلال، ﴿**وأُمِرنا لِنُسلِمَ**﴾ أي: بأن نُسلم ﴿**لِرَبِّ العالَمِينَ، وأَن**﴾ أي: بأن ﴿**أَقِيمُوا الصَّلاةَ واتَّقُوهُ**﴾ تعالى. ﴿**وهُوَ الَّذِي إلَيهِ تُحشَرُونَ**﴾: تُجمعون يوم القيامة للحِساب.

﴿٧٣﴾ ـ ﴿**وهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ**﴾ أي: مُحِقًّا، ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ يَقُولُ**﴾ للشيء: ﴿**كُن. فيَكُونُ**﴾ هو يوم القيامة ـ يقول للخلق: قوموا. فيقومون ـ ﴿**قَولُهُ الحَقُّ**﴾: الصِّدق الواقع لا محالة، ﴿**ولَهُ المُلكُ، يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ**﴾: القرنِ النفخةَ الثانيةَ من إسرافيلَ، لا مُلكَ فيه لغيره «لِمَنِ المُلكُ اليَومَ»؟ ﴿**عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غاب وما شُوهد، ﴿**وهُوَ الحَكِيمُ**﴾ في خلقه ﴿**الخَبِيرُ**﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

﴿غرّتهم﴾: خدعَتْهُم وأطمعَتْهُم بالباطلِ. ﴿أن تُبسل نفس﴾: لئلّا تُحبسَ في النّارِ أو تُسلَمَ للهلكةِ. ﴿تعدل كلّ عدل﴾: تفتدِ بكلِّ فداءٍ. ﴿أبسلوا﴾: حُبِسوا في النّارِ أو أُسلموا للهلكةِ. ﴿حميم﴾: ماءٍ بالغٍ نهايةَ الحرارةِ. ﴿استهوته الشّياطين﴾: هوَتْ بهِ فأضلَّتْهُ. ﴿أُمرنا لنُسلم﴾: أُمِرْنا بأن نُسلِمَ ونُخلِصَ العبادةَ. ﴿الصّور﴾: القرنِ الّذي ينفخ فيهِ إسرافيلُ.

(١) الثعلبي (١٢/ ١٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢١١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو في «تفسير السمرقندي» (١/ ٤٥٧)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٢/ ٧٦)، عن الكلبي. فلعله من روايات الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) أي: مما يُحاسَبون عليهِ من آثامِ الخائضِينَ. (الجمالين).

(٣) المعنَى: أعرِضْ عنهُم ولا تُبالِ بأفعالِهِم وأقوالِهِم، ومَن جعلَهُ منسُوخاً حمَلَ الأمرَ على تركِ التّعرُّضِ، وهو الأظهَرُ. (الجمالين).

(٤) أو تُؤاخَذَ، أو تُجزى، أو تُرهَنَ، أو تُفتضَحَ، أو تُحبَسَ. (الجمالين).

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ
﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ
فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

نصف الحزب ١٤

(٧٤) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ قالَ ابراهِيمُ لأبِيهِ آزَرَ﴾ هو لقبه واسمه تارَحُ: ﴿أتَتَّخِذُ أصنامًا آلِهةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ. ﴿إنِّي أراكَ وقومَكَ﴾ باتّخاذها ﴿في ضَلالٍ﴾ عن الحقّ ﴿مُبينٍ﴾: بيِّنٍ.

(٧٥) ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُري إبراهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: مُلكَ ﴿السَّماواتِ والأرضِ﴾ ليستدلّ به على وحدانيّتنا، ﴿وليَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾ بها. وجملة «وكذلك» وما بعدها اعتراض.

وعُطِفَ على «قال» (٧٦) ـ ﴿فلَمّا جَنَّ﴾: أظلم ﴿عليهِ اللَّيلُ رأى كَوكَبًا﴾ ـ قيل: هو الزُّهَرة ـ ﴿قالَ﴾ لقومه وكانوا نَجّامِينَ: ﴿هذا رَبِّي﴾ في زعمكم. ﴿فلَمّا أفَلَ﴾: غاب ﴿قالَ: لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ أن أتّخذهم أربابًا لأنّ الربّ لا يجوز عليه التغيُّر والانتقال لأنهما من شأن الحوادث. فلم ينجع فيهم ذلك.

(٧٧) ـ ﴿فلَمّا رأى القَمَرَ بازِغًا﴾: طالعًا ﴿قالَ﴾ لهم: ﴿هذا رَبِّي. فلَمّا أفَلَ قالَ: لَئِنْ لَم يَهدِنِي رَبِّي﴾: يُثبِّتني على الهُدى ﴿لَأكُونَنَّ مِنَ القَومِ الضّالِّينَ﴾. تعريضٌ لقومه بأنهم على ضلال. فلم ينجع[1] فيهم ذلك.

(٧٨) ـ ﴿فلَمّا رأى الشَّمسَ بازِغةً قالَ: هذا﴾ ـ ذكَّره[2] لتذكير خبره ـ ﴿رَبِّي. هذا أكبَرُ﴾ من الكوكب والقمر. ﴿فلَمّا أفَلَتْ﴾ وقَوِيتْ عليهم الحُجّة، ولم يَرجِعوا، ﴿قالَ: يا قَومِ، إنِّي بَرِيءٌ مِمّا تُشرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المُحدَثة المُحتاجة إلى مُحدِث. فقالوا له: ما تعبدُ؟

(٧٩) ـ فقال: ﴿إنِّي وَجَّهتُ وَجهِي﴾: قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾: خلق ﴿السَّماواتِ والأرضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً إلى الدِّين القيِّم، ﴿وما أنا مِنَ المُشرِكِينَ﴾ به.

(٨٠) ـ ﴿وحاجَّهُ قَومُهُ﴾: جادلوه في دِينه، وهدَّدوه بالأصنام أن تُصيبه بسوء إن تركها. ﴿قالَ: أتُحاجُّونِّي﴾، بتشديدِ النون وتخفيفِها بحذف إحدى النونين، وهي نون الرفع عِند النُّحاة ونون الوقاية عند القُرّاء: أتُجادِلُونَني ﴿في﴾ وحدانيّةِ ﴿اللهِ، وقَد هَدانِ﴾ ـ تعالى ـ إليها؟ ﴿ولا أخافُ ما تُشرِكُونَـ﴾ـه ﴿بِهِ﴾ من الأصنام أن تُصيبني بسوء لعدم قُدرتها على شيء. ﴿إلّا﴾: لكن ﴿أن يَشاءَ رَبِّي شَيئًا﴾ من المكروه يُصيبُني فيكونَ. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾ أي: وسع علمُه كُلّ شيء. ﴿أفلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟

(٨١) ـ ﴿وكَيفَ أخافُ ما أشرَكتُم﴾ بالله، وهي لا تضرّ ولا تنفع، ﴿ولا تَخافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أنَّكُم أشرَكتُم بِاللهِ﴾ في العِبادة ﴿ما لَم يُنَزِّل بِهِ﴾: بعبادته ﴿عليكُم سُلطانًا﴾: حُجّة وبرهانًا، وهو القادر على كُلّ شيء؟ ﴿فأيُّ الفَرِيقَينِ أحَقُّ بِالأمنِ﴾ من العذاب، أنحن أم أنتم؟ ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ مَنِ الأحقُّ به ـ أي: وهو نحن ـ فاتّبعوه.

﴿آزر﴾: لقبُ والدِ إبراهيمَ أو اسمُ عمِّهِ. ﴿ملكوت..﴾: مُلكَ، أو آياتِ أو عجائبَ. ﴿جنّ عليه اللّيل﴾: سترَهُ بظلامِهِ. ﴿أفل﴾: غابَ وغربَ تحتَ الأفقِ. ﴿بازغاً﴾: طالعاً مِنَ الأفقِ مُنتشرَ الضَّوءِ. ﴿فطر السّماوات﴾: أوجدَها وأنشأَها. ﴿حنيفاً﴾: مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ. ﴿حاجّه قومه﴾: خاصموهُ في التَّوحيدِ. ﴿سلطاناً﴾: حجَّةً وبرهاناً.

(١) أي: فلم يؤثِّر. (الجمالين).

(٢) أي: اسمَ الإشارةِ، وصيَانةً للرَّبِّ عن وَصْمةِ التَّأنيثِ، أو التَّقديرُ: هذا الشَّيءُ الطَّالعُ. (الجمالين).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ
وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا
مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ
وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ
وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ
بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ
قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٨٢﴾ - ﴿٨٣﴾ - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا، ولَم يَلبِسُوا﴾: يخلِطوا ﴿إيمانَهُم بظُلم﴾ أي: شِركٍ كما فُسِّر بذلك في حديث الصحيحين[1]، ﴿أُولئِكَ لَهُمُ الأمنُ﴾ من العذاب، ﴿وهُم مُهتَدُونَ، وتلكَ﴾: مُبتدأ، ويُبدل منه ﴿حُجَّتُنا﴾ التي احتجّ بها إبراهيم على وحدانيّة الله من أفول الكوكب وما بعده، والخبرُ: ﴿آتيناها إبراهيمَ﴾: أرشدناه لها حُجّةً ﴿على قومِه. نرفَعُ درَجاتٍ مَن نَشاءُ﴾ - بالإضافة والتنوين - في العِلم والحِكمة. ﴿إنَّ ربَّكَ حكيمٌ﴾ في صُنعه ﴿عَليمٌ﴾ بخلقه.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ - ﴿٨٦﴾ - ﴿ووَهَبْنا لَهُ إسحاقَ ويَعقُوبَ﴾ ابنه، ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَينا، ونُوحًا هَدَينا مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ إبراهيمَ، ﴿ومِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نُوحٍ ﴿داوُدَ وسُليمانَ﴾ ابنَه ﴿وأيُّوبَ ويُوسُفَ﴾ ابنَ يعقوب، ﴿ومُوسَى وهارُونَ - وكَذلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجزِي المُحسِنينَ - وزَكَرِيّاءَ ويَحيَى﴾ ابنه ﴿وعِيسَى﴾ ابنَ مريم، يُفيد أنّ الذُّرّيّة تتناول أولاد البنت، ﴿وإلياسَ﴾ ابنَ أخي هارونَ أخي موسى - ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصّالِحِينَ - وإسماعِيلَ﴾ ابنَ إبراهيم ﴿واليَسَعَ﴾، اللام زائدة، ﴿ويُونُسَ ولُوطًا﴾ ابنَ هارانَ أخي إبراهيم، ﴿وكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنا على العالَمِينَ﴾ بالنُّبوّة، ﴿٨٧﴾ - ﴿ومِن آبائِهِم وذُرِّيّاتِهِم وإخوانِهِم﴾ - عطفٌ على «كلًّا» أو «نُوحًا»، ومِن: للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر - ﴿واجتَبَيناهُم﴾: اخترناهم، ﴿وهَدَيناهُم إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾.

﴿٨٨﴾ - ﴿٨٩﴾ - ﴿ذلِكَ﴾ الدِّين الذي هُدوا إليه ﴿هُدَى اللهِ، يَهدِي بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، ولَو أشرَكُوا﴾ فَرَضًا ﴿لَحَبِطَ عَنهُم ما كانُوا يَعمَلُونَ. أُولئِكَ الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ﴾ - بمعنى الكُتب - ﴿والحُكمَ﴾: الحِكمة ﴿والنُّبُوّةَ. فإن يَكفُرْ بِها﴾ أي: بهذه الثلاثة ﴿هؤُلاءِ﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿فقد وَكَّلنا بِها﴾: أرصدنا لها ﴿قَومًا، لَيسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾، هم المهاجرون والأنصار.

﴿٩٠﴾ - ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللهُ. فَبِهُداهُمُ﴾: طريقِهم من التوحيد والصبر ﴿اقتَدِهْ﴾، بهاء السكت وقفًا ووصلًا، وفي قراءة بحذفها وصلًا. ﴿قُلْ﴾ لأهل مكّة: ﴿لا أسأَلُكُم عَلَيهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿أجرًا﴾ تُعطُونيه. ﴿إنْ هُوَ﴾: ما القُرآن ﴿إلّا ذِكرَى﴾: عِظةٌ ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجنّ.

﴿٩١﴾ - ﴿وما قَدَرُوا﴾ أي: اليهودُ ﴿اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[2] أي: ما عظّموه حقَّ عظمته أو ما عَرَفوه حقّ معرفته، ﴿إذْ قالُوا﴾ للنبيّ وقد خاصموه

﴿لم يلبسوا﴾: لم يخلطوا. ﴿بظلم﴾: بشركٍ. بكفرٍ. ﴿اجتبيناهم﴾: اصطفيْناهُم للنُّبوّة. ﴿لحبط﴾: لبطلَ وسقطَ. ﴿الحكم﴾: الفصل بينَ النّاسِ بالحقِّ، أو الحِكْمة. ﴿اقتده﴾: اقتدِ، والهاءُ للسَّكتِ.

(١) البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤)، من حديث ابن مسعود.

وفي سبب النزول: عن بكر بن سوادة قال: حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً، ثم حمل فقتل آخر، ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فضرب فرسه فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه فقتل رجلاً ثم آخر ثم آخر ثم قتل، قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية. ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٣٣)، و«لباب النقول» (ص: ٩٠).

(٢) عن ابن عبّاسٍ: قالتِ اليهودُ: يا محمَّدُ، أنزلَ الله عليك كتابًا؟ قال: «نعم» قالوا: واللهِ ما أنزَلَ اللهُ من السَّماءِ كتابًا، فأنزلَ الله: ﴿قل من أنزل الكتاب الّذي جاء به موسى﴾. الطبري (٩/ ٣٩٦)، والواحدي (ص: ٢١٩). سعيدُ بنُ جُبيرٍ: جاء رجلٌ من اليهودِ يُقالُ له: مالكُ بنُ الصَّيفِ، يُخاصِمُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ، فقال له ﷺ: «أنشُدُكَ بالذي أنزلَ على موسى التَّوراةَ، أما تجدُ في التَّوراةِ: إنَّ الله يُبغِضُ الحبرَ السَّمينَ؟» وكانَ حبرًا سمينًا، فغضِبَ وقال: واللهِ ما أنزَلَ الله على بشرٍ من شيءٍ، فقال له أصحابُه الذين معه: ويحكَ، ولا على موسى؟ فقال: واللهِ ما أنزَلَ الله على بشرٍ من شيءٍ، فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ. الطبري (٩/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٢)، والواحدي (ص: ٢٢٠).

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم
مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ
وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى
غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ
ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ
ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

في القُرآن: ﴿ما أنزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِن شَيءٍ. قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن أنزلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نورًا وهُدًى لِلنّاسِ، يَجعَلُونَهُ﴾ ـ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ـ ﴿قراطِيسَ﴾ أي: يكتبونه في دفاتر مقطَّعة، ﴿يُبدُونَها﴾ أي: ما يُحبّون إبداءه منها، ﴿ويُخفُونَ كَثِيرًا﴾ ممّا فيها كنعت مُحمّد؟ ﴿وعُلِّمتُم﴾ ـ أيها اليهودُ ـ في القُرآن ﴿ما لَم تَعلَمُوا أنتُم ولا آباؤُكُم﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه. ﴿قُلِ اللهُ﴾ أنزلَه. إن لم يقولوه، لا جوابَ غيرُه، ﴿ثُمَّ ذَرْهُم في خَوضِهِم﴾: باطلهم ﴿يَلعَبُونَ﴾.

٩٢ ـ ﴿وهذا﴾ القُرآن ﴿كِتابٌ أنزَلْناهُ، مُبارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ﴾: قبلَه من الكُتب، ﴿ولِتُنذِرَ﴾، بالتاء والياء عطفٌ على معنى ما قبله، أي: أنزلناه للبركة والتصديق، ولتنذر به ﴿أُمَّ القُرَى ومَن حَولَها﴾ أي: أهلَ مكّة وسائرَ الناس، ﴿والَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤمِنُونَ بِهِ، وهُم على صَلاتِهِم يُحافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها.

٩٣ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افترَى على اللهِ كَذِبًا﴾، بادّعاءِ النبوّة ولم يُنبّأ، ﴿أو قالَ: أُوحِيَ إلَيَّ. ولَم يُوحَ إلَيهِ شَيءٌ﴾ ـ نزلتْ في مُسيلِمة[1] ـ ﴿و﴾ مِن ﴿مَن قالَ: سأُنزِلُ مِثلَ ما أنزَلَ اللهُ﴾؟ وهم المُستهزئون قالوا: لو نشاء لقلنا مِثل هذا.

﴿ولَو تَرَى﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إذِ الظّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿في غَمَراتِ﴾: سكَراتِ ﴿المَوتِ، والمَلائكةُ باسِطُو أيدِيهِم﴾ إليهم بالضرب والتعذيب، يقولون لهم تعنيفًا: ﴿أخرِجُوا أنفُسَكُمُ﴾ إلينا لنقبضها. ﴿اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ﴾: الهوان ﴿بِما كُنتُم تَقُولُونَ على اللهِ غَيرَ الحَقِّ﴾ بدعوى النبوّة والإيحاء كذبًا، ﴿وكُنتُم عَن آياتِهِ تَستَكبِرُونَ﴾: تتكبّرون عن الإيمان بها. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا فظيعًا.

٩٤ ـ ﴿و﴾ يقال لهم إذا بعثوا: ﴿لَقَد جِئتُمُونا فُرادَى﴾[2]: منفردِين عن الأهل والمال والولد ﴿كَما خَلَقناكُم أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حُفاةً عُراةً غُرْلاً، ﴿وتَرَكتُم ما خَوَّلناكُم﴾: أعطَيناكم من الأموال ﴿وَراءَ ظُهُورِكُم﴾: في الدنيا بغير اختياركم، ﴿و﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿ما نَرَى مَعَكُم شُفَعاءَكُمُ﴾: الأصنامَ ﴿الَّذِينَ زَعَمتُم أنَّهُم فِيكُم﴾ أي: في استحقاق عِبادتكم ﴿شُرَكاءُ﴾ لله. ﴿لَقَد تَقَطَّعَ بَينُكُم﴾: وَصلُكم أي: تشتَّتَ جمعُكم ـ وفي قراءة بالنصب ظرفٌ، أي: وصلُكم بينكم ـ ﴿وضَلَّ﴾: ذهب ﴿عَنكُم ما كُنتُم تَزعُمُونَ﴾ في الدنيا، من شفاعتها.

﴿ما قدروا الله﴾: ما عرفوا اللهَ، أو ما عظَّموهُ. ﴿قراطيس﴾: أوراقاً مكتوبةً مُفرَّقةً. ﴿قل الله﴾: قلِ اللهُ أنزلَهُ (التَّوراة). ﴿خوضهم﴾: باطلِهم. ﴿مبارك﴾: كثيرُ المنافعِ والفوائدِ (القرآنُ). ﴿أم القرى﴾: مكَّةَ: أي أهلَها. ﴿من حولها﴾: أهلَ المشارقِ والمغاربِ. ﴿غمرات الموت﴾: سكراتِهِ وشدائدِهِ. ﴿أخرجوا أنفسكم﴾: خلِّصوها ممَّا هيَ فيهِ مِنَ العذابِ. ﴿عذاب الهون﴾: الهوانَ الشَّديدَ والذُّلَّ والخزيَ. ﴿ما خوّلناكم﴾: ما أعطيْناكُم مِن متاعِ الدُّنيا. ﴿تقطّع بينكم﴾: تفرَّقَ الاتِّصالُ بينكُم.

= وعن محمد بن كعب القرظي: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله فأتنا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿يسألك أهل الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿بهتاناً عظيماً﴾ فجثا رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً، فأنزل الله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية. الطبري (٩/ ٣٩٥)، و«لباب النقول» (ص: ٧٤).

(١) رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٢/ ٥٧٤)، والطبري (٩/ ٤٠٧) عن قتادة. ورواه الطبري أيضاً (٩/ ٤٠٤) عن عكرمة، وزاد عكرمة: ﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخي بني عامر بن لؤي.
وعن ابن عباس في رواية الكلبي: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرحٍ، وذلك أن النبي ﷺ أملى عليه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ﴾ فلمَّا بلغ: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ عَجِبَ عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسنُ الخالقين، فقال ﷺ: «هكذا أُنزلت عليَّ»، فشكَّ وارتدَّ وقال: لئن كان محمدٌ صادقًا لقد أُوحي إليَّ كما أُوحي إليه، ولئن كان كذَّابًا لقد قلتُ كما قال، وذلك قولُه: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. الواحدي (ص: ٢٢٠). والكلبي متروك، وقد رد بعض العلماء نزولها في ابن أبي سرح بأن ارتداده كان بالمدينة وهذه الآية مكية. «تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٧٦)، و«غرائب التفسير» للكرماني (٢/ ٧٣٣).
(٢) عن عكرمة: قال النضر بن الحارث: سوف تشفعُ لي اللات والعزَّى، فنزلت. الطبري (٩/ ٤١٧)، ابن أبي حاتم (٤/ ١٣٥٠)، «لباب النقول» (ص: ٩١).

* إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

(الحزب ١٤)

(٩٥) ـ ﴿إِنَّ اللهَ فالِقُ﴾: شاقُّ ﴿الحَبِّ﴾ عن النبات ﴿والنَّوَى﴾ عن النخل ـ ﴿يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ﴾ كالإنسان والطائر من النُّطفة والبيضة ـ ﴿ومُخْرِجُ المَيْتِ﴾: النطفةِ والبيضةِ ﴿مِنَ الحَيِّ ـ ذلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿اللهُ. فأنّى تُؤفَكُونَ﴾: فكيف تُصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ـ؟

(٩٦) ـ ﴿فالِقُ الإصباحِ﴾: مصدر بمعنى الصُّبح أي: شاقُّ عمودِ الصُّبح ـ وهو أوّل ما يبدو من نور النهار ـ عن ظُلمة الليل، ﴿وجاعِلُ اللَّيلِ سَكَنًا﴾: تَسكن فيه الخلق من التعب، ﴿والشَّمسَ والقَمرَ﴾ ـ بالنصب عطفًا على محلّ «الليل» ـ ﴿حُسبانًا﴾: حِسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة وهو حال من مُقدّر أي: يَجريان بحُسبان كما في آية «الرحمن». ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقدِيرُ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿العَلِيمِ﴾ بخلقه.

(٩٧) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهتَدُوا بِها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾ في الأسفار ـ ﴿قَد فَصَّلْنا﴾: بيّنّا ﴿الآياتِ﴾: الدلالاتِ على قُدرتنا ﴿لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾: يتدبّرون ـ (٩٨) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي أنشَأَكُم﴾: خلَقكم ﴿مِن نَفسٍ واحِدَةٍ﴾ هي آدمُ، ﴿فمُستَقَرٌّ﴾ منكم في الرَّحِم، ﴿ومُستَودَعٌ﴾ منكم في الصُّلب. وفي قراءة بفتح القاف أي: مكانُ قرارٍ لكم ﴿قَد فَصَّلْنا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهُونَ﴾ ما يقال لهم.

(٩٩) ـ ﴿ وهُوَ الَّذِي أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجْنا﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿نَباتَ كُلِّ شَيءٍ﴾ يَنبتُ، ﴿فأخرَجْنا مِنهُ﴾ أي: النباتِ شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضَرَ، ﴿نُخْرِجُ مِنهُ﴾: من الخَضِرِ ﴿حَبًّا مُتَراكِبًا﴾: يركب بعضه بعضًا كسنابل الحِنطة ونحوها ـ ﴿ومِنَ النَّخلِ﴾: خبرٌ ويُبدَل منه ﴿مِن طَلعِها﴾: أوّلِ ما يخرج منها، والمبتدأ ﴿قِنوانٌ﴾: عراجينُ ﴿دانِيَةٌ﴾: قريب بعضها من بعض ـ ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مِن أعنابٍ والزَّيتُونَ والرُّمّانَ مُشتَبِهًا﴾ ورقُهما: حالٌ، ﴿وغَيرَ مُتَشابِهٍ﴾ ثمرُهما.

﴿انظُرُوا﴾، يا مخاطِبينَ، نظرَ اعتبارٍ ﴿إلى ثَمَرِهِ﴾ ـ بفتحِ الثاء والميم وضمِّهما. وهو جمع ثَمَرة كشَجَرة وشَجَر، وخَشَبة وخُشُب ـ ﴿إذا أثمَرَ﴾: أوّلَ ما يبدو كيف هو؟ ﴿و﴾ إلى ﴿يَنْعِهِ﴾: نُضجِه إذا أدرك كيف يعود؟ ﴿إنَّ في ذلِكُم لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته ـ تعالى ـ على البعث وغيره ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾. خُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

(١٠٠) ـ ﴿وجَعَلُوا للهِ﴾: مفعولٌ ثان ﴿شُرَكاءَ﴾: مفعولٌ أوّل، ويُبدل منه ﴿الجِنَّ﴾[1] حيث أطاعوهم في عِبادة الأوثان، ﴿و﴾ قد ﴿خَلَقَهُم﴾. فكيف يكونون شُركاءه؟ ﴿وخَرَقُوا﴾، بالتخفيف والتشديد، أي: اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وبَناتٍ، بِغَيرِ عِلمٍ﴾ حيث قالوا: عُزيرٌ ابنُ الله، والملائكةُ بنات الله. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له! ﴿وتَعالَى عَمّا يَصِفُونَ﴾ بأنّ له ولدًا.

(١٠١) ـ هو ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُبدِعُهما من غير مثال سبق. ﴿أنّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، ولَم تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ﴾: زوجة، ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ﴾ من شأنه أن يُخلَق، ﴿وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾؟

﴿فالق الحبّ﴾: شاقُّهُ عنِ النَّباتِ. أو خالقُهُ. ﴿فأنّا تُؤفكون﴾: فكيفَ تصرفونَ عن عبادتِهِ ؟. ﴿فالق الإصباح﴾: شاقُّ ظلمتِهِ عن بياضِ النَّهارِ أو خالقُهُ. ﴿الشّمس والقمر حُسباناً﴾: يجريانِ في أفلاكِهِما بحسابٍ مُقدَّرٍ نِيطَتْ بِهِ مصالحُ الخلقِ. ﴿فمستقرّ﴾: في الأصلابِ، وقيلَ في الأرحامِ ونَحْوِها. ﴿ومستودع﴾: في الأرحامِ ونحوِها وقيلَ في الأصلابِ. ﴿خضراً﴾: شيئاً أخضرَ غضّاً. ﴿حبًّا مُتراكباً﴾: مُتراكماً كسنابلِ الحنطةِ ونحوِها. ﴿طلعها﴾: هوَ أوَّلُ ما يخرجُ مِن ثمرِ النَّخلِ في الكيزانِ. ﴿قنوان﴾: عذوقٌ وعراجينُ كالعناقيدِ تنشقُّ عنها الكيزانُ. ﴿دانية﴾: مُتدلِّيةٌ أو قريبةٌ مِنَ المُتناولِ. ﴿و ينعه﴾: وإلى حالِ نضجِهِ وإدراكِهِ. ﴿الجنّ﴾: الشَّياطينَ حيثُ أطاعوهُم في الكفرِ. ﴿خرقوا له﴾: اختلقوا وافترَوْا لهُ سبحانَهُ. ﴿بديع..﴾: مُبدعُ ومُخترعُ. ﴿أنّى يكون﴾: كيفَ. أو مِن أينَ يكونُ ؟.

(١) عن الكلبيِّ: أنَّ الآيةَ نزلت في الزَّنادقةِ، قالوا: إنَّ اللهَ وإبليسَ أخوانِ، والله خالقُ النُّورِ والنَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ، وإبليسُ خالقُ الظُّلمةِ والحيَّاتِ والسِّباعِ والعقاربِ، فذلك قولُه: ﴿وجعلوا لله شركاء الجنّ﴾. الثعلبي (١٢/ ١٦٥)، والواحدي (ص: ٢٢١).

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ
يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم
بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ
وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ
مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ
﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ
بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

(١٠٢) - ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، لا إلـٰهَ إلّا هُوَ، خالِقُ كُلِّ شَـيءٍ - فاعبُدُوهُ﴾: وحِّدوه - ﴿وهُـوَ علَـى كُلِّ شَـيءٍ وَكِيـلٌ﴾: حفيظ، (١٠٣) - ﴿لا تُدرِكُهُ الأبصارُ﴾ أي: لا تـراه - وهـذا مخصـوص لرؤية المؤمنيـن له في الآخـرة لقوله تعالـى: «وُجوهٌ يومَئـذٍ ناضِـرةٌ إلى رَبِّهـا ناظِـرةٌ»، وحديـثِ الشـيخَين[1] «إنّكم سَـتَرَونَ رَبَّكُم كَمـا تَـرَونَ القَمَـرَ لَيلـةَ البَـدرِ». وقيـل: المـراد لا تُحيط بـه - ﴿وهُـوَ يُـدرِكُ الأبصـارَ﴾ أي: يراهـا ولا تـراه، ولا يجوز في غيره أن يُدرِكَ البصـرَ، وهو لا يُدرِكُـه أو يُحيـطَ بـه علمًا، ﴿وهُـوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿الخَبِيـرُ﴾ بهم.

قل - يا مُحمّد - لهم: (١٠٤) - ﴿قَد جاءَكُم بَصائِرُ﴾: حُجَجٌ ﴿مِن رَبِّكُم، فَمَن أبصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فلِنَفْسِهِ﴾ أبصرَ لأنّ ثواب إبصاره له، ﴿ومَن عَمِيَ﴾ عنها فضلّ ﴿فعَلَيها﴾ وبالُ إضلاله، ﴿وما أنا علَيكُم بِحَفِيظٍ﴾: رقيبٍ لأعمالكم. إنما أنا نذير.

(١٠٥) - ﴿وكَذلِكَ﴾: كـمـا بيّنّا مـا ذُكـر ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبيّن ﴿الآياتِ﴾ ليعتبروا، ﴿ولِيَقُولُوا﴾ أي: الكُفّار في عاقبة الأمر: ﴿دارَسْتَ﴾: ذاكرتَ أهلَ الكِتاب - وفي قراءة «دَرَسْتَ» أي: كُتبَ الماضين وجئتَ بهذا منها - ﴿ولِنُبَيِّنَهُ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾.

(١٠٦) - (١٠٧) - ﴿اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ - ﴿لا إلـٰهَ إلّا هُوَ - وأعرِضْ عَنِ المُشرِكِينَ. ولَو شاءَ اللهُ ما أشرَكُوا، وما جَعَلْناكَ علَيهِم حَفِيظًا﴾: رقيبًا فتُجازيَهم بأعمالهم، ﴿وما أنتَ علَيهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتُجبرَهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالقتال.

(١٠٨) - ﴿ولا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدعُونَ﴾ ـهم ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾[2] أي: الأصنامَ، ﴿فيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا﴾: اعتداءً وظلمًا ﴿بِغَيرِ عِلمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله. ﴿كَذلِكَ﴾: كما زيّنّا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنّا لِكُلِّ أُمّةٍ عَمَلَهُم﴾ من الخير والشرّ فأتَوه، ﴿ثُمَّ إلَى رَبِّهِم مَرجِعُهُم﴾ في الآخرة، ﴿فيُنَبِّئُهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ فيُجازيهم به.

(١٠٩) - ﴿وأقسَمُوا﴾ أي: كُفّار مكّة ﴿بِاللهِ جَهْدَ أيمانِهِم﴾[3] أي: غايةَ اجتهادهم فيها، ﴿لَئِنْ جاءَتهُم آيةٌ﴾ ممّا اقترحوا ﴿لَيُؤمِنُنَّ بِها. قُلْ﴾

﴿وكيل﴾: رقيبٌ ومُتولٍّ. ﴿لا تدركه الأبصار﴾: لا تُحيطُ بهِ تعالى. ﴿بصائر﴾: آياتٌ وبراهينُ تهدي للحقِّ. ﴿بحفيظ﴾: برقيبٍ أُحصي أعمالَكُم لمجازاتِكُم. ﴿نصرّف الآيات﴾: نكرِّرُها بأساليبَ مُختلفةٍ. ﴿درست﴾: قرأتَ وتعلَّمتَ مِن أهلِ الكتابِ. ﴿عدوًا﴾: اعتداءً وظلماً. ﴿جهد أيمانهم﴾: مُجتهدينَ في الحلفِ بأغلظِها وأوكدِها. ﴿نذرهم﴾: نتركُهُم. ﴿طُغيانهم﴾: تجاوُزِهِمُ الحدَّ بالكفرِ. ﴿يعمهون﴾: يعمونَ عنِ الرُّشدِ أو يتحيَّرونَ.

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) عن ابن عباس: قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا أو لنهجوَنَّ ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوًا بغير علم. الطبري (٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٦)، والواحدي (ص: ٢٢١). وعن السُّدِّي ما ملخصه: أنه لـمَّا حضرَ أبا طالبِ الوفاةُ أتاه زعماء قريش وقالوا للنبي ﷺ: نُريدُ أن تدَعَنا وآلـهتَنا، وندَعَكَ وإلـهَكَ، فطلب منهم كلمة واحدة قال: «قولوا: لا إلهَ إلا الله»، فأبَوا واشمَأَزُّوا وقالوا له: لتكُفَّنَّ عن شتمِ آلـهتِنا أو لنشتُمَنَّكَ ولنشتُمَنَّ مَن يأمرُكَ، فنزلَتْ هذه الآيةُ. الطبري (٩/ ٤٨١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٧). وفيه نظر، فإن الذي صدر عن النبي ﷺ لم يكن شتماً بالعبارة، بل هو مجرد النهي عن عبادة الأصنام والدعوةِ إلى التوحيد، والله هو الذي أمره بهذا فكيف ينهاه عنه؟

وعن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوًا بغير علم، فنزلت. عبد الرزاق (٨٤٠)، والطبري (٩/ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٦)، والواحدي (ص: ٢٢١).

(٣) عن محمَّد بنِ كعبٍ ما ملخصه: أن قريشاً طلبوا من النبي ﷺ معجزة كعصا موسى وإحياء الموتى لعيسى ليؤمنوا به، فقامَ يدعو، فجاءَه جبريلُ مخيِّراً بين إجابتهم مع العذاب إن لم يؤمنوا، أو تركهم حتَّى يتوبَ تائبُهم، فاختار الثانية، فنزلَتْ. الطبري (٩/ ٤٨٥)، والواحدي (ص: ٢٢٢)، وهو مرسلٌ، وأصل الحديث في «مسند أحمد» (٢٣٣٣)، و«سنن النسائي الكبرى» (١١٢٢٦)، و«المستدرك» (٣٣٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن في نزول: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ [الإسراء: ٥٩].

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ
عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا
يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى
حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟
مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

الجزء ٨ الحزب ١٥

لهم: ﴿إنَّما الآياتُ عِندَ اللهِ﴾، يُنزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير، ﴿وما يُشعِرُكُم﴾: يُدريكم بإيمانهم إذا جاءت؟ أي: أنتم لا تدرون ذلك.

﴿إنَّها إذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لِما سبق في علمِي ـ وفي قراءة بالتاء خطابًا للكُفّار، وفي أُخرى بفتح «أنّ» بمعنى «لعلّ» أو معمولةٌ لما قبلها ـ

(١١٠) ـ ﴿ونُقَلِّبُ أفئِدَتَهُم﴾: نُحوِّلُ قُلوبَهم عن الحقّ فلا يفهمونه ﴿وأبصارَهُم﴾ عنه فلا يُبصرونه، فلا يُؤمنون ﴿كَما لَم يُؤمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما أُنزل من الآيات ﴿أوَّلَ مَرّةٍ، ونَذَرُهُم﴾: نتركهم ﴿في طُغيانِهِم﴾: ضلالتهم: ﴿يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون متحيّرين.

(١١١) ـ ﴿ولَو أنَّنا نَزَّلْنا إلَيهِمِ المَلائكةَ، وكَلَّمَهُمُ المَوتَى﴾ كما اقترحوا، ﴿وحَشَرْنا﴾: جمعنا ﴿علَيهِم كُلَّ شَيءٍ قُبُلًا﴾ بضمّتين: جمع قَبِيل أي: فَوجًا فوجًا، وبكسر القاف وفتح الباء، أي: مُعايَنةً، فشهدوا بصِدقك، ﴿ما كانُوا لِيُؤمِنُوا﴾ لِما سبق في علم الله، ﴿إلّا﴾: لكنْ ﴿أنْ يَشاءَ اللهُ﴾ إيمانَهم فيؤمنون، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم يَجهَلُونَ﴾ ذلك.

(١١٢) ـ ﴿وكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءكَ، ويُبدل منه ﴿شَياطِينَ﴾: مَرَدةَ ﴿الإنسِ والجِنِّ، يُوحِي﴾: يُوَسْوِسُ ﴿بَعضُهُم إلَى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ﴾ مُموَّهَهُ من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ـ ﴿ولَو شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاءَ المذكورَ. ﴿فذَرْهُم﴾: دَعِ الكُفّارَ ﴿وما يَفتَرُونَ﴾ من الكُفر وغيره ممّا زُيِّنَ لهم. وهذا قبل الأمر بالقتال ـ

(١١٣) ـ ﴿ولِتَصغَى﴾ عطفٌ على «غُرورًا» أي: تَميلَ ﴿إلَيهِ﴾ أي: الزُّخرفِ ﴿أفئِدَةُ﴾: قلوبُ ﴿الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ، ولِيَرضَوهُ ولِيَقتَرِفُوا﴾: يكتسبوا ﴿ما هُم مُقتَرِفُونَ﴾ من الذُّنوب فيُعاقَبوا عليه.

ونزل لمّا طلبوا من النبيّ أن يجعل بينه وبينهم حَكَمًا، قُل: (١١٤) ـ ﴿أفغَيرَ اللهِ أبتَغِي﴾: أطلبُ ﴿حَكَمًا﴾: قاضيًا بيني وبينكم، ﴿وهُوَ الَّذِي أنزَلَ إلَيكُمُ الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿مُفَصَّلًا﴾ مُبيَّنًا فيه الحقُّ من الباطل؟ ﴿والَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ﴾: التوراة كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿يَعلَمُونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ. فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾: الشاكِّين فيه. والمُراد بذلك التقريرُ للكُفّار أنه حقّ.

(١١٥) ـ ﴿وتَمَّتْ كَلِماتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدقًا وعَدلًا﴾: تمييز، ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ﴾ بنقص أو خُلف، ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يُقال ﴿العَلِيمُ﴾ بما يُفعل، (١١٦) ـ ﴿وإن تُطِعْ أكثَرَ مَن في الأرضِ﴾ أي: الكُفّار ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه. ﴿إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إلّا الظَّنَّ﴾ في مُجادلتهم لك في أمر المَيتة إذ قالوا: ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه ممّا قتلتم، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿هُم إلّا يَخرُصُونَ﴾: يكذبون في ذلك (١١٧) ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ فيُجازي كلًّا منهم.

(١١٨) ـ ﴿فكُلُوا مِمّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ علَيهِ﴾[(١)] أي: ذُبح على اسمه، ﴿إنْ كُنتُم بِآياتِهِ مُؤمِنِينَ﴾.

﴿حشرنا﴾: جمعْنا. ﴿قُبُلاً﴾: مُقابلةً ومواجهةً أو جماعةً جماعةً. ﴿زُخرف القول﴾: باطلَهُ المُموَّهَ المزوَّقَ. ﴿غروراً﴾: خداعاً وأخذاً على الغِرَّةِ. ﴿لتصغى إليه﴾: لتميلَ إلى زُخرفِ القولِ. ﴿ليقترفوا﴾: ليكتسبوا مِنَ الآثامِ. ﴿الممترين﴾: الشَّاكِّينَ في أنَّهم يعلمونَ ذلكَ. ﴿كلمة ربّك﴾: كلامُهُ وهوَ القرآنُ العظيمُ. ﴿صدقاً وعدلاً﴾: في مواعيدِهِ ـ وفي أحكامِهِ. ﴿يخرُصون﴾: يكذبونَ فيما ينسُبونَهُ إلى اللهِ.

(١) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله! أنأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟! فأنزل الله: ﴿فكلوا..﴾ إلى: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾. الترمذي (٣٠٦٩) وحسنه وهذا لفظه، وأبو داود (٢٨١٩) ولفظه: جاءت اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا: نأكلُ مما قَتَلْنَا، ولا نأكل مما قَتَلَ الله؟ فنزلت: ﴿ولا تأكُلوا مِمَّا لم يُذْكرِ اسْمُ اللَّه عليه﴾. وذكرُ اليهود في هذه الرواية خطأ كما نبه ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا
لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ
(١١٩) وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ
يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ
إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ
(١٢١) أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ
فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ
عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ (١٢٤)

(١١٩) ـ ﴿**وما لكُم ألّا تأكُلوا مِمّا ذُكِرَ اسمُ اللهِ علَيهِ**﴾ من الذبائح، ﴿**وقد فُصِّلَ**﴾ ـ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ـ ﴿**لكُم ما حُرِّمَ علَيكُم**﴾ في آيةِ: «حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيْتةُ»، ﴿**إلّا ما اضطُرِرْتُم إلَيهِ**﴾ منه فهو أيضًا حلال لكم؟ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذُكر، وقد بُيِّن لكم المحرمُ أكلُه، وهذا ليس منه. ﴿**وإنَّ كَثِيرًا لَيَضِلُّونَ**﴾ ـ بفتح الياء وضمّها ـ ﴿**بأهْوائِهِم**﴾: بما تهواه أنفسهم، من تحليل الميتة وغيرها، ﴿**بِغَيرِ عِلمٍ**﴾ يعتمدونه في ذلك. ﴿**إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِالمُعتَدِينَ**﴾: المُتجاوزين الحلالَ إلى الحرام.

(١٢٠) ـ ﴿**وذَرُوا**﴾: اتركوا ﴿**ظاهِرَ الإثمِ وباطِنَهُ**﴾: علانيته وسرَّه ـ والإثم قيل: الزِّنَى، وقيل: كلّ معصية. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَكسِبُونَ الإثمَ سَيُجزَونَ**﴾ في الآخرة ﴿**بما كانُوا يَقترِفُونَ**﴾: يكتسبون ـ (١٢١) ـ ﴿**ولا تأكُلوا مِمّا لَم يُذكَرِ اسمُ اللهِ علَيهِ**﴾[1] بأن مات أو ذُبح على اسم غيره، وإلّا فما ذَبحَه المُسلمُ، ولم يُسمِّ فيه عمدًا أو نِسيانًا، فهو حلال ـ قاله ابن عبّاس[2]، وعليه الشافعيّ ـ ﴿**وإنَّهُ**﴾ أي: الأكلَ منه، ﴿**لَفِسقٌ**﴾: خُروج عمّا يَحِلّ، ﴿**وإنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ**﴾: يُوَسْوِسُونَ، ﴿**إلى أولِيائِهِم**﴾: الكُفّارِ، ﴿**لِيُجادِلُوكُم**﴾ في تحليل الميتة، ﴿**وإنْ أطَعتُمُوهُم**﴾ فيه، ﴿**إنَّكُم لَمُشرِكُونَ**﴾.

ونزل في أبي جهل وغيره[3]: (١٢٢) ـ ﴿**أوَمَن كانَ مَيْتًا**﴾ بالكُفر، ﴿**فأحيَيناهُ**﴾ بالهُدى ﴿**وجَعَلْنا لَهُ نورًا يَمشِي بِهِ في النّاسِ**﴾: يتبصّر به الحقَّ من غيره وهو الإيمانُ، ﴿**كَمَن مَثَلُهُ**﴾ ـ مَثَلُ: زائدٌ ـ أي: كمن هو ﴿**في الظُّلُماتِ، لَيسَ بِخارِجٍ مِنها**﴾ وهو الكافر؟ لا. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما زُيِّن للمؤمنين الإيمانُ ﴿**زُيِّنَ لِلكافِرِينَ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ من الكُفر والمعاصي، (١٢٣) ـ ﴿**وكَذلِكَ**﴾ كما جعلنا فُسّاق مكة أكابرَها، ﴿**جَعَلْنا في كُلِّ قَرْيةٍ أكابِرَ مُجرِمِيها، لِيَمكُرُوا فِيها**﴾ بالصدّ عن الإيمان، ﴿**وما يَمكُرُونَ إلّا بِأنفُسِهِم**﴾ لأنّ وباله عليهم، ﴿**وما يَشعُرُونَ**﴾ بذلك. (١٢٤) ـ ﴿**وإذا جاءَتْهُم**﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿**آيةٌ**﴾ على صِدق النبيّ ﴿**قالُوا: لَن نُؤمِنَ**﴾ به، ﴿**حَتّى نُؤتَى مِثلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ**﴾ من الرسالة ويُوحى إلينا لأنّا أكثر مالاً وأكبر سِنًّا. قال تعالى: ﴿**اللهُ أعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالاتِهِ**﴾، بالجمعِ والإفراد وحيث: مفعول به لفعل دلّ عليه «أعلم»، أي: يعلمُ الموضعَ الصالح لوضعها فيه فيضعُها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها. ﴿**سَيُصِيبُ الَّذِينَ أجرَمُوا**﴾ بقولهم ذلك ﴿**صَغارٌ**﴾: ذُلّ ﴿**عِندَ اللهِ وعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمكُرُونَ**﴾ أي: بسبب مكرهم.

﴿ذروا﴾: اتركوا. ﴿يقترفون﴾: يكتسبونَ مِنَ الإثمِ أيًّا كانَ. ﴿إنّه لفسق﴾: خروجٌ عنِ الطَّاعةِ ومعصيةٌ. ﴿صغارٌ﴾: ذلٌّ عظيمٌ وهوانٌ.

(١) عن سِماك عن عِكرِمةَ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] يقولون: ما ذَبح اللهُ فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم فكلوه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. أبو داود (٢٨١٨)، وابن ماجه (٣١٧٣). وصحح إسناده ابن كثير عند هذه الآية من «تفسيره».
الحكم بن أبان عن عكرمةَ عن ابن عباس: لمَّا نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ أرسلت فارسُ إلى قريش أنْ خاصموا محمدًا وقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكِّينٍ فهو حلالٌ، وما ذبحَ اللهُ بشمشيرٍ من ذهبٍ ـ يعني الميتة ـ فهو حرامٌ، فنزلت هذه الآيةُ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾. «المعجم الكبير» (١١٦١٤)، و«الأحاديث المختارة» (١١/ ٣٣٦).

(٢) رواه عنه من طرق عبد الرزاق في «المصنف» (٨٥٣٨) و(٨٥٤١) و(٨٥٤٨)، وسعيد بن منصور (٩١٤ ـ تفسير)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٤٠١). وصحح إسناده ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٦٢٤)، لكنه في كل رواياته مقيد بالنسيان ولا ذكر للعمد فيه.

(٣) **الثعلبي (١٢/ ٢٠٠)، والواحدي (ص: ٢٢٤) عن ابن عباس**: وذكر فيه قصة إسلام حمزة المعروفة وضربِه أبا جهل لمَّا بلغه إيذاءه للنبي ﷺ، وفي آخره: فنزلَتْ هذه الآيةُ.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن
يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ
رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ
أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ
أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى
بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢٥﴾ ـ ﴿فمَن يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدرَهُ لِلإسلامِ﴾ بأن يَقذِفَ في قلبه نُورًا فينفسِحَ له ويَقبلَه كما ورد في حديث[1]، ﴿ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجعَلْ صَدرَهُ ضَيِّقًا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾: شديد الضِّيق، بكسر الراء: صفةٌ، وفتحِها: مصدرٌ وُصِفَ به مبالغةً، ﴿كأنَّما يَصَّعَّدُ﴾ ـ وفي قراءةٍ «يَصّاعَدُ»، وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسُكونها ـ ﴿في السَّماءِ﴾ إذا كُلِّف الإيمانَ لشِدّته عليه. ﴿كذلِكَ﴾ الجعلِ ﴿يَجعَلُ اللهُ الرِّجْسَ﴾: العذابَ أو الشيطانَ أي: يُسلِّطه، ﴿على الَّذِينَ لا يُؤمِنونَ﴾.

ربع الحزب ١٥

﴿١٢٦﴾ ـ ﴿وهذا﴾ الذي أنت عليه ـ يا مُحمّد ـ ﴿صِراطُ﴾: طريقُ ﴿رَبِّكَ مُستَقيمًا﴾: لا عِوَجَ فيه. ونصبُه على الحال المؤكِّدة للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة. ﴿قد فَصَّلْنا﴾: بيّنّا ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال ـ أي: يتّعظون. وخُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون، ﴿١٢٧﴾ ـ ﴿لَهُم دارُ السَّلامِ﴾ أي: السلامة ـ وهي الجنّة ـ ﴿عِندَ رَبِّهِم، وهُوَ وَلِيُّهُم بما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

﴿١٢٨﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم﴾ ـ بالنون، والياءِ أي: اللهُ ـ الخلقَ ﴿جَمِيعًا﴾، ويقال لهم: ﴿يا مَعشَرَ الجِنِّ، قَدِ استَكثَرْتُم مِنَ الإنسِ﴾ بإغوائكم، ﴿وقالَ أولِياؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الإنسِ: رَبَّنا، استَمتَعَ بَعضُنا بِبَعضٍ﴾: انتفع الإنسُ بتزيين الجنّ لهم الشهواتِ، والجنُّ بطاعة الإنس لهم، ﴿وبَلَغْنا أجَلَنا الَّذي أجَّلْتَ لَنا﴾، وهو يوم القيامة. وهذا تحسُّرٌ منهم.

﴿قالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة: ﴿النّارُ مَثْواكُم﴾: مأواكم ﴿خالِدِينَ فِيها، إلّا ما شاءَ اللهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشُرب الحميم. فإنه خارجَها كما قال تعالى: «ثُمَّ إِنَّ مَرجِعَهُم لَإِلَى الجَحِيمِ». وعن ابن عبّاس أنه فيمَن عَلِمَ اللهُ أنهم يؤمنون[2]، فـ«ما» بمعنى: مَن. ﴿إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صُنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. ﴿١٢٩﴾ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما متّعنا عُصاةَ الإنس والجنّ بعضَهم ببعض ﴿نُوَلِّي﴾ من الوِلاية ﴿بَعضَ الظّالِمِينَ بَعضًا﴾ أي: على بعض ﴿بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ من المعاصي ﴿١٣٠﴾ ـ ﴿١٣١﴾ ـ ﴿يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ، ألَم يأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم﴾ أي: من مجموعكم الصادقِ بالإنس، أو رسلُ الجنّ: نُذُرُهم الذين يستمعون كلام الرسل، فيُبلّغون قومهم، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيكُم آياتِي، ويُنذِرُونَكُم لِقاءَ يَومِكُم هذا؟ قالُوا: شَهِدْنا على أنفُسِنا﴾ أن قد بَلَغَنا ـ قال تعالى: ﴿وغَرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنيا﴾ فلم يُؤمنوا ـ ﴿وشَهِدُوا على أنفُسِهِم أنَّهُم كانُوا كافِرِينَ. ذلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أنْ﴾ ـ اللام مُقدّرة وهي مخففة ـ أي: لأنّه ﴿لَم يَكُنْ رَبُّكَ مُهلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ﴾ منها، ﴿وأهلُها غافِلُونَ﴾: لم يُرسَل إليهم رسول يُبيّن لهم.

﴿حرَجًا﴾: شديدَ الضِّيق. ﴿يصّعد في السّماء﴾: يتكلّفُ صعودَها فلا يستطيعه. ﴿الرّجس﴾: العذابَ أو الخذلانَ. ﴿استكثرتم من الإنس﴾: أكثرتُم مِن دعوتِهم للضّلالِ والغوايةِ. ﴿النّار مثواكم﴾: مأواكُم ومستقرُّكُم ومقامُكُم. ﴿غرّتهم الحياة﴾: خدعَتْهم ببهرجِها.

(١) رواه الثعلبي (٢٣/ ٣٤)، والحاكم (٤/ ٣٤٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وذكر له الدارقطني في «علله» (٥/ ١٨٩) طرقاً ثم قال: وكلها وهم، والصواب عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، وعبد الله بن المسور هذا متروك.

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٤٠).

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

(١٣٢) - ﴿**ولِكُلٍّ**﴾ من العاملين ﴿**دَرَجاتٌ**﴾: جزاءٌ ﴿**مِمّا عَمِلُوا**﴾ من خير وشرّ، ﴿**وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ**﴾ بالياء والتاء، (١٣٣) - ﴿**ورَبُّكَ الغَنِيُّ**﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿**ذُو الرَّحمةِ، إنْ يَشَأْ يُذهِبْكُم**﴾ - يا أهل مكّة - بالإهلاك[١]، ﴿**ويَستَخلِفْ مِن بَعدِكُم ما يَشاءُ**﴾ من الخلق ﴿**كَما أنشأَكُم مِن ذُرِّيَّةِ قَومٍ آخَرِينَ**﴾ أذهبَهم، ولكنه أبقاكم رحمةً لكم.

(١٣٤) - ﴿**إنَّ ما تُوعَدُونَ**﴾ من الساعة والعذاب ﴿**لَآتٍ**﴾ لا مَحالة، ﴿**وما أنتُم بِمُعجِزِينَ**﴾: فائتينَ عذابَنا.

(١٣٥) - ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**يا قَومِ، اعمَلُوا على مَكانَتِكُم**﴾: حالَتِكم. ﴿**إنِّي عامِلٌ**﴾ على حالتي[٢]. ﴿**فَسَوفَ تَعلَمُونَ مَن**﴾: موصولةٌ مفعول العِلم، ﴿**تَكُونُ لَهُ عاقِبةُ الدّارِ**﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟ ﴿**إنَّهُ لا يُفلِحُ**﴾: يَسعد ﴿**الظّالِمُونَ**﴾: الكافرون[٣].

(١٣٦) - ﴿**وجَعَلُوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿**لِلهِ مِمّا ذَرَأَ**﴾: خلقَ ﴿**مِنَ الحَرْثِ**﴾: الزرعِ ﴿**والأنعامِ نَصِيبًا**﴾ يصرفونه إلى الضِّيفان والمساكين، ولشُركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سَدَنتها، ﴿**فقالُوا: هذا لِلهِ، بِزَعمِهِم**﴾ - بالفتح والضمّ - ﴿**وهذا لِشُرَكائنا**﴾. فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إنّ الله غنيّ عن هذا، كما قال تعالى: ﴿**فما كانَ لِشُرَكائهِم فلا يَصِلُ إلَى اللهِ**﴾ أي: لجهته، ﴿**وما كانَ لِلهِ فهُوَ يَصِلُ إلَى شُرَكائهِم. ساءَ**﴾: بئسَ ﴿**ما يَحكُمُونَـ**﴾ـهُ حكمُهم هذا! (١٣٧) - ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما زُيِّنَ لهم ما ذُكر ﴿**زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشرِكِينَ قَتلَ أولادِهِم**﴾ بالوأد ﴿**شُرَكاؤُهُم**﴾ من الجنّ - بالرفع: فاعل «زَيَّنَ». وفي قراءة ببنائه[٤] للمفعول ورفع «قَتلُ» ونصبِ الأولاد به وجرِّ «شُركائِهم» بإضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضرُّ. وإضافةُ القتل إلى الشركاء لأمرهم به - ﴿**لِيُردُوهُم**﴾: يُهلكوهم، ﴿**ولِيَلبِسُوا**﴾: يَخلِطوا ﴿**علَيهِم دِينَهُم، ولَو شاءَ اللهُ ما فَعَلُوهُ. فذَرْهُم وما يَفتَرُونَ**﴾.

﴿بمُعجزين﴾: بفائتينَ مِن عذابِ اللهِ بالهربِ. ﴿مكانتكم﴾: غايةِ تمكُّنِكُم واستطاعتِكُم. ﴿ذرأ﴾: خلقَ على وجهِ الاختراعِ. ﴿الحرث﴾: الزَّرعِ. ﴿الأنعام﴾: الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ. ﴿قتل أولادهم﴾: وأدَ البناتِ الصِّغارِ أحياءً. ﴿ليُردوهم﴾: ليُهلكوهُم بالإغواءِ. ﴿ليلبِسوا عليهم﴾: ليخلطوا عليهِم. ﴿يفترون﴾: يختلقونَهُ مِنَ الكذبِ.

(١) أرادَ إهلاكَ الاستئصالِ، لا إمَاتةَ ناسٍ بعد ناسٍ، وقيل: الخِطابُ عامٌّ للخَلقِ كلِّهم، والمرادُ: إظهارُ القُدرةِ التّامَّةِ، كما قالَ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ [النساء: ١٣٣]. (الجمالين).

(٢) أي: على ما أنا عليه؛ يعني: اثبُتوا على الكُفرِ فإنِّي ثابتٌ على الإسلامِ، وهو أمرُ تهديدٍ. (الجمالين).

(٣) وضعَ الظَّالمينَ موضِعَ الكافرينَ؛ لأنَّه أعمُّ وأكثرُ فائدةً. (الجمالين).

(٤) أي: «زُيِّنَ». (الجمالين).

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ
لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ
وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ
مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ
كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ
وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ
حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

(١٣٨) ـ ﴿وقالوا: هٰذِهِ أنعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرام، ﴿لا يَطعَمُها إلّا مَن نَشاءُ﴾ من خَدَمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعمِهِم﴾ أي: لا حُجّة لهم فيه، ﴿وأنعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها﴾ فلا تُركب كالسَّوائب والحَوامي، ﴿وأنعامٌ لا يَذكُرُونَ اسمَ اللهِ علَيها﴾ عِند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم. ونسبوا ذلك إلى الله ﴿افتِراءً علَيهِ ـ سَيَجزِيهِم بِما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ عليه ـ.

(١٣٩) ـ ﴿وقالُوا: ما في بُطُونِ هٰذِهِ الأنعامِ﴾ المُحرَّمة ـ وهي السوائبُ والبحائر ـ ﴿خالِصةٌ﴾: حلالٌ ﴿لِذُكورِنا، ومُحَرَّمٌ علَى أزواجِنا﴾ أي: النساء، ﴿وإن يَكُنْ مَيْتةٌ﴾ ـ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ـ ﴿فهُم فِيهِ شُرَكاءُ. سَيَجزِيهِم﴾ اللهُ ﴿وَصفَهُم﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي: جزاءه. ﴿إنّهُ حَكِيمٌ﴾ في صُنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

نصف الحزب ١٥

(١٤٠) ـ ﴿قَد خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿أولادَهُم﴾ بالوأد ﴿سَفَهًا﴾: جهلاً ﴿بِغَيرِ عِلمٍ، وحَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ ممّا ذُكر ﴿افتِراءً علَى اللهِ. قَد ضَلُّوا وما كانُوا مُهتَدِينَ﴾.

(١٤١) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي أنشَأَ﴾: خلق ﴿جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مَعرُوشاتٍ﴾: مبسوطات[١] على الأرض كالبِطّيخ ﴿وغَيرَ مَعرُوشاتٍ﴾ بأن ارتفعتْ على ساق كالنخل، ﴿و﴾ أنشأ ﴿النَّخلَ والزَّرعَ مُختَلِفًا أُكُلُهُ﴾: ثمره وحبّه في الهيئة والطعم، ﴿والزَّيتُونَ والرُّمّانَ مُتَشابِهًا﴾ ورقُهما: حال ﴿وغَيرَ مُتَشابِهٍ﴾ طعمُهما ـ ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إذا أثمَرَ﴾ قبلَ النُّضج، ﴿وآتُوا حَقَّهُ﴾: زكاته ﴿يَومَ حَصادِهِ﴾، بالفتح والكسر، من العُشرِ أو نِصفِه، ﴿ولا تُسرِفُوا﴾[٢] بإعطاء كلّه، فلا يبقى لعِيالكم شيء. ﴿إنّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ﴾: المتجاوزين ما حُدَّ لهم ـ (١٤٢) ـ ﴿و﴾ أنشأ ﴿مِنَ الأنعامِ حَمُولةً﴾: صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وفَرشًا﴾: لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سُمّيتْ فرشًا لأنها كالفرش للأرض لدنوّها منها. ﴿كُلُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ، ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ﴾: طرائقه في التحريم والتحليل. ﴿إنّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيّنُ العداوة.

﴿حرث﴾: زرعٌ. ﴿حِجر﴾: محجورةٌ مُحرَّمةٌ. ﴿حُرّمت ظهورها﴾: البحائرُ والسَّوائبُ والحوامي. ﴿وصفهم﴾: كذبَهُم على اللهِ بالتَّحليلِ والتَّحريمِ. ﴿معروشات﴾: مُحتاجةٌ للتَّعريشِ كالكرمِ ونحوِه. ﴿غير معروشات﴾: مُستغنيةٌ عنهُ باستوائِها كالنَّخلِ. ﴿مختلفاً أكله﴾: ثمرُهُ المأكولُ في الهيئةِ والكيفيَّةِ. ﴿حمولة﴾: ما يحملُ الأثقالَ كالإبلِ. ﴿فرشاً﴾: ما يُفرشُ للذَّبحِ كالغنمِ. ﴿خطوات الشيطان﴾: طرقَهُ وآثارَهُ تحليلاً وتحريماً.

(١) نقلَ البغويُّ عن ابن عبَّاسٍ: ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما انبسَطَ على وجهِ الأرضِ ممَّا يُعرَّشُ مثلُ الكَرْمِ والقَرْعِ والبِطِّيخِ، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما قامَ على ساقٍ كالنَّخلِ والزَّرعِ وسائرِ الأشجارِ، وقالَ الضَّحَّاكُ: كلاهُما الكَرْمُ خاصَّةً، منها ما عُرِّشَ، ومنها ما لم يُعرَّشْ، انتهى.

فالمرادُ بالمعرُوشِ ما يُعرَّشُ من المبسَّطِ، وبغيرِهِ ما لا يُعرَّشُ بل يرتفِعُ بنفسِهِ، فالصَّحيحُ ما قالهُ القاضِي أنَّ ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات على ما يحملُها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ مُلقَياتٍ على وجهِ الأرضِ؛ أي: متروكاتٍ، هذا وأكثرُ المفسِّرينَ على قولِ الضَّحَّاكِ. (الجمالين).

(٢) عن أبي العالية: كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة ثم تسارفوا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. الطبري (٩/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٣٩٩)، و«لباب النقول» (ص: ٩٢).

وعن ابن جريج: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جَدَّ نخلاً فقال: لا يأتين اليوم أحدٌ إلا أطعمته، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فقال الله: ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾. الطبري (٩/ ٦١٥)، و«لباب النقول» (ص: ٩٢).

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿١٤٣﴾ ـ ﴿ثمانيةَ أزْواجٍ﴾: أصنافٍ، بدلٌ من «حَمولةً وفرشًا»، ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ زوجينِ ﴿اثنَينِ﴾ ذكرٌ وأنثى ﴿ومِنَ المَعزِ﴾، بالفتح والسكونِ، ﴿اثنَينِ ـ قُلْ﴾ يا مُحمّد لمن حرّمَ ذُكورَ الأنعام تارة وإناثَها أخرى ونسبَ ذلك إلى الله: ﴿آلذَّكَرينِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ اللهُ عليكم ﴿أمِ الأُنثَيَينِ﴾ منهما، ﴿أمْ ما اشتَمَلَتْ عليهِ أرحامُ الأُنثَيَينِ﴾ ذكرًا كان أو أُنثى؟ ﴿نَبِّئوني بِعِلمٍ﴾ عن كيفيّة تحريم ذلك، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه. المعنى: مِن أين جاء التحريم؟ فإن كان من قِبل الذُّكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتمالِ الرحم فالزوجان. فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار[١] ـ ﴿١٤٤﴾ ـ ﴿ومِنَ الإبِلِ اثنَينِ ومِنَ البَقَرِ اثنَينِ. قُلْ: آلذَّكَرينِ حَرَّمَ أمِ الأُنثَيَينِ، أمْ ما اشتَمَلَتْ عَلَيهِ أرحامُ الأُنثَيَينِ؟ أمْ﴾: بل أ ﴿كُنتُم شُهَداءَ﴾: حُضورًا ﴿إذ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهذا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك؟ لا، بل أنتم كاذبون فيه. ﴿فَمَن﴾ أي: لا أحد ﴿أظلَمُ، مِمَّنِ افتَرى عَلى اللهِ كَذِبًا﴾ بذلك[٢]، ﴿لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيرِ عِلمٍ؟ إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾.

﴿١٤٥﴾ ـ ﴿قُلْ: لا أجِدُ فِيما أُوحِيَ إلَيَّ﴾ شيئًا ﴿مُحَرَّمًا على طاعِمٍ يَطعَمُهُ إلّا أن يَكُونَ﴾، بالياء والتاء، ﴿مَيْتَةً﴾ ـ بالنصب. وفي قراءة بالرفع مع التحتانيّة ـ ﴿أو دَمًا[٣] مَسفُوحًا﴾: سائلاً بخلاف غيره كالكبِد والطِّحال، ﴿أو لَحمَ خِنزِيرٍ ـ فإنَّهُ رِجسٌ﴾: حرامٌ ـ ﴿أو فِسقًا[٤] أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ﴾ أي: ذُبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ اضطُرَّ﴾ إلى شيءٍ ممّا ذُكر فأكلَه ﴿غَيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَحِيمٌ﴾ به. ويُلحق بما ذُكر، بالسُّنّة، كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ومِخلبٍ من الطير.

﴿١٤٦﴾ ـ ﴿وعلَى الَّذِينَ هادُوا﴾ أي: اليهودِ ﴿حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ ـ وهو ما لم تُفرّق أصابعه كالإبل والنعام ـ ﴿ومِنَ البَقَرِ والغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيهِم شُحُومَهُما﴾: الثُّروب[٥] وشحم الكُلَى، ﴿إلّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أوِ﴾ حملته ﴿الحَوايا﴾: الأمعاءُ جمعُ حاوياءَ أو حاوِيةٍ ﴿أو ما اختَلَطَ بِعَظمٍ﴾ منه، وهو شحم الأَلْيَة، فإنه أُحِلّ لهم. ﴿ذلِكَ﴾ التحريمُ ﴿جَزَيناهُم﴾ به ﴿بِبَغيِهِم﴾: بسبب ظُلمهم بما سبق في سورة «النساء». ﴿وإنّا لَصادِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

﴿وصّاكم الله بهذا﴾: أمرَكُمُ اللهُ بهذا التَّحريمِ. ﴿طاعم يطعمه﴾: آكلٍ أيّاً كانَ يأكلُهُ. ﴿دماً مسفوحاً﴾: سائلاً مُهراقاً. ﴿فإنّه رجس﴾: قذرٌ أو خبيثٌ أو نجسٌ حرامٌ. ﴿أهلّ لغير الله به﴾: ذُكِرَ عندَ ذبحِهِ اسمُ غيرِ اللهِ. ﴿اضطرّ﴾: أُلجِئَ إلى أكلِهِ للضَّرورةِ. ﴿غير باغٍ﴾: غيرَ طالبٍ للمُحرَّمِ للذَّةٍ أو استئثارٍ. ﴿و لا عادٍ﴾: ولا مُتجاوزٍ ما يسدُّ الرَّمقَ. ﴿ذي ظفر﴾: ما لهُ إصبعٌ: دابَّةً أو طيراً. ﴿شحومهما﴾: شحومَ الكرشِ والكُليتَينِ. ﴿ما حملت ظهورهما﴾: ما علقَ بهما مِنَ الشَّحمِ فيحلُّ. ﴿الحوايا﴾: المصارين والأمعاءَ فيحلُّ شحمُها. ﴿ما اختلط بعظم﴾: إليةُ الضَّأنِ فتحلُّ.

(١) أي: لإنكارِ أنَّ اللهَ حرَّمَها، والمقصُودُ: إنكارُ فعلِ التَّحريمِ، لكنَّه أُوردَ في صورةِ إنكارِ المفعُولِ ليُطابِقَ ما كانُوا يدَّعونَه من التَّفصيلِ في المفعُولِ والتَّرديدِ فيه، فيكونُ الإنكارُ بطَريقٍ برهانيٍّ من جهةِ أنَّه لا بدَّ للفعلِ من متعلِّقٍ، فإذا نُفيَ جميعُ متعلَّقاتِهِ على التَّفصيلِ لزِمَ نفيُ الفِعلِ. (الجمالين).

(٢) أي: بنسبةِ ذلك التَّحريمِ إليه تعالى، والمرادُ: كبراؤُهُم المقرُونَ لذلك، أو عمرُو بنُ لُحَيٍّ المؤسِّسُ له. (الجمالين).

(٣) عطفٌ على: ﴿أن يَكُونَ﴾ أي: إلاَّ وجُودَ ميتَةٍ أو دماً (الجمالين).

(٤) عطف على: ﴿لحم خنزير﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ للتَّعليلِ. (الجمالين).

(٥) جمعُ: الثَّرب، وهو شَحمٌ رقيقٌ يغشَى الكَرِشَ والأمعاءَ. (الجمالين).

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ * قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟
بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم
مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ
إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿١٤٧﴾ ـ ﴿١٤٨﴾ ـ ﴿فإنْ كَذَّبوكَ﴾ فيما جئتَ به ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿رَبُّكُم ذُو رَحْمةٍ واسِعةٍ﴾، حيث لم يعاجلكم بالعُقوبة ـ وفيه تلطّفٌ بدعائهم إلى الإيمان ـ ﴿ولا يُرَدُّ بأسُهُ﴾: عذابهُ إذا جاء ﴿عَنِ القومِ المُجرِمِينَ. سَيَقُولُ الَّذِينَ أشرَكُوا: لو شاءَ اللهُ ما أشرَكْنا﴾ نحن ﴿ولا آباؤُنا ولا حَرَّمْنا مِن شَيْءٍ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راضٍ به.

قال تعالى: ﴿كَذلِكَ﴾: كما كذّب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ رُسلَهم، ﴿حَتَّى ذاقُوا بأسَنا﴾: عذابنا. ﴿قُلْ: هَل عِندَكُم مِن عِلمٍ﴾ بأنّ الله راضٍ بذلك، ﴿فتُخرِجُوهُ لَنا﴾؟ أي: لا عِلم عندكم. ﴿إنْ﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إلّا الظَّنَّ، وإنْ﴾: ما ﴿أنتُم إلّا تَخرُصُونَ﴾ تكذبون فيه.

علامة ربع الحزب ١٥

﴿١٤٩﴾ ـ ﴿١٥٠﴾ ـ ﴿قُلْ﴾: إن لم يكن لكم حُجّة ﴿فلِلّهِ الحُجَّةُ البالِغةُ﴾: التامّة[1]. ﴿فلَو شاءَ﴾ هِدايتكم ﴿لَهَداكُم[2] أجمَعِينَ. قُلْ: هَلُمَّ﴾: أحضِروا ﴿شُهَداءَكُمُ الَّذِينَ يَشهَدُونَ أنَّ اللهَ حَرَّمَ هذا﴾ الذي حرّمتموه. ﴿فإن شَهِدُوا فلا تَشهَدْ مَعَهُم[3]، ولا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا والَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ، وهُم بِرَبِّهِم يَعدِلُونَ﴾: يُشركون.

﴿١٥١﴾ ـ ﴿قُلْ: تَعالَوا، أتلُ﴾: أقرأْ ﴿ما حَرَّمَ رَبُّكُم علَيكُم، أنْ﴾ ـ مُفسِّرةٌ[4] ـ ﴿لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، و﴾ أحسِنوا ﴿بِالوالِدَينِ إحسانًا، ولا تَقتُلُوا أولادَكُم﴾، بالوأد ﴿مِن﴾ أجل ﴿إملاقٍ﴾: فقرٍ تخافونه ـ ﴿نَحنُ نَرزُقُكُم[5] وإيّاهُم ـ ولا تَقرَبُوا الفَواحِشَ﴾: الكبائر كالزنى ﴿ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ﴾، أي: علانيتها وسِرَّها، ﴿ولا تَقتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلّا بِالحَقِّ﴾ كالقَوَدِ وحدِّ الرِّدّة ورجم المُحصَن ـ ﴿ذلِكُم﴾ المذكورُ ﴿وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾: تتدبّرون ـ.........................

﴿لا يردّ بأسه﴾: لا يُدفَعُ عذابُه ونقمتُهُ. ﴿تخرصون﴾: تكذبونَ على اللهِ تعالى. ﴿الحجّة البالغة﴾: بارسالِ الرُّسلِ وإنزالِ الكتبِ. ﴿هلمّ شُهداءكم﴾: أحضروا أو هاتوا شهودكُم. ﴿بربّهم يعدلون﴾: يسوُّون به غيرَهُ في العبادة. ﴿أتلُ..﴾: أقرأ.. ﴿إملاق﴾: فقر. ﴿الفواحش﴾: كبائرُ المعاصي كالزِّنى ونحوِه. ﴿وصّاكم به﴾: أمرَكُم والزمَكُم به.

(١) أي: البيِّنةُ الواضِحةُ الّتي بلغَتْ غايَةَ المتانَةِ والقوَّةِ على الإثباتِ؛ وهي الكتابُ والرَّسولُ والبيانُ. (الجمالين).

(٢) أي: بالتَّوفيقِ لها والحملِ عليها، ولكن شاءَ هدايَةَ قومٍ وضلالَ آخرينَ، والمعنَى: وإذْ قد ظهرَ أن لا حُجَّةَ لكُم، فلله الحُجَّةُ، لكن لا يَهدِي اللهُ الكلَّ إليها لعدَمِ مشيئتِهِ، ولهُ في ذلك حِكَمٌ ومصَالحُ لا يهتَدِي إليها إلَّا من هداهُ اللهُ. (الجمالين).

(٣) ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ عِناداً ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ لا تصدِّقْهُم فيه؛ فإنَّ التَّصديقَ ملزُومُ الشَّهادةِ، وبيِّنَ لهم فسادَهُ، فإنَّ التَّسليمَ موافَقَةٌ لهم في الشَّهادةِ الباطلَةِ، وقيل: مُشاكَلة. (الجمالين).

(٤) و﴿لا﴾ للنَّهي ليصِحَّ عطفُ أمرٍ عليه، ولا يمنعُ العطفَ تعليقُ الفعلِ المفسَّرِ بـ﴿مَا حَرَّمَ﴾ فإنَّ التَّحريمَ باعتبارِ الأوامرِ يرجِعُ إلى أضدادِهَا، ومَن جعلَ ﴿أَنْ﴾ ناصِبَةً فمحلُّها النَّصبُ بـ﴿عليكم﴾ للإغراءِ، وهو الأظهَرُ و﴿شيئاً﴾ يحتملُ المصدرَ والمفعُولَ. (الجمالين).

(٥) الظَّاهرُ: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾ كما في الإسراءِ، لكن قُدِّمَ هنا ليكُونَ كالدَّليلِ، فإنَّ رازِقَ الأصلِ رازِقُ التَّابعِ بالأولويَّةِ. (الجمالين).

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ
ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ
مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

(١٥٢) - **﴿ولا تَقرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلّا بِالّتِي﴾** أي: بالخَصلة التي **﴿هِيَ أحسَنُ﴾** وهي ما فيه صلاحُه **﴿حَتّى يَبلُغَ أشُدَّهُ﴾** بأن يحتلم، **﴿وأَوفوا الكَيلَ والمِيزانَ بالقِسطِ﴾**: بالعدل وترك البَخس - **﴿لا نُكَلِّفُ نَفسًا إلّا وُسعَها﴾**: طاقتها في ذلك. فإن أخطأ في الكيل والوزن، والله يعلم صحّة نيّته، فلا مُؤاخذة عليه كما ورد في حديث - **﴿وإذا قُلتُم﴾** في حُكم أو غيره **﴿فاعدِلُوا﴾** بالصِّدق، **﴿ولَو كانَ﴾** المقولُ له أو عليه **﴿ذا قُربَى﴾**: قرابة، **﴿وبِعَهدِ اللهِ أَوفُوا. ذلِكُم وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾**، بالتشديدِ: تتّعظونَ، والسكونِ[١]. (١٥٣) - **﴿وأنَّ﴾** - بالفتح على تقدير اللام، والكسرِ استئنافًا - **﴿هذا﴾** الذي وصّيتُكم به[٢] **﴿صِراطِي مُستَقِيمًا﴾**: حالٌ[٣] **﴿فاتَّبِعُوهُ، ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾**: الطُّرقَ المُخالفة له **﴿فتَفَرَّقَ﴾** - فيه حذف إحدى التاءين - تميلَ **﴿بِكُم عَن سَبِيلِهِ﴾**: دِينه. **﴿ذلِكُم وَصّاكُم بِهِ، لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾**.

(١٥٤) - **﴿ثُمَّ آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾**: التوراة - وثُمّ: لترتيب الإخبار - **﴿تَمامًا﴾** للنِّعمة **﴿عَلَى الَّذِي أحسَنَ﴾** بالقيام به، **﴿وتَفصِيلاً﴾**: بيانًا **﴿لِكُلِّ شَيءٍ﴾** يُحتاج إليه في الدِّين، **﴿وهُدًى ورَحمَةً، لَعَلَّهُم﴾** أي: بني إسرائيلَ **﴿بِلِقاءِ رَبِّهِم﴾**: بالبعث **﴿يُؤمِنُونَ﴾**.

(١٥٥) - **﴿وهذا﴾** القُرآن **﴿كِتابٌ أنزَلناهُ مُبارَكٌ - فاتَّبِعُوهُ﴾**، يا أهل مكّة، بالعمل بما فيه. **﴿واتَّقُوا﴾** الكُفرَ، **﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾** - (١٥٦) - أنزلناه لِـ **﴿أنْ﴾** لا **﴿تَقُولُوا: إنَّما أُنزِلَ الكِتابُ عَلَى طائِفَتَينِ﴾**: اليهودِ والنصارى **﴿مِن قَبلِنا، وإنْ﴾**: مُخفّفةٌ واسمها محذوف أي: إنا **﴿كُنّا عَن دِراستِهِم﴾**: قراءتهم **﴿لَغافِلِينَ﴾** لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلُغتنا[٤].

(١٥٧) - **﴿أو تَقُولُوا: لَو أنّا أُنزِلَ عَلَينا الكِتابُ لَكُنّا أهدَى مِنهُم﴾** لجَودة أذهاننا. **﴿فَقَد جاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾**: بيان[٥] **﴿مِن رَبِّكُم وهُدًى ورَحمَةٌ﴾** لمن اتّبعه.

﴿فَمَن﴾ أي: لا أحدَ **﴿أظلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ، وصَدَفَ﴾**: أعرض **﴿عَنها؟ سَنَجزِي الَّذِينَ يَصدِفُونَ عَن آياتِنا سُوءَ العَذابِ﴾** أي: أشدَّه **﴿بِما كانُوا يَصدِفُونَ﴾**.

﴿يبلغ أشدّه﴾: استحكامَ قوّتِهِ ويرشدَ. ﴿بالقسط﴾: بالعدلِ دونَ زيادةٍ ونقصٍ. ﴿وُسعها﴾: طاقتَها وما تقدرُ عليه. ﴿صراطي مستقيماً﴾: سبيلي وديني لا اعوجاجَ فيه. ﴿صدف عنها﴾: أعرضَ عنها أو صرفَ النّاسَ عنها.

(١) صوابُهُ التّخفيفُ، وهو لحفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ. (الجمالين).

(٢) وقيل: الإشارةُ إلى ما ذُكِرَ في السُّورةِ، فإنّها بأسْرِها في إثباتِ التّوحيدِ والنّبوَّةِ، وهذا القولُ أتمُّ وأعمُّ، ويلائمُه قولُه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. (الجمالين).

(٣) من ﴿صِرَاطِي﴾ أي: ديني؛ يعني: لا عِوجَ فيه. (الجمالين).

(٤) أي: ولا كُلِّفْنا بمعرفَتِها. (الجمالين).

(٥) أي: إن صدَقتُم فيما قلتُم فقد جاءَتكُم حُجَّةٌ واضِحةٌ فيها بيانُ الحلالِ والحرامِ، فالفاءُ فَصِيحةٌ. (الجمالين).

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ
ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم
مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي
مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(١٥٨) ـ **﴿هَل يَنظُرُونَ﴾**: ما ينتظر المُكذِّبون **﴿إلّا أن تأتِيَهُمُ﴾** ـ بالتاء والياء ـ **﴿المَلائكةُ﴾** لقبض أرواحهم، **﴿أو يأتِيَ رَبُّكَ﴾** أي: أمرُه بمعنى: عذابُه، **﴿أو يأتِيَ بعضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** أي: علاماتِه الدالّةِ على الساعة؟ **﴿يَومَ يأتِي بعضُ آياتِ رَبِّكَ﴾** ـ وهي طُلوع الشمس من مَغرِبها كما في حديث الصحيحين[١] ـ **﴿لا يَنفَعُ نَفسًا إيمانُها، لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ﴾** ـ الجُملة: صفة «نفس» ـ **﴿أو﴾** نفسًا لم تكن **﴿كَسَبَتْ في إيمانِها خَيرًا﴾**: طاعة، أي: لا تنفعها توبتها كما في الحديث **﴿قُلِ: انتَظِرُوا﴾** أحدَ هذه الأشياءِ. **﴿إنّا مُنتَظِرُونَ﴾** ذلك.

(١٥٩) ـ **﴿إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم﴾** باختلافهم فيه فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه، **﴿وكانُوا شِيَعًا﴾**: فِرَقًا في ذلك ـ وفي قراءةٍ «فارَقُوا» أي: تركوا دِينهم الذي أُمروا به، وهم اليهود والنصارى ـ **﴿لَستَ مِنهُم في شَيءٍ﴾**. فلا تتعرّض لهم **﴿إنَّما أمرُهُم إلَى اللهِ﴾** يتولّاه، **﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾** في الآخرة **﴿بِما كانُوا يَفعَلُونَ﴾** فيُجازيهم به. وهذا منسوخ بآية السيف. (١٦٠) ـ **﴿مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ﴾** أي: «لا إلـٰه إلّا الله» **﴿فلَهُ عَشرُ أمثالِها﴾**[٢] أي: جزاءُ عشر حسنات، **﴿ومَن جاءَ بالسَّيِّئَةِ فلا يُجزَى إلّا مِثلَها﴾** أي: جزاءه، **﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾**: يُنقصون من جزائهم شيئًا. (١٦١) ـ (١٦٢) ـ (١٦٣) ـ **﴿قُلْ: إنَّنِي هَدانِي رَبِّيَ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾**، ويُبدل من محلّه **﴿دِينًا قِيَمًا﴾**: مستقيمًا، **﴿مِلَّةَ إبراهِيمَ حَنِيفًا، وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ. قُلْ: إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي﴾**: عِبادتي من حجّ وغيره **﴿ومَحيايَ﴾**: حياتي **﴿ومَماتِي﴾**: موتي **﴿للهِ رَبِّ العالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ﴾** في ذلك، **﴿وبِذلِكَ﴾** أي: التوحيد **﴿أُمِرْتُ، وأنا أوَّلُ المُسلِمِينَ﴾** من هذه الأُمّة.

(١٦٤) ـ (١٦٥) ـ **﴿قُلْ: أغَيرَ اللهِ أبغِي رَبًّا﴾**: إلـٰهًا؟ أي: لا أطلب غيره، **﴿وهُوَ رَبُّ﴾**: مالكُ **﴿كُلِّ شَيءٍ، ولا تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ﴾** ذنبًا **﴿إلّا عَلَيها، ولا تَزِرُ﴾**: تحمل نفسٌ **﴿وازِرَةٌ﴾**: آثمةٌ **﴿وِزرَ﴾** نفسٍ **﴿أُخرَى، ثُمَّ إلَى رَبِّكُم مَرجِعُكُم، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ، وهُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلائفَ الأرضِ﴾**: جمع خليفة، أي: يخلُف بعضكم بعضًا فيها، **﴿ورَفَعَ بَعضَكُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ﴾** بالمال والجاه وغير ذلك، **﴿لِيَبلُوَكُم﴾**: ليختبركم **﴿فِيما آتاكُم﴾**: أعطاكم ليَظهر المطيعُ منكم والعاصي. **﴿إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقابِ﴾** لمن عصاه، **﴿وإنَّهُ لَغَفُورٌ﴾** للمؤمنين **﴿رَحِيمٌ﴾** بهم.

***

﴿يأتي ربّك﴾: إيتاءً يليقُ بجلالِهِ تعالى وقدسِهِ. ﴿كانوا شيعاً﴾: فرقاً وأحزاباً في الضّلالةِ. ﴿ديناً قيماً﴾: ثابتاً مُقوِّماً لأمور المعاشِ والمعادِ. ﴿حنيفاً﴾: مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ. ﴿نُسُكي﴾: عباداتي كلّها. ﴿إلا عليها﴾: إلّا ذنباً محمولاً عليها عقابُهُ. ﴿لا تزر وازرة﴾: لا تحملُ نفسٌ آثمةٌ... ﴿خلائف الأرض﴾: يخلُفُ بعضُكُم بعضاً فيها. ﴿ليبلُوكم﴾: ليختبرَكُم وهوَ بكُم عليمٌ.

(١) البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) عن أبي ذرٍّ، مرفوعاً: «مَن صَام ثلاثة أيام من كلِّ شهرٍ، فذلك صومُ الدَّهر»، فأنزل الله عزَّ وجلَّ تصديق ذلك في كتابه: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فاليومُ بعشرة أيامٍ. الترمذي (٧٦٢) وحسنه، والنسائي (٢٤٠٩)، ابن ماجه (١٧٠٨) واللفظ له.

٧

سُورَةُ الأَعْرَافِ

الحزب ١٦

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المص ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

مكية إلّا «واسألهم عن القرية» الثمانَ أو الخمسَ آيات، مِائتانِ وخمسُ أو ستُّ آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿**المص**﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

(٢) ـ هذا ﴿**كِتابٌ أُنزِلَ إِلَيكَ**﴾، خطابٌ للنبيِّ ـ ﴿**فلا يَكُنْ في صَدرِكَ حَرَجٌ**﴾: ضِيق ﴿**مِنهُ**﴾ أن تُبلّغه مَخافةَ أن تُكذَّب ـ ﴿**لِتُنذِرَ**﴾: مُتعلِّق بـ «أُنزل» أي: للإنذار ﴿**بِهِ وذِكرَى**﴾: تذكرةٌ ﴿**لِلمُؤمِنينَ**﴾ به. (٣) ـ قل لهم: ﴿**اتَّبِعُوا ما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن ربِّكُم**﴾ أي: القرآنَ، ﴿**ولا تَتَّبِعُوا**﴾ تتّخذوا ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿**أولِياءَ**﴾ تُطيعونهم في معصيته تعالى ﴿**قَليلاً ما تَذَكَّرُونَ**﴾، بالتاء والياء: تتّعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها، وما: زائدةٌ لتأكيد القِلّة.

(٤) ـ ﴿**وكَم**﴾: خبريّةٌ مفعولٌ ﴿**مِن قَريةٍ**﴾ أُريدَ أهلُها ﴿**أهلَكْناها**﴾: أردنا إهلاكها، ﴿**فجاءَها بأسُنا**﴾: عذابُنا ﴿**بَياتًا**﴾: ليلاً ﴿**أو هُم قائلُونَ**﴾: نائمون بالظهيرة! والقيلولة: استراحةٌ نصفَ النهار، وإن لم يكن معها نوم، أي: مرّةً جاءها ليلاً ومرّةً نهارًا، (٥) ـ ﴿**فما كانَ دَعْواهُم**﴾: قولَهم ﴿**إذ جاءَهُم بأسُنا، إلّا أن قالُوا: إنّا كُنّا ظالِمِينَ**﴾.

(٦) ـ ﴿**فلَنسأَلَنَّ الّذِينَ أُرسِلَ إِلَيهِم**﴾ أي: الأُممَ عن إجابتِهم الرُّسلَ وعملِهم فيما بلغهم، ﴿**ولَنسأَلَنَّ المُرسَلِينَ**﴾ عن الإبلاغ، (٧) ـ ﴿**فلَنَقُصَّنَّ عليهِم بِعِلمٍ**﴾: لَنُخبرَنّهم عن عِلم بما فَعلوه، ﴿**وما كُنّا غائبِينَ**﴾ عن إبلاغِ الرُّسل والأُممِ الخالية فيما عملوا، (٨) ـ ﴿**والوَزنُ**﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكِفّتانِ كما ورد في حديث[1] كائنٌ ﴿**يَومَئِذٍ**﴾ أي: يومَ السُّؤال المذكور ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿**الحَقُّ**﴾: العدل صِفة «الوزنُ»، ﴿**فمَن ثَقُلَت موازِينُهُ**﴾ بالحسنات ﴿**فأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾: الفائزون، (٩) ـ ﴿**ومَن خَفَّت موازِينُهُ**﴾ بالسيّئات ﴿**فأُولئِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾ بتصييرها إلى النار ﴿**بما كانُوا بآياتِنا يَظلِمُونَ**﴾: يجحدون.

(١٠) ـ ﴿**ولَقَد مَكَّنّاكُم**﴾ ـ يا بني آدم ـ ﴿**في الأرضِ، وجَعَلْنا لَكُم فِيها مَعايِشَ**﴾، بالياء: أسبابًا تعيشون بها جمع مَعِيشة ـ ﴿**قَليلاً ما**﴾ لتأكيد القِلّة ﴿**تَشكُرُونَ**﴾ على ذلك ـ (١١) ـ ﴿**ولَقَد خَلَقْناكُم**﴾ أي: أباكم آدم، ﴿**ثُمَّ صَوَّرْناكُم**﴾ أي: صوّرناه وأنتم في ظهره، ﴿**ثُمَّ قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لآدَمَ**﴾ سُجودَ تحيّة بالانحناء. ﴿**فسَجَدُوا إلّا إبليسَ**﴾ أبا الجنّ كان بين الملائكة، ﴿**لَم يَكُن مِنَ السّاجِدِينَ**﴾.

﴿حرجٌ منه﴾: ضيقٌ مِن تبليغِهِ خشيةَ التّكذيب. ﴿وكم من قرية﴾: كثيراً مِنَ القرى أهلكْنا. ﴿بأسنا﴾: عذابُنا. ﴿بياتاً﴾: بائتينَ أو ليلاً وهو نائمونَ. ﴿هم قآئلون﴾: مُستريحونَ نصفَ النّهارِ (القيلولة). ﴿دعواهم﴾: دعاؤُهم وتضرُّعُهُم. ﴿ثقلت موازينه﴾: رجحَتْ حسناتُهُ على سيِّئاتِهِ. ﴿خفت موازينه﴾: رجحتْ سيِّئاتُهُ على حسناتِهِ. ﴿مكنّاكم﴾: جعلْنا لكُم مكاناً وقراراً. ﴿معايش﴾: ما تعيشونَ بِهِ وتحيونَ.

(١) هو حديث البطاقة، رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٩) و(١٩٣٧) وصحَّحه، من حديثِ عبد الله بنِ عمرو رضيَ اللهُ عنهما.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ
أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن
تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ - ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿ما مَنَعَكَ ألّا﴾ - زائدةٌ - ﴿تَسجُدَ إذْ﴾: حينَ ﴿أمَرتُكَ؟ قالَ: أنا خيرٌ مِنهُ. خَلَقتَني مِن نارٍ، وخَلَقتَهُ مِن طِينٍ. قالَ: فاهبِطْ مِنها﴾ أي: مِن الجنّة، وقيل: من السماوات - ﴿فما يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لَكَ أن تتكبَّرَ فِيها - فاخرُجْ﴾ منها. ﴿إنَّكَ مِنَ الصّاغِرِينَ﴾: الذليلين.

﴿١٤﴾ - ﴿قالَ: أنظِرْني﴾: أخِّرني ﴿إلى يَومِ يُبعَثُونَ﴾ أي: النّاسُ. ﴿١٥﴾ - ﴿قالَ: إنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ﴾. وفي آية أخرى: «إلى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ» أي: وقت النفخة الأولى. ﴿١٦﴾ - ﴿قالَ: فبِما أغوَيتَني﴾ أي: بإغوائك لي، والباء: للقسم، وجوابُه ﴿لَأقعُدَنَّ لَهُم﴾ أي: لبَني آدمَ ﴿صِراطَكَ المُستَقِيمَ﴾ أي: على الطريق المُوصل إليك، ﴿١٧﴾ - ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَينِ أيدِيهِم ومِن خَلفِهِم وعَن أيمانِهِم وعَن شَمائِلِهِم﴾ أي: من كُلّ جِهة، فأمنعُهم عن سلوكه - قال ابن عبّاس[1]: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلّا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى - ﴿ولا تَجِدُ أكثَرَهُم شاكِرِينَ﴾: مُؤمنينَ.

﴿١٨﴾ - ﴿قالَ: اخرُجْ مِنها مَذْؤُومًا﴾، بالهمز: مَعِيبًا أو ممقوتًا، ﴿مَدحُورًا﴾: مُبعَدًا عن الرحمة - ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنهُم﴾: منَ الناس، واللام: للابتداء أو موطِّئة للقسم، وهو ﴿لَأملأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُم أجمَعِينَ﴾ أي: منك بذُرّيّتك ومن الناس. وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «مَن» الشرطيّة، أي: مَن تبعك أُعذّبه - ﴿١٩﴾ - ﴿و﴾ قال: ﴿يا آدَمُ، اسكُنْ أنتَ﴾: تأكيد للضمير في «اسكُنْ» ليُعطف عليه ﴿وزَوجُكَ﴾ حواءُ بالمدّ ﴿الجَنَّةَ، فكُلا مِن حَيثُ شِئتُما، ولا تَقرَبا هٰذِهِ الشَّجَرةَ﴾ بالأكل منها - وهي الحِنطة - ﴿فتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ﴾.

﴿٢٠﴾ - ﴿فوَسوَسَ لَهُما الشَّيطانُ﴾: إبليسُ ﴿لِيُبدِيَ﴾: يُظهِرَ ﴿لَهُما ما وُورِيَ﴾ - فُوعِلَ من المُواراة - ﴿عَنهُما مِن سَوءاتِهِما، وقالَ: ما نَهاكُما رَبُّكُما عَن هٰذِهِ الشَّجَرةِ إلّا﴾ كراهةَ ﴿أن تَكُونا مَلَكَينِ﴾ - وقُرِئ بكسر اللام - ﴿أو تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أُخرى: «هَل أدُلُّكَ على شَجَرةِ الخُلدِ ومُلكٍ لا يَبلَى»؟ ﴿٢١﴾ - ﴿وقاسَمَهُما﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

﴿٢٢﴾ - ﴿فدَلّاهُما﴾: حطّهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه، ﴿فلَمّا ذاقا الشَّجَرةَ﴾ أي: أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما﴾ أي: ظهر لكُلّ منهما قُبُلُه وقُبُلُ الآخَر ودُبُرُه - وسُمّي كُلّ منها سوءة لأنّ انكشافه يسوء صاحبَه - ﴿وطَفِقا يَخصِفانِ﴾: أخذا يُلزقان ﴿عَلَيهِما مِن وَرَقِ الجَنَّةِ﴾ ليستترا به، ﴿وناداهُما رَبُّهُما: ألَم أنهَكُما عَن تِلكُما الشَّجرةِ، وأقُلْ لَكُما: إنَّ الشَّيطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيِّن العداوة؟ استفهام تقرير.

﴿ما منعك﴾: ما اضطرَّكَ. أو ما دعاكَ وحملَكَ. ﴿الصاغرين﴾: الأذلَّاءِ المُهانينَ. ﴿أنظرني﴾: أخِّرْني وأمهِلْني في الحياةِ. ﴿المنظرين﴾: المُمهلينَ إلى وقتِ النَّفخةِ الأُولى. ﴿فبما أغويتني﴾: فبما أضلَلْتَني. ﴿لأقعدن لهم﴾: لأترصدنَّهُم ولأجلسنَّ لهُم. ﴿مذءوماً﴾: مذموماً أو معيباً أو مُحقَّراً لعيناً. ﴿مدحوراً﴾: مطروداً مُبعداً. ﴿فوسوس لهما﴾: ألقى إليهما الوسوسةَ. ﴿ما ووري عنهما﴾: ما سُتِرَ وأُخفِيَ وغُطِّيَ عنهُما. ﴿سوءاتهما﴾: عوراتِهِما. ﴿وقاسمهما﴾: أقسمَ وحلفَ لهُما. ﴿فدلاهما بغرور﴾: فأنزلَهُما عن رتبةِ الطَّاعةِ بخداعٍ. ﴿طفقا يخصفان﴾: شرعا وأخذا يلزقانِ.

(١) رواه الطبري (١٠/ ١٠١).

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ
لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ
ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ
حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا
بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

(٢٣) ـ ﴿**قالا: رَبَّنا، ظَلَمْنا أنفُسَنا**﴾ بمعصيتنا، ﴿**وإن لَم تَغفِرْ لَنا وتَرحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ**﴾.

(٢٤) ـ ﴿**قالَ: اهبِطُوا**﴾ أي: آدمُ وحواءُ بما اشتملتما عليه من ذُرّيّتكما، ﴿**بَعضُكُم**﴾: بعض الذرّيّة ﴿**لِبَعضٍ عَدُوٌّ**﴾ مِن ظُلم بعضهم بعضًا، ﴿**ولَكُم في الأرضِ مُستَقَرٌّ**﴾: مكانُ استقرار ﴿**ومَتاعٌ**﴾: تمتّعٌ ﴿**إلَى حِينٍ**﴾ تنقضي فيه آجالكم (٢٥) ـ ﴿**قالَ: فِيها**﴾ أي: الأرضِ ﴿**تَحيَونَ وفِيها تَمُوتُونَ، ومِنها تَخرُجُونَ**﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول.

(٢٦) ـ ﴿**يا بَنِي آدَمَ، قَد أنزَلْنا عَلَيكُم لِباسًا**﴾ أي: خلقناه لكم ﴿**يُوارِي**﴾: يسترُ ﴿**سَوءاتِكُم، ورِيشًا**﴾ هو ما يُتجمّل به من الثياب، ﴿**ولِباسَ التَّقوى**﴾: العملَ الصالح أو السمتَ الحسن[1]، بالنصبِ: عطفٌ على «لباسًا» والرفع: مبتدأ خبره جملةُ ﴿**ذلِكَ خَيرٌ**﴾. ﴿**ذلِكَ مِن آياتِ اللهِ**﴾: دلائلِ قُدرته، ﴿**لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ**﴾ فيؤمنون. فيه التفات عن الخِطاب إلى الغَيبة.

(٢٧) ـ ﴿**يا بَنِي آدَمَ، لا يَفتِنَنَّكُمُ**﴾: يُضِلَّنّكم ﴿**الشَّيطانُ**﴾ أي: لا تتّبعوه فتُفتَتَنُوا ﴿**كَما أخرَجَ أبَوَيكُم**﴾ بفتنته ﴿**مِنَ الجَنَّةِ، يَنزِعُ**﴾: حالٌ[2] ﴿**عَنهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوءاتِهِما. إنَّهُ**﴾ أي: الشيطانَ ﴿**يَراكُم هُوَ وقَبِيلُهُ**﴾: جنوده ﴿**مِن حَيثُ لا تَرَونَهُم**﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم. ﴿**إنّا جَعَلْنا الشَّياطِينَ أولِياءَ**﴾: أعوانًا وقُرناء ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ**﴾.

(٢٨) ـ ﴿**وإذا فَعَلُوا فاحِشَةً**﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عُراةً قائلين: «لا نطوف في ثياب عصَينا اللهَ فيها»، فنُهوا عنها، ﴿**قالُوا: وَجَدْنا علَيها آباءَنا**﴾ فاقتدَينا بهم، ﴿**واللهُ أمَرَنا بِها**﴾ أيضًا. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**إنَّ اللهَ لا يأمُرُ بالفَحشاءِ. أتَقُولُونَ علَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾ أنه قاله؟ استفهام إنكار.

(٢٩) ـ ﴿**قُلْ: أمَرَ رَبِّي بِالقِسطِ**﴾: العدل، ﴿**وأقِيمُوا**﴾ ـ معطوف على معنى: «بالقِسط»، أي قال: أقسِطوا وأقيموا. أو قبله «فأقبِلوا» مُقدّرًا ـ ﴿**وُجُوهَكُم**﴾ للهِ ﴿**عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ**﴾ أي: أخلِصوا له سُجودكم، ﴿**وادعُوهُ**﴾: اعبدوه ﴿**مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ من الشِّرك. ﴿**كَما بَدَأكُم**﴾: خلقكم ولم تكونوا شيئًا ﴿**تَعُودُونَ**﴾ أي: يُعيدكم أحياءً يومَ القيامة، (٣٠) ـ ﴿**فَرِيقًا**﴾ منكم ﴿**هَدَى، وفَرِيقًا حَقَّ عَلَيهِمُ الضَّلالَةُ**﴾[3]. ﴿**إنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أولِياءَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيره، ﴿**ويَحسَبُونَ أنَّهُم مُهتَدُونَ**﴾.

﴿أنزلنا عليكم﴾: أعطيناكُم ووهبْنا لكُم. ﴿يواري سوءاتكم﴾: يسترُ ويداري عوراتِكُم. ﴿ريشاً﴾: لباسَ زينةٍ. أو مالاً. ﴿لباس التقوى﴾: الإيمانُ وثمراتُهُ. ﴿لا يفتننكم﴾: لا يضلَّنَّكُم ولا يخدعَنَّكُم. ﴿ينزع عنهما﴾: يزيلُ عنهما، استلاباً بخداعِهِ. ﴿قبيله﴾: جنودُهُ. أو ذرّيّتُهُ. ﴿فعلوا فاحشة﴾: أتوا فعلةً متناهيةً في القبحِ. ﴿بالقسط﴾: بالعدلِ وهوَ جميعُ الطّاعاتِ والقُرَبِ. ﴿أقيموا وجوهكم﴾: توجَّهوا إلى عبادتِهِ مُستقيمينَ. ﴿عند كل مسجد﴾: في كلِّ وقتِ سجودٍ أو مكانِهِ.

(١) أو العفافُ، وقيل: الإيمانُ، وقيل: لباسُ الحَربِ، والأحسَنُ: خشيَةُ اللهِ. (الجمالين).

(٢) من ﴿أَبَوَيْكُم﴾ أو من فاعلِ ﴿أخْرَجَ﴾، وإسنادُ النّزعِ والإخراجِ إليه للتَّسبُّب. (الجمالين).

(٣) أي: وأضَلَّ، وهو الملائِمُ لـ﴿هدى﴾ ولحقّتْ عليهمُ الضَّلالةُ. (الجمالين).

* يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ
بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ
٣٤ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧

الحزب ١٦

٣١ - ٣٢ - **﴿يا بَنِي آدَمَ، خُذُوا زِينَتَكُم﴾**: ما يستر عورتكم **﴿عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾**[1]: عِند الصلاة والطواف، **﴿وكُلُوا واشرَبُوا﴾** ما شِئتم **﴿ولا تُسرِفُوا. إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ. قُلْ﴾** إنكارًا عليهم: **﴿مَن حَرَّمَ زِينةَ اللهِ الَّتِي أخرَجَ لِعِبادِهِ﴾** من اللِّباس **﴿والطَّيِّباتِ﴾**: المُستلَذّاتِ **﴿مِنَ الرِّزقِ؟ قُلْ: هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدُّنيا﴾** بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم، **﴿خالِصةً﴾**: خاصّة بهم -بالرفع، والنصبِ: حالٌ- **﴿يَومَ القِيامةِ. كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾**: نُبيّنها مِثلَ ذلك التفصيل **﴿لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾**: يتدبّرون. فإنهم المُنتفعون بها.

٣٣ - **﴿قُلْ: إنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ﴾**: الكبائرَ كالزِّنى **﴿ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ﴾** أي: جهرَها وسِرَّها، **﴿والإثمَ﴾**: المعصية **﴿والبَغيَ﴾** على الناس **﴿بِغَيرِ الحَقِّ﴾** هو الظلم، **﴿وأن تُشرِكُوا بِاللهِ ما لَم يُنَزِّلْ بِهِ﴾**: بإشراكه **﴿سُلطانًا﴾**: حُجّة، **﴿وأن تَقُولُوا عَلَى اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾** من تحريم ما لم يُحرّم وغيره. ٣٤ - **﴿ولِكُلِّ أُمّةٍ أجَلٌ﴾**: مُدّة، **﴿فإذا جاءَ أجَلُهُم لا يَستأخِرُونَ﴾** عنه **﴿ساعةً ولا يَستَقدِمُونَ﴾** عليه.

٣٥ - **﴿يا بَنِي آدَمَ، إمّا﴾** -فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة- **﴿يأتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِنكُم، يَقُصُّونَ عَلَيكُم آياتِي، فَمَنِ اتَّقَى﴾** الشِّرك **﴿وأصلَحَ﴾** عملَه **﴿فَلا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ﴾** في الآخِرة، ٣٦ - **﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، واستَكبَرُوا﴾**: تكبّروا **﴿عَنها﴾** فلم يُؤمنوا بها، **﴿أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾**.

٣٧ - **﴿فَمَن﴾** أي: لا أحد **﴿أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾** بنسبة الشريك والولد إليه، **﴿أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾**: القُرآنِ؟ **﴿أُولئِكَ يَنالُهُم﴾**: يُصيبهم **﴿نَصِيبُهُم﴾**: حظّهم **﴿مِنَ الكِتابِ﴾** ممّا كُتب لهم في اللوح المحفوظ من الرِّزق والأجل وغير ذلك. **﴿حَتَّى إذا جاءَتهُم رُسُلُنا﴾**: الملائكة **﴿يَتَوَفَّونَهُم قالُوا﴾** لهم تبكيتًا: **﴿أينَ ما[2] كُنتُم تَدعُونَ﴾**: تعبدون **﴿مِن دُونِ اللهِ؟ قالُوا: ضَلُّوا﴾**: غابوا **﴿عَنّا﴾** فلم نرهم. **﴿وشَهِدُوا عَلَى أنفُسِهِم﴾** عِند الموت **﴿أنَّهُم كانُوا كافِرِينَ﴾**.

﴿خذوا زينتكم﴾: البَسوا ثيابَكُم لسترِ عوراتِكُم. ﴿الفواحش﴾: كبائرُ المعاصي لمزيدِ قبحِها. ﴿الإثم﴾: ما يُوجِبُهُ مِن سائرِ المعاصي. ﴿البغي﴾: الظُّلمَ والاستطالةَ على النَّاسِ. ﴿سُلطاناً﴾: حجَّةً وبرهاناً. ﴿أين ما كنتم..﴾: أينَ الآلهةُ الَّذينَ كنتُم..

(١) عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عُريانةٌ، فتقول: مَن يُعيرني تِطوافًا؟ تجعلُه على فرجها، وتقول:

اليومَ يبدُو بعضُه أو كُلُّه ... فما بَدا منه فلا أُحِلُّه

فنزلت هذه الآيةُ. مسلم (٣٠٢٨).

وعنه أيضاً: كان قريشٌ (وفي رواية: أهلُ الجاهلية) يطوفون بالبيت وهم عراةٌ يُصفِّرونَ ويُصفِّقون، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾. ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٦٦). وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن نحوه رواه الواحدي (ص: ٢٢٦).

الكلبيُّ: كانوا لا يأكلونَ منَ الطَّعام إلّا قوتًا، ولا يأكلونَ في حَجِّهم لحمًا ولا دسمًا، يُعظِّمون بذلك حَجَّهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحقُّ بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ﴾ أي: اللَّحمَ والدَّسم، ﴿وَٱشۡرَبُواْ﴾. الثعلبي (١٢/ ٣٣٨)، والواحدي (ص: ٢٢٥).

(٢) هو مفصُولٌ في بعضِ المصاحِفِ العُثمانيَّةِ، موصُولٌ في بعضِها، فقولُ البيضاويِّ: ﴿ما﴾ وُصِلَتْ بـ﴿أين﴾ في المصحَفِ، وحقُّها الفصلُ؛ لأنَّها موصُولةٌ. سهوٌ؛ لأنَّه خطَّانِ لا يُقاسانِ؛ خطُّ المصحَفِ وخطُّ العَروضِ. (الجمالين).

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا
فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ
﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي
مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(٣٨) ـ ﴿قالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة: ﴿ادخُلُوا في﴾ جُملةِ ﴿أُمَمٍ قَد خَلَت مِن قَبلِكُم مِنَ الجِنِّ والإنسِ في النّارِ﴾: مُتعلّق بـ«ادخلوا»، ﴿كُلَّما دَخَلَت أُمّةٌ﴾ النارَ ﴿لَعَنَتْ أُختَها﴾ التي قبلها لضلالها بها. ﴿حَتَّى إذا ادّارَكُوا﴾: تلاحقوا ﴿فِيها جَمِيعًا قالَتْ: أُخراهُم﴾ ـ وهم الأتباع ـ ﴿لِأُولاهُم﴾ أي: لأَجلهم وهم المتبوعون: ﴿ربَّنا، هؤُلاءِ أضَلُّونا. فآتِهِم عَذابًا ضِعفًا﴾: مُضعّفًا ﴿مِنَ النّارِ. قالَ﴾ تعالى: ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعفٌ﴾: عذاب مُضعّف، ﴿ولكِنْ لا تَعلَمُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ما لكُلّ فريق.

(٣٩) ـ ﴿وقالَتْ أُولاهُم لِأُخراهُم: فما كانَ لَكُم علَينا مِن فَضلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا. فنحن وأنتم سواء. قال تعالى لهم: ﴿فذُوقُوا العَذابَ بما كُنتُم تكسِبُونَ﴾.

(٤٠) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا واستكبَرُوا﴾: تكبّروا ﴿عَنها﴾ فلم يُؤمنوا بها ﴿لا تُفَتَّحُ[1] لَهُم أبوابُ السَّماءِ﴾ إذا عُرِج بأرواحهم إليها بعد الموت، فيُهبَط بها إلى سِجّين، بخِلاف المؤمن فيُفتّح له ويُصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث[2]، ﴿ولا يَدخُلُونَ الجَنَّةَ، حَتَّى يَلِجَ﴾: يدخلَ ﴿الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ﴾: ثَقب الإبرة. وهو غير مُمكن، فكذا دُخولهم ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿نَجزِي المُجرِمِينَ﴾ بالكُفر ـ (٤١) ـ ﴿لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهادٌ﴾: فِراش ﴿ومِن فَوقِهِم غَواشٍ﴾: أغطيةٌ من النار، جمع غاشية، وتنوينه عِوض من الياء المحذوفة. ﴿وكَذلِكَ نَجزِي الظّالِمِينَ﴾.

(٤٢) ـ (٤٣) ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾: مبتدأ ـ وقولُه ﴿لا نُكَلِّفُ نَفسًا إلّا وُسعَها﴾: طاقتها من العمل: اعتراض بينه وبين خبره ـ وهو ﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ، ونَزَعْنا ما في صُدُورِهِم مِن غِلٍّ﴾: حِقد كان بينهم في الدُّنيا، ﴿تَجرِي مِن تَحتِهِمِ﴾: تحتِ قُصورهم ﴿الأنهارُ، وقالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم: ﴿الحَمدُ للهِ الَّذِي هَدانا لِهذا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه، ﴿وما كُنّا لِنَهتَدِيَ، لَولا أنْ هَدانا اللهُ﴾ ـ حُذف جواب «لولا» لدلالة ما قبله عليه ـ ﴿لَقَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ. ونُودُوا أنْ﴾ ـ مُخففة أي: أنّه، أو مُفسِّرة، في المواضع الخمسة ـ ﴿تِلكُمُ الجَنّةُ أُورِثتُمُوها[3] بما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾.

﴿ادّاركوا فيها﴾: تلاحقوا في النّارِ واجتمعوا فيها. ﴿أخراهم﴾: منزلةً وهمُ الأتباعُ والسّفلةُ. ﴿لأولاهم﴾: منزلةً وهمُ القادةُ والرُّؤساءُ. ﴿عذاباً ضِعفاً﴾: مضاعفاً مزيداً. ﴿يلِج الجمل﴾: يدخلَ الجملُ. ﴿سمّ الخياط﴾: ثقبِ الإبرةِ. ﴿مِهادٌ﴾: فراشٌ،أي مُستقرٌّ. ﴿غواش﴾: أغطيةٌ كاللُّحُفِ. ﴿وُسعها﴾: طاقتَها وما تقدرُ عليه. ﴿غِلٍ﴾: حقدٍ وضغنٍ وعداوةٍ.

---

(١) أي: لأدعيَتِهم وأعمالِهم وأرواحِهِم، والتّاء في ﴿تُفَتَّحُ﴾ لتأنيثِ الأبوابِ، والتّشديدُ لكثرتِهَا. (الجمالين).

(٢) ابن ماجه (٤٢٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٥٠): إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) سمَّاها مِيراثاً؛ لأنّها لا تُستحَقُّ بالعَمَلِ، بل هي محض فضلِ اللهِ. (الجمالين).

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا
رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا
حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ
أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾
۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا
مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم
بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ
لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ
إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا
وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ - ﴿**ونادَى أصحابُ الجَنّةِ أصحابَ النّارِ**﴾ تقريرًا وتبكيتًا: ﴿**أنْ قَد وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا**﴾ من الثواب ﴿**حَقًّا. فهَل وَجَدتُم ما وَعَدَ**﴾ كم ﴿**رُبُّكُم**﴾ من العذاب ﴿**حَقًّا؟ قالُوا: نَعَمْ. فأذَّنَ مُؤَذِّنٌ**﴾: نادى مُنادٍ ﴿**بَينَهُم**﴾: بين الفريقين أسمعهم: ﴿**أنْ لَعْنَةُ اللهِ علَى الظّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ**﴾ الناس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِينه، ﴿**ويَبغُونَها**﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿**عِوَجًا**﴾: مُعْوَجّة، ﴿**وهُم بالآخِرةِ كافِرُونَ**﴾.

نصف الحزب ١٦

﴿٤٦﴾ - ﴿**وبَينَهُما**﴾ أي: أصحابِ الجنّة والنار ﴿**حِجابٌ**﴾: حاجز - قيل: هـو سُـور الأعراف - ﴿**وعلَى الأعرافِ**﴾ وهو سُور الجنّة ﴿**رِجالٌ**﴾ استوت حسناتهم وسيّئاتهم كما في الحديث[1]، ﴿**يَعرِفُونَ كُلًّا**﴾ من أهل الجنّة والنار ﴿**بِسِيماهُم**﴾: بعلامتهم - وهي بياض الوُجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين، لرُؤيتهم لهم إذ موضعُهم عالٍ - ﴿**ونادَوا أصحابَ الجَنّةِ: أنْ سَلامٌ علَيكُم**﴾. قال تعالى: ﴿**لَم يَدخُلُوها**﴾ أي: أصحابُ الأعراف الجنّةَ، ﴿**وهُم يَطمَعُونَ**﴾ في دُخولها. قال الحسن: لم يُطمِعهم إلّا لكرامةٍ يُريدها بهم[2]. وروى الحاكم عن حُذيفةَ، قال: «بَينَما هُم كَذلِكَ إذ طَلَعَ علَيهِم رَبُّكَ، فقالَ: قُومُوا ادخُلُوا الجَنّةَ. فقَد غَفَرتُ لَكُم»[3].

﴿٤٧﴾ - ﴿**وإذا صُرِفَت أبصارُهُم**﴾ أي: أصحابِ الأعراف ﴿**تِلقاءَ**﴾: جِهةَ ﴿**أصحابِ النّارِ قالُوا: رَبَّنا، لا تَجعَلْنا**﴾ في النار ﴿**مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ**﴾.

﴿٤٨﴾ - ﴿**ونادَى أصحابُ الأعرافِ رِجالًا**﴾ مـن أصحـاب النـار، ﴿**يَعرِفُونَهُم بِسِيماهُم، قالُوا: ما أغنَى عَنكُم**﴾ من النار ﴿**جَمعُكُم**﴾ المالَ أو كثرتُكم ﴿**وما كُنتُم تَستَكبِرُونَ**﴾ أي: واستبكارُكم عن الإيمان؟ ويقولون لهم، مشيرين إلى ضُعفاء المسلمين: ﴿٤٩﴾ - ﴿**أهؤُلاءِ الَّذِينَ أقسَمتُم لا يَنالُهُمُ اللهُ بِرَحمةٍ**﴾؟ قد قيل لهم: ﴿**ادخُلُوا الجَنّةَ، لا خَوفٌ علَيكُم ولا أنتُم تَحزَنُونَ**﴾. وقُرئ: «أُدْخِلُوا» بالبناء للمفعول، «ودَخَلُوا». فجُملة النفي حال أي: مقولاً لهم ذلك.

﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ - ﴿**ونادَى أصحابُ النّارِ أصحابَ الجَنّةِ: أنْ أفِيضُوا علَينا مِنَ الماءِ أو مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ**﴾ من الطعام ﴿**قالُوا: إنَّ اللهَ حَرَّمَهُما**﴾: منعهما ﴿**علَى الكافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَهوًا ولَعِبًا، وغَرَّتهُمُ الحَياةُ الدُّنيا. فاليَومَ نَنساهُم**﴾: نتركهم في النار ﴿**كَما نَسُوا لِقاءَ يَومِهِم هذا**﴾ بتركهم العملَ له، ﴿**وما كانُوا بآياتِنا يَجحَدُونَ**﴾ أي: وكما جحدوا.

﴿فأذّنَ مؤذّنٌ﴾: أعلمَ معلمٌ ونادى منادٍ. ﴿يبغونها عوجاً﴾: يطلبونَها معوجّةً أو ذاتَ اعوجاجٍ. ﴿بينهما حجابٌ﴾: حاجزٌ. وهوَ سورٌ بينَهُما. ﴿الأعراف﴾: أعالي هذا السُّورِ وشرفاتِهِ. ﴿بسيماهم﴾: بعلامتِهِمُ المُميزةِ لهُم. ﴿أفيضوا علينا﴾: صُبُّوا أو ألقُوا علينا. ﴿غرتهم الحياة الدنيا﴾: خدعَتْهُم بزخارفِها وزينتِها. ﴿ننساهم﴾: نتركُهُم في العذابِ كالمنسيِّينَ. ﴿وما كانوا..﴾: وكما كانوا...

(١) لم أجده مرفوعاً، ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٧٢)، وعبد الرزاق (٩٠٥)، والطبري (١٠/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٥)، من قول ابن عباس رضي الله عنهما. وابن المبارك في «الزهد» (١٣٧٠)، والطبري (١٠/ ٢١٣)، من قول حذيفة رضي الله عنه. والطبري (١٠/ ٢١٣) من قول ابن مسعود رضي الله عنه. وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٥)، من قول أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) عبد الرزاق (٩٠٧)، والطبري (١٠/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٨).

(٣) برقم (٣٢٤٧) وصححه، ورواه أيضاً الطبري (١٠/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٨٥).

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ
فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى
كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ
يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ
بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢ ـ ﴿**ولَقَد جِئناهُم**﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿**بِكِتابٍ**﴾: قرآنٍ، ﴿**فَصَّلْناهُ**﴾ بيّنّاه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿**على عِلمٍ**﴾: حالٌ، أي: عالمين بما فُصِّل فيه، ﴿**هُدًى**﴾: حال من الهاء ﴿**ورَحمةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ**﴾ به. ٥٣ ـ ﴿**هَل يَنظُرُونَ**﴾: ما ينتظرون ﴿**إلّا تأويلَهُ**﴾: عاقبةَ ما فيه؟ ﴿**يَومَ يأتِي تأويلُهُ**﴾، هو يوم القِيامة، ﴿**يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ**﴾: تركوا الإيمان به: ﴿**قَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ. فهَل لَنا مِن شُفَعاءَ فَيَشفَعُوا لَنا، أو**﴾ هل ﴿**نُرَدُّ**﴾ إلى الدُّنيا ﴿**فنَعمَلَ غَيرَ الَّذِي كُنّا نَعمَلُ**﴾: نوحّدَ الله ونتركَ الشركَ؟ فيقال لهم: لا. قال الله تعالى: ﴿**قَد خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾ إذ صاروا إلى الهلاك، ﴿**وضَلَّ**﴾: ذهب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ من دعوى الشريك.

٥٤ ـ ﴿**إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ**﴾ من أيّام الدُّنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس ـ ولو شاء خلقهنّ في لمحة، والعدولُ عنه لتعليم خلقه التثبُّت ـ ﴿**ثُمَّ استَوى علَى العَرشِ**﴾ هو في اللغة: سرير المُلك، استواءً يليق به، ﴿**يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ**﴾، مُخفَّفًا ومُشدَّدًا، أي: يُغطّي كُلًّا منهما بالآخر، ﴿**يَطلُبُهُ**﴾: يطلب كُلٌّ منهما الآخرَ طلبًا ﴿**حَثِيثًا**﴾: سريعًا ـ ﴿**والشَّمسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ**﴾، بالنصبِ عطفًا على «السّماواتِ»، والرفعِ مبتدأ خبرُه ﴿**مُسَخَّراتٍ**﴾: مُذلَّلاتٍ ﴿**بِأمرِهِ**﴾: بقُدرته. ﴿**ألا لَهُ الخَلقُ**﴾ جميعًا ﴿**والأمرُ**﴾ كُلّه. ﴿**تَبارَكَ**﴾: تعظّمَ ﴿**اللهُ رَبُّ**﴾: مالكُ ﴿**العالَمِينَ**﴾!

٥٥ ـ ﴿**ادعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا**﴾: حالٌ تذلُّلاً ﴿**وخُفيَةً**﴾: سِرًّا ـ ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ المُعتَدِينَ**﴾ في الدُّعاء بالتشدّق ورفع الصوت ـ ٥٦ ـ ﴿**ولا تُفسِدُوا في الأرضِ**﴾ بالشِّرك والمعاصي ﴿**بَعدَ إصلاحِها**﴾ ببعث الرسل، ﴿**وادعُوهُ خَوفًا**﴾ من عِقابه ﴿**وطَمَعًا**﴾ في رحمته. ﴿**إنَّ رَحمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحسِنِينَ**﴾: المُطيعين. وتذكير «قريب» المخبَرِ به عن «رحمة» لإضافتها إلى «الله».

٥٧ ـ ﴿**وهُوَ الَّذِي يُرسِلُ الرِّياحَ نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحمَتِهِ**﴾ أي: مُتفرّقةً قُدّامَ المطر. وفي قراءة بسكون الشين تخفيفًا، وفي أُخرى بسكونها وفتح النون: مصدرًا، وفي أُخرى بسكونها وضمّ المُوحّدة بدلَ النون، أي: مبشِّراتٍ. ومُفرد الأُولى: نَشُورٌ كرَسُول، والأخيرة: بَشِيرٌ. ﴿**حَتّى إذا أقَلَّتْ**﴾: حملتِ الرياحُ ﴿**سَحابًا ثِقالاً**﴾ بالمطر ﴿**سُقناهُ**﴾ أي: السحابَ ـ وفيه التفات عن الغيبة ـ ﴿**لِبَلَدٍ مَيِّتٍ**﴾: لا نبات به أي: لإحيائه، ﴿**فأنزَلنا بِهِ**﴾: بالبلد ﴿**الماءَ، فأخرَجنا بِهِ**﴾: بالماء ﴿**مِن كُلِّ الثَّمَراتِ ـ كَذلِكَ**﴾ الإخراجَ ﴿**نُخرِجُ المَوتَى**﴾ من قُبورهم بالإحياء، ﴿**لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ فتؤمنون ـ ....

﴿تأويله﴾: عاقبةُ مواعيدِ الكتابِ (القرآنِ) ومآلَها مِنَ البعثِ والحسابِ والجزاءِ. ﴿يفترون﴾: يكذبونَه مِنَ الشُّركاءِ وشفاعتِهم. ﴿استوى على العرش﴾: استواءً بالمعنى اللّائقِ بهِ سبحانَهُ. ﴿يُغشي الليل النهار﴾: يُغطّي النَّهارَ باللَّيلِ فيذهبُ ضوءُهُ. ﴿يطلبه حثيثاً﴾: يطلبُ اللَّيلُ النَّهارَ طلباً سريعاً. ﴿له الخلقُ﴾: إيجادُ جميعِ الأشياءِ مِنَ العدمِ. ﴿الأمرُ﴾: التَّدبيرُ والتَّصرُّفُ فيها كما يشاءُ. ﴿تبارك الله﴾: تنزَّهَ أو تعظَّمَ أو كثُرَ خيرُهُ. ﴿ادعوا ربكم﴾: اسألوهُ واطلبوا منهُ حوائجَكُم. ﴿تضرعاً﴾: مُظهرينَ الضَّراعةَ والذِّلَّةَ والاستكانةَ والخشوعَ. ﴿خُفية﴾: سرّاً في قلوبِكُم. ﴿رحمة الله﴾: إحسانُهُ وإنعامُهُ أو ثوابُهُ. ﴿بشراً﴾: مُبشِّراتٍ برحمتِهِ وهيَ الغيثُ. ﴿أقلت سحاباً﴾: حملَتْهُ ورفعَتْهُ. ﴿ثقالاً﴾: مُثقلةً بحملِ الماءِ. ﴿لبلدٍ ميت﴾: مُجدبٍ لا ماءَ فيهِ ولا نباتَ.

وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ
إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨
لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩
قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ
لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١
أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ
٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤ ۞ وَإِلَىٰ
عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ
إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦
قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧

٥٨ ـ ﴿**والبَلَدُ الطيِّبُ**﴾: العذبُ التراب ﴿**يَخرُجُ نباتُهُ**﴾ حسنًا ﴿**بِإذنِ رَبِّه**﴾ ـ هذا مَثَلُ المُؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ـ ﴿**والَّذي خَبُثَ**﴾ ترابُه ﴿**لا يَخرُجُ**﴾ نباتُه ﴿**إلّا نَكِدًا**﴾: عسِرًا[١] بمشقّة وهذا مَثَلُ الكافر. ﴿**كَذلِكَ**﴾: كما بيّنّا ما ذُكر، ﴿**نُصَرِّفُ**﴾: نُبيّنُ ﴿**الآياتِ لِقَومٍ يَشكُرُونَ**﴾ الله فيؤمنون.

٥٩ ـ ﴿**لَقَد**﴾ ـ جوابُ قسم محذوف ـ ﴿**أرسَلْنا نوحًا إلى قومِهِ، فقالَ: يا قَومِ اعبُدُوا اللهَ. مالكُم مِن إلٰـهٍ غيرِهِ**﴾. بالجرّ صفةٌ لِـ «إلٰـهٍ»، والرفع بدلٌ من محلّه. ﴿**إنّي أخافُ عليكُم**﴾ ـ إن عبدتم غيره ـ ﴿**عَذابَ يومٍ عَظِيمٍ**﴾ هو يوم القيامة.

٦٠ ـ ﴿**قالَ المَلأُ**﴾: الأشراف ﴿**مِن قَومِهِ: إنّا لَنَراكَ في ضَلالٍ مُبينٍ**﴾: بيّن. ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ﴿**قالَ: يا قومِ، لَيسَ بِي ضَلالةٌ**﴾ ـ هي أعمّ من الضلال، فنفيُها أبلغ من نفيه ـ ﴿**ولكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ، أُبلِغُكُم**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**رِسالاتِ رَبِّي، وأنصَحُ**﴾: أُريد الخيرَ ﴿**لَكُم، وأعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تعلَمُونَ. أ**﴾ كذّبتم ﴿**وَعَجِبتُم أن جاءَكُم ذِكرٌ**﴾: موعظة ﴿**مِن رَبِّكُم على**﴾ لسان ﴿**رَجُلٍ مِنكُم لِيُنذِرَكُم**﴾ العذابَ إن لم تؤمنوا، ﴿**ولِتَتَّقُوا**﴾ اللهَ، ﴿**ولَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾ بها؟

٦٤ ـ ﴿**فكَذَّبُوهُ، فأنجَيناهُ والَّذِينَ مَعَهُ**﴾ من الغرق[٢] ﴿**في الفُلْكِ**﴾: السفينة، ﴿**وأغرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا**﴾ بالطوفان. ﴿**إنَّهُم كانُوا قَومًا عَمِينَ**﴾[٣] عن الحقّ.

٦٥ ـ ﴿**و**﴾ أرسلنا ﴿**إلى عادٍ**﴾ الأُولى ﴿**أخاهُم**﴾[٤] **هُودًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ**﴾: وحِّدوه. ﴿**مالكُم مِن إلٰـهٍ غَيرُهُ. أفلا تَتَّقُونَ**﴾: تخافونه، فتؤمنون؟ ٦٦ ـ ﴿**قالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ: إنّا لَنَراكَ في سَفاهةٍ**﴾: جهالة[٥]، ﴿**وإنّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبِينَ**﴾ في رسالتك.

٦٧ ـ ﴿**قالَ: يا قَومِ، لَيسَ بِي سَفاهةٌ، ولكِنِّي رَسُولٌ**[٦] **مِن رَبِّ العالَمِينَ،**﴾.

﴿نكداً﴾: عسراً أو قليلاً لا خيرَ فيه. ﴿نصرِّف الآيات﴾: نكرِّرُها بأساليبَ مُختلفةٍ. ﴿قال الملأ﴾: السَّادةُ والرُّؤساءُ. ﴿أنصح لكم﴾: أتحرَّى ما فيه صلاحُكُم قولاً وفعلاً. ﴿قوماً عمين﴾: عُميَ القلوبِ عنِ الحقِّ والإيمانِ. ﴿سفاهة﴾: خفَّةُ عقلٍ وضلالةٌ عنِ الحقِّ.

(١) أي: بطيئاً أو قليلًا عديمَ النَّفعِ، ونصبُه على الحالِ. (الجمالين).

(٢) الأصحُّ أنّهم ثمانونَ، رواهُ ابنُ أبي حاتمٍ عن ابنِ عبّاسٍ. (الجمالين).

(٣) أي: عُمْيَ القُلوبِ عن معرفةِ اللهِ غيرَ مُستعبِرينَ، وأصلُه: عَميِينَ، فخُفِّفَ. (الجمالين).

(٤) يعني: ﴿أَخَاهُم﴾ عطفٌ على: ﴿نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾، و(﴿هُوداً﴾) عطفُ بيانٍ لـ﴿أَخَاهُم﴾ والمرادُ به: الواحدُ منهم؛ كقولِهِم: يا أخا العربِ، أو في النَّسبِ. (الجمالين).

(٥) أي: متمكِّناً راسِخاً فيها، فالظَّرفُ وقعَ حالاً. (الجمالين).

(٦) أي: كامِلُ العَقلِ لأنّي رسُولٌ. (الجمالين).

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن
جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ
أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ
ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(٦٨) ـ ﴿**أُبَلِّغُكُم رِسالاتِ رَبِّي، وأنا لكُم ناصِحٌ أمِينٌ**﴾: مأمون على الرسالة

(٦٩) ـ ﴿**أوَعَجِبتُم أن جاءَكُم ذِكرٌ مِن رَبِّكُم على**﴾ لسان ﴿**رَجُلٍ مِنكُم لِيُنذِرَكُم؟ واذكُرُوا إذْ جَعَلَكُم خُلَفاءَ**﴾ في الأرض ﴿**مِن بَعدِ قَومِ نُوحٍ، وزادَكُم في الخَلْقِ بَسْطةً**﴾: قوّة وطولاً. وكان طويلُهم مِائَةَ ذراع وقصيرُهم ستّين. ﴿**فاذكُرُوا آلاءَ اللهِ**﴾: نِعَمه، ﴿**لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾: تفوزون.

(٧٠) ـ ﴿**قالُوا: أجِئتَنا لِنَعبُدَ اللهَ وَحدَهُ، ونَذَرَ**﴾: نترك ﴿**ما كانَ يَعبُدُ آباؤُنا؟ فائتِنا بِما تَعِدُنا**﴾ به من العذاب، ﴿**إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ في قولك.

(٧١) ـ ﴿**قالَ: قَد وَقَعَ**﴾: وجب[1] ﴿**عليكُم مِن رَبِّكُم رِجْسٌ**﴾: عذاب ﴿**وغَضَبٌ. أتُجادِلُونَنِي في أسماءٍ، سَمَّيتُمُوها**﴾ أي: سمّيتم بها[2] ﴿**أنتُم وآباؤُكُم**﴾ أصنامًا[3] تعبدونها، ﴿**ما نَزَّلَ اللهُ بِها**﴾ أي: بعبادتها ﴿**مِن سُلطانٍ**﴾: حُجّة وبُرهان؟ ﴿**فانتَظِرُوا**﴾ العذاب. ﴿**إنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ**﴾ ذلك بتكذيبكم لي. فأُرسِلتْ عليهم الريحُ العَقيم.

(٧٢) ـ ﴿**فأنجَيناهُ**﴾ أي: هودًا ﴿**والَّذِينَ مَعَهُ**﴾ من المُؤمنين ﴿**بِرَحْمةٍ مِنّا، وقَطَعْنا دابِرَ**﴾ القوم ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا**﴾ أي: استأصلناهم، ﴿**وما كانُوا مُؤمِنِينَ**﴾: عطفٌ على «كذّبوا». (٧٣) ـ ﴿**و**﴾ أرسلنا ﴿**إلَى ثَمُودَ**﴾، بترك الصرف مُرادًا به القبيلةُ، ﴿**أخاهُم صالِحًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ. ما لكُم مِن إلٰهٍ غَيرُهُ. قَد جاءَتكُم بَيِّنةٌ**﴾: مُعجزة[4] ﴿**مِن رَبِّكُم**﴾ على صدقي. ﴿**هٰذِهِ ناقةُ اللهِ**[5] **لكُم آيةً**﴾: حالٌ عاملها معنى الإشارة ـ وكانوا سألوه أن يُخرجها لهم من صخرة عيّنوها ـ ﴿**فذَرُوها، تَأكُلْ في أرضِ اللهِ، ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ**﴾: بعقر أو ضرب[6]، ﴿**فيأخُذَكُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾.

﴿بسطة﴾: قوّةً وعِظَمَ أجسامٍ. ﴿آلاء الله﴾: نعمَهُ وفضلَهُ الكثيرَ. ﴿رجسٌ﴾: عذابٌ. أو رينٌ على القلوبِ. ﴿غضبٌ﴾: لعنٌ وطردٌ أو سُخطٌ على القلوب. ﴿قطعنا دابر..﴾: أهلكْنا آخرَ.. والمرادُ الجميعُ. ﴿ناقةُ الله﴾: خلقَها اللهُ مِن صخرٍ لا مِن أبوَينِ. ﴿آية﴾: معجزةً دالّةً على صدقي.

(١) أو حقَّ عليكُم، أو نزَلَ عليكُم، على أنَّ المتوقَّعَ كالواقعِ. (الجمالين).

(٢) أو في أشياءَ سمَّيتُموهَا آلهةً وليسَ فيها معنَى الإلهيَّةِ، فما هي إلاَّ من موضُوعاتِكم ومخترَعاتِكم، أو ما هي إلاَّ أسماءٌ أحدثتُمُوها، وليسَ تحتها مسمَّياتٌ. (الجمالين).

(٣) مفعولُ: ﴿سَمَّيتُم﴾. (الجمالين).

(٤) ظاهرةُ الدَّلالةِ. (الجمالين).

(٥) استئنافٌ لبيَانِها، وإضافةُ النَّاقةِ إلى اللهِ لتعظِيمِها، ولأنَّها جاءَتْ من عندِه بلا وسائطَ وأسبابٍ معهُودةٍ، فإنَّها خرجَتْ من الصَّخرةِ يومَ عيدٍ بمحضَرِهم حينَ سألوا تلكَ المعجزةَ، وعَهِدوا أن يؤمنُوا بِهِ بعدَما تظهرُ، ولذلك كانت آيةً. (الجمالين).

(٦) أو طَردٍ أو أذًى. (الجمالين).

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ
ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن
قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ
مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ
أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ
جَٰثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
٧٩ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١

(٧٤) ـ ﴿**واذكُروا إذْ جعَلَكُم خُلَفاءَ**﴾ في الأرض ﴿**مِن بَعدِ عادٍ، وبَوّأَكُم**﴾: أسكنكم ﴿**في الأرضِ، تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِها قُصُورًا**﴾ تسكنونها في الصيف، ﴿**وتَنحِتُونَ الجِبالَ بُيُوتًا**﴾ تسكنونها في الشتاء. ونصبُه على الحال المُقدَّرة. ﴿**فاذكُروا آلاءَ اللهِ، ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ**﴾.

(٧٥) ـ (٧٦) ـ ﴿**قالَ المَلأُ الَّذِينَ استكبَرُوا مِن قَومِهِ**﴾: تكبّروا عن الإيمانِ به ﴿**لِلَّذِينَ استُضعِفُوا لِمَن آمَنَ مِنهُم**﴾ أي: من قومه، بدل ممّا قبله[1] بإعادة الجارّ: ﴿**أتعلَمُونَ أنَّ صالِحًا مُرسَلٌ مِن رَبِّهِ**﴾ إليكم؟ ﴿**قالُوا**﴾: نعم[2] ﴿**إنّا بِما أُرسِلَ بِهِ مُؤمِنُونَ. قالَ الَّذِينَ استكبَرُوا: إنّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كافِرُونَ**﴾.

وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فملّوا ذلك، (٧٧) ـ ﴿**فعَقَرُوا النّاقةَ**﴾ عقَرَها قُدارٌ[3] بأمرهم بأن قتلها بالسيف، ﴿**وعَتَوا عَن أمرِ رَبِّهِم، وقالُوا: يا صالِحُ، ائتِنا بِما تَعِدُنا**﴾ به من العذاب على قتلها، ﴿**إن كُنتَ مِنَ المُرسَلِينَ**﴾.

(٧٨) ـ ﴿**فأخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ**﴾: الزلزلةُ الشديدة من الأرض والصيحةُ من السماء[4]، ﴿**فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ**﴾: باركين على الرُّكب ميّتين[5]، (٧٩) ـ ﴿**فتَوَلّى**﴾: أعرَضَ صالح ﴿**عَنهُم، وقالَ: يا قَومِ، لَقَد أبلَغتُكُم رِسالةَ رَبِّي، ونَصَحتُ لَكُم، ولكِنْ لا تُحِبُّونَ النّاصِحِينَ**﴾.

(٨٠) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**لُوطًا**﴾، ويُبدل منه ﴿**إذْ قالَ لِقَومِهِ: أتأتُونَ الفاحِشَةَ**﴾ أي: أدبارَ الرجال، ﴿**ما سَبَقَكُم بِها مِن أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ**﴾ الإنس والجنّ؟ (٨١) ـ ﴿**أإنَّكُم**﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ الألف بينهما على الوجهين ـ ﴿**لَتأتُونَ الرِّجالَ شَهوةً مِن دُونِ النِّساءِ؟ بَل أنتُم قَومٌ مُسرِفُونَ**﴾: متجاوزون الحلالَ إلى الحرام.

﴿بوّأكم﴾: أسكنكُم وأنزلَكُم. ﴿في الأرض﴾: أرضِ الحجرِ بين الحجازِ والشّام. ﴿آلاء الله﴾: نعمَهُ وإحساناتِهِ. ﴿لا تعثوا﴾: لا تفسدوا إفساداً شديداً. ﴿عتوا﴾: استكبروا. ﴿الرّجفة﴾: الزّلزلةُ الشّديدةُ. أوِ الصَّيحةُ. ﴿جاثمين﴾: هامدينَ موتى لا حراكَ بهم.

(١) أي: من ﴿قومِهِ﴾ أو من ﴿الَّذينَ﴾ بدلُ الكلِّ على الأوَّلِ، وبدلُ البعضِ على الثَّاني، فإنَّ المستضعَفينَ كثيرُونَ، والمؤمنُونَ أربعةُ آلافٍ. (الجمالين).

(٢) يعني: عدَلُوا به عن الجَوابِ السَّوي الذي هو: نعَم، تَنبيهاً على أنَّ إرسالَهُ أظهَرُ من أن يشكَّ فيهِ عاقِلٌ، وإنَّما الكلامُ فيمن آمَنَ ومن كفَرَ ونحن مؤمنُونَ. (الجمالين).

(٣) أسندَ إلى جميعِهم فعلَ بعضِهم للمُلابَسَةِ، أو لأنَّهُ كانَ برضاهُم أو بأمرِهم، وقولُه تعالى: ﴿وعَتَوا﴾ أي: عن قَبُولِ أمرِ ربِّهم واستكبَروا عن امتثالِه، وهو ما بلَّغهُم صالحٌ بقولِهِ: ﴿فذَرُوهَا﴾. (الجمالين).

(٤) فتقطَّعَتْ قُلوبُهم في صُدورِهم، هكذا ذكرَهُ علَماءُ التَّفسيرِ فلا مُنافَاةَ بين هذا وبينَ ما وقعَ في موضِعٍ آخرَ: ﴿فأَخذَتهُمُ الصَّيحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣]؛ لأنَّ في عذابِهم رجفَةً وصيحَةً فبيَّنَ في كُلِّ موضِعٍ شَيئاً. (الجمالين).

(٥) قيل: سقَطوا على وجوهِهم موتَى عن آخرِهم. (الجمالين).

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ
فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا
تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ
إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ
ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ
حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿٨٢﴾ - ﴿وما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلّا أن قالُوا: أخرِجُوهُم﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿مِن قَرْيتِكُم. إنَّهُم أُناسٌ يَتطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال. ﴿٨٣﴾ - ﴿فأنجَيناهُ وأهلَهُ إلّا امرأتَهُ، كانَتْ مِنَ الغابِرينَ﴾: الباقين في العذاب، ﴿٨٤﴾ - ﴿وأمطَرْنا علَيهِم مَطَرًا﴾ هو حِجارة[١] السِّجّيل فأهلكتهم. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُجرِمينَ﴾؟

﴿٨٥﴾ - ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيبًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ. ما لَكُم مِن إلٰهٍ غَيرُهُ. قَد جاءَتكُم بَيِّنَةٌ﴾: مُعجزة ﴿مِن رَبِّكُم﴾ على صِدقي. ﴿فأَوفُوا﴾: أتمُّوا ﴿الكَيلَ والمِيزانَ، ولا تَبخَسُوا﴾: تَنقصوا[٢] ﴿النّاسَ أشياءَهُم، ولا تُفسِدُوا في الأرضِ﴾ بالكُفر والمعاصي ﴿بَعدَ إصلاحِها﴾ ببعث الرُّسل - ﴿ذلِكُم﴾ المذكور[٣] ﴿خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ مُريدي الإيمان فبادروا إليه - ﴿٨٦﴾ - ﴿ولا تَقعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ﴾: طريق، ﴿تُوعِدُونَ﴾: تُخوّفونَ الناس بأخذ ثيابهم أو المَكس منهم، ﴿وتَصُدُّونَ﴾: تَصرِفون ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينه ﴿مَن آمَنَ بِهِ﴾ بتوعّدكم إياه بالقتل، ﴿وتَبغُونَها﴾: تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ مُعْوَجّة[٤]، ﴿واذكُرُوا إذْ كُنتُم قَلِيلًا فكَثَّرَكُم، وانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلَهم، أي: آخرُ أمرهم من الهلاك[٥]؟ ﴿٨٧﴾ - ﴿وإن كانَ طائفةٌ مِنكُم آمَنُوا بالَّذِي أُرسِلْتُ بِهِ وطائفةٌ لَم يُؤمِنُوا﴾ به ﴿فاصبِرُوا﴾: انتظروا، ﴿حَتَّى يَحكُمَ اللهُ بَينَنا﴾ وبينكم بإنجاءِ المُحقِّ[٦] وإهلاك المُبطل، ﴿وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ﴾: أعدلُهم[٧].

﴿يتطهّرون﴾: يدّعونَ الطَّهارةَ ممَّا نأتي. ﴿الغابرين﴾: الباقينَ في العذابِ كأمثالِها. ﴿لا تبخسوا﴾: لا تنقصوا. ﴿صراط﴾: طريق. ﴿تبغونها عوجاً﴾: تطلبونَها معوجَّةً أو ذاتَ اعوجاجٍ.

(١) أي: نَوعاً من المطرِ عَجيباً، وهو مبيَّنٌ بقولِه تعالى: ﴿وأمطَرْنا علَيهِم حِجارةً من سِجِّيل﴾ [الحجر: ٧٤] وهو طينٌ طبِخَ بالنّارِ. (الجمالين).

(٢) أي: حقوقَهُم، وإنَّما قالَ (﴿أشياءَهُم﴾) للتَّعميمِ تنبيهاً على أنَّهُم كانوا يبخَسونَ الجليلَ والحَقيرَ والقليلَ والكثيرَ، وقيل: كانُوا مكّاسِينَ لا يدعُونَ شيئاً إلا مكسُوهُ. (الجمالين).

(٣) من العَمَلِ بما أمرَهُم به ونهاهُم عنه. ومعنَى: «الخَيريَّة» إمَّا الزِّيادةُ مطلَقاً، أو في الإنسانيَّةِ، وحُسنِ الثَّناءِ وجمعِ المالِ؛ أي: خيرٌ لكُم في الدَّارَينِ مَنالًا ومآلًا إن كنتُم مصدِّقينَ بمآلي. (الجمالين).

(٤) أي: تطلبُونَ لسَبيلِ اللهِ عوَجاً بوَصفِها للنَّاسِ بأنَّها معوَجَّةٌ أو عوَجاً بإلقاءِ الشُّبَهِ، قَال تعالى: ﴿قَليلاً﴾ أي: في العدَدِ والعُدَد. (الجمالين).

(٥) واعتبِرُوا بهم. (الجمالين).

(٦) فهو وَعدٌ للمُؤمنينَ ووعيدٌ للكافِرينَ. (الجمالين).

(٧) لا حَيفَ في حكمِهِ ولا مُعقِّبَ لقضائه. (الجمالين).

۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ
إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ
بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ
كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا
بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا
مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا
ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾

الجزء ٩ الحزب ١٧

٨٨ ـ ﴿**قالَ المَلأُ الَّذِينَ استكبَرُوا مِن قَومِهِ**﴾ عن الإيمان: ﴿**لَنُخرِجَنَّكَ ـ يا شُعَيبُ ـ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَريَتِنا، أو لَتَعُودُنَّ**﴾: تَرجِعُنّ ﴿**في مِلَّتِنا**﴾: ديننا وغَلّبوا في الخِطاب الجمعَ على الواحد لأنّ شُعيبًا لم يكن في مِلّتهم قطُّ.

وعلى نحوه أجاب، ﴿**قالَ: أ**﴾ نعود فيها، ﴿**وَلَو كُنّا كارِهِينَ**﴾ لها؟ استفهام إنكار. ٨٩ ـ ﴿**قَدِ افتَرَينا على اللهِ كَذِبًا، إنْ عُدْنا في مِلَّتِكُم بَعدَ إذْ نَجّانا اللهُ مِنها! وما يَكُونُ**﴾: ينبغي ﴿**لَنا أن نَعُودَ فِيها إلّا أن يَشاءَ اللهُ رَبُّنا**﴾ ذلك فيَخذُلَنا. ﴿**وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيءٍ عِلمًا**﴾ أي: وسع علمُه كُلّ شيء ومنه حالي وحالكم. ﴿**على اللهِ تَوَكَّلْنا. رَبَّنا، افتَحْ**﴾: احكم ﴿**بَينَنا وبَينَ قَومِنا بِالحَقِّ، وأنتَ خَيرُ الفاتِحِينَ**﴾: الحاكمين.

٩٠ ـ ٩١ ـ ﴿**وقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ**﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿**لَئِنِ**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**اتَّبَعْتُم شُعَيبًا إنَّكُم إذًا لَخاسِرُونَ. فأخَذَتهُمُ الرَّجْفَةُ**﴾: الزلزلة[1] الشديدة، ﴿**فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ**﴾: باركين على الركب ميّتين. ٩٢ ـ ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيبًا**﴾: مبتدأ خبرُه ﴿**كَأنْ**﴾ ـ مُخفّفةٌ واسمها محذوف ـ أي: كأنّهم ﴿**لَم يَغْنَوا**﴾: يُقيموا ﴿**فِيها**﴾: في ديارهم. ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيبًا كانُوا هُمُ الخاسِرِينَ**﴾ التأكيد بإعادة الموصولِ وغيره للردّ عليهم في قولهم السابق[2]. ٩٣ ـ ﴿**فتَوَلّى**﴾: أعرَضَ ﴿**عَنهُم، وقالَ: يا قَومِ، لَقَد أبلَغْتُكُم رِسالاتِ رَبِّي، ونَصَحْتُ لَكُم**﴾ فلم تُؤمنوا. ﴿**فكَيفَ آسَى**﴾: أحزنُ ﴿**على قَومٍ كافِرِينَ**﴾؟ استفهام بمعنى النفي.

٩٤ ـ ﴿**وما أرسَلْنا في قَرْيةٍ مِن نَبِيٍّ**﴾ فكذّبوه ﴿**إلّا أخَذْنا**﴾: عاقبنا ﴿**أهلَها بِالبأساءِ**﴾: شِدّةِ الفقر ﴿**والضَّرّاءِ**﴾: المرض، ﴿**لَعَلَّهُم يَضَّرَّعُونَ**﴾: يتذلّلون[3] فيُؤمنون، ٩٥ ـ ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنا**﴾: أعطيناهم ﴿**مَكانَ السَّيِّئةِ**﴾: العذابِ ﴿**الحَسَنةَ**﴾: الغِنى والصحّةَ، ﴿**حَتّى عَفَوا**﴾: كثُروا، ﴿**وقالُوا**﴾ كُفرًا للنعمة: ﴿**قَد مَسَّ آباءَنا الضَّرّاءُ والسَّرّاءُ**﴾ كما مسّنا. وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه. قال تعالى: ﴿**فأخَذْناهُم**﴾ بالعذاب ﴿**بَغْتةً**﴾: فجأة، ﴿**وهُم لا يَشعُرُونَ**﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿ربّنا افتح﴾: احكمْ واقضِ وافصلْ. ﴿لم يغْنَوْا فيها﴾: لم يقيموا ناعمينَ في دارِهِم. ﴿آسى﴾: أحزنُ. ﴿بالبأساء والضّراء﴾: الفقرِ والبؤسِ والسُّقمِ والألمِ. ﴿يضّرّعون﴾: يتذلّلونَ ويخضعونَ ويتوبون. ﴿بغتة﴾: فجأةً.

(١) وفي سورةِ الحجِّ: ﴿فَأَخَذَتهُم الصَّيحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] ولعلّها كانت من مبادئِها، وفي سورةِ الشُّعراءِ: ﴿عَذَابُ يَومِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩] أي: سحابةٌ فيها شررٌ من النّارِ ولهَبٌ، وهي كانت قبلَها فاجتمعَ عليهم أنواعٌ من العذابِ، أو عذابُ الظُّلَّةِ مختصٌّ بأصحابِ الأيكَةِ. (الجمالين).

(٢) ﴿لَئِنِ اتَّبَعتُم شُعَيباً إنَّكُم إذًا لخاسِرُون﴾ [الأعراف: ٩٠]؛ أي: هم الخاسِرُونَ دِيناً ودُنيا لا الذين اتّبعوهُ كما زعمُوا فإنَّهُم الرَّابحُونَ في الدَّارينِ. (الجمالين).

(٣) ويترُكُونَ الاستكبارَ عن الإيمانِ. (الجمالين).

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا
بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم
بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ
فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩ أَوَلَمۡ يَهۡدِ
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ
أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ
١٠٠ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن
قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١ وَمَا وَجَدۡنَا
لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢
ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٠٣
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤

(٩٦) ـ ﴿ولَو أنَّ أهلَ القُرَى﴾ المُكذِّبين ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورُسلهم ﴿واتَّقَوا﴾ الكُفرَ والمعاصي ﴿لَفَتَحْنا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿عليهِم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات، ﴿ولكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرُّسلَ، ﴿فأخَذْناهُم﴾: عاقبناهم ﴿بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾.

(٩٧) ـ ﴿أفأمِنَ أهلُ القُرَى﴾ المُكذّبون ﴿أن يأتِيَهُم بأسُنا﴾: عذابنا ﴿بَياتًا﴾: ليلاً، ﴿وهُم نائمُونَ﴾ غافلون عنه؟ (٩٨) ـ (٩٩) ـ ﴿أوَأمِنَ أهلُ القُرَى أن يأتِيَهُم بأسُنا ضُحًى﴾: نهارًا، ﴿وهُم يَلعَبُونَ؟ أفأمِنُوا مَكرَ اللهِ﴾: استدراجَه إيّاهم بالنعمة وأخْذَهم بغتةً؟ ﴿فلا يأمَنُ مَكرَ اللهِ إلّا القَومُ الخاسِرُونَ﴾.

(١٠٠) ـ ﴿أوَلَم يَهْدِ﴾: يتَبيَّنْ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأرضَ﴾ بالسُّكنى ﴿مِن بَعدِ﴾ هلاكِ ﴿أهلِها أنْ﴾ ـ فاعلٌ مُخفّفة واسمها محذوف ـ أي: أنّه ﴿لَو نَشاءُ أصَبْناهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِم﴾ كما أصبنا مَن قبلهم؟ والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأوّل عطفًا بـ«أوْ». ﴿و﴾ نحن ﴿نطبَعُ﴾: نَختِمُ ﴿علَى قُلُوبِهِم، فهُم لا يَسمَعُونَ﴾ الموعظةَ سماعَ تدبُّر.

(١٠١) ـ (١٠٢) ـ ﴿تِلكَ القُرَى﴾ التي مرَّ ذِكرها ﴿نَقُصُّ علَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿مِن أنبائها﴾: أخبارِ أهلها. ﴿ولَقَد جاءَتهُم رُسْلُهُم بِالبيِّناتِ﴾: المُعجزات الظاهرات، ﴿فما كانُوا لِيُؤمِنُوا﴾ عِند مجيئهم، ﴿بِما كَذَّبُوا﴾: كفروا به ﴿مِن قَبلُ﴾ قبلِ مجيئهم[1]، بل استمرّوا على الكُفر. ﴿كَذلِكَ﴾ الطبعِ ﴿يَطبَعُ اللهُ على قُلُوبِ الكافِرِينَ. وما وَجَدْنا لِأكثَرِهِم﴾ أي: أكثر الناس ﴿مِن عَهدٍ﴾ أي: وفاءٍ بعهدهم يوم أخذِ الميثاق، ﴿وإنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ ـ ﴿وَجَدْنا أكثَرَهُم لَفاسِقِينَ﴾[2].

(١٠٣) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِم﴾ أي: الرُّسلِ المذكورين ﴿مُوسَى بِآياتِنا﴾ التسع ﴿إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ﴾: قومِه، ﴿فظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿بِها. فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ﴾ بالكفر مِن إهلاكهم؟ (١٠٤) ـ ﴿وقالَ مُوسَى: يا فِرعَونُ، إنِّي رَسولٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾ إليكَ. فكذّبه، فقال: أنا

﴿لفتحنا عليهم﴾: ليسَّرْنا عليهِم أو تابعْنا عليهِم. ﴿يأتيهم بأسنا﴾: ينزلَ بهِم عذابُنا. ﴿بياتاً﴾: وقتَ بياتٍ أي ليلاً. ﴿مكر الله﴾: عقوبتَهُ. أوِ استدراجَهُ إيَّاهُم. ﴿لم يهدِ للذين يرثون﴾: لم يبيِّنِ اللهُ للَّذينَ آمنوا. ﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾: إصابتَنا إيَّاهُم لو شئْنا. ﴿نطبع﴾: نختمُ. ﴿من عهد﴾: مِن وفاءٍ بما أوصيْناهُم. ﴿فظلموا بها﴾: فكفروا بالآياتِ.

(١) أي: الباءُ للسَّببيَّة؛ يعني: كُفرُهُم السَّابقَ بسببِ كفرِهِم اللاَّحقِ، وعن بعضِ السَّلفِ: المرادُ: من قبلِ يومِ أخذِ الميثاقِ، فإنَّهم أقرُّوا باللِّسانِ وأضمَرُوا التَّكذيبَ، وهو قولُ الربيعِ بنِ أنسٍ والسُّدِّي وغيرِهما واختارَهُ ابنُ جريرٍ، أو المرادُ: قبلَ رُؤيتِهِم تلك المعجزَاتِ؛ يعنِي: بعدَ ما طبَعناهُم لا يمكِنُ لهم الإيمانُ بما جاءَهُم الرُّسلُ، فعلى هذا الباءُ صلَةٌ: ﴿يؤمنُوا﴾. (الجمالين).

(٢) أي: خارِجينَ عن طاعَتِنا واللاَّم فارِقَة، وعندَ الكوفيِّينَ ﴿إن﴾ للنَّفي واللام بمعنَى: إلاَّ. (الجمالين).

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
(١١٠) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
(١١٧) فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠)

(١٠٥) ـ ﴿حقيقٌ﴾: جدير ﴿على أن﴾ أي: بأن ﴿لا أقولَ على اللهِ إلّا الحقَّ﴾. وفي قراءة بتشديد الياء ـ فحقيق: مبتدأ خبره «أن» وما بعده ـ ﴿قَد جِئتُكُم بِبيِّنةٍ مِن رَبِّكُم. فأرسِلْ مَعِي﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾. وكان استعبدَهم.

(١٠٦) ـ ﴿قالَ﴾ فرعون له: ﴿إن كُنتَ جِئتَ بآيةٍ﴾ على دعواك ﴿فائتِ بها، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ فيها. (١٠٧) ـ ﴿فألقَى عَصاهُ، فإذا هِيَ ثُعبانٌ مُبِينٌ﴾: حيّة عظيمة، (١٠٨) ـ ﴿ونَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرجها من جيبه، ﴿فإذا هِيَ بَيضاءُ﴾ ذات شُعاع ﴿لِلنّاظِرِينَ﴾ خلافُ ما كانت عليه من الأُدمة.

(١٠٩) ـ ﴿قالَ المَلأُ مِن قومِ فِرعَونَ: إنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فائق في عِلم السِّحر ـ وفي «الشعراء» أنه من قول فرعون نفسه، فكأنّهم قالوه معه على سبيل التشاور ـ (١١٠) ـ ﴿يُرِيدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم. فماذا تأمُرُونَ[1]؟ قالُوا: أرجِئْهُ وأخاهُ﴾: أخِّرْ أمرهما، ﴿وأرسِلْ في المَدائنِ حاشِرِينَ﴾: جامعين، (١١٢) ـ ﴿يأتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ﴾ ـ وفي قراءة «سَحّارٍ» ـ ﴿عَلِيمٍ﴾: يفضُلُ موسى في عِلم السِّحر.

ربع الحزب ١٧

(١١٣) ـ فجُمِعوا، (١١٤) ـ ﴿وجاءَ السَّحَرةُ فِرعَونَ، قالُوا: أإنَّ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿لَنا لأَجرًا، إن كُنّا نَحنُ الغالِبِينَ؟ قالَ: نَعَمْ، وإنَّكُم لَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾.

(١١٥) ـ ﴿قالُوا: يا مُوسَى، إمّا أن تُلقِيَ﴾ عصاك، ﴿وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ﴾ ما معنا. (١١٦) ـ ﴿قالَ: ألقُوا﴾. أمَرَ للإذن بتقديم إلقائهم توسُّلاً به إلى إظهار الحقّ. ﴿فلَمّا ألقَوا﴾ حِبالهم وعصيّهم ﴿سَحَرُوا أعيُنَ النّاسِ﴾: صرفوها عن حقيقة إدراكها، ﴿واستَرهَبُوهُم﴾: خوّفوهم حيثُ خيّلوها حيّاتٍ تسعى، ﴿وجاؤُوا بِسِحرٍ عَظِيمٍ﴾.

(١١٧) ـ ﴿وأوحَينا إلَى مُوسَى: أنْ ألقِ عَصاكَ. فإذا هِيَ تَلقَّفُ﴾، بحذف إحدى التاءين من الأصل[2]: تبتلعُ ﴿ما يأفِكُونَ﴾: يقلِبون بتمويههم، (١١٨) ـ ﴿فوَقَعَ الحَقُّ﴾: ثَبتَ وظهر، ﴿وبَطَلَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من السِّحر، (١١٩) ـ ﴿فغُلِبُوا﴾ أي: فرعونُ وقومه ﴿هُنالِكَ، وانقَلَبُوا صاغِرِينَ﴾: صاروا ذليلين، (١٢٠) ـ ﴿وأُلقِيَ السَّحَرةُ ساجِدِينَ﴾.

﴿حقيق على أن..﴾: حريصٌ على أن.. أو خليقٌ بأن... ﴿مُبين﴾: ظاهرٌ أمرُهُ لا يشكُّ فيه. ﴿و نزع يده﴾: أخرجَها مِن طوقِ قميصِهِ. ﴿بيضاء﴾: غلبَ شعاعُها شعاعَ الشّمس. ﴿الملأ﴾: أهلُ المشورةِ والرُّؤساءُ. ﴿أرجه وأخاه﴾: أخِّرْ أمرَ عقوبتِهما ولا تعجلْ. ﴿حاشرين﴾: جامعينَ السَّحرةَ وهم الشُّرَطُ. ﴿سحروا أعين النّاس﴾: خيّلوا لها ما يخالفُ الحقيقةَ. ﴿استرهبوهم﴾: خوَّفوهُم تخويفاً شديداً. ﴿تلقف﴾: تبتلعُ أو تتناولُ بسرعةٍ. ﴿ما يأفكون﴾: ما يكذبونَهُ ويُموِّهونَهُ. ﴿فوقع الحقّ﴾: ظهرَ وتبيَّنَ أمرُ موسى عليهِ السَّلامُ.

(١) ﴿فماذا تأمُرُونَ﴾ تشيرُونَ في أمرِهِ فهو من المؤامرَةِ بمعنَى: المشاورَةِ، وجازَ أن يكونَ من الأمرِ الَّذي هو ضدُّ النَّهي؛ أي: أيَّ أمرٍ تأمُرونا، وعلى الوجهَينِ يُشَمُّ من كلامِهِ رائحةُ الدَّهشِ والحَيرَةِ. (الجمالين).

(٢) أي: أصلُهُ تتلقَّف، وقرأ البزِّي: بتشديدِ التاءِ؛ أي: بإدغامِ التاءِ في التاءِ على الأصلِ في الوصلِ، وقرأ حفصٌ على وزنِ تَمنَع من الثُّلاثي المجرَّد. (الجمالين).

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ
مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ
إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا
وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ
أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾
قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ
لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾
قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ
عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

(١٢١) - (١٢٢) - ﴿قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وهارُونَ﴾، لِعلمهم بأنّ ما شاهدوه من العصا لا يتأتّى بالسِّحر.

(١٢٣) - ﴿قـالَ فِرعَـونُ: آمَنتُمْ﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانيةِ ألفًا - ﴿بِهِ﴾: بمُوسى ﴿قَبلَ أن آذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُم؟ إنَّ هـذا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكرٌ، مَكَرتُمُوهُ في المَدِينةِ لِتُخرِجُوا مِنها أهلَها. فَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ ما ينالكم منّي. (١٢٤) - ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ﴾ أي: يدَ كُلِّ واحدٍ اليُمنى ورِجلَه اليُسرى، ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِينَ﴾.

(١٢٥) - ﴿قالُوا: إنّا إلَى رَبِّنا﴾ بعد موتنا، بأيّ وجهٍ كان، ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: راجعون في الآخرة، (١٢٦) - ﴿وما تَنقِمُ﴾: تُنكر ﴿مِنّا إلّا أن آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا لَمّا جاءَتنا. رَبَّنا، أفرِغْ عَلَينا صَبرًا﴾ عِند فِعل ما توعَّدَه[1] بنا، لئلّا نرجع كُفّارًا، ﴿وتَوَفَّنا مُسلِمِينَ﴾.

(١٢٧) - ﴿وقالَ المَلأُ مِن قَومِ فِرعَونَ﴾ له: ﴿أتَذَرُ﴾: تترك ﴿مُوسَى وقَومَهُ لِيُفسِدُوا في الأرضِ﴾ بالدُّعاء إلى مُخالفتك، ﴿ويَذَرَكَ وآلِهَتَكَ﴾؟ وكان صنعَ لهم أصنامًا صِغارًا يعبدونها، وقال: أنا ربّكم وربّها. ولذا قال: «أنا رَبُّكُمُ الأعلى». ﴿قالَ: سَنُقَتِّلُ﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿أبناءَهُم﴾ المولودين، ﴿ونَستَحيِي﴾: نستبقي ﴿نِساءَهُم﴾ كفِعلنا بهم من قبلُ[2]، ﴿وإنّا فَوقَهُم قاهِرُونَ﴾: قادرون. ففعلوا بهم ذلك، فشكا بنو إسرائيل.

(١٢٨) - ﴿قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: استَعِينُوا بِاللهِ واصبِرُوا﴾ على أذاهم. ﴿إنَّ الأرضَ لِلهِ يُورِثُها﴾: يُعطيها[3] ﴿مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، والعاقِبةُ﴾ المحمودة[4] ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ اللهَ. (١٢٩) - ﴿قالُوا: أُوذِينا مِن قَبلِ أن تَأتِيَنا ومِن بَعدِ ما جِئتَنا. قالَ: عَسَى رَبُّكُم أن يُهلِكَ عَدُوَّكُم، ويَستَخلِفَكُم في الأرضِ، فيَنظُرَ: كَيفَ تَعمَلُونَ﴾ فيها؟

(١٣٠) - ﴿ولَقَد أخَذْنا آلَ فِرعَونَ بِالسِّنِينَ﴾: بالقحط ﴿ونَقصٍ مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعظون فيؤمنون، ....

﴿ما تَنقِمُ مِنّا﴾: ما تكرهُ وما تعيبُ منّا. ﴿أفرِغ علينا﴾: أفِض أو صبَّ علينا. ﴿نستحيي نساءهم﴾: نستبقي بناتِهم - للخدمةِ. ﴿بالسِّنين﴾: بالجدوبِ والقحوطِ.

(١) بتشديدِ العينِ المفتوحةِ، قيل: إنَّه فعلَ بهم ما أوعدَهُم به، قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه: كانُوا أوَّلَ النَّهارِ سَحَرةً وفي آخرِه شُهداءَ، وقيل: لم يقدِرْ عليهم لقولِهِ تعالى: ﴿أنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُون﴾ [القصص: ٣٥]. (الجمالين).

(٢) ليعلمَ أنَّا على ما كُنَّا عليه من القهرِ والغلبةِ، ولا يتوهَّمَ أنَّه المولودُ الذي حكمَ المنجِّمُونَ والكهنةُ بذهابِ مُلكِنا على يَدَيه. (الجمالين).

(٣) فرُبَّما يأخُذُ منهم ويعطيكُم بسهُولَةٍ كالميراثِ، واللامُ في ﴿الأرض﴾ تحتمِلُ العهدَ والجنسَ. (الجمالين).

(٤) أو عاقبةُ الأمرِ بالنَّصرِ والظَّفرِ للمتَّقِينَ فتقُوا باللهِ تعالى، وقال بعضُهُم: معناهُ الآخرةُ للمتَّقينَ خاصَّةً، وأمَّا الدُّنيا فإنَّها بالشَّركةِ بين المسلمينَ والكفَّارِ قالَ تعالى: ﴿وتلكَ الأيَّامُ نُداوِلُهَا بين الناس﴾ [الأعراف: ١٢٩]. (الجمالين).

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ
يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ
مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ
ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ
١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا
عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ
ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا
مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا
غَٰفِلِينَ ١٣٦ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ
مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ
رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا
مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧

(١٣١) ـ ﴿فإذا جاءَتهُمُ الحَسَنةُ﴾: الخِصب والغِنى ﴿قالُوا: لَنا هذِهِ﴾ أي: نستحقّها ـ ولم يشكروا عليها ـ ﴿وإن تُصِبْهُم سَيِّئةٌ﴾: جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّروا﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَى ومَن مَعَهُ﴾ من المُؤمنين. ﴿ألا إنَّما طائرُهُم﴾: شُؤمهم ﴿عِندَ اللهِ﴾ يأتيهم به، ﴿ولكِنَّ أكثرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنَّ ما يُصيبهم من عِنده.

(١٣٢) ـ ﴿وقالُوا﴾ لمُوسى: ﴿مَهما تأتِنا بِهِ مِن آيةٍ لِتَسحَرَنا بها فما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ﴾، فدعا عليهم، (١٣٣) ـ ﴿فأرسَلْنا عَلَيهِمِ الطُّوفانَ﴾، وهو ماء دخل بُيوتهم[١] ووصل إلى حُلوق الجالسين سبعة أيّام، ﴿والجَرادَ﴾ فأكلَ زرعهم وثمارهم كذلك، ﴿والقُمَّلَ﴾: السُّوسُ أو نوعٌ من القُراد فتتبّع ما تركه الجراد، ﴿والضَّفادِعَ﴾ فملأت بُيوتهم وطعامهم، ﴿والدَّمَ﴾ في مِياههم، ﴿آياتٍ مُفَصَّلاتٍ﴾: مُبيَّنات[٢]، ﴿فاستكبَرُوا﴾ عن الإيمان بها، ﴿وكانُوا قَوْمًا مُجرمِينَ﴾.

(١٣٤) ـ (١٣٥) ـ ﴿ولَمّا وَقَعَ عليهِمِ الرِّجزُ﴾: العذاب[٣] ﴿قالُوا: يا مُوسَى، ادعُ لَنا ربَّكَ بِما عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنّا إن آمنا، ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿كَشَفْتَ عنّا الرِّجزَ لَنُؤمِنَنَّ لَكَ، ولَنُرسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إسرائيلَ. فلَمّا كَشَفْنا﴾ بدعاء مُوسى ﴿عَنهُمُ الرِّجزَ إلَى أجَلٍ هُم بالِغُوهُ[٤] إذا هُم يَنكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم، ويُصرّون على كُفرهم.

(١٣٦) ـ ﴿فانتَقَمْنا مِنهُم، فأغرَقْناهُم في اليَمِّ﴾: البحر المِلح ﴿بِأنَّهُم﴾: بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآياتِنا، وكانُوا عَنها غافِلِينَ﴾: لا يتدبّرونها، (١٣٧) ـ ﴿وأورَثْنا القَومَ الَّذِينَ كانُوا يُستَضعَفُونَ﴾ بالاستعباد ـ وهم بنو إسرائيل ـ ﴿مَشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها الَّتي بارَكْنا فِيها﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض وهي الشام[٥]، ﴿وتَمَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ الحُسنَى﴾، وهي قوله «ونُريدُ أن نَمُنَّ على الَّذِينَ استُضعِفُوا» إلى آخره، ﴿على بَنِي إسرائيلَ بِما صَبَرُوا﴾ على أذى عدوّهم، ﴿ودَمَّرنا﴾: أهلكنا ﴿ما كانَ يَصنَعُ فِرعَونُ وقَومُهُ﴾ من العَمارة، ﴿وما كانُوا يَعرِشُونَ﴾، بكسر الراء وضمّها: يرفعون من البُنيان[٦].

﴿يطّيّروا﴾: يتشاءموا. ﴿طائرهم عند الله﴾: شؤمُهم عقابُهُم الموعودُ في الآخرةِ. ﴿الطّوفان﴾: الماءُ الكثيرُ. أوِ الموتَ الجارفَ. ﴿القمّل﴾: الدَّبى أوِ القُرادُ أوِ القملُ المعروفُ. ﴿الرّجز﴾: العذابُ بما ذكرَ مِنَ الآياتِ. ﴿ينكثون﴾: ينقضونَ عهدَهُمُ الّذي أبرمُوهُ. ﴿دمّرنا﴾: أهلكْنا وخرَّبْنا. ﴿يعرشون﴾: مِنَ الجنَّاتِ أو يرفعونَ مِنَ الأبنيةِ.

(١) أي: بيُوتَ القِبْطِ ولم يدخُل بيوتَ بني إسرائيلَ مع أنَّ بيوتَهُم مشتبِكَةٌ، وقيل: الجُدرِي، وقيل: الموتانُ، وقيل: الطَّاعونُ. (الجمالين).

(٢) أو منفصِلاتٌ لامتحانِ أحوالِهم إذا كان بينَ كُلِّ آيتينِ منها شهرٌ. (الجمالين).

(٣) أي: العذابُ المفصَّلُ، أو الطَّاعونُ على قولِ من لم يفسِّرِ الطُّوفانَ به. (الجمالين).

(٤) أي: إلى حدٍّ من الزَّمانِ (﴿هُم بالِغُوهُ﴾) فمعذَّبُونَ فيه، أو مهلَكُونَ وهو وقتُ الغرقِ أو الموتِ. (الجمالين).

(٥) ملَكَها بنو إسرائيلَ بعد الفراعنَةِ والعمالِقَةِ وتمكَّنُوا فيها. (الجمالين).

(٦) كصَرحِ هامانَ، أو يعرُشُونَ من البساتينِ. (الجمالين).

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا
لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ
مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً
وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةًۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ
ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا
تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٤٣

(١٣٨) ـ **﴿وجاوَزْنا﴾**: عبرْنا[1] **﴿بِبَنِي إسرائيلَ البَحرَ، فأتَوا﴾**: فمرّوا **﴿على
قَومٍ يَعكُفُونَ﴾** ـ بضمّ الكاف وكسرها ـ **﴿علَى أصنامٍ لَهُم﴾**: يُقيمون على
عبادتها. **﴿قالُوا: يا مُوسَى، اجعَلْ لَنا إلـٰهًا﴾**: صنمًا نعبده، **﴿كَما لَهُم
آلِهةٌ. قالَ: إنَّكُم قَومٌ تَجهَلُونَ﴾** حيثُ قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه.
(١٣٩) ـ (١٤٠) ـ **﴿إنَّ هؤُلاءِ مُتبَّرٌ﴾**: هالك[2] **﴿ما هُم فِيهِ وباطِلٌ ما كانُوا يَعمَلُونَ.
قالَ: أغَيرَ اللهِ أبغِيكُم إلـٰهًا﴾**: معبودًا ـ وأصله: أبغي لكم ـ **﴿وَهُوَ فَضَّلَكُم علَى
العالَمِينَ﴾** في زمانكم؟ بما ذكره في قوله:

نصف الحزب ١٧

(١٤١) ـ **﴿و﴾** اذكروا **﴿إذْ أنجَيناكُم﴾** ـ وفي قراءة «أنجاكُم» ـ **﴿مِن
آلِ فِرعَونَ، يَسُومُونَكُم﴾**: يُكلّفونكم ويُذيقونكم **﴿سُوءَ العَذابِ﴾**:
أشَدَّه، وهو **﴿يُقتِّلُونَ أبناءَكُم ويَستَحيُونَ﴾**: يستبقون **﴿نِساءَكُم، وفي ذلِكُم﴾**
الإنجاءِ أو العذابِ **﴿بَلاءٌ﴾**: إنعام أو ابتلاء **﴿مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ﴾**. أفلا تتّعظون
فتنتهون عمّا قلتم؟ (١٤٢) ـ **﴿وواعَدْنا﴾** ـ بألِفٍ ودونها ـ **﴿مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً﴾**
نُكلّمه عِند انتهائها بأن يصومها ـ وهي ذو القَعدة ـ فصامها[3]، فلمّا تمّت أنكرَ
خُلوفَ فمه فاستاك، فأمره الله بعشَرة أُخرى ليُكلّمه بخُلوف فِيه، كما قال
تعالى: **﴿وأتمَمْناها بِعَشْرٍ﴾** من ذي الحِجّة، **﴿فتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ﴾**: وقتُ وعده
بكلامه إيّاه **﴿أربَعِينَ﴾**: حالٌ **﴿لَيلَةً﴾**: تمييز، **﴿وقالَ مُوسىَ لِأخِيهِ هارُونَ﴾** عِند ذهابه إلى الجبل للمُناجاة: **﴿اخلُفْنِي﴾**: كنْ خليفتي **﴿في
قَومِي وأصلِحْ﴾** أمرهم، **﴿ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفسِدِينَ﴾** بمُوافقتهم على المعاصي.

(١٤٣) ـ **﴿ولَمّا جاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا﴾** أي: للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه، **﴿وكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾** بلا واسطة كلامًا، يسمعه من كُلّ جِهة، **﴿قالَ: رَبِّ،
أرِنِيَ﴾** نفسَك، **﴿أنظُرْ إلَيكَ. قالَ: لَن تَرانِي﴾** أي: لا تقدِر[4] على رُؤيتي والتعبير به دون «لن أُرَى» يُفيد إمكان رُؤيته تعالى. **﴿ولكِنِ انظُرْ إلَى
الجَبَلِ﴾** الذي هو أقوى منكَ. **﴿فإنِ استَقَرَّ﴾**: ثَبَتَ **﴿مَكانَهُ فَسَوفَ تَرانِي﴾** أي: تَثبُتُ لرؤيتي، وإلّا فلا طاقة لك. **﴿فلَمّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾** أي: ظهر
من نُوره قدرُ نِصفِ أُنمُلةِ الخِنصِر كما في حديث صحّحه الحاكم[5]، **﴿لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾**، بالقصر والمدّ، أي: مدكوكًا مستويًا بالأرض،
﴿وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾: مَغشِيًّا عليه لهول ما رأى، **﴿فلَمّا أفاقَ قالَ: سُبحانَكَ﴾**: تنزيهًا لك! **﴿تُبتُ إلَيكَ﴾** من سُؤال ما لم أُومَرْ به، **﴿وأنا
أوَّلُ المُؤمِنينَ﴾** في زماني.

﴿متبّر﴾: مُهلَكٌ مُدمَّرٌ. ﴿أبغيكم إلهاً﴾: أطلبُ لكُم إلهاً معبوداً. ﴿يسومونكم﴾: يُذيقونكُم أو يكلِّفونكُم. ﴿يستحيون نساءكم﴾: يستبقونَ ـ بناتِكُم للخدمةِ. ﴿بلاء﴾: ابتلاءٌ وامتحانٌ بالنِّعمِ والنِّقمِ. ﴿تجلّى ربّه للجبل﴾: بدا لهُ شيءٌ مِن نورهِ تعالى. ﴿دكّاً﴾: مدكوكاً مُتفتِّتاً. ﴿صعقاً﴾: مغشيّاً عليهِ. ﴿سبحانك﴾: تنزيهاً لكَ مِن مشابهةِ خلقِكَ.

(١) رويَ: أنَّ مُوسَى عليه السَّلامُ عبرَ بهم يومَ عاشُوراءَ بعد مهلِكِ فرعَونَ وقومِهِ فصامُوهُ شُكراً. (الجمالين).

(٢) يعني: أنَّ اللهَ يَهدِمُ دينَهُم الَّذي هُم عليه ويجعل أصنامَهُم رُضاضاً، والإشارَةُ إلى القوم. (الجمالين).

(٣) قطعة من خبر طويل عن ابن عباس رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، ومختصراً بهذه القطعة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/١٥٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أي: في الدُّنيا، وقد وردَتْ أحاديثُ صحيحةٌ صريحةٌ على رؤيَةِ اللهِ في الآخرَةِ، واجتمعَتِ الأمَّةُ على ذلك سوَى المعتزِلَةِ، وحسبُهُم من الخُسرَانِ والحسرَةِ إن عاملَهُمُ اللهُ تعالى بعقيدَتِهِم وحرَمَهُم من نعمَةِ لقائِه. (الجمالين).

(٥) في «المستدرك» (٣٢٤٩) و(٤١٠٤) من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه أيضاً أحمد (١٢٢٦٠)، والترمذي (٣٠٧٤)، وقال: حسن صحيح.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا
وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ
ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ١٤٧ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ
وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨
وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن
لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ١٤٩

١٤٤ ـ ﴿**قَالَ**﴾ تعالى له: ﴿**يا مُوسَى، إِنِّي اصطفَيْتُكَ**﴾: اخترتك ﴿**على النَّاسِ**﴾: أهل زمانك.... ﴿**بِرِسالاتي**﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿**وبِكَلامي**﴾ أي: تكليمي إيّاك. ﴿**فخُذْ ما آتيتُكَ**﴾ من الفضل، ﴿**وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ لأنعُمي. ١٤٥ ـ ﴿**وكتَبْنا لَهُ في الألْواحِ**﴾ أي: ألواح التوراة. وكانت من سِدر الجنّة أو زَبَرْجَدٍ أو زُمرُّدٍ سبعةً أو عشرة ـ ﴿**مِن كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يُحتاج إليه في الدِّين، ﴿**مَوعِظةً وتَفصِيلاً**﴾: تبيينًا ﴿**لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾، بدلٌ من الجارّ والمجرور قبله. ﴿**فخُذْها**﴾ ـ قبْلَه «قلنا» مقدّرًا ـ ﴿**بِقُوَّةٍ**﴾: بجِدّ واجتهاد، ﴿**وأْمُرْ قومَكَ يأْخُذُوا بأحسَنِها**﴾[1]. ﴿**سأُرِيكُم دارَ الفاسِقِينَ**﴾: فرعونَ وأتباعِه ـ وهي مصر ـ لتعتبروا بهم.

١٤٦ ـ ﴿**سأصرِفُ عَن آياتِيَ**﴾: دلائلِ قُدرتي من المصنوعات وغيرها، ﴿**الَّذِينَ يَتكبَّرُونَ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ**﴾ بأن أخذُلَهم فلا يتفكّرون فيها؟ ﴿**وإن يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يُؤمِنُوا بِها، وإن يَرَوا سَبِيلَ**﴾: طريقَ ﴿**الرُّشدِ**﴾: الهُدى الذي جاء من عند الله ﴿**لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً**﴾: يسلكوه، ﴿**وإن يَرَوا سَبِيلَ الغَيِّ**﴾: الضلالِ ﴿**يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ـ ذلِكَ**﴾ الصرف ﴿**بِأَنَّهُم كَذَّبُوا بِآياتِنا، وكانُوا عَنها غافِلِينَ**﴾. تقدّمَ مِثلُه ـ ١٤٧ ـ ﴿**والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا ولِقاءِ الآخِرةِ**﴾: البعث وغيره ﴿**حَبِطَتْ**﴾: بَطلَت ﴿**أعمالُهُم**﴾: ما عملوه في الدنيا من خير كصِلة رَحِم وصدقة، فلا ثواب لهم لعدم شرطه، ﴿**هَل**﴾: ما ﴿**يُجزَونَ إلّا**﴾ جزاءَ ﴿**ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ من التكذيب والمعاصي؟

١٤٨ ـ ﴿**واتَّخَذَ قَومُ مُوسَى مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ ذهابه إلى المُناجاة، ﴿**مِن حُلِيِّهِم**﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلّة عِرس، فبقي عِندهم، ﴿**عِجلاً**﴾ صاغه لهم منه السامريّ، ﴿**جَسَدًا**﴾: بدلٌ لحمًا ودمًا ﴿**لهُ خُوارٌ**﴾ أي: صوت يسمع. انقلب كذلك بوضع التُّراب الذي أخذه من حافر فرس جِبريلَ في فمه[2]، فإن أثره الحياةُ فيما يُوضع فيه. ومفعول «اتّخذ» الثاني محذوف أي: إلـٰهًا ـ ﴿**أَلَم يَرَوا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُم، ولا يَهدِيهِم سَبِيلاً**﴾؟ فكيف يُتّخذ إلـٰهًا؟ ﴿**اتَّخَذُوهُ**﴾ إلـٰهًا، ﴿**وكانُوا ظالِمِينَ**﴾ باتّخاذه ـ ١٤٩ ـ ﴿**ولَمّا سُقِطَ في أيدِيهِم**﴾ أي: ندموا على عبادته، ﴿**ورَأَوا**﴾: علموا ﴿**أَنَّهُم قَد ضَلُّوا**﴾ بها ـ وذلك بعد رُجوع موسى ـ ﴿**قالُوا: لَئِن لَم يَرحَمْنا رَبُّنا ويَغفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ**﴾.

﴿الألـواح﴾: ألواحُ التَّوراةِ. ﴿سبيل الرّشد﴾: طريقَ الهدى والسَّـدادِ. ﴿سبيل الغيّ﴾: طريقَ الضَّلالِ والفسادِ. ﴿حبطت أعمالهم﴾: بطلَتْ أعمالُهُم لكفرِهِم. ﴿عجلاً جسدا﴾: مُجسَّداً أي أحمرَ مِن ذهبٍ. ﴿له خوار﴾: صوتٌ كصوتِ البقرةِ. ﴿اتّخذوه﴾: اتَّخذوا العجلَ إلهـاً وعبدوهُ ضلالاً. ﴿سُـقِط في أيديهم﴾: نَدِموا أشدَّ النَّدمِ.

(١) أي: بأحسنِ ما فيها كالصَّبرِ والعفوِ بالإضافةِ إلى الانتصارِ والاقتصاصِ فأمرَهُم على طريقةِ النَّدبِ والحَثِّ على الأفضلِ، كقولِه تعالى: ﴿واتَّبِعُوا أَحسَنَ ما أُنزِلَ إِلَيكُم﴾ [الزمر: ٥٥] أو بواجباتِها، فإنَّ الواجبَ أحسنُ من غيرِه، وقيل: المرادُ من الأحسنِ الواجباتُ والمندُوباتُ فإنَّهما أحسنُ من المباحِ، وقال ابنُ عبَّاسٍ وعكرِمَةُ: أي: التَّكليفُ عليك يا مُوسَى أشدُّ من التَّكليفِ على قومِكَ. (الجمالين).

(٢) رواه الطبري (١٦/ ١٣٩) عن قتادة، ورواه دون تحديد موضع إلقاء القبضة من العجل (١/ ٦٦٩ و٦٧٢) و(١٦/ ١٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ
وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ
غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾
وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ
قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

(١٥٠) ـ ﴿**ولَمّا رَجَعَ مُوسَى إلَى قَومِهِ غَضبانَ**﴾ من جهتهم ﴿**أسِفًا**﴾: شديد الحزن ﴿**قالَ**﴾ لهم: ﴿**بِئسَ ما**﴾ أي: بئس خلافة ﴿**خَلَفتُمونيـ**﴾ـها ﴿**مِن بَعدِي**﴾ خلافتكم هذه، حيث أشركتم! ﴿**أعَجِلتُم أمرَ رَبِّكُم؟ وألقى الألواحَ**﴾: ألواح التوراة غضبًا[١] لربّه فتكسّرت، ﴿**وأخَذَ برأسِ أخيهِ**﴾ أي: بشعره بيمينه ولحيته بشماله، ﴿**يَجُرُّهُ إلَيهِ**﴾ غضبًا ﴿**قالَ**﴾: يا ﴿**ابنَ أُمَّ**﴾ ـ بكسر الميم وفتحها، أراد: أُمّي. وذِكرُها أعطفُ لقلبه ـ ﴿**إنَّ القَومَ استَضعَفُوني، وكادُوا**﴾: قاربوا ﴿**يَقتُلُونَني. فلا تُشمِتْ**﴾: تُفرِح ﴿**بِيَ الأعداءَ**﴾ بإهانتك إيّاي، ﴿**ولا تَجعَلْني مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ**﴾ بعبادة العِجل في المُؤاخذة.

(١٥١) ـ ﴿**قالَ: رَبِّ اغفِرْ لِي**﴾ ما صنعتُ بأخي ﴿**ولأخِي**﴾ ـ أشرَكَه في الدعاء إرضاءً له ودفعًا للشماتة به ـ ﴿**وأدخِلْنا في رَحمتِكَ، وأنتَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ**﴾.

(١٥٢) ـ قال تعالى: ﴿**إنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجلَ**﴾ إلـهًا ﴿**سَيَنالُهُم غَضَبٌ**﴾: عذاب ﴿**مِن رَبِّهِم، وذِلَّةٌ في الحَياةِ الدُّنيا**﴾ ـ فعُذّبوا بالأمر بقتل أنفسهم، وضُربتْ عليهم الذِّلّة إلى يوم القيامة. ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما جزيناهم ﴿**نَجزِي المُفتَرِينَ**﴾ على الله بالإشراك وغيره ـ (١٥٣) ـ ﴿**والَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ، ثُمَّ تابُوا**﴾: رجَعوا عنها ﴿**مِن بَعدِها وآمَنُوا**﴾ بالله، ﴿**إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها**﴾ أي: التوبةِ ﴿**لَغَفُورٌ**﴾ لهم ﴿**رَحِيمٌ**﴾ بهم.

(١٥٤) ـ ﴿**ولَمّا سَكَتَ**﴾: سكن ﴿**عَن مُوسَى الغَضَبُ أخَذَ الألواحَ**﴾ التي ألقاها، ﴿**وفي نُسْخَتِها**﴾ أي: ما نُسخ فيها أي: كُتب ﴿**هُدًى**﴾ من الضلالة ﴿**ورَحمةٌ لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِم يَرهَبُونَ**﴾: يخافون. وأُدخل اللام على المفعول لتقدّمه.

(١٥٥) ـ ﴿**واختارَ مُوسَى قَومَهُ**﴾ أي: من قومه ﴿**سَبعِينَ رَجُلاً**﴾ ممّن لم يعبدوا العِجل بأمره تعالى، ﴿**لِمِيقاتِنا**﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عِبادة أصحابهم العِجلَ، فخرج بهم، ﴿**فلَمّا أخَذَتهُمُ الرَّجفةُ**﴾: الزلزلة الشديدة ـ قال ابن عبّاس: لأنهم لم يُزايِلُوا قومهم حين عبدوا العِجل[٢]. قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتْهم الصاعقة[٣] ـ ﴿**قالَ**﴾ مُوسى: ﴿**رَبِّ، لَو شِئتَ أهلَكتَهُم مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ خروجي بهم ليُعاينَ بنو إسرائيل ذلك ولا يتّهموني، ﴿**وإيّايَ. أتُهلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا**﴾؟ استفهام استعطاف، أي: لا تُعذّبنا بذنب غيرنا. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هِيَ**﴾ أي: الفِتنةُ التي وقعتْ فيها السُّفهاء ﴿**إلّا فِتنَتُكَ**﴾: ابتلاؤك، ﴿**تُضِلُّ بِها مَن تَشاءُ**﴾ إضلاله، ﴿**وتَهدِي مَن تَشاءُ**﴾ هِدايته. ﴿**أنتَ وَلِيُّنا**﴾: مُتولّي أُمورنا. ﴿**فاغفِرْ لَنا وارحَمْنا ـ وأنتَ خَيرُ الغافِرِينَ ـ**﴾.

﴿أسفاً﴾: شديدَ الغضبِ. أو حزيناً. ﴿أعجِلتم﴾: أسبقتُم بعبادةِ العجلِ أو أتركتُم. ﴿فلا تُشمت﴾: فلا تسرَّهُم بما تنالُ منّي مِنَ المكروهِ. ﴿سكت﴾: سَكَنَ. ﴿أخذتهم الرّجفة﴾: الزَّلزلةُ الشّديدةُ أوِ الصَّاعقةُ. ﴿فتنتك﴾: مِحنَتُكَ وابتلاؤُكَ.

(١) أو خوفاً من أن قصّرَ في كفِّهِم ونهيِهِم، وهارونُ أكبرُ منه بثلاثِ سنينَ، وكان حَمُولًا ليِّناً، ولذلك كانَ أحَبَّ إلى بني إسرائيلَ. (الجمالين).

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٢٤)، والطبري (١٠/ ٤٧٢).

(٣) ذكره الثعلبي (١٢/ ٥٤٥).

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ
إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى
وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ
فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن
قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

﴿١٥٦﴾ ـ ﴿١٥٧﴾ ـ ﴿واكتُبْ﴾: أوجِبْ[1] ﴿لَنا في هذِهِ الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرةِ﴾[2] حسنة. ﴿إنّا هُدْنا﴾: تُبنا ﴿إِلَيكَ﴾.

﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿عَذابي أُصِيبُ بِهِ مَن أشاءُ﴾ تعذيبه، ﴿ورَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾: عمَّت ﴿كُلَّ شَيءٍ﴾ في الدنيا. ﴿فَسَأَكتُبُها﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، والَّذِينَ هُم بِآياتِنا يُؤمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾[3] مُحمّدًا ﷺ ﴿الَّذي يَجِدُونَهُ مَكتُوبًا عِندَهُم في التَّوراةِ والإنجِيلِ﴾ باسمه وصفته، ﴿يأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ ويَنهاهُم عَنِ المُنكَرِ، ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ﴾ ممّا حُرِّم في شرعهم[4]، ﴿ويُحَرِّمُ عَلَيهِمُ الخَبائثَ﴾ من الميتة ونحوها، ﴿ويَضَعُ عَنهُم إصرَهُم﴾: ثِقلهم، ﴿والأغلالَ﴾: الشدائد ﴿الَّتي كانَتْ عَلَيهِم﴾ كقتل النفس[5] في التوبة وقطع أثر النجاسة. ﴿فالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم، ﴿وعَزَّرُوهُ﴾: وَقَّروه ﴿ونَصَرُوهُ، واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿أُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾.

﴿١٥٨﴾ ـ ﴿قُل﴾ خِطابٌ للنبيّ: ﴿يا أيُّها النّاسُ، إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم جَمِيعًا، الَّذي لهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، لا إلٰهَ إلّا هُوَ، يُحيي ويُمِيتُ. فآمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ، النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذي يُؤمِنُ باللهِ وكَلِماتِهِ﴾ القُرآنِ[6]، ﴿واتَّبِعُوهُ، لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾: ترشُدون.

﴿١٥٩﴾ ـ ﴿ومِن قَومِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾: جماعة[7] ﴿يَهدُونَ﴾ الناس ﴿بِالحَقِّ، وبِهِ يَعدِلُونَ﴾ في الحُكم.

﴿هُدْنا إليك﴾: تبْنا ورجعْنا إليكَ. ﴿إصرهم﴾: عهدَهُم بالعملِ بما في التَّوراةِ. ﴿الأغلال﴾: التَّكاليفَ الشَّاقَّةَ في التَّوراةِ. ﴿عزّروه﴾: وقَّروهُ وعظَّموهُ. ﴿به يعدلون﴾: بالحقِّ يحكمونَ في الخصوماتِ بينَهُم.

(١) أي: أثبِتْ، وحسنةُ الدُّنيا حسنُ المعيشَةِ وتوفيقُ الطَّاعةِ، وحسنةُ الآخرَةِ: الجنَّةُ والقربَةُ. (الجمالين).

(٢) أو فأكتبُهَا كَتْبةً خاصَّةً منكم يا بني إسرائيلَ، وهذا هو الأظهرُ لما بعدَهُ، ويكونُ ﴿الذين يتبعون﴾ بدلًا من ﴿الذينَ يتَّقونَ﴾ بدلَ البعضِ أو الكلِّ، أو تقديرُهُ: هم الذين يتَّقونَ، وعلى الأوَّلِ يتعيَّنُ أن يكونَ مبتدأً خبرُهُ: ﴿يأمُرُهم﴾ وهو الأنسبُ لإفادةِ عمُومِ الرَّحمةِ. (الجمالين).

(٣) منسوبٌ إلى أمَّةِ العربِ، وهي لم تكُن تكتُبُ ولا تقرأُ ـ يعني: غالباً ـ فاستُعِيرَ لمن لا يعرِفُ الكتابَةَ ولا القراءَةَ، وقيل: منسُوبٌ إلى الأمِّ؛ أي: هو كما ولدَتْهُ أمُّه، وكونُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أمِّيًّا صفةُ مَدحٍ له تشهدُ بنبُوَّتِه، وتنفِي ارتيابَ المبطلِينَ حيثُ أتى بالعُلومِ الجمَّةِ وأخبارِ القرُونِ الماضيَةِ بلا تعلُّمِ خطٍّ واستفادةٍ من كتابٍ. (الجمالين).

(٤) عليهم كالشُّحومِ ولحُومِ الإبلِ، وما حرَّمُوا على أنفُسِهِم من نحوِ البحيرَةِ. (الجمالين).

(٥) وكتعيينِ القصاصِ في العمدِ والخطَأ، وقطعِ الأعضاءِ الخاطئةِ. (الجمالين).

(٦) الأتمُّ الأعمُّ: بما أُنزلَ عليه وعلى سائرِ الرُّسلِ من كُتُبِهِ ووحيِهِ ويمكنُ الاكتفاءُ بالأوَّلِ؛ لأنَّ الإيمانَ به إيمانٌ بالكُلِّ. (الجمالين).

(٧) المرادُ بهم: الثَّابتُونَ على الإيمانِ القائمُونَ بالحقِّ من أهلِ زمانِهِ، وقيل: مُؤمِنُوا أهلِ الكتابِ، وقيل: قومٌ وراءَ الصِّينِ رآهُم رسُولُ اللهِ ﷺ ليلةَ المعراجِ فآمنُوا به. (الجمالين).

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٠﴾ ـ ﴿**وقطَّعْناهُم**﴾: فرَّقنا بني إسرائيل ﴿**اثنتَي عَشْرَةَ**﴾: حالٌ ﴿**أسباطًا**﴾: بدلٌ منه، أي: قبائلَ ﴿**أُمَمًا**﴾: بدلٌ ممّا قبله، ﴿**وأوحَينا إلَى مُوسَى إذِ استَسقاهُ قَومُهُ**﴾ في التِّيهِ: ﴿**أنِ اضرِبْ بِعَصاكَ الحَجَرَ**﴾. فضربه، ﴿**فانبَجَسَتْ**﴾: انفجرتْ ﴿**مِنهُ اثنَتا عَشْرةَ عَينًا**﴾ بعدد الأسباط ـ ﴿**قد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ**﴾: سِبطٍ منهم ﴿**مَشرَبَهُم**﴾ ـ ﴿**وظَلَّلْنا عَلَيهِمِ الغَمامَ**﴾ في التِّيه من حرّ الشمس، ﴿**وأنزَلْنا عَلَيهِمِ المَنَّ والسَّلْوَى**﴾ ـ هما التَّرَنجَبِينُ والطير السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر ـ وقلنا لهم: ﴿**كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُم. وما ظَلَمُونا، ولكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾.

﴿١٦١﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذْ قِيلَ لَهُمُ: اسكُنُوا هذِهِ القَرْيَةَ**﴾: بيتَ المَقدس، ﴿**وكُلُوا مِنها حَيثُ شِئتُم، وقُولُوا**﴾: أمرُنا ﴿**حِطّةٌ**﴾[1]. ﴿**وادخُلُوا البابَ**﴾ أي: باب القرية ﴿**سُجَّدًا**﴾: سُجودَ انحناء، ﴿**نَغفِرْ**﴾ ـ بالنون، وبالتاء مبنيًّا للمفعول ـ ﴿**لَكُم خَطاياكُم. سَنَزِيدُ المُحسِنِينَ**﴾ بالطاعة ثوابًا. ﴿١٦٢﴾ ـ ﴿**فبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم قَولاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُم**﴾، فقالوا: حَبّةٌ في شَعَرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم[2]، ﴿**فأرسَلْنا عَلَيهِم رِجزًا**﴾: عذابًا ﴿**مِنَ السَّماءِ، بِما كانُوا يَظلِمُونَ**﴾.

﴿١٦٣﴾ ـ ﴿**واسألْهُم**﴾ ـ يا مُحمّد ـ توبيخًا[3] ﴿**عَنِ القَريَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ البَحرِ**﴾: مُجاورةَ بحرِ القُلزُم ـ وهي أيلةُ ـ ما وقع بأهلها ﴿**إذْ يَعدُونَ**﴾: يعتدون ﴿**في السَّبتِ**﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه، ﴿**إذْ**﴾: ظرف لـ «يعدون» ﴿**تأتِيهِم حِيتانُهُم يَومَ سَبتِهِم شُرَّعًا**﴾: ظاهرة على الماء، ﴿**ويَومَ لا يَسبِتُونَ**﴾: لا يُعظّمون السبت أي: سائرَ الأيام ﴿**لا تأتِيهِم**﴾ ابتلاءً من الله؟ ﴿**كَذلِكَ**﴾[4] ﴿**نَبلُوهُم بِما كانُوا يَفسُقُونَ**﴾ ـ ولمّا صادوا السمك افترقتِ القرية أثلاثًا: ثُلث صادوا معهم، وثُلث نهَوهم، وثُلث أمسكوا عن الصيد والنهي ـ ....

﴿قطّعناهم﴾: فرَّقْناهُم أو صيَّرْناهُم. ﴿أسباطاً﴾: جماعاتٍ، كالقبائلِ في العربِ. ﴿فانبجست﴾: فانفجرَتْ. ﴿مشربهم﴾: عينَهُمُ الخاصَّةَ بهم. ﴿الغمام﴾: السَّحابَ الأبيضَ الرَّقيقَ. ﴿المنّ﴾: مادَّةً صَمغيَّةً حُلوةً كالعسلِ. ﴿السّلوى﴾: الطَّائرَ المعروفَ بالسُّمانى. ﴿قولوا حطّة﴾: مسألَتُنا حطُّ ذنوبِنا عنَّا. ﴿رجزاً﴾: عذاباً (الطَّاعون). ﴿حاضرة البحر﴾: قريبةً مِنَ البحرِ. ﴿يعدون في السبت﴾: يعتدونَ بالصَّيدِ المُحرَّمِ فيهِ. ﴿يوم سبتهم﴾: يومَ تعظيمِهِم أمرَ السَّبتِ. ﴿شرّعاً﴾: ظاهرةً على وجهِ الماءِ كثيرةً. ﴿لا يسبتون﴾: لا يُراعونَ أمرَ السَّبتِ. ﴿نبلوهم﴾: نمتحنُهُم ونختبرُهُم بالشِّدَّةِ.

(١) أي: مغفِرَةٌ؛ يعني: استغفِرُوا، أو أقِرُّوا بالذَّنبِ، أو احطُط عنَّا الخَطايا. (الجمالين).

(٢) البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: سلِ اليهودَ الَّذين بحضرَتكَ للتَّوبيخ ـ بتقديمِ كفرِهِم وعصيانِهِم ـ والإعلامِ بما هو من عُلومِهِم الَّتي لا تُعلَمُ إلا بتعليمٍ أو وحيٍ، ليكونَ لك معجزةً عليهِم. (الجمالين).

(٤) أي: مثلَ ذلك الامتحانِ الشَّديدِ نختبِرُهُم بإظهارِ السَّمكِ في اليومِ المحرَّمِ عليهم وإخفائهِ في اليومِ المحلَّلِ لهم، وقيل: ﴿كذلِكَ﴾ متَّصلٌ بما قبلَهُ؛ أي: لا تأتيهِم مثلَ إتيانِهِم يومَ السَّبتِ. (الجمالين).

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٥)
فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ (١٦٦)
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ
سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
(١٦٧) وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ
أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٧٠)

(١٦٤) ـ ﴿وإذْ﴾: عطف على «إذ» قبله ﴿قالَتْ أُمَّةٌ مِنهُم﴾ لم تَصِدْ ولم تَنهَ لِمَن نَهى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قومًا، اللهُ مُهلِكُهُم أو مُعَذِّبُهُم عذابًا شَدِيدًا؟ قالُوا﴾: موعظتُنا ﴿مَعذِرةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إلى رَبِّكُم﴾، لئلّا نُنسبَ إلى تقصير في ترك النهي، ﴿ولَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ الصيد.

(١٦٥) ـ (١٦٦) ـ ﴿فلَمّا نَسُوا﴾: تركوا ﴿ما ذُكِّرُوا﴾: ما وُعظوا ﴿بِهِ﴾، فلم يرجِعوا، ﴿أنجينا الَّذِينَ يَنهَونَ عَنِ السُّوءِ، وأخَذْنا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد، ﴿بِما كانُوا يَفسُقُونَ، فلَمّا عَتَوا﴾: تكبّروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿ما نُهُوا عَنهُ قُلْنا لَهُم: كُونُوا قِرَدةً خاسِئِينَ﴾: صاغرين. فكانوها. وهذا تفصيل لِما قبله. قال ابن عبّاس[1]: ما أدري ما فُعل بالفرقة الساكتة؟ وقال عِكرمةُ: لم تَهلِك لأنها كرهتْ ما فعلوه، وقالت: لِمَ تعظون إلى آخره. وروى الحاكم عن ابن عبّاس أنه رَجَعَ إليه وأعجبه.

(١٦٧) ـ ﴿وإذْ تأذَّنَ﴾: أعلمَ ﴿رَبُّكَ لَيَبعَثَنَّ عَلَيهِم﴾ أي: اليهودِ ﴿إلَى يَومِ القِيامةِ مَن يَسُومُهُم سُوءَ العَذابِ﴾ بالذلّ وأخذ الجزية، فبعث عليهم سُليمانَ وبعده بُختَنَصَّرَ، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدّونها إلى المجوس إلى أن بُعث نبيّنا ﷺ وضربها عليهم. ﴿إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقابِ﴾ لمن عصاه، ﴿وإنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

(١٦٨) ـ ﴿وقَطَّعْناهُم﴾: فرّقناهم ﴿في الأرضِ أُمَمًا﴾: فِرَقًا، ﴿مِنهُمُ الصّالِحُونَ، ومِنهُم﴾ ناس ﴿دُونَ ذلِكَ﴾ الكفّارُ والفاسقون، ﴿وبَلَوناهُم بِالحَسَناتِ﴾: بالنِّعم ﴿والسَّيِّئاتِ﴾: النِّقم، ﴿لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ عن فِسقهم.

(١٦٩) ـ ﴿فخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ، ورِثُوا الكِتابَ﴾: التوراة عن آبائهم، ﴿يأخُذُونَ عَرَضَ هذا الأدنَى﴾ أي: حُطامَ هذا الشيءِ الدنيّ، أي: الدنيا من حلال وحرام، ﴿ويَقُولُونَ: سَيُغفَرُ لَنا﴾ ما فعلناه. ﴿وإنْ يأتِهِم عَرَضٌ مِثلُهُ يأخُذُوهُ﴾. الجملة حال، أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مُصرّون عليه، وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار.

﴿ألَم يُؤخَذْ﴾ ـ استفهام تقرير ـ ﴿عَلَيهِم مِيثاقُ الكِتابِ﴾، الإضافةُ بمعنى: «في»، ﴿ألّا يَقُولُوا علَى اللهِ إلّا الحَقَّ، ودَرَسُوا﴾: عطفٌ على «يؤخذ» قرؤوا ﴿ما فِيهِ﴾؟ فلِمَ كذبوا عليه بنِسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟ ﴿والدّارُ الآخِرةُ خَيرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرامَ. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ أنها خير، فيؤثرونها على الدنيا؟ (١٧٠) ـ ﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿بِالكِتابِ﴾ منهم، ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه، ﴿إنّا لا نُضِيعُ أجرَ المُصلِحِينَ﴾. الجملة: خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي: أجرَهم.

(١٧١) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ نَتَقْنا الجَبَلَ﴾: رفعناه من أصله ﴿فَوقَهُم، كأنَّهُ ظُلَّةٌ، وظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿أنَّهُ واقِعٌ بِهِم﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه، إن لم يَقبلوا أحكام التوراة ـ وكانوا أبَوها لثِقَلها ـ فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا ما آتيناكُم بِقُوَّةٍ﴾: بجِدّ واجتهاد، ﴿واذكُرُوا ما فِيهِ﴾ بالعمل به، ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾.

﴿معذرة إلى ربكم﴾: نعِظُهُم اعتذاراً إليهِ تعالى. ﴿بعذاب بئيسٍ﴾: شديدٍ وَجيعٍ. ﴿عتَوْا﴾: استكبروا واستعصوا. ﴿قردةَ خاسئين﴾: أذلّاءَ مُبعدينَ كالكلابِ. ﴿تأذّن ربّك﴾: أعلمَ، أو عزمَ وقضى. ﴿يسومهم﴾: يُذيقُهُم ويكلّفُهُم. ﴿بلوناهم﴾: امتحنّاهُم واختبرْناهُم. ﴿خلفٌ﴾: بَدَلُ سَوءٍ. ﴿عرض هذا الأدنى﴾: ما يعرضُ لهُم مِن حُطامِ الدُّنيا. ﴿درسوا ما فيه﴾: قرؤوا وعلموا ما في التَّوراةِ.

(١) «المستدرك» (٣٢٥٤) وصححه، ورواه ايضاً عبد الرزاق (٩٥٣)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢٦)، والطبري (١٠/ ٥١٥).

الحزب ١٨

*وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا
بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ
مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿١٧٢﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذْ﴾: حينَ ﴿أخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِم﴾ ـ بدلُ اشتمال ممّا قبله بإعادة الجارّ ـ ﴿ذُرِّيّاتِهِم﴾ بأن أخرج بعضهم من صُلبِ بعضٍ من صُلبِ آدمَ، نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذرّ بنَعمانَ يومَ عَرَفةَ، ونصب لهم دلائل على رُبوبيّته وركّب فيهم عقلاً، ﴿وأشهَدَهُم على أنفُسِهِم﴾،....قال: ﴿ألَستُ بِرَبِّكُم؟ قالُوا: بَلَى﴾ أنت ربّنا، ﴿شَهِدْنا﴾ بذلك. والإشهادُ لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿يَقولُوا﴾ ـ بالياء والتاء في الموضعين ـ أيِ الكُفّارُ ﴿يَومَ القِيامةِ: إنّا كُنّا عَن هذا﴾ التوحيد ﴿غافِلِينَ﴾ لا نعرفه، ﴿١٧٣﴾ ـ ﴿أو يَقُولُوا: إنَّما أشرَكَ آباؤُنا مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِنا، ﴿وكُنّا ذُرِّيّةً مِن بَعدِهِم﴾ فاقتدَينا بهم. ﴿أفتُهلِكُنا﴾: تُعذّبنا ﴿بِما فَعَلَ المُبطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشِّرك؟ المعنى: لا يُمكنهم الاحتجاج بذلك، مع إشهادهم على أنفُسهم بالتوحيد، والتذكيرُ به على لسان صاحب المُعجزة قائمٌ مقامَ ذكره في النفوس. ﴿١٧٤﴾ ـ ﴿وكَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾: نُبيِّنها مِثلَما بيّنّا المِيثاقَ ليتدبّروها ﴿ولَعلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ عن كُفرهم. ﴿١٧٥﴾ ـ ﴿١٧٦﴾ ـ ﴿واتْلُ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿علَيهِم﴾ أيِ: اليهودِ ﴿نبأَ﴾: خبرَ ﴿الَّذِي آتيناهُ آياتِنا، فانسَلَخَ مِنها﴾: خرج بكُفره كما تخرج الحيّة من جِلدها ـ وهو بَلعَمُ بنُ باعُوراءَ من عُلماء بني إسرائيل، سُئل أن يدعو على مُوسى وأُهدي إليه شيء[1]، فدعا فانقلب عليه واندلعَ لسانُه على صدره ـ ﴿فأتبَعَهُ الشَّيطانُ﴾: فأدركه فصار قرينه، ﴿فكانَ مِنَ الغاوِينَ، ولَو شِئنا لَرَفَعْناهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِها﴾ بأن نُوفّقه للعمل، ﴿ولكِنّـهُ أخلَدَ﴾: سكن ﴿إلَى الأرضِ﴾ أيِ: الدنيا ومال إليها، ﴿واتَّبَعَ هَواهُ﴾ في دُعائه إليها فوضعناه.

﴿فمَثَلُه﴾: صِفتُه ﴿كَمَثَلِ الكَلبِ، إن تَحمِلْ عَلَيهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلهَثْ﴾: يَدلعْ لسانَه، ﴿أو﴾ إن ﴿تَترُكْهُ يَلهَثْ﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك. وجملتا الشرط حال، أي: لاهثًا ذليلاً بكُلّ حال. والقصد التشبيه في الوضع والخِسّة بقرينة الفاء المُشعرة بترتّب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتّباع الهوى، وبقرينة قوله: ﴿ذلِكَ﴾ المَثَل ﴿مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا ـ فاقصُصِ القَصَصَ﴾ على اليهود، ﴿لَعَلَّهُم يَتَفكَّرُونَ﴾: يتدبّرون فيها فيُؤمنون ـ ﴿١٧٧﴾ ـ ﴿ساءَ﴾: بئس ﴿مَثَلاً القَومُ﴾ أي: مَثَلُ القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا، وأنفُسَهُم كانُوا يَظلِمُونَ﴾ بالتكذيب! ﴿١٧٨﴾ ـ ﴿مَن يَهدِ اللهُ فهُوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾.

﴿نتقنا الجبل﴾: رفعْناهُ وقلعْناهُ. ﴿كأنّه ظلّة﴾: غمامةٌ. أو سقيفةٌ تُـظلُّ. ﴿فانسلخ منها﴾: فخرجَ منها بكفرِهِ بها. ﴿فأتبعه الشّيطان﴾: فلحقَهُ وأدركَهُ وصارَ قرينَهُ. ﴿الغاوين﴾: الضّالِّينَ الهالكينَ. ﴿أخلد إلى الأرض﴾: ركنَ إلى الدُّنيا ورضيَ بها. ﴿تحمل عليه﴾: تشدُدْ عليهِ وتزجزْهُ. ﴿يلهث﴾: يُخرجْ لسانَهُ بالنّـفَسِ الشَّديدِ.

(١) الطبري (١٠/ ٥٧٩) عن سالم بن أبي النضر مطولًا، وبنحوه مختصراً الطبري (١٠/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن عبد الله بن عَمرِو بنِ العاصِ: نزَلَتْ في أُميّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ الثَّقفيِّ. النسائي في «الكبرى» (١١١٣٠)، والطبري (١٠/ ٥٧١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٦).

وعن ابن عباس: نزلَتْ في رجلٍ قد أُعطِيَ ثلاثَ دعواتٍ مُستجابةٍ، فقالت امرأته: اجعَلْ لي منها واحدةً، فقال: ما تُريدين؟ قالت: ادعُ الله أن يجعلَني أجملَ امرأةٍ في بني إسرائيلَ، فدعا لها، فجُعِلَتْ كذلك، ثمَّ رغِبَتْ عنه، فدعا عليها فصارَتْ كلبةً نبَّاحةً، فجاء بَنوها فقالوا: قد صارَتْ أُمُّنا كلبةً والنّاسُ يُعيِّروننا بها، فادعُ الله أن يرُدَّها كما كانت، فدعا الله فعادَتْ كما كانت، فذهبَتْ فيها الدَّعواتُ. ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٧) وفيه أبو سعد الأعور سعيد بن المرزبان وهو ضعيف، وذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (١/ ٤٢٧) وعده من العجائب.

قال سعيدُ بنُ المُسيِّبِ: نزلَتْ في أبي عامرٍ الرَّاهبِ الذي بُنِيَ له مسجدُ الشِّقاقِ، حينَ ذهبَ إلى الشَّامِ ليأتيَ بجُندٍ فيُخرجَ محمَّدًا وأصحابَه من المدينةِ، فماتَ بها طريدًا وحيدًا. الثعلبي (١٢/ ٥٩٧).

وروى ابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٥٥)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو بلعم بن باعورة رجل من بني إسرائيل، قال: وتقول ثقيف: هو أمية بن أبي الصلت، وتقول الأنصار: هو الراهب الذي بني له مسجد الشقاق.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ
يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾
أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

(١٧٩) ـ ﴿ولَقَد ذَرَأْنا﴾: خلقنا ﴿لِجهنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ والإنسِ، لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِها﴾ الحقَّ، ﴿ولَهُم أعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِها﴾ دلائلَ قُدرة الله بصَرَ اعتبار، ﴿ولَهُم آذانٌ لا يَسمَعُونَ بِها﴾ الآياتِ والمواعظَ سماعَ تدبّر واتّعاظ. ﴿أُولئِكَ كالأنعام﴾ في عدم الفِقه والبصر والاستماع، ﴿بَل هُم أضَلُّ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مَضارّها، وهؤلاء يُقدمون على النار مُعانَدةً. ﴿أُولئِكَ هُمُ الغافِلُونَ﴾.

(١٨٠) ـ ﴿ولله الأسماءُ الحُسنَى﴾ التِّسعةُ والتِّسعون الواردُ بها الحديثُ، والحُسنى: مُؤنّث الأحسَن. ﴿فادعُوهُ﴾: سمُّوه ﴿بِها، وذَرُوا﴾: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلحِدُونَ﴾، مِن: ألحَدَ ولَحَدَ: يَميلون عن الحق ﴿في أسمائِهِ﴾ حيثُ اشتقّوا منها أسماء لآلهتهم: كاللّاتِ من الله، والعُزّى من العزيز، ومَناةَ من المنّان. ﴿سَيُجزَونَ﴾ في الآخِرة جزاءَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾. وهذا قبل الأمر بالقتال.

(١٨١) ـ ﴿ومِمَّن خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهدُونَ بالحَقِّ، وبِهِ يَعدِلُونَ﴾ ـ هم أمّة مُحمّد ﷺ كما في حديثٍ ـ (١٨٢) ـ (١٨٣) ـ ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القرآنِ من أهل مكّة ﴿سَنَستَدرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ، وأُملِي لَهُم﴾: أُمهِلُهم. ﴿إنَّ كَيدِي مَتِينٌ﴾: شديد لا يُطاق.

(١٨٤) ـ ﴿أوَلَم يَتفَكَّرُوا﴾ فيعلموا: ﴿ما بِصاحِبِهِم﴾ مُحمّد ﴿مِن جِنّةٍ﴾[1]: جُنونٍ، ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار؟

(١٨٥) ـ (١٨٦) ـ ﴿أوَلَم يَنظُرُوا في مَلَكُوتِ﴾: مُلكِ ﴿السَّماواتِ والأرضِ و﴾ في ﴿ما خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ﴾ ـ بيانٌ لـ«ما» ـ فيستدلّوا به على قُدرة صانعه ووحدانيّته، ﴿و﴾ في ﴿أنْ﴾ أي: أنّه ﴿عَسَى أن يَكُونَ قَدِ اقتَرَبَ﴾: قرُبَ ﴿أجَلُهُم﴾ فيموتوا كُفّارًا فيصيروا إلى النار، فيُبادروا إلى الإيمان؟ ﴿فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ﴾ أي: القرآنِ ﴿يُؤمِنُونَ؟ مَن يُضلِلِ اللهُ فلا هادِيَ لَهُ، ويَذَرُهُم﴾ ـ بالياء والنون مع الرفع استئنافًا، والجزمِ عطفًا على محلّ ما بعد الفاء ـ ﴿في طُغيانِهِم يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون تحيُّرًا.

(١٨٧) ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿عَنِ السّاعةِ﴾ القيامة: ﴿أيّانَ﴾: متى ﴿مُرساها؟﴾[2] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّما عِلمُها﴾ متى تكون ﴿عِندَ رَبِّي، لا يُجَلِّيها﴾: يُظهِرُها ﴿لِوَقتِها﴾ ـ اللام بمعنى: في ـ ﴿إلّا هُوَ. ثَقُلَتْ﴾: عظمت ﴿في السَّماواتِ والأرضِ﴾ على أهلهما لهولها، ﴿لا تَأتِيكُم إلّا بَغتةً﴾: فَجْأة. ﴿يَسألُونَكَ، كأنَّكَ حَفِيٌّ﴾: مُبالغ في السُّؤال ﴿عَنها﴾ حتّى علمتَها. ﴿قُلْ: إنَّما عِلمُها عِندَ اللهِ﴾ ـ تأكيدٌ ـ ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ أنّما عِلمُها عنده تعالى.

﴿ذرأنا﴾: خلقْنا وأوجدْنا. ﴿يُلحدون﴾: يميلونَ وينحرفونَ إلى الباطلِ. ﴿به يعدلون﴾: بالحقِّ يحكمونَ في الخصوماتِ بينَهُم. ﴿سنستدرجهم﴾: سنستدنيهم إلى الهلاكِ بالإنعام. ﴿أملي لهم﴾: أمهلُهُم في العقوبةِ. ﴿كيدي متين﴾: أخذي شديدٌ قويٌّ. ﴿جِنّة﴾: جُنونٍ كما يزعمونَ. ﴿ملكوت﴾: هوَ المُـلكُ العظيمُ. ﴿طغيانهم﴾: تجاوزِهِمُ الحدَّ في الكفرِ. ﴿يعمهون﴾: يعمونَ عنِ الرُّشدِ أو يتحيَّرونَ. ﴿أيّان مُرساها؟﴾: متى إثباتُها ووقوعُها ؟. ﴿لا يجلّيها﴾: لا يُظهِرُها ولا يكشفُ عنها. ﴿ثقُلت﴾: عظُمَتْ لشدَّتِها. ﴿حفيّ عنها﴾: باحثٌ عنها عالمٌ بها.

(١) عن قتادة: ذُكر لنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قامَ ليلةً على الصَّفا يدعو قُريشًا فخذًا فخذًا، يُحذِّرُهم بأسَ الله وعقابَه، فقال قائلُهم: إنَّ صاحبكم هذا لَمجنونٌ، بات يُصوِّتُ حتَّى الصَّباحِ. الطبري (١٠/ ٦٠٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٤).

(٢) قال قتادةُ: قالت قريشٌ لمحمَّدٍ عليه السَّلامُ: إنَّ بينَنا وبينَك قرابةً فأسِرَّ إلينا متى السَّاعةُ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ. عبد الرزاق (٩٦٧)، والطبري (١٠/ ٦٠٤)، والواحدي (ص: ٢٢٨).

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قالَ جبلُ بنُ أبي قشيرٍ وشموالُ بنُ زيدٍ وكانا منَ اليهودِ: أخبِرْنا يا محمَّدُ متى السَّاعةُ إن كنتَ نبيًّا فإنَّا نعلمُ متى هي؟ فأنزلَ الله هذه الآيةَ. الطبري (١٠/ ٦٠٤)، والواحدي (ص: ٢٢٨).

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

(١٨٨) ـ ﴿قُلْ: لا أملِكُ لِنَفسِي نَفعًا﴾ أجلبه ﴿ولا ضَرًّا﴾ أدفعه، ﴿إلّا ما شاءَ اللهُ﴾[1]، ﴿ولَو كُنتُ أعلَمُ الغَيبَ﴾: ما غابَ عنّي ﴿لَاستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ، وما مَسَّنيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضارّ. ﴿إنْ﴾: ما ﴿أنا إلّا نَذيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وبَشيرٌ﴾ بالجنّة ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾.

ربع الحزب ١٨

(١٨٩) ـ ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدةٍ﴾ أي: آدم، ﴿وجَعَلَ﴾: خلقَ ﴿مِنها زَوجَها﴾ حوّاء ﴿لِيَسكُنَ إلَيها﴾ ويألفها، ﴿فلَمّا تَغشّاها﴾: جامعها ﴿حَمَلَت حَملًا خَفيفًا﴾ هو النُّطفة، ﴿فمَرَّتْ بِهِ﴾: ذهبت وجاءت لخفّته، ﴿فلَمّا أثقَلَتْ﴾ بكِبَر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمةً ﴿دَعَوا اللهَ رَبَّهُما: لَئِنْ آتَيتَنا﴾ ولدًا ﴿صالِحًا﴾: سويًّا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ﴾ لك عليه.

(١٩٠) ـ ﴿فلَمّا آتاهُما﴾ ولدًا ﴿صالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ﴾، وفي قراءة بكسر الشين والتنوين، أي: شَريكًا ﴿فِيما آتاهُما﴾ بتسميته عبدَ الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبدًا إلّا لله، وليس بإشراك في العبوديّة لِعصمة آدمَ. وروى سمُرةُ عن النبيّ ﷺ قال: «لَمّا وَلَدَتْ حَوّاءُ طافَ بِها إبليسُ ـ وكانَ لا يَعيشُ لَها وَلَدٌ ـ فقالَ: سَمّيهِ عَبدَ الحارثِ. فإنّهُ يَعيشُ. فسَمّتْه فعاشَ، فكانَ ذلكَ مِن وَحيِ الشَّيطانِ وأمرِهِ». رواه الحاكمُ وقال: صحيحٌ، والترمذيُّ وقال: حسن غريب[2]. ﴿فتَعالَى اللهُ عَمّا يُشرِكُونَ﴾ أي: أهلُ مكّة به من الأصنام! والجملة: مُسبَّبةٌ عطفٌ على «خلقكم»، وما بينهما اعتراض.

(١٩١) (١٩٢) ـ ﴿أيُشرِكُونَ﴾ به في العِبادة ﴿ما لا يَخلُقُ شَيئًا وهُم يُخلَقُونَ، ولا يَستَطِيعُونَ لَهُم﴾ أي: لعابدِيهم ﴿نَصرًا، ولا أنفُسَهُم يَنصُرُونَ﴾ بمنعها ممّن أراد بهم سوءًا من كسر أو غيره؟ والاستفهام للتوبيخ. (١٩٣) ـ ﴿وإن تَدعُوهُم﴾ أي: الأصنامَ ﴿إلَى الهُدَى لا يَتَّبِعُوكُم﴾، بالتشديد والتخفيف. ﴿سَواءٌ عَلَيكُم أدَعَوتُمُوهُم﴾ إليه ﴿أم أنتُم صامِتُونَ﴾ عن دُعائهم، لا يتّبعوه لعدم سماعهم. (١٩٤) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ عِبادٌ﴾ مملوكة، ﴿أمثالُكُم. فادعُوهُم، فلْيَستَجِيبُوا لَكُم﴾ دُعاءكم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في أنها آلهة. ثمّ بيّن غايةَ عجزهم وفضلَ عابديهم عليهم، فقال: (١٩٥) ـ ﴿ألَهُم أرجُلٌ يَمشُونَ بِها، أم﴾: بل أ ﴿لَهُم أيدٍ﴾: جمع يد ﴿يَبطِشُونَ بِها؟ أم﴾: بل أ ﴿لَهُم أعيُنٌ يُبصِرُونَ بِها؟ أم﴾: بل أ ﴿لَهُم آذانٌ يَسمَعُونَ بِها﴾؟ استفهام إنكار، أي: ليس لهم شيء من ذلك، ممّا هو لكم. فكيف تعبدونهم، وأنتم أتمُّ حالاً منهم؟ ﴿قُلِ﴾ لهم يا مُحمّد: ﴿ادعُوا شُرَكاءَكُم﴾ إلى هلاكي، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ، فلا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ. فإني لا أُبالي بكم.

﴿تغشّاها﴾: واقعَها. ﴿فمرّت به﴾: فاستمرَّتْ بهِ بغيرِ مشقّةٍ. ﴿أثقلت﴾: صارتْ ذاتَ ثِقلٍ بكِبرِ الحملِ. ﴿صالحاً﴾: نسلاً سويّاً أو ولداً سليماً مثلَنا. ﴿جعلا له شركاء﴾: بتسميةِ ولدَيهما عبدَ الحارثِ بوسوسةِ إبليسَ مريداً بالحارث نفسَه. ﴿عمّا يُشركون﴾: أي العربُ بعبادةِ الأصنامِ. ﴿فلا تُنظرون﴾: فلا تُمهلوني ساعةً.

(١) قال الكلبيّ: إنَّ أهلَ مكّة قالوا: يا محمدُ، ألا أخبرتَنا بالسِّعر الرَّخيص قبل أن يغلُوَ فنشتريَ ونربحَ به، وبالأرض التي تريدُ أن تُجْدِبَ فنرتحلَ عنها إلى ما قد أخصبَتْ، فنزلت. «تفسير السمرقندي» (١/ ٥٧٣)، والواحدي (ص: ٢٢٨). وهو في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٣)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ٥٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، عن ابن عباس، ولعله من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٢) «المستدرك» (٤٠٠٣)، والترمذي (٣٠٧٧)، كلاهما من طريق الحسن عن سمرة. وقد أعل ابن كثير عند هذه الآية من «تفسيره» هذا الحديث من وجوه: منها أنه قد روي من قول سمرة نفسه عند الطبري (١٠/ ٦٢٣). ومنها: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فقد روى عنه الطبري (١٠/ ٦٢٩): أن قوله: ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ كان في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم. وإسناده صحيح كما ذكر ابن كثير، ثم قال: وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عند الحسن محفوظاً عن رسول الله ﷺ لَمَا عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحمل أنه تلقاه من بعض من آمن من أهل الكتاب مثل كعب أو وهب.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ
١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ
وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواۖ
وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ
وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ
فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ
لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ
قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ
فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ
وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ ٢٠٦

(١٩٦) ـ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ﴾: يتولَّى أُموري ﴿الَّذِي نَزَّلَ الكِتابَ﴾: القُرآن، ﴿وهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحِفظه، (١٩٧) ـ ﴿والَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ لا يَستَطِيعُونَ نَصرَكُم، ولا أنفُسَهُم يَنصُرُونَ﴾. فكيف أبالي بهم؟

(١٩٨) ـ ﴿وإن تَدعُوهُم﴾ أي: الأصنامَ ﴿إلَى الهُدَى لا يَسمَعُوا. وتَراهُم﴾ ـ يا مُحمّد ـ أي الأصنامَ ﴿يَنظُرُونَ إلَيكَ﴾ أي: يُقابلونك كالناظر، ﴿وهُم لا يُبصِرُونَ﴾. (١٩٩) ـ ﴿خُذِ العَفوَ﴾: اليُسرَ من أخلاق الناس، ولا تبحث عنها، ﴿وَأْمُرْ بِالعُرفِ﴾: المعروف، ﴿وأعرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ﴾ فلا تُقابلْهم بسَفَههم، (٢٠٠) ـ ﴿وإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّةِ في «ما» المزيدةِ ـ ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يَصرِفْك عمّا أُمِرتَ به صارف ﴿فاستَعِذْ باللهِ﴾: جوابُ الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يَدفعْه عنك. ﴿إنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفِعل.

(٢٠١) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إذا مَسَّهُم﴾: أصابَهم ﴿طَيفٌ﴾، وفي قراءة: «طائفٌ»، أي: شيء ألَمَّ بهم ﴿مِنَ الشَّيطانِ تَذَكَّرُوا﴾ عِقابَ الله وثوابه، ﴿فإذا هُم مُبصِرُونَ﴾ الحقَّ من غيره فيرجعون، (٢٠٢) ـ ﴿وإخوانُهُم﴾ أي: إخوان الشياطين من الكُفّار ﴿يَمُدُّونَهُم﴾ الشياطينُ ﴿في الغَيِّ، ثُمَّ﴾ هم ﴿لا يُقصِرُونَ﴾: يكُفّون عنه بالتبصُّر كما تَبَصَّرَ المتّقون، (٢٠٣) ـ ﴿وإذا لَم تأتِهِم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿بِآيَةٍ﴾ ممّا اقترحوا ﴿قالُوا: لَولا﴾ هلّا ﴿اجتَبَيتَها﴾: من قِبَلِ نفسك. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّما أتَّبِعُ ما يُوحَى إلَيَّ مِن رَبِّي﴾، وليس لي أن آتيَ من عند نفسي بشيء. ﴿هذا﴾ القُرآن ﴿بَصائِرُ﴾: حُججٌ ﴿مِن رَبِّكُم وهُدًى ورَحمةٌ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾. (٢٠٤) ـ ﴿وإذا قُرِئَ القُرآنُ فاستَمِعُوا لَهُ وأنصِتُوا﴾ عن الكلام، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ ـ نزلتْ في ترك الكلام في الخُطبة[1]، وعُبّر عنها بالقُرآن لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القُرآن مُطلقًا ـ (٢٠٥) ـ ﴿واذكُرْ رَبَّكَ في نَفسِكَ﴾ أي: سِرًّا ﴿تَضَرُّعًا﴾: تذلُّلاً ﴿وخِيفةً﴾: خوفًا منه ﴿و﴾ فوقَ السرّ ﴿دُونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ﴾ أي: قصدًا بينهما ﴿بِالغُدُوِّ والآصالِ﴾: أوائل النهار وأواخره، ﴿ولا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

(٢٠٦) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكةَ ﴿لا يَستكبِرُونَ﴾: يتكبّرون ﴿عَن عِبادتِهِ، ويُسَبِّحُونَهُ﴾: يُنزِّهونه عمّا لا يليق به، ﴿ولَهُ يَسجُدُونَ﴾ أي: يخصُّونه بالخُضوع والعِبادة. فكونوا مِثلهم.

﴿لا يبصرون﴾: لعدمِ قدرتِهم على الإبصارِ. ﴿خذ العفو﴾: ما عفا وتيسَّرَ مِن أخلاقِ النَّاسِ. ﴿و أمر بالعرف﴾: بالمعروفِ حُسنُهُ في الشَّرعِ. ﴿ينزغنّك﴾: يُصيبنَّكَ. أو يصرفنَّكَ. ﴿نزغ﴾: وسوسةٌ. أو صارفٌ. ﴿مسّهم طائف﴾: أصابَتْهُم لمَّةٌ أي وسوسةٌ ما. ﴿تذكّروا﴾: أمرَ اللهِ ونهيَهُ وعداوةَ الشَّيطانِ. ﴿يمدّونهم في الغيّ﴾: تُعاونُهُم الشَّياطينُ في الضَّلالِ. ﴿لا يُقصِرون﴾: لا يكفُّونَ عن إغوائِهِم. ﴿اجتبيتها﴾: اختلقتَها واخترعتَها مِن عندِكَ. ﴿هذا بصائر﴾: القرآنُ حججٌ بيِّنةٌ وبراهينُ نيِّرةٌ. ﴿تضرّعاً﴾: مُظهراً الضَّراعةَ والذِّلَّةَ. ﴿خيفة﴾: خائفاً مِن عقابِهِ. ﴿بالغدوّ والآصال﴾: أوائلِ النَّهارِ وأواخرِهِ. أي في كلِّ وقتٍ. ﴿له يسجدون﴾: يُصلُّونَ ويعبدونَ (آية سجدة).

(١) الواحدي (ص: ٢٢٩) عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وَعَمْرو بن دينارٍ وجماعة.
وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: نزَلَتْ في رفعِ الأصواتِ في الصَّلاةِ خلفَ رسولِ الله عليه السَّلامُ. ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٣٨٠)، والطبري (١٠/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٤٥). قتادةُ: كانوا يتكلَّمونَ في صلاتِهم أوَّلَ ما فُرِضَتْ، كانَ الرَّجلُ يقولُ لصاحبِه: كم صلَّيْتَ؟ فيقولُ: كذا وكذا، فأُنزِلَتْ هذه الآيةُ. عبد الرزاق (٩٧٧)، والطبري (١٠/ ٦٦٢).
وعن ابن عباس: «أن نبي الله ﷺ قرأ في صلاة مكتوبة، وقرأ وراءه أصحابه فخلَّطوا عليه، فنزل القرآن: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾ الآية، فهذا في المكتوبة». الطبري (١٠/ ٦٦٤)، والواحدي (ص: ٢٣٠)، والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» (٢٥٥) وقال: وهذا إسناد فيه ضعف.
قال الزُّهريُّ: نزلَتْ في فتًى منَ الأنصارِ كانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ كلَّما قرأ شيئًا قرأه، فنزلَتْ هذه الآيةُ. الطبري (١٠/ ٦٥٩).

٨

سُورَةُ الأَنفَال

مدنية أو إلّا «وإذ يمكر» الآياتِ السبعَ فمكية، خمسٌ أو ستّ أو سبع وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الأَنفَال

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَ ١ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ
قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ
يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥
يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ
وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا
لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ
ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧
لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨

لمّا اختلف المسلمون في غنائمِ بدرٍ[1]، فقال الشُّبّان: هي لنا لأننا باشرْنا القتال. وقال الشُّيوخُ: «كنّا رِدءًا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفِئتم إلينا. فلا تستأثروا بها»، نزَلَ: ① ـ ﴿يسألُونَكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿عَنِ الأنفالِ﴾: الغنائمِ لمَن هي؟ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الأنفالُ لِلهِ والرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيثُ شاءا. فقسَّمها رسول الله ﷺ بينهم على السواء. رواه الحاكم في «المستدرك»[2]. ﴿فاتَّقُوا اللهَ وأصلِحُوا ذاتَ بَينِكُم﴾ أي: حقيقةَ ما بينكم بالمودّة وترك النزاع، ﴿وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ حقًّا.

② ـ ﴿إنَّما المُؤمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمانِ ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ﴾ أي: وعيدُه ﴿وَجِلَتْ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُم، وإذا تُلِيَتْ عَلَيهِم آياتُهُ زادَتهُم إيمانًا﴾: تصديقًا، ﴿وعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾: به يثقون لا بغيره، ③ ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: يأتون بها بحقوقها، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله. ④ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًّا﴾: صِدقًا بلا شكّ، ﴿لَهُم دَرَجاتٌ﴾: منازل في الجنّة ﴿عِندَ رَبِّهِم ومَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنّة.

⑤ ـ ﴿كما أخرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيتِكَ بِالحَقِّ﴾[3]: مُتعلِّقٌ بـ «أخرج»، ﴿وإنَّ فَرِيقًا مِنَ المُؤمِنِينَ لَكارِهُونَ﴾ الخُروجَ ـ والجملة: حال من كاف «أخرجك»، وكما: خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه الحالُ في كراهتهم لها مِثْلُ إخراجك في حال كراهتهم. وقد كان خيرًا لهم، فكذلك [هذه] أيضًا. وذلك أنّ أبا سُفيانَ قَدِمَ بِعِيرٍ من الشام فخرج ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبّوا عنها، وهم النفير. وأخذ أبو سُفيان بالعِيرِ طريقَ الساحل فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجِعْ. فأبى وسار إلى بدر، فشاور ﷺ أصحابَه وقال: «إنّ اللهَ وَعَدَني إحدَى الطّائفتَين» ـ فوافقوه على قتال النفير، وكرِهَ بعضهم ذلك وقالوا: «لم نَستعِدَّ له» كما قال تعالى: ⑥ ـ ﴿يُجادِلُونَكَ في الحَقِّ﴾: القتالِ ﴿بَعدَ ما تَبَيَّنَ﴾: ظهر لهم، ﴿كأنَّما يُساقُونَ إلَى المَوتِ، وهُم يَنظُرُونَ﴾ إليه عِيانًا في كراهتهم له.

﴿الأنفال﴾: غنائم بدرٍ. ﴿لله والرّسول﴾: مُفوَّضٌ إليهما أمرُها. ﴿ذات بينكم﴾: أحوالَكُمُ الّتي يحصلُ بها اتِّصالُكُم. ﴿وجلت قلوبهم﴾: فزعَتْ ورقَّتِ استعظاماً وهيبةً. ﴿يتوكّلون﴾: يعتمدونَ وإلى اللهِ يُفوِّضونَ. ﴿الطائفتين﴾: هما العيرُ والنَّفيرُ. ﴿ذات الشّوكة﴾: ذاتِ السِّلاحِ والقوَّةِ. وهيَ النَّفيرُ. ﴿دابر الكافرين﴾: آخرَهُم والمرادُ جميعُهُم.

(١) قوله: «لما اختلف المسلمون في غنائم...» أبو داود (٢٧٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٣٣)، والطبري (١١/ ١٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وعن عُبادةَ بنِ الصّامتِ: لـمَّا هُزِمَ العدوُّ يومَ بدرٍ ذهبَتْ طائفةٌ خلفَ العدُوِّ، وأحدَقَتْ طائفةٌ رسولَ الله ﷺ، واستولَتْ طائفةٌ بالعسكرِ، ثمَّ اختلَفُوا في الغنيمةِ، وادَّعى كلُّ واحدٍ أنَّها له، فأنزَلَ الله سورةَ الأنفالِ. ابن حبان (٤٨٥٥)، والحاكم (٢٦٠٧)، وصححه.
وعن سعد بن أبي وقاص: أنه لما كان يوم بدر جاء بسيف فطلب من النبي ﷺ أن يهبه إياه، فلم يفعل، ثم أرسل إليه فلما أتاه قال: «سألتني هذا السيف وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك»، قال: فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الآية. أحمد (١٥٣٨)، وأبو داود (٣٧٤٠)، والترمذي (٣٠٧٩) وقال: حسن صحيح.

(٢) برقم (٣٢٥٩) وصححه من حديث عبادة رضي الله عنه، ورواه أبو داود (٣٧٣٩) من حديث ابن عباس.

(٣) عن ابن عباس بإسناد ضعيف: لما شاور النبي ﷺ في لقاء القوم، وقال له سعد بن عبادة ما قال، وذلك يوم بدر، أمرَ الناس فتعبَّوْا للقتال، وأمرهم بالشوكة، وكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: ﴿كما أخرجك ربك﴾ الآية. الطبري (١١/ ٣٧)، و«لباب النقول» (ص: ٩٤). وعن أبي أيوب نحوه. ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٥٩)، و«المعجم الكبير» (٤٠٥٦)، و«لباب النقول» (ص: ٩٤)، وإسناده ضعيف أيضاً.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ
رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿٧﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحدَى الطَّائفتَينِ﴾: العيرَ أو النفيرَ ﴿أنَّها لكُم، وتَوَدُّونَ﴾: تُريدون ﴿أنَّ غيرَ ذاتِ الشَّوكةِ﴾ أي: البأسِ والسلاحِ ـ وهي العِيرُ ـ ﴿تكونُ لكُم﴾ لقِلّة عَدَدِها وعُدَدِها بخِلاف النفير، ﴿ويُريدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحَقَّ﴾: يُظهرَه ﴿بكَلِماتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام، ﴿ويَقطعَ دابرَ الكافِرِينَ﴾: آخِرَهم بالاستئصال. فأمَرَكم بقتال النفير ﴿٨﴾ ـ ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ ويُبطِلَ﴾: يمحق ﴿الباطِلَ﴾: الكُفر، ﴿ولَو كَرِهَ المُجرِمُونَ﴾: المُشركون ذلك.

﴿٩﴾ ـ اذكرْ ﴿إذْ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم﴾[1]: تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم، ﴿فاستَجابَ لكُم أنّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾: مُعينكم ﴿بألفٍ مِنَ المَلائكةِ مُردِفِينَ﴾: مُتتابعين يُردِف بعضهم بعضًا. وعَدَهم بها أوّلاً، ثمّ صارت ثلاثة آلاف ثمّ خمسة كما في «آل عمران». وقُرئ: «بآلُفٍ» كأفلُس، جمعٌ.

﴿١٠﴾ ـ ﴿وما جَعَلَهُ اللهُ﴾ أي: الإمدادَ ﴿إلّا بُشرَى، ولِتَطمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم. وما النَّصرُ إلّا مِن عِندِ اللهِ. إنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ ـ اذكرْ ﴿إذْ يَغشاكُمُ النُّعاسُ أمَنَةً﴾: أمْنًا ممّا حَصَلَ لكم من الخوف، ﴿مِنهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿ويُنزِلُ عَلَيكُم مِنَ السَّماءِ ماءً، لِيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ من الأحداث والجنابات، ﴿ويُذهِبَ عَنكُم رِجزَ الشَّيطانِ﴾: وسْوَسَته إليكم بأنكم لو كنتم على الحقّ ما كنتم ظِماءً مُحدِثين، والمشركون على الماء، ﴿ولِيَربِطَ﴾: يَحبِسَ ﴿عَلَى قُلُوبِكُم﴾ باليقين والصبر، ﴿ويُثَبِّتَ بِهِ الأقدامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

﴿١٢﴾ ـ ﴿إذْ يُوحِي رَبُّكَ إلَى المَلائكةِ﴾ الذين أمدّ بهم المسلمين: ﴿أنّي﴾ أي: بأنّي ﴿مَعَكُم﴾ بالعون والنصر. ﴿فثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير. ﴿سأُلقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبَ﴾: الخوفَ. ﴿فاضرِبُوا فَوقَ الأعناقِ﴾ أي: الرؤوسَ، ﴿واضرِبُوا مِنهُم كُلَّ بَنانٍ﴾ أي: أطرافَ اليدين والرجلين. فكان الرجل يقصِد ضرب رقبة الكافر، فتسقط قبل أن يصل سيفه إليه. ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى[2]، فلم يَبقَ مُشرك إلّا دخل في عينيه منها شيء فهُزموا. ﴿١٣﴾ ـ ﴿ذلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأنَّهُم شاقُّوا﴾: خالفوا ﴿اللهَ ورَسُولَهُ، ومَن يُشاقِقِ اللهَ ورَسُولَهُ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ له. ﴿١٤﴾ ـ ﴿ذلِكُم﴾ العذابُ ـ ﴿فذُوقُوهُ﴾ أيها الكُفّار في الدنيا ـ ﴿وأنَّ لِلكافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذابَ النّارِ﴾.

﴿١٥﴾ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحفًا﴾ أي: مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فلا تُوَلُّوهُمُ الأدبارَ﴾ منهزمين.

﴿١٦﴾ ـ ﴿ومَن يُوَلِّهِم يَومَئذٍ﴾ أي: يومَ لقائهم ﴿دُبُرَهُ، إلّا مُتَحَرِّفًا﴾: مُنعطفًا ﴿لِقِتالٍ﴾ بأن يُريهم الفَرّةَ مَكيدةً وهو يريد الكرّةَ ﴿أو مُتَحَيِّزًا﴾: مُنضمًّا ﴿إلَى فِئَةٍ﴾: جماعة من المسلمين يستنجدُ بها، ﴿فقَد باءَ﴾: رجَع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، ومأواهُ جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾: المرجعُ هي! وهذا مخصوص بما إذا لم يَزِد الكُفّارُ على الضِّعف.

﴿مُردفين﴾: مُتبعاً بعضهُم بعضاً آخرَ منهُم. ﴿يغشّيكم النّعاس﴾: يجعلُهُ غاشياً عليكُم كالغطاءِ. ﴿أمنة منه﴾: أمناً مِنَ اللهِ وتقويةً لكُم. ﴿رجز الشّيطان﴾: وسوستَهُ وتخويفَهُ إيَّاكُم مِنَ العطشِ. ﴿ليربط﴾: يشدَّ ويقوِّيَ باليقينِ والصَّبرِ. ﴿أنّي معكم﴾: مُعينُكُم على تثبيتِ المؤمنينَ. ﴿الرّعب﴾: الخوفَ والفزعَ والانزعاجَ. ﴿كلّ بنان﴾: كلَّ الأطرافِ أو كلَّ مفصلٍ. ﴿شاقّوا﴾: خالفوا وعصوْا. ﴿زحفاً﴾: جيشاً زاحفاً نحوَكُم لقتالِكُم. ﴿مُتحرّفاً﴾: مُظهراً الفرارَ خِدعةً ثمَّ يكرُّ. ﴿مُتحيّزاً إلى فئة﴾: منضمّاً إليها ليقاتلَ العدوَّ معَها. ﴿باء بغضب﴾: رجعَ مُتلبّساً بهِ مُستحقّاً لهُ.

(١) عن عمر رضي الله عنه: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال على ذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾. مسلم (١٧٦٣).

(٢) الطبري (١١/ ٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنه. وانظر ما سيأتي في نزول الآية (١٧).

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن
تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ
وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿١٧﴾ ـ **﴿فلَم تَقتُلوهُم﴾** ببدر بقوّتكم، **﴿ولكِنَّ اللهَ قَتَلَهُم﴾** بنصره إيّاكم، **﴿وما رَمَيتَ﴾** ـ يا مُحمّد ـ أعيُنَ القوم، **﴿إذ رَمَيتَ﴾** بالحصباء لأنّ كفًّا من الحصباء لا يملأ عُيون الجيش الكثير برمية بشَر[1]، **﴿ولكِنَّ اللهَ رَمَى﴾** بإيصال ذلك إليهم. فعلَ ذلك ليقهر الكافرين، **﴿وليُبلِيَ المُؤمِنينَ مِنهُ بَلاءً﴾**: عطاء **﴿حَسَنًا﴾** هو الغنيمة. **﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾** لأقوالهم **﴿عَلِيمٌ﴾** بأحوالهم. ﴿١٨﴾ ـ **﴿ذلِكُم﴾** الإبلاء حقّ، **﴿وأنَّ اللهَ مُوهِنٌ﴾**: مُضْعِفٌ **﴿كَيدَ الكافِرينَ﴾**.

﴿١٩﴾ ـ **﴿إن تَستَفتِحُوا﴾** أيها الكُفّار: تطلبوا الفتحَ، أي: القضاءَ، حيثُ قال أبو جهلٍ منكم: «اللّهمَّ، أيُّنا كان أقطعَ للرَّحِم، وآتانا بما لا نَعرِفُ، فأحِنْه الغَدَاةَ»[2] أي: أهلِكْه، **﴿فقَد جاءَكُمُ الفَتحُ﴾**: القضاء بهلاك من هو كذلك ـ وهو أبو جهل ومن قُتل معه دون النبيّ والمؤمنين ـ **﴿وإن تَنتَهُوا﴾** عن الكُفر والحرب **﴿فهُوَ خَيرٌ لَكُم، وإن تَعُودُوا﴾** لقتال النبيّ **﴿نَعُدْ﴾** لنَصره عليكم، **﴿ولَن تُغنِيَ﴾**: تَدفعَ **﴿عَنكُم فِئَتُكُم﴾**: جماعتُكم **﴿شَيئًا، ولَو كَثُرَتْ! وإنَّ اللهَ مَعَ المُؤمِنِينَ﴾**، بكسرِ «إنّ» استئنافًا، وفتحِها على تقدير اللام.

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

﴿٢٠﴾ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، ولا تَوَلَّوا﴾**: تُعرضوا **﴿عَنهُ﴾** بمُخالفة أمره، **﴿وأنتُم تَسمَعُونَ﴾** القرآن والمواعظ، ﴿٢١﴾ ـ **﴿ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ قالُوا: سَمِعْنا. وهُم لا يَسمَعُونَ﴾** سماعَ تدبُّر واتّعاظ، وهم المُنافقون أو المُشركون.

﴿٢٢﴾ ـ **﴿إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ﴾** عن سماع الحقّ **﴿البُكمُ﴾** عن النُّطق به **﴿الَّذِينَ لا يَعقِلُونَـ﴾**ـه، ﴿٢٣﴾ ـ **﴿ولَو عَلِمَ اللهُ فِيهِم خَيرًا﴾**: صلاحًا بسماع الحقّ **﴿لَأسمَعَهُم﴾** سماعَ تفهُّم، **﴿ولَو أسمَعَهُم﴾** ـ فرْضًا وقد علم أنْ لا خير فيهم ـ **﴿لَتَوَلَّوا﴾** عنه **﴿وهُم مُعرِضُونَ﴾** عن قبوله عِنادًا وجُحودًا.

﴿٢٤﴾ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، استَجِيبُوا للهِ ولِلرَّسُولِ﴾** بالطاعة، **﴿إذا دَعاكُم لِما يُحيِيكُم﴾** من أمر الدِّين لأنه سبب الحياة الأبديّة، **﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ يَحُولُ بَينَ المَرءِ وقَلبِهِ﴾**، فلا يستطيع أن يُؤمن أو يكفر إلّا بإرادته، **﴿وأنَّهُ إلَيهِ تُحشَرُونَ﴾** فيُجازيكم بأعمالكم، ﴿٢٥﴾ ـ **﴿واتَّقُوا فِتنَةً﴾**، إن أصابتكم **﴿لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خاصّةً﴾**، بل تعمّهم وغيرَهم ـ واتقاؤها بإنكار مُوجِبها من المُنكَر ـ **﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾** لِمَن خالفه..

﴿لِيُبلِيَ المؤمنين﴾: ليُنعِمَ عليهم بالنَّصرِ والأجرِ. ﴿موهِن..﴾: مُضعِفُ... ﴿تستفتحوا﴾: تطلبوا النَّصرَ لأهدى الفئتَين. ﴿يُحييكم﴾: يورثُكُم حياةً أبديّةً في نعيمٍ سرمديٍّ.

(١) الطبراني في «الكبير» (٣١٢٨) عن حكيم بن حزام قال: «لمّا كان يومُ بدرٍ أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفًّا من الحصى فاستقبلَنا به، فرمانا بها وقال: «شاهتِ الوجوه» فانهزَمْنا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾. قال في «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٤): إسناده حسن. وعن ابن عباس: أن النبيَّ ﷺ قال لعَليٍّ: «ناوِلْني كفًّا مِن حصًى» فناوله، فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحدٌ من القومِ إلّا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] الآيةَ. الطَّبَرانيُّ في «الكبير» (١١٧٥٠)، وقال في «المجمع» (٦/ ٨٤): رجاله رجالُ الصَّحيح. سبب آخر: عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير: دَعا رسولُ الله ﷺ يومَ خيبرَ بقَوسٍ، فجاؤُوه بقوسٍ كَبْداءَ، فرمى الحِصنَ، فأقبلَ السَّهمُ يهوي حتّى قتلَ كنانةَ بنَ أبي الحُقَيقِ وهو على فراشِه، ونزلَ: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾. ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٣). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذا غريب، ولعله اشتبه عليه، أو أراد أن الآية تعمه، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم. وعن سعيدِ بنِ المُسيِّبِ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ طعَنَ أُبيَّ بن خلَفٍ يوم أحدٍ بحربته، فسقط أُبيٌّ عن فرسِه ولم يخرُجْ من طعنتِه دمٌ، فجعلَ يخورُ خوارَ الثَّورِ، فقيل له: ما أعجزك! إنَّما هو خَدْشٌ، فقالَ: والذي نفسي بيدِه لو كان هذا الذي بي بأهلِ ذي المَجازِ لماتُوا أجمعون، فمات أُبيٌّ، فأنزل اللهُ في ذلك: ﴿وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى﴾. ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٣)، والحاكم (٣٢٦٣) وصححه، وروى الطبري (١١/ ٨٧) نحوه عن الزهري. وقال ابن كثير: وهذا القول عن هذين الإمامين غريب جدًّا، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها لا أنها نزلت فيه خاصة.

(٢) ابن أبي شيبة (٣٦٦٧٤)، وأحمد (٢٣٦٦١)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٧٣)، والحاكم (٣٢٦٤) وصححه، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير رضي الله عنه. وفيه أن هذا هو سبب نزول الآية. وعن السدي والكلبي: أن المشركين حين خرجوا إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: «اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين وأفضل الدينين» فأنزل الله: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾. الطبري (١١/ ٩٢)، والواحدي (ص: ٢٣٥). عِكْرِمَةُ: قال المشركون: اللهمَّ لا نعرفُ ما جاء به محمدٌ فافتح بيْننا وبينه بالحقِّ، فنزلت الآيةَ. الواحدي (ص: ٢٣٥).

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ
إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ
فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

(٢٦) ـ ﴿**واذكُرُوا إذْ أنتُم قَلِيلٌ مُستَضعَفُونَ في الأرضِ**﴾: أرض مكّة، ﴿**تَخافُونَ أن يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ**﴾: يأخذكم الكُفّار بسُرعة، ﴿**فآواكُم**﴾ إلى المدينة، ﴿**وأيَّدَكُم**﴾: قوّاكم ﴿**بِنَصرِهِ**﴾ يومَ بدر بالملائكة، ﴿**ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ**﴾: الغنائمِ، ﴿**لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ نِعَمَه.

ونزلَ في أبي لُبابة بنِ عبدِ المُنذر[1]، وقد بعثه ﷺ إلى بني قُرَيظةَ ليَنزلوا على حُكمه فاستشاروه، فأشار إليهم أنّه الذبحُ لأنّ عِياله وماله فيهم: (٢٧) ـ (٢٨) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ، و**﴾ لا ﴿**تَخُونُوا أماناتِكُم**﴾: ما اؤتُمنتُم عليه من الدِّين وغيره، ﴿**وأنتُم تَعلَمُونَ، واعلَمُوا أنّما أموالُكُم وأولادُكُم فِتنَةٌ**﴾ لكم صادّةٌ عن أُمور الآخِرة، ﴿**وأنَّ اللهَ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ**﴾. فلا تُفوِّتوه بمُراعاة الأموال والأولاد والخِيانة لأجلهم. ونزلَ في تَوبتِه: (٢٩) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن تَتَّقُوا اللهَ**﴾ بالأمانة وغيرها ﴿**يَجعَلْ لَكُم فُرقانًا**﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجون، ﴿**ويُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئاتِكُم، ويَغفِرْ لَكُم**﴾ ذُنوبكم. ﴿**واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾.

(٣٠) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**إذ يَمكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، وقد اجتمعوا للمُشاورة في شأنك بدار الندوة[2]، ﴿**لِيُثبِتُوكَ**﴾: يُوثقوك ويَحبِسوك ﴿**أو يَقتُلُوكَ**﴾ كلّهم قِتلَةَ رجلٍ واحد ﴿**أو يُخرِجُوكَ**﴾ من مكّة ـ ﴿**ويَمكُرُونَ**﴾ بك، ﴿**ويَمكُرُ اللهُ**﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبّروه، وأمرك بالخروج، ﴿**واللهُ خَيرُ الماكِرِينَ**﴾: أعلَمُهم به ـ (٣١) ـ ﴿**وإذا تُتلَى عَلَيهِم آياتُنا**﴾: القُرآنُ ﴿**قالُوا: قَد سَمِعْنا. لَو نَشاءُ لَقُلْنا مِثلَ هذا**﴾ ـ قاله النضرُ[3] بن الحارث لأنه كان يأتي الحِيرة يَتّجر[4]، فيشتري كُتب أخبار الأعاجم، ويحدِّث بها أهلَ مكّة ـ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**هذا**﴾ القُرآن ﴿**إلّا أساطِيرُ**﴾: أكاذيبُ ﴿**الأوَّلِينَ**﴾.

(٣٢) ـ ﴿**وإذْ قالُوا: اللّهُمَّ، إن كانَ هذا**﴾ الذي يقرؤه مُحمّد ﴿**هُوَ الحَقَّ**﴾ المُنزَلَ ﴿**مِن عِندِكَ فأمطِرْ عَلَينا حِجارةً مِنَ السَّماءِ، أوِ ائتِنا بِعَذابٍ ألِيمٍ**﴾: مؤلم على إنكاره. قاله النضر أو غيره[5] استهزاءً وإيهامًا أنه على بصيرةٍ وجزمٍ ببُطلانه. (٣٣) ـ قال تعالى: ﴿**وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم**﴾ بما سألوه، ﴿**وأنتَ فِيهِم**﴾ لأنّ العذاب إذا نزل عَمَّ، ولم تُعذَّب أُمّة إلّا بعد خروج نبيّها والمؤمنين منها، ﴿**وما كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُم، وهُم يَستَغفِرُونَ**﴾ حيثُ

﴿يتخطّفكم النّاس﴾: يستلبوكُم ويصطلموكُم بسرعةٍ. ﴿فتنة﴾: ابتلاءٌ ومحنةٌ أو سببٌ في الإثمِ والعقابِ. ﴿فرقاناً﴾: هدايةً ونوراً أو نجاةً. أو مخرجاً. ﴿ليُثبتوك﴾: ليحبسوكَ أو ليُقيِّدوكَ بالوثاقِ. ﴿يمكر الله﴾: يعاملُهُم معاملةَ الماكرينَ. ﴿أساطير الأوّلين﴾: أكاذيبُهُم المسطورةُ في كتبِهِم.

(١) الطبري (١١/ ١٢١) عن الزهري، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨) عن الكلبي. وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٩٨٧) عن عبد الله بن أبي قتادة. وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٨٢٨) عن لبابة بنت أبي لبابة. والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥) عن معبد بن كعب بن مالك.
وعن جابر بن عبد الله: أن أبا سفيان خرج من مكة، فأخبر جبريلُ النبيَّ ﷺ بمكانه كذا وكذا! فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فاخرجوا إليه واكتموا» قال: فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: «إن محمدًا يريدكم، فخذوا حذركم» فنزلت. الطبري (١١/ ١٢١). وفيه محمد بن المحرم وهو متروك. وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: هذا الحديث غريب جدًا، وفي سنده وسياقه نظر.

(٢) روى الطبري (١١/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قصة اجتماع رُؤَساءِ قريشٍ في دارِ النَّدوةِ ليتشاوروا في أمرِ النبي ﷺ، ودخولِ إبليسَ عليهم في صورةِ شيخٍ نجدي، واختلافِ آرائهم فيما يصنعون به ليقضوا على دعوته، وإبليس يسفه كل رأي يقال، حتى قال أبو جهلٍ: الرَّأيُ أن يجتمعَ عليه فتيانٌ من قريشٍ، فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فلا يقدرُ بنو هاشمٍ أن يطلُبوا ثأرَه من جميعِ قريشٍ، فيرضَوا بالعقلِ، فصدَّقه ابليس وتفرَّقوا على ذلك، فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك وأمره بالهجرة، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكِّرُه نِعمَه عليه: ﴿وإذ يمكر بك الّذين كفروا﴾ الآية.

(٣) ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٠) عن ابن عباس. وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٩٩٠)، والطبري (١١/ ١٤٤)، والحاكم (٣٨٥٤)، عن سعيد بن جبير. والطبري (١١/ ١٤٤ ـ ١٤٥) عن مجاهد وعطاء والسدي.

(٤) الطبري (١١/ ١٤٢) عن ابن جريج والسدي. والثعلبي (١٣/ ٨٤) مطولًا عن ابن عباس، وروى الطبري عن سعيد بن جبير قال: قَتل النبيُّ من يوم بدر صبرًا: عُقبةَ بن أبي معيط، وطُعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله، قال المقداد: يا رسول الله، أسيري! فقال رسول الله ﷺ: «إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول» وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾.

(٥) هو أبو جهل كما رواه البخاري (٤٦٤٨)، ومسلم (٢٧٩٦)، عن أنس رضي الله عنه: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

يقولون في طوافهم[1]: غُفرانَكَ غُفرانَكَ. وقيل: هم المُؤمنون المُستضعفون
فيهم كما قال تعالى: «لَو تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذابًا أليمًا».
(٣٤) ـ ﴿وما لَهُم ألّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ بالسيف بعد خُروجك والمُستضعفين ـ
وعلى القول الأوّل هي ناسخة لما قبلها، وقد عذّبهم الله ببدر وغيره ـ ﴿وهُم
يَصُدُّونَ﴾: يمنعون النبيّ والمُسلمين ﴿عَنِ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أن يطوفوا به،
﴿وما كانُوا أَولِياءَهُ﴾ كما زعموا؟

﴿إنْ﴾: ما ﴿أولياؤُهُ إلّا المُتَّقُونَ، ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم
عليه. (٣٥) ـ ﴿وما كانَ صَلاتُهُم عِندَ البَيتِ إلّا مُكاءً﴾: صفيرًا ﴿وتَصدِيَةً﴾[2]:
تصفيقًا، أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أُمروا بها. ﴿فذُوقُوا العَذابَ﴾
ببدر ﴿بِما كُنتُم تَكفُرُونَ﴾.

(٣٦) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أمْوالَهُم﴾ في حرب النبيّ ﴿لِيَصُدُّوا عَن
سَبِيلِ اللهِ[3]. فسَيُنفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيهِم حَسْرَةً﴾: ندامة
لفواتها وفوات ما قصدوه، ﴿ثُمَّ يُغلَبُونَ﴾ في الدُّنيا ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم
﴿إلَى جَهَنَّمَ﴾ في الآخِرة ﴿يُحشَرُونَ﴾: يُساقون ـ (٣٧) ـ ﴿لِيَمِيزَ﴾: مُتعلّق
بـ «تكونُ»، بالتخفيف والتشديد، أي: يَفصِلَ ﴿اللهُ الخَبِيثَ﴾: الكافرَ ﴿مِنَ
الطَّيِّبِ﴾: المُؤمنِ، ﴿ويَجعَلَ الخَبِيثَ بَعضَهُ علَى بَعضٍ، فيَركُمَهُ جَمِيعًا﴾:
يجمعَه متراكبًا بعضُه فوق بعض، ﴿فيَجعَلَهُ في جَهَنَّمَ. أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾.

(٣٨) ـ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سُفيانَ وأصحابِه: ﴿إن يَنتَهُوا﴾ عن الكُفر وقِتال النبيّ ﷺ ﴿يُغفَرْ لَهُم ما قَد سَلَفَ﴾ من أعمالهم، ﴿وإن
يَعُودُوا﴾ إلى قِتاله ﴿فقَد مَضَت سُنَّةُ الأوَّلِينَ﴾ أي: سُنّتُنا فيهم بالإهلاك. فكذا نفعل بهم. (٣٩) ـ ﴿وقاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ﴾: تُوجَدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾:
شِركٌ، ﴿ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾ وحده ولا يُعبَدَ غيرُه. ﴿فإنِ انتَهَوا﴾ عن الكُفر ﴿فإنَّ اللهَ بِما يَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيهم به، (٤٠) ـ ﴿وإن
تَوَلَّوا﴾ عن الإيمان ﴿فاعلَمُوا أنَّ اللهَ مَولاكُم﴾: ناصرُكم ومُتولّي أُموركم، ﴿نِعمَ المَولَى﴾ هو! ﴿ونِعمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصرُ لكم!

﴿مُكاءً وتصديةً﴾: صفيراً وتصفيقاً. ﴿حسرة﴾: ندماً وتأسُّفاً. ﴿فيركمه جميعاً﴾: فيجمعَهُ ملقىً بعضُهُ على بعضٍ. ﴿سُنّة الأوّلين﴾: عادةُ اللهِ في المُكذِّبينَ لرسلِهِ.
﴿فتنة﴾: شركٌ أو بلاءٌ.

(١) الطبري (١١/ ١٥٠) عن ابن عباس: أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون: «لبيك لبَّيك، لا شريك لك»، فيقول النبي ﷺ: «قَدْ قَدْ» ـ أي: حسبكم لا تزيدوا ـ فيقولون: «إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك» ويقولون: «غفرانك، غفرانك»، فأنزل الله: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ الآية.
وعن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس: قالت قريش بعضها لبعض: «محمد أكرمه الله من بيننا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا﴾ الآية»، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: «غفرانك اللهم»، فأنزل الله: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾.

(٢) عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: كانوا يطوفُونَ بالبيتِ فيُصفِّقون ويُصفِّرونَ ويضَعُونَ خُدودَهم بالأرضِ، فنزلَتْ: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾ الطبري (١١/ ١٦٣)، والواحدي (ص: ٢٣٦). وفي إسناده عطية العوفي وهو ضعيف. وعن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزئون به، يصفِّرون به ويصفقون، فنزلت: ﴿وما كان صلاتهم﴾ الآية. الطبري (١١/ ١٦٤).

(٣) قال مقاتلٌ والكلبيُّ: نزلَتْ في المُطعِمين يومَ بدرٍ، وكانوا اثنَي عشرَ رجلاً ـ سماهم ـ وكلُّهم من قُريشٍ، وكان يُطعِمُ كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يومٍ عشرَ جُزُرٍ. الثعلبي (١٣/ ٩٦)، والواحدي (ص: ٢٣٦)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٤). سعيدُ بنُ جُبيرٍ: نزلَتْ في أبي سُفيانَ، استأجرَ يوم أُحدٍ ألفَين من الأحابيشِ يُقاتلُ بهم النَّبيَّ عليه السَّلامُ سوى مَن استجاشَ منَ العربِ. الطبري (١١/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٨).
وعن الحكم بن عتيبة: نزلت في أبي سُفيانَ أنفقَ على المُشركين يومَ أُحدٍ أربعين أوقيَّةً من ذهب. الطبري (١١/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٧).
وعن ابن إسحاق عن أشياخه منهم الزهري قالوا: لما أصاب المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلُّهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بِعِيره، مشى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم، فكلموا أبا سفيان ومَن كان له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: إن محمدًا قد وترکم وقتل خيارکم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا، ففعلوا. قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عبّاسٍ أنزل الله: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم﴾ إلى: ﴿يحشرون﴾. الطبري (١١/ ١٧٣)، وابن المنذر (١/ ٣٥٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٩٨).

﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن
كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ
أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ
وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ
وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

الجزء ١٠ الحزب ١٩

﴿٤١﴾ ـ **﴿واعلَموا أنَّ ما غَنِمتُم﴾**: أخذتم من الكُفّار قهرًا **﴿مِن شَيءٍ فأنَّ لِلهِ خُمُسَهُ﴾** يأمرُ فيه بما يشاء، **﴿ولِلرَّسُولِ ولِذِي القُربَى﴾**: قرابةِ النبيِّ ﷺ من بني هاشم والمُطّلبِ، **﴿واليَتامَى﴾**: أطفالِ المُسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء، **﴿والمَساكِينِ﴾**: ذوِي الحاجة من المُسلمين، **﴿وابنِ السَّبِيلِ﴾**: المنقطع في سفره من المسلمين ـ أي: يستحقّه النبيّ والأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه من أنّ لكُلِّ خُمُسَ الخُمُسِ، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ـ **﴿إن كُنتُم آمَنتُم بِاللهِ﴾** فاعلموا ذلك،

﴿وما﴾ ـ عطفٌ على «بالله» ـ **﴿أنزَلنا عَلَى عَبدِنا﴾** مُحمّد من الملائكة والآيات **﴿يَومَ الفُرقانِ﴾** أي: يوم بدرِ الفارقِ بين الحقّ والباطل، **﴿يَومَ التَقَى الجَمعانِ﴾**: المسلمون والكُفّار. **﴿واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾**، ومنه نصركم مع قِلّتكم وكثرتهم.

﴿٤٢﴾ ـ **﴿إذ﴾** ـ بدلٌ من «يوم» ـ **﴿أنتُم﴾** كائنون **﴿بِالعُدوَةِ الدُّنيا﴾**: القُربَى من المدينة، وهي بضمّ العين وكسرها: جانبِ الوادي، **﴿وهُم بِالعُدوَةِ القُصوَى﴾**: البُعدى منها، **﴿والرَّكبُ﴾**: العِير كائنون بمكانٍ **﴿أسفَلَ مِنكُم﴾** ممّا يلي البحر، **﴿ولَو تَواعَدتُم﴾** أنتم والنفير لِلقتال **﴿لاختَلَفتُم في المِيعادِ، ولكِنْ﴾** جمعَكم بغير مِيعاد **﴿لِيَقضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مَفعُولاً﴾** في عِلمه، وهو نصر الإسلام ومحق الكُفر، فعلَ ذلك **﴿لِيَهلِكَ﴾**: يكفرَ **﴿مَن هَلَكَ﴾**[1] **﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حُجّة ظاهرة قامت عليه ـ وهي نصر المُؤمنين مع قِلّتهم على الجيش الكثير ـ **﴿ويَحيا﴾**: يُؤمنَ **﴿مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ. وإنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

﴿٤٣﴾ ـ اذكرْ **﴿إذ يُرِيكَهُمُ اللهُ في مَنامِكَ﴾** أي: نومك **﴿قَلِيلاً﴾** فأخبرتَ به أصحابك فسُرّوا، **﴿ولَو أراكَهُم كَثِيرًا لَفَشِلتُم﴾**: جَبُنتم **﴿ولَتَنازَعتُم﴾**: اختلفتم **﴿في الأمرِ﴾**: أمر القتال، **﴿ولكِنَّ اللهَ سَلَّمَ﴾** ـكم من الفشل والتنازُع ـ **﴿إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾**: بما في القُلوبِ ـ ﴿٤٤﴾ ـ **﴿وإذ يُرِيكُمُوهُم﴾**، أيُّها المُؤمنون، **﴿إذِ التَقَيتُم في أعيُنِكُم قَلِيلاً﴾** نحوَ سبعين أو مِائةٍ[2] وهم ألف لتُقدِموا عليهم، **﴿ويُقَلِّلُكُم في أعيُنِهِم﴾** ليُقدِموا ولا يرجعوا عن قِتالكم ـ وهذا قبل التحام الحرب. فلمّا التحم أراهم إيّاهم مِثلَيهم كما في «آل عمران» ـ **﴿لِيَقضِيَ اللهُ أمرًا كانَ مَفعُولاً. وإلَى اللهِ تَرجِعُ﴾**: تصير **﴿الأُمُورُ﴾**.

﴿٤٥﴾ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا لَقِيتُم فِئَةً﴾**: جماعة كافرة **﴿فاثبُتُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا، **﴿واذكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾**: ادعوه بالنصر، **﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾**: تفوزون...

﴿لله خُمسه﴾: والأربعةَ الأخماسِ للغانمينَ. ﴿يوم الفرقان﴾: بينَ الحقِّ والباطلِ (يومَ بدرٍ). ﴿بالعدوة الدّنيا﴾: بحافةِ الوادي وضفّتِهِ الأقربِ للمدينةِ. ﴿الرّكب﴾: عيرُ قريشٍ فيها أموالُهم. ﴿لَفشلتهم﴾: لجبنتُم عنِ القتالِ وهِبتُموهُ.

(١) أي: ليصدُرَ كُفرُ من كفر وإيمانُ من آمنَ عن وضُوحِ بيِّنةٍ على استعارةِ الهلاكِ والحياةِ للكُفرِ والإسلامِ، والمرادُ بـ(﴿مَن هلكَ﴾) و(﴿من حيَّ﴾): المشارفُ للهلاكِ والحياةِ، أو من هذا حالُه في علمِ اللهِ وقضائه، أو المعنَى: ليَموتَ من يموتُ عن بيِّنةٍ عايَنها، ويعيشَ من يعيشُ عن حجَّةٍ شاهَدَها لئلَّا يكونَ له حجَّةٌ ومعذِرةٌ، فإنَّ وقعَةَ بدرٍ من الآياتِ الواضحَةِ.

(٢) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٣٣)، والطبري (١١/ ٢١١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٠)، عن ابن مسعودٍ قال: قُلِّلوا في أعيُنِنا حتَّى قلتُ لرجلٍ إلى جنبي: تراهُم سبعين؟ قال: أراهُم مئةً، فأسَرْنا رجلًا فقلنا: كم كنتُم؟ قال: ألفًا.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

﴿٤٦﴾ ـ ﴿**وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ، ولاتَنازَعُوا**﴾: تختلفوا فيما بينكم، ﴿**فتَفشَلُوا**﴾: تجبُنوا ﴿**وتَذهَبَ رِيحُكُم**﴾: قُوّتكم ودَولتكم، ﴿**واصبِرُوا ـ إنَّ اللهَ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾ بالنصر والعون ـ ﴿٤٧﴾ ـ ﴿**ولا تكُونُوا كالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيارِهِم**﴾ ليمنعوا عِيرهم ولم يرجِعوا بعد نجاتها ﴿**بَطَرًا ورِئاءَ النّاسِ**﴾، حيثُ قالوا: «لا نرجِعُ حتّى نشربَ الخمر وننحرَ الجَزور[1]، وتَضربَ علينا القِيانُ ببدر، فيتسامعَ بذلك الناسُ»، ﴿**ويَصُدُّونَ**﴾ الناس ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ. واللهُ بِما يَعمَلُونَ**﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿**مُحِيطٌ**﴾ عِلمًا فيُجازيهم به.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ**﴾: إبليس ﴿**أعمالَهُم**﴾ بأن شجّعهم على لِقاء المُسلمين، لمّا خافوا [حين] الخُروج من أعدائهم بني بكر، ﴿**وقالَ**﴾ لهم: ﴿**لا غالِبَ لَكُمُ اليَومَ مِنَ النّاسِ، وإنِّي جارٌ لَكُم**﴾ من كِنانة. وكان أتاهم، في صُورة سُراقةَ بنِ مالكٍ سيّدِ تلك الناحية. ﴿**فلَمّا تَراءتِ**﴾: التقتِ ﴿**الفِئَتانِ**﴾ المُسلمة والكافرة ورأى الملائكةَ، وكان يده في يد الحارث بن هشام، ﴿**نَكَصَ**﴾: رجع ﴿**على عَقِبَيهِ**﴾ هاربًا، ﴿**وقالَ**﴾ لمّا قالوا له: «أتخذُلُنا على هذا الحال»؟: ﴿**إنِّي بَرِيءٌ مِنكُم**﴾: من جِواركم. ﴿**إنِّي أرَى ما لا تَرَونَ**﴾[2] من الملائكة. ﴿**إنِّي أخافُ اللهَ**﴾ أن يُهلكني، ﴿**واللهُ شَدِيدُ العِقابِ**﴾.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿**إذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾[3]: ضعفُ اعتقاد: ﴿**غَرَّ هؤُلاءِ**﴾ أي: المسلمين ﴿**دِينُهُم**﴾ إذ خرجوا مع قِلّتهم يُقاتلون الجمع الكثير توهّمًا أنهم يُنصرون بسببه. قال تعالى في جوابهم: ﴿**ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**﴾: يَثِقْ بِه يَغلِبْ، ﴿**فإنَّ اللهَ عَزِيزٌ**﴾: غالب على أمره ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿**ولَو تَرَى**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**إذْ يَتَوَفَّى**﴾، بالياء والتاء، ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائكةُ، يَضرِبُونَ**﴾: حالٌ ﴿**وُجُوهَهُم وأدبارَهُم**﴾ بمَقامع من حديد، ﴿**و**﴾ يقولون لهم: ﴿**ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ**﴾ أي: النارِ. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا عظيمًا. ﴿٥١﴾ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ التعذيب ﴿**بِما قَدَّمَتْ أيدِيكُم**﴾ ـ عُبّر بهما دون غيرهما، لأنّ أكثر الأفعال تُزاول بهما ـ ﴿**وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ**﴾ أي: بذِي ظُلم ﴿**لِلعَبِيدِ**﴾، فيُعذّبهم بغير ذنب. دأبُ هؤلاء ﴿٥٢﴾ ـ ﴿**كدَأْبِ**﴾: كعادةِ ﴿**آلِ فِرعَونَ والَّذِينَ مِن قَبلِهِم، كَفَرُوا بآياتِ اللهِ، فأخَذَهُمُ اللهُ**﴾ بالعِقاب ﴿**بِذُنُوبِهِم**﴾. جُملة «كفروا» وما بعدها: مفسِّرة لما قبلها. ﴿**إنَّ اللهَ قَوِيٌّ**﴾ على ما يُريده ﴿**شَدِيدُ العِقابِ**﴾.

﴿تذهب ريحكم﴾: تتلاشى قوّتُكم أو دولتُكم. ﴿بطرًا﴾: طغياناً أو فخراً وأشَراً. ﴿إنّي جار لكم﴾: مُجيرٌ ومُعينٌ وناصرٌ لكُم. ﴿نكص على عقبيه﴾: رجعَ القهقرى وولّى مُدبراً. ﴿كدأب﴾: كعادةِ...

---

(١) الطبري (١١/ ٢١٧ ـ ٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعروة بن الزبير ومحمد بن إسحاق. وانظر: «المغازي» للواقدي (١/ ٤٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٠).

(٢) الثعلبي (١٣/ ١١٧) عن الكلبي، ورواه بنحوه الطبري (١١/ ٢٢١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٥)، من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه: «.. وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين.. » ولم يسمه.

(٣) قال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: غر هؤلاء دينهم، فنزلت. الطبراني في «الأوسط» (٩١٢١) عن أبي هريرة بسند ضعيف كما في «لباب النقول» (ص: ٩٩ ـ ١٠٠).

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ
مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ
خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ
﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ
فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ـ ﴿**ذلكَ**﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿**بِأنَّ**﴾ أي: بسبب أنّ ﴿**اللهَ لَم يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمةً أنعَمَها على قَومٍ**﴾: مبدِّلاً لها بالنقمة، ﴿**حتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم**﴾: يُبدِّلوا نِعمتهم كُفرًا كتبديل كُفّار مكّة إطعامَهم من جوع وأمنَهُم من خوف وبَعْثَ النبيِّ إليهم، بالكُفر والصدّ عن سبيل الله وقِتال المؤمنين، ﴿**وأنَّ اللهَ سَميعٌ عَليمٌ، كَدأبِ آلِ فِرعَونَ والَّذينَ مِن قَبلِهِم، كَذَّبوا بآياتِ رَبِّهِم، فأهلَكْناهُم بِذُنوبِهِم، وأغرَقْنا آلَ فِرعَونَ**﴾: قومَه معه، ﴿**وكُلٌّ**﴾ من الأُمم المُكذِّبة ﴿**كانُوا ظالِمِينَ**﴾.

ونزل في قُرَيظة[1]: ﴿٥٥﴾ ـ ﴿٥٦﴾ ـ ﴿**إنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ فهُم لا يُؤمِنُونَ ـ الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنهُم**﴾ ألّا يُعينوا المشركين، ﴿**ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهدَهُم في كُلِّ مَرَّةٍ**﴾ عاهدوا فيها، ﴿**وهُم لا يَتَّقُونَ**﴾ اللهَ في غدرهم. ﴿٥٧﴾ ـ ﴿**فإمّا**﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿**تثقفنّهم**﴾: تَجِدَنّهم ﴿**في الحَربِ فشَرِّدْ**﴾: فرِّقْ ﴿**بِهِم مَن خَلْفَهُم**﴾ من المُحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة، ﴿**لَعَلَّهُم**﴾ أي: الذين خلفهم ﴿**يَذَّكَّرُونَ**﴾: يتّعظون بهم، ﴿٥٨﴾ ـ ﴿**وإمّا تَخافَنَّ مِن قَومٍ**﴾ عاهدوك ﴿**خِيانةً**﴾[2] في العهد بأمارةٍ تلوح لك ﴿**فانبِذْ**﴾: اطرحْ عهدهم ﴿**إلَيهِم على سَواءٍ**﴾: حالٌ، أي: مُستويًا أنت وهم في العِلم بنقض العهد بأن تُعلِمَهم به، لئلّا يتّهموك بالغدر. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخائنِينَ**﴾.

ربع الحزب ١٩

ونزل فيمن أفلَتَ يومَ بدر[3]: ﴿٥٩﴾ ـ ﴿**ولا تَحسِبَنَّ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا**﴾ اللهَ، أي: فاتُوه ـ ﴿**إنَّهُم لا يُعجِزُونَ**﴾: لا يفوتونه. وفي قراءة بالتحتانيّة، فالمفعول الأوّل محذوف، أي: أنفُسَهم، وفي أُخرى بفتح «أنّ» على تقدير اللام ـ ﴿٦٠﴾ ـ ﴿**وأعِدُّوا لَهُم**﴾: لقتالهم ﴿**ما استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ**﴾ ـ قال ﷺ: «هِيَ الرَّمْيُ» رواه مسلم[4] ـ ﴿**ومِن رِباطِ الخَيلِ**﴾: مصدرٌ بمعنى حبسها في سبيل الله، ﴿**تُرهِبُونَ**﴾: تُخوِّفون ﴿**بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم**﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿**وآخَرِينَ مِن دُونِهِم**﴾ أي: غيرهم ـ وهم المنافقون أو اليهود ـ ﴿**لا تَعلَمُونَهُم، اللهُ يَعلَمُهُم. وما تُنفِقُوا مِن شَيءٍ في سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إلَيكُم**﴾ جزاؤه، ﴿**وأنتُم لا تُظلَمُونَ**﴾: تُنقَصون منه شيئًا.

﴿٦١﴾ ـ ﴿**وإن جَنَحُوا**﴾: مالوا ﴿**لِلسَّلْمِ**﴾ بكسر السين وفتحها: الصُّلح ﴿**فاجنَحْ لَها**﴾ وعاهدْهم ـ وقال ابن عبّاس[5]: هذا منسوخ بآية السيف. ومُجاهدٌ: مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلتْ في بني قُرَيظةَ[6] ـ ﴿**وتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾: ثِقْ به ـ ﴿**إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**﴾ للقول ﴿**العَلِيمُ**﴾ بالفعل ـ.......

﴿تثقفنّهم﴾: تصادفنَّهُم وتظفرنَّ بهِم. ﴿فشرِّد بهم﴾: ففرِّقْ وبدِّدْ وخوِّفْ بهِم. ﴿من قوم﴾: قد عاهدوكَ. ﴿فانبذ إليهم﴾: فاطرحْ إليهِم عهدَهُم وحاربْهُم. ﴿على سواء﴾: على استواءٍ في العلمِ بنبذِهِ. ﴿سبقوا﴾: خلصوا وأفلتوا مِنَ العذابِ. ﴿قوّة﴾: كلِّ ما يُتقوَّى بِهِ في الحربِ. ﴿رباط الخيل﴾: حبسِها للجهادِ في سبيلِ اللهِ. ﴿جنحوا للسّلم﴾: مالوا للمُسالمةِ والمصالحةِ.

(١) «تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٩٩٨) عن أيوب عن سعيد بن جبير قال: ستة رهط من اليهود، قال أيوب: سماهم، منهم ابن تابوت.

(٢) عن ابن شهاب: دخل جبريل على رسول الله ﷺ فقال: أوضعت السلاح وما زلنا في طلب القوم؟ فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ الآية. «الأموال» لأبي عبيد (٤٦٣)، و«لباب النقول» (ص: ١٠٠).

(٣) «الكشاف» (٣/ ٤٣٧) عن الزهري، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٣) دون نسبة.

(٤) برقم (١٩١٧) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٥) أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٦١)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٥). ورواه عبد الرزاق (١٠٢٦)، والطبري (١١/ ٢٥٢)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٦٨)، عن قتادة.

(٦) الطبري (١١/ ٢٥٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٥).

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ
أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ
ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ
مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ - ﴿**وإن يُريدُوا أن يَخدَعُوكَ**﴾ بالصُّلح ليستعدّوا لك ﴿**فإنَّ حَسْبَكَ**﴾: كافيك ﴿**اللهُ. هُوَ الَّذِي أيَّدَكَ بِنَصرِهِ وبِالمُؤمِنِينَ، وألَّفَ**﴾: جمع ﴿**بَينَ قُلُوبِهِم**﴾ بعد الإِحَن، ﴿**لَو أنفَقتَ ما في الأرضِ جَمِيعًا ما ألَّفتَ بَينَ قُلُوبِهِم، ولكنَّ اللهَ ألَّفَ بَينَهُم**﴾ بقُدرته. ﴿**إنَّهُ عَزِيزٌ**﴾: غالب على أمره ﴿**حَكِيمٌ**﴾ لا يَخرج شيء عن حكمته.

﴿٦٤﴾ - ﴿٦٥﴾ - ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، حَسْبُكَ اللهُ و**﴾ حسبُك ﴿**مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾[1]. ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، حَرِّضِ**﴾: حُثَّ ﴿**المُؤمِنِينَ عَلَى القِتالِ**﴾ للكفّار، ﴿**إن يَكُنْ مِنكُم عِشرُونَ صابِرُونَ يَغلِبُوا مِائَتَينِ**﴾ منهم، ﴿**وإن يَكُنْ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**مِنكُم مِائَةٌ**﴾ صابرة ﴿**يَغلِبُوا ألفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأنَّهُم**﴾ أي: بسبب أنّهم ﴿**قَومٌ لا يَفقَهُونَ**﴾. وهذا خبر بمعنى الأمر، أي: لِيقاتل العشرون منكم المِائتَين والمِائةُ الألفَ ويَثبُتوا لهم.

ثمّ نُسخ لمّا كثروا بقوله: ﴿٦٦﴾ - ﴿**الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُم، وعَلِمَ أنَّ فِيكُم ضُعفًا**﴾ - بضمّ الضاد وفتحها - عن قِتال عشرةِ أمثالكم. ﴿**فإن يَكُنْ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**مِنكُم مِائَةٌ صابِرةٌ يَغلِبُوا مِائَتَينِ**﴾ منهم، ﴿**وإن يَكُن مِنكُم ألفٌ يَغلِبُوا ألفَينِ بِإذنِ اللهِ**﴾: بإرادته. وهو خبر بمعنى الأمر، أي: لِتقاتلوا مِثلَيكم وتَثبُتوا لهم. ﴿**واللهُ مَعَ الصّابِرِينَ**﴾ بعونه.

ونزل لمّا أخذوا الفِداء[2] من أسرى بدر: ﴿٦٧﴾ - ﴿**ما كانَ لِنَبِيٍّ أن تَكُونَ**﴾ - بالتاء والياء - ﴿**لَهُ أسرَى حَتَّى يُثخِنَ في الأرضِ**﴾: يُبالغَ في قتل الكفّار. ﴿**تُرِيدُونَ**﴾ - أيها المؤمنون - ﴿**عَرَضَ الدُّنيا**﴾: حُطامَها بأخذ الفِداء، ﴿**واللهُ يُرِيدُ**﴾ لكم ﴿**الآخِرَةَ**﴾ أي: ثوابها بقتلهم، ﴿**واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾. وهذا منسوخ بقوله: «فإمّا مَنًّا بعدُ، وإمّا فِداءً»[3]. ﴿٦٨﴾ - ﴿٦٩﴾ - ﴿**لَولا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ**﴾[4] بإحلالِ الغنائم والأسرى لكم ﴿**لَمَسَّكُم فِيما أخَذتُم**﴾ من الفِداء ﴿**عَذابٌ عَظِيمٌ فكُلُوا مِمّا غَنِمتُم حَلالًا طَيِّبًا - واتَّقُوا اللهَ - إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

﴿حسبك الله﴾: كافيكَ في دفعِ خديعتِهم. ﴿حرِّض المؤمنين﴾: بالِغْ في حثِّهم. ﴿يُثخن﴾: يُبالغَ في القتلِ حتَّى يذلَّ الكفر. ﴿عرض الدّنيا﴾: حطامَها بأخذِكُمُ الفديَةَ.

(١) عن سعيد بن جُبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أسلَمَ مع النَّبيِّ ﷺ تسعةٌ وثلاثون رجلاً، ثمَّ أسلَمَ عمرُ رضي الله عنه فنزلَتْ هذه الآيةُ. الآجري في «الشريعة» (١٣٥٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٧٠)، والواحدي (ص: ٢٣٨). قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨): «فيه إسحاق بن بشر الكاهلي، وهو كذاب». ورواه ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٨) عن سعيد بن جبير بسند صحيح كما في «لباب النقول» (ص: ١٠٠).
وعن عكرمة عن ابن عباس: لمَّا أسلم عمر قال المشركون: قد انتَصف القومُ اليومَ منَّا، فنزلت. البزار (٢٤٩٥ - كشف) وفيه النضر بن عبد الرحمن الخزاز، وهو متروك كما في «التقريب». وعن سعيد بن المسيب: لما أسلم عمر أنزل الله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الآية. أبو الشيخ كما في «لباب النقول» (ص: ١٠٠).

(٢) مسلم (١٧٦٣) من حديث عمر في الخبر الطويل في قصة فداء الأسرى لما أخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر بالفداء، ولم يأخذ برأي عمر بأن يمكن كل قريب من قريبه فيضرب عنقه.

(٣) أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٩٢)، والطبري (١١/ ٢٧١)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٧٢)، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى البخاري (٤٦٥٣) معناه عن عكرمة عن ابن عباسٍ قال: «لمَّا نزلت: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ﴾ شقَّ ذلك على المسلمين حين فُرض عليهم أن لا يفِرَّ واحدٌ من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ﴾ الآية.

(٤) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها»، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ الآية. الترمذي (٣٠٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٤٥). قال الترمذي: حسن صحيح.
وروى أحمد (١٣٥٥٥) من حديث أنس نحو ما تقدم من حديث عمر في قصة فداء الأسرى، وفي آخره: وأنزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ الآية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ
مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٧١ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ
وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

٧٠ - ٧١ - ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، قُلْ لِمَن في أيدِيكُم مِنَ الأُسارَى**﴾[١]، وفي قراءة «الأَسرَى»: ﴿**إن يَعلَمِ اللهُ في قُلُوبِكُم خيرًا**﴾: إيمانًا وإخلاصًا ﴿**يُؤتِكُم خَيرًا مِمّا أُخِذَ مِنكُم**﴾ من الفِداء بأن يُضعِفه لكم في الدنيا ويُثيبَكم في الآخرة، ﴿**ويَغفِرْ لكُم**﴾ ذُنوبكم. ﴿**واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وإن يُرِيدُوا**﴾ أي: الأسرى ﴿**خِيانَتَكَ**﴾ بما أظهروا من القول ﴿**فقَد خانُوا اللهَ مِن قَبلُ**﴾: قبلِ بدر بالكفر، ﴿**فأمكَنَ مِنهُم**﴾ ببدر قتلاً وأسرًا. فلْيتوقَّعوا مثلَ ذلك إن عادوا. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في صنعه.

٧٢ - ٧٣ - ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ**﴾ - وهم المهاجرون - ﴿**والَّذِينَ آوَوْا**﴾ النبيَّ ﴿**ونَصَرُوا**﴾هُ - وهم الأنصار - ﴿**أُولئِكَ بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ**﴾[٢] في النُّصرة والإِرث، ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا ولَم يُهاجِرُوا مالكُم مِن وِلايَتِهِم**﴾ - بكسر الواو وفتحها - ﴿**مِن شَيءٍ**﴾، فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة، ﴿**حَتَّى يُهاجِرُوا**﴾ - وهذا منسوخ بآخِر السُّورة - ﴿**وإنِ استَنصَرُوكُم في الدِّينِ فعَلَيكُمُ النَّصرُ**﴾ لهم على الكُفّار ﴿**إلّا علَى قَومٍ بَينَكُم وبَينَهُم مِيثاقٌ**﴾: عهدٌ، فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم - ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ - والَّذِينَ كَفَرُوا بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ**﴾ في النُّصرة والإرث. فلا إرث بينكم وبينهم. ﴿**إلّا تَفعَلُوهُ**﴾ أي: تَولِّيَ المسلمين وقطعَ الكُفّار ﴿**تَكُنْ فِتنَةٌ في الأرضِ وفَسادٌ كَبِيرٌ**﴾ بقوّة الكُفر وضعف الإِسلام.

٧٤ - ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ والَّذِينَ آوَوْا ونَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ المُؤمِنُونَ حَقًّا، لَهُم مَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ**﴾ في الجنّة،

٧٥ - ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعدُ**﴾ أي: بعدِ السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿**وهاجَرُوا وجاهَدُوا مَعَكُم فأُولئِكَ مِنكُم**﴾ - أيها المُهاجرون والأنصار - ﴿**وأُولُو الأرحامِ**﴾: ذَوُو القرابات ﴿**بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ**﴾[٣] في الإرث من التوارثِ بالإيمان والهجرة المذكورِ في الآية السابقة ﴿**في كِتابِ اللهِ**﴾: اللوحِ المحفوظ. ﴿**إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ**﴾، ومنه حِكمة الميراث.

﴿فأمكن منهم﴾: فأقدرَكَ عليهِم يومَ بدرٍ. ﴿أولوا الأرحام﴾: ذوو القراباتِ. ﴿أَوْلى﴾: بالميراثِ مِنَ الأجانبِ.

(١) عن عائشة في قصة أسرى بدر: وقال العباس: يا رسولَ الله، إني كنت مسلماً، فقال: «الله أعلمُ بإسلامك، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك، فافْدِ نفسك وابني أخويك نوفلَ بنَ الحارث وعقيلَ بن أبي طالب، وحليفَك عتبةَ بنَ عمرو»، فقال: ما ذاك عندي يا رسول الله، قال: «فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل، فقلت لها: إن أصبتُ فهذا المال لِبَنِيَّ: الفضل وعبد الله وقثم؟»، فقال: والله يا رسول الله، إني أشهد أنك رسولُ الله، إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل! فاحسب لي يا رسولَ الله ما أصبتم مني، عشرين أوقية من مال كان معي. فقال رسولُ الله ﷺ: «لا أفعل» ففدى العباس نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ الآية. الحاكم (٥٤٠٩) وصححه. وذكره الواحدي (ص: ٢٤١) نحوه عن الكلبي.

وعن ابن عباس قال: قال العباس: فيَّ نزلت: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾، فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا كلهم تاجر، مالي في يديه. الطبري (١١/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٣٧).

(٢) عن السُّدِّيِّ عن أبي مالكٍ: قال رجل: نُورِّث أرحامنا من المشركين؟ فنزلتْ.

(٣) عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في العصبات، كان الرجل يعاقد الرجل يقول: ترثني وأرثك، فنزلت. أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤١٣)، والطبري (١١/ ٣٠٢).

وعن الزبير رضي الله عنه: أنزل الله فينا خاصَّة معشر قريش والأنصار: ﴿وأولو الأَرْحَام بَعضهم أولى بِبَعْض﴾ وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الأنصار نعم الإِخوان فواخيناهم وتوارثنا... حتَّى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش وَالأنصار خاصَّة فرجعنا إلى مواريثنا. ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٣٩٤) ط: الخانجي، وابن أبي حاتم (٥/ ١٧٤٢)، والحاكم (٨٠٠٥) وصححه.

٩

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سورة التوبة

بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾

حزب ١٩

مدنية أو إلّا الآيتين آخرها، مِائةٌ وثلاثون أو إلّا آيةً.

ولم تُكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك كما يُؤخذ من حديث رواه الحاكم[١]، وأخرج في معناه عن عليّ[٢]: أنّ البسملةَ أمانٌ، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف، وعن حُذيفةَ[٣]: «إنّكم تُسمُّونها سُورةَ التوبةِ، وهي سُورةُ العَذابِ». وروى البخاريّ عن البراء أنها آخرُ سُورةٍ نَزلتْ[٤].

﴿١﴾ ـ هذه ﴿بَراءةٌ مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ﴾ واصلةٌ ﴿إلى الّذِينَ عاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دونَ أربعة أشهر أو فوقها، ونَقَضُوا العهدَ بما يُذكر في قوله:

﴿٢﴾ ـ ﴿فسِيحُوا﴾: سيروا آمنين ـ أيها المُشركون ـ ﴿في الأرضِ أربعَةَ أشهُرٍ﴾، أوّلُها شوّال بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها، ﴿واعلَمُوا أنّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللهِ﴾ أي: فائتي عذابه، ﴿وأنَّ اللهَ مُخزِي الكافِرِينَ﴾: مُذِلّهم في الدنيا بالقتل والأُخرى بالنار.

﴿٣﴾ ـ ﴿وأذانٌ﴾: إعلامٌ ﴿مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ إلى النّاسِ يَومَ الحَجِّ الأكبَرِ﴾: يومَ النحر، ﴿أنَّ﴾ أي: بأنّ ﴿اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ وعهودِهم ﴿ورَسُولُهُ﴾ بريءٌ أيضًا ـ «وقد بَعثَ ﷺ عليًا من السَّنة وهي سنةُ تِسعٍ، فأذّنَ يومَ النحرِ بمِنًى بهذه الآياتِ وألّا يَحُجَّ بعدَ العام مُشركٌ ولا يطوفَ بالبيتِ عُرْيانٌ». رواه البخاريّ[٥] ـ ﴿فإن تُبتُم﴾ من الكفر ﴿فهُوَ خَيرٌ لَكُم، وإن تَوَلَّيتُم﴾ عن الإيمان ﴿فاعلَمُوا أنّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللهِ. وبَشِّرِ﴾: أخبرِ ﴿الّذِينَ كَفَرُوا بِعذابٍ ألِيمٍ﴾: مُؤلم. وهو القتلُ والأسر في الدنيا والنارُ في الآخِرة. ﴿٤﴾ ـ ﴿إلّا الّذِينَ عاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ، ثُمَّ لَم يَنقُصُوكُم شَيئًا﴾ من شُروط العهد، ﴿ولَم يُظاهِرُوا﴾: يُعاونوا ﴿عَلَيكُم أحَدًا﴾ من الكُفّار، ﴿فأتِمُّوا إلَيهِم عَهدَهُم إلى﴾ انقضاء ﴿مُدّتِهِم﴾ التي عاهدتموهم عليها. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ بإتمام العُهود.

﴿٥﴾ ـ ﴿فإذا انسَلَخَ﴾: خرج ﴿الأشهُرُ الحُرُمُ﴾ ـ وهي آخِر مُدّة التأجيل ـ ﴿فاقتُلُوا المُشرِكِينَ حَيثُ وجَدتُمُوهُم﴾ في حِلٍّ أو حَرم، ﴿وخُذُوهُم﴾ بالأسر، ﴿واحصُرُوهُم﴾ في القِلاع والحُصون حتّى يُضطرّوا إلى القتل أو الإسلام، ﴿واقعُدُوا لَهُم كُلَّ مَرصَدٍ﴾: طريقٍ يسلكونه ـ ونصبُ «كُلّ» على نزع الخافض ـ ﴿فإن تابُوا﴾ من الكُفر ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾ ولا تتعرّضوا لهم ـ ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب ـ ﴿٦﴾ ـ ﴿وإن أحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ﴾: مرفوع بفعل يُفسّره ﴿استَجارَكَ﴾: استأمنَك من القتل ﴿فأجِرْهُ﴾: آمِنه ﴿حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللهِ﴾: القُرآنَ، ﴿ثُمَّ أبلِغْهُ مأمَنَهُ﴾ أي: موضع أمنه ـ وهو دار قومه ـ إن لم يُؤمن، لِيَنظُرَ في أمره. ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأنّهُم قَومٌ لا يَعلَمُونَ﴾ دِينَ الله. فلا بُدّ لهم من سماع القُرآن ليعلموا.

﴿براءة من الله..﴾: تبرُّؤٌ وتباعدٌ واصلٌ مِنَ اللهِ.. ﴿عاهدتم﴾: فنقضوا العهدَ. ﴿أربعة أشهر﴾: أوّلُها عاشرُ ذي الحجّةِ. ﴿غير مُعجزي الله﴾: غيرُ فائتينَ مِن عذابِهِ بالهربِ. ﴿أذانٌ﴾: إعلامٌ وإيذانٌ. ﴿يوم الحجّ الأكبر﴾: يومَ النَّحرِ سنةَ تسع. ﴿ورسوله﴾: أي بريءٌ أيضاً مِنَ المشركينَ. ﴿لم ينقصوكم﴾: لم ينقضوا عهدَكُم بل وفَّوا بهِ. ﴿لم يُظاهروا﴾: لم يُعاوِنوا. ﴿انسلخ الأشهر﴾: انقضَتْ أشهرُ العهدِ الأربعةُ. ﴿احصروهم﴾: احبسوهُم، أو ضيِّقوا عليهِم وامنعوهُم مِنَ التَّصرُّفِ في البلادِ. ﴿كل مرصد﴾: كلّ طريقٍ وممرٍّ ومرقبٍ. ﴿استجارك﴾: بعدَ انسلاخِ أشهرِ العهدِ.

(١) برقم (٣٢٧٢) وصححه، ورواه أيضاً أبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، عن ابنِ عبَّاسٍ: قلتُ لعثمانَ: ما حملَكُم على أنْ قرنتُم بينَ الأنفالِ وهي منَ المثاني، وبراءةَ وهي منَ المثينَ، ولـم تكتُبوا بسم الله الرحمن الرحيم...، الحديث، وفيه: فقُبض رسولُ الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنَّها منها. وهو حديث تفرد بروايته يزيد الفارسي، ويكاد يكون مجهولاً كما ذكر الشيخ أحمد شاكر في «المسند» (٣٩٩)، ثم ذكر كلاماً في رد هذا الحديث وتضعيفه.

(٢) برقم (٣٢٧٣). (٣) برقم (٣٢٧٤) وصححه. (٤) برقم (٤٦٥٤).

(٥) برقم (٣٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ
لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧
كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا
ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ
فَٰسِقُونَ ٨ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩ لَا يَرۡقُبُونَ
فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠ فَإِن
تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي
ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١ وَإِن
نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ
فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ
يَنتَهُونَ ١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ
وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ
أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣

٧ ـ ﴿كَيفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلمُشرِكِينَ عَهدٌ عِندَ اللهِ وعِندَ رَسُولِهِ﴾، وهم كافرون بهما غادرون؟ ﴿إلا الَّذِينَ عاهَدتُم عِندَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ يومَ الحُدَيبية ـ وهم قريش المُستثنَون من قبلُ ـ ﴿فما استَقامُوا لَكُم﴾: أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فاستَقِيمُوا لَهُم﴾ على الوفاء به. وما: شرطيّة. ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾. وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكرٍ على خُزاعة.

٨ ـ ﴿كَيفَ﴾ يكون لهم عهد، ﴿وإن يَظهَرُوا عَلَيكُم﴾: يظفروا بكم ﴿لا يَرقُبُوا﴾: يُراعوا ﴿فِيكُم إلًّا﴾: قرابةً ﴿ولا ذِمَّةً﴾: عهدًا، بل يُؤذوكم ما استطاعوا؟ وجملة الشرط: حال ﴿يُرضُونَكُم بأفواهِهِم﴾: بكلامهم الحسن، ﴿وتأبى قُلُوبُهُم﴾ الوفاءَ به، ﴿وأكثَرُهُم فاسِقُونَ﴾: ناقضون[1] للعهد.

٩ ـ ﴿اشتَرَوا بآياتِ اللهِ﴾: القُرآنِ ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا، أي: تركوا اتّباعها للشهوات والهوى، ﴿فصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾: دِينه. ﴿إنَّهُم ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ ـه عملُهم هذا! ١٠ ـ ﴿لا يَرقُبُونَ في مُؤمِنٍ إلًّا ولا ذِمَّةً، وأُولئِكَ هُمُ المُعتَدُونَ﴾.

١١ ـ ﴿فإن تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فإخوانُكُم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدِّينِ ـ ونُفَصِّلُ﴾: نُبيّنُ ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾: يتدبّرون ـ ١٢ ـ ﴿وإن نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿أيمانَهُم﴾: مواثيقهم ﴿مِن بَعدِ عَهدِهِم وطَعَنُوا في دِينِكُم﴾[2]: عابوه ﴿فقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفرِ﴾: رُؤساءه ـ فيه وضع الظاهر[3] موضعَ المُضمر ـ ﴿إنَّهُم لا أيمانَ﴾: عهودَ ﴿لَهُم﴾[4] ـ وفي قراءة بالكسر ـ ﴿لَعَلَّهُم يَنتَهُونَ﴾ عن الكُفر. ١٣ ـ ﴿ألا﴾ للتحضيض ﴿تُقاتِلُونَ قَومًا نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿أيمانَهُم﴾: عهودهم، ﴿وهَمُّوا بإخراجِ الرَّسُولِ﴾ من مكّة لمّا تشاوروا فيه بدار الندوة، ﴿وهُم بَدَؤُوكُم﴾ بالقِتال ﴿أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيثُ قاتلوا خُزاعةَ حلفاءكم مع بني بكر[5]، فما يمنعكم أن تُقاتلوهم؟ ﴿أتَخشَونَهُم﴾: أتخافونهم؟ ﴿فاللهُ أحَقُّ أن تَخشَوهُ﴾ في ترك قِتالهم، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾.

﴿فما استقاموا لكم﴾: فما أقاموا على العهدِ معَكُم. ﴿يظهروا عليكم﴾: يظفروا بكُم. ﴿لا يرقبوا﴾: لا يُراعوا. ﴿إلًّا﴾: رحِماً وقرابةً. أو حلفاً وعهداً. ﴿ذمّةً﴾: عهداً. أو أماناً وضماناً. ﴿نكثوا أيمانهم﴾: نقضوا عهودَهُمُ المُؤكَّدة بالأيمانِ.

(١) أو متمرِّدونَ لا عقيدةَ تكُفُّهم، ولا مروءةَ تمنعُهم، وتخصيصُ الأكثرِ لِما في بعضِ الكفَرةِ من التَّجافي عن الغَدْرِ. (الجمالين).

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذٍ الذين نقضوا العهد، وهم الذين همّوا بإخراج الرسول ﷺ. الثعلبي (١٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، والواحدي (ص: ٢٤٣).

(٣) لا يلائمُ ما قبلَه، فالظَّاهرُ أن يقولَ: أو فيه؛ يعني الأصلَ: فقاتِلوهُم، فوضعَ ﴿أئمّة الكفر﴾ موضِعَ الضَّميرِ للدَّلالةِ على أنَّهم صَاروا بذلك ذَوي الرِّياسةِ والتَّقدُّمِ في الكفرِ، أحقَّاءَ بالقتلِ. (الجمالين).

(٤) في «الكشّاف»: فإنْ قلتَ: كيفَ أثبَتَ لهم الأيمانَ في قولِه: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ ثمَّ نفى عنهم؟ قلتُ: أرادَ أيمانَهم التي أظهرُوها، ثمَّ قال: ﴿لا أيمان لهم﴾ على الحَقيقةِ، وإلَّا لَما طعنُوا، ولم ينكُثوا. (الجمالين).

(٥) القصة في «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٨٠) عن جمع من أشياخه، و«السيرة النبوية» (٢/ ٣٩٤) لابن هشام عن ابن إسحاق، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٩٠٠) عن أبي سلمةَ ويحيى بن عبد الرحمن بنِ حَاطبٍ، و(٣٦٩٠٢) عن عكرمة، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٩١٤) عن خالد بن عبد العزيز، و«المعجم الكبير» ٢٣/ (١٠٥٢) من حديث ميمونة رضي الله عنها، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٧) من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة.

(١٤) ـ ﴿قاتِلُوهُم، يُعَذِّبْهُمُ اللهُ﴾(١): يَقتلْهم ﴿بِأيدِيكُم، ويُخْزِهِم﴾: يُذلَّهم بالأسر والقهر، ﴿ويَنصُرْكُم عليهِم، ويَشفِ صُدُورَ قومٍ مُؤمِنِينَ﴾ ممّا فُعل بهم ـ هم بنو خُزاعةَ ـ (١٥) ـ ﴿ويُذهِبْ غَيظَ قُلُوبِهِم﴾: كربَها. ﴿ويَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشاءُ﴾ بالرجوع إلى الإِسلام كأبي سُفيانَ. ﴿واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(١٦) ـ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الإِنكار ﴿حَسِبتُم أن تُترَكُوا، ولَمّا﴾: لم ﴿يَعلَمِ اللهُ﴾ علمَ ظُهورٍ ﴿الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُم﴾ بإخلاص، ﴿ولَم يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللهِ ولا رَسُولِهِ ولا المُؤمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بِطانةً وأولياء. المعنى: ولم يَظهرِ المخلصون ـ وهم الموصوفون بما ذُكر ـ من غيرهم؟ ﴿واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾.

الحزب ١٩

(١٧) ـ (١٨) ـ ﴿ما كانَ لِلمُشرِكِينَ أن يَعمُرُوا مَسجِدَ اللهِ﴾ ـ بالإِفراد والجمع(٢) ـ بدُخوله والقُعود فيه ﴿شاهِدِينَ عَلَى أنفُسِهِم بِالكُفرِ. أُولئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلت ﴿أعمالُهُم﴾ لعدم شرطها، ﴿وفي النّارِ هُم خالِدُونَ. إنَّما يَعمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَن آمَنَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وأقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ، ولَم يَخشَ﴾ أحدًا ﴿إلّا اللهَ. فعَسَى أُولئِكَ أن يَكُونُوا مِنَ المُهتَدِينَ﴾.

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ
وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى
ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ
ٱلْمُهْتَدِينَ (١٨) ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
(١٩) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠)

(١٩) ـ ﴿أجَعَلتُم سِقايةَ الحاجِّ وعِمارةَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: أهلَ ذلك ﴿كَمَن آمَنَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، وجاهَدَ في سَبِيلِ اللهِ؟ لا يَستَوُونَ عِندَ اللهِ﴾ في الفضل ـ ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين. نزلتْ ردًّا على من قال ذلك(٣)، وهو العبّاس أو غيره ـ (٢٠) ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ بِأموالِهِم وأنفُسِهِم أعظَمُ دَرَجةً﴾: رُتبة ﴿عِندَ اللهِ﴾ من غيرهم، ﴿وأُولئِكَ هُمُ الفائِزُونَ﴾: الظافرون بالخير، ....

﴿غيظ قلوبهم﴾: غضبَها ووجْدَها الشَّديدَ. ﴿وليجةً﴾: بطانةً وأصحابَ سرٍّ وأولياءَ. ﴿حبطت أعمالهم﴾: بطلَتْ وذهبَتْ أجورُها لكفرِهم. ﴿سِقاية الحاجّ﴾: سقْيَ الحجيجِ الماءَ.

(١) عن قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة. أبو الشيخ كما في «لباب النقول» (ص: ١٠٢).

(٢) أي: شيئاً من المساجدِ، فضْلًا عن المسجدِ الحرامِ، وقيل: هو المرادُ، وإنَّما جُمِعَ لأنَّه قِبلةُ المساجدِ وإمامُها، فعامِرُه كعامرِ الجميعِ، ويحتملُ أنَّه جمعٌ؛ لأنَّ كلَّ جهةٍ من جهاتِهِ مسجدٌ، أو للتَّعظيمِ، أو لكِبَرِه الحسِّيِّ والمعنويِّ، فكان كلُّ جزءٍ منه مسْجداً. كما قيلَ في: سراويل. (الجمالين).

(٣) روى الطبري (١١/ ٣٧٨) عن ابن عباس: قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني! فأنزل الله تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الطبري (١١/ ٣٧٨)، والثعلبي (١٣/ ٢٣٥)، والواحدي (ص: ٢٤٤). وروى نحوه عن السدي والضحاك ومحمد بن كعب.

وعن ابن سيرين ومرة الهمداني: قال عليٌّ للعباس: يا عم! ألا تهاجرُ؟ قال: ألستُ في أفضلَ من الهجرة؟ ألستُ أسقي الحجيجَ وأَعْمُرُ المسجد الحرام؟ فنزلت الآية. الثعلبي (١٣/ ٢٣٦)، والواحدي (ص: ٢٤٥). ورواه ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦٩) عن عبد الله بن عبيدة.

وأصح ما روي في نزولها ما رواه مسلم (١٨٧٩) عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ ـ وهو يوم الجمعة ـ ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله عز وجل: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر﴾ الآية إلى آخرها.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

(٢١) ـ ﴿**يُبَشِّرُهُم رَبُّهُم بِرَحْمةٍ مِنهُ ورِضوانٍ وجَنّاتٍ لَهُم فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ**﴾: دائم (٢٢) ـ ﴿**خالِدِينَ**﴾: حال مُقدّرة ﴿**فِيها أبدًا. إنَّ اللهَ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ**﴾.

ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته[(١)]: (٢٣) ـ (٢٤) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا آباءَكُم وإخوانَكُم أولياءَ، إنِ استَحَبُّوا**﴾: اختاروا ﴿**الكُفرَ على الإيمانِ. ومَن يَتَوَلَّهُم مِنكُم فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ. قُل: إن كانَ آباؤُكُم وأبناؤُكُم وإخوانُكُم وأزواجُكُم وعَشِيرَتُكُم**﴾: أقرباؤكم ـ وفي قراءة: «عَشِيراتُكُم» ـ ﴿**وأموالٌ اقتَرَفتُمُوها**﴾: اكتسبتموها ﴿**وتِجارةٌ تَخشَونَ كَسادَها**﴾: عدمَ نَفاقها ﴿**ومَساكِنُ تَرضَونَها أحَبَّ إلَيكُم مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ في سَبِيلِهِ**﴾، فقعدتم لأجله عن الهِجرة والجِهاد، ﴿**فتَرَبَّصُوا**﴾: انتظروا ﴿**حَتَّى يأتِيَ اللهُ بِأمرِهِ**﴾. تهديدٌ لهم. ﴿**واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ**﴾.

(٢٥) ـ ﴿**لَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ في مَواطِنَ**﴾ للحرب ﴿**كَثِيرةٍ**﴾ كبَدرٍ وقُرَيظةَ والنَّضِيرِ، ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ حُنَينٍ**﴾: وادٍ بين مكّة والطائف، أي: يومَ قِتالكم فيه هوازنَ ـ وذلك في شوّال سنة ثمانٍ ـ ﴿**إذْ**﴾: بدل من «يومَ»، ﴿**أعجَبَتكُم كَثرَتُكُم**﴾، فقلتم: لن نُغلَبَ اليوم من قِلّة[(٢)] ـ وكانوا اثني عشرَ ألفًا والكُفّارُ أربعة آلاف ـ ﴿**فلَم تُغنِ عَنكُم شَيئًا! وضاقَت عَلَيكُمُ الأرضُ بِما رَحُبَت**﴾ ما: مصدريّة أي: مع رُحبِها أي سَعتِها، فلم تجدوا مكانًا تطمئنّون إليه لشِدّة ما لحقكم من الخوف، ﴿**ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرِينَ**﴾: منهزمين، وثَبَتَ النبيّ ﷺ على بغلته البيضاء[(٣)]، وليس معه غيرُ العبّاس وأبو سُفيانَ آخذٌ بِرِكابه، (٢٦) ـ ﴿**ثُمَّ أنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ**﴾: طُمأنينته ﴿**على رَسُولِهِ وعلى المُؤمِنِينَ**﴾، فردُّوا إلى النبيّ ﷺ لمّا ناداهم العبّاس بإذنه وقاتلوا، ﴿**وأنزَلَ جُنُودًا لَم تَرَوها**﴾: ملائكةً، ﴿**وعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بالقتل والأسر. ﴿**وذلِكَ جَزاءُ الكافِرِينَ**﴾.

﴿استحبّوا الكفر﴾: اختاروهُ وأقاموا عليه. ﴿اقترفتموها﴾: اكتسبتُموها. ﴿كسادها﴾: بوارَها بفواتِ أيّامِ المواسمِ. ﴿فتربّصوا﴾: فانتظروا. ﴿بما رحُبت﴾: معَ رُحبِها وسَعتِها. ﴿سكينته﴾: طمأنينتَهُ وأمنتَهُ أو رحمتَهُ.

(١) قال الكلبيُّ: لمَّا أمرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ بالهجرة إلى المدينةِ جعَلَ الرَّجلُ يقولُ لابنه ولأخيه ولقرابته: إنَّا قد أُمِرْنا بالهجرة، فمنهم مَن يُسرِعُ إلى ذلك ويُعجبه، ومنهم مَن يتعلَّقُ به زوجتُه وعيالُه وولدُه فيقولون: أنشدُكَ الله أن تدَعَنا إلى غيرِ شيءٍ فنضيعَ، فيرِقُّ ويجلسُ معَهم ويدَعُ الهجرةَ، فنزلَتْ يُعاتِبُهم: ﴿يا أيها الّذين آمنوا﴾ الآية. الواحدي (ص: ٢٤٥)، وذكره الثعلبي (١٣/ ٢٤١) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن مجاهد: أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا صاحب الكعبة، فلا نهاجر، فأنزلت: ﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ إلى قوله: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾. الطبري (١١/ ٣٨٤).

(٢) البزار (١٨٢٧ ـ كشف) من حديث أنس رضي الله عنه، والطبري (١١/ ٣٨٩) عن السدي وقتادة، وروى البيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٣) عن الربيع أن هذا هو سبب نزول قوله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾. وعلى كل فالغالب أن قائل هذه العبارة كان من حديثي الإسلام وليس ممن شهد المشاهد مع النبي ﷺ، لأن المسلمين ما قاتلوا في غزوة إلا كانوا في قلة.

(٣) مسلم (١٧٧٥) من حديث العباس رضي الله عنه، وأبو سفيان هو ابن الحارث ابن عم النبي ﷺ كما في حديث العباس وغيره من كتب السنة والسير.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ
إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ
ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ
وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ
وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم
بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ
قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١

٢٧ ـ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعدِ ذلِكَ عَلَى مَن يَشاءُ﴾ منهم بالإسلام. ﴿واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٢٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّما المُشرِكُونَ نَجَسٌ﴾: قذرٌ لِخُبثِ باطنهم. ﴿فلا يَقرَبُوا المَسجِدَ الحَرامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحَرَمَ ﴿بَعدَ عامِهِم هذا﴾: عامِ تسع من الهجرة، ﴿وإن خِفتُم عَيلَةً﴾[1]: فقرًا بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فسَوفَ يُغنِيكُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ، إن شاءَ﴾. وقد أغناهم بالفُتوح والجِزية[2]. ﴿إنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٢٩ ـ ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِاللهِ ولا بِاليَومِ الآخِرِ﴾ ـ وإلّا لآمنوا بالنبيّ ـ ﴿ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالخمر، ﴿ولا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ﴾: الثابتِ الناسخ لغيره من الأديان ـ وهو الإسلام ـ ﴿مِنَ﴾: بيانٌ لـ «الَّذِينَ» ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ أي: اليهودِ والنصارى، ﴿حَتَّى يُعطُوا الجِزيَةَ﴾: الخراج المضروب عليهم كُلَّ عام ﴿عَن يَدٍ﴾: حالٌ، أي: منقادين، أو بأيديهم لا يُوكِّلون بها، ﴿وهُم صاغِرُونَ﴾: أذلّاءُ منقادون لحُكم الإسلام.

٣٠ ـ ﴿وقالَتِ اليَهُودُ: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ﴾[3]. وقالَتِ النَّصارَى: المَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ابنُ اللهِ. ذلِكَ قَولُهُم بِأفواهِهِم﴾ لا مُستندَ[4] لهم عليه، بل ﴿يُضاهُونَ﴾: يُشابِهون به ﴿قَولَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبلُ﴾ من آبائهم تقليدًا لهم ﴿قاتَلَهُمُ﴾: لعنهم ﴿اللهُ. أنَّى﴾: كيف ﴿يُؤفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحقّ مع قِيام الدليل؟ ٣١ ـ ﴿اتَّخَذُوا أحبارَهُم﴾: عُلماءَ اليهود ﴿ورُهبانَهُم﴾: عُبّادَ النصارى ﴿أربابًا مِن دُونِ اللهِ﴾، حيثُ اتّبعوهم في تحليل ما حُرِّم وتحريم ما أُحِلّ، ﴿والمَسِيحَ بنَ مَريَمَ، وما أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إلّا لِيَعبُدُوا﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إلٰهًا واحِدًا، لا إلٰـهَ إلّا هُوَ. سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمّا يُشرِكُونَ﴾!

﴿المشركون نجس﴾: شيءٌ قذرٌ أو خبيثٌ لفسادِ بواطنِهم. ﴿خفتم عَيْلةً﴾: فقراً وفاقةً بانقطاعِ تجارتِهم عنكُم. ﴿يُعطوا الجزية﴾: الخراجَ المقدَّرَ على رؤوسِهم. ﴿عن يدٍ﴾: عنِ انقيادٍ أو عن قهرٍ وقوّةٍ. ﴿هم صاغرون﴾: منقادونَ أذلّاءُ لحكمِ الإسلامِ. ﴿يُضاهئون﴾: يشابهونَ في الكفرِ والشّناعةِ. ﴿أنى يُأفكون؟﴾: كيفَ يصرفونَ عنِ الحقِّ بعدَ سطوعِهِ ؟. ﴿أحبارهم﴾: علماءَ اليهودِ. ﴿رهبانهم﴾: متنسّكي النَّصارى. ﴿أربابًا﴾: أطاعوهُم كما يُطاعُ الرَّبُّ.

(١) عـن ابـن عبـاس قـال: كان المشـركون يجيئـون إلى البيـت ويجيئـون معهم بالطعـام يتجرون فيـه، فلما نهوا عـن أن يأتـوا البيت قال المسـلمون: من أين لنـا الطعام، فأنـزل الله: ﴿وإن خفتـم عيلـة﴾. ابـن أبـي حاتـم (٦/ ١٧٧٧) عـن سـماك عـن عكرمة عن ابـن عباس، وبنحـوه الطبري (١١/ ٤٠٠) عن علي بن أبي طلحة عنه، وعـن سـعيد بن جبير كذلك.

(٢) وغيرِها، وقيَّدَه بالمشيئةِ لتنقطِعَ الآمالُ إلى اللهِ، ولينبِّهَ على أنَّه متفضِّلٌ في ذلكَ، وأنَّ الغنى الموعودَ يكونُ لبعضٍ دونَ بعضٍ، في عامٍ دونَ عامٍ. (الجمالين).

(٣) قال ابنُ عبَّاسٍ: قال قومٌ منَ اليهودِ ـ سماهم ـ: كيف نتَّبِعُك وقد تركتَ قِبلتَنا، وأنتَ لا تزعمُ أنَّ عُزَيرًا ابنُ اللهِ؟ فنزلَتِ الآيةُ. الطبري (١١/ ٤٠٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٠٤).

(٤) يعني: بأفواهِهم إشعارٌ بأنَّه قولٌ مُجرَّدٌ عن برهانٍ، وتحقيقٌ مماثلٌ للمُهمَلِ الذي يوجدُ في الأفواهِ، ولا يوجَدُ مفهومُه في الأعيانِ، وقيلَ: إنَّه تأكيدٌ لنسبةِ هذا القولِ إليهم، ونفيٌ للتَّجوُّزِ عنها. (الجمالين).

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ
يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا
فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ٣٥ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦

٣٢ـ **﴿يُرِيدُونَ أن يُطفِئُوا نُورَ اللهِ﴾**: شرعَه وبراهينه[١] **﴿بِأفواهِهِم﴾**: بأقوالهم فيه، **﴿ويأبَى اللهُ إلّا أن يُتِمَّ﴾**: يُظهِرَ **﴿نُورَهُ، ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾** ذلك. ٣٣ـ **﴿هُوَ الَّذِي أرسَلَ رَسُولَهُ﴾** مُحمّدًا **﴿بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ﴾**: يُعليه **﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾**: جميعِ الأديانِ المُخالفة له، **﴿ولَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾** ذلك.

الحزب ٢٠

٣٤ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحبارِ والرُّهبانِ لَيَأكُلُونَ﴾**: يأخذون **﴿أموالَ النّاسِ بِالباطِلِ﴾** كالرُّشا في الحُكم، **﴿ويَصُدُّونَ﴾** الناس **﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾**: دِينه، **﴿والَّذِينَ﴾**: مبتدأ **﴿يَكنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ[٢] ولا يُنفِقُونَها﴾** أي: الكنوزَ **﴿في سَبِيلِ اللهِ﴾**، أي: لا يُؤدّون منها حقّه من الزكاةِ، والخبرُ: **﴿فبَشِّرهُم﴾**: أخبِرْهم، **﴿بِعَذابٍ ألِيمٍ﴾**: مُؤلِم ٣٥ـ **﴿يَومَ يُحمَى علَيها في نارِ جَهَنَّمَ، فتُكوَى﴾**: تُحرَقُ **﴿بِها جِباهُهُم وجُنُوبُهُم وظُهُورُهُم﴾**، ويُوسَّع جلدهم حتى تُوضع عليه كلّها[٣]، ويقال لهم: **﴿هذا ما كَنَزتُم لِأنفُسِكُم. فذُوقُوا ما كُنتُم تكنِزُونَ﴾** أي: جزاءَه.

٣٦ـ **﴿إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾** المُعتدِّ بها للسَّنة **﴿عِندَ اللهِ اثنا عَشَرَ شَهرًا في كِتابِ اللهِ﴾**: اللوحِ المحفوظ **﴿يَومَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، مِنها﴾** أي: الشُّهورِ **﴿أربَعةٌ حُرُمٌ﴾**: مُحرَّمة: ذو القَعدة وذو الحِجّة والمُحرّم ورجبٌ ـ **﴿ذلِكَ﴾** أي: تحريمُها **﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾**: المستقيم[٤] ـ **﴿فلا تَظلِمُوا فِيهِنَّ﴾** أي: الأشهرِ الحُرم **﴿أنفُسَكُم﴾** بالمعاصي[٥] ـ فإنها فيها أعظم وِزرًا[٦]. وقيل: في الأشهُرِ كُلّها ـ **﴿وقاتِلُوا المُشرِكِينَ كافّةً﴾** أي: جميعًا في كُلِّ الشُّهور **﴿كَما يُقاتِلُونَكُم كافّةً، واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾** بالعون والنصر.

﴿لِيُظهِرَه﴾: ليُعليَهُ. ﴿أربعة حُرُم﴾: رجبٌ وذو القعدةِ وذو الحِجَّةِ والمُحرَّمُ. ﴿الدّين القيّم﴾: الدِّينُ المُستقيمُ دينُ إبراهيمَ ﷺ.

(١) أي: حُجَجَهُ الدَّالَّةَ على وحدانيَّتِه وتقدُّسِه عن الولدِ، أو القرآنَ، أو نبوَّةَ محمَّدٍ. (الجمالين).

(٢) عن زيد بن وهبٍ قال: مررتُ بالرَّبَذة، فإذا أنا بأبي ذرٍّ رضي الله عنه، فقلتُ له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنتُ بالشَّأم، فاختلفتُ أنا ومعاويةُ في: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ قال معاويةُ: نزلت في أهل الكتاب، فقلتُ: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك..، الحديث. البخاري (١٤٠٦)، والواحدي (ص: ٢٤٥).

(٣) وخُصَّتْ هذه الأعضاءُ لأنَّهم عبَسوا وجوهَهم عندَ رؤيةِ الفقيرِ وازورُّوا عن السَّائلِ وأعرَضوا عنه وولَّوه ظهورَهم، أو معناه: يكونُ على الجهاتِ الأربعِ؛ مَقاديمِهم ومآخيرِهم وجنوبِهم وظهورِهم. (الجمالين).

(٤) دينُ إبراهيمَ وإسماعيلَ، والعربُ ورِثُوه منهما. (الجمالين).

(٥) الجمهورُ على أنَّ حرمَةَ المقاتَلةِ فيها منسوخةٌ، وأوَّلوا الظُّلمَ بارتكابِ المعاصِي. (الجمالين).

(٦) كارتكابِها في الحرمِ وحالَ الإحرامِ. (الجمالين).

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠

٣٧ ـ ﴿إنما النَّسيءُ﴾ أي: التأخير لحُرمة شهر إلى آخَرَ كما كانت الجاهليّة تفعله من تأخير حُرمة المُحرّم إذا هلَّ، وهم في القتال، إلى صفر ﴿زيادةٌ في الكُفرِ﴾[1] لكُفرهم بحُكم الله فيه، ﴿يُضَلُّ﴾ ـ بضمّ الياء وفتحها ـ ﴿بهِ الَّذينَ كَفَروا، يُحِلُّونَهُ﴾ أي: النسيءَ ﴿عامًا ويُحَرِّمُونَهُ عامًا لِيُواطِئوا﴾: يُوافقوا بتحليل شهرٍ وتحريم آخَرَ بدلَه ﴿عِدّةَ﴾: عددَ ﴿ما حَرَّمَ اللهُ﴾ من الأشهُر، فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون، ولا ينظرون إلى أعيانها، ﴿فيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ. زُيِّنَ لَهُم سُوءُ أعمالِهم﴾ فظنّوه حسنًا. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الكافِرينَ﴾.

ونزل لمّا دعا رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة تَبُوكَ[2]، وكانوا في عُسرةٍ وشِدّة وحرّ، فشقّ عليهم:

٣٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، ما لكُم إذا قِيلَ لَكُمُ: «انفِرُوا في سَبيلِ اللهِ» اثّاقَلتُم﴾ ـ بإدغام التاء في الأصل في المُثلّثة واجتلاب همزة الوصل ـ أي: تباطأتم ومِلتم عن الجِهاد ﴿إلى الأرضِ﴾ والقُعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ. ﴿أرَضِيتُم بالحَياةِ الدُّنيا﴾ ولذّاتها ﴿مِنَ الآخِرةِ﴾ أي: بدلَ نعيمها؟ ﴿فما مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا في﴾ جنب متاع ﴿الآخِرةِ إلّا قَليلٌ﴾: حقير.

٣٩ ـ ﴿إلّا﴾ ـ بإدغام «لا» في نون «إن» الشرطيّة في الموضعين ـ ﴿تَنفِرُوا﴾: تخرجوا مع النبيّ للجِهاد ﴿يُعَذِّبكُم عذابًا أليمًا﴾: مُؤلمًا، ﴿ويَستَبدِلْ قَومًا غَيرَكُم﴾ أي: يأتِ بهم بدلكم، ﴿ولا تَضُرُّوهُ﴾ أيِ: اللهَ أو النبيَّ ﴿شَيئًا﴾ بترك نصره! فإنّ الله ناصرٌ دِينَه. ﴿واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾ ومنه نصر دِينه ونبيّه.

٤٠ ـ ﴿إلّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: النبيَّ ﴿فقد نَصَرَهُ اللهُ إذْ﴾: حينَ ﴿أخرَجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ من مكّة، أي: ألجؤوه إلى الخُروج، لمّا أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة، ﴿ثانيَ اثنَينِ﴾: حالٌ، أي: أحدَ اثنين، والآخَرُ أبو بكر ـ المعنى: نصره الله في مِثل تلك الحالة، فلا يَخذله في غيرها ـ ﴿إذْ﴾: بدل من «إذ» قبله ﴿هُما في الغارِ﴾: نَقبٍ في جبلِ ثور، ﴿إذْ﴾: بدلٌ ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصاحِبِهِ﴾ أبي بكر، وقد قال له، لمّا نظر أقدام المشركين[3]: «لَو نَظَرَ أحَدُهُم تَحتَ قَدَمَيهِ لَأبصَرَنا»: ﴿لا تَحزَنْ. إنَّ اللهَ مَعَنا﴾ بنصره. ﴿فأنزَلَ اللهُ سَكينَتَهُ﴾: طُمأنينته ﴿عَلَيهِ﴾ ـ قيل: على النبيّ، وقيل: على أبي بكر ـ ﴿وأيَّدَهُ﴾ أي: النبيَّ ﴿بِجُنُودٍ لَم تَرَوها﴾: ملائكةٍ في الغار ومواطن قِتاله، ﴿وجَعَلَ كَلِمةَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشِّرك ﴿السُّفلَى﴾ المغلوبةَ.

﴿وكَلِمةُ اللهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هِيَ العُليا﴾: الظاهرةُ الغالبة. ﴿واللهُ عَزيزٌ﴾ في مُلكه ﴿حَكيمٌ﴾ في صُنعه.

﴿النَّسيء﴾: تأخيرُ حُرمةِ شهرٍ إلى آخرَ. ﴿ليُواطِئوا﴾: ليوافقوا. ﴿انفروا﴾: اخرجوا غزاةً (لتبوكَ). ﴿اثاقلتم﴾: تباطأتُم وأخلدتُم. ﴿في الغار﴾: غارِ جبلِ ثورٍ قربَ مكّةَ. ﴿لصاحبه﴾: أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ.

(١) عن أبي مالك: كانوا يجعلون السنة ثلاثةَ عشراً شهرًا، فيجعلون المحرَّم صفرًا، فيستحلُّون فيه الحرمات. فأنزل الله: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾. الطبري (١١/ ٤٥٦). وعن أبي وائل: وكان رجل من بني كنانة يُسَمَّى: «النسيء»، فكان يجعل المحرَّم صفرًا ويستحل فيه الغنائم، فنزلت هذه الآية. الطبري (١١/ ٤٥٣).

(٢) قال الواحدي (ص: ٢٤٦): نزلَتْ في الحثِّ على غزوةِ تَبوكَ، وذلك أنَّ رسولَ الله عليه السَّلامُ لـمَّا رجعَ منَ الطَّائفِ وغزوةِ حُنَينٍ أمرَ بالجهادِ لغزوةِ الرُّوم، وذلك في زمانِ عُسرةٍ منَ النَّاسِ، وجَدْبٍ منَ البلادِ، وشدَّةٍ منَ الحرِّ، كان قد أخرجتِ النَّخلُ وطابتِ الثِّمارُ، وعظُمَ على النَّاسِ الغزوُ وأحبُّوا الظِّلالَ والمُقامَ في المساكنِ والمنازلِ، وشقَّ عليهم الخروجُ إلى القتالِ، فلمَّا علِمَ الله تثاقُلَ النَّاسِ أنزَلَ هذه الآيَةَ.

(٣) البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في الغار فرأيتُ آثار المشركين، قلتُ: يا رسول الله، لو أنَّ أحدَهم رَفَع قَدَمَه رآنا، قال: «ما ظَنُّكَ...» الحديث.

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ
وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ
﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن
يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ
أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ
فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿٤١﴾ ـ ﴿**انفِرُوا خِفافًا وثِقالاً**﴾[1]: نشاطًا وغيرَ نِشاط ـ وقيل: أقوياءَ وضُعفاء، أو أغنياءَ وفُقراء. وهي منسوخة بآيةِ «لَيسَ على الضُّعفاءِ»[2] ـ ﴿**وجاهِدُوا بِأموالِكُم وأنفُسِكُم في سَبيلِ اللهِ. ذلِكُم خيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ**﴾ أنه خير لكم فلا تتثاقلوا.

ونزل في المنافقين الذين تخلّفوا[3]:

﴿٤٢﴾ ـ ﴿**لَو كانَ**﴾ ما دعوتَهم إليه ﴿**عَرَضًا**﴾: متاعًا من الدنيا ﴿**قَريبًا**﴾: سهلَ المأخذ ﴿**وسَفَرًا قاصِدًا**﴾: وسَطًا ﴿**لَاتَّبَعُوكَ**﴾ طلبًا للغنيمة، ﴿**ولكِنْ بَعُدَتْ عَلَيهِمُ الشُّقَّةُ**﴾: المسافة فتخلّفوا. ﴿**وسَيَحلِفُونَ بِاللهِ**﴾ إذا رجَعتم إليهم ﴿**لَوِ استَطَعْنا**﴾ الخُروجَ ﴿**لَخَرَجْنا مَعَكُم، يُهلِكُونَ أنفُسَهُم**﴾ بالحَلِف الكاذب، ﴿**واللهُ يَعلَمُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ في قولهم ذلك.

ربع الحزب ٢٠

وكان ﷺ أذِن لجماعة في التخلّف باجتهاد منه فنزل عِتابًا له[4]، وقُدّم العفو تطمينًا لقلبه: ﴿٤٣﴾ ـ ﴿**عَفا اللهُ عَنكَ. لِمَ أذِنتَ لَهُم**﴾ في التخلّف؟ وهلّا تركتَهم، ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾ في العُذر، ﴿**وتَعلَمَ الكاذِبِينَ**﴾ فيه.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿٤٥﴾ ـ ﴿**لا يَستأذِنُكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ**﴾ في التخلّف عن ﴿**أن يُجاهِدُوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم. واللهُ عَلِيمٌ بِالمُتَّقِينَ. إنَّما يَستأذِنُكَ**﴾ في التخلّف ﴿**الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، وارتابَت**﴾: شكّت ﴿**قُلُوبُهُم**﴾ في الدِّين، ﴿**فهُم في رَيبِهِم يَتَرَدَّدُونَ**﴾: يتحيّرون.

﴿٤٦﴾ ـ ﴿**ولَو أرادُوا الخُرُوجَ**﴾ معك ﴿**لَأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً**﴾: أُهبةً من الآلة والزاد، ﴿**ولكِن كَرِهَ اللهُ انبِعاثَهُم**﴾ أي: لم يُرد خُروجهم، ﴿**فثَبَّطَهُم**﴾: كسّلَهم، ﴿**وقِيلَ**﴾ لهم: ﴿**اقعُدُوا مَعَ القاعِدِينَ**﴾ المرضى والنِّساء والصِّبيان. أي: قدّر الله ـ تعالى ـ ذلك.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿**لَو خَرَجُوا فِيكُم ما زادُوكُم إلّا خَبالاً**﴾: فسادًا بتخذيل المُؤمنين، ﴿**ولَأوضَعُوا خِلالَكُم**﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة، ﴿**يَبغُونَكُمُ**﴾: يطلبون لكم ﴿**الفِتنَةَ**﴾ بإلقاء العداوة، ﴿**وفِيكُم سَمّاعُونَ لَهُم**﴾ ما يقولون سماعَ قَبول. ﴿**واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ**.﴾.

﴿خفافًا وثقالاً﴾: على أيِّ حالةٍ كنتُم. ﴿عرضاً قريباً﴾: مغنماً سهلَ المأخذِ. ﴿سفراً قاصداً﴾: مُتوسّطاً بينَ القريبِ والبعيدِ. ﴿الشُّقّة﴾: المسافةُ الّتي تُقطعُ بمشقّةٍ. ﴿انبعاثهم﴾: نهوضَهُم للخروجِ معَكُم. ﴿فثبّطهم﴾: فحبسَهُم وعوّقَهُم عنِ الخروجِ معَكُم. ﴿خبالاً﴾: شرّاً وفساداً، أو عجزاً وجُبناً. ﴿لأوضعوا خلالكم﴾: لأسرعوا بينكُم بالنَّمائمِ لإفسادِ ذاتِ البينِ. ﴿يبغونكم الفتنة﴾: يطلبونَ لكُم ما تفتنونَ بهِ.

---

(١) عن مجاهد: أمرهم بالنَّفير في الصيف، حين اخترِفت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشقَّ عليهم المخرج، فقالوا: منا الثقيل وذو الحاجة والضَّيْعة والشغل، والمنتشرُ به أمرُه في ذلك كله، فأنزل الله: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾. الطبري (١١/ ٤٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٣)، عن مجاهد.

(٢) ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٣) عن السدي: جاءه ﷺ رجلٌ وكان عظيمًا مُسِنًّا فشكى إليه وسأله أن يأذن له فأبى، فنزلت يومئذٍ: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ فلمّا نزلت هذه الآيةُ اشتدَّ على النَّاس شأنُها، فنسخها الله فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ الآية.

وروى أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٣٨٥)، ومن طريقه ابن المنذر في «تفسيره» (١٩٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنه أن الناسخ لها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ الآية [التوبة: ١٢٢].

(٣) عن ابن عباس بإسناد ضعيف: قوله: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا﴾ قال رجلان: قد علمت يا رسول الله أن النساء فتنة، فلا تفتنّا بهنَّ فأْذَنْ لنا، فأذِنَ لهما. فسار رسول الله ﷺ ولم ينزل عليه في ذلك شيء، فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية، ونزل عليه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ونزل عليه: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٤٤] ونزل عليه: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]. الطبري (١١/ ٦٢٩).

(٤) انظر الخبر السابق، وجاء فيه أيضاً عن عمرو بن ميمون الأودي: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى، فأنزل الله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ الآية. الطبري (١١/ ٤٧٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٠٤).

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم
مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ
حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ
أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل
لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ
إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ
بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم
مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ
مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ
بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ
كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

﴿٤٨﴾ ـ ﴿**لَقَدِ ابتَغَوُا الفِتْنَةَ**﴾ لكَ[1] ﴿**مِن قَبلُ**﴾: أوّلَ ما قدمتَ المدينة، ﴿**وقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ**﴾ أي: أجالوا الفِكر في كيدك وإبطال دينك ﴿**حَتَّى جاءَ الحَقُّ**﴾: النصر، ﴿**وظَهَرَ**﴾: عزَّ ﴿**أمرُ اللهِ**﴾: دِينُه، ﴿**وهُم كارِهُونَ**﴾ لـه فدخلوا فيه ظاهرًا.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿**ومِنهُم مَن يَقُولُ: ائْذَنْ لي**﴾ في التخلّف ﴿**ولا تَفتِنِّي**﴾. وهو الجَدّ بن قيسٍ[2]، قال له النبيّ: «هَل لَكَ في جِلادِ بَنِي الأصفرِ»؟ فقال: إني مُغرَم بالنساء، وأخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألّا أصبرَ عنهنّ، فأُفتَتَن. قال تعالى: ﴿**ألا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ بالتخلّف ـ وقُرئ «سَقطَ» ـ ﴿**وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكافِرِينَ**﴾: لا مَحيص لهم عنها.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿**إن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ**﴾[3] كنصر وغنيمة ﴿**تَسُؤْهُم، وإن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ**﴾: شِدّة ﴿**يَقُولُوا: قَد أخَذْنا أمرَنا**﴾ بالحزم حين تخلّفنا ﴿**مِن قَبلُ**﴾: قبلِ هذه المُصيبة، ﴿**ويَتَوَلَّوا وهُم فَرِحُونَ**﴾ بما أصابك.

﴿٥١﴾ ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَن يُصِيبَنا إلّا ما كَتَبَ اللهُ لَنا**﴾ إصابته[4]. ﴿**هُوَ مَولانا**﴾: ناصرنا ومُتولّي أمورنا. ﴿**وعَلَى اللهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ. قُلْ: هَل تَرَبَّصُونَ**﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل ـ أي: تنتظرون أن يقع ﴿**بِنا إلّا إحدَى**﴾ العاقبتَينِ ﴿**الحُسنَيَينِ**﴾: تثنية حُسنَى تأنيث أحسن، النصر أو الشهادة؟ ﴿**ونَحنُ نَتَرَبَّصُ**﴾: ننتظر ﴿**بِكُم أن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذابٍ مِن عِندِهِ**﴾: بقارعة من السماء ﴿**أو بِأيدِينا**﴾ بأن يأذن لنا بقتالكم. ﴿**فتَرَبَّصُوا**﴾ بنا ذلك. ﴿**إنّا مَعَكُم مُتَرَبِّصُونَ**﴾ عاقبتكم.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿**قُلْ: أنفِقُوا**﴾ في طاعة الله ﴿**طَوعًا أو كَرهًا**﴾[5]. ﴿**لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُم**﴾ ما أنفقتموه. ﴿**إنَّكُم كُنتُم قَومًا فاسِقِينَ**﴾. والأمر هنا بمعنى الخبر.

﴿٥٤﴾ ـ ﴿**وما مَنَعَهُم أن تُقبَلَ**﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿**مِنهُم نَفَقاتُهُم إلّا أنَّهُم**﴾: فاعل، وأن تُقبل: مفعول، ﴿**كَفَرُوا بِاللهِ وبِرَسُولِهِ، ولا يأتُونَ الصَّلاةَ إلّا وهُم كُسالَى**﴾: مُتثاقلون، ﴿**ولا يُنفِقُونَ إلّا وهُم كارِهُونَ**﴾ النفقةَ لأنهم يَعدّونها مَغرمًا.

﴿قلّبوا لك الأمور﴾: دبَّروا لكَ الحيلَ والمكائدَ. ﴿إئذن لي﴾: في التَّخلُّفِ عنِ الجهادِ. ﴿لا تفتنّي﴾: لا توقِعْني في الإثمِ بمخالفةِ أمرِكَ. ﴿هل تربّصون بنا﴾: ما تنتظرونَ بنا. ﴿الحُسنيين﴾: النُّصرةِ والشَّهادةِ.

(١) أي: تشتيتَ أمرِكَ وتفريقَ أصحابِكَ يومَ أُحُدٍ، فإنَّ ابنَ أُبيٍّ وأصحابَه كما تخلَّفُوا عن تبوكَ ـ تخلَّفوا عن أُحُدٍ ـ بعدَما خرَجوا مع الرَّسولِ إلى ذِي جُدَّةٍ أسفلَ من ثنيَّةِ الوداعِ، انصرَفوا يوم أُحُدٍ. (الجمالين).

(٢) رواه ابن إسحاق ـ ومن طريقه الطبري ـ عن الزهري وجماعة من أشياخه مرسلًا، ووصله ابن أبي حاتم من حديث جابر بن عبد الله. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥١٦)، و«تفسير الطبري» (١١/ ٤٩٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٠٩) و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٦)، وحديث جابر رجاله ثقات. ورواه الطبراني في «الكبير» (١٢٦٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده يحيى الحماني وهو ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠).

(٣) عن جابر رضي الله عنه: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، يقولون: إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا، فبلَغهم تكذيبُ حديثهم وعافيةُ النبي ﷺ وأصحابِه فساءهم ذلك فنزلت. ابن أبي حاتم (٦/ ١٨١٠)، و«لباب النقول» (ص: ١٠٥).

(٤) يعني: في اللَّوحِ، لا يتغيَّرُ بموافَقَتِكُم ومخالفَتِكُم، أو ما اختصَّنا بإثباتِهِ من النُّصرةِ والشَّهادةِ، فمعنى ﴿كَتَبَ﴾: أثبتَ. (الجمالين).

(٥) عن ابن جريج عن ابن عباس: قال الجدّ بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي! قال: ففيه نزلت هذه الآية. الطبري (١١/ ٤٩٩) وإسناده منقطع.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ
﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا
لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى
ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ
إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ
وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً
مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿٥٥﴾ ـ ﴿فلا تُعجِبْكَ أموالُهم ولا أولادُهُم﴾ أي: لا تَستحسنْ نِعَمَنا عليهم، فهي استدراج. ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي: أن يُعذّبهم ﴿بِها في الحَياةِ الدُّنيا﴾ بما يَلقَون في جمعها من المشقّة وفيها من المصائب، ﴿وتَزهَقَ﴾: تخرجَ ﴿أنفُسُهُم وهُم كافِرُونَ﴾، فيُعذّبَهم في الآخِرة أشدّ عذاب.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿ويَحلِفُونَ بِاللهِ إنَّهُم لَمِنكُم﴾ أي: مُؤمنون، ﴿وما هُم مِنكُم، ولكِنَّهُم قَومٌ يَفرَقُونَ﴾: يخافون أن تفعلوا بهم كالمُشركين فيحلفون تقيّةً.

﴿٥٧﴾ ـ ﴿لَو يَجِدُونَ مَلجأً﴾ يلجؤون إليه ﴿أو مَغاراتٍ﴾: سَراديبَ ﴿أو مُدَّخَلاً﴾: موضعًا يَدَّخِلونه ﴿لَوَلَّوا إلَيهِ، وهُم يَجمَحُونَ﴾: يُسرعون في دُخوله والانصراف عنكم إسراعًا لا يردّه شيء كالفرس الجموح.

نصف الحزب ٢٠

﴿٥٨﴾ ـ ﴿٥٩﴾ ـ ﴿ومِنهُم مَن يَلمِزُكَ﴾: يَعيبك ﴿في﴾ قَسْم ﴿الصَّدَقاتِ[1]، فإن أُعطُوا مِنها رَضُوا، وإن لَم يُعطَوا مِنها إذا هُم يَسخَطُونَ. ولَو أنَّهُم رَضُوا ما آتاهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها، ﴿وقالُوا: حَسْبُنا﴾: كافِينا ﴿اللهُ. سَيُؤتِينا اللهُ مِن فَضلِهِ ورَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا. ﴿إنّا إلَى اللهِ راغِبُونَ﴾ أن يُغنِيَنا. وجواب «لو»: لَكان خيرًا لهم.

﴿٦٠﴾ ـ ﴿إنَّما الصَّدَقاتُ﴾: الزَّكَوات مصروفةٌ ﴿لِلفُقَراءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعًا من كِفايتهم، ﴿والمَساكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم، ﴿والعامِلِينَ عَلَيها﴾ أي: الصدقاتِ مِن جابٍ وقاسمٍ وكاتبٍ وحاشرٍ، ﴿والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُم﴾ ليُسلِموا أو يثبتَ إسلامهم أو يُسلمَ نُظراؤهم أو يذبّوا عن المسلمين ـ أقسامٌ، والأوّل والأخير لا يُعطَيان اليوم عِند الشافعيّ لعزّ الإسلام بخلاف الآخَرينِ فيُعطَيان على الأصحّ ـ ﴿وفي﴾ فكّ ﴿الرِّقابِ﴾ أي: المُكاتَبِينَ، ﴿والغارِمِينَ﴾: أهلِ الدَّين، إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لِإصلاح ذات البين ولو أغنياءَ، ﴿وفي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: القائمين بالجِهاد ممّن لا فيءَ لهم ولو أغنياءَ، ﴿وابنِ السَّبِيلِ﴾: المنقطعِ في سفره، ﴿فَرِيضَةً﴾: نُصب بفعله المُقدّر ﴿مِنَ اللهِ. واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه. فلا يجوز صرفُها لغير هؤلاء ولا منعُ صِنف منهم إذا وُجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصِّنف على بعض.

وأفادت اللام وجوبَ استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قَسَمَ لعُسْرِه، بل يكفي إعطاءُ ثلاثة من كُلّ صِنف، ولا يكفي دونَها كما أفادته صيغة الجمع. وبَيَّنَتِ السُّنّة أنّ شرط المُعطَى منها الإِسلامُ وألّا يكون هاشميًّا ولا مُطّلِبيًّا.

﴿٦١﴾ ـ ﴿ومِنهُمُ﴾ أيِ: المُنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ﴾[2] بعيبه وبنقل حديثه، ﴿ويَقُولُونَ﴾ إذا نُهوا عن ذلك لئلّا يبلغَه: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كُلّ قِيلٍ ويقبله، فإذا حلفنا له إنّا لم نقل صدَّقَنا. ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أُذُنُ﴾: مستمِعُ ﴿خَيرٍ لَكُم﴾ لا مستمِعُ شرّ، ﴿يُؤمِنُ بِاللهِ ويُؤمِنُ﴾: يُصدّق ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾

﴿تزهق أنفسهم﴾: تخرجَ أرواحُهُم. ﴿قوم يفرقون﴾: يخافونَ منكُم فينافقونَ تقيَّةً. ﴿ملجأ﴾: حصناً ومعقلاً يلجؤونَ إليهِ. ﴿مغارات﴾: غيراناً في الجبالِ يختفونَ فيها. ﴿مُدّخلاً﴾: سرباً في الأرضِ ينجحرونَ فيهِ. ﴿يجمحون﴾: يُسرعونَ في الدُّخولِ فيهِ. ﴿يلمزك﴾: يعيبُكَ ويطعنُ عليكَ. ﴿حسبنا الله﴾: كافينا فضلُ اللهِ وقسمتُهُ. ﴿العاملين عليها﴾: كالجُباةِ والكُتَّابِ والحرَّاسِ. ﴿في الرّقاب﴾: في فكاكِ الأرقَّاءِ أوِ الأسرى. ﴿الغارمين﴾: المدينينَ الَّذينَ لا يجدونَ قضاءً. ﴿في سبيل الله﴾: في الغزوِ. أو في جميعِ القُربِ. ﴿ابن السّبيل﴾: المسافرِ المنقطعِ عن مالِهِ. ﴿هو أذن﴾: يسمعُ كلَّ ما يُقالُ لهُ ويصدِّقُهُ. ﴿أذن خير لكم﴾: يسمعُ الخيرَ ولا يسمعُ الشَّرَّ.

(١) عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل»، الحديث وفي آخره: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ الآية. البخاري (٦٩٣٣)، والواحدي (ص: ٢٤٩).

(٢) عن ابن عباس قال: كان نَبْتَلُ بن الحارث يأتي رسولَ الله ﷺ فيجلس إليه فيسمع منه، ثُم يَنقلُ حديثه إلى المنافقين، فأنزل الله فيه هذه الآية. ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٦). وقيل: نزلت في جماعةٍ من المنافقين فيهم الجُلَاسُ بن سُوَيدٍ، فقال: نقولُ ما شئنا ثمَّ نأتيه فيصدِّقُنا بما نقولُ، وإنما محمدٌ أُذُنٌ سامعةٌ. الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٠)، والواحدي (ص: ٢٤٩)، ورواه بنحوه مطولاً ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٦) عن السدي.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن
يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن
تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ
حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

فيما أخبروه به لا لغيرهم ـ واللام: زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ـ ﴿**ورَحْمةٌ**﴾، بالرفع عطفًا على «أذنُ» والجرّ عطفًا على «خير»، ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم، والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾.

(٦٢) ـ ﴿**يَحلِفُونَ بِاللهِ لَكُم**﴾ ـ أيها المؤمنون ـ فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول إنّهم ما أتوه، ﴿**لِيُرضُوكُم، واللهُ ورَسُولُهُ أَحَقُّ أن يُرضُوهُ**﴾ بالطاعة. ﴿**إن كانُوا مُؤمِنِينَ**﴾ حقًّا. وتوحيد الضمير لتلازم الرِّضاءين، أو خبرُ «الله» أو «رسوله» محذوف.

(٦٣) ـ ﴿**أَلَم يَعلَمُوا أَنَّهُ**﴾ أي: الشأنَ ﴿**مَن يُحادِدِ**﴾: يُشاقِق ﴿**اللهَ ورَسُولَهُ فأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ**﴾ جزاءً ﴿**خالِدًا فِيها؟ ذلِكَ الخِزْيُ العَظِيمُ**﴾.

(٦٤) ـ ﴿**يَحذَرُ**﴾: يخاف ﴿**المُنافِقُونَ**﴾[١] ﴿**أن تُنَزَّلَ عَلَيهِم**﴾ أي: المؤمنين ﴿**سُورةٌ، تُنَبِّئُهُم بِما في قُلُوبِهِم**﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون. ﴿**قُلِ: استَهزِئُوا**﴾. أمرُ تهديد. ﴿**إنَّ اللهَ مُخرِجٌ**﴾: مُظهرٌ ﴿**ما تَحذَرُونَ**﴾ إخراجَه من نفاقكم.

(٦٥) ـ (٦٦) ـ ﴿**ولَئِنْ**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**سأَلتَهُم**﴾ عن استهزائهم بك والقرآن، وهم سائرون معك إلى تَبُوكَ، ﴿**لَيَقُولُنَّ**﴾ مُعتذرين: ﴿**إنَّما كُنّا نَخُوضُ ونَلعَبُ**﴾[٢] في الحديث لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أَبِاللهِ وآياتِهِ ورَسُولِهِ كُنتُم تَستَهزِئُونَ؟ لا تَعتَذِرُوا**﴾ منه. ﴿**قَد كَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم**﴾ أي: ظهر كُفركم بعد إظهار الإيمان. ﴿**إن يُعفَ**﴾ ـ بالياءِ مبنيًّا للمفعول، والنونِ مبنيًّا للفاعل ـ ﴿**عَن طائفةٍ مِنكُم**﴾ بإخلاصها وتوبتها كمَخْشِيِّ بنِ حُمَيِّرٍ[٣] ﴿**تُعَذَّبْ**﴾ ـ بالتاء والنون ـ ﴿**طائفةٌ بِأَنَّهُم كانُوا مُجرِمِينَ**﴾: مُصرّين على النفاق والاستهزاء.

(٦٧) ـ (٦٨) ـ ﴿**المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ بَعضُهُم مِن بَعضٍ**﴾ أي: مُتشابهون في الدِّين كأبعاض الشيء الواحد، ﴿**يأمُرُونَ بِالمُنكَرِ**﴾: الكُفرِ والمعاصي، ﴿**ويَنهَونَ عَنِ المَعرُوفِ**﴾: الإيمانِ والطاعة، ﴿**ويَقبِضُونَ أيدِيَهُم**﴾ عن الإنفاق في الطاعة، ﴿**نَسُوا اللهَ**﴾: تركوا طاعته، ﴿**فنَسِيَهُم**﴾: تركهم من لُطفه. ﴿**إنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ، وعَدَ اللهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والكُفّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها، هِيَ حَسْبُهُم**﴾ جزاءً وعقابًا، ﴿**ولَعَنَهُمُ اللهُ**﴾: أبعدهم عن رحمته، ﴿**ولَهُم عَذابٌ مُقِيمٌ**﴾: دائم.

﴿من يحادد الله..﴾: مَن يُخالفُهُ ويعادِهِ. ﴿نخوض ونلعب﴾: نتلهَّى بالحديثِ قطعاً للطَّريقِ. ﴿يقبضون أيديهم﴾: لا يبسطونَها في خيرٍ وطاعةٍ شُحّاً. ﴿فنسيهم﴾: فتركَهُم مِن توفيقِهِ وهدايتِهِ. ﴿هي حسبهم﴾: كافيتُهُم عقاباً على كفرِهِم.

(١) السدي: قال بعض المنافقين: والله لَوَدِدتُ أنّي قُدِّمتُ فجُلِدتُ مئةً ولا ينزلُ فينا شيءٌ يفضَحُنا، فأنزَل الله هذه الآيةَ. الواحدي (ص: ٢٥٠). مجاهدٌ: كانوا يقولون القولَ بينَهم، ثمَّ يقولون: عسى اللهُ أنْ لا يُفشِيَ علينا سِرَّنا، فنزلَتْ: ﴿يحذر المنافقون﴾. الطبري (١٣/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٧)، والواحدي (ص: ٢٥٠).

(٢) عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا ولا أكذبَ ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلَغ ذلك النبيَّ ﷺ ونزل القرآن. قال ابن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تَنكُبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب! ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. الطبري (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٢٩). قتادة: بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوته إلى تبوك، وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشأم وحصونها، هيهات هيهات! فأطْلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال ﷺ: «احبسوا عليَّ الرَّكْب» فأتاهم فقال: «قلتم كذا، قلتم كذا»، قالوا: يا نبي الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون. الطبري (١١/ ٥٤٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣٠)، والواحدي (ص: ٢٥٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٣١) عن كعب بن مالك ضمن خبر، وفيه: «فكان الذي عفا الله عنه: مخشي بن حمير، فتسمى: عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة لا يُعْلم مَقتلُه ولا مَن قتَلَه، ولا يُرى له أثر ولا عين». وروى الطبري (١١/ ٥٤٦) عن ابن إسحاق قال: كان الذي عفي عنه ـ فيما بلغني ـ مخشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا
وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ
كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ
كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ
إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم
بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ
أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ
﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

أنتم - أيها المُنافقون - (٦٩) - ﴿**كالَّذِينَ مِن قَبلِكُم، كانُوا أشَدَّ مِنكُم قُوَّةً، وأكثَرَ أموالاً وأولادًا، فاستَمتَعُوا**﴾: تمتَّعوا ﴿**بِخَلاقِهِم**﴾: نصيبهم من الدنيا، ﴿**فاستَمتَعتُم**﴾ - أيها المُنافقون - ﴿**بِخَلاقِكُم كَما استَمتَعَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم بِخَلاقِهِم، وخُضتُم**﴾ في الباطل والطعن في النبيّ ﴿**كالَّذِي خاضُوا**﴾ أي: كخَوضهم. ﴿**أُولئِكَ حَبِطَت أعمالُهُم في الدُّنيا والآخِرَةِ، وأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾.

(٧٠) - ﴿**ألَم يأتِهِم نَبَأُ**﴾: خبرُ ﴿**الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، قَومِ نُوحٍ وعادٍ**﴾: قومِ هود ﴿**وثَمُودَ**﴾: قومِ صالح، ﴿**وقَومِ إبراهِيمَ وأصحابِ مَديَنَ**﴾: قومِ شُعيب، ﴿**والمُؤتَفِكاتِ**﴾: قُرى قومِ لُوط، أي: أهلِها؟ ﴿**أتَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات فكذبُوهم فأُهلِكوا. ﴿**فما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم**﴾ بأن يُعذّبهم بغير ذنب، ﴿**ولكِنْ كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ بارتكاب الذنب.

(٧١) - ﴿**والمُؤمِنُونَ والمُؤمِناتُ بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ، يأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ ويَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ، ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ، ويُطِيعُونَ اللهَ ورَسُولَهُ، أُولئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللهُ - إنَّ اللهَ عَزِيزٌ**﴾: لا يُعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿**حَكِيمٌ**﴾: لا يَضع شيئًا إلّا في محلّه -

(٧٢) - ﴿**وعَدَ اللهُ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدنٍ**﴾: إقامةٍ. ﴿**ورِضوانٌ مِنَ اللهِ أكبَرُ**﴾: أعظم من ذلك كُلّه. ﴿**ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾.

(٧٣) - ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، جاهِدِ الكُفّارَ**﴾ بالسيف ﴿**والمُنافِقِينَ**﴾ باللسان والحُجّة، ﴿**واغلُظْ عليهِم**﴾ بالانتهار والمَقت. ﴿**ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ**﴾: المَرجِعُ هي! (٧٤) - ﴿**يَحلِفُونَ**﴾ أي: المنافقون ﴿**بِاللهِ، ما قالُوا**﴾[٢] ما بلغك عنهم من السبّ، ﴿**ولَقَد قالُوا كَلِمَةَ الكُفرِ،**

﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾: فتمتَّعوا بنصيبِهم مِن ملاذِّ الدُّنيا. ﴿خضتم﴾: دخلتُم في الباطلِ. ﴿حبطت أعمالهم﴾: بطلَتْ وذهبَتْ أجورُها لكفرِهم. ﴿المؤتفكات﴾: المُنقلباتِ (قرى قومِ لوطٍ).

(٢) نزلت في الجُلاس بن سُويد قال: لئن كان ما يقولُ محمدٌ لإخواننا حقًّا لنحن شرٌّ من الحَمير، فبلغ رسولَ الله ﷺ، فاستَحضره فحلفَ باللهِ ما قاله، فنزلَتْ. عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٣٠٣)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/ ٣٥٥)، والطبري (١١/ ٥٦٩) عن عروة. ورواه الطبري أيضاً عن ابن إسحاق ومجاهد. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٣) عن كعب بن مالك وابن عباس رضي الله عنهم. ورواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٧٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وفيه أن القائل رجل من المنافقين دون تعيين.

وعن الضَّحَّاك: سبَّ المنافقون في غزوةِ تبوكَ رسولَ الله عليه السَّلامُ وطعَنُوا في الدِّينِ في خلوةٍ، فنقلَ حُذَيفةُ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ ما قالوه، فأحضرهم فحلَفُوا ما قالوا شيئًا من ذلك، فنزلَتْ هذه الآيةُ. الثعلبي (١٣/ ٤٨٢)، والواحدي (ص: ٢٥١).

قال قتادة: ذُكِرَ لنا أنَّ رجُلَين اقتَتَلا؛ رجلٌ من جُهَينةَ ورجلٌ من غِفارٍ، فظهرَ الغِفاريُّ على الجُهَنيِّ، فنادى عبدُ الله بنُ أبيٍّ: يا بني الأوسِ، انصُروا أخاكُم، فواللهِ ما مثَلُنا ومثَلُ محمَّدٍ إلّا كما قيل: سمِّنْ كلبَكَ يأكُلْكَ، واللهِ لو رجَعْنا إلى المدينةِ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فسعَى بها رجلٌ من المسلمين إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ، فجعَلَ يحلِفُ باللهِ ما قالَ، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ. الطبري (١١/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٤٤).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟
وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟
بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا
مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم
مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ
بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾
أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿وكَفَروا بَعدَ إسلامِهِم﴾: أظهروا الكُفر بعد إظهار الإسلام، **﴿وهَمُّوا بِما لَم يَنالُوا﴾** من الفتك بالنبيّ ليلة العَقَبة عند عَودِهِ من تبوك[1] ـ وهم بضعة عشرَ رجلاً ـ فضرب عمّار بن ياسر وُجوه الرواحل لمّا غشُوه فردّوا. **﴿وما نَقَمُوا﴾**: أنكروا **﴿إلّا أن أغناهُمُ اللهُ ورَسُولُهُ مِن فَضلِهِ﴾** بالغنائم بعد شِدّة حاجتهم. المعنى: لم ينلهم منه إلّا هذا، وليس ممّا يُنقَم. **﴿فإن يَتُوبُوا﴾** عن النفاق ويُؤمنوا **﴿يَكُ خَيرًا لَهُم، وإن يَتَوَلَّوا﴾** عن الإيمان **﴿يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذابًا أَليمًا في الدُّنيا﴾** بالقتل **﴿والآخِرةِ﴾** بالنار، **﴿وما لَهُم في الأرضِ مِن وَلِيٍّ﴾**: يحفظهم منه **﴿ولا نَصِيرٍ﴾**: يمنعهم.

الحزب ٢٠

﴿٧٥﴾ ـ **﴿ومِنهُم مَن عاهَدَ اللهَ، لَئِنْ آتانا مِن فَضلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾** ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ـ **﴿ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصّالِحِينَ﴾** ـ وهو ثعلبة بن حاطب، سأل النبيَّ ﷺ أن يدعوَ له أن يرزقَه اللهُ مالاً، ويؤدّيَ منه كُلَّ ذي حقّ حقّه ـ فدعا له فوُسِّعَ عليه، فانقطعَ عن الجُمعة والجماعة ومَنعَ الزكاةَ كما قال تعالى: ﴿٧٦﴾ ـ ﴿٧٧﴾ ـ **﴿فلَمّا آتاهُم مِن فَضلِهِ بَخِلُوا بِهِ، وتَوَلَّوا﴾** عن طاعة الله، **﴿وهُم مُعرِضُونَ، فأعقَبَهُم﴾** أي: فصيَّر عاقبتهم **﴿نِفاقًا﴾** ثابتًا **﴿في قُلُوبِهِم إلَى يَومِ يَلقَونَهُ﴾** أي: اللهَ ـ وهو يوم القيامة ـ **﴿بِما أخلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوهُ، وبِما كانُوا يَكذِبُونَ﴾** فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبيّ ﷺ بزكاته، فقال: «إنَّ اللهَ مَنَعَنِي أن أقبَلَ مِنكَ»، فجعل يحثو التراب على رأسه. ثمّ جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثمّ إلى عُمرَ فلم يقبلها، ثمّ إلى عُثمانَ فلم يقبلها، ومات في زمانه[2]. ﴿٧٨﴾ ـ **﴿ألَم يَعلَمُوا﴾** أي: المنافقون **﴿أنَّ اللهَ يَعلَمُ سِرَّهُم﴾**: ما أسرّوه في أنفُسهم **﴿ونَجْواهُم﴾**: ما تناجَوا به بينهم، **﴿وأنَّ اللهَ عَلّامُ الغُيُوبِ﴾**: ما غاب عن العِيان؟

ولمّا نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدّق بشيءٍ كثير[3]، فقال المنافقون: مُرائي وجاء رجل فتصدّق بصاع، فقالوا: إنَّ اللهَ لغنيّ عن صدقةِ هذا.

فنزل: ﴿٧٩﴾ ـ **﴿الَّذِينَ﴾**: مبتدأ **﴿يَلمِزُونَ﴾**: يَعيبون **﴿المُطَّوِّعِينَ﴾**: المُتنفّلين **﴿مِنَ المُؤمِنِينَ في الصَّدَقاتِ والَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلّا جُهدَهُم﴾**: طاقتهم فيأتون به، **﴿فيَسخَرُونَ مِنهُم﴾**، والخبرُ: **﴿سَخِرَ اللهُ مِنهُم﴾**: جازاهم على سخريتهم، **﴿ولَهُم عَذابٌ أليمٌ﴾**.

﴿اغلظ عليهم﴾: شدِّدْ عليهِم ولا ترفقْ بهِم. ﴿ما نقموا﴾: ما كرهوا وما عابوا شيئاً. ﴿يعلم سرّهم﴾: ما أسرُّوا في قلوبِهِم مِنَ النِّفاقِ. ﴿نجواهم﴾: ما يتناجونَ بهِ مِنَ المطاعنِ في الدِّينِ. ﴿الذين يلمزون﴾: يعيبونَ (همُ المنافقونَ). ﴿جُهدهم﴾: طاقتَهُم ووسعَهُم (الفقراءُ). ﴿سخر الله منهم﴾: أهانَهُم وأذلَّهُم جزاءً وفاقاً.

(١) أحمد (٢٣٧٩٢) من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه، وإسناده قوي. والبزار في «مسنده» (٢٨٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٦٠) من حديث حذيفة رضي الله عنه. وأصل القصة عند مسلم (٢٧٧٩/ ١١) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) «الآحاد والمثاني» (٢٢٥٣)، والطبري (١١/ ٥٧٨)، و«المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال البيهقي: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف. وقال الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» (ص: ٦٦): منكرٌ بمرّة.

(٣) البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ
فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ
خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ
لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ
بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ
مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن
تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ
مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ
عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ
٨٤ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ وَإِذَآ
أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ
أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦

(٨٠) ـ ﴿**استَغفِرْ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**لَهُم أو لا تَستَغفِرْ لَهُم**﴾: تخييرٌ له في الاستغفار وتركه. قال ﷺ: «إنِّي خُيِّرتُ فاختَرتُ». يعني الاستغفار، رواه البخاريّ[1]. ﴿**إن تَستَغفِرْ لَهُم سَبعِينَ مَرّةً فلَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم**﴾. قيل: المُراد بالسبعين المُبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاريّ حديثُ[2] «لَو أعلَمُ أنّي لَو زِدتُ على السَّبعِينَ غُفِرَ لَزِدتُ علَيها». وقيل: المُراد العدد المخصوص لحديثه أيضًا: «وسأزِيدُ على السَّبعِين»[3]. فبُيِّنَ له حسمُ المغفرة بآيةِ «سَواءٌ علَيهِم أستَغفَرتَ لَهُم أم لَم تَستَغفِرْ لَهُم». ﴿**ذلِكَ بِأنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ. واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ**﴾.

(٨١) ـ ﴿**فَرِحَ المُخَلَّفُونَ**﴾ عن تبوكَ ﴿**بِمَقعَدِهِم**﴾: بقُعودهم ﴿**خِلافَ**﴾ أي: بعد ﴿**رَسُولِ اللهِ، وكَرِهُوا أن يُجاهِدُوا بِأموالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ، وقالُوا**﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿**لا تَنفِرُوا**﴾: تخرجوا إلى الجِهاد ﴿**في الحَرِّ. قُلْ: نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا**﴾[4] من تبوك. فالأَولى أن يتقوها بترك التخلّف ـ ﴿**لَو كانُوا يَفقَهُونَ**﴾: يعلمون ذلك ما تخلّفوا ـ

(٨٢) ـ ﴿**فلْيَضحَكُوا قَلِيلًا**﴾ في الدنيا ﴿**ولْيَبكُوا**﴾ في الآخرة ﴿**كَثِيرًا، جَزاءً بِما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾. خبرٌ عن حالهم بصيغة الأمر.

(٨٣) ـ ﴿**فإن رَجَعَكَ**﴾: ردّك ﴿**اللهُ**﴾ من تبوكَ ﴿**إلى طائفةٍ مِنهُم**﴾: ممّن تخلّف بالمدينة من المُنافقين، ﴿**فاستأذَنُوكَ لِلخُرُوجِ**﴾ معك إلى غزوة أخرى، ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**لَن تَخرُجُوا مَعِيَ أبَدًا، ولَن تُقاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا. إنَّكُم رَضِيتُم بِالقُعُودِ، أوَّلَ مَرّةٍ. فاقعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ**﴾: المُتخلّفين عن الغزو من النِّساء والصِّبيان وغيرهم.

ولمّا صلّى النبيّ ﷺ على ابن أُبيٍّ نزلَ[5]: (٨٤) ـ ﴿**ولا تُصَلِّ على أحَدٍ مِنهُم ماتَ أبَدًا، ولا تَقُمْ على قَبرِهِ**﴾ لدفن أو زيارة ـ ﴿**إنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، وماتُوا وهُم فاسِقُونَ**﴾: كافرون ـ

(٨٥) ـ ﴿**ولا تُعجِبْكَ أموالُهُم وأولادُهُم. إنَّما يُرِيدُ اللهُ أن يُعَذِّبَهُم بِها في الدُّنيا، وتَزهَقَ**﴾: تخرج ﴿**أنفُسُهُم وهُم كافِرُونَ**﴾.

(٨٦) ـ ﴿**وإذا أُنزِلَت سُورةٌ**﴾ أي: طائفة من القُرآن ﴿**أن**﴾ أي: بأن ﴿**آمِنُوا بِاللهِ، وجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ، استأذَنَكَ أُولُو الطَّولِ**﴾: ذَوُو الغِنى ﴿**مِنهُم، وقالُوا: ذَرْنا نَكُنْ مَعَ القاعِدِينَ.**﴾.

﴿خلافَ رسول الله﴾: بعدَ خروجِهِ، أو لأجلِ مُخالفتِهِ. ﴿لا تنفروا﴾: لا تخرجوا للجهادِ في تبوكَ. ﴿الخالفين﴾: المتخلِّفينَ عنِ الجهادِ كالنِّساءِ. ﴿تزهق أنفسهم﴾: تخرجَ أرواحُهُم. ﴿أولوا الطّول منهم﴾: أصحابُ الغنى والسَّعةِ مِنَ المنافقين.

(١) برقم (١٣٦٦) و(٤٦٧١) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) قطعة من حديث عمر السابق.

(٣) البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: خرج رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ إلى تبوك، فقال رجل من بني سَلِمة: لا تنفروا في الحرّ! فأنزل الله ﴿قل نار جهنم﴾ الآية. الطبري (١١/ ٦٠٤). ورواه الطبري أيضاً وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٥٥)، عن ابن عباس لكن إسناده ضعيف.

(٥) البخاري (١٣٦٦) و(٤٦٧١) عن عمر رضي الله عنه. والبخاري (١٢٦٩) و(٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٧﴾ ـ ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ﴾: جمع خالفة أي: النساءِ اللاتي تخلَّفنَ في البُيوت، ﴿وطُبِعَ على قُلُوبِهِم، فهُم لا يَفقَهُونَ﴾ الخيرَ.

﴿٨٨﴾ ـ ﴿لكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بأموالِهِم وأنفُسِهِم، وأُولئِكَ لَهُمُ الخَيراتُ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ [أي: الفائزون].

﴿٨٩﴾ ـ ﴿أعَدَّ اللهُ لَهُم جَنّاتٍ، تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها. ذلِكَ الفوزُ العَظِيمُ﴾.

﴿٩٠﴾ ـ ﴿وجاءَ المُعَذِّرُونَ﴾ ـ بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي: المُعتذِرون بمعنى المعذورين. وقُرئ به ـ ﴿مِنَ الأعرابِ﴾ إلى النبيّ ﴿لِيُؤذَنَ لَهُم﴾ في القُعود لعُذرهم، فأذِن لهم، ﴿وقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ ورَسُولَهُ﴾ في ادّعاء الإيمان من مُنافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾.

الجزء ١١ الحزب ٢١

﴿٩١﴾ ـ ﴿لَيسَ على الضُّعَفاءِ﴾[1] كالشيوخ، ﴿ولا على المَرضَى﴾ كالعُمْي والزَّمْنَى، ﴿ولا على الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنفِقُونَ﴾ في الجِهاد، ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التخلّف عنه ﴿إذا نَصَحُوا لِلهِ ورَسُولِهِ﴾ في حال قُعودهم بعدمِ الإرجاف والتثبيط والطاعةِ ـ ﴿ما على المُحسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طريقٍ بالمُؤاخذة، ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بالتوسعة في ذلك ـ ﴿٩٢﴾ ـ ﴿ولا على الَّذِينَ إذا ما أتَوكَ لِتَحمِلَهُم﴾ معك إلى الغزو، وهم سبعة من الأنصار[2] وقيل: بنو مُقَرِّن[3]، ﴿قُلتَ: لا أجِدُ ما أحمِلُكُم عليهِ﴾: حالٌ، ﴿تَوَلَّوا﴾: جوابُ «إذا» أي: انصرفوا، ﴿وأعيُنُهُم تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ﴾: للبيان ﴿الدَّمعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿ألّا يَجِدُوا ما يُنفِقُونَ﴾ في الجِهاد.

﴿٩٣﴾ ـ ﴿إنَّما السَّبِيلُ على الَّذِينَ يَستأذِنُونَكَ﴾ في التخلُّف، ﴿وهُم أغنِياءُ. رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ، وطَبَعَ اللهُ على قُلُوبِهِم، فهُم لا يَعلَمُونَ﴾. تقدّمَ مِثلُه...

﴿الخوالف﴾: النِّساءِ المتخلِّفاتِ عنِ الجهادِ. ﴿طُبع﴾: خُتِمَ. ﴿المعذّرون﴾: المُعتذرونَ بالأعذارِ الكاذبةِ. ﴿حرج﴾: إثمٌ أو ذنبٌ في التَّخلُّفِ عنِ الجهادِ. ﴿تفيض من الدّمع﴾: تمتلئُ بهِ فتصُبُّهُ.

(١) عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه، إذ جاءه أعمى فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت: ﴿ليس على الضعفاء﴾ الآية. ابن أبي حاتم (٦/ ١٦٨١)، و«لباب النقول» (ص: ١٠٩).

(٢) قال الثعلبي (١٣/ ٥٢٤)، والواحدي (ص: ٢٥٧): نزلت في البكّائينَ، وكانوا سبعةً: مَعْقِلُ بنُ يسارٍ، وصخرُ بنُ خنساءَ، وعبدُ الله بنُ كعبٍ الأنصاريُّ، وعلبة بن زيد، وسالمُ بنُ عُميرٍ، وثَعلبةُ بنُ عَنَمةَ، وعبدُ الله بنُ مُغفَّلٍ، أتَوا رسولَ الله عليه السَّلامُ فقالوا: يا نبيَّ الله، نَدَبْتنا للخروجِ فاحمِلْنا على الخِفافِ المرقوعةِ والنِّعالِ المخصوفةِ نغزُو معَكَ، فقال: «لا أجِدُ ما أحمِلُكم عليه» فتولَّوا وهم يبكُونَ.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٣١)، والطبري (١١/ ٦٣٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٦٢)، عن مجاهد.

وعن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفَّلٍ المزني فقال: يا رسول الله احملنا، فقال: «والله لا أجدُ ما أحملكم عليه» فتولَّوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا على الذين﴾ الآية. ابن أبي حاتم (٦/ ١٦٨٣)، و«لباب النقول» (ص: ١٠٩).

قال الحسنُ: نزلَتْ في أبي موسى وأصحابِه أتوا رسول الله ـ ﷺ ـ يستحملونه، فقال: «والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا يبكون، فدعاهم رسول الله ـ ﷺ ـ وأعطاهم ذودًا، الحديث. ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٢٨٩). وأصله في البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقد روي أن ممن نزلت فيهم هذه الآية عِرْباضَ بنِ ساريةَ رضي الله عنه. رواه أبو داود (٤٦٠٧) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا
لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ
مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ
سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

(٩٤) ـ ﴿يَعتَذِرُونَ إِلَيكُم﴾ في التخلّف ﴿إذا رَجَعتُم إِلَيهِم﴾ من الغزو. ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لا تَعتَذِرُوا. لَن نُؤمِنَ لَكُم﴾: نُصدّقكم. ﴿قد نَبَّأَنا اللهُ مِن أخبارِكُم﴾ أي: أخبرنا[1] بأحوالكم، ﴿وسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورَسُولُهُ، ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾ أي: اللهِ، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم عليه.

(٩٥) ـ (٩٦) ـ ﴿سَيَحلِفُونَ بِاللهِ لَكُم إذا انقَلَبتُم﴾: رجعتم ﴿إِلَيهِم﴾[2] من تبوكَ، إنهم معذورون في التخلّف، ﴿لِتُعرِضُوا عَنهُم﴾ بترك المُعاتبة ـ ﴿فأعرِضُوا عَنهُم. إِنَّهُم رِجسٌ﴾: قذر[3] لخُبث باطنهم، ﴿ومأواهُم جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكسِبُونَ ـ يَحلِفُونَ لَكُم لِتَرضَوا عَنهُم. فإن تَرضَوا عَنهُم فإنَّ اللهَ لا يَرضَى عَنِ القَومِ الفاسِقِينَ﴾ أي: عنهم، ولا ينفع رضاكم مع سُخط الله.

(٩٧) ـ ﴿الأعرابُ﴾: أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفرًا ونفاقًا﴾[4] من أهل المُدن لجفائهم وغِلَظ طِباعهم وبُعدهم[5] عن سماع القُرآن، ﴿وأجدَرُ﴾: أولى ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا يَعلَمُوا حُدُودَ ما أنزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع ـ ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بخَلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه بهم ـ

(٩٨) ـ ﴿ومِنَ الأعرابِ مَن يَتَّخِذُ ما يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغرَمًا﴾: غرامة وخُسرانًا لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفًا، وهم بنو أسدٍ وغطفانَ، ﴿ويَتَرَبَّصُ﴾: ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوائرَ﴾: دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلّص. ﴿عَلَيهِم دائرةُ السُّوءِ﴾، بالضمّ والفتح، أي: يدور[6] العذاب والهلاك لا عليكم. ﴿واللهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عِباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

(٩٩) ـ ﴿ومِنَ الأعرابِ مَن يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾[7] كجُهينةَ ومُزينةَ، ﴿ويَتَّخِذُ ما يُنفِقُ﴾ في سبيله ﴿قُرُباتٍ﴾ تُقرّبه ﴿عِندَ اللهِ و﴾وسيلةً إلى ﴿صَلَواتِ﴾: دعواتِ ﴿الرَّسُولِ﴾ له. ﴿ألا إنَّها﴾ أي: نفقتَهم ﴿قُربةٌ﴾ ـ بضمّ الراء وسُكونها ـ ﴿لَهُم﴾ عنده. ﴿سَيُدخِلُهُمُ اللهُ في رَحمَتِهِ﴾: جنّتِه. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿إنهم رجس﴾: قذرٌ باطناً وظاهراً. ﴿أجدر﴾: أحقُّ وأحرى. ﴿مغرماً﴾: غرامةً وخسراناً. ﴿يتربّص بكم الدوائر﴾: ينتظرُ بكُم مصائبَ الدَّهرِ. ﴿عليهم دائرة السَّوْء﴾: الضَّررِ والشَّرِّ (دعاءٌ عليهم). ﴿صلوات الرّسول﴾: دعواتِه واستغفارَهُ (للمُنفقينَ).

(١) أي: أعلَمَنا بالوحي إلى نبيِّه بعضَ أخبارِكُم؛ وهو ما في ضمائرِكُم مِن الشَّرِّ والفسادِ. (الجمالين).

(٢) نزلَتْ في عبدِ الله بنِ أُبيٍّ حلَفَ أنْ لا يتخلَّفَ عنه بعدَها، وأن يكونَ معَه على عدوِّه، وطلبَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ أن يرضى عنه. «تفسير مقاتل» (٢/ ١٩١).

(٣) لا ينفعُ فيه المعاتبةُ، فإنَّ المقصُودَ منها التَّطهيرُ بالحملِ على الإنابةِ، وهؤلاءِ أرجاسٌ لا تقبَلُ التَّطهيرَ، فهو علَّةُ الإعراضِ وتركِ المعاتبةِ. (الجمالين).

(٤) نزلَتْ في أعاريبَ من أسدٍ وغَطَفانَ، وأعاريبَ من أعرابِ حاضري المدينةِ. «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٤٩)، والواحدي (ص: ٢٥٧).

(٥) الموجبِ لعدمِ مخالطَتِهم لأهلِ العلمِ ولقلَّةِ استماعِهم. (الجمالين).

(٦) اعتراضٌ بالدُّعاءِ عليهم بنحوِ ما يتربَّصُونَه، أو الإخبارِ عن وقُوعِ ما ينتظِرونَ به عليهم. (الجمالين).

(٧) عن عبد الرحمن بن معْقِل قال: كنا عشرة ولد مقرِّن، فنزلت فينا: ﴿ومن الأعراب﴾ الآية. الطبري (١١/ ٦٣٦)، و«لباب النقول» (ص: ١١٠).
وعن مجاهد: قوله: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ قال: هم بنو مقرِّن من مزينة، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾. الطبري (١١/ ٦٣٥).

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)

(١٠٠) - ﴿**والسّابِقُونَ الأوَّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ والأنصارِ**﴾ - وهم من شَهد بدرًا، أو جميعُ الصحابة - ﴿**والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم**﴾ إلى يوم القيامة ﴿**بِإحسانٍ**﴾ في العمل، ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنهُم**﴾ بطاعته، ﴿**ورَضُوا عَنهُ**﴾ بثوابه، ﴿**وأعَدَّ لَهُم جَنّاتٍ تَجرِي تَحتَها الأنهارُ**﴾ - وفي قراءة بزيادة «مِن» - ﴿**خالِدِينَ فِيها أبَدًا. ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾.

(١٠١) - ﴿**ومِمَّن حَولَكُم**﴾ - يا أهل المدينة - ﴿**مِنَ الأعرابِ**﴾[1] **مُنافِقُونَ**﴾ كأسلَمَ وأشجَعَ وغِفارٍ، ﴿**ومِن أهلِ المَدِينَةِ**﴾ مُنافقون أيضًا، ﴿**مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ**﴾: لجُّوا فيه واستمرّوا، ﴿**لا تَعلَمُهُم**﴾ - خِطاب للنبيّ - ﴿**نَحنُ نَعلَمُهُم، سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَينِ**﴾ بالفضيحةِ أو القتلِ في الدنيا وعذابِ القبر، ﴿**ثُمَّ يُرَدُّونَ**﴾ في الآخرة ﴿**إلى عَذابٍ عَظِيمٍ**﴾ هو النار، (١٠٢) - ﴿**و**﴾ قوم ﴿**آخَرُونَ**﴾: مبتدأ ﴿**اعتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم**﴾ من التخلّف: نعتُه والخبرُ: ﴿**خَلَطُوا عَمَلاً صالِحًا**﴾ - وهو جهادُهم قبل ذلك أو اعترافُهم بذنوبهم أو غيرُ ذلك - ﴿**وآخَرَ سَيِّئًا**﴾ وهو تخلُّفهم، ﴿**عَسَى اللهُ أن يَتُوبَ عَلَيهِم. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾. نزلت في أبي لُبابَةَ وجماعةٍ[2]، أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لمّا بلغهم ما نزل في المُتخلّفين، وحلفوا لا يَحلّهم إلّا النبيّ ﷺ، فحلَّهم لمّا نزلت.

(١٠٣) - (١٠٤) - ﴿**خُذ مِن أموالِهِم صَدَقَةً، تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بِها**﴾ من ذنوبهم - فأخذ ثُلث أموالهم[3] وتصدّق بها - ﴿**وصَلِّ عَلَيهِم**﴾ أي: ادعُ لهم. ﴿**إنَّ صَلَواتِكَ سَكَنٌ**﴾: رحمة ﴿**لَهُم**﴾ وقيل: طُمأنينة بقَبول توبتهم - ﴿**واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ألَم يَعلَمُوا أنَّ اللهَ هُوَ يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِهِ، ويأخُذُ**﴾: يقبل ﴿**الصَّدَقاتِ، وأنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ**﴾ على عِباده بقَبول توبتهم ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ بهم؟ والاستفهام للتقرير، والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة - (١٠٥) - ﴿**وقُلِ**﴾ لهم أو للناس: ﴿**اعمَلُوا**﴾ ما شئتم. ﴿**فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم ورَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ، وسَتُرَدُّونَ**﴾ بالبعث ﴿**إلى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادَةِ**﴾ أي: الله، ﴿**فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ فيُجازيكم به.

(١٠٦) - ﴿**وآخَرُونَ**﴾ من المُتخلّفين ﴿**مُرجَوْنَ**﴾ - بالهمز وتركه - مؤخّرون عن التوبة ﴿**لِأمرِ اللهِ**﴾ فيهم بما يشاء، ﴿**إمّا يُعَذِّبُهُم**﴾ بأن يُميتهم بلا توبة، ﴿**وإمّا يَتُوبُ عَلَيهِم - واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه بهم - وهم الثلاثة الآتون بعدُ[4]: مُرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهِلال بن أُميّة. تخلّفوا كسلاً ومَيلاً إلى الدَّعة لا نِفاقًا، ولم يعتذروا إلى النبيّ ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة، وهجرهم الناس حتّى نزلت توبتهم بعدُ.

﴿مردوا على النّفاق﴾: مرنوا عليه ودَربوا به. ﴿تزكّيهم بها﴾: تُنمّي بها حسناتِهم وأموالَهُم. ﴿صلّ عليهم﴾: ادعُ لهُم واستغفرْ لهُم. ﴿سكن لهم﴾: طُمأنينةٌ. أو رحمةٌ لهُم. ﴿يأخذ الصّدقات﴾: يقلبُها ويثيبُ عليها. ﴿مُرجون﴾: مؤخَّرونَ لا يُقطعُ لهُم بتوبةٍ.

(١) الكلبي: نزلَتْ في جُهَينةَ ومُزَينةَ وأشجَعَ وأسلَمَ وغِفارٍ، ﴿ومن أهل المدينة﴾: ابنُ أُبيٍّ، وجدُّ بن قيسٍ، ومُعتِّبُ بن قُشَيرٍ، والجُلاسُ بن سُوَيدٍ، وأبو عامرٍ الرَّاهبُ. الواحدي (ص: ٢٥٧).

(٢) الطبري (١١/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٧٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧١)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. والطبري (١١/ ٦٥٢) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (٧/ ٤٥٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري أيضاً عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والزهري.

وعن جابر: كان ممن تخلّف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة: أبو لبابة، وأوس بن خدام، وثعلبة بن وديعة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أميّة، فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة فربطوا أنفسهم بالسّواري، وجاءوا بأموالهم، فقالوا: يا رسول الله، خذها، هذا الّذي حبسنا عنك. فقال: «لا أحلّهم حتّى يكون قتال» قال: فنزل القرآن: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾. «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١٣٩٧)، وأبو الشيخ كما في «الإصابة» (١/ ٢٩٩)، قال الحافظ: إسناده قوي.

(٣) الثعلبي (١٤/ ٣٧)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٣). وروى أحمد (١٦٠٨٠) عن الحسين بن السائب بن أبي لبابة: أن أبا لبابة بن عبد المنذر لما تاب الله عليه قال: يا رسول الله، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أهجر دار قومي وأساكنك، وأن أنخلع من مالي صدقة لله عز وجل ولرسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يجزئ عنك الثلث».

(٤) روى حديثهم مطولاً البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى
مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ
يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

﴿١٠٧﴾ ـ ﴿و﴾ منهم ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا**﴾ ـ وهم اثنا عشرَ من المُنافقين[١] ـ ﴿**ضِرَارًا**﴾: مُضارّة لأهل مسجد قُباءٍ ﴿**وَكُفْرًا**﴾ لأنهم بنَوه بأمر أبي عامرٍ الراهبِ[٢]، ليكون مَعقِلاً له يَقدَم فيه من يأتي من عنده ـ وكان ذهب ليأتي بجُنود من قيصر لقتال النبيّ ﷺ ـ ﴿**وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الذين يُصلّون بقُباءٍ بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿**وَإِرْصَادًا**﴾: ترقّبًا ﴿**لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ**﴾ أي: قبل بنائه. وهو أبو عامرٍ المذكورُ. ﴿**وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ**﴾: ما ﴿**أَرَدْنَا**﴾ ببنائه ﴿**إِلَّا**﴾ الفَعلةَ ﴿**الْحُسْنَى**﴾ من الرِّفقِ بالمِسكين في المطر والحرّ والتوسعةِ على المُسلمين، ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ في ذلك.

وكانوا سألوا النبيّ أن يصليَ فيه[٣]، فنزل: ﴿١٠٨﴾ ـ ﴿**لَا تَقُمْ**﴾: تُصلِّ ﴿**فِيهِ أَبَدًا**﴾، فأرسلَ جماعة هدموه وحرّقوه وجعلوا مكانه كُناسة يُلقى فيها الجِيَفُ.

ربع الحزب ٢١

﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ**﴾: بُنيتْ قواعده ﴿**عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ**﴾ وُضِعَ يومَ حللتَ بدار الهِجرة ـ وهو مسجد قُباءٍ كما في البخاريّ[٤] ـ ﴿**أَحَقُّ**﴾ منه ﴿**أَنْ**﴾ أي: بأن ﴿**تَقُومَ**﴾: تُصلّيَ ﴿**فِيهِ. فِيهِ رِجَالٌ**﴾ هم الأنصار ﴿**يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا. وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ أي: يُثيبهم. وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خُزيمة في صحيحه عن عُويمِ بن ساعدةَ[٥]:

«أنّهُ ﷺ أتاهُم في مَسجِدِ قُباءٍ، فقالَ: إنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قَد أحسَنَ علَيكُمُ الثَّناءَ في الطُّهورِ في قِصّةِ مَسجِدِكُم. فما هذا الطُّهورُ الَّذي تَطَّهَّرُونَ بِهِ؟ قالوا: واللهِ ـ يا رَسُولَ اللهِ ـ ما نَعلَمُ شَيئًا إلّا أنّه كانَ لَنا جِيرانٌ مِنَ اليَهُودِ، فكانُوا يَغسِلُونَ أَدبارَهُم مِنَ الغائطِ، فغَسَلنا كَما غَسَلُوا» ـ وفي حديث رواه البزّار[٦]: فقالوا: نُتبِعُ الحِجارةَ بالماءِ ـ «فقالَ: هُو ذاكَ. فعَلَيكُمُوهُ».

﴿١٠٩﴾ ـ ﴿١١٠﴾ ـ ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى**﴾: مخافةِ ﴿**مِنَ اللَّهِ وَ**﴾ رجاءِ ﴿**رِضْوَانٍ**﴾ منه ﴿**خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا**﴾: طَرَفِ ﴿**جُرُفٍ**﴾، بضمّ الراء وسكونها: جانبٍ ﴿**هَارٍ**﴾: مُشرف على السقوط، ﴿**فَانْهَارَ بِهِ**﴾: سقط مع بانيه ﴿**فِي نَارِ جَهَنَّمَ**﴾ خيرٌ؟ تمثيلٌ للبناء على ضِدّ التقوى بما يؤول إليه. والاستفهام للتقرير، أي: الأوّل خير. وهو مِثال مسجد قُباءٍ، والثاني مِثال مسجد الضِّرار. ﴿**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً**﴾: شكًّا ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ**﴾: تنفصل ﴿**قُلُوبُهُمْ**﴾ بأن يموتوا. ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**﴾ بخلقه ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه بهم.

﴿مسجداً ضراراً﴾: مُضارّةً لأهلِ مسجدِ قباء. ﴿إرصاداً﴾: ترقُّباً وانتظاراً، أو إعداداً. ﴿لَمسجد﴾: هوَ مسجدُ قُباء أوِ المسجدُ النَّبويُّ. ﴿على شفا جرف﴾: على حرفِ بئرٍ لم تُبنَ بالحجارةِ. ﴿هارٍ﴾: هائرٍ مُتصدِّعٍ أو مُتهدِّمٍ. ﴿فانهار به﴾: فسقط البنيانُ بالباني. ﴿ريبة في قلوبهم﴾: شكّاً ونفاقاً في قلوبِهم. ﴿تقطّع قلوبهم﴾: تتقطَّعَ وتتفرَّقَ أجزاءً بالموتِ.

---

(١) ذكر أسماءهم ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٥٣٠)، ورواه الطبري (١١/ ٦٧٤) عن قتادة، وذكرته كتب السير والتفسير، وفي تعيينهم خلاف.

(٢) الطبري (١١/ ٦٧٥ ـ ٦٧٩) عن ابن عباس وجمع.

(٣) الثعلبي (١٤/ ٤٩)، والواحدي (ص: ٢٥٩) عن المفسرين، ورواه دون قوله في آخره: «وجعلوا مكانه كناسة يلقى فيها الجيف» الطبري (١١/ ٦٧٣) من طريق ابن إسحاق عن الزهريّ وغيره من أشياخه، وهكذا وصله ابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١١١) عن الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن ابن أخي أبي رهم الغفاري عن أبي رهم وكان ممن بايع تحت الشجرة.

(٤) برقم (١٩٠٦) عن عروة بن الزبير، وانظر: «فتح الباري» (٧/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

(٥) برقم (٨٣)، وفيه شرحبيل بن سعد، ضعفه مالك وابن معين وأبو زرعة، ووثقه ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب»: «وفي سماعه من عويم نظر».
وأصل استنجاء أهل قباء بالماء عند أبي داود (٤٤)، والترمذي (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نَزَلَت هذه الآيةُ في أهل قُباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] قال: كانُوا يَستَنجُونَ بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية.

(٦) برقم (٢٤٧ ـ كشف) عن ابن عباس، وإسناده ضعيف كما في «بلوغ المرام» (ص: ٣٣)، وليس فيه: «قال: هو ذاك فعليكموه»، وهذه العبارة وردت في القصة عند ابن ماجه (٣٥٥) عقب قولهم: «ونستنجي بالماء» دون ذكر الحجارة.

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١٢) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ (١١٤) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ (١١٦) لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ (١١٧)

(١١١) ـ ﴿إِنَّ اللهَ اشتَرَى مِنَ المُؤمِنِينَ أنفُسَهُم وأموالَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ، يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ، فيَقتُلُونَ ويُقتَلُونَ﴾: جُملة استئناف بيان للشراء ـ وفي قراءة بتقديم المبنيّ للمفعول، أي: فيُقتل بعضهم ويُقاتِل الباقي ـ ﴿وَعدًا عليهِ حَقًّا﴾: مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿في التَّوراةِ والإنجيلِ والقُرآنِ ـ ومَن أوفَى بِعَهدِهِ مِنَ اللهِ﴾؟ أي: لا أحد أوفى منه ـ ﴿فاستَبشِرُوا﴾، فيه التفات عن الغيبة، ﴿بِبَيعِكُمُ الَّذِي بايَعتُم بِهِ. وذلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾: المُنِيلُ غايةَ المطلوب.

(١١٢) ـ ﴿التّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ، من الشِّرك والنفاق ﴿العابِدُونَ﴾: المُخلصون العِبادةَ لله، ﴿الحامِدُونَ﴾ له على كُلِّ حال، ﴿السّائحُونَ﴾: الصائمون، ﴿الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ﴾ أي: المُصلّون، ﴿الآمِرُونَ بِالمَعرُوفِ والنّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ، والحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾: لِأحكامه بالعمل بها. ﴿وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ بالجنّة.

ونزل في استغفاره ﷺ لعمّه[1] أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المُشركين[2]: (١١٣) ـ ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِكِينَ، ولَو كانُوا أُولِي قُربَى﴾: ذوي قرابة ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُم أصحابُ الجَحِيمِ﴾: النار، بأن ماتوا على الكُفر، (١١٤) ـ ﴿وما كانَ استِغفارُ إبراهِيمَ لِأَبِيهِ إلّا عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَها إيّاهُ﴾ بقوله: «سأستَغفِرُ لَكَ رَبِّي» رجاءَ أن يُسلم، ﴿فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ﴾ بموته على الكُفر ﴿تَبَرَّأَ مِنهُ﴾ وترك الاستغفار له. ﴿إنَّ إبراهِيمَ لَأَوّاهٌ﴾: كثير التضرّع والدُّعاء ﴿حَلِيمٌ﴾: صبور على الأذى.

(١١٥) ـ ﴿وما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَومًا بَعدَ إذ هَداهُم﴾ للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم ما يَتَّقُونَ﴾ من العمل، فلا يتّقوه فيستحقّوا الإضلال. ﴿إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مُستحِقُّ الإضلالِ والهِداية (١١٦) ـ ﴿إنَّ اللهَ لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يُحيِي ويُمِيتُ، وما لَكُم﴾ ـ أيها الناس ـ ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: يحفظكم منه ﴿ولا نَصِيرٍ﴾: يمنع عنكم ضرره.

(١١٧) ـ ﴿لَقَد تابَ اللهُ﴾ أي: أدام توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ في ساعَةِ العُسرَةِ﴾ أي: وقتها ـ وهي حالهم في غزوة تبوكَ، كان الرجلان يقتسمان تمرةً والعشرة يعتقبون البعيرَ الواحد، واشتدّ الحرّ حتّى شربوا الفَرْث[3] ـ ﴿مِن بَعدِ ما كادَ تَزِيغُ﴾، بالتاء

﴿السّائحون﴾: الغزاةُ المُجاهدونَ. أوِ الصّائمونَ. ﴿لحدود الله﴾: لأوامرِهِ ونواهيهِ. ﴿لأوّاه﴾: لكثيرُ التّأوُّهِ خوفاً وشفقاً. ﴿ساعة العسرة﴾: وقتَ الشِّدَّةِ والضِّيقِ في تبوكَ. ﴿يزيغ﴾: يميلُ إلى التَّخلُّفِ عنِ الجهادِ.

(١) البخاري (٤٦٧٥)، ومسلم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه، وفيه القصة المعروفة من طلب النبي من عمه وهو على فراش الموت وحوله زعماء قريش أن ينطق الشهادة، لكنه أبى وكان آخر كلامه: على ملّةِ عبدِ المُطّلِبِ، فقالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ: «لأستَغْفِرَنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنه»، فنزلَتْ: ﴿ما كان للنَّبيِّ﴾ الآية.

(٢) قال عليٌّ رضي الله عنه: سمعت رجلًا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبيِّ ﷺ فنزلت هذه الآية. النسائي (٢٠٣٦)، والترمذي (٣١٠١) وقال: حديث حسن.

سبب آخر: عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: خرَجَ رسولُ الله عليه السَّلامُ ينظرُ في المقابرِ وخرَجْنا معه، فأمَرَنا فجلَسْنا، ثمَّ تخطَّى القُبورَ حتَّى انتهى إلى قبرٍ منها فناجاه طويلًا، ثمَّ ارتفَعَ نحيبُ رسولِ الله باكيًا، فبكَينا لبكاءِ رسولِ الله عليه السَّلامُ...، وفيه: فقال: «إنَّ القبرَ الذي رأيتُموني أُناجي فيه قبرُ آمنةَ بنتِ وهبٍ، وإنِّي استأذنتُ ربِّي في زيارتِها فأذِنَ لي فيها، واستأذنتُ ربِّي في الاستغفارِ لها فلم يأذَنْ لي فيه، ونزَلَ عليَّ: ﴿ما كان للنَّبيِّ﴾..» الحديث. عبد الرزاق في «المصنف» (٦٧١٤)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٣)، وابن حبان (٩٨١)، والحاكم (٣٢٩٢) وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: «أيوب بن هانىء ضعفه ابن معين». وله شاهد مختصر دون التصريح بالنزول من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٩٧٦) بلفظ: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

(٣) ورد هذا فيما رواه البزار في «مسنده» (٢١٤)، والطبري (١٢/ ٥٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٠١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٢)، والحاكم (٥٦٦) وصححه. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٩٥): ورجال البزار ثقات. وعبد الرزاق (١١٣٩)، والطبري (١٢/ ٥٠)، وابن أبي حاتم =

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم
مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ
بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ
وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا
يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

والياء: تَميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنهُم﴾ عن اتّباعه إلى التخلّف لِما هم فيه من الشِّدّة، ﴿ثُمَّ تابَ عَلَيهِم﴾ بالثبات. ﴿إنَّهُ بِهِم رَؤوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(١١٨) ـ (١١٩) ـ ﴿و﴾ تابَ ﴿علَى الثَّلاثةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التَّوبة عليهم، بقرينة ﴿حَتَّى إذا ضاقَتْ علَيهِمِ الأرضُ بِما رَحُبَتْ﴾ أي: مع رُحبِها، أي: سَعتِها، فلا يجدون مكانًا يطمئنّون إليه، ﴿وضاقَتْ علَيهِم أنفُسُهُم﴾: قُلوبهم للغمّ والوحشة بتأخير تَوبتهم فلا يسعها سُرور ولا أُنس، ﴿وظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿لا مَلجأَ مِنَ اللهِ إلّا إليهِ، ثُمَّ تابَ علَيهِم﴾: وفّقهم للتَّوبة ﴿لِيَتُوبُوا. إنَّ اللهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ. يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ﴾ بترك معاصيه، ﴿وكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعُهود بأن تلزموا الصِّدق.

(١٢٠) ـ ﴿ما كانَ لِأهلِ المَدِينةِ ومَن حَولَهُم مِنَ الأعرابِ أن يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللهِ﴾ إذا غزا، ﴿ولا يَرغَبُوا بِأنفُسِهِم عَن نَفسِهِ﴾ بأن يصونوها عمّا رضيه لنفسه من الشدائد. وهو نهي بلفظ الخبر. ﴿ذلِكَ﴾ أي: النهيُ عن التخلّف ﴿بِأنَّهُم﴾: بسبب أنهم ﴿لا يُصِيبُهُم ظَمَأٌ﴾: عطش ﴿ولا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿ولا مَخمَصةٌ﴾: جوع ﴿في سَبِيلِ اللهِ، ولا يَطَؤُونَ مَوطِئًا﴾: مصدرٌ بمعنى وطْئًا ﴿يَغِيظُ﴾: يُغضِب ﴿الكُفّارَ، ولا يَنالُونَ مِن عَدُوٍّ﴾ للهِ ﴿نَيلاً﴾ قتلاً أو أسرًا أو نهبًا، ﴿إلّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ﴾ ليُجازَوا عليه ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ﴾ أي: أجرَهم بل يُثيبهم ـ (١٢١) ـ ﴿ولا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقةً صَغِيرةً﴾ ولو تمرةً ﴿ولا كَبِيرةً، ولا يَقطَعُونَ وادِيًا﴾ بالسَّير ﴿إلّا كُتِبَ لَهُم﴾ ذلك، ﴿لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسَنَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

نصف الحزب ٢١

ولمّا وُبِّخوا على التخلّف وأرسل النبيّ سَرِيّة نَفروا جميعًا[1]، فنزل: (١٢٢) ـ ﴿وما كانَ المُؤمِنُونَ لِيَنفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كافّةً. فلَولا﴾: فهلّا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقةٍ﴾: قبيلةٍ ﴿مِنهُم طائفةٌ﴾: جماعة، ومكَثَ الباقون ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: الماكثون ﴿في الدِّينِ، ولِيُنذِرُوا قَومَهُم إذا رَجَعُوا إلَيهِم﴾ من الغزو بتعليم ما تعلّموه من الأحكام، ﴿لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ﴾ عِقاب الله بامتثال أمره ونهيه. قال ابن عبّاس: فهذه مخصوصة بالسرايا[2]، والتي قبلها بالنهي عن تخلّف أحد فيما إذا خرج النبيّ.

﴿بما رحُبت﴾: معَ رُحبِها وسَعتِها. ﴿ليتوبوا﴾: ليُداوِموا على التَّوبةِ في المُستقبلِ. ﴿لا يرغبوا بأنفسهم﴾: لا يترفَّعوا بها ولا يصرفوها. ﴿نصبٌ﴾: تعبٌ ما. ﴿مخمصةٌ﴾: مجاعةٌ ما. ﴿يغيظ الكفّار﴾: يغضبُهُم ويغمُّهُم. ﴿نيلاً﴾: شيئاً مِن قتلٍ أو أسرٍ أو غنيمةٍ. ﴿لينفروا كافّة﴾: ليخرجوا إلى الجهادِ جميعاً.

= (٦/ ١٨٩٨) عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب. والطبري (١٢/ ٥٠ ـ ٥١) عن مجاهد وقتادة. وقد نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين خلفوا، روى حديثهم مطولًا البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

(١) الثعلبي (١٤/ ١٣١)، والواحدي (ص: ٢٦٣)، عن ابن عباس من رواية الكلبي: لمَّا نزلَ عيوبُ المنافقين لتخلُّفِهم عن الجهادِ قال المؤمنون: والله لا نتخَلَّفُ عن غزوةٍ يغزُوها رسولُ الله عليه السَّلامُ ولا سريّةٍ أبدًا، فلمَّا أمرَ رسولُ الله ﷺ بالسَّرايا إلى الغزوِ نفرَ المسلمون جميعاً وتركُوا رسولَ الله ﷺ وحدَه بالمدينةِ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾.

وعن عكرمة: لما نزلت: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾ [التوبة: ٣٩] و﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ قال المنافقون: هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه! وقد كان ناس من الصحابة خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقِّهونهم، فأنزل الله: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٥١)، والطبري (١٢/ ٨٠ ـ ٨١). الكلبيُّ: ذُكِرَ أنَّ أحياءً من بني أسدٍ وردَتِ المدينةَ، فملأَتِ الطُّرقَ بالعَذِراتِ وغلَتِ الأسعارُ، فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ. الثعلبي (١٤/ ١٣٢)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٥٥). وعن عبد الله بن عبيد بن عمير: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في رقة من الناس، فنزلت. ابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٠)، و«لباب النقول» (ص: ١١٤).

(٢) روى معناه الطبري (١٢/ ٧٧).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سورة يونس

(١٢٣) - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونكُم مِنَ الكُفّارِ﴾ أي: الأقرب فالأقرب منهم، ﴿ولْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَةً﴾: شِدّة، أي: أغلظوا عليهم، ﴿واعلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

(١٢٤) - ﴿وإذا ما أُنزِلَتْ سُورةٌ﴾ من القرآن ﴿فمِنهُم﴾ أي المُنافقين ﴿مَن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاءً: ﴿أيُّكُم زادَتْهُ هذِهِ إيمانًا﴾: تصديقًا؟ قال تعالى: ﴿فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادَتهُم إيمانًا﴾ لتصديقهم بها، ﴿وهُم يَستَبشِرُونَ﴾: يفرحون بها، (١٢٥) - ﴿وأمّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: ضعفُ اعتقاد ﴿فزادَتهُم رِجسًا إلَى رِجسِهِم﴾: كُفرًا إلى كُفرهم لكُفرهم بها، ﴿وماتُوا وهُم كافِرُونَ﴾.

(١٢٦) - ﴿أوَلا يَرَونَ﴾ - بالياء أي: المُنافقون، والتاء أيها المُؤمنون - ﴿أنَّهُم يُفتَنُونَ﴾: يُبتلَون ﴿في كُلِّ عامٍ مَرَّةً أو مَرَّتَينِ﴾ بالقحط والأمراض، ﴿ثُمَّ لا يَتُوبُونَ﴾ من نِفاقهم، ﴿ولاهُم يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعظون؟

(١٢٧) - ﴿وإذا ما أُنزِلَتْ سُورةٌ﴾ فيها ذِكرهم، وقرأها النبيّ، ﴿نَظَرَ بَعضُهُم إلَى بَعضٍ﴾ يُريدون الهرب، يقولون: ﴿هَل يَراكُم مِن أحَدٍ﴾ إذا قمتم؟ فإن لم يرهم أحد قاموا وإلّا ثبتوا، ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ على كُفرهم. ﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهُدى ﴿بِأنَّهُم قَومٌ لا يَفقَهُونَ﴾ الحقّ لعدم تدبّرهم.

(١٢٨) - ﴿لَقَد جاءَكُم رَسُولٌ مِن أنفُسِكُم﴾ أي: منكم مُحمّد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾: شديد ﴿عَلَيهِ ما عَنِتُّم﴾ أي: عنتكم، أي: مشقّتُكم ولِقاؤكم المكروه، ﴿حَرِيصٌ عَلَيكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِالمُؤمِنِينَ رَؤُوفٌ﴾: شديد الرحمة ﴿رَحِيمٌ﴾: يُريد لهم الخير.

(١٢٩) - ﴿فإن تَوَلَّوا﴾ عن الإيمان بك ﴿فقُلْ: حَسبِيَ﴾: كافِيَّ ﴿اللهُ لا إلـهَ إلّا هُوَ، عَلَيهِ تَوَكَّلتُ﴾: به وثقتُ لا بغيره، ﴿وهُوَ رَبُّ العَرشِ﴾ الكُرسيِّ ﴿العَظِيمِ﴾. خصّه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. روى الحاكم في «المستدرك»[1] عن أُبيّ بن كعب قال: آخرُ آية نزلت «لَقَد جاءَكُم رَسُولٌ» إلى آخر السُّورة.

***

﴿غلظةً﴾: شدّةً وشجاعةً، وحميَّةً، وصبراً. ﴿رجساً﴾: نفاقاً وكفراً. ﴿يُفتنون﴾: يُمتحنونَ بالشّدائدِ والبلايا. ﴿عزيز عليه﴾: صعبٌ وشاقٌّ عليه. ﴿ما عنتُّم﴾: عَنَتُكم ومشقّتُكم. ﴿حسبي الله﴾: كافيَّ اللهُ ومُعيني.

(١) برقم (٣٢٩٦) وصححه، ورواه أيضاً عبد الله أحمد في زوائده على «المسند» (٢١١١٣) و(٢١٢٢٦)، والطبري (١٢/ ١٠١)، والطبراني في «الكبير» (٥٣٣)، وابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ٥٦ و١١٢)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٩)، والضياء في «المختارة» (١١٥٥).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ
مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ
يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ
وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ
ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦

١٠

سُورَةُ يُونُسَ

مكيـة إلّا «فـإن كنـت في شـك» الآيتيـن أو الثـلاثَ، أو «ومنهم مـن يؤمن به» الآيـةَ، مِائةٌ وتسعُ أو عشرُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾ القُرآن ـ والإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿الحَكيمِ﴾: المُحكَم. ٢ ـ ﴿أكانَ لِلنّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة، استفهامُ إنكار، والجارّ والمجرور: حال من قوله ﴿عَجَبًا﴾ بالنصبِ: خبرُ «كان»، والرفع اسمُها، والخبرُ وهو اسمُها على الأُولى: ﴿أن أوحَينا﴾ أي: إيحاؤنا ﴿إلى رَجُلٍ مِنهُم﴾[1] مُحمّدٍ ﷺ: ﴿أن﴾: مُفسّرةٌ ﴿أنذِرِ﴾: خوِّفِ ﴿النّاسَ﴾ الكافرين بالعذاب، ﴿وبَشِّرِ الَّذينَ آمَنوا أنَّ﴾ أي: بأنّ ﴿لَهُم قَدَمَ﴾: سَلَفَ ﴿صِدقٍ عِندَ رَبِّهِم﴾ أي: أجرًا حسنًا بما قدّموا من الأعمال؟ ﴿قالَ الكافِرونَ: إنَّ هذا﴾ القُرآنَ المُشتمِلَ على ذلك ﴿لَسِحرٌ مُبينٌ﴾: بيّنٌ. وفي قراءة: «لَساحِرٌ» والمشارُ إليه النبيُّ.

٣ ـ ﴿إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدْرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر ـ ولو شاء لخلقهنّ في لمحة. والعدولُ عنه لتعليم خلقه التثبّتَ ـ ﴿ثُمَّ استَوَى على العَرشِ﴾ استواءً يليق به، ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ﴾ بين الخلائق، ﴿ما مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَفيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إلّا مِن بَعدِ إذنِهِ﴾. ردٌّ لقولهم: إنّ الأصنام تشفع لهم. ﴿ذلِكُمُ﴾ الخالق المُدبّر ﴿اللهُ رَبُّكُم. فاعبُدُوهُ﴾: وحّدوه. ﴿أفلا تَذَّكَّرونَ﴾؟ بإدغام التاء في الأصل في الذال.

٤ ـ ﴿إلَيهِ﴾ تعالى ﴿مَرجِعُكُم جَميعًا، وَعدَ اللهِ حَقًّا﴾: مصدران منصوبان بفعلهما المُقدّر. ﴿إنَّهُ﴾ ـ بالكسرِ استئنافًا والفتح على تقدير اللام ـ ﴿يَبدأُ الخَلقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعيدُهُ﴾ بالبعث، ﴿لِيَجزيَ﴾: ليُثيبَ ﴿الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ بِالقِسطِ، والَّذينَ كَفَروا لَهُم شَرابٌ مِن حَميمٍ﴾: ماء بالغ نهايةَ الحرارة، ﴿وعَذابٌ أليمٌ﴾: مُؤلمٌ ﴿بِما كانوا يَكفُرونَ﴾ أي: بسبب كُفرهم.

٥ ـ ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً﴾: ذاتَ ضياء أي: نورٍ ﴿والقَمَرَ نورًا، وقَدَّرَهُ﴾ من حيثُ سيرُه ﴿مَنازِلَ﴾ ثمانيةً وعشرين منزلاً في ثمانٍ وعشرين ليلةً من كُلِّ شهر، ويستتر ليلتينِ إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يومًا، ﴿لِتَعلَموا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنينَ والحِسابَ. ما خَلَقَ اللهُ ذلِكَ﴾ المذكورَ ﴿إلّا بِالحَقِّ﴾ لا عبثًا، تعالى عن ذلك. ﴿يُفَصِّلُ﴾، بالياء والنون، يُبيّنُ ﴿الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمونَ﴾: يتدبّرون.

٦ ـ ﴿إنَّ في اختِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالذّهاب والمجيء والزيادة والنُّقصان، ﴿وما خَلَقَ اللهُ في السَّماواتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونُجوم وغير ذلك ﴿و﴾ في ﴿الأرضِ﴾ من حيوان وجبال وبِحار وأنهار وأشجار وغيرها، ﴿لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَتَّقونَـ﴾ـه فيؤمنون. خصّهم بالذكر لأنهم المُنتفعون بها.

﴿قَدَم صدق﴾: سابقَةَ فضلٍ، ومنزلةً رفيعةً. ﴿استوى على العرش﴾: استواءً يليقُ بهِ سبحانَهُ. ﴿بالقسط﴾: بالعدلِ. ﴿حميم﴾: ماءٍ بالغٍ غايةَ الحرارةِ. ﴿قدّره منازل﴾: صيَّرَ القمرَ ذا منازلَ يسيرُ فيها.

(١) قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لـمّا بعثَ الله مُحمَّدًا رسولاً أنكرَتِ الكفّارُ وقالوا: اللهُ أعظَمُ من أن يكونَ رسولُه بشرًا مثلَ محمَّدٍ، فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ. الطبري (١٢/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٢٣)، والواحدي (ص: ٢٦٤).

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ (٧) أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ
ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٩) دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠) ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ
ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ
خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)

(٧) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا﴾ بالبعث ﴿ورَضُوا بِالحَياةِ الدُّنيا﴾ بدلَ الآخرةِ لإنكارِهم لها ﴿واطمَأَنُّوا بِها﴾: سكنوا إليها، ﴿والَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا﴾: دلائلِ وحدانيّتنا ﴿غافِلُونَ﴾: تاركون للنظر فيها، (٨) ـ ﴿أُولَئِكَ مأواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ من الشِّرك والمعاصي.

(٩) ـ (١٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ يَهدِيهِم﴾: يُرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمانِهِم﴾: به بأن يجعل لهم نورًا يهتدون به يوم القيامة، ﴿تَجرِي مِن تَحتِهِمُ الأنهارُ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ، دَعْواهُم فِيها﴾: طلبهم لِما يشتهونه في الجنّة[1] أن يقولوا: ﴿سُبحانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا اللهُ! فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم، ﴿وتَحِيَّتُهُم﴾ فيما بينهم ﴿فِيها سَلامٌ، وآخِرُ دَعْواهُم أنِ﴾ ـ مُفسِّرة ـ ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

ونزل لمّا استعجل المشركون العذاب[2]: (١١) ـ ﴿ولَو يُعَجِّلُ اللهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ استِعجالَهُم﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالخَيرِ لَقُضِيَ﴾ ـ بالبناء للمفعول وللفاعل ـ ﴿إِلَيهِم أجَلُهُم﴾، بالرفع والنصب، بأن يُهلِكهم، ولكن يُمهلهم ـ ﴿فنَذَرُ﴾: نتركُ ﴿الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا فِي طُغيانِهِم يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون مُتحيّرين ـ

(١٢) ـ ﴿وإِذا مَسَّ الإنسانَ﴾: الكافرَ ﴿الضُّرُّ﴾[3]: المرض والفقر ﴿دَعانا لِجَنبِهِ﴾ أي: مُضطجعًا ﴿أو قاعِدًا أو قائِمًا﴾ أي: في كُلّ حال، ﴿فلَمّا كَشَفْنا عَنهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على كُفره ﴿كأنْ﴾، مُخفّفةٌ واسمها محذوف، أي: كأنّه ﴿لَم يَدعُنا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ. كَذلِكَ﴾: كما زُيّنَ له الدعاءُ عِند الضرر والإعراضُ عِند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلمُسرِفِينَ﴾: المُشركينَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

(١٣) ـ ﴿ولَقَد أهلَكنا القُرُونَ﴾: الأُمم ﴿مِن قَبلِكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿لَمّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك، ﴿و﴾ قد ﴿جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: الدلالات على صِدقهم، ﴿وما كانُوا لِيُؤمِنُوا﴾: عطفٌ على «ظلموا» ـ ﴿كَذلِكَ﴾: كما أهلكنا أُولئك ﴿نَجزِي القَومَ المُجرِمِينَ﴾: الكافرين ـ (١٤) ـ ﴿ثُمَّ جَعَلناكُم﴾ يا أهل مكّة ﴿خَلائِفَ﴾: جمع خليفة ﴿فِي الأرضِ مِن بَعدِهِم، لِنَنظُرَ: كَيفَ تَعمَلُونَ﴾ فيها؟ وهل تعتبرون بهم فتُصدّقوا رُسلَنا؟

﴿لا يرجون لقاءنا﴾: لا يتوقَّعونَهُ لإنكارِهِمُ البعثَ. ﴿دعواهم﴾: دُعاؤُهُم. ﴿لَقُضِيَ إليهم أجلهم﴾: لأُهلِكوا وأُبيدوا. ﴿في طُغيانهم﴾: في تجاوُزِهِمُ الحدَّ في الكفرِ. ﴿يعمهون﴾: يعمونَ عنِ الرُّشدِ أو يتحيَّرونَ. ﴿الضّرّ﴾: الجهدُ والبلاءُ والشِّدَّةُ. ﴿دعانا لجنبه﴾: استغاثَ بنا لكشفِهِ مُلقىً لجنبِهِ. ﴿مرّ﴾: استمرَّ على كُفرِهِ ولم يتَّعِظْ. ﴿القرون﴾: الأممَ كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ. ﴿ظلموا﴾: بالكفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ. ﴿جعلناكم خلائف﴾: استخلفْناكُم بعدَ إهلاكِ أولئكَ.

(١) عن كثيرٍ مِن السَّلفِ: أنَّ أهلَ الجنَّة كلَّما اشتهَوا شيئاً قالوا: سبحانَكَ اللَّهمَّ، فيأتِيهم الملَكُ بما يشتَهونَ، فيسلِّمُ عليهم فيردُّونَ عليهِ، وذلكَ تحيَّتُهم، فإذا أكَلوا حمِدُوا اللهَ، وذلكَ قولُه: ﴿وآخرُ دعْواهم...﴾ إلخ. (الجمالين).

(٢) هو النضر بن الحارث حين قال: «فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ فيصيبَنا»، فأنزل الله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ﴾ الآية. «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٢٩).

(٣) نزلت في أبي حذيفة المخزومي لمرض كان به، واسمه: هاشم بن المغيرة بن عبد الله. «زاد المسير» (٢/ ٣١٩) عن ابن عباس ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٠).
وعن عطاء: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة. «الوسيط» للواحدي (٢/ ٥٤٠)، و«زاد المسير» (٢/ ٣١٩).

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ
لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل
لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا
كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

(١٥) ـ ﴿وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾[1]: ظاهراتٍ حالٌ ﴿قالَ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا﴾: لا يخافون البعث: ﴿ائتِ بِقُرآنٍ غَيرِ هذا﴾ ليس فيه عيب آلهتنا، ﴿أو بَدِّلْهُ﴾ من تِلقاء نفسك. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ما يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِيَ أن أُبَدِّلَهُ مِن تِلقاءِ﴾: قِبَلِ ﴿نَفسِي. إن﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إلّا ما يُوحَى إلَيَّ. إنِّي أخافُ، إن عَصَيتُ رَبِّي﴾ بتبديله، ﴿عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

(١٦) ـ ﴿قُلْ: لَو شاءَ اللهُ ما تَلَوتُهُ علَيكُم، ولا أدراكُم﴾: أعلمَكم ﴿بِهِ﴾. ولا: نافية، عطفٌ على ما قبله وفي قراءة بلامِ جوابِ «لو»، أي: لأعلمكم به على لسان غيري. ﴿فقَد لَبِثتُ﴾: مَكَثتُ ﴿فِيكُم عُمُرًا﴾ سِنينَ[2] أربعين ﴿مِن قَبلِهِ﴾، لا أُحدِّثكم[3] بشيء. ﴿أفَلا تَعقِلُونَ﴾ أنه ليس من قِبَلي؟

(١٧) ـ ﴿فمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بِنسبة الشريك إليه ﴿أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾: القُرآنِ؟ ﴿إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿لا يُفلِحُ﴾: يَسعد ﴿المُجرِمُونَ﴾: المُشركون.

(١٨) ـ ﴿ويَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿ما لا يَضُرُّهُم﴾ ـ إن لم يعبدوه ـ ﴿ولا يَنفَعُهُم﴾ إن عبدوه، هو الأصنام[4]، ﴿ويَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِندَ اللهِ. قُلْ﴾ لهم: ﴿أتُنَبِّئُونَ اللهَ﴾: تُخبرونه ﴿بِما لا يَعلَمُ في السَّماواتِ ولا في الأرضِ﴾؟ استفهام إنكار، أي: لو كان له شريك لعلمه، إذ لا يخفى عليه شيء. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ ـه معه!

(١٩) ـ ﴿وما كانَ النّاسُ إلّا أُمَّةً واحِدَةً﴾: على دِين واحد ـ وهو الإسلام ـ من لدُن آدمَ إلى نُوح، وقيل: من عهد إبراهيمَ إلى عمرِو ابنِ لُحَيّ، ﴿فاختَلَفُوا﴾ بأن ثبَت بعض وكفر بعض، ﴿ولَولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ أي: النّاسِ في الدنيا، ﴿فِيما فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من الدِّين بتعذيب الكافرين.

(٢٠) ـ ﴿ويَقُولُونَ﴾ أي: أهل مكّة: ﴿لَولا﴾: هلّا ﴿أُنزِلَ علَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿آيَةٌ مِن رَبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ـ ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّما الغَيبُ﴾: ما غاب عن العِباد أي: أمرُه ﴿لِلهِ﴾ ومنه الآياتُ، فلا يأتي بها إلّا هو، وإنّما عليَّ التبليغُ. ﴿فانتَظِرُوا﴾ العذابَ، إن لم تؤمنوا. ﴿إنِّي مَعَكُم مِنَ المُنتَظِرِينَ﴾.

﴿لا أدراكم به﴾: لا أعلمَكُمُ اللهُ بِهِ بواسطتي. ﴿لا يُفلح المجرمون﴾: لا يفوزونَ بمطلوبٍ. ﴿سبحانه﴾: تنزيهاً لهُ تعالى.

(١) قال الكلبيُّ: نزلَتْ في المُستَهزِئين، قالوا: يا محمَّدُ، ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا فيه ما نسألُكه. الثعلبي (٥/ ١٢٤)، والواحدي (ص: ٢٦٤).
قال مجاهدٌ: نزلَتْ في مُشركي مكّةَ. الواحدي (ص: ٢٦٤)، ورواه الطبري (١٢/ ١٣٨) عن قتادة.

(٢) كذا بالنَّصبِ مع الألفِ، والصَّوابُ: «سنينَ» بلا ألفٍ؛ لأنّه مُلحَقٌ بجمعِ السَّالم. (الجمالين).

(٣) إشارةٌ إلى أنَّ القرآنَ مُعجِزٌ. (الجمالين).

(٤) سبحانَ الله! يرضَونَ أن يكونَ الإلهُ حجراً، ولا يرضَون أن يكونَ الرَّسولُ بشراً، ويدَّعونَ لها الشَّفاعةَ، ولو كانَ لها قَدْرٌ لدفعَتِ النحتَ عن رأسِها. (الجمالين).

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ
فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
٢١ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ
دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ
بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ
عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ
إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥

٢١ ـ ﴿**وإذا أذقنا النّاسَ**﴾ أي: كُفّار مكّة ﴿**رَحْمةً**﴾: مطرًا وخِصبًا ﴿**مِن بَعدِ ضَرّاءَ**﴾: بُؤس وجدب ﴿**مَسَّتهم إذا لَهم مكرٌ في آياتِنا**﴾ بالاستهزاء والتكذيب. ﴿**قُلِ**﴾ لهم: ﴿**اللهُ أسرَعُ مَكرًا**﴾: مُجازاةً. ﴿**إنَّ رُسُلَنا**﴾: الحَفَظة ﴿**يكتُبُونَ ما تمكُرُونَ**﴾. بالتاء والياء.

٢٢ ـ ﴿**هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُم**﴾ ـ وفي قراءة: «يَنشُرُكُم» ـ ﴿**في البَرِّ والبَحرِ. حَتَّى إذا كُنتُم في الفُلْكِ**﴾: السُّفن، ﴿**وجَرَينَ بِهِم**﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب ـ ﴿**بريحٍ طَيِّبَةٍ**﴾: ليِّنة ﴿**وفَرِحُوا بها، جاءَتها رِيحٌ عاصِفٌ**﴾: شديدةُ الهُبوب تكسِر كُلّ شيء، ﴿**وجاءَهُمُ المَوجُ مِن كُلِّ مَكانٍ، وظَنُّوا أنَّهُم أُحِيطَ بِهِم**﴾ أي: أُهلِكوا، ﴿**دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾: الدُّعاءَ ﴿**لَئِنْ**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**أنجَيتَنا مِن هذِهِ**﴾ الأهوالِ ﴿**لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكِرِينَ**﴾: المُوحّدين، ٢٣ ـ ﴿**فلَمّا أنجاهُم إذا هُم يَبغُونَ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ**﴾[1]: بالشِّرك. ﴿**يا أيُّها النّاسُ، إنَّما بَغيُكُم**﴾: ظُلمكم ﴿**على أنفُسِكُم**﴾ لأنّ إثمه عليها. هو ﴿**مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ تُمتّعون فيها قليلاً، ﴿**ثُمَّ إلَينا مَرجِعُكُم**﴾ بعد الموت، ﴿**فنُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ فنُجازيكم عليه. وفي قراءة بنصب: «متاعَ»، أي: تَتمتّعون.

٢٤ ـ ﴿**إنَّما مَثَلُ**﴾: صِفةُ[2] ﴿**الحَياةِ الدُّنيا كَماءٍ**﴾: مطر، ﴿**أنزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ، فاختَلَطَ بِهِ**﴾: بسببه[3] ﴿**نَباتُ الأرضِ**﴾، واشتبك بعضه ببعض، ﴿**مِمّا يأكُلُ النّاسُ**﴾ من البُرّ والشعير وغيرهما ﴿**والأنعامُ**﴾ من الكلأ. ﴿**حَتَّى إذا أخَذَتِ الأرضُ زُخرُفَها**﴾: بهجتها من النبات، ﴿**وازَّيَّنَتْ**﴾ بالزهر[4] ـ وأصله «تَزَيَّنَتْ»، أُبدلت التاء زايًا وأُدغمت في الزاي ـ ﴿**وظَنَّ أهلُها أنَّهُم قادِرُونَ علَيها**﴾: مُتمكّنون من تحصيل ثمارها، ﴿**أتاها أمرُنا**﴾: قضاؤنا، أي: عذابُنا ﴿**لَيلاً أو نَهارًا، فجَعَلْناها**﴾ أي: زرعَها ﴿**حَصِيدًا**﴾ كالمحصود بالمَناجِل، ﴿**كأنْ**﴾ ـ مُخفّفةٌ ـ أي: كأنّها ﴿**لَم تَغْنَ**﴾: تكنْ ﴿**بالأمسِ. كَذلِكَ نُفَصِّلُ**﴾: نُبيّنُ ﴿**الآياتِ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

٢٥ ـ ﴿**واللهُ يَدعُو إلَى دارِ السَّلامِ**﴾ أي: السلامة ـ وهي الجنّة ـ بالدعاء إلى الإيمان، ﴿**ويَهدِي مَن يَشاءُ**﴾ هِدايته ﴿**إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ**﴾: دِين الإسلام.

﴿ضرّاء مسّتهم﴾: نائبةٍ أصابَتْهُم (الجُوع والقَحط). ﴿لهم مكر﴾: دفعٌ وطعنٌ واستهزاءٌ. ﴿الله أسرع مكراً﴾: أعجلُ جزاءً وعقوبةً. ﴿ريح عاصف﴾: شديدةُ الهبوبِ. ﴿أحيط بهم﴾: أحدقَ بهمُ الهلاكُ. ﴿يبغون﴾: يُفسِدونَ. ﴿مثل الحياة الدّنيا﴾: حالُها في سرعةِ تقضِّيها وزوالِها. ﴿زخرفها﴾: نظارتَها وبهجتَها بألوانِ النَّباتِ. ﴿أمرُنا﴾: ما يجتاحُها مِنَ الآفاتِ والعاهاتِ. ﴿حصيداً﴾: كالنَّباتِ المحصودِ بالمناجِلِ. ﴿لم تغْنَ﴾: لم تمكثْ زروعُها ولم تقمْ.

(١) أي: مُبطِلينَ فيه، وهو احترازٌ عن تخريبِ المسلمينَ ديارَ الكفَرةِ وإحراقِ زروعِهِم وقلعِ أشجارِهم؛ فإنَّها إفسادٌ بحقٍّ. (الجمالين).

(٢) أي: حالُها العجيبةُ في سرعةِ تقضِّيهَا وذهابِ نعيمِها بعدَ إقبالِها واغترارِ النَّاسِ بها. (الجمالين).

(٣) أي: اشتبكَ حتَّى خالطَ بعضُه بعضاً، وقد وقعَ في «الكشَّافِ» هنا خطأٌ فاحشٌ حيثُ قال: وكانَ حقُّ اللَّفظِ: فاختلطَ بنباتِ الأرضِ، ووجهُ صحَّتِهِ أنَّ كلَّ واحدٍ منهما موصُوفٌ بصفةِ صاحبِه، على أنَّ هذا التَّركيبَ أبلغُ؛ لأنَّه حينئذٍ مِن بابِ: عرضتُ النَّاقةَ على الحوضِ. انتهى. (الجمالين).

(٤) أي: بأصنافِ النَّباتِ وأشكالِها وألوانِها المختلفةِ، كعرُوسٍ أخذَتْ من ألوانِ الثِّيابِ والتَّزيُّنِ، فتزيَّنَتْ بها. (الجمالين).

* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ
مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾
هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ
ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ
ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٢٢

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ - ﴿لِلَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الحُسنَى﴾: الجنّةُ، ﴿وزِيادةٌ﴾ - هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم[1] - ﴿ولا يَرهَقُ﴾: يغشَى ﴿وُجُوهَهُم قَتَرٌ﴾: سواد ﴿ولا ذِلَّةٌ﴾: كآبة - ﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ - والَّذِينَ﴾: عطفٌ على «للّذينَ أحسَنُوا» أي: وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئاتِ﴾: عملوا الشِّرك ﴿جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثلِها، وتَرهَقُهُم ذِلَّةٌ، مالَهُم مِنَ اللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿عاصِمٍ﴾: مانع، ﴿كأنَّما أُغشِيَتْ﴾: أُلبِستْ ﴿وُجُوهُهُم قِطَعًا﴾، بفتحِ الطاء: جمع قطْعة، وإسكانِها، أي: جُزءًا ﴿مِنَ اللَّيلِ مُظلِمًا. أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ - ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم﴾ أيِ: الخلقَ ﴿جَمِيعًا، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أشرَكُوا: مَكانَكُم﴾ - نصبٌ بـ«الزموا» مُقدّرًا - ﴿أنتُم﴾: تأكيدٌ للضمير المُستتر في الفعل المُقدّر، ليُعطف عليه ﴿وشُرَكاؤُكُم﴾ أي: الأصنامُ، ﴿فزَيَّلْنا﴾: ميّزنا ﴿بَينَهُم﴾ وبين المُؤمنين كما في آيةِ «وامتازُوا اليَومَ، أيُّها المُجرِمُونَ»، ﴿وقالَ﴾ لهم ﴿شُرَكاؤُهُم: ما كُنتُم إيّانا تَعبُدُونَ﴾. ما: نافية، وقُدّم المفعول للفاصلة. ﴿٢٩﴾ - ﴿٣٠﴾ - ﴿فكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَينَنا وبَينَكُم! إنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: إنّا ﴿كُنّا عَن عِبادَتِكُم لَغافِلِينَ. هُنالِكَ﴾ أي: ذلك اليومَ ﴿تَبلُو﴾ - مِن البلوَى. وفي قراءة بتاءينِ من التلاوة - ﴿كُلُّ نَفْسٍ ما أسلَفَتْ﴾: قدّمتْ من العمل، ﴿ورُدُّوا إلَى اللهِ مَولاهُمُ الحَقِّ﴾: الثابت الدائم، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ عليه من الشُّركاء.

﴿٣١﴾ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات؟ ﴿أم مَن يَملِكُ السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع أي: خَلَقَها ﴿والأبصارَ؟ ومَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ، ويُخرِجُ المَيْتَ مِنَ الحَيِّ؟ ومَن يُدَبِّرُ الأمرَ﴾ بين الخلائق؟ ﴿فسَيَقُولُونَ﴾: هو ﴿اللهُ. فقُلْ﴾ لهم: ﴿أفَلا تَتَّقُونَ﴾ ــه فتؤمنون؟ ﴿٣٢﴾ - ﴿فذلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ﴾: الثابت. ﴿فماذا بَعدَ الحَقِّ إلّا الضَّلالُ﴾؟ استفهام تقرير، أي: ليس بعده غيره. فمن أخطأ الحقّ - وهو عبادةُ الله - وقع في الضلال. ﴿فأنَّى﴾: كيف ﴿تُصرَفُونَ﴾ عن الإيمان مع قِيام البرهان؟ ﴿٣٣﴾ - ﴿كَذلِكَ﴾: كما صُرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: كفروا، وهي «لَأملأنَّ جَهَنَّمَ» الآيةَ أو هي ﴿أنَّهُم لا يُؤمِنُونَ﴾.

﴿الحسنى﴾: المنزلةُ الحُسنى (الجنّةُ). ﴿زيادة﴾: النَّظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريمِ فيها. ﴿لا يرهق وجوههم﴾: لا يغشى وجوهَهُم ولا يعلوها. ﴿قتر﴾: غُبارٌ ما فيهِ سوادٌ. ﴿ذلّة﴾: أثرُ هوانٍ ما. ﴿عاصم﴾: مانعٍ يمنعُ سُخطَهُ وعذابَهُ. ﴿أغشيت وجوههم﴾: كُسِيَتْ وأُلبِسَتْ. ﴿مكانكم﴾: الزَموا مكانَكُم واثبتوا فيهِ. ﴿فزيّلنا بينهم﴾: فرّقْنا بينَهُم وقطعْنا وُصَلَهُم. ﴿تبلوا﴾: تخبُرُ. أو تعلمُ. أو تُعاينُ. ﴿ربّكم الحقّ﴾: الثَّابتةُ ربوبيّتُهُ بالبرهانِ ثبوتاً لا ريبَ فيهِ. ﴿فأنّى تُصرفون؟﴾: فكيفَ تستجيزونَ العدولَ عنِ الحقِّ إلى الكفر والضّلال ؟. ﴿حقّت﴾: ثبَتَتْ ووجبَتْ.

(١) رواه مسلم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» وزاد في رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ
لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟
بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم
بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

(٣٤) ـ ﴿**قُلْ**: **هَل مِن شُرَكائكُم مَن يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ؟ قُلِ: اللهُ يَبدأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ. فأنّى تُؤفَكُونَ**﴾: تُصرفون عن عِبادته مع قيام الدليل؟

(٣٥) ـ ﴿**قُلْ**: **هَل مِن شُرَكائكُم مَن يَهدِي إلَى الحَقِّ**﴾ بنصب الحُجج وخلقِ الاهتداء؟ ﴿**قُلِ: اللهُ يَهدِي لِلحَقِّ. أفمَن يَهدِي إلَى الحَقِّ**﴾ ـ وهو الله ـ ﴿**أحَقُّ أنْ يُتَّبَع أم مَنْ لا يَهِدِّي**﴾: يهتدي ﴿**إلّا أن يُهدَى**﴾ أحقُّ أن يُتّبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ. أي: الأولُ أحقّ. ﴿**فما لَكُم؟ كَيفَ تَحكُمُونَ**﴾ هذا الحُكمَ الفاسد من اتّباع ما لا يحقّ اتباعه؟

(٣٦) ـ ﴿**وما يَتَّبِعُ أكثَرُهُم**﴾ في عِبادة الأصنام ﴿**إلّا ظَنًّا**﴾ حيثُ قلّدوا فيه آباءهم. ﴿**إنَّ الظَّنَّ لا يُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئًا**﴾ فيما المطلوبُ منه العِلمُ! ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَفعَلُونَ**﴾ فيُجازيهم عليه.

(٣٧) ـ ﴿**وما كانَ هذا القُرآنُ أن يُفتَرَى**﴾ أي: افتراءً ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرِه، ﴿**ولكِنْ**﴾ أُنزل ﴿**تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ**﴾ من الكُتب، ﴿**وتَفصِيلَ الكِتابِ**﴾: تبيينَ ما كتبَ الله من الأحكام وغيرها، ﴿**لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيهِ، مِن رَبِّ العالَمِينَ**﴾: متعلق بـ «تصديق» أو بـ «أُنزل» المحذوف. وقُرئ برفع «تَصديقُ، وتَفصيلُ» بتقدير: هو.

(٣٨) ـ ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**يَقُولُونَ: افتَراهُ**﴾: اختلقه مُحمّد؟ ﴿**قُلْ: فائتُوا بِسُورةٍ مِثلِهِ**﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء ـ فإنكم عربيّون فُصحاء مثلي ـ ﴿**وادعُوا**﴾ للإعانة عليه ﴿**مَنِ استَطَعتُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ في أنه افتراء. فلم يقدروا على ذلك.

(٣٩) ـ قال تعالى: ﴿**بَل كَذَّبُوا بِما لَم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ**﴾ أي: القُرآنِ ولم يتدبّروه، ﴿**ولَمّا**﴾: لم ﴿**يأتِهِم تأوِيلُهُ**﴾: عاقبةُ ما فيه من الوعيد. ﴿**كَذلِكَ**﴾ التكذيبِ ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ رُسلَهم. ﴿**فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الظّالِمِينَ**﴾ بتكذيب الرسل أي: آخرُ أمرهم من الهلاك؟ فكذلك يَهلِك هؤلاء.

(٤٠) ـ ﴿**ومِنهُم**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**مَن يُؤمِنُ بِهِ**﴾ لعِلم الله ذلك منه، ﴿**ومِنهُم مَن لا يُؤمِنُ بِهِ**﴾ أبدًا ـ ﴿**ورَبُّكَ أعلَمُ بِالمُفسِدِينَ**﴾. تهديدٌ لهم.

(٤١) ـ ﴿**وإن كَذَّبُوكَ فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**لِي عَمَلِي ولكُم عَمَلُكُم**﴾ أي: لُكلٍّ جزاءُ عمله. ﴿**أنتُم بَرِيئُونَ مِمّا أعمَلُ، وأنا بَرِيءٌ مِمّا تَعمَلُونَ**﴾، وهذا منسوخ بآية السيف[1] ـ.

(٤٢) ـ ﴿**ومِنهُم مَن يَستَمِعُونَ إلَيكَ**﴾ إذا قرأتَ القرآن. ﴿**أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ**﴾ ـ شَبَّههم بهم في عدم الانتفاع بما يُتلى عليهم ـ ﴿**ولَو كانُوا**﴾ مع الصَّمم ﴿**لا يَعقِلُونَ**﴾: يتدبّرون؟

﴿فأنّى تؤفكون؟﴾: فكيفَ تُصرفونَ عن طريقِ الرُّشدِ ؟. ﴿لا يهِدّي﴾: لا يهتدي بنفسِهِ. ﴿يأتهم تأويله﴾: يتبيَّنْ لهُم عاقبتُهُ ومآلُ وعيدِهِ.

(١) ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص: ١٦٠) من طريق أبي صالح عن ابن عباس، واستبعده من وجوه؛ منها: أن هذا الطريق لا يصح عن ابن عباس، ومنها: أنه ليس بين الآيتين تنافٍ. ورواه الطبري (١٢/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩٥٤)، عن ابن زيد. وذكره الثعلبي (١٤/ ٢١٥)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٤٨)، عن مقاتل والكلبي.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ
﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿٤٣﴾ ـ ﴿**ومنهُم مَن يَنظرُ إليكَ أفأنتَ تَهدِي العُميَ، ولَو كانُوا لا يُبصِرُونَ**﴾؟ شبّههم بهم في عدم الاهتداء. بل أعظَمُ «فإنّها لا تَعمَى الأبصارُ، ولكِنْ تَعمَى القُلوبُ الّتِي في الصُّدُورِ».

﴿٤٤﴾ ـ ﴿٤٥﴾ ـ ﴿**إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيئًا! ولكِنَّ النّاسَ أنفُسَهُم يَظلِمُونَ. ويَومَ يَحشُرُهُم كأنْ**﴾ أي: كأنّهم ﴿**لَم يَلبَثُوا**﴾ في الدنيا أو القُبور ﴿**إلّا ساعةً مِنَ النَّهارِ**﴾ لهول ما رأوا ـ وجملة التشبيه حال من الضمير ـ ﴿**يَتعارَفُونَ بَينَهُم**﴾: يعرف بعضهم بعضًا إذا بُعثوا، ثم ينقطع التعارف لِشِدّة الأهوال. والجملة: حالٌ مقدّرة، أو مُتعلّقُ الظرف. ﴿**قَد خَسِرَ الّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ**﴾: بالبعث، ﴿**وما كانُوا مُهتَدِينَ**﴾!

﴿٤٦﴾ ـ ﴿**وإمّا**﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿**نُرِيَنَّكَ بَعضَ الّذِي نَعِدُهُم**﴾ به من العذاب في حياتك ـ وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ـ ﴿**أو نَتَوَفَّيَنَّكَ**﴾ قبل تعذيبهم ﴿**فإلَينا مَرجِعُهُم، ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ**﴾: مُطّلع ﴿**على ما يَفعَلُونَ**﴾ من تكذيبهم وكُفرهم، فيُعذّبهم أشدّ العذاب.

ربع الحزب ٢٢

﴿٤٧﴾ ـ ﴿**ولِكُلِّ أُمّةٍ**﴾ من الأُمم ﴿**رَسُولٌ. فإذا جاءَ رَسُولُهُم**﴾ إليهم فكذّبوه ﴿**قُضِيَ بَينَهُم بِالقِسطِ**﴾: بالعدل، فيُعذّبون ويُنجّى الرسول ومَن صدّقه، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ بتعذيبهم بغير جُرم. فكذلك نفعل بهؤلاء.

﴿٤٨﴾ ـ ﴿**ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ**﴾ بالعذاب، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ فيه؟ ﴿٤٩﴾ ـ ﴿**قُلْ: لا أملِكُ لِنَفسِي ضَرًّا**﴾ أدفعُه ﴿**ولا نَفعًا**﴾ أجلبُه ﴿**إلّا ما شاءَ اللهُ**﴾ أن يُقدّرني عليه. فكيف أملك لكم حلول العذاب؟ ﴿**لِكُلِّ أُمّةٍ أجَلٌ**﴾: مُدّة معلومة لهلاكهم، ﴿**إذا جاءَ أجَلُهُم فلا يَستأخِرُونَ**﴾: يتأخّرون عنه ﴿**ساعةً ولا يَستَقدِمُونَ**﴾ يتقدّمون عليه.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿**قُلْ: أرَأيتُم**﴾: أخبِروني، ﴿**إن أتاكُم عَذابُهُ**﴾ أي: اللهِ ﴿**بَياتًا**﴾: ليلاً ﴿**أو نَهارًا، ماذا**﴾: أيُّ شيء ﴿**يَستَعجِلُ مِنهُ**﴾ أي: العذابِ ﴿**المُجرِمُونَ**﴾: المُشركون؟ فيه وضع الظاهر موضع المُضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط، كقولك: إنْ أتيتُكَ ماذا تُعطيني؟ والمُراد به التهويل، أي: ما أعظَمَ ما استعجلوه!

﴿٥١﴾ ـ ﴿**أثُمَّ إذا ما وَقَعَ**﴾: حلّ بكم ﴿**آمَنتُم بِهِ**﴾ أي: اللهِ أو العذابِ عند نزوله؟ والهمزة لإنكار التأخير. فلا يُقبل منكم، ويقال لكم: ﴿**آلآنَ**﴾ تُؤمنون، ﴿**وقَد كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ**﴾ استهزاءً؟ ﴿٥٢﴾ ـ ﴿**ثُمَّ قِيلَ لِلّذِينَ ظَلَمُوا: ذُوقُوا عَذابَ الخُلدِ**﴾ أي: الذي تخلدون فيه. ﴿**هَل**﴾: ما ﴿**تُجزَونَ إلّا**﴾ جزاءَ ﴿**بِما كُنتُم تَكسِبُونَ**﴾؟

﴿٥٣﴾ ـ ﴿**ويَستَنبِئُونَكَ**﴾: يستخبرونك: ﴿**أحَقٌّ هُوَ**﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث؟ ﴿**قُلْ: إي**﴾: نَعَمْ ﴿**ورَبِّي إنّهُ لَحَقٌّ، وما أنتُم بِمُعجِزِينَ**﴾: بفائتِينَ العذابَ. ....

﴿ينظر إليك﴾: يُعاينُ دلائلَ نبوّتكَ الواضحةَ. ﴿بالقسط﴾: بالعدلِ في الدُّنيا أو يومَ الجزاءِ. ﴿أرأيتم﴾: أخبِروني عن عذابِ اللهِ. ﴿بياتاً﴾: وقتَ بياتٍ أي ليلاً. ﴿آلآن؟﴾: آلآنَ تُؤمنونَ بوقوعِ عذابِهِ؟. ﴿يستنبئونك﴾: يستخبرونكَ مُستهزئينَ عنِ العذابِ. ﴿إي وربّي﴾: نعمْ وربِّي. ﴿و ما أنتم بمعجزين﴾: بفائتينَ مِن عذابِ اللهِ بالهربِ.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى
ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿٥٤﴾ ـ ﴿**ولو أنَّ لِكُلِّ نفسٍ ظَلَمَتْ**﴾: كفرتْ ﴿**ما في الأرضِ**﴾ من الأموال ﴿**لافتدَتْ بِهِ**﴾ من العذاب يوم القيامة، ﴿**وأسَرُّوا النَّدامةَ**﴾ على ترك الإيمان ﴿**لَمّا رأَوُا العَذابَ**﴾ أي: أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافةَ التعيير، ﴿**وقُضِيَ بَينَهُم**﴾: بين الخلائق ﴿**بِالقِسطِ**﴾: بالعدل، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ شيئًا!

﴿٥٥﴾ ـ ﴿**ألا إنَّ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ. ألا إنَّ وَعدَ اللهِ**﴾ بالبعث والجزاء ﴿**حَقٌّ**﴾: ثابت، ﴿**ولكِنَّ أكثرَهُم**﴾ أي: الناسِ ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ذلك. ﴿٥٦﴾ ـ ﴿**هُوَ يُحيِي ويُمِيتُ، وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ في الآخرة فيُجازيكم بأعمالكم. ﴿٥٧﴾ ـ ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي: أهلَ مكّة[1]، ﴿**قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم**﴾: كتابٌ فيه ما لكم وعليكم ـ وهو القرآن ـ ﴿**وشِفاءٌ**﴾: دواء ﴿**لِما في الصُّدُورِ**﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿**وهُدًى**﴾ من الضلال ﴿**ورَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ**﴾ به.

﴿٥٨﴾ ـ ﴿**قُلْ: بِفَضلِ اللهِ**﴾: الإسلامِ ﴿**وبِرَحمَتِهِ**﴾: القرآنِ[2]، ﴿**فبِذلِكَ**﴾ الفضل والرحمة ﴿**فلْيَفرَحُوا. هُوَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعُونَ**﴾ من الدنيا، بالياء والتاء.

﴿٥٩﴾ ـ ﴿**قُلْ: أرأيتُم**﴾: أخبروني ﴿**ما أنزَلَ اللهُ**﴾: خلقَ ﴿**لَكُم مِن رِزقٍ، فجَعَلتُم مِنهُ حَرامًا وحَلالًا**﴾ كالبَحيرة والسائبة والميتة؟ ﴿**قُلْ: آللهُ أذِنَ لَكُم**﴾ في ذلك التحريم والتحليل؟ لا. ﴿**أم**﴾: بل ﴿**علَى اللهِ تَفتَرُونَ**﴾: تكذبون بنسبة ذلك إليه؟ ﴿٦٠﴾ ـ ﴿**وما ظَنُّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ علَى اللهِ الكَذِبَ**﴾ أي: أيُّ شيءٍ ظنُّهم به ﴿**يَومَ القِيامةِ**﴾؟ أيحسبون أنه لا يُعاقبهم؟ لا. ﴿**إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ علَى النّاسِ**﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم، ﴿**ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَشكُرُونَ**﴾.

﴿٦١﴾ ـ ﴿**وما تَكُونُ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**في شأنٍ**﴾: أمر، ﴿**وما تَتلُو مِنهُ**﴾ أي: من الشأنِ أو اللهِ ﴿**مِن قُرآنٍ**﴾ أنزله عليك، ﴿**ولا تَعمَلُونَ**﴾ ـ خاطبَهُ وأُمّتَه ـ ﴿**مِن عَمَلٍ، إلّا كُنّا علَيكُم شُهُودًا**﴾: رُقباءَ ﴿**إذ تُفِيضُونَ**﴾: تأخذون ﴿**فِيهِ**﴾ أي: العمل، ﴿**وما يَعزُبُ**﴾: يغيب ﴿**عَن رَبِّكَ مِن مِثقالِ**﴾: وزنِ ﴿**ذَرَّةٍ**﴾: أصغرِ نملةٍ ﴿**في الأرضِ ولا في السَّماءِ، ولا أصغَرَ مِن ذلِكَ ولا أكبَرَ إلّا في كِتابٍ مُبِينٍ**﴾: بيِّنٍ، هو اللوح المحفوظ.

﴿أسَرّوا النَّدامة﴾: أخفَوُا الغمَّ والحسرةَ. ﴿أرأيتم﴾: أخبِروني. ﴿أذِن لكم﴾: أعلمَكُم بهذا التَّحليلِ والتَّحريم. ﴿تفترون﴾: تكذبونَ في نسبةِ ذلكَ إليه. ﴿تكون في شأن﴾: في أمرٍ هامٍّ مُعتنىً بِهِ. ﴿تُفيضون فيه﴾: تشرعونَ وتخوضونَ فيهِ. ﴿ما يعزب﴾: ما يبعُدُ وما يغيبُ. ﴿مثقال ذرّة﴾: وزنُ أصغرِ نملةٍ أو هباءةٍ.

(١) يحتملُ النِّدائيَّةَ والتَّفسيريَّةَ، والأولى العمومُ. (الجمالين).

(٢) أو هما؛ القرآنُ والإسلامُ، وهو مختارُ صاحبِ «المدارِكِ»، والباءُ متعلِّقةٌ بفعلٍ يفسِّرُه قولُه: ﴿فبذلِكَ فليفرَحوا﴾ وفائدةُ التَّكريرِ التَّأكيدُ والبيانُ بعدَ الإجمالِ، وعن يعقوبَ: (فلتفرحوا) بالتَّاءِ على الأصلِ المرفوضِ، وقد رُوِيَ مرفوعاً، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (فافرَحُوا). (الجمالين).

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ
ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٥ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ
وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٦٦ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٧ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ
مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠

٦٢ - **﴿ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوفٌ علَيهِم، ولا هُم يَحزَنُونَ﴾** في الآخِرة.

٦٣ - هم **﴿الَّذِينَ آمَنوا وكانوا يَتَّقُونَ﴾** اللهَ بامتثال أمره ونهيه، ٦٤ - **﴿لَهُمُ البُشرَى في الحَياةِ الدُّنيا﴾** - فُسِّرتْ في حديث صحّحه الحاكم بالرؤيا الصالحة، يراها الرجل أو تُرى له[1] - **﴿وفي الآخِرةِ﴾** بالجنّة والثواب. **﴿لا تَبدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ﴾**: لا خُلفَ لمواعيده. **﴿ذلِكَ﴾** المذكور **﴿هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾**.

٦٥ - **﴿ولا يَحزُنْكَ قَولُهُم﴾** لك: لستَ مُرسَلاً وغيره[2]. **﴿إنَّ﴾** - استئناف[3] - **﴿العِزَّةَ﴾**: القوّة **﴿لِلهِ جَمِيعًا. هُوَ السَّمِيعُ﴾** للقول **﴿العَلِيمُ﴾** بالفعل، فيُجازيهم وينصرك. ٦٦ - **﴿ألا إنَّ لِلهِ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ﴾** عبيدًا ومُلكًا وخلقًا، **﴿وما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدعُونَ﴾**: يعبدون **﴿مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه أصنامًا **﴿شُركاءَ﴾** له، على الحقيقة. تعالى عن ذلك. **﴿إنْ﴾**: ما **﴿يَتَّبِعُونَ﴾** في ذلك **﴿إلّا الظَّنَّ﴾**، أي: ظنَّهم أنها آلهة تشفع لهم، **﴿وإنْ﴾**: ما **﴿هُم إلّا يَخرُصُونَ﴾**: يكذبون في ذلك.

٦٧ - **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ والنَّهارَ مُبصِرًا﴾**. إسناد الإبصار إليه مجاز، لأنه مُبصَرٌ فيه. **﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾**: دلالاتٍ على وحدانيّته - تعالى - **﴿لِقَومٍ يَسمَعُونَ﴾** سماعَ تدبّر واتّعاظ.

٦٨ - **﴿قالُوا﴾** أي: اليهودُ والنصارى ومن زعم أنّ الملائكة بنات الله: **﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾**. قال تعالى لهم: **﴿سُبحانَهُ﴾**: تنزيهًا له عن الولد[4]! **﴿هُوَ الغَنِيُّ﴾** عن كُلّ أحد[5]، وإنّما يَطلب[6] الولدَ مَن يحتاج إليه، **﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾** مُلكًا وخلقًا وعبيدًا. **﴿إنْ﴾**: ما **﴿عِندَكُم مِن سُلطانٍ﴾**: حُجّةٍ **﴿بِهذا﴾** الذي تقولونه. **﴿أتَقُولُونَ على اللهِ ما لا تَعلَمُونَ﴾**؟ استفهام توبيخ.

٦٩ - **﴿قُلْ: إنَّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ﴾** بنِسبة الولد إليه **﴿لا يُفلِحُونَ﴾**: لا يَسعدون.

٧٠ - لهم **﴿مَتاعٌ﴾** قليل **﴿في الدُّنيا﴾**، يتمتّعون به مُدّة حياتهم، **﴿ثُمَّ إلَينا مَرجِعُهُم﴾** بالموت، **﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ العَذابَ الشَّدِيدَ﴾** بعدَ الموت **﴿بِما كانُوا يَكفُرُونَ﴾**.

﴿إنّ العزّة لله﴾: إنَّ القهرَ والغلبةَ لهُ تعالى في مُلكِهِ. ﴿يخرصون﴾: يكذبونَ فيما ينسبونَهُ إليهِ تعالى. ﴿سبحانه﴾: تنزيهاً لهُ تعالى عمَّا نسبوهُ إليهِ. ﴿سلطان﴾: حجَّةٍ وبرهانٍ.

(١) أو ما بشَّرَ به الملائكةُ عندَ النَّزعِ ﴿وفي الآخِرَةِ﴾ بتلقِّي الملائكةِ إيَّاهم مسلِّمين مبشِّرين بالفوزِ والكرامةِ. (الجمالين).

(٢) والأحسنُ: فينا، أو فيكَ، أو في القرآنِ. (الجمالين).

(٣) بمعنى التَّعليل وقُرئ بالفتحِ. (الجمالين).

(٤) أو تنزيًا له عن التَّبنِّي، فإنَّه لا يصلُحُ إلاَّ ممَّن يتصوَّرُ له الولدُ، أو تعجُّبًا مِن كلِمَتِهم الحمقاءِ. (الجمالين).

(٥) علَّةٌ لتنزُّهِه. (الجمالين).

(٦) الأظهرُ: يتَّخذُ. (الجمالين).

نصف الحزب ٢٢

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ (٧٣) ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (٧٤) ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ (٧٦) قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧) قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ (٧٨)﴾

(٧١) ـ ﴿واتلُ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿عليهم﴾ أي: كفّارِ مكّةَ ﴿نبأ﴾: خبر ﴿نوحٍ﴾، ويُبدل منه: ﴿إذْ قالَ لِقومِهِ: يا قومِ، إن كانَ كَبُرَ﴾: شقَّ ﴿عليكمُ مقامي﴾: لُبثي فيكم، ﴿وتَذكيري﴾: وعظي إيّاكم ﴿بآياتِ اللهِ، فعلى اللهِ توكّلتُ، فأجمِعوا أمرَكم﴾: اعزموا على أمرٍ تفعلونه بي ﴿وشُركاءَكُم﴾، الواو بمعنى: مع، ﴿ثُمَّ لا يكُنْ أمرُكم عليكُم غُمّةً﴾: مستورًا، بل أظهروه وجاهروني به، ﴿ثُمَّ اقضُوا إليَّ﴾: أمضُوا فيَّ ما أردتموه، ﴿ولا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ فإني لست مُباليًا بكم.

(٧٢) ـ ﴿فإن تولَّيتُم﴾ عن تذكيري ﴿فما سألتُكُم مِن أجرٍ﴾: ثواب عليه، فتتولَّوا. ﴿إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ﴾ ثوابي ﴿إلّا على اللهِ، وأُمِرتُ أن أكُونَ مِنَ المُسلِمينَ﴾.

(٧٣) ـ ﴿فكذَّبُوهُ، فنَجَّيناهُ ومَن مَعَهُ في الفُلكِ﴾ السفينة، ﴿وجَعَلْناهُم﴾ أي: مَن معه ﴿خلائفَ﴾ في الأرض، ﴿وأغرَقْنا الَّذينَ كَذَّبُوا بآياتِنا﴾ بالطوفان. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُنذَرينَ﴾ من إهلاكهم؟ فكذلك نفعل بمن كذّبك.

(٧٤) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِ﴾ أي: نُوحٍ ﴿رُسُلاً إلى قومِهِم﴾ كإبراهيمَ وهُودٍ وصالح، ﴿فجاؤُوهُم بالبيِّناتِ﴾: بالمُعجزات، ﴿فما كانُوا لِيُؤمِنُوا بما كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبلُ﴾ أي: قبل بعثِ الرُّسلِ إليهم[1]. ﴿كذلِكَ نَطبَعُ﴾: نختِمُ[2] ﴿على قُلُوبِ المُعتَدِينَ﴾، فلا تَقبل الإيمانَ كما طبعنا على قلوب أُولئك.

(٧٥) ـ (٧٦) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنا مِن بَعدِهِم مُوسَى وهارُونَ إلى فِرعَونَ ومَلَئِهِ﴾: قومِه ﴿بآياتِنا﴾ التسع، ﴿فاستَكبَرُوا﴾ عن الإيمان بها، ﴿وكانُوا قَومًا مُجرِمِينَ، فلَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ مِن عِندِنا قالُوا: إنَّ هذا لَسِحرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنٌ ظاهر.

(٧٧) ـ ﴿قالَ مُوسَى: أتَقُولُونَ لِلحَقِّ لَمّا جاءَكُم﴾: إنه لَسحر[3]؟ ﴿أسِحرٌ هذا﴾، وقد أفلح من أتى به وأبطل سِحرَ السحرة، ﴿ولا يُفلِحُ السّاحِرُونَ﴾؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار.

(٧٨) ـ ﴿قالُوا: أجِئتَنا لِتَلفِتَنا﴾: لتردّنا ﴿عَمّا وَجَدْنا عَلَيهِ آباءَنا، وتَكُونَ لَكُما الكِبرِياءُ﴾: المُلك ﴿في الأرضِ﴾ أرض مصر؟ ﴿وما نَحنُ لَكُما بِمُؤمِنِينَ﴾: مُصدّقين.

﴿كبُر عليكم﴾: عظُمَ وشقَّ عليكُم. ﴿مقامي﴾: إقامتي بينكُم دهراً طويلاً. ﴿فأجمعوا أمركم﴾: اعزموا وصمِّموا على كيدِكُم. ﴿وشُركاءكم﴾: معَ شركائِكُم. ﴿غمّة﴾: ضيقاً شديداً. أو مُبهماً مُلتبِساً. ﴿اقضوا إليّ﴾: أدُّوا إليَّ ما تُريدونَهُ. ﴿لا تُنظرون﴾: لا تُمهلوني. ﴿جعلناهم خلائف﴾: يخلُفونَ المُغرقينَ. ﴿نطبع﴾: نختمُ. ﴿لتلفتنا﴾: لِتلويَنا وتصرفَنا.

---

(١) والمعنى: فما استقامَ لهم أنْ يؤمنُوا لشدَّةِ شَكيمَتِهِم في الكفرِ وخِذْلانِ اللهِ إيَّاهم بسببِ تعوُّدِهم تكذيبَ الحقِّ، وتمرُّنِهم عليهِ قبلَ بعثةِ الرُّسلِ. (الجمالين).

(٢) وفي أمثالِ ذلكَ دليلٌ على أنَّ الأفعالَ واقعةٌ بقُدرَةِ اللهِ وكسبِ العبدِ. (الجمالين).

(٣) فحُذِفَ المحكيُّ للقولِ لدِلالةِ ما قبلَهُ عليه. (الجمالين).

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن
كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾
فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ
وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ
قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

﴿٧٩﴾ ـ ﴿**وقالَ فِرعَونُ: ائتُوني بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ**﴾: فائق[1] **في** عِلم السِّحر.

﴿٨٠﴾ ـ ﴿٨١﴾ ـ ﴿٨٢﴾ ـ ﴿**فلَمّا جاءَ السَّحرةُ قالَ لَهُم مُوسَى**﴾، بعد ما قالوا له: «إمّا أن تُلقِيَ، وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ»: ﴿**ألقُوا ما أنتُم مُلقُونَ. فلَمّا ألقَوا**﴾ حِبالهم وعِصيَّهم ﴿**قالَ مُوسَى: ما**﴾: استفهاميّة مبتدأ خبرُه: ﴿**جِئتُم بِهِ؟ آلسِّحرُ**﴾؟ بدل[2]. وفي قراءة بهمزة واحدة إخبارٌ. فما: موصول مبتدأ. ﴿**إنَّ اللهَ سَيُبطِلُهُ**﴾: سيمحقه ـ ﴿**إنَّ اللهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدِينَ ـ ويُحِقُّ**﴾: يُثبتُ ويُظهر ﴿**اللهُ الحَقَّ بِكَلِماتِهِ**﴾: بمواعيده، ﴿**ولَو كَرِهَ المُجرِمُونَ**﴾.

﴿٨٣﴾ ـ ﴿**فما آمَنَ لِمُوسَى إلّا ذُرِّيَّةٌ**﴾: طائفة ﴿**مِن**﴾ أولاد ﴿**قَومِهِ**﴾ أي: فرعونَ[3]، ﴿**علَى خَوفٍ مِن فِرعَونَ ومَلَئِهِم أن يَفتِنَهُم**﴾: يصرفهم عن دِينه بتعذيبه. ﴿**وإنَّ فِرعَونَ لَعالٍ**﴾: مُتكبّرٌ ﴿**في الأرضِ**﴾: أرض مصر، ﴿**وإنَّهُ لَمِنَ المُسرِفِينَ**﴾: المُتجاوزين الحدَّ بادّعاء الربوبيّة.

﴿٨٤﴾ ـ ﴿٨٥﴾ ـ ﴿**وقالَ مُوسَى: يا قَومِ، إن كُنتُم آمَنتُم بِاللهِ فعَلَيهِ تَوَكَّلُوا، إن كُنتُم مُسلِمِينَ. فقالُوا: علَى اللهِ تَوَكَّلنا. رَبَّنا، لا تَجعَلنا فِتنَةً لِلقَومِ الظّالِمِينَ**﴾ أي: لا تُظهرْهم علينا، فيظنّوا أنهم على الحقّ فيُفتَتَنوا بنا[4]، ﴿٨٦﴾ ـ ﴿**ونَجِّنا بِرَحمَتِكَ مِنَ القَومِ الكافِرِينَ**﴾.

﴿٨٧﴾ ـ ﴿**وأوحَينا إلَى مُوسَى وأخِيهِ أن تَبَوَّآ**﴾: اتّخِذا ﴿**لِقَومِكُما بِمِصرَ بُيُوتًا، واجعَلُوا بُيُوتَكُم قِبلَةً**﴾: مُصلًّى تُصلّون فيه لتأمنوا من الخوف ـ وكان فِرعَون منعهم من الصلاة ـ ﴿**وأقِيمُوا الصَّلاةَ**﴾: أتمّوها[5]، ﴿**وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ**﴾ بالنصر والجنّة[6].

﴿٨٨﴾ ـ ﴿**وقالَ مُوسَى: رَبَّنا، إنَّكَ آتَيتَ فِرعَونَ ومَلَأهُ زِينَةً وأموالاً في الحَياةِ الدُّنيا، رَبَّنا،**﴾ آتيتَهم ذلك ﴿**لِيَضِلُّوا**﴾ في عاقبته ﴿**عَن سَبِيلِكَ**﴾: دينك. ﴿**رَبَّنا، اطمِسْ علَى أموالِهِم**﴾: امسَخْها، ﴿**واشدُدْ علَى قُلُوبِهِم**﴾: اطبعْ عليها واستوثِقْ، ﴿**فلا يُؤمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الألِيمَ**﴾: المُؤلم. دعا عليهم وأمّنَ هارونُ[7] على دعائه.

﴿أن يفتنهم﴾: أن يبتليَهُم ويعذِّبَهُم. ﴿لا تجعلنا فتنة﴾: موضعَ عذابٍ. ﴿تبوّءا لقومكما..﴾: اتَّخِذا واجعلا لهُم... ﴿قبلة﴾: مساجدَ نحوَ الكعبةِ أو مُصلًّى. ﴿اطمس على أموالهم﴾: أهلكْها وأذهِبْها. أو أتلِفْها. ﴿اشدد على قلوبهم﴾: اطبعْ عليها.

(١) وحمزةُ والكِسائيُّ: (سحَّار). (الجمالين).

(٢) أي: مِن ﴿ما﴾. (الجمالين).

(٣) والذُّرِّيَّةُ مؤمنُ آل فرعونَ، وامرأتُه آسيةُ، وخازنُه وزوجتُه وماشطتُه. (الجمالين).

(٤) أو لا تسلِّطْهم علينَا فيفتِنُونا. (الجمالين).

(٥) أو أقيمُوها فيها. (الجمالين).

(٦) في الدُّنيا (والجنَّةِ) في العُقبى. (الجمالين).

(٧) الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٩٧) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري (١٢/ ٢٧٢) عن عكرمة والربيع بن أنس وأبي العالية ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي صالح وابن وهب.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ
قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ
﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى
بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ
مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن
قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

(٨٩) ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿قد أُجِيبَتْ دَعوَتُكُما﴾ فمُسخَت أموالُهم حِجارة[١]، ولم يُؤمن فرعون حتّى أدركه الغرق. ﴿فاستَقِيما﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب، ﴿ولا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي. رُوي أنه مكث بعدها أربعين سنة[٢].

(٩٠) ـ ﴿وجاوَزنا بِبَنِي إسرائيلَ البَحرَ، فأتبَعَهُم﴾: لَحِقَهم ﴿فِرعَونُ وجُنودُهُ بَغيًا وعَدوًا﴾: مفعول له. ﴿حَتَّى إذا أدرَكَهُ الغَرَقُ قالَ: آمَنتُ أَنَّهُ﴾ أي: بأنه ـ وفي قراءة بالكسر استئنافًا ـ ﴿لا إلَهَ إلّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسرائيلَ، وأنا مِنَ المُسلِمِينَ﴾. كرّر ليُقبل منه، فلم يُقبل.

ودسّ جبريل في فِيه من حَمْأة البحر مخافةَ أن تناله الرحمة[٣]، وقال له:

(٩١) ـ ﴿آلآنَ﴾ تُؤمن، ﴿وقَد عَصَيتَ قَبلُ، وكُنتَ مِنَ المُفسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان؟ (٩٢) ـ ﴿فاليَومَ نُنَجِّيكَ﴾: نُخرجك من البحر، ﴿بِبَدَنِكَ﴾: جسدِك الذي لا روح فيه، ﴿لِتَكُونَ لِمَن خَلفَكَ﴾: بعدك ﴿آيَةً﴾: عِبرة، فيعرفوا عُبوديّتك ولا يُقدموا على مِثل فِعلك وعن ابن عبّاس أنّ بعض بني إسرائيل شكّوا في موته[٤]، فأُخرج لهم ليرَوه. ﴿وإنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿عَن آياتِنا لَغافِلُونَ﴾: لا يعتبرون بها.

(٩٣) ـ ﴿ولَقَد بَوَّأنا﴾: أنزلنا ﴿بَنِي إسرائيلَ مُبَوَّأَ صِدقٍ﴾: منزلَ كرامةٍ ـ وهو الشام ومصر ـ ﴿ورَزَقناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ، فما اختَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿حَتَّى جاءَهُمُ العِلمُ. إنَّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدِّين بإنجاء المُؤمنين وتعذيب الكافرين.

(٩٤) ـ ﴿فإن كُنتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿في شَكٍّ مِمّا أنزَلنا إلَيكَ﴾ من القَصص، فَرْضًا، ﴿فاسألِ الَّذِينَ يَقرَؤُونَ الكِتابَ﴾: التوراة ﴿مِن قَبلِكَ﴾ ـ فإنه ثابت عندهم ـ يخبروك بصدقه[٥]. قال ﷺ: «لا أشُكُّ ولا أسألُ». ﴿لَقَد جاءَكَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ. فلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمتَرِينَ﴾: الشاكّين فيه، (٩٥) ـ ﴿ولا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ، فتَكُونَ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

(٩٦) ـ (٩٧) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾: وجبتْ ﴿عَلَيهِم كَلِمةُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لا يُؤمِنُونَ، ولَو جاءَتْهُم كُلُّ آيةٍ، حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الأليمَ﴾ فلا ينفعَهم حينئذ.

﴿بغياً وعدواً﴾: ظلماً واعتداءً. ﴿آلآن؟﴾: آلآنَ تؤمن حينَ أيقنتَ بالهلاكِ ؟. ﴿آية﴾: عبرةً ونكالاً. ﴿بوّأنا﴾: أنزلْنا وأسكنّا. ﴿مُبوّأ صدق﴾: منزلاً صالحاً مَرْضياً. ﴿الممترين﴾: الشَّاكِّينَ المُتزلزلينَ.

(١) الطبري (١٢/ ٢٦٥) عن قتادة والربيع وسفيان والضحاك وغيرهم. و(١٥/ ١٠٠) عن محمد بن كعب.

(٢) ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٥). والطبري (١٢/ ٢٧٣) عن ابن جريج.

(٣) الترمذي (٣١٠٧) و(٣١٠٨) وصححه، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٨٣)، ورواه الطبري (١٢/ ٢٨٠) عن قيس بن عباد.

(٥) والمرادُ تحقيقُ ذلك وتهييجُ الرَّسولِ وزيادةُ تثبيتِهِ لا إمكانُ وقوعِ الشَّكِّ له، ولذلك قال ﷺ: «لا أشُكُّ ولا أسألُ» وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ والمرادُ أمَّتُه، أو لكلِّ مَن يسمَعُ. (الجمالين).

فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ
٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ
١٠١ فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣
قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ
أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٤ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦

٩٨ ـ ﴿فلولا﴾: فهلّا ﴿كانت قريةٌ﴾، أُريد أهلُها، ﴿آمنت﴾ قبل نُزول العذاب بها، ﴿فنفعها إيمانُها، إلّا﴾ لكنّ ﴿قومَ يونُس، لمّا آمنُوا﴾ عِند رؤية أمارة العذاب ولم يُؤخِّروا إلى حُلوله ﴿كشفْنا عنهم عذابَ الخِزيِ في الحياةِ الدُّنيا، ومتّعْناهُم إلى حِينٍ﴾: انقضاءِ آجالهم.

٩٩ ـ ﴿ولو شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَن في الأرضِ كُلُّهم جميعًا ـ أفأنتَ تُكرِهُ النّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم، ﴿حتّى يكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾؟ لا ـ ١٠٠ ـ ﴿وما كانَ لِنَفسٍ أن تُؤمِنَ إلّا بإذنِ اللهِ﴾: بإرادته، ﴿ويجعَلُ الرِّجسَ﴾: العذاب ﴿علَى الَّذِينَ لا يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون آياتِ الله.

١٠١ ـ ﴿قُلِ﴾ لكُفّار مكّة: ﴿انظُرُوا ماذا﴾ أيِ: الذي ﴿في السّماواتِ والأرضِ﴾ من الآيات الدالّة على وحدانيّة الله تعالى. ﴿وما تُغني الآياتُ والنُّذُرُ﴾: جمع نذير، أي: الرُّسُل، ﴿عَن قَومٍ لا يُؤمِنُونَ﴾ في عِلم الله، أي: ما تنفعهم.

١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ﴿فهَل﴾: فما ﴿ينتظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إلّا مِثلَ أيّامِ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم، أي: مِثلَ وقائعهم من العذاب؟ ـ ﴿قُلْ: فانتَظِرُوا﴾ ذلك. ﴿إنِّي معَكُم مِنَ المُنتظِرِينَ ـ ثُمَّ نُنجِّي﴾ ـ المضارع لحكاية الحال الماضية ـ ﴿رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العذاب. ﴿كذلِكَ﴾ الإنجاءِ[1] ﴿حقًّا علَينا نُنجِي المُؤمِنِينَ﴾: النبيَّ وأصحابه حين تعذيب المُشركين.

١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ﴿قُل: يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّةَ، ﴿إن كُنتُم في شكٍّ مِن دِيني﴾ أنّه حقّ ﴿فلا أعبُدُ الَّذِينَ تعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ـ وهو الأصنام ـ لشكِّكُم فيه[2]، ﴿ولكِن أعبُدُ اللهَ الَّذِي يتوَفّاكُم﴾ يَقبِضُ أرواحكم، ﴿وأُمِرتُ أن﴾ أي: بأن ﴿أكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ، و﴾ قيل لي[3]: ﴿أن أقِمْ وجهَكَ لِلدِّينِ حنِيفًا﴾: مائلاً إليه[4]، ﴿ولا تكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ، ولا تَدْعُ﴾: تعبدْ ﴿مِن دُونِ اللهِ ما لا ينفَعُكَ﴾ إن عبدتَه، ﴿ولا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده. ﴿فإن فعَلتَ﴾ ذلك، فَرْضًا، ﴿فإنَّكَ إذًا مِنَ الظّالِمِينَ﴾.

١٠٧ ـ ﴿وإن يَمسَسْكَ﴾: يُصِبْك ﴿اللهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فلا كاشِفَ﴾: رافعَ ﴿لَهُ إلّا هُوَ، وإن يُرِدْكَ بخَيرٍ فلا رادَّ﴾: دافعَ ﴿لِفَضلِهِ﴾ الذي أرادك به. ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ. وهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿عذاب الخزي﴾: الذُّلّ والهوانِ. ﴿يجعل الرّجس﴾: العذابَ. أوِ السُّخطَ. ﴿أقم وجهك للدّين﴾: اصرفْ ذاتَكَ كلَّها للدِّينِ الحنيفيِّ. ﴿حنيفاً﴾: مائلاً عنِ الأديانِ الباطلةِ كلِّها.

(١) أو إنجاءً كذلك. و﴿حقاً علينا﴾ اعتراضٌ، ونصبُه بفعلٍ مقدَّرٍ، و﴿نُنجِ﴾ بالتَّخفيفِ قراءةُ حفصٍ والكِسائيِّ، والرَّسمُ بحذفِ الياءِ. (الجمالين).

(٢) أي: في دِيني؛ يعني: فهذا خُلاصَةُ دِيني اعتقاداً وعملًا. (الجمالين).

(٣) في «المدارك»: وأُوحيَ إليَّ. وهو الظَّاهرُ، فتكونُ ﴿أنْ﴾ مفسِّرةً. (الجمالين).

(٤) أي: إلى الدِّينِ الحقِّ عن سائرِ الأديانِ، حالٌ مِن الدِّينِ، أو الوجهِ، أو مِن ضميرِ ﴿أقم﴾. (الجمالين).

١٠٨ ـ ﴿قُلْ: يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿قَد جاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَبِّكُم. فَمَنِ اهتَدَى فإنَّما يَهتَدِي لِنَفسِهِ﴾ لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عَلَيها﴾ لأنّ وبال ضلاله عليها، ﴿وما أنا عَلَيكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأُجبرَكم على الهُدى. ١٠٩ ـ ﴿واتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيكَ، واصبِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّى يَحكُمَ اللهُ﴾ فيهم بأمر. ﴿وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ﴾: أعدلُهم. وقد صبر حتّى حُكم على المشركينَ بالقِتال، وأهلِ الكِتاب بالجِزية.

***

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

١١

سُورَةُ هُودٍ

مكية إلّا «وأقم الصلاة» الآيةَ وإلّا «فلعلك تارك» الآيةَ و«أولئك يؤمنون به» الآيَةَ، مِائَةٌ وثنتان أو ثلاث وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

هذا ﴿كِتابٌ أُحكِمَتْ آياتُهُ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بُيّنتْ بالأحكام والقِصص والمواعظ ﴿مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: اللهِ، ٢ ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا تَعبُدُوا إلّا اللهَ ـ إنَّنِي لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم ـ ٣ ـ ﴿وأنِ استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة، ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَتاعًا حَسَنًا﴾ بطِيب عيش وسَعة رِزق، ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الموت، ﴿ويُؤتِ﴾ في الآخِرة ﴿كُلَّ ذِي فَضلٍ﴾ في العمل ﴿فَضلَهُ﴾: جزاءه، ﴿وإن تَوَلَّوا﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين ـ أي: تُعرِضوا ﴿فإنِّي أخافُ عَلَيكُم عذابَ يَومٍ كَبِيرٍ﴾، هو يوم القيامة. ٤ ـ ﴿إلَى اللهِ مَرجِعُكُم، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه الثواب والعذاب. ونزل كما رواه البخاريّ عن ابن عبّاس(١)، فيمن كان يستحيي أن يتخلّى أو يُجامعَ فيُفضيَ إلى السماء، وقيل: في المنافقين: ٥ ـ ﴿ألا إنَّهُم يَثنُونَ صُدُورَهُم، لِيَستَخفُوا مِنهُ﴾ أي: اللهِ. ﴿ألا حِينَ يَستَغشُونَ ثِيابَهُم﴾: يتغطَّون بها ﴿يَعلَمُ﴾ تعالى ﴿ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ﴾، فلا يُغني استخفاؤهم. ﴿إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب، ....

﴿بوكيل﴾: بحفيظٍ موكولٍ إليَّ أمرُكُم.
﴿أُحكمت آياته﴾: نُظِمَتْ نظماً مُحكماً رصيناً. ﴿فصّلت﴾: فُرِّقَتْ في التَّنزيلِ نجوماً بالحكمةِ. ﴿يثنون صدورهم﴾: يطوونَها على الكفرِ والعداوةِ. ﴿ليستخفوا منه﴾: مِنَ اللهِ تعالى جهلاً منهُم. ﴿يستغشون ثيابهم﴾: يتغطَّونَ بها مُبالغةً في الاستخفاءِ.

(١) برقم (٤٦٨٢). الكلبيُّ: نزلَتْ في الأخنَسِ بنِ شَرِيقٍ، وكان رجلاً حلوَ الكلامِ حلوَ المنطقِ، يلقَى رسولَ الله بما يُحبُّ وينطَوي له بقلبِه على ما يسوءُ. السمرقندي (٢/ ١٣٨)، والواحدي (ص: ٢٦٥)، وذكره الثعلبي (١٤/ ٣١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٨) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما. وصرح ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٧) أنه من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وهو طريق الكلبي. وقيل: نزلَتْ في طائفةٍ منَ المُشركينَ قالوا: إذا أغلَقْنا أبوابَنا، وأرخَيْنا سُتورَنا، واستغشَيْنا ثيابَنا، وطوَيْنا صدورَنا على عداوةِ محمَّدٍ، كيف يعلَمُ بنا؟ فأنزلَ الله: ﴿ألا إنّهم يثنون صدورهم﴾. «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٨). وعن عبد الله بن شداد بن الهاد: ﴿ليستخفوا منه﴾ قال: من رسول الله ﷺ؛ كان المنافقون إذا مرُّوا به ثنى أحدهم صدره، ويطأطئ رأسه. فقال الله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ الآية. الطبري (١٢/ ٣١٧).

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ
مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن
قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ
﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

﴿٦﴾ ـ ﴿وما مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿دابّةٍ في الأرضِ﴾ هي ما دبَّ عليها ﴿إلّا على اللهِ رِزقُها﴾ تكفّل به فضلاً منه، ﴿ويَعلمُ مُستقَرَّها﴾: مسكنها في الدنيا أو الصُّلبِ ﴿ومُستودَعها﴾ بعد الموت أو في الرحِم، ﴿كُلٌّ﴾ ممّا ذُكر ﴿في كِتابٍ مُبينٍ﴾: بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

﴿٧﴾ ـ ﴿وهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيّامٍ﴾ أوّلُها الأحد وآخِرها الجمعة، ﴿وكانَ عَرشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿على الماءِ﴾ وهو على متن الرِّيح، ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: مُتعلّق بـ «خلقَ» أي: خلقَهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح لِيَختبرَكم: ﴿أيُّكم أحسَنُ عَمَلاً﴾ أي: أطوَعُ لِلهِ؟ ﴿ولَئِنْ قُلتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لهم: ﴿إنَّكُم مَبعُوثُونَ مِن بَعدِ المَوتِ. لَيَقُولَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا: إنْ﴾: ما ﴿هذا﴾ القُرآنُ الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إلّا سِحرٌ مُبينٌ﴾: بيِّن. وفي قراءةٍ «ساحِرٌ»، والمُشار إليه النبيّ.

﴿٨﴾ ـ ﴿ولَئِنْ أخَّرنا عَنهُمُ العَذابَ إلَى﴾ مجيء ﴿أُمّةٍ﴾: أوقاتٍ ﴿مَعدُودةٍ[1]، لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاءً: ﴿ما يَحبِسُهُ﴾: ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى: ﴿ألا يَومَ يأتيهِم لَيسَ مَصرُوفًا﴾: مدفوعًا ﴿عَنهُم، وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ من العذاب.

﴿٩﴾ ـ ﴿ولَئِنْ أذَقْنا الإنسانَ﴾ الكافر ﴿مِنّا رَحمةً﴾: غِنًى وصِحّة، ﴿ثُمَّ نَزَعْناها مِنهُ، إنَّهُ لَيَؤُوسٌ﴾: قَنوطٌ من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾: شديدُ الكُفر به.

﴿١٠﴾ ـ ﴿ولَئِنْ أذَقْناهُ نَعماءَ بَعدَ ضَرّاءَ﴾: فقرٍ وشِدّة ﴿مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ: ذَهَبَ السَّيِّئاتُ﴾: المصائب ﴿عَنّي﴾، ولم يتوقّع زوالها ولا شكرَ عليها ﴿إنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ [فرَح] بطرٍ ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أُوتي[2]. ﴿١١﴾ ـ ﴿إلّا﴾: لكن ﴿الَّذينَ صَبَرُوا﴾ على الضرّاءِ ﴿وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ في النعماءِ ﴿أُولئِكَ لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبيرٌ﴾ هو الجنّة.

﴿١٢﴾ ـ ﴿فلَعَلَّكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿تارِكٌ بَعضَ ما يُوحَى إلَيكَ﴾ فلا تُبلّغهم إيّاه لتهاونهم به، ﴿وضائِقٌ بِهِ صَدرُكَ﴾: بتلاوته عليهم لأجل ﴿أن يَقُولُوا: لَولا﴾: هلّا ﴿أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ، أو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يُصدّقه كما اقترحنا. ﴿إنَّما أنتَ نَذيرٌ﴾، فلا عليك إلّا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه، ﴿واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظٌ فيُجازيهم.

﴿يعلم مُستقرّها﴾: موضعَ استقرارِها في الأصلابِ، أو في الأرحامِ ونحوِها. ﴿مستودعها﴾: موضعَ استيداعِها في الأرحامِ ونحوِها، أو في الأصلابِ. ﴿ليبلُوكم﴾: ليختبرَكُم وهوَ أعلمُ بأمرِكُم. ﴿أحسن عملاً﴾: أطوعُ للهِ وأورعُ عن محارمِهِ. ﴿أمّة معدودة﴾: طائفةٍ مِنَ الأيّامِ قليلةٍ. ﴿حاق بهم﴾: نزلَ أو أحاطَ بهِم. ﴿إنه ليئوس﴾: شديدُ اليأسِ والقنوطِ. ﴿كفور﴾: كثيرُ الكفرانِ للنِّعَمِ. ﴿ضرّاء مسّته﴾: نائبةٍ ونكبةٍ أصابَتْهُ. ﴿إنه لفرح﴾: لَبَطِرٌ بالنِّعمةِ، مغترٌّ بها. ﴿فخور﴾: على النَّاسِ بما أُوتيَ مِنَ النَّعماءِ. ﴿وكيل﴾: قائمٌ بِهِ حافظٌ لهُ.

(١) عن قتادة: لما نزل ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء: ١] قال ناس: إن الساعة قد اقتربت فتناهَوا، فتناهى القوم قليلًا ثم عادوا إلى مكرهم مكرِ السوء، فأنزل الله: ﴿ولئن أخرنا﴾ الآية. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١١٥).

(٢) مشغولٌ عن الشُّكرِ والقيامِ بحقِّها، وفي لفظِ الإذاقةِ والمسِّ تنبيهٌ على أنَّ ما يجدُه الإنسانُ في الدُّنيا من النِّعمِ والمِحَنِ كالأُنموذَجِ لِمَا يجدُه في الآخرةِ، وأنَّه يقعُ في الكفرانِ والبطَرِ بأدنى شيءٍ؛ لأنَّ الذَّوقَ إدراكُ الطَّعمِ، والمسَّ مبدأُ الوصولِ. (الجمالين).

أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ
وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣
فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا
لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا
ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ
كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ وَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ
أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩

(١٣) ـ ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**يَقولُونَ: افتراهُ**﴾ أي: القرآنَ؟ ﴿**قُلْ: فائتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثلِهِ**﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿**مُفتَرَياتٍ**﴾ ـ فإنكم عربيّون فُصحاءُ مِثلي. تحدّاهم بها أوّلاً ثم بسُورة[1] ـ ﴿**وادعُوا**﴾ للمُعاونة على ذلك ﴿**مَنِ استطَعتُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ في أنه افتراء، (١٤) ـ ﴿**فإنْ لَم يَستَجِيبُوا لكُم**﴾ أي: مَن دعوتموهم للمُعاونة ﴿**فاعلَمُوا**﴾ ـ خِطاب للمُشركين ـ ﴿**أنّما أُنزِلَ**﴾ مُلتبسًا ﴿**بِعِلمِ اللهِ**﴾ وليس افتراء عليه، ﴿**وأنْ**﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿**لا إلـهَ إلّا هُوَ. فهَل أنتُم مُسلِمُونَ**﴾ بعد هذه الحُجّة القاطعة؟ أي: أسلِموا.

(١٥) ـ ﴿**مَن كانَ يُرِيدُ الحَياةَ الدُّنيا وزِينَتَها**﴾ بأن أصَرَّ على الشِّرك ـ وقيل: هي في المُرائينَ ـ ﴿**نُوَفِّ إلَيهِم أعمالَهُم**﴾ أي: جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحِم ﴿**فِيها**﴾ بأن نُوسع عليهم رِزقهم، ﴿**وهُم فِيها**﴾ أي: في الدنيا ﴿**لا يُبخَسُونَ**﴾: يُنقَصُونَ شيئًا. (١٦) ـ ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ لَيسَ لَهُم في الآخِرةِ إلّا النّارُ، وحَبِطَ**﴾: بَطَل ﴿**ما صَنَعُوهُ**﴾ ﴿**فِيها**﴾ أي: في الآخِرة فلا ثواب له[2]، ﴿**وباطِلٌ ما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾.

(١٧) ـ ﴿**أفمَن كانَ على بَيِّنةٍ**﴾: بيانٍ ﴿**مِن رَبِّهِ**﴾ ـ وهو النبيُّ أو المؤمنون ـ وهي القرآن، ﴿**ويَتلُوهُ**﴾: يتبعه ﴿**شاهِدٌ**﴾ يُصدّقه ﴿**مِنهُ**﴾ أي: من اللهِ ـ وهو جِبريلُ ـ ﴿**ومِن قَبلِهِ**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**كِتابُ مُوسَى**﴾: التوراة شاهد له أيضًا ﴿**إمامًا ورَحْمةً**﴾: حالٌ كمن ليس كذلك؟ لا. ﴿**أُولئِكَ**﴾ أي: من كان على بيّنة ﴿**يُؤمِنُونَ بِهِ**﴾ أي: بالقُرآن فلهم الجنّة، ﴿**ومَن يَكفُرْ بِهِ مِنَ الأحزابِ**﴾: جميع الكُفّار ﴿**فالنّارُ مَوعِدُهُ. فلا تَكُ في مِرْيةٍ**﴾: شكٍّ ﴿**مِنهُ**﴾: من القُرآن. ﴿**إنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّكَ، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**لا يُؤمِنُونَ**﴾.

(١٨) ـ ﴿**ومَن**﴾ أي: لا أحدَ ﴿**أظلَمُ مِمَّنِ افتَرى على اللهِ كَذِبًا**﴾ بنِسبة الشريك والولد إليه؟ ﴿**أُولئِكَ يُعرَضُونَ على رَبِّهِم**﴾ يوم القِيامة في جُملة الخلق[3]، ﴿**ويَقُولُ الأشهادُ**﴾: جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكُفّار بالتكذيب: ﴿**هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِم. ألا لَعنةُ اللهِ على الظّالِمِينَ**﴾: المُشركين، (١٩) ـ ﴿**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دِين الإسلام، ﴿**ويَبغُونَها**﴾: يطلبون السبيل ﴿**عِوَجًا**﴾: مُعْوَجّة[4]، ﴿**وهُم بالآخِرةِ هُم**﴾: تأكيد[5] ﴿**كافِرُونَ**﴾.

﴿لا يُبخسون﴾: لا ينقصونَ شيئاً مِن أُجورِ أعمالِهم. ﴿حبط﴾: بَطَلَ في الآخرةِ. ﴿بيّنة﴾: يقينٍ وبرهانٍ واضحٍ وهوَ القرآنُ. ﴿شاهد﴾: على تنزيلِهِ وهوَ إعجازُ نظمِهِ. ﴿مرية منه﴾: شكٍّ مِن تنزيلِهِ مِن عندِ اللهِ. ﴿الأشهاد﴾: الملائكةُ والنَّبيُّونَ والجوارحُ. ﴿يبغونها عوجاً﴾: يطلبونَها معوجّةً أو ذاتَ اعوجاجٍ.

(١) أي: ثمَّ لمَّا عجزُوا عن العَشْرِ سهَّلَ الأمرَ عليهم وتحدَّاهُم بسُورةٍ، وتوحيدُ المثلِ والظَّاهرُ أمثالُه باعتبارِ كلِّ واحدةٍ. (الجمالين).

(٢) أي: لِمَا صَنعُوا؛ يعنِي: لأنَّه لم يبقَ لهم ثوابٌ، أو لم يكُنْ؛ لأنَّهم لم يريدُوا بهِ وجهَ اللهِ. (الجمالين).

(٣) بأن يحاسَبوا أو تُعرَضَ أعمالُهم. (الجمالين).

(٤) أي: يصِفُونها بالانحرافِ عن الحقِّ والصَّوابِ، أو يبغُونَ أهلَها أن يعوَجُّوا بالرِّدَّةِ. (الجمالين).

(٥) لكفرِهِم والجملةُ حالٌ. (الجمالين).

أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ
ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾
فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا
وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ
وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ
عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

﴿٢٠﴾ ـ ﴿**أُولئِكَ لَم يَكُونُوا مُعجِزِينَ**﴾ اللهَ ﴿**في الأرضِ، وما كانَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرِه ﴿**مِن أولياءَ**﴾: أنصارٍ يمنعونهم من عذابه، ﴿**يُضاعَفُ لَهُمُ العَذابُ**﴾ بإضلالهم غيرَهم، ﴿**ما كانُوا يَستَطِيعُونَ السَّمعَ**﴾ للحقّ، ﴿**وما كانُوا يُبصِرُونَـ**﴾ ـهُ، أي: لفَرط كراهتهم له كأنهم لا يستطيعون ذلك. ﴿٢١﴾ ـ ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾ لمصيرهم إلى النار المُؤبّدة عليهم، ﴿**وضَلَّ**﴾: غاب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ على الله من دعوى الشريك، ﴿٢٢﴾ ـ ﴿**لا جَرَمَ**﴾: حقًّا ﴿**أنَّهم في الآخِرةِ هُمُ الأخسَرُونَ**﴾.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وأخبَتُوا**﴾: سكنوا واطمأنّوا أو أنابوا ﴿**إلَى رَبِّهِم أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ، هُم فِيها خالِدُونَ**﴾. ﴿٢٤﴾ ـ ﴿**مَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الفَرِيقَينِ**﴾: الكُفّارِ والمُؤمنين ﴿**كالأعمَى والأصَمِّ**﴾ ـ هذا مَثَلُ الكافر ـ ﴿**والبَصِيرِ والسَّمِيعِ**﴾. هذا مَثَل المُؤمن. ﴿**هَل يَستَوِيانِ مَثَلاً**﴾؟ لا. ﴿**أفلا تَذَكَّرُونَ**﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: تتّعظون؟

﴿٢٥﴾ ـ ﴿**ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ أنِّي**﴾ أي: بأني ـ وفي قراءة بالكسر على حذف القول ـ ﴿**لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: بيّنُ الإنذارِ[١]، ﴿٢٦﴾ ـ ﴿**أنْ**﴾ أي: بأن[٢] ﴿**لا تَعبُدُوا إلّا اللهَ. إنِّيَ أخافُ عَلَيكُم**﴾، إن عبدتم غيره، ﴿**عَذابَ يَومٍ ألِيمٍ**﴾: مؤلم في الدنيا والآخرة. ﴿٢٧﴾ ـ ﴿**فقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ**﴾ وهم الأشرافُ: ﴿**ما نَراكَ إلّا بَشَرًا مِثلَنا**﴾ ولا فضل لك علينا، ﴿**وما نَراكَ اتَّبَعَكَ إلّا الَّذِينَ هُم أراذِلُنا**﴾: أسافِلُنا كالحاكة والأساكفة ﴿**بادِيَ الرَّأيِ**﴾، بالهمز وتركه، أي: ابتداءً من غير تفكّر فيك ـ ونصبُه على الظرف[٣]، أي: وقتَ حُدوثِ أوّلِ رأيهم ـ ﴿**وما نَرَى لَكُم عَلَينا مِن فَضلٍ**﴾ فتستحقّون به الاتّباع منّا، ﴿**بَل نَظُنُّكُم كاذِبِينَ**﴾ في دعوى الرسالة. أدرجوا قومَه معه في الخِطاب[٤].

﴿٢٨﴾ ـ ﴿**قالَ: يا قَومِ، أرَأيتُم**﴾: أخبِروني ﴿**إن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ**﴾: بيان ﴿**مِن رَبِّي، وآتانِي رَحمَةً**﴾: نُبوّة ﴿**مِن عِندِهِ فعَمِيَتْ**﴾: خَفِيَتْ[٥] ﴿**عَلَيكُم**﴾ ـ وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ـ ﴿**أنُلزِمُكُمُوها**﴾: أنُجبِرُكم على قَبولها، ﴿**وأنتُم لَها كارِهُونَ**﴾؟ لا نقدِرُ على ذلك، ....

﴿مُعجزين﴾: فائتينَ مِن عذابِ اللهِ بالهربِ. ﴿لا جرَمَ﴾: حقَّ وثبتَ أو لا محالةَ أو حقّاً. ﴿أخبتوا إلى ربهم﴾: اطمأنُّوا إلى وعدِهِ أو خشعوا لهُ. ﴿الملأُ﴾: السَّادةُ والرُّؤساءُ. ﴿بادي الرأي﴾: ظاهرَهُ دونَ تعمُّقٍ وتثبُّتٍ. ﴿أرأيتم﴾: أخبِروني. ﴿فعُمّيت عليكم﴾: أُخفيَتْ عليكم.

---

(١) فأبانَ لازمٌ، أو أُبيِّنُ لكُم موجباتِ العذابِ ووَجهَ الخلاصِ. (الجمالين).

(٢) بدلٌ من ﴿أني لكم﴾ أو مفعولُ ﴿مُبين﴾ ويجوزُ أن تكونَ مفسِّرةً متعلِّقةً بـ﴿أرسلنا﴾ أو بـ﴿نذير﴾. (الجمالين).

(٣) على حذفِ المضافِ، والعاملُ ﴿اتبعكَ﴾. (الجمالين).

(٤) أي: أنتَ في دعوَى النُّبوَّةِ، وهُم في دعوى العلمِ بصِدقِكَ، فغلَّبَ المخاطبَ على الغائبينَ، وكذا قولُه: ﴿وما نرى لكُم﴾ أي: لك ولمتَّبعيكَ. (الجمالين).

(٥) أي: البيِّنةُ عليكم فلم تهدِكُم، وتوحيدُ الضَّميرِ؛ لأنَّ البيِّنةَ في نفسِها هي الرَّحمةُ، أو لأنَّ خفاءَها يوجبُ خفاءَ النُّبوَّة، أو عمِيَتِ الرَّحمةُ لقُربِها، أو عمِيَتِ النُّبوَّةُ بعدَ البيِّنةِ، وحذفُها للاختصارِ، أو لكلِّ واحدةٍ منهما. (الجمالين).

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠
بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا
تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ
إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا
فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا
يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ
٣٥ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧

(٢٩) ـ ﴿**ويا قَومِ، لا أسألُكُم عليَهِ**﴾: على تبليغ الرسالة ﴿**مالاً**﴾ تُعطونيه ـ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أجرِيَ**﴾: ثوابي ﴿**إلّا علَى اللهِ ـ وما أنا بطارِدِ الّذِينَ آمَنُوا**﴾ كما أمرتموني ـ ﴿**إنَّهُم مُلاقُو رَبِّهِم**﴾ بالبعث فيُجازيهم[1]، ويأخذ لهم ممّن ظلمَهم وطردَهم ـ ﴿**ولكِنِّيَ أراكُم قَومًا تَجهلُونَ**﴾ عاقبة أمركم، (٣٠) ـ ﴿**ويا قَومِ، مَن يَنصُرُني**﴾: يمنعُني ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ أي: عذابِه، ﴿**إن طَرَدتُهُم**﴾؟ أي: لا ناصر لي. ﴿**أفلا**﴾: أفهلّا ﴿**تَذَّكَّرُونَ**﴾، بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال، تتّعظون؟

(٣١) ـ ﴿**ولا أقُولُ لَكُم: عِندِي خَزائِنُ اللهِ. ولا**﴾ إني ﴿**أعلَمُ الغَيبَ، ولا أقُولُ: إنِّي مَلَكٌ**﴾ بل أنا بشر مِثلكم، ﴿**ولا أقُولُ لِلَّذِينَ تَزدَرِي**﴾: تحتقر ﴿**أعيُنُكُم: لَن يُؤتِيَهُمُ اللهُ خَيرًا. اللهُ أعلَمُ بِما في أنفُسِهِم**﴾: قُلوبهم. ﴿**إنِّيَ إذًا**﴾: إن قلت ذلك ﴿**لَمِنَ الظّالِمِينَ**﴾.

(٣٢) ـ ﴿ **قالُوا: يا نُوحُ، قَد جادَلتَنا**﴾: خاصمتنا، ﴿**فأكثَرتَ جِدالَنا. فائتِنا بِما تَعِدُنا**﴾ به من العذاب، ﴿**إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ فيه[2]. (٣٣) ـ ﴿**قالَ: إنَّما يأتِيكُم بِهِ اللهُ، إن شاءَ**﴾ تعجيلَه[3] لكم، فإنّ أمره إليه لا إليّ، ﴿**وما أنتُم بِمُعجِزِينَ**﴾: بفائتين اللهَ، (٣٤) ـ ﴿**ولا يَنفَعُكُم نُصحِيَ، إن أرَدتُ أن أنصَحَ لَكُم، إن كانَ اللهُ يُرِيدُ أن يُغوِيَكُم**﴾ أي: إغواءكم. وجواب الشرط[4] دلّ عليه «ولا يَنفعُكم نُصحي». ﴿**هُوَ رَبُّكُم، وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾.

(٣٥) ـ قال تعالى: ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**يَقُولُونَ**﴾ أي: كُفّارُ مكّة: ﴿**افتَراهُ**﴾: اختلق مُحمّد القُرآنَ؟ ﴿**قُلْ: إنِ افتَرَيتُهُ فعلَيَّ إجرامِي**﴾: أي: عُقوبتُه، ﴿**وأنا بَرِيءٌ مِمّا تُجرِمُونَ**﴾: من إجرامكم في نِسبة الافتراء إليّ.

(٣٦) ـ ﴿**وأُوحِيَ إلَى نُوحٍ أنَّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلّا مَن قَد آمَنَ. فلا تَبتَئِسْ**﴾: تحزنْ ﴿**بِما كانُوا يَفعَلُونَ**﴾ من الشِّرك، فدعا عليهم بقوله: «رَبِّ، لا تَذَرْ علَى الأرضِ» إلى آخره، فأجاب الله ـ تعالى ـ دُعاءه وقال: (٣٧) ـ ﴿**واصنَعِ الفُلكَ**﴾: السفينة ﴿**بِأعيُنِنا**﴾: بمرأى منّا وحِفظِنا ﴿**ووَحيِنا**﴾: أمرِنا، ﴿**ولا تُخاطِبْنِي في الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا بترك إهلاكهم. ﴿**إنَّهُم مُغرَقُونَ**﴾.

﴿خزائن الله﴾: خزائنُ رزقِهِ ومالِهِ. ﴿تزدري أعينكم﴾: تستحقرُهُم وتستهينُ بهم. ﴿ما أنتم بمُعجزين﴾: بفائتينَ مِن عذابِ اللهِ بالهربِ. ﴿أن يُغويكم﴾: يضلَّكُم. ﴿فعليّ إجرامي﴾: عقابُ اكتسابِ ذنبي. ﴿فلا تبتئس﴾: فلا تحزنْ. ﴿بأعيننا﴾: بحفظِنا وكلاءَتِنا الكاملَينِ.

---

(١) فيفوزُونَ بقُربِهِ، فكيفَ أطردُهُم؟ أو فيُجازيهِم وهو أعلمُ بنيَّاتِهِم، وأنا أحكمُ بالظَّاهِرِ فلا أطرُدُهم لأنَّ الكفَّارَ طعنُوا في إخلاصِ المؤمنينَ. (الجمالين).

(٢) أي: في الوعيدِ والدَّعوَى؛ فإنَّ مناظرَتَك لا تؤثِّرُ فينا. (الجمالين).

(٣) أو تأجيلَه. (الجمالين).

(٤) أي: الثَّاني، والتَّحقيقُ أنَّ ما قبلَ الشَّرطِ الثَّاني شرطٌ ودليلُ جوابٍ، والجملةُ دليلُ جوابِ الثَّاني، وتقديرُ الكلامِ: إن كانَ اللهُ يريدُ أن يُغويَكُم فإنْ أردتُ أن أنصحَ لكُم لا ينفعُكُم نُصحِي. (الجمالين).

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ
قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ
﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا
مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ
وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ
فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ
وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ
مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ
ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي
وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ
بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي
مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿٣٨﴾ ـ ﴿**وَيَصنعُ الفُلكَ**﴾ ـ حكايةُ حال ماضية ـ ﴿**وكُلَّما مَرَّ علَيهِ مَلأٌ**﴾: جماعة ﴿**مِن قَومِهِ سَخِرُوا مِنهُ**﴾: استهزؤوا به. ﴿**قالَ: إن تَسخَرُوا مِنّا فإنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرُونَ**﴾، إذا نجونا وغرقتم. ﴿٣٩﴾ ـ ﴿**فَسَوفَ تَعلَمُونَ مَن**﴾: موصولةٌ مفعول العِلم ﴿**يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ويَحِلُّ**﴾: ينزل ﴿**علَيهِ عَذابٌ مُقِيمٌ**﴾: دائم.

﴿٤٠﴾ ـ ﴿**حَتّى**﴾: غايةٌ للصنع ﴿**إذا جاءَ أمرُنا**﴾ بإهلاكهم، ﴿**وفارَ التَّنُّورُ**﴾ للخبّاز بالماء ـ وكان ذلك علامة لنُوح ـ ﴿**قُلنا: احمِلْ فِيها**﴾: في السفينة ﴿**مِن كُلٍّ زَوجَينِ**﴾ أي: ذكرٍ وأُنثى، أي: من كُلّ أنواعهما ﴿**اثنَينِ**﴾ ذكرًا وأُنثى، وهو مفعولٌ ـ وفي القِصّة أنّ الله حشر لنُوح السباع والطير وغيرهما[1]، فجعل يضرِب بيده في كُلّ نوع، فتقع يده اليُمنى على الذكر واليُسرى على الأُنثى، فيحملهما في السفينة ـ ﴿**وأهلَكَ**﴾ أي: زوجته وأولاده، ﴿**إلّا مَن سَبَقَ علَيهِ القَولُ**﴾ أي: منهم بالإهلاك ـ وهو زوجته واعلةُ وولده كنعانُ بخلاف سامٍ وحامٍ ويافثَ، فحملهم وزوجاتِهم ثلاثةً ـ ﴿**ومَن آمَنَ. وما آمَنَ مَعَهُ إلّا قَلِيلٌ**﴾. قيل: كانوا ستّة رجال ونساءهم. وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون، نصفهم رجال ونصفهم نساء.

الحزب ٢٣

﴿٤١﴾ ـ ﴿**وقالَ**﴾ نُوحٌ: ﴿**اركَبُوا فِيها، بِاسمِ اللهِ مَجراها ومَرساها**﴾، بفتح الميمين وضمّهما، مصدران أي: جريُها ورُسُوُّها، أي: منتهى سيرها. ﴿**إنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ حيثُ لم يُهلكنا ـ ﴿٤٢﴾ ـ ﴿**وهْيَ تَجرِي بِهِم في مَوجٍ كالجِبالِ**﴾ في الارتفاع والعِظم ـ ﴿**ونادَى نُوحٌ ابنَهُ**﴾ كنعانَ، ﴿**وكانَ في مَعزِلٍ**﴾ عن السفينة: ﴿**يابُنَيَّ، اركَبْ مَعَنا، ولا تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ**﴾.

﴿٤٣﴾ ـ ﴿ **قالَ: سآوِي إلَى جَبَلٍ، يَعصِمُنِي**﴾: يمنعني ﴿**مِنَ الماءِ. قالَ: لا عاصِمَ اليَومَ مِن أمرِ اللهِ**﴾: عذابِه. ﴿**إلّا**﴾: لكن ﴿**مَن رَحِمَ**﴾ اللهُ فهو المعصوم. قال تعالى: ﴿**وحالَ بَينَهُما المَوجُ، فكانَ مِنَ المُغرَقِينَ**﴾.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿**وقِيلَ: يا أرضُ، ابلَعِي ماءَكِ**﴾ الذي نبع منك ـ فشربَتْه دُون ما نَزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا ـ ﴿**ويا سَماءُ، أقلِعِي**﴾: أمسِكي عن المطر. فأمسكتْ، ﴿**وغِيضَ**﴾: نَقَص ﴿**الماءُ، وقُضِيَ الأمرُ**﴾: تمّ أمر هلاك قوم نُوح، ﴿**واستَوَتْ**﴾: وقفَتِ السفينةُ ﴿**علَى الجُودِيِّ**﴾: جبل بالجزيرة بقرب المَوصل، ﴿**وقِيلَ: بُعدًا**﴾: هلاكًا ﴿**لِلقَومِ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿**ونادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فقالَ: رَبِّ، إنَّ ابنِي**﴾ كنعانَ ﴿**مِن أهلِي**﴾، وقد وعدتَني بنجاتهم، ﴿**وإنَّ وَعدَكَ الحَقُّ**﴾ الذي لا خُلف فيه، ﴿**وأنتَ أحكَمُ الحاكِمِينَ**﴾: أعلَمهم وأعدَلهم.

﴿يُخزيه﴾: يذلُّهُ ويُهينُهُ. ﴿يحلّ عليه﴾: يجبُ عليهِ وينزلُ بِهِ. ﴿فار التَّنّور﴾: نبعَ الماءُ وجاشَ بشدَّةٍ مِن تنُّورِ الخبزِ المعروف. ﴿مجريها﴾: وقتَ إجرائِها. ﴿مُرساها﴾: وقتَ إرسائِها. ﴿سآوي﴾: سألتجئُ وأستندُ. ﴿لا عاصم﴾: لا مانعَ ولا حافظَ. ﴿أقلعي﴾: أمسِكي عن إنزالِ المطرِ. ﴿غيض الماء﴾: نقصَ وذهبَ في الأرضِ. ﴿استوت على الجوديّ﴾: استقرَّتْ على جبلٍ بقُربِ المَوصلِ. ﴿بُعداً﴾: هلاكاً وسُحقاً.

(١) رواه ابن إسحاق كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٠)، ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٥٢) من طريق إسحاق (وهو ابن بشر) عن ابن إسحاق قال: وسمعت من حدثني عن جعفر بن محمد بإسناده أنه قال... ، فذكره، وإسحاق بن بشر هو صاحب كتاب «المبتدأ»، كذاب متروك. والراوي عن جعفر مبهم، والخبر مرسل، والأظهر أنه من أقاصيص أهل الكتاب.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا
تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ
وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟
مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

(٤٦) ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿يا نُوحُ، إِنَّهُ لَيسَ مِن أهلِكَ﴾ الناجين، أو من أهلِ دِينك. ﴿إنَّهُ﴾ أي: سُؤالُك إيّاي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيرُ صالِحٍ﴾. فإنه كافر، ولا نجاة للكافرين. وفي قراءةٍ بكسر ميمِ «عَمِلَ»: فعلٌ، ونصبِ «غيرَ» فالضمير لابنه. ﴿فلا تَسألَنِّ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ﴾ من إنجاء ابنك. ﴿إِنِّيَ أعِظُكَ أن تَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ﴾، بسؤالك[1] ما لم تعلم.

(٤٧) ـ ﴿قالَ: رَبِّ، إِنِّيَ أعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أن أسأَلَكَ ما لَيسَ لِي بِهِ عِلمٌ، وإلّا تَغفِرْ لِي﴾ ما فَرَط منّي ﴿وتَرحَمْنِي أكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

(٤٨) ـ ﴿قِيلَ: يا نُوحُ، اهبِطْ﴾: انزِلْ من السفينة ﴿بِسَلامٍ﴾: بسلامة أو بتحيّة ﴿مِنّا وبَرَكاتٍ﴾: خيرات ﴿عَلَيكَ، وعلَى أُمَمٍ مِمَّن مَعَكَ﴾ في السفينة، أي: من أولادهم وذُرِّيّتهم ـ وهم المؤمنون ـ ﴿وأُمَمٌ﴾، بالرفع، ممّن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُم﴾ في الدنيا، ﴿ثُمّ يَمَسُّهُم مِنّا عَذابٌ ألِيمٌ﴾ في الآخِرة. وهم الكُفّار.

(٤٩) ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ المُتضمّنة قِصّةَ نُوح ﴿مِن أنباءِ الغَيبِ﴾: أخبارِ ما غاب عنك، ﴿نُوحِيها إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿ما كُنتَ تَعلَمُها أنتَ ولا قَومُكَ مِن قَبلِ هذا﴾ القُرآنِ. ﴿فاصبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نُوح. ﴿إِنَّ العاقِبَةَ﴾ المحمودةَ ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾.

(٥٠) ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى عادٍ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿هُودًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه ـ ﴿ما لَكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿إلـهٍ غَيرُهُ. إن﴾: ما ﴿أنتُم﴾ في عِبادتكم الأوثانَ ﴿إلّا مُفتَرُونَ﴾: كاذبون على الله. (٥١) ـ (٥٢) ـ ﴿يا قَومِ، لا أسألُكُم عَلَيهِ﴾: على التوحيد ﴿أجرًا. إن﴾: ما ﴿أجرِيَ إلّا علَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني[2]. ﴿أفلا تَعقِلُونَ؟ ويا قَومِ، استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمّ تُوبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة، ﴿يُرسِلِ السَّماءَ﴾: المطرَ ـ وكانوا قد مُنِعوه ـ ﴿عَلَيكُم مِدرارًا﴾: كثير الدُّرور، ﴿ويَزِدكُم قُوّةً إلَى﴾: معَ ﴿قُوّتِكُم﴾ بالمال والولد[3]، ﴿ولا تَتَوَلَّوا مُجرِمِينَ﴾: مُشرِكِينَ[4].

(٥٣) ـ (٥٤) ـ ﴿قالُوا: يا هُودُ، ما جِئتَنا بِبَيِّنَةٍ﴾: بُرهانٍ على قولِك[5]، ﴿وما نَحنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَن قَولِكَ﴾ أي: لقولك[6]، ﴿وما نَحنُ لَكَ بِمُؤمِنِينَ﴾.

﴿بركات﴾: خيراتٍ ثابتةٍ نامِيةٍ. ﴿فطرني﴾: خلقَني وأبدعَني. ﴿السّماء﴾: المطرَ. ﴿مدراراً﴾: غزيراً مُتتابعاً بلا إضرارٍ.

(١) لأنَّ الاستثناءَ لمن سبقَ عليه القولُ مِن أهلِهِ؛ قد دلَّ على الحالِ، وأغناه عن السُّؤالِ، لكنْ شغَلَه حبُّ الولدِ عنه حتّى اشتبَه الأمرُ عليه. (الجمالين).

(٢) خاطبَ كلُّ رسولٍ به قومَه إزاحةً للتُّهمةِ وتمحيصاً للنَّصيحةِ؛ فإنَّها لا تؤثِّرُ ما دامَتْ مَشُوبةً بالطَّمعِ. (الجمالين).

(٣) والشِّدِّ في الأعضاءِ. وقال الحسنُ بنُ عليٍّ: مَن كثُرَ استغفارُه كثُرَ نسلُه. (الجمالين).

(٤) أي: لا تُعرِضُوا عمَّا أَدعُوكُم إليه مصرِّين على إجرامِكُم. (الجمالين).

(٥) أي: على صحَّةِ دعواكَ، وهو لفَرطِ عنادِهِم وعدمِ اعتدادِهِم بما جاءَهُم مِن المعجزاتِ. (الجمالين).

(٦) أي: بتارِكِي عبادَتِها لأجلِ قولِكَ، أو صَادِرينَ عن قولِكَ، حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿تاركي﴾. (الجمالين).

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ
مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا
وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا
بُعْدٗا لِّعَادٖ قَوْمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ
﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّٗا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ
مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

٥٤ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿نقولُ﴾ في شأنك ﴿إلّا: اعترَاكَ﴾: أصابك ﴿بَعضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ﴾، فخبّلك لِسبّك إياها فأنت تهذي.

﴿قالَ: إنّي أُشهِدُ اللهَ﴾ عليّ، ﴿واشهَدُوا أنّي بَرِيءٌ مِمّا تُشرِكُونَ﴾ ـهُ به ٥٥ ـ ﴿مِن دُونِهِ فكِيدُوني﴾: احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم، ﴿ثُمّ لا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ. ٥٦ ـ ﴿إنّي توَكّلتُ على اللهِ رَبّي ورَبّكُم. ما مِن﴾: زائدةٌ ﴿دابّةٍ﴾: نسَمة تدبّ على الأرض ﴿إلّا هُوَ آخِذٌ بناصِيتِها﴾ أي: مالكُها وقاهرها. فلا نفع ولا ضرر إلّا بإذنه. وخَصَّ الناصيةَ بالذكر لأنّ مَن أُخِذ بناصيته يكون في غاية الذلّ. ﴿إنّ رَبّي على صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحقّ[1] والعدل. ٥٧ ـ ﴿فإن تَوَلّوا﴾، فيه حذف إحدى التاءين، أي: تُعرضوا ﴿فقَد أبلَغتُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ إلَيكُم، ويَستَخلِفُ رَبّي قَومًا غَيرَكُم، ولا تَضُرّونَهُ شَيئًا﴾ بإشراككم! ﴿إنّ رَبّي على كُلّ شَيءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيبٌ.

الحزب ٢٣

٥٨ ـ ﴿ولَمّا جاءَ أمرُنا﴾: عذابنا ﴿نَجّينا هُودًا والّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحمَةٍ﴾: هِداية ﴿مِنّا، ونَجّيناهُم مِن عَذابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد. ٥٩ ـ ﴿وتِلكَ عادٌ﴾ إشارةٌ إلى آثارهم، أي: فسيحوا في الأرض، وانظروا إليها. ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُوا بِآياتِ رَبّهِم، وعَصَوا رُسُلَهُ﴾ ـ جَمَعَ لأنّ من عصى رسولاً عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به، وهو التوحيد ـ ﴿واتّبَعُوا﴾ أي: السّفَلةُ ﴿أمرَ كُلّ جَبّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعارضٍ للحق من رُؤسائهم، ٦٠ ـ ﴿وأُتبِعُوا في هذِهِ الدّنيا لَعنَةً﴾ من الناس، ﴿ويَومَ القِيامَةِ﴾ لعنةً على رُؤوس الخلائق. ﴿ألا إنّ عادًا كَفَرُوا﴾: جحدوا ﴿رَبّهُم. ألا بُعدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعادٍ قَومِ هُودٍ﴾.

٦١ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى ثَمُودَ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿صالِحًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: وحّدوه. ﴿ما لَكُم مِن إلهٍ غَيرُهُ. هُوَ أنشَأكُم﴾: ابتدأ خلقكم ﴿مِنَ الأرضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها، ﴿واستَعمَرَكُم فِيها﴾: جعلكم عُمّارًا تسكنون بها ﴿فاستَغفِرُوهُ﴾ من الشِّرك، ﴿ثُمّ تُوبُوا﴾: ارجعوا ﴿إلَيهِ﴾ بالطاعة. ﴿إنّ رَبّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه، ﴿مُجِيبٌ﴾ لمن سأله. ٦٢ ـ ﴿قالُوا: يا صالِحُ، قَد كُنتَ فِينا مَرجُوًّا﴾: نرجو أن تكون سيّدًا ﴿قَبلَ هذا﴾ الذي صدر منك[2]. ﴿أتَنهانا أن نَعبُدَ ما يَعبُدُ آباؤُنا﴾ من الأوثان؟ ﴿وإنّنا لَفي شَكٍّ مِمّا تَدعُونا إلَيهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقعٍ في الرّيب.

﴿اعتراك﴾: أصابَكَ. ﴿بسوء﴾: بجنونٍ وخَبَلٍ. ﴿فكيدوني﴾: فاحتالوا في كيدي وضرّي. ﴿لا تُنظرون﴾: لا تُمهلوني. ﴿آخذ بناصيتها﴾: مالكُها وقادرٌ عليها.
﴿حفيظ﴾: رقيبٌ مُهيمنٌ. ﴿غليظ﴾: شديد مُضاعف. ﴿جبّار﴾: مُتعاظم مُتكبِّر. ﴿عنيد﴾: طاغٍ معاندٌ للحقّ مُجانبٌ لهُ. ﴿بُعداً لعاد﴾: هلاكاً وسُحقاً لهُم.
﴿استعمركم فيها﴾: جعلكُم عُمّارَها وسُكّانَها. ﴿مُريب﴾: موقعٌ في الرِّيبةِ والقلقِ.

---

(١) أي: دالٌّ عليه، أو أنّه على الحقِّ والعدلِ، لا يضيعُ عنده معتصمٌ، ولا يفوتُه ظالمٌ. (الجمالين).

(٢) فلمّا سمعْنا هذا القولَ منك انقطعَ رجاؤنا عنك. (الجمالين).

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ
خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا
بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ
أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

﴿٦٣﴾ ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، أرأيتُم إن كُنتُ علَى بَيِّنةٍ﴾: بيان ﴿مِن رَبِّي، وآتاني مِنهُ رَحمةً﴾: نُبوّة، ﴿فمَن يَنصُرُني﴾: يمنعني ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عذابه، ﴿إن عَصَيتُهُ؟ فما تَزيدُونَني﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيرَ تَخسيرٍ﴾: تضليل[1].

﴿٦٤﴾ ـ ﴿ويا قَومِ، هـذِهِ ناقةُ اللهِ لكُم آيةً﴾: حالٌ عاملُه الإشارة. ﴿فذَرُوها، تأكُلْ في أرضِ اللهِ، ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ﴾: عَقرٍ، ﴿فيأخُذَكُم عَذابٌ قَريبٌ﴾، إن عقرتموها. ﴿٦٥﴾ ـ ﴿فعَقَرُوها﴾: عقرها قُدارٌ بأمرهم، ﴿فقالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عيشوا ﴿في دارِكُم ثَلاثةَ أيّامٍ﴾، ثمّ تَهلِكون. ﴿ذلِكَ وَعدٌ غَيرُ مَكذُوبٍ﴾ فيه.

﴿٦٦﴾ ـ ﴿فلَمّا جاءَ أمرُنا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجّينا صالِحًا والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ ـ وهم أربعة آلاف ـ ﴿بِرَحمةٍ مِنّا، و﴾ نجّيناهم ﴿مِن خِزيِ يَومِئذٍ﴾، بكسر الميم إعرابًا، وفتحها بناءً لإضافته إلى مبنيٍّ وهو الأكثر ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ القَويُّ العَزيزُ﴾: الغالب ـ ﴿٦٧﴾ ـ ﴿وأخَذَ الَّذينَ ظَلَمُوا الصَّيحةُ، فأصبَحُوا في دِيارِهِم جاثِمينَ﴾: باركين على الرُّكب، ميّتين، ﴿٦٨﴾ ـ ﴿كأنْ﴾: مُخفّفةٌ واسمُها محذوف، أي: كأنّهم ﴿لَم يَغنَوا﴾: يُقيموا ﴿فيها﴾: في ديارهم.

﴿ألا إنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُم. ألا بُعدًا لِثَمُودٍ﴾، بالصرف وتركه على معنى الحيّ والقبيلة.

﴿٦٩﴾ ـ ﴿ولَقَد جاءَتْ رُسُلُنا إبراهِيمَ بالبُشرَى﴾ بإسحاقَ ويعقوبَ بعده، ﴿قالُوا: سَلامًا﴾: مصدرٌ. ﴿قالَ: سَلامٌ﴾ عليكم[2]. ﴿فما لَبِثَ أن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذٍ﴾: مَشويّ[3]، ﴿٧٠﴾ ـ ﴿فلَمّا رأى أيدِيَهُم لا تَصِلُ إلَيهِ نَكِرَهُم﴾ بمعنى: أنكرهم، ﴿وأوجَسَ﴾: أضمرَ في نفسه ﴿مِنهُم خِيفةً﴾: خوفًا. ﴿قالُوا: لا تَخَفْ. إنّا أُرسِلْنا إلَى قَومِ لُوطٍ﴾ لنُهلكَهم.

﴿٧١﴾ ـ ﴿وامرأتُهُ﴾ أي: امرأة إبراهيمَ سارةُ ﴿قائمةٌ﴾ تخدُمهم[4]، ﴿فضَحِكَتْ﴾ استبشارًا بهلاكهم[5]، ﴿فبَشَّرناها بإسحاقَ، ومِن وَراءِ﴾: بعدِ ﴿إسحاقَ يَعقُوبُ﴾ ولدُه تعيشُ إلى أن تراه.

﴿أرأيتم﴾: أخبِرُوني. ﴿بيّنة﴾: يقينٍ وبرهانٍ وبصيرة. ﴿تخسير﴾: خسرانٍ إن عصيتُهُ. ﴿آية﴾: مُعجزةً دالّةً على صدقِ نبوّتي. ﴿الصّيحة﴾: صوتٌ مِنَ السّماءِ مُهلكٌ. ﴿جاثمين﴾: هامدينَ ميّتينَ لا يتحرّكونَ. ﴿لم يغنوا فيها﴾: لم يُقيموا فيها طويلاً في رغدٍ. ﴿بُعداً لثمود﴾: هلاكاً وسُحقاً لهُم. ﴿بعجل حنيذ﴾: مشويٍّ بالحجارةِ المحمّاةِ في حُفرةٍ. ﴿نكِرهم﴾: أنكرَهُم ونفرَ منهُم. ﴿أوجس منهم خيفة﴾: أحسَّ في قلبِهِ منهُم خوفاً.

(١) أي: غيرَ أن تُخسِرُوني بإبطالِ ما منحَنِي اللهُ به والتَّعرُّضِ لعذابِهِ، أو ﴿فما تزيدُونَني﴾ بما تقولونَ لي غيرَ أنْ أنسبَكُم إلى الخسرانِ. (الجمالين).

(٢) أو عليكُم سلامٌ، وهو الأولى، أو أمرُكم سلامٌ، أو جوابي سلامٌ رفعَه إجابةً بأحسنَ مِن تحيَّتِهم، وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ: (سِلْمٌ) وهما لغتانِ. (الجمالين).

(٣) بالرَّضْفِ، وهو الحجارةُ المُحْمَاة؛ أي: فما أبطأَ مجيئَه به، أو في المجيءِ بِهِ. (الجمالين).

(٤) أي: ﴿قائمةٌ﴾ على رؤوسِهِم للخدمةِ، أو وراءَ السِّترِ تسمعُ محاورتَهم. (الجمالين).

(٥) أي: بهلاكِ أهلِ الفَسادِ، أو بزوالِ الخيفَةِ، وقيل: فحاضَتْ. (الجمالين).

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ
وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ٧٤
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ
قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٖ ٧٦ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعٗا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨
قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
٧٩ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ
يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ
مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا
مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ ٨١

٧٢ ـ ﴿قالَتْ: يا وَيلَتا﴾ ـ كلمةٌ تُقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ـ ﴿أألِدُ وأنا عَجُوزٌ﴾ لي تسعٌ وتسعون سنة، ﴿وهذا بَعلِي شَيخًا﴾ له مائةٌ أو وعشرون سنة؟ ونصبُه على الحال والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة. ﴿إنَّ هذا لَشيءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يُولد ولد لهرِمَين. ٧٣ ـ ﴿قالُوا: أتَعجَبِينَ مِن أمرِ اللهِ﴾: قُدرته؟ ﴿رَحْمةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيكُم﴾، يا ﴿أهلَ البَيتِ﴾: بيتِ إبراهيم. ﴿إنَّهُ حَمِيدٌ﴾: محمود ﴿مَجِيدٌ﴾: كريم.

٧٤ ـ ٧٥ ـ ﴿فلَمّا ذَهَبَ عَن إبراهِيمَ الرَّوعُ﴾: الخوف، ﴿وجاءَتهُ البُشرَى﴾ بالولد، أخذ ﴿يُجادِلُنا﴾: يُجادل رُسلنا ﴿في﴾ شأن ﴿قَومِ لُوطٍ. إنَّ إبراهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: كثير الأناة ﴿أوّاهٌ مُنِيبٌ﴾: رَجّاع. فقال لهم: أتُهلِكون قرية فيها ثلاثُمائةِ مؤمنٍ؟ قالوا: لا. قال: أفتُهلِكون قرية فيها مِائتا مؤمنٍ؟ قالوا؟ لا. قال: أفتُهلِكون قرية فيها أربعون مؤمنًا؟ قالوا: لا. قال: أفتهلِكون قرية فيها أربعةَ عشرَ مؤمنًا؟ قالوا: لا. قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. «قالَ: إنَّ فِيها لُوطًا. قالُوا: نَحنُ أعلَمُ بِمَن فِيها»[1] إلى آخره. فلمّا أطال مُجادلتهم قالوا: ٧٦ ـ ﴿يا إبراهِيمُ، أعرِض عَن هذا﴾ الجدال. ﴿إنَّهُ قَد جاءَ أمرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم، ﴿وإنَّهُم آتِيهِم عَذابٌ غَيرُ مَردُودٍ﴾.

٧٧ ـ ﴿ولَمّا جاءَت رُسُلُنا لُوطًا سِيءَ بِهِم﴾: حَزِنَ بسببهم، ﴿وضاقَ بِهِم ذَرعًا﴾ صدرًا لأنهم حِسانُ الوجوه في صُورة أضياف، فخاف عليهم قومه، ﴿وقالَ: هذا يَومٌ عَصِيبٌ﴾: شديد. ٧٨ ـ ﴿وجاءَهُ قَومُهُ﴾ لمّا علموا بهم، ﴿يُهرَعُونَ﴾: يُسرعون ﴿إلَيهِ، ومِن قَبلُ﴾: قبلِ مجيئهم ﴿كانُوا يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾ هي إتيان الرجال في الأدبار. ﴿قالَ﴾ لوط: ﴿يا قَومِ، هؤُلاءِ بَناتِي﴾ فتزوّجوهنّ، ﴿هُنَّ أطهَرُ لَكُم. فاتَّقُوا اللهَ ولا تُخزُونِ﴾: تَفضحوني ﴿في ضَيفِي﴾: أضيافي. ﴿ألَيسَ مِنكُم رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟

٧٩ ـ ﴿قالُوا: لَقَد عَلِمتَ: ما لَنا في بَناتِكَ مِن حَقٍّ﴾: حاجة، ﴿وإنَّكَ لَتَعلَمُ ما نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال. ٨٠ ـ ﴿قالَ: لَو أنَّ لِي بِكُم قُوَّةً﴾: طاقة، ﴿أو آوِي إلى رُكنٍ شَدِيدٍ﴾: عشيرة تنصرني، لبطشتُ بكم.

فلمّا رأتِ الملائكة ذلك ٨١ ـ ﴿قالُوا: يا لُوطُ، إنّا رُسُلُ رَبِّكَ. لَن يَصِلُوا إلَيكَ﴾ بسوء. ﴿فأسرِ بِأهلِكَ بِقِطعٍ﴾: طائفة ﴿مِنَ اللَّيلِ، ولا يَلتَفِتْ مِنكُم أحَدٌ﴾ لئلا يَرى عظيمَ ما ينزل بهم، ﴿إلّا امرأتُكَ﴾ ـ بالرفع بدل من «أحدٌ»، وفي قراءة بالنصب استثناءً من الأهل، أي: فلا تُسْرِ بها ـ ﴿إنَّهُ مُصِيبُها ما أصابَهُم﴾. فقيل: لم يخرج بها. وقيل: خرجتْ والتفتتْ، فقالت: واقوماه. فجاءها حجر فقتلها[2]. وسألهم عن وقت هلاكهم، فقالوا: ﴿إنَّ مَوعِدَهُمُ الصُّبحُ﴾. فقال: أريد أعجَلَ من ذلك. قالوا: ﴿ألَيسَ الصُّبحُ بِقَرِيبٍ﴾؟

﴿يا ويلتا﴾: كلمةُ تعجُّب. ﴿مجيد﴾: كثيرُ الخيرِ والإحسانِ. ﴿الرّوع﴾: الخوفُ والفزعُ. ﴿لحليم﴾: مُتأنٍّ غيرُ عجولٍ. ﴿أوّاه﴾: كثيرُ التأوُّهِ مِن خوفِ اللهِ. ﴿منيب﴾: راجعٌ إلى اللهِ سبحانَهُ. ﴿سيء بهم﴾: نالَتْهُ المساءةُ بمجيئهم خوفاً عليهم. ﴿ضاق بهم ذرعاً﴾: ضعُفَتْ طاقتُهُ عن تدبيرِ خلاصِهم. ﴿يوم عصيب﴾: شديدٌ شرُّهُ وبلاؤُهُ. ﴿يُهرعون إليه﴾: يُسرعونَ إليهِ كأنَّهم يُدفعونَ. ﴿لا تُخزون﴾: لا تفضحوني ولا تُهينوني. ﴿من حقّ﴾: مِن حاجةٍ وأَرَبٍ. ﴿آوي إلى ركن﴾: أنضمُّ إلى قويٍّ أنتصرُ بهِ عليكُم. ﴿بقطعٍ من الليل﴾: بطائفةٍ منهُ أو مِن آخرِهِ.

(١) الطبري (١٢/ ٤٨٩) عن سعيد بن جبير.

(٢) ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٣٥) عن حذيفة رضي الله عنه، ورواه الطبري (١٢/ ٥١٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ٢٠٦٦) عن سعيد بن جبير.

فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

(٨٢) ـ ﴿**فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا**﴾ بإهلاكهم ﴿**جَعَلْنا عالِيَها**﴾ أي: قُراهم ﴿**سافِلَها**﴾ بأن رفعَها[1] جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، ﴿**وأمطَرْنا عليها حِجارةً مِن سِجِّيلٍ**﴾: طينٍ طُبخ بالنار ﴿**مَنضُودٍ**﴾: متتابع، الحزب ٢٤

(٨٣) ـ ﴿**مُسَوَّمَةً**﴾: مُعلمة عليها اسمُ من يُرمى بها، ﴿**عِندَ رَبِّكَ**﴾: ظرف لها. ﴿**وما هِيَ**﴾: الحجارةُ أو بلادُهم ﴿**مِنَ الظّالِمِينَ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**بِبَعِيدٍ**﴾.

(٨٤) ـ ﴿**وَ**﴾ أرسلنا ﴿**إِلَى مَدْيَنَ أَخاهُم شُعَيبًا. قالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ**﴾: وحِّدوه ـ ﴿**مالكُم مِن إلٰهٍ غَيرُهُ ـ ولا تَنقُصُوا المِكيالَ والمِيزانَ ـ إِنِّيَ أَراكُم بِخَيرٍ**﴾: نِعمةٍ تُغنيكم عن التطفيف، ﴿**وإِنِّي أَخافُ عليكُم**﴾، إن لم تُؤمنوا، ﴿**عَذابَ يَومٍ مُحِيطٍ**﴾ بكم يُهلككم ووصفُ اليوم به مجاز، لوقوعه فيه[2] ـ

(٨٥) ـ ﴿**ويا قَومِ، أَوفُوا المِكيالَ والمِيزانَ**﴾: أتمّوهما ﴿**بِالقِسطِ**﴾: بالعدل، ﴿**ولا تَبخَسُوا النّاسَ أشياءَهُم**﴾: لا تَنقُصوهم[3] من حقّهم شيئًا، ﴿**ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ**﴾ بالقتل وغيره. من: عَثِيَ، بكسر المُثلّثة: أفسدَ. ومفسدين: حال مؤكِّدة لمعنى عاملها: تعثَوا. (٨٦) ـ ﴿**بَقِيَّةُ اللهِ**﴾: رِزقُه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿**خَيرٌ لَكُم**﴾ من البخس، ﴿**إن كُنتُم مُؤمِنِينَ، وما أنا عليكُم بِحَفِيظٍ**﴾: رقيبٍ أُجازيكم بأعمالكم، إنما بُعثتُ نذيرًا.

(٨٧) ـ ﴿**قالُوا**﴾ له استهزاء: ﴿**يا شُعَيبُ، أَصَلَواتُكَ تأمُرُكَ**﴾ بتكليفِ ﴿**أن نَترُكَ ما يَعبُدُ آباؤُنا**﴾ من الأصنام، ﴿**أو**﴾ نترك ﴿**أن نَفعلَ في أموالِنا ما نَشاءُ**﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل، لا يدعو إليه داعي خير. ﴿**إنَّكَ لَأنتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾. قالوا ذلك[4] استهزاءً.

(٨٨) ـ ﴿**قالَ: يا قَومِ، أَرَأيتُم إن كُنتُ على بَيِّنَةٍ مِن رَبِّي، ورَزَقَنِي مِنهُ رِزقًا حَسَنًا**﴾: حلالًا[5]، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿**وما أُرِيدُ أن أُخالِفَكُم**﴾: وأذهبَ ﴿**إلى ما أنهاكُم عَنهُ**﴾ فأرتكبَه ـ ﴿**إن**﴾: ما ﴿**أُرِيدُ إلّا الإصلاحَ**﴾ لكم بالعدل ﴿**ما استَطَعتُ، وما تَوفِيقِيَ**﴾: قُدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿**إلّا بِاللهِ. عليهِ تَوَكَّلتُ، وإلَيهِ أُنِيبُ**﴾: أرجعُ ـ.........................

﴿سجيل﴾: طينٍ طُبِخَ بالنَّارِ كالفخَّارِ. ﴿منضود﴾: مُتتابعٍ أو مجموعٍ مُعَدٍّ للعذابِ. ﴿مسوّمةً﴾: معلَمةً للعذابِ. ﴿أراكم بخير﴾: بسَعةٍ تُغنيكم عنِ التَّطفيفِ. ﴿يوم مُحيط﴾: مُهلكٍ. ﴿بالقسط﴾: بالعدلِ بلا زيادةٍ ولا نُقصانٍ. ﴿لا تبخسوا﴾: لا تنقصوا. ﴿لا تعثوا﴾: لا تُفسدوا أشدَّ الإفسادِ. ﴿بقيّة الله﴾: ما أبقاهُ لكُم مِنَ الحلالِ. ﴿بحفيظ﴾: برقيبٍ فأجازيكُم بأعمالِكُم. ﴿أرأيتم﴾: أخبِرُوني. ﴿بيّنة﴾: هدايةٍ وبصيرةٍ.

---

(١) فأسندَ إلى نفسِهِ من حيثُ إنَّه المسببُ تعظيماً للأمرِ. (الجمالين).

(٢) والمرادُ: عذابُ يومِ القيامةِ، أو عذابُ الاستئصالِ. (الجمالين).

(٣) تعميمٌ بعدَ تخصيصٍ؛ فإنَّه أعمُّ مِن أن يكُونَ في المقدارِ أو في غيرِه كالمعدُودِ والمذرُوعِ والثَّمنِ، وكالخيانةِ والسَّرقةِ والغصْبِ. (الجمالين).

(٤) وقصدُوا وصفَهُ بضدِّ ذلك مِن السَّفهِ والضَّلالِ. (الجمالين).

(٥) والضَّميرُ في ﴿منه﴾ للهِ تعالى؛ أي: مِن عندِه وبإعانتِهِ بلا كدٍّ منِّي في تحصيلِهِ. (الجمالين).

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ
مُحِيطٞ ٩٢ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ
سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ
وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا
شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤
كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧

٨٩ - ﴿**ويا قومِ، لا يجرِمَنَّكُم**﴾: يُكسِبَنَّكم ﴿**شِقاقِي**﴾: خِلافي، فاعلُ «يَجرِم» والضمير مفعول أوّل، والثاني: ﴿**أن يُصِيبَكُم مِثلُ ما أصابَ قَومَ نُوحٍ، أو قَومَ هُودٍ أو قَومَ صالِحٍ**﴾ من العذاب - ﴿**وما قومُ لُوطٍ**﴾ أي: منازلُهم أو زمنُ هلاكهم ﴿**مِنكُم بِبَعِيدٍ**﴾. فاعتبروا - ٩٠ - ﴿**واستَغفِرُوا رَبَّكُم، ثُمَّ تُوبُوا إلَيهِ، إنَّ رَبِّي رَحِيمٌ**﴾ بالمُؤمنين ﴿**وَدُودٌ**﴾: مُحبٌّ لهم.

٩١ - ﴿**قالُوا**﴾ إيذانًا بقِلّة المُبالاة: ﴿**يا شُعَيبُ، ما نَفقَهُ**﴾: نفهم[1] ﴿**كَثِيرًا مِمّا تَقُولُ، وإنّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفًا**﴾: ذليلاً، ﴿**ولَولا رَهطُكَ**﴾: عشيرتك ﴿**لَرَجَمْناكَ**﴾ بالحجارة، ﴿**وما أنتَ عَلَينا بِعَزِيزٍ**﴾: كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعِزّة[2].

٩٢ - ﴿**قالَ: يا قَومِ، أرَهطِيَ أعَزُّ عَلَيكُم مِنَ اللهِ**﴾، فتتركون قتلي لأجلهم ولا تحفظوني للهِ، ﴿**واتَّخَذتُمُوهُ**﴾ أي: الله ﴿**وَراءَكُم ظِهرِيًّا**﴾: منبوذًا[3] خلف ظُهوركم، لا تُراقبونه؟ ﴿**إنَّ رَبِّي بما تَعمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ عِلمًا فيُجازيكم.

٩٣ - ﴿**ويا قَومِ، اعمَلُوا على مَكانَتِكُم**﴾: حالتِكم - ﴿**إنِّي عامِلٌ**﴾ على حالتي. ﴿**سَوفَ تَعلَمُونَ مَن**﴾: موصولة مفعول العِلم ﴿**يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ومَن هُوَ كاذِبٌ - وارتَقِبُوا**﴾: انتظروا عاقبة أمركم. ﴿**إنِّي مَعَكُم رَقِيبٌ**﴾: منتظر.

٩٤ - ﴿**ولَمّا جاءَ أمرُنا**﴾ بإهلاكهم ﴿**نَجَّينا شُعَيبًا والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمةٍ مِنّا، وأخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ**﴾ صاحَ بهم جبريل، ﴿**فأصبَحُوا في دِيارِهِم جاثِمِينَ**﴾ باركين على الرُّكب ميّتِينَ، ٩٥ - ﴿**كأنْ**﴾: مُخفّفةٌ أي: كأنّهم ﴿**لَم يَغنَوا**﴾: يُقيموا ﴿**فِيها. ألا بُعدًا لِمَديَنَ كما بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾.

٩٦ - ﴿**ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ**﴾: برهانٍ بيّنٍ ظاهرٍ[4] ٩٧ - ﴿**إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ، فاتَّبَعُوا أمرَ فِرعَونَ، وما أمرُ فِرعَونَ بِرَشِيدٍ**﴾: سديدٍ[5].

﴿لا يجرمنّكم﴾: لا يكسبَنَّكُم أو لا يحملنَّكُم. ﴿وراءكم ظهريًّا﴾: منبوذاً وراءَ ظهورِكُم منسيّاً. ﴿مكانتكم﴾: غايةِ تمكُّنِكُم مِن أمرِكُم. ﴿ارتقبوا﴾: انتظروا العاقبةَ والمآلَ. ﴿الصّيحة﴾: صوتٌ مِنَ السَّماءِ مُهلكٌ مُرجفٌ. ﴿جاثمين﴾: هامدينَ ميِّتِينَ لا يتحرّكونَ. ﴿لم يغنوا فيها﴾: لم يُقيموا فيها طويلاً في رغدٍ. ﴿بُعداً لمدين﴾: هلاكاً وسُحقاً لهُم. ﴿بعدت ثمود﴾: هلكَتْ مِن قبلُ. ﴿سُلطان مبين﴾: بُرهانٍ بيِّنٍ على صدقِ رسالتِه.

(١) كوجُوبِ التَّوحيدِ وحُرمةِ البَخسِ، أو ما نفهَم صحَّةَ ما تقولُ؛ إذ كيفَ لا ينفَهِم وهو خطيبُ الأنبياءِ؟! (الجمالين).

(٢) عندَنا لكونِهم على ملّتِنا، لا لخوفٍ مِن شوكتِهم؛ فإنَّ الرَّهطَ من الثَّلاثةِ إلى العَشَرةِ. (الجمالين).

(٣) كالمَنْسِيِّ المنبوذِ، و﴿ظِهريًّا﴾ منسُوبٌ إلى الظَّهرِ والكسرِ من تغييراتِ النَّسبِ. (الجمالين).

(٤) هو العصا، وإفرادُها لأنَّها أبهرُها، والمرادُ بالآياتِ: المعجزاتُ، وقولُ البيضاويِّ: بالتَّوراةِ. غيرُ صحيحٍ؛ إذ نزُولُها إنَّما كان بعدَ هلاكِ فرعونَ؛ لقولِه تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأُولى﴾ [القصص: ٤٣] أي: فرعونَ وقومَه. (الجمالين).

(٥) أي: بمُرشِدٍ، أو ذي رُشدٍ، وإنَّما هو غَيٌّ محضٌ وضلالٌ صريحٌ. (الجمالين).

يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ
ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ
ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ
مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ
أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾
وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ
إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي
ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾

(٩٨) ـ ﴿يَقۡدُمُ﴾: يتقدّم ﴿قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، فيتبعونه كما اتّبعوه في الدنيا، ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ﴾: أدخلَهم ﴿ٱلنَّارَ، وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ هي[1]!

(٩٩) ـ ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعۡنَةٗ، وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لعنةً، ﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ﴾: العونُ ﴿ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ رِفدُهم[2]!

(١٠٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبرُه: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ، نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿مِنۡهَا﴾ أي: القُرى ﴿قَآئِمٞ﴾: هَلَكَ أهلُه دونه، ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٞ﴾: هلَكَ بأهلِه فلا أثر له كالزرع المحصود بالمَناجل.

(١٠١) ـ ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالشِّرك، ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ﴾: دفعتْ ﴿عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيۡءٖ! لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: عذابُه، ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: تخسير.

ربع الحزب ٢٤

(١٠٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مِثلُ ذلك الأخذِ ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ، إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ ـ أُريدَ أهلُها ـ ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ بالذنوب، أي: فلا يُغني عنهم من أخذِه شيء. ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾. روى الشيخان عن أبي مُوسَى الأشعريّ قال[3]: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيُملي لِلظّالِمِ، حَتّى إذا أخَذَهُ لم يُفلِتْهُ»، ثم قرأ ﷺ: «وكَذلِكَ أخذُ رَبِّكَ» الآية (١٠٣) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ من القِصص ﴿لَأٓيَةٗ﴾: لَعِبرةً ﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ. ذَٰلِكَ﴾ أي: يومُ القيامة ﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ﴾ فيه ﴿ٱلنَّاسُ، وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾: يشهده جميع الخلائق، (١٠٤) ـ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾: لوقت معلوم عند الله.

(١٠٥) ـ ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ ذلك اليومُ ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين ـ ﴿نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ تعالى. ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ أي: الخلقِ ﴿شَقِيّٞ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٞ﴾، كُتب كُلٌّ في الأزل.

(١٠٦) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ في عِلمه ـ تعالى ـ ﴿فَفِي ٱلنَّارِ، لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾: صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾: صوت ضعيف، (١٠٧) ـ (١٠٨) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: مُدّةَ دوامهما في الدنيا، ﴿إِلَّا﴾: غيرَ ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مُدّتهما ممّا لا مُنتهى له، والمعنى: خالدين فيها أبدًا ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ـ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سَعِدُواْ﴾، بفتح السين وضمّها، ﴿فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ، إِلَّا﴾: غيرَ ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدَم، ودلّ عليه فيهم قوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾: مقطوع. وما تقدّم من التأويل هو الذي ظهر، وهو خالٍ من التكلف. والله أعلم بمُراده.

﴿يقدُم قومه﴾: يتقدَّمُهم كما يتقدّمُ الواردُ. ﴿فأوردهم النّار﴾: أدخلَهُم فيها بكفرِهِ وكفرِهِم. ﴿الورد المورود﴾: المدخلُ المدخولُ فيهِ وهوَ النّارُ. ﴿الرّفد المرفود﴾: العطاءُ المُعطى لهُم وهوَ اللّعنةُ. ﴿حصيد﴾: عافي الأثرِ، كالزّرعِ المحصودِ. ﴿غير تتبيب﴾: غيرَ تخسيرٍ وإهلاكٍ. ﴿زفير﴾: إخراجٌ شديدٌ للنَّفَسِ مِنَ الصَّدرِ. ﴿شهيق﴾: ردُّ النَّفَسِ إلى الصّدرِ. ﴿غير مجذوذ﴾: غيرَ مقطوعٍ عنهُم.

(١) أي: بئسَ الموردُ الّذي وردوه فإنّه يُرادُ لتبريدِ الأكبادِ، وتسكينِ العطشِ، والنّارُ بالضِّدِّ. (الجمالين).

(٢) أي: بئسَ العونُ المعانُ، والعطاءُ المعطَى، والمخصُوصُ بالذّمِّ محذوفٌ؛ أي: رِفدُهُم؛ وهو اللّعنةُ في الدّارين. (الجمالين).

(٣) البخاري (٤٧٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ
﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ
لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(١٠٩) ـ ﴿**فلا تَكُ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**في مِرْيةٍ**﴾: شكٍّ ﴿**مِمّا يَعبُدُ هؤُلاءِ**﴾ من الأصنام، أنما نُعذّبهم كما عذّبنا مَن قبلهم. وهذا تسلية للنبيِّ. ﴿**ما يَعبُدُونَ إلّا كَما يَعبُدُ آباؤُهُم**﴾ أي: كعِبادتهم ﴿**مِن قَبلُ**﴾، وقد عذّبناهم، ﴿**وإنّا لَمُوَفُّوهُم**﴾ مِثلهم ﴿**نَصِيبَهُم**﴾: حظّهم من العذاب ﴿**غَيرَ مَنقُوصٍ**﴾ أي: تامًّا.

(١١٠) ـ ﴿**ولَقد آتينا مُوسَى الكِتابَ**﴾: التوراة، ﴿**فاختُلِفَ فِيهِ**﴾ بالتصديق والتكذيب كالقُرآن ـ ﴿**ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ**﴾ بتأخير الحِساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿**لَقُضِيَ بَينَهُم**﴾ في الدنيا، فيما اختلفوا فيه ـ ﴿**وإنَّهُم**﴾، أي: المكذّبين به، ﴿**لَفِي شَكٍّ مِنهُ مُرِيبٍ**﴾: مُوقع في الرِّيبة،

(١١١) ـ ﴿**وإنَّ**﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿**كُلًّا**﴾ أي: كُلَّ الخلائق ﴿**لَما**﴾ ـ ما: زائدةٌ، واللام: مُوطّئةٌ لقسم مُقدّر، أو فارقةٌ. وفي قراءة بتشديد «لَمّا» بمعنى: إلّا. فإنْ: نافيةٌ ـ ﴿**لَيُوَفِّيَنَّهُم رَبُّكَ أعمالَهُم**﴾ أي: جزاءها. ﴿**إنَّهُ بِما يَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾: عالم ببواطنه كظواهره.

(١١٢) ـ ﴿**فاستَقِمْ**﴾ على العمل بأمر ربّك والدُّعاء إليه ﴿**كَما أُمِرْتَ، و**﴾ ليستقم ﴿**مَن تابَ**﴾: آمن ﴿**مَعَكَ، ولا تَطغَوا**﴾: تُجاوِزوا حُدود الله ـ ﴿**إنَّهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ فيُجازيكم به ـ (١١٣) ـ ﴿**ولا تَركَنُوا**﴾: تَميلوا ﴿**إلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ بمودّة أو مُداهنة أو رضًا بأعمالهم، ﴿**فتَمَسَّكُمُ**﴾: تُصيبَكم ﴿**النّارُ، وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيره ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**أولِياءَ**﴾ يحفظونكم منه، ﴿**ثُمَّ لا تُنصَرُونَ**﴾: تُمنعون من عذابه.

(١١٤) ـ ﴿**وأقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ**﴾: الغداةَ والعشيَّ، أي: الصُّبحَ والظهرَ والعصر، ﴿**وزُلَفًا**﴾: جمعُ زُلْفةٍ أي: طائفةٍ ﴿**مِنَ اللَّيلِ**﴾، أي: المغربَ والعِشاءَ ـ ﴿**إنَّ الحَسَناتِ**﴾، كالصلوات الخمس، ﴿**يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ**﴾: الذنوبَ الصغائر. نزلتْ فيمن قَبّلَ أجنبيّةً فأخبره ﷺ، فقال: ألِيَ هذا؟ قال: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِم». رواه الشيخان[1]. ﴿**ذَلِكَ ذِكرَى لِلذّاكِرِينَ**﴾: عِظةٌ للمُتّعظين ـ (١١٥) ـ ﴿**واصبِرْ**﴾، يا مُحمّد، على أذى قومك أو على الصلاة. ﴿**فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ**﴾ بالصبر على الطاعة.

(١١٦) ـ (١١٧) ـ ﴿**فلَولا**﴾: فهلّا ﴿**كانَ مِنَ القُرُونِ**﴾: الأُممِ الماضية ﴿**مِن قَبلِكُم أُولُو بَقِيّةٍ**﴾: أصحابُ دِين وفضل، ﴿**يَنهَونَ عَنِ الفَسادِ في الأرضِ**﴾، المُرادُ به النفيُ أي: ما كان فيهم ذلك، ﴿**إلّا**﴾: لكنّ ﴿**قَلِيلاً مِمَّن أنجَينا مِنهُم**﴾ نهَوا فنجَوا ـ ومِن: للبيان ـ ﴿**واتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ بالفساد وتركِ النهي ﴿**ما أُترِفُوا**﴾: نَعِموا ﴿**فِيهِ، وكانُوا مُجرِمِينَ، وما كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرَى بِظُلمٍ**﴾ منه لها، ﴿**وأهلُها مُصلِحُونَ**﴾: مُؤمنون.

(١١٨) ـ ﴿**ولَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً واحِدةً**﴾: أهلَ دِين واحد، ﴿**ولا يَزالُونَ مُختَلِفِينَ**﴾ في الدِّين ـ (١١٩) ـ ﴿**إلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ**﴾: أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه. ﴿**ولِذلِكَ خَلَقَهُم**﴾ أي: أهلَ الاختلاف له وأهلَ الرحمة لها، ﴿**وتَمَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ**﴾، وهي ﴿**لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ**

﴿مُريب﴾: موقعٍ في الرِّيبةِ وقلقِ النَّفس. ﴿لا تطغوا﴾: لا تُجاوزوا ما حدَّهُ اللهُ لكُم. ﴿لا تركنوا..﴾: لا تَمِلْ قلوبُكُم بالمحبَّةِ. ﴿زُلفاً من الليل﴾: ساعاتٍ منهُ قريبةً مِنَ النَّهارِ. ﴿ذكرى للذّاكرين﴾: عِظةٌ للمُتَّعظينَ. ﴿القرون﴾: الأُمَم. ﴿أولوا بقية﴾: أصحابُ فضلٍ وخيرٍ. ﴿ما أُترفوا فيه﴾: ما أُنعِموا فيهِ مِنَ الخصبِ والسَّعةِ.

(١) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٣١١٥) من حديث أبي اليسر قال: «أتتني امرأة تبتاع تمراً...» فذكره، قال الترمذي: «حسن غريب، وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره». وللحديث روايات كثيرة في السنن والمسانيد.

﴿الجِنَّةِ﴾: الجنّ ﴿والنّاسِ أجمَعِينَ﴾. ﴿١٢٠﴾ ـ ﴿وكُلًّا﴾ نُصب بـ «نقصّ»، وتنوينه عوضٌ من المضاف إليه، أي: كلَّ ما يُحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ الرُّسُلِ، ما﴾: بدل من «كلًّا» ﴿نُثَبِّتُ﴾: نُطَمْئِنُ ﴿بِهِ فُؤادَكَ﴾: قلبك، ﴿وجاءَكَ في هذِهِ﴾: الأنباءِ أو الآياتِ ﴿الحَقُّ ومَوعِظةٌ وذِكرَى لِلمُؤمِنِينَ﴾. خُصّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكُفّار.

﴿١٢١﴾ ـ ﴿وقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ: اعمَلُوا علَى مَكانَتِكُم﴾: حالتكم ـ ﴿إنّا عامِلُونَ﴾ على حالتنا، تهديدٌ لهم ـ ﴿١٢٢﴾ ـ ﴿وانتَظِرُوا﴾ عاقبة أمركم. ﴿إنّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

﴿١٢٣﴾ ـ ﴿ولِلهِ غَيبُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: عِلمُ ما غاب فيهما، ﴿وإلَيهِ يَرجِعُ﴾، بالبناء للفاعل: يَعودُ، وللمفعول: يُردّ ﴿الأمرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم ممّن عصى. ﴿فاعبُدْهُ﴾: وحِّده، ﴿وتَوَكَّلْ علَيهِ﴾: ثِقْ به. فإنه كافيكَ. ﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾، وإنّما يُؤخّرهم لوقتهم. وفي قراءة بالفوقانيّة.

***

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

﴿١٢﴾

سُورَةُ يُوسُفَ[1]

مكية، مِائةٌ وإحدى عشْرَةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلكَ﴾: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآن ـ والإضافةُ بمعنى: مِن ـ ﴿المُبِينِ﴾: المُظهِرِ الحقَّ من الباطل. ﴿٢﴾ ـ ﴿إنّا أنزَلْناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب، ﴿لَعَلَّكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿تَعقِلُونَ﴾: تفقهون معانيَه.

﴿٣﴾ ـ ﴿نحنُ نَقُصُّ عليكَ أحسَنَ القَصَصِ[2] بما أوحَينا﴾: بإيحائنا ﴿إلَيكَ هذا القُرآنَ، وإنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: وإنّه ﴿كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلِينَ﴾.

﴿تمّت﴾: وجبَتْ وثبتَت. ﴿مكانتكم﴾: غايةِ تمكُّنِكم مِن أمرِكم.
﴿نقُصّ عليك﴾: نُحدِّثُكَ أو نبيِّنُ لكَ يا محمدُ.

(١) روي أنَّ الصَّحابةَ قالوا: يا رسولَ الله، لو يُنزِّلُ الله سورةً ليس فيها أمرٌ ولا نهيٌ ولا وَعدٌ ولا وعيدٌ؛ فتتنزَّهَ بقراءتِها، وتنفتحَ بها قلوبُنا، فأنزلَ الله هذه السُّورةَ. «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٧٨)، و«لباب التفاسير» للكرماني (٤/ ٣٣٠).

ورُوِيَ أيضًا: أنَّ علماءَ اليهودِ قالوا لأصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ: سَلُوا صاحبَكُم محمَّدًا؛ لِماذا انتقَلَ يعقوبُ من أرضِ كنعانَ إلى مِصرَ؟ فأنزَلَ الله هذه السُّورةَ. «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٧)، و«لباب التفاسير» (٤/ ٣٣٠). ورُوِيَ أيضًا: أنَّ اليهودَ افتخرَتْ بأنَّ في كتابنا قصَّةَ يوسفَ، وليس ذلك في كتابِكُم، فأنزَلَ الله قصّةَ يوسفَ في سورةٍ واحدةٍ على أحسنِ ترتيبٍ وأعجَبِ نظامٍ. «لباب التفاسير» (٤/ ٣٣٠).

(٢) عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رضيَ الله عنه قال: أُنزِلَ القرآنُ على رسولِ الله عليه السَّلامُ فتلاهُ عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسولَ الله، لو قصَصْتَ، فأنزَلَ الله هذه السُّورةَ، وفيها: ﴿نحن نقصّ عليك أحسن القصص﴾ فتلاهُ عليهم زمانًا، فقالوا: يا رسولَ الله، لو حدَّثتنا، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا﴾ [الزمر: ٢٣]. رواه البزار (١١٥٣)، وأبو يعلى (٧٤٠)، وابن حبان (٦٢٠٩)، والحاكم (٣٣١٩) وصححه، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩). وحسن إسناده الحافظ في «المطالب العالية» (٣٦٣٤). وعن ابن عباس مثله لكن بخصوص هذه الآية فقط، رواه الطبري (١٣/ ٧). وعن عون بن عبد الله: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ ملّةً فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ ثم ملوا ملَّةً أخرى فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصَص، فأنزل الله: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ إلى ﴿لمن الغافلين﴾. «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٥٣)، والطبري (١٣/ ٧).

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٦) ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ (٨)
ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ
وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ
لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ
ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ (١٠) قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ (١١) أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ (١٣) قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ (١٤)

(٤) ـ اذكرْ ﴿إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوبَ: ﴿يا أَبَتِ﴾ ـ بالكسرِ دلالةً على ياءِ الإضافةِ المحذوفة، والفتحِ دلالةً على ألفٍ محذوفةٍ قُلبت عن الياءِ ـ ﴿إِنِّي رأَيْتُ﴾ في المنامِ ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا والشَّمسَ والقَمَرَ رأَيْتُهم﴾، تأكيد، ﴿لِي ساجِدِينَ﴾. جُمِعَ بالياءِ والنونِ للوصفِ بالسجودِ الذي هو من صِفاتِ العُقلاء.

نصف الحزب ٢٤

(٥) ـ ﴿قالَ: يا بُنَيَّ، لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ على إخوَتِكَ، فيَكِيدُوا لَكَ كَيدًا﴾: يحتالوا في هلاكك حسدًا لعِلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمسَ أُمّك والقمرَ أبوك. ﴿إِنَّ الشَّيطانَ لِلإنسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوة.

(٦) ـ ﴿وكَذَلِكَ﴾: كما رأيتَ[1] ﴿يَجتَبِيكَ﴾: يختارك ﴿رَبُّكَ، ويُعَلِّمُكَ مِن تأويلِ الأحادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا، ﴿ويُتِمُّ نِعْمَتَهُ عليكَ﴾ بالنبوّة، ﴿وعلى آلِ يَعقُوبَ﴾: أولاده، ﴿كَما أتَمَّها﴾ بالنبوّة ﴿على أبَوَيكَ مِن قَبلُ إبراهِيمَ وإسحاقَ. إنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه بهم.

(٧) ـ ﴿لَقَد كانَ في﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وإخوَتِهِ﴾ ـ وهم أحدَ عشرَ ـ ﴿آياتٌ﴾: عِبرٌ ﴿لِلسّائِلِينَ﴾ عن خبرهم، (٨) ـ اذكرْ ﴿إذ قالُوا﴾ أي: بعضُ إخوةِ يُوسف لبعضهم: ﴿لَيُوسُفُ﴾: مبتدأ ﴿وأخُوهُ﴾: شقيقه بنيامِينُ ﴿أَحَبُّ﴾: خبرٌ ﴿إلَى أبِينا مِنّا، ونَحنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة[2]. ﴿إنَّ أبانا لَفِي ضَلالٍ﴾ خطإٍ ﴿مُبِينٍ﴾: بيّنٍ بإيثارهما[3] علينا. (٩) ـ ﴿اقتُلُوا يُوسُفَ، أوِ اطرَحُوهُ أرضًا﴾ أي: بأرض بعيدة، ﴿يَخْلُ لَكُم وَجهُ أبِيكُم﴾ بأن يُقبِلَ عليكم ولا يلتفتَ لغيركم، ﴿وتَكُونُوا مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ قتل يوسفَ أو طرحه ﴿قَومًا صالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا. (١٠) ـ ﴿قالَ قائِلٌ مِنهُم﴾ هو يَهوذَى: ﴿لا تَقتُلُوا يُوسُفَ، وألقُوهُ﴾: اطرحوه ﴿في غَيابَةِ الجُبِّ﴾: مُظلم البئر ـ وفي قراءة بالجمع ـ ﴿يَلتَقِطْهُ بَعضُ السَّيّارَةِ﴾: المُسافرين، ﴿إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفُوا بذلك.

(١١) ـ ﴿قالُوا: يا أبانا، مالَكَ لا تأمَنّا على يُوسُفَ، وإنّا لَهُ لَناصِحُونَ﴾: لقائمون بمصالحه؟ (١٢) ـ (١٣) ـ ﴿أرسِلْهُ مَعَنا غَدًا﴾ إلى الصحراء، ﴿نَرتَعْ ونَلعَبْ﴾، بالنون والياء فيهما: ننشط ونتّسع، ﴿وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ. قالَ: إنِّي لَيَحزُنُنِي أن تَذهَبُوا﴾ أي: ذهابُكم ﴿بِهِ﴾ لِفراقه، ﴿وأخافُ أن يأكُلَهُ الذِّئبُ﴾ ـ المُراد به الجنسُ، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ـ ﴿وأنتُم عَنهُ غافِلُونَ﴾: مشغولون. (١٤) ـ ﴿قالُوا: لَئِن﴾ ـ لام قسم ـ ﴿أكَلَهُ الذِّئبُ، ونَحنُ عُصبَةٌ﴾: جماعة، ﴿إنّا إذًا لَخاسِرُونَ﴾: عاجزون.

﴿يجتبيك﴾: يصطفيكَ بأمورٍ عظامٍ. ﴿تأويل الأحاديث﴾: تعبيرُ الرُّؤيا وتفسيرُها. ﴿نحن عُصبة﴾: جماعةٌ كُفاةٌ للقيامِ بأمرِهِ دونَها. ﴿ضلال مُبين﴾: خطأٌ بيِّنٌ في إيثارِهِما علينا. ﴿اطرحوه أرضاً﴾: ألقوهُ في أرضٍ بعيدةٍ عن أبيهِ. ﴿يخلُ لكم وجه أبيكم﴾: يخلصْ لكُم حبُّهُ وإقبالُهُ عليكُم. ﴿غيابة الجبّ﴾: ما غابَ وأظلمَ مِن قعرِ البئرِ. ﴿السَّيّارة﴾: المسافرينَ. ﴿يرتع﴾: يتَّسِعْ في أكلِ ما لذَّ وطابَ. ﴿يلعب﴾: يُسابقْ ويرمِ بالسِّهامِ.

(١) للنُّبوَّةِ والملكِ، أو لأمورٍ عظامٍ. (الجمالين).

(٢) أي: والحالُ أنَّ جماعةً أقوياءَ أحقُّ بالمحبَّةِ من صغيرَينِ لا كفايةَ بهمَا. (الجمالين).

(٣) أي: بتركِ التَّعديلِ، رُوِيَ: أنّه كانَ أحبَّ إليه لِمَا يرى فيه مِن المخايلِ، وكانَ إخوتُه يحسدُونَه، فلمَّا رأى الرُّؤيا ضاعَفَ له المحبَّةَ بحيثُ لم يصبِرْ عنه ساعةً فتبالغَ حَسدُهم حتَّى حملَهُم على التَّعرُّضِ له. (الجمالين).

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ
بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ
دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ
ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

فأرسلَه معهم، ﴿١٥﴾ ـ ﴿**فلمّا ذَهَبُوا بِهِ وأجمَعُوا**﴾: عزموا ﴿**أن يَجعَلُوهُ في غَيابَةِ الجُبِّ**﴾. وجواب «لمّا» محذوف، أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه، بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه ـ فلمّا وصل إلى نِصف البئر ألقوه ليموت، فسقط في الماء ثمّ أوى إلى صخرة، فنادوه فأجابهم لِظنّ رحمتهم، فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يَهوذَى ـ ﴿**وأوحَينا إلَيهِ**﴾ في الجُبّ وحيَ حقيقة، وله سبعَ عشْرةَ سنةً أو دونها، تطمينًا لقلبه: ﴿**لَتُنَبِّئَنَّهُم**﴾ بعد اليوم ﴿**بِأمرِهِم**﴾: بصنيعهم ﴿**هذا، وهُم لا يَشعُرُونَ**﴾ بك حالَ الإنباء.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٧﴾ ـ ﴿**وجاؤُوا أباهُم عِشاءً**﴾: وقتَ المساء ﴿**يَبكُونَ، قالُوا: يا أبانا، إنّا ذَهَبنا نَستَبِقُ**﴾: نرمي، ﴿**وتَرَكْنا يُوسُفَ عِندَ مَتاعِنا**﴾: ثيابنا، ﴿**فأكَلَهُ الذِّئبُ. وما أنتَ بِمُؤمِنٍ**﴾: بمُصدّق ﴿**لَنا، ولَو كُنّا صادِقِينَ**﴾ عِندك لاتّهمتنا في هذه القِصّة لمحبّة يوسف. فكيف وأنت تُسيء الظنّ بنا؟ ﴿١٨﴾ ـ ﴿**وجاؤُوا على قَمِيصِهِ**﴾ ـ محلُّه نصب على الظرفيّة ـ أي: فوقَه ﴿**بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾ أي: ذي كذِب، بأن ذبحوا سخلة ولطّخوه بدمها، وذَهِلوا عن شَقّه، وقالوا: إنه دمه. ﴿**قالَ**﴾ يعقوب لمّا رآه صحيحًا وعلم كذِبهم: ﴿**بَل سَوَّلَتْ**﴾: زيّنت ﴿**لَكُم أنفُسُكُم أمرًا**﴾ ففعلتموه به. ﴿**فَصَبرٌ جَمِيلٌ**﴾ لا جزعَ فيه. وهو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي: أمري. ﴿**واللهُ المُستَعانُ**﴾: المطلوب منه العونُ ﴿**على ما تَصِفُونَ**﴾: تذكرون من أمر يُوسف.

﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ـ ﴿**وجاءَتْ سَيّارةٌ**﴾: مُسافرون من مَدْيَنَ إلى مِصرَ، فنزلوا قريبًا من جُبّ يُوسف، ﴿**فأرسَلُوا وارِدَهُم**﴾ الذي يَرِدُ الماء ليستقي منه، ﴿**فأدلَى**﴾: أرسل ﴿**دَلوَهُ**﴾ في البئر، فتعلّق بها يُوسف فأخرجه. فلمّا رآه ﴿**قالَ: يا بُشرايَ**﴾ ـ وفي قراءة: «بُشرَى». وناداها مَجاز أي: احضُري فهذا وقتُك ـ ﴿**هذا غُلامٌ**﴾. فعلم به إخوته فأتَوهم، ﴿**وأسَرُّوهُ**﴾ أي: أخفَوا أمره جاعليه ﴿**بِضاعةً**﴾ بأن قالوا: هذا عبدُنا أبَق. وسكتَ يوسف خوفًا أن يقتلوه، ﴿**واللهُ عَلِيمٌ بِما يَعمَلُونَ، وشَرَوهُ**﴾: باعوه منهم ﴿**بِثَمَنٍ بَخسٍ**﴾: ناقص، ﴿**دَراهِمَ مَعدُودةٍ**﴾ عشرين أو اثنين وعشرين، ﴿**وكانُوا**﴾ أي: إخوتُه ﴿**فِيهِ مِنَ الزّاهِدِينَ**﴾. فجاءت به السيّارة إلى مِصرَ، فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارًا وزوجَي نعل وثوبين.

﴿٢١﴾ ـ ﴿**وقالَ الَّذِي اشتَراهُ مِن مِصرَ**﴾ ـ وهو قِطفير العزيزُ ـ ﴿**لامرأتِهِ**﴾ زَليخا: ﴿**أكرِمِي مَثواهُ**﴾: مُقامَه عِندنا، ﴿**عَسَى أن يَنفَعَنا، أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾. وكان حَصورًا.

﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما نجّيناه من القتل والجُبّ، وعطّفنا عليه قلب العزيز، ﴿**مَكَّنّا لِيُوسُفَ في الأرضِ**﴾: أرض مِصر حتّى بلغ ما بلغ، ﴿**ولِنُعَلِّمَهُ مِن تأوِيلِ الأحادِيثِ**﴾: تعبير الرؤيا. عطفٌ على مُقدّرٍ مُتعلِّقٍ بـ«مكّنّا» أي: لنُملّكه، أو الواو: زائدة ـ ﴿**واللهُ غالِبٌ على أمرِهِ**﴾، تعالى، لا يُعجزه شيء، ﴿**ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ وهم الكُفّار ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ذلك ـ ﴿٢٢﴾ ـ ﴿**ولَمّا بَلَغَ أشُدَّهُ**﴾، وهو ثلاثون سنة أو وثلاثٌ، ﴿**آتَيناهُ حُكمًا**﴾: حِكمة ﴿**وعِلمًا**﴾: فِقهًا في الدِّين، قبل أن يُبعث نبيًّا. ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كما جزيناه ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ**﴾ لأنفُسهم.

﴿أجمعوا﴾: عزموا وصمَّموا. ﴿نستبق﴾: نتنضلُ في الرَّمي بالسِّهامِ. ﴿سوّلت﴾: زيَّنَتْ وسهَّلَتْ. ﴿فصبر جميل﴾: لا شكوى فيهِ لغيرِ اللهِ تعالى. ﴿سيّارة﴾: رُفقةٌ مُسافرونَ مِن مدينَ لمصرَ. ﴿واردهم﴾: مَن يتقدَّمُ الرُّفقةَ ليستقيَ لهُم. ﴿فأدلى دلوه﴾: فأرسلَها في الجبِّ ليملأَها ماءً. ﴿أسرّوه﴾: أخفاهُ الواردُ وأصحابُهُ عن بقيّةِ الرُّفقةِ، أو أخفى إخوتُهُ أمرَهُ. ﴿بضاعة﴾: متاعاً للتِّجارةِ. ﴿شروه﴾: باعَهُ إخوتُهُ. أوِ السَّيَّارةُ. ﴿بثمن بخس﴾: ناقصٍ عنِ القيمةِ نُقصاناً ظاهراً. ﴿أكرمي مثواه﴾: اجعلي محلَّ إقامتِهِ كريماً مَرْضيّاً. ﴿غالب على أمره﴾: لا يقهرُهُ شيءٌ، ولا يدفعُهُ عنهُ أحدٌ. ﴿بلغ أشدّه﴾: مُنتهى شدَّةِ جسمِهِ وقوَّتِهِ.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ
وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا
ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ
قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ
أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ
هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

﴿٢٣﴾ ـ ﴿وراوَدَتْـهُ الَّتِـي هُـوَ فـي بَيتِها﴾ ـ هي زَليخـا ـ ﴿عَن نَفسِـهِ﴾ أي: طلبتْ منـه أن يُواقعَهـا، ﴿وغَلَّقَتِ الأبـوابَ﴾ للبيت، ﴿وقالَتْ﴾ لـه: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هَلُـمَّ. والـلام: للتبييـن وفـي قـراءة بكسـر الهـاء، وأخرى بضـمّ التـاء. ﴿قـالَ: مَعـاذَ اللهِ﴾: أعوذُ باللهِ من ذلـك! ﴿إنَّهُ﴾ أي: الذي اشـتراني ﴿رَبِّي﴾: سـيّدي، ﴿أحسَـنَ مَثْـوايَ﴾ مُقامـي فلا أخونـه فـي أهلـه. ﴿إنَّهُ﴾ أي: الشـأنَ ﴿لا يُفلِـحُ الظّالِمـونَ﴾: الزُّنـاة[1]. ﴿٢٤﴾ ـ ﴿ولَقَـد هَمَّـتْ بِـهِ﴾: قصـدتْ منـه الجمـاع، ﴿وهَـمَّ بِهـا﴾: قصـدَ ذلـك، ﴿لَـولا أن رأى بُرهـانَ رَبِّهِ﴾. قـال ابن عبّـاس: مُثِّـلَ لـه يعقـوب فضـرب صـدره[2]، فخرجـتْ شـهوته مـن أناملـه، وجـواب «لـولا» محـذوف.

﴿كَذلِـكَ﴾ أريناه البُرهان ﴿لِنَصـرِفَ عَنهُ السُّـوءَ﴾: الخِيانة ﴿والفَحشـاءَ﴾: الزنـى. ﴿إنَّـهُ مِـن عِبادِنـا المُخلَصِيـنَ﴾ فـي الطاعـة وفـي قـراءة بفتـح الـلام أي: المُختارين.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

﴿٢٥﴾ ـ ﴿واستَبَقا البابَ﴾: بادرَ إليه يُوسف للفِرار، وهي للتشبّث به، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها، ﴿وقَدَّتْ﴾: شقّت ﴿قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ، وألفَيا﴾: وجدا ﴿سَيِّدَها﴾: زوجها ﴿لَدَى البابِ﴾. فنزَّهت نفسَها، ثمّ ﴿قالَتْ: ما جَزاءُ مَن أرادَ بأهلِكَ سُوءًا﴾: زنًى ﴿إلّا أن يُسجَنَ﴾: يُحبس، أي: سَجنٌ، ﴿أو عَذابٌ أليمٌ﴾: مؤلم بأن يُضرب. ﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ـ ﴿قالَ﴾ يُوسف مُتبرِّئًا[3]: ﴿هِيَ راوَدَتْني عَن نَفسِي. وشَهِدَ شاهِدٌ مِن أهلِها﴾: ابنُ عمّها[4] ـ رُوي أنه كان في المَهد ـ فقال: ﴿إن كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾: قُدّامٍ[5] ﴿فصَدَقَتْ، وهُوَ مِنَ الكاذِبينَ، وإن كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾: خلفٍ ﴿فكَذَبَتْ، وهُوَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿فلَمّا رأى﴾ زوجُها ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قالَ: إنَّهُ﴾، أي: قولَكِ «ما جَزاءُ مَن أرادَ بأهلِكَ» إلى آخره، ﴿مِن كَيدِكُنَّ. إنَّ كَيدَكُنَّ﴾ ـ أيها النساءُ ـ ﴿عَظِيمٌ﴾. ثمّ قال: ﴿٢٩﴾ ـ يا ﴿يُوسُفُ، أعرِضْ عَن هذا﴾ الأمرِ ولا تذكرْه لئلّا يَشيع. ﴿واستَغفِرِي﴾ ـ يا زَليخا ـ ﴿لِذَنبِكِ. إنَّكِ كُنتِ مِنَ الخاطِئِينَ﴾: الآثمين. واشتهر الخبر وشاع، ﴿٣٠﴾ ـ ﴿وقالَ نِسوَةٌ في المَدِينَةِ﴾ مدينةِ مِصرَ: ﴿امرأةُ العَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها﴾: عبدَها ﴿عَن نَفسِهِ. قَد شَغَفَها حُبًّا﴾: تمييزٌ، أي: دخل حُبّه شغاف قلبها، أي: غِلافه. ﴿إنّا لنَراها في ضَلالٍ﴾: خطأٍ ﴿مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ بحُبّها إيّاه.

﴿راودته﴾: تَمحّلت لمُواقعتِهِ إيَّاها. ﴿هيت لك﴾: أقبِل، أسرعْ ـ إرادتي لكَ. ﴿معاذ الله﴾: أعوذُ باللهِ معاذاً ممَّا دعوتني إليهِ. ﴿همّ بها﴾: همَّ الطِّباعِ البشريَّةِ مع العصمةِ. ﴿المُخلصين﴾: المُختارينَ لطاعتِهِ أو لرسالتِهِ. ﴿استبقا الباب﴾: تسابقا إليهِ يريدُ الخروجَ وهيَ تمنعُهُ. ﴿قدّت قميصه﴾: قطعَتْهُ وشقَّتْهُ. ﴿ألفيا سيّدها﴾: وجدا زوجَها. ﴿شهد شاهد﴾: صبيٌّ في المهدِ أنطقَهُ اللهُ ببراءتِهِ. ﴿شغفها حُبًّا﴾: شقَّ حُبُّهُ سويداءَ قلبِها.

(١) فإنَّ الزِّنا ظلمٌ على الزَّاني والمزنيِّ بأهلِه، أو المجازونَ الحسنَ بالسَّيِّءِ. (الجمالين).

(٢) الطبري (١٣/ ٩٠).

(٣) أي: إنَّما قال ذلكَ دفعاً لِمَا عرَّضَته له، ولو لم تكذِبْ عليه لكتَمَ عليها. (الجمالين).

(٤) وقيلَ: ابنُ خالِها، وإنَّما ألقَى اللهُ الشَّهادةَ على لسَانِ أهلِهَا ليكونَ ألزمَ عليهَا. (الجمالين).

(٥) لأنَّه يدُلُّ على أنَّها قدَّتْ قميصَهُ من قُدَّامِهِ بالدَّفعِ عن نفسِهَا. (الجمالين).

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا
وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ
أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ
عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ
أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى
خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

(٣١) ـ ﴿فلمّـا سَـمِعَتْ بِمَكرِهِـنَّ﴾: غِيبتهنّ لها ﴿أرسَـلَتْ إليهِـنَّ، وأعتدَتْ﴾: أعـدّت ﴿لَهُـنَّ مُتَّـكَأً﴾: طعامًـا يُقطع بالسـكّين للاتّكاء عنده ـ وهـو الأُترُجّ ـ ﴿وآتَـتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ واحِـدةٍ مِنهُـنَّ سِـكِّينًا، وقالَتِ﴾ ليُوسـفَ: ﴿اخرُجْ عليهِـنَّ. فلمّـا رأينَـهُ أكبَرنَـهُ﴾: أعظمْنَـه، ﴿وقَطَّعْـنَ أيدِيَهُـنَّ﴾ بالسـكاكين، ولـم يشـعُرْنَ بالألـم لشُـغل قلوبهـنّ بيُوسـف، ﴿وقُلْنَ: حاشَ للـهِ﴾: تنزيهًا لـه! ﴿ما هـذا﴾ أي: يُوسـف ﴿بَشَـرًا، إنْ﴾: مـا ﴿هـذا إلّا مَلَـكٌ كَريـمٌ﴾ لِما حـواه مـن الحُسـن الـذي لا يكون عـادة في النّسـمة البشـريّة. وفـي الحديث أنّـه «أُعطِيَ شَـطرَ الحُسـنِ»[١].

(٣٢) ـ ﴿قالَـتْ﴾ امـرأة العزيـز لمّـا رأت مـا حـلّ بهـنّ: ﴿فذلِكُـنَّ﴾: فهـذا هـو ﴿الَّـذي لُمتُنَّني فِيـهِ﴾: فـي حُبّـه. بيـانٌ لعُذرهـا. ﴿ولَقَـد راوَدتُـهُ عَـن نَفسِـهِ، فاسـتَعصَمَ﴾: امتنـعَ. ﴿ولَئِـن لَـم يَفعَلْ ما آمُـرُهُ﴾ بـه ﴿لَيُسـجَنَنَّ، ولَيَكُونَنْ مِنَ الصّاغِرِيـنَ﴾: الذليليـن. فقلـن لـه: أطِعْ مَولاتَكَ.

(٣٣) ـ ﴿قالَ: ربِّ، السِّجنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمّا يَدعُونَنِيَ إلَيه. وإلّا تَصرِفْ عَنِّي كَيدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أَمِلْ ﴿إلَيهِنَّ، وأكُنْ﴾: أصِرْ ﴿مِنَ الجاهِلِينَ﴾: المُذنبِين. والقصد بذلك الدعاءُ فلذا قال تعالى: (٣٤) ـ ﴿فاستَجابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دُعاءه، ﴿فصَرَفَ عَنهُ كَيدَهُنَّ ـ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفعل ـ

(٣٥) ـ ﴿ثُمَّ بَدا﴾: ظهرَ ﴿لَهُم مِن بَعدِ ما رَأَوُا الآياتِ﴾ الدالّات على براءة يُوسف أن يسجنوه، دلّ على هذا: ﴿لَيَسجُنُنَّهُ حَتّى﴾: إلى ﴿حِينٍ﴾ ينقطعُ فيه كلام الناس، فسُجن.

(٣٦) ـ ﴿ودَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيانِ﴾: غُلامانِ للملك، أحدُهما ساقيه، والآخرُ صاحب طعامه، فرأياه يُعبّر الرؤيا، فقالا: لنَختبرَنّه[٢]. ﴿قالَ أحَدُهُما﴾ الساقي: ﴿إنِّيَ أرانِيَ أعصِرُ خَمرًا﴾ أي: عِنبًا، ﴿وقالَ الآخَرُ﴾ صاحبُ الطعام: ﴿إنِّيَ أرانِيَ أحمِلُ فَوقَ رأسِي خُبزًا، تأكُلُ الطَّيرُ مِنهُ. نَبِّئْنا﴾: خبِّرْنا ﴿بِتأوِيلِهِ﴾: بتعبيره. ﴿إنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾.

(٣٧) ـ ﴿قالَ﴾ لهما، مُخبِرًا أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لا يأتِيكُما طَعامٌ تُرزَقانِهِ﴾ في منامكما ﴿إلّا نَبَّأْتُكُما بِتأوِيلِهِ﴾ في اليقظة ﴿قَبلَ أن يأتِيَكُما﴾ تأويلُه. ﴿ذلِكُما مِمّا عَلَّمَنِي رَبِّيَ﴾. فيه حثّ على إيمانهما. ثمّ قوّاه بقوله: ﴿إنِّي تَرَكتُ مِلَّةَ﴾: دِينَ ﴿قَومٍ لا يُؤمِنُونَ باللهِ، وهُم بالآخِرةِ هُم﴾ ـ تأكيد ـ ﴿كافِرُونَ﴾.

﴿أعتدت لهن مُتكأً﴾: هيَّأَتْ لهُنَّ ما يتّكئنَ عليهِ. ﴿أكبرنه﴾: دهِشْنَ برؤيةِ جمالِهِ الرّائعِ. ﴿قطّعن أيديهن﴾: خدشْنَها بالسَّكاكينِ لفرطِ ذهولِهِنَّ ودهشتِهِنَّ. ﴿حاش لله﴾: تنزيهاً للهِ عنِ العجزِ عن خلقِ مثلِهِ. ﴿فاستعصم﴾: فامتنعَ امتناعاً شديداً وأبى. ﴿أصبوا إليهنّ﴾: أمِلْ إلى إجابتِهِنَّ. ﴿أعصر خمراً﴾: عنباً يؤولُ لخمرٍ أسقيهِ الملكَ. ﴿ذلكما﴾: التّأويلُ والإخبارُ بما يأتي.

(١) مسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) إشارة إلى أنهما سألاه من غيرِ أن يكونا رأيا شيئًا، رواه الطبري (١٣/ ١٥٣)، والحاكم (٨١٩٥) وصححه، عن ابن مسعود: الفتيان اللذان أتيا يوسف عليه الصلاة والسلام في الرؤيا إنما كانا تكاذبا فلما أوّلَ رؤياهما قالا: إنا كنا نلعب، قال يوسف: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾. وعن مجاهد أنهما رأيا حقيقة. الطبري (١٣/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٤٢).

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ٤١ وَقَالَ
لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ
٤٢ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣

٣٨ ـ ﴿**وَاتَّبَعتُ مِلَّةَ آبائِيَ، إبراهِيمَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ. ما كانَ**﴾: ينبغي ﴿**لَنا أن نُشرِكَ بِاللهِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ**﴾، لِعصمتنا. ﴿**ذلِكَ**﴾ التوحيد ﴿**مِن فَضلِ اللهِ عَلَينا وعلَى النّاسِ، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿**لا يَشكُرُونَ**﴾ الله فيشركون.

ثمّ صرّح بدعائهما إلى الإيمان، فقال: ٣٩ ـ ﴿**يا صاحِبَيِ**﴾ ساكِنَي ﴿**السِّجنِ، أأربابٌ مُتفَرِّقُونَ خيرٌ، أمِ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ خيرٌ؟ استفهام تقرير. ٤٠ ـ ﴿**ما تعبُدُونَ مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيره ﴿**إلّا أسماءً، سَمَّيتُمُوها**﴾: سمّيتم بها أصنامكم ﴿**أنتُم وآباؤُكُم، ما أنزَلَ اللهُ بِها**﴾: بعبادتها ﴿**مِن سُلطانٍ**﴾: حُجّةٍ[1] وبُرهان. ﴿**إنِ**﴾: ما ﴿**الحُكمُ**﴾: القضاء ﴿**إلّا للهِ**﴾ وحده، ﴿**أمَرَ ألّا تعبُدُوا إلّا إيّاهُ. ذلِكَ**﴾ التوحيد ﴿**الدِّينُ القَيِّمُ**﴾: المُستقيم، ﴿**ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ما يصيرون إليه، من العذاب، فيُشركون.

٤١ ـ ﴿**يا صاحِبَيِ السِّجنِ، أمّا أحَدُكُما**﴾ أي: الساقي فيخرج بعد ثلاث، ﴿**فَيَسقِي رَبَّهُ**﴾: سيّده ﴿**خَمرًا**﴾ على عادته ـ هذا تأويل رؤياه ـ ﴿**وأمّا الآخَرُ**﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿**فيُصلَبُ، فتأكُلُ الطَّيرُ مِن رأسِهِ**﴾. هذا تأويل رُؤياه. فقالا: ما رأينا شيئًا. فقال: ﴿**قُضِيَ**﴾: تمّ ﴿**الأمرُ الَّذي فِيهِ تَستَفتِيانِ**﴾: عنه سألتما، صدقتُما أم كذبتما. ٤٢ ـ ﴿**وقالَ لِلَّذِي ظَنَّ**﴾: أيقن[2] ﴿**أنَّهُ ناجٍ مِنهُما**﴾ وهو الساقي: ﴿**اذكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾: سيّدك[3]، فقل له: إنّ في السجن غُلامًا محبوسًا ظلمًا. فخرجَ ﴿**فأنساهُ**﴾ أي: الساقيَ ﴿**الشَّيطانُ ذِكرَ**﴾ يُوسفَ عند ﴿**رَبِّهِ، فلَبِثَ**﴾: مكثَ يُوسف ﴿**في السِّجنِ بِضعَ سِنِينَ**﴾ قيل: سبعًا، وقيل: اثنتي عشْرةَ[4].

٤٣ ـ ﴿**وقالَ المَلِكُ**﴾ ملكُ مصرَ الريّانُ بنُ الوليد: ﴿**إنِّي أرَى**﴾ أي: رأيتُ ﴿**سَبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ، يأكُلُهُنَّ**﴾: يبتلعُهنّ ﴿**سَبعٌ**﴾ من البقر ﴿**عِجافٌ**﴾: جمع عَجفاءَ، ﴿**وسَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ، وأُخَرَ**﴾ أي: سبعَ سُنبلات ﴿**يابِساتٍ**﴾، قد التوتْ على الخُضر وعلت عليها. ﴿**يا أيُّها المَلأُ، أفتُونِي في رُؤيايَ**﴾: بيّنوا لي تعبيرها، ﴿**إن كُنتُم لِلرُّؤيا تَعبُرُونَ**﴾ فاعبرُوها.

﴿الدِّين القيِّم﴾: المُستقيمُ. أوِ الثّابتُ بالبراهين. ﴿عِجاف﴾: مهازيلُ جدًّا. ﴿تعبرون﴾: تعلمونَ تأويلَها وتفسيرَها.

(١) أي: إنّكم سمَّيتُم ما لم يدُلَّ على استحقاقِهِ الألوهيَّةَ عقلٌ ولا نقلٌ آلهةً، ثمّ أخذتُم تعبدُونَها باعتبارِ ما تُطلِقونَ عليها. (الجمالين).

(٢) الظّانُّ يوسفُ إنْ ذكرَ ذلك عن اجتهادٍ، وإنْ ذكرَه عن وحيٍ فالظّانُّ هو النّاجِي، إلاّ أنْ يُؤَوَّلَ الظَّنُّ باليقينِ. (الجمالين).

(٣) قال مجاهدٌ: أي: الملِكِ الأعظمِ ريَّانَ بنِ الوليدِ. (الجمالين).

(٤) وقيل: أربعَ عشرَ، والصَّحيحُ الأوَّلُ للحديثِ، ولأنَّ البضعَ ما بينَ الثّلاثِ إلى التِّسعِ، وفي «العجائب» للكِرمانيِّ أنّه لبثَ بكلِّ حرفٍ من قولِه: ﴿اذكرني عندَ ربِّكَ﴾ سنةً. وهو مطابقٌ للسُّنَّة. (الجمالين).

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ
فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ
سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ
عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾
قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ
لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ
ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٤﴾ ـ ﴿**قالوا**﴾: هذه ﴿**أضغاثُ**﴾: أخلاطُ ﴿**أحلامٍ**، وما نَحنُ بتأويلِ الأحلام بعالِمينَ﴾.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿**وقالَ الَّذِي نَجا مِنهُما**﴾ أي: من الفَتيَين وهو الساقي، ﴿**وادَّكَرَ**﴾ ـ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً، وإدغامها في الدال ـ أي: تذكّر ﴿**بعدَ أُمّةٍ**﴾: حينٍ حالَ يُوسفَ: ﴿**أنا أُنبِّئُكُم بتأويلِهِ. فأرسِلُونِ**﴾. فأرسَلوه فأتى يوسفَ، ﴿٤٦﴾ ـ فقال: يا ﴿**يُوسُفُ ـ أيُّها الصِّدِّيقُ**﴾: الكثيرُ الصِّدقِ[1] ـ ﴿**أفتِنا في سَبعِ بَقَراتٍ سِمانٍ، يأكُلُهنَّ سَبعٌ عِجافٌ، وسَبعِ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وأُخَرَ يابِساتٍ، لَعَلِّي أرجِعُ إلَى النّاسِ**﴾ أي: الملك وأصحابه، ﴿**لَعَلَّهُم يَعلَمُونَ**﴾ تعبيرَها.

﴿٤٧﴾ ـ ﴿**قالَ: تَزرَعُونَ**﴾ أي: ازرَعوا ﴿**سَبعَ سِنِينَ دَأَبًا**﴾: مُتتابعةً[2]، وهي تأويل السبع السِّمانِ ـ ﴿**فما حَصَدتُم فذَرُوهُ**﴾: اتركوه ﴿**في سُنبُلِهِ**﴾ لئلّا يَفسد ﴿**إلّا قَلِيلاً مِمّا تأكُلُونَ**﴾ فادرُسوه ـ ﴿٤٨﴾ ـ ﴿**ثُمَّ يأتِي مِن بَعدِ ذلِكَ**﴾ أي: السبعِ المُخصبات، ﴿**سَبعٌ شِدادٌ**﴾: مُجدِبات صِعاب ـ وهي تأويل السبع العجاف ـ ﴿**يأكُلْنَ ما قَدَّمتُم لَهُنَّ**﴾ من الحَبّ المزروع في السنينَ المُخصباتِ، أي: تأكلونه فيهنّ ﴿**إلّا قَلِيلاً مِمّا تُحصِنُونَ**﴾: تَدّخِرون، ﴿٤٩﴾ ـ ﴿**ثُمَّ يأتِي مِن بَعدِ ذلِكَ**﴾ أي: السبعِ المُجدبات ﴿**عامٌ، فِيهِ يُغاثُ النّاسُ**﴾ بالمطر، ﴿**وفِيهِ يَعصِرُونَ**﴾ الأعنابَ وغيرها لخِصبه.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿**وقالَ المَلِكُ**﴾ لمّا جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿**ائتُونِي بِهِ**﴾ أي: بالذي عبّرها. ﴿**فلَمّا جاءَهُ**﴾ أي: يُوسفَ ﴿**الرَّسُولُ**﴾ وطلبه للخروج ﴿**قالَ**﴾ قاصدًا إظهار براءته: ﴿**ارجِعْ إلَى رَبِّكَ، فاسألْهُ**﴾ أن يسأل: ﴿**ما بالُ**﴾: حالُ ﴿**النِّسوةِ اللّاتِي قَطَّعنَ أيدِيَهُنَّ؟ إنَّ رَبِّي**﴾: سيّدي ﴿**بِكَيدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾. فرجَع فأخبر الملك فجمعهنّ.

﴿٥١﴾ ـ ﴿**قالَ: ما خَطبُكُنَّ**﴾: شأنكنّ ﴿**إذ راوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَفسِهِ**﴾؟ هل وجدتُنّ منه مَيلاً إليكنّ؟ ﴿**قُلنَ: حاشَ لِلهِ! ما عَلِمْنا عَلَيهِ مِن سُوءٍ. قالَتِ امرأةُ العَزِيزِ: الآنَ حَصحَصَ**﴾: وضَحَ ﴿**الحَقُّ. أنا راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ، وإنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ**﴾ في قوله: «هِيَ راوَدَتْنِي عَن نَفسِي». فأُخبِرَ يُوسفُ بذلك، فقال: ﴿٥٢﴾ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: طلبُ البراءة ﴿**لِيَعلَمَ**﴾ العزيزُ ﴿**أنِّي لَم أخُنْهُ**﴾ في أهله ﴿**بِالغَيبِ**﴾: حالٌ، ﴿**وأنَّ اللهَ لا يَهدِي كَيدَ الخائنِينَ**﴾.

﴿أضغاث أحلام﴾: تخاليطُها وأباطيلُها. ﴿ادّكر بعد أمّة﴾: تذكّرَ بعدَ مدّةٍ طويلةٍ. ﴿دأباً﴾: دائبينَ كعادتِكُم في الزِّراعةِ. ﴿تُحصنون﴾: تخبؤونَهُ مِنَ البذرِ للزِّراعة. ﴿يُغاث النّاس﴾: يُمطرونَ فتخصبُ أراضيهم. ﴿يعصرون﴾: ما شأنُهُ أن يُعصرَ كالزَّيتونِ. ﴿ما بال النّسوة؟﴾: ما حالُهُنَّ ما شأنُهُنَّ ؟. ﴿ما خطبكنّ؟﴾: ما شأنُكُنَّ وأمرُكُنَّ ؟. ﴿حاش لله﴾: تنزيهاً للهِ وتعجيباً مِن عفّةِ يوسفَ. ﴿حصحص الحقّ﴾: ظهرَ وانكشفَ بعدَ خفاءٍ.

(١) وصفَهُ به لأنّه جرَّبَ أحوالَه، وجرَّبَ صدقَهُ في تأويلِ رؤياهُ وصاحبِه. (الجمالين).

(٢) قرأ حفصٌ بفتحِ الهمزةِ، وكلاهما مصدرُ دأَبَ في العملِ؛ أي: على عادتِكُم المستمرَّةِ، وانتصابُه على الحالِ؛ بمعنَى: دائبينَ، أو المصدرِ بإضمارِ فعلِه؛ أي: تدأَبُونَ دأباً، والجملةُ حالٌ. (الجمالين).

۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ
إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ
لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤
قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ
بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ وَلَأَجۡرُ
ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧ وَجَآءَ
إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ
٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا
تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي
بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
٦٢ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ
فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣

الجزء ١٣ الحزب ٢٥

ثم تواضع لله فقال: ٥٣ ـ ﴿**وما أُبَرِّئُ نَفسِيَ**﴾ من الزلل. ﴿**إنَّ النَّفسَ**﴾ الجنس ﴿**لأمَّارةٌ**﴾: كثيرة الأمر ﴿**بِالسُّوءِ، إلّا ما**﴾ بمعنى: مَن ﴿**رَحِمَ رَبِّيَ**﴾، فعصَمَه. ﴿**إنَّ رَبِّي غَفورٌ رَحِيمٌ**﴾.

٥٤ ـ ﴿**وقالَ المَلِكُ: ائْتوني بِهِ، أستَخلِصْهُ لِنَفسِي**﴾: أجعلْه خالصًا لي دُون شريك. فجاءه الرسول وقال: أجبِ الملكَ فقام وودّع أهل السجن ودعا لهم، ثمّ اغتسل ولبس ثِيابًا حِسانًا، ودخل عليه. ﴿**فلمّا كَلَّمَهُ قالَ**﴾ له: ﴿**إنَّكَ اليَومَ لَدَينا مَكِينٌ أمِينٌ**﴾: ذو مكانة وأمانة على أمرنا. فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمعِ الطعام وازرع زرعًا كثيرًا في هذه السنين المُخصِبة، وادّخرِ الطعام في سُنبله، فيأتي إليك الخلق ليمتاروا منك. فقال: ومَن لي بهذا؟ ٥٥ ـ ﴿**قالَ**﴾ يُوسف: ﴿**اجعَلْني على خَزائنِ الأرضِ**﴾ أرض مِصرَ. ﴿**إنّي حَفيظٌ عَليمٌ**﴾: ذو حِفظ وعِلم بأمرها، وقيل: كاتبٌ حاسب.

٥٦ ـ ٥٧ ـ ﴿**وكَذلِكَ**﴾: كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿**مَكَّنّا لِيُوسُفَ في الأرضِ**﴾ أرض مِصرَ، ﴿**يَتَبَوَّأُ**﴾: ينزل ﴿**مِنها حَيثُ يَشاءُ**﴾ بعد الضيق والحبس. وفي القِصّة أنّ الملك توّجَهُ وختّمهُ وولّاه مكان العزيز وعزلَه[1]. ومات بعدُ، فزوّجه امرأتَه فوجدها عذراء وولدتْ له ولدَين، وأقام العدل بمِصر ودانت له الرقاب. ﴿**نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَن نَشاءُ، ولا نُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ، ولَأجرُ الآخِرةِ خَيرٌ**﴾ من أجر الدنيا ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ**﴾. ودخلتْ سِنيُّ القحط وأصاب أرضَ كنعانَ والشامَ، ٥٨ ـ ﴿**وجاءَ إخوةُ يُوسُفَ**﴾ إلّا بِنيامِينَ ليمتاروا، لمّا بلغهم أن عزيز مِصر يُعطي الطعام بثمنه، ﴿**فدَخَلُوا عليهِ فعرَفَهُم**﴾ أنهم إخوته، ﴿**وهُم لَهُ مُنكِرُونَ**﴾ لا يعرفونه لبُعدِ عهدهم به وظنِّهم هلاكَه. فكلّموه بالعِبرانيّة، فقال كالمُنكِر عليهم: ما أقدمَكم بلادي؟ فقالوا: للمِيرة. فقال: لعلّكم عُيونٌ. قالوا: مَعاذَ اللهِ! قال: فمِن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعانَ، وأبونا يعقوبُ نبيُّ الله. قال: وله أولادٌ غيرُكم؟ قالوا: نعم كُنّا اثنَي عشَرَ فذهب أصغرنا، هلَكَ في البرّيّة، وكان أحبَّنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسَه ليتسلّى به عنه. فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

٥٩ ـ ٦٠ ـ ﴿**ولَمّا جَهَّزَهُم بِجَهازِهِم**﴾: وفَى لهم كيلهم ﴿**قالَ: ائْتوني بِأخٍ لَكُم مِن أبِيكُم**﴾ أي: بنيامِين، لأعلم صِدقكم فيما قلتم. ﴿**ألا تَرَونَ أنّي أُوفِي الكَيلَ**﴾: أُتمُّه من غير بخس، ﴿**وأنا خَيرُ المُنزِلِينَ؟ فإن لَم تأْتُوني بِهِ فلا كَيلَ لَكُم عِندِي**﴾ أي: مِيرةَ، ﴿**ولا تَقرَبُونِ**﴾ ـ نهيٌ أو عطف على محلّ «فلا كيل» ـ أي: تُحرَموا ولا تقربوا. ٦١ ـ ﴿**قالُوا: سَنُراوِدُ عَنهُ أباهُ**﴾: سنجتهد في طلبه منه، ﴿**وإنّا لَفاعِلُونَ**﴾ ذلك.

٦٢ ـ ﴿**وقالَ لِفِتيَتِهِ**﴾، وفي قراءة: «لِفِتيانِهِ»: غلمانه: ﴿**اجعَلُوا بِضاعَتَهُم**﴾ التي أتَوا بها ثمنَ المِيرة ـ وكانت دراهمَ ـ ﴿**في رِحالِهِم**﴾: أوعيتهم، ﴿**لَعَلَّهُم يَعرِفُونَها، إذا انقَلَبُوا إلَى أهلِهِم**﴾ وفرّغوا أوعيتهم، ﴿**لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ**﴾ إلينا لأنهم لا يستحلّون إمساكها.

٦٣ ـ ﴿**فلَمّا رَجَعُوا إلَى أبِيهِم قالُوا: يا أبانا، مُنِعَ مِنّا الكَيلُ**﴾، إن لم تُرسِل أخانا إليه. ﴿**فأرسِلْ مَعَنا أخانا، نَكتَلْ**﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿**وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ.**﴾.

﴿مكين﴾: ذو مكانةٍ رفيعةٍ ونفوذِ أمرٍ. ﴿يتبوّأ منها﴾: يتّخذُ منها مباءةً ومنزلاً. ﴿جهّزهم بجهازهم﴾: أعطاهُم ما هم في حاجةٍ إليهِ. ﴿بضاعتهم﴾: ثمنَ ما اشتروهُ مِنَ الطّعام. ﴿رحالهم﴾: أوعيتِهِمُ الّتي فيها الطّعامُ وغيرُهُ.

(١) رواه وهب بن منبه كما في «التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي (٨/ ٤٢٧).

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ
لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى
بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ
وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن
شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ
يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ
قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ
قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

(٦٤) ـ ﴿قالَ: هَل﴾: ما ﴿آمَنُكُم عليهِ إلّا كَما أمِنتُكُم على أخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبلُ﴾، وقد فعلتم به ما فعلتم؟ ﴿فاللهُ خيرٌ حِفظًا﴾، وفي قراءة: «حافِظًا» تمييزٌ كقولهم: لِلهِ درُّه فارسًا! ﴿وهُوَ أرحَمُ الرّاحِمينَ﴾. فأرجو أن يَمُنّ بحفظه.

(٦٥) ـ ﴿ولَمّا فتَحُوا مَتاعَهُم وَجَدُوا بِضاعتَهُم رُدَّتْ إلَيهِم. قالُوا: يا أبانا، ما نَبغِي﴾؟ ما: استفهامية، أي: أيَّ شيء نطلبُ من إكرام الملك أعظم من هذا؟ وقُرئ بالفوقانيّة خِطابًا ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم. ﴿هـذِهِ بِضاعتُنا رُدَّتْ إلَينا، ونَمِيرُ أهلَنا﴾: نأتي بالمِيرة لهم ـ وهي الطعام ـ ﴿ونَحفَظُ أخانا، ونَزدادُ كَيلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا. ﴿ذلِكَ كَيلٌ يَسِيرٌ﴾: سهل على الملك لسخائه.

(٦٦) ـ ﴿قالَ: لَن أُرسِلَهُ مَعَكُم حَتّى تُؤتُوني مَوثِقًا﴾: عهدًا، ﴿مِنَ اللهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأتُنَّنِي بِهِ إلّا أن يُحاطَ بِكُم﴾ أي: تموتوا أو تُغلبوا فلا تُطيقوا الإتيان به. فأجابوه إلى ذلك. ﴿فلَمّا آتَوهُ مَوثِقَهُم﴾ بذلك ﴿قالَ: اللهُ على ما نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾: شهيد. وأرسلَه معهم.

(٦٧) ـ ﴿وقالَ: يا بَنِيَّ، لا تَدخُلُوا﴾ مِصر ﴿مِن بابٍ واحِدٍ، وادخُلُوا مِن أبوابٍ مُتفَرِّقَةٍ﴾ لِئلّا تُصيبكم[1] العينُ، ﴿وما أُغنِي﴾: أدفعُ ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك ﴿مِنَ اللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ قدّره عليكم! وإنّما ذلك شفقةٌ. ﴿إنِ﴾: ما ﴿الحُكمُ إلّا لِلّهِ﴾ وحده، ﴿علَيهِ تَوَكَّلتُ﴾: به وثِقتُ، ﴿وعلَيهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ﴾.

(٦٨) ـ قال تعالى: ﴿ولَمّا دَخَلُوا مِن حَيثُ أمَرَهُم أبُوهُم﴾ أي: مُتفرّقين ﴿ما كانَ يُغنِي عَنهُم مِنَ اللهِ﴾، أي: قضائه[2]، ﴿مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ، إلّا﴾: لكن ﴿حاجَةً في نَفسِ يَعقُوبَ قَضاها﴾، هي إرادة دفع العين شفقةً، ﴿وإنَّهُ لَذُو عِلمٍ لِما عَلَّمناهُ﴾: لِتعليمِنا[3] إيّاه، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ إلهام الله لأوليائه.

(٦٩) ـ ﴿ولَمّا دَخَلُوا علَى يُوسُفَ آوَى﴾: ضمّ[4] ﴿إلَيهِ أخاهُ، قالَ: إنِّي أنا أخُوكَ. فلا تَبتَئِسْ﴾: تحزنْ ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من الحسد لنا. وأمره ألّا يُخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يُبقيه عنده.

﴿متاعهم﴾: طعامَهُم. أو رحالَهُم. ﴿ما نبغي؟﴾: ما نطلبُ مِنَ الإحسانِ بعدَ ذلكَ؟. ﴿نمير أهلنا﴾: نجلبُ لهُمُ الطَّعامَ مِن مصرَ. ﴿موثقاً﴾: عهداً مُؤكَّداً باليمينِ يوثَقُ بِهِ. ﴿يُحاط بكم﴾: تُغلبوا. أو تهلكوا جميعاً. ﴿وكيل﴾: مُضطلعٌ رقيبٌ. ﴿آوى إليه أخاه﴾: ضمَّ إليهِ أخاهُ الشَّقيقَ بنيامينَ. ﴿فلا تبتئس﴾: فلا تحزنْ.

(١) لأنّهم كانُوا ذَوِي جمالٍ وأُبّهةٍ مشهُورينَ في مصرَ بالقُربِ والكرامةِ عندَ الملكِ، فخافَ عليهِم أن يدخُلُوا كوكبةً واحدةً، فيُصابوا بالعينِ. (الجمالين).

(٢) عليهم، كما قالَ يعقوبُ، فسُرِّقُوا وأُخِذَ بنيامينُ، وتضاعفتِ المصيبةُ على يعقوبَ. (الجمالين).

(٣) بالوحيِ ونصبِ الحُجَجِ، ولذلك قال: ﴿وما أغني عنكم﴾ ولم يغترَّ بتدبيرِهِ. (الجمالين).

(٤) على الطَّعامِ، أو في المنزلِ، رويَ: أنّه أضافَهم، فأجلسَهُم مثنَى، فبقِيَ بنيامينُ وحيداً، فبكَى وقالَ: لو كان أخِي يوسُفُ حيًّا لجلسَ معي، فأجلسَه معهُ على مائدتِهِ، ثمَّ قال: لينزِلْ كلُّ اثنين منكُم بيتاً، وهذا لا ثانيَ له، فيكونُ معِي، فباتَ عندَه وقال: أتحبُّ أن أكونَ أخاكَ بدلَ أخيكَ الهالكِ؟ قال: مَن يجدُ أخاً مثلكَ؟ ولكن لم يلِدْكَ يعقوبُ ولا راحيلُ. (الجمالين).

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ
وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ
مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوا إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

(٧٠) ـ (٧١) ـ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِم جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ ـ هي صاعٌ من ذهب مُرصَّعٌ بالجوهر ـ ﴿فِي رَحلِ أَخِيهِ﴾ بنيامينَ، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يُوسف: ﴿أَيَّتُها العِيرُ﴾: القافلة، ﴿إِنَّكُم لَسارِقُونَ. قالُوا، وَ﴾ قد ﴿أَقبَلُوا عَلَيهِم: ماذا﴾: ما الذي ﴿تَفقِدُونَـ﴾ ـه؟ (٧٢) ـ ﴿قالُوا: نَفقِدُ صُواعَ﴾: صاعَ ﴿المَلِكِ، ولِمَن جاءَ بِهِ حِملُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام، ﴿وأَنا بِهِ﴾: بالحِمل ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل.

(٧٣) ـ ﴿قالُوا: تَاللهِ﴾ ـ قسمٌ فيه معنى التعجّب ـ ﴿لَقَد عَلِمتُم: ما جِئنا لِنُفسِدَ فِي الأَرضِ. وما كُنّا سارِقِينَ﴾: ما سرقنا قطُّ! (٧٤) ـ ﴿قالُوا﴾ أي: المُؤذِّنُ وأصحابه: ﴿فَما جَزاؤُهُ﴾ أي: السارق، ﴿إِن كُنتُم كاذِبِينَ﴾ في قولكم: «ما كُنّا سارِقِينَ»، ووُجِد فيكم؟ (٧٥) ـ ﴿قالُوا: جَزاؤُهُ﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحلِهِ﴾ يُستَرَقُّ. ثمّ أُكّد بقوله ﴿فَهُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزاؤُهُ﴾ أي: المسروقِ لا غيرُ. وكانت سُنّةَ آلِ يعقوبَ. ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿نَجزِي الظّالِمِينَ﴾ بالسرقة. فصُرفوا إلى يوسف لتفتيش أوعيتهم.

ربع الحزب ٢٥

(٧٦) ـ ﴿فَبَدَأَ بِأَوعِيَتِهِم﴾ ففتّشها ﴿قَبلَ وِعاءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يُتّهم، ﴿ثُمَّ استَخرَجَها﴾ أي: السقايةَ ﴿مِن وِعاءِ أَخِيهِ﴾. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيدِ ﴿كِدنا لِيُوسُفَ﴾: علّمناه الاحتيال في أخذ أخيه. ﴿ما كانَ﴾ يُوسف ﴿لِيَأخُذَ أَخاهُ﴾ رقيقًا عن السرقة، ﴿فِي دِينِ المَلِكِ﴾: حُكمِ ملكِ مِصر لأنّ جزاءه عِنده الضربُ وتغريمُ مِثلَي المسروقِ لا الِاسترقاقُ، ﴿إِلّا أَن يَشاءَ اللهُ﴾ أَخْذَه بحُكم أبيه، أي: لم يتمكّن من أخذه إلّا بمشيئة الله ـ تعالى ـ بإلهامه سُؤالَ إخوته وجوابِهم بسُنّتهم. ﴿نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ﴾ ـ بالإضافة والتنوين ـ في العِلم كيُوسف، ﴿وفَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلمُ منه حتّى ينتهي[1] إلى الله تعالى.

(٧٧) ـ ﴿قالُوا: إِن يَسرِق فَقَد سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبلُ﴾ أي: يوسفُ. وكان سرقَ لأبي أُمّه صنمًا من ذهب[2]، فكسره لئلّا يَعبده. ﴿فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفسِهِ، ولَم يُبدِها﴾: يُظهرْها ﴿لَهُم﴾. والضمير للكلمة[3] التي في قوله: ﴿قالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنتُم شَرٌّ مَكانًا﴾ من يُوسفَ وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظُلمكم له، ﴿واللهُ أَعلَمُ﴾: عالمٌ ﴿بِما تَصِفُونَ﴾: تذكرون من أمره.

(٧٨) ـ ﴿قالُوا: يا أَيُّها العَزِيزُ، إِنَّ لَهُ أَبًا شَيخًا كَبِيرًا﴾ يُحبّه أكثرَ منّا، ويتسلّى به عن ولده الهالك، ويُحزنه فِراقه. ﴿فَخُذ أَحَدَنا﴾: استعبدْه ﴿مَكانَهُ﴾: بدلاً منه. ﴿إِنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾ في أفعالك[4].

﴿السِّقاية﴾: إناءٌ مِن ذهبٍ للشُّربِ اتُّخِذَ للكيلِ. ﴿أذّن مؤذن﴾: نادى مُنادٍ وأعلمَ مُعلِمٌ. ﴿العير﴾: القافلةُ فيها الأحمالُ. ﴿صواع الملك﴾: صاعهُ «مكيالُهُ»، وهوَ السِّقايةُ. ﴿زعيم﴾: كفيلٌ أؤدِّيه إليه. ﴿كدنا ليوسف﴾: دبّرنا لتحصيلِ غرضِه. ﴿دين الملك﴾: شريعةِ ملكِ مصرَ أو حُكمِه.

(١) تقييدُ المخلوقينَ يُغني عن هذه الغايةِ، والمرادُ: ردُّ مَن زعمَ أنّه تعالى عالمٌ بذاتِهِ؛ إذ لو كانَ ذا علمٍ لكَانَ فوقَه مَن هو أعلمُ منه. (الجمالين).

(٢) الطبري (١٣/ ٢٧٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢١٧٧)، عن سعيد بن جبير.

(٣) يعني: أنّها كنايةٌ بشريطةِ التَّفسيرِ، وتفسيرُها قولُه: ﴿قال أنتم﴾ فإنَّه بدلٌ من ﴿أسرها﴾ وتأنيثُها باعتبارِ الكلمَةِ أو الجملةِ، وفيه نظرٌ؛ إذ المفسَّرُ بالجملةِ لا يكونُ إلاَّ ضميرَ الشَّأنِ، فالصَّحيحُ أنَّ الضَّميرَ للقصَّةِ، أو المقالةِ، أو نسبةَ السَّرقةِ إليه. (الجمالين).

(٤) أي: مِن المحسنينَ إلينا، فأتمِمْ إحسانك، أو مِن المتعوِّدينَ الإحسانَ، فلا تغيِّرْ عادتَك. (الجمالين).

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿٧٩﴾ ـ ﴿**قالَ: معاذَ اللهِ**﴾ ـ نُصِبَ على المصدر حُذف فِعله وأُضيف إلى المفعول ـ أي: نعوذ بالله من ﴿**أن نأخُذَ إلّا مَن وَجدْنا مَتاعَنا عِندَهُ**﴾! لم يقل: «مَن سرق» تحرّزًا من الكذب. ﴿**إنّا إذًا**﴾: إن أخذنا غيره[1] ﴿**لَظالِمُونَ**﴾.

﴿٨٠﴾ ـ ﴿**فلمّا استَيْئَسُوا**﴾: يئسوا ﴿**مِنهُ خَلَصُوا**﴾: اعتزلوا ﴿**نَجِيًّا**﴾ ـ مصدر يصلح للواحد وغيره ـ أي: يناجي بعضهم بعضًا، ﴿**قالَ كَبِيرُهُم**﴾ سِنًّا رَوبيل أو رأيًا يَهوذَى: ﴿**ألَم تَعلَمُوا أنَّ أباكُم قَد أخَذَ علَيكُم مَوثِقًا**﴾: عهدًا ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ في أخيكم؟ ﴿**ومِن قَبلُ ما**﴾: زائدةٌ ﴿**فَرّطتُم في يُوسُفَ**﴾، وقيل: ما مصدريّة مبتدأ خبره: من قبل. ﴿**فلَن أبرَحَ**﴾: أُفارقَ ﴿**الأرضَ**﴾ أرض مِصر ﴿**حَتّى يأذَنَ لِيَ أبِيَ**﴾ بالعودة إليه، ﴿**أو يَحكُمَ اللهُ لِي**﴾ بخلاص أخي. ﴿**وهُوَ خَيرُ الحاكِمِينَ**﴾: أعدلُهم. ﴿٨١﴾ ـ ﴿**ارجِعُوا إلَى أبِيكُم فقُولُوا: يا أبانا، إنَّ ابنَكَ سَرَقَ، وما شَهِدْنا**﴾ عليه ﴿**إلّا بِما عَلِمْنا**﴾: تَيقّنّا من مُشاهدة الصاع في رحله، ﴿**وما كُنّا لِلغَيبِ**﴾: لِما غاب عنّا[2] حين إعطاء الموثِق ﴿**حافِظِينَ**﴾ ـ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه ـ ﴿٨٢﴾ ـ ﴿**واسألِ القَريةَ الَّتِي كُنّا فِيها**﴾ هي مِصر، أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم، ﴿**والعِيرَ**﴾ أي: أصحابَ العِير ﴿**الَّتِي أقبَلْنا فِيها**﴾ ـ وهم قوم من كنعان ـ ﴿**وإنّا لَصادِقُونَ**﴾ في قولنا.

فرجعوا إليه، وقالوا له ذلك. ﴿٨٣﴾ ـ ﴿**قالَ: بَل سَوَّلَتْ**﴾: زيّنت ﴿**لَكُم أنفُسُكُم أمرًا**﴾ ففعلتموه. اتّهمَهم لِما سبق منهم من أمر يُوسف. ﴿**فَصبرٌ جَمِيلٌ**﴾ صبري. ﴿**عَسَى اللهُ أن يأتِيَنِي بِهِم**﴾: بيُوسفَ وأخوَيه ﴿**جَمِيعًا. إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ**﴾ بحالي ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في صُنعه. ﴿٨٤﴾ ـ ﴿**وتَوَلّى عَنهُم**﴾ تاركًا خِطابهم، ﴿**وقالَ: يا أسَفا**﴾ ـ الألف: بدل من ياء الإضافة ـ أي: يا حُزني ﴿**على يُوسُفَ. وابيَضَّتْ عَيناهُ**﴾: انمحق سوادهما، وبُدّل بياضًا من بكائه ﴿**مِنَ الحُزْنِ**﴾ عليه، ﴿**فهُوَ كَظِيمٌ**﴾: مغموم مكروب لا يُظهر كربه.

﴿٨٥﴾ ـ ﴿**قالُوا: تاللهِ**﴾ لا ﴿**تَفْتأُ**﴾: تزال ﴿**تَذكُرُ يُوسُفَ، حَتّى تَكُونَ حَرَضًا**﴾: مُشرفًا على الهلاك لطُول مرضك ـ وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ـ ﴿**أو تَكُونَ مِنَ الهالِكِينَ**﴾: المَوتى!

﴿٨٦﴾ ـ ﴿**قالَ**﴾ لهم: ﴿**إنّما أشكُو بَثِّي**﴾ ـ هو عظيم الحُزن الذي لا يُصبَر عليه حتّى يُبَثَّ إلى الناس ـ ﴿**وحُزْنِيَ إلَى اللهِ**﴾ لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه، ﴿**وأعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمُونَ**﴾، من أنّ رُؤيا يُوسف صِدق وهو حيّ.

﴿معاذَ اللهِ﴾: نعوذُ باللهِ معاذاً ونعتصمُ بهِ. ﴿استيأسوا منه﴾: يئسوا مِن إجابةِ يوسفَ لهُم. ﴿خلصوا نجيّاً﴾: انفردوا مُتناجينَ مُتشاورينَ. ﴿ما فرّطتم﴾: قصّرتُم، و(ما: زائدةٌ). ﴿العيرِ﴾: القافلةَ. ﴿سوّلت﴾: زيّنَتْ وسهّلَتْ. ﴿يا أسفى﴾: يا حُزني الشّديدَ. ﴿ابيضّت عيناه﴾: أصابَتْهُما غشاوةٌ فابيضّتا. ﴿كظيم﴾: مُمتلئٌ مِنَ الغيظِ أوِ الحزنِ يكتمُهُ ولا يُبديهِ. ﴿تفتأ﴾: لا تفتأُ ولا تزالُ. ﴿تكون حرضاً﴾: تصيرَ مريضاً مُشفياً على الهلاكِ. ﴿بثي﴾: أشدَّ غمّي وهمّي.

(١) فإنَّ أخذَ غيرِه ظلمٌ على فتوَاكُم هذا، وإنَّ مرادَه أنَّ اللهَ تعالى أذِنَ أن نأخُذَ مَن وجدْنَا الصَّاعَ في رحلِهِ لمصلحتِهِ ورضاهُ عليه، فلو أخذْتُ غيرَه كنتُ ظالماً. (الجمالين).

(٢) أي: للعواقبِ، فلم نَدْرِ حينَ أعطيناكَ الموثِقَ أنّه سيسرِقُ، أو المعنى: فلا ندري أنّه سرَقَ، أو سُرِّقَ ودُسَّ الصَّاعُ في رحلِهِ. (الجمالين).

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ
مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا
ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ
﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ
جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ
وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ
ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ
﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ
بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

(٨٧) ـ ثم قال: ﴿يا بَنِيَّ، اذهَبُوا فتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وأخِيهِ﴾: اطلبوا خبرهما، ﴿ولا تَيأَسُوا﴾: تقنطوا ﴿مِن رَوحِ اللهِ﴾: رحمته. ﴿إنَّهُ لا يَيأَسُ مِن رَوحِ اللهِ إلّا القومُ الكافِرُونَ﴾.

فانطلقوا نحو مصر ليوسف، (٨٨) ـ ﴿فلَمّا دَخَلُوا عليهِ قالُوا: يا أيُّها العَزِيزُ، مَسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ﴾: الجُوع، ﴿وجِئنا بِبِضاعةٍ مُزجاةٍ﴾: مدفوعة، يدفعها كُلّ من رآها لرداءتها، وكانت دراهمَ زُيوفًا أو غيرها. ﴿فأَوفِ﴾: أتِمَّ ﴿لنا الكَيلَ، وتَصَدَّقْ علَينا﴾ بالمُسامحة عن رداءة بِضاعتنا. ﴿إنَّ اللهَ يَجزِي المُتَصَدِّقِينَ﴾: يُثيبهم. فرقَّ لهم وأدركته الرحمة ورفع الحِجاب بينه وبينهم، (٨٩) ـ ثمّ ﴿قالَ﴾ لهم توبيخًا: ﴿هَل عَلِمتُم ما فَعَلتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك، ﴿وأخِيهِ﴾ من هضمكم[1] له بعد فراق أخيه، ﴿إذ أنتُم جاهِلُونَ﴾ ما يؤول[2] إليه أمر يوسف؟

(٩٠) ـ ﴿قالُوا﴾ بعد أن عرفوه لِما ظهر من شمائله مُستثبتِين: ﴿أإنَّكَ﴾ ـ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿لَأنتَ يُوسُفُ؟ قالَ: أنا يُوسُفُ، وهذا أخِي، قَد مَنَّ﴾: أنعم ﴿اللهُ علَينا﴾ بالاجتماع. ﴿إنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: يَخفِ اللهَ ﴿ويَصبِرْ﴾ على ما يناله ﴿فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجرَ المُحسِنِينَ﴾. فيه وضع الظاهر موضعَ المُضمر.

(٩١) ـ ﴿قالُوا: تاللهِ لَقَد آثَرَكَ﴾: فضّلك ﴿اللهُ علَينا﴾ بالمُلك وغيره، ﴿وإنْ﴾ ـ مُخففة ـ أي: إنّا ﴿كُنّا لَخاطِئِينَ﴾: آثمين في أمرك، فأذلّنا اللهُ لك! (٩٢) ـ ﴿قالَ: لا تَثرِيبَ﴾: عتبَ ﴿علَيكُمُ اليَومَ﴾. خصّه بالذكر لأنه مَظِنّةُ التثريب، فغيرُه أولى. ﴿يَغفِرُ اللهُ لَكُم، وهُوَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ﴾.

وسألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبتْ عيناه. (٩٣) ـ فقال: ﴿اذهَبُوا بِقَمِيصِي هذا﴾ ـ وهو قميص إبراهيمَ الذي لبسه حين أُلقي في النار[3]، كان في عُنقه في الجُبّ وهو من الجنّة، أمره جبريل بإرساله وقال: إنّ فيه رِيحَها، ولا يُلقى على مُبتلًى إلّا عُوفيَ ـ ﴿فألقُوهُ علَى وَجهِ أبِي، يأتِ﴾: يَصِرْ ﴿بَصِيرًا، وائتُونِي بِأهلِكُم أجمَعِينَ﴾.

(٩٤) ـ ﴿ولَمّا فَصَلَتِ العِيرُ﴾: خرجتْ من عريش مِصرَ ﴿قالَ أبُوهُم﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم: ﴿إنِّي لَأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾. أوصلَتْه إليه الصَّبا بإذنه ـ تعالى ـ من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر، ﴿لَولا أن تُفَنِّدُونِ﴾: تُسفِّهونِ لصَدّقتموني. (٩٥) ـ ﴿قالُوا﴾ له: ﴿تاللهِ إنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ﴾: خطئك ﴿القَدِيمِ﴾ من إفراطِك في محبّته ورجاءِ لِقائه على بُعد العهد!

﴿فتحسّسوا من يوسف﴾: تعرَّفوا مِن خبرِ يوسفَ. ﴿روح الله﴾: رحمتِهِ وفرجِهِ وتنفيسِهِ. ﴿الضّرّ﴾: الهزالُ مِن شدَّةِ الجوعِ. ﴿ببضاعة مزجاة﴾: بأثمانٍ رديئةٍ كاسدةٍ. ﴿آثرك الله علينا﴾: اختارَكَ وفضَّلَكَ علينا. ﴿لا تثريب عليكم﴾: لا تأنيبَ ولا لومَ عليكَ. ﴿يأتي بصيراً﴾: يصِرْ بصيراً مِن شدَّةِ السُّرورِ. ﴿فصلت العير﴾: فارقَتِ القافلةُ عريشَ مصرَ. ﴿تفنّدون﴾: تسفِّهوني أو تُكذِّبوني. ﴿ضلالك﴾: ذهابُكَ عنِ الصَّوابِ.

(١) أي: من إذلالِهِ حتَّى لا يستطيعَ أن يتكلَّمَ إلَّا بعجزٍ وذلَّةٍ، أو مِن إفرادِهِ عن يوسُفَ. (الجمالين).

(٢) أو قبحه، فلذلك أقدَمْتُم عليه، أو عاقبتَه، وإنَّما قالَ ذلك تنصُّحاً لهم وتحريضاً على التَّوبةِ، وشفقةً عليهم لِمَا رأى مِن عجزِهم ومسكنَتِهم لا مُعاتَبةً وتثريباً، وإنَّما جهَّلَهم؛ لأنَّ فعلَهم ذا فعلُ الجُهَّالِ. (الجمالين).

(٣) رواه الثعلبي (١٥/ ١٤٧) عن مجاهد، وفيه إسحاق بن بشر وهو كذاب.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ
قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ
فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۖ
تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ
وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

﴿٩٦﴾ ـ ﴿٩٧﴾ ـ ﴿٩٨﴾ ـ ﴿**فلمّا أن**﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿**جاءَ البَشِيرُ**﴾ يهوذَى بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم فأحبّ أن يُفرِحه كما أحزنه، ﴿**ألقاهُ**﴾: طرحَ القميصَ ﴿**على وَجهِهِ، فارتَدَّ**﴾: رَجَعَ ﴿**بَصِيرًا**، قال: **ألَم أقُل لكُم: إنِّيَ أعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعلَمونَ؟ قالُوا: يا أبانا، استَغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا، إنّا كُنّا خاطِئِينَ. قالَ: سَوفَ أستَغفِرُ لكُم ربِّيَ. إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾. أخَّرَ ذلك إلى السَّحر ليكون أقرب إلى الإجابة، وقيل: إلى ليلة الجُمعة.

ثـمّ توجّهـوا إلى مِصر، وخرج يُوسـف والأكابـر لتلقّيهم، ﴿٩٩﴾ ـ ﴿**فلَمّـا دَخَلُوا علَى يُوسُـفَ**﴾ فـي مَضربـه ﴿**آوى**﴾: ضـمّ ﴿**إلَيـهِ أبَوَيهِ**﴾: أبـاه وأمَّه أوخالتـه، ﴿**وقـالَ**﴾ لهـم: ﴿**ادخُلُوا مِصـرَ، إن شـاءَ اللهُ، آمِنِيـنَ**﴾. فدخلوا وجلس يُوسف على سريره.

نصف الحزب ٢٥

﴿١٠٠﴾ ـ ﴿**ورَفَعَ أبَوَيهِ**﴾: أجلسهما معه ﴿**على العَرشِ**﴾: السرير، ﴿**وخَرُّوا**﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿**لَهُ سُجَّدًا**﴾ سُجودَ انحناءٍ لا وضعَ جبهةٍ ـ وكان تحيّتَهم في ذلك الزمان ـ ﴿**وقالَ: يا أبَتِ، هذا تأويلُ رُؤيايَ مِن قَبلُ، قَد جَعَلَها رَبِّي حَقًّا، وقَد أحسَنَ بِيَ**﴾: إليَّ ﴿**إذ أخرَجَني مِنَ السِّجنِ**﴾ ـ ولم يقل: «من الجُبّ» تكرّمًا لئلّا يَخجل إخوتُه ـ ﴿**وجاءَ بِكُم مِنَ البَدْوِ**﴾: البادية ﴿**مِن بَعدِ أن نَزَغَ**﴾: أفسد ﴿**الشَّيطانُ بَيني وبَينَ إخوَتِيَ. إنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ. إنَّهُ هُوَ العَلِيمُ**﴾ بخلقه ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في صُنعه. وأقام عنده أبوه أربعًا وعشرين سنة أو سبعَ عشرةَ سنة، وكانت مُدّة فِراقه ثمانيَ عشرةَ أو أربعين أو ثمانين سنة، وحضره الموت فوصّى يُوسفَ أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثَمّةَ، ثمّ عاد إلى مصرَ وأقام بعده ثلاثًا وعشرين سنة. ولمّا تمّ أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى المُلك الدائم، فقال:

﴿١٠١﴾ ـ ﴿**رَبِّ، قَـد آتيتَنِي مِـنَ المُلـكِ، وعَلَّمتَني مِـن تأويلِ الأحادِيثِ**﴾: تعبيرِ الرؤيا. ﴿**فاطِرَ**﴾: خالـقَ ﴿**السَّماواتِ والأرضِ، أنتَ ولِيِّي**﴾: مُتولّـي مصالحـي ﴿**فـي الدُّنيـا والآخِـرةِ. تَوَفَّنِـي مُسـلِمًا وألحِقْنِـي بِالصّالِحِيـنَ**﴾ مـن آبائـي. فعاش بعـد ذلك أسـبوعًا أو أكثر ومـات، وله مِائـةٌ وعشـرون سـنة[1]. وتشـاحَّ المِصريّون فـي قبره، فجعلوه فـي صندوقِ مرمـرٍ ودفنوه في أعلـى النيل، لتعـمّ البركة جانبَيه. فسُـبحان من لا انقضاء لملكه!

﴿١٠٢﴾ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور من أمر يُوسف ﴿**مِن أنباءِ الغَيبِ**﴾: أخبارِ ما غاب عنك ـ يا مُحمّد ـ ﴿**نُوحِيهِ إلَيكَ، وما كُنتَ لَدَيهِم**﴾: لدى إخوةِ يُوسفَ ﴿**إذ أجمَعُوا أمرَهُم**﴾ في كيده، أي: عزموا عليه، ﴿**وهُم يَمكُرُونَ**﴾ به ـ أي: لم تحضرْهم، فتعرفَ قِصّتهم فتُخبِرَ بها، وإنما حصل لك عِلمها من جهة الوحي ـ ﴿١٠٣﴾ ـ ﴿**وما أكثَرُ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة، ﴿**ولَو حَرَصْتَ**﴾ على إيمانهم، ﴿**بِمُؤمِنِينَ**﴾.

﴿آوى إليه أبويه﴾: ضمَّهُما إليهِ واعتنقَهُما. ﴿سُجّداً﴾: وكانَ ذلكَ جائزاً في شريعتِهِم. ﴿البدو﴾: الباديةِ. ﴿نزغ الشّيطان﴾: أفسدَ وحرَّشَ وأغرى. ﴿فاطر..﴾: يا مُبدعَ ومُخترعَ... ﴿أجمعوا أمرهم﴾: عزموا على الكيدِ ليوسفَ.

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٦٤).

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا
وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ
ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي
وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ
فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ
جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ
مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿١٠٤﴾ـ ﴿١٠٥﴾ـ ﴿وما تَسألُهُم عليهِ﴾ أي: القرآنِ ﴿مِن أجرٍ﴾ تأخذه ـ ﴿إن﴾: ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إلّا ذِكرٌ﴾: عِظة ﴿لِلعالَمِينَ ـ وكَأيِّن﴾: وكم ﴿مِن آيةٍ﴾ دالّة على وحدانيّة الله ﴿في السَّماواتِ والأرضِ، يَمُرُّونَ علَيها﴾: يُشاهدونها، ﴿وهُم عنها مُعرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها! ﴿١٠٦﴾ـ ﴿وما يُؤمِنُ أكثَرُهُم باللهِ﴾ حيثُ يُقرّون بأنه الخالق الرازق، ﴿إلّا وهُم مُشرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام. ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لَبَّيكَ لا شريكَ لكَ، إلّا شريكًا هوَ لكَ، تَملِكُه وما مَلَكَ». يعنونها. ﴿١٠٧﴾ـ ﴿أفأمِنُوا أن تأتِيَهُم غاشِيَةٌ﴾: نِقمة تغشاهم ﴿مِن عَذابِ اللهِ، أو تأتِيَهُمُ السّاعةُ بَغتَةً﴾: فَجْأة، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله؟

﴿١٠٨﴾ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿هذِهِ سَبِيلِيَ﴾. وفسّرها بقوله: ﴿أدعُو إلَى﴾ دِينِ ﴿اللهِ، علَى بَصِيرةٍ﴾: حُجّة واضحة ﴿أنا ومَن اتَّبَعَني﴾: آمن بي ـ عطفٌ على «أنا» المبتدأ المُخبرِ عنه بما قبله ـ ﴿وسُبحانَ اللهِ﴾: تنزيهًا له، عن الشُّركاء! ﴿وما أنا مِنَ المُشرِكِينَ﴾ من جُملة سبيله أيضًا.

﴿١٠٩﴾ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلّا رِجالاً، يُوحَى﴾ ـ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ـ ﴿إلَيهِم﴾ لا ملائكةً، ﴿مِن أهلِ القُرَى﴾: الأمصارِ لأنهم أعلمُ وأحلمُ بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم. ﴿أفلَم يَسِيرُوا﴾ أهلُ مكّة ﴿في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ أي: آخرُ أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلَهم؟ ﴿ولَدارُ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ اللهَ. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾ بالياء، والتاء: يا أهلَ مكة هذا فتؤمنون؟

﴿١١٠﴾ـ ﴿حَتَّى﴾: غايةٌ لِما دلّ عليه «وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلّا رِجالاً» أي: فتراخى نصرهم، حتّى ﴿إذا استَيأسَ﴾: يئس ﴿الرُّسُلُ، وظَنُّوا﴾: أيقنَ الرسل ﴿أنَّهُم قَد كُذِّبُوا﴾، بالتشديد: تكذيبًا لا إيمان بعده، والتخفيفِ أي: ظنّ الأُمم أنّ الرسل أُخلِفوا ما وُعدوا به من النصر، ﴿جاءَهُم نَصرُنا. فنُنَجِّي﴾ ـ بنونينِ مُشدّدًا ومُخفّفًا، وبنونٍ مُشدّدًا: ماض ـ ﴿مَن نَشاءُ، ولا يُرَدُّ بأسُنا﴾: عذابنا ﴿عَنِ القَومِ المُجرِمِينَ﴾: المُشركين.

﴿١١١﴾ـ ﴿لَقَد كانَ في قَصَصِهِم﴾ أي: الرسلِ ﴿عِبرةٌ لِأُولِي الألبابِ﴾: أصحاب العقول. ﴿ما كانَ﴾ هذا القُرآن ﴿حَدِيثًا يُفتَرَى﴾: يُختلق، ﴿ولكِن﴾ كان ﴿تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ﴾: قبله من الكُتب ﴿وتَفصِيلَ﴾: تبيينَ ﴿كُلِّ شَيءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدِّين ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ورَحمةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾. خُصّوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

* * *

﴿كأيّن من آية﴾: كم مِن آيةٍ ـ كثيرٌ مِنَ الآياتِ. ﴿غاشية﴾: عقوبةٌ تغشاهُم وتُجلِّلُهُم. ﴿بغتة﴾: فجأةً. ﴿استيأس الرّسل﴾: يئسوا مِنَ النَّصرِ لتطاولِ الزَّمنِ. ﴿ظنّوا﴾: توهَّمَ الرُّسلُ أو حدَّثَتْهُم أنفسُهُم. ﴿قد كُذبوا﴾: كذبَهُم رجاؤُهُمُ النَّصرَ في الدُّنيا. ﴿بأسُنا﴾: عذابُنا. ﴿عبرة﴾: عظةٌ وتذكرةٌ. ﴿يُفترى﴾: يُختلقُ.

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

المٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم
بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعْجَبْ
فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ
أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

١٣

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكيةٌ إلّا «ولا يزال الذين كفروا» الآيةَ و«ويقول الذين كفروا لستَ مرسلاً» الآيةَ، أو مدنيةٌ إلّا «ولو أنّ قرآنًا» الآيتين، ثلاثٌ أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿المر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تلكَ﴾: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ـ والإضافةُ بمعنى: مِن ـ ﴿والَّذي أُنزِلَ إليكَ مِن ربِّكَ﴾ أي: القُرآنُ، مبتدأ خبرُه: ﴿الحَقُّ﴾: لا شكّ فيه، ﴿ولكنَّ أكثرَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يُؤمِنونَ﴾ بأنه من عِنده تعالى.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٥

(٢) ـ ﴿اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بغَيرِ عَمَدٍ تَرونَها﴾ أي: العمدَ: جمع عِماد ـ وهو الأُسطوانة، وهو صادق بأنْ لا عَمد أصلاً ـ ﴿ثُمَّ استوَى على العَرشِ﴾ استواءً يليق به، ﴿وسَخَّرَ﴾: ذلّلَ ﴿الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجري﴾ في فلكه ﴿لأجَلٍ مُسمًّى﴾ يوم القيامة، ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ﴾: يقضي أمر مُلكه، ﴿يُفصِّلُ﴾: يُبيّن ﴿الآياتِ﴾: دلالاتِ قُدرته، ﴿لعَلَّكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿بِلقاءِ رَبِّكُم﴾: بالبعث ﴿توقِنونَ﴾.

(٣) ـ ﴿وهوَ الَّذي مَدَّ﴾: بسَط ﴿الأرضَ، وجَعَلَ﴾: خلق ﴿فيها رَواسيَ﴾: جِبالاً ثَوابتَ ﴿وأنهارًا، ومِن كُلِّ الثَّمراتِ جَعَلَ فيها زَوجَينِ اثنَينِ﴾ من كُلّ نوع، ﴿يُغشِي﴾: يُغطّي ﴿اللَّيلَ﴾ بظُلمته ﴿النَّهارَ. إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لآياتٍ﴾: دلالاتٍ على وحدانيّته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَتفكَّرُونَ﴾ في صُنع الله.

(٤) ـ ﴿وفي الأرضِ قِطَعٌ﴾: بِقاع مُختلفة ﴿مُتَجاوِراتٌ﴾: مُتلاصقات، فمنها طيِّب وسَبِخ وقليل الرَّيع وكثيرُه، وهو من دلائل قدرته ـ تعالى ـ ﴿وجَنّاتٌ﴾: بساتينُ ﴿مِن أعنابٍ وزَرعٌ﴾، بالرفع عطفًا على «جنّاتٌ»، والجرِّ على «أعنابٍ»، وكذا قولُه: ﴿ونَخيلٌ صِنوانٌ﴾: جمع صِنو ـ وهي النَّخَلات، يجمعها أصل واحد وتتشعّب فُروعها ـ ﴿وغَيرُ صِنوانٍ﴾: منفردةٌ، ﴿تُسقَى﴾، بالتاءِ أي: الجنّاتُ وما فيها، والياءِ أي: المذكورُ، ﴿بِماءٍ واحِدٍ، ونُفَضِّلُ﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿بَعضَها على بَعضٍ في الأُكُلِ﴾، بضمّ الكاف وسكونها. فمن حُلو وحامض، وهو من دلائل قُدرته تعالى. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

(٥) ـ ﴿وإن تَعجَبْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ من تكذيب الكُفّار لك ﴿فعَجَبٌ﴾: حقيقٌ بالعجب ﴿قَولُهُم﴾ منكرين للبعث: ﴿أإذا كُنّا تُرابًا أإنّا لَفي خَلقٍ جَديدٍ﴾؟ لأنّ القادرَ على إنشاء الخلق وما تقدّم على غير مثال قادر على إعادتهم. وفي الهمزتين في الموضعين التحقيقُ، وتحقيقُ الأُولى وتسهيلُ الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركُها. وفي قراءة بالاستفهامِ في الأوّل والخبرِ في الثاني، وأُخرى عكسُه. ﴿أُولئِكَ الَّذينَ كَفَرُوا برَبِّهِم، وأُولئِكَ الأغلالُ في أعناقِهِم، وأُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

﴿بغير عمدٍ﴾: بغيرِ دعائمَ وأساطينَ تُقيمُها. ﴿استوى على العرش﴾: استواءً يليقُ بِهِ سبحانَهُ. ﴿يدبِّر الأمر﴾: يصرِّفُ العوالمَ كلَّها بقدرتِهِ وحكمتِهِ. ﴿مدّ الأرض﴾: بسطَها في رأيِ العينِ. ﴿رواسي﴾: جبالاً ثوابتَ كي لا تميدَ. ﴿زوجين﴾: نوعَينِ وضربَينِ. ﴿يغشي الليل النهار﴾: يُلبِسُ النَّهارَ ظلمةَ اللَّيلِ أوِ العكس. ﴿قِطَع﴾: بقاعٌ مختلفةُ الطِّبائعِ والصِّفاتِ. ﴿نخيل صنوان﴾: نخلاتٌ يجمعُها أصلٌ واحدٌ. ﴿الأُكُل﴾: ما يُؤكَلُ، وهوَ الثَّمرُ والحبُّ. ﴿الأغلال﴾: الأطواقُ مِنَ الحديدِ.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ
هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ
أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا
لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

ونزل في استعجالهم العذابَ استهزاءً: ﴿٦﴾ ـ ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ**﴾: العذابِ ﴿**قَبلَ الحَسَنةِ**﴾: الرحمة، ﴿**وقَد خَلَت مِن قَبلِهِم المَثُلاتُ**﴾: جمع المَثُلة بوزن السَّمُرة، أي: عُقوباتُ أمثالهم من المُكذّبين. أفلا يعتبرون بها؟ ﴿**وإنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرةٍ لِلنّاسِ على**﴾: معَ ﴿**ظُلمِهِم**﴾ ـ وإلّا لم يترك على ظهرها دابّة ـ ﴿**وإنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقابِ**﴾ لِمَن عصاه، ﴿٧﴾ ـ ﴿**ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ عليهِ**﴾: على مُحمّد ﴿**آيَةٌ مِن رَبِّهِ**﴾ كالعصا واليد والناقة. قال تعالى: ﴿**إنَّما أنتَ مُنذِرٌ**﴾: مُخوّفٌ الكافرين، وليس عليك إتيان الآيات، ﴿**ولِكُلِّ قَومٍ هادٍ**﴾: نبيٌّ يدعوهم إلى ربّهم بما يُعطيه من الآيات لا بما يقترحون.

﴿٨﴾ ـ ﴿**اللهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أُنثى**﴾[1] من ذكرٍ وأُنثى وواحدٍ ومتعدّدٍ وغيرِ ذلك، ﴿**وما تَغِيضُ**﴾: تنقُصُ ﴿**الأرحامُ**﴾ من مُدّة الحمل ﴿**وما تَزدادُ**﴾ منه، ﴿**وكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ**﴾: بقدْرٍ وحدٍّ لا يتجاوزه، ﴿٩﴾ ـ ﴿**عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غاب وما شُوهد، ﴿**الكَبِيرُ**﴾: العظيم ﴿**المُتَعالِ**﴾ على خلقه بالقهر، بياءٍ ودونها، ﴿١٠﴾ ـ ﴿١١﴾ ـ ﴿**سَواءٌ مِنكُم**﴾ في عِلمه ـ تعالى ـ ﴿**مَن أسَرَّ القَولَ ومَن جَهَرَ بِهِ، ومَن هُوَ مُستَخفٍ**﴾: مُستترٌ ﴿**بِاللَّيلِ**﴾: بظلامه ﴿**وسارِبٌ**﴾: ظاهر بذهاب في سَربه، أي: طريقه ﴿**بِالنَّهارِ، لَهُ**﴾: للإنسان ﴿**مُعَقِّباتٌ**﴾: ملائكة تعتقِبُه ﴿**مِن بَينِ يَدَيهِ**﴾: قُدّامِه ﴿**ومِن خَلفِهِ**﴾: ورائه، ﴿**يَحفَظُونَهُ مِن أمرِ اللهِ**﴾ أي: بأمره من الجنّ وغيرهم. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ**﴾: لا يَسلبهم نِعمةً ﴿**حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأنفُسِهِم**﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية، ﴿**وإذا أرادَ اللهُ بِقَومٍ سُوءًا**﴾: عذابًا ﴿**فلا مَرَدَّ لَهُ**﴾ من المُعقّباتِ ولا غيرها، ﴿**وما لَهُم**﴾ ـ إن أراد الله بهم سوءًا ـ ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَ الله ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**والٍ**﴾ يمنعه عنهم.

﴿١٢﴾ ـ ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرقَ خَوفًا**﴾ للمُسافر من الصواعق ﴿**وطَمَعًا**﴾ للمُقيم في المطر، ﴿**ويُنشِئُ**﴾: يَخلق ﴿**السَّحابَ الثِّقالَ**﴾ بالمطر، ﴿١٣﴾ ـ ﴿**ويُسَبِّحُ الرَّعدُ**﴾ هو مَلَك مُوكل بالسحاب يسوقه مُلتبسًا ﴿**بِحَمدِهِ**﴾ أي يقول: سُبحانَ الله وبحمده، ﴿**و**﴾ تُسبّح ﴿**المَلائكةُ مِن خِيفتِهِ**﴾ أي: اللهِ، ﴿**ويُرسِلُ الصَّواعِقَ**﴾ ـ وهي نار تخرج من السحاب ـ ﴿**فَيُصِيبُ بِها مَن يَشاءُ**﴾ فتُحرقه ـ نزل في رجل بعث إليه النبيّ ﷺ من يدعوه، فقال: مَن رسولُ اللهِ؟ وما اللهُ؟ أمِن ذهب هو أم فضة أم نحاس؟ فنزلتْ به صاعقة فذهبتْ بِقِحف رأسه[2] ـ ﴿**وهُم**﴾ أي: الكُفّار ﴿**يُجادِلُونَ**﴾: يُخاصمون النبيَّ ﴿**في اللهِ، وهُوَ شَدِيدُ المِحالِ**﴾: القُوّةِ أو الأخذ.

﴿المَثُلات﴾: العقوباتُ الفاضحاتُ لأمثالِهِم. ﴿مغفرة للناس﴾: سترٍ وإمهالٍ. ﴿ما تغيض الأرحام﴾: ما تنقصُهُ. أو تُسقِطُهُ. ﴿بمقدار﴾: بقدْرٍ وحدٍّ لا يتعدّاهُ. ﴿الكبير﴾: العظيمُ الّذي كلُّ شيءٍ دونَهُ. ﴿المتعالِ﴾: المُستعلي على كلِّ شيءٍ بقدرتِهِ. ﴿ساربٌ﴾: ذاهبٌ في سَرْبِهِ وطريقِهِ ظاهراً. ﴿له معقِّبات﴾: ملائكةٌ تعتقِبُ في حِفظِهِ. ﴿من أمر الله﴾: بأمرِهِ تعالى بحفظِهِ. ﴿من والٍ﴾: مِن ناصرٍ أو والٍ يلي أمورَهُم. ﴿السّحاب الثّقال﴾: المُوقرةَ بالماءِ المُثقلةَ بِهِ. ﴿شديد المِحال﴾: المكايدةِ أو القوّةِ أوِ العقوبةِ.

(١) عن ابن عباس: أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قَدِما المدينة، واتفقا على أن يحتالا في قتله ﷺ، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه فلما وضع أربد يده على قائم السيف يبست، والتفت رسول الله ﷺ فرآه فانصرف عنهما، فخرجا فأرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، وعلى عامرٍ قُرحةً فأخذته، فأنزل الله: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، ثم ذكر أربدَ وما قتله به فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]. الطبراني في «الأوسط» (٩١٢٧) و«الكبير» (١٠٧٦٠)، و«لباب النقول» (ص: ١١٧). قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤١): في إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيفٌ.

(٢) البزار (٧٠٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٥)، وأبو يعلى (٣٤٦٨)، والطبري (١٣/ ٤٨٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٠٢)، من حديث أنس رضي الله عنه. وعن ابن عباسٍ في رواية أبي صالح وابن جريج وابن زيد: نزلت هذه الآية والتي قبلها في عامر بن الطُّفيل وأربدَ بن ربيعةَ.. ، كالخبر المتقدم عن ابن عباس قريباً. الواحدي (ص: ٢٧٢).

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا
وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ
لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ
تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ
ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ
كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ
وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ
ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ
لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

(١٤) ـ ﴿**لَهُ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**دَعوةُ الحَقِّ**﴾ أي: كلمتُه ـ وهي: لا إلٰـهَ إلّا اللهُ ـ ﴿**والَّذِينَ يَدعُونَ**﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَه ـ وهم الأصنام ـ ﴿**لا يَستَجِيبُونَ لَهُم بِشَيءٍ**﴾ ممّا يطلبونه ﴿**إلّا**﴾ استجابةً ﴿**كَباسِطِ**﴾ أي: كاستجابةِ باسطِ ﴿**كَفَّيهِ إلَى الماءِ**﴾ على شفير البئر، يدعوه ﴿**لِيَبلُغَ فاهُ**﴾ بارتفاعه من البئر إليه، ﴿**وما هُوَ بِبالِغِهِ**﴾ أي: فاه أبدًا ـ فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ـ ﴿**وما دُعاءُ الكافِرِينَ**﴾: عِبادتُهم الأصنامَ أو حقيقةُ الدعاء ﴿**إلّا في ضَلالٍ**﴾: ضياع، (١٥) ـ ﴿**ولِلهِ يَسجُدُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ طَوعًا**﴾ كالمُؤمنين ﴿**وكَرهًا**﴾ كالمُنافقين ومَن أُكره بالسيف، ﴿**و**﴾ تسجد ﴿**ظِلالُهُم بِالغُدُوِّ**﴾: البُكَرِ ﴿**والآصالِ**﴾: العشايا.

سجدة

(١٦) ـ ﴿**قُلْ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ لقومك: ﴿**مَن رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ؟ قُلِ: اللهُ**﴾، إن لم يقولوه، لا جوابَ غيرُه. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أفاتَّخَذتُم مِن دُونِهِ**﴾، أي: غيرَه، ﴿**أولِياءَ**﴾: أصنامًا تعبدونها، ﴿**لا يَملِكُونَ لِأنفُسِهِم نَفعًا ولا ضَرًّا**﴾، وتركتم مالِكَهما؟ استفهام توبيخ.

﴿**قُلْ: هَل يَستَوِي الأعمَى والبَصِيرُ**﴾: الكافر والمؤمن؟ ﴿**أم هَل تَستَوِي الظُّلُماتُ**﴾: الكُفر ﴿**والنُّورُ**﴾: الإيمان؟ لا. ﴿**أم جَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلقِهِ، فتَشابَهَ الخَلقُ**﴾ أي: خلقُ الشركاءِ بخلقِ اللهِ ﴿**عَلَيهِم**﴾، فاعتقدوا استحقاق عِبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحقّ العبادةَ إلّا الخالقُ. ﴿**قُلِ: اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ**﴾ لا شريكَ له فيه، فلا شريك له في العِبادة، ﴿**وهُوَ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ لِعباده.

ثمّ ضرب مثلاً للحق والباطل، فقال: (١٧) ـ ﴿**أنزَلَ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾: مطرًا، ﴿**فسالَتْ أودِيَةٌ بِقَدَرِها**﴾: بمِقدار مِلئها، ﴿**فاحتَمَلَ السَّيلُ زَبَدًا رابِيًا**﴾: عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قذَر ونحوه، ﴿**ومِمّا تُوقِدُونَ**﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿**عَلَيهِ في النّارِ**﴾، من جواهر الأرض كالذهب والفِضّة والنُّحاس ﴿**ابتِغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**حِليَةٍ**﴾: زِينة ﴿**أو مَتاعٍ**﴾ يُنتفع به كالأواني إذا أُذيبَت، ﴿**زَبَدٌ مِثلُهُ**﴾ أي: مِثلُ زبد السيل، وهو خَبثه الذي ينفيه الكِير ـ ﴿**كَذلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**يَضرِبُ اللهُ الحَقَّ والباطِلَ**﴾ أي: مَثَلهما ـ ﴿**فأمّا الزَّبَدُ**﴾ من السيل وما أُوقد عليه من الجواهر ﴿**فيَذهَبُ جُفاءً**﴾: باطلاً مَرْمِيًّا به، ﴿**وأمّا ما يَنفَعُ النّاسَ**﴾ من الماء والجواهر ﴿**فيَمكُثُ**﴾: يبقى ﴿**في الأرضِ**﴾ زمانًا، كذلك الباطل يضمحلّ وينمحق، وإن علا على الحقّ في بعض الأوقات، والحقُّ ثابت باق. ﴿**كَذلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**يَضرِبُ**﴾: يُبيِّن ﴿**اللهُ الأمثالَ**﴾.

(١٨) ـ ﴿**لِلَّذِينَ استَجابُوا لِرَبِّهِم**﴾: أجابوه بالطاعة ﴿**الحُسنَى**﴾: الجنّة، ﴿**والَّذِينَ لَم يَستَجِيبُوا لَهُ**﴾ ـ وهم الكُفّار ـ ﴿**لَو أنَّ لَهُم ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ**﴾ من العذاب، ﴿**أُولئِكَ لَهُم سُوءُ الحِسابِ**﴾ ـ وهو المُؤاخذة بكُلّ ما عملوه لا يُغفر منه شيء ـ ﴿**ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المِهادُ**﴾: الفِراشُ هي!

﴿له دعوة الحقّ﴾: للهِ الدَّعوةُ الحقُّ «كلمةُ التَّوحيدِ». ﴿لله يسجد﴾: لأمرِهِ تعالى ينقادُ ويخضعُ. ﴿ظلالهم﴾: تنقادُ لأمرِهِ تعالى وتخضعُ. ﴿بالغدوّ﴾: جمعُ غداةٍ ـ أوَّلُ النَّهارِ. ﴿الآصال﴾: جمعُ أصيلٍ ـ آخرُ النَّهارِ. ﴿بقدَرها﴾: بمقدارِها الَّذي اقتضَتْهُ الحكمةُ. ﴿زبدًا﴾: هوَ الغُثاءُ (الرَّغوةُ) الطَّافي فوقَ الماءِ. ﴿رابيًا﴾: مرتفعاً متفخاً. ﴿زبدٌ﴾: هوَ الخبثُ الطَّافي عندَ إذابةِ المعادنِ. ﴿جُفاء﴾: مرمياً بِهِ مطروحاً أو مُتفرِّقاً. ﴿بئس المهاد﴾: بئسَ الفراشُ والمُستقرُّ جهنَّم.

۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ
بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ
عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ
مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا
مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ
إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٦

ونزل في حمزةَ وأبي جهل[1]: ⑲ ـ ﴿**أفمَن يَعلَمُ أنّما أُنزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ**﴾ فآمن به ﴿**كَمَن هُوَ أعمَى**﴾ لا يعلمه ولا يُؤمن به؟ لا. ﴿**إنّما يَتَذَكَّرُ**﴾: يتّعظ ﴿**أُولُو الألبابِ**﴾: أصحاب العُقول.

⑳ ـ ﴿**الَّذينَ يُوفُونَ بِعَهدِ اللهِ**﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذرّ أو كُلِّ عهد، ﴿**ولا يَنقُضُونَ المِيثاقَ**﴾ بترك الإيمان أو الفرائض، ㉑ ـ ﴿**والَّذينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ**﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك[2]، ﴿**ويَخشَونَ رَبَّهُم**﴾ أي: وعيدَه، ﴿**ويَخافُونَ سُوءَ الحِسابِ**﴾ ـ تقدّم ـ ㉒ ـ ﴿**والَّذينَ صَبَرُوا**﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿**ابتِغاءَ**﴾: طلبَ ﴿**وَجهِ رَبِّهِم**﴾ لا غيره من أعراض الدنيا، ﴿**وأقامُوا الصَّلاةَ وأنفَقُوا**﴾ في الطاعة ﴿**مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وعَلانِيَةً، ويَدرَؤُونَ**﴾: يدفعون ﴿**بالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ**﴾ كالجهل بالحلم[3] والأذى بالصبر، ﴿**أُولئكَ لَهُم عُقبَى الدّارِ**﴾ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخرة.

㉓ ـ هي ﴿**جَنّاتُ عَدنٍ**﴾: إقامةٍ، ﴿**يَدخُلُونَها**﴾ هم ﴿**ومَن صَلَحَ**﴾: آمنَ ﴿**مِن آبائهِم وأزواجِهِم وذُرِّيّاتِهِم**﴾، وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكرمة لهم، ﴿**والمَلائكةُ يَدخُلُونَ عَلَيهِم مِن كُلِّ بابٍ**﴾ من أبواب الجنّة أو القُصور أوانَ أوّلِ دُخولهم للتهنئة، يقولون: ㉔ ـ ﴿**سَلامٌ عَلَيكُم**﴾. هذا الثوابُ ﴿**بِما صَبَرتُم**﴾: بصبركم في الدنيا. ﴿**فنِعمَ عُقبَى الدّارِ**﴾ عقباكم!

㉕ ـ ﴿**والَّذينَ يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ مِن بَعدِ مِيثاقِهِ، ويَقطَعُونَ ما أمَرَ اللهُ بِهِ أن يُوصَلَ، ويُفسِدُونَ في الأرضِ**﴾ بالكُفر والمعاصي، ﴿**أُولئكَ لَهُمُ اللَّعنَةُ**﴾: البُعد من رحمة الله، ﴿**ولَهُم سُوءُ الدّارِ**﴾ أي: العاقبةُ السّيئة في الدار الآخرة، وهي جهنّم. ㉖ ـ ﴿**اللهُ يَبسُطُ الرِّزقَ**﴾: يُوسّعه ﴿**لِمَن يَشاءُ، ويَقدِرُ**﴾: يُضيّقه لمن يشاء. ﴿**وفَرِحُوا**﴾ أي: أهلُ مكّة فرحَ بطر ﴿**بالحَياةِ الدُّنيا**﴾ أي: بما نالوه فيها[4]، ﴿**وما الحَياةُ الدُّنيا في**﴾ جنب حياة ﴿**الآخِرةِ إلّا مَتاعٌ**﴾: شيء قليل يُتمتّع به ويَذهب.

㉗ ـ ﴿**ويَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة: ﴿**لَولا**﴾: هلّا ﴿**أُنزِلَ علَيهِ**﴾: على مُحمّد ﴿**آيةٌ مِن رَبِّهِ**﴾ كالعصا واليد والناقة. ﴿**قُل**﴾ لهم: ﴿**إنّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ**﴾ إضلاله فلا تُغني الآيات عنه شيئًا، ﴿**ويَهدِي**﴾: يُرشد ﴿**إلَيهِ**﴾: إلى دينه ﴿**مَن أنابَ**﴾: رجَعَ إليه، ويُبدَل مِن «مَن»: ㉘ ـ ﴿**الَّذينَ آمَنُوا وتَطمَئِنُّ**﴾: تسكن ﴿**قُلُوبُهُم بِذِكرِ اللهِ**﴾ أي: وعدِه[5]. ﴿**ألا بِذِكرِ اللهِ تَطمَئِنُّ القُلُوبُ**﴾ أي: قُلوب المُؤمنين.

﴿يدرءون﴾: يدفعونَ ويُجازونَ. ﴿عقبى الدار﴾: عاقبتُها المحمودةُ، وهيَ الجنّاتُ. ﴿سوء الدار﴾: عاقبتُها السيِّئة وهيَ النّارُ. ﴿يقدر﴾: يُضيِّقُهُ على مَن يشاءُ لحكمةٍ. ﴿متاع﴾: شيءٌ قليلٌ ذاهبٌ زائلٌ. ﴿أناب﴾: رجعَ بقلبِهِ إلى اللهِ.

(١) الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٣٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي: من مَوالاةِ المؤمنينَ، ومراعاةِ جميعِ حقوقِ النَّاسِ. (الجمالين).

(٣) والإساءَةِ بالإحسانِ، أو يُتبعونَ الحسنةَ السَّيِّئةَ فتَمحُوها. (الجمالين).

(٤) وتبسَّطُوا منها، ولم يصرفُوا فيما يستَوجبونَ به نعيمَ العُقبى. (الجمالين).

(٥) أو مطلقاً، أو بذكرِ رحمتِهِ بعد القلقِ من خشيتِهِ، أو بذكرِ دلائلِهِ الدَّالَّةِ على وجودِهِ ووحدانيَّتِهِ، أو بكلامِهِ ـ يعني: القرآنَ ـ الَّذي هو أقوى المعجزاتِ. (الجمالين).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟
عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا
سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ
بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ
ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم
بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ
ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن
قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

(٢٩) ـ **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾**: مبتدأ خبره: **﴿طُوبَى﴾** ـ مصدرٌ من الطِّيب أو شجرةٌ في الجنّة يسير الراكب في ظِلّها مِائةَ عام ما يقطعها ـ **﴿لَهُم وحُسنُ مآبٍ﴾**: مرجع.

(٣٠) ـ **﴿كَذلِكَ﴾**: كما أرسلنا الأنبياء قبلك **﴿أرسَلْناكَ في أُمّةٍ، قَد خَلَتْ مِن قَبلِها أُمَمٌ﴾**[1] **لِتَتلُوَ**: تقرأ **﴿علَيهِم الَّذِي أوحَينا إلَيكَ﴾** أي: القُرآنَ، **﴿وهُم يَكفُرُونَ بالرَّحمنِ﴾** حيثُ قالوا لمّا أُمروا بالسجود له: «وما الرَّحمنُ»؟ **﴿قُلْ﴾** لهم يا مُحمّد: **﴿هُوَ رَبِّي، لا إلٰـهَ إلّا هُوَ، علَيهِ تَوَكَّلْتُ، وإلَيهِ مَتابِ﴾**.

ونزل لمّا قالوا له: «إن كنتَ نبيًّا فسيِّرْ عنّا جبالَ مكّة[2]، واجعلْ لنا فيها أنهارًا وعُيونًا لنغرس ونزرع، وابعثْ لنا آباءنا الموتى يُكلّمونا أنك نبيٌّ»: (٣١) ـ **﴿ولَو أنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ﴾**: نُقلت عن أماكنها، **﴿أو قُطِّعَتْ﴾**: شُقّقتْ **﴿بِهِ الأرضُ، أو كُلِّمَ بِهِ المَوتَى﴾** بأن يُحيَوا، لَما آمنوا **﴿بَل للهِ الأمرُ جَمِيعًا﴾** لا لغيره، فلا يُؤمن إلّا من شاء إيمانَه دون غيره، وإن أُوتوا ما اقترحوا. ونزل لمّا أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعًا في إيمانهم[3]: **﴿أفلَم يَيأسِ﴾**: يَعلمِ **﴿الَّذِينَ آمَنُوا أنْ﴾**: مُخفّفةٌ أي: أنّه **﴿لَو يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النّاسَ جَمِيعًا﴾** إلى الإيمان من غير آية؟

﴿ولا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة **﴿تُصِيبُهُم بِما صَنَعُوا﴾**: بصنعهم، أي: كُفرهم، **﴿قارِعَةٌ﴾**: داهية تقرَعُهم بصُنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب، **﴿أو تَحُلُّ﴾** ـ يا مُحمّد ـ بجيشك **﴿قَرِيبًا مِن دارِهِم﴾**: مكّة، **﴿حَتَّى يأتِيَ وَعدُ اللهِ﴾** بالنصر عليهم ـ **﴿إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ المِيعادَ﴾**. وقد حلَّ بالحُديبية حتّى أتى فتحُ مكّة ـ (٣٢) ـ **﴿ولَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ﴾** كما استُهزئ بك ـ وهذا تسلية للنبيّ ـ **﴿فأملَيتُ﴾**: أمهلت **﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا، ثُمَّ أخَذتُهُم﴾** بالعُقوبة. **﴿فكَيفَ كانَ عِقابِ﴾**؟ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

(٣٣) ـ (٣٤) ـ **﴿أفَمَن هُوَ قائمٌ﴾**: رقيب **﴿علَى كُلِّ نَفسٍ بِما كَسَبَتْ﴾**: عملتْ من خير وشر ـ وهو الله ـ كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا دلّ

﴿طوبى لهم﴾: عيشٌ طيِّبٌ لهُم في الآخرةِ. ﴿حُسن مآب﴾: حسنُ مرجعٍ ومُنقلبٍ. ﴿إليه متاب﴾: إلى اللهِ وحدَهُ مرجعي وتوبتي. ﴿أفلم ييأس..﴾: أفلم يعلمْ ويتبيَّنْ.. ﴿قارعة﴾: داهيةٌ تقرعُهُم بصنوفِ البلايا. ﴿فأمليتُ..﴾: أمهلتُ وأطلتُ في أمنٍ ودَعَةٍ. ﴿واق﴾: حافظٍ وعاصمٍ.

(١) نزلَتْ في صُلحِ الحُديبيةِ حين أرادوا كتابَ الصُّلحِ، فقال رسولُ الله عليه السَّلامُ لعليٍّ رضي الله عنه: «اكتُبْ: بسم الله الرَّحمنِ الرحيمِ»، فقال سُهَيلُ بنُ عمرو والمشركون: ما نعرفُ الرَّحمن إلّا صاحبَ اليمامةِ ـ يعنون: مُسيلمةَ الكذَّابَ ـ اكتُبْ: باسمِكَ اللَّهمَّ، وهكذا كانَ أهلُ الجاهليّة يكتُبون، فأنزَلَ اللهُ فيهم هذه الآيةَ. الطبري (١٣/ ٥٣١) عن قتادة ومجاهد، وعزاه الثعلبي (١٥/ ٢٩٦) لقتادة وابن جريج واللفظ له. وأصل الحديث رواه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

وعن جويبر عن الضحاك عن ابن عبَّاسٍ: نزلَتْ في كفَّارِ قُريشٍ حينَ قال لهم: ﴿اسجُدوا للرَّحمنِ﴾، قالوا: ﴿وما الرَّحمنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]. الثعلبي (١٥/ ٢٩٧)، والواحدي (ص: ٢٧٣). وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

وعن ابن عباس: سمعَ أبو جهلٍ رسولَ الله ﷺ يدعُو في الحِجْرِ ويقولُ: «يا رحمنُ» فقال: كان محمَّدٌ ينهانا عن عبادةِ الآلهةِ وهو يدعُو إلـهَين، فنزلَتْ هذه الآيةُ، ونزلَ: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [الإسراء: ١١٠]. رواه أبو نعيم في «طرق حديث إن لله تسعة وتسعين اسمًا» (٩٠)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (١٣/ ٣٦٠) وسنده ضعيف كما قال ابن حجر. وسيأتي نحوه في آية الإسراء وحدها من طريق آخر عن ابن عباس.

(٢) رواه مطولًا أبو يعلى (٦٧٩)، والواحدي (ص: ٢٧٤)، وابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٩٠)، من حديث الزبير رضي الله عنه. قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٥): رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم، وكلاهما وثق، وقد ضعفهما الجمهور.

وعن ابن عباس: قالوا للنبي ﷺ: إن كان كما تقول فأرِنا أشياخَنا الأُوَل من الموتى نكلِّمْهم، وافتحْ لنا هذه الجبالَ جبال مكة التي قد ضمَّتْنا، فنزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ الآيةَ. الطبراني في «الكبير» (١٢٦١٧). قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): فيه قابوس بن أبي ظبيانَ وهو ضعيفٌ، وقد وُثق.

(٣) ذكره دون نسبة أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (٩/ ٧٠).

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ
﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ
وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

الحزب ٢٦

على هذا: ﴿**وجَعَلُوا لِلهِ شُرَكاءَ. قُلْ: سَمُّوهُم**﴾ له، مَن هم؟ ﴿**أم**﴾: بل أ ﴿**تُنَبِّئُونَهُ**﴾: تُخبرون الله ﴿**بِما**﴾ أي: بشريكٍ ﴿**لا يَعلَمُ**﴾ ـه ﴿**في الأرضِ**﴾؟ استفهام إنكار، أي: لا شريك له إذ لو كان لعَلِمَه ـ تعالى عن ذلك ـ ﴿**أم**﴾: بل تُسمّونهم شُركاء ﴿**بِظاهِرٍ مِنَ القَولِ**﴾: بظنٍّ باطل لا حقيقة له في الباطن.

﴿**بَل زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكرُهُم**﴾: كُفرهم، ﴿**وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ**﴾: طريق الهُدى. ﴿**ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ. لَهُم عَذابٌ في الحَياةِ الدُّنيا**﴾ بالقتل والأسر، ﴿**ولَعَذابُ الآخِرةِ أشَقُّ**﴾: أشدّ منه، ﴿**وما لَهُم مِنَ اللهِ**﴾ أي: عذابه ﴿**مِن واقٍ**﴾: مانع.

٣٥ ـ ﴿**مَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ**﴾: مبتدأ خبرُه محذوف، أي: فيما يُقَصُّ عليكم، ﴿**تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ، أُكُلُها**﴾: ما يُؤكل فيها ﴿**دائِمٌ**﴾: لا يفنى، ﴿**وظِلُّها**﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها. ﴿**تِلكَ**﴾ أي: الجنّة ﴿**عُقبى**﴾: عاقبةُ ﴿**الَّذينَ اتَّقَوا**﴾ الشِّركَ، ﴿**وعُقبى الكافِرِينَ النّارُ**﴾.

٣٦ ـ ﴿**والَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ**﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود ﴿**يَفرَحُونَ بِما أُنزِلَ إليكَ**﴾ لمُوافقته ما عِندهم، ﴿**ومِنَ الأحزابِ**﴾ الذين تحزّبوا عليك بالمُعاداة من المشركين واليهود ﴿**مَن يُنكِرُ بَعضَهُ**﴾ كذِكر الرحمن وما عدا القَصص. ﴿**قُل: إنَّما أُمِرتُ**﴾ فيما أُنزل إليّ ﴿**أن**﴾ أي: بأن ﴿**أعبُدَ اللهَ ولا أُشرِكَ بِهِ. إلَيهِ أدعُو وإلَيهِ مآبِ**﴾: مَرجِعي.

٣٧ ـ ﴿**وكَذلِكَ**﴾ الإنزال ﴿**أنزَلناهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**حُكمًا عَرَبِيًّا**﴾ بلغة العرب، تحكم به بين الناس. ﴿**ولَئِنِ اتَّبَعتَ أهواءَهُم**﴾ أي: الكُفّارِ فيما يدعونك إليه من مِلّتهم فَرْضًا ﴿**بَعدَ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ**﴾ بالتوحيد ﴿**مالَكَ مِنَ اللهِ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**وَلِيٍّ**﴾: ناصرٍ ﴿**ولا واقٍ**﴾: مانعٍ من عذابه.

ونزل لمّا عيّروه[1] بكثرة النساء: ٣٨ ـ ﴿**ولَقَد أرسَلنا رُسُلاً مِن قَبلِكَ، وجَعَلنا لَهُم أزواجًا وذُرِّيَّةً**﴾: أولادًا ـ وأنت مِثلهم ـ ﴿**وما كانَ لِرَسُولٍ**﴾ منهم ﴿**أن يأتِيَ بِآيَةٍ إلّا بِإذنِ اللهِ**﴾ لأنهم عبيد مَربوبون ﴿**لِكُلِّ أجَلٍ**﴾: مُدّةٍ ﴿**كِتابٌ**﴾ مكتوب فيه تحديدُه. ٣٩ ـ ﴿**يَمحُو اللهُ**﴾ منه ﴿**ما يَشاءُ ويُثبِتُ**﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها، ﴿**وعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ**﴾: أصلُه الذي لا يَتغيّر منه شيء، وهو ما كتبه في الأزَل.

٤٠ ـ ﴿**وإمّا**﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿**نُرِيَنَّكَ بَعضَ الَّذي نَعِدُهُم**﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك، ﴿**أو نَتَوَفَّيَنَّكَ**﴾ قبل تعذيبهم، ﴿**فإنَّما عَلَيكَ البَلاغُ**﴾: ما عليك إلّا التبليغ، ﴿**وعَلَينا الحِسابُ**﴾ إذا صاروا إلينا فنُجازيهم.

٤١ ـ ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿**أنّا نأتي الأرضَ**﴾: نقصِد أرضهم، ﴿**نَنقُصُها مِن أطرافِها**﴾ بالفتح على النبيّ؟ ﴿**واللهُ يَحكُمُ**﴾ في خلقه بما يشاء، ﴿**لا مُعَقِّبَ**﴾: لا رادّ ﴿**لِحُكمِهِ، وهُوَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾.

٤٢ ـ ﴿**وقَد مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ من الأُمم بأنبيائهم كما مكروا بك. ﴿**فَللهِ المَكرُ جَمِيعًا**﴾، وليس مكرهم كمكره لأنه ـ تعالى ـ ﴿**يَعلَمُ ما تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ**﴾ فيُعِدّ لها جزاءه. وهذا هو المكر كُلّه لأنه يأتيهم به من حيثُ لا يشعرون. ﴿**وسَيَعلَمُ الكافِرُ**﴾ المُراد به الجِنس ـ وفي قراءة: «الكُفّار» ـ ﴿**لِمَن عُقبى الدّارِ**﴾ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخِرة؟ ألهم أم للنبيّ وأصحابه؟

﴿أكُلُها دائم﴾: ثمرُها الّذي يؤكلُ لا ينقطعُ. ﴿إليه مآب﴾: إلى اللهِ وحدَهُ مرجعي للجزاءِ. ﴿لكلّ أجل كتاب﴾: لكلِّ وقتٍ حكمٌ معيَّنٌ بالحكمةِ. ﴿أمّ الكتاب﴾: اللّوحُ المحفوظُ أوِ العلمُ الإلهيُّ. ﴿لا مُعقِّب لحكمه﴾: لا رادَّ ولا مُبطلَ لهُ.

(١) الذين عيروه بذلك هم اليهود كما ذكره الواحدي (ص: ٢٧٤) عن الكلبي. ورواه الطبري (٧/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٧٨)، لكن في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم﴾ [النساء: ٥٤].

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

(٤٣) ـ ﴿ويَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لك: ﴿لَسْتَ مُرسَلاً. قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وبَيْنَكُم﴾ على صِدقي ﴿ومَن عِندَهُ عِلمُ الكِتابِ﴾[1] من مؤمني اليهود والنصارى!

* * *

١٤

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

مكية إلّا «ألم تر إلى الذين بدّلوا» الآيتين، إحدى أو ثنتان أو أربعٌ أو خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿الر﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

هذا القُرآن ﴿كِتابٌ أنزلْناهُ إليكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿لِتُخرجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان ﴿بإذنِ﴾: بأمر ﴿رَبِّهِم﴾، ويُبدل من «إلى النور»: ﴿إلَى صِراطِ﴾: طريقِ ﴿العَزِيزِ﴾: الغالب ﴿الحَمِيدِ﴾: المحمود[2]، (٢) ـ (٣) ـ ﴿اللهِ﴾ بالجرِّ: بدل أو عطف بيان وما بعده صِفة، والرفع: مبتدأ خبرُه: ﴿الَّذِي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأَرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿ووَيلٌ لِلكافِرِينَ مِن عَذابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ﴾: نعت ﴿يَستَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿الحَياةَ الدُّنيا علَى الآخِرةِ، ويَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: دِينِ الإسلام، ﴿ويَبغُونَها﴾ أي: السبيلَ ﴿عِوَجًا﴾: مُعْوَجّة. ﴿أُولئِكَ في ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ[3].

(٤) ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن رَسُولٍ إلّا بِلِسانِ﴾: بلغةِ ﴿قَومِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾: ليُفهّمهم[4] ما أتى به، ﴿فيُضِلُّ اللهُ مَن يَشاءُ ويَهدِي مَن يَشاءُ ـ وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه ـ (٥) ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أنْ أخرِجْ قَومَكَ﴾ بني إسرائيلَ ﴿مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان، ﴿وذَكِّرْهُم بِأيّامِ اللهِ﴾: بنِعَمِه. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ التذكير ﴿لآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنِّعَم.

﴿بإذن ربّهم﴾: بتيسيرِهِ وتوفيقِهِ لهُم أو بأمرِهِ. ﴿العزيز﴾: الغالبِ أوِ الَّذي لا مثلَ له. ﴿الحميد﴾: المحمودِ المُثنى عليهِ. ﴿ويلٌ﴾: هلاكٌ أو حسرةٌ أو وادٍ في جهنَّمَ. ﴿يستحبّون﴾: يختارونَ ويُؤثرونَ. ﴿يبغونها عوجاً﴾: يطلبونَها مُعوجَّةً أو ذاتَ اعوجاجٍ. ﴿بأيّام الله﴾: بنعمائِهِ أو وقائعِهِ في الأممِ الخاليةِ.

(١) قال عبدُ الله بن سلام: نزلَتْ فيَّ هذه الآيةُ. رواه الترمذي (٣٢٥٦) في قصة حصار عثمان رضي الله عنه، والطبري (١٣/ ٥٨٢) مقتصراً على القطعة التي ذكرناها، وإسناده ضعيف؛ فيه ابن أخي عبد الله بن سلام وهو مجهول كما في «التقريب»، وقال الترمذي: «حديث غريب». وقال سعيد بنُ جُبَيرٍ: السُّورةُ مكّيةٌ، فكيف يكونُ عبد الله بن سلَامٍ. رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٧٧)، والطبري (١٣/ ٥٨٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥).

(٢) وإضافَةُ الصِّراطِ إلى اللهِ لأنَّهُ مقصدُهُ، أو المظهِرُ له، وتخصِيصُ الوصفَينِ إشارةٌ إلى أنَّهُ لا يُذَلُّ سالكُهُ ولا يخيَّبُ سائلُهُ. (الجمالين).

(٣) أي: ضلُّوا عن الحقِّ ووقَعوا عنه بمراحلَ، والبعدُ في الحقيقةِ للضَّالِّ، فوصفَ به فعلَهُ للمُبالغَةِ. (الجمالين).

(٤) بيسرٍ وسرعةٍ، ثمَّ ينقُلوهُ ويترجِموهُ لغيرِهم، فإنَّهُم أولى النَّاسِ إليه بأن يَدعوهُم. (الجمالين).

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى
ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى
لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا
بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾
۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

(٦) ـ (٧) ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ موسَى لِقومِهِ: اذكُروا نِعمةَ اللهِ علَيكُم، إذ أنجاكُم مِن آلِ فِرعَونَ، يَسومُونكُم سُوءَ العَذابِ، ويُذَبِّحُونَ أبناءَكُم﴾ المولودِين، ﴿ويَستَحيُونَ﴾: يَستبقُون ﴿نِساءَكُم﴾ لقول بعضِ الكهنة: إنّ مولودًا يُولد في بني إسرائيلَ يكون سببَ ذهابِ مُلكِ فِرعونَ ـ ﴿وفي ذلِكُم﴾: الإنجاءِ أو العذابِ ﴿بَلاءٌ﴾: إنعام أو ابتلاء[1]، ﴿مِن رَبِّكُم عَظِيمٌ ـ وإذ تأذَّنَ﴾: أعلمَ ﴿رَبُّكُم: لَئِنْ شَكَرتُم﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لأزيدَنَّكُم[2]، ولَئِنْ كَفرتُم﴾: جحدتم النِّعمة بالكُفر والمعصية لأعذِّبنكم، دلّ عليه[3]: ﴿إنَّ عَذابي لَشَديدٌ﴾.

(٨) ـ ﴿وقالَ موسَى﴾ لقومه: ﴿إن تكفُروا أنتُم ومَن في الأرضِ جَمِيعًا فإنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في صُنعه بهم. (٩) ـ ﴿ألَم يأتِكُم﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ ﴿نَبَأُ﴾: خبرُ ﴿الَّذينَ مِن قَبلِكُم قَومِ نُوحٍ وعادٍ﴾: قومِ هودٍ ﴿وثَمُودَ﴾: قومِ صالح، ﴿والَّذينَ مِن بَعدِهِم، لا يَعلَمُهُم إلّا اللهُ﴾ لكثرتهم؟ ﴿جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالحُجج الواضحة على صِدقهم، ﴿فرَدُّوا﴾ أي: الأُممُ ﴿أيدِيَهُم في أفواهِهِم﴾ أي: إليها ليعضّوا[4] عليها من شِدّة الغيظ، ﴿وقالوا: إنّا كَفَرْنا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾ على زعمكم، ﴿وإنّا لَفِي شَكٍّ مِمّا تدعُونَنا إلَيهِ مُرِيبٍ﴾: مُوقعٍ للرِّيبة.

(١٠) ـ ﴿قالَتْ رُسُلُهُم: أفِي اللهِ شَكٌّ﴾، استفهام[5] إنكار، أي: لا شكَّ في توحيده للدلائل الظاهرة عليه، ﴿فاطِرِ﴾: خالقِ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، يَدعُوكُم﴾ إلى طاعته ﴿لِيَغفِرَ لَكُم مِن ذُنُوبِكُم﴾ ـ من: زائدةٌ، فإنّ الإسلام يُغفر به ما قبلَه، أو تبعيضيةٌ لإخراج حُقوق العباد ـ ﴿ويُؤَخِّرَكُم﴾ بلا عذاب ﴿إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: أجلِ الموت؟ ﴿قالُوا: إنْ﴾: ما ﴿أنتُم إلّا بَشَرٌ مِثلُنا، تُرِيدُونَ أن تَصُدُّونا عَمّا كانَ يَعبُدُ آباؤُنا﴾ من الأصنام. ﴿فأْتُونا بِسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: حُجّة ظاهرة على صِدقكم.

﴿يسومونكم﴾: يذيقونَكم ويكلِّفونكم. ﴿يستحيون نساءكم﴾: يستبقونَ بناتِكُم للخدمةِ. ﴿بلاء﴾: ابتلاءٌ بالنِّعمِ والنِّقمِ. ﴿تأذّن ربكم﴾: أعلمَ إعلاماً لا شُبهةَ معَهُ. ﴿فردّوا أيديهم في أفواههم﴾: عضُّوا على أناملِهم تغيُّظاً مِنَ الرُّسلِ وكلامهم. ﴿مريب﴾: مُوقعٍ في الرِّيبةِ والقلقِ. ﴿فاطر..﴾: مُبدعٍ ومُخترعٍ.. ﴿بسلطان﴾: حجّةٍ وبرهانٍ على صدقِكُم.

(١) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ. (الجمالين).

(٢) أي: نعمةً إلى نعمةٍ، قيلَ: لئن شكَرتُم هدايَتِي لأزيدنَّكُم خدمَتِي، ولئنْ شكرْتُم خدمَتِي لأزيدنَّكُم ولايتِي، ولئن شَكرْتُم ولايتِي لأزيدنَّكُم مشاهَدتي، ولئن شكَرْتُم مشاهَدتِي لأزيدنَّكُم رُؤيَتِي. (الجمالين).

(٣) ومن عادةِ أكرمِ الأكرَمينَ أن يصرِّحَ بالوَعدِ ويعرِّضَ بالوَعيدِ. (الجمالين).

(٤) وقيل: المعنى: فردُّوا أيديَهُم إلى أفواهِ الأنبياءِ تسكيتاً لهم عن الإنباءِ. (الجمالين).

(٥) أُدخِلَت همزةُ الإنكارِ على الظَّرفِ؛ لأنَّ الكلامَ في المشكوكِ فيه لا في الشَّكِّ؛ أي: إنَّما نَدعوكُم إلى اللهِ، وهو لا يحتَمِلُ الشَّكَّ. (الجمالين).

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ ـ ﴿**قالَتْ لَهُم رُسُلُهُم: إنْ**﴾: ما ﴿**نحنُ إلّا بَشَرٌ مِثلُكُم**﴾ كما قلتم، ﴿**ولكِنَّ اللهَ يَمُنُّ على مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ**﴾ بالنُّبوّة[1]، ﴿**وما كانَ**﴾: ما ينبغي ﴿**لَنا أن نأتِيَكُم بِسُلطانٍ إلّا بِإذنِ اللهِ**﴾: بأمره لأنّا عبيد مَربوبون. ﴿**وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ**﴾: يثقوا به. ﴿١٢﴾ ـ ﴿**وما لَنا ألّا نَتَوَكَّلَ على اللهِ**﴾ أي: لا مانعَ لنا من ذلك، ﴿**وقَد هَدانا سُبُلَنا؟ ولَنَصبِرَنَّ على ما آذَيتُمُونا**﴾: على أذاكم. ﴿**وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلونَ**﴾.

﴿١٣﴾ ـ ﴿**وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِم: لَنُخرِجَنَّكُم مِن أرضِنا، أو لَتَعُودُنَّ**﴾: لتصيرُنّ[2] ﴿**في مِلَّتِنا**﴾: دِيننا. ﴿**فأوحَى إلَيهِم رَبُّهُم: لَنُهلِكَنَّ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين، ﴿١٤﴾ ـ ﴿**ولَنُسكِنَنَّكُمُ الأرضَ**﴾: أرضهم ﴿**مِن بَعدِهِم**﴾: بعد هلاكهم. ﴿**ذلِكَ**﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿**لِمَن خافَ مَقامِي**﴾ أي: مقامَه بين يديّ، ﴿**وخافَ وَعِيدِ**﴾ بالعذاب.

﴿١٥﴾ ـ ﴿**واستَفتَحُوا**﴾: استنصر الرسل بالله على قومهم، ﴿**وخابَ**﴾: خسر ﴿**كُلُّ جَبّارٍ**﴾: مُتكبّر عن طاعة الله ﴿**عَنِيدٍ**﴾: مُعاند للحقّ، ﴿١٦﴾ ـ ﴿**مِن وَرائِهِ**﴾ أي: أمامِه ﴿**جَهَنَّمُ**﴾ يدخلها، ﴿**ويُسقَى**﴾ فيها ﴿**مِن ماءٍ صَدِيدٍ**﴾ ـ هو ما يَسيل من جَوف أهل النار مُختلطًا بالقَيح والدم ـ ﴿١٧﴾ ـ ﴿**يَتَجَرَّعُهُ**﴾: يبتلعه مرّة بعد مرّة لمرارته، ﴿**ولا يَكادُ يُسِيغُهُ**﴾: يَزدرده[3] لقُبحه وكراهته، ﴿**ويأتِيهِ المَوتُ**﴾، أي: أسبابه المُقتضية له من أنواع العذاب ﴿**مِن كُلِّ مَكانٍ، وما هُوَ بِمَيِّتٍ، ومِن وَرائِهِ**﴾: بعدِ ذلك العذابِ ﴿**عَذابٌ غَلِيظٌ**﴾: قويّ مُتّصل.

﴿١٨﴾ ـ ﴿**مَثَلُ**﴾: صِفةُ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم**﴾: مبتدأ، ويُبدَل منه: ﴿**أعمالُهُم**﴾ الصالحةُ كصِلةٍ وصدقة[4] في عدم الانتفاع بها ﴿**كَرَمادٍ اشتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ في يَومٍ عاصِفٍ**﴾: شديدِ هُبوبِ الريح، فجعلته هباءً منثورًا لا يُقدر عليه. والمجرور خبر المبتدأ. ﴿**لا يَقدِرُونَ**﴾ أي: الكُفّار[5] ﴿**مِمّا كَسَبُوا**﴾: عملوا في الدنيا ﴿**على شَيءٍ**﴾ أي: لا يجدون له ثوابًا لعدم شرطه[6]. ﴿**ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ**﴾: الهلاك ﴿**البَعِيدُ**﴾.

﴿خاف مقامي﴾: موقفَهُ بينَ يديَّ للحسابِ. ﴿استفتحوا﴾: استنصرَ الرُّسلُ باللهِ على الظَّالمينَ. ﴿خاب كلّ جبّار﴾: خسرَ وهلكَ كلُّ مُتعاظِمٍ مُتكبِّرٍ. ﴿عنيد﴾: مُعانِدٍ للحقِّ، مُجانبٍ لهُ. ﴿صديد﴾: ما يسيلُ مِن أجسادِ أهلِ النَّارِ. ﴿يتجرّعه﴾: يتكلَّفُ بلعَهُ لحرارتِهِ ومرارتِهِ. ﴿لا يكاد يسيغه﴾: يبتلعُهُ لشدَّةِ كراهتِهِ ونتنِهِ. ﴿يوم عاصف﴾: شديدِ هبوبِ الرِّيحِ.

(١) سلّموا مشاركتَهُم في الجنسِ، وجعلُوا الموجِبَ لاختصاصِهِم بالنُّبوّةِ فضلَ اللهِ ومنَّه عليهم. (الجمالين).

(٢) يعني: العَوْدُ بمعنى الصَّيرورةِ؛ لأنَّهُم لم يكونُوا على ملَّتِهِم. (الجمالين).

(٣) أي: لا يقربُ أن يسيغَهُ فكيفَ يسيغُه، بل يغصُّ به فيطولُ عذابُهُ، والسَّوغُ: مجاوزةُ الشَّرابِ على الحلقِ بسهولةٍ وقبولِ نفسٍ. (الجمالين).

(٤) وإغاثةِ ملهوفٍ ونحوِ ذلك من مكارمِهِم؛ لبنائِها على غيرِ أساسٍ من معرفةِ اللهِ والتوجُّهِ بها إليه. (الجمالين).

(٥) يومَ القيامةِ. (الجمالين).

(٦) وهو الإيمانُ، أو الإخلاصُ، أو لأنَّهُم جُوزوا به في الدُّنيا. (الجمالين).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا
قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ
أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم
مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ
بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

(١٩) ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تنظرْ يا مُخاطَبًا ـ استفهام تقرير ـ ﴿أنَّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾؟: متعلقٌ بـ «خلقَ». ﴿إن يَشَأْ يُذهِبْكُم﴾ ـ أيُّها الناس ـ ﴿ويأتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلَكم، (٢٠) ـ ﴿وما ذلِكَ علَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾: شديد.

(٢١) ـ ﴿وبَرَزُوا﴾ أي: الخلائق ـ والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقّق وقوعه ـ ﴿لِلهِ جَمِيعًا، فقالَ الضُّعَفاءُ﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ استكبَرُوا﴾ المتبوعين: ﴿إنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا﴾: جمع تابع[1]. ﴿فهَل أنتُم مُغنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنّا مِن عَذابِ اللهِ مِن شَيءٍ﴾؟ مِن الأُولى: للتبيين[2]، والثانية: للتبعيض[3]. ﴿قالُوا﴾ أي: المتبوعون: ﴿لَو هَدانا اللهُ لَهَدَيناكُم﴾: لدعوناكم[4] إلى الهُدى. ﴿سَواءٌ علَينا أجَزِعْنا أم صَبَرْنا. مالَنا مِن﴾: زائدةٌ ﴿مَحِيصٍ﴾: مَلجأ[5].

(٢٢) ـ ﴿وقالَ الشَّيطانُ﴾ إبليس، ﴿لَمّا قُضِيَ الأمرُ﴾ وأُدخل أهلُ الجنّةِ الجنّةَ وأهلُ النار النارَ، واجتمعوا[6] عليه: ﴿إنَّ اللهَ وَعَدَكُم وَعدَ الحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم، ﴿ووَعَدتُكُم﴾ أنه غير كائن ﴿فأخلَفتُكُم، وما كانَ لِي علَيكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿سُلطانٍ﴾: قُوّة وقُدرة أقهركم على متابعتي، ﴿إلّا﴾: لكنْ ﴿أنْ دَعَوتُكُم فاستَجَبتُم لِي. فلا تَلُومُونِي ولُومُوا أنفُسَكُم﴾ على إجابتي. ﴿ما أنا بِمُصرِخِكُم﴾: بمُغيثكم، ﴿وما أنتُم بِمُصرِخِيَّ﴾، بفتح الياء وكسرها. ﴿إنِّي كَفَرتُ بِما أشرَكتُمُونِي﴾: بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبلُ﴾ في الدنيا. قال تعالى: ﴿إنَّ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين[7] ﴿لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلم.

(٢٣) ـ ﴿وأُدخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ﴾: حالٌ مُقدّرة ﴿فِيها بِإذنِ رَبِّهِم، تَحِيَّتُهُم فِيها﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلامٌ﴾.

(٢٤) ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تنظرْ: ﴿كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾، ويُبدل منه ﴿كَلِمةً طَيِّبةً﴾ أي: لا إلٰه إلّا الله، ﴿كَشَجَرةٍ طَيِّبةٍ﴾ هي النخلة، ﴿أصلُها ثابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وفَرعُها﴾: غُصنها ﴿في السَّماءِ﴾.

﴿برزوا﴾: خرجوا مِنَ القبورِ للحساب. ﴿مُغنون عنّا﴾: دافِعونَ عنّا. ﴿محيصٍ﴾: منجىً ومهربٍ ومَزاغٍ. ﴿سلطان﴾: تسلُّطٍ أو حجّةٍ. ﴿بمصرخكم﴾: بمُغيثِكُم مِنَ العذابِ. ﴿بمصرخيّ﴾: بمغيثيَّ مِنَ العذابِ. ﴿كلمةً طيّبةً﴾: كلمةَ التّوحيدِ والإسلامِ.

(١) كخادمٍ وخَدَمٍ، أو مصدرٌ نُعتَ به للمُبالغةِ، أو على إضمارِ مُضافٍ؛ أي: ذوي تبعٍ. (الجمالين).

(٢) واقعةٌ موقعَ الحالِ. (الجمالين).

(٣) واقعةٌ موقعَ المفعولِ، أو زائدةٌ. (الجمالين).

(٤) ولكن ضَلَلنا فأضلَلناكُم؛ أي: اخترْنا لكم ما اخترْنا لأنفُسِنا. (الجمالين).

(٥) ومَنجًى ومهربٍ من العَذابِ. (الجمالين).

(٦) أي: أهلُ النّارِ خطيباً في الأشقياءِ من الثَّقلينِ. (الجمالين).

(٧) تتمّةُ كلامِهِ، أو ابتداءُ كلامٍ من اللهِ تعالى، وفي حكايةِ أمثالِ ذلك لطفٌ للسّامعينَ وإيقاظٌ لهم حتّى يحاسِبوا أنفسَهُم، ويتدبَّروا عواقبَهُم، وإعلامٌ بأنَّ اللهَ يعلمُ أحوالَ مبدئهِم ومعادِهِم. (الجمالين).

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن
قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ
مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ
تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

(٢٥) ـ ﴿**تُؤتِي**﴾: تُعطي ﴿**أُكُلَها**﴾: ثمرها ﴿**كُلَّ حِينٍ بِإذنِ رَبِّها**﴾: بإرادته؟ كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعملُه يصعد إلى السماء وينالُه بركته وثوابه كُلَّ وقت. ﴿**ويَضرِبُ**﴾: يُبيّن ﴿**اللهُ الأمثالَ لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ**﴾: يتّعظون فيؤمنون.

(٢٦) ـ ﴿**ومَثَلُ كَلِمةٍ خَبيثةٍ**﴾ ـ هي كلمة الكُفر ـ ﴿**كَشَجَرةٍ خَبيثةٍ**﴾ هي الحَنظَل، ﴿**اجتُثَّتْ**﴾: استُؤصلتْ ﴿**مِن فَوقِ الأرضِ، مالَها مِن قَرارٍ**﴾: مُستقَرّ وثبات. كذلك كلمة الكُفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

(٢٧) ـ ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثّابِتِ**﴾ ـ هو كلمة التوحيد ـ ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا وفي الآخِرةِ**﴾ أي: في القبر لمّا يسألُهم الملكانِ عن ربّهم ودِينهم ونبيّهم، فيُجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين[1]، ﴿**ويُضِلُّ اللهُ الظّالِمِينَ**﴾: الكُفّار فلا يهتدون إلى الجواب بالصواب ـ بل يقولون: «لا ندري» كما في الحديث ـ ﴿**ويَفعَلُ اللهُ ما يَشاءُ**﴾.

(٢٨) ـ ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تنظرْ ﴿**إلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعمةَ اللهِ**﴾ أي: شُكرَها ﴿**كُفرًا**﴾[2]، هم كُفّار قريش، ﴿**وأحَلُّوا**﴾: أنزلوا ﴿**قَومَهُم**﴾ بإضلالهم إياهم ﴿**دارَ البَوارِ**﴾: الهلاكِ، (٢٩) ـ ﴿**جَهَنَّمَ**﴾: عطفُ بيان ﴿**يَصلَونَها**﴾ يَدخلونها، ﴿**وبِئسَ القَرارُ**﴾ المقرُّ هي! (٣٠) ـ ﴿**وجَعَلُوا للهِ أندادًا**﴾: شُركاء ﴿**لِيَضِلُّوا**﴾ ـ بفتح الياء وضمّها ـ ﴿**عَن سَبِيلِهِ**﴾: دِين الإسلام؟ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**تَمَتَّعُوا**﴾ بدنياكم قليلاً. ﴿**فإنَّ مَصِيرَكُم**﴾: مَرجعكم ﴿**إلَى النّارِ**﴾.

(٣١) ـ ﴿**قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، يُقِيمُوا الصَّلاةَ، ويُنفِقُوا مِمّا رَزَقْناهُم سِرًّا وعَلانِيةً، مِن قَبلِ أن يأتِيَ يَومٌ، لا بَيعٌ**﴾: فِداءٌ ﴿**فِيهِ ولا خِلالَ**﴾: مُخالّةَ أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

(٣٢) (٣٣) ـ ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزقًا لَكُم، وسَخَّرَ لَكُم الفُلكَ**﴾: السُّفن ﴿**لِتَجرِيَ في البَحرِ**﴾ بالركوب والحمل ﴿**بِأمرِهِ**﴾: بإذنه، ﴿**وسَخَّرَ لَكُمُ الأنهارَ، وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمسَ والقَمَرَ دائبَينِ**﴾: جاريَين في فلكهما لا يفتُران، ﴿**وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ**﴾ لتسكنوا فيه، ﴿**والنَّهارَ**﴾ لتبتغوا فيه من فضله،..........................

﴿تُؤتي أُكلها﴾: تُعطي ثمرَها الَّذي يُؤكَلُ. ﴿كلمة خبيثة﴾: كلمةِ الكفرِ والضَّلالِ. ﴿اجتُثّت﴾: اقتُلِعَتْ جثّتُها مِن أصلِها. ﴿في الحياة الدّنيا﴾: في القبرِ عندَ السُّؤالِ. ﴿دار البوار﴾: دارَ الهلاكِ (جهنّم). ﴿يصلونها﴾: يدخلونَها أو يُقاسونَ حرَّها. ﴿أنداداً﴾: أمثالاً مِنَ الأوثانِ يعبدونَها. ﴿لا خِلالٌ﴾: لا مُخالَّةٌ ولا مُوادَّةٌ. ﴿دائبين﴾: دائمينَ في منافعِهما لكُم.

(١) البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)، عن البراء رضي الله عنه.

(٢) عن عمر وعلي رضي الله عنهما: أنها نزلت في الأفجَرَين من قُريشٍ؛ بنِي المُغيرةِ وبني أميَّةَ، فأمَّا بنو المُغيرةِ فكُفيتُموهُم يومَ بدرٍ، وأمَّا بنو أميَّةَ فمُتِّعوا حتى حينٍ.
أورده سفيان الثوري في «تفسيره» (٤٦٤)، وعبد الرزاق (١٤١٠) و(٢٩٧٠)، والطبري (١٣/ ٦٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٧٧٦)، والحاكم (٣٣٤٣) وصححه، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٢٦)، عن علي رضي الله عنه.
ورواه عن عمر رضي الله عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٣٧٣)، والطبري (١٣/ ٦٦٩).
وعن عطاء بن يسارٍ، قال: نزلت هذه الآيةُ في الذين قتلوا من قريش. الطبري (١٣/ ٦٧٦).

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ
رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن
تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ
إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا
وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

(٣٤) ـ ﴿وآتاكُم مِن كُلِّ ما سألتُموهُ﴾ على حسَب مصالحكم. ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ﴾، بمعنى إنعامه، ﴿لا تُحصُوها﴾: لا تُطيقوا عدّها. ﴿إنَّ الإنسانَ﴾: الكافرَ ﴿لَظَلُومٌ كَفّارٌ﴾: كثير الظلم[1] لنفسه بالمعصية والكُفر لنِعمة ربه.

(٣٥) ـ (٣٦) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ إبراهيمُ: رَبِّ، اجعَلْ هذا البَلَدَ﴾ مكّةَ ﴿آمِنًا﴾: ذا أمنٍ ـ وقد أجاب الله دُعاءَه فجعله حَرَمًا لا يُسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يُصاد صيده ولا يُختلى خَلاه ـ ﴿واجنُبْني﴾: بعِّدْني ﴿وبَنِيَّ﴾ عن ﴿أن نَعبُدَ الأصنامَ. رَبِّ، إنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أضلَلْنَ كَثيرًا مِنَ النّاسِ﴾ بعِبادتهم[2] لها. ﴿فمَن تَبِعَني﴾ على التوحيد ﴿فإنَّهُ مِنّي﴾: من أهل دِيني، ﴿ومَن عَصاني فإنَّكَ غَفورٌ رَحيمٌ﴾ هذا قبلَ عِلمه[3] أنه ـ تعالى ـ لا يَغفِر الشِّرك.

(٣٧) ـ ﴿رَبَّنا، إنِّيَ أسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي﴾ أي: بعضها ـ وهو إسماعيل مع أُمّه هاجَرَ ـ ﴿بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ﴾، هو مكّة[4]، ﴿عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل الطوفان، ﴿رَبَّنا، لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ. فاجعَلْ أفئِدةً﴾: قُلوبًا[5] ﴿مِنَ النّاسِ تَهوِي﴾: تَميلُ وتَحِنّ ﴿إلَيهِم﴾ ـ قال ابن عبّاس: لو قال «أفئدةَ الناسِ» لحنّت إليه فارسُ والروم والناس كُلّهم ـ ﴿وارزُقْهُم مِنَ الثَّمَراتِ، لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ﴾. وقد فَعلَ بنقل الطائف إليه.

(٣٨) ـ ﴿رَبَّنا، إنَّكَ تَعلَمُ ما نُخفِي﴾: نُسِرّ ﴿وما نُعلِنُ، وما يَخفَى علَى اللهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ﴾. يحتمل أن يكون من كلامه ـ تعالى ـ أو كلام إبراهيم. (٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿الحَمدُ لِلهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾: أعطاني ﴿علَى﴾: معَ ﴿الكِبَرِ إسماعِيلَ﴾ ـ وُلِدَ وله تسعٌ وتسعون سنةً ـ ﴿وإسحاقَ﴾ وُلد وله مِائةٌ وثِنتا عَشرة سنةً. ﴿إنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ. رَبِّ، اجعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ و﴾ اجعلْ ﴿مِن ذُرِّيَّتي﴾ من يُقيمها ـ وأتى بـ «مِن» لإعلام الله ـ تعالى ـ له أنّ منهم كُفّارًا ـ ﴿رَبَّنا وتَقَبَّلْ دُعائِي﴾ المذكورَ. (٤١) ـ ﴿رَبَّنا، اغفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ﴾ ـ هذا قبل أن يتبيّن له عداوتهما لله عزّ وجلّ. وقيل: أسلمتْ أُمّه[6]. وقُرئَ: «والِدِي» مُفردًا و«وَلَدَيَّ» ـ ﴿ولِلمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ﴾: يَثبُتُ[7] ﴿الحِسابُ﴾.

(٤٢) ـ قال تعالى: ﴿ولا تَحسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمّا يَعمَلُ الظّالِمُونَ﴾: الكافرون من أهل مكّة. ﴿إنَّما يُؤَخِّرُهُم﴾ بلا عذاب ﴿لِيَومٍ تَشخَصُ فِيهِ الأبصارُ﴾ لهول ما ترى ـ يقال: شَخَصَ بصرُ فُلانٍ، أي: فتحه فلم يُغمِضه ـ ....

﴿لا تُحصوها﴾: لا تطيقوا عدَّها لعدمِ تناهيها. ﴿اجنبني﴾: أبعِدْني ونحِّني. ﴿تهوي إليهم﴾: تسرعُ إليهم شوقاً ووداداً. ﴿تشخص فيه الأبصار﴾: ترتفعُ دونَ أن تطرفَ مِنَ الهولِ.

(١) أو يظلمُ النِّعمةَ بإغفالِ شُكرِها، أو يظلمُ نفسَهُ بأن يعرِّضَها للحِرمانِ. (الجمالين).

(٢) وإسنادُ الإضلالِ إليهنَّ باعتبارِ السَّببيَّةِ، كقولِهِ: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]. (الجمالين).

(٣) فيه، أو بعد التَّوفيقِ للتَّوبةِ، ويمكنُ حملُ العصيانِ على ما عدا الشِّركِ، والتَّبعيَّةِ على كَمالِ المتابعةِ، وتقييدُ المغفرةِ بالمشيئةِ، واللهُ أعلمُ بمرادِهِ. (الجمالين).

(٤) فإنَّ واديها حجرةٌ لا تُنبتُ، قيل: الحكمةُ فيه أنَّهُ لا يشتغلُ بالزِّراعةِ عمَّا وضعَ البيتُ لها من العبادةِ والطَّاعةِ، أو لا يعتَمِدُ على الزِّراعةِ بل على اللهِ بطريقِ الضَّراعةِ، قالَ ابنُ عطاءٍ: أسكنتُهم وادياً لا متعلَّقَ لي ولا علاقَ لهم سواكَ. (الجمالين).

(٥) أي: أفئدةً من أفئدةِ النَّاسِ، و﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ، ولذلكَ قيل: لو قالَ: أفئدةَ النَّاسِ لازدحمَتْ عليهم فارسُ والرُّومُ، ولحجَّتِ اليهودُ والنَّصارى. (الجمالين).

(٦) جزم به السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٤٦)، وذكر قراءة: (ولوالدتي)، وهي قراءة إبراهيم النخعيِّ ويحيى بن يعمر كما في «تفسير السمعاني» (٣/ ١٢١).

(٧) وفي أبيهِ خلافٌ، والصَّحيحُ أنَّهُ ماتَ كافراً. (الجمالين).

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ
فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ
دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ
مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا
تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ
وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

٤٣ - ﴿مُهطِعِينَ﴾: مُسرِعِينَ حالٌ ﴿مُقنِعِي﴾: رافِعِي ﴿رُؤُوسِهِم﴾ إلى السماء، ﴿لا يَرتَدُّ إلَيهِم طَرْفُهُم﴾: بصرهم، ﴿وأفئِدَتُهُم﴾: قُلوبهم ﴿هَواءٌ﴾: خالية من العقل لفزعهم.

٤٤ - ﴿وأنذِرِ﴾: خوِّفْ - يا مُحمّد - ﴿النّاسَ﴾: الكُفّار ﴿يَومَ يأتِيهِمُ العَذابُ﴾ هو يوم القيامة، ﴿فيَقولُ الّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا: ﴿رَبَّنا، أخِّرْنا﴾ بأن تردّنا[1] إلى الدنيا ﴿إلى أجَلٍ قَرِيبٍ، نُجِبْ دَعوَتَكَ﴾ بالتوحيد، ﴿ونَتّبِعِ الرُّسُلَ﴾. فيقال لهم توبيخًا: ﴿أوَلَم تَكُونُوا أقسَمتُم﴾: حلفتم ﴿مِن قَبلُ﴾ في الدنيا، ﴿ما لَكُم مِن﴾: زائدةٌ ﴿زَوالٍ﴾ عنها إلى الآخرة، ٤٥ - ﴿وسَكَنتُم﴾ فيها ﴿في مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بالكُفر من الأُمم السابقة، ﴿وتَبَيَّنَ لَكُم: كَيفَ فَعَلْنا بِهِم﴾ من العُقوبة[2]؟ فلم تنزجروا، ﴿وضَرَبْنا﴾: بيّنّا ﴿لَكُمُ الأمثالَ﴾ في القُرآن، فلم تعتبروا؟

٤٦ - ﴿وقَد مَكَرُوا﴾ بالنبيّ ﴿مَكرَهُم﴾ حيثُ أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه، ﴿وعِندَ اللهِ مَكرُهُم﴾، أي: عِلمُه أو جزاؤه، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿كانَ مَكرُهُم﴾، وإن عظُم، ﴿لِتَزُولَ مِنهُ الجِبالُ﴾. المعنى: لا يُعبأ به ولا يضرّ إلّا أنفُسَهم. والمُراد بالجبال هنا قيل: حقيقتها، وقيل: شرائعُ الإسلام المُشبّهةُ بها في القرار والثبات. وفي قراءة بفتح لام «لَتَزُولُ» ورفع الفعل. فإنْ: مُخفّفة. والمراد تعظيم مكرهم. وقيل: المُراد بالمكر كُفرهم. ويُناسبه على الثانية: «تَكادُ السَّماواتُ يَنفَطِرْنَ مِنهُ وتَنشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا»، وعلى الأُولى ما قُرئ: «وما كانَ». ٤٧ - ﴿فلا تَحسَبَنَّ اللهَ مُخلِفَ وَعدِهِ رُسُلَهُ﴾ بالنصر. ﴿إنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يُعجزه شيء ﴿ذُو انتِقامٍ﴾ ممّن عصاه.

٤٨ - ٤٩ - اذكرْ ﴿يَومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غَيرَ الأرضِ والسّماواتُ﴾، هو يوم القيامة، فيُحشر الناس على أرض بيضاء نقيّة كما في حديث الصحيحين[3]، وروى مسلم حديثَ[4]: سُئل النبيّ ﷺ: أينَ الناسُ يومَئذٍ؟ قالَ: «علَى الصِّراطِ»، ﴿وبَرَزُوا﴾: خرجوا من القُبور ﴿لِلّهِ الواحِدِ القَهّارِ - وتَرَى﴾ يا مُحمّد: تُبصِر ﴿المُجرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿يَومَئذٍ مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودينَ مع شياطينهم ﴿في الأصفادِ﴾: القُيود أو الأغلال، ٥٠ - ٥١ - ﴿سَرابِيلُهُم﴾: قُمصُهم ﴿مِن قَطِرانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار، ﴿وتَغشَى﴾: تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ النّارُ - لِيَجزِيَ﴾: مُتعلّق بـ«برزوا» ﴿اللهُ كُلَّ نَفسٍ ما كَسَبَتْ﴾ من خير وشرّ. ﴿إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾: يحاسِبُ جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

٥٢ - ﴿هذا﴾ القُرآن ﴿بَلاغٌ لِلنّاسِ﴾ أي: أُنزل لتبليغهم، ﴿ولِيُنذَرُوا بِهِ، ولِيَعلَمُوا﴾ بما فيه من الحُجج ﴿أنّما هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿إلهٌ واحِدٌ، ولِيَذَّكَّرَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الذال: يتّعظ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.

﴿مهطعين﴾: مُسرعينَ إلى الدّاعي بذلّة. ﴿مقنعي رءوسهم﴾: رافعيها مديمي النّظرِ للأمام. ﴿أفئدتهم هواء﴾: قلوبُهُم خاليةٌ لا تعي لفرطِ الحيرة. ﴿برزوا لله﴾: خرجوا مِنَ القبورِ للحساب. ﴿مقرّنين﴾: مقروناً بعضُهُم معَ بعضٍ. ﴿الأصفاد﴾: القيودِ أوِ الأغلالِ. ﴿سرابيلهم﴾: قمصانُهُم أو ثيابُهُم. ﴿تغشى وجوههم﴾: تُغطّيها وتُجلّلُها. ﴿بلاغ للنّاس﴾: كفايةٌ في العظةِ والتّذكيرِ.

(١) أو أخِّرِ العذابَ عنّا وردّنا إلى الدُّنيا وأمهِلْنا إلى حدٍّ من الزّمانِ قريبٍ، أو أخِّرْ آجالَنا وأبقِنا مقدارَ ما نؤمنُ بك. (الجمالين).

(٢) بما تشاهِدونَ في منازِلِهِم من آثارِ ما نزلَ بهم وما تواترَ عندكُم من أخبارِهِم. (الجمالين).

(٣) البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) مسلم (٢٧٩١) عن عائشة رضي الله عنها.

سُورَةُ الحِجْرِ

سورة الحجر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا
مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ
ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم
مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ
فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾

مكية، تسع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿**الر**﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿**تِلكَ**﴾: هذه الآيات ﴿**آياتُ الكِتابِ**﴾: القُرآنِ ـ والإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿**وقُرآنٍ مُبِينٍ**﴾: مُظهِرٍ للحقِّ من الباطل. عطفٌ بزيادة صِفة. (٢) ـ ﴿**رُبَّما**﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿**يَوَدُّ**﴾: يتمنّى ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، ﴿**لَو كانُوا مُسلِمِينَ**﴾. ورُبَّ: للتكثير، فإنه يكثر منهم تمنّي ذلك. وقيل: للتقليل، فإنّ الأهوال تُدهشهم فلا يُفيقون حتّى يتمنَّوا ذلك إلّا في أحيان قليلة.

(٣) ـ ﴿**ذَرْهُم**﴾: اترُكِ الكُفّارَ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**يأكُلُوا ويَتَمَتَّعُوا**﴾ بدنياهم، ﴿**ويُلْهِهِمِ**﴾: يَشغلْهُم ﴿**الأمَلُ**﴾ بطُول العُمر وغيره عن الإيمان. ﴿**فَسَوفَ يَعلَمُونَ**﴾ عاقبة أمرهم. وهذا قبل الأمر بالقتال. (٤) ـ ﴿**وما أهلَكْنا مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**قَريةٍ**﴾ أُريدَ أهلُها ﴿**إلّا ولَها كِتابٌ**﴾: أجل ﴿**مَعلُومٌ**﴾: محدود لهلاكها، (٥) ـ ﴿**ما تَسبِقُ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**أُمّةٍ أجَلَها، وما يَستأخِرُونَ**﴾: يتأخّرون عنه.

(٦) ـ (٧) ـ ﴿**وقالُوا**﴾ أي: كُفّارُ مكّة للنبيّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِي نُزِّلَ عليهِ الذِّكرُ**﴾: القرآنُ في زعمه، ﴿**إنَّكَ لَمَجنُونٌ. لَوما**﴾: هلّا ﴿**تأتِينا بِالمَلائكةِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ في قولك: إنك نبيّ، وإنّ هذا القُرآن من عند الله. (٨) ـ قال تعالى: ﴿**ما تَنَزَّلُ**﴾ ـ فيه حذف إحدى التاءين ـ ﴿**المَلائكةُ إلّا بِالحَقِّ**﴾: بالعذاب، ﴿**وما كانُوا إذًا**﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿**مُنظَرِينَ**﴾: مُؤخَّرين. (٩) ـ ﴿**إنّا نَحنُ**﴾: تأكيدٌ لاسم «إن» أو فَصْلٌ ﴿**نَزَّلْنا الذِّكرَ**﴾: القُرآنَ، ﴿**وإنّا لَهُ لَحافِظُونَ**﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

(١٠) ـ (١١) ـ ﴿**ولَقَد أرسَلْنا مِن قَبلِكَ**﴾ رُسلاً ﴿**في شِيَعِ**﴾: فِرَقِ ﴿**الأوَّلِينَ، وما**﴾ كان ﴿**يأتِيهِم مِن رَسُولٍ إلّا كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ كاستهزاء قومك بك. وهذا تسلية له ﷺ. (١٢) ـ ﴿**كَذلِكَ نَسلُكُهُ**﴾ أي: مِثلَ إدخالنا التكذيبَ في قُلوب أُولئك نُدخله ﴿**في قُلُوبِ المُجرِمِينَ**﴾ أي: كُفّارِ مكة، (١٣) ـ ﴿**لا يُؤمِنُونَ بِهِ**﴾: بالنبيّ، ﴿**وقَد خَلَتْ سُنَّةُ الأوَّلِينَ**﴾ أي سُنّةُ الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم ـ وهؤلاء مِثلُهم ـ (١٤) ـ ﴿**ولَو فَتَحْنا علَيهِم بابًا مِنَ السَّماءِ، فظَلُّوا فِيهِ**﴾: في الباب ﴿**يَعرُجُونَ**﴾: يصعدون، (١٥) ـ ﴿**لَقالُوا: إنَّما سُكِّرَتْ**﴾: سُدّت ﴿**أبصارُنا، بَل نَحنُ قَومٌ مَسحُورُونَ**﴾: يُخيَّل إلينا ذلك.

(١٦) ـ (١٧) ـ ﴿**ولَقَد جَعَلْنا في السَّماءِ بُرُوجًا**﴾ اثني عَشَرَ: الحَمَلَ والثَّور والجَوزاء والسَّرَطان والأسَد والسُّنبلة والمِيزان والعَقرب والقَوس والجَدْي والدَّلْو والحُوتَ ـ هي منازل الكواكبِ السبعةِ السيّارةِ: المِرّيخُ وله الحَمَلُ والعَقرب، والزُّهَرةُ ولها الثَّورُ والمِيزان، وعُطارِدٌ وله الجَوزاءُ والسُّنبلة، والقمرُ وله السَّرَطانُ، والشمسُ ولها الأسَدُ، والمُشتري وله القَوسُ والحُوت، وزُحَلُ وله الجَدْيُ والدَّلْو ـ ﴿**وزَيَّنّاها**﴾

﴿رُبَما﴾: «رُبَّ» للتّقليل و«ما» زائدةٌ. ﴿ذرهم﴾: دعْهُم واتركْهُم. ﴿لها كتاب﴾: أجلٌ مقدَّرٌ مكتوبٌ في اللَّوح. ﴿لوما تأتينا﴾: هلّا تأتينا. ﴿إلا بالحق﴾: إلّا بالوجهِ الّذي تقتضيهِ الحكمةُ. ﴿مُنظرين﴾: مُؤخَّرينَ في العذابِ. ﴿الذّكر﴾: القرآنَ. ﴿شيع الأوّلين﴾: فرقِ الأممِ السّابقينَ. ﴿نسلكه﴾: نُدخلُ الذِّكرَ مُستهزأً بهِ. ﴿خلت سنّة الأوّلين﴾: مضَتْ عادةُ اللهِ بإهلاكِ المُكذِّبينَ. ﴿يعرجون﴾: يصعدونَ فيرَونَ الملائكةَ والعجائبَ. ﴿سكّرت أبصارنا﴾: سُدَّتْ ومُنِعَتْ مِنَ الإبصارِ. ﴿قوم مسحورون﴾: أصابَنا محمَّدٌ بسحرِهِ.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا
عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ
لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ
﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن
قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا
مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

بالكواكب ﴿**لِلنَّاظِرِينَ، وحَفِظْناها**﴾ بالشُّهب ﴿**مِن كُلِّ شَيطانٍ رَجِيمٍ**﴾: مرجوم، (١٨) ـ ﴿**إلّا**﴾ لكنْ ﴿**مَنِ استرَقَ السَّمعَ**﴾: خَطِفَه، ﴿**فأتبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ**﴾: كوكب يُضيء، يُحرقه أو يَثقبه أو يُخبِّله.

(١٩) ـ ﴿**والأرضَ مَدَدْناها**﴾: بسطناها، ﴿**وألقَينا فِيها رَواسِيَ**﴾: جبالاً ثوابتَ لئلّا تتحرّك بأهلها، ﴿**وأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ شَيءٍ مَوزُونٍ**﴾: معلومٍ مُقدّر، (٢٠) ـ ﴿**وجَعَلْنا لكُم فِيها مَعايِشَ**﴾ ـ بالياء ـ من الثمار والحبوب، ﴿**و**﴾ جعلنا لكم ﴿**مَن لَستُم لَهُ بِرازِقِينَ**﴾ من العبيد والدوابّ والأنعام. فإنما يرزقُهم الله.

(٢١) ـ ﴿**وإن**﴾: ما ﴿**مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**شَيءٍ إلّا عِندَنا خَزائنُهُ**﴾: مَفاتيحُ خزائنه، ﴿**وما نُنَزِّلُهُ إلّا بِقَدَرٍ مَعلُومٍ**﴾ على حسَبِ المصالح، (٢٢) ـ ﴿**وأرسَلْنا الرِّياحَ لَواقِحَ**﴾: تُلقِح السحابَ فيمتلئ ماء، ﴿**فأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ**﴾: السحابِ ﴿**ماءً**﴾: مطرًا ﴿**فأسقَيناكُمُوهُ، وما أنتُم لَهُ بِخازِنِينَ**﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم، (٢٣) ـ ﴿**وإنّا لَنَحنُ نُحيِي ونُمِيتُ، ونَحنُ الوارِثُونَ**﴾: الباقون نَرِثُ جميعَ الخلق.

(٢٤) ـ ﴿**ولَقَد عَلِمْنا المُستَقدِمِينَ مِنكُم**﴾ أي: من تقدّم من الخلق من لدن آدم، ﴿**ولَقَد عَلِمْنا المُستأخِرِينَ**﴾[1]: المتأخّرين إلى يوم القيامة، (٢٥) ـ ﴿**وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحشُرُهُم ـ إنَّهُ حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه ﴿**عَلِيمٌ**﴾ بخلقه ـ (٢٦) ـ ﴿**ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ**﴾: آدمَ ﴿**مِن صَلصالٍ**﴾: طينٍ يابس يُسمَع له صلصلة إذا نُقر، ﴿**مِن حَمَأٍ**﴾: طينٍ أسود ﴿**مَسنُونٍ**﴾: متغيّر، (٢٧) ـ ﴿**والجانَّ**﴾ أبا الجنّ ـ وهو إبليسُ ـ ﴿**خَلَقْناهُ مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلَ خلقِ آدمَ ﴿**مِن نارِ السَّمُومِ**﴾، هي نار لا دخان لها تَنفذ من المَسامّ.

(٢٨) ـ (٢٩) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنِّي خالِقٌ بَشَرًا، مِن صَلصالٍ مِن حَمَأٍ مَسنُونٍ. فإذا سَوَّيتُهُ**﴾: أتممتُه، ﴿**ونَفَختُ**﴾: أجرَيتُ ﴿**فِيهِ مِن رُوحِي**﴾، فصار حيًّا ـ وإضافةُ الروح إليه تشريف لآدم ـ ﴿**فقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**﴾ سجودَ تحيّة بالانحناء. (٣٠) ـ ﴿**فسَجَدَ المَلائكةُ كُلُّهُم أجمَعُونَ**﴾ ـ فيه تأكيدان ـ (٣١) ـ ﴿**إلّا إبلِيسَ**﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة، ﴿**أبى**﴾: امتنع من ﴿**أن يَكُونَ مَعَ السّاجِدِينَ**﴾.

﴿بروج﴾: منازلَ للكواكبِ السَّيَّارةِ. ﴿رجيم﴾: مطرودٍ أو مرجومٍ بالنُّجومِ. ﴿استرق السّمع﴾: خطِفَ المسموعَ مِنَ الملأِ الأعلى. ﴿فأتبعه﴾: أدركَهُ ولحقَهُ. ﴿شهاب﴾: شُعلةُ نارٍ مُنقضَّةٌ مِنَ السَّماءِ. ﴿مبين﴾: ظاهرٌ للمُبصرينَ. ﴿الأرض مددناها﴾: بسطْناها للانتفاعِ بها. ﴿رواسي﴾: جبالاً ثوابتَ كيلا تميدَ. ﴿موزون﴾: مقدَّرٍ بميزانِ الحكمةِ. ﴿معايش﴾: أرزاقاً يُعاشُ بها. ﴿عندنا خزائنه﴾: نحنُ قادرونَ على إيجادِهِ وتدبيرِهِ. ﴿ننزّله﴾: نوجِدُهُ أو نُعطيهِ. ﴿بقدر معلوم﴾: بمقدارٍ معيَّنٍ تقتضيه الحكمة. ﴿الرّياح لواقح﴾: حواملَ للسَّحابِ أو للماءِ تمُجُّهُ فيهِ أو مُلقحاتٍ للسَّحابِ أو للأشجارِ. ﴿نحن الوارثون﴾: الباقونَ بعدَ فناءِ الخلقِ. ﴿صلصال﴾: طينٍ يابسٍ كالفخَّارِ. ﴿حمإ﴾: طينٍ أسودَ متغيِّرٍ. ﴿مسنون﴾: مصوَّرٍ صورةَ إنسانٍ أجوفَ. ﴿نار السّموم﴾: الرِّيحِ الحارَّةِ القاتلةِ. ﴿سوّيته﴾: أتممتُ خلقَهُ وهيَّأتُهُ لنفخِ الرُّوحِ. ﴿ساجدين﴾: سجودَ تحيَّةٍ لا سجودَ عبادةٍ. ﴿أبى﴾: امتنعَ تكبُّراً.

---

(١) عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: كانت تُصلِّي خلفَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ امرأةٌ حسناءُ في آخرِ النّاسِ، وكان بعضُهم يتقدَّمُ في الصَّفِّ الأوَّلِ لئلاّ يراها، وكان بعضُهم يكونُ في الصَّفِّ المُؤخَّرِ، فإذا ركعَ قال هكذا ـ ونظرُ من تحتِ إبطِه ـ فنزلَتْ. الترمذي (٣١٣٢)، والنسائي (٨٧٠)، وابن ماجه (١٠٤٦)، وذكر الترمذي: أنه روي نحوه مرسلاً ولم يذكر فيه عن ابن عباس، قال: «وهذا أشبه أن يكون أصح». وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: حديث غريب جدًّا، وفيه نكارة شديدة.
وقالَ الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: حضَّ رسولُ الله عليه السَّلامُ على الصَّفِّ الأوَّلِ في الصَّلاةِ، فازدَحَمَ النَّاسُ عليه، وكانت بنو عُذْرَةَ دُورُهم قاصيةٌ عن المسجدِ، فقالوا: نبيعُ دُورَنا ونشتَري دُورًا قريبةً منَ المسجدِ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ. الثعلبي (١٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧)، والواحدي (ص: ٢٧٦).
وعن داود بن صالح قال: قال سهل بن حنيف الأنصاريّ: أتدرون فيمَ أنزلت ﴿وَلَقَد علمنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُم وَلَقَد علمنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾؟ قلتُ: في سبيل الله، قال: لا ولكنها في صفوف الصَّلاة. «لباب النقول» (ص: ١١٨)، و«الدر المنثور» (٥/ ٧٤).

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

(٣٢) - (٣٣) - ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿يا إبليسُ، مالَكَ﴾: ما منعك ﴿ألّا﴾ - زائدةٌ - ﴿تكونَ مَعَ السَّاجِدِينَ؟ قالَ: لَم أكُنْ لِأسجُدَ﴾: لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ، خَلَقْتَهُ مِن صَلصالٍ مِن حَمَإٍ مَسنُونٍ﴾.

(٣٤) - ﴿قالَ: فاخرُجْ مِنها﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات. ﴿فإنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود، (٣٥) - ﴿وإنَّ عليكَ اللَّعْنَةَ إلَى يَومِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ.

(٣٦) - ﴿قالَ: رَبِّ، فأنظِرْني إلَى يومِ يُبعَثُونَ﴾ أي: الناسُ.

(٣٧) - (٣٨) - ﴿قالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ، إلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ﴾: وقت النفخة الأُولى. (٣٩) - (٤٠) - ﴿قالَ: رَبِّ، بِما أغوَيتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي، والباء: للقسم، وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم في الأرضِ﴾ المعاصيَ ﴿ولَأُغوِيَنَّهُم أجمَعِينَ، إلّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

ربع الحزب ٢٧

(٤١) - ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿هذا صِراطٌ عليَّ مُستَقِيمٌ﴾، وهو (٤٢) - ﴿إنَّ عِبادِي﴾ أي: المؤمنين ﴿لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ﴾: قُوّة، ﴿إلّا﴾: لكن ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ﴾: الكافرين، (٤٣) - ﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَمَوعِدُهُم أجمَعِينَ﴾ أي: مَن اتبعك معك، (٤٤) - ﴿لَها سَبْعةُ أبوابٍ﴾: أطباقٍ، ﴿لِكُلِّ بابٍ﴾ منها ﴿مِنهُم جُزءٌ﴾: نصيب ﴿مَقسُومٌ﴾.

(٤٥) - ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾[1] تجري فيها، ويقال لهم: (٤٦) - ﴿ادخُلُوها بِسَلامٍ﴾ أي: سالمين من كُلّ مَخُوف، أو مع سلام أي: سَلّموا وادخلوا ﴿آمِنِينَ﴾ من كُلّ فزع. (٤٧) - ﴿ونَزَعْنا ما في صُدُورِهِم مِن غِلٍّ﴾[2]: حِقد ﴿إخوانًا﴾: حالٌ من «هم» ﴿على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾: حالٌ أيضًا، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم، (٤٨) - ﴿لا يَمَسُّهُم فِيها نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وما هُم مِنها بِمُخرَجِينَ﴾ أبدًا.

﴿مالك..﴾: أيُّ غرضٍ لكَ أو ما عذرُكَ. ﴿رجيم﴾: مطرودٌ مِنَ الرَّحمةِ أو مرجومٌ بالشُّهبِ. ﴿اللّعنة﴾: الإبعادَ على سبيلِ السُّخطِ. ﴿فأنظرني﴾: أمهِلْني ولا تُمِتْني. ﴿الوقت المعلوم﴾: وقتِ النَّفخةِ الأُولى. ﴿لأغوينّهم﴾: لأحملَنَّهُم على الغوايةِ والضَّلالِ. ﴿المخلصين﴾: الَّذينَ أخلصتَهُم لطاعتِكَ. ﴿صراط عليّ﴾: حقٌّ عليَّ مُراعاتُهُ. ﴿سلطان﴾: تسلُّطٌ وقدرةٌ على الإغواءِ. ﴿جزء مقسوم﴾: فريقٌ معيَّنٌ متميِّزٌ عن غيرِهِ. ﴿غلّ﴾: حقدٍ وضغينةٍ وعداوةٍ. ﴿نصب﴾: تعبٌ وإعياءٌ. ﴿ضيف إبراهيم﴾: أضيافِهِ وكانوا مِنَ الملائكةِ.

(١) روي أن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعد هم أجمعين﴾ [الحجر: ٤٣] فر ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يَعقل، فجيء به النبي ﷺ فسأله فقال: يا رسول الله! أنزلت هذه الآية: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله: ﴿إن المتقين﴾. الثعلبي كما في «التذكرة» للقرطبي (ص: ٨٣٥)، و«لباب النقول» (ص: ١١٨).

(٢) عن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما: أنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ رضي الله عنهم، قال: والله إنَّها لفيهم نزلَتْ، فقيل: وأيُّ غِلٍّ هو؟ قال: غِلُّ الجاهليّةِ، إنَّ بني تيمٍ وعديٍّ وبني هاشمٍ كان بينَهم في الجاهليّةِ ما كانَ، فلمَّا أسلَمَ هؤلاءِ القومُ تحابُّوا، فأخذَتْ أبا بكرٍ الخاصرةُ، فجعَلَ عليٌّ يُسخِّنُ يدَه ويُكمِّدُ بها خاصرةَ أبي بكرٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ. عبد الله بن أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٢٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٦٧). وعن عليٍّ كرَّمَ الله وجهه أنَّه كان يقولُ: فينا أهلَ بدرٍ نزلَتْ هذه الآيةُ. عبد الرزاق (٩٠٢)، والطبري (١٤/ ٧٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٧٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٧٠).

إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ
لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ
يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ
بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ
وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ
يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

(٤٩) ـ ﴿نَبِّئْ﴾: خبّرْ ـ يا مُحمّد ـ ﴿عِبادِيَ أَنِّيَ أنا الغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، (٥٠) ـ ﴿وأنَّ عَذابِي﴾ للعُصاة ﴿هُوَ العَذابُ الأليمُ﴾[1]: المُؤلم، (٥١) ـ ﴿ونَبِّئْهُم عَن ضَيفِ إبراهِيمَ﴾ ـ وهم ملائكة اثنا عشَرَ أو عشَرةٌ أو ثلاثةٌ منهم جبريل ـ

(٥٢) ـ ﴿إذ دَخَلُوا عليهِ فقالُوا: سَلامًا﴾ ـ أي: هذا اللفظَ. ﴿قالَ﴾ إبراهيمُ لمّا عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إنّا مِنكُم وَجِلُونَ﴾: خائفون.

(٥٣) ـ ﴿قالُوا: لا تَوجَلْ﴾: تخَفْ. ﴿إنّا﴾ رُسلُ ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾: ذي عِلم كثير، هو إسحاق كما ذُكر في سورة «هود».

(٥٤) ـ ﴿قالَ: أَبَشَّرتُمُونِي﴾ بالولد ﴿على أن مَسَّنِيَ الكِبَرُ﴾: حالٌ، أي: مع مسّه إياي؟ ﴿فَبِمَ﴾: فبأيِّ شيءٍ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾؟ استفهام تعجّب. (٥٥) ـ ﴿قالُوا: بَشَّرْناكَ بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق. ﴿فلا تَكُنْ مِنَ القانِطِينَ﴾: الآيسينَ. (٥٦) ـ ﴿قالَ: ومَن﴾ أي: لا ﴿يَقنِطُ﴾ ـ بكسر النون وفتحها ـ ﴿مِن رَحمةِ رَبِّهِ إلّا الضّالُّونَ﴾: الكافرون؟

(٥٧) ـ (٥٨) ـ ﴿قالَ: فما خَطبُكُم﴾: شأنكم؟ ﴿أيُّها المُرسَلُونَ. قالُوا: إنّا أُرسِلْنا إلى قَومٍ مُجرِمِينَ﴾: كافرين أي: قوم لوط لإهلاكهم، (٥٩) ـ ﴿إلّا آلَ لُوطٍ. إنّا لَمُنَجُّوهُم أجمَعِينَ﴾ لإيمانهم، (٦٠) ـ ﴿إلّا امرأتَهُ قَدَّرْنا: إنَّها لَمِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب لكُفرها.

(٦١) ـ (٦٢) ـ ﴿فلَمّا جاءَ آلَ لُوطٍ﴾ أي: لوطًا ﴿المُرسَلُونَ قالَ﴾ لهم: ﴿إنَّكُم قَومٌ مُنكَرُونَ﴾: لا أعرفكم. (٦٣) ـ ﴿قالُوا: بَل جِئناكَ بِما كانُوا﴾ أي: قومُك ﴿فِيهِ يَمتَرُونَ﴾: يشُكّون ـ وهو العذاب ـ (٦٤) ـ ﴿وأتيناكَ بِالحَقِّ، وإنّا لَصادِقُونَ﴾ في قولنا. (٦٥) ـ ﴿فأَسْرِ بِأهلِكَ بِقِطعٍ مِنَ اللَّيلِ، واتَّبِعْ أدبارَهُم﴾: امشِ خلفهم، ﴿ولا يَلتَفِتْ مِنكُم أَحَدٌ﴾ لئلّا يرى عظيم ما ينزل بهم، ﴿وامضُوا حَيثُ تُؤمَرُونَ﴾، وهو الشام.

(٦٦) ـ ﴿وقَضَينا﴾: أوحَينا ﴿إلَيهِ ذلِكَ الأمرَ﴾، وهو ﴿أنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقطُوعٌ مُصبِحِينَ﴾: حالٌ أي: يتمّ استئصالهم في الصباح، (٦٧) ـ ﴿وجاءَ أهلُ المَدِينةِ﴾ مدينةِ سَدُومَ ـ وهم قوم لوط ـ لمّا أُخبروا أنّ في بيت لوط مُردًا حِسانًا وهم الملائكة، ﴿يَستَبشِرُونَ﴾: حالٌ طمعًا في فِعل الفاحشة بهم.

(٦٨) ـ (٦٩) ـ ﴿قالَ﴾ لوطٌ: ﴿إنَّ هؤُلاءِ ضَيفِي. فلا تَفضَحُونِ، واتَّقُوا اللهَ ولا تُخزُونِ﴾ بقصدكم إياهم بفِعل الفاحشة. (٧٠) ـ ﴿قالُوا: أوَلَم نَنهَكَ عَنِ العالَمِينَ﴾: عن إضافتهم؟

﴿وجلون﴾: خائفونَ فزعونَ. ﴿القانطين﴾: الآيسينَ مِنَ الخيرِ أوِ الولدِ. ﴿فما خطبكم؟﴾: فما شأنُكُمُ الخطيرُ ؟. ﴿قدّرنا﴾: علِمْنا أو قضيْنا وحكمْنا. ﴿غابرين﴾: الباقينَ في العذابِ معَ أمثالِها. ﴿قوم منكرون﴾: أُنكِرُكُم ولا أعرفُكُم. ﴿فيه يمترون﴾: يشكُّونَ ويكذِّبونَكَ فيه. ﴿بقطع من الليل﴾: بطائفةٍ منهُ أو مِن آخرِه. ﴿اتبع أدبارهم﴾: سِرْ خلفَهُم لتطَّلِعَ عليهِم. ﴿قضينا إليه﴾: أوحيْنا إليهِ. ﴿دابر هؤلاء﴾: آخرَهُم والمُرادُ جميعُهُم. ﴿مصبحين﴾: داخلينَ في وقتِ الصَّباحِ. ﴿عن العالمين﴾: عن إجارةِ أو ضيافةِ أحدٍ منهُم.

(١) عن رجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنّه قال: اطّلَعَ علينا رسولُ الله عليه السَّلامُ من الباب الذي يدخلُ فيه بنو شيبةَ ونحن نضحكُ، فقال: «لا أراكُم تضحَكُونَ»، ثمَّ أدبرَ، حتى إذا كان عند الحجرِ رجعَ إلينا القهقرى، فقال: «إنّي لـمَّا خرجْتُ جاء جبريلُ فقال: يا محمَّدُ، يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: لِـمَ تُقنِّطُ عبادي؟ ﴿نبئ عبادي أنّي أنا الغفور الرّحيم * وأنّ عذابي هو العذاب الأليم﴾». ابن المبارك في «الزهد» (٨٩٢)، والطبري (١٤/ ٨٢)، والسمرقندي (٢/ ٢٥٨)، والثعلبي (١٥/ ٤٧٦)، والواحدي (ص: ٢٧٧).

وعن عبد الله بن الزبير: مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون فقال: «أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟» فنزلت هاتان الآيتان. البزار (٢٢١٦)، و«المعجم الكبير» (١٣/ ١٠٤). قال في «المجمع» (٧/ ٤٦): فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي
وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ
إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

(٧١) ـ ﴿**قالَ: هؤلاءِ بَناتي، إن كُنتُم فاعِلِينَ**﴾ ما تُريدون من قضاء الشهوة فتزوّجوهنّ.

(٧٢) ـ قال تعالى: ﴿**لَعَمرُكَ**﴾ ـ خِطاب للنبيّ ﷺ ـ أي: وَحَياتِك ﴿**إنَّهُم لَفِي سَكْرتِهِم يَعمَهُونَ**﴾: يتردّدون. (٧٣) ـ ﴿**فأخَذَتْهُمُ الصَّيحةُ**﴾ صيحة جِبريلَ ﴿**مُشرِقِينَ**﴾: وقتَ شُروق الشمس، (٧٤) ـ ﴿**فجعَلْنا عالِيَها**﴾ أي: قُراهم ﴿**سافِلَها**﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، ﴿**وأمطَرْنا عليهِم حِجارةً مِن سِجِّيلٍ**﴾: طِينٍ طُبخ بالنار.

(٧٥) ـ ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكور ﴿**لَآياتٍ**﴾: دلالاتٍ على وحدانيّة الله ﴿**لِلمُتَوَسِّمِينَ**﴾: للناظرين المُعتبرين، (٧٦) ـ ﴿**وإنَّها**﴾ أي: قُرى قوم لُوط ﴿**لَبِسَبِيلٍ مُقيمٍ**﴾: طريقِ قُريشٍ إلى الشام لم تندرس. أفلا يعتبرون بهم؟

(٧٧) ـ (٧٨) ـ ﴿**إنَّ في ذلِكَ لَآيةً**﴾: لَعِبرة ﴿**لِلمُؤمِنِينَ، وإنْ**﴾: مُخفّفةٌ، أي: إنّه ﴿**كانَ أصحابُ الأَيكةِ**﴾ هي غَيضةُ شجر بقُرب مَدْيَنَ ـ وهم قوم شُعيب ـ ﴿**لَظالِمِينَ**﴾ بتكذيبهم شُعيبًا، (٧٩) ـ ﴿**فانتَقَمْنا مِنهُم**﴾ بأن أهلكناهم بشِدّة الحرّ، ﴿**وإنَّهُما**﴾ أي: قُرى قوم لُوط والأيكة ﴿**لَبِإمامٍ**﴾: طريقٍ ﴿**مُبِينٍ**﴾: واضح. أفلا يعتبر بهم أهل مكّة؟

(٨٠) ـ ﴿**ولَقَد كَذَّبَ أصحابُ الحِجرِ**﴾: وادٍ بين المدينة والشام ـ وهم ثمودُ ـ ﴿**المُرسَلِينَ**﴾ بتكذيبهم صالحًا لأنه تكذيب لباقي الرُّسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، (٨١) ـ ﴿**وآتيناهُم آياتِنا**﴾ في الناقة، ﴿**فكانُوا عَنها مُعرِضِينَ**﴾: لا يتفكّرون فيها، (٨٢) ـ (٨٣) ـ ﴿**وكانُوا يَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا آمِنِينَ، فأخَذَتْهُمُ الصَّيحةُ مُصبِحِينَ**﴾: وقتَ الصباح، (٨٤) ـ ﴿**فما أغنَى**﴾: دفَعَ ﴿**عَنهُم**﴾ العذابَ ﴿**ما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ من بناء الحُصون وجمع الأموال.

(٨٥) ـ ﴿**وما خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلّا بالحَقِّ، وإنَّ السّاعةَ لَآتيةٌ**﴾ ـ لا محالة ـ فيُجازَى كُلّ أحد بعمله. ﴿**فاصفَحِ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ عن قومك ﴿**الصَّفحَ الجَمِيلَ**﴾: أعرِضْ عنهم إعراضًا لا جزعَ فيه. وهذا منسوخ بآية السيف[1]. (٨٦) ـ ﴿**إنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلّاقُ**﴾ لكُلّ شيء ﴿**العَلِيمُ**﴾ بكُلّ شيء.

(٨٧) ـ (٨٨) ـ (٨٩) ـ ﴿**ولَقَد آتيناكَ سَبعًا مِنَ المَثاني**﴾، قال ﷺ: «هِيَ الفاتِحةُ». رواه الشيخان[2] لأنها تُثنَى في كُلّ رَكعة، ﴿**والقُرآنَ العَظِيمَ ـ لا**

﴿لعمرُكَ﴾: قَسَمٌ مِنَ اللهِ بحياةِ نبيِّنا ﷺ. ﴿سكرتهم﴾: غوايتِهم وضلالتِهم. ﴿يعمهون﴾: يعمونَ عنِ الرُّشدِ أو يتحيَّرونَ. ﴿الصَّيحة﴾: صوتٌ مُهلكٌ مِنَ السَّماءِ. ﴿مُشرِقين﴾: داخلينَ في وقتِ الشُّروقِ. ﴿سجِّيل﴾: طينٍ مُتحجِّرٍ طُبِخَ بالنَّارِ. ﴿للمتوسّمين﴾: للمُتفرِّسينَ المُتأمِّلينَ. ﴿لبسبيل مقيم﴾: طريقٍ ثابتٍ مُعلَمٍ مسلوكٍ. ﴿أصحاب الأيكة﴾: سكَّانُ بُقعةٍ كثيفةِ الأشجارِ ملتفَّتِها (قومُ شُعيبٍ). ﴿وإنهما﴾: قُرى قومِ لوطٍ والأيكةِ. ﴿لبإمام مبين﴾: لبطريقٍ واضحٍ يأتمُّونَ بهِ في أسفارِهِم. ﴿الحِجر﴾: ديارِ ثمودَ بينَ المدينةِ والشَّامِ. ﴿مصبحين﴾: داخلينَ في وقتِ الصَّباحِ. ﴿سبعاً﴾: سبعَ آياتٍ وهيَ الفاتحةُ. ﴿من المثاني﴾: الَّتي تثنَّى وتكرَّرُ قراءتُها في الصَّلاةِ ـ ومِن للبيانِ. ﴿أزواجاً منهم﴾: أصنافاً مِنَ الكفَّارِ. ﴿اخفض جناحك﴾: تواضعْ وألِنْ جانبَكَ. ﴿المقتسمين﴾: أهلِ الكتابِ.

(١) رواه الطبري (١٤/ ١٠٧) عن قتادة والضحاك ومجاهد وسفيان بن عيينة. وذكره الماوردي (٣/ ١٧٠) عن عكرمة.

(٢) البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، و(٤٧٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولم أجده عند مسلم.

وعن الحسين بن الفضل: أنَّ سبعَ قوافلَ محملةً بالطِّيب والجواهر والأمتعة وافت ليهود قُريظةَ والنَّضيرِ في يومٍ واحدٍ، فتمناها المسلمون لإنفاقها في سبيل الله، فنزلت الآية، أي: لقد أعطيتُكم سبعَ آياتٍ هي خيرٌ لكم من هذه القوافل، ويدُلُّ على صحَّته قولُه بعدها: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآيَة. الثعلبي (١٥/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧)، والواحدي (ص: ٢٧٧). وتابعهما في إيراد هذا الخبر كثير من المفسرين، لكن رده الخازن في «تفسيره» (٣/ ٦١) بأن هذا لا يصح؛ لأن هذه السورة مكية بإجماع أهل التفسير.. ، إلى آخر كلامه، وقد ذكر القصة في نزول الآية النسفي في «التيسير في التفسير» (٩/ ٢٢٠) دون الإشكال المذكور، وفيه: «قيل: قَدِمَتْ لأبي جهلٍ ـ لعنه الله ـ في يومٍ واحدٍ سبعُ قوافل للتِّجارة، معها مالٌ كثيرٌ وطعام ومطاعم وثياب... » الحديثَ بنحو السابق، لكن ليس لهذا الحديث سند يعرف.

﴿تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزوَاجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنهُم، ولا تَحزَنْ عَلَيهِم﴾ إن لم يُؤمنوا، ﴿وَاخفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جانبَك ﴿لِلمُؤمِنِينَ، وَقُلْ: إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿المُبِينُ﴾: البيّنُ الإنذار ـ (٩٠) ـ ﴿كَمَا أَنزَلْنَا﴾ العذابَ ﴿عَلَى المُقتَسِمِينَ﴾ اليهودِ والنصارى.

(٩١) ـ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ﴾: أي: كُتبهم المُنزلة عليهم ﴿عِضِينَ﴾: أجزاء حيثُ آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقيل: المُراد بهم الذين اقتسموا طُرق مكّة يصدّون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سِحر، وبعضهم: كِهانة، وبعضهم: شِعر.

(٩٢) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسأَلَنَّهُم أَجمَعِينَ﴾ سُؤالَ توبيخ

(٩٣) ـ (٩٤) ـ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعمَلُونَ. فَاصدَعْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿بِمَا تُؤمَرُ﴾ به، أي: اجهَرْ به وأمضِهِ، ﴿وَأَعرِضْ عَنِ المُشرِكِينَ﴾. هذا قبل الأمر بالجهاد.

(٩٥) ـ ﴿إِنَّا كَفَينَاكَ المُستَهزِئِينَ﴾ بك بأن أهلكنا كُلًّا منهم بآفة ـ وهم: الوليدُ بن المُغيرة، والعاصِ بنُ وائل، وعديُّ بن قيس، والأسودُ بن المُطّلب، والأسودُ بن عبد يَغوث[1] ـ (٩٦) ـ ﴿الَّذِينَ يَجعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَـهًا آخَرَ﴾: صفةٌ، وقيل: مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فَسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم.

(٩٧) ـ ﴿وَلَقَد﴾: للتحقيق ﴿نَعلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الاستهزاء والتكذيب. (٩٨) ـ ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلتبسًا ﴿بِحَمدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: المُصلّين، (٩٩) ـ ﴿وَاعبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأتِيَكَ اليَقِينُ﴾: الموتُ.

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ
أَجۡمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩٣) فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ
عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ (٩٥) ٱلَّذِينَ
يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٩٨) وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ (٩٩)

سُورَةُ النَّحلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ
(١) يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ
عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٣) خَلَقَ
ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ (٤) وَٱلۡأَنۡعَٰمَ
خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ
(٥) وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ (٦)

***

١٦

سُورَةُ النَّحلِ

مكية إلّا «وإن عاقبتم» إلى آخرها، مِائةٌ وثمانٍ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

لمّا استبطأ المُشركون العذابَ نزل: (١) ـ ﴿أَتَى أَمرُ اللهِ﴾[2] أي: الساعةُ ـ و«أتى» بصيغة الماضي لتحقّق وُقوعه ـ أي: قَرُبَ. ﴿فلا

﴿عضين﴾: أعضاءً وأجزاءً، فآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض. ﴿فاصدع بما تؤمر﴾: فاجهرْ بِهِ أو فأمضِهِ ونفِّذْهُ. ﴿اليقين﴾: الموتُ المُتيقَّنُ وقوعُهُ.
﴿تعالى﴾: تعاظمَ بذاتِهِ وصفاتِهِ الجليلةِ. ﴿بالرّوح﴾: بالوحيِ ومنهُ القرآنُ العظيمُ. ﴿نطفة﴾: ماءٍ مهينٍ. ﴿هو خصيمٌ﴾: شديدُ الخصومةِ بالباطلِ. ﴿الأنعام﴾: الإبلَ والبقرَ والضَّأنَ والمعزَ. ﴿فيها دفءٌ﴾: ما تتدفَّؤونَ بِهِ مِنَ البردِ. ﴿فيها جمال﴾: تجمُّلٌ وتزيُّنٌ ووجاهةٌ. ﴿حين تريحون﴾: تردُّونَها بالعشيِّ إلى المُراحِ. ﴿حين تسرحون﴾: تخرجونَها بالغداةِ إلى المسرحِ.

(١) الطبراني في «الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣١٦)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ٩٦)، عن ابن عباس، وصححه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٢٢٥). ورواه عبد الرزاق (١٤٦٥) عن مقسم مولى ابن عباس، والطبري (١٤/ ١٤٦ ـ ١٤٨) عن عروة بن الزبير وسعيد بن جبير.
وعن أنس رضي الله عنه: مر النبي ﷺ على أناس بمكة فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي! ومعه جبريل، فغمز جبريل بإصبعه فوقع مثل الظفر في أجسادهم فصارت قروحاً حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾. الطبراني في «الأوسط» (٧١٢٧)، و«لباب النقول» (ص: ١١٩). وفيه يزيد بن درهم ضعَّفه ابن مَعِين، ووثَّقه الفَلَّاسُ. «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٦).

(٢) عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: لـمَّا أنزلَ الله: ﴿اقتربت السّاعة وانشقّ القمر﴾ قال الكفَّارُ بعضُهم لبعضٍ: إنَّ هذا يزعُمُ أنَّ القيامةَ قد قرُبَتْ، فأمسِكُوا عن بعضِ ما كنتم تعملون حتَّى ننظُرَ ما هو كائنٌ، فلمَّا رأوا أنَّه لا ينزلُ شيءٌ قالوا: ما نرى شيئًا، فأنزلَ الله: ﴿اقترب للنّاس حسابهم﴾ الآية [الأنبياء: ١] فأشفَقُوا وانتظَروا قربَ السّاعةِ، =

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم
مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ
﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ
وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾
وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿تَستَعجِلُوهُ﴾: تطلبوه قبل حِينه. فإنه واقع لا محالة. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به غيرَه!

(٢) ـ ﴿يُنزِلُ المَلائكةَ﴾: أي: جِبريلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾: بالوحي ﴿مِن أمرِهِ﴾: بإرادته ﴿علَى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ ـ وهم الأنبياء ـ ﴿أنْ﴾: مُفسِّرةٌ ﴿أنذِرُوا﴾: خوِّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أنَّهُ لا إلٰـهَ إلّا أنا. فاتَّقُونِ﴾: خافونِ.

(٣) ـ ﴿خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾، أي: مُحقًّا. ﴿تعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به من الأصنام!

(٤) ـ ﴿خَلَقَ الإنسانَ مِن نُطْفَةٍ﴾[1]: مَنِيٍّ إلى أن صيّره قويًّا شديدًا، ﴿فإذا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخُصومة ﴿مُبِينٌ﴾: بيِّنُها في نفي البعث، قائلاً: «مَن يُحيِي العِظامَ، وهْيَ رَمِيمٌ»؟ (٥) ـ ﴿والأنعامَ﴾: الإبلَ والبقر والغنم، ونَصبُه بفعل يُفسّره: ﴿خَلَقَها لَكُم﴾ في جُملة الناس، ﴿فِيها دِفْءٌ﴾: ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها، ﴿ومَنافِعُ﴾ من النسل والدرّ والركوب، ﴿ومِنها تأكُلُونَ﴾ ـ قدّمَ الظرفَ للفاصلة ـ (٦) ـ ﴿ولَكُم فِيها جَمالٌ﴾: زِينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها إلى مُراحها بالعشيّ، ﴿وحِينَ تَسرَحُونَ﴾: تُخرجونها إلى المرعى بالغداة،

(٧) ـ ﴿وتَحمِلُ أثقالَكُم﴾: أحمالكم ﴿إلَى بَلَدٍ، لَم تكُونُوا بالِغِيهِ﴾: واصلِين إليه على غير الإبل ﴿إلّا بِشِقِّ الأنفُسِ﴾: بجَهدها. ﴿إنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم حيثُ خلقها لكم.

(٨) ـ ﴿و﴾ خلقَ ﴿الخَيلَ والبِغالَ والحَمِيرَ لِترَكبُوها وزِينةً﴾: مفعول له ـ والتعليل بهما لتعريف النِّعم لا يُنافي خلقها لغير ذلك كالأكلِ في الخيل الثابتِ في حديث الصحيحين ـ ﴿ويَخلُقُ ما لا تَعلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة، (٩) ـ ﴿وعلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيانُ الطريقِ المستقيم، ﴿ومِنها﴾ أي: السبيلِ ﴿جائرٌ﴾: حائد عن الاستقامة، ﴿ولَو شاءَ﴾ هِدايتكم ﴿لَهَداكُم﴾ إلى قصد السبيل ﴿أجمَعِينَ﴾، فتهتدون إليه باختيار منكم.

(١٠) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، لَكُم مِنهُ شَرابٌ﴾ تشربونه، ﴿ومِنهُ شَجَرٌ﴾ يَنبتُ بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعَون دوابّكم، (١١) ـ ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ والزَّيتُونَ والنَّخِيلَ والأعنابَ ومِن كُلِّ الثَّمَراتِ. إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآيَةً﴾ دالّة على وحدانيّة الله ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صُنعه فيؤمنون.

(١٢) ـ ﴿وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ﴾ ـ بالنصبِ عطفًا على ما قبله، والرفعِ مبتدأ ـ ﴿والقَمَرَ والنُّجُومَ﴾، بالوجهين، ﴿مُسَخَّراتٍ﴾، بالنصبِ حالٌ والرفعِ خبرٌ، ﴿بِأمرِهِ﴾: بإرادته ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون ـ (١٣) ـ ﴿و﴾ سخّر لكم ﴿ما ذَرَأَ﴾: خلق ﴿لَكُم في الأرضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك، ﴿مُختَلِفًا ألوانُهُ﴾ كأحمرَ وأخضر وأصفر وغيرِها. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيةً لِقَومٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعظون.

(١٤) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحرَ﴾: ذلّلَه لرُكوبه والغوص فيه، ﴿لِتأكُلُوا مِنهُ لَحمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ﴿وتَستَخرِجُوا مِنهُ حِلْيةً تَلبَسُونَها﴾ هي اللؤلؤ والمَرجانُ ـ ﴿وتَرَى﴾: تُبصِرُ ﴿الفُلْكَ﴾ السُّفنَ ﴿مَواخِرَ فِيهِ﴾: تمخر الماء أي: تشقّه بجريها فيه مُقبلةً ومُدبرةً بريح واحدة ـ ﴿ولِتَبتَغُوا﴾ عطفٌ على «لتأكلوا»: تطلبوا ﴿مِن فَضلِهِ﴾ ـ تعالى ـ بالتجارة، ﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

﴿تحمل أثقالكم﴾: أمتعتكُمُ الثَّقيلةَ الحملِ. ﴿بشقّ الأنفس﴾: بمشقّتِها وتعبِها. ﴿قصد السّبيل﴾: بيانُ الطَّريقِ القاصدِ المُستقيم. ﴿منها جائر﴾: مِنَ السَّبيلِ مائلٌ عنِ الحقِّ. ﴿فيه تُسيمون﴾: فيهِ ترعونَ دوابَّكُم. ﴿ذرأ لكم﴾: خلقَ وأبدعَ لمنافِعِكُم. ﴿تستخرجوا منه﴾: مِنَ البحرِ الملح خاصَّةً. ﴿مواخر فيه﴾: جواريَ فيهِ تشقُّ الماءَ شقّاً.

= فلمَّا امتدَّتِ الأيّامُ قالوا: يا محمَّدُ ما نرى شيئًا ممَّا تُخوِّفُنا به، فأنزلَ اللهُ سبحانَه: ﴿أتى أمر الله﴾ فوثَبَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ ورفعَ النَّاسُ رؤوسَهم، فنزلَتْ: ﴿فلا تستعجلوه﴾ فاطمأنُّوا، الحديث. السمرقندي (٢/ ٤٤٧)، والثعلبي (١٦/ ١١)، والواحدي (ص: ٢٧٨)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٨١)، والبغوي (٤/ ٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٤٩)، جميعهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر أحد له سنداً.

وقيل: هذا جوابٌ للنَّضرِ بنِ الحارثِ حيثُ استعجَلَ بالعذابِ، والأمرُ هاهنا: العذابُ بالسَّيفِ. الواحدي (ص: ٢٧٨).

(١) الكلبي: نزلت في أبيّ بن خلف حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! أترى الله تعالى يحيي هذا بعدما رمَّ. «النكت والعيون» (٣/ ١٧٩)، وذكره دون نسبة الثعلبي (١٦/ ١٣)، والواحدي (ص: ٢٧٨).

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿١٥﴾ ـ ﴿وألقَى في الأرضِ رواسِيَ﴾: جِبالاً ثوابتَ، لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَميدَ﴾: تتحرّك ﴿بِكُم، و﴾ جعل فيها ﴿أنهارًا﴾ كالنيل ﴿وسُبُلاً﴾: طُرقًا، ﴿لَعَلَّكُم تهتَدُونَ﴾ إلى مَقاصدكم، ﴿١٦﴾ ـ ﴿وعَلاماتٍ﴾ تستدلّون بها على الطرق كالجِبال بالنهار. ﴿وبالنَّجمِ﴾، بمعنى النجوم، ﴿هُم يَهتَدُونَ﴾ إلى الطُّرق والقِبلة بالليل.

﴿١٧﴾ ـ ﴿أفمَن يَخلُقُ﴾ ـ وهو اللهُ ـ ﴿كَمَن لا يَخلُقُ﴾. وهو الأصنام، حتى تُشركونها معه في العبادة؟ لا. ﴿أفلا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا، فتؤمنون؟ ﴿١٨﴾ ـ ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحصُوها﴾: تَضبطوها، فضلاً أن تُطيقوا شُكرها.

﴿إنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ يُنعم عليكم مع تقصيركم وعِصيانكم، ﴿١٩﴾ ـ ﴿٢٠﴾ ـ ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعلِنُونَ، والَّذِينَ تدعُونَ﴾، بالتاء والياء: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ ـ وهم الأصنام ـ ﴿لا يَخلُقُونَ شَيئًا، وهُم يُخلَقُونَ﴾: يُصوَّرون من الحِجارة وغيرها، ﴿٢١﴾ ـ ﴿أمْواتٌ﴾: لا روحَ فيهم خبرٌ ثانٍ ﴿غيرُ أحياءٍ﴾: تأكيدٌ، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ أي: الأصنامُ ﴿أيَّانَ﴾: وقتَ ﴿يُبعَثُونَ﴾ أي: الخلقُ. فكيف يُعبَدون إذ لا يكون إلهًا إلّا الخالقُ الحيّ العالم بالغيب؟

﴿٢٢﴾ ـ ﴿إلٰهُكُم﴾: المُستحقّ للعبادة منكم ﴿إلٰهٌ واحِدٌ﴾: لا نظير له في ذاته ولا صِفاته. وهو الله تعالى. ﴿فالَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ قُلُوبُهُم مُنكِرةٌ﴾: جاحدة للوحدانيّة، ﴿وهُم مُستكبِرُونَ﴾: مُتكبّرون عن الإيمان بها. ﴿٢٣﴾ ـ ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ﴾ فيُجازيهم بذلك. ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ المُستكبِرِينَ﴾ بمعنى أنه يُعاقبهم.

ونزل في النضر بن الحارث[1]: ﴿٢٤﴾ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: ما﴾: استفهاميّة ﴿ذا﴾: موصولة ﴿أنزَلَ رَبُّكُم﴾ على مُحمّد؟ ﴿قالُوا﴾: هو ﴿أساطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿الأوَّلِينَ﴾، إضلالاً للناس. ﴿٢٥﴾ ـ ﴿لِيَحمِلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أوزارَهُم﴾: ذُنوبهم ﴿كامِلَةً﴾: لم يُكفَّر منها شيء ﴿يومَ القِيامةِ، ومِن﴾: بعضِ ﴿أوزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بغَيرِ عِلمٍ﴾ لأنهم دعَوهم إلى الضلال، فاتّبعوهم فاشتركوا في الإثم. ﴿ألا ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما يَزِرُونَ﴾: يحملونه حِملُهم هذا!

﴿٢٦﴾ ـ ﴿قد مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ وهو نُمروذُ، بنَى صرحًا طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليُقاتل أهلها، ﴿فأتَى اللهُ﴾: قصدَ ﴿بُنيانَهُم مِنَ القَواعِدِ﴾: الإساسِ، فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته، ﴿فخَرَّ علَيهِمِ السَّقفُ مِن فَوقِهِم﴾ أي: وهم تحته، ﴿وأتاهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ﴾: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم. وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

﴿رواسي﴾: جبالاً ثوابتَ. ﴿أن تميد بكم﴾: لئلّا تتحرَّكَ وتضطربَ بكُم. ﴿علامات﴾: معالمَ للطُّرقِ تهتدونَ بها. ﴿لا تُحصوها﴾: لا تُطيقوا حصرَها لعدمِ تناهيها. ﴿لا جرم﴾: حقَّ وثبتَ، أو لا محالةَ أو حقًّا. ﴿أساطير الأولين﴾: أباطيلُهُمُ المسطَّرةُ في كتبِهِم. ﴿أوزارهم﴾: آثامَهُم وذنوبَهُم. ﴿القواعد﴾: الدَّعائمِ والعُمدِ. أوِ الأساسِ.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤١) عن ابن عباس. وروى ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ٢٠١)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل الله في النضر ثماني آيات، قول الله تعالى: ﴿إذا تُتلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن».

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ
لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ
ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن
تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

(٢٧) - ﴿ثُمَّ يَومَ القِيامةِ يُخزِيهِم﴾: يُذِلّهم، ﴿ويَقُولُ﴾ لهم اللهُ على لسان الملائكة توبيخًا: ﴿أينَ شُرَكائيَ﴾ - بزعمكم - ﴿الَّذِينَ كُنتُم تُشاقُّونَ﴾: تُخالفون المؤمنين ﴿فِيهِم﴾: في شأنهم؟ ﴿قالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾ من الأنبياء والمُؤمنين: ﴿إنَّ الخِزيَ اليَومَ والسُّوءَ علَى الكافِرِينَ﴾ - يقولونه[١] شماتةً بهم - (٢٨) - ﴿الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ﴾، بالتاء والياء، ﴿المَلائكةُ ظالِمِي أنفُسِهِم﴾ بالكُفر. ﴿فألقَوُا السَّلَمَ﴾: انقادوا واستسلموا عِند الموت قائلين: ﴿ما كُنّا نَعمَلُ مِن سُوءٍ﴾: شِرك. فتقول الملائكة: ﴿بَلَى إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به، ويقال لهم: (٢٩) - ﴿فادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها. فلَبِئسَ مَثوَى﴾: مأوى ﴿المُتَكَبِّرِينَ﴾!

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

(٣٠) - ﴿وقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ: ﴿ماذا أنزَلَ رَبُّكُم؟ قالُوا: خَيرًا[٢]، لِلَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿في هذِهِ الدُّنيا حَسَنةٌ﴾: حياة طيّبة، ﴿ولَدارُ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ﴾ من الدنيا وما فيها. قال تعالى فيها[٣]: ﴿ولَنِعمَ دارُ المُتَّقِينَ﴾ هي[٤]! (٣١) - (٣٢) - ﴿جَنّاتُ عَدنٍ﴾: إقامةٍ، مبتدأٌ خبرُه: ﴿يَدخُلُونَها، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، لَهُم فِيها ما يَشاؤُونَ. كَذلِكَ﴾ الجزاءِ ﴿يَجزِي اللهُ المُتَّقِينَ الَّذِينَ﴾: نعت ﴿تَتَوَفّاهُمُ المَلائكةُ طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من الكُفر، ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلامٌ عَلَيكُم﴾، ويقال[٥] لهم في الآخرة: ﴿ادخُلُوا الجَنّةَ بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾.

(٣٣) - ﴿هَل﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر الكُفّار[٦] ﴿إلّا أن تأتِيَهُمُ﴾ - بالتاء والياء - ﴿المَلائكةُ﴾ لقبض أرواحهم، ﴿أو يأتِيَ أمرُ رَبِّكَ﴾: العذابُ أو القيامةُ المشتملة عليه؟ ﴿كَذلِكَ﴾: كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم، كذّبوا رُسلهم فأُهلكوا، ﴿وما ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب، ﴿ولكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بالكفر، (٣٤) - ﴿فأصابَهُم سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ أي: العذابُ.

﴿يُخزيهم﴾: يُذلُّهُم ويهينُهُم بالعذابِ. ﴿تُشاقّون فيهم﴾: تُخاصمونَ وتعادونَ الأنبياءَ فيهِم. ﴿الخزي﴾: الذُّلّ والهوانَ. ﴿السّوء﴾: العذابَ. ﴿فألقوا السَّلم﴾: أظهروا الاستسلامَ والخضوعَ. ﴿مثوى المُتكبّرين﴾: مأواهُم ومقامُهُم. ﴿طيّبين﴾: طاهرينَ مِن دنسِ الشِّركِ والمعاصي. ﴿حاق بهم﴾: أحاطَ. أو نزلَ بِهِم.

(١) أي: فائدةُ قولِهِم إظهارُ الشَّماتةِ وزيادةُ الإهانةِ، وحكايتِه ليكونَ لطفاً لمَن سمعَ. (الجمالين).

(٢) أي: أنزلَ خيراً. (الجمالين).

(٣) أي: في حقِّ دارِ الآخرةِ. (الجمالين).

(٤) أي: دارُ الآخرةِ، فحذفَ لتقدُّمِ ذكرِهِ، وقولُه: (﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾) خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، ويجوزُ أن يكونَ المخصُوصَ بالمدحِ. (الجمالين).

(٥) أو التَّقديرُ: حينَ تُبعثونَ. (الجمالين).

(٦) المارُّ ذكرُهُم. (الجمالين).

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ
٣٥ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ
حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢

٣٥ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ أشرَكُوا﴾ من أهل مكّة: ﴿لَو شاءَ اللهُ ما عَبَدْنا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ نَحنُ ولا آباؤُنا، ولا حَرَّمْنا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ﴾ من البحائر والسوائب. فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به. قال تعالى: ﴿كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ أي: كذّبوا رُسلهم فيما جاؤوا به. ﴿فَهَل﴾: فما ﴿على الرُّسُلِ إلّا البَلاغُ المُبِينُ﴾: الإبلاغ البيّن؟ وليس عليهم هداية.

٣٦ ـ ﴿ولَقَد بَعَثْنا في كُلِّ أُمّةٍ رَسُولاً﴾ كما بعثناك في هؤلاء، ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿اعبُدُوا اللهَ﴾: وحّدوه، ﴿واجتَنِبُوا الطّاغُوتَ﴾: الأوثانَ أن تعبدوها، ﴿فمِنهُم مَن هَدَى اللهُ﴾ فآمنَ، ﴿ومِنهُم مَن حَقَّتْ﴾: وَجبَتْ ﴿علَيهِ الضَّلالَةُ﴾ في علم الله فلم يُؤمن. ﴿فسِيرُوا﴾ ـ يا كُفّار مكّة ـ ﴿في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ رسلَهم من الهلاك؟

٣٧ ـ ﴿إن تَحرِصْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿على هُداهُم﴾، وقد أضلّهم الله، لا تقدِرْ على ذلك ﴿فإنَّ اللهَ لا يُهدَى﴾ ـ بالبناء للمفعول وللفاعل ـ ﴿مَن يُضِلُّ﴾: من يُريد إضلاله، ﴿وما لَهُم مِن ناصِرِينَ﴾: مانعين من عذاب الله.

٣٨ ـ ﴿وأقسَمُوا بِاللهِ جَهدَ أيمانِهِم﴾[1] أي: غـايـةَ اجتهادهم فيها، ﴿لا يَبعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ﴾. قال تعالى: ﴿بَلَى﴾ يبعثهم، ﴿وَعدًا علَيهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكّدان منصوبان بفعلهما المُقدّر، أي: وَعَدَ ذلك وحقّه حقًّا ـ ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ـ ٣٩ ـ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾: مُتعلّق بـ«يبعثهم» المُقدّرِ، ﴿لَهُمُ الَّذِي يَختَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدِّين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين، ﴿ولِيَعلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّهُم كانُوا كاذِبِينَ﴾ في إنكار البعث. ٤٠ ـ ﴿إنَّما قَولُنا لِشَيءٍ، إذا أرَدْناهُ﴾ أي: أردنا إيجاده، وقولُنا: مبتدأ خبره: ﴿أن نَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون. وفي قراءة بالنصب عطفًا على «نقولَ». والآية لتقرير القُدرة على البعث.

٤١ ـ ﴿والَّذِينَ هاجَرُوا في اللهِ﴾: لإقامة دِينه، ﴿مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا﴾[2] بالأذى من أهل مكّة ـ وهم النبيّ وأصحابه ـ ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: نُنزلنّهم ﴿في الدُّنيا﴾ دارًا ﴿حَسَنَةً﴾ هي المدينة، ﴿ولأجرُ الآخِرةِ﴾ أي: الجنّةُ ﴿أكبَرُ﴾: أعظم. ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ أي: الكُفّارُ أو المُتخلّفون عن الهجرة ما للمُهاجرين من الكرامة لوافقوهم. ٤٢ ـ هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المُشركِينَ والهِجرة لإظهار الدِّين، ﴿وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾، فيرزقهم من حيثُ لا يحتسبون.

﴿اجتنبوا الطّاغوت﴾: كلَّ معبودٍ باطلٍ وكلَّ داعٍ إلى ضلالةٍ. ﴿حقّت﴾: ثبتَتْ ووجبَتْ. ﴿جهد أيمانهم﴾: مُجتهدينَ في الحلفِ بأغلظِها وأوكدِها. ﴿لنبوّئنّهم﴾: لنُنزلنَّهُم. ﴿حسنةً﴾: مباءةً أو داراً أو عطيّةً حسنةً.

(١) عن أبي العالية: نزلَتْ في رجلٍ منَ المسلمينَ كان له دَينٌ على مُشركٍ، فأتاهُ يتقاضاه، وجرَى في كلامِه: والذي أرجُو بعد الموتِ، فقال المُشركُ: أُقسِمُ باللهِ لا يبعَثُ اللهُ مَن يموتُ، فأنزَلَ اللهُ الآيَةَ. الطبري (١٤/ ٢٢٠)، والواحدي (ص: ٢٧٩).

وقال رجل لابنِ عبّاسٍ: إنَّ ناسًا منَ العراقِ يزعُمون أنَّ عليًّا مبعوثٌ قبل يومِ القيامةِ، ويتأوّلون هذه الآيةَ، فقال ابنُ عبّاسٍ: كذَبَ ابنُ الإماءِ، إنَّ هذه الآيَةَ عامّةٌ للنّاسِ، ولو كان عليٌّ مبعوثًا قبلَ يومِ القيامةِ ما أنكَحْنا نساءَه، ولا قسَمْنا ميراثَه. عبد الرزاق (١٤٨٤)، والطبري (١٤/ ٢١٩)، والحاكم (٣٠٥٠).

(٢) عن عمرَ بن الحكم قال: كان عمّارُ بنُ ياسرٍ يعذَّبُ حتّى لا يدري ما يقولُ، وهكذا كان صهيبٌ وأبو فُكيهةَ وبلالٌ وعامرُ بنُ فُهيرةَ وقومٌ من المسلمين، وفيهم نزلت هذه الآيةُ. «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٤٨)، والواحدي (ص: ٢٧٩).

وعن داود بن أبي هند قال: نزلت في أبي جندل بن سهيل. عبد الرزاق (١٤٨٦)، والطبري (١٤/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٨٣).

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٤٣) بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)
أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ (٤٥) أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ (٤٦) أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ (٤٧) أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
(٤٨) وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ (٥٠) ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا
كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٤)

(٤٣) ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ إلّا رِجالاً، يُوحَى إلَيهِم﴾[1] لا ملائكةً ـ ﴿فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ﴾: العلماءَ بالتوراة والإنجيل، ﴿إن كُنتُم لا تعلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقربُ من تصديق المُؤمنين بمُحمّد ـ (٤٤) ـ ﴿بِالبيِّناتِ﴾: مُتعلّق بمحذوف أي: أرسلناهم بالحُججِ الواضحة، ﴿والزُّبُرِ﴾: الكُتب، ﴿وأنزَلْنا إلَيكَ الذِّكرَ﴾: القُرآن ﴿لِتُبيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إلَيهِم﴾ فيه من الحلال والحرام، ﴿ولَعَلَّهُم يَتفكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون. (٤٥) ـ ﴿أفأمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المَكَراتِ ﴿السَّيِّئاتِ﴾ بالنبيّ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذُكر في «الأنفال» ﴿أن يَخسِفَ اللهُ بِهِمِ الأرضَ﴾ كقارونَ، ﴿أو يأتِيَهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ﴾ أي: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم، وقد أُهلِكوا ببدر ولم يكونوا يُقدِّروا ذلك، (٤٦) ـ ﴿أو يأخُذَهم في تَقَلُّبِهِم﴾ في أسفارهم للتجارة ـ ﴿فما هُم بِمُعجِزِينَ﴾: بفائتين العذابَ ـ (٤٧) ـ ﴿أو يأخُذَهُم على تَخَوُّفٍ﴾: تنقّصٍ شيئًا فشيئًا حتى يَهلِكَ الجميعُ؟ حالٌ من الفاعل أو المفعول. ﴿فإنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيثُ لم يُعاجلهم بالعُقوبة.

الحزب ٢٨
سجدة

(٤٨) ـ ﴿أوَلَم يَرَوا إلَى ما خَلَقَ اللهُ مِن شَيءٍ﴾ له ظِلّ كشجرة وجبل، ﴿تَتَفَيَّأُ﴾: تتميّلُ ﴿ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمائلِ﴾: جمع شِمال، أي: عن جانبيها أوّلَ النهار وآخرَه، ﴿سُجَّدًا لِلهِ﴾: حالٌ أي: خاضعين بما يُراد منهم، ﴿وهُم﴾ أي: الظِّلال ﴿داخِرُونَ﴾ صاغرون؟ نُزّلوا منزلة العُقلاء.

(٤٩) ـ ﴿ولِلهِ يَسجُدُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ مِن دابَّةٍ﴾ أي: نسمةٍ تدبّ عليها، أي: يخضع له بما يراد منه ـ وغُلّب في الإتيان بـ «ما» ما لا يَعقل لكثرته ـ ﴿والمَلائكةُ﴾ خصّهم بالذكر تفضيلاً، ﴿وهُم لا يَستكبِرُونَ﴾: يتكبّرون عن عِبادته، (٥٠) ـ ﴿يَخافُونَ﴾ أي: الملائكةُ: حالٌ من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبَّهُم مِن فَوقِهِم﴾: حالٌ من هم، أي: عاليًا عليهم بالقهر، ﴿ويَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ﴾ به.

(٥١) ـ ﴿وقالَ اللهُ: لا تَتَّخِذُوا إلٰـهَينِ اثنَينِ﴾: تأكيد. ﴿إنَّما هُوَ إلٰـهٌ واحِدٌ﴾ ـ أتى به لإثبات الإلٰـهيّة والوحدانيّة. ﴿فإيّايَ فارهَبُونِ﴾: خافونِ دُون غيري وفيه التفات عن الغَيبة ـ (٥٢) ـ ﴿ولَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿ولَهُ الدِّينُ﴾: الطاعةُ ﴿واصِبًا﴾ دائمًا: حالٌ من «الدِّين» والعاملُ فيه معنى الظرف. ﴿أفغَيرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾، وهو الإلٰـهُ الحقّ ولا إلٰـهَ غيره؟ والاستفهام للإنكار أو للتوبيخ.

(٥٣) ـ ﴿وما بِكُم مِن نِعمَةٍ فمِنَ اللهِ﴾ لا يأتي بها غيرُه ـ وما: شرطيّة أو موصولة ـ ﴿ثُمَّ إذا مَسَّكُمُ﴾: أصابكم ﴿الضُّرُّ﴾: الفقر والمرض ﴿فإلَيهِ تَجأَرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تَدْعُون غيره، (٥٤) ـ ﴿ثُمَّ إذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُم إذا فَرِيقٌ مِنكُم بِرَبِّهِم يُشرِكُونَ﴾.

﴿بالبيّنات﴾: أرسلْناهُم بالمعجزاتِ. ﴿الزّبُر﴾: كتبُ الشَّرائعِ والتَّكاليفِ. ﴿يخسف..﴾: يُغيِّبَ... ﴿تقلّبهم﴾: أسفارِهِم ومتاجرِهِم. ﴿بمُعجزين﴾: فائتينَ مِن عذابِ اللهِ بالهربِ. ﴿تخوّف﴾: مخافةٍ مِنَ العذابِ. أو تَنَقُّصٍ. ﴿من شيء﴾: مِن جسمٍ قائمٍ لهُ ظلٌّ. ﴿يتفيّأ ضلاله﴾: تميلُ وتنتقلُ مِن جانبٍ إلى آخرَ. ﴿سُجّدًا لله﴾: منقادةً لِحُكمِهِ وتسخيرِهِ تعالى. ﴿و هم داخرون﴾: والظِّلالُ صاغرونَ مُنقادونَ كأصحابِها. ﴿له الدّين﴾: الطَّاعةُ والانقيادُ للهِ تعالى وحدَهُ. ﴿واصباً﴾: دائماً واجباً لازماً أو خالصاً. ﴿تجأرون﴾: تضِجُّونَ بالاستغاثةِ والتَّضرُّعِ.

(١) عن ابن عباس: نزلت في مشركي مكةَ، أنكروا نبوةَ محمدٍ عليه السَّلامُ وقالوا: اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولُه بشرًا. الطبري (١٤/ ٢٢٨).

لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥ وَيَجۡعَلُونَ
لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ
تَفۡتَرُونَ ٥٦ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ
٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
٦٠ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ
سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ
أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ
وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ
فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤

(٥٥) ـ ﴿**لِيَكفُرُوا بِما آتيناهُم**﴾ من النِّعمة. ﴿**فتَمتَّعُوا**﴾ باجتماعكم على عِبادة الأصنام. أمرُ تهديد. ﴿**فَسوفَ تَعلَمُونَ**﴾ عاقبة ذلك.

(٥٦) ـ ﴿**ويَجعَلُونَ**﴾ أي: المُشركون، ﴿**لِما لا يَعلَمُونَ**﴾ أنها تضرّ ولا تنفع ـ وهي الأصنام ـ ﴿**نَصِيبًا مِمّا رَزَقْناهُم**﴾ من الحرث والأنعام، بقولهم: «هذا... وهذا لِشُركائنا». ﴿**تاللهِ لَتُسألُنَّ**﴾ سُؤالَ توبيخ، وفيه التفات عن الغَيبة، ﴿**عَمّا كُنتُم تَفتَرُونَ**﴾ على الله، من أنه أمركم بذلك! (٥٧) ـ ﴿**ويَجعَلُونَ للهِ البَناتِ**﴾ بقولهم: الملائكةُ بناتُ الله ـ ﴿**سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له عمّا زعموا ـ ﴿**ولَهُم ما يَشتَهُونَ**﴾ أي: البنون. والجملة: في محلّ رفع، أو نصب بـ «يجعل». المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها، وهو منزَّه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء التي يختارونها فيختصّون بالأسنى كقوله: «فاستَفتِهِم: أَلِرَبِّكَ البَناتُ ولَهُمُ البَنُونَ»؟

(٥٨) ـ ﴿**وإذا بُشِّرَ أحَدُهُم بِالأُنثى**﴾ تُولدُ له ﴿**ظَلَّ**﴾: صار ﴿**وَجهُهُ مُسوَدًّا**﴾: مُتغيِّرًا تغيُّر مُغتمّ، ﴿**وهُوَ كَظِيمٌ**﴾: ممتلئ غمًّا. فكيف تُنسب البنات إليه تعالى؟ (٥٩) ـ ﴿**يَتوارى**﴾: يختفي ﴿**مِنَ القَومِ**﴾ أي: قومه ﴿**مِن سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ**﴾ خوفًا من التعيير مُتردِّدًا فيما يفعل به، ﴿**أيُمسِكُهُ**﴾: يتركه بلا قتل ﴿**على هُونٍ**﴾: هَوانٍ وذُلّ، ﴿**أم يَدُسُّهُ في التُّرابِ**﴾ بأن يئده؟ ﴿**ألا ساءَ**﴾: بئسَ ﴿**ما يَحكُمُونَ**﴾ حُكمُهم هذا، حيثُ نسبوا لخالقهم البناتِ اللاتي هي عِندهم بهذا المحلّ!

(٦٠) ـ ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ**﴾ أي: الكُفّار ﴿**مَثَلُ السَّوءِ**﴾ أي الصفةُ السَّوءَى بمعنى القبيحة، وهي وأدُهم البناتِ مع احتياجهم إليهنّ للنكاح، ﴿**ولِلهِ المَثَلُ الأعلى**﴾ الصفةُ العُليا ـ وهو أنه لا إلٰـهَ إلّا هو ـ ﴿**وهُوَ العَزِيزُ**﴾ في مُلكه ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في خلقه، (٦١) ـ ﴿**ولَو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِظُلمِهِم**﴾: بالمعاصي ﴿**ما تَرَكَ عَلَيها**﴾ أي: الأرضِ ﴿**مِن دابّةٍ**﴾: نسَمةٍ تدبّ عليها، ﴿**ولكِن يُؤَخِّرُهُم إلى أجَلٍ مُسَمًّى، فإذا جاءَ أجَلُهُم لا يَستأخِرُونَ**﴾ عنه ﴿**ساعةً ولا يَستَقدِمُونَ**﴾ عليه.

(٦٢) ـ ﴿**ويَجعَلُونَ لِلهِ ما يَكرهُونَ**﴾ لِأنفُسهم من البناتِ والشريكِ في الرياسة وإهانةِ الرُّسل، ﴿**وتَصِفُ**﴾: تقول ﴿**ألسِنَتُهُمُ**﴾ مع ذلك ﴿**الكَذِبَ**﴾، وهو ﴿**أنَّ لَهُمُ الحُسنى**﴾ عِند الله أي: الجنّةَ كقوله: «ولَئِنْ رُجِعتُ إلى رَبِّي إنَّ لِي عِندَهُ لَلحُسنى». قال تعالى: ﴿**لا جَرَمَ**﴾: حقًّا ﴿**أنَّ لَهُمُ النّارَ، وأنَّهُم مُفرَطُونَ**﴾: متروكون فيها أو مُقدَّمون إليها. وفي قراءة بكسر الراء، أي: مُتجاوِزون الحدَّ.

(٦٣) ـ ﴿**تاللهِ، لَقَد أرسَلنا إلى أُمَمٍ مِن قَبلِكَ**﴾ رُسلاً، ﴿**فزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم**﴾ السيّئة، فرأوها حسنة فكذّبوا الرسل! ﴿**فَهُوَ ولِيُّهُم**﴾: مُتولّي أُمورهم ﴿**اليَومَ**﴾ أي: في الدنيا، ﴿**ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾: مُؤلم في الآخِرة. وقيل: المُراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي: لا وليّ لهم غيره، وهو عاجز عن نصر نفسه. فكيف ينصرهم؟ (٦٤) ـ ﴿**وما أنزَلنا عَلَيكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**الكِتابَ**﴾: القُرآن ﴿**إلّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ**﴾: للناس ﴿**الَّذِي اختَلَفُوا فِيهِ**﴾ من أمر الدِّين، ﴿**وهُدًى**﴾ ـ عطف على «لتبيّن» ﴿**ورَحمةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾ به.

﴿تفترون﴾: تكذبونَهُ على اللهِ. ﴿هو كظيم﴾: ممتلئٌ غمّاً وغيظاً في قرارةِ نفسِهِ. ﴿يتوارى﴾: يستخفي ويتغيَّبُ. ﴿هون﴾: هوانٍ وذلٍّ. ﴿يدسّه﴾: يُخفيهِ بالوأدِ فيدفنُهُ حيّاً. ﴿مثل السّوء﴾: صفةُ القبيحةِ مِنَ الجهلِ والكفرِ. ﴿لا جرمَ﴾: حقَّ وثبتَ. أو لا محالةَ أو حقّاً. ﴿مُفرطون﴾: مُقدَّمونَ معجَّلٌ بهم إلى النَّارِ.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم
مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ
كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ
أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾
وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟
بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿٦٥﴾ ـ ﴿**وَاللهُ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأحْيا بِهِ الأرضَ**﴾ بالنبات ﴿**بَعدَ مَوتِها**﴾: يُبسِها. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآيَةً**﴾ دالّة على البعث ﴿**لِقَومٍ يَسمَعُونَ**﴾ سماعَ تدبّر، ﴿٦٦﴾ ـ ﴿**وإنَّ لَكُم في الأنعامِ لَعِبْرةً**﴾: اعتبارًا ـ ﴿**نُسقِيكُم**﴾ بيانٌ للعِبرة ﴿**مِمّا في بُطُونِهِ**﴾ أي: الأنعام، ﴿**مِن**﴾: للابتداء مُتعلّقة بـ «نُسقيكم» ﴿**بَينِ فَرْثٍ**﴾: ثُفل الكَرِش ﴿**ودَمٍ لَبَنًا خالِصًا**﴾: لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون، وهو بينهما، ﴿**سائِغًا لِلشّارِبِينَ**﴾: سهلَ المُرُور في حلقهم لا يُغَصّ به ـ ﴿٦٧﴾ ـ ﴿**ومِن ثَمَراتِ النَّخِيلِ والأعنابِ**﴾ ثمرٌ، ﴿**تَتَّخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا**﴾: خمرًا يُسكِر، سُمّيتْ بالمصدر ـ وهذا قبل تحريمها ـ ﴿**ورِزقًا حَسَنًا**﴾ كالتمر والزَّبيب والخلّ والدِّبْس. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآيَةً**﴾ دالّة على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿**لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾: يتدبّرون.

﴿٦٨﴾ ـ ﴿**وأوحَى رَبُّكَ إلَى النَّحلِ**﴾ وحْيَ إلهامٍ ﴿**أنِ**﴾: مُفسّرةٌ أو مصدرية ﴿**اتَّخِذِي مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا**﴾ تأوين إليها، ﴿**ومِنَ الشَّجَرِ**﴾ بيوتًا ﴿**ومِمّا يَعرِشُونَ**﴾ أي: الناسُ يبنون لكِ من الأماكن ـ وإلّا لم تأوِ إليها ـ ﴿٦٩﴾ ـ ﴿**ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ، فاسلُكِي**﴾: ادخلي ﴿**سُبُلَ رَبِّكِ**﴾: طُرقَه في طلب المرعى، ﴿**ذُلُلًا**﴾: جمع ذلول، حالٌ من السبل أي: مُسخّرةً لكِ، فلا تعسُرُ عليكِ وإن توعّرتْ ولا تَضلّي عن العود منها وإن بعدتْ، وقيل: من الضمير في «اسلكي» أي: مُنقادةً لِما يُراد منكِ.

﴿**يَخرُجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ**﴾ هو العسل ﴿**مُختَلِفٌ ألوانُهُ، فِيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ**﴾ من الأوجاع، قيل: لبعضها كما دلّ عليه تنكير «شفاء» أو لكُلّها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنِيّته. وقد أمر به ﷺ مَن استُطلِق بطنُه. رواه الشيخانِ[1]. ﴿**إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ في صُنعه تعالى.

﴿٧٠﴾ ـ ﴿**واللهُ خَلَقَكُم**﴾ ولم تكونوا شيئًا، ﴿**ثُمَّ يَتَوَفّاكُم**﴾ عِند انقضاء آجالكم، ﴿**ومِنكُم مَن يُرَدُّ إلَى أرذَلِ العُمُرِ**﴾ أي: أخسّه من الهرَم والخرَف، ﴿**لِكَيلا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئًا**﴾. قال عِكرِمة[2]: مَن قرأ القرآنَ لم يصِر بهذه الحالة. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ**﴾ بتدبير خلقه ﴿**قَدِيرٌ**﴾ على ما يُريده.

﴿٧١﴾ ـ ﴿**واللهُ فَضَّلَ بَعضَكُم على بَعضٍ في الرِّزقِ**﴾، فمنكم غنيّ وفقير ومالك ومملوك، ﴿**فما الَّذِينَ فُضِّلُوا**﴾ أي: الموالي ﴿**بِرادِّي رِزقِهِم على ما مَلَكَت أيمانُهُم**﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم من الأموالِ وغيرِها شركةً بينهم وبين مماليكهم، ﴿**فهُم**﴾ أي: المماليك والموالي ﴿**فِيهِ سَواءٌ**﴾: شُركاءُ. المعنى: ليس لهم شُركاء من مماليكهم في أموالهم. فكيف يجعلون بعض مماليك الله شُركاءَ له؟ ﴿**أفَبِنِعمَةِ اللهِ يَجحَدُونَ**﴾: يكفرونَ حيثُ يجعلون له شُركاء؟

﴿٧٢﴾ ـ ﴿**واللهُ جَعَلَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجًا**﴾، فخلق حوّاءَ من ضِلَع آدمَ وسائرَ الناس من نُطف الرجال والنساء، ﴿**وجَعَلَ لَكُم مِن أزواجِكُم بَنِينَ وحَفَدَةً**﴾ أولادَ الأولادِ، ﴿**ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ**﴾ من أنواع الثِّمار والحُبوب والحيوان. ﴿**أفَبِالباطِلِ**﴾: الصنمِ ﴿**يُؤمِنُونَ، وبِنِعمَةِ اللهِ هُم يَكفُرُونَ**﴾ بإشراكهم؟

﴿لعبرةً﴾: لعظةً عظيمةً ودلالةً على قدرتنا. ﴿فرث﴾: ما في الكَرِشِ مِنَ الثُّفل. ﴿سكرًا﴾: خمراً (ثُمَّ حُرِّمَتْ بالمدينة). ﴿أوحى ربك﴾: الإيحاءُ هنا الإلهامُ والإرشادُ أوِ التَّسخيرُ. ﴿بيوتًا﴾: أوكاراً تبنيها لِتعسِلَ فيها. ﴿يعرشون﴾: يَبني النَّاسُ مِنَ الخلايا للنَّحلِ. ﴿ذللاً﴾: مذلَّلةً مُسهَّلةً لكَ. ﴿أرذل العمر﴾: أردئِهِ وأخسِّهِ (الخَرَفِ والهَرَمِ). ﴿فهم فيه سواء؟﴾: أفهم في الرِّزقِ مُستوونَ؟ ؟ لا. ﴿حفدة﴾: خدماً وأعواناً، أو أولادَ أولادٍ.

(١) البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٤٦٨ ـ تفسير)، والطبري (٢٤/ ٥١٧).

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا
مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ
أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ
أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ
بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيۡبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ
ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧
وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩

(٧٣) ـ ﴿وَيَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيره ﴿ما لا يَملِكُ لَهُم رِزقًا مِنَ السَّماواتِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات ﴿شَيئًا﴾: بدلٌ من «رزقًا»، ﴿ولا يَستَطِيعُونَ﴾: يقدرون على شيء. وهم الأصنام.

ربع الحزب ٢٨

(٧٤) ـ ﴿فلا تَضرِبُوا للهِ الأمثالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أشباهًا تُشركوهم به. ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ﴾ أنْ لا مِثلَ له ﴿وأنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ ذلك.

(٧٥) ـ ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾، ويُبدلُ منه: ﴿عَبدًا مَملُوكًا﴾[1]: صفةٌ تُميِّزه من الحُرِّ فإنه عبدُ اللهِ، ﴿لا يَقدِرُ على شَيءٍ﴾ لعدم مُلكه، ﴿ومَن﴾: نكرةٌ موصوفة أي: حُرًّا ﴿رَزَقناهُ مِنّا رِزقًا حَسَنًا، فهوَ يُنفِقُ مِنهُ سِرًّا وجَهرًا﴾ أي: يتصرَّف فيه كيف يشاء؟ والأوّل مَثَل الأصنام، والثاني مَثَله تعالى. ﴿هَل يَستَوُونَ﴾ أي: العبيدُ العَجَزة والحُرّ المُتصرِّف؟ لا. ﴿الحَمدُ للهِ﴾ وحده. ﴿بَل أكثَرُهُم﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيُشركون.

(٧٦) ـ ﴿وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾، ويُبدل منه: ﴿رَجُلَينِ: أحَدُهُما أبكَمُ﴾ وُلِدَ أخرس ﴿لا يَقدِرُ على شَيءٍ﴾ لأنه لا يَفهَم ولا يُفهِم، ﴿وهُوَ كَلٌّ﴾: ثقيل ﴿على مَولاهُ﴾: وليِّ أمره، ﴿أينَما يُوَجِّههُ﴾: يُصرّفه ﴿لا يأتِ﴾ منه ﴿بِخَيرٍ﴾: بنُجح ـ وهذا مَثَل الكافر ـ ﴿هَل يَستَوِي هُوَ﴾ أي: الأبكمُ المذكور ﴿ومَن يأمُرُ بالعَدلِ﴾ أي: ومَن هو ناطق نافع للناس حيثُ يأمر به ويحثّ عليه، ﴿وهُوَ على صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ﴾، وهو الثاني المؤمن؟ لا. وقيل: هذا مَثَلٌ لِلهِ والأبكمُ للأصنام، والذي قبله للكافر والمُؤمن.

(٧٧) ـ (٧٨) ـ ﴿ولِلهِ غَيبُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: عِلمُ ما غاب فيهما، ﴿وما أمرُ السّاعةِ إلّا كَلَمحِ البَصَرِ، أو هُوَ أقرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ: «كُنْ، فيَكُونُ» ـ ﴿إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ـ واللهُ أخرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهاتِكُم، لا تَعلَمُونَ شَيئًا﴾ ـ الجملة: حال ـ ﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصارَ والأفئِدَةَ﴾: القلوب، ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَـ﴾ـه على ذلك فتُؤمنون.

(٧٩) ـ ﴿ألَم يَرَوا إلى الطَّيرِ مُسَخَّراتٍ﴾: مُذلَّلاتٍ للطيران ﴿في جَوِّ السَّماءِ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض، ﴿ما يُمسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهنّ وبسطها أن يَقَعْنَ ﴿إلّا اللهُ﴾ بقُدرته؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾، هي خلقُها بحيثُ يُمكنها الطيران، وخلقُ الجوّ بحيثُ يُمكن الطيرانُ فيه، وإمساكُها.

﴿أحدهما أبكم﴾: أخرسُ خِلقةً. ﴿هو كلٌّ﴾: عِبءٌ وعِيالٌ. ﴿كلمح البصر﴾: كخطفةٍ بالبصرِ واختلاسٍ بالنَّظرِ.

(١) عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق منه سرًّا وجهراً، ومولاه أبو الجوزاء الذي كان ينهاه. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٣)، والواحدي (ص: ٢٧٩).

وعن ابن عباس أيضاً قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، وفي قوله: ﴿وضرب الله مَثَلاً رَجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَا أَبۡكَمُ لا يَقۡدِرُ عَلَى شَيۡءٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسۡتَقِيمٍ﴾ قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبكم الذي أينما يُوَجّهُ لا يأت بخير ذاك مولى عثمان بن عفّان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما. الطبري (١٤/ ٣١٢) والواحدي (ص: ٢٨٠) وسمى الواحدي المولى: أَسِيد بن أبي العِيْص.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ٨٢ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ٨٣ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
٨٤ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟
رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ٨٦ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى
ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ٨٧

٨٠ ـ ﴿واللهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيُوتِكُم سَكَنًا﴾: موضعًا تسكنون فيه، ﴿وجَعَلَ لَكُم مِن جُلُودِ الأنعامِ بُيُوتًا﴾ كالخِيام والقِباب، ﴿تَستَخِفُّونَها﴾ للحمل ﴿يَومَ ظَعنِكُم﴾: سفركم ﴿ويَومَ إقامَتِكُم، ومِن أصوافِها﴾ أي: الغنم[1] ﴿وأوبارِها﴾ أي: الإبلِ ﴿وأشعارِها﴾ أي: المعزِ ﴿أثاثًا﴾: متاعًا لبيوتكم كبُسُط وأكسية، ﴿ومَتاعًا﴾ تتمتّعون به ﴿إلَى حِينٍ﴾ يبلى فيه.

٨١ ـ ﴿واللهُ جَعَلَ لَكُم مِمّا خَلَقَ﴾ من البُيوت والشجر والغمام ﴿ظِلالًا﴾: جمع ظِلّ، تقيكم حرّ الشمس، ﴿وجَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبالِ أكنانًا﴾: جمع كِنّ ـ وهو ما يُستكنّ فيه كالغار والسَّرَب ـ ﴿وجَعَلَ لَكُم سَرابِيلَ﴾: قُمُصًا[2] ﴿تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ أي: والبردَ، ﴿وسَرابِيلَ تَقِيكُم بَأسَكُم﴾: حربكم أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن. ﴿كَذَلِكَ﴾: كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعمَتَهُ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيكُم﴾ بخلق ما تحتاجون إليه، ﴿لَعَلَّكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿تُسلِمُونَ﴾: تُوحّدونه.

٨٢ ـ ﴿فَإن تَوَلَّوا﴾: أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإنَّما عَلَيكَ﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿البَلاغُ المُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّن. وهذا قبلَ الأمر بالقتال. ٨٣ ـ ﴿يَعرِفُونَ نِعمَةَ اللهِ﴾ أي: يُقرّون بأنها من عِنده، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَها﴾ بإشراكهم، ﴿وأكثَرُهُمُ الكافِرُونَ﴾[3].

٨٤ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَبعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيّها يشهد عليها ولها ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿ثُمَّ لا يُؤذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار، ﴿ولا هُم يُستَعتَبُونَ﴾: لا يُطلب منهم العُتبى، أي: الرجوع إلى ما يُرضي اللهَ.

٨٥ ـ ﴿وإذا رأى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿العَذابَ﴾: النار ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنهُم﴾ العذاب، ﴿ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلون عنه إذا رأوه.

٨٦ ـ ﴿وإذا رأى الَّذِينَ أشرَكُوا شُرَكاءَهُم﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قالُوا: رَبَّنا، هَؤُلاءِ شُرَكاؤُنا الَّذِينَ كُنّا نَدعُو﴾: نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ. فَألقَوا إلَيهِمِ القَولَ﴾ أي: قالوا لهم: ﴿إنَّكُم لَكاذِبُونَ﴾ في قولكم: «إنكم عبدتمونا» كما في آية أُخرى «ما كانُوا إيّانا يَعبُدُونَ»، «سَيَكفُرُونَ بِعِبادَتِهِم». ٨٧ ـ ﴿وألقَوا إلَى اللهِ يَومَئِذٍ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا لحُكمه، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ من أنّ آلهتهم تشفع لهم.

﴿تستخفونها﴾: تجدونَها خفيفةَ الحملِ. ﴿يوم ظعنكم﴾: وقتَ تَرْحالِكُم. ﴿أثاثاً﴾: متاعاً لبُيوتِكُم كالفرشِ. ﴿متاعاً﴾: تنتفعونَ بِهِ في معايِشِكُم ومتاجِرِكُم. ﴿ظلالاً﴾: أشياءَ تستظلُّونَ بها كالأشجارِ. ﴿أكناناً﴾: مواضعَ تستكِنُّونَ فيها (الغيران). ﴿سرابيل﴾: ما يُلبسُ مِن ثيابٍ أو دروعٍ. ﴿تقيكم بأسكم﴾: الضَّربَ والطَّعنَ في حروبِكُم. ﴿لا هم يستعتبون﴾: لا يُطلبُ منهُم إرضاءُ ربِّهِم. ﴿يُنظرون﴾: يُمهَلونَ ويؤخَّرونَ. ﴿السَّلَم﴾: الاستسلامَ والانقيادَ لحكمِهِ تعالى.

(١) الصَّوابُ: الضَّأنِ، فإنَّ الغنمَ جنسٌ، والضَّأنُ والمعزُ نوعانِ منه، وإضافتُها إلى ضَميرِ الأنعامِ لأنَّهَا مِن جملَتِها. (الجمالين).

(٢) الأَولى: ثياباً مِن الصُّوفِ والكتَّانِ والقُطنِ وغيرِها، ففي «القاموسِ»: السِّربالُ ـ بالكسرِ ـ: القميصُ، أو الدِّرعُ، أو كلُّ ما يُلبَسُ. (الجمالين).

(٣) عن مجاهد: أن أعرابيًا أتى النَّبيَّ ﷺ، فسأله فقرأ عليه رسول الله ﷺ: ﴿وَالله جعل لكم من بُيُوتكُمْ سكناً﴾ قال الأعرابي: نعم، قال: ﴿وَجعل لكم من جُلُود الْأَنْعَام بُيُوتًا تستخفونها﴾ قال الأعرابي: نعم، ثمَّ قرأ عليه كل ذلك يقول: نعم، حتى بلغ ﴿كَذَلِك يتم نعْمَته عَلَيْكُم لَعَلَّكُمْ تسلمون﴾ فولى الأعرابي، فأنزل الله ﴿يعْرفُونَ نعْمَة الله ثمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرهم الْكَافِرُونَ﴾. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٥)، و«لباب النقول» (ص: ١٢٠).

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٨﴾ ـ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا، وصَدُّوا**﴾ الناسَ ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: دينه، ﴿**زِدْناهُم عَذابًا فَوقَ العَذابِ**﴾ الذي استحقّوه بكُفرهم ـ قال ابن مسعود: عقاربُ أنيابها كالنخل الطِّوال[1] ـ ﴿**بِما كانُوا يُفسِدُونَ**﴾ بصدّهم الناسَ عن الإيمان.

حزب الجزء ٢٨

﴿٨٩﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يومَ نَبعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عليهِم مِن أنفُسِهِم**﴾، هو نبيّهم، ﴿**وجِئْنا بِكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**شَهِيدًا على هؤُلاءِ**﴾ أي: قومك. ﴿**ونَزَّلْنا عليكَ الكِتابَ**﴾: القُرآن، ﴿**تِبيانًا**﴾: بيانًا ﴿**لِكُلِّ شَيءٍ**﴾، يَحتاج إليه الناسُ من أمر الشريعة ﴿**وهُدًى**﴾ من الضلالة ﴿**ورَحْمةً وبُشرَى**﴾ بالجنّة ﴿**لِلمُسلِمِينَ**﴾: المُوحّدين.

﴿٩٠﴾ ـ ﴿**إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدلِ**﴾: التوحيدِ أو الإنصافِ ﴿**والإحسانِ**﴾: أداء الفرائض أو «أن تَعبُدَ اللهَ كأنّكَ تَراهُ» كما في الحديث ﴿**وإيتاءِ**﴾: إعطاءِ ﴿**ذِي القُربَى**﴾: القرابةِ ـ خصّه بالذكر اهتمامًا به ـ ﴿**ويَنهَى عَنِ الفَحشاءِ**﴾: الزِّنى ﴿**والمُنكَرِ**﴾ شرعًا من الكُفر والمعاصي ﴿**والبَغْيِ**﴾: الظلمِ للناس ـ خصّه بالذكر اهتمامًا كما بدأ بالفحشاء كذلك ـ ﴿**يَعِظُكُم**﴾ بالأمر والنهي، ﴿**لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾: تتّعظون. وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال. وفي «المستدرك» عن ابن مسعود[2]: «هذه أجمعُ آيةٍ في القُرآن للخير والشرّ».

﴿٩١﴾ ـ ﴿**وأَوفُوا بِعَهدِ اللهِ**﴾ من البيعِ والأيمانِ وغيرها ﴿**إذا عاهَدتُم، ولا تَنقُضُوا الأَيمانَ بَعدَ تَوكِيدِها**﴾: توثيقها، ﴿**وقَد جَعَلتُمُ اللهَ عليكُم كَفِيلًا**﴾ بالوفاء، حيثُ حلفتم به ـ والجُملة: حال. ﴿**إنَّ اللهَ يَعلَمُ ما تَفعَلُونَ**﴾. تهديد لهم ـ ﴿٩٢﴾ ـ ﴿**ولا تَكُونُوا كالَّتِي نَقَضَتْ**﴾: أفسدتْ ﴿**غَزْلَها**﴾: ما غزلتْه ﴿**مِن بَعدِ قُوَّةٍ**﴾: إحكامٍ له وبرم ﴿**أَنكاثًا**﴾: حالٌ جمع نِكث ـ وهو ما يُنكث ـ أي: يُحَلّ إحكامه. وهي امرأة حمقاء من مكّة[3]، كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ـ ﴿**تَتَّخِذُونَ**﴾: حالٌ من ضمير «تكونوا» أي: لا تكونوا مثلها في اتّخاذكم ﴿**أيمانكُم دَخَلًا**﴾ هو: ما يدخل في الشيء وليس منه، أي: فسادًا وخديعة ﴿**بَينَكُم**﴾ بأن تنقضوها ﴿**أن**﴾ أي: لِأن ﴿**تَكُونَ أُمَّةٌ**﴾: جماعة ﴿**هِيَ أَربَى**﴾: أكثرُ ﴿**مِن أُمَّةٍ**﴾. وكانوا يحالفون الحُلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعزّ نقضوا حلف أُولئك وحالفوهم.

﴿**إنَّما يَبلُوكُمُ**﴾: يختبركم ﴿**اللهُ بِهِ**﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المُطيع منكم والعاصي، أو بكون أُمّة هي أربى لينظر: أتَفُونَ أم لا؟ ﴿**ولَيُبَيِّنَنَّ لَكُم يَومَ القِيامَةِ ما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ**﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره، بأن يُعذِّبَ الناكث ويُثيبَ الوافيَ. ﴿٩٣﴾ ـ ﴿**ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً واحِدَةً**﴾: أهلَ دِين واحد، ﴿**ولكِن يُضِلُّ مَن يَشاءُ، ويَهدِي مَن يَشاءُ، ولَتُسأَلُنَّ**﴾ يومَ القيامة سُؤالَ تبكيت ﴿**عَمّا كُنتُم تَعمَلُونَ**﴾ لتُجازَوا عليه.

﴿يأمر بالعدل﴾: بالاعتدالِ والتَّوسُّطِ في الأمورِ اعتقاداً وعملاً وخُلُقاً. ﴿الإحسان﴾: إتقانُ العملِ. أو نفع الخلق. ﴿الفحشاء﴾: الذُّنوب المفرطةِ في القُبح. ﴿البغي﴾: التَّطاولِ والتَّجبُّرِ على النَّاسِ. ﴿كفيلاً﴾: شاهداً. رقيباً. ضامِناً. ﴿قوة﴾: إبرام وإحكام. ﴿أنكاثاً﴾: أنقاضاً محلولَ الفتلِ. ﴿دخلاً بينكم﴾: مفسدةً وخيانةً وخديعةً بينكُم. ﴿أن تكون أمّة﴾: بأن تكونَ جماعةٌ. ﴿هي أربى﴾: أكثرُ وأعزُّ وأوفرُ مالاً. ﴿يبلوكم الله به﴾: يختبرُكم بِهِ هل تفونَ بعهدِكُم.

(١) رواه عبد الرزاق (١٥٢٢)، وابن أبي شيبة (٣٤١٣٨)، وأبو يعلى (٢٦٥٩)، والطبري (١٤/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٧)، والحاكم (٣٣٥٧).

(٢) «المستدرك» (٣٣٥٨) وصححه، ورواه أيضاً عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٠٢)، والطبري (١٤/ ٣٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٥٨).

(٣) الطبري (١٤/ ٣٤٢) عن السدي وعبد الله بن كثير. وذكره الثعلبي (١٦/ ١١٢)، والبغوي (٥/ ٣٩ ـ ٤٠) عن الكلبي ومقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٤). وعن أبي بكر بن حفص قال: كانت سعيدة الأسدية مجنونة تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٠).

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ
عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ
يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم
بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾
فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ
﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ
هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ
لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

(٩٤) ـ ﴿ولا تَتَّخِذُوا أيمانَكُم دَخَلاً بينكُم﴾ ـ كرّره تأكيدًا ـ ﴿فتَزِلَّ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم[١] عن محجّة الإسلام ﴿بَعدَ ثُبوتِها﴾: استقامتها عليها، ﴿وتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: العذاب ﴿بِما صَدَدْتُم عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: بصدّكم[٢] عن الوفاء بالعهد أو بصدّكم غيرَكم عنه لأنه يَستَنُّ بكم[٣]، ﴿ولَكُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة، (٩٥) ـ ﴿ولا تَشتَرُوا بِعَهدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من الدنيا[٤] بأن تنقضوه لأجله. ﴿إنَّ ما عِندَ اللهِ﴾ من الثواب[٥] ﴿هُوَ خَيرٌ لَكُم﴾ ممّا في الدنيا[٦]، ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

(٩٦) ـ ﴿ما عِندَكُم﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾: يفنى، ﴿وما عِندَ اللهِ باقٍ﴾: دائم، ﴿ولَيَجزِيَنَّ﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أجرَهُم بِأحسَنِ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾: أحسنُ بمعنى: حَسَن[٧]. (٩٧) ـ ﴿مَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فلَنُحيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾ ـ قيل: هي حياة الجنّة، وقيل: في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ـ ﴿ولَنَجزِيَنَّهُم أجرَهُم بِأحسَنِ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

(٩٨) ـ ﴿فإذا قَرَأْتَ القُرآنَ﴾ أي: أردتَ قراءته ﴿فاستَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل[٨]: «أعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ». (٩٩) ـ (١٠٠) ـ ﴿إنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلطانٌ﴾: تسلّط ﴿علَى الَّذِينَ آمَنُوا وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ. إنَّما سُلطانُهُ علَى الَّذِينَ يَتَوَلَّونَهُ﴾ بطاعته ﴿والَّذِينَ هُم بِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿مُشرِكُونَ﴾.

(١٠١) ـ ﴿وإذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ﴾[٩] بنَسخِها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ـ ﴿واللهُ أعلَمُ بِما يُنَزِّلُ ـ قالُوا﴾ أي: الكُفّار للنبيّ: ﴿إنَّما أنتَ مُفتَرٍ﴾: كذّابٌ تقولُه[١٠] من عِندك. ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ﴾ حقيقةَ القُرآن وفائدةَ النَّسخ. (١٠٢) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ﴾: جبريلُ ﴿مِن رَبِّكَ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ «نزّل» ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإيمانهم به، ﴿وهُدًى وبُشرَى لِلمُسلِمِينَ﴾.

﴿فتزلّ قدم﴾: فتزلَّ أقدامُكُم عن محجَّةِ الإسلامِ. ﴿ينفد﴾: ينقضي ويفنى ويزولُ. ﴿فاستعذ بالله﴾: فاعتصمْ بِهِ تعالى والجأْ إليهِ. ﴿سلطان﴾: تَسلُّطٌ وولايةٌ. ﴿يتولّونه﴾: يتَّخذونَهُ وليّاً مُطاعاً. ﴿روح القدس﴾: الرُّوحُ المُطهَّرُ جبريلُ عليهِ السَّلامُ.

(١) وإنَّما وحَّدَ ونكَّرَ للدِّلالةِ على أنَّ زللَ قدمٍ واحدةٍ عظيمٌ، فكيف بأقدامٍ كثيرةٍ. (الجمالين).

(٢) الصَّوابُ: بصدودِكُم؛ أي: إعراضِكُم، فإنَّهُ مصدرُ اللاَّزمِ. (الجمالين).

(٣) فإنَّ مَن نقضَ البيعةَ وارتدَّ جعلَ ذلك سُنَّةً لغيرِهِ. (الجمالين).

(٤) وهو ما كانَتْ قريشٌ يَعدُونَ لضعفاءِ المسلِمِينَ ويشترطونَ لهم على الارتِدادِ. (الجمالين).

(٥) في العُقبى والنَّصرِ والنَّعيمِ في الدُّنيا. (الجمالين).

(٦) ممَّا يعِدونَ وغيرِهِ. (الجمالين).

(٧) أو بما ترجَّحَ فعلُهُ على تركِهِ من أعمالِهِم كالواجِباتِ والمندُوباتِ، أو بجزاءٍ أحسنَ مِن أعمالِهِم. (الجمالين).

(٨) أي: اسألِ اللهَ أن يعيذَكَ من وساوسِهِ لئلاَّ يوسوسكَ في القراءةِ خُصوصاً، والتَّعوُّذُ باللَّفظِ المذكورِ أفضلُ، والجمهورُ على أنَّ الأمرَ للاستِحبابِ. (الجمالين).

(٩) نزلَتْ حين قال المشركون: إنَّ محمدًا يسخرُ بأصحابه؛ يأمرُهم اليومَ بأمرٍ وينهاهُم عنه غدًا، ويأتيهم بما هو أهونُ عليهم، وما هو إلّا مُفترٍ يتقوَّلُه من تلقاءِ نفسِه، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ والتي بعدَها. الثعلبي (٤/ ٥)، والواحدي (ص: ٢٨٠).

(١٠) بحذفِ التَّاءِ؛ أي: تأمرُ بشيءٍ ثمَّ يبدو لكَ فتنهَى عنه، وهو جوابُ ﴿إذا﴾، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ اعتراضٌ. (الجمالين).

(١٠٣) ـ ﴿ولقد﴾: للتحقيق ﴿نعلمُ أنَّهم يقولُونَ: إنَّما يُعَلِّمُهُ﴾ القُرآنَ ﴿بَشَرٌ﴾.
وهو قَين نصرانيّ، كان النبيّ ﷺ يدخل عليه[1]. قال تعالى: ﴿لِسانُ﴾: لغةُ
﴿الَّذي يُلحِدُونَ﴾: يُميلون ﴿إليهِ﴾ أنه يُعلّمه ﴿أعجمِيٌّ، وهذا﴾ القُرآن
﴿لِسانٌ عَرَبيٌّ مُبينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة. فكيف يُعلّمه أعجميٌّ؟ (١٠٤) ـ ﴿إنَّ
الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بِآياتِ اللهِ لا يَهديهِمِ اللهُ، ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلم.
(١٠٥) ـ ﴿إنَّما يَفتَري الكَذِبَ الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآن بقولهم: هذا
من قول البشر ـ ﴿وأُولئِكَ هُمُ الكاذِبُونَ﴾. والتأكيد بالتكرارِ و«إنّ» وغيرِهما
ردٌّ لقولهم: «إنَّما أنتَ مُفترٍ».

(١٠٦) ـ (١٠٧) ـ (١٠٨) ـ ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعدِ إيمانِهِ، إلّا مَن أُكرِهَ﴾[2] على التلفظ
بالكُفر فتلفظ به ﴿وقَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإيمانِ﴾ ـ ومَن: مبتدأ أو شرطيّة والخبرُ أو
الجواب: لهم وعيد شديد ـ دلّ على هذا: ﴿ولكِن مَن شَرَحَ بِالكُفرِ صَدرًا﴾
له أي: فَتَحه ووَسّعَه، بمعنى: طابت به نفسُه، ﴿فعلَيهِم غَضَبٌ مِنَ اللهِ، ولَهُم
عَذابٌ عَظِيمٌ. ذلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأنَّهُمُ استَحَبُّوا الحَياةَ الدُّنيا﴾: اختاروها
﴿على الآخِرةِ، وأنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ. أُولئِكَ الَّذينَ طَبَعَ اللهُ على
قُلُوبِهِم وسَمعِهِم وأبصارِهِم، وأُولئِكَ هُمُ الغافِلُونَ﴾ عمّا يُراد بهم، (١٠٩) ـ ﴿لا
جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّهُم في الآخِرةِ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المُؤبّدة عليهم.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ
(١٠٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٠٥)
مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ
مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ
صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
(١٠٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى
ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ
(١٠٧) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠)

﴿يُلحدون إليه﴾: يُميلونَ وينسُبُونَ إليهِ أَنَّهُ يُعلِّمُهُ. ﴿استحبّوا﴾: اختاروا وآثَروا. ﴿طبع﴾: ختمَ. ﴿لا جرَمَ﴾: حقَّ وثبتَ أو لا مَحالةَ أو حقّاً. ﴿للذين هاجروا﴾: لهُم بالولايةِ والنَّصرِ لا عليهِم. ﴿فُتنوا﴾: ابتُلوا وعُذِّبوا لإسلامِهِم.

(١) عن السدي: كان رسول الله ﷺ إذا آذاه أهل مكة دخل على عبد لبني الحضرمي يقال له: أبو يسرٍ، كان نصرانيًا، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، فساءله وحدثه، فلما رآه المشركون يدخل عليه قالوا: يعلمه أبو اليسر. قال الله: هذا لسان عربي مبين ولسان أبي اليسر عجمي. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٣).
وعن ابن عبّاسٍ: كان رسولُ الله عليه السَّلامُ يُعلِّمُ قَينًا بمكّةَ اسمُه بلعامُ، وكان نصرانيًا، فرآه المشركون يدخلُ على النبي عليه السَّلام ويخرجُ من عندِه فقالوا: إنَّما يُعلِّمه بلعامُ. الطبري (١٤/ ٣٦٥). وعن عكرمةَ وقتادةَ: كان النَّبيُّ عليه السَّلامُ يُقرِئُ غلامًا لبني المُغيرةِ يقال له: يعيشُ، وكان يقرأ الكتبَ، فقال قريش: إنَّما يُعلِّمُه يعيشُ. الطبري (١٤/ ٣٦٥_٣٦٦). الفرّاءُ: قال المُشركون: إنَّما يُعلِّمُه عائشٌ، مملوكٌ كانَ لحُوَيطِبِ بنِ عبدِ العُزّى، وكان قد أسلَمَ فحسُنَ إسلامُه. «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١١٣). وفي رواية عطاء عن ابن عباس: أنَّه عدَّاسٌ غلامُ عتبةَ بنِ ربيعةَ. الواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٩٨).
طلحةُ بنُ عَمرٍو: بلغَني أنَّ خديجةَ كانت تختلفُ إلى جبرٍ، وكانت قُريشٌ تقولُ: إنَّ عبدَ الحضرميِّ يُعلِّمُ خديجةَ، وخديجةُ تُعلِّمُ محمَّدًا. السمرقندي (٢/ ٢٩٢)، والثعلبي (١٦/ ١٢٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٩٨). وعن عبدِ الله بنِ مسلمٍ قال: كان غلامانِ نصرانيّانِ اسمُ أحدِهما يسارٌ والآخرُ جبرٌ، وكانا يصنَعانِ السُّيوفَ بمكّةَ ويقرآنِ كتبًا لهم بلسانِهم، وكانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يمرُّ بهما ويسمعُ قراءتَهما، فكان المُشركون يقولون: يتعلَّمُ منهما، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ، فأكذَبَهم الله، وقالَ: ﴿لسان الّذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مبينٌ﴾. الطبري (١٤/ ٣٦٧)، والواحدي (ص: ٢٨١).

(٢) عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عمّارِ بنِ ياسرٍ، وذلك أنَّ المُشركين أخذوه وأباه وأمَّه فقتلوهما تعذيباً، وأمّا عمارٌ فإنَّه أعطاهم ما أرادوا بلسانِه مُكرَهًا، وأُخبِرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ بأنَّ عمّارًا كفَرَ، فقالَ: «كلّا، إنَّ عمّارًا مُلِئَ إيمانًا من قَرنِه إلى قدَمِه، واختلَطَ الإيمانُ بلحمِه ودمِه»، فأتى عمّارٌ رسولَ الله عليه السَّلامُ وهو يبكي، فجعَلَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يمسحُ عينَيه وقال: «إنْ عادُوا لك فعُدْ لهم بما قُلتَ»، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ. الثعلبي (١٦/ ١٣٥)، والواحدي (ص: ٢٨١)، ورواه مختصرًا الطبري (١٤/ ٣٧٣) عن ابن عباس وقتادة. وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذَّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئنًا بالإيمان. قال النبيُّ ﷺ: «فإنْ عادُوا فَعُدْ». يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٩٢)، وعبد الرزاق (١٥٠٩)، والطبري (١٤/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٤). قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣١٢): وهو مرسل ورجاله ثقات. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٦٢) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، وصححه، وقال الحافظ: وهو مرسل أيضاً.
قال مجاهدٌ: نزلَتْ في ناسٍ من أهلِ مكّةَ آمَنُوا، وكتَبَ إليهم المسلمون بالمدينةِ أنْ هاجِرُوا لأنّا لا نراكُم منّا حتَّى تُهاجِروا إلينا، فخرَجُوا يُريدونَ المدينةَ، فأدرَكَتْهم قريشٌ في الطَّريقِ وفتَنُوهم مُكرَهين، ففيهم نزَلَتْ هذه الآيةُ. الطبري (١٤/ ٣٧٨)، والواحدي (ص: ٢٨٢).

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن
كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ
(١١٣) فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ
ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (١١٥) وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ
هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)

الحزب ٢٨

(١١٠) ـ ﴿**ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا**﴾ إلى المدينة ﴿**مِن بَعدِ ما فُتِنُوا**﴾[1]: عُذِّبوا وتلفَّظوا بالكُفر ـ وفي قراءة بالبناء للفاعل، أي: كفروا أو فتنوا الناسَ عن الإيمان ـ ﴿**ثُمَّ جاهَدُوا وصَبَرُوا**﴾ على الطاعة، ﴿**إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها**﴾ أي: الفتنةِ ﴿**لَغَفُورٌ**﴾ لهم ﴿**رَحِيمٌ**﴾ بهم ـ وخبر «إنّ» الأولى دلّ عليه خبرُ الثانية ـ.

(١١١) ـ اذكرْ ﴿**يَومَ تأتِي كُلُّ نَفسٍ، تُجادِلُ**﴾: تُحاجُّ ﴿**عَن نَفسِها**﴾ لا يُهِمّها غيرُها ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿**وتُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ**﴾ جزاءَ ﴿**ما عَمِلَت، وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾ شيئًا.

(١١٢) ـ (١١٣) ـ ﴿**وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً**﴾، ويُبدل منه: ﴿**قَريَةً**﴾ هي مكّة[2] والمراد أهلها، ﴿**كانَت آمِنَةً**﴾ من الغارات لا تُهاج ﴿**مُطمَئِنَّةً**﴾ لا يُحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف، ﴿**يأتِيها رِزقُها رَغَدًا**﴾: واسعًا ﴿**مِن كُلِّ مَكانٍ، فكَفَرَت بِأنعُمِ اللهِ**﴾ بتكذيب النبيّ، ﴿**فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ**﴾: فقُحِطوا سبعَ سنين ﴿**والخَوفِ**﴾ بسرايا[3] النبيّ ﴿**بِما كانُوا يَصنَعُونَ. ولَقَد جاءَهُم رَسُولٌ مِنهُم**﴾ مُحمّد ﷺ، ﴿**فكَذَّبُوهُ، فأخَذَهُمُ العَذابُ**﴾: الجوع والخوف، ﴿**وهُم ظالِمُونَ**﴾.

(١١٤) ـ (١١٥) ـ (١١٦) ـ ﴿**فكُلُوا**﴾ ـ أيها المُؤمنون ـ ﴿**مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا، واشكُرُوا نِعمَةَ اللهِ، إن كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ ـ إنَّما حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَيتَةَ والدَّمَ ولَحمَ الخِنزِيرِ، وما أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ. فمَنِ اضطُرَّ غَيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ـ ولا تَقُولُوا لِما تَصِفُ ألسِنَتُكُمُ**﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿**الكَذِبَ: هذا حَلالٌ وهذا حَرامٌ**﴾ لِما لم يُحِلّه الله ولم يُحرّمه، ﴿**لِتَفتَرُوا على اللهِ الكَذِبَ**﴾ بنسبة ذلك إليه. ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَفتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ لا يُفلِحُونَ**﴾، (١١٧) ـ لهم ﴿**مَتاعٌ قَلِيلٌ**﴾ في الدنيا، ﴿**ولَهُم**﴾ في الآخرة ﴿**عَذابٌ ألِيمٌ**﴾: مُؤلم.

(١١٨) ـ ﴿**وعلَى الَّذِينَ هادُوا**﴾ أي: اليهودِ ﴿**حَرَّمنا ما قَصَصنا علَيكَ مِن قَبلُ**﴾ في آيةِ: «وعلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ» إلى آخرها، ﴿**وما ظَلَمْناهُم**﴾ بتحريم ذلك، ﴿**ولكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ**﴾ بارتكاب المعاصي المُوجبةِ لذلك،.........

﴿رغداً﴾: طيّباً واسعاً أو هنيئاً لا عناءَ فيه. ﴿الدّم﴾: المسفوحَ وهوَ السَّائلُ. ﴿لحم الخنزير﴾: أيِ الخنزيرَ بجميعِ أجزائِهِ. ﴿أهلّ بغير الله به﴾: ذكِرَ عندَ ذبحِهِ اسمُ غيرِهِ تعالى. ﴿اضطر﴾: دعَتْهُ الضَّرورةُ إلى التَّناوُلِ منهُ. ﴿غير باغ﴾: غيرَ طالبٍ للمُحرَّمِ للَذَّةٍ أو استئثارٍ. ﴿و لا عاد﴾: ولا مُتجاوِزٍ ما يسدُّ الرَّمَقَ.

(١) قال قتادةُ: ذُكر لنا أنه لمَّا أنزل الله أنَّ أهل مكة لا يُقبلُ منهم إسلامٌ حتى يهاجروا، كتبَ بها أهلُ المدينةِ إلى أصحابِهم، فخرَجُوا فأدركتهم قريشٌ ففتنوهم مُكرَهين، ومنهم مَن قُتِلَ ومنهم مَن نجا، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ثمّ إنّ ربّك للّذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾. الطبري (١٤/ ٣٧٨). وروى نحو هذه القصة البزار (٢٢٠٤ ـ كشف)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة.

وروى بعضهم هنا ما تقدم عند الآية (٤١) عن عمر بن الحكم قال: كان عمَّار بن ياسر يعذَّبُ حتى لا يدري ما يقولُ... الخبر. «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١)، و«إمتاع الأسماع» للمقريزي (٩/ ١٦٥)، و«الإصابة» (٣/ ٣٦٥)، و«لباب النقول» (ص: ١٢١)، كلهم نقلاً عن ابن سعد.

(٢) وقيلَ: المدينةُ، أو جعَلَها مثلًا لكلِّ قومٍ أنعمَ اللهُ عليهم فأبطرَتْهُمُ النِّعمةُ فكفَروا فأنزَلَ اللهُ بهم نقمتَهُ. (الجمالين).

(٣) استعارَ الذَّوقَ لإدراكِ أثرِ الضَّررِ واللِّباسِ لِمَا غشيَهُم واشتملَ عليهم من الجوعِ والخوفِ. (الجمالين).

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ
إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

(١١٩) ـ ﴿**ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ**﴾: الشِّرك ﴿**بِجَهالةٍ، ثُمَّ تابُوا**﴾: رجَعوا ﴿**مِن بَعدِ ذلِكَ وأصلَحُوا**﴾ عمَلَهم، ﴿**إنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها**﴾ أي: الجهالةِ أو التَّوبة ﴿**لغفُورٌ**﴾ لهم ﴿**رَحِيمٌ**﴾ بهم.

(١٢٠) ـ (١٢١) ـ (١٢٢) ـ ﴿**إنَّ إبراهِيمَ كانَ أُمَّةً**﴾: إمامًا قُدوة جامعًا لخِصال الخير ﴿**قانِتًا**﴾: مُطيعًا ﴿**للهِ حَنِيفًا**﴾: مائلاً إلى الدِّين القيِّم، ﴿**ولَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ، شاكِرًا لأنعُمِهِ، اجتَباهُ**﴾: اصطفاه ﴿**وهَداهُ إلَى صِراطٍ مُستَقِيمٍ، وآتَيناهُ**﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿**في الدُّنيا حَسَنَةً**﴾ هي الثناء الحسن في كُلِّ أهل الأديان، ﴿**وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ**﴾ الذين لهم الدرجات العُلى.

(١٢٣) ـ ﴿**ثُمَّ أوحَينا إلَيكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ: ﴿**أنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ**﴾: دِينَ ﴿**إبراهِيمَ حَنِيفًا، وما كانَ مِنَ المُشرِكِينَ**﴾. كُرِّر ردًّا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دِينه.

(١٢٤) ـ ﴿**إنَّما جُعِلَ السَّبتُ**﴾: فُرِض تعظيمه ﴿**عَلَى الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ**﴾ على نبيِّهم ـ وهم اليهود، أُمروا أن يتفرّغوا للعِبادة يومَ الجُمعة، فقالوا: لا نُريده. واختاروا السبتَ، فشُدِّد عليهم فيه ـ ﴿**وإنَّ رَبَّكَ لَيَحكُمُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ من أمره بأن يُثيب الطائع ويُعذِّب العاصي بانتهاك حُرمته.

(١٢٥) ـ ﴿**ادعُ**﴾ النـاس ـ يـا مُحمّـد ـ ﴿**إلَـى سَـبِيلِ رَبِّـكَ**﴾: دِينه ﴿**بِالحِكمةِ**﴾: بالقُـرآن ﴿**والمَوعِظـةِ الحَسَـنةِ**﴾: مَواعـظِ القـرآن أو القـولِ الرقيـق، ﴿**وجادِلْهُـم بِالَّتِـي**﴾ أي: بالمُجادلـة التـي ﴿**هِـيَ أحسَـنُ**﴾ كالدعـاء إلـى الله بآياتـه والدعـاء إلـى حُججـه. ﴿**إنَّ رَبَّـكَ هُوَ أعلَـمُ**﴾ أي: عالـمٌ ﴿**بِمَن ضَـلَّ عَن سَـبِيلِهِ، وهُـوَ أعلَـمُ بِالمُهتَدِيـنَ**﴾ فيُجازيهم. وهذا قبل الأمـر بالقتال.

ونزل لمّا قُتل حمزةُ ومُثِّل به، فقال ﷺ وقد رآه: «لأُمثِّلَنَّ بِسَبعينَ مِنهُم مَكانَكَ»: (١٢٦) ـ ﴿**وإن عاقَبتُم فعاقِبُوا بِمِثلِ ما عُوقِبتُم بِهِ ـ ولَئِنْ صَبَرتُم**﴾ عن الانتقام ﴿**لَهُوَ**﴾ أي: الصبرُ ﴿**خَيرٌ لِلصّابِرِينَ**﴾. فكَفَّ ﷺ وكَفَّر عن يمينه. رواه البزّار[1] ـ (١٢٧) ـ ﴿**واصبِرْ، وما صَبرُكَ إلّا بِاللهِ**﴾: بتوفيقه، ﴿**ولا تَحزَنْ علَيهِم**﴾ أي: الكُفّارِ، إن لم يُؤمنوا لحِرصك على إيمانهم، ﴿**ولا تَكُ في ضَيقٍ مِمّا يَمكُرُونَ**﴾ أي: لا تهتمَّ بمكرهم. فأنا ناصرك عليهم. (١٢٨) ـ ﴿**إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا**﴾ الكُفرَ والمعاصيَ ﴿**والَّذِينَ هُم مُحسِنُونَ**﴾ بالطاعة والصبر، بالعون والنصر.

***

﴿بجهالة﴾: بتعدِّي الطّورِ وركوبِ الرَّأسِ. ﴿كان أمّة﴾: معلِّماً للخيرِ، أو مؤمناً وحدَهُ. ﴿قانتاً لله﴾: مُطيعاً خاضعاً لهُ تعالى. ﴿حنيفاً﴾: مائلاً عنِ الباطلِ إلى الدِّينِ الحقِّ. ﴿اجتباه﴾: اصطفاهُ واختارَهُ للنُّبوَّةِ. ﴿ملّة إبراهيم﴾: شريعتَهُ، وهيَ التَّوحيدُ. ﴿جُعِل السّبت﴾: فُرِضَ تعظيمُهُ والتَّخلِّي فيهِ للعبادةِ. ﴿ضيْق﴾: ضيقِ صدرٍ وحَرَجٍ.

(١) البزار (١٧٩٥ ـ كشف)، وابن المنذر (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٩٣٧)، والحاكم (٤٨٩٤)، والواحدي (ص: ٢٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: صالح المري واه.

وعن أُبيِّ بن كَعْبٍ قال: لمَّا كان يومُ أحدٍ أُصيب من الأنصار أربعةٌ وستُّون رجلاً، ومن المهاجرين ستَّةٌ منهم حمزةُ، فمَثَّلوا بهم، فقالت الأنصارُ: لئن أصبنا منهم يومًا مثلَ هذا لَنُرْبِينَّ عليهم قال: فلمَّا كان يومُ فتح مكَّة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. الترمذي (٣١٢٩) وحسنه، والنسائي في «الكبرى» (١١٢١٥)، وصححه ابن حبان (٤٨٧)، والحاكم (٣٣٦٨).

وبعضهم روى القصة مع زيادة الآية التي قبل هذه ـ وهي قوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ ـ هكذا رواه الدارقطني في «سننه» (٤٢٠٩)، والواحدي (ص: ٢٨٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الدارقطني: لم يروه غير إسماعيل بن عيَّاش، وهو مضطرِب الحديث عن غير الشاميِّين.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ
ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا
جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

١٧

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

الجزء ١٥ الحزب ٢٩

مكية إلّا «وإن كادوا ليفتنونك» الآياتِ الثمانَ، مِائةٌ وعشرُ آيات أو إحدى عشْرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿سُبحانَ﴾ أي: تنزيهَ ﴿الَّذي أسرَى بِعَبدِهِ﴾ مُحمّد ﴿لَيلاً﴾ ـ نصبٌ على الظرف. والإسراء: سير الليل، وفائدةُ ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مُدّته ـ ﴿مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: مكّة ﴿إلى المَسجِدِ الأقصَى﴾: بيت المَقدس لبُعده منه ﴿الَّذي بارَكْنا حَولَهُ﴾ بالثمار والأنهار، ﴿لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا﴾: عجائب قُدرتنا! ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ أي: العالِمُ بأقوال النبيّ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراءِ المُشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعُروجِه إلى السماء ورؤيةِ عجائب الملكوت ومناجاتِه له تعالى. فإنه ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراق ـ وهو دابّةٌ أبيضُ فوقَ الحِمارِ ودُونَ البَغلِ، يَضعُ حافِرَهُ عِندَ مُنتهَى طَرْفِهِ ـ فركِبتُهُ فسارَ بي حَتّى أتَيتُ بَيتَ المَقدِسِ، فرَبَطتُ الدابّةَ بالحَلقةِ الَّتي تَربطُ فِيها الأنبياءُ، ثُمّ دَخَلتُ فصَلَّيتُ فِيهِ رَكعتَينِ، ثُمّ خَرَجتُ فجاءَني جِبريلُ بإناءٍ مِن خَمرٍ وإناءٍ مِن لَبَنٍ، فاختَرتُ اللَّبنَ. قالَ جِبريلُ: أصَبتَ الفِطرةَ.

قالَ: ثُمّ عَرَجَ بي إلى السَّماءِ الدُّنيا، فاستَفتحَ جِبريلُ. قِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. قِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. قِيلَ: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: أُرسِلَ إلَيهِ. ففُتِحَ لَنا فإذا أنا بآدمَ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الثّانِيةِ فاستَفتَح جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ فقال: جِبرِيلُ. قِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. قِيلَ: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بابنَي الخالةِ: يحيَى وعِيسَى، فرَحّبا بي ودَعَوَا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الثّالِثةِ فاستَفتحَ جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبريلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقِيلَ: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد أُرسِلَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بيُوسُفَ، وإذا هُو قَد أُعطِيَ شَطرَ الحُسنِ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الرّابعةِ فاستَفتَحَ جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبرِيلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقِيلَ: وقد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإدرِيسَ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ الخامِسةِ فاستَفتحَ جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبريلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقيل: وقَد أُرسِلَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إلَيهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بهارُونَ، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ السّادِسةِ فاستَفتحَ جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ فقالَ: جِبريلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. فقِيلَ: وقَد بُعِثَ إليه؟ قالَ: قد بُعِثَ إلَيه. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بمُوسَى، فرَحّبَ بي ودَعا لي بخَيرٍ. ثُمّ عُرِجَ بنا إلى السّماءِ السّابِعةِ فاستَفتَح جِبريلُ، فقِيلَ: مَن أنتَ؟ قالَ: جِبريلُ. فقِيلَ: ومَن مَعَكَ؟ قالَ: مُحمّدٌ. قِيلَ: وقَد بُعِثَ إلَيهِ؟ قالَ: قَد بُعِثَ إليهِ. ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإبراهِيمَ، فإذا هو مُستَندٌ إلى البَيتِ المَعمُورِ، وإذا هو يَدخُلُه كُلَّ يوم سَبعُونَ ألفَ مَلَكٍ، ثُمّ لا يَعُودُونَ إلَيهِ. ثُمّ ذَهَبَ بي إلى سِدرةِ المُنتهَى، فإذا أوراقُها كآذانِ الفِيلَةِ، وإذا ثَمرُها كالقِلالِ. فلَمّا غَشِيَها مِن أمرِ اللهِ ما غَشِيَها تَغيَّرتْ، فما أحَدٌ مِن خَلقِ اللهِ ـ تعالَى ـ يَستَطِيعُ أن يَصِفَها مِن حُسنِها.

﴿سبحان الذي﴾: تنزيهاً للهِ وتعجيباً مِن قدرتِهِ. ﴿أسرى بعبده﴾: جعَلَ البراقَ يسري بهِ ﷺ. ﴿لِنُريه..﴾: لِنرفعَهُ إلى السَّماءِ فنُرِيَهُ... ﴿وكيلاً﴾: ربّاً تكلونَ إليهِ أمورَكُم.
﴿ذرّيه..﴾: أخصُّ ذرِّيَّةَ أو يا ذرِّيَّةَ. ﴿قضينا إلى بني إسرائيل﴾: أوحيْنا إليهِم وأعلمْناهُم بما سيقعُ منهُم مِنَ الإفسادِ مرَّتَينِ. ﴿لتعلُنّ﴾: لَتفرطُنَّ في الظُّلمِ والعدوانِ.
﴿وعد أولاهما﴾: العقابُ الموعودُ على أولاهُما. ﴿أولي بأس﴾: ذوي قوَّةٍ وبطشٍ في الحروبِ. ﴿فجاسوا﴾: تردَّدوا لطلبِكُم باستقصاءٍ. ﴿خلال الدّيار﴾: وسطَها.
﴿الكرّة﴾: الدّولةَ والغَلَبَةَ. ﴿أكثر نفيراً﴾: أكثرَ عدداً أو عشيرةً مِن أعدائِكُم. ﴿ليسوءوا وُجوهكم﴾: ليُحزنوكُم حزناً يبدو في وجوهِكُم. ﴿ليُتبّروا﴾: ليُهلكوا ويُدمِّروا.
﴿ما علوْا﴾: ما استولوا عليهِ.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

قال: فأوحَى اللهُ إليَّ ما أوحَى، وفَرَضَ عليَّ في كُلِّ يومٍ ولَيلةٍ خَمسِينَ صَلاةً، فنزلتُ حتّى انتهَيتُ إلى مُوسَى، فقالَ: ما فَرَضَ رَبُّكَ على أُمّتِكَ؟ قلتُ: خَمسِينَ صَلاةً في كُلِّ يومٍ ولَيلةٍ. قالَ: ارجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخفِيفَ. فإنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ، وإنّي قَد بَلَوتُ بَنِي إسرائيلَ وخَبَرتُهُم. قالَ: فرَجَعتُ إلى رَبِّي فقُلتُ: أيْ رَبِّ، خَفِّفْ عَن أُمّتِي. فحَطَّ عَنّي خَمسًا. فرَجَعتُ إلى مُوسَى. قالَ: ما فَعَلتَ؟ فقُلتُ: قَد حَطَّ عَنّي خَمسًا. قالَ: إنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ. فارجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخفِيفَ لِأُمّتِكَ.

قالَ: فلَم أزَلْ أرجِعُ بينَ رَبِّي وبَينَ مُوسَى، ويَحُطُّ عَنّي خَمسًا خَمسًا، حتّى قالَ: يا مُحمّدُ، هِيَ خمسُ صَلَواتٍ في كُلِّ يومٍ ولَيلةٍ بكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ. فتلكَ خَمسُونَ صلاةً. ومَن هَمَّ بحَسَنةٍ فلَم يَعمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسنةً، فإنْ عَمِلَها كُتبَتْ لَهُ عَشْرًا، ومَن هَمَّ بسَيّئةٍ ولَم يَعمَلْها لَم تُكتَبْ، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيّئةً واحِدةً. فنَزَلتُ حَتّى انتهَيتُ إلى مُوسَى، فأخبَرتُهُ فقالَ: ارجِعْ إلى رَبِّكَ، فاسألْهُ التَّخفِيفَ لِأُمّتِكَ. فإنّ أُمّتَكَ لا تُطِيقُ ذلِكَ. فقُلتُ: قَد رجَعتُ إلى ربِّي حَتّى استَحْيَيتُ».

رواه الشيخان[1] واللفظ لمسلم، وروى الحاكم في «المُستدرك»[2] عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ رَبِّي عَزَّ وجَلَّ».

﴿٢﴾ ـ قال تعالى: **﴿وآتينا مُوسَى الكِتابَ﴾**: التوراة، **﴿وجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِي إسرائيلَ﴾**، لِـ **﴿ألّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً﴾**: يُفَوِّضون إليه أمرهم ـ وفي قراءة: «تَتَّخِذُوا» بالفَوقانيّة التفاتًا. فـ«أن» زائدة والقول مضمر. ﴿٣﴾ ـ يا **﴿ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾** في السفينة. **﴿إنَّهُ كانَ عَبدًا شَكُورًا﴾**: كثير الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله ـ ﴿٤﴾ ـ **﴿وقَضَينا﴾**: أوحَينا **﴿إلَى بَنِي إسرائيلَ في الكِتابِ﴾**: التوراةِ **﴿لَتُفسِدُنَّ في الأرضِ﴾** أرض الشام بالمعاصي **﴿مَرّتَينِ، ولَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾**: تبغُونَ بغيًا عظيمًا.

﴿٥﴾ ـ **﴿فإذا جاءَ وَعدُ أُولاهُما﴾**: أُولى مَرّتَي الفسادِ **﴿بَعَثْنا عليكُم عِبادًا لَنا أُولِي بأسٍ شَدِيدٍ﴾**: أصحابَ قُوّةٍ في الحرب وبطشٍ، **﴿فجاسُوا﴾**: تردّدوا لطلبكم **﴿خِلالَ الدِّيارِ﴾**: وسْطَ دياركم ليقتلوكم أو يَسبُوكم، **﴿وكانَ وَعدًا مَفعُولاً﴾** ـ وقد أفسدوا الأُولى بقتلِ زكرياءَ، فبُعث عليهم جالوتُ وجنوده، فقتلوهم وسبَوا أولادهم وخرّبوا بيت المَقدس ـ ﴿٦﴾ ـ **﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرّةَ﴾**: الدَّولة والغَلَبة **﴿عَلَيهِم﴾** بعد مِائة سنة بقتل جالوت، **﴿وأمدَدْناكُم بأموالٍ وبَنِينَ، وجَعَلْناكُم أكثَرَ نَفِيرًا﴾**: عشيرة.

﴿٧﴾ ـ وقلنا: **﴿إن أحسَنتُم﴾** بالطاعة **﴿أحسَنتُم لِأنفُسِكُم﴾** لأنّ ثوابه لها، **﴿وإن أسأتُم﴾** بالفساد **﴿فَلَها﴾** إساءتُكم.

﴿فإذا جاءَ وَعدُ﴾ المرّةِ **﴿الآخِرةِ﴾** بعثناهم **﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُم﴾**: يُحزنوكم بالقتل والسبي حُزنًا يظهر في وجوهكم، **﴿ولِيَدخُلُوا المَسجِدَ﴾** بيتَ المَقدس فيُخرّبوه **﴿كَما دَخَلُوهُ﴾** وخرّبوه **﴿أوّلَ مَرّةٍ، ولِيُتَبِّرُوا﴾**: يُهلِكوا **﴿ما عَلَوا﴾**: غلبوا عليه **﴿تَتبِيرًا﴾**: إهلاكًا. وقد أفسدوا ثانيًا بقتل يحيى، فبُعث عليهم بُختَنَصَّرُ، فقتل منهم ألوفًا وسبَى ذرّيّتهم وخرّب بيت المَقدس.

وقلنا في الكتاب: ﴿٨﴾ ـ **﴿عَسَى رَبُّكُم أن يَرحَمَكُم﴾** بعد المرّة الثانية إن تُبتم، **﴿وإن عُدتُم﴾** إلى الفساد **﴿عُدْنا﴾** إلى العُقوبة. وقد عادوا بتكذيب مُحمّد، فسُلّط عليهم بقتل قُرِيظةَ ونفي النَّضير وضرب الجِزية عليهم، **﴿وجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلكافِرِينَ حَصِيرًا﴾**: مَحبِسًا وسِجنًا.

﴿حصيراً﴾: سجناً أو مهاداً وفراشاً. ﴿هي أقوم﴾: أسدُّ الطُّرقِ (ملّةُ الإسلامِ ـ والتَّوحيدُ). ﴿الليل والنّهار﴾: نفسَهُما أو نيِّرَي اللَّيلِ والنَّهارِ. ﴿فمحوْنا آية الليل﴾: خلقْنا القمرَ مطموسَ النُّورِ مُظلماً. ﴿آية النّهار مُبصرة﴾: الشّمسَ مُضيئةً منيرةً للأبصارِ. ﴿ألزمناه طائره﴾: عملَهُ المقدَّرَ عليهِ لا ينفكُّ عنهُ. ﴿حسيباً﴾: حاسباً وعادّاً. أو محاسباً. ﴿لا تزر وازرة..﴾: لا تحملُ نفسٌ آثمةٌ.. ﴿أمَرنا مُترفيها﴾: أمرْنا متنعِّميها بطاعةِ اللهِ. ﴿ففسقوا فيها﴾: فتمرَّدوا وعَصوْا. ﴿فدمّرناها﴾: استأصلْناها ومحوْنا آثارَها. ﴿القرون﴾: الأممِ المُكذِّبةِ.

(١) البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما.

(٢) لم أجده في «المستدرك» ورواه بهذا اللفظ أحمد في «المسند» (٢٥٨٠)، وقد صح موقوفاً رواه ابن أبي عاصم (٤٣٥)، وابن خزيمة (٢٧٨)، وابن منده (٧٦٠)، عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه. وإسناده صحيح. وروى عنه النسائي في «الكبرى» (١١٤٧٥)، «أتعْجَبون أنْ تكون الخلَّةُ لإبراهيم، والكلامُ لموسى، والرُّؤيةُ لمحمد ﷺ»، وإسناده صحيح كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٠٨).

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ
عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا
﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا
جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

(٩) ـ (١٠) ـ ﴿إنَّ هذا القُرآنَ يَهدِي لِلَّتِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أقوَمُ﴾: أعدَلُ وأصوَبُ، ﴿ويُبَشِّرُ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصّالِحاتِ أنَّ لَهُم أجرًا كَبِيرًا، و﴾ يُخبرُ ﴿أنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ أعتَدْنا﴾: أعددنا ﴿لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا، هو النار، (١١) ـ ﴿ويَدْعُ الإنسانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضَجِرَ ﴿دُعاءَهُ﴾ أي: كدُعائه له ﴿بِالخَيرِ، وكانَ الإنسانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولاً﴾ بالدُّعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته.

(١٢) ـ ﴿وجَعَلْنا اللَّيلَ والنَّهارَ آيتَينِ﴾ دالّتين على قُدرتنا، ﴿فمَحَونا آيةَ اللَّيلِ﴾: طمسْنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه ـ والإضافة للبيان ـ ﴿وجَعَلْنا آيةَ النَّهارِ مُبصِرةً﴾ أي: مُبصَرًا فيها بالضوء ﴿لِتَبتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضلاً مِن رَبِّكُم﴾ بالكسب، ﴿ولِتَعلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ﴾ للأوقات، ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾ يُحتاج إليه ﴿فَصَّلْناهُ تَفصِيلاً﴾: بيّنّاه تبيينًا، (١٣) ـ ﴿وكُلَّ إنسانٍ ألزَمْناهُ طائِرَهُ﴾: عمله ﴿في عُنُقِهِ﴾. خُصّ بالذكر لأنّ اللزوم فيه أشدّ. وقال مُجاهد: ما من مولود يُولد إلّا وفي عُنقه ورقة، مكتوب فيها شقيٌّ أو سعيد. ﴿ونُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيامةِ كِتابًا﴾ مكتوبًا فيه عمله ﴿يَلقاهُ مَنشُورًا﴾: صفتان لـ «كتابًا»، ويقال له: (١٤) ـ ﴿اقرَأْ كِتابَكَ، كَفَى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسِيبًا﴾: مُحاسِبًا!

ربع الحزب ٢٩

(١٥) ـ ﴿مَنِ اهتَدَى فإنَّما يَهتَدِي لِنَفسِهِ﴾[1] لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ علَيها﴾ لأنّ إثمه عليها، ﴿ولا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وازِرةٌ﴾: آثمةٌ، أي: لا تحملُ ﴿وِزرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخرَى[2]﴾، وما كُنّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّى نَبعَثَ رَسُولاً﴾ يُبيّنُ له ما يجب علَيه، (١٦) ـ ﴿وإذا أرَدْنا أن نُهلِكَ قَريةً أمَرْنا مُترَفِيها﴾: مُنعَّميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا، ﴿ففَسَقُوا فِيها﴾: فخرجوا عن أمرنا، ﴿فحَقَّ علَيها القَولُ﴾ بالعذاب، ﴿فدَمَّرْناها تَدمِيرًا﴾: أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

(١٧) ـ ﴿وكَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا مِنَ القُرُونِ﴾: الأُممِ ﴿مِن بَعدِ نُوحٍ! وكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالمًا ببواطنها وظواهرها! وبه يتعلّق: بذنوب. (١٨) ـ ﴿مَن كانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿العاجِلةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَن نُرِيدُ﴾ التعجيلَ له: بدلٌ من «له» بإعادة الجارّ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ، يَصلاها﴾: يدخلها ﴿مَذمُومًا﴾: ملومًا ﴿مَدحُورًا﴾: مطرودًا عن الرحمة، (١٩) ـ ﴿ومَن أرادَ الآخِرةَ، وسَعَى لَها سَعيَها﴾: عمل عملها اللائق بها، ﴿وهُوَ مُؤمِنٌ﴾: حالٌ، ﴿فأُولَئِكَ كانَ سَعيُهُم مَشكُورًا﴾ عند الله، أي: مقبولاً مُثابًا عليه. (٢٠) ـ ﴿كُلًّا﴾ من الفريقينِ ﴿نُمِدُّ﴾: نُعطي، ﴿هؤُلاءِ وهؤُلاءِ﴾: بدلٌ، ﴿مِن﴾: متعلّقٌ بـ «نُمدّ» ﴿عَطاءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا، ﴿وما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحظُورًا﴾: ممنوعًا عن أحد.

(٢١) ـ ﴿انظُرْ: كَيفَ فَضَّلْنا بَعضَهُم علَى بَعضٍ﴾ في الرِّزق والجاه؟ ﴿ولَلآخِرةُ أكبَرُ﴾: أعظم ﴿دَرَجاتٍ وأكبَرُ تَفضِيلاً﴾ من الدنيا. فينبغي الاعتناء بها دونها. (٢٢) ـ ﴿لا تَجعَلْ مَعَ اللهِ إلَـهًا آخَرَ، فتَقعُدَ مَذمُومًا مَخذُولاً﴾: لا ناصر لك.

(٢٣) ـ ﴿وقَضَى﴾: أمَرَ ﴿رَبُّكَ أن﴾ أي: بأن ﴿لا تَعبُدُوا إلّا إيّاهُ و﴾ أن تُحسنوا ﴿بِالوالِدَينِ إحسانًا﴾ بأن تَبَرُّوهما. ﴿إمّا يَبلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما﴾: فاعل ﴿أو كِلاهُما﴾ ـ وفي قراءة: «يَبلُغانِّ» فأحدُهما: بدل من ألفه ـ ﴿فلا تَقُلْ لَهُما: أُفَّ﴾، بفتح الفاء، وكسرِها مُنوّنًا وغيرَ منوّن: مصدرٌ بمعنى: تبًّا وقُبحًا، ﴿ولا تَنهَرْهُما﴾: تَزجُرْهما، ﴿وقُلْ لَهُما قَولاً كَرِيمًا﴾: جميلاً ليّنًا، (٢٤) ـ ﴿واخفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ﴾: ألِن

﴿يصلاها﴾: يدْخلُها. أو يقاسي حرَّها. ﴿مدحوراً﴾: مطروداً مُبعداً مِن رحمةِ اللهِ. ﴿كُلّاً نمِدّ﴾: نزيدُ مِنَ العطاءِ مرَّةً بعدَ أُخرى. ﴿محظوراً﴾: ممنوعاً عمَّن يريدُهُ تعالى. ﴿مخذولاً﴾: غيرَ منصورٍ ولا مُعانٍ مِنَ اللهِ. ﴿قضى ربّك﴾: أمرَ وألزمَ وحَكَمَ. ﴿أفّ﴾: كلمةُ تضجُّرٍ وكراهيةٍ وتبرُّمٍ. ﴿لا تنهرهما﴾: لا تزجرْهما عمَّا لا يعجبُكَ. ﴿قولاً كريماً﴾: حسناً جميلاً ليِّناً. ﴿للأوّابين﴾: للتَّوَّابينَ ممَّا يفرُطُ منهُم.

---

(١) عن ابنِ عبّاسٍ: نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ، قال: اتَّبِعُوني وأنا أحملُ أوزارَكم. الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣٤٥)، ودون نسبة في «الهداية» لمكي (٦/ ٤١٦٢).

(٢) عن عائشة: سألَتْ خديجةُ رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «هم مع آبائهم» ثم سألته بعد ذلك فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وقال: «هم على الفطرة ـ أو قال: في الجنة ـ». ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ١١٧) بسند ضعيف كما في «لباب النقول» (ص: ١٢٢).

وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا
مَّيۡسُورٗا (٢٨) وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا
كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (٣٠) وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ
أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ
خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا (٣١) وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ
سَبِيلٗا (٣٢) وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ
وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي
ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا (٣٣) وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي
هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ
مَسۡـُٔولٗا (٣٤) وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ
ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا (٣٥) وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ
ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا (٣٦)
وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ
ٱلۡجِبَالَ طُولٗا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا (٣٨)

لهما جانبَكَ الذليلَ ﴿مِنَ الرَّحْمةِ﴾ أي: لرقّتك عليهما، ﴿وقُلْ: رَبِّ، ارحَمْهُما كما﴾ رحماني حين ﴿رَبَّياني صَغيرًا﴾.

(٢٥) ـ ﴿رَبُّكُم أعلَمُ بِما في نُفوسِكُم﴾ من إضمار البرّ والعُقوق. ﴿إن تَكُونوا صالِحِينَ﴾: طائعِينَ لله ﴿فإنَّهُ كانَ لِلأوابينَ﴾: الرجّاعِينَ إلى طاعته ﴿غَفورًا﴾ لِما صدر منهم في حقّ الوالدَينِ من بادرة، وهم لا يُضمرون عقوقًا.

(٢٦) ـ ﴿وآتِ﴾: أعطِ ﴿ذا القُربَى﴾: القرابةِ ﴿حَقَّهُ﴾ من البِرِّ والصِّلة ﴿والمِسكِينَ وابنَ السَّبيلِ، ولا تُبَذِّرْ تَبذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله ـ (٢٧) ـ ﴿إنَّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخوانَ الشَّياطِينِ﴾ أي: على طريقتهم، ﴿وكانَ الشَّيطانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾: شديد الكُفر لنِعمه. فكذلك أخوه المُبذّر ـ

(٢٨) ـ ﴿وإمّا تُعرِضَنَّ عَنهُمُ﴾[1] أي: المذكورِينَ، من ذِي القُربَى ومَن بعدَه فلم تُعطهم، ﴿ابتِغاءَ رَحْمةٍ مِن رَبِّكَ تَرجُوها﴾ أي: لطلب رِزق تنتظره يأتيك فتُعطيهم منه، ﴿فقُلْ لَهُم قَولاً مَيسُورًا﴾: ليِّنًا سهلاً بأن تَعِدَهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

(٢٩) ـ ﴿ولا تَجعَلْ يَدَكَ مَغلُولةً[2] إلَى عُنُقِكَ﴾ أي: لا تُمسكها عن الإنفاق كُلّ الإمساك، ﴿ولا تَبسُطْها﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ البَسطِ، فتَقعُدَ مَلُومًا﴾ ـ راجعٌ للأوّل ـ ﴿مَحسُورًا﴾: مُنقطعًا لا شيء عندك. راجعٌ للثاني. (٣٠) ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ ويَقْدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء. ﴿إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالمًا ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسَب مَصالحهم.

(٣١) ـ ﴿ولا تَقتُلُوا أولادَكُم﴾ بالوأد ﴿خَشيَةَ﴾: مخافةَ ﴿إملاقٍ﴾: فقر ـ ﴿نَحنُ نَرزُقُهُم وإيّاكُم. إنَّ قَتلَهُم كانَ خِطئًا﴾: إثمًا ﴿كَبِيرًا﴾: عظيمًا ـ (٣٢) ـ ﴿ولا تَقرَبُوا الزِّنَى﴾. أبلغُ مِن: لا تأتوه. ﴿إنَّهُ كانَ فاحِشةً﴾: قبيحًا، ﴿وساءَ﴾: بئسَ ﴿سَبِيلاً﴾: طريقًا هو!

(٣٣) ـ (٣٤) ـ ﴿ولا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلّا بِالحَقِّ ـ ومَن قُتِلَ مَظلُومًا فقَد جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ﴾: لوارثه ﴿سُلطانًا﴾: تسلّطًا على القاتل. ﴿فلا يُسرِفْ﴾: يتجاوزِ الحدَّ ﴿في القَتلِ﴾ بأن يقتل غيرَ قاتله أو بغير ما قَتل به. ﴿إنَّهُ كانَ مَنصورًا ـ ولا تَقرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلّا بِالَّتِي هِيَ أحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أشُدَّهُ، وأوفُوا بِالعَهدِ﴾.

﴿يَدَكَ مغلولة﴾: كنايةٌ عنِ الشُّحِّ. ﴿تبسطها كلّ البسط﴾: كنايةٌ عنِ التَّبذيرِ والإسراف. ﴿محسوراً﴾: نادماً أو مُنقطعاً بكَ مُعدماً. ﴿يقْدِر﴾: يضيِّقُهُ على مَن يشاءُ لحكمةٍ. ﴿خشية إملاق﴾: خوفَ فقرٍ وفاقةٍ. ﴿خِطئاً كبيراً﴾: إثماً عظيماً. ﴿سُلطاناً﴾: تسلُّطاً على القاتلِ بالقصاصِ أو الدِّيةِ. ﴿يبلغ أشدّه﴾: قوَّتَهُ على حفظِ مالِهِ ورشدَهُ فيه. ﴿بالقسطاس المستقيم﴾: بالميزانِ العدلِ. ﴿أحسن تأويلاً﴾: مآلاً وعاقبةً. ﴿لا تَقْفُ﴾: لا تتبعْ. ﴿مرحاً﴾: فرحاً وبطراً واختيالاً وفخراً.

(١) عن الضحاك: نزلت فيمن كان يسأل النبيّ ﷺ من المساكين. الطبري (١٤/ ٥٧١).
وعن عطاء الخراساني: جاء ناسٌ من مُزَينةَ يَستحملونَ رسولَ الله ﷺ، فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فتولَّوْا وأعينُهم تفيضُ من الدمع حَزَنًا، ظنُّوا ذلك من غَضَبِ رسولِ الله عليهم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية. سعيد بن منصور (١٢٧٨ ـ تكملة التفسير)، و«الحلية» (٥/ ٢٠٠).

(٢) عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، فقال: «ما عندنا اليوم شيء»، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، فخلع عليه الصلاة والسلام قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً، فنزلت. الواحدي (ص: ٢٨٧)، وابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١٢٢). وعن المنهال ابن عمرو نحوه، رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٤١٢)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٧). ورُوي عن جابر رضي الله عنه نحوه مع زيادة، أورده السمرقندي (٢/ ٣٠٩)، والثعلبي (٦/ ٩٦)، والواحدي (ص: ٢٨٧)، والبغوي (٥/ ٩٠)، والزمخشري (٢/ ٦٦٢). وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٩٩): لم أجده.
وعن سيار أبي الحكم قال: أتى رسولَ الله ﷺ بَزٌّ وكان معطاء كريماً، فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فنزلت. سعيد بن منصور (١٢٧٩ ـ تكملة التفسير)، و«لباب النقول» (ص: ١٢٢).
وعن أبي أمامة: أن النبي ﷺ قال لعائشة: «أنفق ما على ظهر كفي» قالت: إذن لا يبقى شيء، فنزلت. ابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١٢٣).

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا (٣٩) أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا (٤٠)
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا (٤١)
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
(٤٢) سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا (٤٤) وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا (٤٥) وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا (٤٦)
نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا (٤٧) ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا (٤٨)
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا (٤٩)

إذا عاهدتم الله أو الناس ـ ﴿إنَّ العَهدَ كانَ مَسؤُولاً﴾ عنه ـ (٣٥) ـ ﴿وأَوفُوا الكَيلَ﴾: أتِمُّوه ﴿إذا كِلتُم، وزِنُوا بالقِسطاسِ المُستَقيمِ﴾: الميزان السويّ. ﴿ذلِكَ خَيرٌ وأحسَنُ تأويلاً﴾: مآلاً.

(٣٦) ـ ﴿ولا تَقفُ﴾: تَتَبعْ ﴿ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ. إنَّ السَّمعَ والبَصَرَ والفُؤادَ﴾: القلب ﴿كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنهُ مَسؤُولاً﴾ صاحبُه: ماذا فَعل به؟

(٣٧) ـ ﴿ولا تَمشِ في الأرضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكِبْر والخُيلاء. ﴿إنَّكَ لَن تَخرِقَ الأرضَ﴾: تثقُبها حتى تبلغَ آخِرها بكِبْرك، ﴿ولَن تَبلُغَ الجِبالَ طُولاً﴾. المعنى: إنك لا تبلغ هذا المبلغ. فكيف تختال؟

(٣٨) ـ (٣٩) ـ ﴿كُلُّ ذلِكَ﴾ المذكور ﴿كانَ سَيِّئَةً عِندَ رَبِّكَ مَكرُوهًا.﴾.

(٣٩) ـ ﴿ذلِكَ مِمّا أوحَى إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ﴾: المواعظ. ﴿ولا تَجعَل مَعَ اللهِ إلـٰـهًا آخَرَ، فتُلقَى في جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدحُورًا﴾: مطرودًا عن رحمة الله.

(٤٠) ـ (٤١) ـ ﴿أفأصفاكُم﴾: أخلصكم ـ يا أهل مكّة ـ ﴿رَبُّكُم بالبَنِينَ، واتَّخَذَ مِنَ المَلائكةِ إناثًا﴾: بناتًا لنفسه بزعمكم؟ ﴿إنَّكُم لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَولاً عَظِيمًا. ولَقَد صَرَّفْنا﴾: بيّنّا ﴿في هذا القُرآنِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: يتّعظوا، ﴿وما يَزِيدُهُم﴾ ذلك ﴿إلّا نُفُورًا﴾ عن الحقّ.

(٤٢) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو كانَ مَعَهُ﴾ أي: الله ﴿آلِهةٌ كَما تَقُولُونَ إذًا لابتَغَوا﴾: طلبُوا ﴿إلَى ذِي العَرشِ﴾ أي: الله ﴿سَبِيلاً﴾ ليُقاتلوه.

(٤٣) ـ (٤٤) ـ ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له ﴿وتَعالَى عَمّا يَقُولُونَ﴾ من الشُّركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا! تُسَبِّحُ لَهُ﴾: تُنَزِّهُه ﴿السَّماواتُ السَّبعُ والأرضُ ومَن فِيهِنَّ، وإن﴾: ما ﴿مِن شَيءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إلّا يُسَبِّحُ﴾ مُلتبسًا ﴿بحَمدِهِ﴾، أي: يقول: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿ولكِن لا تَفقَهُونَ﴾: لا تفهمون ﴿تَسبِيحَهُم﴾ لأنه ليس بلُغتكم. ﴿إنَّهُ كانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيثُ لم يُعاجلكم بالعُقوبة.

(٤٥) ـ ﴿وإذا قَرَأتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَينَكَ وبَينَ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ حِجابًا مَستُورًا﴾ أي: ساترًا لك عنهم فلا يرونك ـ نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ[1] ـ (٤٦) ـ ﴿وجَعَلْنا عَلَى قُلُوبِهِم أكِنَّةً﴾: أغطية ﴿أن يَفقَهُوهُ﴾: من أن يفهموا القُرآن، أي: فلا يفهمونه، ﴿وفي آذانِهِم وَقْرًا﴾: ثِقلاً فلا يسمعونه، ﴿وإذا ذَكَرتَ رَبَّكَ في القُرآنِ وَحدَهُ وَلَّوا عَلَى أدبارِهِم نُفُورًا﴾ عنه.

(٤٧) ـ ﴿نَحنُ أعلَمُ بِما يَستَمِعُونَ بِهِ﴾: بسببه من الهُزء، ﴿إذ يَستَمِعُونَ إلَيكَ﴾: إلى قراءتك، ﴿وإذ هُم نَجوَى﴾: يتناجون بينهم أي: يتحدّثون، ﴿إذ﴾: بدلٌ من «إذ» قبله ﴿يَقُولُ الظّالِمُونَ﴾ في تناجيهم: ﴿إن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إلّا رَجُلاً مَسحُورًا﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقله. (٤٨) ـ قال تعالى: ﴿انظُرْ: كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمثالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر، ﴿فضَلُّوا﴾ بذلك عن الهُدى، ﴿فلا يَستَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾: طريقًا إليه؟

(٤٩) ـ ﴿وقالُوا﴾ منكرينَ للبعث: ﴿أإذا كُنّا عِظامًا ورُفاتًا أإنّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا؟﴾.

﴿مدحورا﴾: مُبعداً مِن رحمةِ اللهِ. ﴿أفأصفاكم ربّكم﴾: أفضَّلكُم ربُّكُم فخصَّكُم؟. ﴿صرّفنا﴾: كرَّرْنا القولَ بأساليبَ مُختلفةٍ. ﴿نفوراً﴾: تباعُداً وإعراضاً عنِ الحقِّ. ﴿لابتغوْا﴾: لَطلبوا. ﴿سبيلاً﴾: بالمُغالبةِ والممانعةِ. ﴿حجاباً مستوراً﴾: ساتراً أو مستوراً عنِ الحسِّ. ﴿أكنّة﴾: أغطيةً كثيرةً مانعةً. ﴿وقراً﴾: صمماً وثقلاً في السَّمعِ عظيماً. ﴿هم نجوى﴾: مُتناجونَ في أمرِكَ فيما بينَهُم. ﴿مسحوراً﴾: مغلوباً على عقلِهِ بالسِّحرِ أو ساحراً. ﴿رُفاتاً﴾: أجزاءً مُفتَّتةً. أو تراباً أو غُباراً.

(١) قال الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٤٦): نزلَتْ في قومٍ كانوا يُؤذون رسولَ الله ﷺ إذا قرأ القرآنَ، قال الكلبي: وهم أبو جهلٍ، وأبو سفيانَ، والنَّضرُ بنُ الحارثِ، وأمُّ جميلٍ امرأةُ أبي لهبٍ، وحُوَيطبٌ، فحجَبَ الله رسولَه ﷺ عن أبصارِهم عند قراءةِ القرآنِ، وكانوا يمرُّونَ به ولا يرَونَه.
وعن ابن إسحاق وابن شهاب: كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الله قالوا يهزؤون به: ﴿قُلُوبنَا فِي أكنة بِمَا تدعونا إِلَيْهِ وَفِي آذاننا وقر وَمن بَيْننَا وَبَيْنك حجاب﴾ [فصلت: ٥] فأنزل الله: ﴿وَإِذا قَرَأت الْقُرْآن﴾ الآيات. ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٩٧) عن ابن شهاب، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٣١٦) عن ابن إسحاق.

۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

نصف الحزب ٢٩

﴿٥٠﴾ ـ ﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٢﴾ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُونُوا حِجارةً أو حَدِيدًا أو خَلْقًا مِمّا يَكبُرُ في صُدُورِكُم﴾: يعظم عن قَبول الحياة، فضلاً عن العِظام والرُّفات. فلا بُدّ من إيجاد الروح فيكم. ﴿فسَيَقُولُونَ: مَن يُعِيدُنا﴾ إلى الحياة؟ ﴿قُلِ: الَّذِي فَطَرَكُم﴾: خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئًا لأنّ القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون. ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: يُحرّكون ﴿إلَيكَ رُؤُوسَهُم﴾ تعجّبًا، ﴿ويَقُولُونَ﴾ استهزاءً: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعثُ؟ ﴿قُلْ: عَسَى أن يَكُونَ قَرِيبًا، يَومَ يَدعُوكُم﴾: يُناديكم من القبور على لسان إسرافيل، ﴿فتَستَجِيبُونَ﴾: فتجيبون دعوته من القُبور ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بأمره ـ وقيل: وله الحمد ـ ﴿وتَظُنُّونَ: إن﴾ ما ﴿لَبِثْتُم﴾ في الدنيا ﴿إلّا قَلِيلاً﴾ لهول ما تَرون.

﴿٥٣﴾ ـ ﴿وقُلْ لِعِبادِي﴾ المؤمنين، ﴿يَقُولُوا﴾ للكفّار الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أحسَنُ﴾[1] ـ ﴿إنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ﴾: يُفسد ﴿بَينَهُم. إنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلإنسانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾: بيِّنَ العداوة ـ والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿٥٤﴾ ـ ﴿رَبُّكُم أعلَمُ بِكُم. إن يَشَأْ يَرحَمْكُم﴾ بالتوبة والإيمان، ﴿أو إن يَشَأْ﴾ تعذيبَكم ﴿يُعَذِّبْكُم﴾ بالموت على الكُفر. ﴿وما أرسَلْناكَ عليهِم وَكِيلاً﴾ فتُجبرَهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿٥٥﴾ ـ ﴿ورَبُّكَ أعلَمُ بِمَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾، فيخصّهم بما شاء على قدْر أحوالهم، ﴿ولَقَد فَضَّلْنا بَعضَ النَّبِيِّينَ على بَعضٍ﴾ بتخصيص كُلّ منهم بفضيلة، كمُوسى بالكلام وإبراهيمَ بالخِلّة ومُحمّدٍ بالإسراء، ﴿وآتَينا داوُدَ زَبُورًا﴾.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ادعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم﴾ أنهم آلهةٌ ﴿مِن دُونِهِ﴾ كالملائكة وعِيسى وعُزير. ﴿فلا يَملِكُونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم ولا تَحوِيلاً﴾ له إلى غيركم.

﴿٥٧﴾ ـ ﴿٥٨﴾ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَـ﴾ ـهم آلهةً ﴿يَبتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿إلَى رَبِّهِمِ الوَسِيلةَ﴾[2]: القُربة بالطاعة، ﴿أيُّهُم﴾: بدل من واو «يبتغون»، أي: يبتغيها الذي هو ﴿أقرَبُ﴾ إليه، فكيف بغيره؟ ﴿ويَرجُونَ رَحمَتَهُ، ويَخافُونَ عَذابَهُ﴾ كغيرهم. فكيف يدْعونهم آلهة؟ ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذُورًا، وإنْ﴾: ما ﴿مِن قَريةٍ﴾ ـ أُريدَ أهلُها ـ ﴿إلّا نَحنُ مُهلِكُوها قَبلَ يومِ القِيامةِ﴾ بالموت ﴿أو مُعَذِّبُوها عَذابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره. ﴿كانَ ذلِكَ في الكِتابِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مَسطُورًا﴾: مكتوبًا.

﴿يكبر﴾: يعظمُ عن قَبولِ الحياةِ كالسَّماواتِ. ﴿فطركم﴾: أبدعَكُم وأحدثَكُم. ﴿فسينغضون..﴾: يُحرِّكونَ استهزاءً... ﴿بحمده﴾: مُنقادينَ انقيادَ الحامدينَ لهُ. ﴿ينزغ بينهم﴾: يُفسدُ ويُهيجُ الشَّرَّ بينَهُم. ﴿وكيلاً﴾: مُوكلاً إليكَ أمرهُم. ﴿زبوراً﴾: كتاباً فيهِ تحميدٌ وتمجيدٌ ومواعظُ. ﴿تحويلاً﴾: نقلَهُ إلى غيرِكُم ممّن لم يعبُدهم. ﴿الوسيلة﴾: القربةَ بالطَّاعةِ والعبادةِ.

(١) نزلَت في عمرَ رضي الله عنه، وذلك أنَّ رجلًا من العربِ شتمَه، فهمَّ به عمرُ رضي الله عنه، فأمرَه اللهُ بالعفوِ. «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٣٥)، والسمرقندي (٢/ ٣١٦)، والثعلبي (١٦/ ٣٦١)، والماوردي (٣/ ٢٤٩)، والواحدي (١/ ٢٨٨). وقالَ الكلبيُّ: كان المشركون يُؤذون أصحابَ رسولِ الله ﷺ بالقولِ والفعلِ، فشكَوا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ، فأنزلَ اللهُ في ذلك: ﴿وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. الثعلبي (١٦/ ٣٦١)، والواحدي (١/ ٢٨٨). وذكره السمرقندي (٢/ ٣١٥) عن ابن عباس، ولعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقيل: نزلَت في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣١٦).

(٢) عن ابن مسعود: كان نَفَرٌ من الإنس يعبدون نَفَرًا من الجنِّ، فأسلم النَّفرُ من الجنِّ واستمسك الإنسُ بعبادتهم، فنزلت. البخاري (٤٧١٤)، ومسلم (٣٠٣٠) واللفظ له.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا
ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى
ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

﴿٥٩﴾ ـ **﴿وما مَنَعَنا أن نُرسِلَ بالآياتِ﴾**[1] التي اقترحها أهل مكّة **﴿إلّا أن كَذَّبَ بِها الأوَّلونَ﴾** لمّا أرسلناها، فأهلكناهم. ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذّبوا بها واستحقّوا الإهلاك. وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر مُحمّد. **﴿وآتينا ثَمودَ النّاقةَ﴾** آيةً **﴿مُبصِرةً﴾**: بيّنة واضحة، **﴿فظَلَموا﴾**: كفروا **﴿بِها﴾** فأُهلِكوا. **﴿وما نُرسِلُ بالآياتِ﴾**: بالمُعجزات **﴿إلّا تَخويفًا﴾** للعباد ليُؤمنوا.

﴿٦٠﴾ ـ **﴿و﴾** اذكرْ **﴿إذ قُلنا لَكَ: إنَّ رَبَّكَ أحاطَ بالنّاسِ﴾** علمًا وقُدرة، فهم في قبضته. فبلّغهم ولا تخف أحدًا، فهو يعصمك منهم. **﴿وما جَعَلْنا الرُّؤيا الَّتي أريناكَ﴾** عِيانًا ليلة الإسراء، **﴿إلّا فِتنةً لِلنّاسِ﴾**[2]: أهل مكّة، إذ كذّبوا بها وارتدّ بعضهم لمّا أخبرهم بها، **﴿والشَّجرةَ المَلعُونةَ في القُرآنِ﴾**[3] ـ وهي الزقّوم التي تَنبت في أصل الجحيم ـ جعلناها فتنة لهم، إذ قالوا: النار تُحرق الشجر. فكيف تُنبته؟ **﴿ونُخَوِّفُهُم، فما يَزيدُهُم﴾** تخويفنا **﴿إلّا طُغيانًا كَبيرًا﴾**.

﴿٦١﴾ ـ **﴿و﴾** اذكرْ **﴿إذ قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لآدَمَ﴾** سُجودَ تحيّة بالانحناء. **﴿فسَجَدُوا إلّا إبليسَ، قالَ: أأسجُدُ لِمَن خَلَقتَ طِينًا﴾**؟ نصبٌ بنزع الخافض أي: من طين. ﴿٦٢﴾ ـ **﴿قالَ: أرأيتَكَ﴾** أي: أخبِرْني **﴿هذا الَّذي كَرَّمتَ﴾**: فضّلت **﴿عَلَيَّ﴾** بالأمر بالسجود له، «وأنا خَيرٌ مِنهُ خَلَقتَني مِن نارٍ». **﴿لَئِنْ﴾** ـ لامُ قسم ـ **﴿أخَّرتَنِي إلى يَومِ القِيامةِ لأحتَنِكَنَّ﴾**: لأستأصلنّ **﴿ذُرِّيّتَهُ﴾** بالإغواء **﴿إلّا قَليلاً﴾** منهم ممّن عصمته.

﴿٦٣﴾ ـ **﴿قالَ﴾** تعالى له: **﴿اذهَبْ﴾** مُنظَرًا إلى وقت النفخة الأُولى ـ **﴿فمَن تَبِعَكَ مِنهُم فإنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُم﴾** أنت وهم **﴿جَزاءً مَوفُورًا﴾**: وافرًا كاملاً ـ ﴿٦٤﴾ ـ **﴿واستَفزِزْ﴾**: استخِفَّ **﴿مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ﴾**: بدُعائك بالغِناء والمزامير وكُلّ داعٍ إلى المعصية، **﴿وأجلِبْ﴾**: صِحْ **﴿عَلَيهِم بِخَيلِكَ ورَجْلِكَ﴾** ـ وهم الرُّكّاب والمُشاة في المعاصي ـ **﴿وشارِكْهُم في الأموالِ﴾** المُحرّمة كالربا والغصب **﴿والأولادِ﴾** من الزنى، **﴿وعِدْهُم﴾** أن لا بعثَ ولا جزاء ـ **﴿وما يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ﴾** بذلك **﴿إلّا غُرُورًا﴾**: باطلاً ـ ﴿٦٥﴾ ـ **﴿إنَّ عِبادِي﴾** المُؤمنين **﴿لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ﴾**: تسلّطٌ وقُوّة، **﴿وكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾**: حافظًا لهم منك!

﴿مُبصرة﴾: آيةً بيِّنةً واضحةً. ﴿فظلموا بها﴾: فكفروا بها ظالمينَ فأُهلكوا. ﴿أحاط بالنّاس﴾: علماً وقدرةً فهم في قبضتِهِ تعالى. ﴿الشّجرة الملعونة﴾: شجرةُ الزَّقُّومِ (جعلْناها فتنةً). ﴿طُغياناً﴾: تجاوزاً للحدِّ في كفرِهِم وتمرُّداً. ﴿أرأيتَك﴾: أخبِرْني. ﴿لأحتنكنّ ذرّيّته﴾: لأستوليَنَّ عليهم. أو لأستأصِلَنَّهُم بالإغواءِ. ﴿استفزز﴾: استخِفَّ واستعجِلْ وأزعِجْ. ﴿أجلب عليهم﴾: صِحْ عليهم وسُقْهُم. ﴿بخيلك ورجلك﴾: بكلِّ راكبٍ وماشٍ في معاصي اللهِ. ﴿غروراً﴾: باطلاً وخِداعاً. ﴿عليهم سلطان﴾: تسلُّطٌ وقدرةٌ على إغوائِهِم. ﴿يُزجي﴾: يُجري ويسيِّرُ ويسوقُ برفقٍ.

(١) عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سألَ أهلُ مكَّةَ النَّبيَّ عليه السَّلام أن يجعلَ لهم الصَّفا ذهباً، وأن ينحِّي عنهم الجبالَ فيزرعون، فقيل له: إن شئتَ أن نستأنيَ بهم لعلَّنا نَنْتجُ منهم، وإن شئتَ أن نؤتيَهم الذي سألُوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أُهلِكَ مَن قبلهم، قال: «لا بل أستأني بهم»، فنزلت. أحمد (٢٣٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٢٦)، والطبري (١٤/ ٦٣٥)، والحاكم (٣٣٧٩). وعند الطبري: «بل تستأني بهم». وأيضاً جاء عند الطبري: «لعلنا نجتني منهم»، وفي رواية الحاكم: «لعلنا نستحيي منهم». والحديث إسناده صحيح.

(٢) عن أم هانئ رضي الله عنها في حديث طويل: أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفراً من قريش وهم يستهزئون به، فطلبوا منه آية فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير في الطريق، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، وقالوا: صدق الوليد فيما قال، فأنزل الله: ﴿وما جعلنا الرؤيا... ﴾ الآية. «معجم أبي يعلى» (١٠)، و«لباب النقول» (ص: ١٢٤). وعن الحسين بن علي: أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً مهموماً، فقيل له: مالك يا رسول الله؟ لا تهتم فإن رؤياك فتنة لهم، فنزلت. ابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١٢٤).

(٣) عن ابن عباس قال: لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفاً بها لهم قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما لئن أمكننا منها لنتزقمنَّها تزقُّماً فأنزل الله: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٦)، و«البعث والنشور» للبيهقي (٥٤٥)، والواحدي (ص: ٢٨٩).

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا
نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنتُمْ
أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ
لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً
أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ
ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا (٦٩) ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ
ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا۟
كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَن كَانَ
فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢) وَإِن
كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ
عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ
لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)

(٦٦) ـ ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزجِي﴾: يُجري ﴿لَكُمُ الفُلكَ﴾: السُّفن ﴿في البَحرِ لِتَبتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ـ ﴿إنَّهُ كانَ بِكُم رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم ـ

(٦٧) ـ ﴿وإذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: الشِّدّة ﴿في البَحرِ﴾ خوفَ الغرق ﴿ضَلَّ﴾: غاب عنكم ﴿مَن تَدعُونَ﴾: تعبدون من الآلهة فلا تدعونه، ﴿إلّا إيّاهُ﴾ تعالى ـ فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شِدّة لا يكشفها إلّا هو ـ ﴿فلَمّا نَجّاكُم﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إلَى البرِّ أعرَضتُم﴾ عن التوحيد. ﴿وكانَ الإنسانُ كَفُورًا﴾: جَحودًا للنِّعم.

الحزب ٢٩

(٦٨) ـ ﴿أفأمِنتُم أن نَخسِفَ بِكُم جانِبَ البرِّ﴾ أي: الأرضِ كقارونَ، ﴿أو نُرسِلَ علَيكُم حاصِبًا﴾ أي: نرميَكم بالحصباء كقوم لُوط، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُم وَكِيلاً﴾: حافظًا منه؟ (٦٩) ـ ﴿أم أمِنتُم أن نُعِيدَكُم فِيهِ﴾ أي: في البحر ﴿تارةً﴾: مرّة ﴿أُخرَى، فنُرسِلَ علَيكُم قاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحًا شديدة لا تمرّ بشيء إلّا قصفتْه فتكسِرَ فُلْكَكُم، ﴿فنُغرِقَكُم بِما كَفَرتُم﴾: بكفركم، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُم علَينا بِهِ تَبِيعًا﴾: ناصرًا وتابعًا يُطالبنا بما فعلنا بكم؟

(٧٠) ـ ﴿ولَقَد كَرَّمْنا﴾: فضّلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعِلم والنُّطق واعتدال الخَلق وغير ذلك، ومنه طهارتُهم بعد الموت، ﴿وحَمَلْناهُم في البرِّ﴾ على الدوابّ ﴿والبَحرِ﴾ على السُّفن، ﴿ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ، وفَضَّلْناهُم علَى كَثِيرٍ مِمَّن خَلَقْنا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفضِيلاً﴾. فـ «مَن» بمعنى: ما، أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيلَ أفراده إذ هم أفضل من البشر غيرَ الأنبياء.

(٧١) ـ اذكرْ ﴿يَومَ نَدعُو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِم﴾: بنبيّهم، فيقال: يا أُمّةَ فُلانٍ، أو بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشرّ ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿فمَن أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتابَهُ بيَمِينِهِ﴾، وهم السُّعداء أولو البصائر في الدنيا، ﴿فأُولئِكَ يَقرَؤُونَ كِتابَهُم، ولا يُظلَمُونَ﴾: يُنقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلاً﴾: قدْرَ قِشرة النواة، (٧٢) ـ ﴿ومَن كانَ في هذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿أعمَى﴾ عن الحقّ ﴿فهُوَ في الآخِرةِ أعمَى﴾ عن طريقِ النجاة وقراءةِ الكتاب، ﴿وأضَلُّ سَبيلاً﴾: أبعدُ طريقًا عنه.

ونزل في ثقيفٍ، وقد سألوه ﷺ أن يُحرّم واديَهم وألحّوا عليه[1]: (٧٣) ـ (٧٤) ـ ﴿وإنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿كادُوا﴾: قاربوا ﴿لَيَفتِنُونَكَ﴾: لَيستزِلّونك

﴿أن يخسف بكم﴾: يُغوِّرَ ويُغيِّبَ بكُم تحتَ الثَّرى. ﴿حاصباً﴾: ريحاً شديدةً ترميكُم بالحصباءِ. ﴿قاصفاً﴾: عاصفاً شديداً مُهلكاً. ﴿تبيعاً﴾: نصيراً أو مُطالباً بالثَّارِ منَّا. ﴿بإمامهم﴾: بمَنِ ائتمُّوا بهِ أو بكتابِهِم. ﴿فتيلاً﴾: قدْرَ الخيطِ في شِقِّ النَّواةِ مِنَ الجزاءِ. ﴿ليفتنونك﴾: ليوقِعونَكَ في الفتنةِ وليصرفونَكَ. ﴿لتفتري علينا﴾: لتختلقَ وتتقوَّلَ علينا. ﴿تركنُ إليهم﴾: تميلُ إليهِم. ﴿ضعف الحياة﴾: عذاباً مُضاعفاً في الحياةِ الدُّنيا.

(١) عن عطاء عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّهم قالوا: متِّعْنا باللاَّت سنةً، وحرِّمْ وادينا كما حرَّمتَ مكَّة، فإنَّا نُحبُّ أن تعرفَ العربُ فضلَنا عليهم، وألحوا، فأمسكَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ عنهم، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. الواحدي (ص: ٢٨٩) وإسناده واهٍ، ورواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٨٨٤) عن الكلبي وهو كذلك. وقد روي نحوه دون ذكر النزول بإسناد رواته ثقات، رواه أحمد (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦)، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه.

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: قال المشركون للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: لا نكُفُّ عنك ولا نمكِّنُكَ من استلامِ الحجرِ إلَّا أن تُلِمَّ بآلهتنا وتمسَّها بيدكَ ولو بطرفِ إصبعكَ، فقال عليه السَّلامُ: «ما عليَّ لو فعلتُ واللهُ يعلمُ إنِّي لكارهٌ» فأنزلَ اللهُ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾. الطبري (١٥/ ١٣)، والواحدي (ص: ٢٨٩)، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٢): هذا باطل. قال قتادةُ: ذُكر لنا أنَّ قريشاً خلَوا برسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ذاتَ ليلةٍ إلى الصُّبحِ يُكلِّمونه ويفخِّمونه ويسوِّدونه ويقاربونه، وقالوا: إنَّك تأتي بشيءٍ لا يأتي به أحدٌ من النَّاسِ، أنتَ سيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا، فما زالوا به حتَّى كادَ يُقاربُهم في بعض ما يريدون، ثمَّ عصمه الله من ذلك وأنزل هذه الآية. الطبري (١٥/ ١٣)، والواحدي (ص: ٢٩٠). وعن عكرمة عن ابن عباس: أن أمية ابن خلف وأبا جهل ورجالاً من قريش قالوا للنبي ﷺ: يا محمد، تعال تمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه فرقَّ لهم، فنزلت. ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١٢٤)، وقال: «هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو إسناد جيد». قلت: فيه محمد بن أبي محمد وهو مجهول. وعن جبير بن نفير: أن قريشاً أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم فنكون نحن أصحابك، فنزلت. أبو الشيخ كما في «لباب النقول» (ص: ١٢٥).

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ
إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ
بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾
وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ
ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ
شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾
وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ
أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿عَنِ الَّذِي أَوحَينا إلَيكَ لِتَفتَرِيَ علَينا غيرَهُ، وإذًا﴾ لو فعلتَ ذلك ﴿لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً، ولَولا أن ثَبَّتْناكَ﴾ على الحقّ بالعِصمة ﴿لَقَد كِدتَ﴾: قاربتَ ﴿تَركَنُ﴾: تميل ﴿إلَيهِم شَيئًا﴾: رُكونًا ﴿قَلِيلاً﴾ لشِدّة احتيالهم وإلحاحهم. وهو صريح في أنه ﷺ لم يركَن ولا قارب. ﴿٧٥﴾ ـ ﴿إذًا﴾ لو ركنتَ ﴿لَأَذَقْناكَ ضِعفَ﴾ عذابِ ﴿الحَياةِ وضِعفَ﴾ عذابِ ﴿المَماتِ﴾ أي: مِثلَي ما يُعذَّب به غيرُك في الدنيا والآخِرة، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ علَينا نَصِيرًا﴾: مانعًا منه.

ونزل لمّا قال له اليهود: «إن كنتَ نبيًّا فالحقْ بالشام، فإنها أرضُ الأنبياء»[(١)]:
﴿٧٦﴾ ـ ﴿وإنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿كادُوا لَيَستَفِزُّونَكَ مِنَ الأرضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخرِجُوكَ مِنها، وإذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لا يَلبَثُونَ خَلفَكَ﴾ فيها ﴿إلّا قَلِيلاً﴾، ثمّ يُهلَكون، ﴿٧٧﴾ ـ ﴿سُنّةَ مَن قَد أرسَلْنا قَبلَكَ، مِن رُسْلِنا﴾ أي: كسُنّتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم، ﴿ولا تَجِدُ لِسُنّتِنا تَحوِيلاً﴾: تبديلاً.

﴿٧٨﴾ ـ ﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إلَى غَسَقِ اللَّيلِ﴾: إقبال ظُلمته، أي: الظُّهرَ والعصرَ والمغرِبَ والعِشاءَ، ﴿وقُرآنَ الفَجرِ﴾: صلاةَ الصُّبح ـ ﴿إنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهُودًا﴾: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ـ ﴿٧٩﴾ ـ ﴿ومِنَ اللَّيلِ فتَهَجَّدْ﴾: فصَلِّ ﴿بِهِ﴾: بالقُرآن ﴿نافِلَةً لَكَ﴾: فريضةً زائدة لك دُون أُمّتك، أو فضيلةً على الصلوات المفروضة. ﴿عَسَى أن يَبعَثَكَ﴾: يُقيمَك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقامًا مَحمُودًا﴾: يَحمَدك فيه الأوّلون والآخِرون. وهو مُقام الشفاعة في فصل القضاء.

ونزل لمّا أُمر بالهِجرة[(٢)]: ﴿٨٠﴾ ـ ﴿وقُلْ: رَبِّ، أدخِلْنِي﴾ المدينةَ ﴿مُدخَلَ صِدقٍ﴾: إدخالاً مَرْضيًّا، لا أرى فيه ما أكره، ﴿وأخرِجْنِي﴾ من مكّةَ ﴿مُخرَجَ صِدقٍ﴾: إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها، ﴿واجعَلْ لِي مِن لَدُنكَ سُلطانًا نَصِيرًا﴾: قُوّة تنصرني بها على أعدائك. ﴿٨١﴾ ـ ﴿وقُلْ﴾ عِند دُخولك مكّة: ﴿جاءَ الحَقُّ﴾: الإسلامُ، ﴿وزَهَقَ الباطِلُ﴾: بَطَلَ الكُفر. ﴿إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقًا﴾: مُضمحلًّا زائلاً. وقد دَخلَها ﷺ، «وحَولَ البَيتِ ثلاثُمائَةٍ وسِتُّونَ صَنَمًا، فجَعَلَ يَطعُنُها بعُودٍ في يَدِهِ، ويَقُولُ» ذلك، حَتّى سَقَطَتْ. رواه الشيخان[(٣)].

﴿٨٢﴾ ـ ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ﴾: للبيان ﴿القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمةٌ لِلمُؤمِنِينَ﴾ به، ﴿ولا يَزِيدُ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿إلّا خَسارًا﴾ لكُفرهم به، ﴿٨٣﴾ ـ ﴿وإذا أنعَمْنا علَى الإنسانِ﴾: الكافر ﴿أعرَضَ﴾ عن الشُّكر، ﴿ونَأَى بِجانِبِهِ﴾: ثنى عِطفه مُتبختِرًا، ﴿وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والشِّدّة ﴿كانَ يَؤُوسًا﴾: قَنوطًا من رحمة الله. ﴿٨٤﴾ ـ ﴿قُلْ: كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿يَعمَلُ علَى شاكِلَتِهِ﴾: طريقته. ﴿فرَبُّكُم أعلَمُ بِمَن هُوَ أهدَى سَبِيلاً﴾: طريقًا فيُثيبه.

﴿ليستفزّونك﴾: لَيستخفُّونَكَ ويُـزعِجونَكَ. ﴿تحويلاً﴾: تغييراً وتبديلاً. ﴿لدُلوك الشّمس﴾: بعدَ أو عندَ زوالِها عن كبدِ السَّماءِ. ﴿غَسق الليل﴾: ظُلمتِهِ أو شِدَّتِه. ﴿وقرآن الفجر﴾: وأقِمْ صلاةَ الصُّبحِ. ﴿فتهجّدْ﴾: التَّهجُّدُ: الصَّلاةُ ليلاً بعدَ الاستيقاظِ. ﴿نافلة لك﴾: فريضةً زائدةً خاصَّةً بكَ. ﴿مقاماً محموداً﴾: مقامَ الشَّفاعةِ العُظمى. ﴿مُدخل صدق﴾: إدْخالاً مرضيّاً جيِّداً في أموري. ﴿سلطاناً نصيراً﴾: قهراً وعِزّاً ننصرُ بهِ الإسلامَ. ﴿زهق الباطل﴾: زالَ واضمحلَّ الشِّركُ. ﴿خساراً﴾: هلاكاً بسببِ كُفرِهم بهِ. ﴿نأى بجانبه﴾: لوَى عِطفَهُ تكبُّراً وعِناداً. ﴿كان يئوساً﴾: شديدَ اليأسِ والقنوطِ مِن رحمتِنا. ﴿شاكلته﴾: مذهبِـهِ الَّذي يُشاكلُ حالَهُ. ﴿وكيلاً﴾: منْ يتعهَّدُ بإعادتِهِ إليكَ.

(١) روي عن ابن عباس من طريق عطاء والكلبي، وكلا الطريقين واهٍ. انظر: «البسيط» (١٣/ ٤٢٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٦/ ٤١١) و«زاد المسير» (٣/ ٤٣ ـ ٤٤). وروى نحوه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٤)، والثعلبي (١٦/ ٤١٢)، من حديث عياض بن غنم وزاد: «فصدَّق ما قالوا وغزا غزوةَ تبوك..». قال ابن كثير عند هذه الآية: وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح؛ فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، إنما غزاها امتثالاً لأمر الله، وليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه. قال مجاهدٌ وقتادةُ والحسنُ: همَّ أهلُ مكّة بإخراجِ النَّبيِّ عليه السَّلام من مكَّة، فأمره اللهُ بالخروجِ، وأنزلَ هذه الآيَةَ إخباراً عمَّا همُّوا به. الواحدي (ص: ٢٨٩).

(٢) الترمذي (٣١٣٩) عن ابن عباس وقال: حسن صحيح.

(٣) البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾

(٨٥) ـ ﴿ويسألونكَ﴾ أي: اليهودُ ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾[1] الذي يحيا به البدن. ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الرُّوحُ مِن أمرِ رَبِّي﴾ أي: عِلمِه لا تعلمونه، ﴿وما أُوتيتُم مِنَ العِلمِ إلّا قَليلاً﴾ بالنسبة إلى عِلمه تعالى. (٨٦) ـ (٨٧) ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿شِئْنا لَنَذهَبَنَّ بِالَّذي أوحَينا إلَيكَ﴾ أي: من القُرآنِ بأن نمحوه من الصدور والمصاحف، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ علَينا وَكِيلاً﴾.

(٨٧) ـ ﴿إلّا﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحمةً مِن رَبِّكَ. إنَّ فَضلَهُ كانَ علَيكَ كَبيرًا﴾: عظيمًا حيثُ أنزله عليك، وأعطاك المَقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

(٨٨) ـ ﴿قُلْ: لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ[2] على أن يأتُوا بِمِثلِ هذا القُرآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة، ﴿لا يأتُونَ بِمِثلِهِ، ولَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا﴾: مُعينًا. نزل ردًّا لقولهم: «لَو نَشاءُ لَقُلنا مِثلَ هذا».

(٨٩) ـ ﴿ولَقد صَرَّفْنا﴾: بيّنّا ﴿لِلنّاسِ في هذا القرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صفةٌ لمحذوف، أي: مَثلاً من جِنس كُلِّ مَثل ليتّعظوا، ﴿فأبَى أكثَرُ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿إلّا كُفُورًا﴾: جُحودًا للحق، (٩٠) ـ ﴿وقالُوا﴾ عطفٌ على «أبى»: ﴿لَن نُؤمِنَ لَكَ[3] حَتَّى تُفَجِّرَ لَنا مِنَ الأرضِ يَنبُوعًا﴾: عينًا ينبعُ منها الماء، (٩١) ـ (٩٢) ـ ﴿أو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بُستانٌ ﴿مِن نَخيلٍ وعِنَبٍ، فتُفَجِّرَ الأنهارَ خِلالَها﴾: وَسْطَها ﴿تَفجِيرًا، أو تُسقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمتَ علَينا كِسَفًا﴾: قِطَعًا، ﴿أو تأتِيَ بِاللهِ والمَلائكةِ قَبِيلاً﴾: مُقابلَةً وعِيانًا فنراهم، (٩٣) ـ ﴿أو يَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ﴾: ذهب، ﴿أو تَرَقى﴾: تصعدَ ﴿في السَّماءِ﴾ بسلّم، ﴿ولَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ ـ لو رقيتَ فيها ـ ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ علَينا﴾ منها ﴿كِتابًا﴾، فيه تصديقك ﴿نَقرَؤُهُ. قُلْ﴾ لهم: ﴿سُبحانَ رَبِّي﴾! تعجّبٌ. ﴿هَل﴾: ما ﴿كُنتُ إلّا بَشَرًا رَسُولاً﴾ كسائر الرسل؟ ولم يكونوا يأتون بآية إلّا بإذن الله.

﴿ظهيراً﴾: مُعيناً. ﴿صرّفنا﴾: ردَّدْنا بأساليبَ مُختلفةٍ. ﴿كلّ مثل﴾: معنىً غريبٍ حسنٍ بديعٍ. ﴿فأبى﴾: فلمْ يرضَ. ﴿كُفوراً﴾: جُحُوداً للحقِّ. ﴿ينبوعاً﴾: عيناً لا ينْضَبُ ماؤُها. ﴿كِسفاً﴾: قِطعاً. ﴿قبيلاً﴾: مُقابلةً وعِياناً. أو جماعةً. ﴿زُخرف﴾: ذهَبٍ.

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن اليهود سألوه ﷺ عن الروح، فأمسك فلم يرد عليهم شيئاً، قال: فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح﴾. البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (٢٧٩٤). ابنُ عبّاسٍ: قالت قريشٌ لليهودِ: أعطُونا شيئًا نسألُ عنه هذا الرَّجلَ، فقالوا: سَلُوه عن الرُّوحِ، فنزلَتِ هذه الآيةُ. أحمد (٢٣٠٩)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٥٢)، قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. قال في «لباب النقول» (ص: ١٢٦): ويرجح ما في الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس.

(٢) عن ابن عباس: أتى النبيَّ ﷺ ابنُ مشكم في عامةٍ من يهود ـ سماهم ـ فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإنا لا نراه متناسقاً كما تَناسَقُ التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أمَا والله إنَّكم لتعرفون أنَّه مِن عند الله..» الحديث، وفي آخره قولهم: فأنزل علينا كتاباً نقرؤه ونعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فنزلت. ونظر فيه ابنُ كثير (٩/ ٧٧) بأن هذه السورة مكية، وسياقها كله مع قريش، واليهود إنما اجتمعوا به في المدينة.

(٣) عن ابن عباس ما ملخصه: أنها نزلَتْ في رُؤساءِ قُريشٍ عُتبةَ وشيبةَ وأبي سُفيانَ وغيرِهم، اجتمعوا فقالوا: يا محمد ما نعلم رجلًا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا.. ، إلى أن قالوا: فإن كنت غير قابل ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل مالاً وأشد عيشاً منا، فلتسأل لنا ربك الذي بعثك فليسيِّر عنا هذه الجبال التي ضيَّقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً.. إلى سائرِ الاقتراحاتِ المذكورةِ في هذه الآيةِ، فقام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية فقال: يا محمد! عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوِّفهم به من العذاب، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة فيشهدوا لك أنك كما تقول، فانصرف رسول الله ﷺ حزيناً ونزلت الآيات. رواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ١٩٧ ـ ١٩٩)، ومن طريقه ابن هشام في «سيرته» (١/ ٢٩٥)، والطبري (١٥/ ٨٧ ـ ٩٠)، والثعلبي (١٦/ ٤٧٧ ـ ٤٨١)، من رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفيه إبهام الراوي عن عكرمة.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

(٩٤) ـ ﴿وما مَنَعَ النَّاسَ أن يُؤمِنُوا إذ جاءَهُمُ الهُدَى إلّا أن قالُوا﴾ أي: قولُهم منكرين: ﴿أبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً﴾، ولم يَبعث ملَكًا؟ (٩٥) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو كانَ في الأرضِ﴾ بدلَ البشر ﴿مَلائكةٌ، يَمشُونَ مُطمَئِنِّينَ، لَنَزَّلنا علَيهِم مِنَ السَّماءِ مَلَكًا رَسُولاً﴾، إذ لا يُرسَل إلى قوم رسول إلّا من جِنسهم ليُمكِنَهم مُخاطبتُه والفهم عنه. (٩٦) ـ ﴿قُلْ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيني وبَينَكُم﴾ على صِدقي! ﴿إنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: عالمًا ببواطنهم وظواهرهم.

الحزب ٣٠

(٩٧) ـ ﴿ومَن يَهدِ اللهُ فهُوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فلَن تَجِدَ لَهُم أولِياءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِ، ونَحشُرُهُم يومَ القِيامةِ﴾ ماشين ﴿على وُجُوهِهِم عُميًا وبُكمًا وصُمًّا، مأواهُم جَهَنَّمُ، كُلَّما خَبَتْ﴾: سكن لهبها ﴿زِدْناهُم سَعِيرًا﴾: تلهّبًا واشتعالاً. (٩٨) ـ (٩٩) ـ ﴿ذلِكَ جَزاؤُهُم بِأنَّهُم كَفَرُوا بِآياتِنا، وقالُوا﴾ منكرين للبعث: ﴿أإذا كُنّا عِظامًا ورُفاتًا أإنا لَمَبعُوثُونَ خَلقًا جَدِيدًا؟ أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ﴾ مع عِظَمهما ﴿قادِرٌ على أن يَخلُقَ مِثلَهُم﴾ أي: الأناسيّ في الصِّغر؟ ﴿وجَعَلَ لَهُم أجَلاً﴾ للموت والبعث، ﴿لا رَيبَ فِيهِ، فأبَى الظّالِمُونَ إلّا كُفُورًا﴾: جُحودًا له.

(١٠٠) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَو أنتُم تَملِكُونَ خَزائِنَ رَحمةِ رَبِّي﴾ من الرِّزق والمطر ﴿إذًا لَأمسَكتُم﴾: لبخلتم ﴿خَشيةَ الإنفاقِ﴾: خوفَ نفادها بالإنفاق فتفتقروا. ﴿وكانَ الإنسانُ قَتُورًا﴾: بخيلاً.

(١٠١) ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى تِسعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: واضحات. وهي اليد والعصا والطوفان، والجراد والقُمّل والضفادع، والدم أو الطمس، والسِّنينُ ونقص الثمرات. ﴿فاسألْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾ عنه سُؤالَ تقريرٍ للمُشركين على صِدقك ـ أو فقلنا له: اسألْ. وفي قراءة بلفظ الماضي ـ ﴿إذ جاءَهُم، فقالَ لَهُ فِرعَونُ: إنِّي لَأظُنُّكَ ـ يا مُوسَى ـ مَسحُورًا﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقلك.

(١٠٢) ـ ﴿قالَ: لَقَد عَلِمتَ: ما أنزَلَ هؤُلاءِ﴾ الآياتِ ﴿إلّا رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ بَصائرَ﴾: عِبَرًا، ولكنّك تعاند، وفي قراءة بضمّ التاء، ﴿وإنِّي لَأظُنُّكَ ـ يا فِرعَونُ ـ مَثبُورًا﴾: هالكًا أو مصروفًا عن الخير. (١٠٣) ـ (١٠٤) ـ ﴿فأرادَ﴾ فرعون ﴿أن يَستَفِزَّهُم﴾: يُخرجَ مُوسى وقومَه ﴿مِنَ الأرضِ﴾: أرض مصر، ﴿فأغرَقناهُ ومَن مَعَهُ جَمِيعًا، وقُلنا مِن بَعدِهِ لِبَنِي إسرائيلَ: اسكُنُوا الأرضَ. فإذا جاءَ وَعدُ الآخِرةِ﴾ أي: الساعةِ ﴿جِئنا بِكُم لَفِيفًا﴾: جميعًا أنتم وهم.

(١٠٥) ـ ﴿وبِالحَقِّ أنزَلناهُ﴾ أي: القُرآنَ، ﴿وبِالحَقِّ﴾ المُشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أُنزل لم يعتره تبديل، ﴿وما أرسَلناكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إلّا مُبَشِّرًا﴾ مَن آمن بالجنة ﴿ونَذِيرًا﴾ مَن كفر بالنار، (١٠٦) ـ ﴿وقُرآنًا﴾: منصوب بفعل يُفسّره: ﴿فَرَقناهُ﴾: نزّلناه مُفرّقًا في عشرين سنة أو وثلاثٍ ﴿لِتَقرَأهُ على النّاسِ على مُكثٍ﴾: مَهل وتُؤَدةٍ ليفهموه، ﴿ونَزَّلناهُ تَنزِيلاً﴾ شيئًا بعد شيء على حسَب المصالح.

(١٠٧) ـ (١٠٨) ـ (١٠٩) ـ ﴿قُلْ﴾ لكُفّار مكّة: ﴿آمِنُوا بِهِ أو لا تُؤمِنُوا﴾. تهديدٌ لهم. ﴿إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ مِن قَبلِهِ﴾: قبلَ نُزوله ـ وهم مُؤمنو أهل الكِتاب ـ ﴿إذا يُتلَى علَيهِم يَخِرُّونَ لِلأذقانِ سُجَّدًا، ويَقُولُونَ: سُبحانَ رَبِّنا﴾: تنزيهًا له عن خُلف الوعد! ﴿إنْ﴾: مُخفّفةٌ ﴿كانَ وَعدُ رَبِّنا﴾ بنزوله وبعث النبيّ ﴿لَمَفعُولاً. ويَخِرُّونَ لِلأذقانِ، يَبكُونَ﴾: عطفٌ بزيادة صفة، ﴿ويَزِيدُهُم﴾ القُرآنُ ﴿خُشُوعًا﴾: تواضعًا لله.

وكان ﷺ يقول: «يا أللهُ يا رَحمنُ»[1]، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلـٰهَين، وهو يدعو إلـٰهًا آخر معه. فنزلَ: (١١٠) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ادعُوا اللهَ، أوِ ادعُوا

﴿خبتْ﴾: سكَنَ لَهَبُها. ﴿سعيراً﴾: لهباً وتوقُّداً. ﴿رُفاتاً﴾: أجزاءً مُفتَّتَةً. أو تُراباً أو غُباراً. ﴿قتوراً﴾: مُبالغاً في البُخلِ. ﴿مسحوراً﴾: مغلوباً على عقلِكَ بالسِّحرِ أو ساحراً. ﴿بَصائر﴾: بيِّناتٍ تُبصِّرُ مَن يشهدُها بصدقي. ﴿مثبوراً﴾: هالكاً أو مصروفاً عنِ الخيرِ. ﴿يستفزهم﴾: يَستخِفَّهُم ويُزعِجَهُم للخروجِ. ﴿لفيفاً﴾: جميعاً مُختلطين.

(١) الطبري (١٥/ ١٢٣) عن ابن عباس. وعن ميمون بن مهران: كانوا يكتُبونَ في صدرِ الكتُبِ: «باسمِكَ اللّهمَّ»، فنزلَ: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فكتَبَ رسولُ الله ﷺ به، فقال المُشركونَ: هذا الرَّحيمُ نعرِفُه، فما الرَّحمنُ؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ. الثعلبي (١٦/ ٥٠٦)، والواحدي (ص: ٢٩٤). =

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ
﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾
مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

﴿الرَّحمنَ﴾ أي: سمّوه بأيِّهما، أو نادُوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن. **﴿أيًّا﴾**: شرطيّةٌ **﴿ما﴾**: زائدةٌ أي: أيَّ هذَين **﴿تَدعُوا﴾** فهو حسنٌ، دلّ على هذا: **﴿فَلَهُ﴾** أي: فلمُسمّاهما **﴿الأسماءُ الحُسنَى﴾** وهذان منها.

فإنها كما في الحديث: «اللهُ الَّذِي لا إلـٰهَ إلّا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ، المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهَيمِنُ، العَزيزُ الجَبّارُ المُتَكَبِّرُ الخالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ، الغَفّارُ القَهّارُ الوَهّابُ الرَّزّاقُ الفَتّاحُ العَلِيمُ، القابِضُ الباسِطُ الخافِضُ الرّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ، السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العَدلُ، اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الحَلِيمُ العَظِيمُ الغَفُورُ الشَّكُورُ، العَلِيُّ الكَبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجَلِيلُ الكَرِيمُ الرَّقِيبُ المُجِيبُ، الواسِعُ الحَكِيمُ الوَدُودُ المَجِيدُ، الباعِثُ الشَّهِيدُ الحَقُّ الوَكِيلُ القَوِيُّ المَتِينُ الوَلِيُّ الحَمِيدُ، المُحصِي المُبدِئُ المُعِيدُ المُحيِي المُمِيتُ الحَيُّ القَيُّومُ، الواجِدُ الماجِدُ الواحِدُ الأحَدُ الصَّمَدُ، القادِرُ المُقتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ، الأوَّلُ الآخِرُ الظاهِرُ الباطِنُ الوالي المُتَعالِي، البَرُّ التَّوّابُ المُنتَقِمُ العَفُوُّ الرَّؤُوفُ، مالِكُ المُلكِ ذُو الجَلالِ والإكرامِ، المُقسِطُ الجامِعُ الغَنِيُّ المُغنِي المانِعُ الضّارُّ النّافِعُ، النُّورُ الهادِي البَدِيعُ الباقِي الوارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ». رواه التِّرمذيّ.

قال تعالى: **﴿ولا تَجهَرْ بِصَلاتِكَ﴾**: بقِراءتك فيها، فيسمعَك المُشركون فيسبّوك ويسبّوا القرآن ومَن أنزله، **﴿ولا تُخافِتْ﴾**[1]: تُسِرّ **﴿بها﴾** لينتفع أصحابك، **﴿وابتَغِ﴾**: اقصِدْ **﴿بَينَ ذلِكَ﴾**: الجهرِ والمُخافتةِ **﴿سَبِيلاً﴾**: طريقًا وسَطًا.

﴿١١١﴾ **﴿وقُلِ: الحَمدُ لِلهِ الَّذِي لَم يَتَّخِذْ وَلَدًا، ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ﴾**: في الألوهيّة، **﴿ولَم يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾** ينصره **﴿مِنَ﴾** أجل **﴿الذُّلِّ﴾** أي: لم يَذِلَّ فيحتاجَ إلى ناصر. **﴿وكَبِّرْهُ تَكبِيرًا﴾**: عظِّمْه عظمة تامّة عن اتّخاذ الولد والشريك والذلّ وكُلّ ما لا يليق به. وترتيبُ الحمد على ذلك للدلالة على أنه المُستحقّ لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرّده في صِفاته.

روى الإمام أحمد في «مُسنده»[2] عن مُعاذ الجُهنيّ عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آيةُ العِزِّ: الحَمدُ لله الَّذِي لَم يَتَّخِذْ وَلَدًا، ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ» إلى آخر السورة. والله ـ تعالى ـ أعلم.

﴿فرقناه﴾: بيَّنّاهُ وفصَّلْناهُ أو أنزلْناهُ مُفرَّقاً. ﴿على مُكث﴾: على تُؤَدَةٍ وتأنٍّ. ﴿لا تُخافت بها﴾: لا تُسرَّ بها حتّى لا تُسمعَ مَن خلفَكَ.
﴿لم يجعل له عوجاً﴾: اختلالاً لا اختلافاً ولا انحرافاً عنِ الحقِّ ولا خروجاً عنِ الحكمةِ. ﴿قيِّماً﴾: مُستقيماً معتدلاً أو بمصالحِ العبادِ. ﴿بأساً﴾: عذاباً آجلاً أو عاجلاً.

= وقال الضحاك: قال أهل الكتاب لرسول الله ﷺ: إنك لتُقِلُّ ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فنزلت. الثعلبي (١٦/ ٥٠٦)، والواحدي (ص: ٢٩٥).
قوله: «رواه الترمذي» برقم (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف بذكر الأسماء، وتعيين هذه الأسماء إدراج من بعض الرواة كما قرره الأئمة الحفاظ، وقد صح الحديث دون سرد الأسماء، رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة».

(١) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: نزلَت ورسول ﷺ مختَفٍ بمكَّةَ، وكانوا إذا سمعوا القرآنَ سبُّوا القرآنَ ومَن أنزله ومَن جاءَ به، فقال اللهُ تعالى لنبيِّه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمعَ المشركون فيسبُّوا القرآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابكَ فلا يسمعون ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾. البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦).
قالت عائشةُ رضي الله عنها: نزلت في التَّشهُّد، كان الأعرابيُّ يجهرُ فيقول: التَّحيَّاتُ للهِ، يرفعُ بها صوتَه، فنزلت الآيةُ. الطبري (١٥/ ١٣٤). ورواه الطبري (١٥/ ١٣٤)، والحاكم (٨٣٩)، مختصراً بلفظ: «نزلت هذه الآية في التشهد». وعن عائشةَ أيضاً: أنَّها نزلت في الدُّعاءِ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾. البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧). وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرّقوا، وأبَوا أن يستمعوا منه، فكان مَن أراد أن يستمع استرق السمع دونهم فرَقاً منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع، فإن خفض رسول الله ﷺ صوته لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا تُسْمِع مَن أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم، لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً﴾. الطبري (١٥/ ١٣٠). وعن عبد الله بن شدَّادٍ قال: كان أعرابٌ لبني تميمٍ إذا سلَّم النبيُّ ﷺ قال: اللهمَّ ارزُقْنا مالًا وولدًا، فنزلت: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾. «مصنف ابن أبي شيبة» (٨٠٩٧)، والواحدي (ص: ٢٩٥).

(٢) برقم (١٥٦٣٤).

مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ
رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ
فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ
ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

قال مُؤلّفه: هذا آخِرُ ما كمّلتُ به تفسير القُرآن الكريم الذي ألّفه الشيخ الإمام العلامة المُحقّق جلال الدين المحلّيّ الشافعيّ رحمه الله، وقد أفرغتُ فيه جُهدي وبذلت فكري فيه في نفائسَ أراها ـ إن شاء الله تعالى ـ تُجدي، وألّفتُه في مُدّةِ قدرِ مِيعاد الكليم، وجعلتُه وسيلة للفوز بجنّات النعيم. وهو في الحقيقة مُستفاد من الكتاب المُكمَّل، وعليه في الآي المُتشابهة الاعتمادُ والمُعوَّل. فرحم الله امرأً نظر بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه. وقد قلتُ:

حَمِـدتُ اللهَ رَبِّـي، إذْ هَدانِـي لِما أبدَيـتُ مَعْ عَجـزِي وضَعفِي
فمَـن لِـي بالخَـطا، فـأرُدَّ عَنـه؟ ومَن لِي بالقَبُولِ، ولَـو بِحَـرفِ؟

هذا، ولم يكن قطّ في خَلَدي أن أتعرّض لذلك، لِعلمي بالعجز عنِ الخوض في هذه المسالك. وعسى الله أن ينفعَ به نفعًا جمًّا، ويفتحَ به قُلوبًا غُلْفًا وأعيُنًا عُميًا وآذانًا صُمًّا. وكأنّي بمن اعتاد بالمطوّلات، وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلِها حسمًا، وعدل إلى صريح العِناد ولم يوجّه إلى دقائقها فهمًا: (ومَن كانَ في هذِهِ أعمَى فهُوَ في الآخِرةِ أعمَى).رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحقّ وتوفيقًا، واطّلاعًا على دقائق كلماته وتحقيقًا، وجعلنا به (مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ علَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ. وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا)!

وفُرغ من تأليفه يومَ الأحد عاشرِ شوّالِ سنة سبعين وثمانِمِائَةٍ، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مُستهلّ رمضانَ من السنة المذكورة، وفُرغ من تبييضه يومَ الأربعاء سادسِ صفر سنة إحدى وسبعين وثمانِمِائَةٍ، على يد مؤلفه العلّامة جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي.

***

[قال الشيخ الإمام العالم العلّامة المحقق المدقّق، جلال الدين المحلّيّ. تغمّده اللهُ برحمته وأسكنَه فسيحَ جنّته]:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم

(١٨)

سُورَةُ الكَهْفِ(١)

مكية إلّا «واصبرْ نفسك» الآيَةَ، مِائَةٌ وعشرُ آيات أو خمسَ عشْرةَ.

(١) ـ ﴿**الحَمدُ**﴾، هو الوصف بالجميل ثابت ﴿**للهِ**﴾ تعالى ـ وهل المُراد الإعلامُ بذلك للإيمانِ به أوِ الثناءِ به أو هما؟ احتمالاتٌ، أفيَدُها الثالث ـ ﴿**الَّذِي أنزَلَ على عَبدِهِ**﴾ مُحمّد ﴿**الكِتابَ**﴾: القُرآنَ، ﴿**ولَم يَجعَلْ لَهُ**﴾ أي: فيه ﴿**عِوَجًا**﴾: اختلافًا وتناقُضًا ـ والجملة: حال من الكتاب ـ (٢) ـ (٣) ـ ﴿**قَيِّمًا**﴾: مستقيمًا، حالٌ ثانية مؤكّدة، ﴿**لِيُنذِرَ**﴾: يُخوّفَ الكتابُ الكافرين ﴿**بأسًا**﴾: عذابًا ﴿**شَدِيدًا مِن لَدُنهُ**﴾: من قِبَلِ الله، ﴿**ويُبَشِّرَ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ الصَّالِحاتِ أنَّ لَهُم أجرًا حَسَنًا، ماكِثِينَ فِيهِ أبَدًا**﴾ ـ هو الجنة ـ (٤) ـ ﴿**ويُنذِرَ**﴾ مِن جُملة الكافرين ﴿**الَّذِينَ قالُوا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا.**﴾.

(٥) ـ ﴿**ما لَهُم بِهِ**﴾: بهذا القول ﴿**مِن عِلمٍ، ولا لِآبائِهِم**﴾ من قبلهم القائلين له. ﴿**كَبُرَتْ**﴾: عظُمتْ ﴿**كَلِمةً، تَخرُجُ مِن أفواهِهِم**﴾! كلمة: تمييز

﴿كبُرت كلمة﴾: ما أعْظمَها في القُبحِ كلمة. ﴿باخع نفسك﴾: قاتِلُها ومُهلِكُها أو مُجهِدُها. ﴿أسفاً﴾: غضباً. وحُزناً عليهم أو غيظاً. ﴿لِنبلوهم﴾: لِنختبرَهُم معَ علمِنا بحالِهم. ﴿أحسن عملاً﴾: أزهدُ فيها وأسرعُ في طاعتِنا. ﴿صعيداً جُرزاً﴾: تُراباً أجْرَدَ لا نباتَ فيهِ. ﴿أم حسبت﴾: بل أظنَنْتَ. ﴿أصحاب الكهف﴾: النّقبِ المُتّسعِ في الجبلِ. ﴿الرّقيم﴾: اللّوحِ فيهِ أسماؤُهُم وقصّتُهُم. ﴿أوى الفتية﴾: التجؤوا هَرَباً بِدِينِهِم... ﴿رشداً﴾: اهتداءً إلى طريقِ الحقِّ. ﴿فضربنا على آذانهم﴾: أنمْناهُم إنامةً ثقيلةً. ﴿بعثناهم﴾: أيقظْناهُم مِن نومِهِم. ﴿أمداً﴾: مدّةً وعددَ سِنينَ أو غايةً. ﴿ربطنا﴾: شدَدْنا وقوّيْنا بالصّبرِ. ﴿شططاً﴾: قولاً مُفرطاً في البعدِ عنِ الحقِّ.

(١) سبب نزولها ما رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١) ومن طريقه الطبري (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما في الخبر الطويل المعروف من إرسال قريش إلى اليهود من يخبرهم صفة النبي ﷺ ويسألهم عنه باعتبارهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم الأنبياء، فقالت الأحبار: سلوه عن ثلاث...، وهي: فتية ذهبوا في الدهر الأول، ورجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح؟ فوعدهم ﷺ بالجواب غداً ولم يستثن، فتأخر الوحي بسبب ذلك خمس عشرة ليلة حتى حزن رسول الله ﷺ وشق عليه ما تكلم به أهل مكة من الإرجاف بسبب تأخر الجواب، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية.

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ
مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن
يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا
وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم
بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ
فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا
يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ
طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ
بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ
أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾

مُفسِّر للضمير المُبهم، والمخصوصُ بالذمّ محذوف، أي: مقالتُهم المذكورةُ. ﴿إن﴾: ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إلّا﴾ مقولاً ﴿كَذِبًا﴾.

(٦) ـ ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ﴾: مُهلِكٌ ﴿نَفسَكَ على آثارِهِم﴾[١]: بعدَهم، أي: بعدَ تولّيهم عنك، ﴿إن لَم يُؤمِنُوا بهذا الحَدِيثِ﴾: القرآنِ، ﴿أَسَفًا﴾: غيظًا وحُزنًا منك لحِرصك على إيمانهم. ونصبُه على المفعول له.

(٧) ـ ﴿إنّا جَعَلْنا ما على الأرضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينةً لَها، لِنَبلُوَهُم﴾: لنختبرَ الناس ناظرينَ إلى ذلك: ﴿أيُّهم أحسَنُ عَمَلاً﴾ فيه، أي: أزهدُ له؟ (٨) ـ ﴿وإنّا لَجاعِلُونَ ما عليها صَعِيدًا﴾: فُتاتًا ﴿جُرُزًا﴾: يابسًا لا يُنبِتُ.

(٩) ـ ﴿أم حَسِبتَ﴾ أي: أظَننتَ ﴿أنَّ أصحابَ الكَهفِ﴾: الغار في الجبل ﴿والرَّقِيمِ﴾: اللوح المكتوبِ فيه أسماؤهم وأنسابُهم ـ وقد سئل ﷺ عن قِصّتهم[٢] ـ ﴿كانُوا﴾ في قِصّتهم ﴿مِن﴾ جُملة ﴿آياتِنا عَجَبًا﴾: خبرُ «كان» وما قبله حال، أي: كانوا عجبًا دُون باقي الآيات أو أعجبَها؟ ليس الأمر كذلك.

(١٠) ـ اذكرْ ﴿إذ أوَى الفِتيَةُ إلَى الكَهفِ﴾: جمعُ فتًى ـ وهو الشابّ الكامل ـ خائفين على إيمانهم من قومهم الكُفّار، ﴿فقالُوا: رَبَّنا، آتِنا مِن لَدُنكَ﴾: من قِبَلِك ﴿رَحمةً، وهَيِّئْ﴾: أصلحْ ﴿لَنا مِن أمرِنا رَشَدًا﴾: هِداية.

(١١) ـ ﴿فضَرَبْنا على آذانِهِم﴾ أي: أنَمْناهم ﴿في الكَهفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودة، (١٢) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْناهُم﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعلَمَ﴾ عِلمَ مُشاهَدة: ﴿أيُّ الحِزبَينِ﴾: الفريقين المُختلفين في مُدّة لَبثهم ﴿أحصَى﴾: فعلٌ بمعنى ضَبَطَ، ﴿لِما لَبِثُوا﴾: للَبثهم: مُتعلّق بما بعده ﴿أمَدًا﴾: غاية؟ (١٣) ـ (١٤) ـ ﴿نَحنُ نَقُصُّ عليكَ نَبَأَهُم بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق. ﴿إنَّهُم فِتيَةٌ، آمَنُوا بِرَبِّهِم وزِدْناهُم هُدًى، ورَبَطْنا على قُلُوبِهِم﴾: قوّيناها على قول الحقّ، ﴿إذ قامُوا﴾ بين يدَي ملكهم وقد أمرهم بالسُّجود للأصنام، ﴿فقالُوا: رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ، لَن نَدعُوَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه ﴿إلٰـهًا. لَقَد قُلْنا إذًا شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شططٍ أي: إفراطٍ في الكُفر، إن دعونا إلٰـهًا غير الله ـ تعالى ـ فَرْضًا. (١٥) ـ ﴿هؤُلاءِ﴾: مبتدأ ﴿قَومُنا﴾: عطف بيان ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهةً. لَولا﴾: هلّا ﴿يأتُونَ علَيهِم﴾: على عِبادتهم ﴿بِسُلطانٍ بَيِّنٍ﴾: بحُجّة ظاهرة. ﴿فمَن أظلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى؟

(١٦) ـ قال بعض الفِتية لبعض: ﴿وإذِ اعتَزَلتُمُوهُم وما يَعبُدُونَ إلّا اللهَ فأْوُوا إلَى الكَهفِ، يَنشُرْ لَكُم رَبُّكُم مِن رَحمتِهِ، ويُهَيِّئْ لَكُم مِن أمرِكُم مِرفَقًا﴾، بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس: ما ترتفقون به من غَداء وعَشاء.

(١٧) ـ ﴿وتَرَى الشَّمسَ إذا طَلَعَت تَزاوَرُ﴾: بالتشديد والتخفيف: تميل ﴿عَن كَهفِهِم ذاتَ اليَمِينِ﴾: ناحيتَه، ﴿وإذا غَرَبَتْ تَقرِضُهُم ذاتَ الشِّمالِ﴾: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تُصيبهم البتّةَ، ﴿وهُم في فَجوةٍ مِنهُ﴾: مُتّسع من الكهف، ينالهم برد الريح ونسيمها. ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿مِن آياتِ اللهِ﴾: دلائلِ قُدرته. ﴿مَن يَهدِ اللهُ فهُوَ المُهتَدِي، ومَن يُضلِلْ فلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرشِدًا﴾.

(١٨) ـ ﴿وتَحسِبُهُم﴾ ـ لو رأيتَهم ـ ﴿أيقاظًا﴾ أي: مُنتبهينَ لأنّ أعيُنَهم مُفتّحةٌ، جمع يَقِظ بكسر القاف، ﴿وهُم رُقُودٌ﴾: نيام جمعُ راقد، ﴿ونُقَلِّبُهُم ذاتَ اليَمِينِ وذاتَ الشِّمالِ﴾ لئلّا تأكل الأرض لُحومهم، ﴿وكَلبُهُم باسِطٌ ذِراعَيهِ بالوَصِيدِ﴾: بفِناء الكهف ـ وكانوا إذا انقلبوا انقلب معهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة ـ ﴿لَوِ اطَّلَعتَ علَيهِم لَوَلَّيتَ مِنهُم فِرارًا، ولَمُلِئتَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِنهُم رُعْبًا﴾، بسُكون العين وضمّها. منعَهم الله بالرعب مِن دُخول أحد عليهم.

﴿مرفقاً﴾: ما تنتفعونَ بهِ في عيشِكُم. ﴿تزاور﴾: تميلُ وتعدلُ. ﴿تقرضهم﴾: تعدِلُ عنهُم وتبتعدُ. ﴿فجوة منه﴾: مُتَّسعٍ مِنَ الكهفِ. ﴿بالوصيد﴾: بِفِناءِ الكهفِ أو عتبةِ بابِهِ. ﴿رُعباً﴾: خوفاً وفزعاً. ﴿بعثناهم﴾: أيقظْناهُم مِن نومتِهِمُ الطَّويلةِ. ﴿بورقكم﴾: بدراهمِكُمُ المضروبةِ. ﴿أزكى طعاماً﴾: أحلُّ، أو أجودُ طعاماً. ﴿يظهروا عليكم﴾: يطَّلعوا عليكُم أو يغلبوا.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه وإنكارهم ما جاء به من النصيحة، فأحزنه حزنًا شديدًا، فأنزل الله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾. ابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١٢٩).

(٢) ينظر خبر ابن عباس في مطلع السورة.

وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ
ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ
أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ
رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ
رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ
أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ
ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ
إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا
(٢٤) وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا
(٢٥) قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ
فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا (٢٦) وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا (٢٧)

(١٩) ـ (٢٠) ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْناهُم﴾: أيقظناهم ﴿لِيَتَساءَلُوا بَينَهُم﴾ عن حالهم ومُدّة لَبثهم ﴿قالَ قائلٌ مِنهُم: كَم لَبِثتُم؟ قالُوا: لَبِثنا يومًا أو بَعضَ يَومٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عِند طُلوع الشمس، وبُعِثوا عِند غُروبها، فظنّوا أنه غُروب يوم الدخول. ثمّ ﴿قالُوا﴾ مُتوقِّفين في ذلك: ﴿رَبُّكُم أعلَمُ بِما لَبِثتُم. فابعَثُوا أحَدَكُم بِوَرْقِكُم﴾، بسكون الراء وكسرها: بِفِضّتكم ﴿هذِهِ إلَى المَدِينةِ﴾ ـ يقال: إنها المُسمّاة الآن طَرَسُوسَ بفتح الراء ـ ﴿فلْيَنظُرْ: أيُّها أزكَى طَعامًا﴾: أيُّ أطعمة المدينة أحلّ؟ ﴿فلْيأتِكُم بِرِزقٍ مِنهُ، ولْيَتَلَطَّفْ ولا يُشعِرَنَّ بِكُم أحَدًا. إنَّهُم إن يَظهَرُوا علَيكُم يَرجُمُوكُم﴾: يقتلوكم بالرجم، ﴿أو يُعِيدُوكُم في مِلّتِهِم، ولَن تُفلِحُوا إذًا﴾ أي: إن عدتم في مِلّتهم ﴿أبَدًا﴾.

(٢١) ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما بعثناهم ﴿أعثَرْنا﴾: أطلعْنا ﴿علَيهِم﴾ قومَهم والمؤمنين، ﴿لِيَعلَمُوا﴾ أي: قومُهم ﴿أنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أنّ القادرَ على إقامتهم المُدّة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غِذاء قادرٌ على إحياء الموتى، ﴿وأنَّ السّاعةَ لا رَيبَ﴾: لا شكّ ﴿فِيها، إذ﴾: معمول لـ «أعثرنا» ﴿يَتنازَعُونَ﴾ أي: المؤمنون والكُفّار ﴿بَينَهُم أمرَهُم﴾: أمرَ الفِتية في البناء حولهم، ﴿فقالُوا﴾ أي: الكُفّار: ﴿ابنُوا علَيهِم﴾ أي: حولهم ﴿بُنيانًا﴾ يسترهم. ﴿رَبُّهُم أعلَمُ بِهِم. قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا علَى أمرِهِم﴾: أمر الفتية وهم المؤمنون: ﴿لنَتَّخِذَنَّ علَيهِم﴾: حولهم ﴿مَسجِدًا﴾ يُصلَّى فيه. وفُعل ذلك على باب الكهف.

(٢٢) ـ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المُتنازعون في عدد الفِتية في زمن النبيّ، أي: يقول بعضُهم: هم ﴿ثَلاثةٌ رابِعُهُم كَلبُهُم. ويَقُولُونَ﴾ أي بعضُهم: ﴿خَمْسةٌ سادِسُهُم كَلبُهُم﴾. والقولان لنصارى نَجرانَ[1] ﴿رَجمًا بِالغَيبِ﴾ أي: ظنًّا في الغَيبة عنهم. وهو راجع إلى القولينِ معًا، ونصبُه على المفعول له أي: لِظنّهم ذلك. ﴿ويَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعةٌ وثامِنُهُم كَلبُهُم﴾. الجملة من مبتدأٍ وخبرٍ: صفةُ «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيدًا ودلالةً، على لصوق الصفة بالموصوف. ووصفُ الأوّلَينِ بالرجم دُون الثالث دليلٌ على أنه مَرْضيّ وصحيح.

﴿قُلْ: رَبِّي أعلَمُ بِعِدّتِهِم، ما يَعلَمُهُم إلّا قَلِيلٌ﴾. قال ابن عبّاس: «أنا من القليل»[2] وذكرَهم سبعةً. ﴿فلا تُمارِ﴾: تجادلْ ﴿فِيهِم إلّا مِراءً ظاهِرًا﴾ بما أُنزل عليك، ﴿ولا تَستَفْتِ فِيهِم﴾: تطلبِ الفُتيا ﴿مِنهُم﴾: من أهلِ الكتاب اليهودِ ﴿أحَدًا﴾.

وسأله أهل مكّة عن خبر أهل الكهف[3]، فقال: «أُخبِرُكُم بِهِ غَدًا»، ولم يقل: «إن شاءَ اللهُ»، فنزل: (٢٣) ـ ﴿ولا تَقُولَنَّ لِشَيءٍ﴾ أي: لِأجل شيء: ﴿إنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا﴾، أي: فيما يُستقبل من الزمان. (٢٤) ـ ﴿إلّا أن يَشاءَ اللهُ﴾ أي: إلّا مُلتبسًا بمشيئة الله ـ تعالى ـ بأن تقول: إن شاءَ اللهُ. ﴿واذكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته مُعلِّقًا بها، ﴿إذا نَسِيتَ﴾ التعليقَ بها، ويكون ذِكرها بعد النِّسيان كذِكرها مع القول. قال الحسن وغيره[4]: ما دامَ في المجلِس ﴿وقُلْ: عَسَى أن يَهدِيَنِ رَبِّي لِأقرَبَ مِن هذا﴾: من خبر أهل الكهف في الدلالة على نُبوّتي ﴿رَشَدًا﴾: هِداية. وقد فعل الله ـ تعالى ـ ذلك.

(٢٥) ـ ﴿ولَبِثُوا في كَهفِهِم[5] ثَلاثَمِائَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾: عطفُ بيان لِـ «ثلاثمِائةٍ» ـ وهذه السنون الثلاثُمِائةِ عِند أهل الكتاب شمسيّة، وتزيد

﴿أعثرنا عليهم﴾: أطلَعْنا النَّاسَ عليهِم. ﴿رجماً بالغيب﴾: قذفاً بالظَّنِّ غيرَ يقينٍ. ﴿فلا تمارفيهم﴾: فلا تُجادلْ في عدَّتِهم وشأنِهم. ﴿إلا مراء ظاهراً﴾: بمجرَّدِ تلاوةِ ما أوحيَ إليكَ في أمرِهِم. ﴿رشداً﴾: هدايةً وإرشاداً للنَّاسِ. ﴿أبصر به﴾: ما أبصرَ اللهَ بكلِّ موجودٍ. ﴿مُلتحداً﴾: مَلجأً ومَوْئلاً.

(١) لمّا قدِم السَّيِّدُ والعاقِبُ حَبْرا أهلِ نجرانَ مع قومهم سألهم النَّبيُّ عليه السَّلامُ عن عدد أصحابِ الكهف، فقال العاقبُ: ﴿ثلاثةٌ رابعهم كلبهم﴾ وقال السَّيِّد: ﴿خمسةٌ سادسهم كلبهم﴾. الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٤٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٧٤) من طريق الضحاك عن ابن عباس. ودون نسبة عند السمرقندي (٢/ ٣٤٣)، والثعلبي (١٧/ ٨٤).

(٢) عبد الرزاق (١٦٦٥)، والطبري (١٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٣) ينظر خبر ابن عباس في مطلع السورة.

(٤) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٧٩) عن طاوس. وأما الحسن فروى المعتمر بن سليمان عن أبيه في قوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال: بلغني أن الحسن قال: إذا ذكر أنه لم يقل: «إن شاء الله»، فليقل: «إن شاء الله». الطبري (١٥/ ٢٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٦٦). وعن ابن عباس قال: حلف النبي ﷺ على يمين فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله: ﴿ولا تقولنّ لشيءٍ إنّي فاعلٌ ذلك غدًا إلّا أن يشاء اللّه﴾. ابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١٣٠).

(٥) عن الضحاك: نزلت هذه الآية ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فقالوا: أياماً أو أشهراً أو سنين؟ فأنزل الله: ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. الطبري (١٥/ ٢٣٠)، ورواه ابن مردويه كما في «لباب النقول» (ص: ١٣٠) عن ابن عباس.

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن
شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٣١ ۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤

القمريّة عليها عِند العرب تسعَ سنين ـ وقد ذُكرتْ في قوله ﴿**وازدادُوا تِسعًا**﴾ أي: تسع سِنينَ. فالثلاثُمِائَةِ الشمسيّةُ: ثلاثُمِائَةٍ وتسعٌ قمريّةٌ.

(٢٦) ـ ﴿**قُلِ اللهُ أعلَمُ بِما لَبِثوا**﴾ ممّن اختلفوا فيه ـ وهو ما تقدّم ذكره ـ ﴿**لَهُ غَيبُ السَّماواتِ والأرضِ**﴾ أي: عِلمُه، ﴿**أبصِرْ بِهِ**﴾ أي: باللهِ ـ هي صِيغة تعجّب ـ ﴿**وأسمِعْ**﴾ به كذلك، بمعنى: ما أبصَرَهُ! وما أسمَعَهُ! وهما على جِهة المجازِ، والمُرادُ أنه ـ تعالى ـ لا يغيب عن بصره وسمعه شيء، ﴿**ما لَهُم**﴾: لأهل السماوات والأرض ﴿**مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ**﴾: ناصر، ﴿**ولا يُشرِكُ في حُكمِهِ أحَدًا**﴾ لأنه غنيٌّ عن الشريك.

(٢٧) ـ ﴿**واتلُ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِن كِتابِ رَبِّكَ**[1]، **لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ، ولَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلتَحَدًا**﴾: ملجأ، (٢٨) ـ ﴿**واصبِرْ نَفسَكَ**﴾: احبِسها ﴿**مَعَ الَّذينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ والعَشِيِّ، يُريدُونَ**﴾ بعبادتهم ﴿**وَجهَهُ**﴾ ـ تعالى ـ لا شيئًا من أعراض الدنيا، وهم الفقراء، ﴿**ولا تَعْدُ**﴾: تنصرفْ ﴿**عَيناكَ عَنهُم**﴾ ـ عُبّر بهما عن صاحبهما ـ ﴿**تُريدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنيا، ولا تُطِعْ مَن أغفَلْنا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا**﴾[2] أي: القرآنِ ـ هو عُيينة بن حِصن وأصحابه ـ ﴿**واتَّبَعَ هَواهُ**﴾ في الشِّرك، ﴿**وكانَ أمرُهُ فُرُطًا**﴾: إسرافًا.

(٢٩) ـ ﴿**وقُلِ**﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن ﴿**الحَقُّ مِن رَبِّكُم. فَمَن شاءَ فَليُؤمِنْ، ومَن شاءَ فَليَكفُرْ**﴾، تهديد لهم. ﴿**إنّا أعتَدْنا لِلظّالِمِينَ**﴾ أي: الكافرين ﴿**نارًا، أحاطَ بِهِم سُرادِقُها**﴾: ما أحاط بها، ﴿**وإن يَستَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهلِ**﴾: كعَكَر الزيت، ﴿**يَشوِي الوُجُوهَ**﴾ من حرّه إذا قُرّب إليها. ﴿**بِئسَ الشَّرابُ**﴾ هو! ﴿**وساءَتْ**﴾ أي: النارُ ﴿**مُرتَفَقًا**﴾: متكأً: تمييز منقول من الفاعل أي: قَبُحَ مُرتفقُها، وهو مُقابِل لقوله الآتي في الجنّة: «وَحَسُنَتْ مُرتَفَقًا»! وإلّا فأيّ ارتفاق في النار؟

(٣٠) ـ ﴿**إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ إنّا لا نُضِيعُ أجرَ مَن أحسَنَ عَمَلاً**﴾. الجملة: خبرُ «إنّ»، وفيها إقامة الظاهر مَقام المُضمر ـ والمعنى: أجرَهم، أي: نُثيبهم بما تضمّنه ـ (٣١) ـ ﴿**أُولئِكَ لَهُم جَنّاتُ عَدنٍ**﴾: إقامةٍ، ﴿**تَجرِي مِن تَحتِهِمُ الأنهارُ، يُحَلَّونَ فِيها مِن أساوِرَ**﴾ ـ قيل: مِن: زائدةٌ، وقيل: للتبعيض ـ وهي جمعُ أَسْوِرةٍ كأحمِرة جمع سِوار ﴿**مِن ذَهَبٍ، ويَلبَسُونَ ثِيابًا خُضرًا مِن سُندُسٍ**﴾: ما رقّ من الدِّيباج، ﴿**وإستَبرَقٍ**﴾: ما غلُظ منه ـ وفي آية «الرحمن»: «بَطائنُها مِن إستَبرَقٍ» ـ ﴿**مُتَّكِئِينَ فِيها على الأرائِكِ**﴾: جمع أريكة، وهي السرير في الحَجَلة، وهي بيت يُزيّن بالثياب والستور للعَروس. ﴿**نِعمَ الثَّوابُ**﴾: الجزاءُ الجنّةُ! ﴿**وحَسُنَتْ مُرتَفَقًا**﴾!

﴿اصبر نفسك﴾: احبسْها وثبِّتْها. ﴿لا تعد عيناك عنهم﴾: لا تصرفْ عيناكَ النَّظرَ عنهُم. ﴿أغفلنا قلبه﴾: جعلْناهُ غافلاً ساهياً. ﴿فُرُطاً﴾: إسرافاً. أو تضْييعاً وهلاكاً. ﴿سُرادقها﴾: فُسْطاطُها. أو لهبُها ودُخانُها. ﴿كَالمهل﴾: كدُرديِّ الزَّيتِ أو كالمُذابِ مِنَ المعادنِ. ﴿ساءت مُرتفقاً﴾: متكأً أو مقرّاً (النّار). ﴿جنات عَدْن﴾: جناتُ إقامةٍ واستقرارٍ. ﴿سُندس﴾: رقيقِ الدِّيباج (الحريرِ). ﴿إستبرق﴾: غليظِ الدِّيباجِ. ﴿الأرائك﴾: السُّرُرِ في الحجالِ (جمعِ حَجَلةٍ مُحرَّكة ـ بيتٌ يزيَّنُ بالثِّيابِ والأسرَّةِ والسُّتورِ). ﴿جنّتين﴾: بُستانَينِ. ﴿حففناهُما﴾: أحطْناهُما وأطفْناهُما. ﴿أُكُلها﴾: ثمرَها الّذي يُؤكَلُ. ﴿لم تظلم منه﴾: لم تنقصْ مِن أُكُلِها. ﴿فجّرنا خِلالهما﴾: شقَقْنا وأجْرَينا وسطَهُما. ﴿ثمرٌ﴾: أموالٌ كثيرةٌ مُثمّرةٌ. ﴿أعزّ نفراً﴾: أقوى أعواناً أو عشيرةً.

(١) عن سلمان رضي الله عنه: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا نبيّ الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون سلمان وأبا ذرّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، ولم يكن عليهم غيرها ـ جلسنا إليك وحادثناك، وأخذنا عنك، فأنزل الله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾. الطبري (١٥/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٥)، والواحدي في (ص: ٢٩٧).

وعن خباب رضي الله عنه نحوُه، رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، والطبري (١٥/ ٢٧٣)، وقال البوصيري في «الزوائد» (٤/ ٢١٩): إسناده صحيح.

(٢) قال ابنُ عبّاسٍ: نزلَتْ في أميّةَ بنِ خلَفٍ الجُمَحيِّ؛ فإنّه دعا رسولَ الله ﷺ إلى تقريبِ صناديدِ أهلِ مكّةَ وطردِ الفقراءِ عنه. الواحدي (ص: ٢٩٨) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. وجويبر متروك. وعن الربيع حَدَّثَنَا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال لَهُ، فأنزل الله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه﴾ الآية، فَرجع إِلَى أَصْحَابه وخلى عَن أُميَّة فَوجدَ سلمَان يذكّرهم فَقَالَ: «الحمد لله الذي لم أفارق الدُّنيا حتَّى أراني أقوامًا من أمتي أمرني أن أَصْبر نفسي معهم». ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٧)، و«لباب النقول» (ص: ١٣٠). وعن أبي هريرة قال: دخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ وعنده سلمان، فقال: إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وأدخلنا، فنزلت. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٣٠).

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ
بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾
لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ
مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

(٣٢) ـ ﴿واضرِبْ﴾: اجعلْ ﴿لَهم﴾: للكُفّار مع المؤمنين ﴿مَثَلاً رَجُلَينِ﴾: بدلٌ، وهو وما بعده تفسير للمَثَل، ﴿جَعَلْنا لِأحَدِهِما﴾ الكافرِ ﴿جَنّتَينِ﴾: بُستانَينِ ﴿مِن أعنابٍ، وحَفَفْناهُما بِنَخلٍ، وجعَلْنا بَينَهُما زَرعًا﴾ يُقتات به،

(٣٣) ـ ﴿كِلتا الجَنّتَينِ﴾ كلتا: مُفرد يدلّ على التثنية مبتدأٌ ﴿آتَتْ﴾: خبرُه ﴿أُكُلَها﴾: ثمرها، ﴿ولَم تَظلِمْ﴾: تنقص ﴿مِنهُ شَيئًا! وفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَرًا﴾ يجري بينهما،

(٣٤) ـ ﴿وكانَ لَهُ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم، وبضمّهما، وبضمّ الأوّل وسكون الثاني، وهو جمع ثَمَرة كشَجَرة وشَجَر، وخَشَبة وخُشُب، وبَدَنة وبُدْن.

﴿فقالَ لِصاحِبِهِ﴾ المؤمنِ، ﴿وهُوَ يُحاوِرُهُ﴾: يُفاخره: ﴿أنا أكثَرُ مِنكَ مالاً، وأعزُّ نَفَرًا﴾ عشيرةً.

(٣٥) ـ (٣٦) ـ ﴿ودَخَلَ جَنّتَهُ﴾ بصاحبه، يطوف به فيها ويُريه آثارها ـ ولم يقل «جنّتيه» إرادةً للروضة، وقيل: اكتفاءً بالواحدة ـ ﴿وهُوَ ظالِمٌ لِنَفسِهِ﴾ بالكُفر، ﴿قالَ: ما أظُنُّ أن تَبِيدَ﴾: تنعدم ﴿هذِهِ أبَدًا، وما أظُنُّ السّاعةَ قائمةً، ولَئِنْ رُدِدْتُ إلَى رَبِّي﴾ في الآخرة، على زعمِك، ﴿لَأجِدَنَّ خَيرًا مِنها مُنقَلَبًا﴾: مَرجِعًا.

(٣٧) ـ (٣٨) ـ (٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ، وهُوَ يُحاوِرُهُ﴾: يُجاوبه: ﴿أكَفَرتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرابٍ﴾ لأنّ آدم خُلق منه، ﴿ثُمَّ مِن نُطفةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوّاكَ﴾: عَدَلَكَ وصيّرك ﴿رَجُلاً؟ لكِنّا﴾ ـ أصله: لكنْ أنا. نُقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حُذفت الهمزة ثم أُدغمت النون في مثلها ـ ﴿هُوَ﴾: ضمير الشأن تُفسّره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول، ﴿اللهُ رَبِّي، ولا أُشرِكُ بِرَبِّيَ أحَدًا، ولَولا﴾: هلّا، ﴿إذ دَخَلتَ جَنّتَكَ، قُلتَ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿ما شاءَ اللهُ، لا قُوّةَ إلّا بِاللهِ﴾ في الحديث «مَن أُعطِيَ خَيرًا مِن أهلٍ أو مالٍ ـ فيقُولَ عِندَ ذلِكَ: ما شاءَ اللهُ لا قُوّةَ إلّا باللهِ ـ لم يَرَ فِيهِ مَكرُوهًا»[1]. ﴿إن تَرَنِي أنا﴾ ـ ضمير فصل بين المفعولين ـ ﴿أقَلَّ مِنكَ مالاً ووَلَدًا فعَسَى رَبِّيَ أن يُؤتِيَنِي خَيرًا مِن جَنّتِكَ﴾: جوابُ الشرط، ﴿ويُرسِلَ علَيها حُسبانًا﴾: جمع حُسبانة، أي: صواعقَ ﴿مِنَ السّماءِ، فتُصبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضًا ملساء لا يثبتُ عليها قدمٌ، (٤١) ـ ﴿أو يُصبِحَ ماؤُها غَورًا﴾ بمعنى: غائرًا، عطفٌ على «يرسلَ» دُون «تصبحَ» لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق، ﴿فلَن تَستَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾: حِيلةً تدركه بها.

(٤٢) ـ (٤٣) ـ ﴿وأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ ـ بأوجُه الضبط السابقة ـ مع جنته بالهلاك فهلكت، ﴿فأصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ﴾ ندمًا وتحسّرًا ﴿علَى ما أنفَقَ فِيها﴾: في عمارة جنّته، ﴿وهِيَ خاوِيةٌ﴾: ساقطة ﴿علَى عُرُوشِها﴾: دعائمها للكرْم بأن سقطت ثم سقط الكرْمُ، ﴿ويَقُولُ: يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَنِي لم أُشرِكْ بِرَبِّيَ أحَدًا. ولَم تَكُنْ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿لَهُ فِئةٌ﴾: جماعة ﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ﴾ عِند هلاكها، ﴿وما كانَ مُنتَصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه.

(٤٤) ـ ﴿هُنالِكَ﴾ أي: يومَ القيامة ﴿الوَلايةُ﴾ بفتح الواو: النُّصرةُ، وبكسرها: المُلكُ ﴿لِلهِ الحَقُّ﴾ بالرفع: صفة الولاية، وبالجرّ: صفة الجلالة. ﴿هُوَ خَيرٌ ثَوابًا﴾ من ثواب غيره ـ لو كان يُثيب ـ ﴿وخَيرٌ عُقُبًا﴾ بضم القاف وسكونها: عاقبة للمؤمنين، ونصبُهما على التمييز.

(٤٥) ـ ﴿واضرِبْ﴾: صيِّر ﴿لَهُم﴾: لقومك ﴿مَثَلَ الحَياةِ الدُّنيا﴾: مفعولٌ أول ﴿كَماءٍ﴾: مفعولٌ ثانٍ، ﴿أنزَلْناهُ مِنَ السّماءِ، فاختَلَطَ بِهِ﴾: تكاثفَ بسبب نزول الماء ﴿نَباتُ الأرضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فرَوِيَ وحَسُن، ﴿فأصبَحَ﴾: صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾: يابسًا متفرّقة أجزاؤه،

﴿تبيد﴾: تهلكَ وتفنى وتخربَ. ﴿مُنقلباً﴾: مرْجعاً وعاقِبةً. ﴿لكنّا هو الله ربّي﴾: لكنْ أنا أقولُ: هوَ اللهُ ربِّي. ﴿حُسباناً﴾: عذاباً كالصَّواعقِ والآفاتِ. ﴿فتُصبح صعيداً زلقاً﴾: رمْلاً هائلاً أو أرضاً جُرُزاً لا نباتَ فيها يُزلَقُ عليها لِملاسَتِها. ﴿غوراً﴾: غائراً ذاهباً في الأرضِ. ﴿أحيط بثمره﴾: أُهلكَتْ أموالُهُ معَ جنَّتَيْهِ. ﴿يُقلّب كفّيه﴾: كِنايةٌ عنِ النَّدمِ والتَّحسُّرِ. ﴿خاوية على عُرُوشها﴾: ساقطةٌ على سُقوفِها الَّتي سَقطَتْ. ﴿الولاية لله﴾: النُّصرةُ لهُ تعالى وحدَهُ. ﴿خيرٌ عقباً﴾: عاقبةً لأوليائِهِ. ﴿هشيماً﴾: يابساً مُتفتِّتاً بعدَ نضارتِهِ. ﴿تذروه الرّياح﴾: تُفرِّقُهُ وتنسِفُهُ.

(١) ذكره بهذا اللفظ السمرقندي (٢/ ٣٤٧)، ورواه بنحوه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٦١)، وابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٧)، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وقال أبو الفتح الأزدي كما في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٧٦): لا يصح. ورواه ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٣) عن أنس رضي الله عنه موقوفًا.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿تَذْرُوهُ﴾: تنشره وتُفرّقه ﴿الرِّياحُ﴾ فتذهب به. المعنى: شَبِّهِ الدنيا بنَباتٍ حسَنٍ، فيبس فتكسّر، ففرّقته الرياح. وفي قراءةٍ «الرِّيحُ». ﴿وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ مُقتَدِرًا﴾: قادرًا.

﴿٤٦﴾ ـ ﴿المالُ والبَنُونَ زِينةُ الحَياةِ الدُّنيا﴾ يُتجمّل بهما فيها، ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ هي «سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ للهِ، ولا إلٰهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ»، وزاد بعضهم «ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلّا باللهِ»، ﴿خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوابًا، وخَيرٌ أمَلاً﴾ أي: ما يأمُله الإنسان ويرجوه عِند الله تعالى.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

﴿٤٧﴾ ـ ﴿٤٨﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نُسَيِّرُ الجِبالَ﴾: يُذهب بها عن وجه الأرض، فتصير هباءً مُنبثًّا ـ وفي قراءةٍ بالنون وكسر الياء ونصب «الجِبالَ» ـ ﴿وتَرَى الأرضَ بارِزَةً﴾: ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره، ﴿وحَشَرْناهُم﴾ المؤمنين والكافرين، ﴿فلَم نُغادِرْ﴾: نترك ﴿مِنهُم أحَدًا، وعُرِضُوا على رَبِّكَ صَفًّا﴾: حالٌ، أي: مُصطفّين كُلُّ أُمّة صفٌّ، ويقال لهم: ﴿لَقَد جِئتُمُونا كَما خَلَقْناكُم أوَّلَ مَرّةٍ﴾ أي: فُرادَى «حُفاةً عُراةً غُرْلاً»، ويقال لمُنكري البعث: ﴿بَل زَعَمتُم أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة، أي: أنّه ﴿لَن نَجعَلَ لَكُم مَوعِدًا﴾ للبعث.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿ووُضِعَ الكِتابُ﴾: كتابُ كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شِماله من الكافرين، ﴿فتَرَى المُجرِمِينَ﴾: الكافرينَ ﴿مُشفِقِينَ﴾: خائفِينَ ﴿مِمّا فِيهِ، ويَقُولُونَ﴾ عند مُعاينتهم ما فيه من السيّئات: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَتَنا﴾: هَلْكتَنا. وهو مصدر لا فعلَ له من لفظه. ﴿ما لِهٰذا الكِتابِ، لا يُغادِرُ صَغِيرةً ولا كَبِيرةً﴾ من ذُنوبنا ﴿إلّا أحصاها﴾: عدّها وأثبتها! تعجّبوا منه في ذلك. ﴿ووَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِرًا﴾: مُثبتًا في كِتابهم. ﴿ولا يَظلِمُ رَبُّكَ أحَدًا﴾: لا يُعاقبه بغير جُرم، ولا يَنقُص من ثواب مُؤمن.

﴿٥٠﴾ ـ ﴿وإذ﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لآدَمَ﴾ سُجودَ انحناءٍ لا وضعِ جبهةٍ تحيّةً له، ﴿فسَجَدُوا إلّا إبلِيسَ، كانَ مِنَ الجِنِّ﴾ ـ قيل: هم نوع من الملائكة، فالاستثناء مُتّصل. وقيل: هو منقطع، وإبليس أبو الجنّ فله ذُرّيّة ذُكرت معه بعدُ، والملائكة لا ذُرّيّة لهم ـ ﴿ففَسَقَ عَن أمرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السُّجود. ﴿أفتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ﴾ ـ الخِطاب لآدمَ وذُرّيّته، والهاء في الموضعين لإبليس ـ ﴿أولِياءَ مِن دُونِي﴾: تُطيعونهم، ﴿وهُم لَكُم عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء؟ حال. ﴿بِئسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً﴾ إبليسُ وذُرّيّته، في طاعتهم بدلَ طاعة الله!

﴿٥١﴾ ـ ﴿ما أشهَدتُهُم﴾ أي: إبليسَ وذُرّيّته ﴿خَلقَ السَّماواتِ والأرضِ، ولا خَلقَ أنفُسِهِم﴾ أي: لم أُحضِر بعضَهم خلقَ بعض، ﴿وما كُنتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ﴾: الشياطينِ ﴿عَضُدًا﴾: أعوانًا في الخلق. فكيف تُطيعونهم؟

﴿٥٢﴾ ـ ﴿ويَومَ﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿يَقُولُ﴾، بالياء والنون: ﴿نادُوا شُرَكائيَ﴾ الأوثانَ ﴿الَّذِينَ زَعَمتُم﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم. ﴿فدَعَوهُم فلَم يَستَجِيبُوا لَهُم﴾: لم يجيبوهم، ﴿وجَعَلْنا بَينَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَوبِقًا﴾: واديًا من أودية جهنّم يَهلِكون فيه جميعًا ـ وهو من: وَبَقَ بالفتح: هَلَكَ ـ ﴿٥٣﴾ ـ ﴿ورأى المُجرِمُونَ النّارَ، فظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أنَّهُم مُواقِعُوها﴾ أي: واقعون فيها، ﴿ولَم يَجِدُوا عَنها مَصرِفًا﴾: مَعدِلاً.

﴿بارزة﴾: ظاهرةً لا يسترُها شيءٌ. ﴿موعداً﴾: وقتاً لإنجازِنا الوعدَ بالبعثِ والجزاءِ. ﴿وُضع الكتاب﴾: صُحُفُ الأعمالِ في أيدي أصحابِها. ﴿مُشفقين﴾: خائفينَ وَجلينَ. ﴿يا ويلتنا﴾: يا هلاكَنا. ﴿لا يُغادر﴾: لا يترُكُ ولا يُبقي. ﴿أحصاها﴾: عدَّها وضبطَها وأثبتَها. ﴿اسجدوا لآدم﴾: سجودَ تحيَّةٍ وتعظيمٍ لا عبادةٍ. ﴿عضُداً﴾: أعواناً وأنصاراً. ﴿مَوْبقاً﴾: مهلِكاً يشتركونَ فيهِ وهوَ النَّارُ. ﴿مُواقعوها﴾: واقعونَ فيها أو داخلونَ فيها. ﴿مصرفاً﴾: معدلاً ومكاناً ينصرفونَ إليهِ.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ
وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا
أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟
لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ
مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا
لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤ ـ ﴿وَلَقَد صَرَّفْنا﴾: بيّنّا ﴿في هذا القُرآنِ لِلنّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صِفةٌ لمحذوف، أي: مَثلاً من جِنس كُلّ مَثل ليتّعظوا، ﴿وكانَ الإنسانُ﴾ أي: الكافر ﴿أكثَرَ شَيءٍ جَدَلاً﴾: خُصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم «كان» ـ المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه ـ ٥٥ ـ ﴿وما مَنَعَ النّاسَ﴾ أي: كفّار مكّة ﴿أن يُؤمِنُوا﴾: مفعول ثان، ﴿إذ جاءَهُمُ الهُدَى﴾: القُرآنُ، ﴿ويَستَغفِرُوا رَبَّهُم إلّا أن تأتِيَهُم سُنّةُ الأوَّلِينَ﴾: فاعلٌ، أي: سُنّتُنا فيهم، وهي الإهلاك المُقدّر عليهم، ﴿أو يأتِيَهُمُ العَذابُ قِبَلاً﴾: مقابلةً وعِيانًا ـ وهو القتل يومَ بدر. وفي قراءةٍ بضمّتينِ: جمعَ قَبيل، أي: أنواعًا ـ ٥٦ ـ ﴿وما نُرسِلُ المُرسَلِينَ إلّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿ومُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفينَ للكافرين، ﴿ويُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالباطِلِ﴾ بقولهم: «أبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً»؟ ونحوَه، ﴿لِيُدحِضُوا بِهِ﴾: ليُبطلوا بجِدالهم ﴿الحَقَّ﴾: القُرآنَ، ﴿واتَّخَذُوا آياتِي﴾ أي: القُرآنَ ﴿وما أُنذِرُوا﴾ به من النار ﴿هُزُوًا﴾ سُخريّة.

٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿ومَن أظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ، فأعرَضَ عَنها، ونَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾: ما عمل من الكُفر والمعاصي؟ ﴿إنّا جَعَلْنا عَلَى قُلُوبِهِم أكِنّةً﴾: أغطية، ﴿أن يَفقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القُرآن، أي: فلا يفهمونه، ﴿وفي آذانِهِم وَقْرًا﴾: ثِقَلاً فلا يسمعونه، ﴿وإن تَدعُهُم إلَى الهُدَى فلَن يَهتَدُوا إذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أبَدًا. ورَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحمةِ، لَو يُؤاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذابَ﴾ فيها. ﴿بَل لَهُم مَوعِدٌ﴾ ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿لَن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوئِلاً﴾: مَنجًى، من وَأَلَ: نَجا. ٥٩ ـ ﴿وتِلكَ القُرَى﴾ أي: أهلُها كعادٍ وثمودَ وغيرِهما ﴿أهلَكناهُم لَمّا ظَلَمُوا﴾: كفروا، ﴿وجَعَلنا لِمُهلَكِهِم﴾: لإهلاكهم ـ وفي قراءةٍ بفتح الميم، أي: لِهلاكهم ـ ﴿مَوعِدًا﴾.

٦٠ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى﴾ هو ابنُ عِمرانَ ﴿لِفَتاهُ﴾ يُوشَعَ بنِ نونٍ، كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العِلم: ﴿لا أبرَحُ﴾ لا أزال أسيرُ ﴿حَتَّى أبلُغَ مَجمَعَ البَحرَينِ﴾: مُلتقى بحرِ الروم وبحر فارس ممّا يلي المشرقَ، أي: المكانَ الجامعَ لذلك، ﴿أو أمضِيَ حُقُبًا﴾: دهرًا طويلاً في بُلوغه، إن بعُدَ. ٦١ ـ ﴿فَلَمّا بَلَغا مَجمَعَ بَينِهِما﴾ بينِ البحرَينِ ﴿نَسِيا حُوتَهُما﴾ نسيَ يُوشَعُ حملَه عند الرحيل، ونسيَ موسى تذكيره، ﴿فاتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ في البَحرِ﴾ أي: جَعَلَه بجَعلِ اللهِ ﴿سَرَبًا﴾ أي: مِثلَ السَّرَبِ. وهو الشَّقّ الطويل لا نفاذَ له. وذلك أنّ اللهَ أمسك عن الحوت جريَ الماء فانجابَ عنه، فبقيَ كالكُوّة لم يلتئم، وجَمَدَ ما تحته منه.

٦٢ ـ ﴿فَلَمّا جاوَزا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قالَ﴾ موسى ﴿لِفَتاهُ: آتِنا غَداءَنا﴾ هو ما يُؤكل أوّل النهار. ﴿لَقَد لَقِينا مِن سَفَرِنا هذا نَصَبًا﴾: تعبًا. وحصولُه بعد المُجاوزة. ٦٣ ـ ﴿قالَ: أرَأيتَ﴾ أي: تنبّهْ ﴿إذ أوَينا إلَى الصَّخرةِ﴾ بذلك المكان ﴿فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ ـ وما أنسانِيهِ إلّا الشَّيطانُ﴾، يُبدل من الهاء: ﴿أن أذكُرَهُ﴾ بدل اشتمال أي: أنساني ذِكرَه ـ ﴿واتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُ في البَحرِ عَجَبًا﴾ مفعول ثان، أي يَتعجّب منه موسى وفتاه لِما تقدّم في بيانه.

﴿صرّفنا﴾: كرّرْنا بأساليبَ مُختلفةٍ. ﴿كلّ مثل﴾: معنىً غريبٍ بديعٍ كالمثلِ في غرابتِهِ. ﴿سنّة الأوّلين﴾: عذابُ الاستئصالِ إذا لم يُؤمنوا. ﴿قُبُلاً﴾: أنواعاً وألواناً أو عِياناً ومقابلةً. ﴿لِيدحضوا﴾: لِيبطلوا ويُزيلوا. ﴿هُزواً﴾: استهزاءً وسُخريةً. ﴿أكنّة..﴾: أغطيةً كثيرةً مانعةً... ﴿وقراً﴾: صمماً وثقلاً في السَّمعِ عظيماً. ﴿موئلاً﴾: منجىً وملجأً ومخلصاً. ﴿لمَهلِكهم﴾: لهلاكِهم. ﴿لِفتاه﴾: يوشعَ بنِ نون. ﴿مجمع البحرين﴾: مُلتقاهُما. ﴿أمضي حُقباً﴾: أسيرَ زماناً طويلاً. ﴿سَرباً﴾: مسلكاً ومنفذاً.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن
تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

(٦٤) ـ ﴿قالَ﴾ موسى: ﴿ذلِكَ﴾ أي: فقدُنا الحوتَ ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿كُنَّا نَبغِي﴾: نطلبه. فإنه علامة لنا على وُجود من نطلبه. ﴿فارتَدّا﴾: رجَعا ﴿علَى آثارِهِما﴾ يقُصّانها ﴿قَصَصًا﴾، فأتيا الصخرة، (٦٥) ـ ﴿فوَجَدا عَبدًا مِن عِبادِنا﴾ هو الخَضِر، ﴿آتيناهُ رَحْمةً مِن عِندِنا﴾ نُبوّةً في قولٍ، وولايةً في آخرَ وعليه أكثر العلماء، ﴿وعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا﴾: من قِبَلِنا ﴿عِلمًا﴾: مفعولٌ ثان، أي: معلومًا من المُغيَّبات.

روى البخاريّ حديثَ «أنّ مُوسى قامَ خَطِيبًا في بَنِي إسرائيلَ فسُئلَ: أيُّ النّاسِ أعلَمُ؟ فقالَ: أنا. فعتَبَ اللهُ علَيهِ، إذ لم يَرُدَّ العِلمَ إليه، فأوحَى اللهُ إلَيهِ: إنّ لِي عَبدًا بِمَجمَعِ البَحرَينِ، هُوَ أعلَمُ مِنكَ قالَ مُوسَى: يا رَبِّ، فكَيفَ لِي بِهِ؟ قالَ: تأخُذُ مَعَكَ حُوتًا فتَجعَلُهُ في مِكتَلٍ. فحَيثُما فقَدتَ الحُوتَ فهوَ ثَمَّ. فأخَذَ حُوتًا فجَعَلَهُ في مِكتَلٍ، ثُمّ انطَلَقَ وانطَلَقَ مَعَهُ فَتاهُ يُوشَعُ بنُ نُونٍ حَتّى أتَيا الصَّخرةَ، ووَضَعا رُؤوسَهُما فناما.

واضطَرَبَ الحُوتُ في المِكتَلِ، فخَرَجَ مِنهُ، فسَقَطَ في البَحرِ، فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحرِ سَرَبًا. وأمسَكَ اللهُ عَنِ الحُوتِ جِريةَ الماءِ، فصارَ علَيهِ مِثلَ الطّاقِ. فلمّا استَيقَظَ نَسِيَ صاحِبُه أن يُخبِرَهُ بالحُوتِ، فانطَلَقا بَقِيّةَ يَومِهِما ولَيلَتِهِما. حَتّى إذا كانا مِنَ الغَداةِ قالَ مُوسَى لِفَتاهُ: آتِنا غَداءَنا، إلى قوله: «واتّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحرِ عَجَبًا». قالَ: وكانَ لِلحُوتِ سَرَبًا، ولِمُوسَى ولفَتاهُ عَجَبًا»[1] إلى آخره.

(٦٦) ـ ﴿قالَ لَهُ مُوسَى: هَل أتَّبِعُكَ علَى أن تُعَلِّمَنِي مِمّا عُلِّمتَ رَشَدًا﴾ أي: صوابًا أُرشَدُ به؟ وفي قراءةٍ بضمّ الراء وسكون الشين. وسأله ذلك لأنّ الزيادة في العِلم مطلوبة (٦٧) ـ (٦٨) ـ ﴿قالَ: إنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرًا. وكَيفَ تَصبِرُ علَى ما لَم تُحِطْ بِهِ خُبرًا﴾؟ في الحديث السابق عقِبَ هذه الآيةِ: «يا مُوسَى. إنّي علَى عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلّمَنِيهِ لا تَعلَمُهُ، وأنتَ علَى عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلّمَكَهُ اللهُ لا أعلَمُهُ». وقوله «خُبرًا» مصدر لمعنى «لم تُحِط» أي: لم تَخبُر حقيقتَه.

(٦٩) ـ ﴿قالَ: ستَجِدُنِيَ، إن شاءَ اللهُ، صابِرًا ولا أعصِي﴾ أي: وغيرَ عاصٍ ﴿لَكَ أمرًا﴾ تأمرني به. وقيّد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثِقة من نفسه فيما التزمَ. وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألّا يثقوا إلى أنفسهم طَرْفةَ عين. (٧٠) ـ ﴿قالَ: فإنِ اتَّبَعتَنِي فلا تَسألْنِي﴾ ـ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ـ ﴿عَن شَيءٍ﴾ تُنكره منّي في عِلمك، واصبرْ ﴿حَتَّى أُحدِثَ لَكَ مِنهُ ذِكرًا﴾ أي: أذكرَه لك بعِلّته. فقبل مُوسَى شرطه رعايةً لأدب التعلّم من العالِم.

(٧١) ـ ﴿فانطَلَقا﴾ أي: يمشيانِ على ساحل البحر ﴿حَتَّى إذا رَكِبا في السَّفِينةِ﴾ التي مرّت بهما ﴿خَرَقَها﴾ الخَضِرُ بأن اقتلع لوحًا أو لوحين منها من جِهة البحر بفأس لمّا بلغَتِ اللُّجَّ. ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أخَرَقتَها لِتُغرِقَ أهلَها﴾؟ وفي قراءةٍ بفتح التحتانيّةِ والراءِ ورفع «أهلُها». ﴿لَقَد جِئتَ شَيئًا إمرًا﴾، أي: عظيمًا مُنكرًا. رُوي أنّ الماء لم يدخلها. (٧٢) ـ (٧٣) ـ ﴿قالَ: ألَم أقُلْ: إنَّكَ لَن تَستَطِيعَ مَعِيَ صَبرًا؟ قالَ: لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ﴾ أي: غفَلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك، ﴿ولا تُرهِقْنِي﴾: تُكلّفْني ﴿مِن أمرِي عُسْرًا﴾: مشقّة في صُحبتي إياك، أي: عاملني فيها بالعفو واليُسر. (٧٤) ـ ﴿فانطَلَقا﴾ بعد خُروجهما من السفينة يمشيان. ﴿حَتَّى إذا لَقِيا غُلامًا﴾ لم يبلغ الحِنثَ، يلعبُ مع الصِّبيان أحسنَهم وجهًا، ﴿فقَتَلَهُ﴾ الخَضِر بأن ذبحه بالسكّين مُضطجِعًا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوالٌ ـ وأتَى هنا بالفاء العاطفة لأنّ القتل عقب اللُّقيّ ـ وجواب «إذا»: ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿أقَتَلتَ نَفسًا زاكِيةً﴾ أي: طاهرة لم تبلغ حدّ التكليف ـ وفي قراءة «زَكِيّةً» بتشديد الياء بلا ألف ـ ﴿بِغَيرِ نَفسٍ﴾ أي: لم تقتلْ نفسًا؟ ﴿لَقَد جِئتَ شَيئًا نُكْرًا﴾ بسكونِ الكاف وضمِّها أي: منكَرًا.

﴿نصَباً﴾: تعباً وشدَّةً وإعياءً. ﴿أرأيت﴾: أخبِرْني. أو تنبَّهْ وتذكَّرْ. ﴿أوينا﴾: التجأْنا. ﴿عجباً﴾: سبيلاً أو اتِّخاذاً يُتعجَّبُ منهُ. ﴿ماكنّا نبغِ﴾: الَّذي كنَّا نطلُبُهُ ونَلتمسُهُ. ﴿فارتدّا على آثارهما﴾: رجعَا على طريقِهِما الَّذي جاءا منهُ. ﴿قصصاً﴾: يقصَّانِ آثارَهُما ويتَّبعانِها اتِّباعاً. ﴿عبْداً﴾: الخضرَ عليهِ السَّلامُ. ﴿رُشداً﴾: صواباً. أو إصابةَ خيْرٍ. ﴿خُبراً﴾: علماً ومعرفةً. ﴿شيئاً إمراً﴾: أمراً عظيماً مُنكراً أو عجباً. ﴿لا تُرهقني﴾: لا تغشني ولا تُحمِّلْني. ﴿عُسراً﴾: صُعوبةً ومشقَّةً. ﴿شيئاً نُكراً﴾: مُنكراً فظيعاً جدّاً.

(١) البخاري (١٢٢) و(٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٥ قَالَ إِن
سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا
٧٦ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ
قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي
وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ
أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩ وَأَمَّا
ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا
وَكُفۡرٗا ٨٠ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ
رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن
يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ
وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢
وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣

الجزء ١٦ الحزب ٣١

٧٥ ـ ﴿قالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؟ زاد «لك» على ما قبله لعدم العذر هنا. ولهذا ٧٦ ـ ﴿قالَ: إن سألتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَها﴾ أي: بعد هذه المرّة ﴿فلا تُصاحِبْني﴾: لا تتركْني أتبعُك. ﴿قَد بَلَغتَ مِن لَدُنّي﴾، بالتشديد والتخفيف: من قِبَلي ﴿عُذْرًا﴾ في مُفارقتك لي.

٧٧ ـ ﴿فانطَلَقا. حَتّى إذا أتَيا أهلَ قَرْيَةٍ﴾ ـ هي أنطاكيةُ ـ ﴿استطعَما أهلَها﴾: طلبا منهم الطعام ضيافةً، ﴿فأبَوا أن يُضَيِّفُوهُما، فوَجَدا فِيها جِدارًا﴾ ارتفاعُه مِائة ذراع، ﴿يُرِيدُ أن يَنقَضَّ﴾ أي: يقرُبُ أن يسقط لميلانه، ﴿فأقامَهُ﴾ الخَضِر بيده. ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿لَو شِئتَ لَتَخِذتَ﴾ ـ وفي قراءة: «لاتَّخَذْتَ» ـ ﴿عَلَيهِ أجرًا﴾: جُعْلاً حيثُ لم يُضيّفونا مع حاجتنا إلى الطعام. ٧٨ ـ ﴿قالَ﴾ له الخَضِر: ﴿هذا فِراقُ﴾ أي: وقتُ فراقِ ﴿بَيني وبَينِكَ﴾. فيه إضافة «بين» إلى غير متعدّد، سوّغها تكريره بالعطف بالواو. ﴿سأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿بتأويلِ ما لَم تَستطِعْ عليهِ صَبرًا﴾.

٧٩ ـ ﴿أمّا السَّفِينةُ فكانَتْ لِمَساكِينَ﴾ عشرة، ﴿يَعمَلونَ في البَحرِ﴾ بها مُؤاجرةً لها طلبًا للكسب، ﴿فأردتُ أن أعِيبَها، وكانَ وراءَهُم﴾ إذا رجعوا أو أمامَهم الآنَ ﴿مَلِكٌ﴾ كافر، ﴿يأخُذُ كُلَّ سَفِينةٍ﴾ صالحةٍ ﴿غَصْبًا﴾. نصبُه على المصدر المُبيّن لنوع الأخذ.

٨٠ ـ ﴿وأمّا الغُلامُ فكانَ أبَواهُ مُؤمِنَينِ، فخَشِينا أن يُرهِقَهُما طُغيانًا وكُفرًا﴾ ـ فإنه كما في حديث مُسلم طُبع كافرًا، ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبّتهما له يتبعانه في ذلك ـ ٨١ ـ ﴿فأرَدْنا أن يُبَدِّلَهُما﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿رَبُّهُما خَيرًا مِنهُ زَكاةً﴾ أي: صلاحًا وتُقًى ﴿وأقرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾، بسكون الحاء وضمّها، أي: رحمةً. وهي البِرّ بوالديه. فأبدلهما تعالى جارية تزوّجتْ نبيًّا، فولدتْ نبيًّا فهدى الله ـ تعالى ـ به أُمّةً.

٨٢ ـ ﴿وأمّا الجِدارُ فكانَ لِغُلامَينِ يَتِيمَينِ في المَدِينةِ، وكانَ تَحتَهُ كَنزٌ﴾: مال مدفون من ذهب وفضّة ﴿لَهُما، وكانَ أبُوهُما صالِحًا﴾ فحُفِظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما، ﴿فأرادَ رَبُّكَ أن يَبلُغا أشُدَّهُما﴾ أي: إيناسَ رُشدهما، ﴿ويَستَخرِجا كَنزَهُما، رَحمةً مِن رَبِّكَ﴾: مفعول له عامله «أراد». ﴿وما فَعَلْتُهُ﴾، أي: ما ذُكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، ﴿عَن أمرِي﴾ أي: اختياري، بل بأمر إلهام من الله. ﴿ذلِكَ تأوِيلُ ما لَم تَسطِعْ عليهِ صَبرًا﴾. يقال: اسطاعَ واستَطاعَ بمعنى: أطاقَ. ففي هذا وما قبلَه جمعٌ بين اللغتين. ونُوِّعَتِ العبارة في: فأردتُ، فأردنا، فأرادَ رَبُّكَ.

٨٣ ـ ﴿ويَسألُونَكَ﴾ أي: اليهودُ ﴿عَن ذِي القَرنَينِ﴾[1]، اسمه الإسكندر، ولم يكن نبيًّا. ﴿قُلْ: سأتلُو﴾: سأقُصُّ ﴿عَلَيكُم مِنهُ﴾: من حاله ﴿ذِكرًا﴾: خبرًا.

٨٤ ـ ﴿إنّا مَكَّنّا لَهُ في الأرضِ﴾ بتسهيل السير فيها، ﴿وآتيناهُ مِن كُلِّ شَيءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾: طريقًا يُوصله إلى مُراده، ٨٥ ـ ﴿فأتبَعَ سَبَبًا﴾: سلك طريقًا نحو المَغرِب.

٨٦ ـ ﴿حَتّى إذا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمسِ﴾: موضع غُروبها ﴿وَجَدَها تَغرُبُ في عَينٍ حَمِئَةٍ﴾: ذات حمْأة، وهي الطين الأسود ـ وغروبها في العَين في رأيِ العين. وإلّا فهي أعظم من الدنيا ـ ﴿ووَجَدَ عِندَها﴾ أي: العَينِ ﴿قَومًا﴾ كافرين. ﴿قُلْنا: يا ذا القَرنَينِ﴾ بإلهام، ﴿إمّا أن تُعذِّبَ﴾ القومَ

﴿فأبَوْا﴾: فامتنعوا. ﴿ينْقضّ﴾: ينهدمَ ويسقطَ بسرعةٍ. ﴿بتأويل..﴾: بمآلٍ وعاقبةٍ... ﴿وراءهم﴾: أمامَهُم وبينَ أيديهِم. ﴿غَصباً﴾: استلاباً بغيرِ حقٍّ. ﴿يُرهقهما﴾: يُكلِّفَهُما أو يُغشيَهُما. ﴿زكاة﴾: طهارةً مِنَ السُّوءِ أو دِيناً وصلاحاً. ﴿أقرب رُحماً﴾: رحمةً عليهِما وبرّاً بهِما. ﴿يبلغا أشدّهما﴾: قوّتَهُما وشدَّتَهُما وكمالَ عقلِهِما. ﴿ذي القرنين﴾: ملكٍ صالحٍ أُعطيَ العلمَ والحكمةَ.

(١) عن قتادة: سألتِ اليهودُ النبيَّ ﷺ عن ذي القرنين، فأنزل الله: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾. «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٠١)، والواحدي (ص: ٢٩٨).

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ
أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن
تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي
بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ
بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ
قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

بالقتل، ﴿وإمّا أن تَتَّخِذَ فِيهِم حُسنًا﴾ بالأسر. (٨٧) ـ ﴿قالَ: أمّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشِّرك ﴿فسَوفَ نُعَذِّبُهُ﴾: نقتله، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إلَى رَبِّهِ، فيُعَذِّبُهُ عَذابًا نُكْرًا﴾، بسكون الكاف وضمّها أي: شديدًا في النار، (٨٨) ـ ﴿وأمّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا فلَهُ جَزاءُ الحُسنَى﴾ أي: الجنّةُ ـ والإضافةُ للبيان. وفي قراءةٍ بنصبِ «جَزاءً» وتنوينِه. قال الفراء: نصبُه على التفسير، أي: لجهة النِّسبة ـ ﴿وسَنَقُولُ لَهُ مِن أمرِنا يُسْرًا﴾ أي: نأمره بما يسهُل عليه.

(٨٩) ـ ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ نحو المَشرِق. (٩٠) ـ ﴿حَتَّى إذا بَلَغَ مَطلِعَ الشَّمسِ﴾: موضعَ طُلوعها ﴿وَجَدَها تَطلُعُ علَى قَومٍ﴾ هم الزَّنج، ﴿لَم نَجعَلْ لَهُم مِن دُونِها﴾ أي: الشمسِ ﴿سِترًا﴾ من لباس ولا سقف لأنّ أرضهم لا تحمل بناء، ولهم سُروب يغيبون فيها عِند طُلوع الشمس، ويظهرون عِند ارتفاعها. ﴿كَذلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما قلنا. (٩١) ـ ﴿وقَد أحَطْنا بِما لَدَيهِ﴾ أي: عِندَ ذي القرنينِ من الآلات والجُند وغيرهما ﴿خُبْرًا﴾: عِلمًا.

(٩٢) ـ (٩٣) ـ ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إذا بَلَغَ بَينَ السَّدَّينِ﴾، بفتح السين وضمّها هنا وبعدُ: هما جبلان بمُنقطَع بلاد الترك، سدّ الإسكندر ما بينهما كما سيأتي، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِما﴾ أي: أمامَهما ﴿قَومًا، لا يَكادُونَ يَفقَهُونَ قَولاً﴾ أي: لا يَفهمونه إلّا بعد بُطء. وفي قراءةٍ بضمّ الياء وكسر القاف. (٩٤) ـ ﴿قَالُوا: يا ذا القَرنَينِ، إنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ﴾ ـ بالهمز وتركه، هما اسمان أعجميّان لقبيلتين فلم ينصرفا ـ ﴿مُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالنهب والبغي عند خُروجهم إلينا. ﴿فهَل نَجعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: جُعلاً من المال ـ وفي قراءة: «خَراجًا» ﴿علَى أن تَجعَلَ بَينَنا وبَينَهُم سَدًّا﴾ حاجزًا، فلا يَصِلون إلينا؟.

(٩٥) ـ ﴿قالَ: ما مَكَّنِّي﴾ ـ وفي قراءة بنونين من غير إدغام ـ ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيرٌ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي. فلا حاجة بي إليه، وأجعلُ لكم السدّ تبرّعًا. ﴿فأعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لِما أطلبه منكم، ﴿أجعَلْ بَينَكُم وبَينَهُم رَدْمًا﴾: حاجزًا حصينًا.

(٩٦) ـ ﴿آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ﴾: قِطَعه على قَدْر الحِجارة التي يُبنى بها. فبنى بها وجعل بينها الحطبَ والفحم. ﴿حَتَّى إذا ساوَى بَينَ الصُّدُفَينِ﴾ ـ بضمِّ الحرفين وفتحِهما، وضمِّ الأول وسكونِ الثاني ـ أي: جانبَي الجبلين بالبناء، ووَضع المَنافخَ والنار حول ذلك، ﴿قالَ: انفُخُوا﴾، فنفخوا. ﴿حَتَّى إذا جَعَلَهُ﴾ أي: الحديدَ ﴿نارًا﴾ أي: كالنار ﴿قالَ: آتُونِيَ، أُفرِغْ علَيهِ قِطْرًا﴾ هو النحاس المُذاب، تنازعَ فيه الفعلان، وحُذف من الأوّل لِإعمال الثاني.

فأفرَغَ النحاسَ المُذاب على الحديد المُحمَى، فدخل بين زُبَرِه فصارا شيئًا واحدًا. (٩٧) ـ ﴿فما اسطاعُوا﴾ أي: يأجوجُ ومأجوج ﴿أن يَظهَرُوهُ﴾: يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته، ﴿وما استَطاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾: خَرقًا لصلابته وسُمكه.

(٩٨) ـ ﴿قالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هذا﴾ أي السدُّ، أي: الإقدارُ عليه ﴿رَحمَةٌ مِن رَبِّي﴾: نِعمةٌ لأنه مانع من خُروجهم. ﴿فإذا جاءَ وَعدُ رَبِّي﴾ بخُروجهم القريبِ من البعثِ ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: مَدكوكًا مبسوطًا. ﴿وكانَ وَعدُ رَبِّي﴾ بخُروجهم وغيرِه ﴿حَقًّا﴾: كائنًا.

(٩٩) ـ (١٠٠) ـ (١٠١) ـ قال تعالى: ﴿وتَرَكْنا بَعضَهُم يَومَئِذٍ﴾: يومَ خُروجهم ﴿يَمُوجُ في بَعضٍ﴾: يختلط به لكثرتهم، ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ أي: القرنِ للبعث، ﴿فجَمَعْناهُم﴾ أي: الخلائقَ في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمعًا، وعَرَضْنا﴾: قرّبنا ﴿جَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لِلكافِرِينَ عَرضًا، الَّذِينَ كانَتْ أعيُنُهُم﴾: بدلٌ من «الكافرين» ﴿في غِطاءٍ عَن ذِكرِي﴾ أي: القُرآنِ ـ فهم عُميٌ لا يهتدون به ـ ﴿وكانُوا لا يَستَطِيعُونَ سَمعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبيّ ما يتلو عليهم بُغضًا له، فلا يؤمنون به.

﴿سبباً﴾: علماً وطريقاً يُوصِّلُهُ إليهِ. ﴿فأتبَعَ سبباً﴾: سلكَ طريقاً يُوَصِّلُهُ إلى المغربِ. ﴿تغرُب في عين﴾: بحسَبِ رأيِ العينِ. ﴿حَمِئة﴾: ذاتِ حمأةٍ (الطِّينِ الأسودِ). ﴿حسناً﴾: هوَ الدَّعوةُ إلى الحقِّ والهدى. ﴿عذاباً نكراً﴾: منكراً فظيعاً. ﴿سِتراً﴾: ساتراً مِنَ اللِّباسِ والبناءِ. ﴿خُبرا﴾: علماً شاملاً. ﴿السَّدّين﴾: جبلَينِ مُنيفَينِ. ﴿يأجوج ومأجوج﴾: قبيلتَينِ مِن ذرِّيَّةِ يافثِ بنِ نوحٍ. ﴿خَرْجاً﴾: جُعلاً مِنَ المالِ تستعينُ بهِ في البناءِ. ﴿سدّاً﴾: حاجزاً فلا يصلونَ إلينا. ﴿ردْماً﴾: حاجزاً حصيناً متيناً. ﴿زُبر الحديد﴾: قِطعَهُ العظيمةَ الضَّخمةَ. ﴿الصّدفين﴾: جانبَي الجبلَينِ. ﴿قِطراً﴾: نُحاساً مُذاباً. ﴿يظْهروه﴾: يعلوا على ظهرِهِ لارتفاعِهِ. ﴿نقباً﴾: خرقاً وثقباً لصلابتِهِ وثخانتِهِ.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا
﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا
﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ
بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ
ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ
أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

(١٠٢) ـ ﴿أفحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أن يَتَّخِذُوا عِبادِي﴾ أي: ملائكتي وعِيسَى وعُزيرًا ﴿مِن دُونِيَ أَولِياءَ﴾: أربابًا؟ مفعول ثان لـ «يتّخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف. المعنى: أظنّوا أنّ الاتّخاذ المذكور لا يُغضِبني ولا أُعاقبهم عليه؟ كلّا. ﴿إنّا أعتَدْنا جَهَنَّمَ لِلكافِرينَ﴾ هؤلاء وغيرِهم ﴿نُزُلاً﴾ أي: هي مُعدّة لهم كالمَنزِلِ المُعدّ للضيف.

ربع الحزب ٣١

(١٠٣) ـ ﴿قُلْ: هَل نُنَبِّئُكُم بِالأخسَرِينَ أعمالاً﴾ تمييزٌ طابَقَ المُميَّزَ، وبيَّنهم بقوله:

(١٠٤) ـ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾: بَطَلَ عملهم، ﴿وهُم يَحسِبُونَ﴾: يظنّون ﴿أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا﴾: عملاً، يُجازَون عليه؟

(١٠٥) ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِم﴾: بدلائل توحيده من القُرآن وغيره ﴿ولِقائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحِساب والثواب والعِقاب، ﴿فحَبِطَتْ أعمالُهُم﴾: بَطَلَتْ، ﴿فلا نُقِيمُ لَهُم يَومَ القِيامةِ وَزنًا﴾ أي: لا نجعل لهم قدرًا ـ (١٠٦) ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذكرتُ من حُبوطِ أعمالهم وغيرِه ـ وابتدأ: ﴿جَزاؤُهُم جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا، واتَّخَذُوا آياتِي ورُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: مهزوءًا بهما. (١٠٧) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُم﴾ في عِلم الله ﴿جَنّاتُ الفِردَوسِ﴾ هو وسَط الجنّة وأعلاها ـ والإضافة إليه للبيان ـ ﴿نُزُلاً﴾ منزلاً، (١٠٨) ـ ﴿خالِدِينَ فِيها، لا يَبغُونَ﴾: يطلبون ﴿عَنها حِوَلاً﴾ تحوّلاً إلى غيرها.

(١٠٩) ـ ﴿قُلْ: لَو كانَ البَحرُ﴾[1] أي: ماؤه ﴿مِدادًا﴾، هو ما يُكتب به، ﴿لِكَلِماتِ رَبِّي﴾ الدالّة على حِكَمه وعجائبه بأن تُكتب به ﴿لَنَفِدَ البحرُ﴾ في كتابتها، ﴿قَبلَ أن تَنفَدَ﴾، بالتاء والياء: تَفرُغَ ﴿كَلِماتُ رَبِّي، ولَو جِئْنا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحرِ ﴿مَدَدًا﴾ زيادةً فيه لنفِدَ إذًا، ولم تَفرُغ هي ونصبُه على التمييز.

(١١٠) ـ ﴿قُلْ: إنَّما أنا بَشَرٌ﴾ آدميّ ﴿مِثلُكُم، يُوحَى إلَيَّ أَنَّما إلٰهُكُم إلٰهٌ واحِدٌ﴾. أنّ: المكفوفةُ بـ «ما» باقيةٌ على مصدريّتها. والمعنى: يُوحَى إليَّ وحدانيّةُ الإلٰه. ﴿فمَن كانَ يَرجُو﴾: يأمُلُ ﴿لِقاءَ رَبِّهِ﴾[2] بالبعث والجزاء ﴿فلْيَعمَلْ عَمَلاً صالِحًا، ولا يُشرِكْ بِعِبادةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يُرائيَ ﴿أحَدًا﴾.

* * *

﴿جعله دكّاء﴾: مدكوكاً مُسوّىً بالأرضِ. ﴿يموج﴾: يختلطُ ويضطربُ. ﴿نُفخ في الصّور﴾: نفخة البعثِ. ﴿غِطاء﴾: غشاءٍ غليظٍ وسترٍ كثيفٍ. ﴿نُزلاً﴾: منزلاً أو شيئاً يتمتّعونَ بِهِ. ﴿وزناً﴾: مقدراً واعتباراً لحبوطِ أعمالِهم. ﴿الفردوس﴾: أعلى الجنّةِ وأوسطِها وأفضلِها. ﴿حِولاً﴾: تحوُّلاً وانتقالاً. ﴿مِداداً﴾: هوَ المادّةُ الّتي يكتبُ بها. ﴿لِكلِمات ربّي﴾: معلوماتِهِ وحكمتِهِ تعالى. ﴿لَنَفِدَ البحر﴾: فنيَ وفَرَغَ. ﴿مَدَدًا﴾: عوناً وزيادةً.

(١) عن ابن عباسٍ: قالت قريشٌ لليهود: أعطونا شيئًا نَسألُ عنه هذا الرجلَ، فقالوا: سَلُوه عن الرُّوح، فسألوه، فنزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالوا: أُوتينا علمًا كثيرًا، أُوتينا التوراة، ومَن أُوتي التوراةَ، فقد أُوتي خيرًا كثيرًا، قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾. أحمد (٢٣٠٩)، والترمذي (٣١٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٦١) وصححه، وكذا الترمذي قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنّها نزلت في جُندبِ بن زهيرٍ، قال: إنِّي أعمل العملَ لله، فإذا اطُّلِع عليه سرَّني، فقال عليه السّلام: «إنَّ الله طيِّبٌ لا يَقبلُ إلاَّ الطَّيِّبَ، ولا يقبلُ ما شُورِكَ فيه» فأنزلَ الله هذه الآية. الثعلبي (١٧/ ٣٠٦)، والواحدي (ص: ٢٩٢)، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣١٣): «غريب». وهي كلمة يقولها لما لم يجده، وقد رواه بنحوه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٥٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٠٤)، من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح [وهي سلسلة الكذب] عن ابن عباس. وعن طاوسٍ: قال رجلٌ: يا نبيَّ الله، إنِّي أحبُّ الجهاد في سبيل الله، وأحبُّ أن يُرى مكاني، فأنزل الله هذه الآية. عبد الرزاق (١٧٢٨)، والطبري (١٥/ ٤٤٠)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٩٤). ووصله الحاكم (٢٥٢٧) ـ وصححه ـ عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي إسناده نعيم بن حماد وهو ضعيف، وقد خالفه عبدان فأرسله، وعبدان ثقة. انظر: «إتحاف المهرة» (٧/ ٣٠٢). مجاهدٌ: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ عليه السَّلام فقال: إنِّي أتصدَّقُ وأَصِلُ الرَّحِم، ولا أصنعُ ذلك إلَّا لله، فيُذكَرُ ذلك منِّي وأُحمدُ عليه فيَسرُّني ذلك وأُعجب به، فسكت ولم يقل شيئًا، فأنزل الله: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربّه﴾ الآية. وكيع في «الزهد» (٢٤٦)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٣٥)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١١٥).

سورة مريم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ
نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى
وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا
﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ
ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ
رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ
ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

١٩

سُورَةُ مَرْيَم

مكية أو إلّا سجدتَها فمدنية، أو إلاّ «فخلف من بعدهم خلف» الآيتين فمدنيتان، وهي ثمانٍ أو تسعٌ وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿كهيعص﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿٢﴾ ـ هذا ﴿ذِكرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾: مفعولُ «رحمة» ﴿زَكَرِيّا﴾: بيانٌ له،

﴿٣﴾ ـ ﴿إذ﴾: مُتعلّق بـ«رحمة» ﴿نادَى رَبَّهُ نِداءً﴾ مُشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾: سِرًّا جوفَ الليل لأنه أسرعُ للإجابة، ﴿٤﴾ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، إنِّي وَهَنَ﴾: ضعُفَ ﴿العَظمُ﴾ جميعُه ﴿مِنِّي، واشتَعَلَ الرَّأسُ﴾ منّي ﴿شَيبًا﴾: تمييزٌ محوّل من الفاعل، أي: انتشر الشيب في شعري كما ينتشر شُعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوَك، ﴿ولَم أكُنْ بِدُعائِكَ﴾ أي: بدعائي إيّاك ـ ﴿رَبِّ ـ شَقِيًّا﴾ أي: خائبًا فيما مضى. فلا تُخيّبْني فيما يأتي.

﴿٥﴾ ـ ﴿وإنِّي خِفتُ المَوالِيَ﴾ أي: الذين يلونـي في النسب كبني العـمّ، ﴿مِن وَرائِي﴾ أي: بعدِ موتي، على الدِّين أن يُضيِّعوه كما شاهدتُه في بني إسرائيلَ من تبديل الدِّيـن، ﴿وكانَتِ امرأتِي عاقِرًا﴾: لا تلدُ. ﴿فَهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ﴾: من عِنـدك ﴿وَلِيًّا﴾: ابنًا، ﴿٦﴾ ـ ﴿يَرِثُني﴾ ـ بالجزم: جوابُ الأمر، وبالرفع: صفةُ «وليًا» ـ ﴿ويَرِثُ﴾، بالوجهين، ﴿مِن آلِ يَعقُوبَ﴾ جدّي العلمَ والنبوّةَ، ﴿واجعَلْهُ ـ رَبِّ ـ رَضِيًّا﴾ أي: مَرْضيًّا عِندك.

قال تعالى في إجابة طلبه الابنَ الحاصلَ به رحمتُه: ﴿٧﴾ ـ ﴿يا زَكَرِيّاءُ، إنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ﴾ يرِثُ كما سألتَ، ﴿اسمُهُ يَحيَى، لَم نَجعَلْ لَهُ مِن قَبلُ سَمِيًّا﴾ أي: مُسمًّى يحيى. ﴿٨﴾ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، أنّى﴾: كيفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلامٌ، وكانَتِ امرأتِي عاقِرًا، وقَد بَلَغتُ مِنَ الكِبَرِ عُتِيًّا﴾؟ من عتا: يَبِس، أي: نهايةَ السنّ مِائَةً وعشرين سنة، وقد بلغَتِ امرأتُه ثمانيَ وتسعين سنة. وأصل عُتِيّ «عُتُوُوٌ» كُسرَتِ التاء تخفيفًا، وقُلبَتِ الواوُ الأُولى ياء لمُناسبة الكسرة، والثانيةُ ياء لتُدغم فيها الياء. ﴿٩﴾ ـ ﴿قالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذلِكَ﴾ من خلق غلام منكما. ﴿قالَ رَبُّكَ: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن أردَّ عليك قُوّة الجِماع وأفتقَ رَحِم امرأتك للعُلوق. ﴿وقَد خَلَقتُكَ مِن قَبلُ، ولَم تَكُ شَيئًا﴾ قبلَ خلقك. ولإظهار الله هذه القُدرةَ العظيمة ألهمه السؤال، ليُجاب بما يدلّ عليها.

ولمّا تاقت نفسه إلى سُرعة المُبشَّر به ﴿١٠﴾ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، اجعَلْ لِيَ آيَةً﴾ أي: علامةً على حمل امرأتي. ﴿قالَ: آيَتُكَ﴾ عليه ﴿ألاّ تُكَلِّمَ النّاسَ﴾ أي: تمتنعَ من كلامهم بخِلاف ذكر الله ـ تعالى ـ ﴿ثَلاثَ لَيالٍ﴾ أي: بأيامها كما في آل عمران «ثلاثةَ أيّامٍ» ﴿سَوِيًّا﴾: حالٌ من فاعل «تُكلّم» أي: بِلا عِلّة. ﴿١١﴾ ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَومِهِ مِنَ المِحرابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه ليُصلّوا فيه بأمره على العادة، ﴿فأوحَى﴾: أشار ﴿إلَيهِم: أن سَبِّحُوا﴾: صلّوا ﴿بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾: أوائلَ النهار وأواخرَه على العادة. فعَلم بمنعه من كلامهم حَملَها بيحيى.

﴿نداءً خفياً﴾: دعاءً مستوراً لم يسمعْهُ أحدٌ. ﴿وهَنَ العظم﴾: ضَعُـفَ ورَقَّ. ﴿شقيًّا﴾: خائباً في وقتٍ ما. ﴿خفت الموالي﴾: أقاربي العَصَبَةَ وكانوا شرارَ اليهودِ. ﴿وليًّا﴾: ابناً يلي الأمرَ بعدي. ﴿رضيًّا﴾: مرضيّاً عندَكَ قولاً وفعلاً. ﴿أنّى يكون؟﴾: كيفَ أو مِن أينَ يكونُ ؟. ﴿عتيًّا﴾: حالةً لا سبيلَ إلى مُداواتِها. ﴿آية﴾: علامةً على تحقُّقِ المسؤولِ لأشكرَكَ. ﴿سويًّا﴾: سليماً لا خرسَ بكَ ولا علَّةَ. ﴿من المحراب﴾: المُصلَّى أوِ الغرفةِ الَّتي يتعبَّدُ فيها. ﴿بُكرة وعشيًّا﴾: طرفَي النَّهارِ.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى
غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ
مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له: ﴿١٢﴾ - ﴿يا يَحيى، خُذِ الكِتابَ﴾ أي: التوراةَ ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجِدّ. ﴿وآتيناهُ الحُكمَ﴾: النبوّة ﴿صَبِيًّا﴾: ابن ثلاث سنين، ﴿١٣﴾ - ﴿وحنانًا﴾: رحمة للناس ﴿مِن لَدُنّا﴾: من عِندِنا ﴿وزَكاةً﴾: صدقة عليهم، ﴿وكانَ تَقِيًّا﴾ - رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها - ﴿١٤﴾ - ﴿وبَرًّا بوالِدَيهِ﴾ أي: مُحسنًا إليهما، ﴿ولَم يَكُنْ جَبّارًا﴾: مُتكبّرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربّه. ﴿١٥﴾ - ﴿وسَلامٌ﴾ منّا ﴿عليهِ يَومَ وُلِدَ، ويَومَ يَموتُ، ويَومَ يُبعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمِنٌ فيها.

﴿١٦﴾ - ﴿واذكُرْ في الكِتابِ﴾: القُرآنِ ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: خبرَها، ﴿إذِ﴾: حينَ ﴿انتَبَذَتْ مِن أهلِها مَكانًا شَرقِيًّا﴾ أي: اعتزلتْ في مكانٍ نحو الشرق من الدار، ﴿١٧﴾ - ﴿فاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجابًا﴾: أرسلتْ سِترًا تَستتر به لِتَفليَ رأسها أو ثيابها أو تغتسلَ من حيضها، ﴿فأرسَلْنا إلَيها رُوحَنا﴾ جِبريلَ، ﴿فتَمَثَّلَ لَها﴾ بعد لُبسها ثيابَها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾: تامَّ الخلق. ﴿١٨﴾ - ﴿قالَتْ: إنّي أعُوذُ بالرَّحمنِ مِنكَ، إن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فتنتهي عنّي بتعوّذي. ﴿١٩﴾ - ﴿قالَ: إنَّما أنا رَسُولُ رَبِّكِ، لِيَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا﴾ بالنبوّة.

﴿٢٠﴾ - ﴿قالَتْ: أنّى يَكُونُ لي غُلامٌ، ولَم يَمسَسْني بَشَرٌ﴾ بتزوّج، ﴿ولَم أكُ بَغِيًّا﴾: زانية؟ ﴿٢١﴾ - ﴿قالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذلِكِ﴾ من خلق غُلام منكِ من غير أب. ﴿قالَ رَبُّكِ: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جِبريلُ فيكِ فتحملي به. ولكونِ ما ذُكر في معنى العِلّة عُطف عليه: ﴿ولِنَجعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ﴾ على قُدرتنا ﴿ورَحمَةً مِنّا﴾ لمَن آمن به. ﴿وكانَ﴾ خلقه ﴿أمرًا مَقضِيًّا﴾ به في عِلمي.

فنفخ جِبريلُ في جيب دِرعها، فأحسّت بالحمل في بطنها مُصوّرًا، ﴿٢٢﴾ - ﴿فحَمَلَتْهُ، فانتَبَذَتْ﴾: تَنحّت ﴿بِهِ مَكانًا قَصِيًّا﴾: بعيدًا من أهلها، ﴿٢٣﴾ - ﴿فأجاءَها﴾: جاءَ بها ﴿المَخاضُ﴾: وجعُ الوِلادة ﴿إلى جِذعِ النَّخلَةِ﴾ لتعتمد عليه، فولدتْ والحملُ والتصوير والولادة في ساعة. ﴿قالَتْ: يا﴾ للتنبيه ﴿لَيتَني مُتُّ قَبلَ هذا﴾ الأمرِ، ﴿وكُنتُ نِسْيًا مَنسِيًّا﴾: شيئًا متروكًا لا يُعرف ولا يُذكر.

﴿٢٤﴾ - ﴿فناداها مَن تَحتَها﴾ أي: جِبريلُ، وكان أسفل منها: ﴿أنْ لا تَحزَني - قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا﴾: نهرَ ماءٍ كان انقطع - ﴿٢٥﴾ - ﴿وهُزّي إلَيكِ بِجِذعِ النَّخلَةِ﴾ كانت يابسة والباء: زائدة، ﴿تَسّاقَطْ﴾ أصله بتاءين قُلبت الثانية سِينًا وأُدغمت في السين وفي قراءةٍ تركُها، ﴿عَلَيكِ رُطَبًا﴾: تمييزٌ ﴿جَنِيًّا﴾: صفته.

﴿الحكم﴾: فهمَ التَّوراةِ والعبادةَ. ﴿حنانًا﴾: رحمةً وعطفاً على النَّاسِ. ﴿زكاة﴾: بركةً. أو طهارةً مِنَ الذُّنوبِ. ﴿كان تقيًّا﴾: مُطيعاً مجتنباً للمعاصي. ﴿برًّا بوالديه﴾: كثيرَ البرِّ والإحسانِ إليهما. ﴿جبّارًا عصيًّا﴾: مُتكبِّراً مُخالفاً أمرَ ربِّهِ. ﴿انتبذت﴾: اعتزلَتْ وانفردَتْ. ﴿حجابًا﴾: سِتراً. ﴿روحنا﴾: جبريلَ عليهِ السَّلامُ. ﴿بشرًا سويًّا﴾: إنساناً مُستويَ الخلقِ تامَّهُ. ﴿غلاما زكيًا﴾: مُزكّىً مُطهَّراً بالخِلقةِ. ﴿بغيًّا﴾: فاجرةً تبغي الرِّجالَ. ﴿مكانًا قصيًّا﴾: بعيداً مِنَ أهلِها وراءَ الجبلِ. ﴿فأجاءها المخاض﴾: فألجأَها واضطرَّها وجعُ الولادةِ. ﴿نسيًا منسيًّا﴾: شيئاً حقيراً متروكاً لا يخطرُ بالبالِ. ﴿فناداها﴾: جبريلُ أو عيسى عليهما السَّلامُ. ﴿سريًّا﴾: جدولاً أو غلاماً سامِيَ القَدْرِ. ﴿رُطبًا جنيًّا﴾: صالحاً للاجْتِناءِ. أو طريّاً.

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ
إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ
بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

(٢٦) ـ ﴿**فكُلِي**﴾ من الرُّطب، ﴿**واشرَبِي**﴾ من السريّ، ﴿**وقَرِّي عَينًا**﴾ بالولد: تمييزٌ مُحوّل من الفاعل، أي: لِتقرَّ عينُك به أي: تسكنْ، فلا تطمحْ إلى غيره. ﴿**فإمّا**﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ـ ﴿**تَرينَّ**﴾، حُذفت منه لامُ الفعل وعينُه وأُلقيتْ حركتها على الراء وكُسرتْ ياء الضمير لِالتقاء الساكنين، ﴿**مِنَ البَشَرِ أحَدًا**﴾ فيسألكِ عن ولدِكِ، ﴿**فقُولِي: إنِّي نَذَرتُ لِلرَّحمنِ صَومًا**﴾ أي: إمساكًا عن الكلام في شأنه وغيره مع الأناسيّ، بدليل: ﴿**فلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إنسِيًّا**﴾ أي: بعد ذلك.

(٢٧) ـ ﴿**فأتَتْ بِهِ قَومَها تَحمِلُهُ**﴾: حالٌ، فرأوه. ﴿**قالُوا: يا مَريَمُ، لَقَد جِئتِ شَيئًا فَرِيًّا**﴾: عظيمًا، حيثُ أتيتِ بولد من غير أب. (٢٨) ـ ﴿**يا أُختَ هارُونَ**﴾ ـ هو رجل صالح ـ أي: يا شَبيهته في العِفّة، ﴿**ما كانَ أبُوكِ امرَأَ سَوءٍ**﴾ أي: زانيًا، ﴿**وما كانَت أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ أي: زانية. فمِن أين لكِ هذا الولدُ؟ (٢٩) ـ ﴿**فأشارَتْ**﴾ لهم ﴿**إلَيهِ**﴾: أن كلّموه. ﴿**قالُوا: كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كانَ**﴾ أي: وُجد ﴿**في المَهدِ صَبِيًّا**﴾؟

(٣٠) ـ (٣١) ـ (٣٢) ـ ﴿**قالَ: إنِّي عَبدُ اللهِ، آتانِيَ الكِتابَ**﴾ أي: الإنجيلَ، ﴿**وجَعَلَنِي نَبِيًّا، وجَعَلَنِي مُبارَكًا أينَما كُنتُ**﴾ أي: نفّاعًا للناس ـ إخبارٌ بما كُتب له ـ ﴿**وأوصانِي بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ**﴾: أمرني بهما ﴿**ما دُمتُ حَيًّا، وبَرًّا بِوالِدَتِي**﴾: منصوبٌ بـ«جعلني» مُقدّرًا، ﴿**ولَم يَجعَلْنِي جَبّارًا**﴾: مُتعاظمًا ﴿**شَقِيًّا**﴾: عاصيًا لربّه، (٣٣) ـ ﴿**والسَّلامُ**﴾ من الله ﴿**عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ، ويَومَ أمُوتُ، ويَومَ أُبعَثُ حَيًّا**﴾. يقال فيه ما تقدّم في السيّد يحيى.

(٣٤) ـ قال تعالى: ﴿**ذلِكَ عِيسَى بنُ مَريَمَ، قَولُ الحَقِّ**﴾ ـ بالرفع: خبرُ مبتدأ مُقدّر أي: قولُ ابنِ مريم، وبالنصب بتقدير: قلتُ ـ والمعنى: القولَ ـ الحقّ ﴿**الَّذِي فِيهِ يَمتَرُونَ**﴾ من المِرية، أي: يشكّون. وهم النصارى، قالوا: إنّ عيسى ابنُ الله. كذبوا. (٣٥) ـ ﴿**ما كانَ للهِ أن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ. سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له عن ذلك! ﴿**إذا قَضَى أمرًا**﴾ أي: أراد أن يُحدثه ﴿**فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ**﴾، بالرفع بتقدير: هو، وبالنصب بتقدير: أنْ. ومن ذلك خلقُ عيسى من غير أب.

(٣٦) ـ ﴿**وأنَّ اللهَ رَبِّي ورَبُّكُم، فاعبُدُوهُ**﴾ ـ بفتح «أنّ» بتقدير: اذكرْ، وبكسرها بتقدير: قلْ، بدليل «ما قُلتُ لَهُم إلاّ ما أمَرتَنِي بِهِ أنِ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم» ـ ﴿**هذا**﴾ المذكور ﴿**صِراطٌ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٌ**﴾: مُؤدٍّ إلى الجنّة.

(٣٧) ـ ﴿**فاختَلَفَ الأحزابُ مِن بَينِهِم**﴾ أي: النصارى في عيسى: أهو ابنُ الله، أو إلـهٌ معه، أو ثالثُ ثلاثة؟ ﴿**فوَيلٌ**﴾: فشِدّةُ عذاب ﴿**لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بما ذُكر أو غيره ﴿**مِن مَشهَدِ يَومٍ عَظِيمٍ**﴾ أي: حُضورِ يوم القيامة وأهواله. (٣٨) ـ ﴿**أسمِعْ بِهِم! وأبصِرْ**﴾ بهم! صِيغتا تعجّب بمعنى: ما أسمَعَهم! وما أبصَرَهم ﴿**يَومَ يأتُونَنا**﴾ في الآخرة! ﴿**لكِنِ الظّالِمُونَ**﴾ ـ من إقامة الظاهر مَقام المُضمَر ـ ﴿**اليَومَ**﴾ أي: في الدنيا ﴿**في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ أي: بيّن، به صَمُّوا عن سماع الحقّ وعَمُوا عن إبصاره، أي: اعجَبْ منهم ـ يا مُخاطب ـ في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صُمًّا عُميًا.

﴿قرّي عينًا﴾: طيبي نفساً ولا تحزني. ﴿شيئًا فريًّا﴾: عظيماً مُنكراً. ﴿كان في المهد صبيًّا﴾: وُجِدَ في فِراشِ الصّبيةِ رضيعاً. ﴿برًّا بوالدتي﴾: بارّاً بها مُحسناً مُكرماً. ﴿قول الحقّ﴾: كلمةَ اللهِ لخلقِهِ بقولِهِ: كنْ. ﴿يمترون﴾: يشكّونَ أو يتجادلونَ بالباطلِ. ﴿قضى أمرًا﴾: أرادَ أن يُحدِثَهُ. ﴿أسمع بهم وأبصر﴾: ما أسمعَهُم وما أبصرَهُم.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ
فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا
أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

﴿٣٩﴾ - **﴿وأنذِرْهُم﴾**: خوِّفْ - يا مُحمّد - كُفّارَ مكّة **﴿يومَ الحَسْرةِ﴾** هو يوم القيامة، يتحسّر فيه المُسيء على ترك الإحسان[1] في الدنيا، **﴿إذ قُضِيَ الأمرُ﴾** لهم فيه بالعذاب، **﴿وهُم﴾** في الدنيا **﴿في غَفْلةٍ﴾** عنه، **﴿وهُم لا يُؤمِنُونَ﴾** به. ﴿٤٠﴾ - **﴿إنّا نحنُ﴾**: تأكيدٌ **﴿نَرِثُ الأرضَ ومَن علَيها﴾** من العُقلاء وغيرهم بإهلاكهم، **﴿وإلَينا يُرجَعُونَ﴾** فيه للجزاء.

﴿٤١﴾ - **﴿واذكُرْ﴾** لهم **﴿في الكِتابِ إبراهِيمَ﴾** أي: خبَره - **﴿إنَّهُ كانَ صِدِّيقًا﴾**: مُبالِغًا في الصدق **﴿نَبِيًّا﴾** - ويبدل مِن «خبَره»: ﴿٤٢﴾ - **﴿إذ قالَ لِأبِيهِ﴾** آزرَ: **﴿يا أبَتِ﴾** - التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يُجمع بينهما. وكان يعبد الأصنام - **﴿لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ ولا يُبصِرُ، ولا يُغنِي عَنكَ﴾**: لا يكفيك **﴿شَيئًا﴾** من نفع أو ضُرّ؟ ﴿٤٣﴾ - **﴿يا أبَتِ، إنِّي قَد جاءَنِي مِنَ العِلمِ ما لَم يأتِكَ. فاتَّبِعْنِي، أهدِكَ صِراطًا﴾**: طريقًا **﴿سَوِيًّا﴾**: مستقيمًا. ﴿٤٤﴾ - **﴿يا أبَتِ، لا تَعبُدِ الشَّيطانَ﴾** بطاعتك إيّاه في عبادة الأصنام. **﴿إنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا﴾**: كثير العِصيان. ﴿٤٥﴾ - **﴿يا أبَتِ، إنِّي أخافُ أن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ﴾**، إن لم تتب، **﴿فتكُونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا﴾**: ناصرًا وقرينًا في النار.

﴿٤٦﴾ - **﴿قالَ: أراغِبٌ أنتَ عَن آلِهَتِي، يا إبراهِيمُ﴾** فتعيبَها؟ **﴿لَئِن لَم تَنتَهِ﴾** عن التعرّض لها **﴿لَأرجُمَنَّكَ﴾** بالحِجارة أو بالكلام القبيح. فاحذرْني، **﴿واهجُرْنِي مَلِيًّا﴾**: دهرًا طويلاً. ﴿٤٧﴾ - **﴿قالَ: سَلامٌ عَلَيكَ﴾** منّي، أي: لا أُصيبك بمكروه. **﴿سأستَغفِرُ لَكَ رَبِّي - إنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا﴾**، مِن: حَفِيَ، أي: بارًّا فيُجيب دُعائي[2]. وقد وفى بوعده بقوله المذكور في «الشعراء»: «واغفِرْ لِأبِيَ». وهذا قبل أن يتبيّنَ له أنه عدوّ لله كما ذُكر في «براءة» - ﴿٤٨﴾ - **﴿وأعتَزِلُكُم وما تَدعُونَ﴾**: تعبدون **﴿مِن دُونِ اللهِ، وأدعُو﴾**: أعبدُ **﴿رَبِّي. عَسَى ألاّ أكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي﴾**: بعبادته **﴿شَقِيًّا﴾** كما شقيتم بعبادة الأصنام.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ - **﴿فلَمّا اعتَزَلَهُم وما يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾** بأن ذهب إلى الأرض المُقدّسة **﴿وَهَبنا لَهُ﴾** ابنَينِ يأنسُ بهما **﴿إسحاقَ ويَعقُوبَ، وكُلًّا﴾** منهما **﴿جَعَلْنا نَبِيًّا، ووَهَبْنا لَهُم﴾**: للثلاثة **﴿مِن رَحمَتِنا﴾** المالَ والولد، **﴿وجَعَلْنا لَهُم لِسانَ صِدقٍ عَلِيًّا﴾**: رفيعًا، هو[3] الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

﴿٥١﴾ - ﴿٥٢﴾ - **﴿واذكُرْ في الكِتابِ مُوسَى. إنَّهُ كانَ مُخلِصًا﴾** - بكسر اللام وفتحها من: أخلص في عبادته، وأخلصَه اللهُ من الدنَس - **﴿وكانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾**،..

﴿يوم الحسرة﴾: النَّدامةِ الشَّديدةِ على ما فاتَ. ﴿صراطًا سويًّا﴾: طريقاً مُستقيماً مُنجياً مِنَ الضَّلالِ. ﴿عصيًّا﴾: كثيرَ العصيانِ. ﴿وليًّا﴾: قريناً تليه ويليك في النَّارِ.
﴿اهجرني مليًّا﴾: اجتنبْني وفارقْني دهراً طويلاً. ﴿حفيًّا﴾: برّاً لطيفاً أو رحيماً مُكرماً. ﴿شقيًّا﴾: خائباً ضائعَ السَّعيِ. ﴿لسان صِدق﴾: ثناءً حسناً في أهلِ كلِّ دينٍ.
﴿كان مخلصًا﴾: أخلصَهُ اللهُ واصطفاهُ.

(١) وعلى إساءتِهِ، والمحسِنُ على قلَّةِ إحسانهِ، وفي الحديثِ: «ليسَ يتحسَّرُ أهلُ الجنَّةِ يومَ القيامةِ إلاَّ على ساعةٍ مرَّت بهم ولم يَذْكُروا اللهَ فيها». (الجمالين).

(٢) فلعلَّهُ يوفِّقُكَ للتَّوبةِ والإيمانِ، فإنَّ حقيقةَ الاستغفارِ للكافرينَ: استدعاءُ التَّوفيقِ لِمَا يوجِبُ مغفرتَهُ. (الجمالين).

(٣) أي: اللِّسانُ الصِّدقُ. قالَ ابنُ عطاءٍ: ألسنةُ الصِّدقِ هي المعبِّرةُ عن الحقِّ والصَّوابِ، المذكِّرةُ لنَعمائهِ على الدَّوامِ. (الجمالين).

وَنَدَيْنَهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَبِ إِسْمَعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ
كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن
ذُرِّيَّةِ إِبْرَهِيمَ وَإِسْرَٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ
ءَايَتُ ٱلرَّحْمَنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَأُوْلَٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَنُ عِبَادَهُ
بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا
سَلَمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي
نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ
مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

﴿ونادَيناهُ﴾ بقول: «يا مُوسَى إنِّي أنا اللهُ»، ﴿مِن جانبِ الطُّورِ﴾ اسمُ جبلٍ ﴿الأيمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين مُوسَى حين أقبل من مَدْيَنَ، ﴿وقَرَّبْناهُ نَجِيًّا﴾: مناجِيًا بأن أسمعه الله ـ تعالى ـ كلامه، ﴿٥٣﴾ ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ مِن رَحْمتِنا﴾: نعمتِنا ﴿أخاهُ هارُونَ﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان، ﴿نَبِيًّا﴾: حال. هي المقصودة بالهِبة إجابةً لسُؤاله أن يُرسِل أخاه معه. وكان أسنَّ منه.

﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٥﴾ ـ ﴿واذكُرْ في الكِتابِ إسماعِيلَ. إنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعدِ﴾: لم يَعِد شيئًا إلاّ وفى به، وانتظر مَن وعده ثلاثة أيام أو حولاً حتّى رجَع إليه في مكانه، ﴿وكانَ رَسُولاً﴾ إلى جُرهُمَ ﴿نَبِيًّا، وكانَ يأمُرُ أهلَهُ﴾ أي: قومه ﴿بالصَّلاةِ والزَّكاةِ، وكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾. أصله «مَرْضُوْوٌ»، قُلبتِ الواوان ياءين والضمّةُ كسرة.

ربع الحزب ٣١
سجدة

﴿٥٦﴾ ـ ﴿٥٧﴾ ـ ﴿واذكُرْ في الكِتابِ إدرِيسَ﴾ هو جدُّ أبي نُوحٍ. ﴿إنَّهُ كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، ورَفَعْناهُ مَكانًا عَلِيًّا﴾، هو حيّ في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنّة، أُدخلَها بعد أن أُذيق الموتَ وأُحيِيَ، ولم يخرج منها.

﴿٥٨﴾ ـ ﴿أُولئِكَ﴾: مبتدأٌ ﴿الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عليهِم﴾: صِفةٌ له ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾: بيانٌ لهم ـ وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة لـ «النبيّين» ـ فقوله ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ أي: إدريسُ، ﴿ومِمَّن حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة أي: إبراهيمُ ابنُ ابنِه سام، ﴿ومِن ذُرِّيَّةِ إبراهِيمَ﴾ أي: إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ، ﴿و﴾ مِن ذُرِّيّة ﴿إسرائيلَ﴾ ـ وهو يعقوب ـ أي: موسى وهارونُ وزكرياءُ ويحيى وعيسى، ﴿ومِمَّن هَدَينا واجتَبَينا﴾ أي: من جُملتهم، وخبر «أولئك»: ﴿إذا تُتلَى عليهِم آياتُ الرَّحمنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبُكِيًّا﴾: جمع ساجدٍ وباكٍ. أي: فكونوا مِثلهم. وأصل بُكِيّ «بُكُوْيٌ» قُلبت الواو ياء والضمة كسرة.

﴿٥٩﴾ ـ ﴿فخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ، أضاعُوا الصَّلاةَ﴾ بتركها كاليهود والنصارى، ﴿واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ﴾ من المعاصي، ﴿فَسَوفَ يَلقَونَ غَيًّا﴾ ـ هو وادٍ في جهنّم ـ أي: يقعون فيه، ﴿٦٠﴾ ـ ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿مَن تابَ وآمَنَ، وعَمِلَ صالِحًا. فأُولئِكَ يُدخَلُونَ الجَنَّةَ، ولا يُظلَمُونَ﴾: يُنقَصون ﴿شَيئًا﴾ من ثوابهم، ﴿٦١﴾ ـ ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ، بدلٌ من «الجنّة» ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحمنُ عِبادَهُ بالغَيبِ﴾: حالٌ، أي: غائبين عنها ـ ﴿إنَّهُ كانَ وَعدُهُ﴾ أي: موعوده، ﴿مَأتِيًّا﴾ بمعنى: آتيًا، وأصله «مَأتُوْيٌ»، أو موعودُه هنا الجنّةُ يأتيه أهله ـ ﴿٦٢﴾ ـ ﴿لا يَسمَعُونَ فِيها لَغْوًا﴾ من الكلام، ﴿إلاّ﴾ لكن يسمعون ﴿سَلامًا﴾ من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض، ﴿ولَهُم رِزقُهُم فِيها بُكرَةً وعَشِيًّا﴾ أي: على قدرهما في الدنيا. وليس في الجنّة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا. ﴿٦٣﴾ ـ ﴿تِلكَ الجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾: نُعطِي ونُنزِل ﴿مِن عِبادِنا مَن كانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته.

ونزل لمّا تأخّر الوحي أيامًا[1]، وقال النبيّ لجبريل: «ما يَمنَعُكَ أن تَزُورَنا أكثَرَ مِمّا تَزُورُنا»؟: ﴿٦٤﴾ ـ ﴿وما نَتَنَزَّلُ إلاّ بأمرِ رَبِّكَ، لَهُ ما بَينَ أيدِينا﴾ أي: أمامَنا من أُمور الآخرة ﴿وما خَلفَنا﴾ من أُمور الدنيا، ﴿وما بَينَ ذلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعِه، ﴿وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى: ناسيًا، أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك.

﴿قرّبناه نجيًّا﴾: مُناجياً لنا. ﴿اجتبينا﴾: اصطفيْنا واخترْنا للنُّبوّةِ. ﴿بُكيًّا﴾: باكينَ مِن خشيةِ اللهِ. ﴿خلفٌ﴾: عَقِبُ سَوْءٍ. ﴿يلقون غيًّا﴾: جزاءَ الغيِّ. أو وادياً في جهنَّمَ. ﴿مأتيًّا﴾: آتياً أو مُنجَّزاً. ﴿لغوا﴾: قبيحاً أو فُضولاً مِنَ الكلامِ.

(١) البخاري (٣٢١٨) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعُكَ أن تَزورَنا أكثرَ ممَّا تَزورُنا؟» قال: فنزل: ﴿وما نتنزّل إلاّ بأمر ربّك﴾ الآية. وعن عكرمة والضَّحَّاك وقتادة ومقاتل والكلبيّ: أن هذا الإبطاء ونزولَ الآية عقبه وقع حين سأله قومُه عن أصحاب الكهف وذي القَرنين والرُّوح...، ذكره الثعلبي (١٧/ ٤١٧)، والواحدي (ص: ٣٠١). وعن مجاهدٍ: أبطأ الملَكُ على رسول ﷺ، ثمَّ أتى فقال: لعلِّي أبطأتُ؟ فقال: «قد فَعَلْتَ»، قال: ولِمَ لا أفعلُ وأنتم لا تتسوَّكون ولا تقصُّون أظفارَكم ولا تُنَقُّون براجمكم، فنزلت الآية. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤)، والواحدي (ص: ٣٠١)، وابن الجوزي (٣/ ١٣٩) واللفظ له. وله شاهد مرفوع عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه أحمد (٢١٨١)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٢٤). وفي سنده مجهول كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦٧).

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ
هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾
وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾
قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ
مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ
مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ
وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

(٦٥) ـ هو ﴿رَبُّ﴾: مالكُ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، وما بَينَهُما. فاعبُدْهُ واصطَبِرْ لِعِبادتِهِ﴾ أي: اصبر عليها. ﴿هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: مُسمًّى بذلك؟ لا.

(٦٦) ـ ﴿ويَقولُ الإنسانُ﴾[1] المُنكِر للبعث، هو أُبيُّ بن خلف أو الوليدُ بن المُغيرة النازلُ فيه الآيةُ: ﴿أإذا﴾ ـ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ـ ﴿ما مُتُّ لَسوفَ أُخرَجُ حَيًّا﴾ من القبر كما يقول محمد؟ فالاستفهام بمعنى النفي أي: لا أحيا بعد الموت. وما: زائدة للتأكيد، وكذا اللام. ورُدّ عليه بقوله تعالى: (٦٧) ـ ﴿أوَلا يَذَّكَّرُ الإنسانُ﴾ ـ أصله «يَتَذَكَّرُ» أُبدلت التاء ذالاً وأُدغمت في الذال. وفي قراءةٍ تركُها وسكونُ الذال وضمُّ الكاف ـ ﴿أنّا خَلَقْناهُ مِن قَبلُ، ولَم يَكُ شَيئًا﴾، فيستدلَّ بالابتداء على الإعادة؟

(٦٨) ـ ﴿فوَرَبِّكَ لَنَحشُرَنَّهُم﴾ أي: المُنكرينَ للبعث ﴿والشَّياطِينَ﴾ أي: نجمعُ كُلًّا منهم وشيطانَه في سِلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُحضِرَنَّهُم حَولَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جُثِيًّا﴾ على الرُّكَب جمعُ جاثٍ ـ وأصله «جُثُووٌ» أو «جُثُويٌ»، من: جَثا يَجثُو ويَجثِي، لغتانِ ـ (٦٩) ـ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعةٍ﴾: فِرقةٍ منهم ﴿أيُّهُم أشَدُّ على الرَّحمنِ عُتِيًّا﴾: جراءةً، (٧٠) ـ ﴿ثُمَّ لَنَحنُ أعلَمُ بالَّذِينَ هُم أولَى بِها﴾: أحقُّ بجهنَّم، الأشدُّ وغيرِه منهم، ﴿صُلِيًّا﴾: دخولاً واحتراقًا، فنبدأ بهم ـ وأصله «صُلُوْيٌ» من: صَلي، بكسر اللام وفتحها ـ (٧١) ـ ﴿وإن﴾ أي: ما ﴿مِنكُم﴾ أحدٌ ﴿إلاّ وارِدُها﴾ أي: داخلٌ جهنّمَ ـ ﴿كانَ على رَبِّكَ حَتمًا مَقضِيًّا﴾: حتَمه وقضَى به لا يتركه ـ (٧٢) ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾، مُشدّدًا ومُخفّفًا، ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّرك والكُفر منها، ﴿ونَذَرُ الظّالِمِينَ﴾ بالشِّرك والكفر ﴿فِيها جُثِيًّا﴾ على الرُّكَب.

(٧٣) ـ ﴿وإذا تُتلَى عَلَيهِم﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿آياتُنا﴾ من القُرآن ﴿بَيِّناتٍ﴾: واضحاتٍ حالٌ ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أيُّ الفَرِيقَينِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيرٌ مَقامًا﴾: منزلاً ومسكنًا، بالفتح مِن: قامَ، وبالضم مِن: أقامَ، ﴿وأحسَنُ نَدِيًّا﴾ بمعنى النادي؟ وهو مُجتمع القوم يتحدّثون فيه. يعنون: نحن، فنكون خيرًا منكم. (٧٤) ـ قال تعالى: ﴿وكَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ﴾ أي: أُمّة من الأُمم الماضية، ﴿هُم أحسَنُ أثاثًا﴾: مالاً ومتاعًا ﴿ورِئْيًا﴾ مَنظرًا! من الرؤية. فكما أهلكناهم لكُفرهم نُهلِكُ هؤلاء.

(٧٥) ـ ﴿قُلْ: مَن كانَ في الضَّلالةِ﴾: شرطٌ جوابه: ﴿فلْيَمدُدْ﴾ بمعنى الخبر، أي: يَمُدّ ﴿لَهُ الرَّحمنُ مَدًّا﴾ في الدنيا يستدرجُه ـ ﴿حَتَّى إذا رَأَوا ما يُوعَدُونَ، إمّا العَذابَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وإمّا السّاعةَ﴾ المُشتملةَ على جهنّم فيدخلونها، ﴿فسَيَعلَمُونَ: مَن هُوَ شَرٌّ مَكانًا وأضعَفُ جُندًا﴾: أعوانًا هم أم المؤمنون؟ وجُندهم الشياطينُ وجُند المؤمنين عليهم الملائكةُ ـ (٧٦) ـ ﴿ويَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهتَدَوا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما يُنزَل عليهم من الآيات. ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ هي الطاعة تبقى لصاحبها، ﴿خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوابًا، وخَيرٌ مَرَدًّا﴾ أي: ما يُرَدّ إليه ويُرجَع بخلاف أعمال الكُفّار. والخيريّة هنا في مُقابلة قولهم: «أيُّ الفَرِيقَينِ خَيرٌ مَقامًا»؟

﴿سميًّا﴾: مُضاهياً في ذاتِهِ وصفاتِهِ: لا. ﴿جثيًّا﴾: باركِينَ على رُكَبِهِم لشدَّةِ الهولِ. ﴿عتيًّا﴾: عِصياناً، أو جراءةً أو فُجوراً. ﴿صليًّا﴾: دُخولاً أو مُقاساةً لحرِّها. ﴿واردها﴾: بالمرورِ على الصِّراطِ الممدودِ عليها. ﴿خيرٌ مُقامًا﴾: منزلاً وسكناً. ﴿أحسن نديًّا﴾: مجلساً ومُجتمعاً. ﴿قرنٍ﴾: أمّة. ﴿أحسن أثاثًا﴾: متاعاً مِنَ الفَرْشِ والثِّيابِ وغيرِها. ﴿رئيًا﴾: منظراً وهيئةً. ﴿فليمدد له﴾: يُمهلْهُ استدراجاً. ﴿أضعف جندًا﴾: أقلُّ أعواناً وأنصاراً. ﴿خير مردًّا﴾: مرجعاً وعاقبةً.

(١) قال الكلبيُّ: نزلت في أبيِّ بنِ خلفٍ حينَ أخذ عظامًا باليةً ففتَّتها بيده وقال: يَزْعُم محمَّدٌ لكم أنَّا نُبعَثُ بعدما نموت. الواحدي (ص: ٣٠١)، وعزاه في «البسيط» (١٤/ ٢٨٤) لرواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهي من طريق الكلبي.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

﴿٧٧﴾ - ﴿أفرأيتَ الَّذي كفَرَ بآياتِنا﴾ القائلَ - هو العاصِ بنُ وائل[1] - ﴿وقالَ﴾ لخبّابِ بنِ الأرتّ القائلِ له: «تُبعَثُ بعدَ المَوتِ» والمُطالبِ له بمال: ﴿لأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث ﴿مالاً وولَدًا﴾ فأقضِيَنّكَ؟ قال تعالى: ﴿٧٨﴾ - ﴿أَطَّلَعَ الغيبَ﴾ أي: أعلِمَه وأن يُؤتى ما قاله - واستُغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحُذفتْ - ﴿أمِ اتَّخذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهدًا﴾ بأن يُؤتى ما قاله؟ ﴿٧٩﴾ - ﴿كلّا﴾ أي: لا يُؤتى ذلك، ﴿سَنكتُبُ﴾: نأمر بكتب ﴿ما يقولُ، ونَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذابِ مَدًّا﴾: نزيده بذلك عذابًا فوق عذاب كُفره، ﴿٨٠﴾ - ﴿ونَرِثُهُ ما يَقولُ﴾ من المال والولد، ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فَردًا﴾ لا مال له ولا ولد.

﴿٨١﴾ - ﴿واتَّخَذوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ الأوثانَ ﴿آلِهةً﴾ يعبدونهم، ﴿لِيَكونوا لَهم عِزًّا﴾: شُفعاءَ عند الله بألاّ يُعذَّبوا. ﴿٨٢﴾ - ﴿كلّا﴾ أي: لا مانعَ من عذابهم، ﴿سَيَكفُرونَ﴾ أي: الآلهةُ ﴿بِعِبادتِهِم﴾ أي: ينفونها كما في آية أُخرى: «ما كانوا إيّانا يَعبُدونَ»، ﴿ويَكونونَ عليهِم ضِدًّا﴾: أعوانًا[2] أو أعداء. ﴿٨٣﴾ - ﴿٨٤﴾ - ﴿ألَم تَرَ أنّا أرسَلْنا الشَّياطِينَ﴾: سَلّطْناهم ﴿على الكافِرينَ، تَؤُزُّهُم﴾: تُهيّجهم إلى المعاصي ﴿أزًّا؟ فلا تَعجَلْ عليهِم﴾ بطلب العذاب. ﴿إنَّما نَعُدُّ لَهُم﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَدًّا﴾، إلى وقت عذابهم.

﴿٨٥﴾ - اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُ المُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إلى الرَّحمنِ وَفدًا﴾: جمع وافد[3]، بمعنى: راكب، ﴿٨٦﴾ - ﴿ونَسوقُ المُجرِمينَ﴾ بكُفرهم ﴿إلى جَهنَّمَ وِردًا﴾: جمع وارد، بمعنى: ماش عطشان، ﴿٨٧﴾ - ﴿لا يَملِكونَ﴾ أي: الناسُ ﴿الشَّفاعةَ، إلاّ مَنِ اتَّخذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهدًا﴾ أي: شهادةَ أنْ لا إلـهَ إلاّ اللهُ، ولا حولَ ولا قُوّةَ إلاّ بالله.

﴿٨٨﴾ - ﴿وقالوا﴾ أي: اليهودُ والنصارى ومَن زعم أنّ الملائكة بنات الله: ﴿اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا﴾. قال تعالى لهم: ﴿٨٩﴾ - ﴿لَقَد جِئتُم شَيئًا إدًّا﴾ أي: مُنكرًا عظيمًا، ﴿٩٠﴾ - ﴿تكادُ﴾ - بالتاء والياء - ﴿السَّماواتُ يَنفَطِرْنَ﴾ - بالنون. وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء - بالانشقاق ﴿مِنهُ، وتَنشَقُّ الأرضُ، وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا﴾ أي: تنطبق عليهم من أجل ﴿٩١﴾ - ﴿أن دَعَوا لِلرَّحمنِ وَلَدًا﴾.

﴿٩٢﴾ - قال تعالى: ﴿وما يَنبَغِي للرَّحمنِ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به ذلك. ﴿٩٣﴾ - ﴿إن﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ إلاّ آتِي الرَّحمنِ عَبدًا﴾: ذليلاً خاضعًا يوم القيامة، منهم عُزَيرٌ وعِيسَى. ﴿٩٤﴾ - ﴿لَقَد أحصاهُم وعَدَّهُم عَدًّا﴾، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم، ﴿٩٥﴾ - ﴿وكُلُّهُم آتِيهِ يَومَ القِيامةِ فَردًا﴾: بلا مال ولا نصير يمنعه.

﴿أفرأيت﴾: أخبِرْني. ﴿أطّلَع الغيب﴾: أعلمَ الغيبَ (استفهامٌ). ﴿نمدّ له﴾: نُطوِّلُ لهُ أو نزيدُهُ. ﴿عزًّا﴾: شُفعاءَ وأنصاراً يتعزّزونَ بهِم. ﴿ضدًّا﴾: ذلاً وهواناً لا عزّاً أو أعواناً عليهِم. ﴿تؤزّهم أزًّا﴾: تُغريهِم بالمعاصي إغراءً. ﴿وفدًا﴾: ركباناً. أو وافدينَ استرفاداً. ﴿وردًا﴾: عِطاشاً. أو كالدّوابِّ الّتي تَرِدُ الماءَ. ﴿شيئًا إدًّا﴾: منكراً فظيعاً. ﴿يتفطّرن منه﴾: يتشقّقْنَ ويتفتّتْنَ مِن شناعتِهِ. ﴿تخرّ الجبال هدًّا﴾: تسقطُ مهدودةً عليهِم.

(١) البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥)، من حديث خباب رضي الله عنه.

(٢) أي: معونةً في عذابِهِم بأن توقَدَ بها نيرانُهُم، أو المرادُ بالضِّدّ: ضدُّ العزِّ؛ أي: يكونونَ عليهِم ذُلاً. (الجمالين).

(٣) أي: وافِدينَ، كما تفِدُ الوُفّادُ على السُّلطانِ، منتَظِرينَ لكرامتِهِ وإنعامِهِ. (الجمالين).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ
فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ
أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

(٩٦) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدًّا﴾[1] فيما بينهم، يتوادّون ويتحابّون، ويُحبّهم الله تعالى.

(٩٧) ـ ﴿فإنَّما يَسَّرْناهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿بِلِسانِكَ﴾ العربيّ، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ﴾ النارَ بالإيمان، ﴿وتُنذِرَ﴾: تُخوّفَ ﴿بِهِ قَومًا لُدًّا﴾: جمعُ ألَدّ، أي: جَدِلٍ بالباطل. وهم كُفّار مكّة. (٩٨) ـ ﴿وكَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ﴾ أي: أُمّةٍ من الأُمم الماضية، بتكذيبهم الرسل! ﴿هَل تُحِسُّ﴾: تَجِدُ ﴿مِنهُم مِن أحَدٍ، أو تَسمَعُ لَهُم رِكزًا﴾: صوتًا خفيًّا؟ لا. فكما أهلكنا أُولئك نُهلك هؤلاء.

الحزب ٣٢

* * *

٢٠

سُورَةُ طه

مكية، مِائَةٌ وخمس وثلاثون، أو وأربعون، أو وثنتان آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿طه﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

(٢) ـ ﴿ما أنزَلْنا علَيكَ القُرآنَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لِتَشقَى﴾[2]: لتتعب بما فعلتَ بعد نُزوله من طُول قِيامك بصلاة الليل، أي: خفّفْ عن نفسك.

(٣) ـ ﴿إلاّ﴾: لكن أنزلناه ﴿تَذكِرةً﴾ به ﴿لِمَن يَخشَى﴾: يخافُ اللهَ، (٤) ـ ﴿تَنزِيلاً﴾: بدلٌ من اللفظ بفعله الناصبِ له ﴿مِمَّن خَلَقَ الأرضَ والسَّماواتِ العُلَى﴾: جمعُ عُليا، ككُبرَى وكُبَر.

(٥) ـ هو ﴿الرَّحمنُ علَى العَرشِ﴾ وهو في اللغة سرير المُلك ﴿استَوَى﴾ استواءً يليق به، (٦) ـ ﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ وما بَينَهُما﴾ من المخلوقات ﴿وما تَحتَ الثَّرَى﴾ هو التراب النديّ ـ والمراد الأرَضُونَ السبعُ لأنها تحته ـ (٧) ـ ﴿وإن تَجهَرْ بِالقَولِ﴾ في ذِكرٍ أو دُعاء فالله غنيّ عن الجهر به ﴿فإنَّهُ يَعلَمُ السِّرَّ وأخفَى﴾ منه، أي: ما حدّثتَ به النفس وما خطر ولم تُحدِّث به ـ فلا تُجهِد نفسك بالجَهر ـ (٨) ـ ﴿اللهُ لا إلـٰـهَ إلاّ هُوَ، لَهُ الأسماءُ الحُسنَى﴾ التسعةُ والتسعونَ الواردُ بها الحديثُ. والحسنى: مُؤنّثُ الأحسن.

﴿وُدًّا﴾: مودَّةً ومحبَّةً في القلوبِ. ﴿قوما لدًّا﴾: شديدي الخصومةِ بالباطلِ. ﴿قرْن﴾: أمَّةٍ. ﴿تحِسّ﴾: تجدُ. أو ترى. أو تعلمُ. ﴿ركزًا﴾: صوْتاً خفياً. ﴿لِتشقى﴾: لتتعبَ بالإفراطِ في مُكابدةِ الشَّدائدِ والتَّأسُّفِ على قومِكَ. ﴿على العرش استوى﴾: استواءً يليقُ بِهِ تعالى. ﴿ما تحت الثّرى﴾: ما واراه التُّرابُ. أو ما وراءَ الأرضِ. ﴿أخفى﴾: حديثَ النَّفسِ وخواطرَها. ﴿آنست نارًا﴾: أبصرتُها بوُضوحٍ. ﴿بقبس﴾: بشعلةِ نارٍ مقبوسةٍ على رأسِ عودٍ. ﴿هدًى﴾: هادياً يهديني إلى الطَّريقِ. ﴿المقدّس﴾: المُطهَّرِ أوِ المُباركِ. ﴿طُوى﴾: اسمٌ للوادي.

(١) عن عبد الرحمن بن عوف: أنه لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف، فنزلت. قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: وهو خطأ، فإن هذه السورة بتمامها مكية، ولم يصح سند ذلك.

(٢) قال مقاتلٌ: قال أبو جهلٍ والنَّضرُ بن الحارث للنَّبيِّ عليه السَّلام: إنَّك لتَشْقَى بتركِ ديننا، وذلك لِمَا رأيا من طولِ عبادتِه وشدَّةِ اجتهاده، فأنزل الله هذه الآية. الواحدي (ص: ٣٠٣)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠). وعن جُويبرٍ عن الضَّحَّاك: لمّا نزل القرآنُ على النَّبيِّ ﷺ قام هو وأصحابه فصلَّوا، فقال كفَّار قريشٍ: ما نزل هذا القرآنُ على محمَّدٍ إلَّا ليشقَى به، فنزلتا. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٥)، والواحدي (ص: ٣٠٣). وعن علي رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾. البزار (٩٢٦)، وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري ـ كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦) ـ: فيه نظر. وحسن إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٩). وعن ابن عباسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ أوَّلَ ما أُنزل عليه الوحيُ كان يقومُ على صدر قدميه إذا صلَّى، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾. «الشعب» (١٤١٦). وعن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ: كان النبيُّ ﷺ إذا صلَّى قام على رِجلٍ ورفَعَ الأخرى، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿طه﴾ يعني: طَأ الأرضَ يا محمَّدُ، ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾. رواه عياض في «الشفا» (١/ ٤٢). وعن ابن عباس: قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله: ﴿طَهَ﴾ يعني: يا رجل ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾. الطبري (١٦/ ٥) وإسناده ضعيف جدًّا.

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ
بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا
يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا
وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن
لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ
أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

(٩) ـ (١٠) ـ ﴿وهَل﴾: قد ﴿أتاكَ حَدِيثُ مُوسَى إذ رأى نارًا، فقالَ لِأهلِهِ﴾ لامرأته: ﴿امكُثُوا﴾ هنا. وذلك في مَسيرِه من مَدْيَنَ طالبًا مِصرَ. ﴿إنِّيَ آنستُ﴾: أبصرت ﴿نارًا، لَعَلِّيَ آتِيكُم مِنها بِقَبَسٍ﴾: شُعلة في رأس فتيلةٍ أو عودٍ، ﴿أو أجِدُ على النّارِ هُدًى﴾ أي: هاديًا يدلّني على الطريق؟ وكان أخطأها لظُلمة الليل. وقال «لعلّ» لعدم الجزم بوفاء الوعد.

(١١) ـ (١٢) ـ ﴿فلَمّا أتاها﴾، وهي شجرةُ عَوسَج، ﴿نُودِيَ: يا مُوسَى، إنِّيَ﴾ ـ بكسر الهمزة بتأويل «نودي» بـ«قيل»، وبفتحها بتقدير الباء ـ ﴿أنا﴾: تأكيدٌ لياء المُتكلّم ﴿رَبُّكَ ـ فاخلَعْ نَعلَيكَ. إنَّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ﴾: المُطهّر أو المُبارك ﴿طُوًى﴾: بدل أو عطف بيان. بالتنوين وتركه، مصروفٌ باعتبار المكان، وغيرُ مصروف للتأنيث باعتبار البُقعة مع العَلميّة ـ

(١٣) ـ ﴿وأنا اختَرْتُكَ﴾ من قومك. ﴿فاستَمِعْ لِما يُوحَى﴾ إليك منّي، (١٤) ـ ﴿إنَّنِيَ أنا اللهُ، لا إلـٰهَ إلاّ أنا. فاعبُدْنِي، وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكرِيَ﴾ فيها. (١٥) ـ ﴿إنَّ السّاعةَ آتِيةٌ، أكادُ أُخفِيها﴾ عن الناس، ويَظهر لهم قربُها بعلاماتها، ﴿لِتُجزَى﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفسٍ بما تَسعَى﴾ به من خير وشرّ. (١٦) ـ ﴿فلا يَصُدَّنَّكَ﴾: يصرِفَنَّكَ ﴿عَنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لا يُؤمِنُ بِها، واتَّبَعَ هَواهُ﴾ في إنكارها، ﴿فتَرْدَى﴾: فتَهلِكَ، إن صددتَ عنها.

(١٧) ـ ﴿وما تِلكَ﴾ كائنةً ﴿بِيَمِينِكَ؟ يا مُوسَى﴾. الاستفهام للتقرير، ليرتِّب عليه المُعجزةَ فيها. (١٨) ـ ﴿قالَ: هِيَ عَصايَ، أتَوَكَّأُ﴾: أعتمد ﴿علَيها﴾ عِند الوُثوب والمشي، ﴿وأهُشُّ﴾: أخبِطُ ورق الشجر ﴿بِها﴾ ليسقطَ ﴿على غَنَمِي﴾ فتأكلَه، ﴿ولِيَ فِيها مآرِبُ﴾: جمع مأربة، مُثلّث الراء، أي: حوائجُ ﴿أُخرَى﴾ كحملِ الزاد والسقاء وطردِ الهوامّ. زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

(١٩) ـ (٢٠) ـ ﴿قالَ: ألقِها، يا مُوسَى. فألقاها، فإذا هِيَ حَيّةٌ﴾: ثُعبان عظيم، ﴿تَسعَى﴾: تمشي على بطنها سريعًا كسُرعة الثُّعبان الصغير المُسمّى بالجانِّ المُعبَّرِ به فيها في آية أُخرى.

(٢١) ـ ﴿قالَ: خُذْها ولا تَخَفْ﴾ منها ـ ﴿سَنُعِيدُها سِيرَتَها﴾: منصوبٌ بنزع الخافض، أي: إلى حالتها ﴿الأُولَى﴾. فأدخلَ يده في فمها فعادت عصًا، وتبيّنَ أنّ موضعَ الإدخال موضعُ مَسكها بين شُعبتَيها. وأُرِيَ ذلك السيّدُ مُوسَى لئلاّ يجزع إذا انقلبتْ حيّةً لدى فِرعَونَ ـ (٢٢) ـ ﴿واضمُمْ يَدَكَ﴾ اليُمنى بمعنى الكفّ ﴿إلَى جَناحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضُد إلى الإبط، وأخرِجْها ﴿تَخرُجْ﴾ خِلافَ ما كانت عليه من الأُدمة ﴿بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ﴾ أي: بَرَصٍ، تُضيء كشُعاع الشمس تُعشي البصر، ﴿آيةً أُخرَى﴾ ـ وهي و«بيضاءَ» حالان من ضمير «تَخرجْ» ـ (٢٣) ـ ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلتَ ذلك لإظهارها ﴿مِن آياتِنا﴾ الآيةَ ﴿الكُبرَى﴾ أي: العُظمى على رِسالتك. وإذا أراد عَودَها إلى حالتها الأُولى ضمّها إلى جناحه كما تقدّم، وأخرجها.
(٢٤) ـ ﴿اذهبْ﴾ رسولاً ﴿إلَى فِرعَونَ﴾ ومَن معه. ﴿إنَّهُ طَغَى﴾: جاوزَ الحدّ في كُفره إلى ادّعاء الإلـٰهيّة.

(٢٥) ـ ﴿قالَ: رَبِّ، اشرَحْ لِي صَدرِي﴾: وَسِّعْه لتحمّلِ الرسالة، (٢٦) ـ ﴿ويَسِّرْ﴾: سَهِّلْ ﴿لِيَ أمرِي﴾ لأُبلّغها، (٢٧) ـ ﴿واحلُلْ عُقدةً مِن لِسانِي﴾، حدَثَتْ من احتراقه بجَمرة وضعها وهو صغير بفيه، (٢٨) ـ ﴿يَفقَهُوا﴾: يفهموا ﴿قَولِي﴾، عِند تبليغ الرسالة، (٢٩) ـ (٣٠) ـ ﴿واجعَلْ لِي وَزِيرًا﴾: مُعِينًا عليها ﴿مِن أهلِي، هارُونَ﴾: مفعولٌ ثان ﴿أخِي﴾: عطفُ بيان. (٣١) ـ ﴿اشدُدْ بِهِ أزرِي﴾: ظهري، (٣٢) ـ ﴿وأشرِكْهُ في أمرِي﴾ أي: الرسالة ـ والفِعلان بصيغتَي الأمرِ والمضارع المجزومِ، وهو جواب للطلب ـ (٣٣) ـ (٣٤) ـ (٣٥) ـ ﴿كَي نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحًا ﴿كَثِيرًا، ونَذكُرَكَ﴾ ذِكرًا ﴿كَثِيرًا. إنَّكَ كُنتَ بِنا بَصِيرًا﴾: عالمًا، فأنعمتَ بالرسالة.

(٣٦) ـ ﴿قالَ: قَد أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ـ يا مُوسَى﴾ ـ مَنًّا عليك، (٣٧) ـ (٣٨) ـ ﴿ولَقَد مَنَنّا علَيكَ مَرّةً أُخرَى، ....

﴿أكاد أخفيها﴾: أَقرُبُ أن أسترَها مِن نفسي. ﴿فتَردى﴾: فتهلِكَ. ﴿أتوكّـأ عليها﴾: أتحاملُ عليها في المشيِ ونحوِهِ. ﴿أهشّ بها﴾: أخبطُ بها الشَّجرَ ليتساقطَ الورقُ. ﴿مآرب أخرى﴾: حاجاتٌ ومنافعُ أُخرى. ﴿حيّة تسعى﴾: تمشي بسرعةٍ وخفّةٍ. ﴿سيرتها الأولى﴾: إلى حالتِها الَّتي كانَتْ عليها. ﴿إلى جناحك﴾: إلى جنبِكَ تحتَ العضدِ الأيسرِ. ﴿بيضاء﴾: لها شعاعٌ يغلبُ شعاعَ الشَّمسِ. ﴿غير سُوء﴾: غيرِ داءِ بَرَصٍ ونحوِهِ. ﴿طغى﴾: جاوزَ الحدَّ في العتوِّ والتَّجبُّرِ. ﴿وزيرًا﴾: ظهيراً ومُعيناً. ﴿أزري﴾: ظهري أو قوّتي. ﴿أوتيت سؤلك﴾: أعطِيتَ مَسْؤولَكَ ومطلوبَكَ.

إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ
فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ
عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ
هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا
وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ
فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠
وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا
تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا
لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ
عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ
٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ٤٨ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١

إذ: للتعليل ﴿**أوحَينا إلَى أُمِّكَ**﴾ منامًا أو إلهامًا لمّا ولدتك وخافت أن يقتلك فِرعون، في جُملة من يُولد، ﴿**ما يُوحَى**﴾ في أمرك، ويُبدلُ منه: (٣٩) ـ ﴿**أنِ اقذِفِيهِ**﴾: ألقيه ﴿**في التّابُوتِ، فاقذِفِيهِ**﴾ بالتابوت ﴿**في اليَمِّ**﴾: بحر النيل، ﴿**فلْيُلقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ**﴾ أي: شاطئه ـ والأمرُ بمعنى الخبر ـ ﴿**يأخُذْهُ عَدُوٌّ لي وعَدُوٌّ لَهُ**﴾، وهو فِرعون. ﴿**والقَيتُ**﴾ بعد أن أخذَكَ ﴿**عليكَ مَحبّةً مِنّي**﴾، لتُحبَّ في الناس، فأحبّك فِرعونُ وكُلّ من رآك، ﴿**ولِتُصنَعَ على عَيني**﴾: تُربَّى على رِعايتي وحِفظي لك.

(٤٠) ـ (٤١) ـ ﴿**إذ**﴾: للتعليل ﴿**تَمشِي أُختُكَ**﴾ مريم لتتعرّف خبرَك، وقد أحضروا مَراضِعَ، وأنتَ لا تقبل ثديَ واحدةٍ منها، ﴿**فتقُولُ: هَل أدُلُّكُم على مَن يَكفُلُهُ**﴾؟ فأُجِيبتْ، فجاءت بأُمّه، فقبِلَ ثديها، ﴿**فرَجَعْناكَ إلَى أُمِّكَ كَي تَقَرَّ عَينُها**﴾ بلقائك، ﴿**ولا تحزَنَ**﴾ حينئذٍ.

﴿**وقَتَلتَ نَفْسًا**﴾ هو القِبطيّ بمِصر، فاغتممتَ لقتله من جِهة فِرعون، ﴿**فنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ، وفَتَنّاكَ فُتُونًا**﴾: اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلّصناك منه، ﴿**فلَبِثتَ سِنِينَ**﴾ عشرًا ﴿**في أهلِ مَديَنَ**﴾ بعد مجيئك إليها من مِصر عِند شُعيبٍ النبيّ وتزوُّجِك بابنته، ﴿**ثُمَّ جِئتَ على قَدَرٍ**﴾ في عِلمي بالرسالة، وهو أربعون سنة من عُمرك ـ ﴿**يا مُوسَى ـ واصطَنَعتُكَ**﴾: اخترتك ﴿**لِنَفسِي**﴾ بالرسالة. (٤٢) ـ ﴿**اذهَبْ أنتَ وأخُوكَ**﴾ إلى الناس ﴿**بِآياتِي**﴾ التسع، ﴿**ولاتَنِيا**﴾: تفترا ﴿**في ذِكرِي**﴾ بتسبيح وغيره. (٤٣) ـ ﴿**اذهَبا إلَى فِرعَونَ ـ إنَّهُ طَغَى**﴾ بادعائه الربوبية ـ (٤٤) ـ ﴿**فقُولا لَهُ قَولاً لَيِّنًا**﴾ في رجوعه عن ذلك، ﴿**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ**﴾: يتّعظ، ﴿**أو يَخشَى**﴾ الله فيرجِعَ. والترجي بالنسبة إليهما لعلمه ـ تعالى ـ بأنه لا يرجع. (٤٥) ـ ﴿**قالا: رَبَّنا، إنَّنا نَخافُ أن يَفرُطَ علَينا**﴾ أي: يَعجل بالعُقوبة، ﴿**أو أن يَطغَى**﴾ علينا أي: يتكبّر.

(٤٦) ـ ﴿**قالَ: لا تَخافا ـ إنَّنِي مَعَكُما**﴾ بعوني، ﴿**أسمَعُ**﴾ ما يقول ﴿**وأرَى**﴾ ما يفعل ـ (٤٧) ـ ﴿**فأتِياهُ فقُولا: إنّا رَسُولا رَبِّكَ ـ فأرسِلْ مَعَنا بَنِي إسرائيلَ**﴾ إلى الشام، ﴿**ولا تُعَذِّبْهُم**﴾ أي: خلِّ عنهم من استعمالك إيّاهم في أشغالك الشاقّة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ـ ﴿**قَد جِئناكَ بِآيَةٍ**﴾: بِحُجّة ﴿**مِن رَبِّكَ**﴾ على صِدقنا بالرسالة. ﴿**والسَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى**﴾ أي: السلامة له من العذاب. (٤٨) ـ ﴿**إنّا قَد أُوحِيَ إلَينا أنَّ العَذابَ على مَن كَذَّبَ**﴾ ما جئنا به، ﴿**وتَوَلَّى**﴾ أعرض عنه.

فأتَياه وقالا جميع ما ذُكر. (٤٩) ـ ﴿**قالَ: فمَن رَبُّكُما؟ يا مُوسَى**﴾. اقتصرَ عليه لأنه الأصل ولِإدلاله عليه بالتربية. (٥٠) ـ ﴿**قالَ: رَبُّنا الَّذِي أعطَى كُلَّ شَيءٍ**﴾ من الخلق ﴿**خَلقَهُ**﴾ الذي هو عليه، فتميّز به عن غيره، ﴿**ثُمَّ هَدَى**﴾ الحيوانَ منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغيرِ ذلك.

(٥١) ـ ﴿**قالَ**﴾ فِرعون: ﴿**فما بالُ**﴾: حالُ ﴿**القُرُونِ**﴾: الأُمم ﴿**الأُولَى**﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثانَ؟

﴿فاقذفيه في اليَمّ﴾: فألقيهِ واطرحيهِ في نهرِ النِّيل. ﴿لتُصنع على عيني﴾: لتربَّى بمُراقبتي أو بمرأىً منّي. ﴿من يكفله﴾: مَن يضمُّهُ إليهِ ويحفظُهُ ويُربِّيهِ. ﴿تقرّ عينها﴾: تُسَرَّ بلقائِكَ. ﴿فتنّاك فتونًا﴾: خلّصناكَ مِنَ المِحنِ تخليصاً. ﴿جئت على قدر﴾: على وَفقِ الوقتِ المقدَّرِ لإرسالِكَ. ﴿اصطنعتك لنفسي﴾: اصطفيتُكَ لرسالتي وإقامةِ حُجّتي. ﴿لا تنيا في ذكري﴾: لا تفترا في تبليغِ رسالتي. ﴿يفرُط علينا﴾: يعجلَ علينا بالعقوبةِ. ﴿يطغى﴾: يزدادَ طُغياناً وعُتوّاً وجراءةً. ﴿إنّني معكما﴾: حافظُكُما وناصرُكُما. ﴿خلْقَه﴾: صورتَهُ اللّائقةَ بخاصّتِهِ ومنفعتِهِ. ﴿هَدَى﴾: أرشدَهُ إلى ما يصلحُ لهُ. ﴿فما بال القرون؟﴾: فما حالُ وما شأنُ الأممِ؟

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ
وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنۡهَا
خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ
أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا
مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ
فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا
سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ
وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم
مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾
فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾

(٥٢) ـ ﴿**قالَ**﴾ موسى: ﴿**عِلمُها**﴾ أي: عِلم حالهم محفوظ ﴿**عِندَ رَبِّي في كِتابٍ**﴾، هو اللوح المحفوظ، يُجازيهم عليها يوم القِيامة. ﴿**لا يَضِلُّ**﴾: يغيبُ ﴿**رَبِّي**﴾ عن شيء، ﴿**ولا يَنسَى**﴾ رَبِّي شيئًا.

(٥٣) ـ هو ﴿**الَّذي جَعَلَ لكُمُ**﴾ في جُملة الخلق ﴿**الأرضَ مِهادًا**﴾: فِراشًا، ﴿**وسَلَكَ**﴾: سهّل ﴿**لكُم فيها سُبُلاً**﴾: طُرقًا، ﴿**وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾: مطرًا. قال تعالى، تتميمًا لِما وصفه به مُوسَى وخِطابًا لأهل مكّة: ﴿**فأخرَجْنا بِهِ أزواجًا**﴾: أصنافًا ﴿**مِن نَباتٍ شَتَّى**﴾: صفةُ «أزواجًا» أي: مُختلفةَ الألوانِ والطعوم وغيرهما ـ وشتّى: جمع شَتِيت كمَرِيض ومرضَى، من: شَتَّ الأمرُ: تفرّقَ ـ (٥٤) ـ ﴿**كُلُوا**﴾ منها، ﴿**وارعَوا أنعامَكُم**﴾ فيها: جمع نَعَمٍ. هي الإبل والبقر والغنم. يقال: رَعَتِ الأنعامُ ورَعَيتُها والأمر للإباحة وتذكيرِ النعمة. والجملة: حال من ضمير «أخرجنا»، أي: مبيحين لكم الأكلَ ورعي الأنعام. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكورِ منّا ﴿**لَآياتٍ**﴾: لَعِبرًا ﴿**لِأُولِي النُّهَى**﴾: لأصحاب العُقول، جمع نُهيةٍ كغُرفة وغُرَف، سُمّي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح. (٥٥) ـ ﴿**مِنها**﴾ أي: الأرضِ ﴿**خَلَقْناكُم**﴾ بخلق أبيكم آدمَ منها، ﴿**وفيها نُعيدُكُم**﴾ مقبورين بعد الموت، ﴿**ومِنها نُخرِجُكُم**﴾ عند البعث ﴿**تارةً**﴾: مرّة ﴿**أُخرَى**﴾ كما أخرجناكم عِند ابتداء خلقكم.

(٥٦) ـ ﴿**ولَقَد أرَيناهُ**﴾ أي: أبصرْنا فِرعونَ ﴿**آياتِنا كُلَّها**﴾ التسعَ، ﴿**فكَذَّبَ**﴾ بها وزعم أنها سِحر، ﴿**وأبَى**﴾ أن يُوحّد الله تعالى.

(٥٧) ـ ﴿**قالَ: أجِئتَنا لِتُخرِجَنا مِن أرضِنا**﴾ مِصرَ، ويكونَ لك المُلك فيها، ﴿**بِسِحرِكَ؟ يا مُوسَى. فلَنأتِيَنَّكَ بِسِحرٍ مِثلِهِ**﴾ يُعارضُه. (٥٨) ـ ﴿**فاجعَلْ بَينَنا وبَينَكَ مَوعِدًا**﴾ لذلك، ﴿**لا نُخلِفُهُ نَحنُ ولا أنتَ، مَكانًا**﴾: منصوبٌ بنزع الخافض «في» ﴿**سِوًى**﴾ بكسر أوله وضمّه، أي: وَسَطًا تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين. (٥٩) ـ ﴿**قالَ**﴾ موسى: ﴿**مَوعِدُكُم يَومُ الزِّينةِ**﴾: يومُ عِيد لهم يتزيّنون فيه ويجتمعون، ﴿**وأن يُحشَرَ النّاسُ**﴾: يُجمعَ أهل مِصر ﴿**ضُحًى**﴾، وقتَه للنظر فيما يقع.

(٦٠) ـ ﴿**فتوَلَّى فِرعَونُ**﴾: أدبرَ، ﴿**فجَمَعَ كَيدَهُ**﴾ أي: ذوي كيده من السَّحَرة، ﴿**ثُمَّ أتَى**﴾ بهم الموعدَ. (٦١) ـ ﴿**قالَ لَهُم مُوسَى**﴾، وهم اثنان وسبعون مع كُلّ واحد حبلٌ وعصًا: ﴿**ويلَكُم**﴾ أي: ألزمَكُمُ اللهُ الويلَ. ﴿**لا تَفتَرُوا علَى اللهِ كَذِبًا**﴾ بإشراك أحد معه، ﴿**فيُسحِتَكُم**﴾ ـ بضمّ الياء وكسر الحاء وبفتحهما ـ أي: يُهلِكَكم ﴿**بِعَذابٍ**﴾ من عِنده، ﴿**وقَد خابَ**﴾: خسر ﴿**مَنِ افتَرَى**﴾: كذبَ على الله.

(٦٢) ـ ﴿**فتَنازَعُوا أمرَهُم بَينَهُم**﴾ في مُوسَى وأخيه، ﴿**وأسَرُّوا النَّجوَى**﴾ أي: الكلامَ بينهم فيهما، (٦٣) ـ ﴿**قالُوا**﴾ لأنفسهم: ﴿**إنَّ هذَينِ**﴾ ـ لِأبي عَمرو، ولغيره: «هذانِ»، وهو مُوافق للغة مَن يأتي في المُثنّى بالألف في أحواله الثلاث ـ ﴿**لَساحِرانِ، يُريدانِ أن يُخرِجاكُم مِن أرضِكُم بِسِحرِهِما، ويَذهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثلَى**﴾: مُؤنّث أمثل بمعنى أشرف أي: بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما. (٦٤) ـ ﴿**فاجمَعُوا كَيدَكُم**﴾ من السِّحر ـ بهمزة وصل وفتح الميم مِن: جَمَعَ أي: لَمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم مِن: أجمَعَ: أحكَمَ ـ ﴿**ثُمَّ ائتُوا صَفًّا**﴾: حالٌ أي: مصطفّين، ﴿**وقَد أفلَحَ**﴾: فاز ﴿**اليَومَ مَنِ استَعلَى**﴾: غلب.

﴿لا يضلّ ربي﴾: لا يغيبُ عن علمِهِ شيءٌ ما. ﴿مهدًا﴾: كالفراشِ الّذي يُوطأُ للصَّبيِّ. ﴿سُبُلًا﴾: طُرُقاً تسلكونَها لقضاءِ مآرِبِكُم. ﴿أزواجًا﴾: أصنافاً أو ضروباً. ﴿شتّى﴾: مُختلفةَ الصِّفاتِ والخصائصِ. ﴿لألي النُّهى﴾: لأصحابِ العقولِ والبصائرِ. ﴿أبى﴾: امتنعَ عنِ الإيمانِ والطّاعةِ. ﴿مكانًا سُوى﴾: وَسَطاً أو مُستوياً مِنَ الأرضِ. ﴿يوم الزّينة﴾: يومُ عيدِكُم (يومٌ مشهودٌ). ﴿فجمع كيده﴾: سحَرتَهُ الّذينَ يكيدُ بهِم. ﴿ويلكم﴾: دُعاءٌ عليهِم بالهلاكِ. ﴿فيُسحتكم﴾: فيستأصلَكُم ويُبيدَكُم. ﴿أسرّوا النّجوى﴾: أخفوا التّناجيَ أشدَّ الإخفاءِ. ﴿بطريقتكم المُثلى﴾: بسنَّتِكُم وشريعتِكُمُ الفضلى. ﴿فأجمعوا كيدَكم﴾: فأحكموا سِحرَكُم واعزموا عليهِ. ﴿أفلح﴾: فازَ بالمطلوبِ.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ
أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا
تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ
لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ
وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ
أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا
عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا
فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ
عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦

٦٥ ـ ﴿**قالُوا: يا مُوسَى**﴾، اختَرْ ﴿**إمّا أن تُلقِيَ**﴾ عصاك أي: أوّلاً، ﴿**وإمّا أن نكُونَ أوّلَ مَن ألقَى**﴾ عصاه. ٦٦ ـ ﴿**قالَ: بَل ألقُوا**﴾. فألقَوا، ﴿**فإذا حِبالُهُم وعِصِيُّهُم**﴾ ـ أصله «عُصُوْوٌ» قُلبَتِ الواوان ياءين، وكُسرَتِ العينُ والصاد ـ ﴿**يُخَيَّلُ إلَيهِ مِن سِحرِهِم أنّها**﴾ حيّاتٌ ﴿**تسعَى**﴾ على بُطونها، ٦٧ ـ ﴿**فأوجَسَ**﴾: أحسّ ﴿**في نَفسِهِ خِيفةً مُوسَى**﴾ أي: خاف، من جِهة أنّ سِحرهم يكون من جِنس مُعجزته، أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به.

٦٨ ـ ﴿**قُلنا**﴾ له: ﴿**لا تخَفْ. إنَّكَ أنتَ الأعلَى**﴾ عليهم بالغلبة.

٦٩ ـ ﴿**وألقِ ما في يَمِينِكَ**﴾ ـ وهي عصاه ـ ﴿**تَلقَفْ**﴾: تبتلعْ ﴿**ما صَنَعُوا. إنَّ ما صَنَعُوا كَيدُ ساحِرٍ**﴾ أي: جِنسِه، ﴿**ولا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أتَى**﴾ بسِحره. فألقى مُوسَى عصاه فتلقّفتْ كُلّ ما صنعوه، ٧٠ ـ ﴿**فأُلقِيَ السَّحَرةُ سُجَّدًا**﴾: خرّوا ساجدين لِلهِ ـ تعالى[1] ـ ﴿**قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ ومُوسَى**﴾.

٧١ ـ ﴿**قالَ**﴾ فِرعون: ﴿**أآمَنتُم**﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا ـ ﴿**لَهُ، قَبلَ أن آذَنَ**﴾ أنا ﴿**لَكُم**﴾؟ ﴿**إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ**﴾: مُعلّمكم[2] ﴿**الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ. فلأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ**﴾: حالٌ، بمعنى: مُختلفةً، أي: الأيديَ اليُمنى والأرجُلَ اليُسرى، ﴿**ولأُصَلِّبَنَّكُم في جُذُوعِ النَّخلِ**﴾ أي: عليها، ﴿**ولتَعلَمُنَّ: أيُّنا**﴾ ـ يعني نفسَه وربَّ مُوسَى ـ ﴿**أشَدُّ عذابًا وأبقَى**﴾: أدوَمُ، على مخالفته؟

٧٢ ـ ﴿**قالُوا: لَن نُؤثِرَكَ**﴾: نختارَك ﴿**علَى ما جاءَنا مِنَ البَيِّناتِ**﴾ الدالّة[3] على صِدق مُوسَى، ﴿**والَّذِي فَطَرَنا**﴾: خلقَنا. قسمٌ أو عطفٌ على «ما». ﴿**فاقضِ ما أنتَ قاضٍ**﴾ أي: اصنعْ[4] ما قلته. ﴿**إنَّما تَقضِي هذِهِ الحَياةَ الدُّنيا**﴾ ـ النصبُ على الاتّساع أي: فيها ـ ونُجزَى عليه في الآخرة.

٧٣ ـ ﴿**إنّا آمَنّا بِرَبِّنا، لِيَغفِرَ لَنا خَطايانا**﴾ من الإشراك وغيره ﴿**وما أكرَهتَنا علَيهِ مِنَ السِّحرِ**﴾ تعلّمًا وعملاً لمُعارضة موسى. ﴿**واللهُ خَيرٌ**﴾ منك ثوابًا إذا أُطيع ﴿**وأبقَى**﴾ منك عذابًا إذا عُصي.

٧٤ ـ قال تعالى: ﴿**إنَّهُ مَن يأتِ رَبَّهُ مُجرِمًا**﴾: كافرًا كفِرعَونَ ﴿**فإنَّ لَهُ جَهَنَّمَ، لا يَمُوتُ فِيها**﴾ فيستريحَ، ﴿**ولا يَحيا**﴾ حياةً تنفعه، ٧٥ ـ ﴿**ومَن يأتِهِ مُؤمِنًا، قَد عَمِلَ الصّالِحاتِ**﴾: الفرائضَ والنوافل، ﴿**فأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى**﴾: جمع عُليا مُؤنّث أعلى، ٧٦ ـ ﴿**جَنّاتُ عَدنٍ**﴾ أي: إقامةٍ، بيانٌ له، ﴿**تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها. وذلِكَ جَزاءُ مَن تَزَكَّى**﴾: تطهّر[5] من الذنوب.

﴿فأوجس في نفسه﴾: أضمَرَ. أو وَجَدَ وأحسَّ في نفسِهِ. ﴿تلقف﴾: تبتلعْ وتلتقِمْ بسرعةٍ. ﴿و الذي فطرنا﴾: أبدعَنا وأوجدَنا وهوَ اللهُ تعالى. ﴿تزكّى﴾: تطهَّرَ مِن دنسِ الشِّركِ والكفرِ.

---

(١) توبةً عمّا صَنعوا، وإغباناً لفِرعونَ، وتعظيماً لِمَا رَأوا، وإرضاءً للهِ تعالى، رُوِيَ أنّهم رَأوا في سجودِهِم الجنّةَ ومنازلَهُم. (الجمالين).

(٢) أي: أستاذُكُم، وأنتم تواطَأْتُم على ما فعلتُم، أو: عظيمُكُم في فنّكُم وأعلَمُكُم به. (الجمالين).

(٣) أي: المعجزاتِ الواضِحاتِ، والضَّميرُ في ﴿جَاءَ﴾ لموسَى؛ أي: ما جاءَنا به، وقيلَ: لـ﴿مَا﴾. (الجمالين).

(٤) فمعنى قاضيه: صانِعُهُ، وقيل: حاكمُهُ. (الجمالين).

(٥) والآياتُ الثّلاثُ يحتملُ أن تكونَ من كلامِ السَّحَرةِ، وأن تكونَ ابتداءَ كلامٍ من اللهِ تعالى. (الجمالين).

وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا
فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ٧٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ
وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن
قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ
رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ
أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم
مَّوۡعِدِي ٨٦ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ
أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧

٧٧ـ ﴿**ولقد أوحينا إلى موسى: أنْ أسْرِ بِعبادي**﴾ ـ بهمزة قطع من: أسرَى، وبهمزة وصل وكسر النون من: سَرَى. لُغتانِ ـ أي: سِر بهم ليلاً من أرض مِصر، ﴿**فاضرِبْ**﴾: اجعل ﴿**لهم**﴾ بالضرب بعصاك ﴿**طريقًا في البحرِ يَبَسًا**﴾ أي: يابسًا ـ فامتثلَ ما أُمر به وأيبسَ اللهُ الأرض فمرّوا فيها ـ ﴿**لا تخافُ دَرَكًا**﴾ أي: أن يُدركَك فِرعون ﴿**ولا تخشى**﴾ غرقًا.

٧٨ـ ﴿**فأتبعَهم فِرعونُ بجُنودِهِ**﴾، وهو معهم، ﴿**فغشِيَهم مِنَ اليَمِّ**﴾ أي: البحر ﴿**ما غَشِيَهُم**﴾ فأغرقهم! ٧٩ـ ﴿**وأضَلَّ فِرعونُ قومَهُ**﴾ بدُعائهم إلى عِبادته، ﴿**وما هَدَى**﴾، بل أوقعهم في الهلاك خِلافَ قوله «وما أهدِيكُم إلا سَبِيلَ الرَّشادِ». (الحزب ٣٢)

٨٠ـ ﴿**يا بَني إسرائيلَ، قد أنجَيناكُم مِن عَدُوِّكُم**﴾ فِرعونَ بإغراقه، ﴿**ووعَدْناكُم جانِبَ الطُّورِ الأيمَنَ**﴾، فنُؤتي مُوسَى التوراةَ للعمل بها، ﴿**ونزَّلْنا عليكُمُ المَنَّ والسَّلوَى**﴾ هما التَّرَنْجبِينُ والطيرُ السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر. والمُنادى مَن وُجِد من اليهود زمنَ النبيِّ ﷺ، وخُوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمنَ النبيِّ مُوسَى ـ عليه السلام ـ توطئةً لقوله تعالى لهم:

٨١ـ ﴿**كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رزَقْناكُم**﴾ أي: المُنعَمِ به عليكم، ﴿**ولا تَطغَوا فِيهِ**﴾ بأن تكفروا النِّعمة به، ﴿**فيَحِلَّ عليكُم غَضَبِي**﴾، بكسر الحاء أي: يَجِبَ، وبضمّها أي: يَنزِلَ. ﴿**ومَن يَحلِلْ عليهِ غَضَبِي**﴾ ـ بكسرِ اللام وضمِّها ـ ﴿**فقد هَوَى**﴾: سقط في النار، ٨٢ـ ﴿**وإنِّي لَغَفّارٌ لِمَن تابَ**﴾ من الشِّرك ﴿**وآمَنَ**﴾: وحَّد اللهَ، ﴿**وعَمِلَ صالِحًا**﴾ يَصدُق بالفرض والنفل، ﴿**ثُمَّ اهتَدَى**﴾ باستمراره على ما ذُكر إلى موته.

٨٣ـ ٨٤ـ ﴿**وما أعجلَكَ عَن قومِكَ**﴾ لمجيءِ مِيعاد أخذ التوراة؟ ﴿**يا مُوسَى. قالَ: هُم أُولاءِ**﴾ أي: بالقرب منّي يأتون ﴿**على أثَرِي، وعَجِلتُ إليكَ ـ رَبِّ ـ لِترضَى**﴾ عنّي أي: زيادةً على رضاك. وقبلَ الجوابِ أتى بالاعتذار بحسَب ظنِّه، وتخلَّفَ المظنون لِما ٨٥ـ ﴿**قالَ**﴾ تعالى: ﴿**فإنّا قد فتَنّا قومَكَ مِن بَعدِكَ**﴾ أي: بعدِ فراقك لهم، ﴿**وأضَلَّهُمُ السّامِريُّ**﴾ فعبدوا العِجلَ.

٨٦ـ ﴿**فرَجَعَ مُوسَى إلى قومِهِ غضبانَ**﴾ من جِهتهم ﴿**أسِفًا**﴾: شديد الحُزن ﴿**قالَ: يا قومِ، ألَم يَعِدْكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا**﴾ أي: صِدقًا أنه يُعطيكم التوراة؟ ﴿**أفطالَ عليكُمُ العَهدُ**﴾: مُدّةُ مُفارقتي إياكم؟ ﴿**أم أرَدتُم أن يَحِلَّ**﴾: يجبَ ﴿**عليكُم غَضَبٌ مِن رَبِّكُم**﴾ بعِبادتكم العجلَ، ﴿**فأخلَفتُم مَوعِدِي**﴾ وتركتم المجيءَ بعدي. ٨٧ـ ﴿**قالُوا: ما أخلَفْنا مَوعِدَكَ بِمَلكِنا**﴾، مُثلّث الميم أي: بقُدرتنا أو أمرنا، ﴿**ولكِنّا حَمَلْنا**﴾ ـ بفتح الحاء مُخفّفًا وبضمّها وكسر الميم مُشدّدًا ـ ﴿**أوزارًا**﴾: أثقالاً ﴿**مِن زِينةِ القَومِ**﴾ أي: حُليِّ قوم فِرعون، استعارَها منهم بنو إسرائيل بعِلّة عُرس فبقيتْ عندهم، ﴿**فقَذَفْناها**﴾: طرحناها في النار بأمر السامريّ. ﴿**فكَذلِكَ**﴾: كما ألقينا ﴿**ألقَى السّامِرِيُّ**﴾ ما معه من حُليّهم ومن التراب الذي أخذه من أثرِ حافرِ فرسِ جِبريلَ، على الوجه الآتي: ....

﴿أسر بعبادي﴾: سِرْ ليلاً بهم مِن مصرَ. ﴿يَبَسًا﴾: يابساً لا ماءَ فيهِ ولا طينَ. ﴿لا تخاف دَرَكًا﴾: لا تخشى إدراكاً ولحاقاً أو تبعةً. ﴿لا تخشى﴾: الغرقَ مِنَ الأمامِ. ﴿فغشِيهم﴾: علاهُم وغمرَهُم. ﴿المنّ﴾: مادّةٌ صمغيّةٌ حلوةٌ كالعسلِ. ﴿السّلوى﴾: الطّائرُ المعروفُ بالسُّماني. ﴿لا تطغَوْا﴾: لا تكفروا نعمةً أو لا تظلموا. ﴿فيحلّ عليكم﴾: فيجبَ عليكُم ويلزمَكُم. ﴿هَوَى﴾: هلكَ. أو وَقعَ في الهاويةِ. ﴿ما أعجلك؟﴾: ما حملَكَ على العجلةِ ؟. ﴿فتنّا قومك﴾: ابتليْناهُم. أو أوقعْناهُم في فتنةٍ. ﴿أسِفًا﴾: حزيناً. أو شديدَ الغضبِ. ﴿موعدي﴾: وعدَكُم لي بالثّباتِ على ديني. ﴿بملكِنا﴾: بقدرتِنا وطاقتِنا. ﴿أوزارًا﴾: أثقالاً أو آثاماً وتبعاتٍ. ﴿من زينة القوم﴾: مِن حليِّ قبطِ مصرَ.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ
مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى
وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى
وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ
بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿٨٨﴾ ـ ﴿فأخرَجَ لَهُم عِجلاً﴾ صاغه من الحُليّ، ﴿جَسَدًا﴾ لحمًا ودمًا ﴿لَهُ خُوارٌ﴾ أي: صوت يُسمع، أي: انقلبَ كذلك بسبب التراب الذي أثرُه الحياةُ فيما يُوضع فيه، ووضعَه بعد صوغه في فمه، ﴿فقالُوا﴾ أي: السامريّ وأتباعه: ﴿هذا إلَـهُكُم وإلَـهُ مُوسَى، فنَسِيَ﴾ مُوسى ربّه هنا، وذهب يطلبه. ﴿٨٩﴾ ـ قال تعالى: ﴿أفلا يَرَون أنْ﴾ ـ مُخففةٌ من الثقيلة واسمها محذوف ـ أي: أنّه ﴿لا يَرجِعُ﴾ العِجلُ ﴿إلَيهِم قَولاً﴾ أي: لا يردّ لهم جوابًا، ﴿ولا يَملِكُ لَهُم ضَرًّا﴾ أي: دَفْعه ﴿ولا نَفعًا﴾ أي: جَلْبه؟ أي: فكيف يُتّخذ إلَـهًا؟

﴿٩٠﴾ ـ ﴿ولَقَد قالَ لَهُم هارُونُ مِن قَبلُ﴾ أي: من قبلِ أن يرجع مُوسَى: ﴿يا قَومِ، إنَّما فُتِنتُم بِهِ، وإنَّ رَبَّكُمُ الرَّحمنُ. فاتَّبِعُوني﴾ في عِبادته، ﴿وأطِيعُوا أمرِي﴾ فيها. ﴿٩١﴾ ـ ﴿قالُوا: لَن نَبرَحَ﴾: نزالَ ﴿عَلَيهِ عاكِفِينَ﴾: على عِبادته مُقيمين ﴿حَتَّى يَرجِعَ إلَينا مُوسَى﴾.

﴿٩٢﴾ ـ ﴿قالَ﴾ موسى بعد رُجوعه: ﴿يا هارُونُ، ما مَنَعَكَ، إذ رأيتَهُم ضَلُّوا﴾ بعبادته، ﴿٩٣﴾ ـ ﴿ألاّ تَتَّبِعَنِيَ﴾؟ لا: زائدة. ﴿أفَعَصَيتَ أمرِي﴾ بإقامتك بين مَن يعبد غير اللهِ؟ ﴿٩٤﴾ ـ ﴿قالَ﴾ هارون: ﴿يا ابنَ أُمَّ﴾، بكسر الميم وفتحها. أراد: أُمّي. وذِكرُها أعطفُ لقلبه. ﴿لا تأخُذْ بِلِحيَتِي﴾، وكان أخذها بشِماله، ﴿ولا بِرأسِيَ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضبًا. ﴿إنِّي خَشِيتُ﴾ ـ لو اتّبعتُك، ولا بُدّ أن يتبعني جمع ممّن لم يعبد العِجل ـ ﴿أن تَقُولَ: فَرَّقتَ بَينَ بَنِي إسرائيلَ﴾، وتغضبَ عليّ. ﴿ولَم تَرقُبْ﴾: تنتظر ﴿قَولِي﴾ فيما رأيتُه في ذلك.

﴿٩٥﴾ ـ ﴿٩٦﴾ ـ ﴿قالَ: فما خَطبُكَ﴾: شأنك الداعي إلى ما صنعت؟ ﴿يا سامِرِيُّ. قالَ: بَصُرتُ بِما لَم يَبصُرُوا بِهِ﴾ ـ بالياء والتاء ـ أي: علمتُ ما لم يعلموه، ﴿فقَبَضتُ قَبضَةً مِن﴾ تُرابِ ﴿أثَرِ﴾ حافرِ فرسِ ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريلَ، ﴿فنَبَذتُها﴾: ألقيتها في صورة العِجل المصوغ. ﴿وكَذلِكَ سَوَّلَتْ﴾: زيّنت ﴿لِي نَفسِي﴾، وأُلقِيَ فيها أن آخذَ قبضة من تُراب ما ذُكر، وأُلقيَها على ما لا روح له، فيصيرَ له روح ورأيتُ قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلَـهًا، فحدّثتْني نفسي أن يكون ذلك العِجل إلَـهَهُم.

﴿٩٧﴾ ـ ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿فاذهَبْ﴾ مِن بيننا. ﴿فإنَّ لَكَ في الحَياةِ﴾ أي: مُدّةِ حياتك ﴿أن تَقُولَ﴾ لمَن رأيتَه: ﴿لا مِساسَ﴾ أي: لا تَقرَبْني ـ فكان يهيم في البرّيّة، وإذا مسّ أحدًا أو مسّه أحدٌ حُمّا جميعًا ـ ﴿وإنَّ لَكَ مَوعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَن تُخلَفَهُ﴾، بكسر اللام أي: لن تَغيبَ عنه، وبفتحها أي: بل تُبعَثُ إليه. ﴿وانظُرْ إلى إلَـهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ ـ أصله «ظَلِلْتَ» بلامين أُولاهما مكسورة حُذفت تخفيفًا ـ أي: دُمتَ ﴿عَلَيهِ عاكِفًا﴾ أي: مُقيمًا تعبده. ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار، ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسفًا﴾: نُذرِيَنّه في هواء البحر. وفعلَ مُوسَى بعد ذبحه ما ذَكره.

﴿٩٨﴾ ـ ﴿إنَّما إلَـهُكُم اللهُ الَّذِي لا إلَـهَ إلاّ هُوَ، وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾: تمييز مُحوّل من الفاعل، أي: وسع علمُه كُلّ شيء.

﴿عِجلًا جسدًا﴾: مُجسَّداً: أي أحمرَ مِن ذهبٍ. ﴿لهُ خوار﴾: صوتٌ كصوتِ البقرِ. ﴿ما منعَك﴾: ما حمَلَكَ واضطرَّكَ. ﴿فما خطبُك؟﴾: فما شأنُكَ الخطيرُ ؟. ﴿بَصُرتُ﴾: علِمتُ بالبصيرةِ. ﴿أثر الرّسول﴾: أثرِ فرسِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ. ﴿فنبذتها﴾: ألقيتُها في الحليِّ المُذابِ. ﴿سوّلت﴾: زيّـنَتْ وحسَّـنَتْ. ﴿لا مِساس﴾: لا تمسُّـني ولا أمسُّـكَ. ﴿لننسِفنّـه﴾: لَنُذرينَّهُ.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا (٩٩) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
(١٠٠) خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦)
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
(١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣)

(٩٩) ـ ﴿**كَذلِكَ**﴾ أي: كما قصصنا عليك ـ يا مُحمّد ـ هذه القِصّةَ ﴿**نَقُصُّ عليكَ مِن أنباءِ**﴾: أخبارِ ﴿**ما قَد سَبَقَ**﴾ من الأُمم، ﴿**وقَد آتيناكَ**﴾: أعطيناك ﴿**مِن لَدُنّا**﴾: من عِندنا ﴿**ذِكرًا**﴾: قرآنًا، (١٠٠) ـ ﴿**مَن أعرَضَ عَنهُ**﴾ فلم يُؤمن به ﴿**فإنَّهُ يَحمِلُ يَومَ القِيامةِ وِزرًا**﴾: حِملاً ثقيلاً من الإثم، (١٠١) ـ ﴿**خالِدينَ فِيهِ**﴾ أي: في عذاب الوِزر، ﴿**وساءَ لَهُم يَومَ القِيامةِ حِملاً**﴾! تمييزٌ مُفسِّر للضمير في «ساء» ـ والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره: وِزرُهم. واللام: للبيان ـ ويُبدَل من «يومَ القيامة»: (١٠٢) ـ ﴿**يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ**﴾: القرنِ النفخةَ الثانية، ﴿**ونَحشُرُ المُجرِمينَ**﴾: الكافرين ﴿**يَومَئِذٍ زُرقًا**﴾ عيونُهم، مع سواد وجوههم، (١٠٣) ـ ﴿**يَتَخافَتُونَ بَينَهُم**﴾: يتسارُّون: ﴿**إن**﴾: ما ﴿**لَبِثتُم**﴾ في الدنيا ﴿**إلاّ عَشرًا**﴾ من الليالي بأيامها.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

(١٠٤) ـ ﴿**نَحنُ أعلَمُ بِما يَقُولُونَ**﴾ في ذلك، أي: ليس كما قالوا، ﴿**إذ يَقُولُ أمثَلُهُم**﴾: أعدلُهم ﴿**طَرِيقةً**﴾ فيه: ﴿**إن لَبِثتُم إلاّ يَومًا**﴾. يستقلّون لَبثهم في الدنيا جِدًّا لِما يُعاينونه في الآخرة من أهوالها.

(١٠٥) ـ ﴿**ويَسألُونَكَ عَنِ الجِبالِ**﴾[1]: كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿**فقُلْ**﴾ لهم: ﴿**يَنسِفُها رَبِّي نَسفًا**﴾ بأن يُفتّتها كالرمل السائل، ثمّ يُطيّرَها بالرياح، (١٠٦) ـ ﴿**فيَذَرُها قاعًا**﴾: مُنبسطًا ﴿**صَفصَفًا**﴾: مُستويًا، (١٠٧) ـ ﴿**لا تَرى فِيها عِوَجًا**﴾: انخفاضًا ﴿**ولا أمْتًا**﴾: ارتفاعًا. (١٠٨) ـ ﴿**يَومَئِذٍ**﴾ أي: يومَ إذ نُسفَتِ الجبالُ، ﴿**يَتَّبِعُونَ**﴾ أي: الناسُ بعد القِيام من القُبور، ﴿**الدّاعِيَ**﴾ إلى المحشر بصوته ـ وهو إسرافيل، يقول: هلمّوا إلى عرض الرحمن ـ ﴿**لا عِوَجَ لَهُ**﴾ أي: لاتّباعهم، أي: لا يقدرون ألاّ يتّبعوا، ﴿**وخَشَعَتِ**﴾: سَكَنَتِ ﴿**الأصواتُ لِلرَّحمنِ، فلا تَسمَعُ إلاّ هَمسًا**﴾: صوتَ وطءِ الأقدام في نقلها إلى المحشر، كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

(١٠٩) ـ ﴿**يَومَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفاعةُ**﴾ أحدًا ﴿**إلاّ مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمنُ**﴾ أن يُشفع له، ﴿**ورَضِيَ لَهُ قَولاً**﴾، بأن يقول: لا إلَهَ إلاّ اللهُ، (١١٠) ـ ﴿**يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم**﴾ من أُمور الآخرة، ﴿**وما خَلفَهُم**﴾ من أُمور الدنيا، ﴿**ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلمًا**﴾: لا يعلمون ذلك، (١١١) ـ ﴿**وعَنَتِ الوُجُوهُ**﴾: خضعتْ ﴿**لِلحَيِّ القَيُّومِ**﴾ أي: الله، ﴿**وقَد خابَ**﴾: خسر ﴿**مَن حَمَلَ ظُلمًا**﴾ أي: شِركًا، (١١٢) ـ ﴿**ومَن يَعمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ**﴾: الطاعات، ﴿**وهُوَ مُؤمِنٌ، فلا يَخافُ ظُلمًا**﴾ بزيادة في سيّئاته، ﴿**ولا هَضمًا**﴾ بنقص من حسناته.

(١١٣) ـ ﴿**وكَذلِكَ**﴾ معطوفٌ على «كَذلِكَ نَقُصّ»، أي: مثلَ إنزال ما ذُكر ﴿**أنزَلْناهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا، وصَرَّفنا**﴾: كرّرنا ﴿**فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ، لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ الشِّركَ، ﴿**أو يُحدِثُ لَهُم**﴾ القُرآنُ ﴿**ذِكرًا**﴾ بهلاكِ مَن تقدّمهم من الأُمم فيعتبرون.

﴿وزرًا﴾: عقوبةً ثقيلةً على إعراضِهِ. ﴿زرقًا﴾: زُرقَ العيونِ. أو عُمياً. أو عطاشاً. ﴿يتخافتون﴾: يتسارُّونَ ويتهامسونَ. ﴿أمثلهم طريقة﴾: أعدلُهُم وأفضلُهُم رأياً ومذهباً. ﴿ينسفها﴾: يقتلعُها أو يفتّتُها ويفرِّقُها بالرِّياحِ. ﴿قاعًا﴾: أرضاً ملساءَ لا نباتَ ولا بناءَ فيها. ﴿صفصفًا﴾: أرضاً مُستويةً أو لا نباتَ فيها. ﴿عِوَجًا﴾: مكاناً مُنخفضاً. أوِ انخفاضاً. ﴿أمْتًا﴾: مكاناً مُرتفعاً. أوِ ارتفاعًا. ﴿لا عِوَج له﴾: لا يعوجُّ لهُ مدعُوٌّ ولا يزيغُ عنهُ. ﴿هَمْسًا﴾: صوتاً خفيّاً خافتاً. ﴿عنَتِ الوجوه﴾: ذلَّ النَّاسُ وخضعوا. ﴿للحيّ﴾: الدَّائمِ الحياةِ بلا زوالٍ. ﴿القيّوم﴾: الدَّائمِ القيامِ بتدبيرِ الخلقِ. ﴿حمل ظلمًا﴾: شركاً وكفراً. ﴿هضمًا﴾: نقصاً مِن ثوابِهِ. ﴿صرّفنا فيه﴾: كرَّرْنا فيهِ بأساليبَ شتَّى. ﴿ذِكرًا﴾: عِظةً واعتباراً.

(١) عن ابن جريج: قالت قريش: يا محمد، كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٣٢).

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن
يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥ وَإِذۡ قُلۡنَا
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦
فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ
١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ
ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ
لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ
١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا
جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ
عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥

١١٤ - ﴿فتعالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ﴾ عمّا يقول المُشركون! ﴿ولا تَعجَلْ بالقُرآنِ﴾ أي: بقراءته ﴿مِن قَبلِ أن يُقضَى إليكَ وَحيُهُ﴾[1] أي: يَفرغَ جبريل من إبلاغه، ﴿وقُل: رَبِّ، زِدْنِي عِلمًا﴾ أي: بالقُرآن. فكُلّما نزل عليه شيء منه زاد به علمه. ١١٥ - ﴿ولَقَد عَهِدْنا إلَى آدَمَ﴾: وصّيناه ألاّ يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ أكله منها، ﴿فنَسِيَ﴾: ترك عهدنا، ﴿ولَم نَجِدْ لَهُ عَزمًا﴾ حزمًا وصبرًا عمّا نهيناه عنه.

١١٦ - ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قُلنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ. فسَجَدُوا إلاّ إبلِيسَ﴾ - وهو أبو الجِنّ، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم - ﴿أبَى﴾ عن السجود لآدمَ، «قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ»، ١١٧ - ﴿فقُلنا: يا آدَمُ، إنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوجِكَ﴾: حوّاءَ بالمدّ. ﴿فلا يُخرِجَنَّكُما مِنَ الجَنّةِ، فتَشقَى﴾: تتعبَ بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك. واقتُصر على شقاه لأنّ الرجل يسعى على زوجته.

١١٨ - ١١٩ - ﴿إنَّ لَكَ ألاّ تَجُوعَ فِيها ولا تَعرَى، وأنَّكَ﴾ - بفتح الهمزة وكسرها، عطفٌ على اسمِ «إنّ» وجملتِها - ﴿لا تَظمَأُ فِيها﴾: تعطشُ ﴿ولا تَضحَى﴾: لا يحصُلُ لك حرُّ شمس الضُّحى لانتفاء الشمس في الجنّة.

١٢٠ - ﴿فوَسوَسَ إلَيهِ الشَّيطانُ، قالَ: يا آدَمُ، هَل أدُلُّكَ علَى شَجَرةِ الخُلدِ﴾ أي: التي يَخلد من يأكل منها، ﴿ومُلكٍ لا يَبلَى﴾: لا يفنى. وهو لازمُ الخلود؟ ١٢١ - ﴿فأكَلا﴾ أي: آدمُ وحواءُ ﴿مِنها، فبَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما﴾ أي: ظهر لكُلّ منهما قُبُلُه وقُبُلُ الآخرِ ودُبُرُه - وسُمّيَ كُلٌّ منهما سَوءةً لأنّ انكشافه يسوء صاحبه - ﴿وطَفِقا يَخصِفانِ﴾: أخذا يُلزِقان ﴿علَيهِما مِن وَرَقِ الجَنّةِ﴾ ليستترا به، ﴿وعَصَى آدمُ رَبَّهُ فغَوَى﴾ بالأكل من الشجرة.

١٢٢ - ﴿ثُمَّ اجتَباهُ رَبُّهُ﴾: قرّبه، ﴿فتابَ علَيهِ﴾: قَبِل توبتَه، ﴿وهَدَى﴾ أي: هداه إلى المُداومة على التوبة. ١٢٣ - ﴿قالَ: اهبِطا﴾ - أي آدمُ وحوّاء - بما اشتملتما عليه من ذُرّيّتكما، ﴿مِنها﴾: من الجنّة ﴿جَمِيعًا، بَعضُكُم﴾: بعضُ الذرّيّة ﴿لِبعضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظُلم بعضهم بعضًا. ﴿فإمّا﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿يأتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿فلا يَضِلُّ﴾ في الدنيا، ﴿ولا يَشقَى﴾ في الآخرة، ١٢٤ - ﴿ومَن أعرَضَ عَن ذِكرِي﴾ أي: القُرآنِ، فلم يُؤمن به، ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشةً ضَنكًا﴾، بالتنوين مصدرٌ بمعنى: ضَيّقة - وفُسّرت في حديث بعذاب الكافر في قبره - ﴿ونَحشُرُهُ﴾ أي: المُعرِضَ عن القُرآن ﴿يَومَ القِيامةِ أعمَى﴾ أي: أعمى البصر.

١٢٥ - ﴿قالَ: رَبِّ، لِمَ حَشَرتَنِي أعمَى، وقَد كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعِند البعث؟ ﴿قالَ﴾: ....

﴿أن يُقضى إليك﴾: أن يُفرغَ ويتمَّ إليكَ. ﴿عَهِدنا إلى آدم﴾: أمرْناهُ أو أوحينا إليهِ. ﴿أبى﴾: امتنعَ مِنَ السُّجودِ استكباراً. ﴿لا تعرَى﴾: لا يُصيبكَ عُريٌ عنِ الملابسِ. ﴿لا تضحى﴾: لا تبرزُ للشَّمسِ فيصيبُكَ حرُّها. ﴿لا يبلى﴾: لا يزولُ ولا يفنى. ﴿سوآتهما﴾: عوراتُهُما. ﴿طفقا يخصفان﴾: أخذا يُلصقانِ ويلزقانِ. ﴿عصى آدم﴾: خالف النَّهيَ سهواً أو بتأوُّلٍ. ﴿فغوى﴾: فضلَّ عن مطلوبِهِ أو عنِ النَّهيِ. ﴿اجتباه﴾: اصطفاهُ للنُّبوَّةِ وقرَّبَهُ. ﴿معيشة ضنكًا﴾: ضيِّقةً شديدةً (في قبرِهِ).

(١) عن الحسن: أنّ رجلًا من الأنصار لطم امرأته، فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فنزلت: ﴿وَلا تَعْجَلْ﴾. الطبري (٦/ ٦٨٩).
عن السدّي قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في القرآن حتى يَشقَّ على نفسه يخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ الآية. ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٣٧). قال السيوطي في «اللباب» (ص: ١٤٦): وهذا أصح. يعني: مما قاله الحسن.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿١٢٦﴾ ـ الأمرُ ﴿كَذَلِكَ، أَتَتْكَ آياتُنا فنسيتَها﴾: تركتها ولم تؤمن بها، ﴿وكَذَلِكَ﴾ أي: مِثلَ نِسيانك آياتِنا ﴿اليَومَ تُنسَى﴾: تُترك في النار.

﴿١٢٧﴾ ـ ﴿وكَذَلِكَ﴾: ومِثلَ جزائنا مَن أعرض عن القُرآن ﴿نَجزي مَن أسرَفَ﴾: أشرك، ﴿ولَم يُؤمِنْ بآياتِ رَبِّهِ. ولَعَذابُ الآخِرةِ أشَدُّ﴾ من عذابِ الدنيا وعذابِ القبر ﴿وأبقى﴾: أدوَمُ.

﴿١٢٨﴾ ـ ﴿أفلم يهدِ﴾: يَتبيّنْ ﴿لَهُم﴾: لكفّار مكّة ﴿كَم﴾: خبريّةٌ مفعول ﴿أهلَكنا﴾ أي: كثيرًا، إهلاكُنا ﴿قَبلَهُم مِنَ القُرُونِ﴾ أي: الأُمم الماضية بتكذيب الرسل، ﴿يَمشُونَ﴾: حالٌ من ضمير «لهم» ﴿في مَساكِنِهِم﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا؟! وما ذُكر، من أخذ «إهلاك» مِن فعله الخالي عن حرف مصدريّ لرعاية المعنى، لا مانع منه.

﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: لَعِبرًا ﴿لِأُولي النُّهَى﴾: لِذوي العُقول. ﴿١٢٩﴾ ـ ﴿ولَولا كَلِمةٌ، سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة، ﴿لَكانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزامًا﴾: لازمًا لهم في الدنيا، ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى﴾: مضروبٌ لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد. ﴿١٣٠﴾ ـ ﴿فاصبِرْ على ما يَقُولُونَ﴾ ـ منسوخ بآية القتال ـ ﴿وسَبِّحْ﴾: صلِّ ﴿بِحَمدِ رَبِّكَ﴾: حالٌ، أي: ملتبسًا به، ﴿قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ﴾ صلاةَ الصُّبح ﴿وقَبلَ غُرُوبِها﴾ صلاةَ العصر، ﴿ومِن آناءِ اللَّيلِ﴾: ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ صلِّ المغربَ والعِشاءَ، ﴿وأطرافَ النَّهارِ﴾: عطفٌ على محلّ «من آناء» المنصوب، أي: صلِّ الظُّهرَ لأنّ وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرَفُ النصف الأوّل وطرَفُ النصف الثاني، ﴿لَعَلَّكَ تَرضَى﴾ بما تُعطى من الثواب، ﴿١٣١﴾ ـ ﴿ولا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ﴾[1] ﴿إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزواجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنهُم زَهرَةَ الحَياةِ الدُّنيا﴾: زينتَها وبهجتَها، ﴿لِنَفتِنَهُم فِيهِ﴾ بأن يطغوا ـ ﴿ورِزقُ رَبِّكَ﴾ في الجنّة ﴿خَيرٌ﴾ ممّا أُوتُوه في الدنيا ﴿وأبقَى﴾: أدوَمُ ـ ﴿١٣٢﴾ ـ ﴿وأْمُرْ أهلَكَ بِالصَّلاةِ، واصطَبِرْ﴾: اصبر ﴿عَلَيها. لا نَسألُكَ﴾: نُكلّفك ﴿رِزقًا﴾ لنفسك ولا لغيرك. ﴿نَحنُ نَرزُقُكَ، والعاقِبةُ﴾: الجنّة ﴿لِلتَّقوَى﴾: لِأهلها.

﴿١٣٣﴾ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: المشركون: ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿يأتِينا﴾ مُحمّد ﴿بِآيةٍ مِن رَبِّهِ﴾ ممّا يقترحونه. ﴿أوَلَم تأتِهِم﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿بَيِّنةُ﴾: بيانُ ﴿ما في الصُّحُفِ الأُولَى﴾ المُشتمِلُ عليه القُرآنُ من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل؟

﴿١٣٤﴾ ـ ﴿ولَو أنّا أهلَكناهُم بِعَذابٍ مِن قَبلِهِ﴾: قبلِ مُحمّد الرسول ﴿لَقالُوا﴾ يومَ القِيامة: ﴿رَبَّنا، لَولا﴾: هلاّ ﴿أرسَلتَ إلَينا رَسُولاً، فنَتَّبِعَ آياتِكَ﴾ المُرسَلَ بها ﴿مِن قَبلِ أن نَذِلَّ﴾ في القِيامة، ﴿ونَخزَى﴾ في جهنّم. ﴿١٣٥﴾ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾: مُنتظرٌ ما يؤول إليه الأمر. ﴿فتَرَبَّصُوا. فَستَعلَمُونَ﴾ في القِيامة: ﴿مَن أصحابُ الصِّراطِ﴾: الطريق ﴿السَّوِيِّ﴾: المُستقيم، ﴿ومَنِ اهتَدَى﴾ من الضلالة؟ أنحن أم أنتم؟

***

﴿أفلم يهد لهم﴾: أغفلوا فلم يُبيّنْ لهم مآلَهم. ﴿كم أهلكنا﴾: كثرة إهلاكِنا الأمَمَ الماضيةَ. ﴿لأولي النّهى﴾: لذوي العقولِ والبصائر. ﴿لكان لزامًا﴾: لكانَ إهلاكُهُم عاجلاً لازماً. ﴿أجل مسمّى﴾: يومُ القيامةِ (عطفٌ على كلمة). ﴿سبّح بحمد ربك﴾: صلِّ وأنتَ حامدٌ لربِّكَ. ﴿آناء الليل﴾: ساعاتِه. ﴿أزواجًا منهم﴾: أصنافاً مِنَ الكفَّارِ. ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾: زينتَها وبهجتَها. ﴿لنفتنهم فيه﴾: لنجعلَهُ فتنةً لهُم وابتلاءً. ﴿بيّنة﴾: هيَ القرآنُ المُعجزُ أم الآيات. ﴿من قبله﴾: مِن قبلِ الإثباتِ بالبيِّنةِ. ﴿نخزى﴾: نفتَضحَ في الآخرةِ بالعذابِ. ﴿متربّص﴾: مُنتظرٌ مآلَهُ. ﴿الصّراط السّويّ﴾: الطَّريقِ المستقيم.

(١) قال أبو رافع: استسلف النبيُّ ﷺ من يهوديٍّ طعاماً فأبى أن يُسلفه إلا برهْنٍ، فقال: «واللهِ إنّي لأمينٌ في السّماء وأمينٌ في الأرض، ولو أسلَفَني أو باعَني لأدَّيتُ إليه، اذهَبْ بدرعي»، فنزلت هذه الآيةُ تعزيةً له عن الدُّنيا. البزار (٣٨٦٣)، والروياني (٦٩٥)، والطبري (١٦/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٩٨٩)، والواحدي (ص: ٣٠٤). قال في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٦): «فيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف». كما تعقبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٧٠) بأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ، لأنّه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

٢١

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

الجزء ١٧ الحزب ٣٣

مكية، وهي مِائةٌ وإحدى أو اثنتا عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿اقتَرَبَ﴾: قـرُبَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة مُنكري البعث ﴿حِسابُهُم﴾: يومُ القيامة، ﴿وهُم في غَفْلَةٍ﴾ عنه، ﴿مُعرِضُونَ﴾ عن التأهّب له بالإيمان، (٢) ـ ﴿ما يأتِيهم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهم، مُحدَثٍ﴾: شيئًا فشيئًا، أي: لفظِ قرآنٍ[1] ﴿إلاّ استَمَعُوهُ، وهُم يَلعَبُونَ﴾: يستهزئون، (٣) ـ ﴿لاهِيةً﴾: غافلةً ﴿قُلُوبُهُم﴾ عن معناه، ﴿وأسَرُّوا النَّجوَى﴾ أي: الكلامَ[2]، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدلٌ من واو «أسرّوا النجوى»: ﴿هَل هذا﴾ أي: مُحمّد ﴿إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم﴾؟ يأتي به سِحرٌ[3]. ﴿أفتأتُونَ السِّحرَ﴾: تتّبعونه، ﴿وأنتُم تُبصِرُونَ﴾: تعلمون أنه سِحر؟
(٤) ـ ﴿قُـلْ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعلَمُ القَولَ﴾ كائنًا ﴿في السَّماءِ والأرضِ، وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِما أسرّوه ﴿العَلِيمُ﴾ به.

(٥) ـ ﴿بَل﴾: للانتقال من غرض إلى آخَر في المواضع الثلاثة ﴿قالُوا﴾ فيما أتى به من القرآن: هو ﴿أضغاثُ أحلامٍ﴾: أخلاطٌ، رآها في النوم، ﴿بَلِ افتَراهُ﴾: اختلقه، ﴿بَل هُوَ شاعِرٌ﴾ فما أتى به شِعر. ﴿فلْيأتِنا بآيةٍ كَما أُرسِلَ الأوَّلُونَ﴾ كالناقة والعصا واليد.

(٦) ـ قـال تعالى: ﴿ما آمَنَتْ قَبلَهُم مِن قَريةٍ﴾ أي: أهلُها، ﴿أهلَكْناها﴾[4] بتكذيبها ما أتاها من الآيات ـ ﴿أفهُم يُؤمِنُونَ﴾؟ لا ـ

(٧) ـ ﴿وما أرسَلْنا قَبلَكَ إلاّ رِجالاً، يُوحَى﴾، وفي قراءة بالنون وكسر الحاء، ﴿إلَيهِم﴾ لا ملائكةً ـ ﴿فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ﴾: العُلماءَ بالتوارة والإنجيل، ﴿إن كُنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقربُ من تصديق المؤمنين بمُحمّد ـ (٨) ـ ﴿وما جَعَلْناهُم﴾ أي: الرسلَ ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى أجسادًا، ﴿لا يأكُلُونَ الطَّعامَ﴾ بل يأكلونه، ﴿وما كانُوا خالِدِينَ﴾ في الدنيا، (٩) ـ ﴿ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الوَعدَ﴾ بإنجائهم، ﴿فأنجَيناهُم ومَن نَشاءُ﴾ أي: المُصدِّقين لهم، ﴿وأهلَكْنا المُسرِفِينَ﴾: المُكذّبين لهم.

(١٠) ـ ﴿لَقَد أنزَلْنا إلَيكُم﴾ ـ يا مَعشر قُريش ـ ﴿كِتابًا، فِيهِ ذِكرُكُم﴾ لأنه بلُغتكم. ﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾ فتؤمنونَ به؟

﴿اقترب﴾: قَرُبَ ودنا. ﴿مُحدَث﴾: تنزيلُهُ بالوحيِ. ﴿أسرّوا النجوى﴾: بالغوا في إخفاءِ تناجيهِم. ﴿أضغاث أحلام﴾: تخاليطُ أحلامٍ رآها في نومِهِ. ﴿جسدًا﴾: أجساداً، أو ذوي جسد. ﴿فيه ذكركم﴾: موعظتُكم أو شرفُكم وصِيتُكم.

(١) إشارةٌ إلى أنَّ كلامَ اللهِ تعالى القدسيَّ قديمٌ، وأمَّا تلفُّظُه بألسنَتِنا وحفظُه بقُلوبِنا وكتابتُهُ بأيدينا فمُحدَثَةٌ مخلوقَةٌ، وقالَ كثيرٌ من أهلِ التَّفسيرِ: المرادُ بالمُحدَثِ إنَّما هو التَّذكيرُ والمواعظُ الواردةُ على لسانِ الرَّسولِ ﷺ الخارجةُ عن القرآنِ. (الجمالين).

(٢) أي: بالغوا في إخفائِها، وإنَّما أسرُّوا به تشاوُراً في استنباطِ ما يَهدمُ أمرَهُ ويُظهرُ فسادَهُ للنَّاسِ عامَّةً. (الجمالين).

(٣) كأنَّهم استدلُّوا بكونه بشراً على كذبِهِ في ادِّعاءِ الرِّسالةِ؛ لاعتقادِهِم أنَّ الرَّسولَ لا يكونُ إلاَّ مَلَكاً، واستلزَموا منه أنَّ ما جاءَ به من الخوارقِ كالقرآنِ سحرٌ، فأنكروا حضورَهُ. (الجمالين).

(٤) عن قتادة: قال أهل مكة لنبيِّ الله ﷺ: إن كان ما تقول حقًّا ويَسرُّك أن نؤمن فحوِّل لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، قال: «بل أستَأْني بقَومي»، فنزلت. الطبري (١٤/ ٦٣٦)، و«لباب النقول» (ص: ١٣٣).

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ
لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾
لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ
مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

(١١) ـ (١٢) ـ ﴿وكَم قَصَمْنا﴾: أهلكْنا ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلَها، ﴿كانَت ظالِمةً﴾: كافرة، ﴿وأنشأنا بَعدَها قومًا آخَرينَ! فلَمّا أحَسُّوا بأسَنا﴾ أي: شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إذا هُم مِنها يَركُضُونَ﴾: يهربون مسرعين، فقالت لهم الملائكة استهزاءً: (١٣) ـ ﴿لا تَركُضُوا، وارجِعُوا إلَى ما أُترِفتُم﴾: نُعِمتم ﴿فيهِ ومَساكِنِكُم، لَعَلَّكُم تُسأَلُونَ﴾ شيئًا من دنياكم على العادة. (١٤) ـ ﴿قالُوا: يا﴾: للتنبيه ﴿ويلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ بالكُفر. (١٥) ـ ﴿فما زالَتْ تِلكَ﴾ الكلماتُ ﴿دَعْواهُم﴾ يدعون بها ويردّدونها ﴿حَتَّى جَعَلْناهُم حَصِيدًا﴾ أي: كالزرع المحصود بالمَناجل بأن قُتلوا بالسيوف ﴿خامِدِينَ﴾: ميّتين كخُمود النار إذا طَفِئتْ.

(١٦) ـ ﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَينَهُما لاعِبِينَ﴾: عابِثِين بل دالّين على قُدرتنا ونافعين عِبادَنا. (١٧) ـ ﴿لَو أرَدْنا أن نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي: ما يُلهَى به من زوجة أو ولد ﴿لاتَّخَذْناهُ مِن لَدُنّا﴾: من عِندنا من الحُور العِين [والوِلدان] والملائكة، ﴿إن كُنّا فاعِلِينَ﴾ ذلك. لكنّا لم نفعله، فلم نُرده. (١٨) ـ ﴿بَل نَقذِفُ﴾: نرمي ﴿بِالحَقِّ﴾: الإيمانِ ﴿علَى الباطِلِ﴾: الكُفرِ، ﴿فيَدمَغُهُ﴾: يُذهبه، ﴿فإذا هُوَ زاهِقٌ﴾: ذاهب. و«دَمَغَه» في الأصل: أصاب دِماغه بالضرب، وهو مَقتَلٌ. ﴿ولَكُمُ﴾ ـ يا كُفّار مكّة ـ ﴿الوَيلُ﴾: العذاب الشديد ﴿مِمّا تَصِفُونَ﴾ اللهَ به من الزوجة والولد. (١٩) ـ ﴿ولَهُ﴾ تعالى ـ ﴿مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا، ﴿ومَن عِندَهُ﴾ أي: الملائكةُ مبتدأٌ خبرُه: ﴿لا يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِهِ، ولا يَستَحسِرُونَ﴾: لا يَعيون، (٢٠) ـ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ والنَّهارَ، لا يَفتُرُونَ﴾ عنه. فهو منهم كالنفس منّا لا يَشغلنا عنه شاغل.

(٢١) ـ ﴿أمِ﴾ بمعنى «بل» للانتقال وهمزةِ الإنكار ﴿اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ كائنة ﴿مِنَ الأرضِ﴾ كحجَر وذهب وفِضّة؟ أ﴿هُم﴾ أي: الآلهةُ ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يُحيُون الموتى؟ لا. ولا يكون إلـٰهًا إلاّ من يُحيي الموتى. (٢٢) ـ ﴿لَو كانَ فِيهِما﴾ أي: السماواتِ والأرض ﴿آلِهَةٌ إلاّ اللهُ﴾ أي: غيرُه ﴿لَفَسَدَتا﴾: خرجتا عن نظامهما المُشاهَد، لوجود التمانُع بينهم على وَفق العادة عِند تعدّد الحاكم، من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه. ﴿فسُبحانَ﴾: تنزيهَ ﴿اللهِ، رَبِّ﴾: خالقِ ﴿العَرشِ﴾: الكرسيّ ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾ أي: الكُفّارُ اللهَ به من الشريكِ له وغيرِه! (٢٣) ـ ﴿لا يُسألُ عَمّا يَفعَلُ، وهُم يُسألُونَ﴾ عن أفعالهم.

(٢٤) ـ ﴿أمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ ـ تعالى ـ أي: سِواه ﴿آلِهَةً﴾؟ فيه استفهامُ توبيخ. ﴿قُلْ: هاتُوا بُرهانَكُم﴾ على ذلك. ولا سبيل إليه. ﴿هذا ذِكرُ مَن مَعِي﴾ أي: أُمّتي، وهو القُرآنُ، ﴿وذِكرُ مَن قَبلِي﴾ من الأُمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أنّ مع الله إلـٰهًا ممّا قالوا. تعالى عن ذلك. ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ الحَقَّ﴾ أي: توحيد الله، ﴿فهُم مُعرِضُونَ﴾ عن النظر المُوصِّل إليه.

﴿كم قصمنا﴾: كثيراً أهلكْنا. ﴿أحسّوا بأسنا﴾: أدركوا بحاسَّتِهم عذابَنا الشّديدَ. ﴿يركضون﴾: يهربونَ مُسرعينَ. ﴿أترفتم فيه﴾: نعِّمتُم فيهِ فبَطِرتُم. ﴿حصيدًا﴾: كالنَّباتِ المحصودِ بالمناجلِ. ﴿خامدين﴾: ميِّتينَ كالنَّارِ الَّتي سكنَ لهبُها. ﴿نتّخذ لهوًا﴾: ما يُتَلهَّى بهِ مِن صاحبةٍ أو ولدٍ. ﴿نقذف بالحق﴾: نرمي بهِ ونوردُهُ. ﴿فيدمغه﴾: يمحقُهُ ويدحضُهُ. ﴿زاهق﴾: ذاهبٌ مُضمحلٌّ. ﴿الويل﴾: الهلاكُ أوِ الخزيُ أو وادٍ بجهنَّمَ. ﴿لا يستحسرون﴾: لا يكلُّونَ ولا يعيَوْنَ. ﴿لا يفترون﴾: لا يسكنونَ عن نشاطِهم في التَّسبيحِ والعبادة. ﴿هم ينشرون﴾: هم يُحيونَ الموتى ـ كلّا. ﴿لفسدتا﴾: لاختلَّ نظامُهُما وخربَتا للتَّنازعِ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم
بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ
جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا
مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ
رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ
ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ
ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

(٢٥) ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ إلاّ يُوحَى﴾ ـ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ـ ﴿إلَيهِ أنَّهُ لا إلـٰـهَ إلاّ أنا. فاعبُدُونِ﴾ أي: وحِّدون.

(٢٦) ـ ﴿وقالُوا: اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة. ﴿سُبحانَهُ! بَل﴾ هم ﴿عِبادٌ مُكرَمُونَ﴾ عِنده ـ والعُبوديةُ تُنافي الولادة ـ (٢٧) ـ ﴿لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ﴾: لا يأتون بقولهم إلاّ بعد قوله، ﴿وهُم بِأمرِهِ يَعمَلُونَ﴾ أي: بعدَه،

ربع الحزب ٣٣

(٢٨) ـ ﴿يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم﴾ أي: ما عملوا وما هم عاملون، ﴿ولا يَشفَعُونَ إلاّ لِمَنِ ارتَضَى﴾ تعالى أن يُشفع له، ﴿وهُم مِن خَشيَتِهِ﴾ ـ تعالى ـ ﴿مُشفِقُونَ﴾ أي: خائفون، (٢٩) ـ ﴿ومَن يَقُلْ مِنهُم: إنِّي إلـٰـهٌ مِن دُونِهِ﴾ أي: الله أي: غيرُه ـ وهو إبليس دعا إلى عِبادة نفسه وأمر بطاعتها ـ ﴿فذلِكَ نَجزِيهِ جَهَنَّمَ. كَذلِكَ﴾: كما نجزيه ﴿نَجزِي الظّالِمِينَ﴾ أي: المشركين.

(٣٠) ـ ﴿أوَلَم﴾ ـ بواو وتركِها ـ ﴿يَرَ﴾: يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ السَّماواتِ والأرضَ كانَتا رَتْقًا﴾ أي: سدًّا بمعنى مسدودة، ﴿فَفَتَقْناهُما﴾ أي: جعلنا السماء سبعًا والأرض سبعًا، أو فتقُ السماء: أن كانت لا تُمطر فأمطرت، وفتقُ الأرض: أن كانت لا تُنبت فأنبتت، ﴿وجَعَلْنا مِنَ الماءِ﴾ النازلِ من السماء والنابعِ من الأرض ﴿كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾: نباتٍ وغيره، أي: فالماء سبب لحياته؟ ﴿أفلا يُؤمِنُونَ﴾ بتوحيدي؟

(٣١) ـ ﴿وجَعَلْنا في الأرضِ رَواسِيَ﴾: جبالاً ثَوابتَ، لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرّكَ ﴿بِهِم، وجَعَلْنا فِيها﴾ أي: الرواسي ﴿فِجاجًا﴾: مَسالك، ﴿سُبُلاً﴾: بدلٌ أي: طُرقًا نافذة واسعة، ﴿لَعَلَّهُم يَهتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار، (٣٢) ـ ﴿وجَعَلْنا السَّماءَ سَقفًا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَحفُوظًا﴾ عن الوقوع. ﴿وهُم عَن آياتِها﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها، فيعلمون أنّ خالقها لا شريك له.

(٣٣) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ ـ تنوينه عوضٌ من المضاف إليه، أي: كلٌّ من الشمس والقمرِ وتابعِه. وهو النجوم ـ ﴿في فَلَكٍ﴾ أي: مُستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسبَحُونَ﴾: يسيرون بسرعة كالسابح في الماء. وللتشبيه به أتى بضمير جمعِ مَن يعقل.

ونزل لمّا قال الكُفّار: «إنّ محمّدًا سيموتُ»(١): (٣٤) ـ ﴿وما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِن قَبلِكَ الخُلدَ﴾ أي: البقاء في الدنيا. ﴿أفإن مُتَّ فهُمُ الخالِدُونَ﴾ فيها؟ لا. فالجملة الأخيرة محلُّ الاستفهام الإنكاري. (٣٥) ـ ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائقةُ المَوتِ﴾ في الدنيا، ﴿ونَبلُوكُم﴾: نختبركم ﴿بِالشَّرِّ والخَيرِ﴾ كفَقر وغِنى وسقَم وصِحّة ﴿فِتنَةً﴾: مفعول له، أي: لننظر: أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وإلَينا تُرجَعُونَ﴾ فنُجازيكم.

﴿ولدًا﴾: قالوا الملائكةُ بناتُ اللهِ. ﴿مُشفقون﴾: خائفونَ حذرونَ. ﴿كانتا رتقًا﴾: كانتا مُلتصِقتَينِ بلا فصْلٍ. ﴿ففتقناهما﴾: ففصلْنا بينَهُما بالهواءِ. ﴿كلّ شيءٍ حيّ﴾: كلَّ شيءٍ نامٍ حيواناً أو نباتاً. ﴿رواسي﴾: جبالاً ثوابتَ. ﴿أن تميد بهم﴾: لئلّا تضطربَ بهم فلا تثبُتَ. ﴿فجاجًا سُبُلًا﴾: طُرُقاً واسعةً مسلوكةً. ﴿سقفًا محفوظًا﴾: مصوناً مِنَ الوُقوعِ أوِ التَّغيُّرِ. ﴿كلٌّ﴾: مِنَ الشَّمسِ والقمرِ. ﴿في فلك يسبحون﴾: يدورونَ. أو يجرونَ في السَّماءِ. ﴿نبلوكم﴾: نختبرُكُم معَ علمِنا بحالِكُم.

(١) في «الوجيز للواحدي» (ص: ٧١٥)، و«غرائب التفسير» للكرماني (٢/ ٧٣٨)، و«زاد المسير» (٣/ ١٩٠): أن قوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ نزل حين قالوا: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].
وعن ابن جريج: نُعي إلى النبي ﷺ نفسُه فقال: «يا رب فمَن لأمتي؟»، فنزلت: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ الآية. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٣٣).

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا
ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٨ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ٤٠ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ
بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٤١ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ٤٢
أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ٤٣ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٤٤

٣٦ ـ ﴿**وإذا رآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إن**﴾: ما ﴿**يَتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُوًا**﴾[١] أي: مهزوءًا به، يقولون: ﴿**أهذا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهتَكُم**﴾ أي: يَعيبها؟ ﴿**وهُم بِذِكرِ الرَّحمنِ**﴾ لهم ﴿**هُم**﴾: تأكيد ﴿**كافِرُونَ**﴾ به، إذ قالوا: ما نعرفه.

ونزل في استعجالهم العذابَ[٢]: ٣٧ ـ ﴿**خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَلٍ**﴾ أي: أنه لكثرة عَجَلَتِهِ[٣] في أحواله كأنه خُلق منه. ﴿**سأُرِيكُم آياتِي**﴾: مواعيدي بالعذاب. ﴿**فلا تَستَعجِلُونِ**﴾ فيه. فأراهم القتلَ ببدر. ٣٨ ـ ﴿**ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ**﴾ بالقِيامة، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ فيه؟

٣٩ ـ قال تعالى: ﴿**لَو يَعلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ**﴾: يدفعون ﴿**عَن وُجُوهِهِمِ النّارَ ولا عَن ظُهُورِهِم، ولا هُم يُنصَرُونَ**﴾: يُمنعون منها في القِيامة ـ وجواب لو: ما قالوا ذلك ـ ٤٠ ـ ﴿**بَل تأتِيهِم**﴾ القِيامةُ ﴿**بَغْتَةً**﴾ ﴿**فتَبهَتُهُم**﴾: تُحيّرهم، ﴿**فلا يَستَطِيعُونَ رَدَّها، ولا هُم يُنظَرُونَ**﴾: يُمهَلون لتوبة أو مَعذِرة.

٤١ ـ ﴿**ولَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ**﴾ ـ فيه تسلية للنبيِّ ﷺ ـ ﴿**فحاقَ**﴾: نزل ﴿**بالَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾، وهو العذاب. فكذا يَحيق بمن استهزأ بك.

٤٢ ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**مَن يَكلَؤُكُم**﴾: يحفظُكم ﴿**باللَّيلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحمنِ**﴾: من عذابه، إن نزل بكم؟ أي: لا أحد يفعل ذلك. والمُخاطَبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له، ﴿**بَل هُم عَن ذِكرِ رَبِّهِم**﴾ أي: القُرآنِ ﴿**مُعرِضُونَ**﴾: لا يتفكّرون[٤] فيه.

٤٣ ـ ﴿**أم**﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار، أي: أ ﴿**لَهُم آلِهةٌ تَمنَعُهُم**﴾ ممّا يسوءُهم ﴿**مِن دُونِنا**﴾ أي: ألَهم من يمنعهم منه غيرُنا؟ لا. ﴿**لا يَستَطِيعُونَ**﴾ أي: الآلهةُ ﴿**نَصرَ أنفُسِهِم**﴾ فلا ينصرونهم، ﴿**ولا هُم**﴾ أي: الكُفّارُ[٥] ﴿**مِنّا**﴾: من عذابنا ﴿**يُصحَبُونَ**﴾: يُجارُون. يقال: صَحِبَكَ اللهُ، أي حفظك وأجارك. ٤٤ ـ ﴿**بَل مَتَّعْنا هؤُلاءِ وآباءَهُم**﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿**حَتَّى طالَ عَلَيهِمِ العُمُرُ**﴾ فاغترّوا بذلك. ﴿**أفلا يَرَونَ أنّا نأتِي الأرضَ**﴾: نقصِدُ أرضَهم[٦]، ﴿**نَنقُصُها مِن أطرافِها**﴾ بالفتح[٧] على النبيّ؟ ﴿**أفهُمُ الغالِبُونَ**﴾؟ لا، بل النبيُّ وأصحابه.

﴿لا يكفّون﴾: لا يمنعونَ ولا يدفعونَ. ﴿بغتة﴾: فجأةً. ﴿فتبهتهم﴾: تحيّرُهم وتدهشُهُم. ﴿يُنظرون﴾: يُمهلونَ ويُؤخَّرونَ. ﴿فحاق﴾: أحاطَ. أو نزلَ. ﴿يكلؤكم﴾: يحفظُكُم ويحرسُكُم. ﴿يُصحَبون﴾: يُجارونَ ويُمنعونَ أو يُنصرونَ.

(١) عن السدي: مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعهما النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقَع به وخوَّفه فنزلت.

(٢) عن ابن عباس في رواية عطاء: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ يريد: النَّضر بن الحارث، وهو الذي قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِن عندك﴾ [الأنفال: ٣٢]. الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٧٨).

(٣) وقلَّةِ ثباتِهِ، ومن عجلتِهِ: مبادَرتُهُ إلى الكفرِ واستِعجالُ الوعيدِ. (الجمالين).

(٤) أو: لا يُخطِرونَهُ ببالِهم فضلًا أن يَخافُوا بأسَهُ، حتَّى إذا كُلِئوا منه عرَفوا الكالِئَ وصلحوا للسُّؤالِ عن الكَلْءِ. (الجمالين).

(٥) الظَّاهرُ أنَّ الضَّميرينَ للآلهةِ، والمعنَى: أنَّ من لا يقدِرُ على نَصرِ نفسِهِ ولا يصحبُهُ نصرٌ من اللهِ فكيفَ ينصرُ غيرَهُ؟ (الجمالين).

(٦) أي: الكفرَةِ؛ يعني: هذه سُنَّتُنا. (الجمالين).

(٧) وبتَسليطِ المؤمنينَ عليها. (الجمالين).

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا
بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿٤٥﴾ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّما أُنذِرُكُم بِالوَحيِ﴾ من الله لا من قِبَل نفسي. ﴿ولا يَسمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذا﴾ - بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء - ﴿ما يُنذَرُونَ﴾ أي: هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصُّمّ،

﴿٤٦﴾ - ﴿ولَئِنْ مَسَّتْهُم نَفْحَةٌ﴾: وقعة خفيفة، ﴿مِن عَذابِ رَبِّكَ، لَيَقُولُنَّ: يا﴾ للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب مُحمّد.

﴿٤٧﴾ - ﴿ونَضَعُ المَوازِينَ القِسطَ﴾: ذواتِ[1] العدل ﴿لِيَومِ القِيامةِ﴾ أي: فيه، ﴿فلا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيّئة، ﴿وإن كانَ﴾ العملُ ﴿مِثقالَ﴾: زِنَةَ[2] ﴿حَبّةٍ مِن خَردَلٍ أتَينا بِها﴾: بموزونها[3]، ﴿وكَفَى بِنا حاسِبِينَ﴾: مُحصِين في كل شيء!

﴿٤٨﴾ - ﴿٤٩﴾ - ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى وهارُونَ الفُرْقانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين الحقّ والباطل والحلالِ والحرام، ﴿وضِياءً﴾ بها ﴿وذِكرًا﴾ أي: عِظة بها ﴿لِلمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بالغَيبِ﴾ عن الناس أي: في الخلاء عنهم، ﴿وهُم مِنَ السّاعةِ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشفِقُونَ﴾ أي: خائفون.

﴿٥٠﴾ - ﴿وهذا﴾ أي: القُرآن ﴿ذِكرٌ مُبارَكٌ أنزَلْناهُ. أفأنتُم لَهُ مُنكِرُونَ﴾؟ الاستفهام[4] فيه للتوبيخ.

﴿٥١﴾ - ﴿ولَقَد آتَينا إبراهِيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ﴾ أي: هُداه قبل بُلوغه[5]، ﴿وكُنّا بِهِ عالِمِينَ﴾ بأنه أهل لذلك، ﴿٥٢﴾ - ﴿إذ قالَ لِأبِيهِ وقَومِهِ: ما هذِهِ التَّماثِيلُ﴾: الأصنام ﴿الَّتِي أنتُم لَها عاكِفُونَ﴾ أي: على عبادتها مُقيمون؟ ﴿٥٣﴾ - ﴿قالُوا: وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾، فاقتدينا بهم. ﴿٥٤﴾ - ﴿قالَ﴾ لهم: ﴿لَقَد كُنتُم أنتُم وآباؤُكُم﴾ بعِبادتها ﴿في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بَيّنٍ.

﴿٥٥﴾ - ﴿قالُوا: أجِئتَنا بِالحَقِّ﴾ في قولك هذا، ﴿أم أنتَ مِنَ اللاّعِبِينَ﴾ فيه؟ ﴿٥٦﴾ - ﴿قالَ: بَل رَبُّكُم﴾ المُستحقّ للعبادة ﴿رَبُّ﴾: مالكُ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: خلقهنّ على غير مِثال سبق، ﴿وأنا عَلَى ذلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ به، ﴿٥٧﴾ - ﴿٥٨﴾ - ﴿وتاللهِ لَأكِيدَنَّ[6] أصنامَكُم، بَعدَ أنْ تُوَلُّوا مُدبِرِينَ﴾!

﴿نفحة﴾: دُفعةٌ يسيرةٌ. أو نصيبٌ يسيرٌ. ﴿القسط﴾: العدلَ. أو ذوات العدلِ. ﴿مثقال حبّة﴾: وزنَ أقلِّ شيءٍ. ﴿مُشفقون﴾: خائفونَ حذرونَ. ﴿التّماثيل﴾: الأصنامُ المصنوعةُ بأيديكُم. ﴿فطرهنّ﴾: خلقَهُنَّ وأبدعَهُنَّ.

(١) القِسْطِ، أو: العادلَةِ، أو: للعَدلِ، أو مصدَرٌ وُصِفَ به للمُبالغَةِ، والجمعُ باعتِبارِ الموزوناتِ، يوزَنُ بها صحائِفُ الأعمالِ على الأصحِّ، قيل: صاحبُ الموازينِ يومَ القيامَةِ جبريلُ. (الجمالين).

(٢) أي: مقدارَ، ورفعُ ﴿مِثْقَالُ﴾ على ﴿كَانَ﴾ التَّامَّةِ. (الجمالين).

(٣) وهو الصَّحيفةُ؛ يعني: على حذفِ المضافِ؛ إذ العَملُ عرَضٌ لا يبقَى زمانينِ، وقيلَ: تُجسَّد الأعمالُ، فيَكونُ المعنى: أحضَرْناها. (الجمالين).

(٤) الأخصَرُ: استِفهامُ توبيخٍ. (الجمالين).

(٥) حيثُ قالَ: ﴿إنِّي وجَّهتُ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقيل: قبلَ موسَى وهارونَ، أو محمَّدٍ عليهم السَّلامُ، وسُئلَ الجُنَيدُ: متى أُوتيَ رُشدَهُ؟ فقال: حينَ لا متى. قلتُ: لو قيلَ: «قبلَ متى» لأتى بالمَأتيِّ. (الجمالين).

(٦) لأجتهِدنَّ في كسرِها، ولعلَّه قال ذلك سرًّا. (الجمالين).

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذَهابهم إلى مُجتمعهم في يوم عِيد لهم **﴿جُذاذًا﴾**، بضمّ الجيم وكسرها: فُتاتًا بفأس، **﴿إلاّ كَبِيرًا لَهُم﴾** علّق الفأس في عُنقه، **﴿لَعَلَّهُم إلَيهِ﴾** أي: الكبير **﴿يَرجِعُونَ﴾** فيرَون ما فُعِلَ بغيره.

﴿٥٩﴾ ـ **﴿قالُوا﴾** بعد رُجوعهم ورُؤيتهم ما فُعِل: **﴿مَن فَعَلَ هذا بآلِهتِنا؟ إنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾** فيه. ﴿٦٠﴾ ـ ﴿٦١﴾ ـ **﴿قالُوا﴾** أي: بعضهم لبعض: **﴿سَمِعْنا فَتًى يَذكُرُهُم﴾** أي يَعيبهم، **﴿يُقالُ لَهُ إبراهِيمُ. قالُوا: فائتُوا بِهِ عَلى أعيُنِ النّاسِ﴾** أي: ظاهرًا، **﴿لَعَلَّهُم يَشهَدُونَ﴾** عليه أنه الفاعل.

﴿٦٢﴾ ـ ﴿٦٣﴾ ـ **﴿قالُوا﴾** له بعد إتيانه: **﴿أأنتَ﴾** ـ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأُخرى وتركه ـ **﴿فَعَلتَ هذا بِآلِهتِنا؟ يا إبراهِيمُ. قالَ﴾** ساكتًا عن فعله: **﴿بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هذا. فاسألُوهُم﴾** عن فاعله، **﴿إن كانُوا يَنطِقُونَ﴾**. فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله تعريض[1] لهم بأنّ الصنم المعلومَ عجزُه عن الفعل لا يكون إلٰهًا.

﴿٦٤﴾ ـ **﴿فرَجَعُوا إلَى أنفُسِهِم﴾** بالتفكّر، **﴿فقالُوا﴾** لأنفُسهم: **﴿إنَّكُم أنتُمُ الظّالِمُونَ﴾**، أي: بعِبادتكم من لا ينطق. ﴿٦٥﴾ ـ **﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾** من الله **﴿عَلى رُؤُوسِهِم﴾** أي: رُدّوا[2] إلى كُفرهم، وقالوا: واللهِ **﴿لَقَد عَلِمتَ: ما هؤُلاءِ يَنطِقُونَ﴾** أي: فكيف تأمرنا بسُؤالهم؟

﴿٦٦﴾ ـ **﴿قالَ: أفتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيره **﴿ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا﴾** من رزق وغيره، **﴿ولا يَضُرُّكُم﴾** شيئًا، إن لم تعبدوه؟ ﴿٦٧﴾ ـ **﴿أُفٍّ﴾** ـ بكسر الفاء وفتحها ـ بمعنى مصدر أي: نَتنًا وقُبحًا **﴿لَكُم، ولِما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيره. **﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾** أنّ هذه الأصنام لا تستحقّ العِبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقّها الله تعالى ﴿٦٨﴾ ـ **﴿قالُوا: حَرِّقُوهُ﴾** أي: إبراهيمَ، **﴿وانصُرُوا آلِهَتَكُم﴾** أي: بتحريقه، **﴿إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾** نُصرتَها.

فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في مَنجَنيق ورمَوه في النار. ﴿٦٩﴾ ـ قال الله تعالى: **﴿قُلنا: يا نارُ، كُونِي بَردًا وسَلامًا عَلى إبراهِيمَ﴾**، فلم تُحرق منه غيرَ وِثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها. وبقوله «سلامًا» سلِمَ من الموت ببردها.

﴿٧٠﴾ ـ **﴿وأرادُوا بِهِ كَيدًا﴾** ـ وهو التحريق ـ **﴿فَجَعَلْناهُمُ الأخسَرِينَ﴾** في مُرادهم[3]، ﴿٧١﴾ ـ **﴿ونَجَّيناهُ ولُوطًا﴾** ابنَ أخيه هارانَ من العِراق **﴿إلَى الأرضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلعالَمِينَ﴾** بكثرة الأنهار والأشجار ـ وهي الشام. نزل إبراهيمُ بفِلَسطينَ ولوطٌ بالمؤتفكة، وبينهما يوم ـ ﴿٧٢﴾ ـ **﴿ووَهَبْنا لَهُ﴾**: لإبراهيم ـ وكان سأل ولدًا كما ذُكر في «الصافات» ـ **﴿إسحاقَ، ويَعقُوبَ نافِلَةً﴾** أي: زيادةً على المسؤول، أو هو ولدُ الولد، **﴿وكُلًّا﴾** أي: هو وولداه **﴿جَعَلْنا صالِحِينَ﴾** أي: أنبياء،..........................

﴿جُذاذًا﴾: قِطعاً وكِسراً. ﴿على أعين النّاس﴾: ظاهراً بمرأىً مِنَ النّاسِ. ﴿نُكِسوا على رءوسهم﴾: رجعوا إلى الباطلِ والعنادِ. ﴿أفٍ لكم..﴾: كلمةُ تضجُّرٍ وكراهيةٍ وتبرُّم. ﴿إلى الأرض﴾: مُنتهياً إلى أرضِ الشّام. ﴿نافلة﴾: عطيَّةً أو زيادة عمَّا سأل.

(١) فيه إشارةٌ إلى أنَّ ما رُويَ أنّه عليه الصّلاةُ والسّلامُ قال: «لم يَكذِبْ إلاّ ثلاثَ كذباتٍ» تسميةٌ للمَعاريضِ كذباً لمَّا شابهَت صورتُها صورتَهُ. (الجمالين).

(٢) شبَّهَ عودَهُم إلى الباطلِ بصَيرُورةِ أسفلِ الشّيءِ مُستعلياً على أعلاهُ. (الجمالين).

(٣) حيثُ عادَ كيدُهُم بُرهاناً قاطعاً على أنّهم على الباطلِ وإبراهيمَ على الحقِّ، ومُوجِباً لمزيدِ درجتِهِ واستحقاقِهِم عذابَ النّارِ. (الجمالين).

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ
ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ (٧٣) وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
(٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
أَجْمَعِينَ (٧٧) وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ
إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ (٧٨)
فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ (٧٩)
وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ (٨١)

(٧٣) ـ ﴿**وجَعَلْناهُم أئمّةً**﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يُقتدَى بهم في الخير، ﴿**يَهدُونَ**﴾ الناس ﴿**بِأمرِنا**﴾ إلى دِيننا، ﴿**وأوحَينا إلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ، وإقامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ**﴾ أي: أن تُفعل وتُقام وتُؤتى منهم ومن أتباعهم. وحذفُ هاء «إقامة» تخفيف. ﴿**وكانُوا لَنا عابِدِينَ**﴾.

(٧٤) ـ (٧٥) ـ ﴿**ولُوطًا آتيناهُ حُكمًا**﴾: فصلاً بين الخُصوم ﴿**وعِلمًا، ونَجَّيناهُ مِنَ القَريةِ الَّتِي كانَتْ تَعمَلُ**﴾ أي: أهلُها الأعمالَ ﴿**الخَبائثَ**﴾ من اللِّواط والرمي بالبُندق واللعب بالطيور وغير ذلك ـ ﴿**إنَّهُم كانُوا قَومَ سَوءٍ**﴾: مصدرُ: ساءَه، نقيضِ: سرَّه ﴿**فاسِقِينَ ـ وأدخَلْناهُ في رَحْمتِنا**﴾ بأن أنجيناه من قومه. ﴿**إنَّهُ مِنَ الصّالِحِينَ**﴾.

(٧٦) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**نُوحًا**﴾ ـ وما بعده بدلٌ منه ـ ﴿**إذ نادَى**﴾: دعا على قومه، بقوله: «رَبِّ لا تَذَرْ» إلى آخره، ﴿**مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ إبراهيمَ ولُوطٍ، ﴿**فاستَجَبْنا لَهُ، فنَجَّيناهُ وأهلَهُ**﴾ الذين في سفينته ﴿**مِنَ الكَربِ العَظِيمِ**﴾ أي: الغرقِ وتكذيب قومه له، (٧٧) ـ ﴿**ونَصَرْناهُ**﴾: منعناه ﴿**مِنَ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا**﴾ الدالّة على رسالته، ألاّ يَصِلوا إليه بسُوء. ﴿**إنَّهُم كانُوا قَومَ سَوءٍ، فأغرَقْناهُم أجمَعِينَ**﴾.

(٧٨) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**داوُدَ وسُلَيمانَ**﴾ أي: قِصّتَهما، ويُبدل منهما: ﴿**إذ يَحكُمانِ في الحَرْثِ**﴾ هو زرع أو كرمٌ، ﴿**إذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَومِ**﴾ أي: رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتتْ، ﴿**وكُنّا لِحُكمِهِم شاهِدِينَ**﴾ ـ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين. قال داود: لصاحبِ الحرث رقابُ الغنم[1]. وقال سُليمان: يَنتفع بدَرّها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها، فيردَّها إليه ـ (٧٩) ـ ﴿**ففَهَّمْناها**﴾ أي: الحُكومةَ ﴿**سُلَيمانَ**﴾ ـ وحكمُهما باجتهادٍ ورجَعَ داود إلى سليمان، وقيل: بوحيٍ والثاني ناسخ للأول ـ ﴿**وكُلًّا**﴾ منهما ﴿**آتَيناهُ حُكمًا**﴾: نُبوّة ﴿**وعِلمًا**﴾ بأمور الدِّين، ﴿**وسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الجِبالَ، يُسَبِّحْنَ، والطَّيرَ**﴾ كذلك، سُخّرا للتسبيح معه، لِأمره به إذا وَجدَ فترة لينشط له، ﴿**وكُنّا فاعِلِينَ**﴾ تسخيرَ تسبيحهما معه، وإن كان عجَبًا عندكم، أي: مجاوبةً للسيد داود، (٨٠) ـ ﴿**وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ**﴾ وهي الدِّرع لأنها تُلبس ـ وهو أوّل مَن صنعها وكان قبلها صفائحُ ـ ﴿**لَكُم**﴾ في جملة الناس، ﴿**لِنُحصِنَكُم**﴾ بالنون لله، وبالتحتانيّة لداودَ، وبالفوقانيّة للبُوس، ﴿**مِن بأسِكُم**﴾: حربكم مع أعدائكم. ﴿**فهَل أنتُم**﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿**شاكِرُونَ**﴾ نِعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

(٨١) ـ ﴿**و**﴾ سخّرنا ﴿**لِسُلَيمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً**﴾ ـ وفي آية أُخرى: «رُخاءً» ـ أي: شديدةَ الهبوب وخفيفتَه بحسَب إرادته، ﴿**تَجرِي بِأمرِهِ إلَى الأرضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها**﴾ وهي الشام، ﴿**وكُنّا بِكُلِّ شَيءٍ عالِمِينَ**﴾. من ذلك علمُه ـ تعالى ـ بأنّ ما يُعطيه سليمانَ يدعوه إلى الخضوع لربّه. ففعلَه ـ تعالى ـ على مُقتضى علمه، ....

﴿قوم سوْء﴾: فسادٍ وفعلٍ مكروهٍ. ﴿الحرث﴾: الزَّرعِ. أوِ الكرمِ. ﴿نفشت فيه﴾: انتشرَتْ فيهِ ليلاً بلا راعٍ فرعَتْهُ. ﴿صنعة لَبوس﴾: عملَ الدُّروعِ تُلبسُ في الحربِ.
﴿لِتُحصنكم﴾: لتحفظَكُم وتقيَكُم. ﴿بأسكم﴾: حربِ عدوِّكُم وإصابتِكُم بسلاحِهِ. ﴿عاصفة﴾: شديدةَ الهبوبِ.

(١) الطبري (١٦/ ٣٢٢) عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والزهري وابن زيد وغيرهم.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ
﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ
مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا
لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

(٨٢) ـ ﴿و﴾ سخّرنا ﴿مِنَ الشَّياطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾: يدخلون في البحر فيُخرِجون منه الجواهر لسُليمان، ﴿ويَعمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ﴾ أي: سِوى الغَوصِ من البناء وغيره، ﴿وكُنّا لَهُم حافِظِينَ﴾ من أن يُفسِدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه، إن لم يشتغلوا بغيره.

(٨٣) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿أيُّوبَ﴾، ويُبدل منه: ﴿إذ نادَى رَبَّهُ﴾ لمّا ابتُلي بفقدِ جميع ماله وولده وتمزيقِ جسده وهجرِ جميع الناس له إلاّ زوجتَه، سنين ثلاثًا أو سبعًا أو ثمانيَ عشرةَ، وضُيِّق عيشُه: ﴿أنّي﴾ ـ بفتح الهمزة بتقدير الباء ـ ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي: الشِّدّة، ﴿وأنتَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ. (٨٤) ـ فاستَجَبْنا لَهُ﴾ دعاءه، ﴿فكَشَفْنا ما بِهِ مِن ضُرٍّ، وآتيناهُ أهلَهُ﴾: أولاده الذكور والإناث بأن أُحيُوا له، وكُلّ من الصِّنفين ثلاث أو سبع، ﴿ومِثلَهُم مَعَهُم﴾ من زوجته، وزِيدَ في شبابها. «وكانَ لهُ أندَرٌ للقَمحِ وأندَرٌ للشَّعيرِ[1]، فبعَثَ اللهُ سحابتَينِ، أفرَغَتْ إحداهُما على أندَرِ القَمحِ الذَّهَبَ، وأفرَغَتِ الأُخرَى على أندَرِ الشَّعيرِ الوَرِقَ، حتَّى فاضَ»، ﴿رَحمةً﴾: مفعول له ﴿مِن عِندِنا﴾: صفةٌ، ﴿وذِكرَى لِلعابِدِينَ﴾ ليصبروا فيُثابوا.

(٨٥) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إسماعِيلَ وإدرِيسَ وذا الكِفلِ، كُلٌّ مِنَ الصّابِرِينَ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه، (٨٦) ـ ﴿وأدخَلْناهُم في رَحمَتِنا﴾ من النُّبوّة. ﴿إنَّهُم مِنَ الصّالِحِينَ﴾ لها. وسُمّي ذا الكِفل لأنه تكفّل بصيام جميع نهاره وقِيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بذلك. وقيل: لم يكن نبيًّا.

(٨٧) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿ذا النُّونِ﴾: صاحبَ الحُوت ـ وهو يُونُسُ بن مَتّى ـ ويُبدل منه: ﴿إذ ذَهَبَ مُغاضِبًا﴾ لقومه، أي: غضبانَ عليهم ممّا قاسى منهم، ولم يُؤذَن له في ذلك، ﴿فظَنَّ أن لَن نَقدِرَ عليهِ﴾ أي: نقضيَ عليه ما قضيناه من حبسه في بطن الحُوت، أو نضيّق عليه بذلك، ﴿فنادَى في الظُّلُماتِ﴾: ظُلمةِ الليل وظُلمة البحر وظُلمة بطن الحُوت: ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا إلـهَ إلاّ أنتَ، سُبحانَكَ! إنِّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ﴾ في ذَهابي من بين قومي بلا إذن. (٨٨) ـ ﴿فاستَجَبْنا لَهُ، ونَجَّيناهُ مِنَ الغَمِّ﴾ بتلك الظلمات. ﴿وكَذلِكَ﴾ كما أنجيناه ﴿نُنْجِي المُؤمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين.

(٨٩) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿زَكَرِيّاءَ﴾ ويُبدل منه: ﴿إذ نادَى رَبَّهُ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ، لا تَذَرْنِي فَردًا﴾ أي: بلا ولد يرثني. ﴿وأنتَ خَيرُ الوارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك. (٩٠) ـ ﴿فاستَجَبْنا لَهُ﴾ نِداءه، ﴿ووَهَبْنا لَهُ يَحيَى﴾ ولدًا، ﴿وأصلَحْنا لَهُ زَوجَهُ﴾ فأتت بالولد بعد عُقمها. ﴿إنَّهُم﴾ أي: مَن ذُكر من الأنبياء ﴿كانُوا يُسارِعُونَ﴾: يُبادرون ﴿في الخَيراتِ﴾: الطاعات، ﴿ويَدعُونَنا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿ورَهَبًا﴾ من عذابنا، ﴿وكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾: متواضعين في عِبادتهم.

﴿يغوصون له﴾: في البحارِ لاستخراجِ نفائسِها. ﴿لهم حافظين﴾: مِنَ الزَّيغِ عن أمرِهِ أوِ الإفسادِ. ﴿ذا الكفل﴾: قيلَ هوَ إلياسُ عليهِ السَّلامُ. ﴿ذا النّون﴾: صاحبَ الحوتِ يونسَ عليهِ السَّلامُ. ﴿مُغاضبًا﴾: غضبانَ على قومِهِ لكُفرِهم. ﴿لن نقدر عليه﴾: لن نضيِّقَ عليهِ بحبسٍ ونحوِهِ. ﴿رغباً ورهباً﴾: رجاءً في الثّوابِ وخوفاً مِنَ العِقابِ. ﴿خاشعين﴾: مُتذلِّلينَ خاضعينَ.

(١) البزار (٦٣٣٣)، وأبو يعلى (٣٦١٧)، والطبري (٢٠/١٠٩)، وابن حبان (٢٨٩٨)، والحاكم (٤١١٥) وصححه، من حديث أنس رضي الله عنه. وقال في «المجمع» (٨/٢٠٨): ورجال البزّار رجالُ الصحيح.

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿٩١﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ مَريمَ ﴿الَّتي أحصَنَتْ فَرْجَها﴾: حَفظتْه من أن يُنال، ﴿فنَفَخْنا فيها مِن رُوحِنا﴾ أي: جِبريلَ، حيث نفخ في جيب دِرعها فحملت بعيسَى، ﴿وجعَلْناها وابنَها آيةً للعالَمِينَ﴾: الإنسِ والجنّ والملائكة، حيثُ ولدتْه من غير فحل ـ ﴿٩٢﴾ ـ ﴿إنَّ هذِهِ﴾ أي: مِلّةَ الإسلام ﴿أُمّتُكم﴾: دِينكم، أيها المُخاطَبون، أي: يجب أن تكونوا عليها، ﴿أُمّةً واحِدةً﴾: حالٌ لازمة، ﴿وأنا ربُّكُم. فاعبُدُونِ﴾: وحِّدُونِ ـ ﴿٩٣﴾ ـ ﴿وتَقطَّعُوا﴾ أي: بعضُ المخاطَبين[1] ﴿أمرَهُم بينَهُم﴾ أي: تفرّقوا أمر دِينهم مُتخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارى. قال تعالى: ﴿كُلٌّ إلَينا راجِعُونَ﴾، أي: فنُجازيه بعمله. ﴿٩٤﴾ ـ ﴿فمَن يَعمَلْ مِنَ الصّالحاتِ، وهوَ مُؤمِنٌ، فلا كُفْرانَ﴾ أي: جحودَ ﴿لِسَعيِهِ، وإنّا لَهُ كاتِبُونَ﴾ بأن نأمر الحَفَظة بكتبه فنُجازيه عليه.

﴿٩٥﴾ ـ ﴿وحَرامٌ على قَرْيةٍ، أهلَكْناها﴾ أُريدَ أهلُها، ﴿أنَّهم لا﴾: زائدةٌ ﴿يَرجِعُونَ﴾ أي: مُمتنع رُجوعُهم إلى الدنيا. ﴿٩٦﴾ ـ ﴿حتّى﴾: غايةٌ لامتناع رُجوعهم ﴿إذا فُتِحَتْ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿يأجُوجُ ومأجُوجُ﴾، بالهمز وتركه: اسمان أعجميّان لقبيلتين، ويقدَّر قبله مضاف أي: سدُّهما ـ وذلك قربَ القيامة ـ ﴿وهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مُرتفِعٍ من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسرعون، ﴿٩٧﴾ ـ ﴿واقتَرَبَ الوَعدُ الحَقُّ﴾ أي: يومُ القيامة، ﴿فإذا هِيَ﴾ أي: القِصّة ﴿شاخِصةٌ أبصارُ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشِدّته، يقولون: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿قَد كُنّا﴾ في الدنيا ﴿في غَفْلةٍ مِن هذا﴾ اليوم، ﴿بَل كُنّا ظالِمِينَ﴾ أنفُسَنا بتكذيبنا الرسلَ.

﴿٩٨﴾ ـ ﴿إنَّكُم﴾ ـ يا أهلَ مكّة ـ ﴿وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الأوثان[2] ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وَقودُها، ﴿أنتُم لَها وارِدُونَ﴾: داخلون فيها. ﴿٩٩﴾ ـ ﴿١٠٠﴾ ـ ﴿لَو كانَ هؤُلاءِ﴾ الأوثانُ ﴿آلِهةً﴾ كما زعمتم ﴿ما وَرَدُوها﴾: دخلوها، ﴿وكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيها خالِدُونَ، لَهُم﴾: للعابدين ﴿فِيها زَفِيرٌ، وهُم فِيها لا يَسمَعُونَ﴾ شيئًا لشِدّة غليانها.

ونزل لمّا قال ابن الزِّبَعرى[3]: «عُبِدَ عُزَيرٌ والمسيحُ والملائكةُ، فهم في النار» على مُقتضى ما تقدّم: ﴿١٠١﴾ ـ ﴿١٠٢﴾ ـ ﴿١٠٣﴾ ـ ﴿إنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنّا﴾ المنزلةُ ﴿الحُسنَى﴾، ومنهم من ذُكر، ﴿أُولئِكَ عَنها مُبعَدُونَ﴾، ....

﴿أحصنت فرجها﴾: حفظَتْهُ مِنَ الحلالِ والحرامِ. ﴿من روحنا﴾: مِن جهةِ روحِنا وهوَ جبريلُ. ﴿أمّتكم﴾: ملّـتُكُم (الإسلامُ). ﴿تقطّعوا أمرهم﴾: تفرَّقوا في دينِهِم فِرقاً وأحزاباً. ﴿حرام على قرية﴾: مُمتنِعٌ البتَّةَ على أهلِ قريةٍ. ﴿أنّهم لا يرجعون﴾: إلينا بالبعثِ للجزاءِ. ﴿حَدَبٍ﴾: مُرتفعٍ مِنَ الأرضِ. ﴿ينسِلون﴾: يُسرعونَ المشيَ في الخروجِ. ﴿الوعد الحقّ﴾: البعثُ والحسابُ والجزاءُ. ﴿شاخصة أبصار..﴾: مُرتفعةٌ لا تكادُ تطرفُ أبصارُ... ﴿حصب جهنّم﴾: حطبُها ووقودُها الَّذي بِهِ تهيَّجُ. ﴿لها واردون﴾: فيها داخلونَ. ﴿زفير﴾: تنفُّسٌ شديدٌ تنتفخُ منهُ الضُّلوعُ.

(١) يعني: صرَفَهُ إلى الغيبَةِ التِفاتاً ليوبِّخَ على الَّذينَ تفرَّقوا في الدِّينِ وجَعلوا أمرَهُ قِطعاً بقبيحِ فعلِهِم إلى غيرِهِم من المؤمنينَ. (الجمالين).

(٢) قيل: وإبليسَ وأعوانِهِ؛ لأنَّهُم بطاعتِهِم لهم في حُكمِ عبَدَتِهم. (الجمالين).

(٣) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٣٩)، والواحدي (ص: ٣٠٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٦٩): «فيه عاصم بن بهدلة وقد وثّق وضعفه جماعة». ورواه دون ذكر الآية الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٨).

لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾
يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ
أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ
كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ
عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ
أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ
وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ
ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنۡ أَدۡرِي
لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم
بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجّ

لا يَسمَعُونَ حَسِيسَها﴾: صوتها، **﴿وهُم فِيما اشتَهَتْ أنفُسُهُم﴾** من النعيم
﴿خالِدُونَ، لا يَحزُنُهُمُ الفَزَعُ الأكبَرُ﴾ ـ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ـ
﴿وتَتَلَقّاهُمُ﴾: تستقبلهم **﴿المَلائكةُ﴾** عِند خُروجهم من القُبور، يقولون لهم:
﴿هذا يومُكُمُ الَّذِي كُنتُم تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.
(١٠٤) ـ **﴿يَومَ﴾**: منصوب بـ «اذكرْ» مُقدّرًا قبله **﴿نَطوِي السَّماءَ كَطَيِّ
السِّجِلِّ﴾**: اسمُ ملَكٍ **﴿لِلكِتابِ﴾**: صحيفةِ ابن آدم عِند موته ـ واللام ـ
زائدة. أو السِّجِلُّ: الصحيفة، والكتابُ بمعنى المكتوب، واللام بمعنى:
على وفي قراءة: «لِلكُتُبِ» جمعًا ـ **﴿كَما بَدَأْنا أوَّلَ خَلقٍ﴾** عن عدمٍ
﴿نُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه ـ فالكاف: مُتعلّقة بـ «نُعيد» وضميره عائد إلى «أوّل»
وما: مصدريّة ـ **﴿وَعدًا عَلَينا﴾**: منصوب بـ «وعَدْنا» مُقدّرًا قبله، وهو
مؤكِّد لمضمون ما قبله. **﴿إنّا كُنّا فاعِلِينَ﴾** ما وعدْنا.
(١٠٥) ـ **﴿ولَقَد كَتَبْنا في الزَّبُورِ﴾** بمعنى الكتاب، أي: كُتبِ الله المُنزّلة،
﴿مِن بَعدِ الذِّكرِ﴾ بمعنى أُمِّ الكِتاب الذي عِند الله، **﴿أنَّ الأرضَ﴾**: أرض
الجنّة **﴿يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾** عامٌّ في كُلّ صالح. (١٠٦) ـ **﴿إنَّ في هذا﴾**
القُرآنِ **﴿لَبَلاغًا﴾**: كفايةً في دُخول الجنّة، **﴿لِقَومٍ عابِدِينَ﴾**: عاملين به،
(١٠٧) ـ **﴿وما أرسَلْناكَ﴾** ـ يا مُحمّد ـ **﴿إلّا رَحمَةً﴾** أي: للرحمة **﴿لِلعالَمِينَ﴾**: الإنسِ والجنّ بك. (١٠٨) ـ **﴿قُلْ: إنَّما يُوحَى إلَيَّ أنَّما
إلٰهُكُم إلٰهٌ واحِدٌ﴾**، أي: ما يُوحى إليَّ في أمر الإلٰـهِ إلاّ وحدانيّتُه. **﴿فَهَل أنتُم مُسلِمُونَ﴾**: مُنقادون لِما يُوحَى إليَّ من وحدانيّة
الإلٰـهِ؟ والاستفهام بمعنى الأمر. (١٠٩) ـ **﴿فإن تَوَلَّوا﴾** عن ذلك **﴿فقُلْ: آذَنتُكُم﴾**: أعلمتكم بالحرب **﴿عَلَى سَواءٍ﴾**: حالٌ من الفاعل
والمفعول، أي: مُستَوِينَ في عِلمه لا أستبدّ به دُونكم لتتأهّبوا، **﴿وإن﴾**: ما **﴿أدرِي: أقَرِيبٌ أم بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ﴾** من العذاب أو القيامة
المُشتملة عليه؟ وإنما يعلمه الله ـ (١١٠) ـ **﴿إنَّهُ﴾** تعالى **﴿يَعلَمُ الجَهرَ مِنَ القَولِ﴾** والفعلَ منكم ومن غيركم، **﴿ويَعلَمُ ما تَكتُمُونَ﴾** أنتم
وغيركم من السرّ ـ (١١١) ـ **﴿وإن﴾**: ما **﴿أدرِي لَعَلَّهُ﴾** أي: ما أعلمتُكم به، ولم يُعلَم وقتُه، **﴿فِتنَةٌ﴾**: اختبارٌ **﴿لَكُم﴾** ليَرى كيف صُنعكم؟
﴿ومَتاعٌ﴾: تمتّعٌ به **﴿إلَى حِينٍ﴾** أي: انقضاءِ آجالكم. وهذا مُقابِل للأوّل المُترجَّى بـ «لعلّ»، وليس الثاني محلًّا للترجّي.
(١١٢) ـ **﴿قُلْ﴾** ـ وفي قراءة: «قالَ» ـ: **﴿رَبِّ، احكُمْ﴾** بيني وبين مُكذّبيَّ **﴿بالحَقِّ﴾**: بالعذاب لهم أو النصر عليهم. فعُذّبوا ببدر وأُحُد والأحزاب
وحُنَين والخندق، ونُصر عليهم. **﴿ورَبُّنا الرَّحمنُ المُستَعانُ عَلَى ما تَصِفُونَ﴾** من كذبكم على الله في قولكم: «اتَّخَذَ وَلَدًا»، وعليَّ في قولكم:
ساحرٌ، وعلى القرآن في قولكم: شِعرٌ.

* * *

﴿حسيسها﴾: صوتَ حركةِ تلهُّبِها. ﴿الفزع الأكبر﴾: حينَ نفخةِ البعثِ. ﴿السجلّ﴾: الصَّحيفةِ الَّتي يُكتبُ فيها. ﴿للكتب﴾: على ما كُتِبَ في السِّجلِّ. ﴿الزّبور﴾:
الكُتبِ المنزَّلةِ. ﴿الذكر﴾: اللَّوحِ المحفوظِ. ﴿لبلاغاً﴾: كِفايةً، أو وُصولاً إلى البُغيةِ. ﴿آذنتكم﴾: أعلمتُكُم ما أُمرتُ بهِ. ﴿على سواءٍ﴾: مُستوينَ جميعاً في الإعلامِ بهِ.
﴿و إن أدري﴾: وما أدري وما أعلمُ. ﴿فتنة لكم﴾: امتحانٌ لكُم.

بسم الله الرحمن الرحيم
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ
﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم
بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ
مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ
لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾

٢٢

الحزب ٣٤

سورة الحج

مكية إلا «ومن الناس مَن يعبد الله» الآيتين، أو إلا «هذان خصمان» الستَّ آيات فمدنيات، وهي أربعٌ أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿**يا أيُّها النَّاسُ**﴾: أي أهلَ مكّة وغيرَهم، ﴿**اتَّقوا ربَّكُم**﴾ أي: عِقابَه بأن تُطيعوه. ﴿**إنَّ زَلزلَةَ السّاعةِ**﴾ أي: الحركةَ الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها، الذي هو قُرب الساعة، ﴿**شَيءٌ عَظِيمٌ**﴾ في إزعاج الناس، الذي هو نوع من العِقاب، ﴿٢﴾ ـ ﴿**يَومَ تَرَونَها تَذهَلُ**﴾ بسببها ﴿**كُلُّ مُرضِعةٍ**﴾ بالفعل ﴿**عَمّا أرضَعَتْ**﴾ أي: تنساه، ﴿**وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَملٍ**﴾ أي: حُبلَى ﴿**حَملَها، وتَرَى النّاسَ سُكارَى**﴾ من شِدّة الخوف، ﴿**وما هُم بِسُكارَى**﴾ من الشراب، ﴿**ولكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ**﴾، فهم يخافونه.

ونزل في النضر بن الحارث وجماعة[1]: ﴿٣﴾ ـ ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ**﴾، قالوا: «الملائكة بناتُ الله، والقُرآنُ أساطيرُ الأوّلين»، وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابًا، ﴿**ويَتَّبِعُ**﴾ في جِداله ﴿**كُلَّ شَيطانٍ مَرِيدٍ**﴾ أي: مُتمرِّد، ﴿٤﴾ ـ ﴿**كُتِبَ علَيهِ**﴾: قُضي على الشيطان ﴿**أنَّهُ مَن تَوَلّاهُ**﴾ أي: اتّبعه ﴿**فأنَّهُ يُضِلُّهُ، ويَهدِيهِ**﴾: يدعوه ﴿**إلَى عَذابِ السَّعِيرِ**﴾ أي: النارِ.

﴿٥﴾ ـ ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي: أهلَ مكّة، ﴿**إن كُنتُم في رَيبٍ**﴾: شكٍّ ﴿**مِنَ البَعثِ فإنّا خَلَقناكُم**﴾ أي: أصلكم آدمَ ﴿**مِن تُرابٍ، ثُمَّ**﴾ خلقنا ذُرّيّته ﴿**مِن نُطفَةٍ**﴾ منيٍّ، ﴿**ثُمَّ مِن عَلَقةٍ**﴾ وهي الدم الجامد، ﴿**ثُمَّ مِن مُضغَةٍ**﴾ وهي لحمةٌ قدرُ ما يُمضغ، ﴿**مُخَلَّقَةٍ**﴾: مُصوّرة تامّة الخلق، ﴿**وغَيرِ مُخَلَّقَةٍ**﴾ أي: غير تامّة الخلق، ﴿**لِنُبَيِّنَ لَكُم**﴾ كمال قُدرتنا، لتستدلّوا بها في ابتداء الخلق على إعادته، ﴿**ونُقِرُّ**﴾ ـ مُستأنفٌ ـ ﴿**في الأرحامِ ما نَشاءُ إلَى أجَلٍ مُسَمًّى**﴾: وقتِ خروجه، ﴿**ثُمَّ نُخرِجُكُم**﴾ من بطون أُمّهاتكم ﴿**طِفلًا**﴾ بمعنى: أطفالًا، ﴿**ثُمَّ**﴾ نُعمِّركم ﴿**لِتَبلُغوا أشُدَّكُم**﴾ أي: الكمال والقُوّة ـ وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ـ ﴿**ومِنكُم مَن يُتَوَفَّى**﴾: يموتُ قبل بلوغ الأشُدّ، ﴿**ومِنكُم مَن يُرَدُّ إلَى أرذَلِ العُمُرِ**﴾: أخسّه من الهرم والخرف، ﴿**لِكَيلا يَعلَمَ مِن بَعدِ عِلمٍ شَيئًا**﴾ ـ قال عِكرمة: مَن قرأ القرآن لم يصِر بهذه الحالة ـ ﴿**وتَرَى الأرضَ هامِدَةً**﴾: يابسة، ﴿**فإذا أنزَلنا علَيها الماءَ اهتَزَّتْ**﴾: تحرّكت، ﴿**ورَبَتْ**﴾: ارتفعت وزادت، ﴿**وأنبَتَتْ مِن**﴾: زائدةٌ ﴿**كُلِّ زَوجٍ**﴾: صنفٍ ﴿**بَهِيجٍ**﴾: حسن.

﴿زلزلة الساعة﴾: أهوالَ القيامةِ وشدائدَها. ﴿تذهل﴾: تغفلُ وتُشغلُ لشدَّةِ الهولِ. ﴿مريد﴾: مُتمرِّدٍ عاتٍ مُتجرِّدٍ للفسادِ. ﴿تولاه﴾: اتَّخذَهُ وليّاً وتبعَهُ. ﴿نطفة﴾: منيٍّ. ﴿علقة﴾: قطعةِ دمٍ جامدةٍ. ﴿مُضغة﴾: قطعةِ لحمٍ قدرَ ما يمضغُ. ﴿مُخلقة﴾: مستبينةِ الخلقِ مُصوَّرةٍ. ﴿لتبلغوا أشدكم﴾: كمالَ قوَّتِكُم وعقلِكُم. ﴿أرذل العمر﴾: أخسِّهِ، أي الخَرَف والهَرَم. ﴿هامدة﴾: ميتةً يابسةً قاحلةً. ﴿اهتزت﴾: تحرَّكَتْ بالنَّباتِ. ﴿رَبَتْ﴾: ازدادَتْ وانتفخَتْ. ﴿زوج بهيج﴾: صنفٍ حسنٍ نضيرٍ.

(١) الطبري (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريجٍ. وابنُ أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٤) عن أبي مالك. وذكره الماوردي (٤/ ٦) عن ابن عباس.
وفي رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في الوليدِ بنِ المُغيرةِ وعُتبةَ بنِ ربيعةَ، الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٥٠).

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

﴿٦﴾ ـ ﴿٧﴾ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور من بدء الخلق للإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿**بِأنَّ**﴾: بسبب أنّ ﴿**اللهَ هُوَ الحَقُّ**﴾: الثابت الدائم، ﴿**وأنَّهُ يُحيِي المَوتَى، وأنَّهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وأنَّ السّاعةَ آتِيةٌ لا رَيبَ**﴾: شكَّ ﴿**فِيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن في القُبُورِ**﴾.

ونزل في أبي جهل[1]: ﴿٨﴾ ـ ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ ولا هُدًى**﴾ معه ﴿**ولا كِتابٍ مُنِيرٍ**﴾: له نورٌ معه، ﴿٩﴾ ـ ﴿**ثانِيَ عِطفِهِ**﴾: حالٌ أي: لاوِيَ عُنقِه تكبّرًا عن الإيمان ـ والعِطفُ: الجانب عن يمين أو شِمال ـ ﴿**لِيَضِلَّ**﴾، بفتح الياء وضمِّها، ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: دِينه. ﴿**لَهُ في الدُّنيا خِزيٌ**﴾: عذاب فقُتل يوم بدر، ﴿**ونُذِيقُهُ يَومَ القِيامةِ عَذابَ الحَرِيقِ**﴾ أي: الإحراقِ بالنار، ويقال له: ﴿١٠﴾ ـ ﴿**ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ**﴾ أي: قدّمتَه ـ عُبِّر عنه بهما دُون غيرهما لأنّ أكثر الأفعال تُزاول بهما ـ ﴿**وأنَّ اللهَ لَيسَ بِظَلّامٍ**﴾ أي: بذي ظُلم ﴿**لِلعَبِيدِ**﴾، فيُعذّبَهم بغير ذنب.

﴿١١﴾ ـ ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يَعبُدُ اللهَ على حَرفٍ**﴾[2] أي: شكٍّ في عِبادته ـ شُبِّهَ بالحالِّ على حرف جبل في عدم ثباته ـ ﴿**فإن أصابَهُ خَيرٌ**﴾: صِحّة وسلامة في نفسه وماله ﴿**اطمأنَّ بِهِ، وإن أصابَتهُ فِتنةٌ**﴾: مِحنة وسَقم في نفسه وماله ﴿**انقَلَبَ على وَجهِهِ**﴾ أي: رجَعَ إلى الكُفر، ﴿**خَسِرَ الدُّنيا**﴾ بفوات ما أمّله منها ﴿**والآخِرةَ**﴾ بالكُفر ـ ﴿**ذلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبِينُ**﴾: البيِّن ـ ﴿١٢﴾ ـ ﴿**يَدعُو**﴾: يعبد، ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ من الصنم ﴿**ما لا يَضُرُّهُ**﴾ إن لم يعبده، ﴿**وما لا يَنفَعُهُ**﴾ إن عَبَدَه ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ الدعاء ﴿**هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ**﴾ عن الحقّ ـ ﴿١٣﴾ ـ ﴿**يَدعُو لَمَن**﴾، اللام: زائدة، ﴿**ضَرُّهُ**﴾ بعِبادته ﴿**أقرَبُ مِن نَفعِهِ**﴾، إن نفع بتخيّله، ﴿**لَبِئسَ المَولَى**﴾ هو أي: الناصرُ! ﴿**ولَبِئسَ العَشِيرُ**﴾: الصاحبُ هو!

وعُقّبَ ذِكرُ الشاكّ بالخسران بذِكر المؤمنين في الثواب في: ﴿١٤﴾ ـ ﴿**إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾ من الفُروض والنوافل ﴿**جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ. إنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يُرِيدُ**﴾، من إكرام من يُطيعه وإهانة من يَعصيه.

﴿١٥﴾ ـ ﴿**مَن كانَ يَظُنُّ أن لَن يَنصُرَهُ اللهُ**﴾، أي: مُحمّدًا نبيَّه، ﴿**في الدُّنيا والآخِرةِ**[3] **فلْيَمدُدْ بِسَبَبٍ**﴾: بحبلٍ ﴿**إلَى السَّماءِ**﴾ أي: سقف بيته، يشدّه فيه وفي عُنقه، ﴿**ثُمَّ لْيَقطَعْ**﴾ أي: لِيختنِقْ به بأن يقطع نفَسه من الأرض كما في «الصِّحاح»، ﴿**فلْيَنظُرْ: هَل يُذهِبَنَّ كَيدُهُ**﴾ في عدم نُصرة النبيّ ﴿**ما يَغِيظُ**﴾ ـهُ منها؟ المعنى: فليختنق غيظًا منها فلا بُدّ منها.

﴿ثانيَ عِطفه﴾: لاوياً لجانبِهِ تكبُّراً وإباءً. ﴿خزيٌ﴾: ذلٌّ وهوانٌ. ﴿على حرْف﴾: شكٌّ وقلقٌ وتزلزلٌ في الدِّينِ. ﴿المولى﴾: النّاصر. ﴿العشير﴾: المصاحبُ المعاشرُ.
﴿ينصره الله﴾: ينصرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ. ﴿بسبب إلى السماء﴾: بحبلٍ إلى سقفِ بيتِهِ. ﴿ثم ليقطع﴾: ثمَّ ليختنقْ بهِ حتَّى يموتَ. ﴿كيده﴾: صنيعُهُ بنفسِهِ.

(١) الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٢٧٧) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٢) عن ابن عباس قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلامًا ونُتِجت خيله قال: هذا دينٌ صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تُنتَج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري (٤٧٤٢)، وذكره بأبسط من هذا الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٧) عن المفسرين، وفي «البسيط» (١٥/ ٢٨٨) عن الكلبي وغيره من المفسرين. وعن عطيَّة عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قال: أسلم يهوديٌّ فذهب بصرُه ومالُه وولدُه، فتشاءمَ بالإسلام، فأتى النَّبيَّ ﷺ وقال: أَقِلْني، قال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقال»، قال: إنِّي لم أُصِبْ في دِيني هذا خيراً؛ ذهب بصري ومالي وولدي، فقال: «يا يهوديّ، إنَّ الإسلام لَيَسْبِكُ الرجالَ كما تَسْبِكُ النارُ خَبَثَ الحديد والفضَّة والذَّهب»، فنزلت: ﴿ومن النّاس من يعبد اللّه على حرفٍ﴾. الواحدي (ص: ٣٠٧)، ورواه ابن مردويه كما في «الكافي الشاف» (ص: ١١٢)، بإسناد ضعيف كما ذكر ابن حجر.

(٣) ابن عباس: نزلت في قومٍ من أسدٍ وغطفانَ تباطَؤوا عن الإسلام، وقالوا: نخافُ أن لا يُنصَرَ محمَّدٌ فيُقطَعَ الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يُجيروننا ولا يُؤْوُننا. «تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٥٢)، وقاله مقاتل في «تفسيره» (٣/ ١١٩)، وذكره بلا نسبة الطبري (١٦/ ٤٨٤)، والثعلبي (١٨/ ٣١١)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣١٣). وقيل: كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين يستبطئون ما وعد لهم من النصرة، وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يتم لهم أمره، فنزلت الآية. «تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٥٢) ونسبه للقتبي، وهو في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢١١)، دون التصريح بالنزول، والظاهر أنه ليس خبراً بل هو من شرح ابن قتيبة للآية كما بين الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣١٠) حيث قدَّم له بقوله: «وشرح ابن قتيبة هذه الآية بأبلغ بيان فقال...» وذكره.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ
١٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ
وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ
ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ١٨ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ
ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ
مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ
مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ
أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ
ٱلۡحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣

١٦ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إنزالنا الآياتِ السابقةَ ﴿أنزَلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ الباقيَ، ﴿آياتٍ بيِّناتٍ﴾: ظاهراتٍ حالٌ، ﴿وأنَّ اللهَ يَهدِي مَن يُرِيدُ﴾ هُداه، معطوف على هاء «أنزلناه».

١٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هادُوا﴾، هم اليهود، ﴿والصّابِئِينَ﴾: طائفة منهم، ﴿والنَّصارَى والمَجُوسَ والَّذِينَ أشرَكُوا، إنَّ اللهَ يَفصِلُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ﴾ بإدخال المُؤمنين الجنّةَ، وإدخال غيرهم النارَ. ﴿إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ﴾ من عملهم ﴿شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به عِلمَ مُشاهدة.

الحزب ٣٤ — سجدة

١٨ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أنَّ اللهَ يَسجُدُ لَهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ، والشَّمسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ﴾، أي: تخضع[١] له بما يُراد منها، ﴿وكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ﴾ وهم المُؤمنون؟ بزيادة على الخضوع في سُجود الصلاة، ﴿وكَثِيرٌ حَقَّ علَيهِ العَذابُ﴾. وهم الكافرون لأنهم أبَوُا السجود المُتوقِّف على الإيمان. ﴿ومَن يُهِنِ اللهُ﴾: يُشْقِه ﴿فما لَهُ مِن مُكرِمٍ﴾: مُسعِدٍ[٢]. ﴿إنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يَشاءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

١٩ ـ ﴿هذانِ خَصمانِ﴾[٣] أي: المُؤمنون خصم، والكُفّار الخمسة خصم ـ وهو يُطلق على الواحد والجماعة ـ ﴿اختَصَمُوا في رَبِّهِم﴾ أي: في دِينه، ﴿فالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُم ثِيابٌ مِن نارٍ﴾ يلبسونها[٤]، يعني أحيطت بهم النار، ﴿يُصَبُّ مِن فَوقِ رُؤُوسِهِمِ الحَمِيمُ﴾: الماء البالغُ نِهاية الحرارة، ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿يُصهَرُ﴾: يُذاب ﴿بِهِ ما في بُطُونِهِم﴾ من شُحوم وغيرها، ﴿و﴾ تُشوَى به ﴿الجُلُودُ، ولَهُم مَقامِعُ مِن حَدِيدٍ﴾ لضرب رُؤوسهم[٥]، ٢٢ ـ ﴿كُلَّما أرادُوا أن يَخرُجُوا مِنها﴾ أي: النارِ ﴿مِن غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيها﴾: رُدّوا إليها بالمقامع، ﴿و﴾ قيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ﴾ أي: البالغِ نِهايةَ الإحراق.

وقال في المُؤمنين: ٢٣ ـ ﴿إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، يُحَلَّونَ فِيها مِن أساوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤلُؤٍ﴾ ـ بالجرِّ، أي: منهما بأن يُرصّع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصبِ عطفًا على محلّ «من أساور» ـ ﴿ولِباسُهُم فِيها حَرِيرٌ﴾ هو المُحرَّم لُبسه على الرجال في الدنيا..

﴿الصّابئين﴾: عبدةَ الملائكةِ أوِ الكواكبِ. ﴿يسجد له﴾: يخضعُ وينقادُ لإرادتِهِ تعالى. ﴿حقَّ عليه﴾: ثبتَ ووجبَ عليه. ﴿خصْمان﴾: المؤمنونَ وسائرُ الكفّارِ. ﴿الحميم﴾: الماءُ البالغُ نهايةَ الحرارة. ﴿يُصهر به﴾: يُذابُ به. ﴿مقامع﴾: مطارقُ أو سِياطٌ.

(١) أي: يَتسخَّرُ لقُدرتِهِ ولا يتأبّى عن تدبيرِه، أو يدلُّ بذلِّه على عظمَةِ مُدبِّره. (الجمالين).

(٢) من الإسعادِ، أو بالشَّقاوةِ والسَّعادةِ، قيل: مَن قدَّرَ اللهُ عليه الإهانةَ في السَّبقِ لا يقدِرُ على كرامتِهِ أحدٌ. (الجمالين).

(٣) عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنه كان يقول: أُقسِمُ باللهِ لقد نزلَتْ هذه الآيةُ في هؤلاء السِّتَّة: حمزةَ وعليٍّ وعبيدةَ وعُتبةَ وشيبةَ والوليدِ بنِ عُتبةَ. البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم (٣٠٣٣).
وعن عليٍّ رضي الله عنه أنّه قال: فينا نزلَتْ هذه الآيةُ وفي مبارزَتِنا يومَ بدرٍ. البخاري (٣٩٦٧).

(٤) وقال بعضُهُم: يلبَسونَ مقطَّعاتٍ من نارٍ، ويؤيِّدُه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، ومعنَى ﴿قُطِّعَتْ﴾: قُدِّرَت على مقاديرِ جُثَّتِهِم. (الجمالين).

(٥) في «القاموس»: المِقْمَعَةُ كمِكْنَسَةٍ: العَمودُ مِن حديدٍ، وخشبةٌ يُضرَبُ بها الإنسانُ على رأسِهِ. (الجمالين).

وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ
وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ
بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ
وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ
رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ
فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

﴿٢٤﴾ ـ ﴿وهُدُوا﴾ في الدنيا ﴿إلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَولِ﴾ ـ وهو: لا إلـهَ إلاّ اللهُ ـ ﴿وهُدُوا إلَى صِراطِ الحَمِيدِ﴾ أي: طريقِ الله المحمود ودينِه.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، ويَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾[1]: طاعتِه ﴿و﴾ عن ﴿المَسْجِدِ الحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ﴾ مَنسكًا ومُتعبَّدًا ﴿لِلنّاسِ، سَواءٌ العاكِفُ﴾: المُقيمُ ﴿فِيهِ والبادِي﴾: الطارئُ، ﴿ومَن يُرِدْ فِيهِ بِإلحادٍ﴾ ـ الباء: زائدة ـ ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بسببه بأن ارتكب مَنهيًّا، ولو بشتمِ الخادم، ﴿نُذِقْهُ مِن عَذابٍ أليمٍ﴾: مُؤلمٍ أي: بعضَه. ومن هذا يُؤخذ خبر «إنّ» أي: نذيقُهم من عذاب أليم.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ بَوَّأْنا﴾: بيَّنّا ﴿لإبراهِيمَ مَكانَ البَيتِ﴾ لِيبنيَه، وكان قد رُفع من زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أن لا تُشرِكْ بِي شَيئًا، وطَهِّرْ بَيتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطّائِفِينَ والقائِمِينَ﴾: المُقيمين به، ﴿والرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: جمع راكع وساجد: المُصلّين،

﴿٢٧﴾ ـ ﴿وأذِّنْ﴾: نادِ ﴿في النّاسِ بِالحَجِّ﴾ ـ فنادى على جبل أبي قُبيس[2]: «يا أيُّها النّاسُ، إنّ رَبَّكُم بَنَى بَيتًا، وأوجبَ علَيكُمُ الحَجَّ إلَيه. فأجِيبُوا رَبَّكُم». والتفتَ بوجهه يمينًا وشِمالاً وشرقًا وغربًا، فأجابه كُلُّ مَن كُتب له أن يحجّ، من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبَّيكَ اللّهُمَّ لبَّيكَ ـ وجواب الأمر: ﴿يأتُوكَ رِجالاً﴾: مُشاةً، جمع راجِلٍ كقائم وقِيام، ﴿و﴾ رُكبانًا ﴿على كُلِّ ضامِرٍ﴾ أي: بعيرٍ مهزول ـ وهو يُطلق على الذكر والأُنثى ـ ﴿يأتِينَ﴾ أي: الضوامرُ حملاً على المعنى، ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد، ﴿٢٨﴾ ـ ﴿لِيَشهَدُوا﴾ أي: ليحضُروا ﴿مَنافِعَ لَهُم﴾ في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما ـ أقوالٌ ـ ﴿ويَذكُرُوا اسمَ اللهِ في أيّامٍ مَعلُوماتٍ﴾ أي: عَشرِ ذي الحِجّة أو يومِ عرفةَ أو يومِ النحر إلى آخر أيام التشريق ـ أقوالٌ ـ ﴿علَى ما رَزَقَهُم، مِن بَهِيمةِ الأنعامِ﴾: الإبل والبقر والغنم التي تُنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا. ﴿فكُلُوا مِنها﴾ إذ كانت مُستحبّة، ﴿وأطعِمُوا البائسَ الفَقِيرَ﴾ أي: الشديد الفقر، ﴿٢٩﴾ ـ ﴿ثُمَّ لْيَقضُوا تَفَثَهُم﴾ أي: يُزيلوا أوساخَهم وشَعَثَهم كطول الظُّفر، ﴿ولْيُوفُوا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿نُذُورَهُم﴾ من الهدايا والضحايا، ﴿ولْيَطَّوَّفُوا﴾ طوافَ الإفاضة ﴿بِالبَيتِ العَتِيقِ﴾ أي: القديم، لأنه أوّل بيت وُضع للناس.

﴿٣٠﴾ ـ ﴿ذلِكَ﴾ خبر مبتدأ مُقدّر، أي: الأمرُ أو الشأن ذلك المذكور، ﴿ومَن يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ﴾، هي ما لا يَحِلّ انتهاكه، ﴿فهُوَ﴾ أي: تعظيمُها ﴿خَيرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة. ﴿وأُحِلَّتْ لَكُمُ الأنعامُ﴾ أكلاً بعدَ الذبح، ﴿إلاّ ما يُتلَى علَيكُم﴾ تحريمُه في «حُرِّمَتْ علَيكُمُ المَيتةُ» الآيةَ. فالاستثناء منقطع. ويجوز أن يكون متّصلاً، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه. ﴿فاجتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأوثانِ﴾ من: للبيانِ، أي: الذي هو الأوثان، ﴿واجتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ﴾ أي: الشِّركَ بالله في تلبيتهم، أو شهادةَ الزور، ....

﴿صراط الحميد﴾: الإسلامِ الَّذي ارتضاهُ لعبادِهِ ديناً. ﴿المسجد الحرام﴾: مكّةَ (الحرم). ﴿العاكف فيه﴾: المقيمُ فيهِ الملازمُ لهُ. ﴿الباد﴾: الطّارئُ غيرُ المُقيمِ. ﴿بإلحاد بظلم﴾: بميلٍ عنِ الحقِّ إلى الباطلِ. ﴿بوأنا لإبراهيم﴾: وطَّأْنا. أو بيَّنّا لهُ. ﴿أذن في الناس﴾: نادِ فيهم وأعلِمْهُم. ﴿رجالاً﴾: مشاةً على أرجلِهِم. ﴿ضامر﴾: بعيرٍ مهزولٍ مِن بُعدِ الشُّقّةِ. ﴿فج عميق﴾: طريقٍ بعيدٍ. ﴿بهيمة الأنعام﴾: الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ. ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾: ثمَّ ليزيلوا بالتَّحلُّلِ أوساخَهُم أو ثمَّ ليؤدُّوا مناسكهم. ﴿حُرمات الله﴾: تكاليفَهُ مِن مناسكِ الحجِّ وغيرِها. ﴿الرّجس..﴾: القذرَ والنَّجسَ وهوَ الأوثانُ. ﴿قول الزور﴾: قولَ الباطلِ والكذبَ القبيحَ.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلتْ في أبي سفيانَ وأصحابِه حين صَدُّوا رسولَ الله عن البيت، «درج الدرر» للجرجاني (٣/ ١٢٥٢).
وعن ابن عباسٍ أيضاً: نزلت في عبد الله بن أنيس، بعثه رسول الله ﷺ مع رجلين أحدهما مهاجري والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاريَّ ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة، فنزلت فيه هذه الآية، يعني: مَن لجأ إلى الحرم ﴿بإلحاد﴾ يعني: بميل عَنِ الإسلام. ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، و«لباب النقول» (ص: ١٣٥).

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨١٨)، والطبري (١٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥)، والحاكم (٣٤٦٤) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى نحوه مرفوعًا الفاكهي في «أخبار مكة» (٩٧٣)، والكلاباذي في «معاني الأخبار» (ص: ١٨٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي سبب النزول: عن مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: ﴿يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ قال: فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر. الطبري (١٦/ ٥١٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٣٥).

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
(٣١) ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ (٣٢)
لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ
(٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ
أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا
لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٧) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ
عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨)

(٣١) ـ ﴿حُنفاءَ لِلهِ﴾: مُسلمين عادلين عن كُلِّ دِين سِوى دِينه، ﴿غَيرَ مُشرِكِينَ بِهِ﴾: تأكيدٌ لما قبله، وهما حالان من الواو. ﴿ومَن يُشرِكْ باللهِ فكأنّما خَرَّ﴾: سقطَ ﴿مِنَ السَّماءِ، فتَخطَفُهُ الطَّيرُ﴾ أي: تأخذُه بسُرعة، ﴿أو تَهوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: تُسقطه ﴿في مَكانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد. فهو لا يُرجَى خلاصُه.

(٣٢) ـ ﴿ذلِكَ﴾ يُقدَّر قبله «الأمرُ»: مبتدأ، ﴿ومَن يُعَظِّمْ شَعائرَ اللهِ فإنَّها﴾ أي: فإنّ تعظيمها ـ وهي البُدن التي تُهدى للحرم ـ بأن تُستحسنَ وتُستسمنَ ﴿مِن تَقوى القُلوبِ﴾ منهم. وسُمّيتْ شعائر لإشعارها بما تُعرف به أنها هَدي كطعن حديدة بسنامها. (٣٣) ـ ﴿لَكُم فِيها مَنافِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرّها، ﴿إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: وقتِ نحرها، ﴿ثُمَّ مَحِلُّها﴾ أي: مكان حِلّ نحرها ﴿إلى البَيتِ العَتِيقِ﴾ أي: عِنده. والمراد الحَرَم جميعه.

(٣٤) ـ ﴿ولِكُلِّ أُمّةٍ﴾ أي: جماعة مُؤمنة سلفتْ قبلكم، ﴿جَعَلْنا مَنسَكًا﴾ ـ بفتح السين: مصدر، وبكسرها: اسم مكان ـ أي: ذَبحًا قُربانًا أو مكانَه، ﴿لِيَذكُرُوا اسمَ اللهِ علَى ما رَزَقَهُم مِن بَهِيمةِ الأنعامِ﴾ عِند ذبحها. ﴿فإلٰـهُكُم إلٰـهٌ واحِدٌ. فلَهُ أسلِمُوا﴾: انقادوا، ﴿وبَشِّرِ المُخبِتِينَ﴾: المُطيعين المُتواضعين، (٣٥) ـ ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُم، والصّابِرِينَ علَى ما أصابَهُم﴾ من البلايا، ﴿والمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾ في أوقاتها، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون.

ربع الحزب ٣٤

(٣٦) ـ ﴿والبُدْنَ﴾: جمع بَدَنة ـ وهي الإبل ـ ﴿جَعَلْناها لَكُم مِن شَعائرِ اللهِ﴾: أعلامِ دِينه، ﴿لَكُم فِيها خَيرٌ﴾: نفع في الدنيا كما تقدّم، وآخرُ في العُقبى. ﴿فاذكُرُوا اسمَ اللهِ علَيها﴾ عِند نحرها ﴿صَوافَّ﴾: قائمةً على ثلاث معقولةَ اليد اليُسرى، ﴿فإذا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾: سقطت إلى الأرض بعد النحر ـ وهو[1] وقت الأكل منها ـ ﴿فكُلُوا مِنها﴾ إن شئتم، ﴿وأطعِمُوا القانِعَ﴾ الذي يقنع بما يُعطَى ولا يَسأل ولا يتعرّض، ﴿والمُعتَرَّ﴾: السائل أو المتعرِّض ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك التسخير[2] ﴿سَخَّرْناها لَكُم﴾ بأن تُنحر وتُركب ـ وإلاّ لم تُطَق ـ ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ إنعامي عليكم.

(٣٧) ـ ﴿لَن يَنالَ اللهَ لُحُومُها ولا دِماؤُها﴾[3] أي: لا يُرفعان إليه، ﴿ولكِن يَنالُهُ التَّقوَى مِنكُم﴾ أي: يُرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان. ﴿كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُم، لِتُكَبِّرُوا اللهَ علَى ما هَداكُم﴾: أرشدكم لمعالم دِينه ومناسك حجّه. ﴿وبَشِّرِ المُحسِنِينَ﴾ أي: المُوحّدين.

(٣٨) ـ ﴿إنَّ اللهَ يَدفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غوائلَ المُشركين. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ﴾ في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته، وهم المشركون. المعنى أنه يُعاقبهم.

﴿حُنفاء لله﴾: مائلينَ عنِ الباطلِ الى الدِّينِ الحقِّ. ﴿تهوى به الريح﴾: تُسقطُهُ وتقذفُهُ. ﴿مكان سحيق﴾: موضع بعيدٍ مُهلِكٍ. ﴿شعائر الله﴾: البُدنَ المُهداةَ للبيتِ المُعظَّمِ. ﴿محلها﴾: وجوبُ نحرِها. ﴿إلى البيت العتيق﴾: مُنتهية إلى أرضِ الحرمِ كلِّهِ. ﴿منسكاً﴾: نُسكاً وعبادةً (الذَّبحُ قُربةٌ للهِ). ﴿بَشـّر المُخبتين﴾: المُطمئنِّينَ إلى اللهِ أوِ المُتواضعينَ لهُ. ﴿وجلت قلوبهم﴾: خافَتْ هيْبةً وإجلالاً منهُ تعالى. ﴿البُدن﴾: الإبلَ. أو هيَ البقرُ المُهداةُ للبيتِ. ﴿شعائر الله﴾: أعلامِ شريعتِهِ في الحجِّ. ﴿صوافّ﴾: قائماتٍ صففنَ أيديَهُنَّ وأرجُلَهُنَّ. ﴿وجبت جُنوبُها﴾: سقطَتْ على الأرضِ بعدَ النَّحرِ. ﴿أطعموا القانع﴾: السَّائلَ. ﴿المُعترّ﴾: الَّذي يتعرَّضُ لكُم دونَ سؤالٍ. ﴿خوان كفور﴾: خائنٍ للأماناتِ ـ جاحدٍ للنِّعمِ.

(١) أي: السُّقوطُ، وفيه ما فيهِ، والظَّاهرُ أنَّ السُّقوطَ كنايَةٌ عن الموتِ. (الجمالين).

(٢) من نحرِها قياماً، وفي «المدارك»: كما أمَرناكُم بنحرِها سخَّرناها لكُم. (الجمالين).

(٣) ابن جريج: كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: فنحن أحق أنْ ننضح، فأنزل الله هذه الآيةُ. الطبري (٨/ ٧٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٥) واللفظ له، وبنحوه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥ ـ ٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
(٣٩) ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ
رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ (٤٠) ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٤١) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ
لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ
مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ
لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ (٤٦)

(٣٩) ـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ﴾[1] أي: للمُؤمنين أن يُقاتِلوا ـ وهذه أول آية نزلت في الجِهاد ـ ﴿بِأَنَّهُم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا﴾ بظُلم الكافرين إيّاهم، ﴿وإنَّ اللهَ على نصرِهِم لَقَدِيرٌ﴾.

(٤٠) ـ هم ﴿الَّذِينَ أُخرِجوا مِن دِيارِهِم بِغَيرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إلاّ أن يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبُّنا اللهُ﴾ وحدَه. وهذا القول حقّ، فالإخراج به إخراج بغير حقّ. ﴿ولَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم﴾: بدلُ بعضٍ من «الناس» ﴿بِبَعضٍ لَهُدِّمَتْ﴾ ـ بالتشديد للتكثير، وبالتخفيف ـ ﴿صَوامِعُ﴾ للرهبان ﴿وبِيَعٌ﴾: كنائسُ للنصارى ﴿وصَلَواتٌ﴾: كنائسُ لليهود بالعِبرانيّة ﴿ومَساجِدُ﴾ للمُسلمين، ﴿يُذكَرُ فِيها﴾ أي: المواضعِ المذكورة ﴿اسمُ اللهِ كَثِيرًا﴾ وتنقطعُ العبادات بخرابها. ﴿ولَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أي: ينصرُ دِينَه ـ ﴿إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾: منيع في سُلطانه وقُدرته ـ (٤١) ـ ﴿الَّذِينَ إن مَكَّنّاهُم في الأرضِ﴾ بنصرهم على عدوّهم ﴿أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، وأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ ونَهَوا عَنِ المُنكَرِ﴾: جوابُ الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول. ويُقدَّر قبله «هم»: مبتدأ. ﴿وللهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ أي: إليه مَرجِعها في الآخرة.

(٤٢) ـ (٤٣) ـ (٤٤) ـ ﴿وإن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخِره ـ فيه تسلية للنبيّ ﷺ ـ ﴿فقد كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾، تأنيثُ «قوم» باعتبار المعنى، ﴿وعادٌ﴾: قومُ هود ﴿وثَمُودُ﴾: قوم صالح ﴿وقَومُ إبراهِيمَ وقَومُ لُوطٍ وأصحابُ مَديَنَ﴾ قومُ شُعيب، ﴿وكُذِّبَ مُوسَى﴾ كذّبه القِبط لا قومه بنو إسرائيل ـ أي: كذّب هؤلاء رُسلَهم، فلك أُسوة بهم ـ ﴿فأملَيتُ لِلكافِرِينَ﴾: أمهلتُهم بتأخير العِقاب لهم، ﴿ثُمَّ أخَذتُهُم﴾ بالعذاب. ﴿فكَيفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري عليهم تكذيبَهم بإهلاكهم؟ والاستفهام للتقرير، أي: هو واقع موقعَه.

(٤٥) ـ ﴿فكأيِّن﴾ أي: كم ﴿مِن قَريَةٍ أهلَكتُها﴾ ـ وفي قراءة: «أهلكناها» ـ ﴿وهْيَ ظالِمةٌ﴾ أي: أهلُها بكفرهم، ﴿فهْيَ خاوِيةٌ﴾: ساقطة ﴿على عُرُوشِها﴾: سُقوفها، ﴿و﴾ كم من ﴿بِئرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾: متروكة بموت أهلها ﴿وقَصرٍ مَشِيدٍ﴾: رفيع، خال بموت أهله! (٤٦) ـ ﴿أفلَم يَسِيرُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿في الأرضِ، فتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ[2] يَعقِلُونَ بِها﴾ ما نزلَ بالمكذّبين قبلهم، ﴿أو آذانٌ يَسمَعُونَ بِها﴾ أخبارَهم بالإهلاك وخراب الديار، فيعتبروا؟ ﴿فإنَّها﴾ أي: القِصّةَ ﴿لا تَعمَى الأبصارُ، ولكِن تَعمَى القُلُوبُ الَّتِي في الصُّدُورِ﴾ تأكيد.

﴿صوامِعُ﴾: معابدُ رُهبانِ النَّصارى. ﴿بِيَع﴾: كنائسُ النَّصارى. ﴿صلواتٌ﴾: كنائسُ اليهودِ. ﴿مساجدُ﴾: للمسلمينَ. ﴿أصحابُ مدين﴾: قومُ شعيبٍ عليهِ السَّلامُ. ﴿فأمليتُ للكافرين﴾: أمهلتُهُم وأخَّرتُ عقوبتَهُمْ. ﴿كان نكير﴾: إنكاري عليهِم بإهلاكِهِم. ﴿فكأين من قرية﴾: فكثيرٌ مِنَ القرى. ﴿خاوية على عروشها﴾: ساقطةٌ حيطانُها على سقوفِها المُتهدِّمةِ. ﴿قصر مشيد﴾: مرفوعِ البنيانِ خالٍ مِن ساكنيهِ.

(١) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمّا أُخرج رسولُ الله من مكَّة قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أَخْرَجوا نبيَّهم! إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجِعُون، ليَهْلِكُنَّ، فأنزل الله تعالى: ﴿أذن للّذين يقاتلون﴾ الآية، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: فعَرَفْتُ أنّه سيكونُ قتالٌ. أحمد (١٨٦٥)، والترمذي (٣١٧١) وحسنه، والنسائي (٣٠٨٥)، والطبري (١٦/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤)، وابن حبان (٤٧١٠). وقيل: كان مشركو مكَّةَ يؤذُون أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا يزالُون يَجِيئون مِن بينِ مضروبٍ ومشجوجٍ ويَشْكُون إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فيقولُ لهم: «اصْبِروا فإنِّي لم أُؤْمَرْ بالقتالِ»، حتَّى هاجَرَ رسولُ اللهِ ﷺ فأَنْزَلَ اللهُ هذه الآية. الثعلبي (١٨/ ٢٥) عن المفسرين، وذكره ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٩١٨) عن قتادة ومقاتل. قال مجاهدٌ: نزلت في أقوامٍ بأعيانهم أرادوا الخروج من مكَّةَ إلى المدينةِ للهجرة، فمُنعوا، فأَذِنَ اللهُ لهم في قتالِ الذين يمنعونهم من الهجرة. الطبري (١٦/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٦).

(٢) قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومقاتلٌ: لمّا نزل: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ [الإسراء: ٧٢] جاء ابنُ أمِّ مكتومٍ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أنا في الدُّنيا أعمى، أفأكونُ في الآخرةِ أعمى؟ فأنزل اللهُ هذه الآية. الثعلبي (١٨/ ٣٨٣)، ورواه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٩٨) عن قتادة.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ
إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى
ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

(٤٧) ـ **﴿ويَستعجِلُونَك بالعَذابِ، ولَن يُخلِفَ اللهُ وَعدَهُ﴾** بإنزال العذاب ـ فأنزلَه يوم بدر ـ **﴿وإنَّ يومًا عِندَ رَبِّكَ﴾** من أيام الآخرة بالعذاب، **﴿كألفِ سَنةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾** ـ بالتاء والياء ـ في الدنيا، (٤٨) ـ **﴿وكأيِّن مِن قَريةٍ أمليتُ لَها، وهيَ ظالِمةٌ، ثُمَّ أخذتُها﴾** المرادُ أهلُها! **﴿وإليَّ المَصيرُ﴾**: المَرجِعُ.

(٤٩) ـ **﴿قُل: يا أيُّها النّاسُ﴾** أي: أهلَ مكّة، **﴿إنَّما أنا لَكُم نَذيرٌ مُبينٌ﴾**: بيِّنُ الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين. (٥٠) ـ **﴿فالَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم مَغفِرةٌ﴾** من الذنوب، **﴿ورِزقٌ كَريمٌ﴾** هو الجنّة، (٥١) ـ **﴿والَّذينَ سَعَوا في آياتِنا﴾**: القُرآنِ بإبطالها **﴿مُعجِّزينَ﴾** مَن اتّبع النبيَّ، أي: ينسبونهم إلى العجز ويُثبّطونهم عن الإيمان، أو مقدِّرين عجزَنا عنهم ـ وفي قراءة: «مُعاجِزينَ»: مُسابِقينَ لنا، يظنّون أن يفوتونا بإنكارهم البعثَ والعِقاب ـ **﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَحيمِ﴾**: النار.

(٥٢) ـ **﴿وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ﴾** ـ هو نبيٌّ أُمر بالتبليغ ـ **﴿ولا نَبيٍّ﴾** أي: لم يُؤمر بالتبليغ **﴿إلاّ إذا تَمَنّى﴾**: قرأ **﴿ألقى الشَّيطانُ في أُمنِيَّتِهِ﴾**: قراءتِه ما ليس من القُرآن، ممّا يرضاه المُرسَلُ إليهم ـ وقد قرأ النبيُّ ﷺ في سورة «النجم» بمجلس من قريش، بعدَ: «أفرَأيتُمُ اللاّتَ والعُزّى، ومَناةَ الثّالِثةَ الأُخرَى»، بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه به: «تِلكَ الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شَفاعتَهُنَّ لَتُرتَجى»، ففرحوا بذلك، ثمّ أخبره جِبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه، من ذلك، فحزن فسُلّي بهذه الآية ليطمئنّ[1] ـ **﴿فيَنسَخُ اللهُ﴾**: يُبطل **﴿ما يُلقِي الشَّيطانُ، ثُمَّ يُحكِمُ اللهُ آياتِهِ﴾**: يُثبتها. **﴿واللهُ عَليمٌ﴾** بإلقاء الشيطان ما ذُكر **﴿حَكيمٌ﴾** في تمكينه منه، يفعل ما يشاء.

(٥٣) ـ **﴿لِيَجعَلَ ما يُلقِي الشَّيطانُ فِتنةً﴾**: مِحنة **﴿لِلَّذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾**: شَكٌّ ونِفاق **﴿والقاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾** أي: المُشركين، عن قبول الحقّ ـ **﴿وإنَّ الظّالِمينَ﴾**: الكافرين **﴿لَفي شِقاقٍ بَعيدٍ﴾**: خِلافٍ طويل مع النبيّ والمُؤمنين، حيثُ جرى على لسانه ذِكرُ آلهتهم بما يُرضيهم، ثمّ أُبطل ذلك ـ (٥٤) ـ **﴿ولِيَعلَمَ الَّذينَ أُوتُوا العِلمَ﴾**: التوحيدَ والقرآن **﴿أنَّهُ﴾** أي: القُرآنَ **﴿الحَقُّ مِن رَبِّكَ، فيُؤمِنُوا بِهِ فتُخبِتَ﴾**: تطمئنّ **﴿لَهُ قُلُوبُهُم. وإنَّ اللهَ لَهادِي الَّذينَ آمَنُوا إلى صِراطٍ﴾**: طريقٍ **﴿مُستَقيمٍ﴾** أي: دِين الإسلام.

(٥٥) ـ **﴿ولا يَزالُ الَّذينَ كَفَرُوا في مِريَةٍ﴾**: شكٍّ **﴿مِنهُ﴾** أي: القُرآنِ بما ألقاه الشيطان على لسان النبيّ ثمّ أُبطِل، **﴿حَتّى تأتِيَهُمُ السّاعةُ بَغتةً﴾** أي: ساعةُ موتهم أو القيامةُ فجأةً، **﴿أو يأتِيَهُم عَذابُ يَومٍ عَقيمٍ﴾**، هو يوم بدر لا خير فيه للكُفّار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل له.

﴿أمليت لها﴾: أمْهَلتُها. ﴿مُعاجزين﴾: ظانِّينَ أنّهُم يُعجزونَنا ويفُوتونَنا. ﴿تمنّى﴾: قرأَ الآياتِ المُنزلةَ عليهِ. ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾: ألقى في قلوبِ أوليائِهِ الشُّبَهَ فيما يقرؤُوهُ للفتنة. ﴿فتُخبت له﴾: فتطمئنَّ وتَسْكنَ للقرآنِ. ﴿مرية منه﴾: شكٌّ وقلقٍ مِنَ القرآنِ. ﴿يوم عقيم﴾: لا يومَ بعدَهُ (يوم القيامة).

(١) قـولـه: «وقد قرأ النبي ﷺ سورة النجم ـ إلى ـ ليطمئن» قصة الغرانيق معروفة، ولا يصح فيها شيء، فقد رويت فيها مرسلات عن سعيد بن جبير وقتادة والضحاك وأبي العالية وغيرهم، وروي فيها خبر متصل من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جدًّا. وتنظر هذه الأخبار في «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٠٤ ـ ٦١٢)، وقد تكلم العلماء المحققون في رد هذه القصة عقلاً ونقلاً؛ قال القاضي عياض: «فيكفيك أنّ هذا حديث لم يُخَرِّجه أحد من أهل الصحَّة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُولِع به وبمِثْله المفسرون والمؤرخون المُولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصحف كلّ صحيح وسَقيم... مع ضَعْف نَقَلَتِه واضطراب رواياتِه وانقطاع إسنادِه واختلاف كلماتِه...». انظر: «الشفا» (٢/ ١٢٥). وانظر أيضًا: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» للألباني.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

(٥٦) ـ ﴿**المُلْكُ يَوْمَئِذٍ**﴾ أي: يومَ القِيامة ﴿**لِلهِ**﴾ وحدَه ـ وما تضمّنه من الاستقرار ناصبٌ للظرف ـ ﴿**يَحكُمُ بَيْنَهُم**﴾ بالمجازاة بين المُؤمنين والكافرين بما بَيّن بعده. ﴿**فالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ في جَنّاتِ النَّعِيمِ**﴾ فضلاً من الله، (٥٧) ـ ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا فأُولئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ**﴾: شديدٌ بسبب كُفرهم، (٥٨) ـ ﴿**والَّذِينَ هاجَرُوا في سَبِيلِ اللهِ**﴾ أي: طاعتِه من مكّة إلى المدينة، ﴿**ثُمّ قُتِلُوا أو ماتُوا، لَيَرزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزقًا حَسَنًا**﴾ هو رِزق الجنّة ـ ﴿**وإنَّ اللهَ لَهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ**﴾: أفضل المُعطين ـ (٥٩) ـ ﴿**لَيُدخِلَنَّهُم مُدخَلاً**﴾، بضمّ الميم وفتحها، أي: إدخالاً أو مَوضعًا، ﴿**يَرضَونَهُ**﴾ وهو الجنّة. ﴿**وإنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ**﴾ بنيّاتهم[1] ﴿**حَلِيمٌ**﴾ عن عِقابهم.

الحزب ٣٤

(٦٠) ـ الأمر ﴿**ذلِكَ**﴾ الذي قصصناه عليك، ﴿**ومَن عاقَبَ**﴾: جازى من المؤمنين ﴿**بِمِثلِ ما عُوقِبَ بِهِ**﴾[2] ظُلمًا من المشركين، أي: قاتلهم كما قاتلوه في شهر المحرّم، ﴿**ثُمّ بُغِيَ عليهِ**﴾[3] منهم أي: ظُلم بإخراجه من منزله، ﴿**لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ. إنّ اللهَ لَعَفُوٌّ**﴾ عن المؤمنين ﴿**غَفُورٌ**﴾ لهم عن قِتالهم في الشهر الحرام. (٦١) ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ النصر ﴿**بأنّ اللهَ يُولِجُ اللَّيلَ في النَّهارِ، ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ**﴾ أي: يُدخل كلًّا منهما في الآخَر بأن يزيد به، وذلك من أثر قُدرته التي بها النصرُ، ﴿**وأنّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾ دُعاءَ المؤمنين ﴿**بَصِيرٌ**﴾ بهم حيثُ جعل فيهم الإيمان، فأجاب دعاءهم. (٦٢) ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ النصر أيضًا ﴿**بأنّ اللهَ هُوَ الحَقُّ**﴾: الثابت، ﴿**وأنّ ما يَدْعُونَ**﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ ـ وهو الأصنام ـ ﴿**هُوَ الباطِلُ**﴾: الزائل، ﴿**وأنّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ**﴾ أي: العالي على كُلّ شيء بقُدرته، ﴿**الكَبِيرُ**﴾ الذي يصغُر كُلّ شيء سواه.

(٦٣) ـ ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أنّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً**﴾: مطرًا، ﴿**فتُصبِحُ الأرضُ مُخضَرّةً**﴾ بالنبات؟

وهذا من أثر قُدرته. ﴿**إنّ اللهَ لَطِيفٌ**﴾ بعِباده في إخراج النبات بالماء ﴿**خَبِيرٌ**﴾ بما في قُلوبهم عِند تأخير المطر، (٦٤) ـ ﴿**لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ على جِهة المُلك، ﴿**وإنّ اللهَ لَهُوَ الغَنِيُّ**﴾ عن عِباده ﴿**الحَمِيدُ**﴾ لِأوليائه.

﴿مُدخلاً﴾: الجنّة. أو درجاتٍ رفيعةٍ فيها. ﴿ثم بُغي عليه﴾: ظُلِمَ بمعاودةِ العقابِ. ﴿يُولج﴾: يُدخلُ.

(١) الأَولى: بأحوالِ مبدئِهم ومعادِهم. (الجمالين).

(٢) نزلتْ في قومٍ من المشركين أرادوا قتالَ قومٍ من المسلمين لِليلتَينِ بَقِيَتا من المحرَّم، فكره المسلمون القتال فيه وسألوهم أن يكفُّوا عن قتالِهم؛ للشَّهر الحرام، فأبَى المشركون إلّا القتالَ، فقاتَلَهم المسلمون ونصَر اللهُ المسلمين. «تفسير مقاتل» (٣/ ١٣٥).

وقيل: نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد، فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله، فنزل ذلك فيهم، حكاه ابن عيسى. «النكت والعيون» (٤/ ٣٧)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥١٥) عن قتادة، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٤٤) عن الشعبي، كلاهما في قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾.

(٣) أي: من جهتِهم. (الجمالين).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ
فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ
ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ
عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

(٦٥) ـ ﴿**أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما في الأرضِ**﴾ من البهائم، ﴿**والفُلكَ**﴾: السُّفن ﴿**تَجرِي في البَحرِ**﴾ للركوب والحمل ﴿**بِأمرِهِ**﴾: بإذنه، ﴿**ويُمسِكُ السَّماءَ**﴾ من ﴿**أن**﴾ أو لئلاّ ﴿**تَقَعَ على الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ**﴾ فتهلكوا؟ ﴿**إنَّ اللهَ بالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ في التسخير والإمساك. (٦٦) ـ ﴿**وهُوَ الَّذي أحياكُم**﴾ بالإنشاء، ﴿**ثُمَّ يُمِيتُكُم**﴾ عند انتهاء آجالكم، ﴿**ثُمَّ يُحيِيكُم**﴾ عِند البعث. ﴿**إنَّ الإنسانَ**﴾ أي: المُشركَ ﴿**لَكَفُورٌ**﴾ لنِعم الله بتركه توحيدَه.

(٦٧) ـ (٦٨) ـ ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلنا مَنسَكًا**﴾[1]، بفتح السين وكسرها: شريعةً[2]، ﴿**هُم ناسِكُوهُ**﴾: عاملون به. ﴿**فلا يُنازِعُنَّكَ**﴾ يُراد به: لا تُنازعْهم ﴿**في الأمرِ**﴾: أمرِ الذبيحة، إذ قالوا: «ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه، ممّا قتلتُم»، ﴿**وادعُ إلى رَبِّكَ**﴾: إلى دِينه ـ ﴿**إنَّكَ لَعَلى هُدًى**﴾: دِينٍ ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾ ـ ﴿**وإن جادَلُوكَ**﴾ في أمر الدِّين ﴿**فقُلِ: اللهُ أعلَمُ بِما تَعمَلُونَ**﴾ من التكذيب، فيُجازيكم عليه. وهذا قبلَ الأمر بالقتال.

(٦٩) ـ ﴿**اللهُ يَحكُمُ بَينَكُم**﴾ ـ أيها المؤمنون والكافرون ـ ﴿**يَومَ القِيامةِ فِيما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ**﴾ بأن يقول كُلّ من الفريقين خِلافَ قول الآخر.

(٧٠) ـ ﴿**أَلَم تَعلَم**﴾ ـ الاستفهام فيه للتقرير ـ ﴿**أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماءِ والأرضِ؟ إنَّ ذلِكَ**﴾ أي: ما ذُكر ﴿**في كِتابٍ**﴾ هو اللوح المحفوظ، ﴿**إنَّ ذلِكَ**﴾ أي: عِلمَ ما ذُكر ﴿**على اللهِ يَسِيرٌ**﴾: سهلٌ.

(٧١) ـ ﴿**ويَعبُدُونَ**﴾ أي: المُشركون، ﴿**مِن دُونِ اللهِ ما لَم يُنَزِّل بِهِ**﴾، هو الأصنام، ﴿**سُلطانًا**﴾: حُجّة، ﴿**وما لَيسَ لَهُم بِهِ عِلمٌ**﴾[3] أنها آلهةٌ، ﴿**وما لِلظّالِمِينَ**﴾ بالإشراك ﴿**مِن نَصِيرٍ**﴾ يمنع عنهم عذاب الله، (٧٢) ـ ﴿**وإذا تُتلَى عَلَيهِم آياتُنا**﴾ من القرآن ﴿**بَيِّناتٍ**﴾: ظاهراتٍ حالٌ ﴿**تَعرِفُ في وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا المُنكَرَ**﴾ أي: الإنكار[4] لها[5]، أي: أثرَه من الكراهة والعُبوس، ﴿**يَكادُونَ يَسطُونَ بِالَّذِينَ يَتلُونَ عَلَيهِم آياتِنا**﴾ من القرآن، أي: يقعون فيهم بالبطش. ﴿**قُل: أفأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ من ذلِكُمُ**﴾ أي: بأكرهَ إليكم من القُرآنِ المتلوِّ عليكم؟ هو ﴿**النّارُ، وعَدَها اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بأنّ مصيرهم إليها، ﴿**وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ هي!

﴿منسكاً﴾: شريعةً خاصّةً. أو نُسُكاً وعبادةً. ﴿سُلطاناً﴾: حُجّةً وبرهاناً. ﴿المنكر﴾: الأمرَ المستقبحَ مِنَ العبوسِ والتَّجهُّمِ. ﴿يسطون﴾: يَثِبُونَ ويَبْطشُونَ غيظاً وغضباً.

(١) نزلت في بُدَيْلِ بنِ وَرقاءَ الخزاعيِّ وجماعةٍ من خُزاعةَ وغيرِهم من كفَّار قريش، قالوا للمؤمنين: ما قتلَ اللهُ لكم أحقُّ أن تأكلوه ممَّا قتلْتُم أنتم بسكاكينِكم. الثعلبي (١٨/ ٤٠٣) ولم يذكر له سنداً ولا راوياً. وروي نحو هذا في نزول قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام: ١٢١]. رواه عبد الرزاق (٨٥٠) عن قتادة، ورواه الطبري (٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٦) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والضحاك وغيرهم.

(٢) تُعْبِّدوا بها، أو: متعبَّداً، وقيلَ: عيداً. (الجمالين).

(٣) أي: حصَلَ لهم من ضَرورةِ العقلِ أو استدلالِهِ. (الجمالين).

(٤) فـ﴿المُنْكَرَ﴾ مصدَرٌ ميميٌّ. (الجمالين).

(٥) للآياتِ؛ يعني: لفَرطِ نكيرِهم للحقِّ وغيظِهم لأباطيلَ أخَذُوها تقليداً، وهذا مُنتَهى الجهالَةِ، ولذلك قيلَ: الظَّاهرُ عنوانُ الباطِنِ. (الجمالين).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ
ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا
وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ
وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى
ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ
ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سورة المؤمنون

﴿٧٣﴾ ـ **﴿يا أيها النّاسُ﴾** أي: أهلَ مكّة، **﴿ضُرِبَ مَثَلٌ. فاستمِعوا لَهُ﴾**. هو **﴿إنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾**: تعبدون **﴿مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه ـ وهم الأصنام ـ **﴿لَن يَخلُقُوا ذُبابًا﴾** ـ اسمُ جنس، واحدُه ذبابة يقع على المُذكّر والمُؤنّث ـ **﴿ولَوِ اجتَمَعُوا لَهُ﴾**: لخلقِه، **﴿وإن يَسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئًا﴾** ممّا عليهم من الطِّيبِ والزعفرانِ الملطَّخونَ به **﴿لا يَستَنقِذُوهُ﴾**: لا يستردّوه **﴿مِنهُ﴾** لعجزهم. فكيف يُعبدون شركاءَ لله تعالى؟. هذا أمر مستغرب، عُبّر عنه بـ «ضُرِبَ مَثَلٌ». **﴿ضَعُفَ الطّالِبُ﴾**: العابد **﴿والمَطلُوبُ﴾**: المعبود! ﴿٧٤﴾ ـ **﴿ما قَدَرُوا اللهَ﴾**: عظّموه **﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾**: عظَمتِه، أن أشركوا به ما لم يمتنع من الذُّباب ولا ينتصف منه. **﴿إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**: غالب.

سجدة

﴿٧٥﴾ ـ **﴿اللهُ يَصطَفِي مِنَ المَلائكةِ رُسُلاً ومِنَ النّاسِ﴾** رُسلاً. نزل لمّا قال المشركون: «أأُنزِلَ عليهِ الذِّكرُ مِن بَينِنا»؟[1] **﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾** لمقالتهم **﴿بَصِيرٌ﴾** بمن يتّخذه رسولاً كجبريلَ وميكائيلَ، وإبراهيمَ ومُحمّدٍ وغيرهم ـ صلّى الله عليهم وسلّم ـ ﴿٧٦﴾ ـ **﴿يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم﴾** أي: ما قدّموا وما خلّفوا، أو ما عملوا وما هم عاملون بعدُ، **﴿وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾**.

﴿٧٧﴾ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اركَعُوا واسجُدُوا﴾** أي: صلّوا، **﴿واعبُدُوا رَبَّكُم﴾**: وحّدوه، **﴿وافعَلُوا الخَيرَ﴾** كصِلة الرحِم ومكارم الأخلاق، **﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾**: تفوزون بالبقاء في الجنّة، ﴿٧٨﴾ ـ **﴿وجاهِدُوا في اللهِ﴾** لإقامة دِينه **﴿حَقَّ جِهادِهِ﴾** باستفراغ الطاقة فيه. ونُصب «حقّ» على المصدر. **﴿هُوَ اجتَباكُم﴾**: اختاركم لدِينه، **﴿وما جَعَلَ عَلَيكُم في الدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾** أي: ضيق بأن سهّله عِند الضرورات كالقصر والتيمّم وأكل الميتة والفِطر للمرض والسفر، **﴿مِلَّةَ أبِيكُم﴾** ـ منصوبٌ بنزع الخافض الكاف ـ **﴿إبراهِيمَ﴾**: عطفُ بيان. **﴿هُوَ﴾** أي: اللهُ **﴿سَمّاكُمُ المُسلِمِينَ مِن قَبلُ﴾** أي: قبلِ هذا الكتاب **﴿وفي هذا﴾** أي: القُرآنِ، **﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيكُم﴾** يوم القيامة أنه بلّغكم، **﴿وتَكُونُوا﴾** أنتم **﴿شُهَداءَ عَلَى النّاسِ﴾** أنّ رسلهم بلّغتهم. **﴿فأقِيمُوا الصَّلاةَ﴾**: داوموا عليها **﴿وآتُوا الزَّكاةَ، واعتَصِمُوا بِاللهِ﴾**: ثِقوا به **﴿هُوَ مَولاكُم﴾**: ناصركم ومُتولّي أُموركم. **﴿فَنِعمَ المَولَى﴾** هو! **﴿ونِعمَ النَّصِيرُ﴾** أي: الناصرُ هو لكم!

* * *

﴿ما قدروا الله﴾: ما عظّمُوهُ. أو ما عَرَفُوهُ. ﴿هو اجتباكم﴾: اختارَكُم لدينِهِ وعبادتِهِ ونُصرتِهِ. ﴿حرج﴾: ضيق بتكليفٍ يشُقُّ ويعسُرُ. ﴿هو مولاكم﴾: مالِكُكُم وناصِرُكُم ومُتولّي أمورِكُم.

(١) دون نسبة في الطبري (١٦/ ٦٣٨)، والثعلبي (١٨/ ٤٠٨)، وسمى السمرقندي (٢/ ٤٧١) القائل بأنه الوليد بن المغيرة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ
﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ
فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ
ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ
لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ
ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن
سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾
ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا
ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا
ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ
خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

٢٣

سورة المؤمنون(1)

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

مكية، وهي مِائَةٌ وثماني أو تسعَ عشرةَ آيَة.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ـ ﴿قَد﴾: للتحقيق ﴿أفلَحَ﴾: فازَ ﴿**المُؤمِنون الَّذِينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعُونَ**﴾(2): متواضعون، (٣) ـ (٤) ـ ﴿**والَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ**﴾ من الكلام وغيره ﴿**مُعرِضُونَ، والَّذِينَ هُم لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ**﴾: مُؤدّون، (٥) ـ ﴿**والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ**﴾ عن الحرام، (٦) ـ ﴿**إلاّ علَى أزواجِهِم**﴾ أي: من زوجاتهم ﴿**أو ما مَلَكَت أيمانُهُم**﴾ أي: السَّراريّ ـ ﴿**فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ**﴾ في إتيانهنّ. (٧) ـ ﴿**فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذلِكَ**﴾ من الزوجات والسراريّ كالاستمناء بيده ﴿**فأُولئِكَ هُمُ العادُونَ**﴾: المُتجاوزون إلى ما لا يحلّ لهم ـ (٨) ـ ﴿**والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم**﴾،جمعًا ومفردًا، ﴿**وعَهدِهِم**﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿**راعُونَ**﴾: حافظون، (٩) ـ ﴿**والَّذِينَ هُم على صَلَواتِهِم**﴾، جمعًا ومفردًا، ﴿**يُحافِظُونَ**﴾: يُقيمونها في أوقاتها. (١٠) ـ ﴿**أُولئِكَ هُمُ الوارِثُونَ**﴾ لا غيرُهم (١١) ـ ﴿**الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِردَوسَ**﴾ هو جنّةٌ أعلى الجِنان، ﴿**هُم فِيها خالِدُونَ**﴾. في ذلك إشارة إلى المَعاد، ويُناسبه ذِكر المبدأِ بعده.

(١٢) ـ ﴿**و**﴾ اللهِ ﴿**لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ**﴾ آدمَ ﴿**مِن سُلالةٍ**﴾، هي من: سَلَلتُ الشيءَ من الشيء، أي: استخرجتُه منه ـ وهو خُلاصتُه ـ ﴿**مِن طِينٍ**﴾: مُتعلّقٌ بـ«سلالة»، (١٣) ـ ﴿**ثُمَّ جَعَلْناهُ**﴾ أي: الإنسانَ نسلَ آدمَ ﴿**نُطْفَةً**﴾: مَنِيًّا ﴿**في قَرارٍ مَكِينٍ**﴾ هو الرَّحِم، (١٤) ـ ﴿**ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً**﴾: دمًا جامدًا، ﴿**فخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغةً**﴾: لحمةً قدرَ ما يُمضغ، ﴿**فخَلَقْنا المُضْغةَ عِظامًا، فكَسَونا العِظامَ لَحمًا**﴾، وفي قراءة: «عَظْمًا» و«العَظْمَ» في الموضعين، و«خلقْنا» في المواضع الثلاثة بمعنى: صيّرنا، ﴿**ثُمَّ أنشأْناهُ خَلقًا آخَرَ**﴾ بنفخ الروح فيه ـ ﴿**فتَبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخالِقِينَ**﴾(3) أي: المُقدِّرين! ومميِّز «أحسَنُ» محذوف للعِلم به، أي: خلقًا ـ (١٥) ـ (١٦) ـ ﴿**ثُمَّ إنَّكُم بَعدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إنَّكُم يَومَ القِيامةِ تُبعَثُونَ**﴾ للحِساب والجزاء.

(١٧) ـ ﴿**ولَقَد خَلَقْنا فَوقَكُم سَبعَ طَرائقَ**﴾ أي: سماواتٍ: جمع طريقةٍ لأنها طُرُق الملائكة، ﴿**وما كُنّا عَنِ الخَلقِ**﴾ تحتها ﴿**غافِلِينَ**﴾ أن تسقط عليهم فتُهلكهم ـ بل نُمسكها كآيةِ: «ويُمسِكُ السَّماءَ أن تَقعَ علَى الأرضِ» ـ ....

﴿أفلح المؤمنون﴾: فازوا وسعِدوا ونجَوْا. ﴿خاشعون﴾: متُذلِّلونَ خائفونَ ساكنونَ. ﴿اللغو﴾: ما لا يَجْمُلُ مِنَ القولِ والفعلِ. ﴿العادُون﴾: المُجاوزونَ الحلالَ إلى الحرامِ. ﴿الفردوس﴾: أعلى الجنانِ وأوسطَها وأفضلَها. ﴿سُلالة﴾: خُلاصةٍ (مائيَّةٍ مكوَّنةٍ مِنَ الغذاءِ). ﴿قرار مكين﴾: مُستقرٍّ مُتمكِّنٍ وهوَ الرَّحِمُ. ﴿علقة﴾: دماً مُتجمِّداً. ﴿مُضغة﴾: قطعةَ لحمٍ قَدْرَ ما يُمضغُ. ﴿خلقاً آخر﴾: مبايناً للأولِ بنفخِ الرُّوحِ فيهِ. ﴿فتبارك الله﴾: فتعالى. أو تكاثرَ خيرُهُ وإحسانُهُ. ﴿أحسن الخالقين﴾: أتقنُ الصَّانعينَ. أو المُصوِّرينَ. ﴿سبع طرائق﴾: سبعَ سماواتٍ طباقاً أو طُرُقاً للملائكةِ أو للكواكبِ في مسيرِها.

(1) عن عمر رضي الله عنه: كان إذا نَزَل الوحيُ على رسولِ الله ﷺ يُسمع عند وجهِه كدَوِيِّ النحل، فنزل عليه الوحيُ، فمَكَث ساعةً ثم استَقبَل القِبلةَ ورَفَع يديه وقال: «اللهمَّ زِدْنا ولا تَنقُصْنا، وأَكْرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأَعْطِنا ولا تَحرِمْنا، وآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ علينا، وأرضِنَا وارْضَ عنَّا»، ثم قال: «لقد أُنزِلَتْ علينا عشرُ آياتٍ مَن أقامَهُنَّ دخَل الجنَّة»، ثم قرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى عشر آيات. أحمد (٢٢٣)، والترمذي (٣١٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٤٤٣) وقال: هذا حديث منكر.

(2) عن محمَّدِ بنِ سيرينَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: كانَ رسولُ الله ﷺ ينظرُ في الصَّلاةِ إلى السَّماءِ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيَةَ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ وجهَه حيثُ يسجُدُ. الحاكم (٣٤٨٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد، فقد قيل عنه مرسلاً. وقال الذهبي: «الصحيح مرسل». والمرسل رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٦١)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥)، والطبري (١٧/ ٧)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ٢٨٣) وقال: هذا هو المحفوظ مرسل.

(3) قال عمر: «وافقت ربي في أربع..» فذكر الحديث، وفيه: ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ الآية، فقلت: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. فَنَزَلَتْ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾». الطيالسي (٤١)، والآجري في «الشريعة» (١٣٢٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والواحدي (ص: ٣١٣).

وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ
ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٗ
تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ
﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ
ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ
فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ
ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿١٨﴾ ـ ﴿**وأنزَلنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ**﴾ من كِفايتهم، ﴿**فأسكَنّاهُ في الأرضِ، وإنّا على ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ**﴾ فيموتون مع دوابهم عطشًا، ﴿١٩﴾ ـ ﴿**فأنشأنا لكُم بِهِ جَنّاتٍ مِن نَخيلٍ وأعنابٍ**﴾، هما أكثر فواكه العرب، ﴿**لكُم فِيها فَواكِهُ كَثيرةٌ، ومِنها تأكُلُونَ**﴾ صيفًا وشتاء، ﴿٢٠﴾ ـ ﴿**و**﴾ أنشأنا ﴿**شَجرةً، تَخرُجُ مِن طُورِ سِيناءَ**﴾ جبلٍ، بكسر السين وفتحها ومنعُ الصرفِ للعلميّةِ والتأنيثِ للبقعة، ﴿**تُنبِتُ**﴾ ـمن الرباعيّ والثلاثيّ ـ ﴿**بالدُّهنِ**﴾ الباء: زائدةٌ على الأوّل، ومُعدّيةٌ على الثاني، وهي شجرة الزيتون، ﴿**وصِبغٍ لِلآكِلِينَ**﴾: عطفٌ على «الدهن» أي: إدامٍ يَصبغ اللُّقمة بغمسها فيه، وهو الزّيت.

﴿٢١﴾ ـ ﴿٢٢﴾ ـ ﴿**وإنَّ لكُم في الأنعامِ**﴾: الإبلِ والبقرِ والغنمِ ﴿**لَعِبرةً**﴾: عِظةً بها، ﴿**نَسقِيكُم**﴾ ـ بفتح النون وضمّها ـ ﴿**مِمّا في بُطُونِها**﴾ أي: اللبنَ، ﴿**ولكُم فِيها مَنافِعُ كَثِيرةٌ**﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك، ﴿**ومِنها تأكُلُونَ، وعلَيها**﴾ أي: الإبلِ ﴿**وعلى الفُلْكِ**﴾ أي: السُّفنِ ﴿**تُحمَلُونَ**﴾.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿**ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ، فقالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ**﴾: أطيعوه ووحّدوه. ﴿**مالكُم مِن إلٰـهٍ غَيرُهُ**﴾، وهو اسم «ما» وما قبله: الخبر، ومِن: زائدةٌ ﴿**أفلا تَتَّقُونَ**﴾: تخافون عُقوبته بعِبادتكم غيرَه؟ ﴿٢٤﴾ ـ ﴿**فقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ**﴾ لأتباعهم: ﴿**ما هذا إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم، يُرِيدُ أن يَتَفَضَّلَ**﴾: يتشرّف ﴿**علَيكُم**﴾ بأن يكون متبوعًا وأنتم أتباعه، ﴿**ولَو شاءَ اللهُ**﴾ ألاّ يُعبَدَ غيره ﴿**لأنزَلَ مَلائكةً**﴾ بذلك لا بشرًا. ﴿**ما سَمِعْنا بِهذا**﴾ الذي دعانا إليه نوح من التوحيد ﴿**في آبائنا الأوّلِينَ**﴾ أي: الأُممِ الماضية. ﴿٢٥﴾ ـ ﴿**إن هُوَ**﴾: ما نوحٌ ﴿**إلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنّةٌ**﴾: حالةُ جُنون. ﴿**فتَرَبَّصُوا بِهِ**﴾: انتظروه ﴿**حَتَّى حِينٍ**﴾: إلى زمن موته.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿**قالَ**﴾ نوح: ﴿**رَبِّ، انصُرْني**﴾ عليهم ﴿**بِما كَذَّبُونِ**﴾ أي: بسبب تكذيبهم إيّاي بأن تُهلكَهم. قال تعالى مُجيبًا دُعاءه: ﴿٢٧﴾ ـ ﴿**فأوحَينا إلَيهِ: أنِ اصنَعِ الفُلْكَ**﴾ السفينة ﴿**بِأعيُنِنا**﴾: بمرأى منّا وحِفظنا ﴿**ووَحيِنا**﴾: أمرِنا، ﴿**فإذا جاءَ أمرُنا**﴾ بإهلاكهم، ﴿**وفارَ التَّنُّورُ**﴾ للخبّازِ بالماء ـ وكان ذلك علامة لنوح ـ ﴿**فاسلُكْ فِيها**﴾ أي: أدخِلْ في السفينة ﴿**مِن كُلِّ زَوجَينِ**﴾ أي: ذكرٍ وأُنثى أي: من كُلّ أنواعهما ﴿**اثنَينِ**﴾: ذكرٌ وأنثى ـ وهو مفعول، ومِن: متعلّقة بـ «اسلُكْ». وفي القِصّة أن الله ـ تعالى ـ حشر لنوح السِّباعَ والطَّير وغيرهما[1]، فجعل يضرب بيديه في كُلّ نوع، فتقع يده اليُمنى على الذَّكر، واليُسرى على الأُنثى، فيحملهما في السفينة وفي قراءةٍ: «كُلٍّ» بالتنوين، فزوجين: مفعول، واثنين: تأكيد له ـ ﴿**وأهلَكَ**﴾ أي: زوجتَه وأولاده، ﴿**إلاّ مَن سَبَقَ علَيهِ القَولُ مِنهُم**﴾ بالإهلاك ـ وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سامٍ وحامٍ ويافثَ فحملهم وزوجاتِهم ثلاثةً. وفي سورة هود: «ومَن آمَنَ. وما آمَنَ مَعَهُ إلاّ قَلِيلٌ». قيل: كانوا سِتّةَ رِجال ونِساءَهم. وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون، نِصفهم رِجال ونِصفهم نِساء ـ ﴿**ولا تُخاطِبْني في الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا: بترك إهلاكهم. ﴿**إنَّهُم مُغرَقُونَ**﴾.

﴿بقدَر﴾: بمقدارِ الحاجةِ والمصلحةِ. ﴿شجرة﴾: هي شجرةُ الزَّيتونِ. ﴿بالدهن﴾: مُلتبساً ثمرُها بالزَّيتِ. ﴿صبغ للآكلين﴾: إدامٌ لهُم يغمسُ فيهِ الخبزُ. ﴿الأنعام﴾: الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ. ﴿لعبرة﴾: لعظةً وآيةً على القُدْرَةِ والرَّحمةِ. ﴿وعليها﴾: وعلى الإبلِ منها. ﴿الملأ﴾: وُجوهُ القوْمِ وسَادَتُهم. ﴿يتفضل عليكم﴾: يترأَّسُ ويَشْرُفُ عليكُم. ﴿به جِنّة﴾: بِهِ جنونٌ أو جنٌّ يخبلونَهُ. ﴿فتربصوا به﴾: انتظروا واصبروا عليهِ. ﴿بأعْيُننا﴾: برعايتِنا وكلاءَتِنا. ﴿فار التنور﴾: نبعَ الماءُ مِنَ التَّنُّورِ المعروفِ. ﴿فاسْلك فيها﴾: فأدخِلْ في الفُلكِ.

(١) تقدمت في الآية (٤٠) من سورة هود.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ
مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

(٢٨) ـ ﴿فإذا استَوَيتَ﴾: اعتدلتَ ﴿أنتَ ومَن مَعَكَ على الفُلكِ فقُلِ: الحمدُ للهِ الَّذي نَجّانا مِنَ القومِ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين وإهلاكهم.

(٢٩) ـ ﴿وقُل﴾ عِند نزولك من الفُلك: ﴿رَبِّ، أنزِلْنِي مُنزَلاً﴾، بضمّ الميم وفتح الزاي: مصدرٌ أو اسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي: مكانُ النزول ﴿مُبارَكًا﴾ ذلك الإنزالُ أو المكانُ[1]، ﴿وأنتَ خَيرُ المُنزِلِينَ﴾ ما ذُكر.

(٣٠) ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكُفّار ﴿لآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرة الله ـ تعالى ـ ﴿وإنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿كُنّا لَمُبتَلِينَ﴾: مُختبِرين قومَ نُوح بإرساله إليهم ووعظه.

ربع الحزب ٣٥

(٣١) ـ ﴿ثُمَّ أنشأْنا مِن بَعدِهِم قَرنًا﴾: قومًا ﴿آخَرِينَ﴾ هم عادٌ، (٣٢) ـ ﴿فأرسَلْنا فِيهِم رَسُولاً مِنهُم﴾ هُودًا: ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿اعبُدُوا اللهَ. ما لَكُم مِن إلٰـهٍ غَيرُهُ. أفلا تَتَّقُونَ﴾ عِقابه فتُؤمنون؟

(٣٣) ـ (٣٤) ـ ﴿وقالَ المَلأُ مِن قَومِهِ، الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرةِ﴾ أي: بالمصير إليها، ﴿وأترَفناهُم﴾: نعّمْناهم ﴿في الحَياةِ الدُّنيا: ما هذا إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم، يأكُلُ مِمّا تأكُلُونَ مِنهُ، ويَشرَبُ مِمّا تَشرَبُونَ، وَ﴾ اللهِ ﴿لَئِنْ أطَعتُم بَشَرًا مِثلَكُم﴾ ـ فيه قسَمٌ وشرط، والجواب لِأوّلهما وهو مُغنٍ عن جواب الثاني ـ ﴿إنَّكُم إذًا﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لَخاسِرُونَ﴾ أي: مَغبونون. (٣٥) ـ ﴿أيَعِدُكُم أنَّكُم إذا مُتُّم، وكُنتُم تُرابًا وعِظامًا، أنَّكُم مُخرَجُونَ﴾؟ هو خبر «أنكم» الأُولى، و«أنكم» الثانية تأكيد لها لمّا طال الفصل. (٣٦) ـ ﴿هَيهاتَ هَيهاتَ﴾: اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى مصدر، أي: بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِما تُوعَدُونَ﴾ من الإخراج من القُبور! واللام: زائدة للبيان.

(٣٧) ـ (٣٨) ـ ﴿إنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إلاّ حَياتُنا الدُّنيا، نَمُوتُ ونَحيا﴾ بحياة أبنائنا، ﴿وما نَحنُ بِمَبعُوثِينَ. إن هُوَ﴾ أي: ما الرسول ﴿إلاّ رَجُلٌ، افتَرَى على اللهِ كَذِبًا، وما نَحنُ لَهُ بِمُؤمِنِينَ﴾: مُصدّقين في البعث بعد الموت.

(٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿قالَ: رَبِّ، انصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ. قالَ: عَمّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان ـ وما: زائدة ـ ﴿لَيُصبِحُنَّ﴾: لَيَصِيرُنّ ﴿نادِمِينَ﴾ على كُفرهم وتكذيبهم. (٤١) ـ ﴿فأخَذَتهُمُ الصَّيحَةُ﴾: صيحةُ العذاب والإهلاك كائنةً ﴿بِالحَقِّ﴾ فماتوا، ﴿فجَعَلْناهُم غُثاءً﴾، وهو نبتٌ يَبِس[2]، أي: صيّرناهم مِثله في اليُبس. ﴿فبُعدًا﴾ من الرحمة ﴿لِلقَومِ الظّالِمِينَ﴾: المُكذبين!

(٤٢) ـ (٤٣) ـ ﴿ثُمَّ أنشأْنا مِن بَعدِهِم قُرُونًا﴾ أي: أُممًا ﴿آخَرِينَ﴾، ....

﴿مُنزلاً﴾: إنزالاً. أو مكانَ إنزالٍ. ﴿لمُبتلين﴾: لمُختبرينَ عبادَنا بهذهِ الآياتِ. ﴿قرناً آخرين﴾: هم عادٌ الأُولى قومُ هودٍ. ﴿أترفناهم﴾: نعَّمْناهُم ووَسَّعْنا عليهِم فبَطِروا. ﴿هيهات﴾: بعُدَ وقوعُ ذلكَ الموعودِ. ﴿فأخذتهم الصيحة﴾: صيحةُ جبريلَ أوِ العذابُ المُصطَلِمُ. ﴿فجعلناهم غثاء﴾: هالكينَ كغثاءِ السَّيلِ (حَمِيله). ﴿فبُعداً﴾: هلاكاً. أو بُعداً مِنَ الرَّحمةِ. ﴿قروناً آخرين﴾: أمَماً أُخرى.

(١) يتسبَّبُ لمزيدِ الخيرِ في الدّارين، في السفينةِ، وفي الأرضِ بعد النُّزولِ. (الجمالين).

(٢) أو شَبَّهَهُم في دمارِهِم بغُثاءِ السَّيلِ؛ وهو مَحمولُهُ، فإنَّ حَميلَ السَّيلِ هالكٌ ذاهِبٌ لا يُظفَرُ به أبداً. (الجمالين).

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم
بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

ما تَسبِقُ مِن أُمَّةٍ أجلَها بأن تموت قبله، **﴿وما يستأخِرونَ﴾** عنه ـ ذُكِّر الضمير بعد تأنيثه رِعاية للمعنى ـ ﴿٤٤﴾ ـ **﴿ثُمَّ أرسلْنا رُسُلَنا تَترَى﴾**، بالتنوين وعدمِه أي: مُتتابِعين، بين كُلّ اثنين زمان طويل، **﴿كُلَّما جاءَ أُمَّةً﴾** ـ بتحقيق الهمزتين، وتسهيلِ الثانية بينها وبين الواو ـ **﴿رَسُولُها كَذَّبُوهُ، فأتبَعْنا بَعضَهُم بَعضًا﴾** في الهلاك، **﴿وجَعَلْناهُم أحادِيثَ. فبُعدًا لِقَومٍ لا يُؤمِنُونَ﴾**!

﴿٤٥﴾ ـ **﴿ثُمَّ أرسلْنا مُوسَى وأخاهُ هارُونَ بآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ﴾**: حُجّةٍ بيّنة ـ وهي اليد والعصا وغيرُهما من الآيات ـ ﴿٤٦﴾ ـ **﴿إلى فِرعَونَ ومَلَئِهِ، فاستكبَرُوا﴾** عن الإيمان بها وبالله ـ **﴿وكانُوا قَومًا عالِينَ﴾**: قاهرين بني إسرائيل بالظلم ـ ﴿٤٧﴾ ـ **﴿فقالُوا: أنُؤمِنُ لِبَشَرَينِ مِثلِنا، وقَومُهُما لَنا عابِدُونَ﴾**: مُطيعونَ خاضعون؟

﴿٤٨﴾ ـ ﴿٤٩﴾ ـ **﴿فكَذَّبُوهُما فكانُوا مِنَ المُهلَكِينَ. ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾**: التوراة، **﴿لَعَلَّهُم﴾** أي: قومَه بني إسرائيل **﴿يهتَدُونَ﴾** به من الضلالة. وأُوتيها بعد هلاكِ فِرعونَ وقومِه جُملةً واحدة.

﴿٥٠﴾ ـ **﴿وجَعَلْنا ابنَ مَريَمَ﴾** عِيسى **﴿وأُمَّهُ آيةً﴾** ـ لم يقل «آيتين» لأنّ الآية فيهما واحدة: وِلادتُه من غير فحل ـ **﴿وآويناهُما إلَى رُبوةٍ﴾**: مكان مرتفع وهو [في] بيت المَقدس أو دِمشق أو فِلسطين، أقوال، **﴿ذاتِ قَرارٍ﴾** أي: مُستويةٍ يستقرّ عليها ساكنوها، **﴿ومَعِينٍ﴾** أي: ماء جارٍ ظاهر تراه العُيون.

﴿٥١﴾ ـ **﴿يا أيُّها الرُّسُلُ، كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ﴾**: الحلالات[1]، **﴿واعمَلُوا صالِحًا﴾** مِن فرض ونفل ـ **﴿إنِّي بِما تَعمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** فأُجازيكم عليه ـ ﴿٥٢﴾ ـ **﴿و﴾** اعلموا **﴿أنَّ هذِهِ﴾** أي: مِلّةَ الإسلام **﴿أُمّتُكُم﴾**: دِينُكم، أيها المُخاطَبون، أي: يجب أن تكونوا عليها **﴿أُمَّةً واحِدةً﴾**: حالٌ لازمة ـ وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أُخرى بكسر همزة «إنَّ» مُشدّدة استئنافًا ـ **﴿وأنا رَبُّكُم. فاتَّقُونِ﴾**: فاحذرونِ.

﴿٥٣﴾ ـ **﴿فتَقَطَّعُوا﴾**، أي: الأتباعُ **﴿أمرَهُم﴾**: دِينَهم **﴿بَينَهُم زُبُرًا﴾**: حالٌ من فاعل «تقطّعوا»، أي: أحزابًا مُتخالفين كاليهود والنصارى وغيرهما، **﴿كُلُّ حِزبٍ بِما لَدَيهِم﴾** أي: عِندَهم من الدِّين، **﴿فَرِحُونَ﴾**: مسرورون.

﴿٥٤﴾ ـ **﴿فذَرْهُم﴾**: اتركْ كُفّار مكّة **﴿في غَمرَتِهِم﴾**: ضلالتهم **﴿حَتَّى حِينٍ﴾**، أي: حينِ موتهم. ﴿٥٥﴾ ـ **﴿أيَحسِبُونَ أنَّ ما نُمِدُّهُم بِهِ﴾**: نُعطيهم **﴿مِن مالٍ وبَنِينَ﴾** في الدنيا ﴿٥٦﴾ ـ **﴿نُسارِعُ﴾**: نُعجّل **﴿لَهُم في الخَيراتِ﴾**؟ لا، **﴿بَل لا يَشعُرُونَ﴾** أنّ ذلك استدراجٌ لهم.

﴿٥٧﴾ ـ **﴿إنَّ الَّذِينَ هُم مِن خَشيةِ رَبِّهِم﴾**: خوفهم منه **﴿مُشفِقُونَ﴾**: خائفون من عذابه، ﴿٥٨﴾ ـ **﴿والَّذِينَ هُم بِآياتِ رَبِّهِم﴾**: القرآنِ **﴿يُؤمِنُونَ﴾**: يُصدّقون، ﴿٥٩﴾ ـ **﴿والَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لا يُشرِكُونَ﴾** معه غيرَه، ....

﴿تترى﴾: مُتتابعينَ على فتراتٍ. ﴿جعلناهم أحاديث﴾: مجرّدَ أخبارٍ للتّعجُّبِ والتّلهّي. ﴿سُلطان مبين﴾: برهانٍ بَيِّنٍ مُظهِرٍ للحقِّ. ﴿قوْماً عالين﴾: مُتكبِّرينَ أو مُتطاولينَ بالظُّلمِ. ﴿آويناهُما﴾: صيَّرْناهُما وأوْصَلْناهُما. ﴿إلى رَبوة﴾: إلى مكانٍ مُرتفعٍ مِنَ البلادِ. ﴿معين﴾: ماءٍ جَارٍ ظاهرٍ للعيونِ. ﴿أمتكم﴾: مِلَّتُكُم وشريعتُكُم. ﴿فتقطعوا أمرهم﴾: تفرَّقوا في أمْرِ دينِهِم. ﴿زبُراً﴾: قطعاً وفرقاً وأحزاباً مُختلفةً. ﴿غَمْرَتِهم﴾: جَهالتِهِم وضلالتِهِم. ﴿أنّ ما نمدهم به﴾: ما نجعلُهُ مدَداً لهُمْ. ﴿مُشفقون﴾: خائفونَ حَذِرونَ.

(١) أو: ما يُستلَذُّ من المباحاتِ، وقيلَ: الحلالُ الصَّافي القِوامُ، فالحلالُ: ما لا يُعصى اللهُ فيه، والصَّافي: ما لا يُنسى اللهُ فيه، والقِوامُ: ما يُمسكُ النفسَ ويحفظُ العقلَ. (الجمالين).

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾
أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ
هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ
ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ
جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ
فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌۖ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

(٦٠) - (٦١) - ﴿**والَّذِينَ يُؤتُونَ**﴾: يُعطُون ﴿**ما آتوا**﴾: أعطَوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿**وقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ**﴾: خائفةٌ ألاّ تُقبل منهم، ﴿**أَنَّهُم**﴾ - يُقدّر قبله لام الجرّ - ﴿**إلى رَبِّهِم راجِعُونَ، أولئكَ يُسارِعُونَ في الخَيراتِ، وهُم لَها سابِقُونَ**﴾ في عِلم الله.

(٦٢) - ﴿**ولا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلاّ وُسعَها**﴾ أي: طاقتَها - فمَن لم يستطع أن يُصلّي قائمًا فليصلّ جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل - ﴿**ولَدَينا**﴾: عِندنا ﴿**كِتابٌ، يَنطِقُ بِالحَقِّ**﴾: بما عملتْه - وهو اللوح المحفوظ تُسطّر فيه الأعمال - ﴿**وهُم**﴾ أي: النُّفوس العاملة ﴿**لا يُظلَمُونَ**﴾ شيئًا منها، فلا يُنقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يُزاد في السيّئات.

(٦٣) - ﴿**بَل قُلُوبُهُم**﴾ أي: الكُفّارِ ﴿**في غَمرةٍ**﴾: جهالةٍ ﴿**مِن هذا**﴾ القُرآن، ﴿**ولَهُم أعمالٌ مِن دُونِ ذلِكَ**﴾ المذكور للمُؤمنين، ﴿**هُم لَها عامِلُونَ**﴾، فيُعذَّبون عليها. (٦٤) - ﴿**حَتَّى**﴾: ابتدائيّةٌ ﴿**إذا أخَذنا مُترَفِيهِم**﴾: أغنياءهم ورُؤساءهم ﴿**بِالعَذابِ**﴾ أي: السيف يوم بدر ﴿**إذا هُم يَجأَرُونَ**﴾: يضِجّون، (٦٥) - ويقال لهم: ﴿**لا تَجأَرُوا اليَومَ. إنَّكُم مِنّا لا تُنصَرُونَ**﴾: لا تُمنعون. (٦٦) - ﴿**قَد كانَت آياتي**﴾ من القُرآن ﴿**تُتلَى عَلَيكُم، فكُنتُم على أعقابِكُم تَنكِصُونَ**﴾: ترجِعون القَهقرى، (٦٧) - ﴿**مُستَكبِرِينَ**﴾ عن الإيمان، ﴿**بِهِ**﴾ أي: بالبيت أو الحَرَم، بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم، ﴿**سامِرًا**﴾: حالٌ أي: جماعةً، تتحدثون في الليل حول البيت ﴿**تَهجُرُونَ**﴾[1]، من الثلاثيّ: تتركون القرآن، ومن الرباعيّ أي: تقولون غيرَ الحق في النبيّ والقُرآن.

(٦٨) - (٦٩) - (٧٠) - (٧١) - قال تعالى: ﴿**أفلَم يَدَّبَّرُوا**﴾ - أصله «يَتَدبّروا» فأُدغمت التاء في الدال - ﴿**القَولَ**﴾ أي: القُرآنَ الدالّ على صِدق النبيّ؟ ﴿**أم جاءَهُم ما لَم يأتِ آباءَهُمُ الأوَّلِينَ؟ أم لَم يَعرِفُوا رَسُولَهُم، فهُم لَهُ مُنكِرُونَ؟ أم يَقُولُونَ: بِهِ جِنَّةٌ**﴾؟ الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صِدق النبيّ ومجيء الرسل للأُمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصِّدق والأمانة، وأنْ لا جنون به ﴿**بَل**﴾: للانتقال ﴿**جاءَهُم بِالحَقِّ**﴾ أي: القُرآنِ المُشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام، ﴿**وأكثَرُهُم لِلحَقِّ كارِهُونَ - ولَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ**﴾ أي: القُرآنُ ﴿**أهواءَهُم**﴾، بأن جاء بما يهوَونه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿**لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والأرضُ ومَن فِيهِنَّ**﴾ أي: خرجتْ عن نِظامها المُشاهَد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدّد الحاكم - ﴿**بَل أتيناهُم بِذِكرِهِم**﴾ أي: بالقُرآن الذي فيه ذِكرُهم وشرفهم، ﴿**فهُم عَن ذِكرِهِم مُعرِضُونَ**﴾.

(٧٢) - ﴿**أم تَسألُهُم خَرْجًا**﴾: أجرًا على ما جئتَهم به من الإيمان؟ ﴿**فخَراجُ رَبِّكَ**﴾: أجرُه وثوابه ورِزقه ﴿**خَيرٌ**﴾ - وفي قراءة: «خَرْجًا» في الموضعين، وفي قراءة أُخرى «خَراجًا» فيهما - ﴿**وهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ**﴾: أفضل مَن أعطى وآجَرَ، (٧٣) - ﴿**وإنَّكَ لَتدعُوهُم إلَى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾ أي: دِين الإسلام، (٧٤) - ﴿**وإنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ**﴾: بالبعث والثواب والعقاب ﴿**عَنِ الصِّراطِ**﴾ أي: الطريق ﴿**لَناكِبُونَ**﴾: عادلون.

﴿**يُؤتون ما آتَوا**﴾: يُعطونَ ما أعْطَوا مِنَ الصَّدقاتِ. ﴿**قلوبهم وجلة**﴾: خائفةٌ ألَّا تُقبلَ أعمالُهُم. ﴿**وسعها**﴾: قدرَ طاقتِها مِنَ الأعمالِ. ﴿**غمرة**﴾: جهالةٍ وغفلةٍ وغطاءٍ. ﴿**مترفيهم**﴾: مُنعَّميهِمُ الَّذينَ أبطرَتْهُمُ النِّعَمُ. ﴿**يجأرون**﴾: يصرُخونَ مُستغيثينَ بربِّهِم. ﴿**تنكصون**﴾: ترجعونَ معرضينَ عن سماعِها. ﴿**مستكبرين به**﴾: مُستعظمينَ بالبيتِ الحرامِ. ﴿**سامراً**﴾: سُمَّاراً حولَهُ باللَّيلِ. ﴿**تهجرون**﴾: تهْذونَ بالطَّعنِ في القرآنِ. ﴿**به جِنَّة**﴾: بهِ جنونٌ. ﴿**بذكرهم**﴾: بفخرِهِم وشرفِهِم وهوَ القرآنُ. ﴿**خرجاً**﴾: جُعلاً وأجراً مِنَ المالِ. ﴿**لناكبون**﴾: لعادِلونَ عنِ الحقِّ زائغونَ.

(١) عن سعيد بن جبير: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به ويفتخرون به، فأنزل هذه الآية. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٣٧).

* وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

(٧٥) ـ ﴿ولو رَحِمْناهُم، وكَشَفْنا ما بِهِم مِن ضُرٍّ﴾ أي: جُوع أصابهم بمكّة سبعَ سنين، ﴿لَلَجُّوا﴾: تمادَوا ﴿في طُغيانِهِم﴾: ضلالتهم ﴿يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون. (٧٦) ـ ﴿ولقَد أخَذْناهُم بالعَذابِ﴾[1]: الجُوع، ﴿فَما استكانوا﴾: تواضعوا ﴿لِرَبِّهِم، وما يَتَضَرَّعُونَ﴾: يرغبون إلى الله بالدعاء. (٧٧) ـ ﴿حَتَّى﴾: ابتدائيّةٌ ﴿إذا فَتَحْنا علَيهِم بابًا ذا﴾: صاحبَ ﴿عَذابٍ شَدِيدٍ﴾، هو يوم بدر بالقتل، ﴿إذا هُم فِيهِ مُبلِسُونَ﴾: آيِسون من كُلّ خير.

(٧٨) ـ (٧٩) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي أنشَأَ﴾: خلَق ﴿لَكُمُ السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع، ﴿والأبصارَ والأفئِدَةَ﴾: القُلوب ـ ﴿قَلِيلاً ما﴾: تأكيد للقِلّة ﴿تَشكُرُونَ ـ وهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُم﴾: خلقَكم ﴿في الأرضِ، وإلَيهِ تُحشَرُونَ﴾: تُبعثون، (٨٠) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي يُحيِي﴾ بنفخ الروح في المُضغة ﴿ويُمِيتُ، ولَهُ اختِلافُ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالسوادِ والبياض والزيادةِ والنُّقصان. ﴿أفَلا تَعقِلُونَ﴾ صُنعه ـ تعالى ـ فتعتبرون؟

(٨١) ـ (٨٢) ـ ﴿بَل قالُوا مِثلَما قالَ الأوَّلُونَ، قالُوا﴾ أي: الأوّلون: ﴿أإذا مُتْنا، وكُنّا تُرابًا وعِظامًا، أإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾؟ لا. وفي الهمزتين التحقيقُ في الموضعين، وتسهيلُ الثانية، وإدخالُ ألِف بينهما على الوجهين.

(٨٣) ـ ﴿لَقَد وُعِدْنا نَحنُ وآباؤُنا هذا﴾ أي: البعثَ بعد الموت ﴿مِن قَبلُ. إن﴾: ما ﴿هذا إلّا أساطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿الأوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أُسطورة بالضمّ.

(٨٤) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لِمَنِ الأرضُ ومَن فِيها﴾ من الخلق، ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها؟ (٨٥) ـ ﴿سَيَقُولُونَ: لله. قُلْ﴾ لهم: ﴿أفَلا تَذَّكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء في الذال: تتّعظون، فتعلمون أنّ القادر على الخلق ابتداءً قادرٌ على الإحياء بعد الموت؟ (٨٦) ـ ﴿قُلْ: مَن رَبُّ السَّماواتِ السَّبعِ، ورَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾: الكرسيّ؟ (٨٧) ـ ﴿سَيَقُولُونَ: الله. قُلْ: أفَلا تَتَّقُونَ﴾: تحذرون عِبادة غيره؟

(٨٨) ـ (٨٩) ـ ﴿قُلْ: مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مُلكُ ﴿كُلِّ شَيءٍ﴾ ـ والتاء للمُبالغة ـ ﴿وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجارُ علَيهِ﴾: يَحمي ولا يُحمَى عليه، ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ؟ سَيَقُولُونَ: الله﴾. وفي قراءة: «لِله» بلام الجرّ في الموضعين، نظرًا إلى أنّ المعنى: مَن له ما ذُكر؟ ﴿قُلْ: فأنّى تُسحَرُونَ﴾: تُخدَعون وتُصرَفُون عن الحقّ عِبادةِ الله وحده؟ أي: كيف يُخيّل لكم أنه باطل؟

﴿للجّوا في طغيانهم﴾: لتمادَوْا في ضلالِهم وكفرِهِم. ﴿يعمهون﴾: يعمونَ عنِ الرُّشدِ أو يتحيَّرونَ. ﴿فما استكانوا﴾: فما خضعوا وأظهروا المسكنةَ. ﴿ما يتضرعون﴾: ما يتذلَّلونَ لهُ تعالى بالدُّعاءِ. ﴿مُبلسون﴾: مُتحيِّرونَ آيسونَ مِن كلِّ خيرٍ. ﴿ذرأكم﴾: خلقَكُم وبثَّكُم بالتَّناسُلِ. ﴿أساطير الأولين﴾: أكاذيبُهُمُ المسطورةُ في كتبِهِم. ﴿ملكوت﴾: هوَ الملكُ الواسعُ العظيمُ. ﴿هو يجير﴾: يُغيثُ ويحمي مَن يشاءُ ويمنعُ. ﴿لا يُجار عليه﴾: لا يُغاثُ أحدٌ منهُ ولا يُمنعُ. ﴿فأنى تُسحرون﴾: فكيفَ تُخدعونَ عن توحيدِهِ؟.

(١) عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ أبو سفيانَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «يا محمَّدُ، أنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ لقد أكلْنا العِلْهِزَ»، يعني: الوبرَ بالدَّمِ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ فَما اسْتَكانُوا لِرَبِّهِمْ وَما يَتَضَرَّعُونَ﴾. النسائي في «الكبرى» (١١٢٨٩)، والطبري (١٧/ ٩٣)، وابن حبان (٩٦٧)، والحاكم (٣٤٨٨) وصححه.

وروي عن ابن عباس أيضاً نحوه في قصة إسلام ثمامة بن أثال، ورجوعه إلى اليمامة ومنعه عن قريش الميرة، رواه الطبري (١٧/ ٩٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٤٢٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٨١).

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ
وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ
﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

(٩٠) ـ ﴿**بَل أتيناهُم بِالحَقِّ**﴾: بالصِّدق، ﴿**وإنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ في نفيه، وهو: (٩١) ـ ﴿**ما اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ، وما كانَ مَعَهُ مِن إلَٰهٍ. إذًا**﴾ أي: لو كان معه إلٰـهٌ ﴿**لَذَهَبَ كُلُّ إلَٰهٍ بِما خَلَقَ**﴾: انفرد به، ومنعَ الآخَرَ من الاستيلاء عليه، ﴿**ولَعَلا بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ**﴾ مُغالبةً كفعل مُلوك الدنيا. ﴿**سُبحانَ اللهِ**﴾: تنزيهًا له ﴿**عَمّا يَصِفُونَـ**﴾ـهُ به ممّا ذُكر! (٩٢) ـ ﴿**عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غاب وما شُوهد ـ بالجرِّ: صفةٌ، والرفعِ: خبرُ «هو» مُقدّرًا ـ ﴿**فتَعالَى**﴾: تعظَّم ﴿**عَمّا يُشرِكُونَـ**﴾ـهُ معه.

(٩٣) ـ ﴿**قُلْ: رَبِّ، إمّا**﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» الزائدة ـ ﴿**تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَـ**﴾ـهُ من العذاب ـ هو صادقٌ بالقتل ببدر ـ (٩٤) ـ ﴿**رَبِّ، فلا تَجعَلْنِي في القَومِ الظّالِمِينَ**﴾ فأهلِكْ بهلاكهم. (٩٥) ـ ﴿**وإنّا عَلَى أن نُرِيَكَ ما نَعِدُهُم لَقادِرُونَ**﴾.

(٩٦) ـ ﴿**ادفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسَنُ**﴾ أي: الخَلّةِ من الصفح والإعراض عنهم[1] ﴿**السَّيِّئَةَ**﴾ أذاهم إيّاك. وهذا قبل الأمر بالقتال ـ ﴿**نَحنُ أعلَمُ بِما يَصِفُونَ**﴾ أي: يكذبون ويقولون، فنُجازيهم عليه ـ (٩٧) ـ ﴿**وقُلْ: رَبِّ، أعُوذُ**﴾: أعتصم ﴿**بِكَ مِن هَمَزاتِ الشَّياطِينِ**﴾: نزَغاتهم ممّا يُوَسْوِسون به، (٩٨) ـ ﴿**وأعُوذُ بِكَ ـ رَبِّ ـ أن يَحضُرُونِ**﴾ في أُموري لأنهم إنما يحضرون بسوء.

(٩٩) ـ ﴿**حَتَّى**﴾: ابتدائيّةٌ ﴿**إذا جاءَ أحَدَهُمُ المَوتُ**﴾، ورأى مقعدَه من النار ومقعدَه من الجنّة لو آمنَ، ﴿**قالَ: رَبِّ، ارجِعُونِ**﴾ ـ الجمعُ للتعظيم ـ (١٠٠) ـ ﴿**لَعَلِّي أعمَلُ صالِحًا**﴾ بأن أشهد أن لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ، يكونُ ﴿**فِيما تَرَكتُ**﴾: ضيّعتُ من عُمري، أي: في مُقابلته. قال تعالى: ﴿**كَلّا**﴾ أي: لا رُجوعَ. ﴿**إنَّها**﴾ أي «رَبِّ ارجِعُونِ» ﴿**كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها**﴾، ولا فائدة له فيها، ﴿**ومِن وَرائِهِم**﴾: أمامِهم ﴿**بَرزَخٌ**﴾: حاجز يصدّهم عن الرجوع ﴿**إلَى يَومِ يُبعَثُونَ**﴾، ولا رُجوع بعده.

(١٠١) ـ ﴿**فإذا نُفِخَ في الصُّورِ**﴾: القرنِ النفخةَ الأُولى أو الثانيةَ ﴿**فلا أنسابَ بَينَهُم يَومَئِذٍ**﴾ يتفاخرون بها، ﴿**ولا يَتَساءَلُونَ**﴾ عنها خِلافَ حالهم في الدنيا لِما يَشغلهم من عِظَم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يُفيقون وفي آية: «وأقبَلَ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ يَتَساءَلُونَ».

(١٠٢) ـ ﴿**فمَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ**﴾ بالحسنات[2] ﴿**فأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾: الفائزون[3]، (١٠٣) ـ (١٠٤) ـ ﴿**ومَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ**﴾ بالسيّئات ﴿**فأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم**﴾، فهم ﴿**في جَهَنَّمَ خالِدُونَ، تَلفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ**﴾: تُحرقها، ﴿**وهُم فِيها كالِحُونَ**﴾: شُمّرتْ شِفاهُهم العُليا والسُّفلى عن أسنانهم، ويقال لهم:..................................

﴿أعوذ بك﴾: أعتصمُ وأمتنعُ بكَ. ﴿همزات الشياطين﴾: نزغاتِهم ووَساوِسِهمُ المُغرِيةِ. ﴿من ورائهم﴾: أمامَهُم. ﴿برزخ﴾: حاجزٌ دونَ الرَّجعةِ. ﴿تلفح﴾: تحرقُ. ﴿كالحون﴾: عابسونَ أو مُتقلِّصو الشِّفاهِ عنِ الأسنانِ مِن أثرِ اللَّفحِ.

(١) الأظهرُ: عنها، والإحسانُ في مُقابلتِها، لكن بحيثُ لا يُؤدِّي إلى وَهنٍ في الدِّينِ، وقيلَ: هي كلمةُ التوحيدِ، والسَّيئةُ الشِّركُ، وقيلَ: هي الأمرُ بالمعروفِ، والسَّيئةُ المُنكرُ. وهذه المعاني كلُّها غيرُ قابلةٍ للنَّسخِ. (الجمالين).

(٢) فمَن كانت له عَقائدُ وأعمالٌ صالحةٌ يكونُ لها وزنٌ عندَ اللهِ وقَدْرٌ. (الجمالين).

(٣) بالنَّجاةِ والدَّرجاتِ، وهو شاملٌ للفاسِقِ والصَّالحِ لَفًّا ونَشراً، والمرادُ به: المؤمِنُ الكاملُ، وإنَّما لم يُذكَرِ المؤمنُ العاصي ستراً من اللهِ لحالِهِ، وليَكونَ بينَ الرَّجاءِ والخوفِ، وكذا في غالبِ آياتِ الوَعدِ والوَعيدِ. (الجمالين).

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا
فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ

﴿١٠٥﴾ - ﴿١٠٦﴾ - ﴿أَلَم تَكُنْ آياتِي﴾ من القرآن ﴿تُتلَى عليكُم﴾ تُخوَّفون بها، ﴿فكُنتُم بِها تُكذِّبُونَ؟ قالُوا: رَبَّنا، غَلَبَتْ علينا شِقوتُنا﴾ - وفي قراءةٍ: «شَقاوتُنا» بفتحِ أوله وألفٍ، وهما مصدران بمعنًى - ﴿وكُنّا قومًا ضالِّينَ﴾ عن الهِدايةِ. ﴿١٠٧﴾ - ﴿رَبَّنا، أخرِجْنا مِنها. فإن عُدْنا﴾ إلى المُخالفة ﴿فإنّا ظالِمُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ - ﴿قالَ﴾ لهم بلسانِ مالكٍ بعد قَدْرِ الدنيا مرّتين: ﴿اخسَؤُوا فِيها﴾: ابعُدوا في النار أذلاّءَ، ﴿ولا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفعِ العذاب عنكم. فينقطعُ رجاؤهم. ﴿١٠٩﴾ - ﴿١١٠﴾ - ﴿١١١﴾ - ﴿إنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِن عِبادِي﴾ - هم المهاجرون - ﴿يَقُولُونَ: رَبَّنا، آمَنّا. فاغفِرْ لَنا وارحَمْنا. وأنتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ. فاتَّخَذْتُمُوهُم سُخرِيًّا﴾، بضمّ السين وكسرها: مصدرٌ بمعنى الهُزء، منهم: بلال وصُهيب وعمّار وسلمان، ﴿حَتَّى أنسَوكُم ذِكرِي﴾، فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم - فهم سببُ الإنساء فنُسب إليهم - ﴿وكُنتُم مِنهُم تَضحَكُونَ. إنِّي جَزَيتُهُمُ اليَومَ﴾ النعيمَ المُقيم ﴿بِما صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إيّاهم. ﴿إنَّهُم﴾ - بكسرِ الهمزة - ﴿هُمُ الفائِزُونَ﴾ بمطلوبهم استئنافٌ، وبفتحِها: مفعولٌ ثان لـ«جزيتهم».

﴿١١٢﴾ - ﴿قالَ﴾ تعالى لهم بلسان مالكٍ، وفي قراءةٍ «قُل»: ﴿كَم لَبِثتُم في الأرضِ﴾: في الدنيا وفي قُبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾؟ تمييز. ﴿١١٣﴾ - ﴿قالُوا: لَبِثْنا يَومًا أو بَعضَ يَومٍ﴾. شَكّوا في ذلك واستقصَروه لعِظَم ما هم فيه من العذاب. ﴿فاسألِ العادِّينَ﴾ أي: الملائكةَ المُحصِينَ أعمالَ الخلق.

﴿١١٤﴾ - ﴿قالَ﴾ تعالى بلسان مالك، وفي قراءة «قُل»: ﴿إنْ﴾ أي: ما ﴿لَبِثتُم إلاّ قَلِيلاً. لَو أَنَّكُم كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ مِقدار لَبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لَبثكم في النار. ﴿١١٥﴾ - ﴿أفحَسِبتُم أنَّما خَلَقْناكُم عَبَثًا﴾ لا لحِكمة، ﴿وأنَّكُم إلَينا لا تُرجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول؟ لا بل لِنتعبَّدَكم بالأمر والنهي وترجِعوا إلينا، ونُجازيَ على ذلك: «وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعبُدُونِ».

﴿١١٦﴾ - ﴿فتعالَى اللهُ﴾ عن العبث وغيره ممّا لا يليق به، ﴿المَلِكُ الحَقُّ، لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ رَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ﴾: الكرسيّ هو السرير الحَسَن، ﴿١١٧﴾ - ﴿ومَن يَدعُ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ، لا بُرهانَ لَهُ بِهِ﴾: صفةٌ كاشفة لا مفهوم لها، ﴿فإنَّما حِسابُهُ﴾: جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِ. إنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرُونَ﴾: لا يَسعدون.

﴿١١٨﴾ - ﴿وقُلْ: رَبِّ، اغفِرْ وارحَمْ﴾ المؤمنين - في الرحمة زِيادة على المغفرة - ﴿وأنتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ﴾: أفضلُ رحمةَ راحمٍ.

***

﴿غلبت علينا﴾: استولَتْ علينا وملكَتْنا. ﴿شِقوتُنا﴾: شقاوَتُنا. أو لَذّاتُنا وشَهواتُنا. ﴿اخسئوا فيها﴾: انزجِروا وابعُدُوا كالكلاب. ﴿سِخريًّا﴾: مهزُوءاً بهِم. ﴿فتعالى اللهُ﴾: ارتفعَ بعظمتِهِ وتنزَّهَ عنِ العَبَثِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ
فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ
﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

٢٤

سُورَةُ النُّورِ

ربع الحزب ٣٥

مدنيّة، وهي ثنتان أو أربعٌ وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ هذه ﴿سُورةٌ، أنزلْناها وفَرَضْناها﴾ ـ مُخفّفًا، ومُشدّدًا لكثرة المفروض فيها ـ ﴿وأنزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: واضحاتِ الدلالة، ﴿لعَلَّكُم تَذَّكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء الثانية في الذال، أي: تتّعظون. (٢) ـ ﴿الزّانيةُ والزّاني﴾ أي: غيرُ المحصَنَين لرجمِهما بالسُّنّة[1]، «وأل» فيما ذُكر: موصولة، وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فاجلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ أي: ضربةٍ ـ يقال: جَلَدَه: ضَرَبَ جِلدَه. ويُزاد على ذلك بالسُّنّةِ تغريبُ عام[2]، والرقيقُ على النِّصف ممّا ذُكر ـ ﴿ولا تأخُذْكُم بِهِما رأفةٌ في دِينِ اللهِ﴾ أي: حُكمِه بأن تتركوا شيئًا من حدّهما، ﴿إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ أي: يوم البعث ـ في هذا تحريض على ما قبلَ الشرط، وهو جوابه أو دالّ على جوابه ـ ﴿ولْيَشْهَدْ عَذابَهُما﴾ أي: الجَلدَ ﴿طائفةٌ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾. قيل: ثلاثةٌ، وقيل: أربعةٌ عددُ شهودِ الزنى.

(٣) ـ ﴿الزّاني لا يَنكِحُ﴾: يتزوّجُ ﴿إلاّ زانِيةً أو مُشرِكةً، والزّانِيةُ لا يَنكِحُها إلاّ زانٍ أو مُشرِكٌ﴾ أي: المناسبُ لكُلّ منهما ما ذُكر ﴿وحُرِّمَ ذلِكَ﴾ أي: نِكاحُ الزَّواني ﴿علَى المُؤمِنِينَ﴾ الأخيار. نزل ذلك لمّا همَّ فُقراء المُهاجرين أن يتزوّجوا بَغايا المشركين[3]، وهنّ مُوسِرات، ليُنفِقْنَ عليهم. فقيل: التحريم خاصّ بهم، وقيل: عامّ ونُسخ بقوله: «وأنكِحُوا الأيامَى مِنكُم».

(٤) ـ ﴿والَّذِينَ يَرمُونَ المُحصَناتِ﴾: العفيفات بالزنى، ﴿ثُمَّ لَم يأتُوا بأربَعةِ شُهَداءَ﴾ على زناهنّ برؤيتهم، ﴿فاجلِدُوهُم﴾ أي: كُلَّ واحد منهم ﴿ثَمانِينَ جَلْدَةً، ولا تَقبَلُوا لَهُم شَهادةً﴾ في شيء ﴿أبَدًا، وأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ لإتيانهم كبيرةً. (٥) ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ تابُوا مِن بَعدِ ذلِكَ، وأصلَحُوا﴾[4] عملَهم. ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم قذفَهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بإلهامهم التوبةَ. فبها ينتهي فِسقهم، وتُقبل شهادتهم. وقيل: لا تُقبل، رُجوعًا بالاستثناء إلى الجُملة الأخيرة.

(٦) ـ ﴿والَّذِينَ يَرمُونَ أزواجَهُم﴾ بالزنى، ﴿ولَم يَكُن لَهُم شُهَداءُ﴾ عليه ﴿إلاّ أنفُسُهُم﴾ ـ وقع ذلك لجماعة من الصحابة[5] ـ ﴿فشَهادةُ أحَدِهِم﴾:

﴿فرضناها﴾: أوجبْنا أحكامَها عليكُم. ﴿كلّ واحد﴾: إذا كانَ حُرًّا غيرَ مُحصنٍ. ﴿يرمون المحصنات﴾: يقذفونَ العفيفاتِ بالزِّنى. ﴿يدرأ عنها العذاب﴾: يدفعُ عنها العقوبةَ.

(١) مسلم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. (٢) هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم.

(٣) عن مجاهد: كنّ نساء معلومات، قال: فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوّج المرأة منهن لتنفق عليه، فنهاهم الله عن ذلك. الطبري (١٧/ ١٥٢). وعن مجاهدٍ والزهريّ وقتادة قالوا: كان في الجاهليَّة بغايا معلومٌ ذلك منهنَّ، فأراد ناسٌ من المسلمين نكاحهنَّ، فأنزل الله هذه الآيةَ. عبد الرزاق (٢٠٠١)، والطبري (١٧/ ١٥٥). وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن مَرْثَدَ الغَنَويَّ كان يحمِلُ الأسارى بمكة، وكان بمكة بغيٌّ يقالُ لها عَنَاقُ، وكانت صديقَته، فقال: يا رسولَ الله أَنْكِحُ عَنَاقَ؟ قال: فسكتَ عني، فنزلَتْ: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فدعاني فقرأها عليَّ وقال: «لا تنكحها». أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧) وحسنه، والنسائي (٣٢٢٨). وعن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: كانت امرأة تُدعى أمَّ مَهْزولٍ، وكانت بجياد وكانت تُسافِحُ، فأرادَ رجلٌ منَ المسلمين أن يتزوَّجَها، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. أحمد (٦٤٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٩٥)، والطبري (١٧/ ١٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٩٨)، والبيهقي في «السنن» (١٣٨٥٩)، وفيه الحضرمي القاص وهو مجهول، فلا وجه لتوثيق الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٧٣) رجال أحمد.

(٤) قيلَ: نزلَتْ هذه الآيةُ في حسّانَ حينَ تابَ من قذفِ عائشةَ رضيَ الله عنها. الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٢٠).

(٥) منهم هلال بن أمية، وحديثه في البخاري (٤٧٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومنهم عويمرٌ العجلاني، وحديثه في البخاري (٤٧٤٥)، ومسلم (١٤٩٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنهما. ومنهم رجل من الأنصار لم يسم، روى قصته مسلم (١٤٩٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وذُكر في كل واحدة من هذه القصص أنها كانت سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [٦] إلى: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٩].

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا
جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ
عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

مبتدأٌ **﴿أربعَ شهاداتٍ﴾**: نصبٌ على المصدر **﴿باللهِ، إنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾**، فيما رمى به زوجته من الزنى، (٧) ـ **﴿والخامسةُ أنَّ لَعْنَةَ اللهِ عليهِ، إن كانَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾** في ذلك ـ وخبر المبتدأ: تدفعُ عنه حدَّ القذف ـ (٨) ـ **﴿ويَدرأُ﴾**: يدفع **﴿عَنها العَذابَ﴾** أي: حدَّ الزنى الذي ثَبَتَ بشهاداته **﴿أن تَشهَدَ أربعَ شَهاداتٍ باللهِ، إنَّهُ لَمِنَ الكاذِبِينَ﴾** فيما رماها به من الزنى، (٩) ـ **﴿والخامِسةُ أنَّ غَضَبَ اللهِ عليها، إن كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** في ذلك. (١٠) ـ **﴿ولولا فَضلُ اللهِ عليكُم ورحْمتُهُ﴾** بالسَّتر في ذلك، **﴿وأنَّ اللهَ تَوّابٌ﴾** بقبوله التوبة في ذلك وفي غيره **﴿حَكيمٌ﴾** فيما حكم به في ذلك وغيره، لبَيَّنَ الحقّ في ذلك وعاجل بالعُقوبة من يستحقّها.

(١١) ـ **﴿إنَّ الَّذِينَ جاؤُوا بالإفكِ﴾**: أسوَأ الكذب على عائشة أُمِّ المؤمنين بقذفها **﴿عُصْبَةٌ مِنكُم﴾**: جماعة من المؤمنين. قالتْ: حسّانُ بن ثابتٍ[1]، وعبدُ الله بنُ أُبيٍّ، ومِسطحٌ، وحَمنةُ بنتُ جحشٍ. **﴿لا تَحسِبُوهُ﴾** ـ أيها المؤمنون غيرَ العُصبة ـ **﴿شَرًّا لكُم. بَل هُوَ خَيرٌ لكُم﴾** يأجُركم الله به، ويُظهِرُ براءة عائشة ومَن أتى معها منه. وهو صفوانُ. فإنها قالت: «كنتُ معَ النبيِّ ﷺ في غزوةٍ بعدَ ما أُنزِلَ الحِجابُ، ففَرَغَ منها ورجَعَ ودَنا من المَدِينةِ، وآذَنَ بالرَّحِيلِ ليلةً فمَشَيتُ وقَضَيتُ شأني، وأقبلتُ إلى الرَّحلِ فإذا عِقدي انقطعَ ـ هو بكسر المهملة: القِلادة ـ فرجَعتُ ألتمِسُه، وحَملوا هَودَجي ـ هو ما يُركب فيه ـ على بعيري يَحسِبونني فيه، وكانتِ النساءُ خِفافًا إنّما يأكلْنَ العُلقةَ ـ هو بضمّ المُهملة وسكون اللام ـ من الطعام أي: القليلَ، ووجدتُ عِقدي وجئتُ بعدَ ما ساروا، فجلستُ في المنزلِ الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنّ القوم سيَفقِدونني، فيرجِعون إليَّ.

فغَلَبتْني عيناي فنِمتُ، وكان صفوانُ قد عرّسَ من وراء الجيش، فادّلجَ ـ هما بتشديد الراء والدال، أي: نزلَ من آخرِ الليل للاستراحة، فسار منه ـ فأصبحَ في منزلِه، فرأى سَوادَ إنسانٍ نائمٍ، أي: شخصَه، فعرَفني حينَ رآني ـ وكان يَراني قبلَ الحِجابِ ـ فاستيقظتُ باسترجاعِه، حينَ عرَفني، أي: قولِه: إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعُونَ.

فخمّرتُ وجهي بجِلبابي، أي: غطّيتُه بالمُلاءة. واللهِ ما كلّمني بكلمة، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعِه، حين أناخَ راحلته ووطِئَ على يدها فركبتُها، فانطلقَ يقودُ بي الراحلة، حتّى أتَينا الجيشَ بعد ما نزلوا، مُوغِرينَ في نحرِ الظهيرة، أي: مِن: أوغرَ، واقعِينَ في مكانٍ وغرٍ، في شِدّة الحرّ، فهَلَكَ من هَلَكَ فيَّ. وكان الذي تَوَلّى كِبْرَه منهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ». انتهى قولها، رواه الشيخانِ[2].

قال تعالى: **﴿لِكُلِّ امرِئٍ مِنهُم﴾** أي: عليه **﴿ما اكتَسَبَ مِنَ الإثمِ﴾** في ذلك، **﴿والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنهُم﴾** أي: تحمّل مُعظمه، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه ـ وهو عبدالله بن أُبيٍّ ـ **﴿لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾**، هو النار في الآخرة. (١٢) ـ **﴿لَولا﴾**: هلاّ، **﴿إذ﴾**: حينَ **﴿سَمِعتُمُوهُ، ظَنَّ المُؤمِنُونَ والمؤمِناتُ بِأنفُسِهِم﴾** أي: ظنّ بعضهم ببعض **﴿خَيرًا، وقالُوا: هذا إفكٌ مُبِينٌ﴾**: كذبٌ بيِّن. فيه التفات عن الخِطاب، أي: ظننتم ـ أيها العُصبةُ ـ وقلتم.

(١٣) ـ **﴿لَولا﴾**: هلاّ **﴿جاؤُوا﴾** أي: العُصبةُ **﴿عليهِ بِأربَعةِ شُهَداءَ﴾** شاهَدُوه. **﴿فإذ لَم يأتُوا بالشُّهَداءِ فأُولئِكَ عِندَ اللهِ﴾** أي: في حُكمه **﴿هُمُ الكاذِبُونَ﴾** فيه. (١٤) ـ **﴿ولَولا فَضلُ اللهِ عليكُم ورَحمَتُهُ في الدُّنيا والآخِرةِ لَمَسَّكُم فِيما أفَضتُم فِيهِ﴾** ـ أيُّها العُصبةُ ـ أي: خُضتُم **﴿عَذابٌ عَظِيمٌ﴾** في الآخرة، (١٥) ـ **﴿إذ تَلَقَّونَهُ بألسِنَتِكُم﴾** أي: يَرويه بعضكم عن بعض ـ وحُذف من الفعل إحدى التاءين. وإذ منصوب بـ «مسّكم» أو بـ «أفضتم» ـ **﴿وتَقُولُونَ بأفواهِكُم ما لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ، وتَحسبُونَهُ هَيِّنًا﴾**: لا إثمَ فيه، **﴿وهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾** في الإثم.

(١٦) ـ (١٧) ـ **﴿ولَولا﴾**: هلاّ، **﴿إذ﴾**: حينَ **﴿سَمِعتُمُوهُ، قُلتُم: ما يَكُونُ﴾**: ما ينبغي **﴿لَنا أن نَتَكَلَّمَ بِهذا[3] ـ سُبحانَكَ﴾**! هو للتعجّب هنا ـ **﴿هذا**

﴿بالإفك﴾: أقبح الكذبِ وأفحشِهِ. ﴿عصبة منكم﴾: جماعةٌ منكُم. ﴿تولّى كبره﴾: تحمَّل معظمَهُ (رأسُ المُنافقين). ﴿أفضتم فيه﴾: خضتُم فيهِ مِن حديثِ الإفكِ.
﴿تحسبونه هيّناً﴾: تظنُّونَهُ سهلاً لا تبعةَ لهُ. ﴿سبحانك﴾: تعجُّبٌ مِن شناعةِ هذا الإفكِ. ﴿بهتان﴾: كذبٌ يُحيِّرُ سامعَهُ لفظاعتِهِ.

(١) البخاري (٤١٤١) عن عروة عنها قالت: «فهلك من هلك، وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول»، وفيه: «قال عروة: لم يسم من أهل الإفك أيضاً إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، في ناس آخرين لا علم لي بهم، غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى».

(٢) البخاري (٢٦٦١) و(٤١٤١) و(٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: وكان أبو أيُّوبَ الأنصاريُّ حين أخبرته امرأتُه وقالت: يا أبا أيوبَ ألَمْ تسمع بما تحدَّثَ الناسُ؟ قال: وما يتحدَّثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكونُ لنا أن نتكلَّم بهذا سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ، قالت: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾. رواه الواحدي (ص: ٣٢٣)، وروى البخاري (٧٣٧٠) عنها أنها قالت: «وقال رجل من الأنصار: سبحانك ﴿ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾».

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ
مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ
لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ
ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ
لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ
أُوْلَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

بُهتانٌ: كذبٌ ﴿**عظيمٌ. يَعِظُكُمُ اللهُ**﴾: ينهاكم ﴿**أن تَعُودُوا لِمِثلِهِ أبَدًا، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ**﴾ تتّعظون بذلك، ⑱ ـ ﴿**ويُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ**﴾ في الأمر والنهي، ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿**حَكِيمٌ**﴾ فيه.

⑲ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أن تَشِيعَ الفاحِشَةُ**﴾ باللسان ﴿**في الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بنسبتها إليهم ـ وهم العُصبة ـ ﴿**لَهُم عَذابٌ ألِيمٌ في الدُّنيا**﴾ بالحدّ للقذف ﴿**والآخِرةِ**﴾ بالنار لحقّ الله. ﴿**واللهُ يَعلَمُ**﴾ انتفاءها عنهم، ﴿**وأنتُم**﴾ ـ أيها العُصبة ـ ﴿**لا تَعلَمُونَ**﴾ وجودَها فيهم، ⑳ ـ ﴿**ولَولا فَضلُ اللهِ عَلَيكُم**﴾ ـ أيها العُصبة ـ ﴿**ورَحمَتُهُ وأنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ بكم، لعاجلكم بالعُقوبة.

㉑ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ**﴾ أي: طُرقَ تزيينه ﴿**ومَن يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيطانِ فإنَّهُ**﴾ أي: المتَّبعَ ﴿**يأمُرُ بالفَحشاءِ**﴾ أي: القبيح ﴿**والمُنكَرِ**﴾ شرعًا، باتباعهما، ﴿**ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحمَتُهُ ما زَكا مِنكُم**﴾ ـ أيها العُصبةُ ـ بما قلتم من الإفك ﴿**مِن أحَدٍ أبَدًا**﴾ أي: ما صلَحَ وطَهُرَ من هذا الذنب بالتوبة منه، ﴿**ولكِنَّ اللهَ يُزَكِّي**﴾: يُطهّرُ ﴿**مَن يَشاءُ**﴾ من الذنب بقَبول توبته منه، ﴿**واللهُ سَمِيعٌ**﴾ لِما قلتم ﴿**عَلِيمٌ**﴾ بما قصدتم.

㉒ ـ ﴿**ولا يأتَلِ**﴾: يَحلفْ ﴿**أُولُو الفَضلِ**﴾ أي: أصحاب الغِنى ﴿**مِنكُم والسَّعةِ، أن**﴾ لا ﴿**يُؤتُوا أُولِي القُربى والمَساكِينَ والمُهاجِرِينَ في سَبِيلِ اللهِ**﴾ ـ نزلتْ في أبي بكر[1]، حلفَ ألاّ يُنفقَ على مِسطح، وهو ابن خالته مِسكينٌ مُهاجر بدريّ لمّا خاض في الإفك بعد أن كان يُنفق عليه، وناسٍ من الصحابة أقسموا ألاّ يتصدّقوا على من تكلّم بشيء من الإفك[2] ـ ﴿**ولْيَعفُوا ولْيَصفَحُوا**﴾ عنهم في ذلك. ﴿**ألا تُحِبُّونَ أن يَغفِرَ اللهُ لَكُم؟ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ للمؤمنين. قال أبو بكر: «بلَى أنا أُحبُّ أن يغفر الله لي»، ورَجَعَ إلى مِسطح ما كان يُنفقه عليه.

㉓ـ㉔ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَرمُونَ**﴾ بالزنى ﴿**المُحصَناتِ**﴾: العفائفَ ﴿**الغافِلاتِ**﴾ عن الفواحش بألاّ يقع في قلوبهن فِعلُها ﴿**المُؤمِناتِ**﴾[3] بالله ورسوله ﴿**لُعِنُوا في الدُّنيا والآخِرةِ، ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ يَومَ**﴾ ـ ناصبُه الاستقرارُ الذي تعلق به «لهم» ـ ﴿**تَشهَدُ**﴾، بالفوقانيّة والتحتانيّة، ﴿**علَيهِم ألسِنَتُهُم وأيدِيهِم وأرجُلُهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ من قول وفعل ـ وهو يوم القيامة ـ ㉕ ـ ﴿**يَومَئِذٍ يُوَفِّيهِمِ اللهُ دِينَهُم الحَقَّ**﴾: يُجازيهم جزاءه الواجب عليهم، ﴿**ويَعلَمُونَ أنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ**﴾ حيثُ حقّق لهم جزاءه الذي كانوا يشكّون فيه. ومنهم عبد الله بن أُبيّ. والمحصناتُ هنا أزواج النبيّ ﷺ، لم يُذكر في قذفهنّ توبةٌ، ومَن ذُكر في قذفهنّ أولَ السورة التوبةُ غيرُهنّ.

㉖ـ ﴿**الخَبِيثاتُ**﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿**لِلخَبِيثِينَ**﴾ من الناس، ﴿**والخَبِيثُونَ**﴾ من الناس ﴿**لِلخَبِيثاتِ**﴾[4] ممّا ذُكر، ﴿**والطَّيِّباتُ**﴾ ممّا ذُكر

﴿خطوات الشيطان﴾: طرقَهُ وآثارَهُ ومذاهبَهُ. ﴿بالفحشاء﴾: ما عَظُمَ قبحُهُ مِنَ الذُّنوبِ. ﴿المنكر﴾: ما يُنكرُهُ الشَّرعُ ويكرهُهُ اللهُ. ﴿ما زكى﴾: ما تطهَّرَ مِن دنسِ الذُّنوبِ. ﴿لا يأتلِ﴾: لا يحلفْ أو لا يُقصِّرْ. ﴿أولوا الفضل﴾: أصحابُ الزِّيادةِ في الدِّينِ. ﴿السّعة﴾: الغنى. ﴿المحصنات﴾: العفائفَ، ومثلُهُنَّ المحصنونَ. ﴿دينهم الحقّ﴾: جزاءَهُمُ الثَّابتَ لهُم بالعدلِ. ﴿تستأنسوا﴾: تستأذنوا ممَّن يملكُ الإذنَ.

(١) البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، عن عائشة في حديث الإفك: فحلف أبو بكرٍ أن لا يَنفع مِسطحًا بنافعةٍ أبدًا، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ ـ إلى آخِرِ الآية ـ حتى قال أبو بكرٍ: بلَى واللهِ يا ربَّنا إنَّا لَنُحِبُّ أنْ تَغفرَ لنا، وعاد له بما كان يصنع.

(٢) الطبري (١٧/ ٢٢٥)، و«المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٠)، عن ابن عبّاسٍ.

(٣) عن عائشة: رُميتُ بما رُميتُ به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، قالت: فبينما رسول الله ﷺ عندي جالس إذ أوحي إليه، وكان إذا أوحي إليه يأخذه شِبهُ السُّبات، ثم استوى جالساً يمسح عن وجهه، وقال: يا عائشة أبشري، قالت: فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ حتى بلغ: ﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [٢٦].

(٤) قال ابن زيد: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك. الطبري (١٧/ ٢٣٧). وعن الحكم بن عتيبة: لمَّا خاض الناس في أمر عائشة أرسل رسول الله ﷺ إليها فقال: «يا عائشة، ما يقول الناس؟» فقالت: لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة النور ثم قرأ حتى بلغ: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ الآية. «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٦٠)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٣) وقال: مرسل صحيح الإسناد. وعن ابن عباس: نزلت في الذين قالوا في زوجِ النبي ﷺ ما قالوا من البهتان. «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٣). قال في «المجمع» (٧/ ٨١): «رواه الطَّبرانيُّ بأسانيدَ، وكلُّ إسناد منها ضعيفٌ لا يُحتجُّ به، ورواه موقوفًا عن سعيد بن جبيرٍ بإسنادين رجالُ أحدهما رجال الصحيح».

﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس، ﴿والطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ممّا ذُكر، أي: اللائقُ بالخبيث مِثلُه وبالطيّب مِثلُه. ﴿أُولئِكَ﴾ الطيّبون والطيّبات من النساء والرجال ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّؤُونَ مِمّا يَقُولُونَ﴾ أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم، ﴿لَهُم﴾: للطيّبين والطيّبات من النساء ﴿مَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنّة. وقد افتخرت عائشة بأشياء[١]، منها أنها «خُلقتْ طيّبةً، ووُعِدَتْ مغفرةً ورزقًا كريمًا».

٢٧ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَدخُلُوا بُيُوتًا غَيرَ بُيُوتِكُم[٢]، حَتَّى تَستَأنِسُوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وتُسَلِّمُوا على أهلِها﴾ فيقولَ الواحد: «السَّلامُ علَيكُم. أأدخلُ»؟ كما ورد في حديث[٣] ـ ﴿ذلِكُم خَيرٌ لَكُم﴾ من الدخول بغير استئذان، ﴿لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء الثانية في الذال: خيريّتَه فتعملون به ـ

٢٨ ـ ﴿فإن لَم تَجِدُوا فِيها أحَدًا﴾ يأذنُ لكم ﴿فلا تَدخُلُوها حَتَّى يُؤذَنَ لَكُم، وإن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان: ﴿ارجِعُوا. فارجِعُوا. هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أزكَى﴾ أي: خيرٌ ﴿لَكُم﴾ من القُعود على الباب، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾ من الدخول بإذنٍ وغيرِ إذن ﴿عَلِيمٌ﴾ فيُجازيكم عليه. ٢٩ ـ ﴿لَيسَ علَيكُم جُناحٌ أن تَدخُلُوا بُيُوتًا غَيرَ مَسكُونةٍ[٤]، فِيها مَتاعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَكُم﴾، باستِكنانٍ وغيره كبيوت الرُّبط والخانات المُسبَّلة. ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تُبدُونَ﴾: تُظهِرون ﴿وما تَكتُمُونَ﴾: تُخفون في دُخول غير بُيوتكم من قصد صلاح أو غيره. وسيأتي أنه إذا دخلوا بُيوتَهم يُسلّمون على أنفُسهم.

فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ
وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا
غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا
تَكۡتُمُونَ ٢٩ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ
فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠
وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ
أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ
ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ
وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ
إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١

٣٠ ـ ﴿قُل لِلمُؤمِنِينَ، يَغُضُّوا مِن أبصارِهِم﴾ عمّا لا يحِلُّ لهم نظره ـ ومِن: زائدةٌ ـ ﴿ويَحفَظُوا فُرُوجَهُم﴾ عمّا لا يحلّ لهم فِعلُه بها ﴿ذلِكَ أزكَى﴾ أي: خيرٌ ﴿لَهُم. إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما يَصنَعُونَ﴾ بالأبصار والفُروج فيُجازيهم عليه. ٣١ ـ ﴿وقُل لِلمُؤمِناتِ[٥]، يَغضُضنَ مِن أبصارِهِنَّ﴾ عمّا لا يحِلّ لهنّ نظره، ﴿ويَحفَظنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمّا لا يحِلّ لهنَّ فعله بها، ﴿ولا يُبدِينَ﴾: يُظهِرنَ ﴿زِينَتَهُنَّ إلّا ما ظَهَرَ مِنها﴾. وهو الوجه والكفّان. فيجوز

﴿أزكى لكم﴾: أطهرُ لكُم مِن دنسِ الرِّيبةِ والدَّناءةِ. ﴿جناح﴾: إثمٌ. ﴿متاع لكم﴾: منفعةٌ ومصلحةٌ لكُم. ﴿يغضوا من أبصارهم﴾: يكفُّوا نظرَهُم عنِ المُحرَّماتِ. ﴿زينتهن﴾: مواضعَ زينتِهِنَّ مِنَ الجسدِ. ﴿ما ظهر منها﴾: الوجهَ والكفَّينِ والقدمَينِ. ﴿وليضربن﴾: وليلقينَ ويسدلْنَ. ﴿بخمرهن﴾: أغطيةِ رؤوسِهِنَّ (المقانع). ﴿على جيوبهن﴾: على مواضعِها (صدورِهِنَّ وما حواليها). ﴿لبعولتهن﴾: لأزواجِهِنَّ. ﴿نسائهن﴾: المختصَّاتِ بهِنَّ بالصُّحبةِ أوِ الخدمةِ. ﴿أولي الإربة﴾: أصحابِ الحاجةِ إلى النِّساءِ. ﴿لم يظهروا﴾: لم يبلغوا حدَّ الشَّهوةِ.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٦٢٦)، والآجري في «الشريعة» (١٨٤٧) و(١٩٠١)، والطبراني في «الكبير» ٢٣/ (٧٦) والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ١٢١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣١٤)، جميعهم من طريق علي بن زيد بن جدعان عن جدَّته عن عائشة. وعلي بن زيد ضعيف، وجدته مجهولة.

(٢) عن عديِّ بنِ ثابتٍ قال: جاءتِ امرأةٌ من الأنصارِ فقالت: يا رسول اللهِ؛ إنِّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أُحِبُّ أن يراني عليها أحدٌ والدٌ ولا ولدٌ، فيأتي الأبُ فيدخلُ عليَّ، وإنَّه لا يزالُ يدخُلُ عليَّ رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحالةِ، فكيفَ أصنعُ؟ فنزلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾. الطبري (١٧/ ٢٤٢)، والواحدي (ص: ٣٢٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٩٠) من حديث أبي موسى الأشعري وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما وقال: حسن صحيح. ورواه أبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠) وحسنه، من حديث كلدة بن حنبل رضي الله عنه. ورواه أبو داود (٥١٧٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٥)، من حديث رجل من بني عامر.

(٤) لما نزلَتْ: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ؛ أرأيتَ الخاناتِ والمساكنَ في طريقِ الشَّامِ ليس فيها ساكنٌ، فأنزلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾. ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٠) عن مقاتل بن حيان، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٥).

(٥) عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا أن جابر بن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن ـ يعني الخلاخل ـ وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فنزلت. ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٧٣)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٤). وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٦). وعن حضرمي: أن امرأة اتخذت بُرَتَينِ من فضة، واتخذت جزعاً، فمرّت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلخال على الجزع فصوّت، فأنزل الله ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ الآية. الطبري (١٧/ ٢٧٢)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٤).

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا
فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ
مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

نظره لأجنبيّ إن لم يَخف فِتنةً في أحد وجهين، والثاني يَحرمُ لأنه مَظِنّة الفِتنة، ورُجّح حسمًا للباب. **﴿وليَضربنَ بخُمُرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ﴾** أي: يَستُرنَ الرؤوس والأعناق والصدور بالمَقانع، **﴿ولا يُبدِينَ زِينتَهُنَّ﴾** الخفيّة - وهي ما عدا الوجهَ والكفّين - **﴿إلاّ لِبُعُولتِهِنَّ﴾**: جمع بعل أي: زوج، **﴿أو آبائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولتِهِنَّ، أو أبنائِهِنَّ أو أبناءِ بُعُولتِهِنَّ، أو إخوانِهِنَّ أو بَني إخوانِهِنَّ أو بَني أخَواتِهِنَّ، أو نِسائِهِنَّ أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ﴾**، فيجوز لهم نظره إلاّ ما بين السُّرّة والرُّكبة فيحرم نظره لغير الأزواج - وخرج بـ «نِسائهِنَّ» الكافراتُ فلا يجوز للمسلمات التكشّف لهنَّ، وشمَل «ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ» العبيدَ - **﴿أوِ التّابِعِينَ﴾** في فُضول الطعام **﴿غَيرِ﴾**، بالجرّ: صفةٌ، والنصبِ: استثناءٌ، **﴿أُولي الإرْبةِ﴾**: أصحابِ الحاجة إلى النساء **﴿مِنَ الرِّجالِ﴾** بأن لم ينتشر ذَكرُ كُلٍّ، **﴿أوِ الطِّفلِ﴾** بمعنى: الأطفال **﴿الَّذِينَ لَم يَظهَرُوا﴾**: يطّلعوا **﴿على عَوْراتِ النِّساءِ﴾** للجِماع، فيجوز أن يُبدِينَ لهم ما عدا ما بين السرّة والركبة، **﴿ولا يَضربنَ بأرجُلِهِنَّ ليُعلَمَ ما يُخفِينَ مِن زِينتِهِنَّ﴾** من خَلخال يَتقعقعُ **﴿وتُوبُوا إلَى اللهِ جَمِيعًا - أيُّها المُؤمِنُونَ﴾** ممّا وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره - **﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾**: تنجون من ذلك بقَبول التوبة منه. وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

ربع الحزب ٣٦

﴿٣٢﴾ - **﴿وأنكِحُوا الأيامَى مِنكُم﴾**: جمع أيِّم - وهي مَن ليس لها زوج بكرًا كانت أو ثيّبًا، ومَن ليس له زوج. وهذا في الأحرار والحرائر - **﴿والصّالِحِينَ﴾** أي: المؤمنين **﴿مِن عِبادِكُم وإمائِكُم﴾** - وعِباد من جُموع عبْد. **﴿إن يَكُونُوا﴾** أي: الأحرارُ **﴿فُقَراءَ يُغنِهِمِ اللهُ﴾** بالتزوّج **﴿مِن فَضلِهِ. واللهُ واسِعٌ﴾** لخلقه **﴿عَلِيمٌ﴾** بهم - ﴿٣٣﴾ - **﴿ولْيَستَعفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحًا﴾** أي: ما يَنكِحون به من مَهر ونفقة عن الزنى **﴿حَتَّى يُغنِيَهُمُ اللهُ﴾**: يُوسِع عليهم **﴿مِن فَضلِهِ﴾**، فيَنكِحون. **﴿والَّذِينَ يَبتَغُونَ الكِتابَ﴾** بمعنى: المُكاتبة **﴿مِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم﴾**[1] من العبيد والإماء **﴿فكاتِبُوهُم، إن عَلِمتُم فِيهِم خَيرًا﴾** أي: أمانة وقُدرة على الكسب لأداء مال الكِتابة - وصيغتُها مثلاً: كاتبتُك على ألفينِ في شهرين، كُلَّ شهر ألف. فإذا أدَّيتَها فأنت حُرّ. فيقول: قبلتُ ذلك - **﴿وآتُوهُم﴾** أمرٌ للسادة **﴿مِن مالِ اللهِ الَّذِي آتاكُم﴾** ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم. وفي معنى الإيتاء حطُّ شيء ممّا التزموه.

﴿ولا تُكرِهُوا فَتَياتِكُم﴾ أي: إماءكم **﴿على البِغاءِ﴾** أي: الزنى، **﴿إن أرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾**: تعفّفًا عنه - وهذه الإرادة محلّ الإكراه فلا مفهوم للشرط - **﴿لِتَبتَغُوا﴾** بالإكراه **﴿عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا﴾**. نزلتْ في عبدالله بن أُبَيٍّ[2]، كان يُكرِهُ جواريَ له على الكسب بالزنى. **﴿ومَن يُكرِههُّنَّ فإنَّ اللهَ مِن بَعدِ إكراهِهِنَّ غَفُورٌ﴾** لهنّ **﴿رَحِيمٌ﴾** بهنّ.

﴿٣٤﴾ - **﴿ولَقَد أنزَلنا إلَيكُم آياتٍ مُبَيِّناتٍ﴾** - بفتح الياء وكسرها - في هذه السورة بُيِّن فيها ما ذُكر أو بيَّنته، **﴿ومَثَلًا﴾**: خبرًا عجيبًا وهو خبر عائشة **﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم﴾** أي: من جِنس أمثالهم أي: أخبارهم العجيبة كخبر يُوسفَ ومريمَ **﴿ومَوعِظةً لِلمُتَّقِينَ﴾**، في قوله تعالى «ولا تأخُذكُم بِهِما رأفةٌ في دِينِ اللهِ»، «لَولا إذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المُؤمِنُونَ» إلى آخره، «ولَولا إذْ سَمِعتُمُوهُ قُلتُم» إلى آخره، «يَعِظُكُمُ اللهُ أن تَعُودُوا» إلى آخره. وتخصيصها بالمتّقين لأنهم المنتفعون بها.

﴿أنكحوا الأيامى﴾: مَن لا زوجَ لها، ومَن لا زوجةَ له. ﴿يبتغون الكتاب﴾: يطلبونَ عقدَ المكاتبةِ المعروفَ. ﴿فتياتكم﴾: إماءَكُم. ﴿البغاء﴾: الزِّنى. ﴿تحصّنا﴾: تعفُّفاً وتصوُّناً عنهُ. ﴿الله نور السموات﴾: منوِّرُهُما أو هادي أهلِهِما أو مُوجِدُهُما. ﴿كمشكاة﴾: كنورِ كوّةٍ غيرِ نافذةٍ. ﴿مصباح﴾: سراجٌ ضخمٌ ثاقبٌ. ﴿زجاجة﴾: قنديلٍ مِنَ الزُّجاجِ صافٍ أزهرَ. ﴿كوكب دري﴾: مضيءٌ مُتلألئٌ صافٍ. ﴿بيوت﴾: هيَ المساجدُ كلُّها. ﴿أن ترفع﴾: أن تُعظَّمَ وتُطهَّرَ. ﴿بالغدو والآصال﴾: أوَّلِ النَّهارِ وآخرِهِ.

(١) نزلت في غلام لحُويطبِ بنِ عبدِ العُزّى يُقالُ له: صُبيحٌ، سألَ مولاه أن يُكاتِبَه فأبى عليه، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، فكاتبَه حُويطبٌ على مئةِ دينارٍ، ووَهَبَ له منها عشرين دينارًا فأدّاها، وقُتِلَ يومَ حُنينٍ في الحربِ. هكذا ذكره مقاتل في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٧)، والواحدي (ص: ٣٢٥).
وعن محمد بن إسحاق، عن خاله عبد الله بن صبيح، عن أبيه - وكان جد محمد بن إسحاق أبا أمه - قال: كنت مملوكاً لحويطب فسألتُ الكتاب، وفيَّ نزلت: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت﴾ الآية. رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٨٨٢)، وابن منده كما في «أسد الغابة» (٣/ ٨).

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٩) من حديث جابر رضي الله عنه. ورويت في هذا المعنى أخبار كثيرة تنظر في «لباب النقول» (ص: ١٤٣ - ١٤٤).

رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ
وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ
يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ
بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ
سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ
يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ
قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي
سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾

(٣٥) ـ ﴿اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: مُنوِّرُهما بالشمس والقمر. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: صِفتُهُ في قلب المؤمن ﴿كَمِشكاةٍ فِيها مِصباحٌ، المِصباحُ في زُجاجةٍ﴾ هي القِنديل ـ والمِصباح: السِّراج أي: الفتيلةُ الموقودة، والمِشكاة: الطاقة غير النافذة أي: الأُنبوبة في القِنديل ـ ﴿الزُّجاجةُ كأنَّها﴾ والنورُ فيها ﴿كَوكَبٌ دِرِّيءٌ﴾ أي: مُضِيءٌ ـ بكسرِ الدال وضمِّها: من الدَّرْء بمعنى الدّفع لدفعه الظلامَ، وبضمّها وتشديد الياء: منسوب إلى الدُّرّ: اللؤلؤ ـ ﴿تَوَقَّدَ﴾ المِصباحُ بالماضي، وفي قراءة بمضارع «أوقَدَ» مبنيًّا للمفعول بالتحتانيّة، وفي أُخرى بالفَوقانيّة، أي: الزجاجةُ، ﴿مِن﴾ زيتِ ﴿شَجَرةٍ مُبارَكةٍ زَيتُونةٍ، لا شَرقِيّةٍ ولا غَربِيّةٍ﴾ بل بينَهما، فلا يتمكّن منها حرّ ولا برد مُضِرَّين، ﴿يَكادُ زَيتُها يُضِيءُ، ولَو لَم تَمسَسْهُ نارٌ﴾ لِصَفائه. ﴿نُورٌ﴾ به ﴿علَى نُورٍ﴾ بالنار، ونورُ الله أي: هُداه للمؤمن نُورٌ على نُور الإيمان، ﴿يَهدِي اللهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دِينِ الإسلام ﴿مَن يَشاءُ، ويَضرِبُ﴾: يُبيّنُ ﴿اللهُ الأمثالَ لِلنّاسِ﴾ تقريبًا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا. ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾، منه ضربُ الأمثال.

(٣٦) ـ ﴿في بُيُوتٍ﴾: مُتعلّق بـ«يُسبّحُ» الآتي، ﴿أَذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ﴾: تُعظّم ﴿ويُذكَرَ فِيها اسمُهُ﴾ بتوحيده، ﴿يُسَبِّحُ﴾ ـ بفتح المُوحَّدة وكسرِها ـ أي: يُصلِّي ﴿لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ﴾: مصدرٌ بمعنى: الغُدُوات أي: البُكَر ﴿والآصالِ﴾: العشايا من بعد الزوال

(٣٧) ـ ﴿رِجالٌ﴾: فاعلُ «يسبِّح» بكسر الباء، وعلى فتحها نائبُ الفاعل «له» ورجالٌ: فاعلُ فعلٍ مُقدّر جوابِ سؤال مُقدّر، كأنه قيل: مَن يُسبِّحُه؟ ﴿لا تُلهِيهِم تِجارةٌ﴾ أي: شِراء ﴿ولا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللهِ وإقامِ الصَّلاةِ﴾ ـ حذفُ هاء «إقامة» تخفيفٌ ـ ﴿وإيتاءِ الزَّكاةِ، يَخافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ﴾: تضطرب ﴿فِيهِ القُلُوبُ والأبصارُ﴾ من الخوف ـ القلوبُ بين النجاة والهلاك، والأبصارُ بين ناحيتَي اليمين والشِّمال ـ وهو يوم القيامة، (٣٨) ـ ﴿لِيَجزِيَهُمُ اللهُ أحسَنَ ما عَمِلُوا﴾ أي: ثوابَه ـ وأحسنُ بمعنى: حَسَن ـ ﴿ويَزِيدَهُم مِن فَضلِهِ. واللهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾. يقال: فُلان يُنفق بغير حساب، أي: يُوسع كأنه لا يَحسُب ما يُنفقه.

(٣٩) ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أعمالُهُم كَسَرابٍ بِقِيعةٍ﴾: جمع قاع أي: في فلاة ـ وهو شُعاع يُرى فيها نصفَ النهار في شِدّة الحرّ، يُشبِهُ الماء الجاري ـ ﴿يَحسِبُهُ﴾: يظنّه ﴿الظَّمآنُ﴾ أي: العطشان ﴿ماءً ـ حَتَّى إذا جاءَهُ لَم يَجِدْهُ شَيئًا﴾ ممّا حسِبه، كذلك الكافر يحسب أنّ عمله كصدقة ينفعه. حتّى إذا مات وقدِم على ربّه لم يجد عمله، أي: لم ينفعه، ﴿ووَجَدَ اللهَ عِندَهُ﴾ أي: عِند عمله، ﴿فَوَفّاهُ حِسابَهُ﴾ أي: جازاه عليه في الدنيا. ﴿واللهُ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ أي: المُجازاة ـ (٤٠) ـ ﴿أو﴾ الذين كفروا أعمالهم السيّئة ﴿كَظُلُماتٍ في بَحرٍ لُجِّيٍّ﴾: عميق، ﴿يَغشاهُ مَوجٌ مِن فَوقِهِ﴾ أي: الموجِ ﴿مَوجٌ، مِن فَوقِهِ﴾ أي: الموجِ الثاني ﴿سَحابٌ﴾ أي: غيم. هذه ﴿ظُلُماتٌ بَعضُها فَوقَ بَعضٍ﴾: ظُلمةُ البحر، وظُلمةُ الموج الأوّل، وظُلمةُ الثاني، وظُلمةُ السحاب، ﴿إذا أخرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَم يَكَدْ يَراها﴾ أي: لم يقرُب من رؤيتها. ﴿ومَن لَم يَجعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فما لَهُ مِن نُورٍ﴾ أي: مَن لم يَهدِه اللهُ لم يَهتدِ.

(٤١) ـ ﴿أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾، ومن التسبيح صلاةٌ، ﴿والطَّيرُ﴾: جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صافّاتٍ﴾: حالٌ، باسطاتٍ أجنحتَهنّ، ﴿كُلٌّ قَد عَلِمَ﴾ اللهُ ﴿صَلاتَهُ وتَسبِيحَهُ. واللهُ عَلِيمٌ بِما يَفعَلُونَ﴾. فيه تغليب العاقل، (٤٢) ـ ﴿ولله مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خزائنِ المطر والرزق والنبات ﴿وإلَى اللهِ المَصِيرُ﴾: المَرجِعُ.

(٤٣) ـ ﴿أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ يُزجِي سَحابًا﴾: يسوقُه برفق، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَينَهُ﴾: يضمّ بعضَه إلى بعض، فيجعل القِطع المُتفرّقة قِطعة واحدة، ﴿ثُمَّ يَجعَلُهُ رُكامًا﴾: بعضَه فوق بعض ـ ﴿فتَرَى الوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخرُجُ مِن خِلالِهِ﴾: مَخارجه ـ ﴿ويُنْزِلُ مِنَ السَّماءِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿جِبالٍ، فِيها﴾: في السماء، بدلٌ بإعادة الجارّ، ﴿مِن بَرَدٍ﴾ أي: بعضَه، ﴿فيُصِيبُ بِهِ مَن يَشاءُ، ويَصرِفُهُ عَمَّن يَشاءُ، يَكادُ﴾: يقرُب ﴿سَنا بَرقِهِ﴾: لَمَعانُه ﴿يَذهَبُ بِالأبصارِ﴾ الناظرةِ له أي: يَخطَفها.

﴿بغير حساب﴾: بلا نهايةٍ لِمَا يُعطي، أو بتوسُّعٍ. ﴿كسراب﴾: شعاعٍ يُرى ظهراً في البرِّ عندَ اشتدادِ الحرِّ كالماءِ السَّارِبِ. ﴿بقيعة﴾: في مُنبسطٍ مِنَ الأرضِ مُتَّسعٍ. ﴿بحر لجّي﴾: عميقٍ كثيرِ الماءِ. ﴿يغشاه﴾: يعلوهُ ويغطِّيهِ. ﴿سحاب﴾: غيمٌ يحجبُ أنوارَ السَّماءِ. ﴿صافات﴾: باسطاتٍ أجنحتَهُنَّ في الهواءِ. ﴿يُزجي سحابا﴾: يسوقُهُ برفقٍ إلى حيثُ يُريدُ. ﴿يجعله ركاماً﴾: مجتمعاً بعضُهُ فوقَ بعضٍ. ﴿الودق﴾: المطرَ. ﴿من خلاله﴾: مِن فتوقِهِ ومخارجِهِ. ﴿سنا برقه﴾: ضوءُ برقِهِ ولمعانِهِ.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن
يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل
لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

(٤٤) ـ ﴿**يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيلَ والنَّهارَ**﴾ أي: يأتي بكُلّ منهما بدلَ الآخر ـ ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ التقليبِ ﴿**لَعِبْرَةً**﴾: دلالة ﴿**لِأُولِي الأبصارِ**﴾: لِأصحاب البصائر على قُدرة الله تعالى ـ (٤٥) ـ (٤٦) ـ ﴿**واللهُ خَلَقَ كُلَّ دابّةٍ**﴾ أي: حيوانٍ ﴿**مِن ماءٍ**﴾ أي: نُطفة، ﴿**فمِنهُم مَن يَمشِي علَى بَطنِهِ**﴾ كالحيّات والهوامّ، ﴿**ومِنهُم مَن يَمشِي علَى رِجلَينِ**﴾ كالإنسان والطير، ﴿**ومِنهُم مَن يَمشِي علَى أربَعٍ**﴾ كالبهائم والأنعام. ﴿**يَخلُقُ اللهُ ما يَشاءُ. إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. لَقَد أنزَلْنا آياتٍ مُبيِّناتٍ**﴾ أي: بيّناتٍ هي القُرآن، ﴿**واللهُ يَهدِي مَن يَشاءُ إلَى صِراطٍ**﴾: طريقٍ ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾ أي: دِينِ الإسلام.

(٤٧) ـ ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ أي: المنافقون: ﴿**آمَنّا**﴾: صدّقْنا ﴿**بِاللهِ**﴾: بتوحيده ﴿**وبالرَّسُولِ**﴾[1] مُحمّد، ﴿**وأطَعْنا**﴾ هما فيما حكما به، ﴿**ثُمَّ يَتَوَلَّى**﴾: يُعرِضُ ﴿**فَرِيقٌ مِنهُم مِن بَعدِ ذلِكَ**﴾ عنه، ﴿**وما أُولئِكَ**﴾ المُعرضون ﴿**بِالمُؤمِنِينَ**﴾ المعهودين المُوافقِ قُلوبُهم لِألسنتهم، (٤٨) ـ ﴿**وإذا دُعُوا إلَى اللهِ ورَسُولِهِ**﴾ المُبلّغ عنه ﴿**لِيَحكُمَ بَينَهُم إذا فَرِيقٌ مِنهُم مُعرِضُونَ**﴾ عن المجيء إليه، (٤٩) ـ ﴿**وإن يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يأتُوا إلَيهِ مُذعِنِينَ**﴾: مُسرِعين طائعين.

نصف الحزب ٣٦

(٥٠) ـ ﴿**أفي قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾: كُفر؟ ﴿**أمِ ارتابُوا**﴾ أي: شكّوا في نُبوّته؟ ﴿**أم يَخافُونَ أن يَحِيفَ اللهُ علَيهِم ورَسُولُهُ**﴾ في الحُكم أي: يُظلَموا فيه؟ لا ﴿**بَل أُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ**﴾ بالإعراض عنه. (٥١) ـ ﴿**إنَّما كانَ قَولَ المُؤمِنِينَ، إذا دُعُوا إلَى اللهِ ورَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم**﴾، أي: القولَ اللائق بهم ﴿**أن يَقُولُوا: سَمِعْنا وأطَعْنا**﴾ بالإجابة. ﴿**وأُولئِكَ**﴾ حينئذ ﴿**هُمُ المُفلِحُونَ**﴾: الناجُون. (٥٢) ـ ﴿**ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ، ويَخشَ اللهَ**﴾: يخافُهُ ﴿**ويَتَّقْهِ**﴾ ـ بسكون الهاء وكسرها ـ بأن يُطيعه، ﴿**فأُولئِكَ هُمُ الفائزُونَ**﴾ بالجنّة.

(٥٣) ـ ﴿**وأقسَمُوا باللهِ جَهدَ أيمانِهِم**﴾: غايتَها، ﴿**لَئِنْ أمَرتَهُم**﴾ بالجِهاد ﴿**لَيَخرُجُنَّ. قُلْ**﴾ لهم: ﴿**لا تُقسِمُوا. طاعةٌ مَعرُوفةٌ**﴾ للنبيّ خيرٌ من قَسَمكم الذي لا تَصدُقون فيه. ﴿**إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ**﴾ من طاعتكم بالقول ومُخالفتكم بالفعل.

﴿مذعنين﴾: مُنقادينَ مُطيعينَ. ﴿أن يحيف﴾: أن يجورَ. ﴿جهد أيمانهم﴾: مجتهدينَ في الحلفِ بأغلظِها وأوكدِها. ﴿طاعة معروفة﴾: طاعتُكُم طاعةٌ معروفةٌ باللِّسانِ.

(١) نزلت في بِشرٍ المُنافقِ، كان بينَه وبين يهوديٍّ خُصومةٌ، واليهوديُّ يدعوه إلى النَّبيِّ ﷺ وبِشرٌ يدعوه إلى كعبِ بنِ الأشرفِ، ويقولُ: محمَّدٌ يحيفُ علينا. «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠٥)، وعنه السمرقندي (٢/ ٥١٩)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٣٢)، ودون عزو الثعلبي (١٩/ ٣٠٠)، والواحدي (ص: ٣٢٧).

وروى القصة الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤) عن مجاهد، والواحديُّ عن قتادة والشعبي، وعن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، جميعهم في نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ٦٠].

وقيل: نزلت في المُغيرةِ بنِ وائلٍ مِن بني أُميَّةَ، كانت بينَه وبين عليٍّ رضي الله عنه خُصومةٌ في ماءٍ وأرضٍ، فامتنعَ المغيرةُ أن يُحاكِمَ عليًّا رضي الله عنه إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقال: إنَّه يُبغِضُني، فنزلت: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾. «النكت والعيون» (٤/ ١١٥)، وعزاه الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٢٩٥)، والرازي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٠) للضحاك. وأورد الخبر أيضاً بعض المتأخرين من المفسرين كابن عادل والنيسابوري وابن عاشور وغيرهم، لكني لم أقف للمغيرة بن وائل هذا على ذكر سوى قول ابن عاشور بأنه أوسي من المنافقين بخلاف ما في الخبر من أنه قرشي أموي.

قال الحسنُ: كان الرَّجلُ إذا أراد أنْ يظلم فدُعي إلى النبي ﷺ، أعرض وقال: انطلِقْ إلى فلان فأنزل الله: (وإذا دعوا إلى الله ورسوله). ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٢٢).

قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ
لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ
بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ
تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ
ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ
ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ
وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾

﴿٥٤﴾ ـ ﴿قُلْ: أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ. فإن تَوَلَّوا﴾ عن طاعته ـ بحذف إحدى التاءين خطابٌ لهم ـ ﴿فإنَّما عليهِ ما حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وعلَيكُم ما حُمِّلتُم﴾ من طاعته، ﴿وإن تُطِيعُوهُ تَهتَدُوا، وما علَى الرَّسُولِ إلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ أي: التبليغُ البيِّن.

﴿٥٥﴾ ـ ﴿وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ[1]، لَيَستَخلِفَنَّهُم في الأرضِ﴾ بدلاً عن الكُفّار ﴿كَما استَخلَفَ﴾ ـ بالبناء للفاعل والمفعول ـ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من بَني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة، ﴿ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَى لَهُم﴾ ـ وهو الإسلام ـ بأن يُظهره على جميع الأديان، ويُوسِّع لهم في البلاد فيملكوها، ﴿ولَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِن بَعدِ خَوفِهِم﴾ من الكُفّار ﴿أمنًا﴾. وقد أنجزَ الله وعده لهم بما ذكره، وأثنى عليهم بقوله: ﴿يَعبُدُونَنِي لا يُشرِكُونَ بِي شَيئًا﴾، هو مستأنف في حُكم التعليل. ﴿ومَن كَفَرَ بَعدَ ذلِكَ﴾ الإنعام منهم به ﴿فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾. وأوّل من كفر به قَتَلةُ عُثمانَ رضي الله عنه، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

﴿٥٦﴾ ـ ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ، لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ أي: رجاءَ الرحمة. ﴿٥٧﴾ ـ ﴿لا تَحسَبَنَّ﴾ ـ بالفوقانيّة والتحتانيّة، والفاعلُ الرسول ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعجِزِينَ﴾ لنا ﴿في الأرضِ﴾ بأن يفوتونا، ﴿ومأواهُمُ﴾: مرجعهم ﴿النّارُ، ولَبِئسَ المَصِيرُ﴾: المرجعُ هي!

﴿٥٨﴾ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لِيَستَأذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمانُكُم﴾[2] من العبيد والإماء، ﴿والَّذِينَ لَم يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُم﴾ من الأحرار وعرَفوا أمر النساء، ﴿ثَلاثَ مَرّاتٍ﴾: في ثلاثة أوقات، ﴿مِن قَبلِ صَلاةِ الفَجرِ، وحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُم مِنَ الظَّهِيرةِ﴾ أي: وقتَ الظهر، ﴿ومِن بَعدِ صَلاةِ العِشاءِ. ثَلاثُ عَوراتٍ لَكُم﴾ ـ بالرفع: خبرُ مبتدأٍ مُقدّرٍ، بعده مُضافٌ، وقام المُضاف إليه مقامه، أي: هي أوقاتُ، وبالنصب بتقدير «أوقاتَ» منصوبًا بدلاً من محلّ ما قبله، قام المُضاف إليه مَقامه ـ وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات.

﴿لَيسَ علَيكُم ولا علَيهِم﴾ أي: المماليكِ والصِّبيانِ ﴿جُناحٌ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان، ﴿بَعدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة. هم ﴿طَوّافُونَ علَيكُم﴾ للخدمة، ﴿بَعضُكُم﴾ طائف ﴿علَى بَعضٍ﴾. والجملة: مُؤكّدةٌ لِما قبلها ﴿كَذلِكَ﴾: كما بيّن ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ أي: الأحكامَ، ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بأُمور خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ بما دبّره لهم. وآيةُ الاستئذان قيلَ: منسوخة، وقيل: لا ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان.

﴿ما حُمِّل﴾: ما أُمِرَ بِهِ مِنَ التَّبليغِ. ﴿ما حُمِّلتم﴾: ما أُمِرتُم بِهِ مِنَ الطَّاعةِ والانقيادِ. ﴿مُعجزين﴾: فائتينَ مِن عذابِنا بالهربِ. ﴿جناح﴾: حرجٌ في الدُّخولِ بلا استئذانٍ.

(١) عن أبي العالية عن أبيٍّ بن كعب قال: لمَّا قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رَمَتْهم العرب عن قوسٍ واحدة لا يَبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترَوْنَ أنّا نعيشُ حتى نَبيتَ آمِنينَ مُطْمئنين لا نخاف إلَّا الله؟ فنزلت: ﴿وعد الله الَّذين آمنُوا﴾ الآية. الحاكم (٣٥١٢) وصححه، وعنه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٦). ورواه أيضاً الضياء في «المختارة» (١١٤٥) و(١١٤٦). وعن أبي العالية نحوه، وفيه: وكانوا في المدينة خائفينَ يُصبِحُونَ ويُمسُونَ في السِّلاحِ، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، أما يأتي علينا يومٌ نأمَنُ فيه ونضَعُ السِّلاحَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «لن تلبَثُوا إلا يسيرًا حتى يجلسَ الرَّجلُ منكم في الملأ العظيمِ مُحتَبِيًا ليس عليه حديدةٌ»، ونزلَتْ هذه الآيةُ، وأظهرَ الله نبيَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على جزيرةِ العربِ، فوَضَعُوا السِّلاحَ وأمِنوا. الطبري (١٧/ ٣٤٨)، والثعلبي (١٩/ ٣٠٨)؛ وهو مرسل.

(٢) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ غلامًا منَ الأنصارِ يقالُ له: مُدلجُ بنُ عمرٍو وقتَ الظَّهيرةِ إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه ليدعُوَه، فدخلَ فرأى عمرَ بحالةٍ كرِهَ عمرُ رُؤيتَه ذلك، فقال: يا رسولَ اللهِ؛ ودِدْتُ لو أنَّ اللهَ أمرَنا ونهانا في حالِ الاستئذانِ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. السمرقندي (٢/ ٥٢٢)، والثعلبي (١٩/ ٣١٤)، والواحدي (ص: ٣٢٩)، والبغوي (٦/ ٦٠)، والرازي (٢٤/ ٤١٦)، وابن الجوزي (٣/ ٣٠٥)، دون سند. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٥٢) عن الكلبي. ورواه ابن منده كما في «الإصابة» (٦/ ٥٠) من طريق السديّ الصغير عن الكلبيّ عن أبي صالح ـ وهي سلسلة الكذب ـ عن ابن عباس.
وعن المُقاتلَين: نزلَتْ في أسماءَ بنتِ مُرشِدٍ، كان لها غلامٌ كبيرٌ، فدخلَ عليها في وقتٍ كرِهَتْه، فأتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالت: إنَّ خدَمَنا وغلمانَنا يدخُلون علينا في حالٍ نكرَهُها، فأنزلَ اللهُ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾ يعني: العبيدَ والإماءَ. «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ٢٠٧)، والثعلبي (٧/ ١١٦)، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٣٥٢)، و«أسباب النزول» له (ص: ٣٢٩)، والبغوي (٦/ ٦٠)، وابن الجوزي (٣/ ٣٠٥).، ورواه بنحوه عن مقاتل بنِ حيان ابنُ أبي حاتم (٨/ ٢٦٣٣). ووقع في اسم صاحبة القصة اختلاف كثير في المصادر لا طائل من الخوض فيه.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا
ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ
ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ
لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا
عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ
أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ
أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ
أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم
مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن
تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦١

(٥٩) ـ (٦٠) ـ ﴿**وإذا بَلَغَ الأطفالُ مِنكُمُ**﴾ ـ أيها الأحرار ـ ﴿**الحُلُمَ فلْيَستأذِنُوا**﴾ في جميع الأوقات، ﴿**كَما استأذَنَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم**﴾ أي: الأحرارُ الكبار ـ ﴿**كَذلِكَ يُبيِّنُ اللهُ لكُم آياتِهِ، واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ ـ والقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ**﴾: قَعدْنَ عن الحَيض والولد لكِبَرهنّ ﴿**اللاتي لا يَرجُونَ نِكاحًا**﴾ لذلك ﴿**فلَيسَ عليهِنَّ جُناحٌ أن يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ**﴾ من الجِلباب والرداء والقِناع فوق الخِمار، ﴿**غيرَ مُتبرِّجاتٍ**﴾: مُظهرات ﴿**بزينةٍ**﴾ خفيّة كقِلادة وسِوار وخلخال، ﴿**وأن يَستعفِفْنَ**﴾ بألاّ يضعنها ﴿**خَيرٌ لَهُنَّ. واللهُ سَميعٌ**﴾ لقولكم ﴿**عَليمٌ**﴾ بما في قُلوبكم.

(٦١) ـ ﴿**لَيسَ على الأعمَى حَرَجٌ ولا على الأعرَجِ حَرَجٌ ولا على المَريضِ حَرَجٌ**﴾ في مُؤاكلة مُقابليهم، ﴿**ولا**﴾ حرجَ ﴿**على أنفُسِكُم أن تأكُلوا مِن بُيُوتكُم**﴾ أي: بُيوت أولادِكم، ﴿**أو بُيُوتِ آبائكُم أو بُيُوتِ أُمّهاتِكُم، أو بُيُوتِ إخوانِكُم أو بُيُوتِ أخَواتِكُم، أو بُيُوتِ أعمامِكُم أو بُيُوتِ عَمّاتِكُم، أو بُيُوتِ أخوالِكُم أو بُيُوتِ خالاتِكُم، أو ما مَلَكتُم مفاتِحَهُ**﴾ أي: خَزنتُموه لغيركم، ﴿**أو صَديقِكُم**﴾ وهو مَن صَدَقكم في مودّته ـ المعنى: يجوز الأكل من بُيوت من ذُكر، وإن لم يَحضروا، أي: إذا عُلم رضاهم به ـ ﴿**لَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ أن تأكُلُوا جَمِيعًا**﴾ أي: مُجتمعِين، ﴿**أو أشتاتًا**﴾ أي: مُتفرّقين جمعُ شتّ. نزل فيمن تحرّج أن يأكل وحده[1]، وإذا لم يجد مَن يُؤاكله يتركُ الأكل.

﴿**فإذا دَخَلتُم بُيُوتًا**﴾ لكم لا أهل فيها ﴿**فسَلِّمُوا على أنفُسِكُم**﴾ أي: قولوا: «السَّلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصّالِحِينَ» ـ فإن الملائكة تردّ عليكم ـ وإن كان بها أهل فسلّموا عليهم ﴿**تَحيَّةً**﴾: مصدرٌ: حيّا، ﴿**مِن عِندِ اللهِ مُباركةً طَيِّبةً**﴾ يُثاب عليها. ﴿**كَذلِكَ يُبيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ**﴾ أي: يُفصّل لكم معالمَ دِينكم، ﴿**لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ**﴾: لكي تفهموا ذلك.

﴿القواعد من النساء﴾: العجائزُ اللّاتي قعدْنَ عنِ الحيضِ. ﴿متبرجات بزينة﴾: مُظهراتٍ للزِّينةِ الخفيَّةِ. ﴿ما ملكتم مفاتحه﴾: ممَّا في تصرُّفِكُم وكالةً أو حفظاً. ﴿أشتاتاً﴾: مُتفرِّقينَ.

(١) عن قتادةَ: كان الحيُّ من بني كِنانةَ بن خزيمةَ يَرى أحدُهم أنَّ مَخْزاةً عليه أنْ يأكلَ وحده في الجاهليَّة، حتى إنْ كان الرجلُ لَيسوقُ الذَّوْدَ الحُفَّل وهو جائع حتى يجد مَن يؤاكلُه ويُشاربُه، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾. ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٩)، ومختصراً عبد الرزاق (٢٠٧٠)، والطبري (١٧/ ٣٧٦). والقول المرضيُّ في نزولها عند أكثر أهلِ التَّأويلِ ما روي عن سعيد بن المُسيِّب: نزلَتْ في أُناسٍ كانوا إذا خرجوا مع رسولِ اللهِ ﷺ وضعوا مفاتيحَ بيوتِهم عندَ الأعمى والمريضِ والأعرَجِ وعندَ أقاربِهم، وكانوا يأمُرونَهم أن يأكُلوا منها إذا احتاجُوا إلى ذلك، فكانوا يتَّقون أن يأكُلوا منها، ويقولون: نخشى أن لا تكونَ أنفسُهم بذلك طيِّبةً، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠٠)، والواحدي (ص: ٣٣٠). ورواه بنحوه البزار (٢٢٤١ ـ كشف)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٦)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠١)، من حديث عائشة رضي الله عنها، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٤). وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله نحوه، رواه عبد الرزاق (٢٠٦٤)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥٩)، والطبري (١٧/ ٣٦٨). ورواه أبو داود في «المراسيل» (٤٦٠) عن عبيد الله بن عبد الله وابن المسيب.

وعن ابن عباس: لما أنزل الله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام من أفضل الأموال، فلا يحلّ لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكفّ الناس عن ذلك، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾ إلى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾. رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٨).

قال مجاهدٌ: كان قومٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ إذا لم يكُنْ عندَهم ما يُطعِمون الأعمى والأعرَجَ والمريضَ ذهبُوا بهم إلى بيوتِ آبائِهم وأمَّهاتِهم أو بعضِ مَن سمَّى اللهُ في هذه الآيةِ، وكان أهلُ الزَّمانةِ يتحرَّجون مِن أن يَطعَمُوا ذلك الطَّعامَ؛ لأنَّه أطعمَهم غيرُ مالكيه، ويقولون: إنَّما يذهبُون بنا إلى بيوتِ غيرِهم، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ ترخيصًا للمرضى والزَّمْنَى في الأكلِ معهم من بيوتِ مَن سمَّى في الآيةِ. عبد الرزاق (٢٠٦٦)، والطبري (١٧/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٥). وضعفه الطبري وينظر كلامه عليه في «تفسيره» (١٧/ ٣٧١).

سعيدُ بن جبيرٍ والضَّحاكُ: كان النَّاسُ يتقذَّرونَ العُرْجانَ والعُمْيانَ والمرضَى، ويكرَهون مُؤاكلتَهم، وكان أهلُ المدينةِ لا يُخالِطُهم في طعامِهم أعمى ولا أعرجُ ولا مريضٌ تقذُّرًا، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. الطبري (١٧/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٣) عن الضحاك، ورواه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٤) عن سعيد بن جبير. وذكره الثعلبي (١٩/ ٣٢٦) عنهما.

٦٢ ـ ﴿إنَّما المُؤمِنونَ الَّذينَ آمَنوا باللهِ ورَسُولِهِ، وإذا كانُوا مَعَهُ﴾ أي: الرسولِ ﴿علَى أمرٍ جامِعٍ﴾ كخطبة الجُمعة ﴿لَم يَذهَبُوا﴾ لِعُروضِ عُذرٍ لهم ﴿حَتَّى يَستأذِنُوهُ. إنَّ الَّذينَ يَستأذِنونَكَ أُولئِكَ الَّذينَ يُؤمِنُونَ باللهِ ورَسُولِهِ﴾[1]. ﴿فإذا استأذَنُوكَ لِبَعضِ شأنِهِم﴾: أمرِهِم ﴿فائذَنْ لِمَن شِئتَ مِنهُم﴾ بالانصراف، ﴿واستَغفِرْ لَهُمُ اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٦٣ ـ ﴿لا تَجعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَينَكُم كَدُعاءِ بَعضِكُم بَعضًا﴾[2] بأن تقولوا: يا مُحمّد. بل قولوا: «يا نبيَّ الله، يا رسول الله»، في لِينٍ وتواضعٍ وخفضِ صوت. ﴿قَد يَعلَمُ اللهُ الَّذينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُم لِواذًا﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخُطبة من غير استئذان خُفيةً مستترين بشيءٍ. وقد: للتحقيق. ﴿فلْيَحذَرِ الَّذينَ يُخالِفُونَ عَن أمرِهِ﴾ أي: اللهِ أو رسولِه ﴿أن تُصِيبَهُم فِتنَةٌ﴾: بلاء، ﴿أو يُصِيبَهُم عَذابٌ أليمٌ﴾ في الآخرة.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

٦٤ ـ ﴿ألا إنَّ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وعبيدًا وخلقًا. ﴿قَد يَعلَمُ ما أنتُم﴾ ـ أيها المُكلّفون ـ ﴿عَلَيهِ﴾ من الإيمان والنفاق، ﴿و﴾ يعلم ﴿يَومَ يُرجَعُونَ إلَيهِ﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب ـ أي: متى يكون، ﴿فيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِما عَمِلُوا﴾ من الخير والشرّ. ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌ﴾.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرقانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا
﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

* * *

٢٥

سُورَةُ الفُرقانِ

مكية إلاّ «والذين لا يدعون مع الله إلـٰهًا آخر» إلى «رحيمًا» فمدني، وهي سبع وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿تَبارَكَ﴾: تعالى ﴿الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ﴾: القرآنَ، لأنه فرقَ بين الحقّ والباطل، ﴿علَى عَبدِهِ﴾: مُحمّد، ﴿لِيَكُونَ لِلعالَمِينَ﴾ أي: الإنس والجنّ ﴿نَذيرًا﴾: مُخوِّفًا من عذاب الله، ٢ ـ ﴿الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ولَم يَتَّخِذْ وَلَدًا ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ في المُلكِ، وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ﴾ من شأنه أن يُخلَق، ﴿فقَدَّرَهُ تَقدِيرًا﴾: سوّاه تسويةً، ....

﴿أمر جامع﴾: أمرٍ مُهمٍّ يجبُ اجتماعُهُم لهُ. ﴿دعاء الرّسول﴾: دعوتَهُ لكُم للاجتماعِ أو نداءَكُم لهُ. ﴿يتسلّلون منكم﴾: يخرجونَ منكُم تدريجاً في خفيةٍ. ﴿لِواذاً﴾: يستترُ بعضُهُم ببعضٍ في الخروجِ. ﴿يخالفون عن أمره﴾: يعرضونَ أو يصدُّونَ عنهُ. ﴿فتنة﴾: بلاءٌ ومحنةٌ في الدُّنيا.
﴿تبارك الذي..﴾: تعالى وتمجّدَ. أو تكاثرَ خيرُهُ... ﴿نزل الفرقان﴾: القرآنَ الفاصلَ بينَ الحقِّ والباطلِ. ﴿فقدّره﴾: فهيّأهُ لِمَا يصلحُ لهُ ويليقُ بِهِ.

(١) عن عُروةَ ومُحمّد بن كَعْب القرظيّ قالا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب، وضرب رسول الله ﷺ الخَندق على المَدينة، وعمل هو والمسلمون فيه، وأبطأ رجال من المُنافقين وجعلوا يورّون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رَسُول الله ﷺ ولا إذنٍ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لابد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية. البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩). وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦) عن ابن إسحاق.

(٢) عن الضَّحاك عن ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمدُ، و: يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك، قال: قولوا: يا رسول الله، يا نبيَّ الله. «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٧٢٨)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٥٤)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٧).

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا
إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾
وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾
أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٣ ـ ﴿واتَّخَذُوا﴾ أي: الكفّار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله أي: غيره ﴿آلِهَةً﴾ هي الأصنام، ﴿لا يَخلُقُونَ شَيئًا وهُم يُخلَقُونَ، ولا يَملِكُونَ لِأنفُسِهِم ضَرًّا﴾ أي: دفعَه ﴿ولا نَفعًا﴾ أي: جرَّه، ﴿ولا يَملِكُونَ مَوتًا ولا حَياةً﴾ أي: إماتةً لأحد وإحياء لأحد، ﴿ولا نُشُورًا﴾ أي: بعثًا للأموات.

٤ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ هذا﴾ أي: ما القرآنُ ﴿إلاّ إفكٌ﴾: كذبٌ ﴿افتَراهُ﴾ محمّد، ﴿وأعانَهُ عليهِ قَومٌ آخَرُونَ﴾. وهم من أهل الكتاب ـ قال تعالى: ﴿فقَد جاؤُوا ظُلمًا وزُورًا﴾: كُفرًا وكذبًا، أي: بهما ـ.

٥ ـ ﴿وقالُوا﴾ أيضًا: هو ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم، جمع أُسطورة بالضم، ﴿اكتَتَبَها﴾: انتسخها من ذلك القوم بغيره. ﴿فهِيَ تُملَى﴾: تُقرأ ﴿عليهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكرَةً وأصِيلاً﴾: غُدوة وعشيًّا. قال تعالى ردًّا عليهم:

٦ ـ ﴿قُلْ: أنزَلَهُ الَّذِي يَعلَمُ السِّرَّ﴾: الغيب ﴿في السَّماواتِ والأرضِ. إنَّهُ كانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

٧ ـ ﴿وقالُوا: ما لِهذا الرَّسُولِ، يأكُلُ الطَّعامَ ويَمشِي في الأسواقِ؟ لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ إلَيهِ مَلَكٌ، فيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾: يُصدّقه، ٨ ـ ﴿أو يُلقَى إلَيهِ كَنزٌ﴾ من السماء يُنفقُه، ولا يحتاجُ إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش، ﴿أو تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾: بُستان، ﴿يأكُلُ مِنها﴾ أي: من ثِمارها فيكتفي بها. وفي قراءة: «نأكُل» بالنون، أي: نحن، فيكون له مزيّةٌ علينا بها. ﴿وقالَ الظّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين: ﴿إن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إلاّ رَجُلاً مَسحُورًا﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

٩ ـ قال تعالى: ﴿انظُرْ: كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمثالَ﴾ بالمسحور والمُحتاج إلى ما يُنفقه وإلى ملَك يقوم معه بالأمر، ﴿فضَلُّوا﴾ بذلك عن الهُدى، ﴿فلا يَستَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾: طريقًا إليه؟ ١٠ ـ ﴿تَبارَكَ﴾: تكاثر خيرُ ﴿الَّذِي إن شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيرًا مِن ذلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبُستان ﴿جَنّاتٍ[1] تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ﴾ أي: في الدنيا، لأنه شاء أن يُعطيه إيّاها في الآخرة، ﴿ويَجعَلْ﴾ ـ بالجزم ـ ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ أيضًا، وفي قراءة بالرفع استئنافًا.

١١ ـ ﴿بَل كَذَّبُوا بِالسّاعةِ﴾: القيامة، ﴿وأعتَدْنا لِمَن كَذَّبَ بِالسّاعةِ سَعِيرًا﴾: نارًا مُستعرة أي: مُشتدّة، ....

﴿نشوراً﴾: بعثاً بعدَ الموتِ في الآخرةِ. ﴿إفك افتراه﴾: كذبٌ اخترعَهُ مِن عندِ نفسِهِ. ﴿زوراً﴾: كذباً عظيماً لا تُبلَغُ غايتُهُ. ﴿أساطير الأوّلين﴾: أكاذيبُهُمُ المسطورةُ في كتبِهِم. ﴿بكرة وأصيلاً﴾: أوَّلَ النَّهارِ وآخرَهُ: أي دائماً. ﴿يعلم السّر﴾: يعلمُ كلَّ ما يغيبُ ويخفى. ﴿جنّة يأكل منها﴾: بستانٌ مُثمِرٌ يتعيَّشُ منهُ. ﴿رجلاً مسحوراً﴾: غلبَ السِّحرُ على عقلِهِ. ﴿سعيراً﴾: ناراً عظيمةً شديدةَ الاشتعالِ.

(١) عن خيثمة قال: قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناك مفاتح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة، وإن شئتَ جمعتها لك في الآخرة، قال: «لا بل اجمعها لي في الآخرة» فنزلت الآية. ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٠٠)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٦٦).
وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ هذه الآيةَ أنزلَها رضوانُ لمَّا قالوا: ﴿مالِهَذا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ﴾ [الفرقان: ٧] الآيات، فقال: يقولُ لك ربُّكَ: هذه مفاتيحُ خزائنِ الدُّنيا مع ما لَكَ عندي من غيرِ نُقصانٍ مثلَ جناحِ بعوضةٍ، فقال عليه السَّلامُ: «لا حاجةَ لي فيها، الفقرُ أحبُّ إليَّ، وأن أكونَ عبدًا شكورًا صابرًا» فقال رضوانُ: أصبتَ أصابَ اللهُ بك. وهذه قطعة من حديث طويل رواه الثعلبي (١٩/ ٣٦٣)، والواحدي (ص: ٣٣٢)، وفيه إسحاق بن بشر كذاب، عن جويبر متروك، عن الضحاك ولم يسمع من ابن عباس.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا
﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى
هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ
يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿١٢﴾ ـ ﴿**إذا رأتْهُم مِن مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظًا**﴾: غليانًا كالغضبان، إذا غلَى صدره من الغضب، ﴿**وزَفِيرًا**﴾: صوتًا شديدًا، وسماعُ التغيّظ: رؤيته وعِلمه،

﴿١٣﴾ ـ ﴿**وإذا أُلْقُوا مِنها مَكانًا ضَيِّقًا**﴾ ـ بالتشديد والتخفيف، بأن يُضيَّق عليهم، ومنها: حال من «مكانًا» لأنه في الأصل صفة له ـ ﴿**مُقَرَّنِينَ**﴾: مُصفَّدين قد قُرنت، أي: جُمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ـ والتشديد للتكثير ـ ﴿**دَعَوا هُنالِكَ ثُبُورًا**﴾ هلاكًا، فيقال لهم: ﴿١٤﴾ ـ ﴿**لا تدعُوا اليَومَ ثُبُورًا واحِدًا، وادعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا**﴾ لِعذابكم.

﴿١٥﴾ ـ ﴿**قُلْ: أذلِكَ**﴾ المذكورُ من الوعيد وصِفة النار ﴿**خَيرٌ أم جَنّةُ الخُلدِ الَّتِي وُعِدَ**﴾ ها ﴿**المُتَّقُونَ، كانَتْ لَهُم**﴾ في عِلمه ـ تعالى ـ ﴿**جَزاءً**﴾: ثوابًا ﴿**ومَصِيرًا**﴾: مرجِعًا، ﴿١٦﴾ ـ ﴿**لَهُم فِيها ما يَشاؤُونَ خالِدِينَ**﴾؟ حالٌ لازمة. ﴿**كانَ**﴾ وعدهم ما ذُكر ﴿**على رَبِّكَ وَعدًا مَسؤُولًا**﴾: يَسأله مَن وُعد به: «رَبَّنا، وآتِنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِكَ»، أو تسأله لهم الملائكة: «رَبَّنا، وأدخِلْهُم جَنّاتِ عَدنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم».

﴿١٧﴾ ـ ﴿**ويَومَ نَحشُرُهُم**﴾ ـ بالنون والتحتانيّة ـ ﴿**وما يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه من الملائكة وعِيسى وعُزير والجِنّ، ﴿**فيَقُولُ**﴾ تعالى ـ بالتحتانيّة والنون ـ للمعبودين إثباتًا للحُجّة على العابدين: ﴿**أأنتُم**﴾، بتحقيقِ الهمزتين وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها وإدخالِ ألف بين المُسهَّلة والأُخرى وتركِه، ﴿**أضلَلتُم عِبادِي هؤُلاءِ**﴾: أوقعتموهم في الضلال بأمركم إيّاهم بعِبادتكم، ﴿**أم هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ**﴾: طريقَ الحقّ بأنفسهم؟

﴿١٨﴾ ـ ﴿**قالُوا: سُبحانَكَ**﴾: تنزيهًا لك عمّا لا يليق بك! ﴿**ما كانَ يَنبَغِي**﴾: يستقيم ﴿**لَنا أن نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ**﴾ أي: غيرَك ﴿**مِن أولِياءَ**﴾: مفعولٌ أوّل، ومن: زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني، فكيف نأمر بعِبادتنا؟ ﴿**ولكِن مَتَّعتَهُم وآباءَهُم**﴾ مِن قبلهم بإطالة العُمر وسَعة الرزق، ﴿**حَتَّى نَسُوا الذِّكرَ**﴾: تركوا الموعظة والإيمان بالقُرآن، ﴿**وكانُوا قَومًا بُورًا**﴾: هَلكَى.

﴿١٩﴾ ـ قال تعالى: ﴿**فقَد كَذَّبُوكُم**﴾ أي: كذّب المعبودون العابدين ﴿**بِما تَقُولُونَ**﴾ ـ بالفَوقانية ـ أنهم آلهة، ﴿**فما يَستَطِيعُونَ**﴾ ـ بالتحتانيّة والفَوقانيّة ـ أي: لا هم ولا أنتم ﴿**صَرفًا**﴾: دفعًا للعذاب عنكم ﴿**ولا نَصرًا**﴾: منعًا لكم منه. ﴿**ومَن يَظلِمْ**﴾: يُشرِكْ ﴿**مِنكُم نُذِقْهُ عَذابًا كَبِيرًا**﴾: شديدًا في الآخرة.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿**وما أرسَلْنا قَبلَكَ مِنَ المُرسَلِينَ**[1] **إلاّ إنَّهُم لَيَأكُلُونَ الطَّعامَ، ويَمشُونَ في الأسواقِ**﴾ ـ فأنت مِثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مِثلُ ما قيل لك ـ ﴿**وجَعَلنا بَعضَكُم لِبَعضٍ فِتنَةً**﴾: بليّة ابتُلي الغني بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كُلّ: مالي لا أكون كالأوّل في كلّ ـ ﴿**أتَصبِرُونَ**﴾ على ما تسمعون ممّن ابتُليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اصبروا ـ ﴿**وكانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

﴿تغيّظاً﴾: صوتَ غليانٍ كصوتِ المُتغيِّظِ. ﴿زفيراً﴾: صوتاً شديداً كصوتِ الزَّافرِ. ﴿مقرّنين﴾: مقرونةً أيديهم إلى أعناقِهم بالأغلالِ. ﴿ثبوراً﴾: هلاكاً فقالوا: وَا ثبوراه. ﴿وعداً مسئولاً﴾: موعوداً حقيقاً أن يُسأل ويُطلب. ﴿نسوا الذكر﴾: غفلوا عن دلائلِ الوحدانيَّةِ. ﴿قوماً بوراً﴾: هالكينَ. أو فاسدينَ. ﴿صرفاً﴾: دفعاً للعذابِ عن أنفسِكُم. ﴿فتنة﴾: ابتلاءً ومحنةً.

(١) ابنُ عبّاسٍ: لمَّا عيَّروا رسولَ الله ﷺ بالفقرِ وقالوا: ﴿ما لِهذا الرَّسولِ يأكلُ الطَّعامَ ويمشي في الأسواقِ﴾؟ نزلَ جبريلُ عليه السَّلامُ وقال: ربُّ العزّةِ يُقرِئُكَ السَّلامَ، ويخصُّكَ بالتَّحيّةِ والإكرامِ، ويقولُ: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾. في خبر طويل رواه الثعلبي (١٩/ ٣٦٣)، والواحدي (ص: ٣٣٢)، من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. وقد تقدمت قطعة منه قريباً وبيان حاله.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا
٢١ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ
هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا
وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ
يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ
أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ
وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ
إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا
وَنَصِيرٗا ٣١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ
وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢

الجزء ١٩ الحزب ٣٧

(٢١) ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا﴾ لا يخافون البعث: ﴿لَولا﴾: هلاَّ ﴿أُنزِلَ علَينا المَلائكةُ﴾ فكانوا رُسُلًا إلينا، ﴿أو نَرَى رَبَّنا﴾ فيُخبِرَنا بأنّ محمّدًا رسولُه. قال تعالى: ﴿لَقَدِ استَكبَرُوا﴾: تكبّروا ﴿في﴾ شأن ﴿أنفُسِهِم، وعَتَوا﴾: طغَوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلبهم رُؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا. و«عُتُوًّا» بالواو على أصله بخِلاف «عُتِيّ» بالإبدال في «مريم».

(٢٢) ـ ﴿يَومَ يَرَونَ المَلائكةَ﴾ في جُملة الخلائق ـ هو يوم القيامة ونصبُه بـ «اذكرْ» مُقدّرًا ـ ﴿لا بُشرَى يَومَئِذٍ لِلمُجرِمِينَ﴾ أي: الكافرين بخِلاف المؤمنين فلهم البُشرى بالجنّة، ﴿ويَقُولُونَ: حِجرًا مَحجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلتْ بهم شِدّة، أي: عَوذًا مُعاذًا، يستعيذون من الملائكة.

(٢٣) ـ قال تعالى: ﴿وقَدِمْنا﴾: عمَدنا ﴿إلَى ما عَمِلُوا مِن عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصِلة رحم وقِرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا، ﴿فجَعَلْناهُ هَباءً مَنثُورًا﴾ ـ هو ما يُرى في الكُوَى التي عليها الشمس كالغُبار المُفرّق ـ أي: مِثلَه في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويُجازَون عليه في الدنيا (٢٤) ـ ﴿أصحابُ الجَنّةِ يَومَئِذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿خَيرٌ مُستَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿وأحسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم، أي: موضعَ قائلة فيها. وهي الاستراحة نِصفَ النهار في الحرّ. وأُخذ من ذلك انقضاءُ الحِساب في نِصف نهار كما ورد في حديث.

(٢٥) ـ ﴿ويَومَ تَشَقَّقُ السَّماءُ﴾ أي: كُلّ سماء ﴿بِالغَمامِ﴾ أي: معه ـ وهو غيم أبيض ـ ﴿ونُزِّلَ المَلائكةُ﴾ من كُلّ سماء ﴿تَنزِيلًا﴾ هو يوم القيامة ـ ونصبُه بـ «اذكرْ» مُقدّرًا. وفي قراءة بتشديد شين «تَشَّقَّقُ» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أُخرى: «نُنْزِلُ» بنونينِ الثانيةُ ساكنة وضمِّ اللام ونصبِ «الملائكةَ» ـ (٢٦) ـ ﴿المُلكُ يَومَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحمنِ﴾ لا يَشرَكه فيه أحد، ﴿وكانَ﴾ اليومُ ﴿يَومًا علَى الكافِرِينَ عَسِيرًا﴾: شديدًا بخلاف المؤمنين.

(٢٧) ـ ﴿ويَومَ يَعَضُّ الظّالِمُ﴾ المُشرك عُقبةُ بن أبي مُعيط، كان نطق بالشهادتين ثمّ رجع إرضاءً لأُبَيّ بن خلف[1]، ﴿علَى يَدَيهِ﴾ ندمًا وتحسّرًا في يوم القيامة، ﴿يَقُولُ: يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَنِي اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ مُحمّدٍ ﴿سَبِيلًا﴾: طريقًا إلى الهُدى. (٢٨) ـ (٢٩) ـ ﴿يا وَيلَتا﴾ ـ ألِفُه عِوض عن ياء الإضافة ـ أي: ويلتي ومعناه: هَلَكتي، ﴿لَيتَنِي لَم أتَّخِذْ فُلانًا﴾ أي: أُبَيًّا ﴿خَلِيلًا. لَقَد أضَلَّنِي عَنِ الذِّكرِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿بَعدَ إذ جاءَنِي﴾ بأن ردّني عن الإيمان به. قال تعالى: ﴿وكانَ الشَّيطانُ لِلإنسانِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرّأ منه عِند البلاء.

(٣٠) ـ ﴿وقالَ الرَّسُولُ﴾ مُحمّدٌ: ﴿يا رَبِّ، إنَّ قَومِي﴾ قُريشًا ﴿اتَّخَذُوا هذا القُرآنَ مَهجُورًا﴾: متروكًا. قال تعالى: (٣١) ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما جعلنا لك عدوًّا من مُشركي قومك ﴿جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلَك ﴿عَدُوًّا مِنَ المُجرِمِينَ﴾: المُشركين ـ فاصبر كما صبروا ـ ﴿وكَفَى بِرَبِّكَ هادِيًا﴾ لك ﴿ونَصِيرًا﴾: ناصرًا لك على أعدائك!

(٣٢) ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَولا﴾: هلاَّ ﴿نُزِّلَ علَيهِ القُرآنُ جُملَةً واحِدَةً﴾[2] كالتوراة والإنجيل والزَّبور. قال تعالى: نزّلناه ﴿كَذلِكَ﴾ مُتفرّقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾: نُقوّيَ قلبك، ﴿ورَتَّلْناهُ تَرتِيلًا﴾ أي: أتينا به شيئًا بعد شيء بتمهّل وتُؤَدة لتيسير فهمه وحفظه.........................

﴿لا يرجون لقاءنا﴾: لا يأملونَهُ لكفرِهِم بالبعثِ. ﴿عتوا﴾: تجاوزوا الحدَّ في الطُّغيانِ والظُّلمِ. ﴿حجراً محجوراً﴾: حراماً محرّماً عليكُم البُشرى. ﴿هباءً﴾: كالهباءِ (ما يُرى في الكُوى معَ ضوءِ الشَّمس كالغبار). ﴿منثوراً﴾: مُفرَّقاً ذاهباً. ﴿مقيلاً﴾: مكانَ استرواحٍ وتمتُّعٍ ظهيرةً. ﴿تشقق السَّماء﴾: تتفتَّحُ السَّماواتُ. ﴿بالغمام﴾: بالسَّحابِ الأبيضِ الرَّقيقِ. ﴿سبيلاً﴾: طريقاً إلى الهدى أو إلى النَّجاةِ. ﴿للإنسان خذولاً﴾: كثيرَ الخذلانِ لمَن يُواليهِ. ﴿مهجوراً﴾: متروكاً مُهملاً. ﴿رتّلناه﴾: فرَّقناهُ آيةً بعدَ آيةٍ. أو بيَّنَّاهُ.

(١) أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٤٠١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد واهٍ. وبنحوه عبد الرزاق (٢٠٨٥ و٢٠٨٦)، والطبري (١٧/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، عن مقسم مولى ابن عباس، والطبري (١٧/ ٤٤١) عن مجاهد، وروي نحوه أيضاً عن سعيد بن المسيب والشَّعبيِّ لكنهما ذكرا أميَّة بن خلَفٍ مكانَ أُبيِّ بنِ خلَفٍ، رواه عن الشعبي الطبري (١٧/ ٤٤٠) والثعلبي (١٩/ ٣٩٨)، والواحدي (ص: ٣٣٣)، وعن سعيد بن المسيب ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٦). وعن ابنِ عبّاسٍ في رواية عطاء الخراساني وعطية العوفي: كان أُبيّ بن خلف يحضر النبيّ ﷺ، فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ الآية. الطبري (١٧/ ٤٤٠ و٤٤١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٤).

(٢) عن ابن عباس: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبيًّا فلمَ يعذبه ربه ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فيُنزِلُ عليه الآية والآيتين، فأنزل الله: ﴿وقال الذين كفروا﴾. ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٩)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١١٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٨).

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا
﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ
شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ
إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا
ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا
بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

(٣٣) ـ ﴿ولا يأتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إلاّ جِئناكَ بِالحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وأحسَنَ تَفسِيرًا﴾: بيانًا. (٣٤) ـ هم ﴿الَّذِينَ يُحشَرُونَ على وُجُوهِهِم﴾ أي: يُساقون ﴿إلَى جَهَنَّمَ. أُولئِكَ شَرٌّ مَكانًا﴾ ـ هو جهنّم ـ ﴿وأضَلُّ سَبِيلاً﴾: أخطأُ طريقًا من غيرهم، وهو كُفرهم.

(٣٥) ـ ﴿ولَقد آتينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ﴿وجَعَلْنا مَعَهُ أخاهُ هارُونَ وَزِيرًا﴾: مُعينًا[١]، (٣٦) ـ ﴿فقُلْنا: اذهَبا إلَى القومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ أي: القِبط فِرعونَ وقومِه. فذهبا إليهم بالرسالة فكذّبوهما، ﴿فدَمَّرْناهُم تدمِيرًا﴾: أهلكناهم إهلاكًا.

(٣٧) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿قَومَ نُوحٍ، لَمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحًا لطول لَبثه فيهم فكأنه رُسل، أو لأنّ تكذيبه تكذيبٌ لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، ﴿أغرَقْناهُم﴾: جواب «لمّا»، ﴿وجَعَلْناهُم لِلنّاسِ﴾ بعدهم ﴿آيَةً﴾: عِبرة، ﴿وأعتَدْنا﴾ في الآخرة ﴿لِلظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا سِوى ما يحُلّ بهم، في الدنيا.

(٣٨) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿عادًا﴾ قومَ هودٍ، ﴿وثَمُودًا﴾ قومَ صالحٍ، ﴿وأصحابَ الرَّسِّ﴾ اسمُ بئرٍ ـ ونبيّهم قيل: شُعيب، وقيل: غيره ـ كانوا قُعودًا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم، ﴿وقُرُونًا﴾: أقوامًا ﴿بَينَ ذلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرسّ.

(٣٩) ـ ﴿وكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الأمثالَ﴾ في إقامة الحُجّة عليهم، فلم نُهلكهم إلاّ بعد الإنذار[٢]، ﴿وكُلًّا تَبَّرْنا تَتبِيرًا﴾: أهلكنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم.

(٤٠) ـ ﴿ولَقَد أتَوا﴾ أي: مرَّ كُفّار مكّة ﴿على القَرْيَةِ الَّتِي أُمطِرَتْ مَطَرَ السَّوءِ﴾: مصدرُ ساءَ، أي: بالحجارةِ، وهي عُظمَى[٣] قُرى قوم لوط، فأهلك الله أهلها لِفعلهم الفاحشة. ﴿أفلَم يَكُونُوا يَرَونَها﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير. ﴿بَل كانُوا لا يَرجُونَ﴾: يخافونَ ﴿نُشُورًا﴾: بعثًا فلا يُؤمنون.

(٤١) ـ ﴿وإذا رأَوكَ إنْ﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُوًا﴾: مهزوءًا به، يقولون: ﴿أهذا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾ في دعواه؟ محتقرين له عن الرسالة، (٤٢) ـ ﴿إنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿كادَ لَيُضِلُّنا﴾: ليَصرفنا ﴿عَن آلِهَتِنا، لَولا أن صَبَرْنا علَيها﴾ لصرفَنا عنها. قال تعالى: ﴿وسَوفَ يَعلَمُونَ، حِينَ يَرَونَ العَذابَ﴾ عِيانًا في الآخرة: ﴿مَن أضَلُّ سَبِيلاً﴾: أخطأُ طريقًا؟ أهم أم المؤمنون؟

(٤٣) ـ ﴿أرَأَيتَ﴾: أخبِرْني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إلـٰهَهُ هَواهُ﴾ أي: مَهوِيَّه؟ قُدّم المفعول الثاني لأنه أهمّ، وجملة من اتخذ: مفعول أول لـ «رأيت»، والثاني: ﴿أفأنتَ تَكُونُ علَيهِ وَكِيلاً﴾: حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

﴿أحسن تفسيراً﴾: أصدقَ بياناً وتفصيلاً. ﴿فدمّرناهم﴾: فأهلكْناهم. ﴿أصحاب الرس﴾: البئرِ ـ قتلوا نبيَّهُم ودسُّوهُ فيها. ﴿قروناً﴾: أُمماً. ﴿تبّرنا تتبيراً﴾: أهلكْنا إهلاكاً عجيباً. ﴿مطر السّوء﴾: حجارةً مِنَ السَّماءِ مهلكةً. ﴿لا يرجون نشوراً﴾: لا يتوقَّعونَ بعثاً بل ينكرونَهُ. ﴿هزواً﴾: مهزوءاً به. ﴿أرأيت﴾: أخبِرْني. ﴿وكيلاً﴾: حفيظاً تمنعُهُ مِن عبادةِ ما يهواهُ.

(١) يؤازِرُهُ: يُعاونُهُ، ولا يُنافي ذلك مُشاركتَه في النُّبوَّةِ؛ لأنَّ المتَشاركَينِ في الأمرِ مُتآزِرانِ عليه. (الجمالين).

(٢) أي: بيَّنّا له القَصصَ العَجيبةَ إنذاراً وإعذاراً. (الجمالين).

(٣) يعني: «سَدُومَ» بالدَّالِ المهملةِ، وقيلَ: بالمعجمةِ. (الجمالين).

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ
بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٤٤ ـ ﴿أم تَحسَبُ أنَّ أكثَرَهُم يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تفهم ﴿أو يَعقِلُونَ﴾ ما تقول لهم؟ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُم إلاّ كالأنعامِ، بَل هُم أضَلُّ سَبيلاً﴾: أخطأُ طريقًا منها لأنها تنقاد لمن يتعهّدها، وهم لا يُطيعون مولاهم المُنعِمَ عليهم.

٤٥ ـ ﴿ألَم ترَ﴾: تنظرْ ﴿إلى﴾ فِعلِ ﴿رَبِّكَ، كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس، ﴿ولَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنًا﴾: مُقيمًا لا يزول بطلوع الشمس، ﴿ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمسَ عليهِ﴾ أي: الظلّ ﴿دَليلاً﴾ ـ فلولا الشمس ما عُرف الظلّ ـ ٤٦ ـ ﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ﴾ أي: الظلَّ الممدود ﴿إلَينا قَبضًا يَسيرًا﴾: خفيًّا بطُلوعِ الشمس؟

ربع الحزب ٣٧

٤٧ ـ ﴿وهُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِباسًا﴾: ساترًا كاللباس، ﴿والنَّومَ سُباتًا﴾: راحة للأبدان بقطع الأعمال، ﴿وجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا﴾: منشورًا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

٤٨ ـ ﴿وهُوَ الَّذي أرسَلَ الرِّياحَ﴾، وفي قراءةٍ: «الرِّيحَ»، ﴿نُشُرًا بينَ يَدَي رَحْمتِهِ﴾: مُتفرقةً قُدّامَ المطر ـ وفي قراءةٍ بسكون الشين تخفيفًا، وفي أُخرى بسكونها وفتح النون: مصدرًا، وفي أُخرى بسكونها وضمّ المُوحّدة بدلَ النون، أي: مُبشّراتٍ. ومُفرد الأُولى: نَشُورٌ كرَسول، والأخيرةِ: بَشيرٌ ـ ﴿وأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا﴾: مُطهِّرًا، ٤٩ ـ ﴿لِنُحيِيَ بِهِ بَلْدةً مَيْتًا﴾ ـ بالتخفيف يستوي فيه المُذكّر والمُؤنّث ـ ﴿ونُسقِيَهُ﴾ أي: الماءَ ﴿مِمّا خَلَقْنا أنعامًا﴾: إبلاً وبقرًا وغنمًا ﴿وأناسِيَّ كَثيرًا﴾: جمع إنسان، وأصله «أناسِينَ»، فأُبدلت النون ياء وأُدغمت فيها الياء، أو جمع إنسيّ.

٥٠ ـ ﴿ولَقَد صَرَّفْناهُ﴾ أي: الماءَ ﴿بَينَهُم لِيَذَّكَّرُوا﴾ ـ أصله «يَتَذَكَّرُوا» أُدغمت التاء في الذال. وفي قراءةٍ: «لِيَذْكُرُوا» بسكون الذال وضمّ الكاف ـ أي: نعمةَ الله به، ﴿فأبَى أكثَرُ النّاسِ إلاّ كُفُورًا﴾: جُحودًا للنّعمة، حيثُ قالوا: مُطِرنا بنَوء كذا. ٥١ ـ ﴿ولَو شِئنا لَبَعَثْنا في كُلِّ قَرْيَةٍ نَذيرًا﴾ يُخوِّف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القُرى كُلّها نذيرًا ليعظُم أجرك ٥٢ ـ ﴿فلا تُطِعِ الكافِرِينَ﴾ في هواهم، ﴿وجاهِدْهُم بِهِ﴾ أي: بالقُرآنِ ﴿جِهادًا كَبيرًا﴾.

٥٣ ـ ﴿وهُوَ الَّذي مَرَجَ البَحرَينِ﴾: أرسلَهما مُتجاورين، ﴿هذا عَذْبٌ فُراتٌ﴾: شديد العُذوبة، ﴿وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾: شديد المُلوحة، ﴿وجَعَلَ بَينَهُما بَرزَخًا﴾: حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وحِجرًا مَحجُورًا﴾ أي: سِترًا ممنوعًا به اختلاطهما، ٥٤ ـ ﴿وهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَرًا﴾: من المنيّ إنسانًا، ﴿فجَعَلَهُ نَسَبًا﴾: ذا نسب ﴿وصِهرًا﴾: ذا صِهر، بأن يتزوّج ذكرًا كان أو أُنثى طلبًا للتناسل. ﴿وكانَ رَبُّكَ قَديرًا﴾: قادرًا على ما يشاء. ٥٥ ـ ﴿ويَعبُدُونَ﴾ أي: الكُفّارُ ﴿مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُهُم﴾ بعبادته، ﴿ولا يَضُرُّهُم﴾ بتركها ـ وهو الأصنام ـ ﴿وكانَ الكافِرُ على رَبِّهِ ظَهيرًا﴾: مُعينًا للشيطان بطاعته.

﴿مدّ الظلّ﴾: بسطَهُ بينَ الفجرِ وطلوعِ الشَّمسِ. ﴿الليل لباساً﴾: ساتراً لكُم بظلامِهِ كاللِّباسِ. ﴿النوم سُباتاً﴾: راحةً لأبدانِكُم، بقطعِ أعمالِكُم. ﴿النهار نشوراً﴾: انبعاثاً مِنَ النَّومِ للسَّعيِ والعملِ. ﴿الرّياح بشراً﴾: مبشِّراتٍ بالرَّحمةِ وهيَ المطرُ. ﴿صرّفناه بينهم﴾: أنزلْنا المطرَ على أنحاءٍ مُختلفةٍ. ﴿كفوراً﴾: جحوداً وكفراناً بالنِّعمةِ. ﴿مرج البحرين﴾: أرسلَهُما في مجاريهما أو أجراهُما. ﴿عذب فرات﴾: حلوٌ شديدُ العذوبةِ. ﴿ملح أجاج﴾: شديدُ الملوحةِ والحرارةِ أوِ المرارةِ. ﴿برزخاً﴾: حاجزاً عظيماً يمنعُ اختلاطَهُما. ﴿حجراً محجوراً﴾: حراماً محرّماً تغيّر صِفَاتِهمَا. ﴿نسباً﴾: ذوي نسبٍ ذكوراً يُنسبُ إليهِم. ﴿صهراً﴾: ذواتِ صهرٍ إناثاً يُصاهرُ بهنَّ. ﴿على ربّه ظهيراً﴾: مُعيناً للشَّيطانِ على ربِّهِ بالشِّركِ.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا۩ ٦٠ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ٦١ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧

٥٦ ـ ﴿وما أرسلْناكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إلاّ مُبَشِّرًا﴾ بالجنّة ﴿ونَذِيرًا﴾: مُخوّفًا من النار. ٥٧ ـ ﴿قُلْ: ما أسألُكُم عليهِ﴾: على تبليغ ما أُرسلت به ﴿مِن أجرٍ. إلاّ﴾: لكن ﴿مَن شاءَ أن يَتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سَبيلاً﴾: طريقًا بإنفاق ماله في مرضاته ـ تعالى ـ فلا أمنعه من ذلك. ٥٨ ـ ﴿وتَوَكَّلْ على الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وسَبِّحْ﴾ مُلتبسًا ﴿بِحَمدِهِ﴾ أي قل: سُبحان الله والحمد لله. ﴿وكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرًا﴾: عالمًا! تعلّق به «بذنوب».

سجدة

٥٩ ـ هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما في سِتَّةِ أيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر ـ ولو شاء لخلقهنّ في لَمحة، والعُدول عنه لتعليم خلقه التثبُّت ـ ﴿ثُمَّ استوَى على العَرشِ﴾ ـ هو في اللغة سرير الملك ـ ﴿الرَّحمنُ﴾: بدلٌ من ضمير «استوى» أي: استواءً يليق به. ﴿فاسأَلْ﴾ ـ أيها الإنسان ـ ﴿بِهِ﴾: بالرحمن ﴿خَبِيرًا﴾ يُخبرُك بصفاته. ٦٠ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ﴾: لكُفّار مكّة: ﴿اسجُدُوا لِلرَّحمنِ. قالُوا: وما الرَّحمنُ؟ أَنَسجُدُ لِما تأمُرُنا﴾ ـ بالفَوقانيّة والتحتانيّة والآمرُ مُحمّد ـ ولا نعرفه؟ لا. ﴿وزادَهُم﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورًا﴾ عن الإيمان.

٦١ ـ قال تعالى: ﴿تَبارَكَ﴾: تعظّم ﴿الَّذِي جَعَلَ في السَّماءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشَر: الحَمَلَ والثَّور والجَوزاء والسَّرطان، والأسد والسُّنبلة والمِيزان والعقرب، والقَوس والجَديُ والدَّلو والحُوت ـ وهي منازل الكواكبِ السبعةِ السَّيّارةِ: المِرّيخ وله الحمل والعقرب، والزُّهَرةِ ولها الثور والميزان، وعُطاردٍ وله الجوزاء والسنبلة، والقمرِ وله السرطان، والشمسِ ولها الأسد، والمُشتري وله القوس والحوت، وزُحَلَ وله الجدْي والدلو ـ ﴿وَجَعَلَ فِيها﴾ أيضًا ﴿سِراجًا﴾ هو الشمس ﴿وقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ـ وفي قراءة: «سُرُجًا» بالجمع أي: نيّراتٍ، وخُصّ القمر منها بالذكر لنوع فضيلة ـ ٦٢ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيلَ والنَّهارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلُف كُلّ منهما الآخَرَ، ﴿لِمَن أرادَ أن يَذَّكَّرَ﴾، بالتشديد والتخفيف كما تقدّم: ما فاته في أحدهما من خير فيفعلَه في الآخَر، ﴿أو أرادَ شُكُورًا﴾ أي: شُكرًا لنعمة ربّه عليه فيهما.

٦٣ ـ ﴿وعِبادُ الرَّحمنِ﴾ ـ مُبتدأ وما بعده صِفاتٌ له إلى «أُولئِكَ يُجزَونَ الغُرفةَ» غيرَ المُعترِض فيه ـ ﴿الَّذِينَ يَمشُونَ على الأرضِ هَونًا﴾ أي: بسكينة وتواضع، ﴿وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قالُوا سَلامًا﴾ أي: قولاً يَسلمون فيه من الإثم، ٦٤ ـ ﴿والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّدًا﴾: جمع ساجد ﴿وقِيامًا﴾ بمعنى: قائمين أي: يُصلّون بالليل، ٦٥ ـ ﴿والَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا، اصرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ. إنَّ عَذابَها كانَ غَرامًا﴾ أي: لازمًا، ٦٦ ـ ﴿إنَّها ساءَتْ﴾: بئسَتْ ﴿مُستَقَرًّا ومُقامًا﴾ هي، أي: موضعَ استقرار وإقامة! ٦٧ ـ ﴿والَّذِينَ إذا أنفَقُوا﴾ على عِيالهم ﴿لَم يُسرِفُوا ولَم يَقتِرُوا﴾ ـ بفتح أوله وضمّه ـ أي: لم يُضيّقوا، ﴿وكانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَينَ ذلِكَ﴾ الإسرافِ والإقتارِ ﴿قَوامًا﴾: وسطًا. ....

﴿سبّح﴾: نزِّهْهُ تعالى عن جميع النَّقائص. ﴿بحمده﴾: مُثنياً عليه بأوصافِ الكمالِ. ﴿استوى على العرش﴾: استواءً يليقُ بكمالِه تعالى. ﴿زادهم نفوراً﴾: تباعداً عنِ الإيمانِ. ﴿تبارك الذي..﴾: تعالى وتمجَّدَ أو تكاثرَ خيرُهُ. ﴿بروجاً﴾: منازلَ للكواكبِ السَّيَّارة. ﴿خلفة﴾: يخلُفُ أحدُهُما الآخرَ ويتعاقبانِ. ﴿هوناً﴾: بسكينةٍ ووقارٍ وتواضُعٍ. ﴿قالوا سلاماً﴾: قولاً سديداً يسلمونَ بهِ مِنَ الأذى. ﴿كان غراماً﴾: لازماً أو مُمتدّاً، كلزومِ الغريمِ. ﴿لم يقتروا﴾: لم يُضيِّقوا تضييقَ الأشحَّاءِ. ﴿قواماً﴾: عدلاً وسطاً بينَ الطَّرفَينِ.

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ
إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟
بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى
لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

(٦٨) ـ ﴿والَّذِينَ لا يَدعُونَ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ[1]، ولا يَقتُلُونَ النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ﴾ قتلَها ﴿إلاّ بِالحَقِّ، ولا يَزنُونَ﴾. ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ﴾ أي: ما ذُكر من الثلاثة ﴿يَلقَ أثامًا﴾ أي: عُقوبة، (٦٩) ـ ﴿يُضاعَفْ﴾ ـ وفي قراءة: «يُضعَّفْ» بالتشديد ـ ﴿لَهُ العَذابُ يَومَ القِيامةِ ويَخلُدْ فِيهِ﴾، بجزم الفعلين بدلاً وبرفعهما استئنافًا، ﴿مُهانًا﴾: حالٌ. (٧٠) ـ ﴿إلاّ مَن تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صالِحًا﴾ منهم ﴿فأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِم﴾ المذكورةَ ﴿حَسَناتٍ﴾ في الآخرة ـ ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل مُتصفًا بذلك ـ (٧١) ـ ﴿ومَن تابَ﴾ من ذُنوبه غيرَ مَن ذُكر ﴿وعَمِلَ صالِحًا فإنَّهُ يَتُوبُ إلَى اللهِ مَتابًا﴾ أي: يرجِعُ إليه رجوعًا فيُجازيه خيرًا.

(٧٢) ـ ﴿والَّذِينَ لا يَشهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل، ﴿وإذا مَرُّوا بِاللَّغوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا كِرامًا﴾: مُعرِضين عنه، (٧٣) ـ ﴿والَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا ﴿بِآياتِ رَبِّهِم﴾ أي: القُرآن ﴿لَم يَخِرُّوا﴾: يسقطوا ﴿عَلَيها صُمًّا وعُميانًا﴾، بل خرّوا سامعين ناظرين منتفعين، (٧٤) ـ ﴿والَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا، هَبْ لَنا مِن أزواجِنا وذُرِّيّاتِنا﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿قُرَّةَ أعيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مُطيعين لك، ﴿واجعَلْنا لِلمُتَّقِينَ إمامًا﴾ في الخير.

(٧٥) ـ ﴿أُولئِكَ يُجزَونَ الغُرْفَةَ﴾: الدرجةَ في الجنّة ﴿بِما صَبَرُوا﴾ على طاعة الله، ﴿ويُلَقَّونَ﴾ ـ بالتشديد، والتخفيف مع فتح الياء ـ ﴿فِيها﴾: في الغُرفة ﴿تَحِيّةً وسَلامًا﴾ من الملائكة، (٧٦) ـ ﴿خالِدِينَ فِيها، حَسُنَتْ مُستَقَرًّا ومُقامًا﴾: موضعَ إقامة لهم! «وأُولئك» وما بعده: خبر «عبادُ الرحمن» المبتدأ.

(٧٧) ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لِأهل مكّة: ﴿ما﴾: نافيةٌ ﴿يَعبَأُ﴾: يكترثُ ﴿بِكُم رَبِّي، لَولا دُعاؤُكُم﴾ إيّاه في الشدائد فيكشفُها. ﴿فقَد﴾ أي: فكيف يعبأ بكم، وقد ﴿كَذَّبتُم﴾ الرسول والقُرآن؟ ﴿فَسَوفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزامًا﴾: مُلازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحلّ بكم في الدنيا. فقُتل منهم يوم بدر سبعون. وجواب «لولا» دلَّ عليه ما قبلها.

﴿يلق أثاماً﴾: عقاباً وجزاءً في الآخرة. ﴿مرّوا باللغو﴾: بما ينبغي أن يُلغى ويُطرَح. ﴿مرّوا كراماً﴾: مُكرمينَ أنفسَهُم بالإعراضِ عنهُ. ﴿لم يخروا﴾: لم يسقطوا ولم يقعوا. ﴿قرّة أعين﴾: مسرَّةً وفرحاً. ﴿إماماً﴾: قدوةً وحجَّةً أو أئمَّةً. ﴿يُجزون الغرفة﴾: أعلى منازلِ الجنَّةِ وأفضلَها. ﴿ما يعبأ بكم﴾: ما يكترثُ وما يُبالي بكُم. ﴿دعاؤكم﴾: عبادتُكُم لهُ تعالى. ﴿يكون لزاماً﴾: يكونُ جزاءُ تكذيبِكُم عذاباً دائماً مُلازماً لكُم.

(١) قال ابن عباس: نزلت في قوم من المشركين قتَلوا فأكثَروا، ثم قالوا للنبيِّ ﷺ: إنَّ ما تَدْعونا إليه لحَسَنٌ لو تخبرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارةً. البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢). وقال ابن مسعود: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ الذنبِ أعظمُ؟ فقال: «أنْ تجعلَ لله ندًّا وهو خلقك»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تقتلَ ولدَك مخافةَ أنْ يَطْعَمَ معك»، قال: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أنْ تُزانيَ حليلةَ جارك» فأنزل الله تعالى تصديقَها الآيةَ. البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

وفي روايةٍ عن ابنِ عباس قال: أتى وحشيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إني أشركتُ بالله، وقتلتُ النفس التي حرَّم الله، وزنيتُ، فهل يقبلُ الله توبتي؟ فصَمَتَ رسولُ الله ﷺ، فنزلت الآيةُ، فتلاها عليه رسول الله ﷺ، فقال: أَرى شرطاً، فلعلِّي لا أعملُ عملاً صالحاً، أنا في جوارِك حتى أسمعَ كلامَ الله، فنزل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] فدعا به فتلاها عليه فقال: لعلِّي ممن لا يشاءُ، أنا في جوارك حتى أسمعَ كلامَ الله، فنزل: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣] فقال: الآن لا أرَى شرطاً، فأَسْلَم. الطبراني في «الكبير» (١١٤٨٠). قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢١٥): فيه أبين بن سليمان وهو ضعيف.

عن سعيد بن جبير قال: قال ابن أبزى: سلِ ابن عبّاسٍ عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، وقوله: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلا بِالْحَقِّ﴾ حتى بلغ: ﴿إلا مَنْ تَابَ﴾ فسألْته فقال: لمَّا نزلت قال أهلُ مكَّة: فقد عدلْنا بالله، وقتَلْنا النَّفْسَ التي حَرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وأتينا الفواحش، فأنزل الله: ﴿إلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا﴾. البخاري (٤٧٦٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا
يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

٢٦
سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

مكيّة إلاّ «والشعراء» إلى آخرها فمدني، وهي مِائتان وسبع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿طسم﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

(٢) ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ـ والإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿المُبينِ﴾: المُظهرِ الحقَّ من الباطل. (٣) ـ ﴿لَعَلَّكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿باخِعٌ نفسَكَ﴾: قاتلُها غمًّا من أجل ﴿ألاّ يَكُونُوا﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿مُؤمنِينَ﴾. ولعلّ هنا: للإشفاق، أي: أشفِقْ عليها بتخفيف هذا الغمّ ـ (٤) ـ ﴿إن نَشَأْ نُنَزِّلْ عليهِم مِنَ السَّماءِ آيةً، فظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع، أي: تَظَلّ، أي: تدومُ ﴿أعناقُهُم لها خاضِعِينَ﴾ فيُؤمنون. ولمّا وُصفَتِ الأعناقُ بالخُضوع الذي هو لأربابها جُمعَتِ الصفةُ منه جمعَ العُقلاء ـ (٥) ـ (٦) ـ ﴿وما يأتِيهِم مِن ذِكرٍ﴾: قُرآنٍ ﴿مِنَ الرَّحمنِ مُحدَثٍ﴾: صفةٌ كاشفة ﴿إلاّ كانُوا عَنهُ مُعرِضِينَ. فقَد كَذَّبُوا﴾ به، ﴿فسَيأتِيهِم أنباءُ﴾: عواقبُ ﴿ما كانُوا بهِ يَستَهزِئُونَ﴾.

(٧) ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: ينظروا ﴿إلَى الأرضِ، كَم أنبَتْنا فِيها﴾ أي: كثيرًا ﴿مِن كُلِّ زَوجٍ كَرِيمٍ﴾: نوعٍ حسَن؟! (٨) ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لآيَةً﴾: دلالة على كمال قُدرته ـ تعالى ـ ﴿وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ﴾ في عِلم الله تعالى ـ و«كان» قال سيبويه: زائدةٌ ـ (٩) ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾: ذو العِزّة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين.

(١٠) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ـ يا مُحمّد ـ لقومك ﴿إذ نادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿ائْتِ القَومَ الظّالِمِينَ﴾ رسولاً (١١) ـ ﴿قَومَ فِرعَونَ﴾ معه ظلموا أنفُسهم بالكُفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم، ﴿ألا﴾ ـ الهمزة: للاستفهام الإنكاريّ ـ ﴿يَتَّقُونَ﴾ الله بطاعته فيوحّدونه؟ (١٢) ـ (١٣) ـ ﴿قالَ﴾ مُوسَى: ﴿رَبِّ، إنِّيَ أخافُ أن يُكَذِّبُونِ، ويَضِيقُ صَدرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿ولا يَنطَلِقُ لِسانِي﴾ بأداء الرسالة للعُقدة التي فيه ـ ﴿فأرسِلْ إلَى﴾ أخي ﴿هارُونَ﴾ معي ـ (١٤) ـ ﴿ولَهُم عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ بقتل القِبطيّ منهم، ﴿فأخافُ أن يَقتُلُونِ﴾ به.

(١٥) ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿كَلاّ﴾ أي: لا يقتلونك. ﴿فاذهَبا﴾ أي: أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب، ﴿بِآياتِنا ـ إنّا مَعَكُم مُستَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم. أُجرِيا مُجرى الجماعة ـ (١٦) ـ ﴿فأتِيا فِرعَونَ، فقُولا: إنّا﴾ كُلًّا منّا ﴿رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ﴾ إليك، (١٧) ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿أرسِلْ مَعَنا﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾. فأتَياه فقالا له ما ذُكر.

(١٨) ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون لمُوسَى: ﴿ألَم نُرَبِّكَ فِينا﴾ أي: في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرًا قريبًا من الولادة بعد فِطامه، ﴿ولَبِثتَ فِينا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: ثلاثين سنة، يلبَس من ملابس فِرعون، ويركب من مراكبه وكان يُسمّى ابنَه، (١٩) ـ ﴿وفَعَلتَ فَعلَتَكَ الَّتِي فَعَلتَ﴾ ـ هي قتلُه القِبطيَّ ـ ﴿وأنتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾: الجاحدين لنِعمتي عليك بالتربيةِ وعدمِ الاستعباد؟

﴿باخِعٌ نفسك﴾: مُهلِكُها حسرةً وحُزناً. ﴿أعناقهم﴾: جماعاتُهم أو رؤساؤُهم ومقدَّموهُم. ﴿زوج كريم﴾: صِنفٍ حسنٍ كثيرِ النَّفعِ. ﴿الكافرين﴾: الجاحدينَ لِنعمتي.

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
(٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
(٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ
(٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ
(٢٨) قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ
(٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢)
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم
بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ (٣٩)

(٢٠) ـ ﴿قالَ﴾ مُوسَى: ﴿فَعَلتُها إذًا﴾ أي: حينئذ ﴿وأنا مِنَ الضالِّينَ﴾ عمّا آتاني اللهُ بعدها من العلم والرسالة، (٢١) ـ (٢٢) ـ ﴿ففَرَرتُ مِنكُم لَمّا خِفتُكُم، فوَهَبَ لِي رَبِّي حُكمًا﴾: عِلمًا، ﴿وجَعَلَني مِنَ المُرسَلِينَ. وتِلكَ نِعمةٌ، تَمُنُّها عَلَيَّ﴾ ـ أصله: تمنُّ بها عليَّ ـ ﴿أن عَبَّدتَ بَني إسرائيلَ﴾: بيانٌ لـ «تلك»، أي: اتّخذتَهم عبيدًا، ولم تستعبدني؟ لا نعمةَ لك بذلك لظُلمك باستعبادهم. وقدّر بعضهم أوّلَ الكلام همزة استفهام للإنكار.

(٢٣) ـ ﴿قالَ فِرعَونُ﴾ لمُوسَى: ﴿وما رَبُّ العالَمِينَ﴾ الذي قلتَ: إنك رسوله، أي: أيُّ شيء هو؟ ولمّا لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته ـ تعالى ـ وإنما يعرفونه بصِفاته أجابه مُوسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ببعضها، (٢٤) ـ ﴿قالَ: رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾ أي: خالقُ ذلك، ﴿إن كُنتُم مُوقِنِينَ﴾ بأنه ـ تعالى ـ خالقُه فآمنوا به وحده.

(٢٥) ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون ﴿لِمَن حَولَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿ألا تَستَمِعُونَ﴾ جوابه الذي لم يُطابقِ السؤالَ؟ (٢٦) ـ ﴿قالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوَّلِينَ﴾. وهذا، وإن كان داخلاً فيما قبله، يغيظ فرعون. ولذلك[1] (٢٧) ـ (٢٨) ـ ﴿قالَ: إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذي أُرسِلَ إلَيكُم لَمَجنُونٌ. قالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبُّ المَشرِقِ والمَغرِبِ وما بَينَهُما، إن كُنتُم تَعقِلُونَ﴾ أنه كذلك فآمنوا به وحده.

(٢٩) ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون لمُوسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذتَ إلـٰهًا غَيرِي لَأجعَلَنَّكَ مِنَ المَسجُونِينَ﴾. كان سِجنه شديدًا، يَحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده، لا يُبصِر ولا يَسمع فيه أحدًا. (٣٠) ـ ﴿قالَ﴾ له مُوسى ﴿: أوَلَو﴾ أي: أتفعل ذلك ولو ﴿جِئتُكَ بِشَيءٍ مُبِينٍ﴾ أي: برهان بيِّن على رسالتي؟ (٣١) ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون له: ﴿فائتِ بِهِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ فيه.

(٣٢) ـ ﴿فألقَى عَصاهُ، فإذا هِيَ ثُعبانٌ مُبِينٌ﴾: حيّة عظيمة، (٣٣) ـ ﴿ونَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرجها من جيبه، ﴿فإذا هِيَ بَيضاءُ﴾ ذات شُعاع ﴿لِلنّاظِرِينَ﴾ خِلافَ ما كانت عليه من الأُدمة.

(٣٤) ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون ﴿لِلمَلَأِ حَولَهُ: إنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في عِلم السِّحر، (٣٥) ـ (٣٦) ـ ﴿يُرِيدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم بِسِحرِهِ. فماذا تأمُرُونَ؟ قالُوا: أرجِئْهُ وأخاهُ﴾: أخِّرْ أمرهما، ﴿وابعَثْ في المَدائنِ حاشِرِينَ﴾: جامعين، (٣٧) ـ ﴿يأتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفضُل مُوسى في عِلم السِّحر.

(٣٨) ـ ﴿فجُمِعَ السَّحَرةُ لِمِيقاتِ يَومٍ مَعلُومٍ﴾ ـ وهو وقت الضُّحى من يوم الزينة ـ (٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿وقِيلَ لِلنّاسِ: هَل أنتُم مُجتَمِعُونَ،.............

﴿الضَّالين﴾: المُخطئينَ لا المُتعمِّدينَ. ﴿عبّدت بني إسرائيل﴾: اتَّخذتَهُم عبيداً لكَ مُستذلِّينَ. ﴿نزع يده﴾: أخرجَها مِن جيبِهِ. ﴿هي بيضاء﴾: بياضاً نورانياً يغشى الأبصارَ. ﴿للملأ﴾: وجوهِ القومِ وسادتِهِم. ﴿أرجه وأخاه﴾: أخِّرْ أمرَهُما ولا تعجلْ بعقوبتِهِما. ﴿حاشرين..﴾: الشُّرَطَ يجمعونَ كلَّ السَّحرةِ. ﴿هل أنتم مجتمعون﴾: حثٌّ على الاجتماعِ واستعجالٌ لهُ.

(١) الغَيظِ سمَّاهُ مجنوناً؛ أي: أسألُهُ عن شَيءٍ ويُجيبُني عن آخرَ، ويُكرِّرُهُ، وأمَّا تسميتُه رسولًا فعلى السُّخريةِ، وهذا طريقُ الجاهِلِ إذا قعدَ عن الحُجَّةِ قامَ بالسَّفاهَةِ. (الجمالين).

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ، إن كانُوا هُمُ الغالِبِينَ؟ الاستفهام للحثّ على الاجتماع والترجّي على تقدير غلبتهم ليستمرّوا على دِينهم فلا يتبعوا مُوسى.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ - ﴿**فلمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرعَونَ: أئِنَّ**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين - ﴿**لنا لأجرًا، إن كُنّا نَحنُ الغالِبِينَ؟ قالَ: نَعَم، وإنَّكُم إذًا**﴾ أي: حينئذٍ ﴿**لَمِنَ المُقَرَّبِينَ**﴾.

﴿٤٣﴾ - ﴿**قالَ لَهُم مُوسَى**﴾، بعد ما قالوا له: «إمّا أن تُلقِيَ، وإمّا أن نكُونَ نَحنُ المُلقِينَ»: ﴿**ألقُوا ما أنتُم مُلقُونَ**﴾. فالأمر منه للإذن بتقديم إلقائهم توسّلاً به إلى إظهار الحق. ﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾ - ﴿**فألقَوا حِبالَهُم وعِصِيَّهُم، وقالُوا: بِعِزَّةِ فِرعَونَ إنّا لَنحنُ الغالِبُونَ. فألقَى مُوسَى عَصاهُ، فإذا هِيَ تَلَقَّفُ**﴾، بحذف إحدى التاءين من الأصل: تبتلعُ ﴿**ما يأفِكُونَ**﴾: يقلبونه بتمويههم فيُخيّلون أنّ حبالهم وعصيّهم حيّاتٌ تسعى، ﴿٤٦﴾ - ﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ - ﴿**فأُلقِيَ السَّحَرةُ ساجِدِينَ، قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وهارُونَ**﴾ لِعلمهم بأنّ ما شاهدوه من العصا لا يتأتّى بالسِّحر.

الحزب ٣٧

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ - ﴿**قالَ**﴾ فِرعون: ﴿**آأمَنتُم**﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا - ﴿**لَهُ**﴾: لِمُوسى ﴿**قَبلَ أن آذَنَ**﴾ أنا ﴿**لَكُم؟ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ**﴾، فعلّمكم شيئًا منه وغلبكم بآخر. ﴿**فلَسَوفَ تَعلَمُونَ**﴾ ما ينالكم منّي، ﴿**لَأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ**﴾ أي: يدَ كُلّ واحد اليُمنى ورِجلَه اليُسرى، ﴿**ولَأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِينَ. قالُوا: لا ضَيرَ**﴾: لا ضررَ علينا في ذلك. ﴿**إنّا إلَى رَبِّنا**﴾ بعد موتنا، بأيّ وجه كان، ﴿**مُنقَلِبُونَ**﴾: راجعون في الآخرة. ﴿٥١﴾ - ﴿**إنّا نَطمَعُ**﴾: نرجو ﴿**أن يَغفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا، أنْ**﴾ أي: بأن ﴿**كُنّا أوَّلَ المُؤمِنِينَ**﴾ في زماننا.

﴿٥٢﴾ - ﴿**وأوحَينا إلَى مُوسَى**﴾ بعد سنين أقامها بينهم، يدعوهم بآيات الله إلى الحقّ، فلم يزيدوا إلاّ عُتوًّا: ﴿**أنْ أسرِ بِعِبادِيَ**﴾ بني إسرائيل - وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة «اسر» من سَرَى: لغة في أسرَى - أي: سِرْ بهم ليلاً إلى البحر. ﴿**إنَّكُم مُتَّبَعُونَ**﴾: يتّبعكم فِرعون وجُنوده، فيَلِجُون وراءكم البحر، فأُنجيكم وأُغرِقُهم. ﴿٥٣﴾ - ﴿**فأرسَلَ فِرعَونُ**﴾ حين أُخبر بسيرهم ﴿**في المَدائِنِ**﴾ - قيل: كان له ألفُ مدينةٍ واثنا عشَرَ ألفَ قريةٍ - ﴿**حاشِرِينَ**﴾: جامعين الجيش، قائلاً: ﴿٥٤﴾ - ﴿**إنَّ هؤُلاءِ لَشِرذِمَةٌ**﴾: طائفة ﴿**قَلِيلُونَ**﴾ - قيل: كانوا ستَّمِائةِ ألفٍ وسبعين ألفًا، ومُقدّمةُ جيشه سبعُمِائةِ ألفٍ، فقلّلهم بالنظر إلى كثرة جيشه - ﴿٥٥﴾ - ﴿**وإنَّهُم لَنا لَغائِظُونَ**﴾: فاعلون ما يغيظنا، ﴿٥٦﴾ - ﴿**وإنّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ**﴾: مُتيقّظون. وفي قراءة: «حاذِرُونَ»: مُستعدّون.

﴿٥٧﴾ - قال تعالى: ﴿**فأخرَجناهُم**﴾ أي: فِرعونَ وجنوده من مصرَ ليلحقوا مُوسى وقومَه ﴿**مِن جَنّاتٍ**﴾: بساتينَ كانت على جانبَي النيل، ﴿**وعُيُونٍ**﴾: أنهار جارية في الدُّور من النيل، ﴿٥٨﴾ - ﴿**وكُنُوزٍ**﴾: أموال ظاهرة من الذهب والفِضّة، وسُمّيت كنوزًا لأنه لم يُعطَ حقُّ الله - تعالى - منها ﴿**ومَقامٍ كَرِيمٍ**﴾: مجلس حسنٍ للأُمراء والوُزراء يحفّه أتباعهم - ﴿٥٩﴾ - ﴿**كَذلِكَ**﴾ أي: إخراجُنا كما وصفنا - ﴿**وأورَثناها بَنِي إسرائِيلَ**﴾ بعد إغراق فِرعون وقومه - ﴿٦٠﴾ - ﴿**فأتبَعُوهُم**﴾: لحِقوهم ﴿**مُشرِقِينَ**﴾: وقتَ شُروق الشمس.

﴿بعزّة فرعون﴾: بقوّتِهِ وعظمتِهِ. ﴿تلقف﴾: تبتلِعُ بسرعةٍ. ﴿ما يأفكون﴾: ما يقلبونَهُ عن وجهِهِ بالتَّمويهِ. ﴿لا ضير﴾: لا ضررَ علينا فيما يُصيبُنا. ﴿إنكم مُتّبعون﴾: يتّبعُكُم فِرعونُ وجُنودُهُ. ﴿حاشرين﴾: جامعينَ للجيشِ ليتبَعوهُم. ﴿لشرذمة﴾: لطائفةٌ قليلةٌ بالنِّسبةِ إلينا. ﴿حاذرون﴾: مُحترزونَ. أو مُتأهِّبونَ بالسِّلاحِ. ﴿مشرقين﴾: داخلينَ في وقتِ الشُّروقِ.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ
ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ
يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟
بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ
يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى
يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى
يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

(٦١) ـ ﴿فلمّا تراءى الجمعانِ﴾: رأى كُلّ منهما الآخرَ ﴿قالَ أصحابُ موسى: إنّا لمُدرَكونَ﴾: يُدرِكنا جمعُ فِرعون، ولا طاقة لنا به. (٦٢) ـ ﴿قالَ﴾ موسى: ﴿كلّا﴾ أي: لن يُدركونا. ﴿إنَّ مَعِي رَبِّي﴾ بنصره[١]، ﴿سَيهدِينِ﴾ طريقَ النجاة.

(٦٣) ـ قال تعالى: ﴿فأوحَينا إلى موسى: أنِ اضرِبْ بِعَصاكَ البَحرَ﴾. فضربه، ﴿فانفلَقَ﴾: انشقّ اثني عشرَ فِرقًا، ﴿فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّودِ العَظيمِ﴾: الجبل الضخم، بينها مسالك سلكوها، لم يبتلّ منها سرجُ الراكب ولا لِبْدُه، (٦٤) ـ ﴿وأزلَفنا﴾: قرّبنا ﴿ثَمَّ﴾: هناكَ ﴿الآخَرِينَ﴾: فِرعونَ وقومه حتّى سلكوا مسالكهم، (٦٥) ـ ﴿وأنجَينا موسى ومَن مَعَهُ أجمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على الهيئة المذكورة، (٦٦) ـ ﴿ثُمَّ أغرَقنا الآخَرِينَ﴾: فِرعونَ وقومه بإطباق البحر عليهم، لمّا تمّ دُخولُهم البحرَ وخُروجُ بني إسرائيل منه.

(٦٧) ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ أي: إغراقِ فِرعونَ وقومه ﴿لَآيَةً﴾: عِبرةً لِمَن بعدَهم، ﴿وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ﴾ بالله تعالى ـ لم يُؤمن منهم غيرُ آسيةَ امرأةِ فِرعون وحزقيلَ مؤمنِ آلِ فِرعون ومريمَ بنتِ ناموسى التي دلّت على عِظام يوسف عليه السلام[٢] ـ (٦٨) ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرَق.

(٦٩) ـ ﴿واتلُ علَيهِم﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿نَبَأَ﴾: خبرَ ﴿إبراهِيمَ﴾، ويبدل منه: (٧٠) ـ (٧١) ـ ﴿إذ قالَ لِأبِيهِ وقَومِهِ: ما تَعبُدُونَ؟ قالُوا: نَعبُدُ أصنامًا﴾، صرّحوا بالفِعل ليعطفوا عليه: ﴿فنَظَلُّ لها عاكِفِينَ﴾ أي: نُقيم نهارًا على عِبادتها. زادوه في الجواب افتخارًا به. (٧٢) ـ (٧٣) ـ ﴿قالَ: هَل يَسمَعُونَكُم إذ﴾: حينَ ﴿تَدعُونَ أو يَنفَعُونَكُم﴾ إن عبدتموهم ﴿أو يَضُرُّونَـ﴾ـكُم إن لم تعبدوهم؟ (٧٤) ـ ﴿قالُوا: بَل وَجَدنا آباءَنا كَذلِكَ يَفعَلُونَ﴾ أي: مِثلَ فِعلنا.

(٧٥) ـ (٧٦) ـ (٧٧) ـ ﴿قالَ: أفرَأيتُم ما كُنتُم تَعبُدُونَ أنتُم وآباؤُكُم الأقدَمُونَ؟ فإنَّهُم عَدُوٌّ لِيَ﴾ لا أعبدُهم، ﴿إلّا﴾: لكنْ ﴿رَبَّ العالَمِينَ﴾ فإني أعبده، (٧٨) ـ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فهُوَ يَهدِينِ﴾ إلى الدِّين[٣]، (٧٩) ـ (٨٠) ـ (٨١) ـ (٨٢) ـ ﴿والَّذِي هُوَ يُطعِمُنِي ويَسقِينِ، وإذا مَرِضتُ فهُوَ يَشفِينِ، والَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحيِينِ، والَّذِي أطمَعُ﴾[٤]: أرجو ﴿أن يَغفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَومَ الدِّينِ﴾: الجزاءِ[٥].

(٨٣) ـ ﴿رَبِّ، هَبْ لِي حُكمًا﴾: عِلمًا، ﴿وألحِقنِي بالصّالِحِينَ﴾ أي: النبيّين،..

﴿تراءى الجمعان﴾: رأى كلٌّ منهما الآخرَ. ﴿فانفلق﴾: انشقَّ اثنَيْ عشرَ فِرقاً. ﴿فرق﴾: قطعةٍ مِنَ البحرِ مُرتفِعةٍ. ﴿كالطّود العظيم﴾: كالجبلِ المُنطادِ في السَّماءِ. ﴿أزلفنا ثمّ الآخرين﴾: قرَّبْنا هنالكَ آلَ فرعونَ مِنَ البحرِ. ﴿أفرأيتم..﴾: أتأمَّـلتُـم فعلِمتُم...

(١) وعلمِهِ وهدايَتِهِ، والمعيَّةُ من المتَشابِهِ عندَ السَّلفِ. (الجمالين).

(٢) رواه أبو يعلى (٧٢٥٤)، وابن حبان (٧٢٣)، والحاكم (٤٠٨٨) وصححه، من حديث أبي موسى رضي الله عنه. وليس فيه ذكر اسمها.

(٣) لأنَّهُ يَهدي كُلَّ مَخلوقٍ لِمَا خُلِقَ له من أمورِ المَعاشِ والمَعادِ. (الجمالين).

(٤) قيل: أخرَجَ سؤالَهُ على حُكمِ الأدبِ، حيثُ لم يحكُم على ربِّه بالمغفِرةِ، ولكنَّه قالَ: أطمَعُ طَمَعَ العَبيدِ في مَواليهِم وإن لم يستَحِقُّوا شيئاً. (الجمالين).

(٥) وحسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبينَ، أو هَضْماً لنفسِهِ، وتعليماً لغيرِهِ. (الجمالين).

وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ
يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ
سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ
أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ
أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَوۡ
أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتۡ
قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾

(٨٤) ـ ﴿واجعَل لي لِسانَ صِدقٍ﴾: ثناءً حسنًا ﴿في الآخِرينَ﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، (٨٥) ـ ﴿واجعَلْني مِن وَرَثةِ جَنّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: ممّن يُعطاها، (٨٦) ـ ﴿واغفِرْ لِأبي ـ إنّهُ كانَ مِنَ الضّالِّينَ﴾، بأن تتوب عليه فتغفر له. وهذا قبل أن يتبيّن له أنه عدوّ لله كما ذُكر في سورة «براءة» ـ (٨٧) ـ ﴿ولا تُخزِني﴾: تفضحْني ﴿يومَ يُبعَثونَ﴾ أي: الناس.

(٨٨) ـ قال تعالى فيه: ﴿يَومَ لا يَنفعُ مالٌ ولا بَنونَ﴾ أحدًا، (٨٩) ـ ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿مَن أتى اللهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشِّرك والنِّفاق ـ وهو قلب المؤمن ـ فإنه ينفعه ذلك، (٩٠) ـ ﴿وأُزلِفَتِ الجَنّةُ﴾: قُرِّبتْ ﴿لِلمُتّقِينَ﴾ فيرونها، (٩١) ـ ﴿وبُرِّزَتِ الجَحِيمُ﴾: أُظهِرتْ ﴿لِلغاوِينَ﴾: الكافرين، (٩٢) ـ (٩٣) ـ ﴿وقِيلَ لَهُم: أينَ ما كُنتُم تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الأصنام؟ ﴿هَل يَنصُرُونكُم﴾ بدفع العذاب عنكم، ﴿أو يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا. (٩٤) ـ (٩٥) ـ ﴿فكُبكِبُوا﴾: أُلقوا ﴿فِيها هُم والغاوُونَ، وجُنُودُ إبلِيسَ﴾: أتباعُه ومن أطاعه من الجنّ والإنس ﴿أجمَعُونَ﴾.

الحزب ٣٨

(٩٦) ـ ﴿قالُوا﴾ أي: الغاوون، ﴿وهُم فِيها يَختَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم: (٩٧) ـ ﴿تاللهِ، إنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ، (٩٨) ـ ﴿إذ﴾: حيثُ ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العالَمِينَ﴾ في العِبادة، (٩٩) ـ ﴿وما أضَلَّنا﴾ عن الهُدى ﴿إلاّ المُجرِمُونَ﴾ أي: الشياطينُ أو أوّلونا الذين اقتدَينا بهم! (١٠٠) ـ ﴿فما لَنا مِن شافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيّين والمؤمنين، (١٠١) ـ ﴿ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: يُهِمّه أمرنا. (١٠٢) ـ ﴿فلَو أنّ لَنا كَرّةً﴾: رجعةً إلى الدنيا، ﴿فنَكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾. «لو» هنا: للتمني، ونكون: جوابه.

(١٠٣) ـ (١٠٤) ـ ﴿إنّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ من قِصّة إبراهيم وقومه ﴿لَآيةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

(١٠٥) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَومُ نُوحٍ المُرسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو لأنه لطول لَبثه فيهم كأنه رُسُلٌ ـ وتأنيثُ «قوم» باعتبار معناه وتذكيرُه باعتبار لفظه ـ (١٠٦) ـ ﴿إذ قالَ لَهُم أخُوهُم﴾ نَسَبًا ﴿نُوحٌ: ألا تَتّقُونَ﴾ اللهَ (١٠٧) ـ ﴿إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ﴾ على تبليغ ما أُرسلتُ به. (١٠٨) ـ ﴿فاتّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ـ (١٠٩) ـ (١١٠) ـ ﴿وما أسألُكُم علَيهِ﴾: على تبليغه ﴿مِن أجرٍ. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ﴾ أي: ثوابي ﴿إلاّ علَى رَبِّ العالَمِينَ ـ فاتّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ﴾ كرّره تأكيدًا.

(١١١) ـ ﴿قالُوا: أنُؤمِنُ﴾: نُصدّق ﴿لَكَ﴾: لقولك، ﴿واتّبَعَكَ﴾ ـ وفي قراءة: «وأتباعُكَ»: جمع تابع مبتدأ ـ ﴿الأرذَلُونَ﴾: السَّفَلة كالحاكة والأساكفة؟

﴿لسان صدق﴾: ثناءً حسناً وذكراً جميلاً. ﴿لا تخزني﴾: لا تفضحْني ولا تذلَّني بعقابِكَ. ﴿بقلب سليم﴾: بريءٍ مِن مرضِ النِّفاقِ والكفرِ. ﴿أزلفت الجنّة﴾: قُرِّبَتْ بحيثُ يُرى نعيمُها. ﴿برّزت الجحيم﴾: أُظهِرَتْ بحيثُ تُرى أهوالُها. ﴿للغاوين﴾: الضّالِّينَ عن طريقِ الحقِّ. ﴿فكبكبوا﴾: فأُلقِيَ الأصنامُ على وجوهِهِم مراراً. ﴿نسوّيكم بربّ العالمين﴾: نجعلُكُم وإيّاهُ سواءً في استحقاقِ العبادةِ وأنتم أعجزُ الخلْقِ. ﴿حميم﴾: قريبٍ أو شفيقٍ يهتمُّ بأمرِنا. ﴿كرّة﴾: رجعةً إلى الدُّنيا. ﴿اتبعك الأرذلون﴾: السَّفلةُ الأدنياءُ مِنَ النّاسِ.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

(١١٢) - (١١٣) - ﴿قالَ: وما عِلمِي﴾: أيُّ عِلمٍ لي[1] ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ؟ إنْ﴾: ما ﴿حِسابُهُم إلاّ على رَبِّي﴾ فيُجازيهم - ﴿لَو تَشعُرُونَ﴾: تعلمون ذلك ما عيَّرتموهم - (١١٤) - (١١٥) - ﴿وما أنا بِطارِدِ المُؤمِنِينَ. إنْ﴾: ما ﴿أنا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار[2].

(١١٦) - ﴿قالُوا: لَئِنْ لَم تَنتَهِ - يا نُوحُ﴾ عمّا تقول لنا - ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ المَرجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشتم. (١١٧) - (١١٨) - ﴿قالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ، إنَّ قَومِي كَذَّبُونِ. فافتَحْ بَينِي وبَينَهُم فَتحًا﴾ أي: احكُم، ﴿ونَجِّنِي ومَن مَعِي مِنَ المُؤمِنِينَ﴾.

(١١٩) - قال تعالى: ﴿فأنجَيناهُ ومَن مَعَهُ في الفُلكِ المَشحُونِ﴾: المملوء من الناس والحيوان والطير، (١٢٠) - ﴿ثُمَّ أغرَقْنا بَعدُ﴾: بعدَ إنجائهم ﴿الباقِينَ﴾ من قومه. (١٢١) - (١٢٢) - ﴿إنَّ في ذلِكَ لآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

(١٢٣) - (١٢٤) - (١٢٥) - (١٢٦) - (١٢٧) - (١٢٨) - ﴿كَذَّبَتْ عادٌ المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم أخُوهُم هُودٌ: ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ. وما أسألُكُم علَيهِ مِن أجرٍ. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ على رَبِّ العالَمِينَ. أتَبنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مكانٍ مُرتفع ﴿آيَةً﴾: بناءً عَلَمًا للمارّة، ﴿تَعبَثُونَ﴾ بمن يمرّ بكم وتسخرون منهم - والجملة: حال من ضمير «تبنون» - (١٢٩) - ﴿وتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ﴾ للماء تحت الأرض، ﴿لَعَلَّكُم﴾: كأنّكم ﴿تَخلُدُونَ﴾ فيها لا تموتون، (١٣٠) - ﴿وإذا بَطَشتُم﴾ بضربٍ أو قتلٍ ﴿بَطَشتُم جَبّارِينَ﴾ من غير رأفة؟[3] (١٣١) - ﴿فاتَّقُوا اللهَ﴾ في ذلك[4]، ﴿وأطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به، (١٣٢) - (١٣٣) - (١٣٤) - ﴿واتَّقُوا الَّذِي أمَدَّكُم﴾: أنعم عليكم ﴿بِما تَعلَمُونَ، أمَدَّكُم بِأنعامٍ وبَنِينَ وجَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾: أنهار[5]. (١٣٥) - ﴿إنِّيَ أخافُ علَيكُم عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة، إن عصيتموني[6].

(١٣٦) - ﴿قالُوا: سَواءٌ علَينا﴾: مُستوٍ عندنا ﴿أوَعَظتَ أم لَم تَكُن مِنَ الواعِظِينَ﴾ أصلاً أي: لا نَرْعَوِي[7] لِوَعظك.

﴿فافتح﴾: فاحكمْ. ﴿المشحون﴾: المملوءِ بالنَّاسِ والدَّوابِّ والمتاعِ. ﴿ريع﴾: طريقٍ. أو مكانٍ مُرتفعٍ. ﴿آية﴾: بناءً شامخاً كالعلَمِ في الارتفاعِ. ﴿تعبثون﴾: ببنائِها. أو بمَن يمرُّ بها. ﴿مصانع﴾: حصوناً أو قصوراً أو حِياضاً للماءِ. ﴿أمدّكم﴾: أنعمَ عليكُم.

(١) بأنَّهم عمِلوهُ إخلاصاً أو طَمَعاً في طُعمَةٍ، وما عليَّ إلا اعتبارُ الظَّاهرِ. (الجمالين).

(٢) أي: للمُكلَّفينَ عُموماً سواءٌ كانوا أعزَّاءَ أو أذلاءَ، فكيف يليقُ بي طَردُ الفقراءِ لاستتباعِ الأغنياءِ كما استَدْعيتُم؟! (الجمالين).

(٣) ورقَّةٍ ورَحمَةٍ، ولا قَصْدِ تأديبٍ ونظَرٍ في العاقِبَةِ. (الجمالين).

(٤) بتَركِ ما ذُكرَ من ذلك وأمثالِه. (الجمالين).

(٥) تفصيلٌ لبعضِ النِّعمِ المجملَةِ. (الجمالين).

(٦) فإنَّه كما قَدرَ على الإنعامِ قدرَ على الانتِقامِ. (الجمالين).

(٧) أي: لا نرجِعُ عمَّا نحنُ عليه. (الجمالين).

إِن هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ
فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (١٣٩)
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٤٠) كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (١٤١) إِذۡ
قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ (١٤٣)
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٤٥) أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ (١٤٦)
فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ (١٤٧) وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ (١٤٨)
وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ (١٤٩) فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
(١٥٠) وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (١٥١) ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَا يُصۡلِحُونَ (١٥٢) قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٥٤) قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ
نَٰدِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٥٩)

(١٣٧) ـ ﴿إنْ﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي خوّفتنا به ﴿إلاّ خَلْقُ الأوَّلِينَ﴾ أي: اختلاقهم وكذبهم[١] ـ وفي قراءة بضمّ الخاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من أنْ لا نُبعثُ إلاّ خُلق الأوّلين أي: طبيعتهم وعادتهم[٢] ـ (١٣٨) ـ (١٣٩) ـ (١٤٠) ـ ﴿وما نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ. فكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب[٣]، ﴿فأهلَكْناهُم﴾ في الدنيا بالريح. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

(١٤١) ـ (١٤٢) ـ (١٤٣) ـ (١٤٤) ـ (١٤٥) ـ (١٤٦) ـ (١٤٧) ـ (١٤٨) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم أخُوهُم صالِحٌ: ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ ـ وما أسألُكُم علَيهِ مِن أجرٍ. إن﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ علَى رَبِّ العالَمِينَ. أتُترَكُونَ فِيما هُهُنا﴾ من الخيرات ﴿آمِنِينَ في جَنّاتٍ وعُيُونٍ وزُرُوعٍ ونَخلٍ طَلعُها هَضِيمٌ﴾: لطيف[٤] ليّن[٥]، (١٤٩) ـ ﴿وتَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾: بَطِرين؟ وفي قراءة: «فارِهِينَ»: حاذِقين[٦] ـ (١٥٠) ـ ﴿فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ﴾ فيما آمرُكم به، (١٥١) ـ (١٥٢) ـ ﴿ولا تُطِيعُوا أمرَ المُسرِفِينَ الَّذِينَ يُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالمعاصي، ﴿ولا يُصلِحُونَ﴾ بطاعة الله[٧].

(١٥٣) ـ ﴿قالُوا: إنَّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ﴾ الذين سُحِّروا كثيرًا حتّى غُلب على عقلهم. (١٥٤) ـ ﴿ما أنتَ﴾ أيضًا ﴿إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا. فائتِ بِآيةٍ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في رِسالتك. (١٥٥) ـ (١٥٦) ـ ﴿قالَ: هذِهِ ناقةٌ، لَها شِربٌ﴾: نصيب من الماء، ﴿ولَكُم شِربُ يومٍ مَعلُومٍ. ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ، فيأخُذَكُم عَذابُ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ بعِظَم العذاب[٨]. (١٥٧) ـ ﴿فعَقَرُوها﴾ أي: عقرها بعضهم برضاهم[٩]، ﴿فأصبَحُوا نادِمِينَ﴾ على عقرها[١٠]، (١٥٨) ـ (١٥٩) ـ ﴿فأخَذَهُمُ العَذابُ﴾ الموعود به فهلكوا. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿خلُق الأولين﴾: عادتُهُم في اعتقادِ أن لا بعثَ. ﴿طلعها﴾: ثمرُها الَّذي يؤولُ إليهِ الطَّلْعُ. ﴿هضيم﴾: رطبٌ نضيجٌ أو متدلٍّ لكثرتِهِ. ﴿فارهين﴾: حاذقينَ بِنحتِها أو مُتجبِّرينَ. ﴿من المسحّرين﴾: المغلوبِ على عقولِهِم بكثرةِ السِّحرِ. ﴿لها شرب﴾: نصيبٌ مشروبٌ مِنَ الماءِ.

(١) أو: ما خَلْقُنا هذا إلا خَلقُهُم نَحيا ونَموتُ مثلَهُم، ولا بَعثٌ ولا حسابٌ. (الجمالين).

(٢) ونحنُ بهم مُقتدونَ، أو: ما هذا الَّذي جئتَ به إلا عادةُ الأوَّلينَ كانوا يزوِّرونَ مثلَهُ، أو: ما هذا الذي نحنُ عليه من الحياةِ والموتِ إلا عادةٌ قديمةٌ لم يزلْ عليها النَّاسُ، والأولى تطبيقُ القِراءتَين. (الجمالين).

(٣) أي: بمجيئِهِ. (الجمالين).

(٤) للُطفِ الثَّمرِ، فالطَّلعُ مجازٌ عن الثَّمرِ. (الجمالين).

(٥) نضيجٌ، كأنّه قال: ونخلٌ قد أرطَبَ ثَمَرُه، وإفرادُ النَّخلِ لفضلِهِ على سائرِ أشجارِ الجنَّاتِ، أو المرادُ بها: غيرُها من الأشجارِ. (الجمالين).

(٦) المعنيانِ لكُلٍّ منهما لا فرقَ بينهُما، إلا أنَّ الأوَّلَ أبلَغُ. (الجمالين).

(٧) فالعطفُ للدَّلالَةِ على خُلوصِ فسادِهِم. (الجمالين).

(٨) أي: عظَّمَ اليومَ لعِظَمِ ما يحلُّ فيه، و[هو] أبلغُ من تعظيمِ العذابِ. (الجمالين).

(٩) ولذلك أُسندَ العَقْرُ إلى كُلِّهم، وأُخِذوا جميعاً. (الجمالين).

(١٠) خَوفاً من حُلولِ العَذابِ لا تَوبةً، أو: عندَ مُعايَنةِ العَذابِ، ولذلك لم ينفَعْهُم. (الجمالين).

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم
مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

(١٦٠) ـ (١٦١) ـ (١٦٢) ـ (١٦٣) ـ (١٦٤) ـ (١٦٥) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَومُ لُوطٍ المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم أخوهُم لُوطٌ: ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ. وما أسألُكُم عليهِ مِن أجرٍ. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ على رَبِّ العالَمِينَ. أتأتُونَ الذُّكرانَ مِنَ العالَمِينَ﴾ أي: النّاسِ، (١٦٦) ـ ﴿وتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُم رَبُّكُم مِن أزواجِكُم﴾ أي: أقبالَهنّ؟ ﴿بَل أنتُم قَومٌ عادُونَ﴾: مُتجاوزون الحلال[1] إلى الحرام.

(١٦٧) ـ ﴿قالُوا: لَئِنْ لَم تَنتَهِ ـ يا لُوطُ﴾ ـ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ المُخرَجِينَ﴾ من بلدتنا. (١٦٨) ـ ﴿قالَ﴾ لوط: ﴿إنِّي لِعَمَلِكُم مِنَ القالِينَ﴾: المُبغِضين[2]. (١٦٩) ـ ﴿رَبِّ، نَجِّنِي وأهلِي مِمّا يَعمَلُونَ﴾ أي: من عذابه.

(١٧٠) ـ (١٧١) ـ ﴿فنَجَّيناهُ وأهلَهُ أجمَعِينَ إلاّ عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿في الغابِرِينَ﴾: الباقين[3] أهلكناها، (١٧٢) ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ﴾: أهلكناهم، (١٧٣) ـ ﴿وأمطَرْنا علَيهِم مَطَرًا﴾: حجارة من جُملة الإهلاك، ﴿فساءَ مَطَرُ المُنذَرِينَ﴾ مطرُهم![4] (١٧٤) ـ (١٧٥) ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

ربع الحزب ٣٨

(١٧٦) ـ (١٧٧) ـ (١٧٨) ـ (١٧٩) ـ (١٨٠) ـ (١٨١) ـ ﴿كَذَّبَ أصحابُ الأَيْكَةِ﴾ ـ وفي قراءة بحذفِ الهمزة وإلقاءِ حركتها على اللام وفتحِ الهاء[5] ـ هي غَيضة[6] شجرة قربَ مَدْيَنَ ﴿المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم شُعَيبٌ﴾، لم يقل «أخوهم» لأنه لم يكن منهم: ﴿ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ. وما أسألُكُم عليهِ مِن أجرٍ. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ على رَبِّ العالَمِينَ. أوفُوا الكَيلَ﴾: أتِمُّوه، ﴿ولا تَكُونُوا مِنَ المُخسِرِينَ﴾: الناقصين[7]، (١٨٢) ـ ﴿وزِنُوا بِالقِسطاسِ المُستَقِيمِ﴾: المِيزان السويّ، (١٨٣) ـ ﴿ولا تَبخَسُوا النّاسَ أشياءَهُم﴾: لا تَنقُصوهُم من حقّهم شيئًا، ﴿ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره ـ من «عَثِيَ» بكسر المُثلّثة: أفسدَ. ومفسدين: حال مُؤكِّدة لمعنى عاملها «تعثوا» ـ ....

﴿قوم عادون﴾: مُتجاوزونَ الحدَّ في المعاصي. ﴿من القالين﴾: مِنَ المُبغضينَ أشدَّ البغضِ. ﴿في الغابرين﴾: في الباقينَ في العذابِ كأمثالِها. ﴿دمّرنا الآخرين﴾: أهلكْناهُم أشدَّ إهلاكٍ. ﴿مطرًا﴾: حجارة مِن سجِّيلٍ مُهلكةً. ﴿أصحاب الأيكة﴾: أصحابُ الغيْضَةِ الكثيفةِ الملتفَّةِ الشَّجرِ (قرب مدين). ﴿من المخسرين﴾: مِنَ النّاقصينَ للحقوقِ بالتَّطفيفِ. ﴿لا تبخسوا﴾: لا تنقصوا. ﴿لا تعثوا﴾: لا تُفسِدوا أشدَّ الإفسادِ.

(١) أو: مُتجاوِزونَ عن حدِّ الشَّهوةِ حيثُ زادوا على سائرِ النَّاسِ بل الحيَواناتِ، أو: مفرِطونَ في المعاصي، وهذا من جملَةِ ذلك. (الجمالين).

(٢) غايةَ البُغضِ، فإنَّ القِلَى هو البُغضُ الشَّديدُ كأنَّه بُغْضٌ يَقلي الفُؤادَ والكَبِدَ؛ أي: يشويهما. (الجمالين).

(٣) أي: مُقدَّرةً في الباقينَ في العذابِ إذ أصابَها حَجرٌ في الطَّريقِ فأهلَكَها؛ لأنَّها كانت مائلةً إلى القومِ راضيةً بفعلِهم. وقيل: كانت فيمَن بقيَ في القريَةِ، فإنَّها لم تخرُجْ مع لوطٍ. (الجمالين).

(٤) يعني: المخصُوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ. (الجمالين).

(٥) تبعَ الشَّيخُ في هذا الإعلالِ البَيضاويَّ، وهو يشكلُ بفتحِ التَّاءِ إلا على لُغةِ مَن يقولُ: مَررْتُ بِلَحْمَرَ، في: بني الأحمَرِ، بفَتحِ الآخِرِ، إلا أنَّ عبارَةَ البيضاويِّ مُشعِرَةٌ بأنَّ هذهِ القِراءةَ مع كسرِ التَّاءِ، ولذا قال: وقُرِئَت كذلك مفتوحَةً على أنَّها (ليكة)، وهي اسمُ بلدَتِهم. (الجمالين).

(٦) تسكُنُها طائفةٌ، فبُعثَ إليهم شُعَيبٌ كما بُعثَ إلى مديَن، وكان أجنَبيًّا منهم. (الجمالين).

(٧) حُقوقَ النَّاسِ، وهو أعَمُّ. (الجمالين).

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)

(١٨٤) ـ ﴿واتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُم والجِبِلَّةَ﴾: الخليقة ﴿الأوَّلِينَ﴾.

(١٨٥) ـ (١٨٦) ـ (١٨٧) ـ ﴿قالُوا: إنَّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ، وما أنتَ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا، وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ. فأسقِطْ علَينا كِسْفًا﴾، بسكون السين وفتحها: قطعةً ﴿مِنَ السَّماءِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في رِسالتك. (١٨٨) ـ ﴿قالَ: رَبِّيَ أعلَمُ بِما تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

(١٨٩) ـ ﴿فكَذَّبُوهُ فأخَذَهُم عَذابُ يَومِ الظُّلَّةِ﴾. هي سحابة أظلّتهم بعد حرّ شديد أصابهم، فأمطرت عليهم نارًا، فاحترقوا. ﴿إنَّهُ كانَ عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾. (١٩٠) ـ (١٩١) ـ (١٩٢) ـ (١٩٣) ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لآيةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ، وإنَّهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿لَتنزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ﴾: جِبريل (١٩٤) ـ (١٩٥) ـ ﴿على قَلبِكَ، لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ ـ وفي قراءة بتشديدِ «نَزَّلَ» ونصبِ «الرُّوحَ» والفاعلُ الله ـ (١٩٦) ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: ذِكرَ القرآنِ المُنزّل على مُحمّد ﴿لَفِي زُبُرِ﴾: كُتبِ ﴿الأوَّلِينَ﴾ كالتوراة والإنجيل. (١٩٧) ـ ﴿أوَلَم يَكُن لَهُم﴾: لِكُفّار مكّة ﴿آيةً﴾ على ذلك ﴿أن يَعلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إسرائيلَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممَّن آمنوا؟ فإنهم يُخبِرون بذلك. «ويكن» بالتحتانيّة ونصب «آيةً»، وبالفَوقانيّة ورفع «آيةٌ».

(١٩٨) ـ ﴿ولَو نَزَّلْناهُ على بَعضِ الأعجَمِينَ﴾: جمع أعجم، (١٩٩) ـ ﴿فقَرَأهُ علَيهِم﴾ أي: كُفّارِ مكّة، ﴿ما كانُوا بِهِ مُؤمِنِينَ﴾ أنفةً مِن اتّباعه.
(٢٠٠) ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إدخالنا التكذيبَ به بقراءة الأعجم ﴿سَلَكْناهُ﴾: أدخلنا التكذيب به ﴿في قُلُوبِ المُجرِمِينَ﴾ أي: كُفّارِ مكّة، بقراءة النبيّ. (٢٠١) ـ ﴿لا يُؤمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا العَذابَ الألِيمَ﴾ المُلجِئَ لهم ـ قيل: هو الموت ـ (٢٠٢) ـ (٢٠٣) ـ ﴿فيأتِيَهُم بَغتَةً وهُم لا يَشعُرُونَ، فيَقُولُوا: هَل نَحنُ مُنظَرُونَ﴾: مُمهَلون لنُؤمن؟ فيقال لهم: لا.

قالوا: متى هذا العذاب؟ قال تعالى: (٢٠٤) ـ (٢٠٥) ـ (٢٠٦) ـ ﴿أفبِعَذابِنا يَستَعجِلُونَ؟ أفرَأيتَ﴾: أخبِرني، ﴿إن مَتَّعْناهُم سِنِينَ، ثُمَّ جاءَهُم ما كانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب، (٢٠٧) ـ ﴿ما﴾ استفهامية، بمعنى: أيَّ شيء، ﴿أغنَى عَنهُم ما كانُوا يُمَتَّعُونَ﴾[1] في دفعِ العذاب أو تخفيفِه؟ أي: لم يُغْنِ.
(٢٠٨) ـ ﴿وما أهلَكْنا مِن قَريَةٍ إلاّ لَها مُنذِرُونَ﴾: رُسلٌ تُنذر أهلها، (٢٠٩) ـ ﴿ذِكرَى﴾: عظةً لهم، ﴿وما كُنّا ظالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

ونزل، ردًّا لقول المشركين، (٢١٠) ـ (٢١١) ـ ﴿وما تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾: بالقُرآن ﴿الشَّياطِينُ، وما يَنبَغِي﴾: يصلح ﴿لَهُم﴾ أن يَنزِلوا به، ﴿وما يَستَطِيعُونَ﴾ ذلك. (٢١٢) ـ ﴿إنَّهُم عَنِ السَّمعِ﴾ لِكلامِ الملائكة ﴿لَمَعزُولُونَ﴾: محجوبون بالشُّهب.

(٢١٣) ـ ﴿فلا تَدعُ مَعَ اللهِ إلـهًا آخَرَ، فتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ﴾، إن فعلت ذلك الذي دعَوك إليه، (٢١٤) ـ ﴿وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقرَبِينَ﴾ ـ وهم بنو هاشم وبنو المُطّلب وقد أنذَرَهُم جِهارًا. رواه البخاريّ ومسلم[2] ـ (٢١٥) ـ ﴿واخفِضْ جَناحَكَ﴾: ألِنْ جانبك، ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾[3]:

﴿والجبلّة الأوّلين﴾: وخلَقَ الخليقةَ والأممَ الماضينَ. ﴿المسحّرين﴾: المغلوبةِ عقولُهُم بكثرةِ السِّحرِ. ﴿كسفاً﴾: قطَعَ عذابٍ. ﴿الظّلة﴾: سحابةٍ أظَلَّتْهُم ثمَّ أمطرَتْهُم ناراً. ﴿زبر الأولين﴾: كتبِ الرُّسلِ السَّابقينَ. ﴿بغتة﴾: فجأةً. ﴿هل نحن منظرون﴾: ممهلونَ لِنؤمنَ؟ كلَّا. ﴿أفرأيت﴾: أخبِرْني.

(١) عن أبي جهضم قال: رؤي النبي ﷺ كأنه متحير، فسألوه عن ذلك، فقال: «ولمَ، وأُرِيتُ عدوي يَلُون أمتي بعدي؟» فنزلتْ: ﴿أفرأيت﴾ إلى: ﴿يمتعون﴾ فطابت نفسه. ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٣)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٩).

(٢) البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤)، من حديث أبي هريرة قال: لمَّا أنزلت هذه الآيةُ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسولُ اللهِ ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعَمَّ وخَصَّ، وليس فيه تخصيص بني المطلب وبني هاشم.

(٣) عن ابن جريج: لمَّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلتِه؛ قال: وشقَّ ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾. الطبري (١٧/ ٦٦٥)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٩).

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ
ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي
بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

الموحّدين، (٢١٦) ـ ﴿فإن عَصَوكَ﴾ أي: عشيرتُك ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿إنّي بَريءٌ مِمّا تعمَلُونَ﴾ من عِبادة غير الله. (٢١٧) ـ ﴿وتَوَكَّلْ﴾ ـ بالواو والفاء ـ ﴿علَى العَزيزِ الرَّحِيمِ﴾: فوّض إليه جميع أمرك، (٢١٨) ـ ﴿الَّذي يَراكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة، (٢١٩) ـ ﴿وتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا ﴿في السّاجِدِينَ﴾ أي: المُصلّين. (٢٢٠) ـ ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾.

(٢٢١) ـ ﴿هَل أُنَبِّئُكُم﴾ ـ أي: كُفّار مكّة ـ ﴿علَى مَن تَنَزَّلُ الشّياطِينُ﴾؟ بحذف إحدى التاءين من الأصل. (٢٢٢) ـ ﴿تَنَزَّلُ علَى كُلِّ أفّاكٍ﴾: كذّاب، ﴿أثِيمٍ﴾: فاجرٍ مِثل مُسيلِمةَ وغيره من الكهنة. (٢٢٣) ـ ﴿يُلقُونَ﴾ أي: الشياطينُ ﴿السَّمعَ﴾ أي: ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة، ﴿وأكثَرُهُم كاذِبُونَ﴾ يضمّون إلى المسموع كذبًا كثيرًا. وكان هذا قبل أن حُجِبَتِ الشياطين عن السماء.

(٢٢٤) ـ ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ﴾[1] في شِعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون. (٢٢٥) ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أنَّهُم في كُلِّ وادٍ﴾ من أودية الكلام وفُنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾: يمضون، فيُجاوزون الحدّ مدحًا وهجْوًا، (٢٢٦) ـ ﴿وأنَّهُم يَقُولُونَ﴾: فَعَلْنا ﴿ما لا يَفعَلُونَ﴾ أي: يكذبون؟ ـ (٢٢٧) ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ من الشعراء ﴿وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يَشغلهمُ الشعر عن الذكر، ﴿وانتَصَرُوا﴾ بهجوهم الكُفّارَ ﴿مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا﴾ بهجْو الكُفّار لهم في جُملة المؤمنين، فليسوا مذمومين. قال الله تعالى: «لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلاّ مَن ظُلِمَ»، «فمَنِ اعتَدَى علَيكُم فاعتَدُوا علَيهِ بِمِثلِما اعتَدَى علَيكُم».

﴿وسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أيَّ مُنقَلَبٍ﴾: مَرجِعٍ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: يرجِعون بعد الموت!

***

﴿ما أغنى عنهم﴾: أيُّ شيءٍ أغنى عنهُم ـ لم يُغنِ. ﴿اخفض جناحك﴾: ألِنْ جانبَكَ وتواضَعْ. ﴿وتقلّبك في السّاجدين﴾: ويرى تقلُّبَكَ في الصَّلاةِ معَ المُصلِّينَ. ﴿أفاك أثيم﴾: كثيرِ الكذبِ والإثمِ كالكهنةِ. ﴿يهيمون﴾: يخوضونَ ويذهبونَ كلَّ مذهبٍ.

(١) عن ابن عباس والضحاك: كان رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وأنهما تهاجَيا، وكان مع كلٍّ واحد منهما غواةٌ من قومه، وهم السفهاء، فقال الله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الطبري (١٧/ ٦٧٤ و٦٧٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٣).
وعن عروة قال: لما نزلت: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، قد علم الله أني منهم، فأنزل الله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾. ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٤).
وعن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري قال: لما نزلت: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، قال: أنتم ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، قال: أنتم، ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾، قال: أنتم. الطبري (١٧/ ٦٧٨ و٦٨٢)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣٥)، و«لباب النقول» (ص: ١٤٩) وفيه: «فأنزل الله» بدل: «فتلا النبي ﷺ».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن
لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا
نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ
سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ
غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ
﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾

نصف الحزب ٣٨

٢٧
سُورَةُ النَّمْلِ

مكية، وهي ثلاثٌ أو أربع أو خمس وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿طس﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ القُرآنِ﴾: آياتٌ منه، ﴿وكِتابٍ مُبِينٍ﴾: مُظهِرٍ للحقّ من الباطل ـ عطفٌ بزيادة صفة ـ (٢) ـ هو ﴿هُدًى﴾ أي: هادٍ من الضلالة ﴿وبُشرَى لِلمُؤمِنِينَ﴾: المُصدّقين به بالجنّة، (٣) ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: يأتون بها على وجهها، ﴿ويُؤتُونَ﴾: يُعطُون ﴿الزَّكاةَ، وهُم بِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ﴾: يعلمونها بالاستدلال وأُعيد «هم» لمّا فُصل بينه وبين الخبر.

(٤) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ زَيَّنّا لَهُم أعمالَهُم﴾ القبيحة بتركيب الشهوة، حتّى رأَوها حسنة ـ ﴿فهُم يَعمَهُونَ﴾: يتحيّرون فيها لِقُبحها عِندنا ـ (٥) ـ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُم سُوءُ العَذابِ﴾: أشدُّه في الدنيا القتلُ والأسر، ﴿وهُم في الآخِرةِ هُمُ الأخسَرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم، (٦) ـ ﴿وإنَّكَ﴾ ـ خِطابٌ للنبيّ ـ ﴿لَتُلَقَّى القُرآنَ﴾: يُلقى عليك بشِدّة، ﴿مِن لَدُنْ﴾: من عِند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

(٧) ـ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى لِأهلِهِ﴾ زوجته عِند مسيره من مَدْيَنَ إلى مِصرَ: ﴿إنِّي آنَستُ﴾: أبصرت من بعيدٍ ﴿نارًا، سآتِيكُم مِنها بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق ـ وكان قد ضلّها ـ ﴿أو آتِيكُم بِشِهابِ قَبَسٍ﴾، بالإضافةِ للبيان وتركِها، أي: شُعلةِ نار في رأس فتيلةٍ أو عُودٍ، ﴿لَعَلَّكُم تَصطَلُونَ﴾: تستدفئون من البرد. والطاء بدل من تاء الافتعال، من: صَلي بالنار، بكسر اللام وفتحها.

(٨) ـ ﴿فلَمّا جاءَها نُودِيَ أنْ﴾ أي: بأنْ ﴿بُورِكَ﴾ أي: باركَ اللهُ ﴿مَن في النّارِ﴾ أي: مُوسَى ﴿ومَن حَولَها﴾ أي: الملائكةُ، أو العكس ـ وباركَ: يتعدّى بنفسه وبالحرف. ويُقدَّر بعدَ «في»: «مكانِ» ـ ﴿وسُبحانَ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ من جُملة ما نُودي، ومعناه: تنزيهُ اللهِ من السوء!

(٩) ـ (١٠) ـ ﴿يا مُوسَى، إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿أنا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ. وألقِ عَصاكَ﴾، فألقاها ﴿فلَمّا رآها تَهتَزُّ﴾: تتحرّك، ﴿كأنَّها جانٌّ﴾: حيّةٌ خفيفة، ﴿وَلَّى مُدبِرًا ولَم يُعَقِّبْ﴾: يَرجِعْ.

قال تعالى: ﴿يا مُوسَى، لا تَخَفْ﴾ منها ـ ﴿إنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ﴾: عِندي ﴿المُرسَلُونَ﴾ من حيّة أو غيرها. (١١) ـ ﴿إلّا﴾: لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسَه، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسنًا﴾: أتاه ﴿بَعدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب، ﴿فإنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أقبلُ التوبة وأغفر له ـ (١٢) ـ ﴿وأدخِلْ يَدَكَ في جَيبِكَ﴾: طوقِ قميصك، ﴿تَخرُجْ﴾ خِلافَ لونها من الأُدمة ﴿بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ﴾: برَصٍ لها شُعاع يُغشّي البصر، آيةً ﴿في تِسعِ آياتٍ﴾، مُرسَلًا بها ﴿إلى فِرعَونَ وقَومِهِ. إنَّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ﴾.

(١٣) ـ ﴿فلَمّا جاءَتْهُم آياتُنا مُبصِرةً﴾ أي: مُضيئة واضحة ﴿قالُوا: هذا سِحرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنٌ ظاهر.

﴿هدًى﴾: هادٍ مِنَ الضَّلالةِ. ﴿فهم يعمهون﴾: يعمونَ عنِ الرُّشدِ أو يتحيَّرونَ. ﴿آنستُ نارًا﴾: أبصرتُها إبصاراً بيِّناً. ﴿بشهاب قبس﴾: بشُعلةِ نارٍ ساطعةٍ مقبوسةٍ مِن أصلِها. ﴿تصطلون﴾: تستدفئونَ بها مِنَ البردِ. ﴿بُورك﴾: قدِّسَ وطُهِّرَ وزيدَ خيراً. ﴿من في النار ومن حولها﴾: الَّذينَ في ذلكَ الوادي الَّذي بدا فيهِ النُّورُ وهم موسى والملائكة. ﴿تهتزّ﴾: تتحرَّكُ بشدَّةٍ واضطرابٍ. ﴿كأنّها جانّ﴾: حيَّةٌ خفيفةٌ في سرعةِ حركتِها. ﴿لم يُعقّب﴾: لم يرجعْ على عقِبِهِ أو لم يلتفتْ. ﴿في جيبك﴾: فتحةِ القميصِ حيثُ يُدخلُ الرَّأسُ. ﴿بيضاء﴾: نيِّرةً يغلبُ نورُها نورَ الشَّمسِ. ﴿غير سوء﴾: غيرِ داءِ برصٍ ونحوِهِ. ﴿مبصرة﴾: واضحةً بيِّـنةً هاديةً.

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ
ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ ـ ﴿**وجَحَدوا بها**﴾ أي: لم يُقِرُّوا، ﴿**و**﴾ قد ﴿**استَيقَنَتْها أنفُسُهم**﴾ أي: تيقّنوا أنها من عِند الله، ﴿**ظُلمًا وعُلوًّا**﴾: تكبّرًا عن الإيمان بما جاء به مُوسَى. راجعٌ إلى الجحد. ﴿**فانظُرْ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ**﴾: التي علمتَها من إهلاكهم[1]؟

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٦﴾ ـ ﴿**ولَقَد آتينا داوُدَ وسُلَيمانَ**﴾ ابنه ﴿**عِلمًا**﴾ بالقضاء بين الناس ومنطقِ الطير وغير ذلك، ﴿**وقالا**﴾ شكرًا[2] لله: ﴿**الحَمدُ للهِ الَّذي فَضَّلَنا**﴾ بالنبوّة وتسخير الجنّ والإنس والشياطين ﴿**على كَثيرٍ مِن عِبادِهِ المُؤمِنينَ**. **ووَرِثَ سُلَيمانُ داوُدَ**﴾ النبوّةَ والعِلم، ﴿**وقالَ: يا أيُّها النّاسُ، عُلِّمْنا منطِقَ الطَّيرِ**﴾ أي: فهمَ أصواته، ﴿**وأُوتينا مِن كُلِّ شَيءٍ**﴾، يُؤتاه الأنبياءُ والمُلوك. ﴿**إنَّ هذا**﴾ المُؤتَى ﴿**لَهُوَ الفَضلُ المُبينُ**﴾: البيِّن الظاهر. ﴿١٧﴾ ـ ﴿**وحُشِرَ**﴾: جُمع ﴿**لِسُلَيمانَ جُنودُهُ مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ**﴾ في مسير له، ﴿**فهُم يُوزَعُونَ**﴾: يُجمعون ثمّ يُساقون.

﴿١٨﴾ ـ ﴿**حَتَّى إذا أتَوا على وادِ النَّملِ**﴾ ـ هو بالطائف أو بالشام، نملُه صِغار أو كِبار ـ ﴿**قالَتْ نَملةٌ**﴾ ملِكة النمل، وقد رأت جُند سليمان: ﴿**يا أيُّها النَّملُ، ادخُلوا مَساكِنَكُم، لا يَحطِمَنَّكُم**﴾: يكسِرنّكم[3] ﴿**سُلَيمانُ وجُنودُهُ، وهُم لا يَشعُرونَ**﴾ بهلاككم. ونُزِّل النمل منزلة العُقلاء في الخِطاب بخطابهم. ﴿١٩﴾ ـ ﴿**فتَبَسَّمَ**﴾ سُليمان ابتداء ﴿**ضاحِكًا**﴾ انتهاء ﴿**مِن قَولِها**﴾، وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح، فحبس جُنده حين أشرف على واديهم، حتّى دخلوا بُيوتَهم، وكان جنده رُكبانًا ومُشاة في هذا المسير، ﴿**وقال: رَبِّ، أوزِعْني**﴾: ألهِمني ﴿**أن أشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتي أنعَمتَ**﴾ بها ﴿**عَلَيَّ وعلَى والِدَيَّ، وأن أعمَلَ صالِحًا تَرضاهُ، وأدخِلْني بِرَحمَتِكَ في عِبادِكَ الصّالِحِينَ**﴾: الأنبياء والأولياء.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿**وتَفَقَّدَ الطَّيرَ**﴾ ليرى الهُدهدَ الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدلُّ عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يرَه ﴿**فقالَ: ماليَ لا أرَى الهُدهُدَ**﴾ أي: أعرَضَ لي ما منعني من رؤيته؟ ﴿**أم كانَ مِنَ الغائِبينَ**﴾ فلم أره لغَيبته؟ فلمّا تحقَّقها. قال: ﴿٢١﴾ ـ ﴿**لأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا**﴾ أي: تعذيبًا ﴿**شَدِيدًا**﴾ بنتف ريشه وذنبه، ورميه في الشمس فلا يمتنع على الهوامّ، ﴿**أو لَأَذبَحَنَّهُ**﴾ بقطع حُلقومه، ﴿**أو لَيأتِيَنِّي**﴾ ـ بنون شديدة مكسورةٍ أو مفتوحةٍ يليها نون مكسورة ـ ﴿**بِسُلطانٍ مُبينٍ**﴾: برهان بيّن ظاهر على عُذره.

﴿٢٢﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ـ ﴿**فمَكُثَ**﴾ ـ بضمّ الكاف وفتحها ـ ﴿**غَيرَ بَعيدٍ**﴾ أي: يسيرًا من الزمان، وحضر لسُليمانَ مُتواضعًا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه، فعفا عنه وسأله عمّا لقي في غَيبته، ﴿**فقالَ: أحَطتُ بِما لَم تُحِطْ بِهِ**﴾ أي: اطّلعت على ما لم تطّلع عليه، ﴿**وجِئتُكَ مِن سَبَإٍ**﴾ ـ بالصرف وتركه: قبيلةٌ باليمن سُمّيت باسم جدٍّ لهم باعتباره صُرِفَ ـ ﴿**بِنَبَإٍ**﴾: بخبر ﴿**يَقِينٍ**﴾..

﴿**عُلوًّا**﴾: ترفُّعاً واستكباراً عنِ الإيمانِ بها. ﴿**منطِقَ الطَّيرِ**﴾: فهمَ أغراضِهِ كلِّها مِن أصواتِهِ. ﴿**فهم يوزعون**﴾: يوقفُ أوائلُهُم لتلحقهم أواخرُهُم. ﴿**لا يحطمنكم**﴾: لا يكسرَنَّكُم ويُهلِكنَّكُم. ﴿**أوزعني..**﴾: ألهِمْني وحرِّضْني واجعلْني... ﴿**بسلطانٍ مبينٍ**﴾: بحجّةٍ تبيِّنُ عُذرَهُ في غيبتِهِ.

(١) بيانٌ للعاقبةِ، وهو الإغراقُ في الدُّنيا، والإحراقُ في العُقبى. (الجمالين).

(٢) أي: قاما بالشُّكرِ قَلباً وفِعلاً وقالاً. (الجمالين).

(٣) نهيٌ لهم عن الحَطمِ، والمرادُ: نَهيُها عن التَّوقُّفِ بحيثُ يحطِمونَها؛ كقوله: لا أرينَّكَ هاهنا. (الجمالين).

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ ۞قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ
إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إنّي وَجَدْتُ امرأةً تَملِكُهُم﴾ أي: هي مَلِكة لهم اسمها بِلقيس، ﴿وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعُدّة، ﴿ولَها عَرشٌ﴾: سرير ﴿عَظِيمٌ﴾، طوله ثمانون ذِراعًا وعرضه أربعون ذِراعًا وارتفاعه ثلاثون ذِراعًا، مضروب من الذهب والفضّة، مُكلّل بالدّرّ والياقوت الأحمر والزَّبَرجَد الأخضر والزّمرّد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزَّبَرجَد الأخضر والزّمرّد، عليه سبعة أبواب، على كُلّ بيت باب مغلق.

الحزب ٣٨ — سجدة

﴿٢٤﴾ ـ ﴿٢٥﴾ ـ ﴿وجَدتُها وقَومَها يَسجُدُونَ لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللهِ، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم، فصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق، ﴿فهُم لا يَهتَدُونَ ألاّ يَسجُدُوا لِلهِ﴾ أي: أن يسجدوا له ـ فزيدتْ «لا» وأُدغم فيها نون «أن» كما في قوله تعالى: «لِئلاّ يَعلَمَ أهلُ الكِتابِ». والجملة: في موضع مفعول «يهتدون» بإسقاط «إلى» ـ ﴿الَّذي يُخرِجُ الخَبْءَ﴾: مصدرٌ بمعنى المخبوء من المطر والنبات، ﴿في السَّماواتِ والأرضِ، ويَعلَمُ ما يُخفُونَ﴾ في قُلوبهم ﴿وما يُعلِنُونَ﴾ بألسنتهم. ﴿٢٦﴾ ـ ﴿اللهُ لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ، رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾. استئنافُ جملةِ ثناءٍ مُشتملٍ على عرش الرحمن في مُقابلة عرش بِلقيس، وبينهما بونٌ عظيم.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿قالَ﴾ سُليمان للهُدهد: ﴿سَنَنظُرُ: أصَدَقتَ﴾ فيما أخبرتَنا به، ﴿أم كُنتَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ أي: من هذا النوع؟ فهو أبلغ من: أم كذبتَ فيه. ثمّ دلّهم على الماء فاستُخرج، وارتوَوا وتوضّؤوا وصلّوا، ثمّ كتب سُليمان كِتابًا صُورته: «مِن عَبدِ اللهِ سُلَيمانَ بنِ داوُدَ إلى بِلقِيسَ مَلِكةِ سَبأ. بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. السَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بَعدُ فلا تَعلُوا علَيَّ، وائتُونِي مُسلِمِينَ»، ثمّ طبعه بالمِسك وختمه بخاتَمه، ثمّ قال للهُدهد: ﴿٢٨﴾ ـ ﴿اذهَبْ بِكِتابِي هذا، فألقِهْ إلَيهِم﴾: إلى بِلقيس وقومها، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾: انصرِفْ ﴿عَنهُم﴾ وقفْ قريبًا منهم، ﴿فانظُرْ: ماذا يَرجِعُونَ﴾: يردّون من الجواب؟

فأخذه وأتاها، وحولَها جُندُها، فألقاه في حَجرِها، فلما رأته أُرعِدَت وخَضعت خوفًا، ثمّ وقفت على ما فيه، ثمّ ﴿٢٩﴾ ـ ﴿قالَتْ﴾ لأشراف قومها: ﴿يا أيُّها المَلَأُ، إنِّيَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وقلبِ الثانية واوًا ـ ﴿أُلقِيَ إلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ﴾: مختوم. ﴿٣٠﴾ ـ ﴿٣١﴾ ـ ﴿٣٢﴾ ـ ﴿إنَّهُ مِن سُلَيمانَ، وإنَّهُ﴾ أي: مضمونَه ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. ألّا تَعلُوا علَيَّ، وائتُونِي مُسلِمِينَ. قالَتْ: يا أيُّها المَلَأُ، أفتُونِي﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وقلبِ الثانية واوًا ـ أي: أشيروا عليَّ ﴿في أمرِي. ما كُنتُ قاطِعةً أمرًا﴾: قاضيتَه ﴿حَتَّى تَشهَدُونِ﴾: تَحضُرونِ.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿قالُوا: نَحنُ أُولُو قُوّةٍ، وأُولُو بأسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحابُ شِدّة في الحرب، ﴿والأمرُ إلَيكِ. فانظُرِي: ماذا تأمُرِينَ﴾ ـنا؟ نُطِعْك. ﴿٣٤﴾ ـ ﴿قالَتْ: إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قَريةً أفسَدُوها﴾ بالتخريب، ﴿وجَعَلُوا أعِزّةَ أهلِها أذِلّةً ـ وكَذلِكَ يَفعَلُونَ﴾ أي: مُرسِلو الكتاب ـ ﴿٣٥﴾ ـ ﴿وإنِّي مُرسِلةٌ إلَيهِم بِهَدِيّةٍ، فناظِرةٌ: بِمَ يَرجِعُ المُرسَلُونَ﴾ من قَبول الهديّة أو ردّها؟ إن كان مَلِكًا قبلها، أو نبيًّا لم يقبلها.

فأرسلت خَدَمًا ذكورًا وإناثًا ألفًا بالسويّة[1]، وخمسَمِائةِ لَبِنةٍ من الذهب وتاجًا مُكلّلاً بالجواهر ومِسكًا وعنبرًا وغير ذلك، مع رسول بكتاب. فأسرع الهُدهد إلى سُليمان، يُخبره الخبر، فأمر أن تُضرب لَبِناتُ الذهب والفِضّة، وأن تُبسط من موضعه إلى تسعة فراسخَ مَيدانًا، وأن يبنوا حوله حائطًا مُشرفًا من الذهب والفِضّة، وأن يُؤتى بأحسن دوابّ البرّ والبحر مع أولاد الجِنّ عن يمين المَيدان وشِماله.

﴿يُخرج الخبء﴾: يُظهِرُ المخبوءَ المستورَ أيًّا كانَ. ﴿تولّ عنهم﴾: تنحَّ عنهُم قليلاً. ﴿لا تعلوا عليّ﴾: لا تتكبَّروا عليَّ. ﴿مُسلمين﴾: مُؤمنينَ. أو مُنقادينَ مُستسلمينَ. ﴿تشهدونِ﴾: تحضرونِ. أو تشيروا عليَّ. ﴿أولوا بأس﴾: أصحابُ نجدةٍ وبلاءٍ في الحربِ.

(١) ذكره الثعلبي (٢٠/ ٢٤٨) وما بعدها مطولاً عن وهب بن منبه.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾
قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ
وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠
ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ
قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا
عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا
وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن
قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

(٣٦) ـ ﴿فلمّا جاءَ﴾ الرسول بالهديّة، ومعه أتباعُه، ﴿سُليمانَ قالَ: أتُمِدُّونَني بِمالٍ؟ فَما آتانيَ اللهُ﴾ من النبوّة والمُلك ﴿خَيرٌ مِمّا آتاكُم﴾ من الدنيا. ﴿بَل أنتُم بِهَدِيّتِكُم تَفرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

(٣٧) ـ ﴿ارجِعْ إليهِم﴾ بما أتيتَ به من الهديّة. ﴿فلَنأتِيَنّهُم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ﴾: لا طاقة ﴿لَهُم بِها، ولَنُخرِجَنّهُم مِنها﴾ من بلدهم سبأ ـ سُمّيت باسم أبي قبيلتهم ـ ﴿أذِلّةً وهُم صاغِرُونَ﴾، إن لم يأتوني مُسلمين.

فلمّا رَجَعَ إليها الرسول بالهديّة جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرُها داخلَ سبعة قصور، وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسًا، وتجهّزت للمسير إلى سُليمان، لتنظر ما يأمرها به. فارتحلت في اثني عشرَ ألفَ قَيلٍ، مع كل قَيلِ ألوفٌ كثيرة، إلى أن قرُبت منه على فرسخ شعر بها.

(٣٨) ـ ﴿قالَ: يا أيُّها المَلأُ، أيُّكُم﴾ ـ في الهمزتين ما تقدّم ـ ﴿يأتِيني بِعَرشِها قَبلَ أن يأتُوني مُسلِمِينَ﴾ أي: منقادِين طائعين؟ فلي أخذُه قبلَ ذلك لا بعده.

(٣٩) ـ ﴿قالَ عِفرِيتٌ مِنَ الجِنِّ﴾ هو القويّ الشديد: ﴿أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أن تَقُومَ مِن مَقامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من الغداة إلى نصف النهار، ﴿وإنّي عَلَيهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها.

قال سُليمان: أريد أسرع من ذلك. (٤٠) ـ ﴿قالَ الّذِي عِندَهُ عِلمٌ مِنَ الكِتابِ﴾ المُنزَل، وهو آصِفُ بنُ بَرْخَيا، كان صِدّيقًا يعلم اسم الله الأعظمَ الذي إذا دُعي به أجاب: ﴿أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أن يَرتَدَّ إلَيكَ طَرفُكَ﴾، إذا نظرت به إلى شيء ما. قال له: انظر إلى السماء. فنظر إليها ثمّ ردّ بطرفه، فوجده موضوعًا بين يديه. ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به، فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى ارتفع عند كرسيّ سليمان.

﴿فلَمّا رآهُ مُستَقِرًّا﴾ أي: ساكنًا ﴿عِندَهُ قالَ: هذا﴾ أي: الإتيان لي به ﴿مِن فَضلِ رَبّي، لِيَبلُوَني﴾: ليختبرني: ﴿أأشكُرُ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المسهّلة والأُخرى، وتركِه ـ ﴿أم أكفُرُ﴾ النِّعمة؟ ﴿ومَن شَكَرَ فإنّما يَشكُرُ لِنَفسِهِ﴾ أي: لأجلها لأنّ ثواب شُكره له، ﴿ومَن كَفَرَ﴾ النِّعمة ﴿فإنّ رَبّي غَنِيٌّ﴾ عن شُكرِه ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال على من يكفرها.

(٤١) ـ ﴿قالَ: نَكِّرُوا لَها عَرشَها﴾ أي: غيّروه إلى حالٍ تُنكره إذا رأته، ﴿نَنظُرْ: أتَهتَدِي﴾ إلى معرفته ﴿أم تَكُونُ مِنَ الّذِينَ لا يَهتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يُغيّر عليهم؟ قصد بذلك اختبار عقلها لِما قيل له: إن فيه شيئًا. فغيّروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك.

(٤٢) ـ (٤٣) ـ ﴿فلَمّا جاءَت قِيلَ﴾ لها: ﴿أهكَذا عَرشُكِ﴾ أي: أمِثلُ هذا عرشُكِ؟ ﴿قالَت: كأنّهُ هُوَ﴾ أي: فعرفته، وشَبّهت عليهم كما شبّهوا عليها، إذ لم يُقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل «هذا» قالت: نعم. قال سُليمان لمّا رأى لها معرفة وعِلمًا: ﴿وأُوتِينا العِلمَ مِن قَبلِها، وكُنّا مُسلِمِينَ. وصَدَّها﴾ عن عِبادة الله ﴿ما كانَت تَعبُدُ، مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه. ﴿إنّها كانَت مِن قَومٍ كافِرِينَ﴾.

(٤٤) ـ ﴿قِيلَ لَها﴾ أيضًا: ﴿ادخُلي الصَّرحَ﴾. هو سطح من زُجاج أبيضَ شفّافٍ، تحته ماء جارٍ، فيه سمك اصطنعه سُليمان، لِما قيل له: إنّ ساقيها ورجليها كقدَمَي حِمار ﴿فلَمّا رأتهُ حَسِبَتهُ لُجّةً﴾ من الماء، ﴿وكَشَفَت عَن ساقَيها﴾ لتخوضه. وكان سُليمان على سريره في صدر الصرح، فرأى ساقيها وقدميها حِسانًا. ﴿قالَ﴾ لها: ﴿إنّهُ صَرحٌ مُمَرَّدٌ﴾: مُملّس ﴿مِن قَوارِيرَ﴾ أي: زجاج. ودعاها إلى الإسلام. ﴿قالَت: رَبِّ، إنّي ظَلَمتُ نَفسِي﴾ بعبادة غيرك، ﴿وأسلَمتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيمانَ لله رَبِّ العالَمِينَ﴾.

وأراد تزوّجها فكره شعر ساقيها، فعملت له الشياطين النُّورةَ فأزالته بها، فتزوجها وأحبّها وأقرّها على مُلكها، وكان يزورها في كلّ شهر مرّة، ويُقيم عِندها ثلاثة أيام. وانقضى مُلكها بانقضاء مُلك سُليمان. رُوي أنه ملكَ وهو ابن ثلاثَ عشْرةَ سنةً، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. فسُبحان مَن لا انقضاء لدوام مُلكه.

﴿لا قِبَلَ لهم بها﴾: لا طاقةَ لهُم بمقاومتِها. ﴿هم صاغرون﴾: ذليلونَ بالأسرِ والاستعبادِ. ﴿الذي عنده علم﴾: آصَفُ أو جبريلُ أو ملكٌ آخرُ. ﴿طرْفك﴾: نظرُكَ. أو جفنُ عينِكَ بعدَ فتحِهِ. ﴿ليبلُوَني﴾: لِيَختبرَني ويمتحنَني. ﴿نكّروا﴾: غيِّروا. ﴿ادخلي الصّرح﴾: القصرَ. أو ساحتَهُ أو بركتَهُ. ﴿حسبته لُجّة﴾: ظنَّتْهُ ماءً غزيراً. ﴿صرح ممرّد﴾: مُمَلَّسٌ مُسوّىً. ﴿من قوارير﴾: زجاجٍ شفَّافٍ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

(٤٥) ـ ﴿**ولَقَد أرسَلْنا إلَى ثَمُودَ أخاهُم**﴾ من القبيلة ﴿**صالِحًا أنِ**﴾ أي: بأن ﴿**اعبُدُوا اللهَ**﴾: وحّدوه، ﴿**فإذا هُم فَرِيقانِ يَختَصِمُونَ**﴾ في الدِّين: فريقٌ مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون. (٤٦) ـ ﴿**قالَ**﴾ للمُكذّبين: ﴿**يا قَومِ، لِمَ تَستَعجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنةِ**﴾ أي: بالعذاب[1] قبل الرحمة، حيثُ قلتم: إن كان ما أتيتَنا به حقًّا فائتِنا بالعذاب؟ ﴿**لَولا**﴾: هلاّ ﴿**تَستَغفِرُونَ اللهَ**﴾ من الشِّرك، ﴿**لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾ فلا تُعذَّبون.

(٤٧) ـ ﴿**قالُوا: اطَّيَّرْنا**﴾ ـ أصله: «تَطَيَّرنا»، أُدغمت التاء في الطاء، واجتُلبت همزة وصل ـ أي: تشاءمنا ﴿**بِكَ وبِمَن مَعَكَ**﴾ أي: المؤمنين، حيثُ قُحِطوا المطرَ وجاعوا. ﴿**قالَ: طائرُكُم**﴾: شُؤمكم[2] ﴿**عِندَ اللهِ**﴾ أتاكم به. ﴿**بَل أنتُم قَومٌ تُفتَنُونَ**﴾: تختبَرون بالخير والشرّ.

(٤٨) ـ ﴿**وكانَ في المَدِينةِ**﴾ مدينةِ ثمودَ ﴿**تِسْعةُ رَهطٍ**﴾ أي: رجالٍ، ﴿**يُفسِدُونَ في الأرضِ**﴾ بالمعاصي، منها قرضهم الدنانيرَ والدراهم، ﴿**ولا يُصلِحُونَ**﴾ بالطاعة. (٤٩) ـ ﴿**قالُوا**﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿**تَقاسَمُوا**﴾ أي: احلِفوا ﴿**بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ**﴾ ـ بالنونِ، والتاءِ وضمّ التاء الثانية ـ ﴿**وأهلَهُ**﴾ أي: مَن آمن به، أي: نقتلُهم ليلاً، ﴿**ثُمَّ لَنَقُولَنَّ**﴾ ـ بالنونِ، والتاءِ وضمّ اللام الثانية ـ ﴿**لِوَلِيِّهِ**﴾ أي: وليّ دمه: ﴿**ما شَهِدْنا**﴾: حضرنا ﴿**مُهلَكَ أهلِهِ**﴾، بضمِّ الميم وفتحِها، أي: إهلاكَهم أو هلاكَهم. فلا ندري: مَن قتلهم؟ ﴿**وإنّا لَصادِقُونَ**﴾.

(٥٠) ـ (٥١) ـ ﴿**ومَكَرُوا**﴾ في ذلك ﴿**مَكرًا، ومَكَرْنا مَكرًا**﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عُقوبتهم، ﴿**وهُم لا يَشعُرُونَ. فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ مَكرِهِم؟ إنّا دَمَّرْناهُم**﴾: أهلكناهم ﴿**وقَومَهُم أجمَعِينَ**﴾ بصيحة جِبريل أو برمي الملائكة بحِجارة يرونها ولا يرونهم ـ (٥٢) ـ ﴿**فتِلكَ بُيُوتُهُم خاوِيةً**﴾: خالية، ونصبه على الحال والعاملُ فيها معنى الإشارة، ﴿**بِما ظَلَمُوا**﴾: بظُلمهم أي: كُفرهم ﴿**إنَّ في ذلِكَ لَآيةً**﴾: لَعِبرةً ﴿**لِقَومٍ يَعلَمُونَ**﴾ قُدرتنا فيتّعظون ـ (٥٣) ـ ﴿**وأنجَينا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف، ﴿**وكانُوا يَتَّقُونَ**﴾ الشِّرك.

(٥٤) ـ ﴿**ولُوطًا**﴾: منصوب بـ «اذكرْ» مُقدّرًا قبله، ويُبدل منه: ﴿**إذ قالَ لِقَومِهِ: أتأْتُونَ الفاحِشةَ**﴾ أي: اللِّواطَ، ﴿**وأنتُم تُبصِرُونَ**﴾ أي: يُبصر[3] بعضكم بعضًا انهماكًا في المعصية؟ (٥٥) ـ ﴿**أإنَّكُم**﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿**لَتأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوةً مِن دُونِ النِّساءِ؟ بَل أنتُم قَومٌ تَجهَلُونَ**﴾ عاقبةَ فِعلكم.

﴿اطّيّرنا﴾: تشاءمْنا حيثُ أُصبْنا بالشّدائد. ﴿طائركم عند الله﴾: شؤمُكم عملُكُمُ المكتوبُ عليكم عندَهُ تعالى. ﴿قوم تُفتنون﴾: يفتنُكُمُ الشَّيطانُ بوسوستِهِ. ﴿تسعة رهط﴾: أشخاص مِنَ الرُّؤساءِ معَ كلِّ رهطٍ. ﴿تقاسموا بالله﴾: تحالفوا باللهِ. أوِ احلِفوا بِهِ. ﴿لنُبيّتنّه وأهلَه﴾: لنقتلنَّهُم ليلاً بغتةً. ﴿مهلِك أهله﴾: هلاكَهُم. ﴿دمّرناهم﴾: أهلكْناهُم. ﴿خاوية﴾: خاليةً خربَةً أو ساقطةً متهدِّمةً. ﴿أنتم تُبصرون﴾: لا تبالونَ إظهارَها مَجانَةً.

(١) أي: بطلبهِ قبلَ طلبِ الرَّحمةِ؛ يعني: كان اللاَّئِقُ طلبَ الرَّحمةِ وتقديمَهُ للتَّخليصِ من العذابِ.

أو: بالعقوبةِ قبل التَّوبةِ، فتؤخِّرونَها إلى نزولِ العقابِ، فإنَّهم كانوا يقولونَ: إن صدقَ إيعادهُ تُبْنا حينئذٍ فائتِنا بالعذابِ، حيثُ قالوا: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]. (الجمالين).

(٢) الظَّاهرُ: ما يصيبكُم من الخيرِ والشَّرِّ ﴿عندَ اللهِ﴾ بأمرِهِ وقضائِهِ وقدرِهِ، وهو مكتوبٌ عليكُم، وسُمِّي طائراً لسُرعةِ نزولِهُ بالإنسانِ، فإنه لا شيءَ أسرعُ من قضاءٍ محتومٍ. (الجمالين).

(٣) أو: يعلمُونَ فُحشَها، من بَصَرِ القلبِ، واقترافُ القبائحِ من العالِمِ بقُبحِها أقبَحُ. (الجمالين).

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا
عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ
﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن
تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ
لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي
ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ
رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(الجزء ٢٠، الحزب ٣٩)

٥٦ ـ ﴿فَما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلاّ أن قالُوا: أخرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾: أهلَه ﴿مِن قَرْيتِكُم. إنَّهُم أُناسٌ يَتطَهَّرُونَ﴾ مِن أدبار الرجال. ٥٧ ـ ﴿فأنجَيناهُ وأهلَهُ إلاّ امرأتَهُ، قَدَّرْناها﴾: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب، ٥٨ ـ ﴿وأمطَرْنا عليهِم مَطَرًا﴾، هو حجارة السِّجّيل أهلكتْهم، ﴿فساءَ﴾: بئس ﴿مَطَرُ المُنذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرُهم!

٥٩ ـ ﴿قُلِ﴾ يا مُحمّد: ﴿الحَمدُ لِلهِ﴾ على هلاك كُفّار الأُمم الخالية، ﴿وسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصطَفَا﴾ هُم[1] ﴿آللهُ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركِه ـ ﴿خَيرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أم ما يُشرِكُونَ﴾، بالياء والتاء، أي: أهلُ مكّة به الآلهةَ، خيرٌ لعابديها؟

٦٠ ـ ﴿أم مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنزَلَ لَكُم مِنَ السَّماءِ ماءً فأنبَتْنا﴾ ـ فيه التفاتٌ من الغَيبة إلى التكلّم ـ ﴿بِهِ حَدائِقَ﴾: جمع حديقة، وهو البستان المُحوّط، ﴿ذاتَ بَهْجةٍ﴾: حُسنٍ، ﴿ما كانَ لَكُم أن تُنبِتُوا شَجَرَها﴾ لعدم قُدرتكم عليه؟ ﴿أإلـٰهٌ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، في مواضعه السبعة ـ ﴿مَعَ اللهِ﴾ أعانه على ذلك؟ أي: ليس معه إلـٰهٌ. ﴿بَل هُم قَومٌ يَعدِلُونَ﴾: يُشركون[2] بالله غيرَه.

٦١ ـ ﴿أم مَن جَعَلَ الأرضَ قرارًا﴾ أي: لا تميد بأهلها، ﴿وجَعَلَ خِلالَها﴾ فيما بينها ﴿أنهارًا، وجَعَلَ لَها رَواسِيَ﴾: جِبالاً أثبتَ[3] بها الأرض، ﴿وجَعَلَ بَينَ البَحرَينِ حاجِزًا﴾: بين العذب والمِلح[4]، لا يختلط أحدهما بالآخر؟ ﴿أإلـٰهٌ مَعَ اللهِ؟ بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ﴾ توحيدَه.

٦٢ ـ ﴿أم مَن يُجِيبُ المُضطَرَّ﴾: المكروب[5] الذي مسّه الضُّرُّ ﴿إذا دَعاهُ، ويَكشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره[6]، ﴿ويَجعَلُكُم خُلَفاءَ الأرضِ﴾ ـ الإضافةُ بمعنى «في» ـ أي: يَخلُفُ كُلُّ قرن القرنَ الذي قبله؟ ﴿أإلـٰهٌ مَعَ اللهِ؟ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾: تتّعظون. بالفَوقانيّة والتحتانيّة، وفيه إدغام التاء في الذال، وما: زائدة لتقليل القليل.

٦٣ ـ ﴿أم مَن يَهدِيكُم﴾: يُرشدُكم إلى مقاصدكم ﴿في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهارًا، ﴿ومَن يُرسِلُ الرِّياحَ نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحْمتِهِ﴾ أي: قُدّامَ المطر؟ ﴿أإلـٰهٌ مَعَ اللهِ؟ تَعالَى اللهُ عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به غيرَه!

﴿يتطهّرون﴾: يزعمونَ التّنزُّهَ عمّا نفعلُ. ﴿قدّرناها﴾: حكمْنا عليها. ﴿من الغابرين﴾: بجعلِها مِنَ الباقينَ في العذابِ. ﴿مطراً﴾: حجارةً مِنَ السَّماءِ مُهلِكَةً. ﴿حدائق ذات بهجة﴾: بساتينَ ذاتَ حُسنٍ ورونقٍ. ﴿قوم يعدِلون﴾: ينحرفونَ عنِ الحقِّ إلى الباطلِ. ﴿الأرض قراراً﴾: مستقرّاً بالدَّحوِ والتَّسويةِ. ﴿رواسي﴾: جبالاً ثوابتَ لئلّا تميدَ. ﴿حاجزاً﴾: فاصلاً يمنعُ اختلاطَهُما. ﴿رحمته﴾: المطرِ الّذي بهِ تَحيَا الأرضُ.

(١) بالرِّسالةِ وبالعِصمةِ من الفواحشِ والنَّجاةِ من الهلاكِ. (الجمالين).

(٢) حاصلُ المعنى والتَّفسيرِ: يُسَوُّونَ به غيرَهُ، أو: يَعدِلونَ عن الحقِّ الذي هو التَّوحيدُ. (الجمالين).

(٣) وكوَّنَ فيها المعادِنَ، وأنبعَ من حَضِيضهَا المنابعَ، وغيرَ ذلكَ مِن المنافِعِ. (الجمالين).

(٤) بَرزَخاً ومانِعاً حسيًّا أو معنويًّا. (الجمالين).

(٥) قالَ القاضي: اللاّمُ للجِنسِ لا للاستِغراقِ، فلا يلزمُ منه إجابةُ كُلِّ مُضطرٍّ. (الجمالين).

(٦) ولذا قالَ القاضِي: ويدفَعُ عن الإنسانِ ما يسوءهُ. لكنَّ الأولى: «يَرفَعُ» بدلَ: «يَدْفَعُ». (الجمالين).

أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل
لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ
أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي
شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا
كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا
نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨
قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
٦٩ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٧١ قُلۡ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ٧٢ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٤ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ
فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٧٦

٦٤ ـ ﴿أم مَن يَبدأُ الخَلقَ﴾ في الأرحام من نُطفة، ﴿ثُمَّ يُعيدُهُ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها؟ ﴿ومَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات؟ ﴿أإلٰهٌ مَعَ اللهِ﴾؟ أي: لا يفعل شيئًا ممّا ذُكر إلاّ الله، ولا إلٰـهَ معه. ﴿قُلْ﴾ يا مُحمّد: ﴿هاتوا بُرهانَكُم﴾: حُجّتكم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ أن معي إلٰـهًا، فعل شيئًا ممّا ذُكر.

وسألوه عن وقت قيام الساعة، فنزل: ٦٥ ـ ﴿قُلْ: لا يَعلَمُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الغَيبَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿اللهُ﴾ يعلمه، ﴿وما يَشعُرُونَ﴾ أي: الكُفّارُ كغيرهم: ﴿أيّانَ﴾: وقتَ ﴿يُبعَثُونَ﴾.

٦٦ ـ ﴿بَل﴾ بمعنى: هل ﴿أدرَكَ﴾ ـ وزنُ «أكرَمَ». وفي قراءة أُخرى: «ادّارَكَ» بتشديد الدال، وأصله «تَدارَكَ» أُبدلت التاء دالاً وأُدغمت في الدال واجتُلبت همزة الوصل ـ أي: بلغَ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿عِلمُهُم في الآخِرةِ﴾ أي: بها، حتّى سألوا عن وقت مجيئها؟ ليس الأمر كذلك، ﴿بَل هُم في شَكٍّ مِنها، بَل هُم مِنها عَمُونَ﴾: مِن عَمَى القلبِ، وهو أبلغ[1] ممّا قبله. والأصل «عَمِيُونَ» استُثقلت الضمّة على الياء، فنُقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

٦٧ ـ ﴿وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ أيضًا في إنكار البعث: ﴿أإذا كُنّا تُرابًا وآباؤُنا أإنّا لَمُخرَجُونَ﴾ من القبور؟ ٦٨ ـ ﴿لَقَد وُعِدنا هذا نَحنُ وآباؤُنا مِن قَبلُ. إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾: جمع أُسطورة بالضمّ، أي: ما سُطر من الكذب. ٦٩ ـ ﴿قُلْ: سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُجرِمِينَ﴾ بإنكارهم، وهي هلاكهم بالعذاب؟ ٧٠ ـ ﴿ولا تَحزَنْ عليهِم[2]، ولا تَكُنْ في ضَيقٍ مِمّا يَمكُرُونَ﴾ ـ تسلية للنبيّ ـ أي: لا تهتمّ بمكرهم عليك، فأنا ناصرُك عليهم.

٧١ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ﴾ بالعذاب، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟ ٧٢ ـ ﴿قُلْ: عَسَى أن يَكُونَ رَدِفَ﴾: قَرُبَ ﴿لَكُم بَعضُ الَّذي تَستَعجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل ببدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

٧٣ ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضلٍ علَى النّاسِ﴾، ومنه تأخير العذاب عن الكُفّار، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَشكُرُونَ﴾ ـ فالكُفّار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه ـ ٧٤ ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَيَعلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُم﴾: تُخفيه ﴿وما يُعلِنُونَ﴾ بألسنتهم، ٧٥ ـ ﴿وما مِن غائبةٍ في السَّماءِ والأرضِ﴾ ـ الهاء: للمُبالغة ـ أي: شيءٍ في غاية الخفاء على الناس، ﴿إلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنٍ، هو اللوحُ المحفوظُ ومكنونُ عِلمه ـ تعالى ـ ومنه تعذيب الكُفّار.

٧٦ ـ ﴿إنَّ هذا القُرآنَ يَقُصُّ علَى بَنِي إسرائيلَ﴾ الموجودين في زمان نبيّنا ﴿أكثَرَ الَّذي هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ أي: ببيانِ ما ذُكر على وجهين، الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا، ....

﴿إدّارك علمهم في الآخرة﴾: تكاملَ واستحكمَ علمُهُم بأحوالِها وهوَ تهكُّمٌ بهم لفرطِ جهلِهِم بها. ﴿عمون﴾: عُميُ البصائرِ عن دلائلِها البيِّنة. ﴿أساطير الأوّلين﴾: أكاذيبُهُم المُسطّرةُ في كتبِهِم. ﴿ضيق﴾: حرجٍ وضيقِ صدرٍ. ﴿ردِف لكم﴾: لحقَكُم ووصلَ إليكُم. ﴿ما تكنّ صدورهم﴾: ما تُخفي وتسترُ مِنَ الأسرارِ. ﴿غائبة﴾: شيءٍ يغيبُ ويخفى عنِ الخلقِ.

(١) لأنَّ الشَّكَّ: استواءُ العلمِ والجهلِ، بخلافِ العَمَى. (الجمالين).

(٢) أي: على تكذيبِهِم وإعراضِهِم، أو (على) تعليليَّةٌ. (الجمالين).

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ
ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ
أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

(٧٧) ـ ﴿وإنَّهُ لَهُدَى﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمةٌ لِلمُؤمِنِينَ﴾ من العذاب. (٧٨) ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكمِهِ﴾ أي: عدله، ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب ﴿العَلِيمُ﴾ بما يحكم به. فلا يُمكن أحدًا مُخالفتُه كما خالف الكُفّار في الدنيا أنبياءه.

ربع الحزب ٣٩

(٧٩) ـ ﴿فتوَكَّلْ علَى اللهِ﴾: ثقْ به. ﴿إنَّكَ علَى الحَقِّ المُبِينِ﴾ أي: الدِّين البيِّن. فالعاقبة لك بالنصر على الكُفّار. ثمّ ضربَ أمثالاً لهم بالموتى والصُّمّ والعُمي، فقال: (٨٠) ـ (٨١) ـ ﴿إنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتَى، ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية بينها وبين الياء ـ ﴿وَلَّوا مُدبِرِينَ، وما أنتَ بِهادِي العُمي عَن ضَلالَتِهِم. إنْ﴾: ما ﴿تُسمِعُ﴾ سماعَ إفهام وقَبول ﴿إلاّ مَن يُؤمِنُ بِآياتِنا﴾: القُرآنِ، ﴿فهُم مُسلِمُونَ﴾: مُخلصون بتوحيد الله.

(٨٢) ـ ﴿وإذا وَقَعَ القَولُ علَيهِم﴾: حقَّ العذابُ أن يَنزل بهم في جُملة الكُفّار ﴿أخرَجْنا لَهُم دابّةً مِنَ الأرضِ، تُكَلِّمُهُم﴾ أي: تُكلّم الموجودين حين خُروجها بالعربيّة، تقول لهم من جُملة كلامها عنّا: ﴿إنَّ النّاسَ﴾ أي: كُفّارَ مكّة ـ وعلى قراءة فتح همزة «أنّ» تُقدّر الباء بعد «تكلّمهم» ـ ﴿كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يُؤمنون بالقُرآن المُشتمل على البعث والحِساب والعِقاب. وبخُروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يبقى مُنيب ولا تائب، ولا يُؤمن كافر كما أوحى الله إلى نُوح: «أنّهُ لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلاّ مَن قَد آمَنَ».

(٨٣) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُ مِن كُلِّ أُمّةٍ فَوجًا﴾: جماعة ﴿مِمَّن يُكَذِّبُ بِآياتِنا﴾ ـ وهم رُؤساؤهم المتبوعون ـ ﴿فهُم يُوزَعُونَ﴾ أي: يُجمعون بردّ آخرهم إلى أوّلهم ثمّ يُساقون. (٨٤) ـ ﴿حَتَّى إذا جاؤُوا﴾ مكانَ الحِساب ﴿قالَ﴾ تعالى لهم: ﴿أكَذَّبتُم﴾ أنبيائي ﴿بِآياتِي، ولَم تُحِيطُوا﴾ من جِهة تكذيبكم ﴿بِها عِلمًا؟ أمْ ما﴾ ـ فيه «ما» الاستفهاميّة ـ ﴿ذا﴾: موصولٌ، أي: ما الذي ﴿كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ممّا أُمرتم به؟ (٨٥) ـ ﴿ووَقَعَ القَولُ﴾: حقَّ العذابُ ﴿علَيهِم بِما ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا، ﴿فهُم لا يَنطِقُونَ﴾ إذ لا حُجّة لهم.

(٨٦) ـ ﴿ألَم يَرَوا أنّا جَعَلْنا﴾: خلقنا ﴿اللَّيلَ لِيَسكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرهم، ﴿والنَّهارَ مُبصِرًا﴾ بمعنى: يُبصَرُ فيه ليتصرّفوا فيه؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾: خُصّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخِلاف الكافرين.

(٨٧) ـ ﴿ويَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ﴾: القرنِ النفخةَ الأُولى من إسرافيل، ﴿ففَزِعَ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ﴾ أي: خافوا الخوف المُفضيَ إلى الموت كما في آية أُخرى: «فصَعِقَ» ـ والتعبير فيه بالماضي لتحقّق وقوعه ـ ﴿إلاّ مَن شاءَ اللهُ﴾ أي: جِبريلَ ومِيكائيلَ وإسرافيلَ وملَكَ الموت، وعن ابن عبّاس: هم الشُّهداء إذ هم «أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ»(١)، ﴿وكُلٌّ﴾ ـ تنوينه عوض عن المُضاف إليه ـ أي: كلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أتَوهُ﴾، بصيغة الفعل واسم الفاعل، ﴿داخِرِينَ﴾: صاغرين. والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقّق وقوعه.

(٨٨) ـ ﴿وتَرَى الجِبالَ﴾: تُبصرها وقت النفخة، ﴿تَحسِبُها﴾: تظنّها ﴿جامِدَةً﴾: واقفة مكانها لعِظمها، ﴿وهْيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾: المطرِ إذا ضربتْه الريح، أي: تسيرُ سيرَه حتّى تقع على الأرض، فتستوي بها مبسوسة، ثمّ تصير كالعِهن، ثمّ تصير هباء منثورًا، ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ ـ مصدرٌ مُؤكِّد لمضمون الجملة قبله أُضيف إلى فاعله بعد حذف عامله ـ أي: صَنَعَ اللهُ ذلك صُنعًا، ﴿الَّذِي أتقَنَ﴾: أحكمَ ﴿كُلَّ شَيءٍ﴾ صنعَه. ﴿إنَّهُ خَبِيرٌ بِما يَفعَلُونَ﴾، بالياء والتاء، أي: أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

﴿وقع القول﴾: دنَتِ السَّاعةُ وأهوالُها الموعودةُ. ﴿دابّة﴾: هيَ مِن أشراطِ السَّاعةِ الكُبرى. ﴿فوجاً﴾: جماعةً وزمرةً. ﴿فهو يوزعون﴾: يُوقفُ أوائلُهم لتلحقَهُم أواخرُهُم ثمَّ يُساقونَ جميعاً. ﴿ففزع﴾: خافَ خوفاً يستتبعُ الموتَ. ﴿داخرين﴾: صاغرينَ أذلّاءَ بعدَ البعثِ.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣١١) ولم أجده مسنداً، لكن رواه سعيد بن منصور (١٦٧٩ ـ تكملة التفسير)، والطبري (١٨/ ١٣٥)، عن أبي هريرة موقوفاً، وروي عنه مرفوعاً ضمن حديث الصور الطويل، رواه إسحاق بن راهويه (١٠)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦).

مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ
ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
﴿٩١﴾ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ
سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ
طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

﴿٨٩﴾ ـ ﴿٩٠﴾ ـ ﴿مَن جاءَ بِالحَسَنةِ﴾ أي: «لا إلـهَ إلاّ اللهُ» يوم القيامة ﴿فلَهُ خيرٌ﴾: ثوابٌ ﴿مِنها﴾ أي بسببها ـ وليس للتفضيل إذ لا فعل خيرٌ منها. وفي آية أُخرى «عَشرُ أمثالِها» ـ ﴿وهُم﴾ أي: الجاؤون بها ﴿مِن فَزَعٍ يومئذٍ﴾، بالإضافة وكسرِ الميم وفتحِها، و«فَزَعٍ» منوّنًا وفتحِ الميم، ﴿آمِنونَ، ومَن جاءَ بِالسَّيِّئةِ﴾ أي: الشِّرك ﴿فكُبَّتْ وُجُوهُهُم في النّارِ﴾ بأن وَلِيَتْها ـ وذُكِرَتِ الوجوهُ لأنها موضع الشرف من الحواسّ، فغيرها من باب أولى ـ ويقال لهم تبكيتًا: ﴿هَل﴾ أي: ما ﴿تُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ من الشِّرك والمعاصي؟

﴿٩١﴾ ـ قل لهم: ﴿إنّما أُمِرتُ أن أعبُدَ رَبَّ هذهِ البَلدةِ﴾ أي: مكّةَ، ﴿الّذي حَرَّمَها﴾ أي: جعلها حَرَمًا آمنًا، لا يُسفك فيها دم إنسان ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُصاد صيدها ولا يُختلى خلاها ـ وذلك من النِّعم على قُريش أهلِها في رفع الله عن بلدهم العذابَ والفتنَ الشائعة في جميع بلاد العرب ـ ﴿ولَهُ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَيءٍ﴾، فهو ربّه وخالقه ومالكه، ﴿وأُمِرتُ أن أكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ﴾ للهِ بتوحيده،

﴿٩٢﴾ ـ ﴿وأن أتلُوَ القُرآنَ﴾ عليكم تِلاوة الدعوة إلى الإيمان. ﴿فمَنِ اهتَدى﴾ له ﴿فإنّما يَهتَدي لِنَفسِهِ﴾ أي: لأجلها لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿ومَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فقُلْ﴾ له: ﴿إنّما أنا مِنَ المُنذِرِينَ﴾: المُخوِّفين، فليس عليَّ إلاّ التبليغُ. وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿٩٣﴾ ـ ﴿وقُلِ: الحَمدُ للهِ. سَيُريكُم آياتِهِ فتَعرِفُونَها﴾. فأراهم الله يوم بدر القتلَ والسبيَ، وضرْبَ الملائكةِ وُجوهَهم وأدبارَهم، وعجّلهم الله إلى النار. ﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾، بالياء والتاء، وإنّما يُمهلهم لوقتهم.

***

٢٨
سُورَةُ القَصَصِ

مكية إلاّ «إنّ الذي فرض» الآيةَ، نزلت بالجُحْفة، وإلاّ «الذين آتيناهم الكتاب» إلى «لا نبتغي الجاهلين»، وهي سبعٌ أو ثمانٍ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿طسم﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿٢﴾ ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾ ـ الإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿المُبِينِ﴾: المُظهِرِ الحقَّ من الباطل، ﴿٣﴾ ـ ﴿نَتلُو﴾: نقصّ ﴿عَلَيكَ مِن نَبَإِ﴾: خبرِ ﴿مُوسَى وفِرعَونَ بِالحَقِّ﴾: الصِّدقِ، ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾: لأجلهم لأنهم المُنتفعون به. ﴿٤﴾ ـ ﴿إنَّ فِرعَونَ عَلا﴾: تكبّرَ ﴿في الأرضِ﴾ أرض مِصرَ، ﴿وجَعَلَ أهلَها شِيَعًا﴾: فِرقًا في خِدمته، ﴿يَستَضعِفُ طائفةً مِنهُم﴾ هم بنو إسرائيل، ﴿يُذَبِّحُ أبناءَهُم﴾ المولودين، ﴿ويَستَحيي نِساءَهُم﴾: يستبقيهنّ أحياء، لقول بعض الكهنة له: إنّ مولودًا يُولد في بني إسرائيلَ يكون سببَ ذهاب مُلكك. ﴿إنَّهُ كانَ مِنَ المُفسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

﴿٥﴾ ـ ﴿ونُرِيدُ أن نَمُنَّ على الّذِينَ استُضعِفُوا في الأرضِ، ونَجعَلَهُم أئمّةً﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يُقتدى بهم في الخير، ﴿ونَجعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾ مُلكَ فِرعَونَ،...

﴿فكُبّت وجوههم﴾: أُلقوا منكوسينَ.
﴿علا في الأرض﴾: تجبّرَ وطغى في أرضِ مصرَ. ﴿شِيَعاً﴾: أصنافاً في الخدمةِ والتّسخيرِ والإذلالِ. ﴿يستحيي نساءهم﴾: يستبقي بَناتهمْ للخدمةِ.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ
أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ
﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

٦ ـ ﴿ونُمَكِّنَ لَهُم في الأرضِ﴾: أرض مصرَ والشام، ﴿ونُرِيَ فِرعَونَ وهامانَ وجُنُودَهُما﴾ ـ وفي قراءة: «ويَرى» بفتح التحتانيّةِ والراءِ ورفع الأسماء الثلاثة ـ ﴿مِنهُم ما كانُوا يَحذَرُونَ﴾: يخافون من المولود الذي يَذهب مُلكهم على يده.

٧ ـ ﴿وأوحَينا﴾ وحيَ إلهامٍ أو مَنامٍ ﴿إلَى أُمِّ مُوسَى﴾ ـ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غيرُ أُخته ـ ﴿أنْ أرضِعِيهِ، فإذا خِفتِ علَيهِ فألقِيهِ في اليَمِّ﴾: البحر أي: النيل، ﴿ولا تَخافِي﴾ غرَقَه، ﴿ولا تَحزَنِي﴾ لفِراقه. ﴿إنّا رادُّوهُ إلَيكِ وجاعِلُوهُ مِنَ المُرسَلِينَ﴾. فأرضعته ثلاثة أشهر لا يَبكي، وخافت عليه فوضعته في تابوت مطليّ بالقار من داخلٍ مُمهّدٍ له فيه، وأغلقته وألقته في بحر النِّيل ليلاً، ٨ ـ ﴿فالتَقَطَهُ﴾ بالتابوت صبيحةَ الليل ﴿آلُ﴾: أعوانُ ﴿فِرعَونَ﴾، فوضعوه بين يديه، وفُتح وأُخرج موسى منه، وهو يَمَصُّ من إبهامه لبنًا، ﴿لِيَكُونَ لَهُم﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم. وفي قراءة بضمّ الحاء وسكون الزاي: لغتانِ في المصدر. وهو هنا بمعنى اسم الفاعل، من: حَزَنه كأحزنه. ﴿إنَّ فِرعَونَ وهامانَ﴾: وزيرَه ﴿وجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ﴾ ـ من الخطيئة ـ أي: عاصينَ فعُوقبوا على يده.

٩ ـ ﴿وقالَتِ امرأةُ فِرعَونَ﴾، وقد همّ مع أعوانه بقتله: هو ﴿قُرَّةُ عَينٍ لِي ولَكَ. لا تَقتُلُوهُ، عَسَى أن يَنفَعَنا أو نَتَّخِذَهُ ولَدًا﴾. فأطاعوها، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه. ١٠ ـ ﴿وأصبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لمّا علمت بالتقاطه ﴿فارِغًا﴾ ممّا سواه، ﴿إنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف ـ أي: إنّها ﴿كادَتْ لَتُبدِي بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها، ﴿لَولا أن رَبَطْنا علَى قَلبِها﴾ بالصبر أي: سكّنّاه ﴿لِتَكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾: المُصدّقين بوعد الله. وجوابُ «لولا» محذوف دلّ عليه ما قبلها.

١١ ـ ﴿وقالَت لِأُختِهِ﴾ مريمَ: ﴿قُصِّيهِ﴾: اتبعي أثره حتّى تعلمي خبره. ﴿فبَصُرَتْ بِهِ﴾: أبصرتْه ﴿عَن جُنُبٍ﴾: من مكان بعيد اختلاسًا، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ أنها أُخته وأنها ترقبه، ١٢ ـ ﴿وحَرَّمْنا علَيهِ المَراضِعَ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ ردّه إلى أُمّه، أي: منعناه من قَبول ثدي مُرضعةٍ غيرِ أُمّه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المُحضَرة، ﴿فقالَتْ﴾ أُختُه: ﴿هَل أدُلُّكُم علَى أهلِ بَيتٍ﴾، لمّا رأت حنوّهم عليه، ﴿يَكفُلُونَهُ لَكُم﴾ بالإرضاع وغيره، ﴿وهُم لَهُ ناصِحُونَ﴾؟

وفسّرتْ ضمير «له» بالمَلِك جوابًا لهم، فأُجيبَتْ فجاءت بأُمّه، فقبِلَ ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيّبة الريح طيّبة اللبن، فأُذِنَ لها بإرضاعه في بيتها، فرجعت به كما قال تعالى: ١٣ ـ ﴿فرَدَدْناهُ إلَى أُمِّهِ كَي تَقَرَّ عَينُها﴾ بلقائه، ﴿ولا تَحزَنَ﴾ حينئذٍ، ﴿ولِتَعلَمَ أنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بردّه إليها ﴿حَقٌّ، ولكِنَّ أكثَرَهُم﴾ أي: الناسِ ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ بهذا الوعد ولا بأنّ هذه أُختُه وهذه أُمّه. فمكث عندها إلى أن فطمتْه، وأُجريَ عليها أُجرتُها، لكُلّ يوم دِينار، وأخذتْها لأنها مال حربيّ، فأتت به فِرعون فتربّى عِنده كما قال تعالى حكاية عنه، في سورة الشعراء: «ألَم نُرَبِّكَ فِينا وَلِيدًا، ولَبِثتَ فِينا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ»؟

﴿يحذرون﴾: يخافونَ مِن ذهابِ مُلكِهِمْ. ﴿كانوا خاطئين﴾: مُذنبينَ آثمينَ. ﴿قرّة عين﴾: هوَ مسرَّةٌ وفرحٌ. ﴿فارغًا﴾: خالياً مِن كلِّ ما سِوى موسى. ﴿لَتبدي به﴾: لَتصَرِّحُ بأنَّهُ ابنُها لشدَّةِ وَجْدِها. ﴿رَبطنا﴾: بالعصمةِ والصَّبرِ والتَّثبيتِ. ﴿قصّيه﴾: اتَّبعي أثرَهُ وتعرَّفي خبرَهُ. ﴿فبَصُرت به﴾: أبْصَرَتْهُ. ﴿عن جُنُب﴾: عن بُعْدٍ أو عن مكانٍ بعيدٍ. ﴿يكفلونه لكم﴾: يقومونَ بتربيتِهِ لأجلِكُم. ﴿تقرّ عينها﴾: تُسرَّ وتَفرحَ بولدِها.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ
فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ
مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ
ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ
مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ
إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ
﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ
يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

(١٤) ـ ﴿ولَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ـ وهو ثلاثون سنةً أو وثلاثٌ ـ ﴿واستَوَى﴾: بلغ أربعين سنة، ﴿آتيناهُ حُكمًا﴾: حِكمة ﴿وعِلمًا﴾: فِقهًا في الدِّين قبل أن يُبعث نبيًّا ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما جزَيناه ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ﴾ لأنفُسهم ـ (١٥) ـ ﴿ودَخَلَ﴾ مُوسَى ﴿المَدِينَةَ﴾: مدينةَ فِرعون ـ وهي مَنْفُ ـ بعد أن غاب عنه مُدّة ﴿علَى حِينِ غَفلةٍ مِن أهلِها﴾: وقتَ القَيلولة، ﴿فَوَجَدَ فِيها رَجُلَينِ يَقتَتِلانِ: هذا مِن شِيعتِهِ﴾ أي: إسرائيليّ، ﴿وهذا مِن عَدُوِّهِ﴾ أي: قِبطيّ يُسخِّر الإسرائيليَّ ليحمل حطبًا إلى مطبخ فِرعون، ﴿فاستغاثَهُ الَّذِي مِن شِيعتِهِ علَى الَّذِي مِن عَدُوِّهِ﴾، فقال له مُوسَى: خلِّ سبيلَه. فقيل: إنه قال لمُوسَى: لقد هممتُ أن أحملَه عليك. ﴿فوَكَزَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجُمع كفّه، وكان شديد القوة والبطش، ﴿فقَضَى علَيهِ﴾ أي: قتله، ولم يكن قَصَدَ قتله، ودفنه في الرمل.

﴿قالَ: هذا﴾ أي: قتلُه ﴿مِن عَمَلِ الشَّيطانِ﴾ المُهيِّج[1] غضبي. ﴿إنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لابن آدمَ ﴿مُضِلٌّ﴾ له ﴿مُبِينٌ﴾: بيّنُ الإضلال. (١٦) ـ ﴿قالَ﴾ نادمًا: ﴿رَبِّ، إنِّي ظَلَمتُ نَفسِي﴾ بقتله. ﴿فاغفِرْ لِي. فغَفَرَ لَهُ. إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: المُتّصف بهما أزلاً وأبدًا. (١٧) ـ ﴿قالَ: رَبِّ ـ بِما أنعَمتَ﴾: بحقّ إنعامك ﴿علَيَّ﴾ بالمغفرة اعصِمْني ـ ﴿فلَن أكُونَ ظَهِيرًا﴾: عونًا ﴿لِلمُجرِمِينَ﴾: الكافرين بعد هذا، إن عصمتني.

(١٨) ـ ﴿فأصبَحَ في المَدِينةِ خائفًا، يَترَقَّبُ﴾: ينتظر ما يناله من جِهة القتيل، ﴿فإذا الَّذِي استَنصَرَهُ بِالأمسِ يَستَصرِخُهُ﴾: يستغيث به على قِبطيّ آخر. ﴿قالَ لَهُ مُوسَى: إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الغَواية لِما فعلتَه أمسِ واليومَ.

(١٩) ـ ﴿فلَمّا أنْ﴾: زائدةٌ ﴿أرادَ أنْ يَبطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما﴾: لمُوسَى والمُستغيثِ به، ﴿قالَ﴾ المستغيثُ، ظانًّا أنه يبطش به لِما قال له «إنك لغويّ مبين»: ﴿يا مُوسَى، أتُرِيدُ أن تَقتُلَنِي كَما قَتَلتَ نَفسًا بِالأمسِ؟ إنْ﴾: ما ﴿تُرِيدُ إلاّ أن تَكُونَ جَبّارًا في الأرضِ، وما تُرِيدُ أن تَكُونَ مِنَ المُصلِحِينَ﴾. فسمع القِبطيُّ ذلك فعلم أنّ القاتل مُوسَى، فانطلق إلى فِرعون فأخبره بذلك، فأمر فِرعون الذبّاحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه.

(٢٠) ـ ﴿وجاءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فِرعونَ ﴿مِن أقصَى المَدِينةِ﴾: آخِرها، ﴿يَسعَى﴾: يُسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، ﴿قالَ: يا مُوسَى، إنَّ المَلأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يأتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون فيك ﴿لِيَقتُلُوكَ. فاخرُجْ﴾ من المدينة. ﴿إنِّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخُروج. (٢١) ـ ﴿فخَرَجَ مِنها خائفًا، يَترَقَّبُ﴾ لُحوقَ طالبٍ أو غوثَ اللهِ إيّاه، ﴿قالَ: رَبِّ، نَجِّنِي مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾ قوم فِرعون.

﴿بلغ أشدّه﴾: قوّةَ بدنِهِ ونهايةَ نموِّهِ. ﴿استوى﴾: اعتدلَ عقلُهُ وكمُلَ. ﴿فوكزه موسى﴾: ضربَهُ في صدرِهِ بجُمْعِ كفِّهِ. ﴿ظهيراً للمجرمين﴾: مُعيناً لهُم. ﴿يترقّب﴾: يتوقَّعُ المكروهَ. ﴿يستصرخه﴾: يستغيثُهُ مِنْ بُعْدٍ. ﴿إنك لغويّ﴾: ضالٌّ عنِ الرُّشدِ. ﴿يبطش﴾: يأخذَ بقوَّةٍ وعُنفٍ. ﴿يسعى﴾: يُسْرِع في المشيِ. ﴿إن الملأ﴾: وُجُوهَ القومِ وكُبَراءَهُم. ﴿يأتمرون بك﴾: يتشاورونَ في شأنِكَ.

(١) لأنَّهُ لم يُؤمَر بقتلِ الكُفّارِ، أو لأنّه كانَ مأموناً فيهم، ولا يقدحُ ذلك في عِصمتِهِ لكونِهِ خطأً، وإنَّما عدَّهُ من عَملِ الشَّيطانِ، وسمَّاهُ ظلماً، واستغفرَ عنه= على عادَتِهم في استعظامِ محقَّراتٍ فَرَطَت منهم. (الجمالين).

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٢٨

(٢٢) ـ ﴿**ولَمّا تَوَجَّهَ**﴾: قصدَ بوجهه ﴿**تِلقاءَ مَدْيَنَ**﴾: جِهتَها ـ وهي قريةُ شُعيبٍ مَسيرةَ ثمانية أيام من مصر، سُمّيت بمَدْيَنِ بن إبراهيمَ ـ ولم يكن يَعرف طريقها ﴿**قال: عَسَى رَبِّيَ أن يَهدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ**﴾ أي: قَصْدَ الطريقِ، أي: الطريقَ الوسط إليها. فأرسل الله إليه مَلَكًا بيده عَنَزةٌ، فانطلق به إليها.

(٢٣) ـ ﴿**ولَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ**﴾: بئرٌ فيها، أي: وصل إليها ﴿**وَجَدَ عليهِ أُمَّةً**﴾: جماعة ﴿**مِنَ النّاسِ يَسقُونَ**﴾ مَواشيَهم، ﴿**ووَجَدَ مِن دُونِهِمْ**﴾ أي: سِواهم ﴿**امرأتَينِ تَذُودانِ**﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء. ﴿**قالَ**﴾ موسى لهما: ﴿**ما خَطبُكُما**﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿**قالَتا: لا نَسقِي حَتَّى يَصدُرَ الرِّعاءُ**﴾: جمع راعٍ، أي: يَرجِعوا من سقيهم، خوفَ الزِّحام فنسقي ـ وفي قراءة: «يُصدِرَ» من الرباعيّ، أي: يَصرفوا مواشيَهم عن الماء ـ ﴿**وأبُونا شَيخٌ كَبِيرٌ**﴾ لا يقدر أن يَسقي. (٢٤) ـ ﴿**فَسَقَى لَهُما**﴾ من بئر أُخرى بقُربهما، رفع حجرًا عنها لا يرفعه إلاّ عشرة أنفُس، ﴿**ثُمَّ تَوَلَّى**﴾: انصرف ﴿**إلَى الظِّلِّ**﴾ لسَمُرةٍ من شِدّة حرّ الشمس، وهو جائع، ﴿**فقالَ: رَبِّ، إنِّي لِما أنزلتَ إلَيَّ مِن خَيرٍ**﴾: طعام ﴿**فَقِيرٌ**﴾: محتاج.

فرجَعتا إلى أبيهما في زمنٍ أقلَّ ممّا كانتا ترجِعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعِيه لي. قال تعالى: (٢٥) ـ ﴿**فجاءَتْهُ إحداهُما، تَمشِي علَى استِحياءٍ**﴾ أي: واضعةً كُمَّ دِرعها على وجهها حياء منه، ﴿**قالَتْ: إنَّ أبِي يَدعُوكَ، لِيَجزِيَكَ أجرَ ما سَقَيتَ لَنا**﴾، فأجابها مُنكِرًا في نفسه أخذ الأُجرة، وكأنّها قَصَدَتِ المُكافأةَ إن كان ممّن يُريدها، فمشت بين يديه، فجعلَتِ الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها، فقال لها: امشي خلفي ودُلّيني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباها، وهو شُعيبٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعِنده عَشاء. قال له: اجلس فتعشَّ. قال: إني أخاف أن يكون عِوضًا ممّا سقيتُ لهما، وإنّا أهل بيت لا نطلب على عملٍ خير عِوضًا. قال: لا، عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونُطعم الطعام. فأكل وأخبره بحاله. قال تعالى: ﴿**فلَمّا جاءَهُ وقَصَّ علَيهِ القَصَصَ**﴾: مصدرٌ بمعنى المقصوص، من قتلِه القِبطيَّ وقصدِهم قتلَه وخوفِه من فِرعون، ﴿**قالَ: لا تَخَفْ: نَجَوتَ مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ**﴾ إذ لا سُلطان لفِرعون على مَدينَ.

(٢٦) ـ ﴿**قالَتْ إحداهُما**﴾، وهي المُرسَلة والكُبرى أو الصُّغرى: ﴿**يا أبَتِ، استأجِرْهُ**﴾: اتخذْه أجيرًا يرعى غنمنا أي: بدَلَنا. ﴿**إنَّ خَيرَ مَنِ استأجَرتَ القَوِيُّ الأمِينُ**﴾ أي: استأجرْه لقوّته وأمانته. فسألها عنهما فأخبرته بما تقدّم من رفعه حجرَ البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»، وزيادةِ أنها لمّا جاءته وعلم بها صوّب رأسه فلم يرفعه، فرغب في إنكاحه، (٢٧) ـ فـ ﴿**قالَ: إنِّي أُرِيدُ أنْ أُنكِحَكَ إحدَى ابنَتَيَّ هاتَينِ**﴾، وهي الكُبرى أو الصُّغرى، ﴿**علَى أنْ تأجُرَنِي**﴾: تكونَ أجيرًا لي في رَعي غنمي ﴿**ثَمانِيَ حِجَجٍ**﴾ أي: سنينَ. ﴿**فإنْ أتمَمتَ عَشْرًا**﴾ أي: رَعيَ عشرِ سنين ﴿**فَمِن عِندِكَ**﴾ التمامُ. ﴿**وما أُرِيدُ أنْ أشُقَّ علَيكَ**﴾ باشتراط العشر. ﴿**سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللهُ**﴾ ـ للتبرّك ـ ﴿**مِنَ الصّالِحِينَ**﴾: الوافين بالعهد.

(٢٨) ـ ﴿**قالَ**﴾ مُوسَى: ﴿**ذلِكَ**﴾ الذي قلته ﴿**بَينِي وبَينَكَ، أيَّما الأجَلَينِ**﴾ الثمانَ أو العشرَ ـ وما: زائدة ـ أي: رَعْيَه ﴿**قَضَيتُ**﴾ به، أي: فرَغتُ منه، ﴿**فلا عُدوانَ علَيَّ**﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿**واللهُ علَى ما نَقُولُ**﴾ أنا وأنت ﴿**وَكِيلٌ**﴾: حفيظ أو شهيد. فتمّ العَقد بذلك، وأمر شُعيب ابنته أن تُعطيَ مُوسَى عصًا يدفع بها السِّباع عن غنمه ـ وكانت عِصيُّ الأنبياء عنده ـ فوقع في يدها عصا آدمَ من آسِ الجنّة، فأخذها مُوسَى بعِلم شُعيب.

﴿تلقاء مدين﴾: جهتَها ونحوَها (قرية شعيبٍ). ﴿سواء السّبيل﴾: الطَّريقَ الوسطَ الَّذي فيهِ النَّجاةُ. ﴿أمّة من النّاس﴾: جماعةً كثيرةً منهُم. ﴿تذودان﴾: تمنعانِ أغنامَهُما عنِ الماءِ. ﴿ما خطبُكما؟﴾: ما شأنُكُما ؟ ما مطلوبُكُما؟. ﴿يُصْدِر الرّعاء﴾: يصرفَ الرُّعاةُ مواشيَهُم عنِ الماءِ. ﴿تأجُرَني﴾: تكونَ لي أجيراً في رعيِ الغنمِ. ﴿حِجَج﴾: سنينَ.

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
(٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ
إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ (٣١) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ
بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ
فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٤)
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ (٣٥)

الحزب ٣٩

(٢٩) - ﴿فلَمّا قَضَى مُوسَى الأجَلَ﴾ أي: رعيَه - وهو ثمانُ أو عشرُ سنين وهو المظنون به - ﴿وسارَ بِأهلِهِ﴾: زوجتِه بإذن أبيها نحوَ مِصرَ، ﴿آنَسَ﴾: أبصرَ من بعيد ﴿مِن جانِبِ الطُّورِ﴾: اسمُ جبل ﴿نارًا. قالَ لِأهلِهِ: امكُثُوا﴾ هنا. ﴿إنّيَ آنستُ نارًا، لَعَلِّيَ آتِيكُم مِنها، بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها، ﴿أو جِذْوةٍ﴾، بتثليث الجيم: قطعةِ وشُعلة ﴿مِنَ النّارِ، لَعَلَّكُم تَصطَلُونَ﴾ تستدفئون. والطاء بدل من تاء الافتعال، من: صَلي بالنار، بكسر اللام وفتحها. (٣٠) - (٣١) - (٣٢) - ﴿فلَمّا أتاها نُودِيَ مِن شاطِئِ﴾: جانبِ ﴿الوادِي الأيمَنِ﴾ لمُوسَى ﴿في البُقْعةِ المُبارَكةِ﴾ لمُوسَى لسماعه كلامَ الله فيها، ﴿مِنَ الشَّجرةِ﴾: بدلٌ من «شاطئ» بإعادة الجارّ، لنباتها فيه، وهي شجرة عُنّاب أو عُلّيق أو عوسَج، ﴿أنْ﴾ - مُفسِّرةٌ لا مُخفّفة - ﴿يا مُوسَى، إنِّيَ أنا اللهُ رَبُّ العالَمِينَ، وأنْ ألقِ عَصاكَ﴾، فألقاها، ﴿فلَمّا رآها تَهتَزُّ﴾: تتحرّك، ﴿كأنّها جانٌّ﴾ - وهي الحيّة الصغيرة - من سُرعة حركتها، ﴿وَلّى مُدبِرًا﴾: هاربًا منها، ﴿ولَم يُعقِّبْ﴾ أي: يرجعْ.

فنُودي: ﴿يا مُوسَى، أقبِلْ ولا تَخَفْ، إنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ. اسلُكْ﴾: أدخِلْ ﴿يَدَكَ﴾ اليُمنى، بمعنى الكفّ، ﴿في جَيبِكَ﴾ هو طوقُ القميص، وأخرِجْها ﴿تَخرُجْ﴾ خِلافَ ما كانت عليه من الأُدمة ﴿بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ﴾ أي: برَص - فأدخلها وأخرجها تُضيء كشُعاع الشمس تُغشّي البصر - ﴿واضمُمْ إلَيكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهَبِ﴾، بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمّه، أي: الخوفِ الحاصل من إضاءة اليد، بأن تُدخلها في جيبك، فتعودَ إلى حالتها الأُولى. وعُبّر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر. ﴿فذانِّكَ﴾، بالتشديد والتخفيف، أي: العصا واليد - وهما مُؤنّثان، وإنما ذُكّر المُشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره - ﴿بُرهانانِ﴾ مرسَلانِ، ﴿مِن رَبِّكَ إلى فِرعَونَ ومَلَئِهِ. إنَّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ﴾.

(٣٣) - ﴿قالَ: رَبِّ، إنّي قَتَلتُ مِنهُم نَفسًا﴾ هو القِبطيّ السابق، ﴿فأخافُ أن يَقتُلُونِ﴾ به، (٣٤) - (٣٥) - ﴿وأخِي هارُونُ هُوَ أفصَحُ مِنّي لِسانًا﴾: أبيَنُ. ﴿فأرسِلْهُ مَعِي رِدْءًا﴾: مُعينًا - وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة - ﴿يُصَدِّقُنِيَ﴾ بالجزم جوابُ الدعاء. وفي قراءة بالرفع وجُملته صفة[1] «ردءًا». ﴿إنِّيَ أخافُ أن يُكَذِّبُونِ. قالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: نُقوّيك ﴿بِأخِيكَ، ونَجعَلُ لَكُما سُلطانًا﴾: غلبة[2]، ﴿فلا يَصِلُونَ إلَيكُما﴾ بسُوء اذهبا ﴿بِآياتِنا، أنتُما ومَنِ اتَّبَعَكُما الغالِبُونَ﴾ لهم.

﴿آنس﴾: أبصَرَ بوضوحٍ. ﴿ناراً﴾: هيَ في الواقعِ نورٌ ربَّانيٌّ. ﴿جذوة من النّار﴾: عودٍ فيهِ نارٌ بلا لهبٍ. ﴿تصطلون﴾: تستدفئونَ بها مِنَ البَرْدِ. ﴿تهتز﴾: تتحرَّكُ بشدَّةٍ واضطرابٍ. ﴿كأنها جانّ﴾: حيَّةٌ خفيفةٌ في سرعةِ حركتِها. ﴿لم يُعقّبْ﴾: لم يرجعْ على عقبِهِ أو لم يلتفتْ. ﴿جيْبك﴾: فتحةِ القميصِ حيثُ يدخلُ الرَّأسُ. ﴿بيضاء﴾: لها شعاعٌ يغلبُ شعاعَ الشَّمسِ. ﴿غير سوء﴾: غيرِ داءِ برَصٍ ونحوِهِ. ﴿اضمم إليك جناحك من الرّهب﴾: ضمَّ يدَكَ اليُمنى إلى صدرِكَ يذهبُ عنكَ الخوفُ مِنَ الحيَّةِ. ﴿ردْءًا﴾: عَوْناً. ﴿سنشدّ عضدك﴾: سنقوِّيكَ ونعينُكَ. ﴿سلطاناً﴾: حجَّةً أو تسلُّطاً وغلبةً.

(١) أو حُجَّةً وبرهاناً. (الجمالين).

(٢) أي: بإتمامِ الحُجَّةِ ورَفعِ الشُّبهَةِ، وقيلَ: يُصَدِّقُني فرعونُ؛ لأنَّ خبرَ الاثنينِ أوقَعُ، وأمَّا قولُ البيضاويِّ: والجوابُ محذوفٌ، ففيهِ أنَّهُ لا يلزمُ الجوابُ لكُلِّ أمرٍ. (الجمالين).

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ
أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾
وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ
أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةًۖ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

(٣٦) ـ (٣٧) ـ ﴿فلَمّا جاءَهُم مُوسَى بِآياتِنا بيِّناتٍ﴾: واضحاتٍ ﴿قالُوا: ما هذا إلاّ سِحرٌ مُفتَرًى﴾: مُختلقٌ، ﴿وما سَمِعْنا بِهذا﴾ كائنًا[١] ﴿في﴾ أيام ﴿آبائنا الأوَّلِينَ. وقالَ﴾ ـ بواو وبدونها ـ ﴿مُوسَى: رَبِّيَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِمَن جاءَ بِالهُدَى مِن عِندِهِ﴾، الضمير للربّ، ﴿ومَن﴾: عطفٌ على «مَن» ﴿تَكُونُ﴾ ـ بالفَوقانيّة والتحتانيّة ـ ﴿لَهُ عاقِبةُ الدّارِ﴾ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار[٢] الآخرة، أي: وهو أنا في الشِّقَّين، فأنا مُحقّ فيما جئتُ به. ﴿إنَّهُ لا يُفلِحُ الظّالِمُونَ﴾: الكافرون.

(٣٨) ـ ﴿وقالَ فِرعَونُ: يا أيُّها المَلأُ، ما عَلِمتُ لَكُم مِن إلٰهٍ غَيرِي. فأَوقِدْ لِي ـ يا هامانُ ـ علَى الطِّينِ﴾: فاطبخْ لي الآجُرَّ، ﴿فاجعَلْ لِي صَرحًا﴾: قصرًا عاليًا، ﴿لَعَلِّيَ أَطَّلِعُ إلَى إلٰهِ مُوسَى﴾: أنظرُ إليه، وأقف عليه. ﴿وإنِّي لَأظُنُّهُ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ في ادعائه إلٰهًا آخَرَ وأنه رسوله.

(٣٩) ـ ﴿واستكبَرَ هُوَ وجُنُودُهُ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وظَنُّوا أنَّهُم إلَينا لا يَرجِعُونَ﴾ ـ بالبناء للفاعل وللمفعول ـ (٤٠) ـ ﴿فأخَذْناهُ وجُنُودَهُ، فنَبَذْناهُم﴾: طرَحْناهم ﴿في اليَمِّ﴾: البحر المالح، فغرقوا. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الظّالِمِينَ﴾ حينَ صاروا إلى الهلاك؟ (٤١) ـ ﴿وجَعَلْناهُم﴾ في الدنيا ﴿أئمّةً﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رُؤساءَ في الشِّرك، ﴿يَدعُونَ إلَى النّارِ﴾ بدُعائهم إلى الشِّرك، ﴿ويَومَ القِيامةِ لا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم، (٤٢) ـ ﴿وأتبَعناهُم في هذِهِ الدُّنيا لَعنةً﴾: خِزيًا، ﴿ويَومَ القِيامةِ هُم مِنَ المَقبُوحِينَ﴾: المُبعَدِينَ[٣].

(٤٣) ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة ﴿مِن بَعدِ ما أهلَكْنا القُرُونَ الأُولَى﴾: قومَ نوحٍ وعادٍ[٤] وثمودَ وغيرَهم، ﴿بَصائرَ لِلنّاسِ﴾: حالٌ من «الكتاب» جمعُ بَصِيرة[٥] ـ وهي نورُ القلب ـ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة[٦] لمن عمل به ﴿ورَحْمةً﴾ لمن آمن[٧] به، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون بما فيه من المواعظ.

﴿مفترى﴾: تنسبُهُ إلى اللهِ كذباً. ﴿صرحاً﴾: قصراً. أو بناءً عالياً مكشوفاً. ﴿فنبذناهم في اليمّ﴾: ألقيْناهُم وأغرقْناهُم في البحرِ. ﴿أئمّة﴾: قادةً في الضَّلالِ. ﴿لعنة﴾: طرداً وإبعاداً عنِ الرَّحمةِ. ﴿من المقبوحين﴾: المُبعدينَ أوِ المُشوَّهينَ في الخِلْقَةِ. ﴿القرون الأولى﴾: الأممَ الماضيةَ المُكذبةَ. ﴿بصائر للنّاس﴾: أنواراً لقلوبِهِم تبْصِرُ بها الحقائقَ.

(١) إشارةٌ إلى أنَّ قولَه: ﴿في آبائِنَا الأوَّلينَ﴾ وقعَ حالًا من اسمِ الإشارةِ، ويعنونَ به السِّحرَ المفترَى، أو ادِّعاءَ النُّبوَّةِ. (الجمالين).

(٢) أو: النُّصرةُ والعاقبةُ المحمودةُ في الدُّنيا. (الجمالين).

(٣) المطرودينَ، أو ممَّن قبَّحَ اللهُ وجوهَهُم، وعن ابنِ عبَّاسٍ: سُودُ الوجوهِ، زُرقُ الأعيُنِ. (الجمالين).

(٤) حقُّ العبارةِ: «وعاداً» بالنَّصبِ، أو «هودٍ» مكانَهُ بالخفضِ. (الجمالين).

(٥) يُتبَصَّرُ بها الحقائقُ، ويُميَّزُ بينَ الحقِّ والباطلِ. (الجمالين).

(٦) أو: إلى الشَّرائعِ الَّتي هي سبلُ اللهِ. (الجمالين).

(٧) أي: سبَبَ رحمةٍ؛ لأنَّهُم لو عمِلوا بها نالوا رحمَةَ اللهِ. (الجمالين).

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿٤٤﴾ ـ **﴿وما كُنتَ﴾** ـ يا مُحمّد ـ **﴿بِجانِبِ﴾** الجبل أو الوادي أو المكان
﴿الغَربِيِّ﴾ من مُوسَى حين المُناجاة، **﴿إذ قَضَينا﴾**: أوحَينا **﴿إلَى مُوسَى
الأمرَ﴾** بالرسالة إلى فِرعون وقومه، **﴿وما كُنتَ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾** لذلك، فتعرفَه
فتُخبرَ به، ﴿٤٥﴾ ـ **﴿ولكِنّا أنشأنا قُرُونًا﴾**: أُممًا بعدَ مُوسَى، **﴿فتَطاوَلَ علَيهِمِ
العُمُرُ﴾** أي: طالت أعمارهم، فنسُوا العهود واندرسَتِ العلوم وانقطع الوحي،
فجئنا بك رسولاً، وأوحَينا إليك خبر مُوسَى وغيره، **﴿وما كُنتَ ثاوِيًا﴾**: مُقيمًا
﴿في أهلِ مَدْيَنَ، تَتلُو علَيهِم آياتِنا﴾: خبرٌ ثان، فتعرفَ قِصّتهم فتُخبِرَ بها،
﴿ولكِنّا كُنّا مُرسِلِينَ﴾ لك وإليك[1] بأخبار المُتقدّمين.

﴿٤٦﴾ ـ **﴿وما كُنتَ بِجانِبِ الطُّورِ﴾**: الجبل **﴿إذ﴾**: حين **﴿نادَينا﴾** مُوسَى:
أن «خُذِ الكِتابَ بِقُوّةٍ»، **﴿ولكِنْ﴾** أرسلناك **﴿رَحْمةً مِن رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَومًا، ما
أتاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبلِكَ﴾** ـ وهم أهل مكّة ـ **﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾**: يتّعظون،
﴿٤٧﴾ ـ **﴿ولَولا أن تُصِيبَهُم مُصِيبةٌ﴾**: عُقوبة **﴿بِما قَدَّمَت أيدِيهِم﴾** من الكُفر
وغيره، **﴿فيَقُولُوا: رَبَّنا، لَولا﴾**: هلاّ **﴿أرسلتَ إلَينا رَسُولاً، فنَتَّبِعَ آياتِكَ﴾**
المُرسَلَ بها، **﴿ونكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾**. وجواب «لولا» محذوف وما بعدها
مبتدأ. والمعنى: لولا الإصابةُ المُسبِّبُ عنها قولُهم، أو لولا قولُهم المسبَّبُ
عنها، ما أرسلناك[2] إليهم رسولاً.

﴿٤٨﴾ ـ **﴿فلَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ﴾** مُحمّدٌ **﴿مِن عِندِنا قالُوا: لَولا﴾**: هلاّ **﴿أُوتِيَ مِثلَ ما أُوتِيَ مُوسَى﴾** من الآياتِ كاليد البيضاء والعصا وغيرهما،
أو الكتابِ جُملةً واحدة. قال تعالى: **﴿أوَلَم يَكفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبلُ﴾** حيثُ **﴿قالُوا﴾** فيه وفي مُحمّد: **﴿ساحِرانِ﴾** ـ وفي قراءة:
«سِحرانِ» أي: التوراة والقُرآن ـ **﴿تَظاهَرا﴾**: تعاونا. **﴿وقالُوا: إنّا بِكُلٍّ﴾** من النبيِّينِ والكتابينِ **﴿كافِرُونَ﴾**؟

﴿٤٩﴾ ـ **﴿قُلْ﴾** لهم: **﴿فأتُوا بِكِتابٍ مِن عِندِ اللهِ، هُوَ أهدَى مِنهُما﴾** أي: من الكتابين، **﴿أتَّبِعْهُ إن كُنتُم صادِقِينَ﴾** في قولكم[3]. ﴿٥٠﴾ ـ **﴿فإن لَم
يَستَجِيبُوا لَكَ﴾** دُعاءك[4] بالإتيان[5] بكتاب **﴿فاعلَمْ أنّما يَتَّبِعُونَ أهواءَهُم﴾** في كُفرهم[6]. **﴿ومَن أضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾**؟
أي: لا أحدَ أضلّ منه. **﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾**: الكافرين[7].

﴿قضينا﴾: عهِدْنا. ﴿ثاوياً﴾: مُقيماً. ﴿سِحران تظاهرا﴾: تعَاونَا (التَّوراة والقرآن).

(١) الظَّاهِرُ: مرسِلِينَ إيَّاكَ، ومخبرينَ لك بها، أو: مرسِلِينَ إليك أخبارَهُم بوَحيِنا. (الجمالين).

(٢) أو: أعلَمْناكَ، أو: أوحَيْنا إليكَ، ويتعلَّقُ به: ﴿لِتُنذِرَ﴾. (الجمالين).

(٣) إنَّا ساحِرانِ، وهذا من الشُّروطِ الَّتي يُرادُ بها الإلزامُ والتَّبكيتُ، لا الشَّكُّ والتَّردُّدُ. (الجمالين).

(٤) فحُذِفَ المفعولُ للعِلمِ به؛ لأنَّ فعلَ الاستجابةِ يُعَدَّى بنفسِهِ إلى الدُّعاءِ، وباللاَّمِ إلى الدَّاعِي، كذا في البيضاويِّ و«الكشَّافِ»، لكن في «القاموسِ»: استجابه واستَجابَ لهُ، ونصَّ أبو حيَّانَ أنَّه يتعَدَّى إلى الدَّاعي بنفسِهِ أيضاً، فلا يُحتاجُ إلى تكلُّفِ تقديرٍ. (الجمالين).

(٥) والأظهَرُ: إلى الإتيانِ، ولعلَّ الباءَ بيانيَّةٌ. (الجمالين).

(٦) لأنَّهُم ما رَجِعوا ـ بعدَما ألزمَتهم الحجَّةَ ـ عن العنادِ، ولو اتَّبَعوا حُجَّةً لأتَوا بها. (الجمالين).

(٧) المتَّبِعينَ للهَوى. (الجمالين).

* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ
مُسْلِمِينَ (٥٣) أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُواْ
ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ
عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ (٥٥) إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦)
وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ
نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا
مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن
قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ
بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ
مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ (٥٩)

الحزب ٤٠

(٥١) ـ ﴿ولقد وَصَّلْنا﴾: بيّنّا ﴿لَهُمُ القَولَ﴾: القرآنَ، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾[١]: يتّعظون فيؤمنون. (٥٢) ـ ﴿الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ مِن قَبلِهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿هُم بِهِ يُؤمِنُونَ﴾ أيضًا ـ نزل في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن النصارى قدِموا من الحبشة ومن الشام[٢] ـ (٥٣) ـ ﴿وإذا يُتلَى عليهِمْ﴾ القُرآنُ ﴿قالُوا: آمَنّا بِهِ. إنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّنا. إنّا كُنّا مِن قَبلِهِ مُسلِمِينَ﴾: مُوحّدين.

(٥٤) ـ ﴿أُولئِكَ يُؤتَونَ أجرَهُم مَرّتَينِ﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بِما صَبَرُوا﴾: بصبرهم على العمل بهما، ﴿ويَدرَؤُونَ﴾: يدفعون ﴿بِالحَسَنةِ السَّيِّئةَ﴾ منهم، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون، (٥٥) ـ ﴿وإذا سَمِعُوا اللَّغوَ﴾: الشتم والأذى من الكُفّار ﴿أعرَضُوا عَنهُ، وقالُوا: لَنا أعمالُنا ولَكُم أعمالُكُم، سَلامٌ عليكُم﴾: سلامَ مُتاركة، أي: سلمتم منّا من الشتم وغيره. ﴿لا نَبتَغِي الجاهِلِينَ﴾: لا نصحَبهم.

ونزل في حِرصه ﷺ على إيمان عمّه أبي طالب[٣]: (٥٦) ـ ﴿إنَّكَ لا تَهدِي مَن أحبَبتَ﴾ هِدايتَه، ﴿ولكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشاءُ، وهْوَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِالمُهتَدِينَ﴾.

(٥٧) ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: قومه: ﴿إن نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِن أرضِنا﴾[٤] أي: نُنتزَعْ منها بسُرعة. قال تعالى: ﴿أوَلَم نُمَكِّنْ لَهُم حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعَينِ من بعض العرب على بعض، ﴿تُجبَى﴾ ـ بالفَوقانيّة والتحتانيّة ـ ﴿إلَيهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيءٍ﴾ من كُلّ أَوب ﴿رِزقًا﴾ لهم ﴿مِن لَدُنّا﴾: مِن عِندنا؟ ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ ما نقوله حقّ، (٥٨) ـ ﴿وكَم أهلَكْنا مِن قَريةٍ، بَطِرَتْ مَعِيشتَها﴾ أي: في عيشها! وأُريد بالقرية أهلُها ـ ﴿فتِلكَ مَساكِنُهُم، لَم تُسكَنْ مِن بَعدِهِم إلاّ قَلِيلاً﴾ للمارّة يومًا أو بعضه ـ ﴿وكُنّا نَحنُ الوارِثِينَ﴾ منهم. (٥٩) ـ ﴿وما كانَ رَبُّكَ مُهلِكَ القُرَى﴾ بظلم أهلها ﴿حَتَّى يَبعَثَ في أُمِّها﴾ أي: أعظمِها ﴿رَسُولاً، يَتلُو عليهِم آياتِنا، وما كُنّا مُهلِكِي القُرَى إلاّ وأهلُها ظالِمُونَ﴾ بتكذيب الرُّسل.

﴿وصّلنا لهم القول﴾: أنزلْنا القرآنَ عليهِم مُتواصلاً. ﴿يدْرءون﴾: يدفعونَ. ﴿اللّغو﴾: السَّبَّ والشَّتْمَ مِنَ الكفَّارِ. ﴿سلام عليكم﴾: سَلِمتُم مِنَّا لا نُعارضُكُم بالشَّتمِ. ﴿نُتخطّف﴾: نُنتزعْ بسرعةٍ. ﴿يُجْبى إليه﴾: يُجْلبُ ويُحملُ إليهِ مِن كلِّ جهةٍ. ﴿كم أهلكنا﴾: كثيراً أهلكْنا. ﴿بَطِرت مَعيشَتها﴾: طغَتْ وتمرَّدَتْ في أيَّامِ حياتِها.

(١) عن رفاعة القرظي قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم. الطبري (١٨/ ٢٧٦)، و«المعجم الكبير» (٤٥٦٣) و(٤٥٦٤)، وقال في «المجمع» (٧/ ٨٨): رواه الطَّبرانيُّ بإسنادين أحدهما متصلٌ ورجاله ثقاتٌ. وفي «المراسيل» (ص: ٥٨) لابن أبي حاتم أنه سأل أباه عن خبر رفاعة هذا فقال: له رؤيةٌ عن النَّبي ﷺ.

(٢) عن قَتادة قال: كنا نُحدَّث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحقّ، يأخذون بها وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدًا ﷺ، فآمنوا به وصدّقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأوّل، واتباعهم محمدًا ﷺ، وصبرهم على ذلك، وذُكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام. الطبري (١٨/ ٢٧٨). وعن سعيد بن جبير: أن النجاشي أرسل بإسلامه وإسلام قومه سبعين رجلاً اختارهم الخيِّر فالخيِّر، فدخلوا على رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة (يس)، فبكوا وعرفوا الحق، فأنزل الله فيهم: ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون﴾ [المائدة: ٨٢]، وأنزل فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾. الطبري (٨/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٨٨). وعن ابن عبَّاس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب، أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من الشَّام. «تفسير السمعاني» (٤/ ١٤٦)، والبغوي (٦/ ٢١٣). وعن عليّ بن رفاعة: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة ـ يعني أباه ـ إلى النبي ﷺ، فآمنوا، فأوذوا، فنزلت: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبلِ القرآن. الطبري (١٨/ ٢٧٧).

(٣) البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤)، عن المسيب بن حزن رضي الله عنه. ومسلم (٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) عن عمرو بن شعيبٍ عن ابن عباس ـ ولمْ يسمعه منه ـ: أن الحارث بن نوفل الذي قال: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾. النسائي في «الكبرى» (١١٣٢١)، ورواه الطبري (١٨/ ٢٨٧) وزاد: وزعموا أنهم قالوا: قد علمنا أنك رسول الله، ولكنا نخاف أن نتخطف من أرضنا. وعن عطية عن ابن عباس، قوله: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ قال: هم أناس من قريش قالوا لمحمد: إن نتبعك يتخطفنا الناس، فقال الله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿٦٠﴾ ـ ﴿**وما أُوتِيتُم مِن شَيءٍ فمَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا وزِينتُها**﴾ أي: تتمتّعون وتتزيّنون به أيام حياتكم ثمّ يفنى، ﴿**وما عِندَ اللهِ**﴾ ـ وهو ثوابه ـ ﴿**خيرٌ وأبقى. أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ـ بالتاء والياء ـ أنّ الباقي خير من الفاني؟ ﴿٦١﴾ ـ ﴿**أفمَن وَعَدْناهُ وَعدًا حَسَنًا**﴾[1]، ﴿**فهُوَ لاقِيهِ**﴾: مُصيبهُ ـ وهو الجنّة ـ ﴿**كَمَن مَتَّعْناهُ مَتاعَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ فيزول عن قريب[2]، ﴿**ثُمَّ هُوَ يَومَ القِيامةِ مِنَ المُحضَرِينَ**﴾ النارَ؟ الأوّل المؤمن والثاني الكافر، أي: لا تساوي بينهما.

﴿٦٢﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ يُنادِيهِمْ**﴾ اللهُ، ﴿**فيَقُولُ: أينَ شُرَكائيَ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ**﴾ ـ هُم شركائي؟ ﴿٦٣﴾ ـ ﴿**قالَ الَّذِينَ حَقَّ علَيهِمُ القَولُ**﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة[3]: ﴿**رَبَّنا، هؤُلاءِ الَّذِينَ أغوَينا**﴾ هم: مبتدأ وصفةٌ ﴿**أغوَيناهُم**﴾: خبرُه، فغَوَوا ﴿**كَما غَوَينا**﴾ لم نُكرِهْهم على الغيّ. ﴿**تبَرَّأنا إلَيكَ**﴾ منهم. ﴿**ما كانُوا إيّانا يَعبُدُونَ**﴾. ما: نافية، وقُدّم المفعول للفاصلة. ﴿٦٤﴾ ـ ﴿**وقِيلَ: ادعُوا شُرَكاءَكُم**﴾ أي: الأصنامَ الذين كنتم تزعمون أنهم شُركاء الله، ﴿**فدَعَوهُم فلَم يَستَجِيبُوا لَهُم**﴾ دُعاءهم، ﴿**ورَأَوُا**﴾ هم ﴿**العَذابَ**﴾: أبصروه. ﴿**لَو أنَّهُم كانُوا يَهتَدُونَ**﴾ في الدنيا ما رأوه في الأُخرى.

﴿٦٥﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ يُنادِيهِم فيَقُولُ: ماذا أجَبتُمُ المُرسَلِينَ**﴾ إليكم؟ ﴿٦٦﴾ ـ ﴿**فعَمِيَتْ علَيهِمِ الأنباءُ**﴾: الأخبار المُنجية في الجواب ﴿**يَومَئذٍ**﴾ أي: لم يجدوا خبرًا لهم فيه نجاةٌ، ﴿**فهُم لا يَتَساءَلُونَ**﴾ عنه فيسكتون. ﴿٦٧﴾ ـ ﴿**فأمّا مَن تابَ**﴾ من الشِّرك، ﴿**وآمَنَ**﴾: صدّق بتوحيد الله ﴿**وعَمِلَ صالِحًا**﴾: أدّى الفرائض، ﴿**فعَسَى أن يَكُونَ مِنَ المُفلِحِينَ**﴾: الناجين بوعد الله.

﴿٦٨﴾ ـ ﴿**ورَبُّكَ يَخلُقُ ما يَشاءُ ويَختارُ**﴾ ما يشاء، ﴿**ما كانَ لَهُمُ**﴾: للمشركين ﴿**الخِيَرَةُ**﴾[4]: الاختيار في شيء، ﴿**سُبحانَ اللهِ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ عن إشراكهم! ﴿٦٩﴾ ـ ﴿**ورَبُّكَ يَعلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُم**﴾: تُسِرُّ قُلوبهم من الكُفر وغيره، ﴿**وما يُعلِنُونَ**﴾ بألسنتهم من ذلك[5]. ﴿٧٠﴾ ـ ﴿**وهُوَ اللهُ لا إلٰهَ إلاّ هُوَ، لَهُ الحَمدُ في الأُولَى**﴾: الدنيا ﴿**والآخِرةِ**﴾: الجنّة، ﴿**ولَهُ الحُكمُ**﴾: القضاء النافذ في كل شيء، ﴿**وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ بالنُّشور.

﴿من المحضرين﴾: ممَّن أُحضروا للنّارِ. ﴿أغوينا﴾: دعوْناهُم إلى الغيِّ فاتَّبعونا. ﴿فعَمِيَتْ عليهم الأنباء﴾: خَفِيَتْ واشتبَهَتْ عليهِمُ الحججُ. ﴿الخيَرة﴾: الاختيارُ. ﴿ما تكنّ صدورهم﴾: ما تُضمرُ مِنَ الباطلِ والعداوةِ.

(١) عن مجاهدٍ: أنَّها نزلَتْ في عليٍّ وحمزةَ رضي الله عنهما، وأبي جهلٍ. الطبري (١٨/ ٢٩٥).
قال السُّدِّيُّ: نزلَتْ في عمَّارٍ والوليدِ بنِ المُغيرة. الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٩).
وعن مجاهد أيضاً: نزلَتْ في النَّبيِّ ﷺ وأبي جهلٍ. الطبري (١٨/ ٢٩٤).

(٢) وهو في نفسِهِ مَشُوبٌ بأنواعِ الغُصَصِ، مُكدَّرٌ بالمتاعِبِ، مُستعقِبٌ للتَّحسُّرِ على الانقِطاعِ. (الجمالين).

(٣) أي: شياطينُهُم وساداتُهُم في الضَّلالِ؛ خوفاً من أن يقولَ السَّفلَةُ: لا ذنبَ لنا، إنَّما الذَّنبُ لساداتِنا. (الجمالين).

(٤) نزلَتْ جوابًا للوليدِ بنِ المُغيرةِ حين قال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: نفسَه وعُروةَ بنَ مسعودٍ الثَّقفيَّ مِنَ الطَّائف. ذكره دون نسبة السمرقندي (٢/ ٦١٦)، والثعلبي (٢٠/ ٤٨٣)، والماوردي (٤/ ٢٦٣)، والواحدي (ص: ٣٣٩). وقول الوليد بن المغيرة مروي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١]، وسيأتي في موضعه.

(٥) (الجمالين).

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ
﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ
فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ
بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿٧١﴾ ـ ﴿**قُلْ**﴾ لأهل مكّة: ﴿**أرأيتم**﴾ أي: أخبروني ﴿**إن جَعَلَ اللهُ عليكُمُ اللَّيلَ سَرمَدًا**﴾: دائمًا ﴿**إلى يوم القيامةِ، مَن إلـهٌ غيرُ اللهِ**﴾ بزعمكم ﴿**يأتيكُم بضياءٍ**﴾: نهار، تطلبون فيه المعيشة؟ ﴿**أفلا تَسمَعُونَ**﴾ ذلك سماعَ تفهّم، فترجعون عن الإشراك؟ ﴿٧٢﴾ ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أرأيتم إن جَعَلَ اللهُ عليكُمُ النَّهار سَرمَدًا إلى يوم القيامةِ، مَن إلـهٌ غيرُ اللهِ**﴾ بزعمكم ﴿**يأتيكُم بلَيلٍ، تَسكُنُونَ**﴾: تستريحون ﴿**فيهِ**﴾ من التعب؟ ﴿**أفلا تُبصِرُونَ**﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك، فترجعون عنه؟ ﴿٧٣﴾ ـ ﴿**ومِن رَحْمتِهِ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**جَعَلَ لكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ، لِتَسكُنُوا فِيهِ**﴾: في الليل، ﴿**ولِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِ**﴾ في النهار بالكسب، ﴿**ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ النّعمة فيهما.

ربع الحزب ٤٠

﴿٧٤﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**يَومَ يُنادِيهِم، فيَقُولُ: أينَ شُرَكائيَ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ**﴾؟ ذُكِر ثانيًا[1] ليُبنى عليه:

﴿٧٥﴾ ـ ﴿**ونَزَعْنا**﴾: أخرجنا ﴿**مِن كُلِّ أُمّةٍ شَهِيدًا**﴾ ـ وهو نبيّهم ـ يشهد عليهم بما قالوه، ﴿**فقُلْنا**﴾ لهم: ﴿**هاتُوا بُرهانَكُم**﴾ على ما قلتم من الإشراك، ﴿**فعَلِمُوا أنَّ الحقَّ**﴾ في الإلـهية ﴿**لِلهِ**﴾، لا يُشاركه فيها أحد، ﴿**وضَلَّ**﴾: غاب ﴿**عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾ في الدنيا من أنّ معه شريكًا. تعالى عن ذلك. ﴿٧٦﴾ ـ ﴿**إنَّ قارُونَ كانَ مِن قَومِ مُوسَى**﴾ ابنَ عمّه أو ابنَ خالته فآمنَ به، ﴿**فبَغَى عليهِم**﴾ بالكِبْر والعلوّ وكثرة المال، ﴿**وآتيناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ**﴾: تثقُل ﴿**بالعُصْبةِ**﴾: الجماعة ﴿**أُولِي**﴾: أصحابِ ﴿**القُوّةِ**﴾ أي: تُثقِلُهم ـ فالباء: للتعدية. وعِدّتهم قيل: سبعون، وقيل: أربعون، وقيل: عشرةٌ، وقيل غيرُ ذلك ـ اذكرْ ﴿**إذ قالَ لَهُ قَومُهُ**﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿**لا تَفرَحْ**﴾ بكثرة المال فرحَ بطر[2] ـ ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ**﴾ بذلك ـ ﴿٧٧﴾ ـ ﴿**وابتَغِ**﴾: اطلبْ ﴿**فِيما آتاكَ اللهُ**﴾ من المال ﴿**الدّارَ الآخِرَةَ**﴾ بأن تُنفقه في طاعة الله، ﴿**ولا تَنسَ**﴾: تتركْ ﴿**نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيا**﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة[3]، ﴿**وأحسِنْ**﴾ للناس بالصدقة[4] ﴿**كَما أحسَنَ اللهُ إليكَ، ولا تَبغِ**﴾: تطلبِ ﴿**الفَسادَ في الأرضِ**﴾ بعمل المعاصي. ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ**﴾ بمعنى أنه يُعاقبهم.

﴿أرأيتم﴾: أخبِروني. ﴿سرمداً﴾: دائماً مُطَّرِداً. ﴿يفترون﴾: يختلقونَهُ مِنَ الباطلِ في الدُّنيا. ﴿فبغى عليهم﴾: ظَلَمَهُم. أو تكبَّرَ عليهم. ﴿لَتنوءُ بالعُصبة﴾: لتُثقِل الجماعةَ الكثيرةَ وتميلُ بهم. ﴿لا تفرحْ﴾: لا تَبْطَرْ ولا تأشَرْ بكثرةِ المالِ.

(١) للتَّفريعِ بعدَ التَّقريعِ؛ إشعاراً بأنَّهُ لا شيءَ أجلبُ لغضبِ اللهِ من الإشراكِ بهِ، أو الأوَّلُ: لتقريرِ فسادِ رأيهم، والثَّاني: لبيانِ أنَّه لم يكُنْ عن سَنَدٍ.

ما أدري مبنَى هذا المبنى، ولا مَعنى هذا المعنَى، ولا يخفَى أنَّ المناسبةَ والرَّابطةَ المعنويَّةَ بينَ الآيتينِ لا تُسَمَّى بناءً، إذ البناءُ يُستَعمَلُ في التَّعلُّقِ اللَّفظيِّ بالعطفِ أو التَّعليلِ ونحوِهما. (الجمالين).

(٢) وما أحسَنَ كلامَ البيضاويِّ: الفَرَحُ بالدُّنيا مَذمومٌ مطلقاً؛ لأنَّه نتيجةُ حُبِّها والرِّضا بها، والذُّهولِ عن ذهابِها، فإنَّ العِلمَ بأنَّ ما فيها منَ اللَّذَّةِ مُفارِقُه لا محالةَ يوجبُ الحُزنَ كما قال:

أشـدُّ الـغـمِّ عـنـدِي فـي سُرورٍ ... تيقَّـنَ عنـهُ صَاحِبُـهُ انتِقَـالا (الجمالين).

(٣) قيلَ: النَّصيبُ: الكَفَنُ. (الجمالين).

(٤) أو: إلى عبادِ اللهِ مطلَقاً. (الجمالين).

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ
مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ
وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ
فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا
مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ
وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ
مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ
وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ
٨٣ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤

٧٨ ـ ﴿قالَ: إنّما أُوتيتُهُ﴾ أي: المالَ ﴿على عِلمٍ عِندِيَ﴾ أي: في مُقابلته[١]. وكان أعلم[٢] بني إسرائيلَ بالتوراة بعد مُوسَى وهارون. قال تعالى: ﴿أَوَلَم يَعلَمْ أنَّ اللهَ قد أهلَكَ مِن قَبلِهِ مِنَ القُرُونِ﴾: الأُممِ ﴿مَن هُوَ أشَدُّ مِنهُ قُوّةً وأكثَرُ جَمعًا﴾ للمال[٣]؟ أي: هو عالم[٤] بذلك ويُهلكه الله. ﴿ولا يُسألُ عَن ذُنُوبِهِمِ المُجرِمُونَ﴾ لعِلمه ـ تعالى ـ بها، فيدخلون النار بلا حِساب.

٧٩ ـ ﴿فخَرَجَ﴾ قارون ﴿على قَومِهِ في زِينَتِهِ﴾: بأتباعه الكثيرين رُكبانًا، مُتحلِّين بملابس الذهب والحرير على خُيول وبغال مُتحلّية. ﴿قالَ الّذِينَ يُرِيدُونَ الحَياةَ الدُّنيا: يا﴾ ـ للتنبيه ـ ﴿لَيتَ لَنا مِثلَ ما أُوتيَ قارُونُ﴾ في الدنيا. ﴿إنّهُ لَذُو حَظٍّ﴾: نصيب ﴿عَظِيمٍ﴾ وافٍ فيها. ٨٠ ـ ﴿وقالَ﴾ لهمُ ﴿الّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾ بما وعد اللهُ في الآخرة: ﴿وَيلَكُم﴾: كلمةُ زجرٍ. ﴿ثَوابُ اللهِ﴾ في الآخرة بالجنّة ﴿خَيرٌ، لِمَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا﴾ ممّا أُوتي قارون في الدنيا، ﴿ولا يُلَقّاها﴾ أي: الجنّة المُثابَ بها ﴿إلاّ الصّابِرُونَ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

٨١ ـ ﴿فخَسَفْنا بِهِ﴾: بقارونَ ﴿وبِدارِهِ الأرضَ، فما كانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ﴾: من غيرِه بأن يمنعوا عنه الهلاك، ﴿وما كانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ﴾ منه[٥]، ٨٢ ـ ﴿وأصبَحَ الّذِينَ تَمَنَّوا مَكانَهُ بِالأمسِ﴾ أي: من قريب ﴿يَقُولُونَ: وَيْ كَأَنَّ اللهَ يَبسُطُ﴾ يُوسِّع ﴿الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ ويَقدِرُ﴾: يُضيّق على من يشاء. ووَيْ: اسم فعلٍ بمعنى: أعجبُ أي: أنا. والكاف: بمعنى اللام[٦]. ﴿لَولا أن مَنَّ اللهُ علَينا لَخَسَفَ بِنا﴾، بالبناء للفاعل[٧] والمفعول. ﴿وَيْ كَأنّهُ لا يُفلِحُ الكافِرُونَ﴾ لنِعمة الله كقارونَ.

٨٣ ـ ﴿تِلكَ الدّارُ الآخِرَةُ﴾ أي: الجنّة ﴿نَجعَلُها لِلّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرضِ﴾ بالبغي ﴿ولا فَسادًا﴾ بعمل المعاصي، ﴿والعاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ عقابَ الله بعمل الطاعات. ٨٤ ـ ﴿مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فلَهُ خَيرٌ مِنها﴾: ثوابٌ بسببها[٨] ـ وهو عشرُ أمثالها ـ ﴿ومَن جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فلا يُجزَى الّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

﴿مِنَ القرون﴾: مِنَ الأمم. ﴿لا يُسأل﴾: سؤالَ استعلام بل سؤالَ توبيخ. ﴿في زينته﴾: في مظاهرِ غِناهُ وتَرفِهِ. ﴿ويلكم﴾: زجرٌ لهم عن هذا التّمنّي. ﴿لا يلقّاها﴾: لا يُوفَّقُ للعملِ للمَثوبةِ. ﴿ويكأنّ الله﴾: ألَمْ تَرَ اللهَ. ﴿يَقْدِر﴾: يُضيِّقُ على مَن يشاءُ لحكمةٍ. ﴿ويكأنه لا يفلح﴾: ألَم ترَ الشّأنَ لا يُفلِحُ....

(١) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿عَلَى﴾ للتَّعليلِ ظرفٌ لغوٌ متعلِّقٌ بـ(أُوتيتُ)، وقولُ البيضاويِّ: إنَّهُ في موضِعِ الحالِ، غيرُ ظاهرٍ. (الجمالين).

(٢) وقيل: المرادُ: عِلمُ الكيمياءِ، وقيلَ: علمُ التِّجارةِ والدِّهقنةِ وسائرِ المكاسِبِ، وقيل: عِلمٌ بكنوزِ يوسفَ. (الجمالين).

(٣) أو: جماعةً وخدماً. (الجمالين).

(٤) فالاستِفهامُ للتَّقريرِ. (الجمالين).

(٥) أي: الممتَنِعينَ من الهلاكِ، أو المنتصِرينَ بنفسِهِ. (الجمالين).

(٦) للتَّعليلِ، أو زائدةٌ. (الجمالين).

(٧) حفصٌ، فمفعولُهُ محذوفٌ؛ أي: لخَسَفَ بنا الأرضَ. (الجمالين).

(٨) أو: خيرٌ منها قَدْراً وذاتاً ووَصفاً. (الجمالين).

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا
تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ
كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ
لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

(٨٥) ـ **﴿إنَّ الَّذي فَرَضَ عليكَ القُرآنَ﴾**: أنزلَه **﴿لَرادُّكَ إلى مَعادٍ﴾**: إلى مكّة. وكان قد اشتاقها[١]. **﴿قُلْ: رَبِّي أعلَمُ مَن جاءَ بِالهُدَى ومَن هُوَ في ضَلالٍ مُبينٍ﴾**. نزل جوابًا لقول كُفّار مكّة له: «إنّكَ في ضَلالٍ» أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في الضلال. وأعلم بمعنى: عالِمٌ.

(٨٦) ـ **﴿وما كُنتَ تَرجُو أن يُلقَى إلَيكَ الكِتابُ﴾**: القُرآنُ. **﴿إلاّ﴾** لكنْ أُلقي إليك **﴿رَحمةً مِن رَبِّكَ. فلا تَكُونَنَّ ظَهيرًا﴾**: مُعينًا **﴿لِلكافِرينَ﴾** على دِينهم الذي دعَوك إليه، (٨٧) ـ **﴿ولا يَصُدُّنَّكَ﴾** ـ أصله «يَصُدُّونَنَّكَ» حُذفت نونُ الرفع للجازم، والواوُ الفاعلُ لإتيانها مع النون الساكنة ـ **﴿عَن آياتِ اللهِ، بَعدَ إذ أُنزِلَتْ إلَيكَ﴾** أي: لا تَرجِع إليهم في ذلك، **﴿وادعُ﴾** الناس **﴿إلَى رَبِّكَ﴾** بتوحيده وعبادته، **﴿ولا تَكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ﴾** بإعانتهم ـ ولم يؤثرِ الجازمُ في الفعل لبنائه ـ (٨٨) ـ **﴿ولا تَدعُ﴾**: تعبدْ **﴿مَعَ اللهِ إلَـهًا آخَرَ. لا إلَـهَ إلاّ هُوَ، كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلاّ وَجهَهُ﴾**: إلاّ إيّاه، **﴿لَهُ الحُكمُ﴾**: القضاء النافذ، **﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾** بالنشور من القبور.

الحزب ٤٠

***

٢٩
سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكية، وهي تسع وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ **﴿الم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.**

(٢) ـ **﴿أحَسِبَ النّاسُ أن يُترَكُوا أن يَقُولُوا﴾** أي: بقولهم: **﴿آمَنّا. وهُم لا يُفتَنُونَ﴾**: يُختبَرُون بما يتبيّن به حقيقة إيمانهم ـ نزل في جماعة آمنوا، فآذاهم المشركون[٢] ـ (٣) ـ **﴿ولَقَد فَتَنّا الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ فلَيَعلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾** في إيمانهم عِلمَ مُشاهدة، **﴿ولَيَعلَمَنَّ الكاذِبِينَ﴾**

﴿معادٍ﴾: مكّةَ المُكرَّمةِ ظاهراً عليها. ﴿ظهيراً للكافرين﴾: مُعيناً لهُم على ما هم عليهِ.
﴿لا يُفتنون﴾: لا يُمتحنونَ بالمشاقِّ والشَّدائدِ ليتميَّزَ المُخلصُ مِنَ المنافقِ. ﴿أن يسبقونا﴾: أن يُعجزونا ويفوتونا. ﴿أجل الله﴾: الوقتَ المعيَّنَ للبعثِ والجزاءِ.

(١) عن الضَّحّاك: لمّا خرج النَّبيُّ ﷺ من مكّة فبلغ الجُحْفةَ اشتاق إلى مكّة، فأنزل اللهُ تبارك وَتعالى عليه القرآن: ﴿لَرَادُّك إلى معادٍ﴾ إلى مكّة. ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٢٦).
عن مقاتل: لمّا نزل النبيُّ عليه السَّلامُ بالجُحْفة في مسيرِه من مكّة إلى المدينة حين الهجرة اشتاق إلى مكّة وذكر مولدَه، فنزلت هذه الآية. «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٩).

(٢) عن الشَّعبيِّ: نزلَ مفتتَحُ هذه السُّورة في أناسٍ كانوا بمكّة من المسلمين، فكتب إليهم أصحابُ النَّبيِّ عليه السَّلامُ من المدينةِ أنّه لا يُقبَلُ منكم إقرارٌ ولا إسلامٌ حتى تهاجروا، فخرجوا، فاتَّبعهم المشركون فآذوهم فنزلت فيهم: ﴿ألم أحسب﴾ فكتبوا إليهم فيها، فقالوا: نخرجُ فإنِ اتَّبعنا أحدٌ قاتلناه، فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم مَن قُتل ومنهم مَن نجا، ونزل فيهم: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ [النحل: ١١٠]. عبد الرزاق (٢٢٣٩)، والطبري (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣١). وعن قتادة نحوه، رواه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣١). وعن عبد الله بن عبيد بن عمير: نزلت ـ يعني هذه الآية ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ـ في عمّار بن ياسر، إذ كان يعذَّب في الله. الطبري (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٣٢) وعن السدي: نزلَتْ في عَيَّاشٍ أخي أبي جهلٍ. «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٦١٨). مقاتل: نزلت في مِهْجَعٍ مولى عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه، قُتِلَ يومَ بدرٍ، رماه عامرُ بنُ الحضرميِّ بسهم فقتلَه، فقال ﷺ يومَئذٍ: «سيِّدُ الشُّهداءِ مِهْجَعٌ، وهو أوَّلُ مَن يُدعَى إلى بابِ الجنَّةِ من هذه الأمَّةِ»، فجزِعَ عليه أبواه وامرأتُه فنزل: ﴿ألم أحسب الناس﴾. الثعلبي (٢١/ ١١)، وهو بنحوه في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٢).

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ
أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

فيه. (٤) ـ **﴿أم حَسِبَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾**: الشِّركَ والمعاصيَ **﴿أن يَسبِقُونا﴾**: يفوتونا فلا ننتقمَ منهم؟ **﴿ساءَ﴾**: بئسَ **﴿ما﴾**: الذي **﴿يَحكُمُونَـ﴾** ـهُ حُكمُهم هذا!

(٥) ـ **﴿مَن كانَ يَرجُو﴾**: يخافُ **﴿لِقاءَ اللهِ فإنَّ أجَلَ اللهِ﴾** به **﴿لَآتٍ﴾**، فليستعدَّ له، **﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾** لأقوال العِباد **﴿العَلِيمُ﴾** بأفعالهم، (٦) ـ **﴿ومَن جاهَدَ﴾** جِهادَ حرب أو نفس **﴿فإنَّما يُجاهِدُ لِنَفسِهِ﴾** لأنّ منفعة جهاده له لا لله. **﴿إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ﴾**: الإنسِ والجنّ والملائكة وعن عِبادتهم.

(٧) ـ **﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم﴾** بعمل الصالحات، **﴿ولَنَجزِيَنَّهُم أحسَنَ﴾**، بمعنى: حَسَنَ ـ ونصبُه بنزع الخافض: الباء ـ **﴿الَّذِي كانُوا يَعمَلُونَ﴾**، وهو الصالحات.

(٨) ـ **﴿ووَصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيهِ[1] حُسنًا﴾** أي: إيصاءً ذا حُسن بأن يَبَرَّهما. **﴿وإن جاهَداكَ، لِتُشرِكَ بِي ما لَيسَ لَكَ بِهِ﴾**: بإشراكه **﴿عِلمٌ﴾** ـ مُوافقةً للواقع فلا مفهومَ له ـ **﴿فلا تُطِعهُما﴾** في الإشراك. **﴿إلَيَّ مَرجِعُكُم، فأُنَبِّئُكُم بما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾** فأُجازيكم به. (٩) ـ **﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُدخِلَنَّهُم في الصّالِحِينَ﴾**: الأنبياءِ والأولياءِ بأن نحشرهم معهم.

(١٠) ـ **﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: آمَنّا بِاللهِ[2]. فإذا أُوذِيَ في اللهِ جَعَلَ فِتنَةَ النّاسِ﴾** أي: أذاهم له **﴿كَعَذابِ اللهِ﴾** في الخوف منه، فيُطيعهم فيُنافق، **﴿ولَئِنْ﴾** ـ لامُ قسم ـ **﴿جاءَ نَصرٌ﴾** للمؤمنين **﴿مِن رَبِّكَ﴾** فغنموا **﴿لَيَقُولُنَّ﴾**، حُذفت منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: **﴿إنّا كُنّا مَعَكُم﴾** في الإيمان. فأشركونا في الغنيمة. قال تعالى: **﴿أوَلَيسَ اللهُ بِأعلَمَ﴾** أي: بعالمٍ **﴿بِما في صُدُورِ العالَمِينَ﴾**: قُلوبِهم من الإيمان والنفاق؟ بلى. (١١) ـ **﴿ولَيَعلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** بقُلوبهم، **﴿ولَيَعلَمَنَّ المُنافِقِينَ﴾** فيجازي الفريقين. واللام في الفعلين: لام قسم.

(١٢) ـ **﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: اتَّبِعُوا سَبِيلَنا﴾**: طريقنا في دِيننا، **﴿ولْنَحمِلْ خَطاياكُم﴾** في اتّباعنا، إن كانت. والأمرُ بمعنى الخبر. قال تعالى: **﴿وما هُم بِحامِلِينَ مِن خَطاياهُم مِن شَيءٍ ـ إنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾** في ذلك ـ (١٣) ـ **﴿ولَيَحمِلُنَّ أثقالَهُم﴾**: أوزارهم **﴿وأثقالاً مَعَ أثقالِهِم﴾** بقولِهم للمؤمنين «اتَّبِعُوا سَبِيلَنا» وإضلالِهم مُقلّديهم، **﴿ولَيُسألُنَّ يَومَ القِيامَةِ عَمّا كانُوا يَفتَرُونَ﴾**: يكذبون على الله سُؤالَ توبيخ. واللام في الفعلين: لام قسم. وحُذفَ فاعلهما الواو ونون الرفع.

(١٤) ـ **﴿ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ﴾**، وعمرُه أربعون سنة أو أكثر، **﴿فلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنَةٍ إلاّ خَمسِينَ عامًا﴾**، يدعوهم إلى توحيد الله فكذّبوه، **﴿فأخَذَهُمُ الطُّوفانُ﴾** أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم فغرقوا، **﴿وهُم ظالِمُونَ﴾**: مُشركون، ....

﴿وصّينا الإنسان﴾: أمرْناهُ. ﴿حسناً﴾: برّاً بهما وعطفاً عليهما. ﴿فتنة النّاس﴾: ما يُصيبُهُ مِن أذاهُم وعذابِهم. ﴿خطاياكم﴾: أوزارَكُم. ﴿أثقالهم﴾: خطاياهُمُ الفادحةَ. ﴿يفترون﴾: يختلقونَهُ مِنَ الأباطيلِ والأكاذيبِ.

(١) عن سعد بن أبي وقاص قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلاَ تَأْكلَ ولا تشربَ، قالت: زعمْتَ أنَّ الله وصَّاك بوالديكَ، وأنا أمُّك، فمكثتْ ثلاثًا حتى غُشي عليها من الجَهد، فقام ابنٌ لها فسقاها، فجعلتْ تدعو على سعد، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ في القرآن هذه الآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الآية.

(٢) عن عكرمة: كان ناسٌ بمكَّة قد شهدوا أنْ لا إله إلاَّ الله، فلمَّا خرج المشركون إلى بدرٍ أخرجوهم معهم، فقتلوا، فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إلى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩] فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى المسلمين الذين بمكَّة، فخرج ناسٌ من المسلمينَ حتَّى إذا كانوا ببعض الطَّريق طلبهم المشركون فأدركوهم، فمنهم مَن أعطى الفتنةَ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ الآية. عبد الرزاق (٦٣٠) و(٢٢٤٠)، وبنحوه الطبري (١٨/ ٣٦٦) عن عكرمة عن ابن عباس. الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الكفر مخافةَ مَن يؤذيهم، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله. الطبري (١٨/ ٣٦٥).

فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ
خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ
وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ
فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ
ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ
مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾

﴿١٥﴾ ـ ﴿**فأنجيناهُ**﴾ أي: نُوحًا ﴿**وأصحابَ السَّفينةِ**﴾ أي: الذين كانوا معه فيها، ﴿**وجعَلْناها آيةً**﴾: عِبرة ﴿**للعالَمينَ**﴾: لِمن بعدهم من الناس، إن عصَوا رسولهم. وعاش نُوح بعد الطوفان ستّين سنة أو أكثر حتّى كثُر الناسُ.

﴿١٦﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إبراهِيمَ، إذ قالَ لِقَومِهِ: اعبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ**﴾: خافوا عقابه. ﴿**ذلِكُم خيرٌ لكُم**﴾ ممّا أنتم عليه من عِبادة الأصنام، ﴿**إن كُنتُم تعلَمُونَ**﴾ الخيرَ من غيره. ﴿١٧﴾ ـ ﴿**إنَّما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرِه ﴿**أوثانًا، وتَخلُقُونَ إفكًا**﴾: تقولون كذبًا: «إنّ الأوثان شُركاءُ لله». ﴿**إنَّ الَّذِينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لا يَملِكُونَ لَكُم رِزقًا**﴾: لا يقدرون أن يرزقوكم. ﴿**فابتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزقَ**﴾: اطلبوه[1] منه، ﴿**واعبُدُوهُ واشكُرُوا لَهُ. إلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾.

﴿١٨﴾ ـ ﴿**وإن تُكَذِّبُوا**﴾ أي: تُكذّبوني ـ يا أهل مكّة ـ ﴿**فقد كَذَّبَ أُمَمٌ مِن قَبلِكُم**﴾ مَن قبلي، ﴿**وما علَى الرَّسُولِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ**﴾: الإبلاغ[2] البيِّنُ. في هاتين القصتين تسلية للنبيّ. وقال تعالى في قومه: ﴿١٩﴾ ـ ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾، بالياء والتاء: ينظروا: ﴿**كَيفَ يُبدِئُ اللهُ الخَلقَ**﴾ ـ بضمّ أوله، وقُرئ بفتحه من: بَدأ وأبدأ بمعنًى ـ أي: يخلقُهم ابتداءً؟ ﴿**ثُمَّ**﴾ هو ﴿**يُعِيدُهُ**﴾ أي: الخلقَ كما بدأه. ﴿**إنَّ ذلِكَ**﴾ المذكورَ من الخلق الأوّل والثاني ﴿**علَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾. فكيف يُنكرون الثاني؟

﴿٢٠﴾ ـ ﴿**قُلْ: سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ بَدَأَ الخَلقَ**﴾ لِمن كان قبلكم وأماتهم؟ ﴿**ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشاءَةَ الآخِرةَ**﴾، مدًّا، وقصرًا مع سكون الشين. ﴿**إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾، ومنه البدءُ والإعادة، ﴿٢١﴾ ـ ﴿**يُعَذِّبُ مَن يَشاءُ**﴾ تعذيبَه، ﴿**ويَرحَمُ مَن يَشاءُ**﴾ رحمتَه، ﴿**وإلَيهِ تُقلَبُونَ**﴾: تُردّون، ﴿٢٢﴾ ـ ﴿**وما أنتُم بِمُعجِزِينَ**﴾ ربّكم عن إدراككم ﴿**في الأرضِ ولا في السَّماءِ**﴾ ـ لو كنتم فيها، أي: لا تفوتونه[3] ـ ﴿**وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرِه ﴿**مِن وَلِيٍّ**﴾ يمنعكم منه ﴿**ولا نَصِيرٍ**﴾: ينصركم من عذابه[4]. ﴿٢٣﴾ ـ ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللهِ ولِقائِهِ**﴾ أي: القُرآنِ[5] والبعث[6] ﴿**أُولئِكَ يَئِسُوا مِن رَحمَتِي**﴾ أي: جنّتي[7]، ﴿**وأُولئِكَ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾: مُؤلم.

﴿تخلقون إفكاً﴾: تكذبونَ أو تنحتونَ كذباً. ﴿إليه تقلبون﴾: تـرَدُّونَ وترجعونَ لا إلى غيرِهِ. ﴿بمعجزين﴾: فائتينَ مِن عذابِهِ بالهربِ.

(١) كلَّهُ، فإنَّهُ المالِكُ له، قال سهلٌ: اطلبوا الرِّزقَ بالتَّوكُّلِ، فإنَّ طَلَبَ الرِّزقِ مِن الكسْبِ سبيلُ العوامِّ. (الجمالين).

(٢) أي: التَّبليغُ المبينُ الَّذي يَزولُ معه الشَّكُّ، وما عليه أن يُصدَّقَ أو يُكذَّبَ. (الجمالين).

(٣) إن فرَرتُم من قضائِهِ بالتَّواري في الأرضِ أو التَّحصُّنِ في السَّماءِ.

وقيل: ولا مَن في السَّماءِ؛ كقولِ حسَّانَ:

أَمَـنْ يَهْجُـو رَسُـوْلَ اللهِ مِنكُم ... وَيَمْدَحُـهُ وَيَنْصُـرُهُ سَـوَاءُ

ويُقدَّرُ: مَن؛ لأنَّ مَن يمدحُ غيرُ مَن يهجو، فلا بُدَّ من تكرارِ الموصولِ. (الجمالين).

(٤) أي: بلاءٍ يظهَرُ من الأرضِ، أو ينزلُ من السَّماءِ. (الجمالين).

(٥) أو: بدلائلِ وَحدانيَّتِهِ، أو: بكُتُبِهِ. (الجمالين).

(٦) تفسيرُ اللِّقاءِ. (الجمالين).

(٧) لإنكارِهِم البَعْثَ، أو: يَئسوا من رحمَتِي يومَ القيامةِ، فعبَّرَ عنه بالماضي للتَّحقيقِ والمبالغةِ. (الجمالين).

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٖ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضٗا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ
فِي ٱلْأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٖ
مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

قال تعالى في قصة إبراهيم: ﴿٢٤﴾ ـ ﴿**فما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلاّ أن قالُوا: اقتُلُوهُ أو حَرِّقُوهُ. فأنجاهُ اللهُ مِنَ النّارِ**﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ أي: إنجائه منها ﴿**لَآياتٍ**﴾ هي عدمُ تأثيرها فيه مع عِظَمِها، وإخمادُها وإنشاءُ روض مكانها في زمنٍ يسير، ﴿**لِقَومٍ يُؤمِنُونَ**﴾: يصدّقون بتوحيد الله وقُدرته لأنهم المنتفعون بها.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

﴿٢٥﴾ ـ ﴿**وقالَ**﴾ إبراهيم: ﴿**إنَّ ما اتَّخذتُم مِن دُونِ اللهِ أوثانًا**﴾ تعبدونها ـ وما: مصدريّة ـ ﴿**مَوَدّةُ بَينِكُم**﴾: خبرُ «إنّ»، وعلى قراءة النصب مفعول له[١] وما: كافّة. المعنى: توادَدتم على عِبادتها، ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا، ثُمَّ يَومَ القِيامةِ يَكفُرُ بَعضُكُم بِبَعضٍ**﴾: يتبرّأ القادةُ من الأتباع، ﴿**ويَلعَنُ بَعضُكُم بَعضًا**﴾: يلعن الأتباعُ القادةَ، ﴿**ومأواكُمُ**﴾: مصيركم جميعًا ﴿**النّارُ، ومالَكُم مِن ناصِرينَ**﴾: مانعين منها.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿**فآمَنَ لَهُ**﴾: صدّقَ بإبراهيمَ ﴿**لُوطٌ**﴾ وهو ابن أخيه هارانَ، ﴿**وقالَ**﴾ إبراهيم: ﴿**إنِّي مُهاجِرٌ**﴾ من قومي ﴿**إلَى رَبِّي**﴾ أي: إلى حيثُ أمرني ربّي. وهجرَ قومه وهاجر من سواد العِراق إلى الشام. ﴿**إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ**﴾ في مُلكه ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في خلقه. ﴿٢٧﴾ ـ ﴿**ووَهَبْنا لَهُ**﴾ بعد إسماعيلَ ﴿**إسحاقَ ويَعقُوبَ**﴾ بعد إسحاقَ، ﴿**وجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوّةَ**﴾ ـ فكلُّ الأنبياء بعد إبراهيم من ذُرّيّته ـ ﴿**والكِتابَ**﴾ بمعنى الكُتب، أي: التوراةَ والإنجيل والزَّبور والقرآن، ﴿**وآتيناهُ أجرَهُ في الدُّنيا**﴾، وهو الثناء الحسن في كُلّ أهل الأديان. ﴿**وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ**﴾ الذين لهم الدرجات العُلا.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**لُوطًا، إذ قالَ لِقَومِهِ: أإنَّكُم**﴾ ـ بتحقيق الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ـ ﴿**لَتأتُونَ الفاحِشةَ**﴾ أي: أدبارَ الرجال، ﴿**ما سَبَقَكُم بِها مِن أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ**﴾: الإنسِ والجنّ؟ ﴿٢٩﴾ ـ ﴿**أإنَّكُم لَتأتُونَ الرِّجالَ وتَقطَعُونَ السَّبِيلَ**﴾: طريق المارّة بفِعلكم[٢] الفاحشةَ بمن يمرّ بكم، فترك الناسُ الممرَّ بكم، ﴿**وتأتُونَ في نادِيكُمُ**﴾ أي: مُتحدَّثِكم ﴿**المُنكَرَ**﴾: فِعلَ الفاحشة بعضُكم ببعض؟ ﴿**فما كانَ جَوابَ قومِهِ إلاّ أن قالُوا: ائتِنا بِعذابِ اللهِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ**﴾ في استقباح ذلك وأن العذاب نازلٌ بفاعليه. ﴿٣٠﴾ ـ ﴿**قالَ: رَبِّ، انصُرْنِي**﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿**عَلَى القَومِ المُفسِدِينَ**﴾: العاصين[٣] بإتيان[٤] الرجال. فاستجاب الله دعاءه.

﴿مودّة بينكم﴾: للتَّوادِّ والتَّواصُلِ بينَكُم لاجتماعِكُم على عبادتها. ﴿مأواكم النّار﴾: منزلُكُمُ الّذي تأوونَ إليهِ النَّارُ. ﴿تقطعون السّبيل﴾: بمقارفةِ المعاصي والقبائحِ. ﴿ناديكم﴾: مجلسِكُمُ الّذي تجتمعونَ فيهِ.

(١) أي: لتتوادُّوا بينكم وتتواصَلوا؛ لاجتماعِكُم على عبادَتِها. (الجمالين).

(٢) وبالتَّعرُّضِ بالقتلِ وأخذِ المالِ. (الجمالين).

(٣) قالَ الطِّيبيُّ: الكافرُ إذا وُصِفَ بالفسقِ أو الإفسادِ كانَ محمولًا على عدوانِهِ في الكفرِ. (الجمالين).

(٤) أي: بابتِداعِ الفاحشَةِ وسَنِّها فيمَن بعدَهُم. (الجمالين).

وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ
أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ
وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا
ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ
هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ
جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم
مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ
فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾

(٣١) ـ ﴿ولَمّا جاءَت رُسُلُنا إبراهيمَ بِالبُشرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قالُوا: إنّا مُهلِكُو أهلِ هذِهِ القَريَةِ﴾ أي: قريةِ لُوطٍ. ﴿إنَّ أهلَها كانُوا ظالِمِينَ﴾: كافرين. (٣٢) ـ ﴿قالَ﴾ إبراهيم: ﴿إنَّ فِيها لُوطًا. قالُوا﴾ أي الرسلُ: ﴿نحنُ أعلَمُ بِمَن فِيها. لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿وأهلَهُ إلاّ امرأتَهُ، كانَت مِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب.

(٣٣) ـ ﴿ولَمّا أن جاءَتْ رُسُلُنا لُوطًا سِيْءَ بِهِم﴾: حَزِنَ[1] بسببهم، ﴿وضاقَ بِهِم ذَرعًا﴾: صدرًا[2] لأنهم حِسانُ الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه بأنهم رُسل ربِّه، ﴿وقالُوا: لا تَخَفْ ولا تَحزَنْ. إنّا مُنَجُّوكَ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿وأهلَكَ إلاّ امرأتَكَ، كانَت مِنَ الغابِرِينَ﴾. ونُصب «أهلك» عطفًا على محلّ الكاف. (٣٤) ـ ﴿إنّا مُنْزِلُونَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿على أهلِ هذِهِ القَريَةِ رِجزًا﴾: عذابًا ﴿مِنَ السَّماءِ بِما﴾: بالفعل الذي ﴿كانُوا يَفسُقُونَ﴾ به، أي: بسبب فِسقهم. (٣٥) ـ ﴿ولَقَد تَرَكْنا مِنها آيَةً بَيِّنَةً﴾: ظاهرة، هي آثار خرابها، ﴿لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

(٣٦) ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيبًا، فقالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ وارجُوا اليَومَ الآخِرَ﴾: اخشَوه ـ هو يوم القيامة ـ ﴿ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾: حالٌ مُؤكِّدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المُثلّثة: أفسدَ[3]. (٣٧) ـ ﴿فكَذَّبُوهُ فأخَذَتْهُمُ الرَّجفَةُ﴾: الزلزلة[4] الشديدة، ﴿فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ﴾: باركين على الرُّكب ميّتين.

(٣٨) ـ ﴿و﴾ أهلكنا[5] ﴿عادًا وثَمُودًا﴾ ـ بصرف «ثمود» وتركِه بمعنى الحيّ والقبيلة ـ ﴿وقَد تَبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكُهم[6] ﴿مِن مَساكِنِهِم﴾ بالحِجر واليمن ـ ﴿وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم﴾ من الكُفر والمعاصي، ﴿فصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيل الحقّ، ﴿وكانُوا مُستَبصِرِينَ﴾: ذوي بصائر، ....

﴿من الغابرين﴾: مِنَ الباقينَ في العذابِ كأمثالِها. ﴿سيء بهم﴾: اعتراهُ الغمُّ بمجيئِهم خوفاً عليهم. ﴿ضاق بهم ذرعاً﴾: ضعُفَتْ طاقتُهُ عن تدبيرِ خلاصِهم. ﴿رجزاً﴾: عذاباً شديداً. ﴿لا تعثوا﴾: لا تُفسِدوا أشدَّ الإفسادِ. ﴿فأخذتهم الرجفة﴾: الزَّلزلةُ الشَّديدةُ بسببِ الصَّيحةِ. ﴿جاثمين﴾: هامدينَ ميِّتينَ لا حراكَ بهم. ﴿كانوا مستبصرين﴾: عقلاءَ مُتمكِّنينَ مِنَ التَّدبُّرِ.

(١) أي: جاءَتهُ المساءَةُ والغَمُّ بسببِهم مخافةَ أن يقصدَهُم قومُهُ بسوءٍ، و﴿أنْ﴾ صِلَةٌ لتأكيدِ الفعلينِ، واتِّصالِهما المدلولِ بكلمةِ ﴿لَمَّا﴾ كأنَّهُما وقَعا معاً. (الجمالين).

(٢) هذا لازمُ معناهُ اللُّغويِّ وهو الطَّاقةُ، فالمعنى: ضاقَ بشأنِهم وتدبيرِ أمرِهم طاقتُهُ. (الجمالين).

(٣) العُثُوُّ: أشدُّ الفسادِ، فالمعنى: لا تزيدُوا في الفسادِ حالَ كونِهم مفسدينَ، أو: لا تفسِدوا حالَ كونِهم قاصدينَ الفسادَ. (الجمالين).

(٤) أو الصَّيحَةُ، ولا مَنْعَ من الجمعِ، ويمكنُ التَّوزيعُ. (الجمالين).

(٥) يعني: ما بعدَهُ منصوبانِ بفعلٍ دلَّ عليه ما قبلَهُ، وهوَ ﴿أخذتهم الرجفة﴾، فالأظهرُ إضمارُ: اذكُرْ. (الجمالين).

(٦) أشارَ إلى أنَّ فاعلَ: ﴿تَبَيَّنَ﴾ ضميرٌ، و﴿مِنْ﴾ للابتداءِ؛ أي: من جهةِ مساكنِهم إذا نظرْتُم إليها عند مُرورِكُم بها، والأظهرُ: أنَّ ﴿مِنْ﴾ تبعيضيَّةٌ فاعلٌ؛ أي: بعضُ مساكنِهم باليمنِ، ويؤيِّدُه قراءةُ الأخفشِ: (مساكنُهُمْ) بالرَّفعِ من غيرِ: ﴿مِنْ﴾. (الجمالين).

وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٣٩﴾ ـ ﴿و﴾ أهلكنا ﴿قارُونَ وفِرعَونَ وهامانَ، ولَقَد جاءَهُم﴾ من قبلُ ﴿مُوسَى بِالبيِّناتِ﴾: بالحُجج الظاهرات، ﴿فاستكبَرُوا في الأرضِ، وما كانُوا سابِقِينَ﴾: فائتين عذابَنا.

﴿٤٠﴾ ـ ﴿فكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أخَذْنا بِذَنْبِه ـ فمِنهُم مَن أرسَلْنا علَيهِ حاصِبًا﴾: ريحًا عاصفة فيها حصباءُ كقوم لُوط، ﴿ومِنهُم مَن أخَذَتْهُ الصَّيحةُ﴾ كثمود، ﴿ومِنهُم مَن خَسَفْنا بِهِ الأرضَ﴾ كقارون، ﴿ومِنهُم مَن أغرَقْنا﴾ كقوم نُوح وفِرعونَ وقومه ـ ﴿وما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم﴾ فيُعذِّبَهم[1] بغير ذنب، ﴿ولكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

﴿٤١﴾ ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَولياءَ﴾أي: أصنامًا[2] يرجون نفعها[3] ﴿كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيتًا﴾ لنفسها تأوي إليه، ﴿وإنَّ أوهَنَ﴾: أضعفَ ﴿البُيُوتِ لَبَيتُ العَنكَبُوتِ﴾، لا يدفع عنها حرًّا ولا بردًا. كذلك الأصنام لا تنفع عابديها. ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها.

﴿٤٢﴾ ـ ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ ما﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدعُونَ﴾: يعبدون ـ بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِ﴾: غيره ﴿مِن شَيءٍ، وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه. ﴿٤٣﴾ ـ ﴿وتِلكَ الأمثالُ﴾ في القُرآنِ ﴿نَضرِبُها﴾: نجعلها[4] ﴿لِلنّاسِ، وما يَعقِلُها﴾ أي: يفهمها ﴿إلاّ العالِمُونَ﴾: المُتدبِّرون.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾ أي: مُحقًّا. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيةً﴾: دالّة على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾. خُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿اتلُ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِنَ الكِتابِ﴾: القُرآنِ، ﴿وأقِمِ الصَّلاةَ ـ إنَّ الصَّلاةَ تَنهَى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ﴾ شرعًا، أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها[5]، ﴿ولَذِكرُ اللهِ أكبَرُ﴾ من غيره من الطاعات[6]، ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تَصنَعُونَ﴾ فيُجازيكم به ـ ....

﴿سابقين﴾: فائتينَ مِن عذابِهِ تعالى. ﴿حاصباً﴾: ريحاً عاصفاً ترميهم بالحصباءِ. ﴿أخذته الصّيحة﴾: صوتٌ مِنَ السَّماءِ مُهلكٌ مُرجفٌ. ﴿العنكبوت﴾: حشرةٌ معروفةٌ.

(١) أي: ليعاملَهُم معاملةَ الظَّالمِ، إذ ليسَ ذاكَ من عادتِهِ تعالى. (الجمالين).

(٢) قيل: المرادُ: سِوى المولى. (الجمالين).

(٣) وكذلكَ: خوفَ الضُّرِّ، لكن اقتصَرَ على الأوَّلِ لمناسبةِ المَثَلِ. (الجمالين).

(٤) أو نبيِّنُها تقريباً لِمَا بَعُدَ مِنَ الأفهامِ. (الجمالين).

(٥) وكذا خارجَها ببركتِها غالباً من حيثُ إنَّها تُذكِّرُ اللهَ، وتورثُ للنَّفسِ خشيتَهُ، أو مواظبتُها تحملُ على تركِ ذلك، وفي الحديثِ: «مَنْ لم تنهَهُ صلاتُهُ عنِ الفحشاءِ والمنكرِ لمْ يزددْ مِنَ اللهِ إلَّا بُعْداً» رواهُ الإمامُ أحمدُ.

أو مراعاتُها تجرُّهُ إلى الانتهاءِ، وفي الحديثِ: قيلَ له عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: إنَّ فلاناً يصلِّي باللَّيلِ فإذا أصبحَ سرقَ! قالَ: «سينهاهُ ما تقولُ» رواهُ ابنُ أبي حاتمٍ والطَّبرانيُّ وابنُ جريرٍ، وهو قولُ أكثرِ السَّلفِ، وأمَّا ما اختارَهُ الشَّيخُ فهو قولُ ابنِ عونٍ. (الجمالين).

(٦) أو: لَلصَّلاةُ ـ لاشتمالِها على ذكرِهِ ـ أكبرُ من سائرِ العباداتِ، أو: لَذِكرُ اللهِ إيَّاكُم برحمتِهِ أكبرُ من ذكرِكُم إيَّاهُ بطاعتِهِ، وهذا المعنى في «الدُّرِّ» بطرقٍ كثيرةٍ مرفوعاً وموقوفاً. (الجمالين).

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ
﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا
يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن
قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ
ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ
أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ
لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ
وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ
ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ
لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ
شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

الجزء ٢١ الحزب ٤١

(٤٦) ـ **﴿ولا تُجادِلُوا أهلَ الكِتابِ إلاّ بالَّتي﴾** أي: بالمُجادلة التي **﴿هِيَ أحسَنُ﴾** كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حُجَجه، **﴿إلاّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم﴾** بأن حاربوا وأبوا أن يُقرّوا بالجِزية، فجالِدوهم بالسيف حتّى يُسلموا أو يُعطوا الجزية، **﴿وقُولُوا﴾** لمن قَبِلَ الإقرار بالجِزية إذا أخبروكم بشيء ممّا في كُتبهم: **﴿آمَنّا بالَّذِي أُنزِلَ إلَينا وأُنزِلَ إلَيكُم﴾** ـ ولا تُصدّقوهم ولا تُكذّبوهم في ذلك ـ **﴿وإلـٰهُنا وإلـٰهُكُم واحِدٌ، ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾**: مُطِيعون.

(٤٧) ـ **﴿وكَذلِكَ أنزَلنا إلَيكَ الكِتابَ﴾**: القُرآنَ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها. **﴿فالَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ﴾**: التوراةَ كعبدالله بن سلام وغيره[1] **﴿يُؤمِنُونَ بِهِ﴾**: بالقرآن، **﴿ومِن هؤُلاءِ﴾** أي: أهل مكّة[2] **﴿مَن يُؤمِنُ بِهِ، وما يَجحَدُ بِآياتِنا﴾** بعد ظهورها **﴿إلاّ الكافِرُونَ﴾** أي: اليهودُ[3]. وظهر لهم أنّ القرآن حقّ والجائي به مُحِقٌّ، وجحدوا ذلك. (٤٨) ـ **﴿وما كُنتَ تَتلُو مِن قَبلِهِ﴾** أي: القرآنِ **﴿مِن كِتابٍ، ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ. إذًا﴾** أي: لو كنت قارئًا كاتبًا **﴿لارتابَ﴾**: شكّ **﴿المُبطِلُونَ﴾** اليهودُ فيك، وقالوا: «الذي في التوراة أنه أُمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب». (٤٩) ـ **﴿بَل هُوَ﴾** أي: القُرآن الذي جئتَ به **﴿آياتٌ بَيِّناتٌ، في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾** أي: المؤمنين يحفظونه، **﴿وما يَجحَدُ بِآياتِنا إلاّ الظّالِمُونَ﴾**: اليهودُ. وجحدوها بعد ظهورها لهم.

(٥٠) ـ **﴿وقالُوا﴾** أي: كُفّارُ مكّة[4]: **﴿لَولا﴾**: هلاّ **﴿أُنزِلَ عليهِ﴾**: على مُحمّدٍ **﴿آيةٌ مِن رَبِّهِ﴾** ـ وفي قراءةٍ: «آياتٌ» ـ كناقةِ صالح وعصا موسى ومائدة عيسى. **﴿قُلْ﴾** لهم: **﴿إنَّما الآياتُ عِندَ اللهِ﴾** يُنزلها كما يشاء، **﴿وإنَّما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾**: بيّنُ الإنذار بالنار.

(٥١) ـ (٥٢) ـ **﴿أوَلَم يَكفِهِم﴾** فيما طلبوا[5] **﴿أنّا أنزَلنا علَيكَ الكِتابَ﴾**: القُرآن، **﴿يُتلَى علَيهِم﴾**[6]. فهو آية مُستمرّة لا انقضاء لها بخِلاف ما ذُكر[7] من الآيات **﴿إنَّ في ذلِكَ﴾** الكتابِ **﴿لَرَحمةً وذِكرَى﴾**: عِظةً **﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ. قُلْ: كَفَى باللهِ بَيني وبَينَكُم شَهِيدًا﴾** بصدقي[8]، **﴿يَعلَمُ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾**، ومنه حالي وحالكم! **﴿والَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ﴾** ـ وهو ما يُعبد من دون الله ـ **﴿وكَفَرُوا باللهِ﴾** منكم **﴿أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾** في صفقتهم حيثُ اشترَوُا الكُفر بالإيمان.

---

(١) الذين أسلموا بالمدينةِ، والسُّورةُ مكّيّةٌ، فهو إعلامٌ من اللهِ تعالى لرسولِه، ودخولُ الفاءِ باعتبارِ الإعلامِ، أو المرادُ: مَن تقدّمَ عهدَ الرّسولِ مِن أهلِ الكتابِ. (الجمالين).

(٢) أو أهلِ الكتابِ ممّن في عهدِ الرّسولِ. (الجمالين).

(٣) لا وجهَ للتّخصيصِ، والصّوابُ: كاليهودِ، والمعنى: المتوغّلُونَ في الكفرِ. (الجمالين).

(٤) وغيرُهُم، ويدلُّ على العمومِ الأمثلةُ الآتيةُ. (الجمالين).

(٥) من المقترَحاتِ. (الجمالين).

(٦) عن يحيى بن جَعدةَ: أنّ النّبي ﷺ أُتي بكتابٍ في كتفٍ فقال: «كفَى بقومٍ ضلالةً أنْ يَبتغوا كتابًا غيرَ كتابهم إلى نبيٍّ غيرِ نبيِّهم»، فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ الآية. «سنن الدارمي» (٤٩٥)، و«المراسيل» لأبي داود (٤٥٤)، والطبري (١٨/ ٤٢٩).

(٧) وفي الحديثِ: أنّ ناساً من المسلمينَ جاؤوا بكُتُبٍ قد كَتبوا فيها بعضَ ما سمِعوهُ من اليهودِ، فقالَ النّبيُّ ﷺ: «كفَى بقومٍ حُمقاً ـ أو ضلالةً ـ أنْ يرغبُوا عمّا جاءَهُم بِهِ نبيُّهُم إليهم إلى ما جاءَ بِهِ غيرُهُ إلى غيرِهِم» فنزلَت، كذا في «الدُّرّ». (الجمالين).

(٨) وقد صدَّقَني بالمعجِزاتِ. (الجمالين).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

﴿٥٣﴾ - ﴿وَيَستعجِلُونَكَ بِالعذَابِ، ولَولا أجَلٌ مُسمًّى﴾ له ﴿لَجاءَهُمُ العَذابُ﴾ عاجلاً، ﴿ولَيأتِيَنَّهُم بَغتَةً، وهُم لا يَشعُرونَ﴾ بوقت إتيانه.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ - ﴿يَستعجِلُونكَ بِالعَذابِ﴾ في الدنيا، ﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطةٌ بِالكافِرِينَ يَومَ يَغشاهُمُ العَذابُ مِن فَوقِهِم ومِن تَحتِ أرجُلِهِم، ونَقُولُ﴾ فيه، بالنون أي: نأمر بالقول، وبالياء أي: «يَقُولُ» أي: المُوكَّلُ بالعذاب: ﴿ذُوقُوا ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه. فلا تفوتوننا.

﴿٥٦﴾ - ﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ أرضِي واسِعةٌ. فإيّايَ فاعبُدُونِ﴾ في أيّ أرض تيسَّرت فيها العِبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسّر فيها. نزل في ضُعفاء مسلمي مكّة، كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها. ﴿٥٧﴾ - ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائقةُ المَوتِ، ثُمَّ إلَينا تُرجَعُونَ﴾ - بالتاء والياء - بعد البعث[1].

﴿٥٨﴾ - ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: نُنزلنّهم - وفي قراءة بالمُثلّثة بعد النون، من الثُّوِيّ: الإقامة، وتعديتُه إلى «غرفًا» بحذف «في» - ﴿مِنَ الجَنّةِ غُرَفًا، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ﴾: مُقدَّرين الخُلودَ ﴿فِيها، نِعمَ أجرُ العامِلِينَ﴾ هذا الأجرُ! ﴿٥٩﴾ - هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المُشركين والهجرةِ لإظهار الدِّين، ﴿وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾، فيرزقهم من حيثُ لا يحتسبون. ﴿٦٠﴾ - ﴿وكَأيِّنْ﴾: كم ﴿مِن دابّةٍ، لا تَحمِلُ رِزقَها﴾[2] لضعفها[3]، ﴿اللهُ يَرزُقُها وإيّاكُم﴾ - أيها المُهاجرون - إن لم يكن معكم زاد ولا نفقة! ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم ﴿العَلِيمُ﴾ بضميركم.

﴿٦١﴾ - ﴿ولَئِنْ﴾ - لامُ قسم - ﴿سألتَهُم﴾ أي: الكُفّارَ: ﴿مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ. فأنّى يُؤفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن توحيده، بعد إقرارهم بذلك؟ ﴿٦٢﴾ - ﴿اللهُ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ امتحانًا، ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه ﴿لَهُ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءً. ﴿إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾، ومنه محلّ البسط والتضييق.

﴿٦٣﴾ - ﴿ولَئِنْ﴾ - لامُ قسم - ﴿سألتَهُم: مَن نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأحيا بِهِ الأرضَ مِن بَعدِ مَوتِها؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ﴾. فكيف يُشركون به؟ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الحَمدُ لِلهِ﴾ على ثُبوت الحُجّة عليكم. ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ﴾ تناقُضَهم في ذلك، ....

﴿أجل مسمّى﴾: هُو يومُ القيامةِ. ﴿بغتة﴾: فجأةً. ﴿يغشاهم العذاب﴾: يُجلِّلُهُم ويُحيطُ بهِم. ﴿لنبوِّئنهم﴾: لنُنزلَنَّهُم على وجهِ الإقامةِ. ﴿غرفاً﴾: منازلَ رفيعةً عاليةً. ﴿كأيّ من دابّة﴾: كثيرٌ مِنَ الدَّوابِّ. ﴿فأنى يُؤفكون؟﴾: فكيفَ يُصرفونَ عن توحيدِهِ ؟. ﴿يقدر له﴾: يُضيِّقُهُ على مَن يشاءُ لحكمةٍ.

(١) ومَن هذا عاقبتُهُ ينبغي أن يجتهدَ في الاستعدادِ له. (الجمالين).

(٢) عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: خرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ حتَّى دخلَ بعضَ حيطانِ الأنصارِ، فجعلَ يلتقطُ التَّمرَ ويأكلُ، فقال: «يا ابنَ عمرَ، مالَكَ لا تأكلُ؟» فقلتُ: لا أشتَهيه يا رسولَ الله. قال: «لكنِّي أشتَهيه، وهذه صبيحةُ رابعةٍ مذ لم أذُقْ طعامًا، ولو شئتُ لدعَوتُ ربِّي فأعطاني مثلَ مُلكِ كسرى وقيصرَ، وكيف بك يا ابنَ عمرَ إذا بقيتَ في قومٍ يَخْبَؤونَ رزقَ سنتِهم ويضعُفُ اليقينُ»، قال: فوالله ما برِحْنا حتَّى نزلَتْ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دابّة لا تَحْمِلُ رِزْقَها اللَّهُ يَرْزُقُها وَإِيّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. عبد بن حميد كما في «المنتخب» (٨١٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٧٨)، والثعلبي (٢١/ ٨٦)، والواحدي (ص: ٣٤٣). قال ابن كثير: «غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف»، وأبو العطوف الجراح بن منهال قال البخاري ومسلم: مُنكر الحديث، وقال ابن حبان: كذَّاب. «تعجيل المنفعة» (١/ ٣٨١). وقال القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٠): وهذا ضعيف، يضعفه أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يدخر لأهله قوت سنتهم، وكانت الصحابة يفعلون ذلك، وهم القدوة وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين.

(٣) أي: لا تطيقُ حملَهُ لضعفِها، أو: لا تدَّخِرُه، وإنَّما تصبحُ ولا معيشةَ عندَها. (الجمالين).

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ
ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾
لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ
أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ
مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

(٦٤) ـ ﴿وما هذهِ الحَياةُ الدُّنيا إلاّ لَهوٌ ولَعِبٌ﴾، وأمّا القُرَب فمن أُمور الآخرة لظُهور ثمرتها فيها، ﴿وإنَّ الدّارَ الآخِرةَ لَهْيَ الحَيَوانُ﴾ بمعنى: الحياة. ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها.

(٦٥) ـ ﴿فإذا رَكِبُوا في الفُلكِ دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاءَ، أي: لا يدعون معه غيره لأنهم في شدّة لا يكشفها إلاّ هو، ﴿فلَمّا نَجّاهُم إلَى البَرِّ إذا هُم يُشرِكُونَ﴾ به، (٦٦) ـ ﴿لِيَكفُرُوا بِما آتيناهُم﴾ من النِّعمة، ﴿ولِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعهم على عِبادة الأصنام. وفي قراءة بسكون اللام: أمرُ تهديد. ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ عاقبةَ ذلك. (٦٧) ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنّا جعَلْنا﴾ بلدهم مكّة ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾[1]، ﴿ويُتَخَطَّفُ النّاسُ مِن حَولِهِم﴾ قتلاً وسبيًا دونهم؟ ﴿أفبِالباطِلِ﴾: الصنم ﴿يُؤمِنُونَ، وبِنِعْمةِ اللهِ يَكفُرُونَ﴾ بإشراكهم؟

ربع الحزب ٤١

(٦٨) ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افترَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به، ﴿أو كَذَّبَ بِالحَقِّ﴾: النبيِّ أو الكتابِ ﴿لَمّا جاءَهُ؟ ألَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى﴾: مأوًى ﴿لِلكافِرِينَ﴾؟ أي: فيها ذلك وهو منهم. (٦٩) ـ ﴿والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا﴾: في حقّنا ﴿لَنهدِيَنَّهُم سُبْلَنا﴾ أي: طُرقَ السير إلينا، ﴿وإنَّ اللهَ لَمَعَ المُحسِنِينَ﴾: المُؤمنين بالنصر والعون.

* * *

٣٠
سُورَةُ الرُّومِ

مكية، وهي ستون أو تسع وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿الم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ـ وهم أهل الكِتاب ـ غلبتْها فارسُ وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كُفّار مكّة بذلك، وقالوا للمُسلمين: «نحن نغلبُكم كما غَلبتْ فارسُ الرومَ»، (٣) ـ ﴿في أدنَى الأرضِ﴾ أي: أقربِ أرض الروم إلى فارسَ بالجزيرة، التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرسُ[2]، ﴿وهُم﴾ أي: الروم ﴿مِن بَعدِ غَلَبِهِم﴾ ـ أُضيفَ المصدر إلى المفعول ـ أي: غلبةِ فارسَ إياهم ﴿سَيَغلِبُونَ﴾ فارسَ (٤) ـ (٥) ـ ﴿في بِضعِ سِنِينَ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر. فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغَلبَتِ الرومُ

﴿لهو ولعب﴾: لذائذ مُتصرِّمةٌ، وعبثٌ باطلٌ. ﴿لَهي الحيوان﴾: لَهِيَ دارُ الحياةِ الدَّائمةِ الخالدةِ. ﴿الدّين﴾: العبادةَ والطَّاعةَ. ﴿يُتخطّف النّاس﴾: يُستلبونَ قتْلاً وأسراً.
﴿مثواً للكافرين﴾: مكانٌ يَثْوُونَ فيهِ ويقيمونَ.
﴿غُلبت الروم﴾: قهرَتْ فارسٌ الرُّومَ. ﴿أدنى الأرض﴾: أقربِ أرضِ الرُّومِ إلى فارسٍ. ﴿غَلَبهم﴾: كونِهم مغلوبينَ.

(١) عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لقلتنا، والأعراب أكثر منا، فمتى ما يبلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا فكنا أكلة رأس، فأنزل الله: ﴿أولم يروا﴾ الآية.

(٢) رواه الترمذي (٣١٩٤) من حديث نيار بن مكرم رضي الله عنه وقال: حسن صحيح غريب.

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا
مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ
أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ
عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ
بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ
﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن
شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ
﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

فارسَ - ﴿لِلهِ الأمرُ مِن قَبلُ ومِن بَعدُ﴾ أي: من قبلِ غَلَبِ الروم ومن بعده. المعنى: أنّ غلبةَ فارسَ أوّلاً وغلبةَ الرومِ ثانيًا بأمر الله، أي: إرادته - ﴿ويومَئذٍ﴾ أي: يومَ تغلب الرومُ ﴿يَفرَحُ المُؤمِنونَ بِنَصرِ اللهِ﴾ إيّاهم على فارسَ. وقد فرحوا بذلك، وعلموا به يومَ وقوعه يومَ بدر بنزول جبريل بذلك فيه[1]، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه. ﴿يَنصُرُ مَن يَشاءُ، وهُوَ العَزيزُ﴾: الغالب ﴿الرَّحيمُ﴾ بالمؤمنين.

﴿٦﴾ - ﴿وَعْدَ اللهِ﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَهم اللهُ النصرَ، ﴿لا يُخلِفُ اللهُ وَعدَهُ﴾ به، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿لا يَعلَمونَ﴾ وعدَه - تعالى - بنصرهم، ﴿٧﴾ - ﴿يَعلَمونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنيا﴾ أي: معايشَها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك، ﴿وهُم عَنِ الآخِرةِ هُم غافِلونَ﴾. أعاد «هم» تأكيدًا. ﴿٨﴾ - ﴿أوَلَم يَتَفَكَّروا في أنفُسِهِم﴾ ليرجِعوا عن غفلتهم: ﴿ما خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلاّ بِالحَقِّ وأجَلٍ مُسَمًّى﴾؟ لذلك تفنى عِند انتهائه، وبعدَه البعثُ. ﴿وإنَّ كَثيرًا مِنَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿بِلِقاءِ رَبِّهِم لَكافِرونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

﴿٩﴾ - ﴿أوَلَم يَسيروا في الأرضِ، فيَنظُروا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأمم، وهي إهلاكهم بتكذيبهم رُسلَهم؟ ﴿كانوا أشَدَّ مِنهُم قُوَّةً﴾ كعادٍ وثمودَ، ﴿وأثاروا الأرضَ﴾: حرثوها وقلبوها للزرع والغرس، ﴿وعَمَروها أكثَرَ مِمّا عَمَروها﴾ أي: كُفّارُ مكّة، ﴿وجاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالحُجج الظاهرات، ﴿فما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم﴾ بإهلاكهم بغير جُرم[2]، ﴿ولكِن كانوا أنفُسَهُم يَظلِمونَ﴾ بتكذيبهم رُسُلَهم، ﴿١٠﴾ - ﴿ثُمَّ كانَ عاقِبةُ الَّذينَ أساؤوا السُّوءَى﴾: تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبرُ «كان» على رفع «عاقبةُ» واسمُ «كان» على نصب «عاقبةَ»، والمُراد بها جهنّم، وإساءتُهم ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿كَذَّبوا بآياتِ اللهِ﴾: القُرآنَ ﴿وكانوا بِها يَستَهزِئونَ﴾.

﴿١١﴾ - ﴿اللهُ يَبدَأُ الخَلقَ﴾ أي: يُنشئ خلق الناس، ﴿ثُمَّ يُعيدُهُ﴾ أي: خَلْقَهم بعد موتهم، ﴿ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعونَ﴾ بالتاء والياء، ﴿١٢﴾ - ﴿ويَومَ تَقومُ السّاعةُ يُبلِسُ المُجرِمونَ﴾: يسكتُ المُشركون لانقطاع حُجّتهم، ﴿١٣﴾ - ﴿ولَم يَكُنْ﴾ أي: لا يكون ﴿لَهُم مِن شُرَكائِهِم﴾ ممّن أشركوهم بالله - وهم الأصنام ليشفعوا لهم - ﴿شُفَعاءُ، وكانوا﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكائِهِم كافِرينَ﴾ أي: مُتبرّئين منهم.

﴿١٤﴾ - ﴿ويَومَ تَقومُ السّاعةُ يَومَئذٍ﴾: تأكيدٌ ﴿يَتَفَرَّقونَ﴾ أي: المؤمنون والكافرون. ﴿١٥﴾ - ﴿فأمّا الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ فهُم في رَوضةٍ﴾: جنّة ﴿يُحبَرونَ﴾: يُسَرّون، ....

﴿أجل مسمّى﴾: وقتٍ مُقدَّرٍ أزلاً لِبقائِها. ﴿أثاروا الأرض﴾: حرَثوها وقلّبوها للزِّراعة. ﴿السّوأى﴾: العقوبةُ المُتناهيةُ في السُّوءِ (النّار). ﴿يُبلِسُ المجرمون﴾: تنقطعُ حجَّتُهُم. أو يَيْأَسونَ. ﴿يُحبرون﴾: يُسرُّونَ. أو يُكرَمونَ.

(١) رواه الترمذي (٢٩٣٥) عن أبي سعيد قال: لمّا كان يومُ بدرٍ ظهرتِ الرُّومُ على فارسَ، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾. وقد روي في هذه القصة أحاديث وآثار كثيرة يطول ذكرها، جمعها السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٩ - ٤٨٣).

(٢) أي: ليعامِلَهُم معاملةَ الظَّلَمةِ فيدمِّرَهُم من غيرِ جرمٍ ولا تذكيرٍ؛ أي: ما كانَ من عادتِهِ ذلك. (الجمالين).

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ١٦ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٨ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ
١٩ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ
تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ
خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٢٣ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤

(١٦) ـ **﴿وأمّا الَّذينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا﴾**: القُرآنِ **﴿ولِقاءِ الآخِرةِ﴾**: البعث وغيره **﴿فأُولئِكَ في العَذابِ مُحضَرُونَ﴾**.

(١٧) ـ **﴿فسُبحانَ اللهِ﴾** أي: سبِّحوا اللهَ بمعنى: صلُّوا **﴿حِينَ تُمسُونَ﴾** أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغربُ والعِشاء، **﴿وحِينَ تُصبِحُونَ﴾** تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصُّبح ـ (١٨) ـ **﴿ولَهُ الحَمدُ في السَّماواتِ والأرضِ﴾**: اعتراضٌ ومعناه يحمده أهلهما ـ **﴿وعَشِيًّا﴾**: عطف على «حينَ» وفيه صلاة العصر، **﴿وحِينَ تُظهِرُونَ﴾**: تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر!

(١٩) ـ **﴿يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ﴾** كالإنسانِ من النُّطفة والطائرِ من البيضة، **﴿ويُخرِجُ المَيْتَ﴾**: النُّطفةَ والبيضة **﴿مِنَ الحَيِّ، ويُحيِي الأرضَ﴾** بالنبات **﴿بَعدَ مَوتِها﴾** أي: يُبسِها ـ **﴿وكَذلِكَ﴾** الإخراجِ **﴿تَخرُجُونَ﴾** من القُبور، بالبناء للفاعل والمفعول ـ (٢٠) ـ **﴿ومِن آياتِهِ﴾** ـ تعالى ـ الدالّةِ على قُدرته **﴿أنْ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ﴾** أي: أصلكم[1] آدمَ، **﴿ثُمَّ إذا أنتُم بَشَرٌ﴾** من دم ولحم، **﴿تَنتَشِرُونَ﴾** في الأرض.

(٢١) ـ **﴿ومِن آياتِهِ أن خَلَقَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجًا﴾**، فخُلقت حوّاءُ من ضِلَع آدمَ، وسائرُ الناس من نُطف الرجال والنساء، **﴿لِتَسكُنُوا إلَيها﴾** وتألفوها، **﴿وجَعَلَ بَينَكُم﴾** جميعًا **﴿مَوَدّةً ورَحمةً ـ إنَّ في ذلِكَ﴾** المذكورِ **﴿لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** في صُنع الله تعالى ـ (٢٢) ـ **﴿ومِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ والأرضِ، واختِلافُ ألسِنَتِكُم﴾** أي: لُغاتِكم من عربيّة وعجميّة وغيرهما **﴿وألوانِكُم﴾** من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة. **﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾**: دلالاتٍ على قُدرته تعالى **﴿لِلعالَمِينَ﴾** ـ بفتح اللام وكسرِها ـ أي: ذوي العُقول وأُولي العِلم.

(٢٣) ـ **﴿ومِن آياتِهِ مَنامُكُم بِاللَّيلِ والنَّهارِ﴾** بإرادته راحةً لكم، **﴿وابتِغاؤُكُم﴾** بالنهار **﴿مِن فَضلِهِ﴾** أي: تصرّفُكم في طلب المعيشة بإرادته ـ **﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَسمَعُونَ﴾** سماعَ تدبّر واعتبار ـ (٢٤) ـ **﴿ومِن آياتِهِ يُرِيكُمُ﴾** أي: إراءتُكم **﴿البَرقَ خَوفًا﴾** للمُسافر من الصواعق[2] **﴿وطَمَعًا﴾** للمُقيم في المطر، **﴿ويُنزِلُ مِنَ السَّماءِ ماءً، فيُحيِي بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾** أي: يُبسِها[3] بأن تُنبت. **﴿إنَّ في ذلِكَ﴾** المذكورِ **﴿لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾** يتدبّرون.

﴿في العذابِ مُحضرون﴾: لا يغيبونَ عنهُ أبداً. ﴿حين تُظهرون﴾: تدخلونَ في وقتِ الظَّهيرةِ. ﴿تنتشرون﴾: تتصرفونَ في شؤونِ معايشِكُم. ﴿لتسكنوا إليها﴾: لِتميلوا إليها وتألفوها.

(١) على تقديرِ مضافٍ، أو: خلقَكُم في أصلِ الإنشاءِ؛ لأنّه خَلَقَ أصلَكُم منه. (الجمالين).

(٢) فيه أنَّ خوفَ الصَّاعقةِ ليسَ مختصًّا بالمسافرِ، فكانَ الأولى أن يقولَ: أو من الصَّواعقِ، فإنَّ المسافرَ أيضاً يخافُ من المطرِ غالباً كما أنَّ المقيمَ يطمعُ فيه غالباً. (الجمالين).

(٣) قالَ البيضاويُّ: وقُرِئَ ﴿ينزِّلُ﴾ بالتَّشديدِ، وهو سهوٌ حيثُ عبَّرَ بصيغةِ التَّمريضِ؛ لأنّه قراءةُ غيرِ ابنِ كثيرٍ والبصريِّينَ مع أنّهُ مخالفٌ لعادتِهِ من جَعْلِ ما اتَّفقَ عليه أكثرُ القرَّاءِ أصلاً يبني عليهِ تفسيرَهُ. (الجمالين).

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿٢٥﴾ - ﴿**ومِن آياتِهِ أن تَقُومَ السَّماءُ والأرضُ بأمرِهِ**﴾: بإرادته من غير عَمَد، ﴿**ثُم إذا دَعاكُم دَعْوةً مِنَ الأرضِ**﴾ بأن ينفخَ إسرافيلُ في الصُّور للبعث من القُبور ﴿**إذا أنتُم تخرُجُونَ**﴾ منها أحياءً. فخُروجكم منها بدعوة من آياته - تعالى - ﴿٢٦﴾ - ﴿**ولَهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿**كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ**﴾: مُطيعون، ﴿٢٧﴾ - ﴿**وهُوَ الَّذي يَبدَأُ الخَلقَ**﴾ للناس، ﴿**ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾[1] بعد هلاكهم، ﴿**وهُوَ أهوَنُ علَيهِ**﴾ من البدء بالنظر إلى ما عِند المُخاطَبينَ من أنّ إعادة الشيء أسهلُ من ابتدائه - وإلاّ فهما عِند الله - تعالى - سواء في السُّهولة - ﴿**ولَهُ المَثَلُ الأعلَى في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ أي: الصفةُ العليا، وهي أنه لا إلـٰهَ غيرُه، ﴿**وهُوَ العَزِيزُ**﴾ في مُلكه ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في خلقه.

﴿٢٨﴾ - ﴿**ضَرَبَ**﴾: جعل ﴿**لكُم**﴾ - أيها المُشركون - ﴿**مَثَلاً**﴾ كائنًا ﴿**مِن أنفُسِكُم**﴾، وهو ﴿**هَل لَكُم مِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم**﴾ أي: من مماليككم ﴿**مِن شُرَكاءَ**﴾ لكم ﴿**فِيما رَزَقْناكُم**﴾[2] من الأموال وغيرها، ﴿**فأنتُم**﴾ وهم ﴿**فِيهِ سَواءٌ، تَخافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أنفُسَكُم**﴾ أي: أمثالَكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: ليس مماليككم شُركاءَ لكم إلى آخره عندكم. فكيف تجعلون بعض مماليك الله شُركاءَ له؟ ﴿**كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ**﴾: نُبيِّنُها مِثلَ ذلك التفصيل ﴿**لِقَومٍ يَعقِلُونَ**﴾: يتدبّرون.

﴿٢٩﴾ - ﴿**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ بالإشراك ﴿**أهواءَهُم بِغَيرِ عِلمٍ. فمَن يَهدِي مَن أضَلَّ اللهُ**﴾؟ أي: لا هاديَ لهم، ﴿**وما لَهُم من ناصِرِينَ**﴾: مانعين من عذاب الله.

﴿٣٠﴾ - ﴿**فأقِمْ**﴾ - يا مُحمّد - ﴿**وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا**﴾: مائلاً إليه، أي: أخلِصْ دِينَك لله أنت ومن تبعك، ﴿**فِطرَةَ اللهِ**﴾: خِلقتَه[3] ﴿**الَّتي فَطَرَ النّاسَ علَيها**﴾ وهي دِينه، أي: الزموها، ﴿**لا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ**﴾: لِدينه أي: لا تُبدّلوه بأن تُشركوا - ﴿**ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ**﴾: المُستقيم توحيدُ الله، ﴿**ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ**﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ توحيدَ الله - ﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ - ﴿**مُنِيبِينَ**﴾: راجعين ﴿**إلَيهِ**﴾ - تعالى - فيما أمر به ونهى عنه، حالٌ من فاعل «أقم» وما أريد به، أي: أقيموا، ﴿**واتَّقُوهُ**﴾: خافوه، ﴿**وأقِيمُوا الصَّلاةَ، ولا تَكُونُوا مِنَ المُشرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ**﴾: بدلٌ بإعادة الجارّ ﴿**فَرَّقُوا دِينَهُم**﴾ باختلافهم فيما يعبدونه، ﴿**وكانُوا شِيَعًا**﴾: فِرقًا في ذلك، ﴿**كُلُّ حِزبٍ**﴾ منهم ﴿**بِما لَدَيهِم**﴾: عِندهم ﴿**فَرِحُونَ**﴾: مسرورون. وفي قراءةٍ «فارَقُوا» أي: تركوا دِينهم الذي أُمروا به.

﴿له قانتون﴾: مُطيعونَ مُنقادونَ لإرادتِهِ. ﴿له المثل الأعلى﴾: الوصفُ الأعلى في الكمالِ والجلالِ. ﴿فأقم وجهك﴾: قوِّمْهُ وعدِّلْهُ. ﴿للدّين﴾: دينِ التَّوحيدِ والإسلامِ. ﴿حنيفاً﴾: مائلاً إليهِ مُستقيماً عليهِ. ﴿فطرة الله﴾: الزموها وهيَ دينُ الإسلامِ. ﴿فطَرَ النّاسَ عليها﴾: جبَلَهُم وطَبَعَهُم عليها. ﴿لخلق الله﴾: لدينِهِ الّذي فطرَهُم عليهِ. ﴿ذلك الدّين القيّم﴾: المُستقيمُ الّذي لا عِوَجَ فيهِ. ﴿مُنيبين إليه﴾: راجعينَ إليهِ بالتَّوبةِ والإخلاصِ. ﴿كانوا شِيَعاً﴾: فِرقاً مُختلفةَ الأهواءِ.

(١) عن عكرمة قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. الطبري (١٨/ ٤٨٦)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٩٠).

(٢) عن ابن عباس قال: كان يلبي أهلُ الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله: ﴿هل لكم﴾ الآية. «المعجم الأوسط» (٧٩١٠)، و«لباب النقول» (ص: ١٥٣). قال في «المجمع» (٣/ ٢٢٣): فيه حمّادُ بن شعيبٍ، وهو ضعيفٌ.

(٣) وهي قبولُهُم للحقّ وتمكّنُهُم من إدراكِهِ، أو: ملّةُ الإسلامِ فإنّهُم لو خُلُّوا وما خُلِقوا عليهِ أدّى بهم إليها، وبهذا يُعلَمُ أنّ قولَه: (وَهِي دِينُهُ) خلطٌ بين تفسيرَينِ. (الجمالين).

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا
ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ
حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن
زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

(٣٣) ـ ﴿وإذا مَسَّ النّاسَ﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿ضُرٌّ﴾: شِدّة ﴿دَعَوا رَبَّهُم مُنيبِينَ﴾: راجعين ﴿إليهِ﴾ دُون غيره، ﴿ثُمَّ إذا أذاقَهُم مِنهُ رَحمةً﴾ بالمطر[١] ﴿إذا فَريقٌ مِنهُم بِرَبِّهِم يُشرِكُونَ. لِيَكفُرُوا بِما آتيناهُم﴾ ـ أُريد به التهديد ـ ﴿فتَمَتَّعُوا. فَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ عاقبة تمتّعكم. فيه التفات عن الغَيبة. (٣٥) ـ ﴿أم﴾ ـ بمعنى همزة الإنكار ـ ﴿أنزَلنا عليهِم سُلطانًا﴾: حُجّة وكِتابًا، ﴿فهُوَ يَتكَلَّمُ﴾ تكلُّمَ دلالةٍ ﴿بِما كانُوا بِهِ يُشرِكُونَ﴾ أي: يأمرهم بالإشراك؟ لا.

(٣٦) ـ ﴿وإذا أذَقْنا النّاسَ﴾: كُفّارَ مكّة وغيرَهم ﴿رَحمةً﴾: نعمةً ﴿فَرِحُوا بِها﴾ فَرَحَ بطرٍ، ﴿وإن تُصِبهُم سَيِّئةٌ﴾: شِدّة ﴿بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم إذا هُم يَقنَطُونَ﴾: ييأسون من الرحمة. ومن شأن المؤمن أن يشكر عِند النعمة ويرجو ربّه عِند الشِّدّة. (٣٧) ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنَّ اللهَ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاءً؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ بها.

(٣٨) ـ ﴿فآتِ ذا القُربَى﴾: القرابةِ ﴿حَقَّهُ﴾ من البرّ والصِّلة ﴿والمِسكِينَ وابنَ السَّبِيلِ﴾: المُسافرَ، من الصدقة[٢]. وأُمّةُ النبيِّ تبعٌ له في ذلك[٣]. ﴿ذلِكَ خَيرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجهَ اللهِ﴾ أي: ثوابَه[٤] بما يعملون، ﴿وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون. (٣٩) ـ ﴿وما آتَيتُم مِن رِبًا﴾ بأن يُعطِيَ شيئًا هِبةً أو هديّة ليَطلب أكثر منه ـ فسُمّي[٥] باسم المطلوب من الزيادة في المُعاملة ـ ﴿لِيَربُوَ في أموالِ النّاسِ﴾: المُعطَينَ، أي: ليزيد، ﴿فلا يَربُو﴾: يزكو ﴿عِندَ اللهِ﴾ أي: لا ثواب فيه للمُعطِينَ، ﴿وما آتَيتُم مِن زَكاةٍ﴾: صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجهَ اللهِ فأُولئِكَ هُمُ المُضعِفُونَ﴾ ثوابَهم بما أرادوه. فيه التفات عن الخِطاب.

(٤٠) ـ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم ثُمَّ رَزَقَكُم، ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحيِيكُم ـ هَل مِن شُرَكائِكُم﴾: ممّن أشركتم بالله ﴿مَن يَفعَلُ مِن ذلِكُم مِن شَيءٍ﴾؟ لا ـ ﴿سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به!

(٤١) ـ ﴿ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ﴾ أي: القِفارِ بقحط المطر وقِلّة النبات ﴿والبَحرِ﴾ أي: البِلادِ التي على الأنهار بقلّة مائها، ﴿بِما كَسَبَتْ أيدِي النّاسِ﴾ من المعاصي، ﴿لِنُذِيقَهُم﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿بَعضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: عُقوبتَه، ﴿لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾: يتوبون.

﴿سُلطاناً﴾: كتاباً أو حُجَّةً. ﴿فرحوا بها﴾: بطِروا وأشِروا. ﴿هم يقنطون﴾: ييأسونَ مِن رحمةِ اللهِ تعالى. ﴿يقدِر﴾: يُضيِّقُهُ على مَن يشاءُ لحكمةٍ. ﴿رباً﴾: هوَ الرِّبا المُحرَّمُ المعروفُ. ﴿لِيَربوَ﴾: لِيزيدَ ذلكَ الرِّبا. ﴿فلا يربوَ﴾: فلا يزكو ولا يُباركُ فيهِ. ﴿المضعفون﴾: ذوو الأضعافِ مِنَ الحسناتِ.

(١) يعني به: مثلًا، وإلاَّ فمَعناها: خلاصاً من الشِّدَّةِ، أو نعمةً تعمُّ الخلائقَ. (الجمالين).

(٢) يحتمِلُ أنّه أرادَ بها الزّكاةَ، ففيهِ أنَّ السُّورةَ مكّيّةٌ، والزّكاةُ فُرِضَت بالمدينةِ، ويحتملُ البرَّ والإحسانَ والضِّيافةَ فلا إشكالَ. (الجمالين).

(٣) أي: الأمرِ والخطابِ، وقيلَ: الخطابُ لمن بسطَ له، وهو الأظهرُ. (الجمالين).

(٤) هذا حاصِلُ المعنى، وإلاّ فلا وجهَ لتفسيرِ الوجهِ بالثّوابِ، بل يُقالُ: ذاتَهُ أو جهتَهُ؛ أي: يقصدونَ بمعروفِهم إيّاهُ خالصاً، أو جهةَ التَّقرُّبِ إليه لا جهةً أخرى. (الجمالين).

(٥) يعني: أطلقَ الرِّبا عليها لأنّها فضلٌ لا يجبُ على المعطي. (الجمالين).

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

﴿٤٢﴾ - ﴿**قُلْ**﴾ لكُفّار مكّة: ﴿**سِيرُوا في الأرضِ، فانظرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلُ؟ كانَ أكثرُهُم مُشرِكِينَ**﴾، فأُهلِكوا بإشراكهم، ومساكنُهم ومنازلهم خاوية.

﴿٤٣﴾ - ﴿**فأقِمْ وَجهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ**﴾: دينِ الإسلام[١] ﴿**مِن قَبلِ أن يأتِيَ يَومٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ**﴾، هو يوم القيامة. ﴿**يَومَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد: يتفرّقون بعد الحِساب إلى الجنّة والنار، ﴿٤٤﴾ - ﴿**مَن كَفَرَ فعَلَيهِ كُفرُهُ**﴾: وبالُ كُفره وهو النار، ﴿**ومَن عَمِلَ صالِحًا فلأنفُسِهِم يَمهَدُونَ**﴾: يُوطِّئون منازلَهم في الجنّة، ﴿٤٥﴾ - ﴿**لِيَجزِيَ**﴾: مُتعلّق بـ «يصّدّعون» ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِن فَضلِهِ**﴾: يُثيبَهم. ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ**﴾ أي: يُعاقبُهم.

﴿٤٦﴾ - ﴿**ومِن آياتِهِ**﴾ - تعالى - ﴿**أن يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ**﴾ بمعنى: لتُبشّركم بالمطر، ﴿**ولِيُذِيقَكُم**﴾ بها ﴿**مِن رَحمَتِهِ**﴾: المطرِ[٢] والخِصب، ﴿**ولِتَجرِيَ الفُلكُ**﴾ السفن بها ﴿**بِأمرِهِ**﴾: بإرادته ﴿**ولِتَبتَغُوا**﴾: تطلبوا ﴿**مِن فَضلِهِ**﴾ الرزقَ بالتجارة في البحر، ﴿**ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ**﴾ هذه النِّعمَ - يا أهل مكّة - فتوحدونه.

﴿٤٧﴾ - ﴿**ولَقَد أرسَلْنا مِن قَبلِكَ رُسُلًا إلَى قَومِهِم، فجاؤُوهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: بالحُجج الواضحات على صِدقهم في رِسالتهم إليهم فكذّبوهم[٣]، ﴿**فانتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أجرَمُوا**﴾: أهلكنا الذين كذّبوهم. ﴿**وكانَ حَقًّا علَينا نَصرُ المُؤمِنِينَ**﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

﴿٤٨﴾ - ﴿**اللهُ الَّذِي يُرسِلُ الرِّياحَ، فتُثِيرُ سَحابًا**﴾: تُزعِجه، ﴿**فيَبسُطُهُ في السَّماءِ كَيفَ يَشاءُ**﴾ من قِلّة وكثرة[٤]؟ ﴿**ويَجعَلُهُ كِسَفًا**﴾، بفتح السين وسكونها: قِطَعًا مُتفرّقة، ﴿**فتَرَى الوَدْقَ**﴾: المطر ﴿**يَخرُجُ مِن خِلالِهِ**﴾ أي: وسْطِه، ﴿**فإذا أصابَ بِهِ**﴾: بالودْق ﴿**مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ إذا هُم يَستَبشِرُونَ**﴾: يفرحون بالمطر، ﴿٤٩﴾ - ﴿**وإنْ**﴾: وقد ﴿**كانُوا، مِن قَبلِ أن يُنَزَّلَ علَيهِم مِن قَبلِهِ**﴾: تأكيد، ﴿**لَمُبلِسِينَ**﴾ آيِسينَ من إنزاله.

﴿٥٠﴾ - ﴿**فانظُرْ إلَى أثَرِ**﴾ - وفي قراءةٍ: «آثارِ» - ﴿**رَحمَةِ اللهِ**﴾ أي: نِعمته بالمطر: ﴿**كَيفَ يُحيِي الأرضَ بَعدَ مَوتِها**﴾ أي: يُبسِها بأن تُنبِتَ؟ ﴿**إنَّ ذلِكَ**﴾ المُحيِيَ الأرضَ ﴿**لَمُحيِي المَوتَى، وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾.

﴿للدِّين القيِّم﴾: المستقيمِ (دينِ الفطرةِ). ﴿لا مردَّ له﴾: لا يقدِرُ أحدٌ على ردِّهِ. ﴿يصّدّعون﴾: يتفرَّقونَ إلى الجنَّةِ وإلى النَّارِ. ﴿يمهدُون﴾: يُوطِّئونَ مواطنَ النَّعيم. ﴿فتُثير سحاباً﴾: تحرِّكُهُ وتنشرُهُ. ﴿يجعله كِسفاً﴾: قِطعاً مُتفرِّقةً. ﴿الودق﴾: المطرَ. ﴿من خلاله﴾: فُرَجِهِ ووسطِهِ. ﴿لمبلسين﴾: آيسينَ مِن نزولِهِ.

(١) البليغِ الاستقامةِ، قالَ الفضيلُ: هو الاتِّباعُ وتركُ الابتداعِ. (الجمالين).

(٢) قالَ القاضِي: الرِّياحُ: الشَّمالُ والصَّبا والجنوبُ، فإنَّها رياحُ الرَّحمةِ، وأمَّا الدَّبورُ: فريحُ العذابِ، ومنه قولُه ﷺ: «اللَّهمَّ اجعلْهَا رِيَاحاً ولا تجعلْهَا رِيحاً» رواهُ الشَّافعيُّ والطَّبرانيُّ وغيرُهُما.

ثمَّ قالَ: وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ: (الرِّيحَ) على إرادةِ الجنسِ. وهو سهوٌ؛ إذ محلُّ الخلافِ في هذه السُّورةِ إنَّما هو الموضعُ الثَّاني، ولذا قيَّدهُ الشَّاطبيُّ بقولِه:

وفـي النَّمـلِ والأعـرافِ والـرُّومِ ثانيـاً (الجماليـن).

(٣) الأولى: فآمَنَ به بعضٌ وكذَّبهُ بعضٌ، فالفاءُ فيما بعدَهُ فصيحةٌ. (الجمالين).

(٤) وسيرٍ ووقوفٍ وإطباقٍ وغيرِهِ، من جانبٍ دونَ جانبٍ ونحوِها. (الجمالين).

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ
(٥١) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟
مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٥٣) ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ
(٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ
سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ
فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ
لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
(٥٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ
وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
(٥٩) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

(٥١) ـ ﴿**ولَئِنْ**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**أرسَلْنا رِيحًا**﴾ مُضرّةً على نبات، ﴿**فرَأَوهُ مُصفَرًّا، لَظَلُّوا**﴾: صاروا ـ جوابُ القسم ـ ﴿**مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ اصفراره ﴿**يَكفُرُونَ**﴾: يجحدون النعمة بالمطر. (٥٢) ـ (٥٣) ـ ﴿**فإنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتَى، ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا**﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ـ ﴿**وَلَّوا مُدبِرينَ. وما أنتَ بِهادِي العُمي عَن ضَلالتِهِم. إنْ**﴾: ما ﴿**تُسمِعُ**﴾ سماعَ إفهام وقبول ﴿**إلاّ مَن يُؤمِنُ بآياتِنا**﴾: القُرآنِ، ﴿**فهُم مُسلِمُونَ**﴾: مُخلصون بتوحيد الله تعالى.

الحزب ٤١

(٥٤) ـ ﴿**اللهُ الّذي خَلَقَكُم مِن ضُعفٍ**﴾: ماءٍ مَهين، ﴿**ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ ضُعفٍ**﴾ آخَرَ ـ وهو ضعفُ الطفوليّة ـ ﴿**قُوّةً**﴾ أي: قُوّة الشباب، ﴿**ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ قُوّةٍ ضُعفًا وشَيبَةً**﴾: ضعفَ الكِبَرِ وشيبَ الهرَم ـ والضعف في الثلاثة بضمّ أوله وفتحه ـ ﴿**يَخلُقُ ما يَشاءُ**﴾ من الضعف والقُوة والشباب والشيبة، ﴿**وهُوَ العَلِيمُ**﴾ بتدبير خلقه ﴿**القَدِيرُ**﴾ على ما يشاء.

(٥٥) ـ ﴿**ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ يُقسِمُ**﴾: يَحلف ﴿**المُجرِمُونَ**﴾: الكافرون، ﴿**ما لَبِثُوا**﴾ في القُبور ﴿**غَيرَ ساعةٍ**﴾ ـ قال تعالى: ﴿**كَذلِكَ كانُوا يُؤفَكُونَ**﴾: يُصرَفون عن الحقّ البعث كما صُرفوا عن الحقّ الصدق في مُدّة اللبث ـ

(٥٦) ـ ﴿**وقالَ الّذِينَ أُوتُوا العِلمَ والإيمانَ**﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿**لَقَد لَبِثتُم في كِتابِ اللهِ**﴾: فيما كتبه في سابق عِلمه ﴿**إلى يَومِ البَعثِ. فهذا يَومُ البَعثِ**﴾ الذي أنكرتموه، ﴿**ولكِنَّكُم كُنتُم لا تَعلَمُونَ**﴾ وقوعَه. (٥٧) ـ ﴿**فيَومَئِذٍ لا يَنفَعُ**﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿**الّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُم**﴾ في إنكارهم له، ﴿**ولا هُم يُستَعتَبُونَ**﴾: لا يُطلب منهم العُتبى، أي: الرجوعُ إلى ما يُرضي الله.

(٥٨) ـ ﴿**ولَقَد ضَرَبنا**﴾: جعلنا ﴿**لِلنّاسِ في هذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾ تنبيهًا لهم، ﴿**ولَئِنْ**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**جِئتَهُم**﴾ يا مُحمّد ﴿**بِآيَةٍ**﴾ مِثلِ العصا واليد لمُوسَى ﴿**لَيَقُولَنَّ**﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، ﴿**الّذِينَ كَفَرُوا**﴾ منهم: ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أنتُم**﴾ أي: مُحمّدٌ وأصحابه ﴿**إلاّ مُبطِلُونَ**﴾: أصحاب الأباطيل. (٥٩) ـ ﴿**كَذلِكَ يَطبَعُ اللهُ على قُلُوبِ الّذِينَ لا يَعلَمُونَ**﴾ التوحيدَ كما طبع على قُلوب هؤلاء. (٦٠) ـ ﴿**فاصبِرْ ـ إنَّ وَعدَ اللهِ**﴾ بنصرك عليهم ﴿**حَقٌّ ـ ولا يَستَخِفَّنَّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَ**﴾ بالبعث، أي: لا يَحملُنّك على الخِفّة والطيش بترك الصبر، أي: لا تتركنّهُ.

***

﴿فرأوهُ مُصفرًّا﴾: فرَأوُا النَّباتَ مُصفرّاً بعدَ الخُضرة. ﴿شيبة﴾: حالَ الشَّيخوخةِ والهرم. ﴿يُؤفكون﴾: يُصرفونَ عنِ الحقِّ والصِّدق. ﴿و لا هم يستعتبون﴾: لا يُطلبُ منهُم إزالةُ عتبِهِ وغَضَبِهِ تعالى عليهم ـ بالتّوبة والطّاعة. ﴿لا يستخفنّك﴾: لا يَحمِلَنَّكَ على الخفّةِ والقلق.

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

٣١

سورة لقمان

مكية أو إلاّ «ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام» الآيتين فمدنيتان، وهي أربع وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿**الم**﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿**تلكَ**﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿**آياتُ الكِتابِ**﴾: القرآنِ ﴿**الحَكِيمِ**﴾: ذي الحِكمة ـ والإضافةُ بمعنى: مِن ـ (٣) ـ هو ﴿**هُدًى ورَحْمَةٌ**﴾، بالرفع، ﴿**لِلمُحسِنِينَ**﴾ ـ وفي قراءة العامّة بالنصب حالاً من الآيات، العاملُ فيها ما في «تلك» من معنى الإشارة ـ (٤) ـ ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ**﴾: بيانٌ للمُحسنين، ﴿**ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ، وهُم بِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ**﴾. «هم» الثاني: توكيد.

(٥) ـ ﴿**أُولئِكَ على هُدًى، مِن رَبِّهِم وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾: الفائزون.

(٦) ـ ﴿**ومِنَ النّاسِ مَن يَشتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ**﴾ أي: ما يُلهي منه عمّا يَعني ﴿**لِيَضِلَّ**﴾ ـ بفتحِ الياء وضمِّها ـ ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾: طريق الإسلام ﴿**بِغَيرِ عِلم، ويَتَّخِذَها**﴾، بالنصب عطفًا على «يضلّ»، وبالرفع عطفًا على «يشتري»، ﴿**هُزُوًا**﴾: مهزوءًا بها ـ ﴿**أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ**﴾: ذو إهانة ـ (٧) ـ ﴿**وإذا تُتلَى علَيهِ آياتُنا**﴾ أي: القُرآنُ ﴿**ولَّى مُستكبِرًا**﴾: مُتكبرًا، ﴿**كَأنْ لَم يَسمَعْها، كَأنَّ في أُذُنَيهِ وَقْرًا**﴾: صممًا. وجُملتا التشبيه: حالان من ضمير «ولّى»، أو الثانيةُ بيان للأُولى. ﴿**فَبَشِّرْهُ**﴾: أعلِمْه ﴿**بِعَذابٍ أَلِيمٍ**﴾: مُؤلم. وذِكر البِشارة تهكّمٌ به. وهو النضر بن الحارث، كان يأتي الحِيرةَ يَتجُر فيشتري كُتب أخبار الأعاجم، ويُحدّث بها أهل مكّة، ويقول: إنّ مُحمّدًا يُحدّثكم أحاديث عادٍ وثمودَ، وأنا أُحدّثكم أحاديث فارسَ والرومِ. فيستملحون حديثه ويتركون استماع القُرآن[1].

(٨) ـ (٩) ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم جَنّاتُ النَّعِيمِ خالِدِينَ فِيها**﴾: حالٌ مُقدّرة أي: مُقدَّرًا خلودُهم فيها إذا دخلوها، ﴿**وَعْدَ اللهِ حَقًّا**﴾ أي: وعَدَهم اللهُ ذلك وحقَّه حقًّا، ﴿**وهُوَ العَزِيزُ**﴾ الذي لا يغلبه شيء، فيمنعَه عن إنجاز وعده ووعيده ﴿**الحَكِيمُ**﴾ الذي لا يضع شيئًا إلاّ في محلّه،

﴿لَهو الحديث﴾: الباطلَ المُلهيَ عنِ الخيرِ والعبادةِ. ﴿هُزواً﴾: سُخريةً ـ مهزوءاً بها. ﴿ولّى مُستكبراً﴾: أعرضَ مُتكبِّراً عن تدبُّرِها. ﴿وقراً﴾: صمماً مانعاً مِنَ السَّماعِ. ﴿بغير عَمَد﴾: بغيرِ دعائمَ وأساطينَ تُقيمُها. ﴿رواسي﴾: جبالاً ثوابتَ. ﴿أن تميد بكم﴾: لِئلَّا تضطربَ بكُم. ﴿بثّ فيها﴾: نَشَرَ وفرَّقَ وأظهَرَ فيها. ﴿زوج كريم﴾: صِنْفٍ حسنٍ كثيرِ المنفعةِ.

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي (٢١/ ١٨٦)، والواحدي (ص: ٣٤٥)، عن الكلبي ومقاتل. وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٣٢). ورواه بنحوه البيهقي في «الشعب» (٥٩١٤) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح ـ وهي سلسلة الكذب ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩) من طريق آخر عن ابن عباس دون ذكر الآية. وفيه شيخ لم يسم.

وروى جويبر عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: أنزلت في النَّضر بن الحارث اشترى قَيْنَةً فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلَّا انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، هذا خير مِمَّا يَدْعوكَ إليه محمد من الصَّلاة والصِّيام وأن تقاتل بين يديه، فنزلت. «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٤).

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه: نزلَتْ في رجلٍ اشترى جاريةً تغنِّيه ليلاً ونهاراً. الثعلبي (٢١/ ١٩٠)، والواحدي (ص: ٣٤٦)، من رواية ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن ابن عبّاس. وثوير ضعيف. ورواه الطبري (١٨/ ٥٣٥) من رواية عطية العوفي عن ابن عباس بلفظ: وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية. وإسناده مسلسل بالضعفاء. ولعل الصواب ما ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢٧٨) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما على أن هذا تفسير للآية لا سبب نزول، ولفظه: «الرجل يشتري الجارية المغنية تغنيه ليلًا أو نهارًا». وهكذا رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٥٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وعن أبي أُمامةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تبيعوا القَيْناتِ، ولا تشتروهنَّ، ولا تُعلِّموهنَّ، ولا خيرَ في تجارةٍ فيهنَّ، وثمنُهنَّ حرامٌ، في مثلِ هذا نزلت هذه الآيةُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾. الترمذي (١٢٨٢) و(٣١٩٥)، وضعفه، وفي إسناده عبيد الله بن زحر الإفريقي وعلي بن يزيد الألهاني وهما ضعيفان.

وعن مجاهد: نزلَتْ في شراءِ القِيَانِ والمُغنِّياتِ. عبد الرزاق في «التفسير» (٢٢٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢١١٣٨).

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

(١٠) ـ ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ، تَرونَها﴾ أي العمدَ: جمع عِماد وهو الأُسطوانة، وهو صادق بأن لا عمدَ أصلاً. ﴿وألقى في الأرض رَواسِيَ﴾: جبالاً مُرتفعة لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَميدَ﴾: تتحرّكَ ﴿بِكُم، وبَثَّ فِيها مِن كُلِّ دابّةٍ، وأنزَلْنا﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿مِنَ السَّماءِ ماءً، فأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ زَوجٍ كَريمٍ﴾: صِنف حسن.

(١١) ـ ﴿هذا خَلْقُ اللهِ﴾ أي: مخلوقه. ﴿فأرُوني﴾: أخبروني يا أهل مكّة: ﴿ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره، أي: آلِهتُكم حتّى أشركتموها به تعالى؟. وما: استفهام إنكار مبتدأ، وذا: بمعنى «الذي» بصلته خبرُه، وأروني: مُعلّق عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولَين ﴿بَلِ﴾: للانتقال ﴿الظّالِمُونَ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ بإشراكهم وأنتم منهم.

(١٢) ـ ﴿ولَقد آتَينا لُقمانَ الحِكْمَةَ﴾، منها العِلمُ والدِّيانة والإصابة في القول ـ وحِكَمُه كثيرة مأثورة، كان يُفتي قبل بَعث داود، وأدرك زَمنَه وأخذ عنه العِلم وترك الفُتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كُفيتُ؟ وقيل له: أيُّ الناس شرّ؟ قال: الذي لا يُبالي أن رآه الناس مُسيئًا ـ ﴿أنِ﴾ أي: وقلنا له: أنِ ﴿اشكُرْ لِلّهِ﴾ على ما أعطاك من الحِكمة. ﴿ومَن يَشكُرْ فإنَّما يَشكُرُ لِنَفسِهِ﴾ لأنّ ثواب شُكره له، ﴿ومَن كَفَرَ﴾ النِّعمةَ ﴿فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صُنعه.

(١٣) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ لُقمانُ لِابنِهِ، وهُوَ يَعِظُهُ: يا بُنَيِّ﴾ ـ تصغيرُ إشفاق ـ ﴿لا تُشرِكْ بِاللهِ. إنَّ الشِّركَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فرجَعَ إليه وأسلَمَ.

(١٤) ـ ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيهِ﴾[1]: أمرناه أن يَبرّهما ـ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فوَهَنَتْ ﴿وَهْنًا عَلى وَهْنٍ﴾ أي: ضعُفَتْ للحَمل وضعُفت للطلق وضعُفت للوِلادة، ﴿وفِصالُهُ﴾ أي: فِطامه ﴿في عامَينِ﴾ ـ وقلنا له: ﴿أنِ اشكُرْ لِي ولِوالِدَيكَ ـ إلَيَّ المَصِيرُ﴾ أي: المَرجع ـ (١٥) ـ ﴿وإن جاهَداكَ عَلى أن تُشرِكَ بِي[2] ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ﴾، مُوافقةٌ للواقع، ﴿فلا تُطِعْهُما، وصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعرُوفًا﴾ أي: بالمعروف: البِرّ والصِّلة، ﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: طريق ﴿مَن أنابَ﴾: رجع ﴿إلَيَّ﴾[3] بالطاعة. ﴿ثُمَّ إلَيَّ مَرجِعُكُم، فأُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فأُجازيكم عليه. وجملة الوصيّة وما بعدها اعتراض.

(١٦) ـ ﴿يا بُنَيِّ، إنَّها﴾ أي: الخَصلةَ السيّئة ﴿إن تَكُ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ، فتَكُنْ في صَخْرةٍ أو في السَّماواتِ أو في الأرضِ﴾ أي: في أخفى مكان من

﴿لُقمان﴾: كانَ صالحاً حكيماً وليسَ نبيّاً. ﴿الحكمة﴾: العقلَ والفهمَ والفطنةَ وإصابةَ القولِ. ﴿وصّينا الإنسان﴾: أمرْناهُ وألزمْناهُ. ﴿وهْناً﴾: ضعفاً. ﴿فصاله﴾: فِطامُهُ عنِ الرَّضاعِ. ﴿أناب إليّ﴾: رَجَعَ إليَّ بالإخلاصِ والطّاعةِ. ﴿مثقال حبّة..﴾: وزنَ أصغرِ شيءٍ... ﴿لا تُصعّر خدّك للنّاس﴾: لا تُمِلْ وجهَكَ عنهُم كِبْراً وتعاظُماً. ﴿مرَحاً﴾: فَرَحاً وبَطَراً وخُيلاء. ﴿مُختال فخور﴾: مُتكبِّرٍ، مُباهٍ متطاولٍ بمناقبِهِ. ﴿اقصِدْ في مَشيك﴾: توسَّطْ فيهِ بينَ الإسراعِ والإبطاءِ. ﴿اغضض﴾: اخفضْ وانقصْ.

(١) نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه، وقصته بنحو ما تقدم في الآية (٨) من العنكبوت. ذكره الثعلبي (٢١/ ١٦) دون عزو، والواحدي (ص: ٣٤٠) وعزاه للمفسرين.

(٢) وعن سعدٍ: جئتُ من الرّمْي فإذا الناس مجتمعون على أمِّي حَمْنَةَ بنت سفيان بن أُميَّة بن عبد شمس وعلى أخي عامر حين أسلم، فقلتُ: ما شأنُ الناس؟ قالوا: هذه أُمُّك قد أخذَتْ أخاك عامرًا تُعطي اللهَ عَهْدًا ألا يُظِلَّها ظِلٌّ ولا تأكلَ طعامًا ولا تشربَ شرابًا حتى يدع الصباوة. فأقبل سعد حتى تخلَّص إليها فقال: عليَّ يا أُمَّهْ فاحْلِفي، قالت: لِمَ؟ قال: لأنْ لا تستظِلّي في ظلٍّ ولا تأكلي طعامًا ولا تشربي شرابًا حتى تَرَيْ مَقعدَك من النّار. فقالت: إنّما أحلف على ابني البَار، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ الآية. «طبقات ابن سعد» (٤/ ١٢٣)، وفيه الواقدي وهو متروك.

(٣) عن عطاء عن ابن عبَّاس: نزلت في أبي بكرٍ رضي الله عنه، وذلك أنَّه حين أسلمَ أتاه عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ وسعيدُ بن زيدٍ وعثمانُ وطلحةُ والزُّبيرُ فقالوا لأبي بكرٍ رضي الله عنه: آمنتَ وصدقت محمدًا عليه الصلاة والسلام؟ فقال أبو بكرٍ: نعم، فأتوا رسولَ الله ﷺ فآمَنوا وصدَّقوا، فأنزل الله تعالى يقولُ لسعدٍ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يعني: أبا بكرٍ رضي الله عنه. «البسيط» للواحدي (١٨/ ١٠٦)، و«تفسير السمعاني» (٤/ ٢٣١)، ودون نسبة في «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤٦).

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

ذلك ﴿**يأتِ بها اللهُ**﴾، فيحاسبُ عليها. ﴿**إنَّ اللهَ لَطيفٌ**﴾ باستخراجها ﴿**خَبيرٌ**﴾ بمكانها. ⑰ ـ ﴿**يا بُنَيِّ، أَقِمِ الصَّلاةَ، وأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ، وانْهَ عَنِ المُنكَرِ، واصبِرْ على ما أصابَكَ**﴾ بسبب الأمر والنهي ـ ﴿**إنَّ ذلِكَ**﴾ المذكورَ ﴿**مِن عَزمِ الأُمُورِ**﴾ أي: معزوماتها التي يُعزم عليها لوجوبها ـ ⑱ ـ ﴿**ولا تُصَعِّرْ**﴾، وفي قراءة: «تُصاعِرْ»، ﴿**خَدَّكَ لِلنّاسِ**﴾: لا تُمِل وجهَك عنهم تكبرًا، ﴿**ولا تَمشِ في الأرضِ مَرَحًا**﴾ أي: خُيلاءَ ـ ﴿**إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ**﴾: متبختر في مشيه ﴿**فَخُورٍ**﴾ على الناس ـ ⑲ ـ ﴿**واقصِدْ في مَشيِكَ**﴾: توسّطْ فيه بين الدبيب والإسراع وعليك السكينةُ والوقار، ﴿**واغضُضْ**﴾: اخفِض ﴿**مِن صَوتِكَ. إنَّ أنكَرَ الأصْواتِ**﴾: أقبحَها ﴿**لَصَوتُ الحَميرِ**﴾ أوّلُه زفيرٌ، وآخرُه شهيقٌ.

الحزب ٤٢

⑳ ـ ﴿**أَلَم تَرَوا**﴾: تعلموا ـ يا مُخاطَبين ـ ﴿**أنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما في السَّماواتِ**﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿**وما في الأرضِ**﴾ من الثمار والأنهار والدوابّ، ﴿**وأسبَغَ**﴾: أوسَعَ وأتمَّ ﴿**عليكُم نِعَمَهُ ظاهِرَةً**﴾ ـ وهي حُسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك ـ ﴿**وباطِنَةً**﴾ هي المعرفة وغيرها؟ ﴿**ومِنَ النّاسِ**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ ولا هُدًى**﴾ من رسول ﴿**ولا كِتابٍ مُنيرٍ**﴾ أنزله الله بل بالتقليد، ㉑ ـ ﴿**وإذا قِيلَ لَهُمُ: اتَّبِعُوا ما أنزَلَ اللهُ، قالُوا: بَل نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عليهِ آباءَنا**﴾. قال تعالى: ﴿**أ**﴾ يتّبعونه ﴿**ولَو كانَ الشَّيطانُ يَدعُوهُم إلى عَذابِ السَّعيرِ**﴾ أي: مُوجِباتِه؟ لا.

㉒ ـ ﴿**ومَن يُسلِمْ وَجهَهُ إلى اللهِ**﴾ أي: يُقبِل على طاعته، ﴿**وهُوَ مُحسِنٌ**﴾: مُوحّد، ﴿**فقَدِ استَمسَكَ بالعُروَةِ الوُثقى**﴾: بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعُه ـ ﴿**وإلى اللهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾: مَرجِعها ـ ㉓ ـ ﴿**ومَن كَفَرَ فلا يَحزُنْكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**كُفرُهُ**﴾: لا تهتمّ بكُفره. ﴿**إلَينا مَرجِعُهُم، فنُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا. إنَّ اللهَ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ أي: بما فيها كغيره فمُجازٍ عليه، ㉔ ـ ﴿**نُمَتِّعُهُم**﴾ في الدنيا ﴿**قَليلاً**﴾ أيام حياتهم، ﴿**ثُمَّ نَضطَرُّهُم**﴾ في الآخرة ﴿**إلى عَذابٍ غَليظٍ**﴾. وهو عذاب النار، لا يجدون عنه مَحيصًا.

㉕ ـ ﴿**ولَئِن**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ**﴾. حُذف منه نونُ الرفع لتوالي الأمثال، وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين. ﴿**قُلِ: الحَمدُ للهِ**﴾ على ظُهور الحُجّة عليهم بالتوحيد. ﴿**بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ**﴾ وجوبَه عليهم. ㉖ ـ ﴿**للهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، فلا يستحقّ العِبادة فيهما غيرُه. ﴿**إنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ**﴾ عن خلقه ﴿**الحَميدُ**﴾ المحمود في صُنعه.

㉗ ـ ﴿**ولَو أنَّ ما في الأرضِ مِن شَجَرَةٍ أقلامٌ**[1]، **والبَحرَ**﴾: عطفٌ على اسم «أنّ» ﴿**يَمُدُّهُ مِن بَعدِهِ سَبعَةُ أبحُرٍ**﴾ مِدادًا، ﴿**ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ**﴾ المُعبَّرُ بها عن معلوماته، بكَتبها بتلك الأقلام بذلك المداد، وبأكثرَ من ذلك، لأنّ معلوماته ـ تعالى ـ غير مُتناهية. ﴿**إنَّ اللهَ عَزيزٌ**﴾: لا يُعجزه شيء ﴿**حَكيمٌ**﴾: لا يخرج شيء عن عِلمه وحِكمته. ㉘ ـ ﴿**ما خَلقُكُم ولا بَعثُكُم إلاّ كنَفسٍ واحِدَةٍ**﴾ خلقًا وبعثًا لأنه بكلمة «كُنْ فيَكُونُ». ﴿**إنَّ اللهَ سَمِيعٌ**﴾: يسمع كُلّ مسموع ﴿**بَصِيرٌ**﴾ يُبصر كُلّ مُبصَر، لا يَشغله شيء عن شيء.

﴿سخّر لكم﴾: لِمنافعِكُم ومصالحِكُم. ﴿أسْبَغ﴾: أتمَّ وأوسعَ وأكملَ. ﴿يُسْلِم وجهه..﴾: يُفوِّضْ أمرَهُ كلَّهُ... ﴿استمسك﴾: تمسَّكَ وتعلَّقَ واعتصمَ. ﴿بالعروة الوُثقى﴾: بالعهدِ الأوثقِ الّذي لا نقْضَ لهُ. ﴿عذاب غليظ﴾: شديدٍ ثقيلٍ (عذابِ النَّارِ). ﴿يمدّه﴾: يَزيدُهُ ويَنْصَبُّ إليهِ. ﴿سبعة أبحُر﴾: مملوءةٍ ماءً. ﴿ما نفدت﴾: ما فرغَتْ وما فَنِيتْ. ﴿كلمات الله﴾: مقدوراتُهُ وعجائبُهُ أو معلوماتُهُ.

(١) سألتِ اليهودُ رسول الله ﷺ عن الرُّوح فأنزلَ الله بمكّة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلمّا هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ أتاه أحبارُ اليهودِ وقالوا: يا محمّدُ، بلَغَنا عنك أنّك تقولُ: ﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] أفعَنَيْتَنا أم قومَكَ؟ فقال: كُلًّا قد عنَيْتُ، فقالوا: ألستَ تتلُو فيما جاءَكَ أنّا قد أُوتينا التَّوراةَ وفيها علمُ كلِّ شيءٍ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وهو في علمِ الله قليلٌ، وقد آتاكُم الله ما إنْ عملتُم به انتفَعْتُم». قالوا: يا محمّدُ، كيفَ تزعُمُ هذا وأنتَ تقولُ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟ فكيفَ يجتمعُ هذا؟ علمٌ قليلٌ وخيرٌ كثيرٌ، فأنزلَ الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾. الواحدي (ص: ٣٤٦) عن المفسرين، ولعله مجموع من عدة أخبار، ينظر ما رواه الطبري (١٨/ ٥٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وعطاء بن يسار. عن قتادةَ: أنَّ المشركين قالوا في القرآن: هذا كلامٌ يوشكُ أنْ يَنفدَ، يوشكُ أن ينقطعَ، فنزلتْ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية.

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ
فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ
وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ
وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَة

﴿٢٩﴾ ـ ﴿٣٠﴾ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تعلمْ ـ يا مُخاطَبًا ـ ﴿أنَّ اللهَ يُولِجُ﴾: يُدخِل ﴿اللَّيلَ في النَّهارِ، ويُولِجُ النَّهارَ﴾: يُدخله ﴿في اللَّيلِ﴾، فيزيد كُلٌّ منهما بما نقَص من الآخر، ﴿وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجري﴾ في فلكه ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: يوم القيامة، ﴿وأنَّ اللهَ بما تعمَلُونَ خَبيرٌ﴾؟ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور ﴿بأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ﴾: الثابت، ﴿وأنَّ ما يَدعُونَ﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿مِن دُونِهِ الباطِلُ﴾: الزائل، ﴿وأنَّ اللهَ هُوَ العَليُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿الكَبيرُ﴾: العظيم.

﴿٣١﴾ ـ ﴿أَلَم تَرَ أنَّ الفُلكَ﴾ السُّفن ﴿تَجري في البَحرِ بِنِعْمَةِ اللهِ، لِيُرِيَكُم﴾ ـ يا مُخاطَبِين ـ بذلك ﴿مِن آياتِهِ؟ إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: عِبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لِنعمته. ﴿٣٢﴾ ـ ﴿وإذا غَشِيَهُم﴾ أي: علا الكُفّارَ ﴿مَوجٌ كالظُّلَلِ﴾: كالجِبال التي تُظِلّ مَن تحتها ﴿دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدُّعاءَ بأن يُنجيَهم، أي: لا يدعون معه غيره، ﴿فلَمّا نَجّاهُم إلَى البَرِّ فمِنهُم مُقتَصِدٌ﴾: مُتوسّط بين الكُفر والإيمان، ومنهم باقٍ على كفره. ﴿وما يَجحَدُ بِآياتِنا﴾، ومنها الإنجاءُ من الموج، ﴿إلّا كُلُّ خَتّارٍ﴾: غَدّار ﴿كَفُورٍ﴾ لِنعم الله تعالى.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿يا أَيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُم واخشَوا يَومًا، لا يَجزِي﴾: يُغني ﴿والِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه شيئًا ﴿ولا مَولُودٌ هُوَ جازٍ عَن والِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيئًا! إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ. فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾ عن الإسلام، ﴿ولا يَغُرَّنَّكُم باللهِ﴾ في حِلمه وإمهاله ﴿الغَرُورُ﴾: الشيطانُ.
﴿٣٤﴾ ـ ﴿إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ﴾: متى تقومُ؟ ﴿ويُنزِلُ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿الغَيثَ﴾ بوقت يعلمه، ﴿ويَعلَمُ ما في الأرحامِ﴾ أذكرٌ أم أنثى؟ ولا يعلم واحدًا من الثلاثة غيرُ الله تعالى ـ ﴿وما تَدرِي نَفسٌ: ماذا تَكسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرّ؟ ويعلمه الله ـ تعالى ـ ﴿وما تَدرِي نَفسٌ: بِأيِّ أرضٍ تَمُوتُ﴾؟ ويعلمه الله تعالى ـ ﴿إنَّ اللهَ عَليمٌ﴾ بكُلّ شيء ﴿خَبيرٌ﴾ بباطنه كظاهره روى البخاريّ عن ابن عُمَرَ حديثَ: «مَفاتِيحُ الغَيبِ خَمسةٌ: إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ»(1) إلى آخر السُّورة.

***

﴿يولج﴾: يُدْخِلُ. ﴿غَشِيهم موْجٌ﴾: علاهُم وغطّاهُم. ﴿كالظّلل﴾: كالسَّحابِ. أوِ الجبالِ المُظلّةِ. ﴿فمِنهم مُقتصد﴾: موفٍ بعهدِهِ. شاكرٌ للهِ. ﴿ختّار كفور﴾: غدّارٍ جَحودٍ للنِّعَمِ. ﴿يوماً لا يجزي..﴾: لا يقضي فيهِ شيئاً.. ﴿فلا تغرنّكمْ﴾: فلا تخدعَنّكُم وتُلهينّكُم بلذّاتِها. ﴿الغَرور﴾: ما يغرُّ ويخدعُ مِن شيطانٍ وغيرِهِ.

(1) برقم (٧٣٧٩). وفي سببِ النُّزولِ: أنّها نزلَتْ في الوارثِ بنِ عمرِو بنِ حارثةَ بنِ مُحاربٍ من أهلِ الباديةِ، أتى النَّبيَّ ﷺ فسألَه عن السَّاعةِ ووقتِها، وقال: إنَّ أرضَنا قد أجدَبَتْ فمتى ينزِلُ الغيثُ؟ وتركتُ امرأتي حُبلى فماذا تلدُ؟ وقد علِمتُ أينَ وُلِدْتُ فبأيِّ أرضٍ أموتُ؟ وقد علِمتُ ما عمِلتُ اليومَ فما أعملُ غدًا؟ فأنزَلَ الله هذه الآيةَ. «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ٤٤٠)، والثعلبي (٢١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، والواحدي (ص: ٣٤٧)، دون عزو، ورواه ابن المنذر عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠)، ورواه الطبري (١٨/ ٥٨٥) عن مجاهد ولم يسم الرجل.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ
إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَٰلِكَ
عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ
كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ
نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن
رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا
مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي
خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١

٣٢
سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكية، ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿الم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿تنزيلُ الكتابِ﴾: القُرآنِ مبتدأٌ ﴿لا ريبَ﴾: شكّ ﴿فيهِ﴾: خبرٌ أوّل ﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾: خبرٌ ثانٍ. (٣) ـ ﴿أم﴾ بل ﴿يقُولُونَ: افتَراهُ﴾ مُحمّد؟ لا ﴿بَل هُوَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ، لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قومًا، ما﴾: نافية ﴿أتاهُم مِن نَذيرٍ مِن قَبلِكَ، لعَلَّهُم يهتَدُونَ﴾ بإنذارك.

(٤) ـ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بينَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ﴾، أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ﴿ثُمَّ استَوَى علَى العَرشِ﴾، هو في اللغة سريرُ المُلك، استواءً يليق به، ﴿مالكُم﴾ ـ يا كُفّار مكّة ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: اسم «ما» بزيادة «من» أي: ناصرٍ، ﴿ولا شَفِيعٍ﴾: يدفع عذابه عنكم. ﴿أفلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا، فتؤمنون به؟

(٥) ـ ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السَّماءِ إلَى الأرضِ﴾ مُدّةَ الدنيا، ﴿ثُمَّ يَعرُجُ﴾ يرجِع الأمر والتدبير ﴿إليهِ في يَومٍ، كانَ مِقدارُهُ ألفَ سَنةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا. وفي سورةِ «سأل»: «خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ»، وهو يوم القيامة لشِدّة أهواله بالنسبة إلى الكافر. وأمّا المؤمن فيكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا كما جاء في الحديث.

(٦) ـ ﴿ذلِكَ﴾ الخالق المدبِّر ﴿عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر، ﴿العَزيزُ﴾: المنيع في مُلكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته، (٧) ـ (٨) ـ ﴿الَّذِي أحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾ ـ بفتح اللام، فعلاً ماضيًا: صفةٌ، وبسكونها: بدلُ اشتمال ـ ﴿وبَدَأ خَلْقَ الإنسانِ﴾ آدمَ ﴿مِن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسلَهُ﴾: ذُرّيّته ﴿مِن سُلالةٍ﴾: علَقةٍ ﴿مِن ماءٍ مَهِينٍ﴾: ضعيف، هو النُّطفة، (٩) ـ ﴿ثُمَّ سَوّاهُ﴾ أي: خلَقَ آدمَ، ﴿ونَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ﴾، أي: جعله حيًّا حسّاسًا بعد أن كان جمادًا، ﴿وجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لذُرّيّته ﴿السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصارَ والأفئِدةَ﴾: القُلوب. ﴿قَلِيلاً ما تَشكُرُونَ﴾ ما: زائدة مؤكّدة للقِلّة.

(١٠) ـ (١١) ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿أإذا ضَلَلْنا في الأرضِ﴾: غبنا فيها بأن صِرنا تُرابًا مُختلطًا بتُرابها ﴿أإنّا لَفِي خَلقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استفهامُ إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين. قال تعالى: ﴿بَل هُم بِلِقاءِ رَبِّهِم﴾: بالبعث ﴿كافِرُونَ. قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَفّاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم﴾ أي: بقبضِ أرواحكم، ﴿ثُمَّ إلَى رَبِّكُم تُرجَعُونَ﴾ أحياءً، فيُجازيكم بأعمالكم.

﴿افتراه﴾: اختلقَ القرآنَ مِن تِلقاءِ نفسِه. ﴿استوى على العرش﴾: استواءً يليقُ بكمالِه وجلالِه تعالى. ﴿يعرُج إليه﴾: يصعدُ الأمرُ ويرتفعُ إليه. ﴿أحسَن كلّ شيء﴾: أحكمَهُ وأتقنَهُ. ﴿سلالة﴾: خُلاصةٍ. ﴿ماءٍ مهين﴾: منيٍّ ضعيفٍ حقيرٍ. ﴿سوّاه﴾: قوَّمَهُ بتصويرِ أعضائِهِ وتكميلِها. ﴿ضللنا في الأرض﴾: ضِعْنا فيها وصِرْنا تراباً.

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ
رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ
ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ
﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ
وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ
عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ
جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ
لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ
جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ
فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

(١٢) ـ ﴿ولَو تَرَى إذِ المُجرِمُونَ﴾: الكافرون ﴿ناكِسُو رُؤُوسِهِم عِندَ رَبِّهِم﴾: مُطأطئوها حياءً، يقولون: ﴿رَبَّنا، أبصَرْنا﴾ ما أنكرنا من البعث، ﴿وسَمِعْنا﴾ منك تصديق الرُّسل فيما كذّبناهم فيه. ﴿فارجِعْنا﴾ إلى الدنيا، ﴿نَعمَلْ صالِحًا﴾ فيها. ﴿إنّا مُوقِنُونَ﴾ الآنَ. فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا فظيعًا.

(١٣) ـ قال تعالى: ﴿ولَو شِئنا لآتَينا كُلَّ نَفسٍ هُداها﴾، فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها، ﴿ولكِن حَقَّ القَولُ مِنِّي﴾، وهو: ﴿لَأملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنّةِ﴾: الجِنّ ﴿والنّاسِ أجمَعِينَ﴾. وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها: سَجْدَة

(١٤) ـ ﴿فذُوقُوا﴾ العذابَ ﴿بِما نَسِيتُم لِقاءَ يَومِكُم هذا﴾ أي: بترككم الإيمانَ به ـ ﴿إنّا نَسِيناكُم﴾: تركناكم في العذاب ـ ﴿وذُوقُوا عَذابَ الخُلدِ﴾ الدائمِ ﴿بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ من الكُفر والتكذيب.

(١٥) ـ ﴿إنَّما يُؤمِنُ بِآياتِنا﴾: القُرآنِ ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا ﴿بِها خَرُّوا سُجَّدًا، وسَبَّحُوا﴾ مُلتبسين ﴿بِحَمدِ رَبِّهِم﴾ أي: قالوا: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿وهُم لا يَستكبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة، (١٦) ـ ﴿تَتَجافَى جُنُوبُهُم﴾[1]: ترتفعُ ﴿عَنِ المَضاجِعِ﴾: مواضعِ الاضطجاع بفُرُشها لصلاتهم بالليل تهجّدًا، ﴿يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفًا﴾ من عِقابه ﴿وطَمَعًا﴾ في رحمته، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ﴾ يتصدّقون. (١٧) ـ ﴿فلا تَعلَمُ نَفسٌ ما أُخفِيَ﴾: خُبّئ ﴿لَهُم مِن قُرّةِ أعيُنٍ﴾: ما تَقِرّ به أعينهم ـ وفي قراءة بسكون الياء: مضارعٌ ـ ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾. (١٨) ـ ﴿أفمَن كانَ مُؤمِنًا كَمَن كانَ فاسِقًا؟[2] لا يَستَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسقون. (١٩) ـ (٢٠) ـ (٢١) ـ ﴿أمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فلَهُم جَنّاتُ المأوَى نُزُلًا﴾ ـ هو ما يُعَدّ للضيف ـ ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ، وأمّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكُفر والتكذيب ﴿فمأواهُمُ النّارُ، كُلَّما أرادُوا أن يَخرُجُوا مِنها أُعِيدُوا فِيها، وقِيلَ لَهُم: ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿ناكِسوا رءوسهم﴾: مُطرِقُوها خِزياً وحياءً وندماً. ﴿حقّ القول﴾: ثبتَ وتحقَّقَ ونفذَ القضاءُ. ﴿الجِنّة﴾: الجنّ. ﴿تتجافى جنوبهم﴾: ترتفعُ وتتنحَّى للعبادةِ. ﴿عن المضاجع﴾: الفُرُشِ الَّتي يُضطجعُ عليها. ﴿من قرّة أعين﴾: مِن موجباتِ المسرَّةِ والفرحِ. ﴿نـزُلاً﴾: ضِيافةً. وعطاءً. وتكرمةً.

(١) قال مالكُ بنُ دينارٍ: سألتُ أنسَ بنَ مالكٍ عن هذه الآية: فيمَن نزلَتْ؟ فقال: كان أناسٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُصَلُّون من صلاةِ المغربِ إلى صلاةِ العشاءِ الآخرةِ، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ. الطبري (١٨/ ٦١٠)، و«الكامل» لابن عدي (٢/ ٤٦٣)، والواحدي (ص: ٣٤٨). وعن يحيى بن سعيدٍ عن أنس: أنَّ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجعِ﴾ نزلت في انتظار هذه الصَّلاة التي تُدْعى العَتَمةَ. رواه الترمذي (٣١٩٦) وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. وعن قتادةَ عن أنس قال: فينا نزلت معاشرَ الأنصار: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآيةَ. كنَّا نُصلِّي المغرب فلا نرجعُ إلى رحالنا حتى نصلِّيَ العِشاءَ الآخِرةَ مع النبيِّ ﷺ. رواه الواحدي (ص: ٣٤٨). وعن بلالٍ رضي الله عنه: كنا نجلس وناسٌ من أصحاب النبي ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت هذه الآية. البزار (٢٢٥٠ ـ كشف). وقال في «المجمع» (٧/ ٩٠): رواه البزّارُ عن شيخه عبد الله بن شَبيبٍ وهو ضعيفٌ. وقال الحسن ومجاهدٌ: نزلت في المتهجِّدين الذين يقومون اللَّيل إلى الصلاة. الواحدي (ص: ٣٤٨).

(٢) عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال الوليدُ بنُ عُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: أنا أحَدُّ منك سِنانًا، وأبسطُ منك لِسانًا، وأملأُ منك للكتيبةِ، فقال له عليٌّ رضي الله عنه: اسكُتْ؛ فإنَّما أنتَ فاسقٌ، فنزلَتْ: ﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِنًا﴾. أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والآجري في «الشريعة» (١٥٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك. ورواه الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ١٥٣)، والواحدي (ص: ٣٤٩)، من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، وهو ضعيف. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٣)، عن عطاء بن يسار مرسلاً. ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عباس في قوله: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ قال: أما المؤمن فعلي بن أبي طالب والفاسق عقبة بن أبي معيط، وذلك لسباب كان بينهما، فأنزل الله ذلك. ابن عساكر (٦٣/ ٢٣٥)، و«لباب النقول» (ص: ١٥٥)، وابن لهيعة ضعيف. وقال السيوطي: كذا في هذه الرواية أنها نزلت في عقبة لا الوليد.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

﴿ولَنُذِيقَنَّهُم مِنَ العَذابِ الأدنى﴾ عذابِ الدنيا بالقتل والأسر والجدب سِنين والأمراض **﴿دُونَ﴾**: قبلَ **﴿العَذابِ الأكبَرِ﴾** عذاب الآخرة، **﴿لَعَلَّهُم﴾** أي: مَن بقي منهم **﴿يَرجِعُونَ﴾** إلى الإيمان، ﴿٢٢﴾ ـ **﴿ومَن أظلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ﴾**: القُرآنِ، **﴿ثُمَّ أعرَضَ عَنها﴾**؟ أي: لا أحدَ أظلم منه. **﴿إنّا مِنَ المُجرِمِينَ﴾** أي: المُشركين **﴿مُنتَقِمُونَ﴾**.

﴿٢٣﴾ ـ ﴿٢٤﴾ ـ **﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾**: التوراة ـ **﴿فلا تَكُنْ في مِريَةٍ﴾**: شكٍّ **﴿مِن لِقائِهِ﴾**. وقد التقيا ليلةَ الإسراء ـ **﴿وجَعَلْناهُ﴾** أي: مُوسَى أو الكتابَ **﴿هُدًى﴾** هاديًا **﴿لِبَنِي إسرائيلَ، وجَعَلْنا مِنهُم أئمّةً﴾**، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: قادةً، **﴿يَهدُونَ﴾** الناس **﴿بِأمرِنا، لَمّا صَبَرُوا﴾** على دِينهم وعلى البلاء من عدوّهم، **﴿وكانُوا بِآياتِنا﴾** الدالّة على قُدرتنا ووَحدانيّتنا **﴿يُوقِنُونَ﴾**. وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم. ﴿٢٥﴾ ـ **﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفصِلُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾** من أمر الدِّين.

﴿٢٦﴾ ـ **﴿أوَلَم يَهدِ لَهُم كَم أهلَكْنا مِن قَبلِهِم﴾**، أي: يَتبيَّنْ لكُفّار مكّة إهلاكُنا كثيرًا، **﴿مِنَ القُرُونِ﴾**: الأمم بكُفرهم، **﴿يَمشُونَ﴾**: حالٌ من ضمير «لهم» **﴿في مَساكِنِهِم﴾** في أسفارهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا؟ **﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾**: دلالات على قُدرتنا. **﴿أفلا يَسمَعُونَ﴾** سماعَ تدبّر واتّعاظ؟

﴿٢٧﴾ ـ **﴿أوَلَم يَرَوا أنّا نَسُوقُ الماءَ إلَى الأرضِ الجُرُزِ﴾**: اليابسة التي لا نبات فيها، **﴿فنُخرِجُ بِهِ زَرعًا، تأكُلُ مِنهُ أنعامُهُم وأنفُسُهُم؟ أفلا يُبصِرُونَ﴾** هذا، فيعلمون أنّا نقدر على إعادتهم؟

﴿٢٨﴾ ـ ﴿٢٩﴾ ـ **﴿ويَقُولُونَ﴾** للمؤمنين: **﴿مَتى هذا الفَتحُ﴾** بيننا وبينكم، **﴿إن كُنتُم صادِقِينَ[1]﴾**؟ **﴿قُلْ: يَومَ الفَتحِ﴾** بإنزال العذاب بهم **﴿لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إيمانُهُم، ولا هُم يُنظَرُونَ﴾**: يُمهَلون لتوبة أو مَعذرة. ﴿٣٠﴾ ـ **﴿فأعرِضْ عَنهُم، وانتَظِرْ﴾** إنزال العذاب بهم. **﴿إنَّهُم مُنتَظِرُونَ﴾** بك حادثَ موتٍ أو قتلٍ، فيستريحون منك. وهذا قبلَ الأمر بقتالهم.

***

﴿في مِريَةٍ﴾: في شكٍّ. ﴿مِن لقائه﴾: تلقِّيهِ إيَّاهُ بالرِّضا والقَبولِ. ﴿أوَ لم يهد لهم؟﴾: أغفلوا ولم يُبيِّنْ لهُم مآلَهُم ؟. ﴿كم أهلكنا..﴾: كثرةُ إهلاكِنا الأممَ قبلَهُم. ﴿القرون﴾: الأممِ الخاليةِ. ﴿الأرض الجُرز﴾: اليابسةِ الجرداءِ الَّتي قُطِعَ نباتُها. ﴿هذا الفتح﴾: النَّصرُ علينا، أوِ الفصلُ للخصومةِ. ﴿يُنظَرون﴾: يُمهَلونَ ليُؤمنوا.

(١) عن قتادةَ: قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه ونتنعم فيه. فقال المشركون: متى هذا الفتحُ إنْ كنتم صادقين؟ فنزلت. الطبري (١٨/ ٦٤٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١١)، و«لباب النقول» (ص: ١٥٥).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ
عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن
قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ
مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم
بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾
ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ
فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ
أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ
وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ
فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

٣٣

سُورَةُ الأحزاب

نصف الحزب ٤٢

مدنية، ثلاث وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿يا أيُّها النَّبيُّ، اتَّقِ اللهَ﴾: دُم على تقواه، ﴿ولا تُطِعِ الكافِرينَ والمُنافِقِينَ﴾[1] فيما يُخالف شريعتك ـ ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه ـ ﴿٢﴾ ـ ﴿واتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ـ ﴿إنَّ اللهَ كانَ بما يَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾. وفي قراءة بالفوقانيّة ـ ﴿٣﴾ ـ ﴿وتَوَكَّلْ على اللهِ﴾ في أمرك. ﴿وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ حافظًا لك! وأُمّتُه تبعٌ له في ذلك كُلّه.

﴿٤﴾ ـ ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلبَينِ في جَوفِهِ﴾، ردًّا على من قال من الكُفّار: «إنّ له قلبينِ، يعقِل بكُلّ منهما أفضلَ من عقلِ مُحمّد»[2]، ﴿وما جَعَلَ أزواجَكُمُ اللائي﴾ ـ بهمزة وياء وبلا ياء ـ ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾، بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في الأصل مُدغمة في الظاء، ﴿مِنهُنَّ﴾ ـ يقول الواحد مثلاً لزوجته: «أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمّي» ـ ﴿أُمَّهاتِكُم﴾ أي: كالأمّهات في تحريمها بذلك، المُعَدِّ في الجاهليّة طلاقًا، وإنّما تجب به الكفّارة بشرطه كما ذُكر في سورة «المُجادَلة»، ﴿وما جَعَلَ أدعِياءَكُم﴾: جمع دَعَيّ ـ وهو من يُدعَى لغير أبيه ابنًا له ـ ﴿أبناءَكُم﴾ حقيقة. ﴿ذلِكُم قَولُكُم بِأفواهِكُم﴾ أي: اليهودِ والمنافقين، قالوا لمّا تزوج النبيّ ﷺ زينبَ بنتَ جحش التي كانت امرأة

﴿اتّقِ الله﴾: دُمْ على تقواهُ أوِ ازددْ منها. ﴿وكيلاً﴾: حافظاً مفوّضاً إليهِ كلّ أمرٍ. ﴿تُظاهرون منهنّ﴾: تُحرّمونَهُنَّ كحُرمةِ أُمّهاتِكُم. ﴿أدعياءكم﴾: مَن تتبنَّونَهُم مِن أبناءِ غيرِكُم. ﴿أقْسط﴾: أعدلُ. ﴿مواليكم﴾: أولياؤُكُم في الدِّينِ. ﴿أولى بالمؤمنين﴾: أرأفُ بِهِم، وأنفعُ لهُم. ﴿أزواجه أمّهاتهم﴾: مثلُهُنَّ في تحريمِ نكاحِهِنَّ وتعظيمِ حُرمتِهِنَّ. ﴿أولوا الأرحام﴾: ذوو القراباتِ.

---

(١) نزلَتْ في أبي سفيانَ وعِكرمةَ بنِ أبي جهلٍ وأبي الأعورِ السُّلَميِّ، قدِموا المدينةَ بعد قتالِ أُحُدٍ فنزلوا على عبدِ الله بنِ أُبيٍّ، وقد أعطاهم النَّبيُّ ﷺ الأمانَ على أن يُكلِّموه، فقامَ معهم عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ وطُعمةُ بنُ أُبيرِقٍ فقالوا للنَّبيِّ ﷺ وعنده عمرُ بنُ الخطَّابِ: ارفُضْ ذكرَ آلهتِنا اللَّاتِ والعُزَّى ومناةَ، وقُل: إنَّ لها شفاعةً وشُفعَةً لمَن عبدَها، ونَدَعُكَ وربَّك، فشقَّ على النَّبيِّ ﷺ قولُهم، وطلب عمرُ رضي الله عنه الإذن في قتلِهم، فقال: «إنِّي أعطيتُهم الأمانَ»، وأمرَ رسولُ الله ﷺ أن يُخرِجَهم من المدينةِ، وأنزلَ الله هذه الآيةَ. «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٤)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٣٤٧)، والثعلبي (٢١/ ٣١٤)، والواحدي (ص: ٣٥١). وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٢): هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.
عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوَّفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فنزلت الآية. «لباب النقول» (ص: ١٥٥).

(٢) الضمير في «له» عائد على «مَن»، والمراد به جميلُ بنُ مَعْمَرٍ الفِهرِيُّ، وكان رجلاً لبيبًا حافظًا لِـمَا يَسمعُ، فقالت قُريشٌ: ما حفِظَ هذه الأشياءَ إلاّ وله قلبانِ، وكان يقولُ: إنَّ لي قلبَين أعقِلُ بكلِّ واحدٍ منهما أفضلَ من عقلِ محمَّدٍ. فلمَّا كان يومُ بدرٍ وهُزِمَ المُشركون وفيهم جميلُ بنُ مَعْمَرٍ تلقَّاه أبو سفيانَ وهو مُعلِّقٌ إحدَى نعليه بيدِه والأخرى في رجلِه، فسأله، فقال: ما شعرتُ إلا أنَّهما في رِجلي، فعرفوا يومئذٍ أنَّه لو كان له قلبانِ لَمَا نسيَ نعلَه في يدِه. «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، و«تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٩)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥١)، ، وأسلم جميل بن معمر يوم الفتح. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٤٧)، و«أسد الغابة» (١/ ٤٣٣)، و«الإصابة» (١/ ٥٠٠). وعن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه أنهم سألوا ابن عباس عن قول الله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فقال: قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين: قلباً معكم، وقلباً معهم ـ وعند ابن خزيمة: وقلباً مع أصحابه ـ فأنزل الله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ..﴾، أحمد (٢٤١٠)، والترمذي (٣١٩٩) وحسنه، والطبري (١٩/ ٧)، وصححه وابن خزيمة (٨٦٥)، والحاكم (٣٥٥٥)، وقال الذهبي: قابوس ضعيف. وعن مجاهد قال: إن رجلًا من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وكذَب، فنزلت. «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٦٩٧)، والطبري (١٩/ ٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١١٢). الحسنُ: كان رجلٌ يقولُ: لي نفسٌ تأمُرني، ونفسٌ تنهاني، فنزلَتْ هذه الآيةُ. عبد الرزاق (٢٣١٢)، والطبري (١٩/ ٧).

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

زيدِ ابنِ حارثةَ، الذي تبنّاه النبيّ ﷺ، قالوا: تزوّج مُحمّد امرأةَ ابنِه. فأكذبَهم الله ـ تعالى ـ في ذلك: ﴿والله يَقُولُ الحَقَّ﴾ في ذلك، ﴿وهُوَ يَهدِي السَّبيلَ﴾ سبيل الحقّ. ﴿٥﴾ ـ لكن ﴿ادعُوهُم لِآبائهم ـ هُوَ أَقسطُ﴾: أعدلُ ﴿عِندَ اللهِ ـ فإن لَم تَعلَمُوا آباءَهُم فإخوانُكُم في الدِّينِ ومَوالِيكُم﴾: بنو عمّكم، ﴿ولَيسَ علَيكُم جُناحٌ فِيما أخطأتُم بِهِ﴾ في ذلك، ﴿ولكِن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُم﴾ فيه، وهو بعدَ النهي. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لِما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

﴿٦﴾ ـ ﴿النَّبِيُّ أَولَى بِالمُؤمِنِينَ مِن أنفُسِهِم﴾[1] فيما دعاهم إليه ودعتْهم أنفسهم إلى خِلافه، ﴿وأزواجُهُ أُمَّهاتُهُم﴾ في حُرمة نكاحهنّ عليهم، ﴿وأُولُو الأرحامِ﴾: ذَوو القراباتِ ﴿بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ﴾ في الإرث ﴿في كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤمِنِينَ والمُهاجِرِينَ﴾ أي: منَ الإرث بالإيمانِ والهِجرةِ، الذي كان أوّلَ الإسلام فنُسخ. ﴿إلاّ﴾ لكنْ ﴿أن تَفعَلُوا إِلَى أَولِيائكُم مَعرُوفًا﴾ بوصيّة فجائز.

﴿كانَ ذلِكَ﴾ أي: نَسخُ الإرثِ بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام ﴿فِي الكِتابِ مَسطُورًا﴾. وأريد بالكتاب في الموضعين اللوحُ المحفوظ.

﴿٧﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُم﴾ حين أُخرجوا من صُلب آدم كالذَّرّ: جمع ذَرّة ـ وهي أصغر النمل ـ ﴿ومِنكَ ومِن نُوحٍ وإبراهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى ابنِ مَريَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عِبادته ـ وذِكر الخمسة من عطف الخاصّ على العامّ ـ ﴿وأخَذْنا مِنهُم مِيثاقًا غَلِيظًا﴾: شديدًا، بالوفاء بما حُمِّلوه ـ هو اليمينُ بالله تعالى، ثمّ أخذُ الميثاق ـ ﴿٨﴾ ـ ﴿لِيَسأَلَ﴾ اللهُ ﴿الصّادِقِينَ عَن صِدقِهِم﴾ في تبليغ الرسالة، تبكيتًا للكافرين بهم، ﴿وأعَدَّ﴾ ـ تعالى ـ ﴿لِلكافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلمًا. هو عطفٌ على «أخذنا».

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ علَيكُم[2]، إذ جاءَتْكُم جُنُودٌ﴾ من الكُفّار متحزّبون أيامَ حفر الخندق، ﴿فأرسَلْنا علَيهِم رِيحًا، وجُنُودًا لَم تَرَوها﴾: ملائكةً ـ ﴿وكانَ اللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾، بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين، ﴿بَصِيرًا ـ إذ جاؤُوكُم مِن فَوقِكُم ومِن أسفَلَ مِنكُم﴾: من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب، ﴿وإذ زاغَتِ الأبصارُ﴾: مالتْ عن كُلّ شيء إلى عدوّها من كُلّ جانب، ﴿وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ﴾: جمع حَنجَرة ـ وهي منتهى الحُلقوم ـ من شِدّة الخوف، ﴿وتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَ﴾ المُختلِفة بالنصر واليأس.

﴿١١﴾ ـ ﴿هُنالِكَ ابتُلِيَ المُؤمِنُونَ﴾: اختُبروا ليتبيّن المُخلص من غيره، ﴿وزُلزِلُوا﴾: حُرّكوا ﴿زِلزالاً شَدِيدًا﴾ من شِدّة الفزع، ﴿١٢﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾[3]: ضعفُ اعتقاد: ﴿ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إلاّ غُرُورًا﴾: باطلاً. ﴿١٣﴾ ـ ﴿وإذ قالَتْ

﴿ميثاقهم﴾: العَهدَ على الوفاءِ بما حُمِّلوا. ﴿ميثاقاً غليظاً﴾: عهداً وثيقاً قويّاً على الوفاءِ. ﴿جاءتكم جنود﴾: الأحزابُ يومَ الخندقِ سنةَ خمسٍ. ﴿زاغت الأبصار﴾: مالَتْ عن سَنَنِها حَيْرةً ودهشةً. ﴿بلغتِ القلوب الحناجر﴾: نهاياتِ الحلاقيم (تمثيلٌ لشدَّةِ الخوفِ). ﴿ابتُلِيَ المؤمنون﴾: اختُبِروا بالشَّدائدِ ومُحِّصوا. ﴿زلزلوا﴾: اضطربوا كثيراً من شدَّةِ الفزعِ. ﴿غروراً﴾: قولاً باطلاً. أو خداعاً. ﴿يثرب﴾: اسم المدينةِ المُنوَّرةِ قديماً. ﴿لا مُقام لكم﴾: لا إقامةَ لكُم ههنا. ﴿إن بيوتنا عورة﴾: قاصيةٌ يخشى عليها العدوُّ. ﴿فِرارًا﴾: هرَباً مِنَ القتالِ معَ المؤمنينَ. ﴿من أقطارها﴾: نواحيها وجوانبِها. ﴿سُئلوا الفتنة﴾: طُلِبَ منهُم مُقاتلةُ المسلمينَ. ﴿ما تلبّثوا بها﴾: ما أخَّروا المقاتلةَ.

(١) ذكر النَّقَّاشُ في «تفسيرِه» أنَّ سببَ نزولِ هذه الآية: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا أرادَ غزوةَ تبوكَ وأمرَ النَّاسَ بالخروجِ قال قومٌ: نستأذنُ آباءَنا وأمَّهاتِنا؟ فأنزلَ الله فيهم هذه الآيةَ. «النكت والعيون» (٤/ ٣٧٣).

(٢) عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعوداً وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: ﴿إن بيوتنا عورة﴾، فيأذن لهم فيتسللون، فقال لي: «ائتني بخبر القوم»، فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريحُ تضربهم بها، وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبرهم وأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ الآية. «مستخرج أبي عوانة» (٦٨٤٢)، و«لباب النقول» (ص: ١٥٦).

(٣) نزلت في قول المنافقين حين بشَّر النبي ﷺ المسلمين أثناء حفر الخندق بمدائن كسرى وقصور الروم وصنعاء: ألا تعجبون يحدّثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرَق ولا تستطيعون أن تبرزوا؟! وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ الآية. رواه الطبري (١٩/ ٣٩ ـ ٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤١٨ ـ ٤٢٠)، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده. وليس فيه تسمية القائل. ورواه دون تسمية القائل أيضًا الطبري عن قتادة وابن زيد.
=

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم
بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

طائفةٌ مِنهُم﴾ أي: المنافقين: ﴿**يا أهلَ يَثرِبَ**﴾ ـ هي أرض المدينة، ولم تنصرف للعلميّة ووزن الفعل ـ ﴿**لا مُقامَ لَكُم**﴾، بضمّ الميم وفتحها، أي: لا إقامة ولا مكانة. ﴿**فارجِعُوا**﴾ إلى منازلكم من المدينة. وكانوا خرجوا مع النبيّ إلى سَلعٍ جبل خارج المدينة للقتال. ﴿**ويَستأذِنُ فَريقٌ مِنهُمُ النَّبيَّ**﴾ في الرُّجوع، ﴿**يَقُولُونَ: إنَّ بُيُوتَنا عَورةٌ**﴾: غيرُ حصينة نخشى عليها. قال تعالى: ﴿**وما هِيَ بِعَورةٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**يُرِيدُونَ إلاّ فِرارًا**﴾ من القِتال، ﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ـ ﴿**ولَو دُخِلَتْ**﴾ أي: المدينةُ ﴿**عليهِم مِن أقطارِها**﴾: نواحيها، ﴿**ثُمَّ سُئِلُوا**﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿**الفِتنَةَ**﴾: الشِّركَ، ﴿**لآتَوها**﴾ ـ بالمدّ والقصر ـ أي: أعطَوها وفعلوها، ﴿**وما تَلَبَّثُوا بِها إلاّ يَسِيرًا، ولَقَد كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِن قَبلُ، لا يُوَلُّونَ الأدبارَ. وكانَ عَهدُ اللهِ مَسؤُولاً**﴾ عن الوفاء به.

الحزب ٤٢

﴿١٦﴾ ـ ﴿**قُل: لَن يَنفَعَكُمُ الفِرارُ، إن فَرَرتُم مِنَ المَوتِ أوِ القَتلِ، وإذًا**﴾ إن فررتم ﴿**لا تُمَتَّعُونَ**﴾ في الدنيا بعد فِراركم ﴿**إلاّ قَليلاً**﴾: بقيّةَ آجالكم. ﴿١٧﴾ ـ ﴿**قُل: مَن ذا الَّذِي يَعصِمُكُم**﴾: يُجيركم ﴿**مِنَ اللهِ، إن أرادَ بِكُم سُوءًا**﴾: هلاكًا وهزيمة، ﴿**أو**﴾ يُصيبكم بسوء، إن ﴿**أرادَ**﴾ اللهُ ﴿**بِكُم رَحمَةً**﴾ خيرًا؟ ﴿**ولا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيره ﴿**وَلِيًّا**﴾ ينفعهم ﴿**ولا نَصِيرًا**﴾ يدفع الضُّرّ عنهم.

﴿١٨﴾ ـ ﴿**قد يَعلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ**﴾: المُثبِّطين ﴿**مِنكُم والقائلِينَ لِإخوانِهِم: هَلُمَّ**﴾: تعالَوا ﴿**إلَينا. ولا يأتُونَ البأسَ**﴾: القِتال ﴿**إلاّ قَليلاً**﴾ رياءً وسُمعة، ﴿١٩﴾ ـ ﴿**أشِحَّةً عَلَيكُم**﴾ بالمُعاونة ـ جمع شحيح وهو حالٌ من ضمير «يأتون» ـ ﴿**فإذا جاءَ الخَوفُ رأيتَهُم يَنظُرُونَ إلَيكَ، تَدُورُ أعيُنُهُم كالَّذِي**﴾: كنظرِ أو كدورانِ الذي ﴿**يُغشَى عَلَيهِ مِنَ المَوتِ**﴾ أي: سَكَراتِه، ﴿**فإذا ذَهَبَ الخَوفُ**﴾ وحِيزَتِ الغنائم ﴿**سَلَقُوكُم**﴾: آذَوكم أو ضربوكم ﴿**بِألسِنةٍ حِدادٍ، أشِحَّةً عَلَى الخَيرِ**﴾ أي: الغنيمةِ يطلبونها ـ ﴿**أُولئِكَ لَم يُؤمِنُوا**﴾ حقيقةً، ﴿**فأحبَطَ اللهُ أعمالَهُم. وكانَ ذلِكَ**﴾ الإحباط ﴿**عَلَى اللهِ يَسِيرًا**﴾ بإرادته ـ ﴿٢٠﴾ ـ ﴿**يَحسِبُونَ الأحزابَ**﴾ من الكُفّار ﴿**لَم يَذهَبُوا**﴾ إلى مكّة لِخوفهم منهم، ﴿**وإن يأتِ الأحزابُ**﴾ كرّة أُخرى ﴿**يَوَدُّوا**﴾: يتمنّوا ﴿**لَو أنَّهُم بادُونَ في الأعرابِ**﴾ أي: كائنون في البادية، ﴿**يَسألُونَ عَن أنبائكُم**﴾: أخبارِكم مع الكُفّار، ﴿**ولَو كانُوا فِيكُم**﴾ هذه الكرّةَ ﴿**ما قاتَلُوا إلاّ قَلِيلاً**﴾ رِياءً وخوفًا من التعيير.

﴿٢١﴾ ـ ﴿**لَقَد كانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ إسْوةٌ**﴾ ـ بكسر الهمزة وضمّها ـ ﴿**حَسَنَةٌ**﴾: اقتداءٌ به، في القِتال والثبات في مواطنه، ﴿**لِمَن**﴾: بدلٌ من «لكم» ﴿**كانَ يَرجُو اللهَ**﴾: يخافه ﴿**واليَومَ الآخِرَ، وذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ بخِلاف من ليس كذلك. ﴿٢٢﴾ ـ ﴿**ولَمّا رأى المُؤمِنُونَ الأحزابَ**﴾ من الكُفّار ﴿**قالُوا: هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ**﴾ من الابتلاء والنصر، ﴿**وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُهُ**﴾ في الوعد. ﴿**وما زادَهُم**﴾ ذلك ﴿**إلاّ إيمانًا**﴾: تصديقًا بوعد الله ﴿**وتَسلِيمًا**﴾ لأمره.

﴿يعصِمكم من الله﴾: يمنعُكُم مِن قَدَرِهِ تعالى. ﴿المعوّقين منكم﴾: المُثَبِّطينَ منكُم عنِ الرَّسولِ ﷺ. ﴿هلمّ إلينا﴾: أقبِلوا أو قرِّبوا أنفسَكُم إلينا. ﴿البأس﴾: الحربَ والقتالَ. ﴿أشحّةً عليكم﴾: بُخلاءَ عليكُم بكلِّ ما ينفعُكُم. ﴿يُغشى عليه من الموت﴾: تُصيبُهُ الغشيةُ مِن سكراتِهِ. ﴿سلقوكم﴾: آذَوكُم ورمَوْكُم. ﴿بألسنة حدادٍ﴾: ذربةٍ سليطةٍ قاطعةٍ كالحديدِ. ﴿أشحّة على الخير﴾: بُخلاءَ حريصينَ على المالِ والغنيمةِ. ﴿فأحبط الله﴾: كأبطلَ اللهُ. ﴿بادون في الأعراب﴾: كانوا معهُم في الباديةِ. ﴿أسوة حسنة﴾: قُدْوةٌ صالحةٌ في كلِّ الأمورِ.

= وعن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب وغيرهما: قال متعب بن قشير: كأن محمداً يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط! وقال أوس ابن قيظي في ملأ من قومه: إن بيوتنا عورة وهي خارجة من المدينة، ائذن لنا فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا، فأنزل الله على رسوله حين فرَغ عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكِّرهم نعمته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ﴿زِلْزَالًا شَدِيداً﴾ [٩ ـ ١١] ونزل لقول مُعتِّب بن قُشيرٍ وأصحابه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [١٢] ولقولِ أوس بن قَيظيٍّ ومَن كان معه على ذلك من قومه: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِنهُم يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا فِرَاراً﴾ [١٣]. «دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٤٣٥)، و«لباب النقول» (ص: ١٥٧). ورواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قوله: «وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع...» الطبري (١٩/ ٣٠) عن عروة وعبيد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

(٢٣) - ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ﴾[1] من الثبات مع النبيّ، ﴿فمِنهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ﴾: مات أو قُتل في سبيل الله، ﴿ومِنهُم مَن يَنتَظِرُ﴾ ذلك، ﴿وما بَدَّلُوا تَبديلاً﴾ في العهد - وهم بخلاف حال المنافقين -

(٢٤) - ﴿لِيَجزِيَ اللهُ الصّادِقِينَ بِصِدقِهِم ويُعَذِّبَ المُنافِقِينَ، إن شاءَ﴾ بأن يُميتهم على نِفاقهم، ﴿أو يَتُوبَ عليهِم. إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به.

(٢٥) - ﴿ورَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الأحزاب ﴿بِغَيظِهِم، لَم يَنالُوا خَيرًا﴾: مُرادَهُم من الظفر بالمؤمنين، ﴿وكَفَى اللهُ المؤمِنِينَ القِتالَ﴾[2] بالريح والملائكة - ﴿وكانَ اللهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يُريده ﴿عَزِيزًا﴾: غالبًا على أمره -

(٢٦) - ﴿وأنزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُم، مِن أهلِ الكِتابِ﴾ أي: قُريظة ﴿مِن صَياصِيهِم﴾: حصونهم جمعُ صِيصِية، وهو ما يُتحصَّن به، ﴿وقَذَفَ في قُلُوبِهِمِ الرُّعبَ﴾: الخوفَ، ﴿فَرِيقًا تَقتُلُونَ﴾ منهم - وهم المُقاتِلة - ﴿وتَأسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم أي: الذراريَّ، (٢٧) - ﴿وأورَثَكُم أرضَهُم ودِيارَهُم وأموالَهُم وأرضًا لَم تَطَؤُوها﴾ بعدُ. وهي خيبر أُخذت بعد قُريظة. ﴿وكانَ اللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا﴾.

(٢٨) - ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ، قُلْ لِأزواجِكَ﴾[3] وهُنَّ تِسع، وطلبنَ منه من زينة الدنيا ما ليس عِنده: ﴿إن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وزِينَتَها فتَعالَينَ، أُمَتِّعكُنَّ﴾ أي: مُتعةَ الطلاق، ﴿وأُسَرِّحكُنَّ سَراحًا جَمِيلاً﴾: أُطلّقكنَّ، مِن غير ضِرار، (٢٩) - ﴿وإن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ ورَسُولَهُ والدّارَ الآخِرَةَ﴾ أي: الجنّةَ ﴿فإنَّ اللهَ أعَدَّ لِلمُحسِناتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أجرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة. فاختَرْنَ الآخرةَ على الدنيا.

(٣٠) - (٣١) - ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ، مَن يَأتِ مِنكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ - بفتح الياء وكسرها - أي: بُيِّنَتْ أو هي بيِّنة ﴿يُضاعَفْ﴾، وفي قراءة: «يُضعَّفْ» بالتشديد، وفي أُخرى: «نُضعِّفْ» بالنونِ معه ونصبِ «العَذابَ»، ﴿لَها العَذابُ ضِعفَينِ﴾: ضِعفي عذاب غيرهنّ أي: مِثليه - ﴿وكانَ ذلِكَ علَى اللهِ يَسِيرًا﴾ - ....

﴿قضى نحبه﴾: وفَّى بنَذرِه. أو ماتَ شهيداً. ﴿الذين ظاهروهم﴾: يهود قريظةَ الَّذينَ عاونوا الأحزابَ. ﴿صياصيهم﴾: حصونِهم ومعاقلِهم. ﴿الرّعب﴾: الخوفَ الشَّديدَ. ﴿أمتّعكنّ﴾: أعطِكُنَّ مُتعةَ الطَّلاقِ. ﴿أسرّحكنّ﴾: أطلِّقْكُنَّ. ﴿سراحاً جميلاً﴾: طلاقاً حسناً لا ضِرارَ فيهِ. ﴿بفاحشة مُبَيّنة﴾: بمعصيةٍ كبيرةٍ ظاهرةِ القُبحِ.

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نُرى هذه الآية نزلت في أنس بن النَّضر. البخاري (٤٧٨٣)، ورواه مطولًا في قصة استشهاد أنس يوم أحد البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣). وقيل: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ نزلَتْ في طلحةَ بنِ عُبيدِ الله، ثبَتَ مع رسولِ الله ﷺ حتَّى أُصيبَتْ يدُه فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوْجَبَ طلحةُ الجنّةَ». الثعلبي (٢١/ ٣٧٦)، وقول النبي ﷺ: «أوجب طلحة» دون سبب النزول رواه أحمد (١٤١٧)، والترمذي (٣٧٣٨) وصححه، عن الزبير رضي الله عنه. وعن النزال بن سبرة قال: قالوا لعليٍّ: حدثنا عن طلحة، قال: ذاك امرؤ نزل فيه آية من كتاب الله: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ طلحة ممن قضى نحبه لا حساب عليه فيما يستقبل. الآجري في «الشريعة» (١٨٢٥)، والواحدي (ص: ٣٥٤). قال ابن الجوزي: وقد جعل بعض المفسرين هذا القدْرَ من الآية في طلحة، وأولَها في أنس. «زاد المسير» (٣/ ٤٥٧).

(٢) عن أبي سعيدٍ الخدري: شغلَنا المشركون يومَ الخندق عن صلاة الظُّهر حتى غربتِ الشَّمسُ، وذلك قبل أن يَنزلَ في القتال ما نزل، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾. النسائي (٦٦١). إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) كان أزواجُ النَّبيِّ ﷺ سألْنَه من عرَضِ الدُّنيا، وطالبنه بزيادةِ النَّفقةِ، فهجرَهُنَّ وآلَى ألاَّ يقربَهنَّ شهرًا، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿عَظِيمًا﴾ [٢٨ - ٢٩] فأمرَه الله بتخييرِ نسائِه، فقرأها عليهنَّ فاخترنَه. رواه مطولاً البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (١٤٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ
أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ
لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ
فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ
تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤
إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥

الجزء ٢٢ الحزب ٤٣

﴿ومَن يَقنُتْ﴾: يُطِعْ ﴿مِنكُنَّ للهِ ورَسُولِهِ وتَعمَلْ صالِحًا نُؤتِها أجرَها مَرّتَينِ﴾ أي: مِثلَي ثواب غيرهنّ من النساء ـ وفي قراءة بالتحتانيّة في «تَعملْ» و«نُؤتِها» ـ ﴿وأعتَدْنا لَها رِزقًا كَريمًا﴾ في الجنّة زيادةً.

٣٢ ـ ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ، لَستُنَّ كَأَحَدٍ﴾: كجماعة ﴿مِنَ النِّساءِ، إنِ اتَّقَيتُنَّ﴾ اللهَ فإنكنّ أعظم. ﴿فلا تَخضَعْنَ بِالقَولِ﴾ للرجال، ﴿فيَطمَعَ الَّذي في قَلبِهِ مَرَضٌ﴾: نفاق، ﴿وقُلْنَ قَولاً مَعرُوفًا﴾ من غير خُضوع، ٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿وقِرْنَ﴾، بكسر القاف وفتحها، ﴿في بُيُوتِكُنَّ﴾ ـ من القرار وأصله «اقرِرْنَ» بكسر الراء وفتحها من: قَررتُ، بفتح الراء وكسرها. نُقلت حركة الراء إلى القاف وحُذفت مع همزة الوصل ـ ﴿ولا تَبَرَّجْنَ﴾، بترك إحدى التاءين من أصله، ﴿تَبَرُّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولَى﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنَهنّ للرجال ـ والإظهارُ بعد الإسلام مذكور في آيةِ «ولا يُبدِينَ زِينتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنها» ـ ﴿وأقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكاةَ، وأطِعْنَ اللهَ ورَسُولَهُ ـ إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ﴾: الإثمَ، يا ﴿أهلَ البَيتِ﴾[1] أي: نساءَ النبيّ، ﴿ويُطَهِّرَكُم﴾ منه ﴿تَطهِيرًا ـ واذكُرْنَ ما يُتلَى في بُيُوتِكُنَّ مِن آياتِ اللهِ﴾: القُرآنِ ﴿والحِكْمةِ﴾: السُّنّة. ﴿إنَّ اللهَ كانَ لَطِيفًا﴾ بأَوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه.

٣٥ ـ ﴿إنَّ المُسلِمِينَ والمُسلِماتِ[2]، والمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ، والقانِتِينَ والقانِتاتِ﴾: المُطيعات، ﴿والصّادِقِينَ والصّادِقاتِ﴾ في الإيمان، ﴿والصّابِرِينَ والصّابِراتِ﴾ على الطاعات، ﴿والخاشِعِينَ﴾: المُتواضعين ﴿والخاشِعاتِ، والمُتَصَدِّقِينَ والمُتَصَدِّقاتِ، والصّائمِينَ والصّائماتِ، والحافِظِينَ فُرُوجَهُم والحافِظاتِ﴾ عن الحرام، ﴿والذّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا والذّاكِراتِ، أعَدَّ اللهُ لَهُم مَغفِرةً﴾ للمعاصي، ﴿وأجرًا عَظِيمًا﴾ على الطاعات.

﴿يقنت منكنّ﴾: تُطِعْ أو تخضعْ منكُنّ. ﴿فلا تخضعن بالقول﴾: لا تلنَّ القولَ ولا ترقِّقْنَهُ للرِّجالِ. ﴿قَرْنَ في بيوتكنّ﴾: الزمْنَ بيوتَكُنَّ وكذا جميعُ النِّساءِ. ﴿لا تبرّجن﴾: لا تُبدينَ الزِّينةَ الواجبَ سترُها. ﴿الجاهليّة الأولى﴾: ما كانَ قبلَ الإسلامِ مِنَ الجهالاتِ. ﴿الرِّجس﴾: الذَّنبُ. أو الإثمَ أو النَّقصَ. ﴿الحكمة﴾: هديِ النُّبوَّةِ أو أحكامِ القرآنِ. ﴿القانتين﴾: المطيعينَ الخاضعينَ للهِ.

(١) عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ هذه الآيةُ في نساءِ النَّبيِّ ﷺ. ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٢)، والثعلبي (٢١/ ٤٢٤)، والواحدي (ص: ٣٥٥). قال عِكرمةُ: إنَّما هي في أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، وكان عِكرمةُ يُنادي بهذا في السُّوقِ. الطبري (١٩/ ١٠٧)، والثعلبي (٢١/ ٤٢٥)، والواحدي (ص: ٣٥٥). وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في بيتِها، فأتته فاطمةُ رضي الله عنها فقال لها: «ادْعِي لي زوجَكِ وابنَيكِ». قالت: فجاءَ عليٌّ والحسنُ والحسينُ رضي الله عنهم.. وكان تحتَه كساءٌ خيبريٌّ، قالت: وأنا في الحجرةِ أُصلِّي، فأنزلَ الله هذه الآيةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأخذَ فضلَ الكساءِ فغشَّاهُم به، ثمَّ أخرجَ يدَيه فألوى بهما إلى السَّماءِ ثمَّ قال: «اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي فأذهِبْ عنهم رجسَ الشَّيطانِ وطهِّرْهم تطهيرًا». أحمد (٢٦٥٠٨)، والطبري (١٩/ ١٠٥)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣١). وفي رواية: قالَتْ أمُّ سلمةَ: أدخلْتُ رأسي في الكساءِ فقلْتُ: وأنا منهم؟ قال: «قال: بلى إن شاء الله». البيهقي في «الاعتقاد» (ص: ٣٢٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٩١٢). ونقل البيهقي عن شيخه أبي عبد الله الحاكم الذي روى عنه هذا الحديث قوله: «هذا حديث صحيحٌ سنده، ثقاتٌ رواته». وقال البغوي: «هذا حديث صحيح الإسناد». والتحقيق: أنَّ الآية في نساءِ النَّبيِّ ﷺ بدليلِ ما تقدَّمَ وما تأخَّرَ منَ الآياتِ، ولأنَّ أهل بيت الرجلِ زوجته بدليلِ قولِ الله في قصّةِ إبراهيمَ: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]. فلما كانت الآية بظاهرها لا تشمل عليًّا وفاطمة وابنيهما أراد النبي ﷺ بيان أنهم من أهل البيت، لتشمل الآية هؤلاء جميعهم: زوجاته ﷺ بظاهر القرآن والأربعة المذكورين بالسنة.

(٢) عن عكرمةَ عن أمِّ عُمارةَ الأنصاريَّة: أنَّها أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: ما أَرى كلَّ شيءٍ إلاَّ للرِّجال وما أرى النِّساء يُذكرن بشيءٍ؟ فنزلت هذه الآيةَ. الترمذي (٣٢١١) وحسنه. وعن ابن عباسٍ قال: قُلْن النِّساءُ: يا رسول الله، ما بالُه يذكر المؤمنين، ولا يَذكُر المؤمنات؟ فَنَزَلَتْ. الطبري (١٩/ ١١١)، و«المعجم الكبير» (١٢٦١٣). وقال قتادةُ: لمَّا ذكرَ اللهُ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ دخلَتْ نساءٌ منَ المسلماتِ عليهنَّ وقُلنَ: ذُكِرْتُنَّ ولـم نُذْكَرْ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنا، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيَةَ. عبد الرزاق (٢٣٤٣)، والطبري (١٩/ ١٠٩). وقال مقاتلُ بنُ حيَّان: بلَغَني أنَّ أسماءَ بنتَ عُمَيسٍ لـمَّا رجعَتْ منَ الحبشةِ مع زوجِها جعفرِ بنِ أبي طالبٍ دخلَتْ على نساءِ النَّبيِّ ﷺ فقالَتْ: هل نزلَ فينا شيءٌ منَ القرآنِ؟ قُلنَ: لا. فأتَتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ النِّساء لفي خَيبةٍ وخسارٍ يا رسول الله، قال: «ومِمَّ ذاك؟» قالت: لأنَّهن لا يُذكرنَ بخيرٍ كما يُذكرُ الرجال، فأنزل الله: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾. الثعلبي (٢١/ ٤٤٣)، والواحدي (ص: ٣٥٦).

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٦ ـ ﴿وما كانَ لِمُؤمِنٍ ولا مُؤمِنةٍ، إذا قَضَى اللهُ ورَسُولُهُ أمرًا، أن تَكُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿لَهُمُ الخيَرَةُ﴾ أي: الاختيارُ ﴿مِن أمرِهِم﴾ خلافَ أمر الله ورسوله ـ نزلتْ في عبدالله بن جحش وأُخته زينب خطبها النبيّ، وعنَى لزيد بن حارثة، فكرِها ذلك حين علما لظنّهما قبلُ أنّ النبيّ ﷺ خطبها لنفسه، ثمّ رضيا للآية[1] ـ ﴿ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ فقد ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾: بيّنًا. فزوّجها النبيّ لزيد. ثمّ وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفسه حُبّها وفي نفس زيد كراهتُها، ثمّ قال للنبيّ: أريد فِراقها. فقال: «أمسِكْ عليكَ زَوجَكَ» كما قال تعالى.

٣٧ ـ ﴿وإذ﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أنعَمَ اللهُ عليهِ﴾ بالإسلام، ﴿وأنعَمتَ عليهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة كان من سبْي الجاهليّة، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البِعثة وأعتقه وتبنّاه: ﴿أمسِكْ عليكَ زَوجَكَ، واتَّقِ اللهَ﴾ في أمر طلاقها. ﴿وتُخفِي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ﴾: مُظهِرُه من محبّتها وأنْ لو فارقها زيد تزوّجتَها، ﴿وتَخشَى النّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوّجَ زوجةَ ابنه. ﴿واللهُ أحَقُّ أن تَخشاهُ﴾ في كُلّ شيء ويُزوّجكها، ولا عليك من قول الناس. ثمّ طلّقها زيد وانقضتْ عِدّتها. قال تعالى: ﴿فلمّا قَضَى زَيدٌ مِنها وَطَرًا﴾: حاجة ﴿زَوَّجناكَها﴾ ـ فدخل عليها النبيّ بغير إذن، وأشبعَ المسلمين خُبزًا ولحمًا[2] ـ ﴿لِكَيلا يَكُونَ علَى المُؤمِنِينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعِيائِهِم، إذا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا. وكانَ أمرُ اللهِ﴾: مَقضِيُّه ﴿مَفعُولاً﴾.

٣٨ ـ ﴿ما كانَ علَى النَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيما فَرَضَ﴾: أحلّ ﴿اللهُ لَهُ، سُنَّةَ اللهِ﴾ أي: كسُنّة الله ـ فنُصب بنزع الخافض ـ ﴿في الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ﴾ من الأنبياء أنْ لا حرجَ عليهم في ذلك توسعةً لهم في النّكاح ـ ﴿وكانَ أمرُ اللهِ﴾: فِعله ﴿قَدَرًا مَقدُورًا﴾: مَقضيًّا ـ ٣٩ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: نعت لـ «الذين» قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ ويَخشَونَهُ، ولا يَخشَونَ أحَدًا إلاّ اللهَ﴾، فلا يخشون قالةَ الناس فيما أحلّه الله لهم، ﴿وكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾: حافظًا لأعمال خلقه ومُحاسِبَهم![3] ـ ٤٠ ـ ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِن رِجالِكُم﴾ ـ فليس أبا زيد، أي: والدَه، فلا يحرمُ عليه التزوّج بزوجته زينب ـ ﴿ولكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللهِ وخاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾. فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبيًّا. وفي قراءة بفتح التاء كآلة الخَتم، أي: به خُتموا. ﴿وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾، منه أنْ لا نبيَّ بعده. وإذا نزل السيّد عِيسَى يحكمُ بشريعته.

﴿الخِيَرَة﴾: الاختيارُ. ﴿وطراً﴾: حاجتَهُ المهمَّةَ، كنايةٌ عنِ الطَّلاقِ. ﴿حرجٌ﴾: ضيقٌ أو إثمٌ. ﴿أدعيائهم﴾: مَن تبنَّوهُم (قبلَ نسخِ التَّبنّي). ﴿فرض الله له﴾: قسَمَ لهُ أو قدَّرَ أو أحلَّ لهُ. ﴿خلوْا من قبل﴾: مضوْا مِن قبلِكَ مِنَ الأنبياءِ. ﴿قدراً مقدوراً﴾: مُراداً أزلاً. أو قضاءً مقضيّاً. ﴿حسيباً﴾: مُحاسباً على الأعمالِ. ﴿بُكرة وأصيلاً﴾: أوّلَ النَّهارِ وآخرَهُ.

(١) الثعلبي (٢١/ ٤٤٩). ورواه دون ذكر أخيها الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٩)، والدارقطني في «سننه» (٣٧٩٦)، من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها. قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٤٧): فيه حفص بن سليمان وهو متروك. ورواه الطبري (١٩/ ١١٢ و١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسنادين ضعيفين. ورواه عبد الرزاق (٢٣٤٥) عن قتادة مرسلًا، وروى أبو عوانة في «المستخرج» (١١/ ٣١٨) عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ خطب زينب على زيد بن حارثةَ، قال: فكأنَّها أبتْ، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ إلى آخر الآيةِ. ولم أجد ذكر أخيها عند غير الثعلبي. وعن ابن زيد: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول امرأة هاجرت من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثه فسخطت هي وأخوها، وقالت: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوَّجنا عبده، فنزلت. الطبري (١٩/ ١١٤)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٣٤)، وهو معضل.

(٢) رواه بنحوه مسلم (١٤٢٨) عن أنس رضي الله عنه، لكن قوله: «من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها» غير صحيح، والصواب فيه ما رواه الطبري (١٩/ ١١٦ ـ ١١٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والثعلبي (٢١/ ٤٥٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٦٦) عن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما أن ما أخفاه هو ما كان الله أعلمَه به من أنّها ستكونُ من أزواجِه وأنَّ زيدًا يُطلِّقُها. فيكونُ معنى: ﴿وتخشى الناس﴾؛ أي: في بيانِ ما أخبرَكَ الله به من تزوُّجِها ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ فلا تكتُمَ ما أخبرَكَ به، وكان أن تخشى اللهَ بأن تُظهر ما أخبرك أولى من أن تخشى النَّاسَ. أما نزوله في هذه القصة فرواه البخاري (٤٧٨٧) عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ هذه الآيَةَ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ نزلت في شأن زينبَ بنت جحش وزيد بن حارثةَ. وروى (٧٤٢٠) عن ثابت عن أنس قال: جاء زيدُ بن حارثةَ يشكو، فجعل النبيُّ ﷺ يقول: «اتَّقِ الله، وأمسك عليك زوجكَ»، الحديث، وفي آخره: وعن ثابت: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة.

(٣) عن عائشة رضي الله عنه: لَـمَّا تزوَّجَ ﷺ زينبَ قال النَّاسُ: تزوَّجَ امرأةَ ابنِه، فنزلَتِ الآيةُ. الترمذي (٣٢٠٧) وقال: حديث غريب.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

(٤١) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، اذكُرُوا اللهَ ذِكرًا كَثِيرًا**﴾ أي: اذكروه في جميع الأحوال، (٤٢) ـ ﴿**وسَبِّحُوهُ بُكرَةً وأصِيلاً**﴾: أوّلَ النهار وآخِره. (٤٣) ـ (٤٤) ـ ﴿**هُوَ الَّذي يُصَلِّي عليكُم**﴾ أي: يرحمُكم ﴿**ومَلائكتُهُ**﴾[1] أي: يستغفرون لكم، ﴿**لِيُخرِجَكُم**﴾: ليديم إخراجه إياكم ﴿**مِنَ الظُّلُماتِ**﴾ أي: الكُفر ﴿**إلَى النُّورِ**﴾ أي: الإيمان، ﴿**وكانَ بالمُؤمِنينَ رَحِيمًا**، **تَحِيَّتُهُم**﴾ منه ـ تعالى ـ ﴿**يَومَ يَلقَونَهُ سَلامٌ**﴾ بلسان الملائكة، ﴿**وأعَدَّ لَهُم أجرًا كَرِيمًا**﴾. هو الجنّة.

(٤٥) ـ ﴿**يا أيُّها النَّبيُّ، إنّا أرسَلْناكَ شاهِدًا**﴾ على من أُرسلتَ إليهم، ﴿**ومُبَشِّرًا**﴾ مَن صدّقك بالجنّة، ﴿**ونَذِيرًا**﴾: مُنذرًا من كذّبك بالنار، (٤٦) ـ ﴿**وداعِيًا إلَى اللهِ**﴾: إلى طاعته ﴿**بإذنِهِ**﴾: بأمره، ﴿**وسِراجًا مُنِيرًا**﴾ أي: مِثلَه في الاهتداء به، (٤٧) ـ ﴿**وبَشِّرِ المُؤمِنينَ بأنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضلاً كَبِيرًا**﴾[2] هو الجنّة، (٤٨) ـ ﴿**ولا تُطِعِ الكافِرينَ والمُنافِقِينَ**﴾ فيما يُخالف شريعتك، ﴿**ودَعْ**﴾: اتركْ ﴿**أذاهُم**﴾: لا تُجازهم عليه إلى أن تُؤمر فيهم بأمر، ﴿**وتَوَكَّلْ على اللهِ**﴾ ـ فهو كافيك ـ ﴿**وكَفَى باللهِ وَكِيلاً**﴾: مُفوَّضًا إليه!

(٤٩) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، إذا نَكَحتُمُ المُؤمِناتِ، ثُمَّ طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ**﴾ ـ وفي قراءة: «تُماسُّوهُنَّ» ـ أي: تُجامعوهنّ، ﴿**فما لكُم عليهِنَّ مِن عِدَّةٍ تَعتَدُّونَها**﴾: تُحصُونها بالأقراء وغيرها. ﴿**فمَتِّعُوهُنَّ**﴾: أعطوهنّ ما يستمتعن به، أي: إن لم يُسَمَّ لهنَّ أصدِقةٌ ـ وإلاّ فلهنَّ نِصف المُسمَّى، فقط. قاله ابن عبّاس، وعليه الشافعيّ ـ ﴿**وسَرِّحُوهُنَّ سَراحًا جَمِيلاً**﴾: خلّوا سبيلهنّ من غير إضرار.

(٥٠) ـ ﴿**يا أيُّها النَّبيُّ، إنّا أحلَلْنا لَكَ**[3] **أزواجَكَ اللاتِي آتَيتَ أُجُورَهُنَّ**﴾: مُهورَهنّ، ﴿**وما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمّا أفاءَ اللهُ عليكَ**﴾ من الكُفّار بالسبْي كصَفيّة وجُويرية، ﴿**وبَناتِ عَمِّكَ وبَناتِ عَمّاتِكَ، وبَناتِ خالِكَ وبَناتِ خالاتِكَ اللاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ**﴾ بخِلاف من لم يهاجرن، ﴿**وامرأةً مُؤمِنةً إن وَهَبَتْ نَفسَها لِلنَّبيِّ، إن أرادَ النَّبيُّ أن يَستَنكِحَها**﴾: يطلبَ نِكاحَها بغير صَداق، ﴿**خالِصةً لَكَ مِن دُونِ المُؤمِنِينَ**﴾ النِّكاحُ بلفظ الهِبة من غير صَداق ـ ﴿**قد عَلِمْنا ما فَرَضْنا عليهِم**﴾ أي: المؤمنين ﴿**في أزواجِهِم**﴾ من الأحكام ألاّ يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوّجوا إلاّ بوليّ وشهود ومَهر، ﴿**و**﴾ فيـ ﴿**ما مَلَكَتْ أيمانُهُم**﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممّن تحِلّ لمالكها كالكتابيّة بخلاف المجوسيّة والوثنيّة، وأن تُستبرأ قبل الوطء ـ ﴿**لِكَيلا**﴾: مُتعلّق بما قبلَ ذلك ﴿**يَكُونَ عليكَ حَرَجٌ**﴾: ضِيق في النِّكاح. ﴿**وكانَ اللهُ غَفُورًا**﴾ لما يَعسرُ التحرّز عنه ﴿**رَحِيمًا**﴾ بالتوسعة في ذلك.

﴿سراحاً جميلاً﴾: عارياً من أذىً ومنع واجب. ﴿آتيت أجورهنّ﴾: أعطيتَهُنَّ مهورَهُنَّ. ﴿أفاء الله عليك﴾: رجعَهُ إليكَ مِنَ الغنيمةِ.

(١) قال مجاهدٌ: لمَّا نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: ما أعطاكَ الله من خيرٍ إلاّ أشركتَنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾. عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٢)، والواحدي (ص: ٣٦٢). وأورده الثعلبي (٢١/ ٤٧٦) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) عن عكرمة والحسن البصري: حين نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ قال رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا نبي الله، قد علِمنا ما يفعل بك، فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الطبري (٢١/ ١٢١). وعن الربيع بن أنس نحوه كما «دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ١٥٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٦٠).

(٣) عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، فأنزل الله: ﴿إنا أحللنا لك﴾ إلى قوله: ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ فلم أكن أحلُّ له لأني لم أهاجر، كنت من الطلقاء. الترمذي (٣٢١٤) وحسنه، والحاكم (٢٧٥٤) وصححه. وعن أم هانيء أيضاً: نزلت فيَّ هذه الآية ﴿وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فأراد النبي ﷺ أن يتزوَّجني فنهي عني إذْ لم أهاجر. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٦١).

۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ
مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ
وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ
حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ
إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ
إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ
لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ
وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ
مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ
وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾

ربع الحزب ١٢

(٥١) ـ ﴿تُرجِئُ﴾، بالهمزِ والياءِ بَدَلَه: تُؤخِّرُ ﴿مَن تَشاءُ مِنهُنَّ﴾ أي: أزواجِك عن نَوبتها، ﴿وتُؤوِي﴾: تضمُّ ﴿إلَيكَ مَن تَشاءُ﴾[1] منهنّ فتأتيها ﴿ومَنِ ابتَغَيتَ﴾: طلبتَ ﴿مِمَّن عَزَلتَ﴾ من القِسمة، ﴿فلا جُناحَ علَيكَ﴾ في طلبها وضمّها إليك. خُيِّرَ في ذلك بعد أن كان القَسْمُ واجبًا عليه. ﴿ذلِكَ﴾ التخيير ﴿أدنَى﴾: أقربُ إلى ﴿أن تَقَرَّ أعيُنُهُنَّ ولا يَحزَنَّ، ويَرضَينَ بِما آتَيتَهُنَّ﴾ ما ذُكر المُخيَّرَ فيه، ﴿كُلُّهُنَّ﴾: تأكيدٌ للفاعل في «يَرضَينَ». ﴿واللهُ يَعلَمُ ما في قُلُوبِكُم﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهنّ ـ وإنّما خيَّرْناك فيهنّ تيسيرًا عليك في كُلّ ما أردتَ ـ ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا﴾ عن عقابهم.

(٥٢) ـ ﴿لا تَحِلُّ﴾، بالتاء والياءِ، ﴿لَكَ النِّساءُ مِن بَعدُ﴾[2]: بعدِ التّسع التي اخترْنَك، ﴿ولا أن تَبَدَّلَ﴾ ـ بترك إحدى التاءين في الأصل ـ ﴿بِهِنَّ مِن أزواجٍ﴾ بأن تُطلّقَهنّ أو بعضهنّ وتنكحَ بدلَ مَن طلّقتَ، ﴿ولَو أعجَبَكَ حُسنُهُنَّ، إلاّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء فتحِلُّ لك. وقد ملكَ بعدهنّ ماريةَ، وولدتْ له إبراهيمَ، ومات في حياته. ﴿وكانَ اللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ رَقِيبًا﴾: حفيظًا.

(٥٣) ـ (٥٤) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَدخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ[3] إلاّ أن يُؤذَنَ لَكُم﴾ في الدُّخول بالدُّعاء ﴿إلَى طَعامٍ﴾، فتدخلوا ﴿غَيرَ ناظِرِينَ﴾: منتظرين ﴿إناهُ﴾:

﴿تُرجي﴾: تُؤخِّرُ ولا تضاجعُ. ﴿تُـؤوي إليك﴾: تَضمُّ إليكَ وتضاجعُ. ﴿ابتغَيْتَ﴾: طلبتَ. ﴿عَزَلـتَ﴾: اجتنبتَ بالإرجاءِ. ﴿ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ﴾: التَّفويضِ إلى مشيئتِكَ أقربُ إلى سرورِهِنَّ لعلمِهِنَّ أَنَّهُ بحُكم اللهِ. ﴿رقيباً﴾: حفيظاً ومطَّلِعاً. ﴿غير ناظرين إناه﴾: غيرَ منتظرينَ نضجَهُ واستواءَهُ. ﴿فانتشروا﴾: فتفرَّقوا ولا تمكُثوا عندَهُ. ﴿سألتموهنّ متاعاً﴾: حاجةً يُنتفعُ بها.

(١) عن عائشة قالت: كنت أغار على اللاتي وَهبن أنفسَهنَّ للنبيِّ ﷺ، فأقولُ: أوَتَهَبُ الحُرَّةُ نفسَها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ قُلْتُ: والله ما أَرى ربَّك إلا يسارعُ لكَ في هواك. البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤)، والنسائي (٣١٩٩)، والواحدي (ص: ٣٥٧ ـ ٣٥٨)، و«لباب النقول» (ص: ١٦١). ولفظ الصحيحين: «فلما أنزل الله». وعن أبي رَزين قال: همَّ رسول الله ﷺ أن يطلِّق من نسائه، فلما رأين ذلك جعَلْنَه في حِلٍّ من أنفسِهن يُؤْثِرُ مَن يشاء على مَن يشاء، فأنزل الله: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾ إلى: ﴿ترجى من تشاء منهن﴾ الآية. «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٩٦)، و«لباب النقول» (ص: ١٦١). وفيه الواقدي شيخ ابن سعد، وهو متروك. وقيل: نزلَتْ حين غارَ بعضُ نساءِ النَّبيِّ ﷺ وطَلَبنَ زيادةَ النَّفقةِ، فهجرَهُنَّ رسولُ الله ﷺ شهرًا حتَّى نزلَتْ آيةُ التَّخيير، وأمرَه الله أن يُخيِّرهُنَّ بين الدُّنيا والآخرةِ، وأن يُخلِّيَ سبيلَ مَن اختارَتِ الدُّنيا، ويُمسِكَ مَن اختارتِ الله ورسولَه على أنَّهنَّ أمَّهاتُ المُؤمنين، ولا يُنكَحْنَ أبدًا، وعلى أنَّه يُؤوي مَن يشاءُ إليه ويُرجي مَن يشاءُ منهنَّ، ويرضينَ به قسَمَ لهنَّ أو لـم يَقسِمْ، أو فَضَّلَ بعضَهُنَّ على بعضٍ في النَّفقةِ والقِسمةِ، ويكونُ الأمرُ في ذلك إليه، يفعلُ ما يشاءُ، فرَضِينَ بذلك كلِّه، فكانَ رسولُ الله ﷺ مع هذا كلِّه يُسوِّي بينهُنَّ في القَسْمِ. الثعلبي (٢١/ ٤٩٧) عن أبي رزين وابن زيد، والواحدي (ص: ٣٥٧) عن المفسرين، ورواه بنحوه الطبري (١٩/ ١٤٢) عن ابن زيد.

(٢) عن عكرمة قال: خيَّر رسول الله ﷺ أزواجه فاخترن الله ورسوله فنزلت. «طبقات ابن سعد» (٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، و«لباب النقول» (ص: ١٦١). وقال ابنُ عبَّاسٍ: لَمَّا خيَّرهنَّ فاخترْنَه شكرَ اللهُ ذلكَ لهنَّ وحرَّم عليه التَّزوُّجَ بغيرهنَّ والاستبدالَ بهنَّ. رواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ٢٦٩). وعن الحسن: أنَّ النبيَّ عليه السَّلام لمَّا خَيَّرَ نساءه فاخترنَ اللهَ ورسولَه قَصَرهُ عليهنَّ، وَقَالَ: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾. رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٢٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٤٠٠٤). ثم نسخ هذا، قالت عائشة رضي الله عنها: ما ماتَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله له النِّساءَ. الترمذي (٣٢١٦) وصححه، والنسائي (٣٢٠٤). وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها قالت: لم يمُتْ رسولُ الله ﷺ حتَّى أحلَّ الله له أن يتزوَّجَ منَ النِّساءِ مَن شاء إلّا ذاتَ مَحرَمٍ. «مشكل الآثار» (١/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص: ٦٢٨).

(٣) عن أنسٍ رضي الله عنه: لمَّا تَزوَّج رسولُ الله ﷺ زينبَ دعا القوم فطعِموا ثُم جلسوا يتحدَّثون، وإذا هو كأنَّه يتهيَّأُ للقيام، فلمْ يقوموا، فلمَّا رأى ذلك قام، فلمَّا قام قام مَن قام وقعد ثلاثة نَفَرٍ، فجاء النبيُّ ﷺ ليدخل فإذا القومُ جلوسٌ، ثُم إنَّهم قاموا، فانطلقتُ فجئتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ أنَّهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبتُ أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ الآيَةَ. البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨). ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلت في ناسٍ من المؤمنين كانوا يتحيَّنون طعامَ رسولِ الله ﷺ فيدخلون عليه قبل الطَّعام إلى أن يُدْرِكَ، ثمَّ يأكُلون ولا يخرُجون، وكان رسولُ الله ﷺ يتأذَّى بهم، فنزلَتْ هذه الآية. الثعلبي (٢١/ ٥١٩)، وابن الجوزي (٣/ ٤٧٨). وعن ابن عباسٍ أيضاً قال: دخل رجلٌ على النبيِّ ﷺ فأطال الجلوس، فخرج النبي ﷺ ثلاث مراتٍ ليخرج فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه..، وفيه: فقال له عمر: يا رسول الله لو اتخذت حجاباً فإن نساءك لسنَ كسائر النساء، وذلك أطهر لقلوبهنَّ، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾. ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٤٨)، و«المعجم الكبير» (١٢٢٤٤)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١٦٠).

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ
أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا
(٥٥) إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا
مُّهِينٗا (٥٧) وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ
مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا (٥٨)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا
يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا (٥٩) ۞لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا (٦٠) مَّلۡعُونِينَۖ
أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا (٦١) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي
ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا (٦٢)

نُضجَه، مصدر: أَنَى يأنِي ـ ﴿ولكِن إذا دُعِيتُم فادخُلوا، فإذا طَعِمتُم **فانتَشِرُوا** ـ ولا﴾ تمكثوا ﴿مُستأنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ـ ﴿إنَّ ذلِكُم﴾ المكثَ ﴿كانَ يُؤذِي النَّبِيَّ، فيَستَحْيِي مِنكُم﴾ أن يُخرجكم، ﴿واللهُ لا يَستَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ أن يُخرجكم، أي: لا يتركُ بيانه. وقُرِئَ: «يَستَحِي» بياء واحدة ـ ﴿وإذا **سألتُمُوهُنَّ**﴾ أي: أزواجَ النبيّ ﴿**مَتاعًا** فاسألُوهُنَّ مِن وَراءِ حِجابٍ﴾[1]: سِتر. ﴿ذلِكُم أطهَرُ لِقُلُوبِكُم وقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المُريبة، ﴿وما كانَ لَكُم أن تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ بشيء، ﴿ولا أن تَنكِحُوا أزواجَهُ مِن بَعدِهِ أبَدًا﴾[2]. إنَّ ذلِكُم كانَ عِندَ اللهِ﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا. إن تُبدُوا شَيئًا أو تُخفُوهُ﴾ من نِكاحهنَّ بعده ﴿فإنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ فيُجازيكم عليه.

(٥٥) ـ ﴿لا جُناحَ علَيهِنَّ في آبائِهِنَّ[3] ولا أبنائِهِنَّ ولا إخوانِهِنَّ، ولا أبناءِ إخوانِهِنَّ ولا أبناءِ أخَواتِهِنَّ، ولا نِسائِهِنَّ﴾ أي: المُؤمنات، ﴿ولا ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد، أن يروهنّ ويكلّموهنّ من غير حجاب، ﴿واتَّقِينَ اللهَ﴾ فيما أُمِرتنَّ به. ﴿إنَّ اللهَ كانَ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

نصف الحزب ٤٣

(٥٦) ـ ﴿إنَّ اللهَ ومَلائكتَهُ **يُصَلُّونَ علَى النَّبِيِّ**﴾[4] مُحمّد. ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا علَيهِ وسَلِّمُوا تَسلِيمًا﴾، أي: قولوا: اللّهمَّ صلِّ على مُحمّد وسَلّمْ.

(٥٧) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يُؤذُونَ اللهَ ورَسُولَهُ﴾[5] وهم الكُفّار، يصفون الله بما هو منزّه عنه من الولد والشريك ويُكذّبون رسوله، ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ﴾: أبعدَهم، ﴿وأعَدَّ لَهُم عَذابًا مُهِينًا﴾: ذا إهانة، وهو النار.

(٥٨) ـ ﴿والَّذِينَ يُؤذُونَ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ بِغَيرِ ما اكتَسَبُوا﴾[6]: يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فقَدِ احتَمَلُوا **بُهتانًا**﴾: تحمّلوا كذبًا ﴿وإثمًا مُبِينًا﴾: بيّنًا.

﴿يُصلّون على النبيّ﴾: يُثنونَ عليهِ بإظهارِ شرفِهِ وتعظيمِ شأنِهِ ﷺ. ﴿بُهتاناً﴾: فعلاً شنيعاً. أو كذباً فظيعاً. ﴿يُدنين عليهنّ﴾: يُرخينَ ويُسْدِلنَ عليهِنَّ. ﴿جلابيبهنّ﴾: ما يستتِرنَ بِهِ كالمِلاءةِ. ﴿المرجفون﴾: المشيعونَ للأخبارِ الكاذبةِ. ﴿لَنُغرينّك بهم﴾: لنسلّطَنَّكَ عليهِم. ﴿ثقِفوا﴾: وُجدوا وأُدرِكوا.

(١) عن أنسٍ قال: قال عمرُ رضي الله عنه: قلتُ: «يا رسولَ الله يدخلُ عليك البرُّ والفاجرُ، فلو أمرتَ أمّهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آيةَ الحجابِ». البخاري (٤٧٩٠)، والواحدي (ص: ٣٦٠).

(٢) عن عطاء عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: قال رجلٌ من سادةِ قُريشٍ: لو تُوفِّيَ رسولُ الله لتزوّجْتُ عائشة، فأنزلَ الله ما أنزلَ. الواحدي (ص: ٣٦١)، وبنحوه عبد الرزاق (٢٣٧٢) عن قتادة. وعن عكرمةَ عن ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهما: قال رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ لو قد مات رسولُ الله ﷺ لَتزوّجتُ عائشةَ أو أمَّ سلمةَ، فأنزل اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾. البيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤١٨). وبنحوه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية. وقد روي أن القائل رجلٌ من المنافقين، قال حين تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بعد أبي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة: ما بال محمد يتزوج نساءنا، والله لو مات لأجَلْنا السهام على نسائه، فنزلت الآية في هذا. «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٦).

(٣) عن ابن عباس: لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: نحن أيضًا نكلِّمهن من وراء حجاب؟ فأنزل الله: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ الآية. «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٣٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٤٢١)، و«زاد المسير» (٦/ ٤١٧).

(٤) عن كعبِ بنِ عجرةَ رضي الله عنه قال: قيل للنّبيِّ ﷺ: قد عرَفْنا السَّلامَ عليك، فكيف الصَّلاةُ عليك؟ فنزلَتْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ الآيةَ، فقال ﷺ: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ..» الحديث. البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٥) عن عطية العوفي عن ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي. الطبري (١٩/ ١٧٨). وعطية ضعيف. جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبيٍّ وناس معه قذفوا عائشة فخطب النبي ﷺ وقال: «من يعذرني من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني» فنزلت. جويبر متروك.

(٦) عن عطاء عن ابنِ عبّاسٍ: أنَّ عمرَ رضي الله عنهما رأى جاريةً من الأنصارِ مُتبرِّجةً، فضربَها وكرهَ ما رأى من زينتِها، فذهبَتْ إلى أهلِها تشكو، فخرَجُوا إليه فآذَوه، فأنزلَ الله هذه الآيَةَ. الواحدي (ص: ٣٦٢)، وابن الجوزي (٣/ ٤٨٣). مُقاتلٌ: نزلَتْ في عليٍّ رضي الله عنه، وذلك أنَّ ناسًا منَ المُنافقين كانوا يُؤذونَه ويُسمِعونَه. «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٠٧)، الواحدي (ص: ٣٦٢). الضَّحَّاكُ والكلبيُّ والسُّدِّيُّ: نزلت في الزُّناةِ الذين كانوا يمشون في طرقِ المدينةِ يَتبعون النِّساءَ إذا برَزْنَ باللَّيلِ لقضاءِ حوائجِهنَّ، فيرَونَ المرأةَ فيَدْنونَ منها فيغمِزونَها، فإنْ سكَتَتْ اتَّبعوها، وإن زجَرَتْهم انتهَوا عنها، ولـم يكونوا يطلبون إلّا الإماءَ، ولكنْ لـم يكُنْ يومَئذٍ تُعرَفُ الحرَّةُ منَ الأمةِ، إنَّما يخرُجْنَ في درعٍ وخمارٍ، فشكَونَ ذلك إلى أزواجِهنَّ، فذكروا ذلك لرسولِ الله ﷺ فنزلَتْ هذه الآيةُ. الثعلبي (٢١/ ٥٦٠)، والواحدي (ص: ٣٦٢). وقيل: نزلَتْ في قصَّةِ عائشةَ وصفوانَ رضي الله عنهما. السمرقندي (٣/ ٧٢) عن السدي، والماوردي (٤/ ٤٢٣) عن الضحاك. عن أبي مالكٍ قال: كانت نساءُ المؤمنين يخرجْن باللَّيل إلى حاجاتهنَّ، وكان المنافقون يتعرَّضون لهنَّ ويُؤذونهنَّ، فشكَوا ذلك فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنَّما نفعلُه بالإماء. فنزلت هذه الآيةُ. سعيد بن منصور (١٧٥٠ ـ تكملة التفسير)، و«طبقات ابن سعد» (٨/ ١٧٦)، والواحدي (ص: ٣٦٣). أبو مالك هو غزوان الغفاري، وهو تابعي كوفي ثقة، فالخبر مرسل. =

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

(٥٩) ـ **﴿يا أيُّها النَّبيُّ، قُلْ لِأزواجِكَ وبَناتِكَ ونساءِ المُؤمِنِينَ: يُدنِينَ علَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾**: جمعُ جِلباب ـ وهي المُلاءة التي تشتمل بها المرأة ـ أي: يُرخِين بعضها على الوجوه إذا خرجْن لحاجتهنّ إلاّ عينًا واحدة. **﴿ذلِكَ أدنى﴾**: أقربُ إلى **﴿أن يُعرَفْنَ﴾** بأنهنّ حرائر، **﴿فلا يُؤذَينَ﴾** بالتعرّض لهنّ بخلاف الإماء فلا يُغطِّين وجوههنّ، فكان المنافقون يتعرضون لهنّ. **﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾** لِما سلف منهنّ من ترك السَّتر **﴿رَحِيمًا﴾** بهنّ إذ سترَهنّ.

(٦٠) ـ **﴿لَئِنْ﴾** ـ لامُ قسم ـ **﴿لَم يَنتَهِ المُنافِقُونَ﴾** عن نِفاقهم، **﴿والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾** بالزنى، **﴿والمُرجِفُونَ في المَدِينَةِ﴾** المؤمنين بقولهم: «قد أتاكم العدوّ، وسراياكم قُتلوا أو هُزموا»، **﴿لَنُغرِيَنَّكَ بِهِم﴾**: لنُسلِّطَنّك عليهم، **﴿ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ﴾**: يُساكنونك **﴿فِيها إلاّ قَلِيلاً﴾**، ثمّ يُخرجون. (٦١) ـ **﴿مَلعُونِينَ﴾**: مُبعَدِين عن الرحمة، **﴿أينَما ثُقِفُوا﴾**: وُجدوا **﴿أُخِذُوا، وقُتِّلُوا تَقتِيلاً﴾** أي: الحكمُ فيهم هذا على جِهة الأمر به، (٦٢) ـ **﴿سُنَّةَ اللهِ﴾** أي: سنَّ الله ذلك **﴿في الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ﴾** من الأُمم الماضية في مُنافقيهم المُرجفين المؤمنين، **﴿ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً﴾** منه.

(٦٣) ـ **﴿يَسألُكَ النّاسُ﴾** أي: أهلُ مكّة **﴿عَنِ السّاعةِ﴾**: متى تكون؟ **﴿قُلْ: إنَّما عِلمُها عِندَ اللهِ. وما يُدرِيكَ﴾**: يُعلمك بها؟ أي: أنت لا تعلمها **﴿لَعَلَّ السّاعةَ تَكُونُ﴾**: تُوجد **﴿قَرِيبًا. إنَّ اللهَ لَعَنَ الكافِرِينَ﴾**: أبعدَهم، **﴿وأعَدَّ لَهُم سَعِيرًا﴾** نارًا شديدة يدخلونها (٦٤) ـ **﴿خالِدِينَ﴾**: مُقدَّرًا خُلودُهم **﴿فِيها أبَدًا، لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾**: يحفظهم عنها **﴿ولا نَصِيرًا﴾**: يدفعها عنهم، (٦٥) ـ (٦٦) ـ **﴿يَومَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُم في النّارِ، يَقُولُونَ: يا﴾**: للتنبيه **﴿لَيتَنا أطَعْنا اللهَ وأطَعْنا الرَّسُولَ. وقالُوا﴾** أي: الأتباعُ منهم: **﴿رَبَّنا، إنّا أطَعْنا سادَتَنا﴾** ـ وفي قراءة: «ساداتِنا» جمعُ الجمع ـ **﴿وكُبَراءَنا، فأضَلُّونا السَّبِيلَ﴾**: طريق الهُدى. (٦٧) ـ **﴿رَبَّنا، آتِهِم ضِعفَينِ مِنَ العَذابِ﴾** أي: مِثلَي عذابنا، **﴿والعَنْهُم﴾**: عذّبهم **﴿لَعنًا كَثِيرًا﴾** عددُه. وفي قراءة بالموحدة أي: عظيمًا.

(٦٨) ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَكُونُوا﴾** مع نبيّكم **﴿كالَّذِينَ آذَوا مُوسَى﴾** بقولهم مثلاً: «ما يمنعه أن يغتسل معنا إلاّ أنه آدَرُ»، **﴿فبَرَّأَهُ اللهُ مِمّا قالُوا﴾** بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل[1]، ففرّ الحجر به حتّى وقف بين ملأٍ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه ولا أُدرةَ به ـ وهي نُفخة في الخُصية ـ **﴿وكانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا﴾**: ذا جاه. وممّا أُوذِي به نبيّنا أنه قسم قسمًا، فقال رجل: هذه قِسمة ما أُريدَ بها وجهُ الله تعالى. فغضب النبيّ من ذلك، وقال: «يرحَمُ اللهُ مُوسَى. لَقَد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن هذا، فصَبَرَ». رواه البخاريّ[2]. (٧٠) ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ وقُولُوا قَولاً سَدِيدًا﴾**: صوابًا، (٧١) ـ **﴿يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم﴾**: يتقبّلْها، **﴿ويَغفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم. ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ فقَد فازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾**: نال غاية مطلوبه.

(٧٢) ـ **﴿إنّا عَرَضْنا الأمانةَ﴾**: الصلواتِ وغيرَها بما في فِعلِها من الثواب وتركِها من العِقاب **﴿على السَّماواتِ والأرضِ والجِبالِ﴾** بأن خلق فيها فهمًا ونُطقًا، **﴿فأبَينَ أن يَحمِلْنَها وأشفَقْنَ﴾**: خِفنَ **﴿مِنها، وحَمَلَها الإنسانُ﴾** آدمُ بعد عرضها عليه ـ **﴿إنَّهُ كانَ ظَلُومًا﴾** لنفسه بما حمله، **﴿جَهُولاً﴾** به ـ (٧٣) ـ **﴿لِيُعَذِّبَ اللهُ﴾**، اللام: مُتعلّقة بـ «عَرَضْنا» المُترتّبِ عليه حملُ آدم، **﴿المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والمُشرِكِينَ والمُشرِكاتِ﴾** المُضيّعين الأمانةَ، **﴿ويَتُوبَ اللهُ علَى المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ﴾** المُؤدِّين الأمانةَ. **﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾** للمؤمنين **﴿رَحِيمًا﴾** بهم.

***

﴿ضعفين﴾: مِثلَين. ﴿وجيهاً﴾: ذا جاهٍ وقدرٍ مُستجاب الدَّعوةِ. ﴿قولاً سديداً﴾: صواباً. أو صدقاً. أو قاصداً إلى الحقِّ. ﴿عرضنا الأمانة﴾: التَّكاليفَ مِن أوامرَ ونواهٍ. ﴿فأبين﴾: امتنعْنَ. ﴿أشفقن منها﴾: خِفْنَ مِنَ الخيانةِ فيها.

= وقال السُّدِّيُّ: كانت المدينةُ ضيِّقة المنازل، وكان النِّساءُ إذا كان اللَّيلُ خرجْنَ يقضينَ الحاجة، وكان فُسَّاقٌ من فُسَّاق المدينة يخرجون، فإذا رأَوا المرأة عليها قناعٌ قالوا: هذه حُرَّةٌ فتركوها، وإذا رأَوا المرأة بغير قناع قالوا: هذه أَمَةٌ، فكانوا يُراودونها، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ. الواحدي (ص: ٣٦٣).

(١) البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٣٤٠٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو عند مسلم (١٠٦٢).

سُورَةُ سَبَإٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ
ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ
ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

٣٤

سُورَةُ سَبَإٍ

مكية إلاّ «ويرى الذين أوتوا العلم» الآيةَ فمدنية، وهي أربعٌ أو خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿الحمدُ لِلهِ﴾ حَمْدُ تعالى نفسَه بذلك المُرادُ به الثناءُ بمضمونه من ثُبوتِ الحمد ـ وهو الوصف بالجميل ـ لله ﴿الَّذي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا، ﴿ولَهُ الحَمدُ في الآخِرةِ﴾ كالدنيا، يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنّة، ﴿وهُوَ الحَكيمُ﴾ في فِعله ﴿الخَبيرُ﴾ بخلقه، (٢) ـ ﴿يَعلَمُ ما يَلِجُ﴾: يدخل ﴿في الأرضِ﴾ كماء وغيره، ﴿وما يَخرُجُ مِنها﴾ كنبات وغيره، ﴿وما يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ﴾ من رزق وغيره، ﴿وما يَعرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيها﴾ من عمل وغيره، ﴿وهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿الغَفُورُ﴾ لهم.

(٣) ـ ﴿وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا: لا تأتينا السّاعةُ﴾: القيامة. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَى ورَبِّي لَتأتِيَنَّكُم، عالِمِ الغَيبِ﴾ ـ بالجرِّ: صفةٌ، والرفعِ: خبرَ مبتدأ. و«علّامِ» بالجرّ ـ ﴿لا يَعزُبُ﴾: يغيب ﴿عَنهُ مِثقالُ﴾: وزنُ ﴿ذَرّةٍ﴾: أصغرِ نملةٍ ﴿في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، ولا أصغَرُ مِن ذلِكَ ولا أكبَرُ، إلاّ في كِتابٍ مُبينٍ﴾: بيّنٍ هو اللوح المحفوظ، (٤) ـ ﴿لِيَجزِيَ﴾ فيها ﴿الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ. أُولئِكَ لَهُم مَغفِرةٌ ورِزقٌ كَريمٌ﴾: حسن في الجنّة. (٥) ـ ﴿والَّذينَ سَعَوا في﴾ إبطال ﴿آياتِنا﴾: القُرآنِ ﴿مُعَجِّزينَ﴾، وفي قراءة هنا وفيما يأتي[1]: «مُعاجِزِينَ» أي: مُقدّرين عجزَنا، أو مُسابقين لنا فيفوتونا لظنّهم أنْ لا بعث ولا عقاب، ﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ مِن رِجزٍ﴾: سيئ العذاب ﴿أليمٍ﴾: مُؤلم. بالجرِّ والرفعِ صِفةً لرجز أو عذاب. (٦) ـ ﴿ويَرَى﴾: يعلمُ ﴿الَّذينَ أُوتُوا العِلمَ﴾: مؤمنو أهل الكتاب[2] كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿الَّذي أُنزِلَ إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿هُوَ﴾ ـ فصلٌ ـ ﴿الحَقَّ، ويَهدِي إلَى صِراطِ﴾: طريقِ[3] ﴿العَزيزِ الحَميدِ﴾ أي: اللهِ ذي العِزّة المحمودة.

(٧) ـ (٨) ـ ﴿وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم على جِهة التعجّب لبعض: ﴿هَل نَدُلُّكُم على رَجُلٍ﴾، هو مُحمّد[4]، ﴿يُنَبِّئُكُم﴾: يُخبرُكم[5]: ﴿إذا مُزِّقتُم﴾: قُطّعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى: تمزيقٍ ﴿إنَّكُم لَفِي خَلقٍ جَديدٍ؟﴾ ....

﴿ما يلج في الأرض﴾: ما يدخلُ فيها مِن مطرٍ وغيرِه. ﴿ما يعرج﴾: ما يصعدُ مِنَ الملائكةِ والأعمالِ. ﴿لا يعزب عنه﴾: لا يغيبُ عنهُ ولا يخفى عليهِ. ﴿مثقال ذرّة﴾: مقدارُ أصغرِ نملةٍ أو هَباءةٍ. ﴿معاجزين﴾: مسابقينَ ظانِّينَ أنَّهم يفوتونَنا. ﴿من رجز﴾: أشدّ العذابِ وأسوئِه. ﴿مُزّقتم﴾: قطّعتُم وصرتُم رفاتاً وتراباً.

(١) الآية ٣٨ من هذه السورة.

(٢) أو: أولو العلمِ من الصَّحابةِ ومن تبعَهُم من الأُمَّةِ. (الجمالين).

(٣) دينِ الإسلامِ، والهادي هو اللهُ، أو القرآنُ. (الجمالين).

(٤) يعنُونَ أصدَقَ الصَّادِقينَ. (الجمالين).

(٥) بأعجَبِ الأعاجيبِ. (الجمالين).

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ
أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ
سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ
وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿أَفْتَرَى﴾ ـ بفتح الهمزة للاستفهام واستُغني بها عن همزة الوصل ـ ﴿علَى اللهِ كَذِبًا﴾ في ذلك، ﴿أم بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون تَخيّلَ به ذلك؟

قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤمِنونَ بالآخِرةِ﴾ المُشتملةِ على البعث والعذاب ﴿في العَذابِ﴾ فيها ﴿والضَّلالِ البَعِيدِ﴾ من الحقّ في الدنيا. (٩) ـ ﴿أفلَم يَرَوا﴾: ينظروا ﴿إلَى ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم﴾: ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِنَ السَّماءِ والأرضِ، إن نَشَأْ نَخسِفْ بِهِم الأرضَ أو نُسقِطْ علَيهِم كِسْفًا﴾، بسكون السين وفتحها: قِطعةً ﴿مِنَ السَّماءِ﴾. وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المرئيِّ ﴿لَآيَةً لِكُلِّ عَبدٍ مُنِيبٍ﴾: راجعٍ إلى ربّه، تدل على قُدرة الله على البعث وما يشاء.

(١٠) ـ ﴿ولَقَد آتَينا داوُدَ مِنّا فَضلاً﴾: نُبوّة وكتابًا، وقلنا: ﴿يا جِبالُ، أَوِّبي﴾: رجِّعي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح، ﴿والطَّيرَ﴾ ـ بالنصب عطفًا على محلّ «الجبال» أي: ودعَوناها تسبّحُ معه. ﴿وألَنّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين، (١١) ـ وقلنا: ﴿أنِ اعمَلْ﴾ منه ﴿سابِغاتٍ﴾: دُروعًا كواملَ يجرّها لابسها على الأرض، ﴿وقَدِّرْ في السَّردِ﴾ أي: نسجِ الدُّروع ـ قيل لصانعها سَرّادٌ ـ أي: اجعله بحيث تتناسب حَلَقُه، ﴿واعمَلُوا﴾ أي: آلَ داودَ معه ﴿صالِحًا. إنّي بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأُجازيكم به.

(١٢) ـ ﴿و﴾ سخّرْنا ﴿لِسُلَيمانَ الرِّيحَ﴾ ـ وقراءة الرفع بتقدير: تسخيرُ ـ ﴿غُدُوُّها﴾: مسيرُها من الغُدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهرٌ، ورَواحُها﴾: سيرُها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهرٌ﴾ أي مسيرتُه، ﴿وأسَلْنا﴾: أذَبْنا ﴿لَهُ عَينَ القِطرِ﴾ أي: النُّحاسِ، فأُجريَتْ ثلاثة أيام بلياليهنّ كجري الماء ـ وعمَلُ الناس إلى اليوم ممّا أُعطي سُليمانُ ـ ﴿ومِنَ الجِنِّ مَن يَعمَلُ بَينَ يَدَيهِ بِإذنِ﴾: بأمرِ ﴿رَبِّهِ، ومَن يَزِغْ﴾: يعدِل ﴿مِنهُم عَن أمرِنا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِن عَذابِ السَّعِيرِ﴾: النار في الآخرة ـ وقيل: في الدنيا بأن يضربه مَلَك بسوط منها ضربة تُحرقه ـ (١٣) ـ ﴿يَعمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ، مِن مَحارِيبَ﴾: أبنيةٍ مُرتفعة يُصعد إليها بدرَج، ﴿وتَماثِيلَ﴾: جمعُ تِمثال وهو كل شيء مثّلتَه بشيء، أي: صُورًا من نُحاس وزُجاج ورُخام ـ ولم يكن اتّخاذ الصور حرامًا في شريعته ـ ﴿وجِفانٍ﴾: جمع جَفنة ﴿كالجَوابِي﴾: جَمع جابية، وهي حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألفُ رجل يأكلون منها، ﴿وقُدُورٍ راسِياتٍ﴾: ثابتات لها قوائمُ لا تتحرّك عن أماكنها، تُتّخذ من الجِبال باليمن يُصعد إليها بالسلاليم، وقلنا: ﴿اعمَلُوا﴾ ـ يا ﴿آلَ داوُدَ﴾ ـ بطاعة الله ﴿شُكرًا﴾ له على ما آتاكم، ﴿وقَلِيلٌ مِن عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾: العامل بطاعتي شكرًا النعمتي.

(١٤) ـ ﴿فلَمّا قَضَينا علَيهِ﴾: على سُليمانَ ﴿المَوتَ﴾ أي: ماتَ، ومكَثَ قائمًا على عصاه حولاً ميّتًا، والجِنُّ تعمل تلك الأعمال الشاقّة على عادتها لا تشعر بموته، حتّى أكلَتِ الأرَضةُ عصاه فخرَّ ميّتًا، ﴿ما دَلَّهُم علَى مَوتِهِ إلاّ دابَّةُ الأرضِ﴾: مصدرُ: أُرِضَتِ الخشبةُ بالبناء للمفعول: أكلتْها الأرَضةُ، ﴿تأكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ بالهمز، وتركِه بألِفٍ: عصاه لأنها يُنسأ: يُطرد ويُزجر بها. ﴿فلَمّا خَرَّ﴾ ميّتًا ﴿تَبَيَّنَتِ الجِنُّ﴾: انكشفَ لهم ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّهم ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ الغَيبَ﴾، ومنه ما غاب عنهم من موت سُليمان، ﴿ما لَبِثُوا في العَذابِ المُهِينِ﴾: العمل الشاق لهم لظنّهم حياتَه خِلاف ظنّهم علمَ الغيب. وعُلِمَ كونُه سَنةً بحساب ما أكلته الأرَضة من العصا بعد موته يومًا وليلة مثلاً.

﴿به جِنّة﴾: بِهِ جنونٌ يوهِمُهُ ما يقولُ. ﴿نخسف بهم الأرض﴾: نغيِّبُ بهِمُ الأرضَ كقارونَ. ﴿كسَفاً من السّماء﴾: قطعاً منها كأصحابِ الأيكةِ. ﴿منيب﴾: راجعٍ إلى ربِّهِ بالتَّوبةِ والطَّاعةِ. ﴿أوّبي معه﴾: سَبِّحِي أو رَجِّعي معَهُ التَّسبيحَ. ﴿اعمل سابغات﴾: دُروعاً واسعةً كاملةً. ﴿قدّر في السّرد﴾: أَحْكِمْ صَنعتَكَ في نسجِ الدُّروعِ. ﴿غدوّها شهر﴾: جَرْيُها بالغداةِ مسيرةُ شهرٍ. ﴿رواحها شهر﴾: جَرْيُها بالعشيِّ كذلكَ. ﴿عين القِطر﴾: عينَ النُّحاسِ فَنَبَعَ ذائباً كالماءِ. ﴿يزغ منهم﴾: يَمِلْ ويَعْدِلْ منهُم. ﴿من محاريب﴾: قصورٍ أو مساجدَ. ﴿تماثيل﴾: صُوَرٍ مُجسَّمةٍ مِن نحاسٍ وغيرِهِ. ﴿جفان كالجواب﴾: قصاعٍ كبارٍ كالحِياضِ العظامِ. ﴿قدور راسيات﴾: ثابتاتٍ على المواقدِ لِعِظَمِها. ﴿دابّة الأرض﴾: الأرضةُ الَّتي تأكلُ الخشبَ. ﴿تأكل منسأته﴾: تأْرِضُ عصاهُ.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
(١٥) فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
(١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ (١٧)
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ (١٨)
فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ
وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)

(١٥) ـ ﴿**لَقَد كانَ لِسَبَأٍ**﴾، بالصرف وعدمه: قبيلةٍ سُمّيت باسم جدٍّ لهم من العرب، ﴿**في مَساكِنِهم**﴾ باليمن، ﴿**آيَةٌ**﴾[1]: دالّة على قُدرة الله ـ تعالى ـ ﴿**جَنّتانِ**﴾: بدلٌ ﴿**عَن يَمِينٍ وشِمالٍ**﴾: عن يمين واديهم وشِماله، وقيل لهم: ﴿**كُلُوا مِن رِزقِ رَبِّكُم، واشكُرُوا لَهُ**﴾ على ما رزقكم من النعمة. في أرض سبأ ﴿**بَلْدةٌ طَيِّبةٌ**﴾ ليس بها سِباخ ولا بعوضة ولا ذُبابة ولا بُرغوث ولا عقرب ولا حيّة، ويمرّ الغريب بها وفي ثيابه قملٌ، فيموت لطِيب هوائها. ﴿**و**﴾ الله ﴿**رَبٌّ غَفُورٌ**﴾.

(١٦) ـ (١٧) ـ ﴿**فأعرَضُوا**﴾ عن شُكره وكفروا، ﴿**فأرسَلْنا عليهِم سَيلَ العَرِمِ**﴾: جمعُ عَرِمة، وهو ما يَمسِك الماءَ من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي: سيلَ واديهم الممسوك بما ذُكر، فأغرق جنّتيهم وأموالهم. ﴿**وبَدَّلْناهُم بِجَنّتَيهِم جَنّتَينِ ذَواتَي**﴾: تثنيةُ ذوات ـ مفرد على الأصل ـ ﴿**أُكُلٍ خَمطٍ**﴾: مُرٍّ بشع، بإضافةِ «أُكل» بمعنى مأكول وتركِها، ويُعطف عليه ﴿**وأَثلٍ وشَيءٍ مِن سِدرٍ قَلِيلٍ. ذلِكَ**﴾ التبديلَ ﴿**جَزَيناهُم بِما كَفَرُوا**﴾: بكُفرهم. ﴿**وهَل يُجازَى إلاّ الكَفُورُ**﴾؟ بالياءِ، وبالنونِ مع كسر الزاي ونصب «الكفورَ»، أي: ما يُناقَش إلاّ هو.

(١٨) ـ ﴿**وجَعَلْنا بَينَهُم**﴾ بين سبأٍ ـ وهم باليمن ـ ﴿**وبَينَ القُرَى الَّتي بارَكْنا فِيها**﴾ بالماء والشجر ـ وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ـ ﴿**قُرًى ظاهِرَةً**﴾: مُتواصلة من اليمن إلى الشام، ﴿**وقَدَّرْنا فِيها السَّيرَ**﴾ بحيثُ يَقيلون في واحدة ويبيتون في أُخرى إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، وقلنا: ﴿**سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيّامًا آمِنِينَ**﴾: لا تخافون في ليل ولا نهار.

(١٩) ـ ﴿**فقالُوا: رَبَّنا، بَعِّدْ**﴾ ـ وفي قراءة: «باعِدْ» ـ ﴿**بَينَ أسفارِنا**﴾ إلى الشام، اجعلْها مَفاوِزَ. ليتطاولوا على الفُقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطِروا النعمةَ. ﴿**وظَلَمُوا أنفُسَهُم**﴾ بالكفر، ﴿**فجَعَلْناهُم أحادِيثَ**﴾ لمَن بعدهم في ذلك، ﴿**ومَزَّقْناهُم كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾: فرّقناهم في البلاد كُلَّ التفريق. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآياتٍ**﴾: عِبرًا ﴿**لِكُلِّ صَبّارٍ**﴾ عن المعاصي ﴿**شَكُورٍ**﴾ على النِّعم.

(٢٠) ـ ﴿**ولَقَد صَدَقَ**﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿**عَلَيهِم**﴾ أي: الكُفّارِ منهم سبأٌ ﴿**إبلِيسُ ظَنَّهُ**﴾ أنهم بإغوائه يتّبعونه، ﴿**فاتَّبَعُوهُ**﴾ فصَدَقَ، بالتخفيف في ظنِّه، أو صَدَّقَ، بالتشديد ظنَّه أي: وجده صادقًا، ﴿**إلاّ**﴾ بمعنى: لكن ﴿**فَرِيقًا مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ من: للبيان، أي: هم المؤمنون لم يتّبعوه، (٢١) ـ ﴿**وما كانَ لَهُ عَلَيهِم مِن سُلطانٍ**﴾: تسليط منّا، ﴿**إلاّ لِنَعلَمَ**﴾ عِلمَ ظُهور ﴿**مَن يُؤمِنُ بِالآخِرةِ، مِمَّن هُوَ مِنها في شَكٍّ**﴾، فنُجازِيَ كُلًّا منهما. ﴿**ورَبُّكَ على كُلِّ شَيءٍ حَفِيظٌ**﴾: رقيب.

(٢٢) ـ ﴿**قُلْ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ لكُفّار مكّة: ﴿**ادعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم**﴾ أي: زعمتموهم آلهةً ﴿**مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه، لينفعوكم بزعمكم. قال تعالى فيهم: ﴿**لا يَملِكُونَ مِثقالَ**﴾: وزنَ ﴿**ذَرَّةٍ**﴾ من خير أو شرّ، ﴿**في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، ومالَهُم فِيهِما مِن شِركٍ**﴾: شِركة، ﴿**ومالَهُ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**مِنهُم**﴾: من الآلهة ﴿**مِن ظَهِيرٍ**﴾: مُعينٍ، ....

﴿لِسَبإ﴾: حيٌّ بمأرب باليمنِ. ﴿آية﴾: على قدرتِنا أو عبرةٌ وعِظةٌ. ﴿جنّتان﴾: بستانانِ أو جماعتانِ مِنَ البساتينِ. ﴿بلدة طيّبة﴾: زكيَّةٌ مُستَلَذَّةٌ. ﴿فأعرضوا﴾: عنِ الشُّكرِ أو كذبوا أنبياءَهُم. ﴿سيل العرم﴾: سيلَ السَّدِّ. أوِ المطر الشَّديد. ﴿أكل خمطٍ﴾: ثمرٍ مرٍّ حامضٍ بشعٍ. ﴿أثل﴾: ضرْبٍ مِنَ الطّرفاءِ. ﴿سِدْر﴾: الضَّالِ أو شجرةِ النّبقِ. ﴿القرى﴾: قرى الشّامِ. ﴿قرًى ظاهرة﴾: متواصلةً متقاربةً. ﴿قدّرنا فيها السّير﴾: جعلْناهُ على مراحلَ مُتقاربةٍ. ﴿فجعلناهم أحاديث﴾: أخباراً يُتلَهّى بها ويُتعجَّبُ منها. ﴿مزقناهم﴾: فرّقْناهُم في البلادِ. ﴿صدّق عليهم﴾: حقّقَ عليهِم. ﴿سلطان﴾: تسلُّطٍ واستيلاءٍ بالوسوسةِ والإغواءِ. ﴿مثقال ذرّة﴾: وزْنُها مِن نفعٍ أو ضُرٍّ. ﴿ظهير﴾: مُعينٍ على الخلقِ والتّدبيرِ.

(١) قال علي بن رباح: حدثني فلان: أن فروة بن مسيك الغطيفي قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية، وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: «ما أُمرت فيهم بشيء بعد»، فأنزلت هذه الآية. ابنُ وهب في «الجامع» (٢٢)، وابنُ أبي حاتم كما في «تفسيرِ ابن كثير» عند هذه الآية، و«لبابِ النقول» (ص: ١٦٤). وفيه ابن لهيعة، وإبهام الراوي عن فروة.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ
وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ
يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ
بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿٢٣﴾ ـ ﴿ولا تَنفَعُ الشَّفاعةُ عِندَهُ﴾ تعالى ـ ردًّا لقولهم: إنّ آلهتهم تشفع عنده ـ ﴿إلاّ لِمَن أذِنَ﴾، بفتح الهمزة وضمها، فيها ﴿لَهُ. حَتَّى إذا فُزِّعَ﴾ ـ بالبناء للفاعل والمفعول ـ ﴿عَن قُلُوبِهِم﴾: كَشَفَ عنها الفزعَ بالإذن فيها، ﴿قالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿ماذا قالَ رَبُّكُم﴾ فيها؟ ﴿قالُوا﴾: القولَ[1] ﴿الحَقَّ﴾ أي: قد أذِن فيها. ﴿وهُوَ العَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الكَبِيرُ﴾: العظيم.

الحزب ٤٤

﴿٢٤﴾ ـ ﴿قُلْ: مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماواتِ﴾ المطرَ ﴿والأرضِ﴾ النباتَ؟ ﴿قُلِ: اللهُ﴾ إن لم يقولوه، لا جوابَ غيره، ﴿وإنّا أو إيّاكُم﴾ أي: أحدَ الفريقين ﴿لَعَلَى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن. في الإبهام تلطُّفٌ بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وُفِّقوا له.

﴿٢٥﴾ ـ ﴿قُلْ: لا تُسأَلُونَ عَمّا أجرَمْنا﴾: أذنبْنا، ﴿ولا نُسأَلُ عَمّا تَعمَلُونَ﴾ لأنّا بريؤون منكم. ﴿٢٦﴾ ـ ﴿قُلْ: يَجمَعُ بَينَنا رَبُّنا﴾ يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يَفتَحُ﴾: يحكم ﴿بَينَنا بالحَقِّ﴾، فيُدخل المُحقّين الجنّةَ والمُبطلين النارَ. ﴿وهُوَ الفَتّاحُ﴾: الحاكم ﴿العَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

﴿٢٧﴾ ـ ﴿قُلْ: أرُونِيَ﴾: أعلموني[2] ﴿الَّذِينَ ألحَقتُم بِهِ شُرَكاءَ﴾ في العِبادة. ﴿كَلاّ﴾: ردعٌ لهم عن اعتقاد شريك له. ﴿بَل هُوَ اللهُ العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه. فلا يكون له شريك في مُلكه.

﴿٢٨﴾ ـ ﴿وما أرسَلْناكَ إلاّ كافّةً﴾ ـ حالٌ من «الناس» قُدّم للاهتمام ـ ﴿لِلنّاسِ بَشِيرًا﴾: مُبشِّرًا للمؤمنين بالجنّة ﴿ونَذِيرًا﴾: مُنذِرًا للكافرين بالعذاب، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة[3] ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك، ﴿٢٩﴾ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتى هذا الوَعدُ﴾ بالعذاب[4]، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه[5]؟ ﴿٣٠﴾ ـ ﴿قُلْ: لَكُم مِيعادُ يَومٍ، لا تَستأخِرُونَ عَنهُ ساعةً ولا تَستقدِمُونَ﴾ عليه. وهو يوم القيامة.

﴿٣١﴾ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة: ﴿لَن نُؤمِنَ بِهذا القُرآنِ، ولا بِالَّذِي بَينَ يَدَيهِ﴾ أي: تقدّمه كالتوراة والإنجيل الدالَّين على البعث، لإنكارهم له. قال تعالى فيهم: ﴿ولَو تَرَى﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إذِ الظّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم، يَرجِعُ بَعضُهُم إلَى بَعضٍ القَولَ، يَقُولُ الَّذِينَ استُضعِفُوا﴾ الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ استَكبَرُوا﴾ للرؤساءِ: ﴿لَولا أنتُم﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنّا مُؤمِنِينَ﴾ بالنبيِّ.

﴿فُزِّع عن قلوبهم﴾: أزيلَ عنها الفزعُ والخوفُ. ﴿الحقّ﴾: قالَ القولَ الحقَّ (الإذن بالشَّفاعة). ﴿أجرمنا﴾: اكتسبْنا مِنَ الزَّلّاتِ. ﴿يفتح بيننا﴾: يقضي ويحكمُ بيننَا. ﴿هو الفتّاح﴾: القاضي والحاكمُ. ﴿كلاّ﴾: ارتدعوا عن دعوى الشّركةِ. ﴿كافّة للنّاس﴾: إلى النَّاسِ جميعاً. ﴿مَوْقوفون﴾: محبوسُونَ في موقفِ الحسابِ. ﴿يرجع..﴾: يَرُدُّ.

(١) أي: ﴿قالُوا﴾: قالَ القولَ ﴿الحَقَّ﴾، وهو الإذنُ بالشَّفاعةِ لمنِ ارتَضى، وهُمُ المؤمنونَ، رُويَ: أنَّ أوَّلَ مَن يقولُ جبريلُ فيتَّبِعونَهُ. (الجمالين).

(٢) الإراءةُ البصَريَّةُ أظهَرُ؛ يعني: لأرى بأيِّ صفَةٍ ألحقتُموهُم باللهِ في استِحقاقِ العبادَةِ. (الجمالين).

(٣) الصَّوابُ: إطلاقُ ﴿النَّاسِ﴾ن والمرادُ بالأكثرِ: الكفَّارُ؛ يعني: فيحملُهُم جهلُهُم على مخالَفَتِكَ، ولعلَّ وَضعَ الظَّاهرِ موضِعَ المضمَرِ لدَفعِ إيهامِ تخصيصِ النَّاسِ بأهلِ زمَنِ الإرسالِ، واللهُ أعلمُ بحقيقةِ الحالِ. (الجمالين).

(٤) الموعودِ بقولِهِ: ﴿يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا﴾. (الجمالين).

(٥) أي: الوعدِ، والخطابُ له ﷺ وللمؤمنينَ. (الجمالين).

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ
عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ
ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ
وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

(٣٢) - ﴿قالَ الَّذِينَ استكبَرُوا لِلَّذِينَ استُضعِفُوا: أنحنُ صَدَدْناكُم عَنِ الهُدَى بَعدَ إذ جاءَكُم﴾؟ لا، ﴿بَل كُنتُم مُجرِمِينَ﴾ في أنفُسكم. (٣٣) - ﴿وقالَ الَّذِينَ استُضعِفُوا لِلَّذِينَ استَكبَرُوا: بَل مَكرُ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ أي: مكرٌ فيهما منكم بنا، ﴿إذ تأمُرُونَنا أن نكفُرَ باللهِ، ونَجعَلَ لَهُ أندادًا﴾: شُركاءَ. ﴿وأسَرُّوا﴾ أي: الفريقانِ ﴿النَّدامَةَ﴾ على ترك الإيمان به، ﴿لَمّا رأوُا العَذابَ﴾، أي: أخفاها كُلٌّ عن رفيقه مخافةَ التعيير، ﴿وجَعَلْنا الأغلالَ في أعناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار، ﴿هَل﴾: ما ﴿يُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ في الدنيا؟

(٣٤) - (٣٥) - (٣٦) - ﴿وما أرسلْنا في قَرْيةٍ مِن نَذِيرٍ[1] إلاّ قالَ مُترَفُوها﴾: رُؤساؤها المُتنعِّمون: ﴿إنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ كافِرُونَ. وقالُوا: نَحنُ أكثَرُ أموالاً وأولادًا﴾ ممّن آمن، ﴿وما نحنُ بِمُعَذَّبِينَ. قُلْ: إنَّ رَبِّي يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاءً، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك[2].

(٣٧) - ﴿وما أموالُكُم ولا أولادُكُم بالَّتِي تُقَرِّبُكُم عِندَنا زُلفَى﴾: قُربَى، أي: تقريبًا. ﴿إلاّ﴾ لكن[3] ﴿مَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا فأُولئِكَ لَهُم جَزاءُ الضِّعفِ بِما عَمِلُوا﴾ أي: جزاءُ الحسنةِ مَثلاً بعشْر فأكثرَ، ﴿وهُم في الغُرُفاتِ﴾ من الجنّة ﴿آمِنُونَ﴾ من الموت وغيره - وفي قراءةٍ: «الغُرْفة» بمعنى الجمع - (٣٨) - ﴿والَّذِينَ يَسعَونَ في آياتِنا﴾: القُرآنِ بالإبطال ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ لنا: مقدّرين عجزَنا وأنهم يفوتوننا ﴿أُولئِكَ في العَذابِ مُحضَرُونَ﴾.

(٣٩) - ﴿قُلْ: إنَّ رَبِّي يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ امتحانًا، ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه ﴿لَهُ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءً، ﴿وما أنفَقتُم مِن شَيءٍ﴾ في الخير ﴿فهُوَ يُخلِفُهُ﴾[4]، ﴿وهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ﴾. يقال: كُلّ إنسان يرزُق عائلتَه، أي: من رزق الله.

﴿مَكرُ الليل والنّهار﴾: صَدُّنا مكرُكُم بنا فيهما. ﴿أنداداً﴾: أمثالاً مِن مخلوقاتِهِ نعبدُها. ﴿أسرّوا النّدامة﴾: أخفوا النَّدمَ أو أظهروهُ. ﴿الأغلال﴾: القيودُ تجمعُ الأيديَ إلى الأعناقِ. ﴿مُترفوها﴾: مُتنعِّموها وقادةُ الشَّرِّ فيها. ﴿يَقْدِر﴾: يضيِّقُهُ على مَن يشاءُ بحكمتِهِ. ﴿زلفَى﴾: تقريباً. ﴿لهم جزاء الضّعف﴾: لهُمُ الثّوابُ المضاعفُ. ﴿في الغرفات﴾: المنازلِ الرَّفيعةِ العاليةِ في الجنَّةِ. ﴿مُعاجزين﴾: مُسابقينا ظانِّينَ أنَّهم يفوتونَنا. ﴿مُحضرون﴾: تُحضرُهُم الزَّبانيةُ إلى جهنَّمَ. ﴿يَقْدِرُ له﴾: يُضيِّقُهُ على مَن يشاءُ بحكمتِهِ.

(١) عن أبي رزين: كَانَ رجلانِ شريكان خرج أحدهما إلى السَّاحل وبقي الآخر، فَلَمَّا بُعث النَّبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله: ما فعَل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعهُ أحد من قريش إلَّا رذالة النَّاس ومساكينهم، فترك تجارته وأتى النَّبيَّ ﷺ فقال: إلامَ تَدْعو؟ قال: «إلى كذا وكذا» قال: أشهد أنَّك رسول الله، قال: «ما عِلمُك بذلك؟» قال: إنَّه لم يُبْعَث نبيٌّ إلَّا اتبعهُ رذالة النَّاس ومساكينهم، فنزل: ﴿وَمَا أرسلنَا فِي قَرْيَة من نَذِير﴾ الآيات، فأرسل اليه النَّبي ﷺ أن الله قد أنزل تصديق ما قلت.

(٢) الصَّوابُ: إطلاقُ ﴿النَّاس﴾، والمرادُ بالأكثرِ: الكفَّارُ؛ يعني: فيحملُهُم جهلُهُم على مخالَفَتِكَ، ولعلَّ وَضعَ الظَّاهرِ موضِعَ المضمَرِ لدَفعِ إيهامِ تخصيصِ النَّاسِ بأهلِ زمَنِ الإرسالِ، واللهُ أعلمُ بحقيقةِ الحالِ. (الجمالين).

(٣) أو: إلا أموالُ وأولادُ ﴿مَنْ﴾. (الجمالين).

(٤) أي: عِوَضاً، إمَّا عاجلاً، أو آجلاً، ولا منعَ مِن جَمعٍ. (الجمالين).

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟
رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن
جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ
مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

(٤٠) ـ (٤١) ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا﴾ أي: المُشركين، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلمَلائكةِ: أهؤلاءِ إيّاكُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الأُولى ياء[١]، وإسقاطِها ـ ﴿كانُوا يَعبُدُونَ﴾؟ ﴿قالُوا: سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عن الشريك! ﴿أَنتَ وَلِيُّنا مِن دُونِهِم﴾ أي: لا مُوالاة بيننا وبينهم من جِهتنا. ﴿بَل﴾: للانتقال ﴿كانُوا يَعبُدُونَ الجِنَّ﴾ أي: الشياطينَ، أي: يُطيعونهم في عِبادتهم إيانا، ﴿أكثَرُهُم بِهِم مُؤمِنُونَ﴾: مُصدّقون فيما يقولون لهم. (٤٢) ـ قال تعالى: ﴿فاليَومَ لا يَملِكُ بَعضُكُم لِبَعضٍ﴾ أي: بعضُ المعبودين لبعض العابدين ﴿نَفعًا﴾: شفاعة ﴿ولا ضَرًّا﴾: تعذيبًا[٢]، ﴿ونَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا: ﴿ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّتِي كُنتُم بِها تُكَذِّبُونَ﴾.

ربع الحزب ٤٤

(٤٣) ـ ﴿وإذا تُتلَى عليهِم آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّناتٍ﴾: واضحاتٍ بلسان نبيّنا مُحمّد ﴿قالُوا: ما هذا إلاّ رَجُلٌ يُرِيدُ أن يَصُدَّكُم عَمّا كانَ يَعبُدُ آباؤُكُم﴾ من الأصنام. ﴿وقالُوا: ما هذا﴾ أي: القرآنُ ﴿إلاّ إفكٌ﴾: كذب ﴿مُفتَرًى﴾ على الله. ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلحَقِّ﴾: القُرآن ﴿لَمّا جاءَهُم: إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ سِحرٌ مُبِينٌ﴾ بيِّن. قال تعالى: (٤٤) ـ ﴿وما آتيناهُم مِن كُتُبٍ يَدرُسُونَها، وما أرسَلْنا إلَيهِم قَبلَكَ مِن نَذِيرٍ﴾. فمِن أين كذّبوك؟

(٤٥) ـ ﴿وكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، وما بَلَغُوا﴾ أي: هؤلاء ﴿مِعشارَ ما آتيناهُم﴾ من القُوّة وطُول العمر وكثرة المال، ﴿فكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إليهم، ﴿فكَيفَ كانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعُقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقعٌ موقعَه.

(٤٦) ـ ﴿قُل: إنَّما أعِظُكُم بِواحِدَةٍ﴾[٣]، هي ﴿أن تَقُومُوا لِلهِ﴾ أي: لِأجله[٤] ﴿مَثنَى﴾ أي: اثنينِ اثنين ﴿وفُرادَى﴾: واحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فتعلموا: ﴿ما بِصاحِبِكُم﴾ مُحمّدٍ ﴿مِن جِنَّةٍ﴾: جنون[٥]، ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي﴾ أي: قَبلَ ﴿عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة، إن عصيتموه. (٤٧) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ما سألتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ[٦] ﴿مِن أجرٍ فهُوَ لَكُم﴾ أي: لا أسألكم عليه أجرًا. ﴿إن أجرِيَ﴾: ما ثوابي ﴿إلاّ عَلَى اللهِ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾: مطّلع يعلم صِدقي.

(٤٨) ـ ﴿قُلْ: إنَّ رَبِّي يَقذِفُ بِالحَقِّ﴾: يُلقيه إلى أنبيائه، ﴿عَلاّمُ الغُيُوبِ﴾: ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض.

﴿أنت ولِيّنا﴾: أنتَ الّذي نواليه. ﴿إفك مفترى﴾: كذِبٌ مُختلقٌ. ﴿معشار ما آتيناهم﴾: عُشرَ ما أعطيناهُم مِنَ النِّعم. ﴿كان نكير﴾: إنكاري عليهم بالتَّدمير. ﴿من جنّة﴾: مِن جنونٍ. ﴿يقذف بالحقّ﴾: يرمي بهِ الباطلَ فيدمغُهُ.

(١) في الجمالين (٢/ ١١٤): لم يقرأ به أحد وإنما قرأ بتميلها قالون والبزي، وبإبدال الثانية وتسهيلها ورش وقنبل، وبإسقاط الأولى ـ وقيل الثانية: بصري.

(٢) أي: مَضرَّةً؛ لأنَّ الدَّارَ دارُ ثوابٍ وعِقابٍ، والمُثيبُ والمعاقِبُ هو اللهُ لا إلهَ إلاّ هوَ. (الجمالين).

(٣) أي: بخصلَةٍ واحِدةٍ. (الجمالين).

(٤) مُعْرضاً عن التَّقليدِ والمِراء، والقيامُ: الانتصابُ في الأمرِ. (الجمالين).

(٥) فـ﴿ما﴾ نافيةٌ، وقيل: ﴿ما﴾ استفهاميَّةٌ؛ أي: تتفكَّروا أيُّ شيءٍ به من آثارِ الجُنونِ؟! (الجمالين).

(٦) و﴿ما﴾ شرطيَّةٌ؛ أي: أيَّ شيءٍ. (الجمالين).

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ
يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

﴿٤٩﴾ ـ ﴿قُلْ: جاءَ الحَقُّ﴾: الإسلام، ﴿وما يُبدِئُ الباطِلُ﴾: الكُفر ﴿وما يُعِيدُ﴾، أي: لم يبق له أثر. ﴿٥٠﴾ ـ ﴿قُلْ: إن ضَلَلتُ﴾ عن الحقّ ﴿فإنَّما أضِلُّ على نفسِي﴾ أي: إثمُ ضلالي عليها، ﴿وإنِ اهتَدَيتُ فبِما يُوحِي إلَيَّ رَبِّي﴾، من القُرآنِ والحِكمة. ﴿إنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدُّعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

﴿٥١﴾ ـ ﴿ولَو تَرى﴾، يا مُحمّد، ﴿إذْ فَزِعُوا﴾ عِند البعث لرأيت أمرًا عظيمًا ـ ﴿فلا فَوتَ﴾ لهم منّا أي: لا يفوتوننا ـ ﴿وأُخِذُوا مِن مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القُبور، ﴿٥٢﴾ ـ ﴿وقالُوا: آمَنَّا بِهِ﴾: بمُحمّد أو القُرآن. ﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾ ـ بالواو وبالهمزة بدلها ـ أي: تناوُلُ الإيمان ﴿مِن مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محلّه، إذ هم في الآخرة ومحلّه الدنيا؟ ﴿٥٣﴾ ـ ﴿وقَد كَفَرُوا بِهِ مِن قَبلُ﴾ في الدنيا، ﴿ويَقذِفُونَ﴾: يرمون ﴿بِالغَيبِ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب عِلمه عنهم غَيبةً بعيدة، حيثُ قالوا في النبيّ: ساحرٌ شاعر كاهن، وفي القُرآن: سِحرٌ شِعر كِهانة. ﴿٥٤﴾ ـ ﴿وحِيلَ بَينَهُم وبَينَ ما يَشتَهُونَ﴾ من الإيمان، أي: قَبوله ﴿كَما فُعِلَ بِأشياعِهِم﴾: أشباههم في الكُفر ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِهم. ﴿إنَّهُم كانُوا في شَكٍّ مُرِيبٍ﴾: مُوقعِ الرِّيبةَ لهم فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدّوا بدلائله في الدنيا.

***

٣٥

سُورَةُ فَاطِرٍ

مكية، وهي خمس أو ست وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿٢﴾ ـ ﴿الحَمدُ لِلَّهِ﴾ ـ حَمِدَ الله ـ تعالى ـ نفسَه بذلك كما بُيّن في أوّل سورة «سبأ» ـ ﴿فاطِرِ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خالقِهما على غير مِثال سَبق، ﴿جاعِلِ المَلائكةِ رُسُلاً﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولِي أجنِحَةٍ مَثنَى وثُلاثَ ورُباعَ، يَزِيدُ في الخَلقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿ما يَشاءُ. إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، ما يَفتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رَحمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فلا مُمسِكَ لَها، وما يُمسِكْ﴾ من ذلك ﴿فلا مُرسِلَ لَهُ مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ إمساكه، ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الحَكِيمُ﴾ في فِعله.

﴿٣﴾ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم﴾ بإسكانكم الحرمَ ومنع الغارات عنكم. ﴿هَل مِن خالِقٍ﴾ ـ من: زائدةٌ، وخالقٍ: مبتدأ ـ ﴿غَيرُ اللهِ﴾، بالرفع والجرّ: نعتٌ لـ«خالق» لفظًا ومحلًّا، وخبر المُبتدأ: ﴿يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ﴾ المطرَ ﴿و﴾ من ﴿الأرضِ﴾ النباتَ؟ والاستفهام للتقرير، أي: لا خالقَ رازقٌ غيرُه. ﴿لا إلهَ إلّا هُوَ. فأنّى تُؤفَكُونَ﴾: من أين تُصرَفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟

﴿فزعوا﴾: خافوا عندَ الموتِ أوِ البعثِ. ﴿فلا فوْت﴾: فلا مهربَ ولا نجاةَ مِنَ العذابِ. ﴿مكان قريب﴾: موقفِ الحسابِ. ﴿التّناوُش﴾: تناوُلُ الإيمانِ والتَّوبةِ.
﴿مكان بعيد﴾: هوَ الآخرةُ. ﴿يقذفون بالغيْب﴾: يرجمونَ بالظُّنونِ. ﴿بأشياعهم﴾: بأمثالِهم مِنَ الكفَّارِ. ﴿مُريب﴾: موقعٍ في الرِّيبةِ والقلقِ.
﴿فاطر..﴾: مُبدعٍ ومُخترعٍ... ﴿ما يفتح الله﴾: ما يُرسلِ اللهُ. ﴿فأنّى تؤفكون؟﴾: فكيفَ تصرفونَ عن توحيدِهِ؟

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ
ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

﴿٤﴾ - ﴿**وإن يُكَذِّبُوكَ**﴾ - يا مُحمّد - في مجيئك بالتوحيد والبعث والحِساب والعِقاب ﴿**فقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ**﴾ في ذلك. فاصبر كما صبروا. ﴿**وإلى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ**﴾ في الآخرة، فيُجازي المُكذّبين، وينصر المُرسَلينَ.

﴿٥﴾ - ﴿**يا أيُّها النّاسُ، إنَّ وَعدَ اللهِ**﴾ بالبعث وغيره ﴿**حَقٌّ. فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا**﴾ عن الإيمان[1] بذلك، ﴿**ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ**﴾ في حِلمه وإمهاله ﴿**الغَرُورُ**﴾: الشيطانُ. ﴿٦﴾ - ﴿**إنَّ الشَّيطانَ لَكُم عَدُوٌّ. فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ بطاعة الله ولا تُطيعوه. ﴿**إنَّما يَدعُو حِزبَهُ**﴾: أتباعه في الكُفر ﴿**لِيَكُونُوا مِن أصحابِ السَّعِيرِ**﴾: النار الشديدة. ﴿٧﴾ - ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ، والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ**﴾. هذا بيانُ ما لمُوافقي الشيطان وما لمُخالفيه.

ونزل في أبي جهل وغيره[2]: ﴿٨﴾ - ﴿**أفمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾ بالتمويه، ﴿**فرَآهُ حَسَنًا**﴾ مَن: مبتدأ خبرُه: كمن هداه اللهُ؟ لا. دلّ عليه: ﴿**فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ، ويَهدِي مَن يَشاءُ. فلا تَذهَبْ نَفسُكَ عَلَيهِم**﴾: على المُزيَّن لهم ﴿**حَسَراتٍ**﴾ باغتمامك أن لا يُؤمنوا. ﴿**إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَصنَعُونَ**﴾ فيُجازيهم عليه - ﴿٩﴾ - ﴿**واللهُ الَّذِي أرسَلَ الرِّياحَ**﴾ - وفي قراءة: «الرِّيحَ» - ﴿**فتُثِيرُ سَحابًا**﴾، المضارعُ لحكاية الحال الماضية، أي: تُزعِجه، ﴿**فسُقْناهُ**﴾ - فيه التفات عن الغيبة - ﴿**إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ**﴾، بالتشديد والتخفيف: لا نباتَ بها، ﴿**فأحيَينا بِهِ الأرضَ**﴾ من البلد ﴿**بَعدَ مَوتِها**﴾: يُبسها، أي: أنبتْنا به الزرع والكلأ. ﴿**كَذَلِكَ النُّشُورُ**﴾ أي: البعثُ والإحياء.

﴿١٠﴾ - ﴿**مَن كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعًا**﴾ أي: في الدنيا والآخرة، فلا تُنال منه إلاّ بطاعته، فليُطِعْهُ. ﴿**إلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾: يعلمُه - وهو «لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ» ونحوُها - ﴿**والعَمَلُ الصّالِحُ يَرفَعُهُ**﴾: يقبله، ﴿**والَّذِينَ يَمكُرُونَ**﴾ المكَراتِ ﴿**السَّيِّئاتِ**﴾ بالنبيِّ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذُكر في «الأنفال» ﴿**لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ، ومَكرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾: يَهلِك.

﴿١١﴾ - ﴿**واللهُ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ**﴾ بخلق أبيكم آدم منه، ﴿**ثُمَّ مِن نُطفَةٍ**﴾ أي: مَنِيٍّ بخلق ذُرّيّته منها، ﴿**ثُمَّ جَعَلَكُم أزواجًا**﴾: ذُكورًا وإناثًا، ﴿**وما تَحمِلُ مِن أُنثَى ولا تَضَعُ إلاّ بِعِلمِهِ**﴾: حالٌ، أي: معلومةً له، ﴿**وما يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ**﴾ أي: ما يُزاد في عُمرِ طويلِ العُمر، ﴿**ولا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ**﴾ أي: ذلك المُعمَّرِ أو مُعمَّرٍ آخَرَ، ﴿**إلاّ في كِتابٍ**﴾، هو اللوح المحفوظ. ﴿**إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾: هيِّنٌ.

﴿فلا تغرنكم﴾: فلا تخدعَنَّكُم ولا تلهيَنَّكُم بالزَّخارفِ والملذَّاتِ. ﴿الغرور﴾: ما يغرُّ ويخدعُ مِن شيطانٍ وغيرِه. ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾: فلا تهلكْ نفسكَ عليهِم غموماً وأحزاناً لكفرِهم. ﴿فتثير سحاباً﴾: تحرِّكُهُ وتهيِّجُهُ. ﴿النشور﴾: بعثُ الموتى مِنَ القبورِ للجزاءِ. ﴿يريد العزة﴾: الشَّرفَ والمنعةَ. ﴿الكلم الطيّب﴾: كلمةُ التَّوحيدِ وجميع عباداتِ اللِّسانِ. ﴿العمل الصّالح يرفعه﴾: يرفعُ اللهُ العملَ الصَّالحَ ويقبلُهُ. ﴿يبور﴾: يفسدُ ويبطلُ. ﴿أزواجاً﴾: ذكوراً وإناثاً. ﴿معمّرٍ﴾: طويلِ العمرِ.

(١) فيشغلُكُم بالتَّمتُّع بها والتَّنعُّم فيها عن طَلَبِ الآخرَةِ والسَّعي لها. (الجمالين).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٠٣) عن ابن عباس ومقاتل قالا: نزلت في أبي جهل ومشركي مكة. وعن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام» فهدى الله عمر وأضل أبا جهل ففيهما أنزلت. «لباب النقول» (ص: ١٦٥).

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ
إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

(١٢) ـ ﴿**وما يستوي البحران، هذا عذبٌ فُراتٌ**﴾: شديد العُذوبة[١] ﴿**سائغٌ شرابُهُ**﴾: شُربه[٢]، ﴿**وهذا ملحٌ أُجاجٌ**﴾: شديد المُلوحة[٣]، ﴿**ومن كُلٍّ**﴾ منهما ﴿**تأكُلونَ لحمًا طريًّا**﴾ هو السَّمك، ﴿**وتستخرجون**﴾ من الملح، وقيل: منهما ﴿**حليةً تلبسُونها**﴾ هي اللؤلؤ والمَرجان، ﴿**وترى**﴾: تُبصر ﴿**الفُلكَ**﴾: السُّفن ﴿**فيهِ**﴾: في كُلّ منهما ﴿**مواخرَ**﴾: تمخر الماء، أي: تشقّه بجريها فيه مُقبلة ومُدبرة بريح واحدة، ﴿**لِتبتغُوا**﴾: تطلبوا ﴿**من فضلِهِ**﴾ ـ تعالى ـ بالتجارة، ﴿**ولعلَّكُم تشكُرُونَ**﴾ الله على ذلك.

ربع الحزب ٤٤

(١٣) ـ ﴿**يُولجُ**﴾: يُدخِلُ اللهُ ﴿**اللَّيلَ في النَّهارِ**﴾ فيزيد، ﴿**ويُولجُ النَّهارَ**﴾: يُدخِله ﴿**في اللَّيلِ**﴾ فيزيد، ﴿**وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ**﴾ منهما ﴿**يَجري**﴾ في فَلَكه ﴿**لِأجلٍ مُسمًّى**﴾: يومِ القيامة. ﴿**ذلِكُمُ اللهُ ربُّكُم لهُ المُلكُ، والَّذِينَ تدعُونَ**﴾: تعبدون ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: غيرَه ـ وهم الأصنام ـ ﴿**ما يَملِكُونَ مِن قِطميرٍ**﴾: لِفافة النواة، (١٤) ـ ﴿**إن تَدعُوهُم لا يَسمَعُوا دُعاءَكُم، ولَو سَمِعُوا**﴾ ـ فَرْضًا ـ ﴿**ما استجابُوا لكُم**﴾: ما أجابوكم، ﴿**ويومَ القِيامةِ يَكفُرُونَ بِشِركِكُم**﴾: بإشراككم إياهم مع الله، أي: يتبرّؤون منكم ومن عِبادتكم إياهم. ﴿**ولا يُنبِّئُكَ**﴾ بأحوال الدارين ﴿**مِثلُ خَبيرٍ**﴾: عالم، وهو الله تعالى.

(١٥) ـ ﴿**يا أيُّها النّاسُ، أنتُمُ الفُقَراءُ إلى اللهِ**﴾ بكُلّ حال، ﴿**واللهُ هُوَ الغَنِيُّ**﴾ عن خلقه ﴿**الحَمِيدُ**﴾ المحمود في صُنعه بهم، (١٦) ـ ﴿**إن يَشَأْ يُذهِبْكُم ويأتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ**﴾ بدلكم[٤]، (١٧) ـ ﴿**وما ذلِكَ على اللهِ بِعَزِيزٍ**﴾: شديدٍ.

(١٨) ـ ﴿**ولا تَزِرُ**﴾ نفسٌ ﴿**وازِرةٌ**﴾: آثمة، أي: لا تحمل ﴿**وِزرَ**﴾ نفسٍ ﴿**أُخرى، وإن تَدعُ**﴾ نفسٌ ﴿**مُثقَلةٌ**﴾ بالوِزر ﴿**إلى حِملِها**﴾ منه أحدًا ليحمل بعضَه ﴿**لا يُحمَلْ مِنهُ شيءٌ، ولَو كانَ**﴾ المدعوُّ ﴿**ذا قُربى**﴾: قرابةٍ كالأب والابن. وعدمُ الحمل في الشِّقّين[٥] حُكمٌ من الله. ﴿**إنَّما تُنذِرُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ**﴾ أي: يخافونه وما رأوه[٦] لأنهم المنتفعون بالإنذار، ﴿**وأقامُوا الصَّلاةَ**﴾: أداموها، ﴿**ومَن تَزَكَّى**﴾: تطهّرَ من الشِّرك وغيره ﴿**فإنَّما يَتَزَكَّى لِنَفسِهِ**﴾: فصلاحهُ مُختصّ به، ﴿**وإلى اللهِ المَصِيرُ**﴾: المَرجعُ فيَجزي بالعمل في الآخرة.

﴿عذبٌ فرات﴾: طيِّبٌ حُلوٌ شديدُ العذوبةِ. ﴿سائغ شرابه﴾: مريءٌ سهلٌ انحدارُهُ. ﴿ملح أجاج﴾: شديدُ الملوحةِ أوِ المرارةِ. ﴿حلية﴾: اللؤلؤَ والمرجانَ مِنَ الملحِ. ﴿مواخر﴾: جواريَ بريحٍ واحدةٍ. ﴿يولج﴾: يُدْخِلُ. ﴿لأجل مسمّى﴾: مقدَّرٍ لفنائِهِما (يوم القيامةِ). ﴿قطمير﴾: هوَ القشرةُ الرَّقيقةُ على النَّواةِ. ﴿لا تزر وازرة..﴾: لا تحملُ نفسٌ آثمةٌ... ﴿مُثقلة﴾: نفسٌ أثقلَتْها الذُّنوبُ. ﴿حِملها﴾: ذنوبها الَّتي أثقلَتْها. ﴿تزكّى﴾: تطهَّرَ مِنَ الكفرِ والمعاصي.

(١) الَّذي يكسِرُ العطشَ. (الجمالين).

(٢) أي: شُرْبُ شرابِهِ؛ إذِ السَّائغُ: الَّذي يسهُلُ انحدارُه. (الجمالين).

(٣) الَّذي يُحرِقُ لملوحتِهِ، مَثَلٌ للمؤمنِ والكافرِ. (الجمالين).

(٤) أي: بقومٍ آخرينَ أطوعَ منكم، أو بعالَمٍ آخرَ غيرَ ما تعرفونَهُ. (الجمالين).

(٥) يعني: نَفى أن يحمِلَ عنها ذَنْبَها كما نفى أن يَحمِلَ عليها ذَنْبَ غيرِها. (الجمالين).

(٦) أي: غائبينَ عن عذابِهِ، أو: غائباً عنهم عذابُهُ. (الجمالين).

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا
ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي
ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ
جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

(١٩) ـ ﴿**وما يَستوِي الأعمَى والبَصِيرُ**﴾: الكافر والمؤمن، (٢٠) ـ ﴿**ولا الظُّلُماتُ**﴾: الكُفر ﴿**ولا النُّورُ**﴾: الإيمان، (٢١) ـ ﴿**ولا الظِّلُّ ولا الحَرُورُ**﴾: الجنّة والنار، (٢٢) ـ ﴿**وما يَستوِي الأحياءُ ولا الأمواتُ**﴾: المؤمنون والكُفّار. وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد ﴿**إنَّ اللهَ يُسمِعُ مَن يَشاءُ**﴾ هِدايتَه فيُجيبه بالإيمان، ﴿**وما أنتَ بِمُسمِعٍ مَن في القُبُورِ**﴾ أي: الكُفّارَ. شبّههم بالموتى، فلا يجيبون.

(٢٣) ـ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أنتَ إلا نَذِيرٌ**﴾: مُنذرٌ لهم.

(٢٤) ـ ﴿**إنّا أرسَلْناكَ بالحَقِّ**﴾: الهُدى ﴿**بَشِيرًا**﴾ مَن أجاب إليه، ﴿**ونَذِيرًا**﴾ مَن لم يُجب إليه، ﴿**وإنْ**﴾: ما ﴿**مِن أُمّةٍ إلا خَلا**﴾: سلفَ ﴿**فِيها نَذِيرٌ**﴾: نبيٌّ يُنذرها[1]، (٢٥) ـ ﴿**وإن يُكَذِّبُوكَ**﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿**فقد كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، جاءَتْهُم رُسُلُهُم بالبيِّناتِ**﴾: المُعجزات ﴿**وبالزُّبُرِ**﴾ كصُحف إبراهيم ﴿**وبالكِتابِ المُنِيرِ**﴾ هو التوراة والإنجيل ـ فاصبر كما صبروا ـ (٢٦) ـ ﴿**ثُمَّ أخَذتُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بتكذيبهم، ﴿**فكَيفَ كانَ نَكِيرِ**﴾: إنكاري عليهم بالعُقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقعٌ موقعه.

(٢٧) ـ ﴿**ألَم تَرَ**﴾: تعلمْ ﴿**أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجْنا**﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿**بِهِ ثَمَراتٍ مُختَلِفًا ألوانُها**﴾ كأخضرَ وأحمرَ وأصفرَ وغيرِها، ﴿**ومِنَ الجِبالِ جُدَدٌ**﴾: جمع جُدّة: طريقٍ في الجبل وغيره، ﴿**بِيضٌ وحُمرٌ**﴾ وصفر ﴿**مُختَلِفٌ ألوانُها**﴾ بالشِّدّة والضعف، ﴿**وغَرابِيبُ سُودٌ**﴾: عطف على «جدد» أي: صخورٌ شديدة السواد ـ يقال كثيرًا: أسودُ غِربِيبٌ، وقليلاً: غِربِيبٌ أسودُ ـ (٢٨) ـ ﴿**ومِنَ النّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مُختَلِفٌ ألوانُهُ كَذَلِكَ**﴾: كاختلاف الثِّمار والجِبال؟ ﴿**إنَّما يَخشَى اللهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ**﴾ بخِلاف الجُهّال ككُفّار مكّة. ﴿**إنَّ اللهَ عَزِيزٌ**﴾ في مُلكه ﴿**غَفُورٌ**﴾ لذُنوب عِباده المؤمنين.

(٢٩) ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ**﴾: يقرؤون[2] ﴿**كِتابَ اللهِ، وأقامُوا الصَّلاةَ**﴾[3]: أداموها ﴿**وأنفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُم سِرًّا وعَلانِيَةً**﴾ زكاةً وغيرها، ﴿**يَرجُونَ تِجارةً لَن تَبُورَ**﴾: تَهلِك[4]، (٣٠) ـ ﴿**لِيُوَفِّيَهُم أُجُورَهُم**﴾: ثواب أعمالهم[5] المذكورةِ، ﴿**ويَزِيدَهُم مِن فَضلِهِ. إنَّهُ غَفُورٌ**﴾ لذُنوبهم[6] ﴿**شَكُورٌ**﴾ لطاعتهم.

﴿الحَرُور﴾: شدّةُ الحرِّ ليلاً كالسَّموم. ﴿بالزّبر﴾: بالكتبِ المكتوبةِ كصحفِ إبراهيمَ وموسى عليهما السلام. ﴿كان نكير﴾: إنكاري عليهم بالتّدمير. ﴿جددٌ﴾: ذاتُ طرائقَ وخطوطٍ مُختلفةِ الألوانِ. ﴿غرابيب سود﴾: متناهيةٌ في السّوادِ كالأغربةِ. ﴿لن تبور﴾: لم تكسُدَ وتفسُدَ، أو لن تهلِكَ.

(١) أو عالِمٌ ينذرُها نيابةً عنه، والاكتفاءُ بذكرِه؛ للعِلمِ بالقرينَةِ، ولأنَّ الإنذارَ هو المقصودُ الأهمُّ من البعْثَةِ، أو هو المقدَّمُ بمنزلَةِ الاحتماءِ والتَّخليَةِ. (الجمالين).

(٢) يداومونَ على قراءَتِه ـ أو متابَعَةِ ما فيه ـ حتَّى صار سَمْتاً لهم وعُنواناً. (الجمالين).

(٣) عن ابن عباس: أنها نزلت في حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي. عبد الغني بن سعيد الثقفي في «تفسيره» كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٥). وعبد الغني ضعيف وإسناده إلى ابن عباس واه.

(٤) وتَكْسُد، والمرادُ بالتِّجارةِ: تحصيلُ الثَّوابِ بالطَّاعةِ. (الجمالين).

(٥) عِلّةٌ لمدلولِ ما عُدَّ من أفعالِهم نحوَ: فعَلوا ذلك، أو عاقبةٌ لـ﴿يرجُونَ﴾. (الجمالين).

(٦) أي: فَرَطاتِهم. (الجمالين).

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ
يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم
مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ
فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ
عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ
أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ
فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ
غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

﴿٣١﴾ ـ ﴿والَّذي أوحَينا إلَيكَ مِنَ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ﴿هُوَ الحَقُّ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: تقدَّمَه من الكُتب ـ ﴿إنَّ اللهَ بِعِبادِهِ لَخَبيرٌ بَصيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر ـ ﴿٣٢﴾ ـ ﴿ثُمَّ أورَثْنا﴾: أعطينا[1] ﴿الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿الَّذينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا﴾ وهم أُمّتك[2]، ﴿فمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به، ﴿ومِنهُم مُقتَصِدٌ﴾ يعمل به في أغلب الأوقات، ﴿ومِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ﴾ يضمّ[3] إلى العمل به التعليمَ والإرشاد إلى العمل ﴿بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته. ﴿ذلِكَ﴾ أي: إيراثهم[4] الكِتاب ﴿هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ﴾.

﴿٣٣﴾ ـ ﴿٣٤﴾ ـ ﴿جَنّاتُ عَدنٍ﴾ أي: إقامةٍ، ﴿يَدخُلُونَها﴾، أي: الثلاثة ـ بالبناء للفاعل وللمفعول: خبرُ «جنّاتُ» المبتدأ ـ ﴿يُحَلَّونَ﴾: خبرٌ ثانٍ ﴿فيها مِن﴾: بعض ﴿أساوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤلُؤٍ﴾ مُرصّعٍ في الذهب، ﴿ولِباسُهُم فيها حَريرٌ، وقالُوا: الحَمدُ لِلهِ الَّذي أذهَبَ عَنّا الحَزَنَ﴾ جميعَه[5] ـ ﴿إنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعات ـ ﴿٣٥﴾ ـ ﴿الَّذي أحَلَّنا دارَ المُقامَةِ﴾ أي: الإقامة ﴿مِن فَضلِهِ، لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ﴾: تعب، ﴿ولا يَمَسُّنا فيها لُغُوبٌ﴾: إعياءٌ من التعب لعدم التكليف فيها. وذُكر الثاني التابعُ للأوّل للتصريح بنفيه.

﴿٣٦﴾ ـ ﴿والَّذينَ كَفَرُوا لَهُم نارُ جَهَنَّمَ، لا يُقضَى عَلَيهِم﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا، ﴿ولا يُخَفَّفُ عَنهُم مِن عَذابِها﴾ طَرْفةَ عين ـ ﴿كَذلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿يُجزَى كُلُّ كَفُورٍ﴾: كافر. بالياء، والنونِ المفتوحة مع كسر الزاي ونصب «كُلّ» ـ ﴿٣٧﴾ ـ ﴿وهُم يَصطَرِخُونَ فيها﴾: يستغيثون بشدّة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنا، أخرِجْنا﴾ منها، ﴿نَعمَلْ صالِحًا غَيرَ الَّذي كُنّا نَعمَلُ﴾. فيقال لهم: ﴿أوَلَم نُعَمِّرْكُم ما﴾: وقتًا ﴿يَتَذَكَّرُ فيهِ مَن تَذَكَّرَ، وجاءَكُمُ النَّذيرُ﴾ الرسول[6] فما أجبتم؟ ﴿فَذُوقُوا. فما لِلظّالِمينَ﴾: الكافرين ﴿مِن نَصيرٍ﴾: يدفع العذاب عنهم.

﴿٣٨﴾ ـ ﴿إنَّ اللهَ عالِمُ غَيبِ السَّماواتِ والأرضِ ـ إنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوب. فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس ـ

﴿ظالم لنفسه﴾: رجحَتْ سيِّئاتُهُ على حسناتِهِ. ﴿مقتصد﴾: استوَتْ حسناتُهُ وسيِّئاتُهُ. ﴿سابق بالخيرات﴾: رجحَتْ حسناتُهُ على سيِّئاتِهِ. ﴿الحزن﴾: كلّ ما يُحزِنُ ويَغُمُّ. ﴿دار المُقامة﴾: دارَ الإقامةِ الدّائمةِ (الجنّة). ﴿نَصَبٌ﴾: تعبٌ ومشقّةٌ. ﴿لغوبٌ﴾: إعياءٌ مِنَ التَّعبِ وفتورٌ. ﴿هم يصطرخون﴾: يستغيثونَ ويصيحونَ بشدّةٍ.

(١) أي: عطاءً بلا كَدٍّ وتعَبٍ كالإرْثِ. (الجمالين).

(٢) يعني: ﴿الَّذينَ اصطفيْنا﴾، وعليه الجمهورُ، و﴿مِنْ﴾ للتَّبيينِ أو للتَّبعيضِ. (الجمالين).

(٣) ظاهرُ التَّقسيمِ أن يقولَ: السَّابقُ: دائمُ العملِ، أو يقالَ: الظَّالمُ: الجاهلُ العاملُ، والمقتصدُ: العالِمُ العاملُ، والسَّابقُ: العالمُ العاملُ المعلِّمُ، وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: الظَّالمُ أنا والمقتصدُ أنا، والسَّابقُ أنا، فقيلَ له: كيفَ ذلك؟ قالَ: أنا الظَّالِمُ بمعصيتي، ومقتصدٌ بتوبَتي، وسابقٌ بمحبَّتي. (الجمالين).

(٤) أو الاصطفاءُ، أو السَّبقُ. (الجمالين).

(٥) الشَّاملَ لحزَنِ الموتِ، وخوفِ العاقبةِ، وهَمِّ المعاشِ، ووسوسةِ إبليسَ، وقيلَ: حَزَنِ القطيعةِ، وقيلَ: المحاسبة، وقد أكثَروا حتَّى قالَ بعضُهم: كِرَى الدَّارِ، وقيلَ: التَّحويل، ومعناهُ: أنَّه يعمُّ كلَّ حَزَنٍ من أحزانِ الدِّينِ والدُّنيا حتَّى هذا. (الجمالين).

(٦) أو الكتابُ، وقيلَ: العقلُ، أو الشَّيبُ، أو موتُ الأقرانِ. (الجمالين).

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ
نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

(٣٩) ـ **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلائفَ في الأرضِ﴾**: جمع خليفة، أي: يخلف بعضكم بعضًا. **﴿فمَن كَفَرَ﴾** منكم **﴿فعَلَيهِ كُفرُهُ﴾** أي: وبال كُفره، **﴿ولا يَزيدُ الكافِرينَ كُفرُهُم عِندَ رَبِّهِم إلاّ مَقتًا﴾**: غضبًا[1]، **﴿ولا يَزيدُ الكافِرينَ كُفرُهُم إلاّ خَسارًا﴾** لِلآخرة.

(٤٠) ـ **﴿قُلْ: أرَأيتُم شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾**: تعبدون **﴿مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه ـ وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاءُ الله تعالى ـ **﴿أرُوني﴾**: أخبروني **﴿ماذا خَلَقُوا مِنَ الأرضِ؟ أم لَهُم شِركٌ﴾**: شَركة مع الله **﴿في﴾** خلق **﴿السَّماواتِ؟ أم آتيناهُم كِتابًا فهُم على بَيِّنَةٍ﴾**: حُجّة **﴿مِنهُ﴾** بأنّ لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك. **﴿بَل إنْ﴾**: ما **﴿يَعِدُ الظّالِمُونَ﴾**: الكافرون **﴿بَعضُهُم بَعضًا إلاّ غُرُورًا﴾**: باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

(٤١) ـ **﴿إنَّ اللهَ يُمسِكُ السَّماواتِ والأرضَ أن تَزُولا﴾** أي: يمنعُهما من الزوال، **﴿ولَئِنْ﴾** ـ لامُ قسم ـ **﴿زالَتا إنْ﴾**: ما **﴿أمسَكَهُما﴾**: يُمسِكُهما **﴿مِن أحَدٍ مِن بَعدِهِ﴾** أي: سواه. **﴿إنَّهُ كانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾** في تأخير عِقاب الكُفّار.

(٤٢) ـ **﴿وأقسَمُوا﴾** أي: كُفّارُ مكّة **﴿باللهِ جَهدَ أيمانِهِم﴾** أي: غايةَ اجتهادهم فيها ـ **﴿لَئن جاءَهُم نَذِيرٌ﴾**: رسول ـ **﴿لَيَكُونُنَّ أهدَى مِن إحدَى الأُمَمِ﴾**[2]: اليهود والنصارى وغيرهما، أي: أيِّ واحدة منهما لِما رأوا من تكذيب بعضهم بعضًا، إذ «قالَتِ اليَهُودُ: لَيسَتِ النَّصارَى على شَيءٍ. وقالَتِ النَّصارَى: لَيسَتِ اليَهُودُ على شَيءٍ»، **﴿فلَمّا جاءَهُم نَذِيرٌ﴾** مُحمّد ﷺ **﴿ما زادَهُم﴾** مجيئُه **﴿إلاّ نُفُورًا﴾**: تباعُدًا عن الهُدى،

(٤٣) ـ **﴿استِكبارًا في الأرضِ﴾** عن الإيمان: مفعولٌ له **﴿ومَكرَ﴾** العملِ **﴿السَّيِّئِ﴾** من الشِّرك وغيره، **﴿ولا يَحِيقُ﴾**: يُحيط **﴿المَكرُ السَّيِّئُ إلاّ بأهلِهِ﴾** وهو الماكرُ. ووصفُ المكر بالسيّئ أصل، وإضافته إليه قبلُ استعمالٌ آخر قُدّر فيه مضافٌ حذرًا من الإضافة إلى الصفة.

﴿فهَل يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون **﴿إلاّ سُنَّةَ الأوَّلِينَ﴾**: سُنّة اللهِ فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلَهم؟ **﴿فلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً، ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحوِيلاً﴾** أي: لا يُبدَّل بالعذاب غيرُه، ولا يُحوَّل إلى غير مُستحِقه. (٤٤) ـ **﴿أوَلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، وكانُوا أشَدَّ مِنهُم قُوَّةً﴾** فأهلكَهم الله بتكذيبهم رسلَهم؟ **﴿وما كانَ اللهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ﴾**: يَسبِقَه ويفوته **﴿في السَّماواتِ ولا في الأرضِ. إنَّهُ كانَ عَلِيمًا﴾** بالأشياء كُلّها **﴿قَدِيرًا﴾** عليها.

﴿جعلكم خلائف﴾: خلفاءَ مَن كانَ قبلَكُم. ﴿مقتاً﴾: أشدَّ البغضِ والغضبِ والاحتقارِ. ﴿خساراً﴾: هَلاكاً وخسراناً. ﴿أرأيتم شركاءكم﴾: أخبِروني عن شُركائِكُم. ﴿أم لهم شِرك؟﴾: بل أَلَهُم شرِكةٌ معَ اللهِ تعالى في الخلقِ؟. ﴿غروراً﴾: باطلاً. أو خداعاً. ﴿جهد أيمانهم﴾: مجتهدينَ في الحلفِ بأغلظِها وأوكدِها. ﴿نفوراً﴾: تباعداً عنِ الحقِّ وفراراً منهُ. ﴿و مكر السّيّء﴾: والمكرَ السَّيِّئَ (الكيد للرَّسول). ﴿لا يحيق﴾: لا يُحيطُ أو لا ينزلُ. ﴿فهل ينظرون﴾: فما ينتظرونَ. ﴿سنّة الأوّلين﴾: سنَّةَ اللهِ فيهِم بتعذيبِهِم لِتكذيبِهِم.

(١) أي: شديداً؛ لأنَّ المَقتَ أَشَدُّ البُغضِ، والتَّكريرُ للدِّلالةِ على أنَّ اقتضاءَ الكُفرِ لكلِّ واحدٍ مِنَ الأمرينِ مستَقِلٌّ باقتضاءِ قُبْحِهِ ووجوبِ التَّجنُّبِ عنه، ويمكنُ أن يكونَ الأوَّلُ للمعانِدينَ والمنافقينَ، والثَّاني لغيرِهِم. (الجمالين).

(٢) عن ابن أبي هلال: أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبيًّا ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع ولا أشد تمسكاً بكتابها منا، فأنزل الله: ﴿وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ [الصافات: ١٦٧] ﴿ولو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ [الأنعام: ١٥٧] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٥).

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا
مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا
جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا (٤٥)

سُورَةُ يس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟
وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)

(٤٥) ـ ﴿ولو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بما كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿ما تَرَكَ علَى ظَهرِها﴾ أي: الأرضِ ﴿مِن دابّةٍ﴾: نَسمة تدِبّ عليها، ﴿ولكنْ يُؤخِّرُهُم إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: يومِ القيامة. ﴿فإذا جاءَ أجَلُهُم فإنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيرًا﴾ فيُجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعِقاب الكافرين.

* * *

٣٦

سُورَةُ يس

مكية، أو إلاّ قوله «وإذا قيل لهم أنفقوا» الآيةَ، أو مدنية، ثنتان [أو ثلاثٌ] وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يس﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿والقُرآنِ الحَكِيمِ﴾: المُحكَم بعجيب النظم وبديع المعاني، (٣) ـ (٤) ـ ﴿إنَّكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لَمِنَ المُرسَلِينَ، علَى﴾: مُتعلّق بما قبله ﴿صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك التوحيدِ والهدى. والتأكيدُ بالقسم وغيره ردّ لقول الكُفّار له: «لَستَ مُرسَلاً». (٥) ـ ﴿تَنزِيلُ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ بخلقه: خبرُ مبتدأ مُقدَّر، أي: القُرآنُ، (٦) ـ ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَومًا﴾: مُتعلّق بـ«تنزيل»، ﴿ما أُنذِرَ آباؤُهُم﴾ أي: لم يُنذَروا في زمن الفترة، ﴿فَهُم﴾ أي: القوم ﴿غافِلُونَ﴾ عن الإيمان والرُّشد.

(٧) ـ ﴿لَقَد حَقَّ القَولُ﴾: وجبَ ﴿علَى أكثَرِهِم﴾ بالعذاب، ﴿فهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ أي: الأكثرُ. (٨) ـ ﴿إنّا جَعَلْنا في أعناقِهِم أغلالاً﴾[1] بأن تُضمّ إليها الأيدي لأنّ الغُلّ يَجمع اليد إلى العُنق، ﴿فهِيَ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إلَى الأذقانِ﴾: جمع ذَقَن وهو مُجتمَع اللَّحْيَين، ﴿فهُم مُقمَحُونَ﴾: رافعون رُؤوسَهم لا يستطيعون خفضها ـ وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يُذعِنون للإيمان ولا يَخفضون رؤوسهم له ـ (٩) ـ ﴿وجَعَلْنا مِن بَينِ أيدِيهِم سَدًّا ومِن خَلفِهِم سَدًّا﴾، بفتح السين وضمّها في الموضعين، ﴿فأغشَيناهُم، فهُم لا يُبصِرُونَ﴾. تمثيلٌ أيضًا لسدّ طرق الإيمان عليهم.

(١٠) ـ (١١) ـ ﴿وسَواءٌ عَلَيهِم أأنذَرتَهُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها وإدخالِ ألف بين المسهّلة والأُخرى، وتركِه ـ ﴿أم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنُونَ. إنّما تُنذِرُ﴾: يَنفعُ إنذارُكَ ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكرَ﴾: القُرآن، ﴿وخَشِيَ الرَّحمنَ بِالغَيبِ﴾: خافه ولم يَرَه. ﴿فبَشِّرْهُ بِمَغفِرةٍ وأجرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنّة. (١٢) ـ ﴿إنّا نَحنُ نُحيِي المَوتَى﴾ للبعث، ﴿ونكتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ما قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشرّ ليُجازَوا

﴿لقد حقّ القول﴾: واللهِ لقد ثبتَ ووجبَ العقابُ. ﴿أغلالاً﴾: قيوداً تشدُّ أيديهم إلى أعناقِهم. ﴿فهم مقمحون﴾: رافعو الرُّؤوسِ غاضُّو الأبصارِ. ﴿سدًّا﴾: حاجزاً ومانِعاً. ﴿فأغشيناهم﴾: فألبسْنا أبصارَهُم غشاوةً. ﴿آثارهم﴾: ما سنُّوهُ مِن حسنٍ أو سيِّئٍ. ﴿أحصيناه﴾: أثبتْناهُ وحفظْناهُ. ﴿إمام مبين﴾: أصلٍ بيِّنٍ (اللَّوحِ المحفوظِ).

(١) عن عكرمة: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ إلى قوله: ﴿فهم لا يبصرون﴾ قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو، أين هو؟ لا يبصره. الطبري (١٩/ ٤٠٦)، وذكره بأبسط من هذا الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٥٤) عن مقاتل والكلبي، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٣).

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟
إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟
رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ
وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن
ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟
مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ
ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً
إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

عليه، ﴿وآثارَهم﴾[1]: ما استُنّ به بعدهم، ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾: نصبُه بفعل يفسّره ﴿أحصَيناهُ﴾: ضبطْناه ﴿في إمامٍ مُبينٍ﴾: كتاب بيّن، هو اللوح المحفوظ.

﴿١٣﴾ ـ ﴿واضرِبْ﴾: اجعـلْ ﴿لَهُم مَثَلاً﴾: مفعولٌ أوّل ﴿أصحابَ﴾: مفعولٌ ثانٍ ﴿القَرْيةِ﴾: أنطاكِيةَ، ﴿إذ جاءَها﴾ إلى آخِره، بدلُ اشتمال من «أصحابَ القرية»، ﴿المُرسَلُونَ﴾ أي: رُسلُ عِيسى، ﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ـ ﴿إذ أرسَلْنا إلَيهِمِ اثنَينِ، فكَذَّبُوهُما﴾ إلى آخِره، بدلٌ من «إذ» الأولى إلى آخِره، ﴿فعَزَزْنا﴾، بالتخفيف والتشديد: قوّينا الإثنين ﴿بثالِثٍ، فقالُوا: إنّا إلَيكُم مُرسَلُونَ. قالُوا: ما أنتُم إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا، وما أنزَلَ الرّحمنُ مِن شَيءٍ. إنْ﴾: ما ﴿أنتُم إلاّ تَكذِبُونَ﴾.

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٧﴾ ـ ﴿قالُوا: رَبُّنا يَعلَمُ﴾: جارٍ مَجرى القسَم، وزِيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في ﴿إنّا إلَيكُم لَمُرسَلُونَ، وما علَينا إلاّ البَلاغُ المُبينُ﴾: التبليغ البيّن الظاهر بالأدلّة الواضحة. وهي إبراءُ الأكمه والأبرص والمريض وإحياءُ الميّت. ﴿١٨﴾ ـ ﴿قالُوا: إنّا تَطَيَّرْنا﴾: تشاءمْنا ﴿بِكُم﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم. ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿لَم تَنتَهُوا لَنَرجُمَنَّكُم﴾ بالحِجارة ﴿ولَيَمَسَّنَّكُم مِنّا عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلم.

﴿١٩﴾ ـ ﴿قالُوا: طائرُكُم﴾: شؤمكم ﴿مَعَكُم﴾ بكُفركم. ﴿أإن﴾: همزة استفهام دخلت على «إن» الشرطيّة ـ وفي همزتها التحقيقُ والتسهيلُ، وإدخالُ ألف بينها بوجهَيها وبين الأُخرى ـ ﴿ذُكِّرتُم﴾: وُعِظتم وخُوّفتم. وجواب الشرط محذوف، أي: تطيّرتم وكفرتم؟ وهو محلّ لاستفهام، والمراد به التوبيخ. ﴿بَل أنتُم قَومٌ مُسرِفُونَ﴾: مُتجاوزون الحدَّ بشِركِكم.

﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢١﴾ ـ ﴿وجاءَ مِن أقصَى المَدِينةِ رَجُلٌ﴾ هو حَبيبُ النجار، كان قد آمنَ بالرُّسل ومنزلُه بأقصى البلد، ﴿يَسعَى﴾: يشتدّ عدوًا لمّا سمع بتكذيب القوم الرُّسلَ. ﴿قالَ: يا قَومِ، اتَّبِعُوا المُرسَلِينَ، اتَّبِعُوا﴾: تأكيدٌ للأول ﴿مَن لا يَسألُكُم أجرًا﴾ على رسالته، ﴿وهُم مُهتَدُونَ﴾. فقيل له: أنت على دِينهم. ﴿٢٢﴾ ـ فقال: ﴿ومالِيَ لا أعبُدُ الّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني، أي: لا مانع لي من عِبادته الموجودِ مُقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ بعد الموت، فيُجازيكم كغيركم؟ ﴿٢٣﴾ ـ ﴿أأتَّخِذُ﴾ ـ في الهمزتين منه ما تقدّم في «أأنذرتهم»، وهو استفهام بمعنى النفي ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه أصنامًا ﴿آلِهةً، إن يُرِدْنِ الرّحمنُ بِضُرٍّ لا تُغنِ عَنِّي شَفاعَتُهُم﴾ التي زعمتموها ﴿شَيئًا! ولا يُنقِذُونِ﴾؟ صفةُ: آلهة.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿إنِّي إذًا﴾، إن عبدتُ غيرَ الله، ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّن. ﴿٢٥﴾ ـ ﴿إنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُم. فاسمَعُونِ﴾ أي: اسمعوا قولي. فرجَموه فمات.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ـ ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ادخُلِ الجَنَّةَ﴾. وقيل: دخلَها حيًّا. ﴿قالَ: يا﴾: حرفُ تنبيه ﴿لَيتَ قَومِي يَعلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: بغُفرانه، ﴿وجَعَلَنِي مِنَ المُكرَمِينَ﴾.

﴿القرية﴾: أنطاكِيةَ. ﴿فعززنا بثالث﴾: فقوّيْناهُما وشددناهُما بهِ. ﴿تطيّرنا بكم﴾: تشاءمْنا بكُم. ﴿طائركم معكم﴾: شؤمُكُم كُفرُكُمُ المصاحبُ لكُم. ﴿أئن ذكّرتم﴾: أإنْ وُعِظتُم تطيَّرتُم. ﴿يسعى﴾: يُسرعُ في مشيِهِ لنصحِ قومِهِ. ﴿فطرني﴾: خلقَني وأبدعَني. ﴿لا تغن عنّي﴾: لا تدفَع عنّي.

(١) عن ابن عباسٍ قال: كانت الأنصارُ بعيدةً منازلُهم من المسجد، فأرادوا أنْ يقتربوا فنزلتْ، قال: فثَبَتوا. ابن ماجه (٧٨٥). وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، قال: كانت بنو سَلِمة في ناحية المدينة فأرادوا النُّقْلةَ إلى قربِ المسجدِ فنزلتْ هذه الآيةَ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ آثارَكم تُكتبُ فلا تَنتَقِلوا». الترمذي (٣٢٢٦) وقال: حَسَنٌ غَريبٌ. وله شاهد دون ذكر الآية من حديث جابر عند مسلم (٦٦٤) و(٦٦٥). وآخر دون ذكر الآية أيضاً من حديث أنس عند البخاري (٦٥٦) و (١٨٨٧). وقال المغيرة بن شعبة والضحاك: نزلت الآية في بني عُذرة، وكانت منازلهم بعيدةً من المسجد، وكان يشقُّ عليهم حضورُهم الجماعات، فأنزل الله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ يعني: خطاهم إلى المسجد. الثعلبي (٢٢/ ٢٥٥).

* وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
(٢٩) يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ (٣٠) أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
(٣٢) وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ (٣٤) لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ (٣٥) سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ (٣٧) وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ (٣٨) وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ (٣٩) لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ (٤٠)

الجزء ٢٣ الحزب ٤٥

(٢٨) ـ ﴿**وما**﴾: نافيةٌ ﴿**أنزلْنا على قَومِهِ**﴾ أي: حبيبَ ﴿**مِن بَعدِهِ**﴾: بعدِ موته ﴿**مِن جُندٍ مِنَ السَّماءِ**﴾ أي: ملائكةٍ لإهلاكهم، ﴿**وما كُنّا مُنزلِينَ**﴾ ملائكةً لإهلاك أحد.

(٢٩) ـ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**كانَتْ**﴾ عُقوبتُهم ﴿**إلاّ صَيحةً واحِدةً**﴾ صاح بهم جبريلُ، ﴿**فإذا هُم خامِدُونَ**﴾: ساكنون ميّتون. (٣٠) ـ ﴿**يا حَسرةً على العِبادِ**﴾ هؤلاء ونحوهم ممّن كذّبوا الرُّسلَ فأُهلكوا. وهي شِدّة التألّم ونداؤها مُجازٌ، أي: هذا أوانُكِ فاحضُري. ﴿**ما يأتيهِم مِن رَسُولٍ إلاّ كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾. مسوقٌ لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المُؤدّي إلى إهلاكهم المُسبَّبِ عنه الحسرةُ.

(٣١) ـ ﴿**ألَم يَرَوا**﴾ أي: أهلُ مكّة القائلون للنبيّ: «لَستَ مُرسَلاً» ـ والاستفهام للتقرير ـ أي: عَلِموا ﴿**كَم**﴾: خبريةٌ بمعنى: كثيرًا، معمولةٌ لِما بعدها مُعلِّقة لما قبلها عن العمل، والمعنى: أنّا ﴿**أهلَكْنا قَبلَهُم**﴾ كثيرًا ﴿**مِنَ القُرُونِ**﴾: الأُمم! ﴿**أنَّهُم**﴾ أي: المُهلكين ﴿**إلَيهِم**﴾ أي: المكّيّينَ ﴿**لا يَرجِعُونَ**﴾؟ أفلا يعتبرون بهم؟ و«أنهم» إلى آخره: بدلٌ ممّا قبله برعاية المعنى المذكور، (٣٢) ـ ﴿**وإنْ**﴾: نافية أو مخفّفة ﴿**كُلٌّ**﴾ أي: كُلّ الخلائق: مبتدأٌ ﴿**لَمّا**﴾ بالتشديد بمعنى: إلاّ، وبالتخفيف فاللام: فارقة وما: مزيدة، ﴿**جَميعٌ**﴾: خبرُ المبتدأ أي: مجموعون ﴿**لَدَينا**﴾: عِندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿**مُحضَرُونَ**﴾ للحِساب: خبرٌ ثانٍ.

(٣٣) ـ (٣٤) ـ ﴿**وآيَةٌ لَهُمُ**﴾ على البعث: خبرٌ مُقدّم ﴿**الأرضُ المَيْتَةُ**﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿**أحيَيناها**﴾ بالماء: مبتدأٌ، ﴿**وأخرَجْنا مِنها حَبًّا**﴾ كالحِنطة ـ ﴿**فمِنهُ يأكُلُونَ ـ وجَعَلْنا فِيها جَنّاتٍ**﴾: بساتينَ ﴿**مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ، وفَجَّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ**﴾ أي: بعضَها، (٣٥) ـ ﴿**لِيأكُلُوا مِن ثَمَرِهِ**﴾ ـ بفتحتين وبضمّتين ـ أي: ثمر المذكور من النخيل والأعناب وغيرهما، ﴿**وما عَمِلَتْهُ أيدِيهِم**﴾ أي: لم تعملِ الثمرَ. ﴿**أفلا يَشكُرُونَ**﴾ أنعُمَه ـ تعالى ـ عليهم؟ (٣٦) ـ ﴿**سُبحانَ الَّذي خَلَقَ الأزواجَ**﴾: الأصناف ﴿**كُلَّها، مِمّا تُنبِتُ الأرضُ**﴾ من الحُبوب وغيرها، ﴿**ومِن أنفُسِهِم**﴾ من الذُّكور والإناث، ﴿**ومِمّا لا يَعلَمُونَ**﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة!

(٣٧) ـ ﴿**وآيَةٌ لَهُمُ**﴾ على القُدرةِ العظيمةِ ﴿**اللَّيلُ، نَسلَخُ**﴾: نفصِل ﴿**مِنهُ النَّهارَ، فإذا هُم مُظلِمُونَ**﴾: داخلون في الظلام، (٣٨) ـ ﴿**والشَّمسُ تَجري**﴾ إلى آخره: من جملة الآية لهم، أو آيةٌ أُخرى، والقمرُ كذلك، ﴿**لِمُستَقَرٍّ لَها**﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: جريها ﴿**تَقدِيرُ العَزيزِ**﴾ في مُلكه ﴿**العَلِيمِ**﴾ بخلقه ـ (٣٩) ـ ﴿**والقَمَرُ**﴾، بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يُفسّره ما بعده، ﴿**قَدَّرْناهُ**﴾ من حيث سيرُه ﴿**مَنازِلَ**﴾ ثمانية وعشرين مَنزلاً في ثمان وعشرين ليلةً من كُلّ شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يومًا، ﴿**حَتّى عادَ**﴾ في آخر منازله في رأيِ العين ﴿**كالعُرجُونِ القَدِيمِ**﴾ أي: كعُود الشَّماريخ، إذا عتَق فإنه يَدِقُّ ويتقوّس ويصفرّ، (٤٠) ـ ﴿**لا الشَّمسُ يَنبَغِي**﴾: يسهُل ﴿**لَها أن تُدرِكَ القَمَرَ**﴾ فتجتمعَ معه في الليل، ﴿**ولا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ**﴾ فلا يأتي قبل انقضائه، ﴿**وكُلٌّ**﴾ ـ تنوينه عِوَض من المضاف إليه، أي: الشمسِ والقمر والنجوم ـ ﴿**في فَلَكٍ**﴾: مُستدير ﴿**يَسبَحُونَ**﴾: يسيرون. نُزّلوا منزلةَ العُقلاء.

﴿صيحة واحدة﴾: صوتاً مُهلكاً مِنَ السَّماءِ. ﴿خامدون﴾: مَيِّتونَ كما تخمدُ النَّارُ. ﴿يا حسرة﴾: يا وَيْلاً. أو يا تَنَدُّماً. ﴿كم أهلكنا﴾: كثيراً أهلكْنا. ﴿القرون﴾: الأممِ. ﴿لمّا جميع﴾: إلَّا مجموعونَ. ﴿مُحضرون﴾: نحضرُهُم للحسابِ والجزاءِ. ﴿فجّرنا فيها﴾: شققْنا في الأرضِ. ﴿خلق الأزواج﴾: الأصنافَ والأنواعَ. ﴿نسلخ منه النّهار﴾: ننزعُ مِن مكانِهِ الضَّوْءَ. ﴿قدّرناه منازل﴾: قدَّرْنا سيرَهُ في منازلَ ومسافاتٍ. ﴿كالعرجون القديم﴾: كعودِ عِذْقِ النَّخلةِ العتيقِ. ﴿ولا اللّيل﴾: ولا آيةُ اللَّيلِ (القمر). ﴿سابق النّهار﴾: سابقٌ آيةَ النَّهارِ (الشَّمس). ﴿يسبحون﴾: يسيرونَ بانبساطٍ أو يدورونَ.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿٤١﴾ ـ ﴿وآيةٌ لَهُم﴾ على قُدرتنا ﴿أنّا حَمَلْنا ذُرِّيّتَهُم﴾ ـ وفي قراءةٍ: «ذُرِّيّاتِهِم» ـ أي: آباءهم الأصول، ﴿في الفُلكِ﴾ أي: سفينة نُوح ﴿المَشحُونِ﴾: المملوء، ﴿٤٢﴾ ـ ﴿وخَلَقْنا لَهُم مِن مِثلِهِ﴾ أي: مِثلِ فُلك نُوح ـ وهو ما عملوه على شكله من السُّفن الصغار والكبار بتعليم الله ـ تعالى ـ ﴿ما يَركَبُونَ﴾ فيه، ﴿٤٣﴾ ـ ﴿وإن نَشَأْ نُغرِقْهُم﴾ مع إيجاد السُّفن، ﴿فلا صَرِيخَ﴾: مُغيثَ ﴿لَهُم، ولا هُم يُنقَذُونَ﴾: يُنجَون، ﴿٤٤﴾ ـ ﴿إلاّ رَحْمةً مِنّا ومَتاعًا إلَى حِينٍ﴾ أي: لا نُنجيهم[1] إلاّ لرحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذّاتهم إلى انقضاء آجالهم.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ: اتَّقُوا ما بَينَ أيدِيكُم﴾ من عذاب الدنيا كغيركم ﴿وما خَلفَكُم﴾ من عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾. أعرضوا، ﴿٤٦﴾ ـ ﴿٤٧﴾ ـ ﴿وما تأتِيهِم مِن آيةٍ مِن آياتِ رَبِّهِم إلاّ كانُوا عَنها مُعرِضِينَ، وإذا قِيلَ﴾ أي: قال فُقراء الصحابة ﴿لَهُم: أنفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الأموال، ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاءً بهم[2]: ﴿أنُطعِمُ مَن لَو يَشاءُ اللهُ أطعَمَهُ﴾ في مُعتقدكم[3]؟ ﴿إنْ﴾: ما ﴿أنتُم﴾ في قولكم لنا ذلك مع مُعتقدكم هذا ﴿إلاّ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن. وللتصريح بكُفرهم موقعٌ عظيم.

سكتة لطيفة على الألف

﴿٤٨﴾ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ﴾ بالبعث، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟ ﴿٤٩﴾ ـ قال تعالى: ﴿ما يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إلاّ صَيحةً واحِدةً﴾، وهي نفخة إسرافيلَ الأُولى، ﴿تأخُذُهُم وهُم يَخَصِّمُونَ﴾ ـ بالتشديد أصله «يَختَصِمُونَ»، نُقلتْ حركة التاء إلى الخاء وأُدغمت في الصاد، أي: وهم في غفلة عنها بتخاصُم وتبايُع وأكل وشرب وغير ذلك. وفي قراءة: «يَخْصِمُون» كيَضْرِبُونَ، أي: يخصِم بعضُهم بعضًا ـ ﴿٥٠﴾ ـ ﴿فلا يَستَطِيعُونَ تَوصِيةً﴾ أي: أن يُوصُوا، ﴿ولا إلَى أهلِهِم يَرجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها.

﴿٥١﴾ ـ ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ ـ هو قرنٌ ـ النفخةَ الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فإذا هُم﴾ أي: المقبورون ﴿مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿إلَى رَبِّهِم يَنسِلُونَ﴾: يخرجون بسرعة. ﴿٥٢﴾ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: الكُفّار منهم: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا ـ وهو مصدر لا فِعل له من لفظه ـ ﴿مَن بَعَثَنا مِن مَرقَدِنا﴾؟ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين، لم يُعذّبوا. ﴿هذا﴾ أي: البعث ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿الرَّحمنُ، وصَدَقَ﴾ فيه ﴿المُرسَلُونَ﴾. أقرّوا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: يقال لهم ذلك. ﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿كانَت إلاّ صَيحةً واحِدةً، فإذا هُم جَمِيعٌ لَدَينا﴾: عِندنا ﴿مُحضَرُونَ. فاليَومَ لا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا! ولا تُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كُنتُم تعمَلُونَ﴾.

﴿ذرّيّتهم﴾: أولادَهُم وضعفاءَهُم. ﴿المشحون﴾: المملوءِ. ﴿فلا صريخ لهم﴾: فلا مغيثَ لهُم مِنَ الغَرَقِ. ﴿صيحة واحدة﴾: نفخةَ الموتِ. ﴿هم يخِصّمون﴾: يختَصِمونَ في أمورِهِم غافلينَ. ﴿نفخ في الصّور﴾: نفخة البَعْثِ. ﴿الأجداث﴾: القبورِ... ﴿ينسلون﴾: يُسرعونَ في الخروجِ. ﴿صيحة واحدة﴾: نفخة البعثِ. ﴿مُحضرون﴾: نحضِرُهُم للحسابِ والجزاءِ.

(١) هذا حاصِلُ المعنى، والتَّقديرُ: أي: لا ينجونَ لجهةٍ إلاّ لرحمةٍ منّا وتَمتيعٍ بالحياةِ. (الجمالين).

(٢) أو إيماءً بأنَّ اللهَ لمّا كانَ قادراً أن يطعمَهُم ولم يطعمْهُم فنحنُ أحَقُّ بذلك؛ أي: فمَن لم يرزقْهُ اللهُ مع قُدرَتِهِ لا نعطيهِ؛ لنوافِقَ مشيئةَ اللهِ، وهذا من فَرْطِ جهالَتِهِم، فإنَّ اللهَ يُطْعِمُ بأسبابٍ: منها حثُّ الأغنياءِ على إطعامِ الفقراءِ وتوفيقُهِم له. (الجمالين).

(٣) هذا يشيرُ إلى أنَّ الكفَّارَ معطِّلةٌ كانوا بمكّةَ، وقولُهُم هذا تهكُّمٌ بهم من إقرارِهِم بالصَّانعِ وتعليقِهِمُ الأمرَ بمشيئتِهِ. (الجمالين).

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا
الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ
أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ
اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾
الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ
فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٥٥﴾ ـ ﴿إنَّ أصحابَ الجَنّةِ اليومَ في شُغْلٍ﴾ ـ بسكون الغين وضمّها ـ عمّا فيه أهل النار ممّا يتلذّذون به كافتضاض الأبكارِ، لا شُغلٍ يتعبون فيه لأنّ الجنّة لا نصبَ فيها، ﴿فاكِهُونَ﴾: ناعِمون، خبرٌ ثانٍ لـ«إنّ»، والأوّل: في شُغل،

﴿٥٦﴾ ـ ﴿هُم﴾: مبتدأ ﴿وأزواجُهُم في ظِلالٍ﴾: جمع ظُلّة أو ظِلّ، خبرٌ، أي: لا تُصيبُهم الشمس، ﴿علَى الأرائِكِ﴾: جمع أريكة ـ وهو السريرُ في الحَجَلة، أو الفرشُ فيها ـ ﴿مُتّكِئُونَ﴾: خبرٌ ثانٍ مُتعلّقٌ «على»،

﴿٥٧﴾ ـ ﴿لَهُم فِيها فاكِهةٌ، ولَهُم﴾ فيها ﴿ما يَدَّعُونَ﴾: يتمنَّون،

﴿٥٨﴾ ـ ﴿سَلامٌ﴾: مبتدأ ﴿قولاً﴾ أي: بالقول، خبرُه: ﴿مِن رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ بهم، أي: يقول لهم: سلام عليكم.

﴿٥٩﴾ ـ ﴿و﴾ يقول: ﴿امتازُوا اليومَ، أيُّها المُجرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين. عِند اختلاطهم بهم. ﴿٦٠﴾ ـ ﴿ألَم أعهَدْ إلَيكُم﴾: آمُرْكم ـ ﴿يا بَنِي آدَمَ﴾ ـ على لِسان رُسلي: ﴿أن لا تَعبُدُوا الشَّيطانَ﴾: لا تُطيعوه ـ ﴿إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ العداوة ـ ﴿٦١﴾ ـ ﴿٦٢﴾ ـ ﴿وأنِ اعبُدُونِي﴾: وحِّدوني وأطيعوني. ﴿هذا صِراطٌ﴾: طريق ﴿مُستقِيمٌ﴾؟ ﴿ولَقَد أضَلَّ مِنكُم جُبُلاً﴾: خَلقًا جمعُ جَبيل كقَديم ـ وفي قراءة بضمّ الباء ـ ﴿كَثِيرًا. أفلَم تكُونُوا تَعقِلُونَ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما حلّ بهم من العذاب، فتؤمنون؟ ويقال لهم في الآخرة: ﴿٦٣﴾ ـ ﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ﴾ بها. ﴿٦٤﴾ ـ ﴿٦٥﴾ ـ ﴿اصلَوها اليومَ بما كُنتُم تكفُرُونَ. اليومَ نَختِمُ علَى أفواهِهِم﴾ أي: الكُفّارِ، لقولهم: «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ»، ﴿وتُكَلِّمُنا أيدِيهِم وتَشهَدُ أرجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾. فكُلّ عُضو ينطِق بما صدر منه.

﴿٦٦﴾ ـ ﴿ولَو نَشاءُ لَطَمَسنا علَى أعيُنِهِم﴾: لأعمَيناهم طمْسًا، ﴿فاستَبَقُوا﴾: ابتدروا ﴿الصِّراطَ﴾: الطريق ذاهبين كعادتهم، ﴿فأنّى﴾: فكيف ﴿يُبصِرُونَ﴾ حينئذٍ؟ أي: لا يبصرون، ﴿٦٧﴾ ـ ﴿ولَو نَشاءُ لَمَسَخناهُم﴾ قِردةً وخنازير أو حِجارة ﴿علَى مَكانَتِهِم﴾ ـ وفي قراءة: «مَكاناتِهِم» جمع مكانة بمعنى مكان ـ أي: في منازلهم، ﴿فما استَطاعُوا مُضِيًّا ولا يَرجِعُونَ﴾ أي: لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء،

﴿٦٨﴾ ـ ﴿ومَن نُعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نَنكُسْهُ﴾ ـ وفي قراءة: «نُنَكِّسْهُ» بالتشديد من التنكيس ـ ﴿في الخَلقِ﴾ أي: خلقِه، فيكون بعد قُوّته وشبابه ضعيفًا وهرِمًا. ﴿أفلا يَعقِلُونَ﴾ أنّ القادر على ذلك المعلوم عِندهم قادر على البعث، فيُؤمنون؟ وفي قراءة بالتاء.

﴿٦٩﴾ ـ ﴿وما علَّمْناهُ﴾ أي: النبيَّ ﴿الشِّعرَ﴾، ردٌّ لقولهم: «إنّ ما أتى به من القرآن شِعرٌ»، ﴿وما يَنبَغِي﴾ يتسهّل ﴿لَهُ﴾ الشِّعرُ. ﴿إنْ هُوَ﴾: ليس الذي أتى به ﴿إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة، ﴿وقُرآنٌ مُبِينٌ﴾: مُظهِرٌ للأحكام وغيرها، ﴿٧٠﴾ ـ ﴿لِيُنذِرَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ به ﴿مَن كانَ حَيًّا﴾ يعقِل ما يُخاطَب به وهم المؤمنون، ﴿ويَحِقَّ القَولُ﴾ بالعذاب ﴿علَى الكافِرِينَ﴾، وهم كالميتين لا يعقلون ما يُخاطَبون به.

﴿شُغُلٍ﴾: نعيمٍ عظيمٍ يُلهيهِمْ عمَّا سِواهُ. ﴿فاكهون﴾: مُتلذِّذونَ. أو فَرِحونَ. ﴿الأرائك﴾: السُّررِ في الحِجالِ (جمعِ حَجَلةٍ مُحرَّكة ـ بيتٍ يزيَّنُ بالثِّيابِ والأسرَّةِ والسُّتورِ). ﴿لهم ما يدّعون﴾: ما يتمنَّونَهُ أو ما يطلبونَهُ. ﴿امتازوا﴾: تميَّزوا وانفردوا عنِ المؤمنينَ. ﴿أعْهَدْ إليكم﴾: أوصِكُمْ. أو أكلِّفْكُمْ. ﴿جِبِلًّا﴾: خلقاً. أو جماعةً عظيمةً. ﴿اصلوها﴾: ادخلوها. أو قاسوا حرَّها. ﴿لطمسنا﴾: لصيَّرْناها ممسوحةً لا يُرى لها شقٌّ. ﴿فاستبقوا الصّراط﴾: ابْتَدروا الطَّريقَ ليَجتازوهُ. ﴿فأنّى يبصرون؟﴾: فكيفَ يُبصرونَ الطَّريقَ؟. ﴿على مكانتهم﴾: في مكانِ معاصيهِمْ. ﴿من نعمّره﴾: نطِلْ عُمُرَهُ. ﴿ننكّسه في الخلق﴾: نرُدَّهُ إلى أرذلِ العمرِ.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الصافات

(٧١) ـ ﴿**أَوَلَم يَرَوا**﴾: يعلموا ـ والاستفهام للتقرير والواو للعطف ـ ﴿**أنّا خَلَقْنا لَهُم**﴾ في جُملة الناس، ﴿**مِمَّا عَمِلَتْ أيدِينا**﴾ أي: عمِلْناه بلا شريك ولا مُعين، ﴿**أنعامًا**﴾ هي الإبل والبقر والغنم ـ ﴿**فهُم لَها مالِكُونَ**﴾: ضابطون ـ (٧٢) ـ (٧٣) ـ ﴿**وذَلَّلْناها**﴾: سخّرناها ﴿**لَهُم، فمِنها رَكُوبُهُم**﴾: مركوبهم ﴿**ومِنها يأكُلُونَ، ولَهُم فِيها مَنافِعُ**﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿**ومَشارِبُ**﴾ من لبنها: جمعُ مَشرَب بمعنى شُربٍ أو موضعِه؟ ﴿**أفلا يَشكُرُونَ**﴾ المُنعِم عليهم بها فيُؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

(٧٤) ـ ﴿**واتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرَه أصنامًا ﴿**آلِهَةً**﴾ يعبدونها، ﴿**لَعَلَّهُم يُنصَرُونَ**﴾: يُمنعون من عذاب الله بشفاعة آلهتهم بزعمهم. (٧٥) ـ ﴿**لا يَستَطِيعُونَ**﴾ أي: آلهتُهم ـ نُزّلوا منزلةَ العقلاء ـ ﴿**نَصْرَهُم، وهُم**﴾ أي: آلهتُهم من الأصنام ﴿**لَهُم جُندٌ**﴾ بزعمهم نصرَهم، ﴿**مُحضَرُونَ**﴾ في النار معهم. (٧٦) ـ ﴿**فلا يَحزُنْكَ قَولُهُم**﴾ لك: «لَستَ مُرسَلاً» وغيرَ ذلك. ﴿**إنّا نَعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ**﴾ من ذلك وغيره فنُجازيهم عليه.

(٧٧) ـ ﴿**أوَلَم يَرَ الإنسانُ**﴾ يعلمْ ـ وهو العاصِ بنُ وائل[1] ـ ﴿**أنّا خَلَقْناهُ مِن نُطْفَةٍ**﴾ مَنِيٍّ إلى أن صيّرناه شديدًا قويًّا، ﴿**فإذا هُوَ خَصِيمٌ**﴾: شديد الخُصومة لنا ﴿**مُبِينٌ**﴾: بيِّنُها في نفي البعث؟ (٧٨) ـ ﴿**وضَرَبَ لَنا مَثَلاً**﴾ في ذلك، ﴿**ونَسِيَ خَلْقَهُ**﴾ من المَنِيِّ، وهو أغرب من مَثَله، ﴿**قالَ: مَن يُحيِي العِظامَ، وهْيَ رَمِيمٌ**﴾ أي: بالية؟ ولم يقل بالتاء لأنه اسم لا صِفة. رُوي أنه أخذ عظمًا رميمًا ففتّته، وقال للنبيّ: أتَرى يُحيي اللهُ هذا بعدَ ما بَلِيَ ورَمَّ؟ فقال ﷺ: «نَعَم ويُدخِلُكَ النّارَ».

(٧٩) ـ ﴿**قُلْ: يُحيِيها الَّذِي أنشَأَها أوَّلَ مَرّةٍ، وهْوَ بِكُلِّ خَلقٍ**﴾ أي: مخلوق ﴿**عَلِيمٌ**﴾ مُجمَلاً ومُفصَّلاً قبل خلقه وبعد خلقه، (٨٠) ـ ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُم**﴾ في جُملة الناس ﴿**مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ**﴾: المَرْخ والعَفار أو كُلّ الشجر إلاّ العُنّاب ﴿**نارًا، فإذا أنتُم مِنهُ تُوقِدُونَ**﴾: تَقدحون. وهذا دالّ على القُدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماءُ يُطفئ النار، ولا النارُ تُحرق الخشب. (٨١) ـ ﴿**أوَلَيسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ**﴾ مع عِظَمهما ﴿**بِقادِرٍ عَلَى أن يَخلُقَ مِثلَهُم**﴾ أي: الأناسيّ في الصِّغر؟ ﴿**بَلَى**﴾ أي: هو قادر على ذلك ـ أجاب نفسَه ـ ﴿**وهْوَ الخَلّاقُ**﴾: الكثير الخلق ﴿**العَلِيمُ**﴾ بكُلّ شيء. (٨٢) ـ ﴿**إنَّما أمرُهُ**﴾: شأنه، ﴿**إذا أرادَ شَيئًا**﴾ أي: خَلْقَ شيء، ﴿**أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ**﴾، أي: فهو يكون. وفي قراءة بالنصب عطفًا على «يقولَ». (٨٣) ـ ﴿**فسُبحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ**﴾: مُلكُ، زيدت الواو والتاء للمبالغة، أي: القُدرةُ على ﴿**كُلِّ شَيءٍ، وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾: تُردُّون في الآخرة!

***

﴿ذلّلناها لهم﴾: صيَّرناها مسخَّرةً مُنقادةً لهُم. ﴿و هم لهم جند مُحضرون﴾: والأصنامُ جُندٌ مُعَدُّونَ للكفّارِ نحضِرهُم معهُم في النّارِ لعذابِهِم. ﴿هو خصيم﴾: مُبالغٌ في الخصومةِ بالباطلِ. ﴿هي رميم﴾: باليةٌ أشدَّ البلى. ﴿بلى﴾: هوَ قادرٌ على خلقِ مثلِهم. ﴿ملكوت﴾: هوَ المُلْكُ التّامُّ.

(١) رواه الطبري (١٩/ ٤٨٧) عن سعيد بن جبير، والحاكمُ (٣٦٠٦) وصححه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيًّا بعدما أَرَمَّ؟ قال: «نَعَم يَبعثُ اللهُ هذا، ثُمَّ يُميتُكَ ثُم يُحييكَ، ثُم يُدخلُك نار جَهَنَّم» قال: ونزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾. ورواه عبد الرزاق (٢/ ١٤٦)، والطبري (١٩/ ٤٨٦)، عن قتادة بذكر أبي بن خلف بدل العاص. وهكذا رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٨٢ ـ تكملة التفسير) عن أبي مالكٍ، وابنُ أبي حاتم (١٠/ ٣٢٠٢) عن مجاهدٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا (٣) إِنَّ
إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلۡمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ (٦) وَحِفۡظٗا
مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٖ (٨) دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنۡ خَطِفَ
ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ (١٠) فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم
مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ (١١) بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ
(١٢) وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ (١٤)
وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ (١٦) أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ (١٧) قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ
(١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا
هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١)
۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ (٢٤)

٣٧

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكية، مِائَةٌ واثنتانِ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والصّافّاتِ صَفًّا﴾: الملائكةِ تصُفّ نُفوسَها في العِبادة أو أجنحتَها في الهواء، تنتظر ما تُؤمر به، (٢) ـ ﴿فالزّاجِراتِ زَجرًا﴾: الملائكةِ تَزجرُ السحاب، أي: تسوقه، (٣) ـ ﴿فالتّالِياتِ﴾: جماعةِ قُرّاءِ القُرآن تتلوه ﴿ذِكرًا﴾: مصدرٌ من معنى: التاليات، (٤) ـ (٥) ـ ﴿إنَّ إلٰهَكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿لَواحِدٌ، رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، ورَبُّ المَشارِقِ﴾ أي: والمغاربِ للشمس، لها كُلَّ يوم مشرِق ومغرِب. (٦) ـ ﴿إنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِزِينَةِ الكَواكِبِ﴾ أي: بضوئها أو بها ـ والإضافةُ للبيان، كقراءة تنوين «زينةٍ» المُبيَّنةِ بـ «الكواكب» ـ (٧) ـ ﴿وحِفظًا﴾: منصوبٌ بفعل مقدّر أي: حفظناها بالشهب ﴿مِن كُلِّ﴾: مُتعلّقٌ بالمقدّر ﴿شَيطانٍ مارِدٍ﴾: عاتٍ خارج عن الطاعة.

ربع الحزب ٤٥

(٨) ـ ﴿لا يَسْمَعُونَ﴾ أي: الشياطينُ ـ مستأنف، وسَماعهم هو في المعنى: المحفوظُ عنه ـ ﴿إلَى المَلَإِ الأعلَى﴾: الملائكة في السماء ـ وعُدِّيَ السَّماع بـ «إلى» لتضمّنه معنى الإصغاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله «يَتَسَمَّعُونَ» أُدغمت التاء في السين ـ ﴿ويُقذَفُونَ﴾ أي: الشياطينُ بالشُّهب ﴿مِن كُلِّ جانِبٍ﴾ من آفاق السماء، (٩) ـ ﴿دُحُورًا﴾: مصدرُ: دَحَرَه، أي: طرَده وأبعده، وهو مفعول له، ﴿ولَهُم﴾ في الآخرة ﴿عَذابٌ واصِبٌ﴾: دائم، (١٠) ـ ﴿إلاّ مَن خَطِفَ الخَطْفَةَ﴾ مصدرٌ أي: المرّةَ ـ والاستثناء من ضمير «يسمعون» ـ أي: لا يسمع إلاّ الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة، ﴿فأتبَعَهُ شِهابٌ﴾: كوكب مضيء ﴿ثاقِبٌ﴾: يَثقبُه أو يُحرقه أو يُخبّله.

(١١) ـ ﴿فاستَفتِهِم﴾: استخبرْ كُفّار مكّة تقريرًا أو توبيخًا: ﴿أهُم أشَدُّ خَلقًا أم مَن خَلَقْنا﴾ من الملائكة والسماوات والأرَضِينَ وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ «مَن» تغليبُ العقلاء. ﴿إنّا خَلَقْناهُم﴾ أي: أصلَهم آدمَ ﴿مِن طِينٍ لازِبٍ﴾: لازم يلصق باليد. المعنى أنّ خلقهم ضعيف، فلا يتكبّروا بإنكارِ النبيّ والقُرآن المؤدّي إلى هلاكهم اليسير.

(١٢) ـ ﴿بَل﴾: للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم، ﴿عَجِبتَ﴾ ـ بفتح التاء خِطابًا للنبيّ ـ أي: من تكذيبهم إياك، ﴿و﴾ هم ﴿يَسخَرُونَ﴾ مِن تعجّبك، (١٣) ـ ﴿وإذا ذُكِّرُوا﴾: وُعظوا بالقُرآن ﴿لا يَذكُرُونَ﴾: لا يتّعظون، (١٤) ـ ﴿وإذا رأَوا آيَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَستَسخِرُونَ﴾: يستهزئون بها، (١٥) ـ ﴿وقالُوا﴾ فيها: ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ سِحرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنٌ. وقالوا منكرين للبعث: (١٦) ـ ﴿أإذا مُتنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾ ـ في الهمزتين في الموضعين التحقيقُ، وتسهيلُ الثانية، وإدخالُ ألف بينهما على الوجهين ـ (١٧) ـ ﴿أوَ آباؤُنا الأوَّلُونَ﴾؟ بسكون الواو عطفًا بـ «أو»، وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطفُ بالواو. والمعطوف عليه محلّ «إن» واسمِها، أو الضميرُ في «لمبعوثون» والفاصل همزة الاستفهام.

(١٨) ـ ﴿قُلْ: نَعَم﴾ تُبعثون، ﴿وأنتُم داخِرُونَ﴾: صاغرون. (١٩) ـ ﴿فإنَّما هِيَ﴾: ضميرٌ مُبهم يُفسّره ﴿زَجرَةٌ﴾ أي: صيحة ﴿واحِدَةٌ، فإذا هُم﴾ أي: الخلائق أحياءٌ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفعل بهم، (٢٠) ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: الكُفّار: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. وهو مصدر لا فِعل له من لفظه. وتقول لهم الملائكة: ﴿هذا يَومُ الدِّينِ﴾ أي: الحِسابِ والجزاء، (٢١) ـ ﴿هذا يَومُ الفَصلِ﴾ بين الخلائق، ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

(٢٢) ـ (٢٣) ـ ويقال للملائكة: ﴿احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفُسَهم بالشِّرك ﴿وأزواجَهُم﴾: قُرناءهم من الشياطين، ﴿وما كانُوا يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الأوثان، ﴿فاهدُوهُم﴾: دُلّوهم وسوقوهم ﴿إلَى صِراطِ الجَحِيمِ﴾: طريق النار، (٢٤) ـ ﴿وقِفُوهُم﴾: احبِسوهم عِند الصِّراط. ﴿إنَّهُم مَسؤُولُونَ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم. ويقال لهم توبيخًا: ....

﴿و الصّافات صفّاً﴾: قَسَمٌ بالجماعاتِ تصطفُّ للعبادةِ. ﴿فالزّاجرات زجراً﴾: تزْجرُ عنِ المعاصي بالأقوالِ والأفعالِ. ﴿فالتّاليات ذِكراً﴾: تتلو آياتِ اللهِ للعلمِ والتَّعليمِ. ﴿إنّ إلهكم لواحد﴾: جوابُ القسمِ. ﴿شيطان مارد﴾: متمرِّدٌ خارجٌ عنِ الطَّاعةِ. ﴿يقذفون﴾: يُرْجمونَ. ﴿دحوراً﴾: إبعاداً وطرداً. ﴿عذابٌ واصبٌ﴾: دائمٌ لا ينْقطعُ. ﴿خَطِف الخطفة﴾: اختلسَ الكلمةَ مُسارقةً بسرعةٍ. ﴿شهاب﴾: ما يرى كالكوكبِ منقضّاً مِنَ السَّماءِ. ﴿ثاقبٌ﴾: مُضيءٌ. أو مُحْرِقٌ. ﴿طين لازب﴾: ملتزِقٌ بَعْضُهُ ببَعضٍ. ﴿ويسخرون﴾: وهم يَهزؤونَ بتعَجُّبِكَ. ﴿يستسخِرون﴾: يُبالِغونَ في سُخْرِيَتِهِمْ. ﴿أنتم داخرون﴾: صاغِرونَ أذلّاءُ. ﴿زجْرَة واحدة﴾: صيحةٌ واحدةٌ «نَفخةُ البَعثِ». ﴿ياويْلنا﴾: يا هلاكَنا احضُرْ. ﴿يوم الدّين﴾: يومُ الجَزاءِ والحساب. ﴿أزواجَهم﴾: أشباهَهُم. أو قُرناءَهُمْ. ﴿قِفوهم﴾: احبسوهُم في موقفِ الحساب.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

(٢٥) ـ ﴿مالكُم لا تَناصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضًا، كحالكم في الدنيا؟ ويقال عنهم: (٢٦) ـ ﴿بَل هُمُ اليومَ مُستسلِمُونَ﴾: منقادون أذِلاّء.

(٢٧) ـ ﴿وأقبَلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ﴾: يتلاومون ويتخاصمون.

(٢٨) ـ ﴿قالُوا﴾ أي: الأتباعُ منهم للمتبوعين: ﴿إنَّكُم كُنتُم تأْتُونَنا عَنِ اليَمِينِ﴾: عن الجِهة التي كنّا نأمنكم منها بحَلِفِكم إنكم على الحقّ، فصدّقناكم واتّبعناكم. المعنى: إنكم أضللتمُونا. (٢٩) ـ ﴿قالُوا﴾ أي: المتبوعون لهم: ﴿بَل لَم تَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾ ـ وإنما يَصدق الإضلالُ منّا أن لو كنتم مؤمنين، فرجَعتم عن الإيمان إلينا ـ (٣٠) ـ ﴿وما كانَ لَنا علَيكُم مِن سُلطانٍ﴾: قُوّة وقُدرة تقهركم على مُتابعتنا، ﴿بَل كُنتُم قَومًا طاغِينَ﴾: ضالّين مِثلَنا، (٣١) ـ ﴿فحَقَّ﴾: وجب ﴿علَينا﴾ جميعًا ﴿قَولُ رَبِّنا﴾ بالعذاب، أي قوله: «لأَملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنّةِ والنّاسِ أجمَعِينَ» ـ ﴿إنّا﴾ جميعًا ﴿لَذائقُونَ﴾ العذابَ بذلك القول ـ ونشأ عنه قولُهم: (٣٢) ـ ﴿فأغوَيناكُم﴾ المُعلَّلُ بقولهم: ﴿إنّا كُنّا غاوِينَ﴾.

(٣٣) ـ قال تعالى: ﴿فإنَّهُم يومَئذٍ﴾: يومَ القيامةِ ﴿في العَذابِ مُشترِكُونَ﴾ أي: لِاشتراكهم في الغَواية. (٣٤) ـ ﴿إنّا كَذلِكَ﴾: كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفعَلُ بالمُجرِمِينَ﴾ غيرِ هؤلاء، أي: نُعذّبهم التابعَ منهم والمتبوع. (٣٥) ـ (٣٦) ـ ﴿إنَّهُم﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده، ﴿كانُوا إذا قِيلَ لَهُم: لا إلـٰـهَ إلاّ اللهُ. يَستكبِرُونَ، ويَقُولُونَ: أإنّا﴾ ـ في همزتيه ما تقدّم ـ ﴿لَتارِكُو آلِهتِنا لِشاعِرٍ مَجنُونٍ﴾ أي: لِأجل قول مُحمّد؟ (٣٧) ـ قال تعالى: ﴿بَل جاءَ بِالحَقِّ وصَدَّقَ المُرسَلِينَ﴾ الجائين به. وهو قول: لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ.

(٣٨) ـ (٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿إنَّكُم﴾ ـ فيه التفات ـ ﴿لَذائقُو العَذابِ الأليمِ، وما تُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كُنتُم تَعمَلُونَ، إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناءٌ منقطع، أي: ذُكِرَ جزاؤهم في قوله: (٤١) ـ ﴿أُولئكَ لَهُم﴾ في الجنّة ﴿رِزقٌ مَعلُومٌ﴾ بُكرةً وعشيًّا، (٤٢) ـ ﴿فَواكِهُ﴾: بدلٌ أو بيانٌ للزرق ـ وهو ما يُؤكل تلذّذًا لا لِحِفظ صِحّة لأنّ أهل الجنّة مُستغنون عن حِفظها بخلق أجسامهم للأبد ـ ﴿وهُم مُكرَمُونَ﴾ بثواب الله (٤٣) ـ (٤٤) ـ ﴿في جَنّاتِ النَّعِيمِ، علَى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾: لا يَرى بعضهم قفا بعض.

(٤٥) ـ ﴿يُطافُ علَيهِم﴾: على كُلّ منهم ﴿بِكأسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِن مَعِينٍ﴾: من خمرٍ تجري على وجه الأرض كأنهار الماء، (٤٦) ـ ﴿بَيضاءَ﴾ أشدَّ بياضًا من اللبن ﴿لَذّةٍ﴾: لذيذة ﴿لِلشّارِبِينَ﴾، بخِلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب، (٤٧) ـ ﴿لا فِيها غَولٌ﴾: ما يَغتال عُقولهم ﴿ولا هُم عَنها يُنزَفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسرها من: نُزِفَ الشاربُ وأنزفَ ـ أي: يَسكرون بخِلاف خمر الدنيا، (٤٨) ـ ﴿وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: حابساتُ الأعين على أزواجهنّ، لا ينظرْن إلى غيرهم لِحُسنهم عندهنّ، ﴿عِينٌ﴾: ضِخامُ الأعيُنِ حِسانُها، (٤٩) ـ ﴿كأنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيضٌ﴾ للنعام ﴿مَكنُونٌ﴾: مستور بريشه لا يصل إليه غُبار، ولونه ـ وهو البياض في صُفرة ـ أحسنُ ألوان النساء.

(٥٠) ـ ﴿فأقبَلَ بَعضُهُم﴾: بعضُ أهل الجنّة ﴿علَى بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ﴾ عمّا مرّ بهم في الدنيا. (٥١) ـ ﴿قالَ قائلٌ مِنهُم: إنِّي كانَ لِي قَرِينٌ﴾: صاحبٌ يُنكر البعثَ، ....

﴿عن اليمين﴾: مِن جهةِ الدِّينِ فتصدُّونَنا عنهُ. ﴿قوماً طاغين﴾: مُجاوزينَ الحدَّ في العصيانِ. ﴿فحقّ علينا﴾: ثبتَ ووجبَ علينا. ﴿فأغويناكم﴾: فدعوْناكُم إلى الغيِّ فاستجبْتُم. ﴿المخلصين﴾: الَّذينَ أخلصَهُمُ اللهُ لطاعتِهِ. ﴿بكأسٍ﴾: بخمرٍ. أو بقدحٍ فيهِ خمرٌ. ﴿مِنْ مَعين﴾: مِن شرابٍ نابعٍ مِنَ العيونِ. ﴿لا فيها غوْلٌ﴾: ليسَ فيها ضررٌ ما كخمرِ الدُّنيا. ﴿عنها يُنزفون﴾: بسببِها يسكرونَ وتُنزعُ عقولهُم. ﴿قاصرات الطّرف﴾: حورٌ لا ينظرْنَ إلى غيرِ أزواجِهِنَّ. ﴿عِينٌ﴾: واسعات العيونِ حِسانُها. ﴿بيْضٌ مكنونٌ﴾: مصونٌ مستورٌ لم يُصبْهُ غبارٌ.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

﴿٥٢﴾ ـ ﴿يَقُولُ﴾ لي تَبكيتًا: ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث؟ ﴿٥٣﴾ ـ ﴿أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا﴾ ـ في الهمزتين في الثلاثة مواضعَ ما تقدّم ـ ﴿لَمَدِينُونَ﴾: مَجزيّون ومُحاسَبون؟ أنكر ذلك أيضًا. ﴿٥٤﴾ ـ ﴿قالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَل أنتُم مُطَّلِعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

﴿٥٥﴾ ـ ﴿فاطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُوى الجنّة، ﴿فرَآهُ﴾ أي: رأى قرينَه ﴿في سَواءِ الجَحِيمِ﴾: في وسَط النار. ﴿٥٦﴾ ـ ﴿قالَ﴾ له تشميتًا: ﴿تاللهِ، إنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة ﴿كِدتَ﴾: قاربتَ ﴿لَتُردِينِ﴾: لَتُهلِكُني بإغوائك! ﴿٥٧﴾ ـ ﴿ولَولا نِعْمةُ رَبِّي﴾ أي: إنعامُه عليَّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ المُحضَرِينَ﴾ معك في النار.

ويقول أهل الجنّة: ﴿٥٨﴾ ـ ﴿٥٩﴾ ـ ﴿أفما نَحنُ بِمَيِّتِينَ إلاّ مَوتَتَنا الأُولَى﴾ التي في الدنيا، ﴿وما نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذّذ وتحدُّث بنعمة الله ـ تعالى ـ من تأبيد الحياة وعدم التعذيب. ﴿٦٠﴾ ـ ﴿٦١﴾ ـ ﴿إنَّ هذا﴾ الذي ذُكِر لأهل الجنّة ﴿لَهُوَ الفَوزُ العَظِيمُ. لِمِثلِ هذا فَلْيَعمَلِ العامِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

﴿٦٢﴾ ـ ﴿أذلِكَ﴾ المذكورُ لهم ﴿خَيرٌ نُزُلاً﴾ ـ وهو ما يُعدُّ للنازل من ضيف وغيره ـ ﴿أم شَجَرةُ الزَّقُّومِ﴾ المُعدّةُ لأهل النار؟ وهي من أخبثِ الشجر المرّ بتِهامة، يُنبتها الله في الجحيم كما سيأتي. ﴿٦٣﴾ ـ ﴿إنّا جَعَلْناها﴾ بذلك ﴿فِتْنةً لِلظّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكّة، إذ قالوا: النار تُحرق الشجرَ[1]. فكيف تُنبتُه؟

﴿٦٤﴾ ـ ﴿إنّها شَجَرةٌ، تَخرُجُ في أصلِ الجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنّم، وأغصانها ترتفع إلى دَرَكاتها، ﴿٦٥﴾ ـ ﴿طَلْعُها﴾ المُشبَّهُ بطلع النخلة ﴿كأنّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ﴾: الحيّاتِ القبيحة المنظر، ﴿٦٦﴾ ـ ﴿٦٧﴾ ـ ﴿فإنَّهُم﴾ أي: الكفّارَ ﴿لَآكِلُونَ مِنها﴾، مع قُبحها لشِدّة جوعهم، ﴿فمالِئُونَ مِنها البُطُونَ، ثُمَّ إنَّ لَهُم عَلَيها لَشَوبًا مِن حَمِيمٍ﴾ أي: ماءٍ حارّ يشربونه، فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبًا له، ﴿٦٨﴾ ـ ﴿ثُمَّ إنَّ مَرجِعَهُم لَإلَى الجَحِيمِ﴾. يُفيد أنهم يخرجون منها لشُرب الحميم وأنه خارجَها.

﴿٦٩﴾ ـ ﴿٧٠﴾ ـ ﴿إنّهُم ألفَوا﴾: وجدُوا ﴿آباءَهُم ضالِّينَ، فهُم على آثارِهِم يُهرَعُونَ﴾: يُزعَجون إلى اتّباعهم، فيُسرعون إليه. ﴿٧١﴾ ـ ﴿ولَقَد ضَلَّ قَبلَهُم أكثَرُ الأوَّلِينَ﴾ من الأُمم الماضية، ﴿٧٢﴾ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا فِيهِم مُنذِرِينَ﴾ من الرُّسل مُخوِّفين. ﴿٧٣﴾ ـ ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُنذَرِينَ﴾ الكافرين؟ أي: عاقبتُهم العذابُ، ﴿٧٤﴾ ـ ﴿إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين. فإنهم نجَوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأنّ الله أخلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

﴿٧٥﴾ ـ ﴿ولَقَد نادانا نُوحٌ﴾ بقوله: «رَبِّ إنِّي مَغلُوبٌ فانتَصِرْ»، ﴿فلَنِعمَ المُجِيبُونَ﴾ له نحن! أي: دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق، ﴿٧٦﴾ ـ ﴿ونَجَّيناهُ وأهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظِيمِ﴾ أي: الغرَق، ....

﴿لَمَدِينُونَ﴾: لمجزيُّونَ ومحاسبونَ؟. ﴿سَوَاءِ الجحيم﴾: وسطِها. ﴿إنْ كِدْتَ لتُرْدِين﴾: إنَّكَ قاربتَ لتهلكَني بالإغواءِ. ﴿المُحضَرين﴾: للعذابِ مثلَكَ. ﴿خيرٌ نُزُلاً﴾: ضيافةً وتكرمةً ولذَّةً. ﴿شجرة الزَّقوم﴾: شجرةٌ مِن أخبثِ الشَّجرِ بتهامةَ. ﴿فتنة للظَّالمين﴾: مِحنةً وعذاباً لهُم في الآخرةِ. ﴿أصْل الجحيم﴾: قعرِ جهنَّمَ. ﴿طلْعها﴾: ثمرُها الشَّبيهُ بطلعِ النَّخلِ. ﴿كأنّه رءوس الشياطين﴾: تمثيلٌ لتناهيهِ في البشاعةِ والقبحِ. ﴿لشَوباً﴾: لخَلْطاً ومزاجاً. ﴿منْ حميم﴾: ماءٍ بالغٍ غايةَ الحرارةِ. ﴿على آثارهم يُهرعون﴾: يُزعجونَ ويُحثُّونَ على الإسراعِ الشَّديدِ على آثارِهم.

(١) قال ذلك أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فتزقموا، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾. الطبري (١٤/ ٦٥٠) عن قتادة.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ
إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ
ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

(٧٧) ـ ﴿وجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ﴾ ـ فالناس كُلّهم من نسله عليه السلام. وكان له ثلاثة أولاد: سامٌ وهو أبو العرب وفارسَ والرومِ، وحامٌ وهو أبو السودانِ، ويافِثُ وهو أبو الترك والخَزَر ويأجوجَ ومأجوجَ وما هُنالك ـ

نصف الحزب ٤٥

(٧٨) ـ ﴿وتَرَكْنا﴾: أبقينا ﴿علَيهِ﴾ ثناءً حسنًا ﴿في الآخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأُمم إلى يوم القيامة ـ (٧٩) ـ (٨٠) ـ (٨١) ـ (٨٢) ـ ﴿سَلامٌ﴾ منّا ﴿على نُوحٍ في العالَمِينَ. إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزيناهُ ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. إنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ ثُمَّ أغرَقْنا الآخَرِينَ﴾: كُفّارَ قومه.

(٨٣) ـ ﴿وإنَّ مِن شِيعَتِهِ﴾ أي: مِمّن تابعه في أصل الدِّين ﴿لَإبراهِيمَ﴾، وإن طال الزمان بينهما ـ وهو ألفان وستُّمِائَةٍ وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح ـ

(٨٤) ـ ﴿إذ جاءَ﴾ أي: تابعه وقتَ مجيئه ﴿رَبَّهُ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشكّ وغيره،

(٨٥) ـ (٨٦) ـ ﴿إذ قالَ﴾ في هذه الحالة المستمرّة له ﴿لِأبِيهِ وقَومِهِ﴾ مُوبّخًا: ﴿ماذا﴾: ما الذي ﴿تَعبُدُونَ؟ أإفكًا﴾ ـ في همزتيه ما تقدّم ـ ﴿آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾؟ وإفكًا: مفعول له، وآلهة: مفعول به لـ «تُريدون»، والإفك: أسوأُ الكذب، أي: أتعبدون غيرَ الله؟ (٨٧) ـ ﴿فما ظَنُّكُم بِرَبِّ العالَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا.

وكانوا نجّامِينَ، فخرجوا إلى عِيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم ـ زعموا التبرُّك عليه ـ فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيّد إبراهيم: اخرُجْ معنا. (٨٨) ـ ﴿فنَظَرَ نَظْرَةً في النُّجُومِ﴾ إيهامًا لهم أنه يعتمد عليها ليتّبعوه، (٨٩) ـ ﴿فقالَ: إنِّي سَقِيمٌ﴾: عليل، أي: سأسقَمُ. (٩٠) ـ (٩١) ـ ﴿فتَوَلَّوا عَنهُ﴾ إلى عِيدهم ﴿مُدبِرِينَ، فراغَ﴾: مالَ في خِفية ﴿إلى آلِهَتِهِم﴾ ـ وهي الأصنام ـ وعندها الطعام، ﴿فقالَ﴾ استهزاءً: ﴿ألا تأكُلُونَ﴾. فلم ينطقوا. (٩٢) ـ فقال: ﴿مالَكُم لا تَنطِقُونَ﴾؟ فلم يُجَب، (٩٣) ـ ﴿فراغَ علَيهِم ضَربًا بِاليَمِينِ﴾: بالقُوّة، فكسرها.

فبلغ قومَه ممّن رآه، (٩٤) ـ ﴿فأقبَلُوا إلَيهِ يَزِفُّونَ﴾ أي: يُسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسِرها. (٩٥) ـ ﴿قالَ﴾ لهم مُوبّخًا: ﴿أتَعبُدُونَ ما تَنحِتُونَ﴾ من الحِجارة وغيرها أصنامًا، (٩٦) ـ ﴿واللهُ خَلَقَكُم وما تَعمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم؟ فاعبدُوه وحدَه. وما: مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة. (٩٧) ـ ﴿قالُوا﴾ بينهم: ﴿ابنُوا لَهُ بُنيانًا﴾، فاملؤوه حطبًا، وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فألقُوهُ في الجَحِيمِ﴾: النارِ الشديدة.

(٩٨) ـ ﴿فأرادُوا بِهِ كَيدًا﴾ بإلقائه في النار لتُهلكه، ﴿فجَعَلْناهُمُ الأسفَلِينَ﴾: المقهورين. فخرج من النار سالمًا، (٩٩) ـ ﴿وقالَ: إنِّي ذاهِبٌ إلى رَبِّي﴾: مهاجر إليه من دار الكُفر، ﴿سَيَهدِينِ﴾ إلى حيثُ أمرني ربّي بالمصير إليه، وهو الشام. فلمّا وصل إلى الأرض المُقدّسة قال: (١٠٠) ـ (١٠١) ـ ﴿رَبِّ، هَبْ لِي﴾ ولدًا ﴿مِنَ الصّالِحِينَ. فبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حِلم كثير.

(١٠٢) ـ ﴿فلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ﴾ أي: أن يسعى معه ويُعينه ـ قيل: بلغ سبعَ سنين، وقيل: ثلاثَ عشْرةَ سنة ـ ﴿قالَ: يا بُنَيَّ، إنِّي أرى﴾ أي: رأيتُ ﴿في المَنامِ أنِّيَ أذبَحُكَ﴾. ورؤيا الأنبياء حقّ، وأفعالُهم بأمر الله تعالى. ﴿فانظُرْ: ماذا تَرى﴾ من الرأي؟ شاوَرَه ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به. ﴿قالَ: يا أبَتِ﴾ ـ التاء عِوَض عن ياء الإضافة ـ ﴿افعَلْ ما تُؤمَرُ﴾ به. ﴿سَتَجِدُنِي، إن شاءَ اللهُ، مِنَ الصّابِرِينَ﴾ على ذلك.

﴿منْ شيعَتِه﴾: ممَّن شايعَهُ على منهاجِهِ وملَّتِهِ. ﴿أإفْكاً؟﴾: أكذباً وباطلاً ؟. ﴿فَنَظر﴾: تأمَّلَ تأمُّلَ الكاملينَ. ﴿إنّي سقيمٌ﴾: يُريدُ أنَّهُ سقيمُ القلبِ لكفرِهم. ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾: فمالَ إليها خفيةً ليُحطِّمَها. ﴿ضرباً باليمين﴾: يضربُهُم ضرباً مُلتبساً بالقوَّةِ. ﴿يزفّون﴾: يسرعونَ في مشيِهِم. ﴿بغلام حليم﴾: رجَّحَ كثيرٌ أنَّهُ إسماعيلُ عليهِ السَّلامُ. ﴿بَلَغَ مَعَه السّعْي﴾: درجةَ العملِ معَهُ في حوائجِهِ.

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤
قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرۡنَٰهُ
بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣ وَلَقَدۡ مَنَنَّا
عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ
ٱلۡعَظِيمِ ١١٥ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا
ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ
١١٨ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا
مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٢ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٢٦

(١٠٣) ـ ﴿**فلمّا أسلما**﴾: خضعا وانقادا لأمر الله ـ تعالى ـ ﴿**وتلَّهُ للجَبِينِ**﴾: صرَعه عليه ـ ولكُلّ إنسان جبينانِ بينهما الجبهةُ ـ وكان ذلك بمِنًى، وأمَرَّ السِّكّين على حلقه، فلم تعمل شيئًا بمانع من القُدرة الإلـهية، (١٠٤) ـ (١٠٥) ـ ﴿**ونادَيناهُ: أن يا إبراهِيمُ، قَد صَدَّقتَ الرُّؤيا**﴾ بما أتَيتَ به ممّا أمكنك من أمر الذبح، أي: يكفيك ذلك. فجملة ناديناه: جواب «لمّا» بزيادة الواو. ﴿**إنّا كَذلِكَ**﴾: كما جزيناك ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ**﴾ لأنفُسهم بامتثال الأمر بإفراج الشِّدّة عنهم. (١٠٦) ـ ﴿**إنّ هذا**﴾ الذبحَ المأمورَ به ﴿**لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ**﴾ أي: الاختبار الظاهر[1].

(١٠٧) ـ ﴿**وفَدَيناهُ**﴾ أي: المأمورَ بذَبحه ـ وهو إسماعيلُ[2] أو إسحاق قولان ـ ﴿**بِذِبحٍ**﴾: بكبشٍ ﴿**عَظِيمٍ**﴾ من الجنّة، وهو الذي قرّبه هابيل، جاء به جِبريل ـ عليه السلام ـ فذبحه السيّد إبراهيم مُكبِّرًا، (١٠٨) ـ ﴿**وتَرَكْنا**﴾: أبقينا ﴿**علَيهِ في الآخِرِينَ**﴾ ثناءً حسنًا: (١٠٩) ـ (١١٠) ـ (١١١) ـ (١١٢) ـ (١١٣) ـ ﴿**سَلامٌ**﴾ منّا ﴿**على إبراهِيمَ ـ كَذلِكَ**﴾: كما جزيناه ﴿**نَجزي المُحسِنِينَ. إنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ ـ وبَشَّرْناهُ بِإسحاقَ**﴾، استُدلَّ[3] بذلك على أنّ الذبيح غيرُه، ﴿**نَبِيًّا**﴾: حالٌ مُقدّرة، أي: يُوجد مُقدّرًا نُبوّتُه ﴿**مِنَ الصّالِحِينَ، وبارَكْنا علَيهِ**﴾ بتكثير ذُرّيّته، ﴿**وعلَى إسحاقَ**﴾: ولدِه، بجعلنا أكثرَ الأنبياء من نسله. ﴿**ومِن ذُرِّيَّتِهِما مُحسِنٌ**﴾: مؤمنٌ ﴿**وظالِمٌ لِنَفسِهِ**﴾: كافرٌ ﴿**مُبِينٌ**﴾: بيِّنُ الكفر.

(١١٤) ـ ﴿**ولَقَد مَنَنّا على مُوسَى وهارُونَ**﴾ بالنُّبوّة، (١١٥) ـ ﴿**ونَجَّيناهُما وقَومَهُما**﴾ بني إسرائيلَ ﴿**مِنَ الكَربِ العَظِيمِ**﴾، أي: من استعبادِ فِرعونَ إياهم، (١١٦) ـ (١١٧) ـ ﴿**ونَصَرْناهُم**﴾ على القِبط ﴿**فكانُوا هُمُ الغالِبِينَ، وآتَيناهُما الكِتابَ المُستَبِينَ**﴾: البليغَ البيانِ فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها ـ وهو التوراة ـ (١١٨) ـ (١١٩) ـ ﴿**وهَدَيناهُما الصِّراطَ**﴾: الطريق ﴿**المُستَقِيمَ، وتَرَكْنا**﴾: أبقينا ﴿**علَيهِما في الآخِرِينَ**﴾ ثناءً حسنًا: (١٢٠) ـ (١٢١) ـ (١٢٢) ـ ﴿**سَلامٌ**﴾ منّا ﴿**على مُوسَى وهارُونَ. إنّا كَذلِكَ**﴾: كما جزيناهما ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ. إنَّهُما مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ**﴾.

(١٢٣) ـ ﴿**وإنَّ إلياسَ**﴾، بالهمزةِ أوّلَه وتركِها، ﴿**لَمِنَ المُرسَلِينَ**﴾. قيل: هو ابن أخي هارونَ أخي موسى، وقيل: غيره، أُرسل إلى قومٍ ببَعلَبَكَّ ونواحيها، (١٢٤) ـ ﴿**إذ**﴾: منصوب بـ «اذكرْ» مُقدّرًا ﴿**قالَ لِقَومِهِ: ألا تَتَّقُونَ**﴾ اللهَ. (١٢٥) ـ ﴿**أتَدْعُونَ بَعلًا**﴾: اسمٌ لصنم لهم من ذهب، وبه سُمّي البلد أيضًا مضافًا إلى «بكّ»، أي: أتعبدونه[4] ﴿**وتَذَرُونَ**﴾: تتركون ﴿**أحسَنَ الخالِقِينَ**﴾ فلا تعبدونه؟ (١٢٦) ـ ﴿**اللهُ رَبُّكُم ورَبُّ آبائِكُمُ الأوَّلِينَ**﴾، برفع الثلاثة على إضمار «هو»، وبنصبها على البدل من «أحسنَ».

﴿أسلما﴾: استسلما وانقادا لأمرِهِ تعالى. ﴿تلّه للجبين﴾: أضجعَهُ على جبينِهِ على الأرضِ. ﴿البلاء المبين﴾: الاختبارُ البيِّنُ. أو المحنةُ البيِّنةُ. ﴿بِذِبْحٍ﴾: بكبشٍ يُذبحُ. ﴿أتدعون بَعْلاً﴾: أتعبدونَ الصَّنمَ المُسمَّى بعلاً.

(١) الّذي يتميَّزُ فيه المُخلِصُ مِن غيرِه. (الجمالين).

(٢) وهو الأظهرُ عندَ الأكثرِ. (الجمالين).

(٣) لأنَّ البِشارَةَ به معطوفٌ على البشارَةِ بالغُلامِ المذبوحِ. (الجمالين).

(٤) أو: تَطلبونَ الخيرَ منهُ. (الجمالين).

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٢٨)
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ (١٢٩) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
(١٣٢) وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
(١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ
لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨) وَإِنَّ
يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١٤٠)
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ
(١٤٢) فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ (١٤٤) ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنۢبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُونَ (١٤٧) فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨) فَٱسْتَفْتِهِمْ
أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا
وَهُمْ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ
ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٣)

(١٢٧) ـ ﴿**فكذَّبُوهُ، فإنَّهم لَمُحضَرُونَ**﴾ في النار، (١٢٨) ـ ﴿**إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ**﴾ أي: المؤمنين منهم ـ فإنّهم نجَوا منها ـ (١٢٩) ـ ﴿**وتَركْنا علَيهِ في الآخِرِينَ**﴾ ثناءً حسنًا: (١٣٠) ـ ﴿**سَلامٌ**﴾ منّا ﴿**علَى إلْياسِينَ**﴾ هو إلياسُ المُتقدّمُ ذِكرُه ومَن آمنَ معه، فجُمِعوا معه تغليبًا، كقولهم للمُهلَّب وقومه: المُهلَّبونَ. وعلى قراءةِ «آلِ ياسِينَ» بالمدّ أي: أهلِه والمرادُ به إلياسُ أيضًا. (١٣١) ـ (١٣٢) ـ ﴿**إنّا كَذلِكَ**﴾: كما جزيناه ﴿**نَجزِي المُحسِنِينَ. إنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ**﴾.

(١٣٣) ـ ﴿**وإنَّ لُوطًا لَمِنَ المُرسَلِينَ**﴾، (١٣٤) ـ (١٣٥) ـ اذكرْ ﴿**إذْ نَجَّيناهُ وأهلَهُ أجمَعِينَ، إلاّ عَجُوزًا في الغابِرِينَ**﴾ أي: الباقينَ في العذاب، (١٣٦) ـ ﴿**ثُمَّ دَمَّرْنا**﴾: أهلكنا ﴿**الآخَرِينَ**﴾: كُفّارَ قومه. (١٣٧) ـ ﴿**وإنَّكُم لَتَمُرُّونَ علَيهِم**﴾: على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿**مُصبِحِينَ**﴾ أي: وقتَ الصباح يعني: بالنهار (١٣٨) ـ ﴿**وبِاللَّيلِ. أفلا تَعقِلُونَ**﴾ ـ يا أهل مكة ـ ما حل بهم فتعتبرون به؟

الحزب ٤٦

(١٣٩) ـ (١٤٠) ـ ﴿**وإنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرسَلِينَ، إذْ أبَقَ**﴾: هربَ ﴿**إلَى الفُلْكِ المَشحُونِ**﴾: السفينةِ المملوءة حين غاضب قومه، لمّا لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفتْ في لُجّة البحر، فقال الملاّحون: هنا عبد أبَقَ من سيّده، تُظهره القُرعة. (١٤١) ـ ﴿**فساهَمَ**﴾: قارعَ أهلَ السفينة، ﴿**فكانَ مِنَ المُدحَضِينَ**﴾: المغلوبين بالقُرعة، فألقوه في البحر، (١٤٢) ـ ﴿**فالتَقَمَهُ الحُوتُ**﴾: ابتلعه، ﴿**وهُوَ مُلِيمٌ**﴾ أي: آتٍ بما يُلام عليه من ذهابه إلى البحر ورُكوبه السفينةَ بلا إذن من ربّه.

(١٤٣) ـ ﴿**فلَولا أنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾: الذاكرين بقوله كثيرًا في بطن الحوت: «لا إلَهَ إلاّ أنتَ سُبحانَكَ. إنِّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ»، (١٤٤) ـ ﴿**لَلَبِثَ في بَطنِهِ إلَى يَومِ يُبعَثُونَ**﴾ لصار بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة، (١٤٥) ـ ﴿**فنَبَذْناهُ**﴾: ألقيناه من بطن الحوت ﴿**بالعَراءِ**﴾: بوجه الأرض، أي: بالساحل، من يومه أو بعد ثلاثةٍ أو سبعةِ أيامٍ أو عشرين أو أربعين يومًا، ﴿**وهُوَ سَقِيمٌ**﴾: عليل كالفرخ المُمَّعِط، (١٤٦) ـ ﴿**وأنبَتْنا علَيهِ شَجَرةً مِن يَقطِينٍ**﴾ ـ وهي القَرْع تُظِلّه، وهو بِساقٍ على خِلاف العادة في القرع، مُعجزةً له. وكانت تأتيه وعلةٌ صباحًا ومساءً، يشرب من لبنها حتّى قوي ـ (١٤٧) ـ ﴿**وأرسَلْناهُ**﴾ بعد ذلك كقَبلِه إلى قومٍ بنِينَوى من أرض المَوصل، ﴿**إلَى مِائَةِ ألفٍ ـ أو**﴾: بل ﴿**يَزِيدُونَ**﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا ـ (١٤٨) ـ ﴿**فآمَنُوا**﴾ عِند مُعاينة العذاب الموعودين به، ﴿**فمَتَّعْناهُم**﴾ أي: أبقَيناهم مُمتّعين بما لَهم ﴿**إلَى حِينٍ**﴾ تنقضي آجالُهم فيه.

(١٤٩) ـ ﴿**فاستَفتِهِم**﴾: استخبرْ كُفّارَ مكّة توبيخًا لهم: ﴿**ألِرَبِّكَ البَناتُ**﴾، بزعمهم أنّ الملائكة بناتُ الله، ﴿**ولَهُمُ البَنُونَ**﴾ فيختصّون بالأسنَى؟ (١٥٠) ـ ﴿**أم خَلَقْنا المَلائكةَ إناثًا، وهُم شاهِدُونَ**﴾ خلْقَنا، فيقولون ذلك؟ (١٥١) ـ (١٥٢) ـ ﴿**ألا إنَّهُم مِن إفكِهِم**﴾: كذِبهم ﴿**لَيَقُولُونَ: وَلَدَ اللهُ**﴾، بقولهم: الملائكةُ بناتُ الله. ﴿**وإنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾ فيه. (١٥٣) ـ (١٥٤) ـ ﴿**أصطَفَى**﴾ ـ بفتح الهمزة للاستفهام، واستُغني بها عن همزة الوصل فحُذفت ـ أي: أختارَ ﴿**البَناتِ علَى البَنِينَ**﴾؟

﴿لمُحضرون﴾: تُحضرُهُمُ الزّبانيةُ في النّارِ. ﴿إلياسين﴾: إلياسَ. أو إلياسَ وأتباعَهُ. ﴿في الغابرين﴾: في الباقينَ في العذابِ. ﴿دمّرنا الآخرين﴾: أهلكْناهُم. ﴿مُصبحين﴾: داخلينَ في وقتِ الصَّباحِ. ﴿أبق﴾: هَرَبَ. ﴿المشحون﴾: المملوءِ. ﴿فَساهم﴾: فقارعَ مَن في الفلكِ. ﴿المدْحضين﴾: المغلوبينَ بالقرعةِ. ﴿فالتَقمه الحوت﴾: ابتلعَهُ. ﴿هو مُليم﴾: آتٍ بما يُلامُ عليهِ. ﴿المسبّحين﴾: الذّاكرينَ اللهَ كثيراً بالتّسبيحِ. ﴿فنبذناه بالعراء﴾: طرحْناهُ بالأرضِ الفضاءِ الواسعةِ. ﴿يقطين﴾: هوَ القرعُ المعروفُ وقيلَ غيرُهُ. ﴿إفكهمْ﴾: كذبِهِم على اللهِ. ﴿أصطفى؟﴾: أختارَ؟ (استفهامُ توبيخٍ).

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ ص

مالكم؟ ﴿كيفَ تحكُمونَ﴾ هذا الحكمَ الفاسد؟ (١٥٥) ـ **﴿أفلا تذَّكَّرُونَ﴾**، بإدغام التاء في الذال، أنه ـ تعالى ـ مُنزّه عن الولد؟ (١٥٦) ـ **﴿أم لكُم سُلطانٌ مُبينٌ﴾**: حُجّة واضحة بأنّ للهِ ولدًا؟ (١٥٧) ـ **﴿فأتُوا بكِتابِكُم﴾** التوراةِ فأروني ذلك فيه، **﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾** في قولكم ذلك.

(١٥٨) ـ **﴿وجَعَلُوا﴾** أي: المشركون **﴿بَينَهُ﴾** ـ تعالى ـ **﴿وبَينَ الجِنّةِ﴾** أي: الملائكةِ لاجتنانهم عن الأبصار **﴿نَسَبًا﴾**[1] بقولهم: إنها بنات الله، **﴿ولَقَد عَلِمَتِ الجِنّةُ إنَّهُم﴾** أي: قائلي ذلك **﴿لَمُحضَرُونَ﴾** النارَ يعذّبون فيها.

(١٥٩) ـ **﴿سُبحانَ اللهِ﴾**: تنزيهًا له **﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾** بأنّ لِلهِ ولدًا! (١٦٠) ـ **﴿إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ﴾** أي: المؤمنين ـ استثناء منقطع ـ أي: لكنِ المؤمنون فإنّهم مُنزِّهون اللهَ عمّا يصفه هؤلاء. (١٦١) ـ **﴿فإنَّكُم وما تَعبُدُونَ﴾** من الأصنام. (١٦٢) ـ **﴿ما أنتُم عليهِ﴾** أي: على معبودكم، وعليه: مُتعلّق بقوله **﴿بِفاتِنِينَ﴾** أي: أحدًا (١٦٣) ـ **﴿إلاّ مَن هُوَ صالِ الجَحِيمِ﴾** في عِلم الله تعالى.

قال جبريلُ للنبيِّ ﷺ: (١٦٤) ـ **﴿وما مِنّا﴾** ـ معشرَ الملائكة ـ أحدٌ **﴿إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعلُومٌ﴾** في السماوات، نعبد الله فيه لا نتجاوزه. (١٦٥) ـ **﴿وإنّا لَنَحنُ الصّافُّونَ﴾**[2] أقدامَنا في الصلاة، (١٦٦) ـ **﴿وإنّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ﴾**: المُنزِّهون اللهَ عما لا يليق به.

(١٦٧) ـ (١٦٨) ـ **﴿وإنْ﴾**: مُخفّفةٌ من الثقيلة **﴿كانُوا﴾** أي: كُفّارُ مكّة **﴿لَيَقُولُونَ: لَو أنَّ عِندَنا ذِكرًا﴾**: كِتابًا **﴿مِنَ الأوّلِينَ﴾** أي: من كُتب الأُمم الماضية، (١٦٩) ـ **﴿لَكُنّا عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ﴾** العبادةَ له. (١٧٠) ـ قال تعالى: **﴿فكَفَرُوا بِهِ﴾** أي: بالكِتاب الذي جاءهم، وهو القُرآن الأشرف من تلك الكُتب. **﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾** عاقبة كُفرهم، (١٧١) ـ **﴿ولَقَد سَبَقَتْ كَلِمَتُنا﴾** بالنصر **﴿لِعِبادِنا المُرسَلِينَ﴾**، وهي: «لَأغلِبَنَّ أنا ورُسُلِي»، أو هي قوله: (١٧٢) ـ (١٧٣) ـ **﴿إنَّهُم لَهُمُ المَنصُورُونَ، وإنَّ جُندَنا﴾** أي: المؤمنين **﴿لَهُمُ الغالِبُونَ﴾** الكُفّار بالحُجّة والنُّصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة.

(١٧٤) ـ **﴿فتَوَلَّ عَنهُم﴾** أي: أعرِضْ عن كُفّار مكّة **﴿حَتّى حِينٍ﴾** تُؤمَر فيه بقِتالهم، (١٧٥) ـ **﴿وأبصِرْهُم﴾** إذا نزل بهم العذاب. **﴿فسَوفَ يُبصِرُونَ﴾** عاقبة كُفرهم ـ فقالوا استهزاء: متى نزول العذاب؟ قال تعالى تهديدًا لهم: (١٧٦) ـ (١٧٧) ـ **﴿أفَبِعَذابِنا يَستَعجِلُونَ﴾**[3]؟ **فإذا نَزَلَ بِساحَتِهِم﴾**: بفِنائهم، قال الفرّاء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، **﴿فساءَ﴾**: بئسَ صباحًا **﴿صَباحُ المُنذَرِينَ﴾**! فيه إقامة الظاهر مَقامَ الضمير ـ (١٧٨) ـ (١٧٩) ـ **﴿وتَوَلَّ عَنهُم حَتّى حِينٍ، وأبصِرْ فسَوفَ يُبصِرُونَ﴾**. كُرِّرَ تأكيدًا لتهديدِهم وتسليةً له ﷺ.

(١٨٠) ـ **﴿سُبحانَ رَبِّكَ، رَبِّ العِزّةِ﴾**: الغلبة **﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾**، بأنّ له ولدًا! (١٨١) ـ **﴿وسَلامٌ عَلى المُرسَلِينَ﴾**: المُبلِّغين عن الله التوحيدَ والشرائع، (١٨٢) ـ **﴿والحَمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾** على نصرهم وهلاك الكافرين.

***

﴿سُلطانٌ﴾: حجّةٌ وبرهانٌ. ﴿الجِنّة﴾: الملائكةِ، أوِ الشّياطينِ. ﴿إنهم لمُحضرون﴾: إنَّ الكفّارَ لمحضرونَ للنّارِ. ﴿عليه بفاتنين﴾: بمضلّينَ أو مفسدينَ على اللهِ أحداً. ﴿صَالِ الجحيم﴾: داخلُها أو مقاسٍ حرَّها. ﴿الصّافون﴾: أنفسَنا في مقامِ العبادةِ. ﴿المسبّحون﴾: المُنزِّهونَ اللهَ تعالى عمّا لا يليقُ بجلالِهِ. ﴿بساحتهم﴾: بفنائِهِم. والمُرادُ: بِهِم. ﴿ربّ العزّة﴾: الغلبةِ والقدرةِ والبطشِ.

(١) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سليم خزاعة وجهينة. «لباب النقول» (ص: ١٦٧). مجاهد: قال كبار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟! قالوا: بنات سراة الجن، فأنزل الله: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾. «تفسير مجاهد» (ص: ٥٧١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٣١)، و«شعب الإيمان» (١٣٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٦٧).

(٢) عن يزيد بن أبي مالك: كان الناس يصلون متبددين فنزلت هذه الآية فأمرهم ﷺ أن يصفوا. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٧)، و«الدر المنثور» (٧/ ١٣٦) ووقع اسم الراوي فيه: «زيد بن مالك».

(٣) عن ابن عباس: قالوا: يا محمد أرنا العذاب الذي تخوّفنا به، عجّله لنا، فنزلت. رواه جويبر كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟
أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ
عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ
مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ
لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

٣٨ - سُورَةُ صٓ[1]

مكية، ستٌّ أو ثمانٍ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿ص﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقرآنِ ذِي الذِّكرِ﴾ أي: البيانِ أو الشرف. وجواب هذا القسم محذوف، أي: ما الأمر كما قال كُفّار مكّة من تعدّد الآلهة. (٢) ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿في عِزَّةٍ﴾: حميّة وتكبّر عن الإيمان، ﴿وشِقاقٍ﴾: خِلافٍ وعداوةٍ للنبيّ ﷺ. (٣) ـ ﴿كَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلكْنا مِن قَبلِهم مِن قَرنٍ﴾ أي: أمّةٍ من الأُمم الماضية، ﴿فنادَوا﴾ حين نُزول العذاب بهم، ﴿ولاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ أي: ليس الحينُ حينَ فِرار! والتاء: زائدة، والجملة: حال من فاعل «نادوا»، أي: استغاثوا والحال أنْ لا مهربَ ولا منجَى، وما اعتبرَ بهم كُفّار مكّة.

(٤) ـ (٥) ـ ﴿وعَجِبُوا أن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم﴾ رسول من أنفُسهم، يدعوهم إلى الله، ويُخوّفهم بالنار بعد البعث ـ وهو النبيّ ﷺ ـ ﴿وقالَ الكافِرُونَ﴾، فيه وضع الظاهر موضع المُضمر: ﴿هذا ساحِرٌ كَذّابٌ. أجَعَلَ الآلِهةَ إلـهًا واحِدًا﴾ حيثُ قال لهم: قولوا: لا إلـهَ إلاّ اللهُ؟ أي: كيف يسع الخلقَ كُلَّهم إلـهٌ واحد؟ ﴿إنَّ هذا لَشَيءٌ عُجابٌ﴾: عجيب. (٦) ـ ﴿وانطَلَقَ المَلأُ مِنهُم﴾ من مجلس اجتماعهم عِند أبي طالب وسماعهم فيه من النبيّ: قولوا: «لا إلـهَ إلاّ اللهُ»: ﴿أنِ امشُوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: امشوا، ﴿واصبِرُوا على آلِهتِكُم﴾: اثبُتوا على عِبادتها. ﴿إنَّ هذا﴾ المذكورَ من التوحيد ﴿لَشَيءٌ يُرادُ﴾ منّا. (٧) ـ ﴿ما سَمِعْنا بهذا في المِلّةِ الآخِرةِ﴾ أي: مِلّة عِيسَى. ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ اختِلاقٌ﴾: كذبٌ.

(٨) ـ ﴿أأُنزِلَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين وتركِه ـ ﴿عليهِ﴾: على مُحمّد ﴿الذِّكرُ﴾: القُرآن ﴿مِن بينِنا﴾، وليس بأكبرِنا ولا أشرفِنا؟ أي: لم ينزل عليه.

قال تعالى: ﴿بَل هُم في شَكٍّ مِن ذِكرِي﴾: وحيِي، أي: القرآنِ، حيثُ كذّبوا الجائيَ به. ﴿بَل لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾، ولو ذاقوه لصدّقوا النبيّ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حينئذ. (٩) ـ ﴿أم عِندَهُم خَزائنُ رَحمةِ رَبِّكَ العَزيزِ﴾: الغالب ﴿الوَهّابِ﴾ من النُّبوّة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا؟ (١٠) ـ ﴿أم لَهُم مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾؟ إن زعموا ذلك ﴿فلْيَرتَقُوا في الأسبابِ﴾ المُوصّلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي فيخصّوا به من شاؤوا. و«أم» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار.

(١١) ـ ﴿جُندٌ ما﴾ أي: هم جند حقير ﴿هُنالِكَ﴾ أي: في تكذيبهم لك، ﴿مَهزُومٌ﴾: صفةُ «جند»، ﴿مِنَ الأحزابِ﴾: صفةُ «جند» أيضًا، أي: كالأجناد، من جِنس الأحزاب المُتحزّبين على الأنبياء قبلك ـ وأُولئك قد قُهروا وأُهلكوا، فكذا يَهلِك هؤلاء ـ (١٢) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾، تأنيث «قوم» باعتبار المعنى، ﴿وعادٌ وفِرعَونُ ذُو الأوتادِ﴾ ـ كان يَتِدُ لكُلّ من يغضب عليه أربعة أوتاد، يَشدّ إليها يديه ورجليه ويُعذّبه ـ (١٣) ـ ﴿وثَمُودُ وقَومُ لُوطٍ وأصحابُ الأَيكةِ﴾ أي: الغَيضةِ. وهم قوم شُعيب عليه السلام. ﴿أُولئِكَ الأحزابُ﴾.

(١٤) ـ (١٥) ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذّبوا واحدًا منهم فقد كذّبوا جميعَهم لأنّ دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد، ﴿فحَقَّ﴾: وجبَ ﴿عِقابِ، وما يَنظُرُ﴾: ينتظر ﴿هؤُلاءِ﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿إلاّ صَيحةً واحِدةً﴾، وهي نفخة القِيامة تُحِلّ بهم العذاب، ﴿مالَها مِن فَواقٍ﴾ بفتح الفاء وضمّها: رُجوع. (١٦) ـ ﴿وقالُوا﴾ لمّا نزل «فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ» إلى آخره: ﴿رَبَّنا، عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ أي: كِتاب أعمالنا ﴿قَبلَ يَومِ الحِسابِ﴾. قالوا ذلكَ استهزاء.

﴿والقرآن﴾: (قسمٌ) جوابُهُ ما الأمرُ كما تزعمونَ. ﴿ذي الذكر﴾: ذي البيانِ لِمَا يُحتاجُ إليهِ في الدِّينِ. ﴿عزة﴾: حميَّةٍ وتكبُّرٍ عنِ الحقِّ. ﴿شقاق﴾: مشاقَّةٍ ومخالفةٍ للهِ ولرسولِهِ. ﴿كم أهلكنا﴾: كثيراً أهلكْنا. ﴿قرن﴾: أمَّةٍ. ﴿فنادوْا﴾: فاستغاثوا حينَ عاينوا العذابَ. ﴿لات حين مناص﴾: ليسَ الوقتُ وقتَ فرارٍ وخلاصٍ. ﴿عجاب﴾: بالغُ الغايةِ في العَجَبِ. ﴿الملأ منهم﴾: الوجوهُ مِن كفَّارِ قريشٍ. ﴿امشوا﴾: سيروا على طريقتِكُم ودينِكُم. ﴿الملّة الآخرة﴾: دينِ قريشٍ الَّذي هم عليهِ. ﴿اختلاق﴾: كذبٌ وافتراءٌ منهُ. ﴿الأسباب﴾: المعارجِ إلى السَّماءِ. ﴿جندٌ ما﴾: هم مجتمعٌ حقيرٌ و«ما» زائدةٌ. ﴿هنالك﴾: بمكَّةَ يومَ الفتحِ أو يومَ بَدْرٍ. ﴿ذو الأوتاد﴾: الجنودِ أوِ المباني القويَّتَينِ. ﴿أصحاب الأيكة﴾: سكانُ الغيضةِ الكثيفةِ الملتفَّةِ الشَّجرِ (قوم شعيب). ﴿ما ينظر﴾: ما ينتظرُ. ﴿صيحة واحدة﴾: نفخةَ البعثِ. ﴿ما لها من فواق﴾: ما لَها توقُّفٌ قدْرَ فواقِ ناقةٍ، وهوَ ما بينَ حلبتَيْها. ﴿قطّنا﴾: نصيبَنا مِنَ العذابِ الَّذي أوعدتَهُ.

(١) عن ابن عبّاسٍ قال: مرض أبو طالبٍ، فأتته قريشٌ، وأتاه رسولُ اللهِ ﷺ يعودُه، فقالوا: إنَّ ابن أخيك يقعُ في آلهتنا، قال: ما شأنُ قومِك يَشْكونك؟ قال: «يا عمّ أريدُهم على كلمةٍ واحدةٍ تَدينُ لهم بها العربُ، وتؤدِّي العجمُ إليهم الجزيةَ»، قال: ما هي؟ قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» فقاموا فقالوا: أَجعل الآلهةَ إلهًا واحدًا؟ قال: ونزل: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾. أحمد (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائيُّ في «الكبرى» (٨٧١٦)، وابن حبان (٦٦٨٦)، وقال الترمذي: «حسن صحيح». وذكره الواحدي (ص: ٣٦٧) مع بعض الزيادة لكن دون راو أو سند.

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا
سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ (٢٠) ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟
ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ (٢٣) قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩
(٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٢٥)
يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦)

(١٧) ـ قال الله تعالى: ﴿اصبِرْ علَى ما يَقُولُونَ، واذكُرْ عَبدَنا داوُدَ ذا الأَيدِ﴾ أي: القُوّةِ في العِبادة، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم نصف الليل وينام ثُلثه ويقوم سُدسه. ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع إلى مرضاة الله تعالى.

ربع الحزب ٤٦

(١٨) ـ ﴿إنّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالعَشِيِّ﴾: وقتَ صلاة العِشاء ﴿والإشراقِ﴾: وقتَ صلاة الضُّحى ـ وهو أن تُشرق الشمس ويتناهى ضوءُها ـ (١٩) ـ ﴿و﴾ سخّرنا ﴿الطَّيرَ مَحشُورةً﴾: مجموعة إليه تُسبّح معه، ﴿كُلٌّ﴾ من الجِبال والطير ﴿لَهُ أوّابٌ﴾: رجّاع إلى طاعته بالتسبيح، (٢٠) ـ ﴿وشَدَدْنا مُلكَهُ﴾ قوّيناه بالحَرَس والجنود، وكان يحرس مِحرابَه في كُلّ ليلة ثلاثون ألف رجل[1]، ﴿وآتَيناهُ الحِكْمَةَ﴾: النُّبوّة والإصابة في الأمور ﴿وفَصْلَ الخِطابِ﴾: البيانَ الشافي في كُلّ قصد. (٢١) ـ ﴿وهَل﴾ ـ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ـ ﴿أتاكَ﴾، يا مُحمّد، ﴿نَبأُ الخَصمِ، إذ تَسَوَّرُوا المِحرابَ﴾: مِحرابَ داود، أي: مَسجدَه، حيثُ مُنعوا الدخولَ عليه من الباب لشُغله بالعِبادة، أي: خبرُهم وقِصّتُهم؟ (٢٢) ـ ﴿إذ دَخَلُوا علَى داوُدَ ففَزِعَ مِنهُم. قالُوا: لا تَخَفْ﴾. نحن ﴿خَصمانِ﴾ ـ قيل: فريقان لِيُطابِقَ ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يُطلق على الواحد وأكثر، وهما مَلَكان جاءا في صُورة خصمَين، وقع لهما ما ذُكر على سبيل الفرض لتنبيه داود ـ عليه السلام ـ على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأةً، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها، وتزوّجها ودخل بها ـ ﴿بَغَى بَعضُنا علَى بَعضٍ. فاحكُمْ بَينَنا بِالحَقِّ، ولا تُشطِطْ﴾: تَجُرْ، ﴿واهدِنا﴾: أرشِدْنا ﴿إلَى سَواءِ الصِّراطِ﴾: وسَطِ الطريق الصواب.

سجدة

(٢٣) ـ ﴿إنَّ هذا أخِي﴾ أي: على دِيني ﴿لَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجةً﴾ يُعبَّرُ بها عن المرأة، ﴿ولِي نَعْجةٌ واحِدةٌ، فقالَ: أكفِلْنِيها﴾ أي: اجعلني كافلَها، ﴿وعَزَّنِي﴾: غلبني ﴿فِي الخِطابِ﴾ أي: الجِدال. وأقرّه الآخرُ على ذلك. (٢٤) ـ ﴿قالَ: لَقَد ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ﴾ ليضمّها ﴿إلَى نِعاجِهِ، وإنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُلَطاءِ﴾: الشُّركاء ﴿لَيَبْغِي بَعضُهُم علَى بَعضٍ، إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وقَلِيلٌ ما هُم﴾. ما: لتأكيد القِلّة. فقال المَلَكانِ، صاعدَينِ في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه.

فتنبّه داود، قال تعالى: ﴿وظَنَّ﴾ أي: أيقنَ ﴿داوُدُ أنَّما فَتَنّاهُ﴾: أوقعْناه في فِتنة، أي: بليّة بمحبّته تلك المرأةَ، ﴿فاستَغفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ راكِعًا﴾ أي: ساجدًا ﴿وأنابَ، فغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ، وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى﴾ أي: زيادةَ خير في الدنيا ﴿وحُسنَ مآبٍ﴾ أي: مرجعٍ في الآخرة، (٢٦) ـ ﴿يا داوُدُ، إنّا جَعَلْناكَ خَلِيفةً فِي الأرضِ﴾ تُدبّر أمر الناس. ﴿فاحكُمْ بَينَ النّاسِ بِالحَقِّ، ولا تَتَّبِعِ الهَوَى﴾ أي: هوى النفس، ﴿فيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الدلائلِ الدالّة على توحيده. ﴿إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا﴾: بنسيانهم ﴿يَومَ الحِسابِ﴾ المُترتِّب عليه تركُهُم الإيمانَ. ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

﴿ذا الأيد﴾: ذا القوّةِ في الدِّينِ والعبادةِ. ﴿إنه أوّاب﴾: رجّاعٌ إلى اللهِ تعالى وطاعتِهِ. ﴿بالعشيّ والإشراق﴾: مِنَ الزّوالِ للغروبِ، ووقت الضُّحى. ﴿شددنا ملكه﴾: قوّيْناهُ بأسبابِ القوّةِ كلِّها. ﴿آتيناه الحكمة﴾: النُّبوّةَ وكمالَ العلمِ وإتقانَ العملِ. ﴿فصل الخطاب﴾: علمَ فصلِ الخصوماتِ. ﴿الخصم﴾: ملكَينِ في صورةِ إنسانَينِ. ﴿تسوّروا المحراب﴾: علوْا سورَ مُصلّاهُ ونزلوا إليهِ. ﴿بغى بعضنا﴾: تعدّى وظلمَ وجارَ. ﴿لا تشطط﴾: لا تجرْ في حكمِكَ. ﴿سواء الصّراط﴾: وسطِ الطّريقِ وهوَ عينُ الحقِّ. ﴿اكفلنيها﴾: انزلْ لي عنها حتّى أكفلَها. ﴿عزني في الخطاب﴾: غلبَني وقهرَني في المُحاجّةِ. ﴿الخلطاء﴾: الشُّركاءِ. ﴿فتنّاه﴾: ابتليْناهُ وامتحنّاهُ. ﴿خرّ راكعاً﴾: ساجداً للهِ تعالى. ﴿أناب﴾: رجعَ إلى الله بالتّوبةِ. ﴿لَزلفى﴾: لقُربةً ومكانةً. ﴿حسن مآب﴾: حسنَ مرجعٍ في الآخرةِ (الجنّة).

(١) الثعلبي (٢٢/ ٤٧٩)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١٧٤) عن ابنِ عبّاسٍ: كان يحرسُه كلَّ ليلةٍ نيفٌ وثلاثونَ ألفَ رجلٍ، فإذا أصبحَ قيلَ: ارجعوا؛ فقد رضيَ عنكم نبيُّ الله.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

(٢٧) ـ (٢٨) ـ ﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَيْنَهُما باطِلاً﴾ أي: عَبَثًا. ﴿ذلِكَ﴾ أي: خلقُ ما ذُكر لا لشيء ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة. ﴿فَوَيلٌ﴾: وادٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. أم نَجعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كالمُفسِدِينَ في الأرضِ؟ أم نَجعَلُ المُتَّقِينَ كالفُجّارِ﴾؟ نزلَ لمّا قال كُفّار مكّة للمؤمنين: إنّا نُعطَى في الآخرة مِثلَ ما تُعطَون. و«أم» بمعنى همزة الإنكار. (٢٩) ـ ﴿كِتابٌ﴾: خبر مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هذا، ﴿أنزَلْناهُ إلَيكَ مُبارَكٌ، لِيَدَّبَّرُوا﴾ ـ أصلُه «يَتَدبّروا» أُدغمت التاء في الدال ـ ﴿آياتِهِ﴾: ينظروا في معانيها فيؤمنوا، ﴿ولِيَتَذَكَّرَ﴾: يتعظَ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.

(٣٠) ـ ﴿ووَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيمانَ﴾ ابنَه، ﴿نِعمَ العَبدُ﴾ أي: سُليمانُ! ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع في التسبيح والذِّكر في جميع الأوقات، (٣١) ـ ﴿إذ عُرِضَ علَيهِ بالعَشِيِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الصّافِناتُ﴾: الخيل جمع صافنة ـ وهي القائمة على ثلاث، وأقامتِ الأُخرى على طرف الحافر. وهو من: صَفَنَ يَصفِنُ صُفونًا ـ ﴿الجِيادُ﴾: جمع جَواد، وهو السابق. المعنى أنها إن استُوقفتْ سَكنت، وإن رُكِضَتْ سَبقت. وكانت ألفَ فرس، عُرِضت عليه بعد أن صلّى الظُّهر، لإرادة الجِهاد عليها العدوَّ. فعند بلوغ العرض منها تسعَمِائَةٍ غربت الشمس، ولم يكن صلّى العصر فاغتمّ، (٣٢) ـ ﴿فقالَ: إنِّي أحبَبتُ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ الخَيرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَن ذِكرِ رَبِّي﴾ أي: صلاةِ العصر، ﴿حَتَّى تَوارَتْ﴾ أي: الشمسُ ﴿بالحِجابِ﴾ أي: استترتْ بما يحجبها عن الأبصار. (٣٣) ـ ﴿رُدُّوها عَلَيَّ﴾ أي: الخيلَ المعروضة، فردّوها ﴿فطَفِقَ مَسحًا﴾ بالسيف ﴿بالسُّوقِ﴾: جمع ساق ﴿والأعناقِ﴾ أي: ذبَحها وقطع أرجُلها تقرّبًا إلى الله ـ تعالى ـ حيثُ اشتغل بها عن الصلاة، وتصدّق بلحمها. فعوّضه الله خيرًا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء[1].

(٣٤) ـ ﴿ولَقَد فَتَنّا سُلَيمانَ﴾ ابتلَيناه بسلب مُلكه ـ وذلك لتزوّجه بامرأةٍ هَواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير عِلمه[2]، وكان مُلكه في خاتَمه، فنزعه مرّة عِند إرادة الخَلاء، ووضعه عند امرأته المُسمّاة بالأمينة على عادته، فجاءها جنّيّ في صورة سُليمان فأخذه منها ـ ﴿وألقَينا علَى كُرسِيِّهِ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجنّيّ وهو صخرٌ أو غيره، جلس على كرسيّ سُليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سُليمان في غير هيئته، فرآه على كرسيّه وقال للناس: أنا سُليمان. فأنكروه ـ ﴿ثُمَّ أنابَ﴾: رجَع سُليمان إلى مُلكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتَم فلبسه وجلس على كرسيّه.

(٣٥) ـ (٣٦) ـ ﴿قالَ: رَبِّ، اغفِرْ لِي وهَبْ لِي مُلْكًا، لا يَنبَغِي﴾: لا يكون ﴿لِأحَدٍ مِن بَعدِي﴾ أي: سِواي نحو: «فَمَن يَهدِيهِ مِن بَعدِ اللهِ» أي: سوى الله؟ ﴿إنَّكَ أنتَ الوَهّابُ. فسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ، تَجرِي بأمرِهِ رُخاءً﴾: ليّنة ﴿حَيثُ أصابَ﴾: أراد، (٣٧) ـ ﴿والشَّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وغَوّاصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ، (٣٨) ـ ﴿وآخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودين ﴿في الأصفادِ﴾: القُيود تَجمَعُ أيديهم إلى أعناقهم، وقلنا له: (٣٩) ـ ﴿هذا عَطاؤُنا. فامنُنْ﴾: أعطِ منه مَن شئتَ ﴿أو أمسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بغَيرِ حِسابٍ﴾ أي: لا حِساب عليك في ذلك. (٤٠) ـ ﴿وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى وحُسنَ مآبٍ﴾. تقدّمَ مِثلُه.

(٤١) ـ ﴿واذكُرْ عَبدَنا أيُّوبَ، إذ نادَى رَبَّهُ أنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَسَّنِيَ الشَّيطانُ، بِنُصْبٍ﴾: بضُرّ ﴿وعَذابٍ﴾: ألم. ونسبَ ذلك إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كُلّها من الله، تأدّبًا معه ـ تعالى ـ وقيل له: (٤٢) ـ ﴿اركُضْ﴾: اضرِب ﴿بِرِجلِكَ﴾ الأرضَ، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هذا مُغتَسَلٌ﴾: ماء تغتسل به ﴿بارِدٌ، وشَرابٌ﴾ تشرب منه ـ فاغتسلَ وشرب فذهب عنه كُلّ داء كان بظاهره وباطنه.

﴿باطلاً﴾: لَعِباً وعبَثاً. ﴿فويل﴾: هلاكٌ. أو وادٍ في جهنَّم. ﴿إنه أواب﴾: رجّاعٌ إليهِ تعالى بالتَّوبةِ. ﴿بالعشي﴾: ما بعدَ الزَّوالِ إلى الغروبِ. ﴿الصافنات﴾: الخيولُ الواقفةُ على ثلاثِ قوائمَ وطرفِ حافرِ الرَّابعةِ. ﴿الجياد﴾: السِّراعُ السَّوابقُ في العدوِ. ﴿أحببت حب الخير﴾: آثرتُ حبَّ الخيلِ. ﴿عن ذكر ربي﴾: على صلاتي العصرَ للهِ تعالى. ﴿توارت بالحجاب﴾: غرَبَتِ الشَّمسُ. أو غابَتِ الخيلُ عن بصرِهِ لظلمةِ اللَّيلِ. ﴿ردّوها علي﴾: رُدُّوا الخيلَ عليَّ. ﴿فطفق مسحاً بالسّوق والأعناق﴾: فَشرَعَ يقطعُ سُوقَها وأعْناقَها بالسَّيفِ قرباناً للهِ تعالى وكانَ ذلكَ مشروعاً في ملَّتِهِ. ﴿فتنّا سليمان﴾: ابْتلَيْناهُ وامتحنّاهُ وعاقبْناهُ. ﴿جسداً﴾: شِقَّ إنسانٍ ولِدَ لهُ. ﴿أناب﴾: رَجَعَ إلى اللهِ تعالى بالتَّوبةِ. ﴿رخاءً حيث أصاب﴾: ليِّنةً. أو مُنقادةً حيثُ أرادَ. ﴿غوّاص﴾: في البحرِ لاستخْراجِ نفائسِهِ. ﴿الأصفاد﴾: الأغلالِ تجمعُ الأيدي إلى الأعناقِ. ﴿بغير حساب﴾: غيرَ مُحاسَبٍ على شيءٍ مِنَ الأمْرَينِ. ﴿لزلفى﴾: لقُرْباً وكَرامةً. ﴿حسن مآب﴾: حُسْنَ مَرْجعٍ في الآخرةِ. ﴿بنصْب وعذاب﴾: بتعبٍ ومشقَّةٍ، وألَمٍ وضرٍّ. ﴿اركض برجلك﴾: اضربْ بها الأرضَ. ﴿هذا مغتسل﴾: ماءٌ تغتسلُ بهِ، فيهِ شفاؤُكَ.

(١) كذا جزم به، وهو مروي عن بعض السلف، لكن روي عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنه ما ضرَبَ أعناقَها وما عَرْقبَها، بل مسحَ أعناقَها وسُوقَها بيدِه حبًّا لها، رواه الطبري (٢٠/ ٨٧) ورجحه لأن نبي الله لم يكن لِيُعذبَ حيواناً بالعرقبة، ويُهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها في ذلك.

(٢) إلى آخر القصة ذكره مطولًا الثعلبي (٢٢/ ٥٣٢ ـ ٥٤٧) عن وهب، ورواه الطبري (٢٠/ ٩١) عن السدي، وهو من خرافات اليهود كما قال ابن حزم في «الفِصَل» (٤/ ١٥): معنى: ﴿فتنا سُلَيْمَانَ﴾؛ أي: آتيناه من الملك مَا اختبرنا به طاعته حتَّى ظهر فضله، وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم.. الخ.

وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ
(٤٣) وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ
ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ (٤٤) وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي
ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ (٤٥) إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ (٤٦)
وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ (٤٧) وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ
وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ (٤٨) هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ
لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٤٩) جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ (٥٠) مُتَّكِـِٔينَ
فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ (٥١) ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ
ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا
لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ (٥٤) هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ
(٥٥) جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ
وَغَسَّاقٞ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوۡجٞ
مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ (٥٩) قَالُواْ
بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ (٦٠)
قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ (٦١)

(٤٣) ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ أهلَهُ ومِثلَهُم مَعَهُم﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده ورَزَقَه مِثلهم ﴿رَحْمةً﴾: نِعمة ﴿مِنّا وذِكرَى﴾: عِظةً ﴿لِأُولِي الألبابِ﴾: لأصحاب العُقول ـ (٤٤) ـ ﴿وخُذْ بِيَدِكَ ضِغثًا﴾ هو حُزمة من حشيش أو قِضبان، ﴿فاضرِبْ بِهِ﴾ زوجتَك ـ وكان قد حلف ليضربنّها مِائَةَ ضربة لإبطائها عليه يومًا ـ ﴿ولا تَحنَثْ﴾ بترك ضربها. فأخذ مِائَةَ عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة. ﴿إنّا وَجَدْناهُ صابِرًا، نِعمَ العَبدُ﴾ أيوبُ! ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع إلى الله تعالى.

نصف الحزب ٤٦

(٤٥) ـ ﴿واذكُرْ عِبادَنا إبراهِيمَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ أُولِي الأيدِي﴾: أصحابَ القُوى في العِبادة، ﴿والأبصارِ﴾: البصائرِ في الدِّين ـ وفي قراءةٍ: «عَبدَنا»، وإبراهيمَ: بيان له، وما بعده عطف على «عبدَنا». (٤٦) ـ ﴿إنّا أخلَصْناهُم بِخالِصةٍ﴾، هي ﴿ذِكرَى الدّارِ﴾ الآخرة، أي: ذِكرُها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان، (٤٧) ـ ﴿وإنَّهُم عِندَنا لَمِنَ المُصطَفَينَ﴾: المُختارِينَ ﴿الأخيارِ﴾: جمع خيِّر بالتشديد ـ (٤٨) ـ ﴿واذكُرْ إسماعِيلَ واليَسَعَ﴾ هو نبيّ، واللام: زائدة، ﴿وذا الكِفلِ﴾ اختُلف في نبوّته، قيل: كَفَلَ مِائَةَ نبيّ، فرّوا إليه من القتل. ﴿وكُلٌّ﴾ أي: كُلّهم ﴿مِنَ الأخيارِ﴾.

(٤٩) ـ ﴿هذا ذِكرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا، ﴿وإنَّ لِلمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسنَ مآبٍ﴾: مرجعٍ في الآخرة، (٥٠) ـ ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان لـ «حسنَ مآب»، ﴿مُفَتَّحةً لَهُمُ الأبوابُ﴾ منها، (٥١) ـ (٥٢) ـ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها﴾ على الأرائك، ﴿يَدعُونَ فِيها بِفاكِهةٍ كَثِيرةٍ وشَرابٍ، وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: حابساتُ العَين على أزواجهنّ ﴿أترابٌ﴾: أسنانهنّ واحدة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع تِرب. (٥٣) ـ ﴿هذا﴾ المذكور ﴿ما يُوعَدُونَ﴾ ـ بالغَيبة، وبالخِطاب التفاتًا ـ ﴿لِيَومِ الحِسابِ﴾ أي: لأجله. (٥٤) ـ ﴿إنَّ هذا لَرِزقُنا، مالَهُ مِن نَفادٍ﴾ أي: انقطاع. والجملة: حال من «رزقنا» أو خبر ثان لـ «إنّ» أي: دائمًا أو دائمٌ.

(٥٥) ـ (٥٦) ـ ﴿هذا﴾ المذكور للمؤمنين، ﴿وإنَّ لِلطّاغِينَ﴾: مستأنفٌ ﴿لَشَرَّ مآبٍ، جَهَنَّمَ يَصلَونَها﴾: يدخلونها. ﴿فَبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ!

(٥٧) ـ ﴿هذا﴾ أي: العذاب المفهوم ممّا بعده ـ ﴿فلْيَذُوقُوهُ ـ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حارّ مُحرق ﴿وغَساقٌ﴾، بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، (٥٨) ـ ﴿وأُخَرُ﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿مِن شَكلِهِ﴾ أي: مِثلِ المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواجٌ﴾: أصناف، أي: عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم، عِند دُخولهم النارَ بأتباعهم: (٥٩) ـ (٦٠) ـ ﴿هذا فَوجٌ﴾: جمع ﴿مُقتَحِمٌ﴾: داخلٌ ﴿مَعَكُم﴾ النارَ بشِدّة، فيقول المتبوعون: ﴿لا مَرحَبًا بِهِم﴾ أي: لا سَعةَ عليهم. ﴿إنَّهُم صالُو النّارِ. قالُوا﴾ أي: الأتباعُ: ﴿بَل أنتُم لا مَرحَبًا بِكُم. أنتُم قَدَّمتُمُوهُ﴾ أي: الكُفرَ ﴿لَنا. فَبِئسَ القَرارُ﴾ لنا ولكم النارُ! (٦١) ـ ﴿قالُوا﴾ أيضًا: ﴿رَبَّنا، مَن قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذابًا ضِعفًا﴾ أي: مِثلَ عذابه على كُفره ﴿في النّارِ﴾.

﴿ضِغثًا﴾: قبضةً مِن قضبانٍ أو عِثْكالَ النَّخلِ بشماريخِهِ. ﴿أولي الأيدي﴾: أصحاب القوَّةِ في الطَّاعةِ. ﴿والأبصار﴾: والبصائرِ في الدِّينِ والعلْمِ. ﴿أخلصناهم بخالصة﴾: خَصصْناهُم بخصْلةٍ لا شَوْبَ فيها. ﴿هذا ذكر﴾: المذكورُ مِن محاسنِهم شَرَفٌ لهُم. ﴿قاصرات الطرف﴾: حُورٌ لا ينظرْنَ إلى غيرِ أزواجِهِنَّ. ﴿أتراب﴾: مستوياتٌ في الشَّبابِ. ﴿نفاد﴾: انقطاعٍ وفَناءٍ. ﴿لشرّ مآب﴾: لأسْوأَ مُنقلبٍ ومَصيرٍ. ﴿جهنّم يصلونها﴾: يَدْخلونَها أو يقاسونَ حَرَّها. ﴿فبئس المهاد﴾: فبئسَ الفِراشُ، أي المستقرُّ جهنَّمُ. ﴿حميم﴾: ماءٌ بالغٌ نهايةَ الحرارةِ. ﴿غسّاق﴾: صَديدٌ يسيلُ مِن أجسامِهِم. ﴿وآخر﴾: وعذابٌ آخرُ. ﴿من شكله أزواج﴾: مِنْ مثلِهِ أصْنافٌ في الفظاعَةِ. ﴿هذا فوج﴾: جَمعٌ كَثيفٌ مِنْ أتباعِكُم الضَّالِّينَ. ﴿مقتحم معكم﴾: داخلٌ مَعَكُم النَّارَ قَهْراً عنهُ. ﴿لا مرحباً بهم﴾: لا رَحُبَتْ بهِمُ النَّارُ ولا اتَّسعَتْ. ﴿صالوا النّار﴾: داخِلوها. أو مُقاسو حرِّها. ﴿فبئس القرار﴾: فبئسَ المَقرُّ للجميعِ جهنَّمُ.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ
﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

(٦٢) ـ (٦٣) ـ ﴿**وقالوا**﴾ أي: كُفّار مكّة، وهم في النار: ﴿**مالَنا لا نَرى رِجالاً، كُنّا نَعُدُّهُم**﴾ في الدنيا ﴿**مِنَ الأشرارِ**؟ **اتَّخَذناهُم سُخرِيًّا**﴾، بضم السين وكسرها: كنّا نسخر بهم في الدنيا ـ والياء: للنسب ـ أي: أمفقودون هم ﴿**أم زاغَتْ**﴾: مالت ﴿**عَنهُمُ الأبصارُ**﴾ فلم نرهم؟ وهم فُقراء المُسلمين كعمّار وبلال وصُهيب وسلمان. (٦٤) ـ ﴿**إنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ**﴾: واجبٌ وقوعُه، ﴿**تَخاصُمُ أهلِ النّارِ**﴾ كما تقدّم.

(٦٥) ـ ﴿**قُلْ**﴾ ـ يا محمّد ـ لكفّار مكّة: ﴿**إنَّما أنا مُنذِرٌ**﴾: مُخوِّف بالنار، ﴿**وما مِن إلـٰهٍ إلاّ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ لخلقِه، (٦٦) ـ ﴿**رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما العَزيزُ**﴾: الغالب على أمره ﴿**الغَفّارُ**﴾ لأوليائه. (٦٧) ـ (٦٨) ـ ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**هُو نَبأٌ عَظيمٌ، أنتُم عَنهُ مُعرِضُونَ**﴾ أي: القُرآنُ الذي أنبأتُكم به، وجئتكم فيه بما لا يُعلم إلاّ بوحي. وهو قوله: (٦٩) ـ ﴿**ما كانَ لِي مِن عِلمٍ بالمَلأِ الأعلى**﴾ أي: الملائكة، ﴿**إذ يَختَصِمُونَ**﴾ في شأن آدم، حين قال الله: «إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً» إلى آخره. (٧٠) ـ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**يُوحى إلَيَّ إلاّ أنَّما أنا**﴾ أي: أنّي ﴿**نَذيرٌ مُبينٌ**﴾: بيّنُ الإنذار.

(٧١) ـ اذكرْ ﴿**إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنّي خالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ**﴾ هو آدم. (٧٢) ـ ﴿**فإذا سَوَّيتُهُ**﴾: أتممته، ﴿**ونَفَختُ**﴾: أجريت ﴿**فيهِ مِن رُوحي**﴾ فصار حيًّا ـ وإضافة الروح إليه تشريف لآدم. والروح: جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ـ ﴿**فقَعُوا لَهُ ساجِدينَ**﴾ سُجودَ تحيّة بالانحناء. (٧٣) ـ ﴿**فسَجَدَ المَلائكةُ كُلُّهُم أجمَعُونَ**﴾ ـ فيه تأكيدان ـ (٧٤) ـ ﴿**إلاّ إبليسَ**﴾ هو أبو الجنّ كان بين الملائكة، ﴿**استَكبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرينَ**﴾ في عِلم الله[1] تعالى. (٧٥) ـ ﴿**قالَ: يا إبليسُ، ما مَنَعَكَ أن تَسجُدَ لِما خَلَقتُ بِيَدَيَّ**﴾ أي: تولّيتُ خلقه؟ وهذا تشريف لآدمَ ـ فإنّ كل مخلوق تولّى الله خلقه ـ ﴿**أستَكبَرتَ**﴾ الآن عن السُّجود؟ استفهام توبيخ، ﴿**أم كُنتَ مِنَ العالِينَ**﴾: المُتكبّرين، فتكبّرت عن السُّجود لكونك منهم؟ (٧٦) ـ ﴿**قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ. خَلَقتَني مِن نارٍ وخَلَقتَهُ مِن طِينٍ**﴾.

(٧٧) ـ ﴿**قالَ: فاخرُجْ مِنها**﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات. ﴿**فإنَّكَ رَجيمٌ**﴾: مطرود، (٧٨) ـ ﴿**وإنَّ عَلَيكَ لَعنَتي إلى يَومِ الدِّينِ**﴾: الجزاء. (٧٩) ـ ﴿**قالَ: رَبِّ، فأنظِرني إلى يَومِ يُبعَثُونَ**﴾، أي: الناس. (٨٠) ـ (٨١) ـ ﴿**قالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ إلى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ**﴾: وقتِ النفخة الأُولى. (٨٢) ـ (٨٣) ـ ﴿**قالَ: فبِعِزّتِكَ، لأُغوِيَنَّهُم أجمَعِينَ، إلاّ عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَ**﴾ أي: المؤمنين[2].

﴿أتّخذناهم سخريًّا؟﴾: مهزوءاً بِهِم في الدُّنيا فأخطأنا؟؟. ﴿زاغت عنهم الأبصار﴾: مَالَتْ عنهُمْ فلم نعلمْ مكانَهُم. ﴿بالملأ الأعلى﴾: المَلائكةِ. ﴿إذ يختصمون﴾: في شأنِ آدمَ وخَلقِهِ وخِلافتِهِ. ﴿سوّيته﴾: أتمَمْتُ خَلقَهُ بالصُّورةِ الإنسانيَّةِ. ﴿ساجدين﴾: تحيَّةً لهُ وتكريماً. ﴿العالين﴾: المُستحقّين للعلوِّ والرِّفعَةِ ـ كَلّا. ﴿رجيم﴾: مطرودٌ مِن كلِّ خيرٍ وكَرامةٍ. ﴿فأنظرني﴾: أمهِلْني ولا تمتْني. ﴿يوم الوقت المعلوم﴾: وَقْتِ النَّفخةِ الأُولى. ﴿فبعزتك﴾: فبِسُلطانِكَ وقَهرِكَ (قَسَمٌ). ﴿لأغوينّهم﴾: لأضلَّنَّهُمْ بتزيينِ المعاصي لهُم.

(١) أو صارَ باستنكارِهِ أمرَ اللهِ، واستكبارِهِ عن المطاوعةِ. (الجمالين).

(٢) الَّذين أخلصَهُمُ اللهُ للطَّاعةِ، وحفظَهُم من الضَّلالةِ، أو: أخلصُوا أمورَهُم للهِ على اختلافِ القراءتينِ. (الجمالين).

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سورة الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ
مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ
﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى
ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

﴿٨٤﴾ ـ ﴿**قالَ: فالحَقَّ والحَقَّ أقُولُ**﴾ ـ بنصبِهما ورفعِ الأول ونصبِ الثاني ـ فنصبُه بالفعل بعده، ونصبُ الأوّل قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي: أحُقُّ الحقَّ، وقيل: على نزع حرف القسم. ورفعُه على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: فالحقُّ منّي وقيل: فالحقُّ قَسَمي، وجواب القسم: ﴿٨٥﴾ ـ ﴿**لأملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ**﴾ بذُرّيّتك، ﴿**ومِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم**﴾: من الناس ﴿**أجمَعِينَ**﴾.

﴿٨٦﴾ ـ ﴿**قُلْ: ما أسألُكُم علَيهِ**﴾ على تبليغ الرسالة ﴿**مِن أجرٍ**﴾: جُعْل، ﴿**وما أنا مِنَ المُتكَلِّفِينَ**﴾ المتقوّلينَ القُرآنَ من تِلقاء نفسي. ﴿٨٧﴾ ـ ﴿**إنْ هُوَ**﴾ أي: ما القُرآنُ ﴿**إلاّ ذِكرٌ**﴾: عِظة ﴿**لِلعالَمِينَ**﴾: الإنس والجِنّ دُون الملائكة، ﴿٨٨﴾ ـ ﴿**ولَتَعلَمُنَّ**﴾ ـ يا كُفّارَ مكّة ـ ﴿**نَبَأَهُ**﴾: خبر صِدقه ﴿**بَعدَ حِينٍ**﴾ أي: يومَ القيامة. وعَلِمَ بمعنى: عَرَفَ. واللام قبلها: لام قسم مُقدّر، أي: والله.

***

٣٩

سورة الزمر

مكية إلاّ «قل يا عباديَ الذين أسرفوا» الآيةَ فمدنية، وهي خمس وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿**تَنزِيلُ الكِتابِ**﴾: القُرآنِ، مبتدأٌ ﴿**مِنَ اللهِ**﴾: خبرُه، ﴿**العَزِيزِ**﴾ في مُلكه ﴿**الحَكِيمِ**﴾ في صُنعه. ﴿٢﴾ ـ ﴿**إنّا أنزَلْنا إلَيكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**الكِتابَ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «أنزل». ﴿**فاعبُدِ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ من الشِّرك، أي: مُوحّدًا له.

﴿٣﴾ ـ ﴿**ألا للهِ الدِّينُ الخالِصُ**﴾، لا يستحقّه غيره، ﴿**والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ**﴾ الأصنامَ ﴿**أولِياءَ**﴾[1] ـ وهم كُفّار مكّة ـ قالوا: ﴿**ما نَعبُدُهُم إلاّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلفى**﴾: قُربَى مصدر بمعنى: تقريبًا. ﴿**إنَّ اللهَ يَحكُمُ بَينَهُم**﴾ وبين المسلمين ﴿**فِيما هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ من أمر الدِّين، فيُدخل المؤمنين الجنّة والكافرين النار. ﴿**إنَّ اللهَ لا يَهدِي مَن هُوَ كاذِبٌ**﴾ في نِسبة الولد إلى الله ﴿**كَفّارٌ**﴾ بعِبادته غيرَ الله.

﴿٤﴾ ـ ﴿**لَو أرادَ اللهُ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾ كما قالوا: «اتّخذَ الرّحمنُ وَلَدًا» ﴿**لاصطَفَى مِمّا يَخلُقُ ما يَشاءُ**﴾ واتّخذه ولدًا غيرَ مَن قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، وعُزيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله. ﴿**سُبحانَهُ**﴾: تنزيهًا له عن اتّخاذ الولد. ﴿**هُوَ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ**﴾ لخلقه! ﴿٥﴾ ـ ﴿**خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «خلق»، ﴿**يُكَوِّرُ**﴾: يُدخِل ﴿**اللَّيلَ على النَّهارِ**﴾ فيزيد، ﴿**ويُكَوِّرُ النَّهارَ**﴾: يُدخِله ﴿**على اللَّيلِ**﴾ فيزيد، ﴿**وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ يَجرِي**﴾ في فلكه ﴿**لأجَلٍ مُسَمًّى**﴾: لِيوم القِيامة. ﴿**ألا هُوَ العَزِيزُ**﴾: الغالب على أمره المُنتقم من أعدائه ﴿**الغَفّارُ**﴾ لأوليائه.

﴿المتكلّفين﴾: المُتَصنِّعِينَ المُتقَوِّلينَ على اللهِ. ﴿نبأه﴾: صدقَ أخبارِهِ.
﴿مُخلصاً﴾: مُمَحِّضاً لهُ الطّاعةَ والعبادةَ. ﴿زلفى﴾: تقريباً. ﴿سُبحانه﴾: تنزيهاً لهُ عنِ اتّخاذِ الولدِ. ﴿يُكوّر الليل على النّهار﴾: يَلفُّهُ على النّهارِ لفَّ اللِّباسِ على اللّابسِ فيستُرُهُ فتظهرُ الظُّلمةُ.

(١) عن ابن عباس: أنزلت في ثلاثة أحياء: عامر وكنانة وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان ويقولون: الملائكة بناته، فقالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. جويبر كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٨).

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ
خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ
لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً
مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ
﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ
وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٦ ـ ﴿خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدةٍ﴾ أي: آدم ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنها زَوجَها﴾ حوّاءَ ـ ﴿وأنزَلَ لكُم مِنَ الأنعامِ﴾: الإبلِ والبقرِ والغنمِ الضأنِ والمعزِ ﴿ثمانيةَ أزواجٍ﴾ من كُلٍّ زوجانِ: ذكر وأُنثى كما بيّنَ في سورة «الأنعام»، ﴿يَخلُقُكُم في بُطونِ أُمَّهاتِكُم خَلقًا مِن بَعدِ خَلقٍ﴾ أي: نُطَفًا ثم عَلَقًا ثم مُضَغًا، ﴿في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾ هي: ظُلمة البطن وظُلمة الرحم وظُلمة المَشيمة. ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، لَهُ المُلكُ، لا إلهَ إلاّ هُوَ. فأنَّى تُصرَفُونَ﴾ عن عِبادته إلى عِبادة غيره؟

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

٧ ـ ﴿إن تَكفُرُوا فإنَّ اللهَ غَنيٌّ عَنكُم، ولا يَرضَى لِعِبادِهِ الكُفرَ﴾، وإن أراده من بعضهم، ﴿وإن تَشكُرُوا﴾ اللهَ فتؤمنوا ﴿يَرضَهُ﴾ ـ بسكون الهاء، وضمّها مع إشباع ودونه ـ أي: الشُّكرَ ﴿لَكُم، ولا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وازِرةٌ وِزرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخرَى﴾ أي: لا تحمله، ﴿ثُمَّ إلَى رَبِّكُم مَرجِعُكُم، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ. إنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوب.

٨ ـ ٩ ـ ﴿وإذا مَسَّ الإنسانَ﴾ أي: الكافرَ ﴿ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾: راجعًا ﴿إلَيهِ، ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ نِعمةً﴾: أعطاه إنعامًا ﴿مِنهُ نَسِيَ﴾: ترك ﴿ما كانَ يَدعُو﴾: يتضرَّعُ ﴿إلَيهِ مِن قَبلُ﴾ وهو الله ـ فما: في موضع: مَن ـ ﴿وجَعَلَ لِلهِ أندادًا﴾: شُركاءَ ﴿لِيَضِلَّ﴾، بفتح الياء وضمّها، ﴿عَن سَبيلِهِ. قُلْ: تَمَتَّعْ بِكُفرِكَ قَليلاً﴾: بقيّةَ أجلك. ﴿إنَّكَ مِن أصحابِ النّارِ. أَمَن﴾، بتخفيف الميم، ﴿هُوَ قانِتٌ﴾: قائم بوظائف الطاعات ﴿آناءَ اللَّيلِ﴾[1]: ساعاتِه ﴿ساجِدًا وقائمًا﴾ في الصلاة، ﴿يَحذَرُ الآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها، ﴿ويَرجُو رَحمةَ﴾: جنّةَ ﴿رَبِّهِ﴾، كمن هو عاصٍ بالكُفر أو غيره؟ وفي قراءة: «أم مَن» بمعنى: بل والهمزة. ﴿قُلْ: هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾؟ أي: لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل. ﴿إنَّما يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحاب العُقول.

١٠ ـ ﴿قُلْ: يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا رَبَّكُم﴾ أي: عذابَه بأن تُطيعوه. ﴿لِلَّذِينَ أحسَنُوا في هذِهِ الدُّنيا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنةٌ﴾ هي الجنّة، ﴿وأرضُ اللهِ واسِعةٌ﴾. فهاجروا إليها من بين الكُفّار ومُشاهدة المُنكرات. ﴿إنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ﴾ على الطاعة وما يُبتلَون به ﴿أجرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ﴾: بغير مِكيال ولا مِيزان.

﴿أنزَلَ لكم﴾: أنشأَ وأحْدثَ لأجْلِكُم. ﴿من الأنعام﴾: الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ. ﴿ظلمَات ثلاثٍ﴾: ظلمةِ البطنِ والرَّحمِ والمشيمةِ. ﴿فأنّى تُصْرَفون؟﴾: فكيفَ تصرفونَ عن عبادتِهِ؟ ﴿لا تزر وازرَةٌ..﴾: لا تحْملُ نفسٌ آثمةٌ... ﴿مُنيباً إليه﴾: راجعاً إليهِ، مستغيثاً بهِ. ﴿خَوّله نِعْمَة﴾: أعطاهُ نعمةً عظيمةً تفضُّلاً وإحساناً. ﴿أندادًا﴾: أمثالاً يَعبدُها مِن دونِهِ تعالى. ﴿هوَ قَانتٌ﴾: مطيعٌ خاضعٌ عابدٌ للهِ تعالى. ﴿آناءَ الليل﴾: سَاعاتِهِ. ﴿بغَير حِساب﴾: بلا نهايةٍ لِمَا يعطي أو بتوْسعةٍ.

(١) عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه. الماوردي (٥/ ١١٧)، والواحدي (ص/ ٣٦٨)، وابن الجوزي (٤/ ١٠).
وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عثمانَ بنِ عفّانَ رضي الله عنه. ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٨)، وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٤).
وقال مُقاتلٌ: نزلَتْ في عمّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه. «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧١ ـ ٦٧٢). ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٥٠) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه جويبر عن عكرمة كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٨).
وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في ابن مسعود وعمار وسالم مولى أبي حذيفة رَضِي الله عَنهُم. رواه جويبر كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٨).

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

(١١) ـ ﴿قُلْ: إنِّي أُمِرتُ أن أعبُدَ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك، (١٢) ـ ﴿وأُمِرتُ لِأن﴾ أي: بأن ﴿أكُونَ أوَّلَ المُسلِمِينَ﴾ من هذه الأمّة. (١٣) ـ (١٤) ـ ﴿قُلْ: إنِّي أخافُ، إن عَصَيتُ رَبِّي، عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ. قُلِ: اللهَ أعبُدُ مُخلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشِّرك. (١٥) ـ ﴿فاعبُدُوا ما شِئتُم مِن دُونِهِ﴾: غيرَه. فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى[1].

﴿قُلْ: إنَّ الخاسِرينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهلِيهِم يَومَ القِيامةِ﴾ بتخليد الأنفُس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحُور المُعدّة لهم في الجنّة، لو آمنوا ـ ﴿ألا ذلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبِينُ﴾: البيّنُ ـ (١٦) ـ (١٧) ـ (١٨) ـ ﴿لَهُم مِن فَوقِهِم ظُلَلٌ﴾: طِباق ﴿مِنَ النّارِ ومِن تَحتِهِم ظُلَلٌ﴾ من النار. ﴿ذلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبادَهُ﴾ أي: المؤمنين ليتّقوه ـ يدلّ عليه: ﴿يا عِبادِ، فاتَّقُونِ ـ والَّذِينَ اجتَنَبُوا الطّاغُوتَ﴾: الأوثانَ[2] ﴿أن يَعبُدُوها، وأنابُوا﴾: أقبلوا ﴿إلى اللهِ، لَهُمُ البُشرَى﴾ بالجنة. ﴿فبَشِّر عِبادِيَ الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فيَتَّبِعُونَ أحسَنَهُ﴾، وهو ما فيه فلاحهم. ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ، وأُولئِكَ هُم أُولُو الألبابِ﴾: أصحاب العُقول.

(١٩) ـ ﴿أفمَن حَقَّ علَيهِ كَلِمةُ العَذابِ﴾، هي: «لَأملأنَّ جَهنَّمَ» الآية، ﴿أفأنتَ تُنقِذُ﴾: تُخرج ﴿مَن في النّارِ﴾؟ جوابُ الشرط. وأُقيم فيه الظاهر مَقام المُضمر، والهمزةُ: للإنكار. والمعنى: لا تقدرُ على هِدايته فتُنقذَه من النار. (٢٠) ـ ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُم غُرَفٌ، مِن فَوقِها غُرَفٌ، مَبنِيّةٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ﴾ أي: من تحت الغُرف الفوقانيّة والتحتانيّة، ﴿وَعْدَ اللهِ﴾: منصوب بفعله المُقدّر، ﴿لا يُخلِفُ اللهُ المِيعادَ﴾: وعدَه.

(٢١) ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فسَلَكَهُ يَنابِيعَ﴾: أدخله أمكنةَ نبعٍ ﴿في الأرضِ، ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرعًا مُختَلِفًا ألوانُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبَسُ، ﴿فتَراهُ﴾ بعد الخُضرة مَثلاً ﴿مُصفَرًّا، ثُمَّ يَجعَلُهُ حُطامًا﴾: فُتاتًا؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَذِكرَى﴾: تذكيرًا، ﴿لِأُولِي الألبابِ﴾ يتذكّرون به لدلالته على وحدانيّة الله ـ تعالى ـ وقُدرته.

﴿ظُلَلٌ مِنَ النارِ﴾: أطباقٌ منها أكثيرةٌ متراكمةٌ. ﴿اجْتَنَبوا الطّاغوتَ﴾: الأوثانَ والمعبوداتِ الباطلةَ. ﴿أنابوا إلى الله﴾: رجعوا إلى عبادتِهِ وحدَهُ. ﴿حقّ عليْه﴾: وَجَبَ وثَبَتَ عليه. ﴿لهمْ غرفٌ﴾: منازلُ رفيعةٌ عاليةٌ في الجنّةِ. ﴿فسلكه ينابيعَ﴾: أدخلَهُ في عيونٍ ومَجارٍ. ﴿يَهيج﴾: يَيْبَسُ في أقصى غايتِهِ. ﴿يَجْعَلُهُ حُطامًا﴾: يصيِّرُهُ فتاتاً هشيماً مُتكسِّراً.

(١) عن زيد بن أسلم: نزلَتْ هاتان الآيتان في ثلاثةِ نفرٍ كانوا في الجاهليَّةِ يقولونَ: «لا إلهَ إلا الله»: زيدِ بنِ عمرٍو، وأبي ذرٍّ الغِفاريِّ، وسلمانَ الفارسيِّ. الطبري (٢٠/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٤٩).

وعن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿لها سبعة أبواب﴾ الآيةَ أتى رجل من الأنصار النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي سبعة مماليك، وإني قد عتقت لكل باب منها مملوكاً، فنزلت فيه: ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾. جويبر كما في «لباب النقول» (ص: ١٦٨).

عن عطاء عن ابنِ عبّاسٍ: آمَنَ أبو بكرٍ بالنبيِّ ﷺ وصدَّقَه، فجاءه عثمانُ وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ وطلحةُ والزُّبيرُ وسعيدُ بنُ زيدٍ وسعدُ بنُ أبي وقّاصٍ، فسألوه فأخبرَهم بإيمانِه فآمنوا، فنزل: ﴿فبشر عبادي * الَّذين يستمعون القول﴾؛ أي: مِن أبي بكرٍ ﴿فيتبعون أحسنه﴾. الواحدي (ص: ٣٦٩).

(٢) (الجمالين).

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم
مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

(٢٢) ـ ﴿**أفمَن شَرَحَ اللهُ صَدرَهُ لِلإسلامِ**﴾[(١)] فاهتدى، ﴿**فهُوَ على نُورٍ مِن رَبِّهِ**﴾، كمن طَبع على قلبه؟ دلَّ على هذا: ﴿**فوَيلٌ**﴾: كلمةُ عذاب ﴿**لِلقاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكرِ اللهِ**﴾ أي: عن قَبول القُرآن. ﴿**أُولئِكَ في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾: بيِّن.

(٢٣) ـ ﴿**اللهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدِيثِ**﴾[(٢)]، ﴿**كِتابًا**﴾: بدلٌ من «أحسنَ» أي: قرآنًا ﴿**مُتَشابِهًا**﴾ أي: يُشبه بعضه بعضًا في النظم وغيره، ﴿**مَثانِيَ**﴾: ثُنِّيَ فيه الوعدُ والوعيد وغيرُهما، ﴿**تَقشَعِرُّ مِنهُ**﴾: ترتعد عِند ذِكر وعيده ﴿**جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم، ثُمَّ تَلِينُ**﴾: تطمئنّ ﴿**جُلُودُهُم وقُلُوبُهُم إلى ذِكرِ اللهِ**﴾ أي: عِندَ ذِكر وعده. ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: الكتاب ﴿**هُدَى اللهِ، يَهدِي بِهِ مَن يَشاءُ، ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ**﴾.

(٢٤) ـ ﴿**أفمَن يَتَّقِي**﴾: يلقى ﴿**بِوَجهِهِ سُوءَ العَذابِ يَومَ القِيامةِ**﴾ أي: أشدَّه بأن يُلقى في النار مغلولةً يداه إلى عُنقه كمن أمِنَ منه بدُخول الجنّة؟ ﴿**وقِيلَ لِلظّالِمِينَ**﴾ أي: كُفّار مكّة: ﴿**ذُوقُوا ما كُنتُم تَكسِبُونَ**﴾ أي: جزاءه.

(٢٥) ـ ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ رُسلَهم في إتيان العذاب، ﴿**فأتاهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ**﴾: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم، (٢٦) ـ ﴿**فأذاقَهُمُ اللهُ الخِزْيَ**﴾: الذّل والهوان من المسخ والقتل وغيرهما ﴿**في الحَياةِ الدُّنيا. ولَعَذابُ الآخِرةِ أكبَرُ. لَو كانُوا**﴾ أي المُكذّبون ﴿**يَعلَمُونَ**﴾ عذابها ما كذّبوا.

(٢٧) ـ ﴿**ولَقَد ضَرَبْنا**﴾: جعلنا ﴿**لِلنّاسِ في هذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ**﴾ يتّعظون، (٢٨) ـ ﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا**﴾: حالٌ مُؤكِّدة، ﴿**غَيرَ ذِي عِوَجٍ**﴾ أي: لَبسٍ واختلاف، ﴿**لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ**﴾ الكُفر.

(٢٩) ـ ﴿**ضَرَبَ اللهُ**﴾ للمُشرك والمُوحِّد ﴿**مَثَلاً رَجُلاً**﴾: بدلٌ من «مثلاً» ﴿**فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ**﴾: متنازعون سيّئةٌ أخلاقُهم، ﴿**ورَجُلاً سالِمًا**﴾: خالصًا ﴿**لِرَجُلٍ. هَل يَستَوِيانِ مَثَلاً**﴾؟ تمييزٌ، أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد. فإنّ الأوّل إذا طلَبَ منه كُلٌّ من مالكيه خِدمته في وقت واحد تحيَّر فيمن يخدمه منهم. وهذا مَثل للمُشرك، والثاني مَثل للمُوحّد. ﴿**الحَمدُ لِلهِ**﴾ وحدَه. ﴿**بَل أكثَرُهُم**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**لا يَعلَمُونَ**﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيُشركون.

(٣٠) ـ ﴿**إنَّكَ**﴾ ـ خِطاب للنبيّ ـ ﴿**مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ**﴾: ستموت ويموتون، فلا شماتةَ بالموت ـ نزلتْ لمّا استبطؤوا موته ﷺ[(٣)] ـ
(٣١) ـ (٣٢) ـ ﴿**ثُمَّ إنَّكُم**﴾، أيها الناس، فيما بينكم من المظالم ﴿**يَومَ القِيامةِ عِندَ رَبِّكُم تَختَصِمُونَ**﴾.

﴿فويْلٌ﴾: هلاكٌ أو حسرةٌ أو شدَّةُ عذابٍ. ﴿أحسَنَ الحديث﴾: أبلغَهُ وأصْدقَهُ وأوْفاهُ (القرآن). ﴿كِتابًا مُتَشابهاً﴾: في إعجازِهِ وهدايتِهِ وخصائِصِهِ. ﴿مَثانيَ﴾: مكرَّراً فيهِ الأحكامُ والمواعظُ والقَصَصُ وغيرُها. ﴿تَقْشعرّ منه.﴾: تضْطربُ وترتعِدُ مِنْ قَوارعِهِ.. ﴿تَلين جلودهم﴾: تسكنُ وتطمئنُّ ليِّنَةً غيرَ مُنقَبضةٍ. ﴿الخزيَ﴾: الذُّلَّ والهَوَانَ. ﴿عِوَج﴾: اختلافٍ واختلالٍ واضطرابٍ. ﴿شُركاءُ مُتَشاكِسون﴾: متنازعونَ شرسو الطِّباعِ. ﴿سَلَمًا لرَجل﴾: خالصاً لهُ مِنَ الشّرِكَةِ والمُنازعةِ.

(١) نزلَتْ في حمزةَ وعليٍّ وأبي لهبٍ وولدِه، فالأولان ممَّن شرحَ الله صدرَه، وأبو لهبٍ وولدُه هم الذين قسَتْ قلوبُهم عن ذكرِ الله. «الهداية» لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٣٢٥)، والواحدي (ص: ٣٦٩). الكلبيُّ: نزلَتْ في رسولِ الله ﷺ. «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢)، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٦٧٥). قال مُقاتلٌ: نزلَتْ في عمَّارٍ. «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢)، وهو في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٣٦) عن الثمالي. قال النقاش: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه. «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢).

(٢) عن سعدٍ رضي الله عنه: قالوا: يا رسولَ الله، لو حدَّثتَنا، فأنزَلَ الله: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾. البزار (١١٥٣)، وأبو يعلى (٧٤٠)، وابن حبان (٦٢٠٩)، والحاكم (٣٣١٩)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩).

(٣) وذلك أن كُفَّار قريش قالوا: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، يعني: ننتظر موت محمد، فنزل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. «تفسير السمرقندي» (٣/ ١٨٥).

* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ (٣٢) وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (٣٣)
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٤)
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ
قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَـٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩)
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠)

الجزء ٢٤ الحزب ٤٧

﴿فمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّن كَذَبَ على اللهِ﴾ بنِسبة الشريك والولد إليه، ﴿وكَذَّبَ بِالصِّدقِ﴾: بالقرآن، ﴿إذ جاءَهُ؟ ألَيسَ في جَهَنَّم مَثوًى﴾: مأوًى ﴿لِلكافِرينَ﴾؟ بلى.

(٣٣) ـ ﴿والَّذي جاءَ بالصِّدقِ﴾ هو النبيّ، ﴿وصَدَّقَ بِهِ﴾، هم المؤمنون ـ فالذي بمعنى: الذين[1] ـ ﴿أُولئِكَ هُمُ المُتَّقونَ﴾ الشِّركَ. (٣٤) ـ ﴿لَهُم ما يَشاؤُونَ عِندَ رَبِّهِم. ذلِكَ جَزاءُ المُحسِنِينَ﴾ لأنفسهم بإيمانهم، (٣٥) ـ ﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنهُم أسوَأَ الَّذي عَمِلُوا، ويَجزِيَهُم أجرَهُم بِأحسَنِ الَّذي كانُوا يَعمَلُونَ﴾. أسوأُ وأحسنُ بمعنى: السيِّئ[2] والحَسَن.

(٣٦) ـ (٣٧) ـ ﴿ألَيسَ اللهُ بِكافٍ عَبدَهُ﴾ أي: النبيَّ[3]؟ بلى، ﴿ويُخَوِّفُونَكَ﴾[4] ـ الخِطابُ له ـ ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامِ أن تقتلَه أو تَخبِلَه[5]، ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ، ومَن يَهدِ اللهُ فما لَهُ مِن مُضِلٍّ. ألَيسَ اللهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالبٍ على أمره ﴿ذي انتِقامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

(٣٨) ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ. قُلْ: أفرَأيتُم ما تَدعُونَ﴾: تعبدون[6] ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ؟ ﴿إن أرادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ، هَل هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ﴾؟ لا، ﴿أو أرادَنِي بِرَحمةٍ، هَل هُنَّ مُمسِكاتُ رَحمَتِهِ﴾؟ لا. وفي قراءة بالإضافة، فيهما[7]. ﴿قُلْ: حَسبِيَ اللهُ. عَلَيهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ﴾: يثق الواثقون.

(٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿قُلْ: يا قَومِ، اعمَلُوا عَلى مَكانَتِكُم﴾: حالتِكم. ﴿إنِّي عامِلٌ﴾ على حالتي. ﴿فَسَوفَ تَعلَمُونَ مَن﴾: موصولةٌ مفعولُ العِلم ﴿يأتِيهِ عذابٌ يُخزِيهِ، ويَحِلُّ﴾: يَنزل ﴿عَلَيهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾: دائمٌ، هو عذاب النار. وقد أخزاهم الله ببدر.

﴿مثوًى للكافرين﴾: مأوىً ومُقامٌ لهُم. ﴿أفرأيتم﴾: أخبِروني. ﴿حَسْبيَ الله﴾: كافيَّ في جميعِ أموري. ﴿مكانَتِكم﴾: حالتِكُمُ المُتمكِّنينَ منها. ﴿يُخزيه﴾: يُذلُّهُ ويهينُهُ. ﴿يحلّ عليه﴾: يَجبُ عليهِ.

(١) يعني: للجنسِ المتناولِ للرُّسلِ والمؤمنينَ، وقيل: هو النَّبيُّ والمرادُ: هو ومَن تبعَهُ، قالَ القاضي: هو ومَن تبعَهُ. وقيل: الجائي الرَّسولُ والمصدِّقُ أبو بكرٍ، وذلك يقتضِي إضمارَ (الَّذي) وهو غيرُ جائزٍ. انتهى.

قلتُ: ثبتَ هذا عن السَّلفِ برواياتٍ متعدِّدةٍ على ما في «الدُّرِّ»، وفي روايةٍ: المصدِّقُ: عليٌّ، فيُحمَلُ على مذهبِ الكوفيِّينَ والأخفشِ من جوازِ إضمارِ (الَّذي) إن كانَ المرادُ به المصدِّقَ أوَّلاً، ويمكنُ أن يكونَ مرادُهُم: مَثَلاً، فيكونُ كلٌّ داخلاً دخولاً أوَّليًّا في المؤمنينَ فلا يحتاجُ إلى إضمارٍ، واللهُ أعلمُ. (الجمالين).

(٢) أو ﴿أسوأَ﴾ على بابِهِ؛ لأنَّه إذا كُفِّرَ فالسَّيِّئُ بالأولى، والأحسنُ أن يكونَ الأحسنُ على بابِهِ أيضاً بأن يجزيَهُ على عملِهِ الحسنِ جزاءً، والأحسنِ فضلًا وإحساناً. (الجمالين).

(٣) ويحتملُ: الجنسَ، ويؤيِّدُهُ قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ: (عبادَهُ) وفُسِّرَ بالأنبياءِ. (الجمالين).

(٤) عن قتادةَ: قال لي رجلٌ: إنَّهم قالوا للنبيِّ ﷺ: «لَتَكُفَّنَّ عن شتمِ آلهتنا، أو لَنأمُرنَّها فلَتَخبلنَّك» فنزلت: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ الآية. عبد الرزاق (٢٦٣٤)، و«لباب النقول» (ص: ١٦٩).

(٥) بعَيبِهِ إيَّاها، التَّخبيلُ: إفسادُ العقلِ. (الجمالين).

(٦) أو: تطلبُونَ النَّفعَ والدَّفعَ. (الجمالين).

(٧) أي: ﴿كاشفات﴾ و﴿ممسكات﴾. (الجمالين).

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿٤١﴾ ـ ﴿**إنّا أنزلنا عليكَ الكِتابَ لِلنّاسِ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «أنزل»[1]. ﴿**فمَنِ اهتَدَى فلِنَفسِهِ**﴾ اهتداؤه، ﴿**ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ علَيها، وما أنتَ علَيهِم بِوَكِيلٍ**﴾، فتُجبرَهم على الهُدى. ﴿٤٢﴾ ـ ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ موتِها، و**﴾ يتوفّى ﴿**الّتي لَم تَمُتْ في مَنامِها**﴾ أي: يتوفّاها وقت النوم، ﴿**فيُمسِكُ الّتي قَضَى علَيها المَوتَ، ويُرسِلُ الأُخرَى إلَى أجَلٍ مُسَمًّى**﴾ أي: وقتِ موتها. والمُرسَلة[2] نفسُ التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس. ﴿**إنَّ في ذلِكَ**﴾ المذكورِ ﴿**لَآياتٍ**﴾: لَدلالاتٍ ﴿**لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، فيعلمون أنّ القادر على ذلك قادر على البعث. وقُريش لم يتفكّروا في ذلك.

﴿٤٣﴾ ـ ﴿**أمِ**﴾: بل ﴿**اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: الأصنامَ آلهةً ﴿**شُفَعاءَ**﴾ عند الله بزعمهم. ﴿**قُلْ**﴾ لهم: ﴿**أ**﴾ يشفعون ﴿**ولَو كانُوا لا يَملِكُونَ شَيئًا**﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿**ولا يَعقِلُونَ**﴾ أنكم تعبدونهم ولا غيرَ ذلك؟ لا.

﴿٤٤﴾ ـ ﴿**قُلْ للهِ الشَّفاعةُ جَمِيعًا**﴾ أي: هو مُختصّ بها، فلا يشفع أحد إلاّ بإذنه. ﴿**لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾.

﴿٤٥﴾ ـ ﴿**وإذا ذُكِرَ اللهُ وَحدَهُ**﴾[3] أي: دُونَ آلهتهم[4] ﴿**اشمَأَزَّتْ**﴾: نفرت وانقبضت[5] ﴿**قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ، وإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾ أي: الأصنامُ ﴿**إذا هُم يَستَبشِرُونَ**﴾. ﴿٤٦﴾ ـ ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ**﴾ بمعنى: يا اللهُ[6]، ﴿**فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: مُبدعَهما، ﴿**عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: ما غابَ وما شُوهد، ﴿**أنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾ من أمر الدِّين، «اهدِني لِما اختُلفَ فيه منَ الحقّ»[7]. ﴿٤٧﴾ ـ ﴿**ولَو أنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ مِن سُوءِ العَذابِ يَومَ القِيامةِ، وبَدا**﴾: ظهرَ ﴿**لَهُم مِنَ اللهِ ما لَم يَكُونُوا يَحتَسِبُونَ**﴾: يظنّون، ....

﴿يَتَوَفَّى الأنفس﴾: يقبضُها عنِ الأبدانِ. ﴿لله الشَّفاعة جميعًا﴾: لا يشفعُ أحدٌ عندَهُ إلَّا بإذنِهِ. ﴿اشمأزّت﴾: نفرَتْ وانقبضَتْ عنِ التَّوحيدِ. ﴿فاطر..﴾: يا مُبدِعَ ومخترعَ.. ﴿يَحتَسِبونَ﴾: يظنُّونَهُ ويتوقَّعونَهُ.

(١) وقولُهُ: ﴿للنَّاسِ﴾ أي: لأجلِهم، فإنَّهُ مَناطُ مصالحِهم في معاشِهم ومعادِهم. (الجمالين).

(٢) رويَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: في ابنِ آدمَ نَفسٌ وروحٌ بينهما مثلُ شعاعِ الشَّمسِ، فالنَّفسُ الَّتي بها العقلُ والتَّمييزُ، والرُّوحُ الَّتي بها النَّفَسُ والحياةُ، فيُتوفَّيانِ عندَ الموتِ، وتُتوفَّى النَّفسُ وحدَها عندَ النَّومِ.
والحاصلُ: أنَّ اللهَ تعالى يقبضُ الأنفسَ عنِ الأبدانِ بقطعِ تعلُّقِها عنها وتصرُّفِها فيها، إمَّا بالكلِّيَّةِ وذلك عندَ الموتِ، أو ظاهراً وهو في النَّومِ. (الجمالين).

(٣) عن مجاهد: نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (١٦٩). وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٥٧٩)، والطبري (٢٠/ ٢١٨)، بلفظ: ﴿اشمَأَزَّتْ﴾ انقبضتْ، وذلك يومَ قرأ رسولُ الله ﷺ النَّجمَ عند باب الكعبة.

(٤) ﴿وَحْدَهُ﴾ منصوبٌ على الحاليَّةِ؛ بمعنى: منفرداً؛ لوجوبِ كونِ الحالِ نكرةً عندَ البصريينَ خلافاً للكوفيِّينَ. (الجمالين).

(٥) الظَّاهرُ: بالواوِ. (الجمالين).

(٦) المشهورُ أنَّ أصلَهُ: يا اللهُ، كما تقدَّمَ. (الجمالين).

(٧) رواه مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا قام من اللَّيل افتتح صلاته: «اللهمَّ ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشَّهادة، أنت تحكمُ بين عبادكَ فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لِمَا اختُلِفَ فيه مِن الحقِّ بإذنك، إنَّك تهدي مَن تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ».

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ
مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

٤٨ ـ ﴿وبَدا لَهُم سَيِّئَاتُ ما كَسَبُوا، وحاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ أي: العذابُ.

٤٩ ـ ﴿فإذا مَسَّ الإنسانَ﴾: الجنسَ ﴿ضُرٌّ دَعانا، ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ﴾: أعطَيناه ﴿نِعمَةً﴾: إنعامًا ﴿مِنّا قالَ: إنَّما أُوتِيتُهُ عَلَى عِلمٍ﴾ من الله بأني له أهل ﴿بَل هِيَ﴾ أي: القَولةُ ﴿فِتنَةٌ﴾: بليّة يُبتلى بها العبدُ، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ التخويل استدراج وامتحان. ٥٠ ـ ٥١ ـ ﴿قد قالَها الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم كقارونَ وقومه الراضين بها، ﴿فما أغنَى عَنهُم ما كانُوا يَكسِبُونَ، فأصابَهُم سَيِّئَاتُ ما كَسَبُوا﴾ أي: جزاؤها. ﴿والَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هؤُلاءِ﴾ أي: قُريشٍ ﴿سَيُصِيبُهُم سَيِّئَاتُ ما كَسَبُوا، وما هُم بِمُعجِزِينَ﴾: بفائتين عذابَنا. فقُحِطوا سبعَ سنينَ ثمّ وُسّع عليهم. ٥٢ ـ ﴿أوَلَم يَعلَمُوا أنَّ اللهَ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا، ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاء؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ به.

ربع الحزب ٤٧

٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿قُل: يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسرَفُوا عَلَى أنفُسِهِم[1]، لا تَقنَطُوا﴾، بكسرِ النون وفتحِها، وقُرئ بضمّها: تيأسوا ﴿مِن رَحمَةِ اللهِ ـ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشِّرك، ﴿إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ـ وأنِيبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَى رَبِّكُم، وأسلِمُوا﴾: أخلصوا العمل ﴿لَهُ مِن قَبلِ أن يأتِيَكُمُ العَذابُ ـ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ بمنعه، إن لم تتوبوا ـ ٥٥ ـ ﴿واتَّبِعُوا أحسَنَ ما أُنزِلَ إلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾ هو القُرآن ﴿مِن قَبلِ أن يأتِيَكُمُ العَذابُ بَغتَةً، وأنتُم لا تَشعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقته.

بادروا قبل ٥٦ ـ ﴿أن تَقُولَ نَفسٌ: يا حَسرَتا﴾ ـ أصله «يا حسرتي» ـ أي: نَدامتي ﴿عَلَى ما فَرَّطتُ في جَنبِ اللهِ﴾ أي: طاعته، ﴿وإن﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة، أي: وإنّي ﴿كُنتُ لَمِنَ السّاخِرِينَ﴾ بدِينه وكِتابه، ....

﴿حاق بهِمْ﴾: نزلَ أو أحاطَ بهِم. ﴿خوّلناه نِعْمَة﴾: أعطيْناهُ إيّاهُ تفضُّلاً وإحساناً. ﴿هيَ فتنة﴾: تِلكَ النِّعمةُ امتحانٌ وابتلاءٌ. ﴿بمعجزين﴾: بفائتينَ مِنَ العَذابِ بالهَرَبِ. ﴿يَقدر﴾: يُضيِّقُهُ على مَن يشاءُ بحكمتِهِ. ﴿أسْرَفوا﴾: تجاوَزوا الحدَّ في المعاصي. ﴿لا تَقْنَطوا﴾: لا تَيْأَسوا. ﴿الذنوب جَميعاً﴾: إلَّا الشِّركَ. ﴿أنيبوا إلى ربكم﴾: ارجعوا إليهِ بالتَّوبةِ والطَّاعةِ. ﴿أسْلموا له﴾: أخلصوا لهُ عِبادَتَكُم. ﴿بغتة﴾: فجْأةً. ﴿يا حسرَتا﴾: يا نَدامتي ويا حُزْني. ﴿فرّطت﴾: قصَّرْتُ. ﴿في جنب الله﴾: في طاعتِهِ وأمرِهِ وحَقِّهِ تعالى. ﴿السّاخرين﴾: المستهزئينَ بدينِهِ وكتابِهِ وأهلِهِ.

(١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: نزلت في قومٍ من المشركين قتَلوا فأكثَروا، ثم قالوا للنبيِّ ﷺ: إنَّ ما تَدْعونا إليه لحَسَنٌ لو تخبرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارةً. البخاري (٤٨١٠) ومسلم (١٢٢). وتقدم عند قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ [الفرقان: ٦٨].

وعن عطاء عن ابنِ عباس قال: أتى وحشيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إني أشركتُ بالله، وقتلتُ النفس التي حرَّم الله، وزنيتُ، فهل يقبلُ الله توبتي؟ الحديثَ، وفي آخره فنزل: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣] فقال: الآن لا أرَى شرطاً، فأَسْلَم. الطبراني في «الكبير» (١١٤٨٠). وإسناده ضعيف.

وعن عطية العوفي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في أهلِ مكَّةَ، قالوا: يزعُمُ محمَّدٌ أنَّ مَن عبدَ الأوثانَ وقتلَ النَّفسَ التي حرَّمَ الله لن يُغفَرَ له، ونحنُ قد عبَدْنا الأوثانَ وقتَلْنا الأنفُسَ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ. الطبري (٢٠/ ٢٢٤)، وإسناده ضعيف جدًّا.

قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عيَّاشِ بن أبي ربيعةَ، والوليدِ بنِ الوليدِ، ونفرٍ من المسلمين أسلَمُوا، ثمَّ عُذِّبوا فارتَدُّوا، فنزلَتْ فيهم، قالَ: وكان عمرُ رضي الله عنه كاتبًا، فكتبَها إلى عيَّاشٍ والوليدِ وإلى أولئك النَّفرِ فأسلَمُوا وهاجَرُوا. البزار (١٥٥)، والطبري (٢٠/ ٢٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٥٦)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١/ ٣١٩)، قال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٦١): رواه البزار، ورجاله ثقات.

قال قتادة: ذُكِر لنا أنَّ أناساً أصابوا ذنوباً عِظاماً في الجاهلية، وظنوا أنهم مأخوذون بها لا توبةَ لهم فيها، فأنزل الله هذه الآية. عبد الرزاق (٢٦٣٨)، والطبري (٢٠/ ٢٢٥).

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى
ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ
أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ
أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(٥٧) - ﴿أو تَقُولَ: لَو أنَّ اللهَ هَداني﴾ بالطاعة فاهتدَيت ﴿لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾
عذابَه، (٥٨) - ﴿أو تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذابَ: لَو أنَّ لِي كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا،
﴿فأكُونَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾ المؤمنين. فيقالَ له من قِبَلِ الله: (٥٩) - ﴿بَلَى قَد
جاءَتْكَ آياتِي﴾ أي: القُرآنُ، وهي سبب الهِداية، ﴿فكَذَّبتَ بِها واستكبَرتَ﴾:
تكبّرت عن الإيمان بها، ﴿وكُنتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾.

(٦٠) - ﴿ويَومَ القِيامةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا على اللهِ﴾ بنِسبة الشريك والولد إليه
﴿وُجُوهُهُم مُسْوَدّةٌ - ألَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى﴾: مأوًى ﴿لِلمُتكَبِّرِينَ﴾ عن
الإيمان؟ بلى - (٦١) - (٦٢) - ﴿ويُنَجِّي اللهُ﴾ من جهنّم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ
﴿بِمَفازَتِهِم﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنّة، بأن يُجعلوا فيه، ﴿لا يَمَسُّهُمُ
السُّوءُ ولا هُم يَحزَنُونَ - اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾:
متصرّف فيه كيف يشاء، (٦٣) - ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: مفاتيحُ
خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما - ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ﴾: القرآن
﴿أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾. متّصل بقوله: «وينجّي الله الذين اتقوا» إلى آخره،
وما بينهما اعتراض.

(٦٤) - ﴿قُلْ: أفغَيرَ اللهِ تأمُرُونِّيَ أعبُدُ[1]، أيُّها الجاهِلُونَ﴾؟ غيرَ: منصوب
بـ «أعبدُ» المعمولِ لـ «تأمروني»، بنون واحدة، وبنونين بإدغام وفكّ.

(٦٥) - (٦٦) - ﴿ولَقَد أُوحِيَ إلَيكَ وإلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكَ﴾: واللهِ ﴿لَئِنْ أشرَكتَ﴾ - يا مُحمّد - فَرْضًا ﴿لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ، ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ.
بَلِ اللهَ﴾ وحدَه ﴿فاعبُدْ، وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾ إنعامَه عليك. (٦٧) - ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عرَفوه حقّ معرفته، أو ما عظّموه حقّ عظمته
حين أشركوا به غيره، ﴿والأرضُ جَمِيعًا﴾: حالٌ، أي: السبعُ، ﴿قَبضَتُهُ﴾ أي: مقبوضة له، أي: في مُلكه وتصرّفه ﴿يَومَ القِيامةِ، والسَّماواتُ
مَطوِيّاتٌ﴾: مجموعات ﴿بِيَمِينِهِ﴾: بقُدرته. ﴿سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ معه!=..........................

﴿كَرّة﴾: رَجْعةً إلى الدُّنيا. ﴿مَثوًى للمتكبّرين﴾: مَأوىً ومُقامٌ لهُم. ﴿بمفازتهِمْ﴾: بفوْزِهم وظفرِهِمْ بالبغيَةِ. ﴿له مقاليد..﴾: مَفاتيحُ أو خزائنُ... ﴿ليَحبطنّ عملك﴾: ليَبْطلَنَّ عَمَلُكَ ويَفسدنَّ. ﴿ما قدَروا الله..﴾: ما عَرَفوهُ. أو ما عظّموهُ... ﴿قبْضته﴾: مِلكُهُ وفي مَقدورِهِ وتصرُّفِهِ. ﴿مَطْويات بيمينه﴾: بقدرتِهِ كطيِّ السِّجلِّ للكتبِ.

(١) عن الحسن: بات جهلة قوم رسول الله ﷺ عامَّةَ ليلةٍ يقولون له: يا محمد، تكفِّر آباءك وترادُّ أمرَهم، وتفعل وتفعل، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ٢٣٠)، و«لباب النقول» (ص: ١٦٩).

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ من أهلِ الكتابِ وقال: يا أبا القاسمِ، بلغَكَ أنَّ الله يحملُ الخلائقَ على إصبعٍ، والأرضَ على إصبعٍ، والسَّماءَ على إصبعٍ، والبحورَ على إصبعٍ، والثَّرى على إصبعٍ؟ فضحِكَ رسولُ الله ﷺ حتَّى بدَتْ نواجِذُه، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ. البخاري (٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٨٩). ولفظ الصحيحين «فتلا» دون «فأنزل». نبه عليه في «لباب النقول» (ص: ١٧٠) وهو كما قال.

عن ابن عباس قال: مر يهودي بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه، والأرضين على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه؟ فأنزل الله الآية. الترمذي (٣٢٤٠) وصححه، و«لباب النقول» (ص: ١٧٠).

وعن الحسن قال: غدت اليهود فنظروا في خلق السماوات والأرض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يَقْدُرونه فنزلت. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٠).

وعن سعيد بن جبير قال: تكلمت اليهود في صفة الرب فقالوا بما لم يعلموا ولم يدروا، فأنزل الله هذه الآية. «العظمة» لأبي الشيخ (٨١)، وابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٠). وبنحوه ابن منده في «التوحيد» (٩٨٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٣٧)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وعن الربيع بن أنس: لما نزلت ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ قالوا: يا رسول الله هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فنزلت. الطبري (٤/ ٥٣٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٩١)، وابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٠).

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٦٨﴾ ـ **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾** النفخةَ الأولى، **﴿فَصَعِقَ﴾**: مات **﴿مَن فِي السَّماواتِ ومَن في الأرضِ إلاّ مَن شاءَ اللهُ﴾** من الحُور والوِلدان وغيرهما، **﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرَى، فإذا هُم﴾** أي: جميع الخلائق الموتى **﴿قِيامٌ، يَنظُرُونَ﴾**: ينتظرون ما يُفعل بهم، ﴿٦٩﴾ ـ **﴿وأشرَقَتِ الأرضُ﴾**: أضاءت **﴿بِنُورِ رَبِّها﴾** حين يتجلّى الله لفصل القضاء، **﴿ووُضِعَ الكِتابُ﴾**: كِتاب الأعمال[١] للحِساب، **﴿وجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ والشُّهَداءِ﴾** أي: أُمّة مُحمّد، يشهدون للرُّسل بالبلاغ، **﴿وقُضِيَ بَينَهُم بِالحَقِّ﴾** أي: العدل، **﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾** شيئًا، ﴿٧٠﴾ ـ **﴿ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفسٍ ما عَمِلَتْ﴾** أي: جزاءه، **﴿وهُوَ أعلَمُ﴾** أي: عالِمٌ[٢] **﴿بِما يَفعَلُونَ﴾**، فلا يحتاج إلى شاهد.

﴿٧١﴾ ـ ﴿٧٢﴾ ـ **﴿وسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بعُنف **﴿إلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾**: جماعاتٍ في تفرقة. **﴿حَتَّى إذا جاؤُوها فُتِحَتْ أبوابُها﴾**: جواب «إذا»، **﴿وقالَ لَهُم خَزَنَتُها: ألَم يأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم، يَتلُونَ عَلَيكُم آياتِ رَبِّكُم﴾**: القرآن وغيره **﴿ويُنذِرُونكُم لِقاءَ يَومِكُم هذا؟ قالُوا: بَلَى، ولكِن حَقَّتْ كَلِمةُ العَذابِ﴾**[٣]، أي: «لأَملأَنَّ جَهَنَّمَ» الآية، **﴿عَلَى الكافِرِينَ. قِيلَ: ادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ﴾**: مُقدّرينَ الخُلودَ[٤] **﴿فِيها. فَبِئسَ مَثوَى﴾**: مأوى **﴿المُتَكَبِّرِينَ﴾** جهنّمُ!

﴿٧٣﴾ ـ **﴿وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم﴾** بلُطف[٥] **﴿إلَى الجَنَّةِ زُمَرًا. حَتَّى إذا جاؤُوها، وفُتِحَت أبوابُها﴾** ـ الواو فيه للحال بتقدير «قد»[٦] ـ **﴿وقالَ لَهُم خَزَنَتُها: سَلامٌ عَلَيكُم. طِبتُم﴾** حالاً[٧]. **﴿فادخُلُوها خالِدِينَ﴾** مقدِّرين الخُلودَ فيها وجواب «إذا» مقدّرٌ أي: دخلوها ـ وسَوقُهم وفتحُ الأبواب قبل مجيئهم تكرمةٌ لهم، وسوقُ الكُفّار وفتحُ أبواب جهنّم عِند مجيئهم ليبقى حرّها إليه إهانةٌ لهم ـ ﴿٧٤﴾ ـ **﴿وقالُوا﴾**: عطف على «دخلوها» المُقدّرِ: **﴿الحَمدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعدَهُ﴾** بالجنّة، **﴿وأورَثَنا الأرضَ﴾** أي: أرض الجنّة، **﴿نَتَبَوَّأُ﴾**: ننزل **﴿مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ نَشاءُ﴾**. لأنها كُلّها لا يُختار فيها مكان على مكان. **﴿فَنِعمَ أجرُ العامِلِينَ﴾** الجنّةُ!

﴿الصّور﴾: القرنِ الّذي يَنفخُ فيهِ إسرافيلُ. ﴿فصَعِقَ﴾: ماتَ. وهيَ النَّفخةُ الأُولى. ﴿وُضِع الكتاب﴾: أُعطِيَتْ صحفُ الأعمالِ لأربابِها. ﴿زمرًا﴾: جَماعاتٍ مُتفرقةً متابعةً. ﴿حقّتْ﴾: وَجَبَتْ وثَبَتَتْ. ﴿طِبْتمْ﴾: طَهرتُم مِن دنسِ المعاصي. ﴿صَدَقَنَا وَعده﴾: أنجزَنا ما وعَدَنا مِنَ النَّعيم. ﴿نتبوأ﴾: ننزلُ.

(١) أي: صحائفُ الأعمالِ في أيدي العمّالِ، واكتُفيَ باسمِ الجنسِ عن الجمعِ، وقيلَ: اللَّوحُ المحفوظُ تُقابَلُ به الصَّحائفُ. (الجمالين).

(٢) بل هو أعلمُ من كلِّ عالمٍ، فلا يفوتُهُ شيءٌ من أعمالِهم. (الجمالين).

(٣) التقدير: ﴿قَالُوا بَلَى﴾؛ أي: قد أتَوْنا وأنذرُونا ﴿ولكن﴾ كفرنا فـ﴿حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾.
وقيل: جواب الكفار ﴿بلى﴾ فحسب، ثم قال الله: ﴿ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾.

(٤) فالحال مقدَّرة، وهي الحال التي يُقدَّر أنها ستكون كذلك، ولكنّها غير واقعة الآن، تقول: مررتُ به معه بازٍ صائداً به غداً؛ أي: مقدِّراً الصيدَ به غداً.

(٥) إسراعاً بهم إلى دارِ الكرامةِ، وقيل: ساقَ مراكبَهُم، إذ لا يذهبُ بهم إلاَّ راكبينَ. (الجمالين).

(٦) وقيل: الواو زائدةٌ أو واوُ الثمانيةِ وما بعدَها الجوابُ. (الجمالين).

(٧) تمييزٌ عن النِّسبةِ. (الجمالين).

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ
وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ
تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ
مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ
وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ
كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(٧٥) ـ ﴿وتَرى المَلائكةَ حافِّينَ﴾: حالٌ ﴿مِن حَولِ العَرشِ﴾ من كُلّ جانب منه، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: حالٌ من ضمير «حافّين»، ﴿بِحَمدِ رَبِّهِم﴾: ملابسين للحمد، أي: يقولون: سُبحان الله وبحمده، ﴿وقُضِيَ بَينَهُم﴾: بين جميع الخلائق ﴿بِالحَقِّ﴾ أي: العدل، فيُدخِلُ المؤمنين الجنّة، والكافرين النار، ﴿وقِيلَ: الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾. خُتِمَ استقرارُ الفريقين بالحمد من الملائكة.

الحزب ٤٧

***

٤٠

سُورَةُ غَافِرٍ

مكية إلاّ «الذين يجادلون» الآيتين، خمسٌ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿تَنزيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ مبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه، ﴿العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿العَلِيمِ﴾ بخلقه، (٣) ـ ﴿غافِرِ الذَّنبِ﴾ للمؤمنين ﴿وقابِلِ التَّوبِ﴾ لهم: مصدرٌ، ﴿شَدِيدِ العِقابِ﴾ للكافرين أي: مُشدِّده، ﴿ذِي الطَّولِ﴾ أي: الإنعام الواسع ـ وهو موصوف على الدوام بكُلّ من هذه الصفات. فإضافة المُشتقّ منها للتعريف كالأخيرة ـ ﴿لا إلـهَ إلاّ هُوَ إلَيهِ المَصِيرُ﴾: المَرجع.

(٤) ـ ﴿ما يُجادِلُ في آياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿إلاّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] من أهل مكّة. ﴿فلا يَغرُرْكَ تَقَلُّبُهُم في البِلادِ﴾ للمعاش سالمين، فإنّ عاقبتهم النار.

(٥) ـ ﴿كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ والأحزابُ﴾ كعادٍ وثمودَ وغيرِهما ﴿مِن بَعدِهِم، وهَمَّتْ كُلُّ أُمّةٍ بِرَسُولِهِم، لِيأخُذُوهُ﴾: يقتلوه، ﴿وجادَلُوا بِالباطِلِ لِيُدحِضُوا﴾: يُزيلوا ﴿بِهِ الحَقَّ فأخَذتُهُم﴾ بالعِقاب. ﴿فكَيفَ كانَ عِقابِ﴾ لهم؟ أي: هو واقع موقعَه. (٦) ـ ﴿وكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ﴾، أي: «لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، أنَّهُم أصحابُ النّارِ﴾: بدل من «كلمة».

(٧) ـ ﴿الَّذِينَ يَحمِلُونَ العَرشَ﴾: مبتدأٌ ﴿ومَن حَولَهُ﴾: عطفٌ عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: خبرُه ﴿بِحَمدِ رَبِّهِم﴾: مُلابسين للحمد، أي يقولون: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿ويُؤمِنُونَ بِهِ﴾ ـ تعالى ـ ببصائرهم أي: يُصدّقون بوحدانيّته، ﴿ويَستَغفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقولون: ﴿رَبَّنا، وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمةً وعِلمًا﴾ أي: وسعَ رحمتُك كُلَّ شيء وعِلمُك كُلَّ شيء. ﴿فاغفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾ من الشِّرك، ﴿واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: دِينَ الإسلام، ﴿وقِهِم عَذابَ الجَحِيمِ﴾: النارِ ـ ....

﴿حافّين﴾: مُحْدقينَ مُحيطينَ.
﴿غافر الذنب﴾: ساترِ الذَّنبِ للمؤمنينَ. ﴿قابل التوب﴾: التَّوبةِ مِنَ الذَّنبِ مِن كلِّ مُذنبٍ. ﴿ذي الطوْل﴾: الغِنى أوِ الإنعامِ والتَّفضُّلِ أوِ المنِّ. ﴿فلا يغرُرْك﴾: فلا يَخدَعْكَ. ﴿تقلبهم﴾: تنقُّلُهُمْ سالمينَ غانمينَ فإنَّهُ استدراجٌ. ﴿ليدحضوا به الحق﴾: ليبْطلوا ويُزيلوا بالباطلِ الحقَّ. ﴿حقّت﴾: وَجَبَتْ وثبَتَتْ بالإهلاكِ.
﴿سبيلك﴾: طريقَ الهدى (دينَ الإسلامِ). ﴿قهم عذاب الجحيم﴾: احفظْهُمْ منهُ.

(١) عن أبي مالك قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٠).

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ
أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ
إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ
وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

(٨) - ﴿رَبَّنا - وأدخِلْهُم جنّاتِ عَدنٍ﴾: إقامةٍ ﴿الَّتي وَعدتَهُم، ومَن صَلَحَ﴾: عطفٌ على «هم» في «وأدخلهم» أو في «وعدتهم»، ﴿مِن آبائهِم وأزواجِهِم وذُرِّيّاتِهِم - إنَّكَ أنتَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ في صُنعه - (٩) - ﴿وقِهِمِ السَّيِّئاتِ﴾ أي: عذابَها[1]. ﴿ومَن تَقِ السَّيِّئاتِ يَومَئذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿فقَد رَحِمتَهُ، وذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ﴾.

(١٠) - (١١) - ﴿إنَّ الَّذينَ كَفَرُوا يُنادَونَ﴾ مِن قِبَلِ الملائكة، وهم يمقتون أنفسَهم عِند دُخولهم النارَ: ﴿لَمَقتُ اللهِ﴾ إيّاكم ﴿أكبَرُ مِن مَقتِكُم أنفُسَكُم، إذ تُدعَونَ﴾ في الدنيا ﴿إلَى الإيمانِ فتكفُرُونَ. قالُوا: رَبَّنا، أمَتَّنا اثنَتَينِ﴾: إماتتَين، ﴿وأحيَيتَنا اثنَتَينِ﴾: إحياءتَين لأنهم كانوا نطفًا، أمواتٌ فأُحيُوا ثُمّ أُميتوا ثُمّ أُحيُوا للبعث، ﴿فاعتَرَفْنا بِذُنُوبِنا﴾: بكُفرنا بالبعث. ﴿فهَل إلَى خُرُوجٍ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنُطيع ربَّنا ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طريقٍ؟ وجوابُهم: لا.

(١٢) - ﴿ذلِكُم﴾، أي: العذابُ الذي أنتم فيه، ﴿بِأنَّهُ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إذا دُعِيَ اللهُ وَحدَهُ كَفَرتُم﴾ بتوحيده، ﴿وإن يُشرَكْ بِهِ﴾: يُجعل له شريك ﴿تُؤمِنُوا﴾: تُصدّقوا بالإشراك. ﴿فالحُكمُ﴾، في تعذيبكم، ﴿لِلهِ العَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الكَبِيرِ﴾: العظيم.

(١٣) - ﴿هُوَ الَّذي يُريكُم آياتِهِ﴾: دلائلَ توحيده، ﴿ويُنزِلُ لكُم مِنَ السَّماءِ رِزقًا﴾ بالمطر[2]، ﴿وما يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿إلاّ مَن يُنِيبُ﴾: يرجع عن الشِّرك - (١٤) - ﴿فادعُوا اللهَ﴾: اعبدُوه ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك، ﴿ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ إخلاصَكم فيه - (١٥) - ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾ أي: اللهُ عظيمُ الصفات أو رافعُ درجات المؤمنين في الجنّة ﴿ذُو العَرشِ﴾: خالقُه، ﴿يُلقِي الرُّوحَ﴾: الوحيَ ﴿مِن أمرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ لِيُنذِرَ﴾: يُخوِّفَ المُلقَى عليه الناسَ ﴿يَومَ التَّلاقِ﴾، بحذف الياء وإثباتها[3]: يومَ القيامة لتلاقي أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم[4] فيه، (١٦) - ﴿يَومَ هُم بارِزُونَ﴾[5]: خارجون[6] من قُبورهم، ﴿لا يَخفَى عَلَى اللهِ مِنهُم شَيءٌ: لِمَنِ المُلكُ اليَومَ﴾؟ يقوله تعالى، ويُجيب[7] نفسَه: ﴿لِلهِ الواحِدِ القَهّارِ﴾ أي: لخلقه.

﴿قهم السّيئات﴾: المعاصيَ أو عقوبَاتِها. ﴿لَمقت الله﴾: لبغضُهُ الشَّديدُ وغَضبُهُ عليكُم. ﴿تؤمنوا﴾: تذعنوا وتقِرُّوا بالشِّركِ. ﴿ينيب﴾: يَرْجِعُ إلى التَّفكُّرِ في الآياتِ. ﴿رفيع الدرجات﴾: رافعُ السَّماواتِ بعضِها فوقَ بعضٍ. ﴿يلقي الروح﴾: يُنزِلُ الوَحْيَ أو القرآنَ أو جبريلَ. ﴿يوم التلاق﴾: يومَ الاجتماعِ في المَحشرِ. ﴿هم بارزون﴾: خارجونَ مِنَ القبورِ ظاهرونَ لا يسْترُهُمْ شيءٌ.

(١) أي: جزاءَ السَّيِّئاتِ على حَذفِ مضافٍ، أو العقوباتِ أو المعاصي في الدُّنيا لقولِهِ: ﴿وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ في الآخرةِ، كأنَّهُم طَلبُوا السَّببَ بعد ما طَلبُوا المسبَّبَ. (الجمالين).

(٢) أي: أسبابَ رزقٍ كالمطرِ مُراعاةً لِمَعَاشِكُم كما أنَّ الأوَّلَ مراعاةٌ لمعادِكُم. (الجمالين).

(٣) للمكّيِّ مطلقاً، وللمدنيِّ وصلًا، بخلافٍ عن قالونَ إذ جاءَ الحذفُ عنه أيضاً. (الجمالين).

(٤) والجسدِ والرُّوحِ والأعمالِ والعمَّالِ. (الجمالين).

(٥) خارجون من قبورهم، وقيل: يُكشَفُ ما كانَ مستورًا من أمرِهم.

(٦) أو: ظاهِرونَ لا يستُرُهم شيءٌ. (الجمالين).

(٧) يعني: أنّه حكايةٌ لِمَا دلَّ عليه ظاهرُ الحالِ في ذلك اليوم من زوالِ الأسبابِ وارتفاعِ الوسائطِ، وأمّا حقيقةُ الحالِ فناطقةٌ بذلك دائماً. (الجمالين).

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

(١٧) ـ ﴿اليَـومَ تُجـزَى كُلُّ نَفـسٍ بِمـا كَسَـبَتْ، لا ظُلْـمَ اليَـومَ. إنَّ اللهَ سَـرِيعُ الحِسـابِ﴾: يُحاسـب جميـع الخلـق فـي قـدر نصـف نهـار مـن أيـام الدنيـا لحديـث بذلـك[١].

(١٨) ـ ﴿وأنذِرْهُـم يَـومَ الآزِفَـةِ﴾: يـومَ القيامـة[٢] ـ أزِفَ الرحيـلُ: قَـرُبَ[٣] ـ ﴿إذِ القُلُـوبُ﴾ ترتفـعُ خوفًـا ﴿لَـدَى﴾: عِنـدَ ﴿الحَناجِرِ كاظِمِيـنَ﴾: مُمتلئين غمًّـا، حالٌ من «القلوب» عُوملت بالجمع باليـاء والنون مُعاملة أصحابها، ﴿مـا لِلظّالِمِينَ مِن حَمِيـمٍ﴾: مُحبّ ﴿ولا شَـفِيعٍ يُطاعُ﴾. لا مفهـومَ للوصف إذ لا شـفيع لهـم أصلاً: «فمـا لَنا مِـن شـافِعِينَ»، أوْ له مفهـومٌ بناء علـى زعمهم أنّ لهـم شُـفعاءَ، أي: لو شـفَعوا فرْضًا لـم يُقبلوا.

(١٩) ـ ﴿يَعلَمُ﴾ أي: اللهُ ﴿خائِنَةَ الأعيُنِ﴾ بمُسارقتها[٤] النظرَ إلى مُحرَّمٍ، ﴿وما تُخفِي الصُّدُورُ﴾: القُلوب، (٢٠) ـ ﴿واللهُ يَقضِي بِالحَقِّ، والَّذِينَ يَدعُونَ﴾: يعبدون أي: كُفّارُ مكّة ـ بالياء والتاء ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾ ـ وهم الأصنام ـ ﴿لا يَقضُونَ بِشَيءٍ﴾. فكيف[٥] يكونون شُركاءَ لله؟ ﴿إنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿البَصِيرُ﴾ بأفعالهم.

(٢١) ـ ﴿أوَلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ كانُوا مِن قَبلِهِم؟ كانُوا هُم أشَدَّ مِنهُم﴾ ـ وفي قراءة: «مِنكُم» ـ ﴿قُوَّةً وآثارًا في الأرضِ﴾ من مصانعَ وقُصورٍ، ﴿فأخَذَهُمُ اللهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِم، وما كانَ لَهُم مِنَ اللهِ مِن واقٍ﴾ عذابَه. (٢٢) ـ ﴿ذلِكَ بِأنَّهُم كانَتْ تأتِيهِم رُسُلُهُم بالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات الظاهرات، ﴿فكَفَرُوا فأخَذَهُمُ اللهُ. إنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

(٢٣) ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: بُرهانٍ[٦] بيِّنٍ ظاهر (٢٤) ـ (٢٥) ـ ﴿إلَى فِرعَونَ وهامانَ وقارُونَ، فقالُوا﴾: هو ﴿ساحِرٌ كَذّابٌ. فلَمّا جاءَهُم بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق ﴿مِن عِندِنا قالُوا: اقتُلُوا أبناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، واستَحيُوا﴾: استبْقُوا[٧] ﴿نِساءَهُم. وما كَيدُ الكافِرِينَ إلاّ في ضَلالٍ﴾: هلاك[٨] ـ ....

﴿يوم الآزفة﴾: يومَ القيامةِ لِقربِها. ﴿الحناجر﴾: التَّراقي والحلاقيم. ﴿كاظمين﴾: مُمْسكينَ على الغمِّ الممتلئينَ منهُ. ﴿حميم﴾: قريبٍ مُشفقٍ يهتمّ بهِمْ. ﴿خائنة الأعين﴾: النَّظرةَ الخائنةَ إلى ما لا يحلُّ. ﴿واق﴾: دافع يدْفعُ عنهُمُ العَذابَ. ﴿استحيوا نساءهم﴾: استبْقُوا بناتهمْ للخِدْمةِ. ﴿ضلال﴾: ضَياعٍ وبُطْلانٍ وَ وبالٍ.

(١) هو حديث موقوف رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٦٣)، والطبري (١٩/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٨٠)، والحاكم (٣٥١٧) عن ابن مسعود قال: لا يَنتصِفُ النَّهارُ من يوم القيامة حتى يَقِيل هؤلاء وهؤلاء، ثُم قرأ ﴿ثم إنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨].

(٢) أو الموتِ. (الجمالين).

(٣) سُمِّيَت بها لقُربِها. (الجمالين).

(٤) أي: النَّظرةِ الخائنةِ، أو خيانةِ الأعينِ. (الجمالين).

(٥) تهكُّمٌ بهم؛ لأنَّ الجمادَ لا يُقالُ فيه: إنَّه يَقضي أو لا يَقضِي. (الجمالين).

(٦) ظاهِرٍ، والعطفُ لتغايرِ الوصفينِ، أو لإفرادِ بعضِ المعجزاتِ كالعصا؛ تفخيماً لشأنِها. (الجمالين).

(٧) أي: أَعِيدوا عليهم القتلَ والاستبقاءَ كي يمتَنِعوا عن مظاهَرةِ موسى. (الجمالين).

(٨) وضياعٍ. (الجمالين).

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ
بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ
يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ
جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ
كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ
ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ
إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ
إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ
عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ
وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١
وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣

(٢٦) - ﴿وقالَ فِرعَونُ: ذَرُوني، أَقتُلْ موسَى﴾ لأنهم كانوا يكفّونه[١] عن قتله، ﴿ولْيَدعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه منّي. ﴿إنِّيَ أخافُ أن يُبَدِّلَ دِينَكُم﴾ من عِبادتكم إياي فتتّبعونه[٢] ﴿وأن يُظهِرَ في الأرضِ الفَسادَ﴾ من قتل[٣] وغيره. وفي قراءة: «أوْ»، وفي أُخرى بفتحِ الياء والهاء وضمِّ الدال.

(٢٧) - ﴿وقالَ مُوسَى﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إنِّي عُذتُ بِرَبِّي وربِّكُم مِن كُلِّ مُتكبِّرٍ، لا يُؤمِنُ بيومِ الحِسابِ﴾.

(٢٨) - ﴿وقالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن آلِ فِرعَونَ﴾ قيل: هو ابن عمِّه[٤]، ﴿يَكتُمُ إيمانَهُ: أَتَقتُلُونَ رَجُلاً أنْ﴾ أي: لِأن[٥] ﴿يَقُولَ: رَبِّيَ اللهُ. وقد جاءَكُم بالبيِّناتِ﴾: بالمُعجزات الظاهرات ﴿مِن رَبِّكُم، وإن يَكُ كاذِبًا فعلَيهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضررُ كذبه، ﴿وإن يَكُ صادِقًا يُصِبْكُم بَعضُ الَّذي يَعِدُكُم﴾ به من العذاب عاجلاً؟ ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي مَن هُوَ مُسرِفٌ﴾: مُشرك ﴿كَذّابٌ﴾: مُفترٍ. (٢٩) - ﴿يا قَومِ، لَكُمُ المُلكُ اليَومَ ظاهِرِينَ﴾: غالبين حالٌ ﴿في الأرضِ﴾ أرض مِصرَ. ﴿فمَن يَنصُرُنا مِن بأسِ اللهِ﴾: عذابه، إن قتلتم أولياءه، ﴿إن جاءَنا﴾؟ أي: لا ناصرَ لنا. ﴿قالَ فِرعَونُ: ما أُرِيكُم إلاّ ما أرَى﴾ أي: ما أُشيرُ عليكم إلاّ بما أُشير به على نفسي - وهو قتل مُوسى - ﴿وما أَهدِيكُم إلاّ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾: طريقَ الصواب.

(٣٠) - ﴿وقالَ الَّذي آمَنَ: يا قَومِ، إنِّيَ أخافُ علَيكُم مِثلَ يَومِ الأحزابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب، (٣١) - (٣٢) - ﴿مِثلَ دأْبِ قَومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ، والَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ - مِثلَ: بدل من «مِثلَ» قبله - أي: مِثلَ جزاءِ عادةِ مَن كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا، ﴿وما اللهُ يُرِيدُ ظُلمًا لِلعِبادِ، ويا قَومِ إنِّيَ أخافُ علَيكُم يومَ التَّنادِ﴾، بحذف الياء وإثباتها، أي: يومَ القيامة يكثُر فيه نداءُ أصحابِ الجنّة أصحاب النار وبالعكس، والنداءُ بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها، وغيرُ ذلك[٦]، (٣٣) - ﴿يَومَ تُوَلُّونَ مُدبِرِينَ﴾ عن موقف الحِساب إلى النار، ﴿ما لَكُم مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِن عاصِمٍ﴾: مانع. ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ﴾.

﴿عذت بربّي﴾: اعتصمْتُ وتحصَّنتُ بهِ تعالى. ﴿ظاهرين﴾: غالبينَ عالينَ. ﴿بأس الله﴾: عذابِهِ ونقمَتِهِ. ﴿ما أريكم﴾: ما أُشِيرُ عليكُمْ. ﴿الأحزاب﴾: الأممِ الماضيةِ المتحزِّبةِ على الأنبياءِ. ﴿دأب قوم نوح﴾: عادَتِهِمْ في الإقامةِ وعلى التَّكذيبِ. ﴿يوم التَّناد﴾: يومَ القيامةِ (للنِّداءِ فيهِ إلى المَحشرِ). ﴿عاصم﴾: مانعٍ ودافعٍ.

(١) ويقولونَ: إنَّه ليسَ الَّذي تخافُهُ بل هو ساحرٌ. (الجمالين).

(٢) الظَّاهرُ: فتتَّبعُوهُ. (الجمالين).

(٣) أي: ما يُفسدُ دُنياكُم من التَّحاربِ والتَّهارجِ إن لم يَقدِرْ أن يُبطلَ دينكُم بالكلّيَّةِ، وهذا على قراءةِ الكوفيِّ، وأمَّا على قراءةِ الحِرْميَّيْنِ والبصريِّ والشَّاميِّ بالواوِ على معنى الجمعِ، وهو أصلُ الشَّيخِ. (الجمالين).

(٤) رواه الطبري (٢٠/ ٣١١) عن السدي، وذكره الثعلبي (٨/ ٢٧٣) والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠) عنه وعن مقاتل. وعن قتادة: أنه الذي قال لموسى: ﴿إنَّ الملأَ يأتَمِرون بك ليقتُلوك﴾ [القصص: ٢٠]. يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٨٥).

(٥) وقيل: ﴿مِنْ﴾ متعلّقٌ بقولِه: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾، والرَّجلُ إسرائيليٌّ، أو غريبٌ موحِّدٌ. (الجمالين).

(٦) ينادي فيه بعضُهم بعضاً للاستغاثةِ، أو يتصايَحونَ بالويلِ والثُّبورِ. (الجمالين).

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي
شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ
مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ
السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ
يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ
إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

(٣٤) ـ ﴿**ولقد جاءَكُم يُوسُفُ مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلَ مُوسى ـ وهو يُوسفُ بنُ يعقوبَ في قولِ عُمِّرَ إلى زمن مُوسى، أو يُوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ يُوسفَ[١] بنِ يعقوبَ في قولٍ[٢] ـ ﴿**بالبيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات الظاهرات، ﴿**فما زِلتُم في شَكٍّ مِمّا جاءَكُم بِهِ. حَتَّى إذا هَلَكَ قُلتُم**﴾ من غير برهان: ﴿**لَن يَبعَثَ اللهُ مِن بَعدِهِ رَسُولاً**﴾، أي: فلن تزالوا كافرين بيُوسفَ وغيرِه[٣]. ﴿**كَذلِكَ**﴾ أي: مِثلَ إضلالكم ﴿**يُضِلُّ اللهُ مَن هُوَ مُسرِفٌ**﴾: مُشرك ﴿**مُرتابٌ**﴾: شاكٌّ فيما شهدتْ به البيّنات.

(٣٥) ـ ﴿**الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ**﴾: مُعجزاته مُبتدأٌ ﴿**بغَيرِ سُلطانٍ**﴾: بُرهانٍ ﴿**أتاهُم كَبُرَ**﴾ جِدالُهم، خبرُ المُبتدأ ﴿**مَقتًا عِندَ اللهِ، وعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا! كَذلِكَ**﴾ أي: مِثلَ إضلالهم ﴿**يَطبَعُ**﴾: يختِم ﴿**اللهُ**﴾ بالضلال ﴿**عَلَى كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ**﴾ بتنوينِ «قلبٍ» ودُونه. ومتى تكبَّر القلب تكبَّر صاحبه وبالعكس. «وكُلّ» على القراءتين لعُموم الضلال جميعَ القلب لا لعُموم القلوب.

(٣٦) ـ (٣٧) ـ ﴿**وقالَ فِرعَونُ: يا هامانُ، ابنِ لِي صَرحًا**﴾ بناءً عاليًا، ﴿**لَعَلِّي أبلُغُ الأسبابَ، أسبابَ السَّماواتِ**﴾: طُرُقَها[٤] المُوصلة إليها، ﴿**فأطَّلِعُ**﴾ ـ بالرفع عطفًا على «أبلغُ»، وبالنصب جوابًا لـ «ابنِ» ـ ﴿**إلَى إلـهِ مُوسَى. وإنِّي لأظُنُّهُ**﴾ أي: مُوسى ﴿**كاذِبًا**﴾ في أنّ له إلـهًا[٥] غيري. قال فرعون ذلك تمويهًا. ﴿**وكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرعَونَ سُوءُ عَمَلِهِ، وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ**﴾: طريق الهُدى ـ بفتح الصاد[٦] وضمِّها ـ ﴿**وما كَيدُ فِرعَونَ إلاّ في تَبابٍ**﴾: خسار.

(٣٨) ـ ﴿**وقالَ الَّذِي آمَنَ: يا قَومِ، اتَّبِعُونِيَ**﴾، بإثباتِ الياء وحذفِها، ﴿**أهدِكُم سَبِيلَ الرَّشادِ**﴾. تقدَّم. (٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿**يا قَومِ، إنَّما هذِهِ الحَياةُ الدُّنيا مَتاعٌ**﴾: تَمتُّعٌ يزول، ﴿**وإنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ، مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فلا يُجزَى إلاّ مِثلَها، ومَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فأُولئِكَ يُدخَلُونَ الجَنَّةَ**﴾ ـ بضمّ الياء وفتح الخاء وبالعكس ـ ﴿**يُرزَقُونَ فِيها بِغَيرِ حِسابٍ**﴾ رزقًا واسعًا بلا تَبِعة[٧]، ....

﴿مرتاب﴾: في دينِ اللهِ شاكٌّ في وَحْدانيَّتِهِ. ﴿بغير سلطان﴾: بغيرِ برهانٍ وحجّةٍ. ﴿كبُرَ مقتاً﴾: عَظُمَ جدالُهُمْ بغيرِ حجّةٍ بُغضاً. ﴿صرحاً﴾: قصراً. أو بناءً عالياً ظاهراً. ﴿أبلغ الأسباب﴾: الأبوابَ أو الطُّرُقَ. ﴿تباب﴾: خسرانٍ وهلاكٍ. ﴿بغير حساب﴾: بلا نهايةٍ مِنَ الرّازقِ لِمَا يُعطي.

(١) ذكره الكرماني في «لباب التفاسير» (٨/ ٩٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٦)، عن ابن عباس، ودون نسبة مكي في «الهداية» (١٠/ ٦٤٣١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٩). ووقع عند القرطبي: «إفرائيم» بدل «إبراهيم». وقال النَّقّاشُ في «تفسيرِه» عن الضحاك: إنَّ الله تعالى بعثَ إليهم رسولًا منَ الجنِّ اسمُه يوسفُ. الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٥). وضعفه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٩).

(٢) بعثَهُ اللهُ من قَبلِ موسى رسولًا يَدعو القِبْطَ إلى الطَّاعةِ للهِ وحدَهُ، فما أطاعوهُ تلك الطَّاعةَ، نعم أطاعوهُ لمجرَّدِ الوزارةِ والجاهِ الدُّنيويِّ، هذا هو الصَّحيحُ. (الجمالين).

(٣) يعني: ضمُّوا إلى تكذيبِ رسالتِهِ تكذيبَ رسالةِ مَن بعدَهُ، أو جزمُوا بأن لا يُبعَثَ بعدَهُ رسولٌ مع الشَّكِّ في رسالتِهِ. (الجمالين).

(٤) وفي إبهامِها ثمَّ إيضاحِها تفخيمٌ لشأنِها، وتشويقٌ للسَّامعِ إلى مَعرفتِها. (الجمالين).

(٥) أو في النُّبوَّةِ. (الجمالين).

(٦) غيرُ الكوفيِّ، والفاعلُ ضميرُ فرعونَ. (الجمالين).

(٧) أو: بغيرِ تقديرٍ وموازنةٍ بالعَملِ، بل أضعافاً مضاعفةً فضلًا منه. (الجمالين).

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ
٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ
عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا
تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ
وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ
عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ
فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ
فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ
تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ
ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ
بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ
ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩

الحزب ٤٨

﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾ - ﴿ويا قومِ، ماليَ أدعوكُم إلى النَّجاةِ، وتدعونَنيَ إلى النَّارِ؟ تَدعُونَنِي لِأكفُرَ باللهِ، وأُشرِكَ بِهِ ما لَيسَ لِي بِهِ عِلمٌ، وأنا أدعُوكُم إلَى العَزيزِ﴾: الغالب على أمره ﴿الغفَّارِ﴾ لمن تاب[1]. ﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾ - ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّ ما تَدعُونَنِيَ إليهِ﴾ لأعبدَه ﴿لَيسَ لَهُ دَعوةٌ في الدُّنيا﴾ أي: استجابةُ دعوةٍ ﴿ولا في الآخِرةِ، وأنَّ مَرَدَّنا﴾: مَرجِعَنا ﴿إلَى اللهِ، وأنَّ المُسرِفِينَ﴾: الكافرين ﴿هُم أصحابُ النَّارِ. فسَتَذكُرُونَ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿ما أقُولُ لكُم، وأُفَوِّضُ أمرِيَ إلَى اللهِ. إنَّ اللهَ بَصِيرٌ بالعِبادِ﴾. قال ذلك، لمّا توعّدوه بمُخالفته دِينَهم.

﴿٤٥﴾ - ﴿فوَقاهُ اللهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا﴾ به من القتل، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بآلِ فِرعَونَ﴾: قومِه معه ﴿سُوءُ العَذابِ﴾: الغرَقُ، ﴿٤٦﴾ - ثُمَّ[2] ﴿النَّارُ يُعرَضُونَ علَيها﴾[3] يُخوَّفون بها ﴿غُدُوًّا وعَشِيًّا﴾ صباحًا ومساءً[4]، ﴿ويَومَ تَقُومُ السَّاعةُ﴾ يقال: ﴿ادخُلُوا﴾ -يا ﴿آلَ فِرعَونَ﴾، وفي قراءة[5] بفتح الهمزة وكسر الخاء: أمرٌ للملائكة[6] - ﴿أشَدَّ العَذابِ﴾ عذابَ جهنّم[7].

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ - ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ يَتَحاجُّونَ﴾: يتخاصم الكُفّار ﴿في النَّارِ، فيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ استَكبَرُوا: إنّا كُنّا لكُم تبَعًا﴾: جمعُ تابع. ﴿فهَل أنتُم مُغنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنّا نَصِيبًا﴾: جُزءًا ﴿مِنَ النَّارِ؟ قالَ الَّذِينَ استَكبَرُوا: إنّا كُلٌّ فِيها. إنَّ اللهَ قَد حَكَمَ بَينَ العِبادِ﴾ فأدخلَ المؤمنين الجنّة والكافرين النار.

﴿٤٩﴾ - ﴿٥٠﴾ - ﴿وقالَ الَّذِينَ في النَّارِ لِخَزَنةِ جَهَنَّمَ: ادعُوا رَبَّكُم، يُخَفِّفْ عَنّا يَومًا﴾ أي: قدْرَ يوم[8] ﴿مِنَ العَذابِ.........

﴿لا جرَم﴾: حقٌّ وثبَتَ أو لا مَحالةَ أو حقّاً. ﴿ليس له دعوة﴾: مستجابةٌ. أو استجابةُ دعوةٍ. ﴿مردنا إلى الله﴾: رُجُوعَنا بعدَ المَوتِ إليهِ تعالى للجَزاءِ. ﴿حاق﴾: أحَاطَ أو نَـزَلَ. ﴿غدوًّا وعشيًّا﴾: صبَاحاً ومساءً أو دائماً في البرزخِ. ﴿مغنون عنا﴾: دافِعونَ. أو حاملونَ عنَّا.

(١) من الكفّارِ وغيرِهم، ولمن لم يَتُبْ ممَّن شاءَ من المؤمنينَ. (الجمالين).

(٢) أي: الغَرقُ في الدُّنيا، ثمَّ النَّقلةُ منه إلى النَّارِ في البرزخِ. (الجمالين).

(٣) إشارة إلى عذاب القبر، وفي هذه الآيةِ أدلُّ دليلٍ على عذابِ القبرِ؛ لقوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾؛ لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه. ويشير إليه أيضاً ما روي عن ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ أرواحَهُم «فِي صَدْرِ طَيْرٍ سُودٍ يَرَوْنَ مَنَازِلَهُمْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا». رواه عبد الرزاق (٢٦٨٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٧).

وعن الهذيل بن شرحبيل قال: أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار، وذلك عرضها. الطبري (٢٠/ ٣٣٧ـ٣٣٨) وروى نحوه عن السدي والأوزاعي.

(٤) وفيمَا بين ذلك اللهُ أعلمُ بحالِهم، فإمَّا أن يُعذَّبوا بنوعٍ آخرَ من العذابِ، أو يُنَفَّسَ عنهم، ويمكنُ أن يرادَ بالغُدوِّ والعشيِّ الدَّوامُ. (الجمالين).

(٥) لنافعٍ وحفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ. (الجمالين).

(٦) و﴿آلَ فِرۡعَوۡنَ﴾ مفعولٌ أوَّلٌ. (الجمالين).

(٧) فإنَّهُ أشدُّ ممَّا كانوا فيهِ، أو: أشدَّ عذابِ جهنَّمَ. (الجمالين).

(٨) أو: وقتاً ما، والمفعولُ به: شيئاً من العذابِ، أو: عذابَ يومٍ من أنواعِ العذابِ. (الجمالين).

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ
قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾
إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿قالُوا﴾ أيِ: الخزنةُ تهكّمًا: **﴿أَوَلَم تَكُ تأتيكُم رُسُلُكُم بالبَيِّناتِ﴾**: بالمعجزات الظاهرات؟ **﴿قالُوا: بَلَى﴾**، أي: فكفروا بهم. **﴿قالُوا: فادعُوا﴾** أنتم. فإنّا لا نشفع لكافر قال تعالى: **﴿وما دُعاءُ الكافِرينَ إلاّ في ضَلالٍ﴾**: انعدام.

٥١ ـ **﴿إنّا لَننصُرُ رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدُّنيا ويَومَ يَقُومُ الأشهادُ﴾**: جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكُفّار بالتكذيب.

٥٢ ـ **﴿يَومَ لا يَنفَعُ﴾** ـ بالياء والتاء ـ **﴿الظّالِمِينَ مَعذِرَتُهم﴾**: عُذرُهم لو اعتذروا، **﴿ولَهُمُ اللَّعنَةُ﴾** أي: البُعد من الرحمة **﴿ولَهُم سُوءُ الدّارِ﴾** الآخرة، أي: شدّةُ عذابها.

٥٣ ـ **﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الهُدَى﴾**: التوراةَ والمُعجزاتِ، **﴿وأورَثْنا بَنِي إسرائيلَ﴾** من بعد مُوسَى **﴿الكِتابَ﴾** التوراةَ ٥٤ ـ **﴿هُدًى﴾**: هاديًا **﴿وذِكرَى لِأُولِي الألبابِ﴾**: تذكرةً لأصحاب العُقول. ٥٥ ـ **﴿فاصبِرْ﴾** ـ يا مُحمّد. **﴿إنَّ وَعدَ اللهِ﴾** بنصر أوليائه **﴿حَقٌّ﴾** وأنت ومَن تَبعك منهم ـ **﴿واستَغفِرْ لِذَنبِكَ﴾** لِيُستَنَّ بك، **﴿وسَبِّحْ﴾**: صلِّ مُلتبسًا **﴿بِحَمدِ رَبِّكَ بالعَشِيِّ﴾** وهو من بعد الزوال **﴿والإبكارِ﴾** الصلواتِ الخمسَ.

٥٦ ـ **﴿إنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ﴾**: القُرآن **﴿بِغَيرِ سُلطانٍ﴾**: بُرهان **﴿أتاهُم﴾**[1] **﴿إنْ﴾**: ما **﴿في صُدُورِهِم إلاّ كِبْرٌ﴾**: تكبّر وطمع أن يعلوا عليك، **﴿ما هُم بِبالِغِيه. فاستَعِذْ﴾** من شرِّهم **﴿باللهِ. إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾** لأقوالهم **﴿البَصِيرُ﴾** بأحوالهم.

ونـزل فـي مُنكـري البعث[2]: ٥٧ ـ **﴿لَخَلـقُ السَّماواتِ والأرضِ﴾** ابتداءً **﴿أكبَرُ مِـن خَلقِ النّاسِ﴾** مـرّة ثانية ـ وهي الإعـادة ـ **﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّـاسِ﴾** أي: الكُفّـارَ **﴿لا يَعلَمُـونَ﴾** ذلـك. فهم كالأعمى ومن يعلمُـه كالبصير، ٥٨ ـ **﴿وما يَستَوِي الأعمَى والبَصِيـرُ، و﴾** لا **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُـوا الصّالِحـاتِ﴾** ـ وهـو المُحسـن ـ **﴿ولا المُسِـيءُ﴾**. فيـه زيـادة «لا». **﴿قَليلاً مـا يَتَذَكَّـرُونَ﴾**: يتّعظون، باليـاء والتـاء، أي: تذكُّـرُهم قليـلٌ جِدًّا.

﴿يقوم الأشهاد﴾: الملائكةُ والرُّسلُ والمؤمنونَ. ﴿معذرتهم﴾: عذرُهُمْ أوِ اعتذارُهُم حينَ يعتذرونَ. ﴿بالعشيّ والإبكار﴾: طرَفَي النَّهارِ. أو دائماً. ﴿سلطان﴾: حُجَّةٍ وبرهانٍ. ﴿ما هم ببالغيه﴾: بِبَالغي مُقتضى الكِبْرِ والتَّعاظُمِ.

(١) عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال فقالوا: يكون منا في آخر الزمان، فعظموا أمره وقالوا: يصنع كذا، فأنزل الله: ﴿إن الذين يجادلون﴾ إلى ﴿ببالغيه﴾ ثم قال: ﴿فاستعذ بالله﴾ فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال. ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٨)، و«لباب النقول» (ص: ١٧٠).

وقوله: «فعظموا أمره» شرحه الثعلبي (٢٣/ ٢١٥) عن المفسرين: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود ـ يعنون الدجال ـ يخرج في آخر الزمان، ويبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ثم أمره أن يتعوذ من فتنة الدجال.

وعن كعبِ الأحبار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ قال: هم اليهودُ نزلت فيهم فيما يَنتظِرونه من أمر الدَّجّال. ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٨).

(٢) ذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٣) فيه وجهين: أحدهما: أن الآية نزلت في مقرين بخلق السماء والأرض منكرين بالبعث؛ يقول: إذا عرفتم أنه قدَر على خلق السماوات والأرض مبتدِئاً بلا احتذاءٍ بغير، فقدرتُه على إعادة الخلق أحق؛ إذ إعادة الشيء في عقولكم أهون من البداية. والثاني: أن تكون الآية نزلت في مقرين بخلق الناس منكرين خلق السماوات والأرض؛ يقول: إن خلق السماوات والأرض وإمساكها في الهواء بلا تعليق من الأعلى ولا عماد من الأسفل، مع غلظها وكثافتها أكبر وأعظم في الدلالة على حدوثها وخلقها من خلق الناس؛ لأن خلق الناس إنما يكون بالتغير والتولد من حال إلى الحال الأخرى، فيجوز أن يتوهم كون ذلك وافتراقه ثم اجتماعه من بعد وظهور ذلك منه، وأمَّا السماء فهي على حالة واحدة فلا يمكن توهم ذلك.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ٦٠ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ
خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢
كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣
ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ
وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ۞ قُلۡ إِنِّي
نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦

٥٩ ـ ﴿إنَّ السَّاعةَ لَآتِيةٌ لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيها، ولكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يُؤمِنُونَ﴾ بها.

٦٠ ـ ﴿وقالَ رَبُّكُم: ادعُونِيَ، أستَجِبْ لَكُم﴾ أي: اعبدوني[1] أُثِبْكم، بقرينةِ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَستكبِرُونَ عَن عِبادتِي سَيدخُلُونَ﴾ ـ بفتح الياء وضمّ الخاء وبالعكس[2] ـ ﴿جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾: صاغرين.

٦١ ـ ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ والنَّهارَ مُبصِرًا﴾ إسنادُ الإبصار إليه مجازيّ[3] لأنه يُبصَر فيه. ﴿إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ علَى النَّاسِ، ولكِنَّ أكثَرَ النَّاسِ لا يَشكُرُونَ﴾ اللهَ فلا يُؤمنون[4]. ٦٢ ـ ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، لا إلٰهَ إلاّ هُوَ. فأنَّى تُؤفَكُونَ﴾: فكيف[5] تُصرفون عن الإيمان مع قيام البُرهان؟

٦٣ ـ ﴿كَذلِكَ يُؤفَكُ﴾ أي: مِثلَ أفْكِ هؤلاء أُفِكَ ﴿الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللهِ﴾: مُعجزاته ﴿يَجحَدُونَ﴾.

ربع الحزب ٤٨

٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ قَرارًا والسَّماءَ﴾ سقفًا ﴿بِناءً، وصَوَّرَكُم فأحسَنَ صُوَرَكُم، ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ. ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم ـ فتَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ ـ! هُوَ الحَيُّ لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ. فادعُوهُ﴾: اعبدوه[6] ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك[7]: ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

٦٦ ـ ٦٧ ـ ﴿قُلْ: إنِّي نُهِيتُ أن أعبُدَ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ[8]، لَمّا جاءَنِيَ البَيِّناتُ﴾: دلائل التوحيد ﴿مِن رَبِّي، وأُمِرتُ أن أُسلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ﴾. ....

﴿داخرين﴾: صاغرينَ أذلّاءَ. ﴿فأنى تؤفكون ؟﴾: فكيفَ تصرفونَ عن توحيدِهِ؟. ﴿يؤفك﴾: يُصْرَفُ عنِ التَّوحيدِ الحقِّ. ﴿الأرض قراراً﴾: مستقرّاً تعيشونَ فيها. ﴿السماء بناءً﴾: سَقْفاً مَرْفوعاً كالقبَّةِ فوقَكُم. ﴿فتبارك الله﴾: تعالى أو تمجَّدَ أو كَثُرَ خيرُهُ. ﴿أنْ أسلم﴾: أنْ أنقادَ أو أُخلِصَ ديني.

(١) المشهورُ عندَ العلماءِ أنَّ ﴿ادْعوني﴾ من الدُّعاءِ؛ وبمعنى السُّؤالِ، فلا بدَّ من تأويلِ عبادتي ـ واللهُ أعلمُ ـ بأن يُقالَ: ومن ملةِ العبادةِ الدُّعاءُ؛ لقولِهِ ﷺ: «الدُّعاءُ مخُّ العبادةِ»، أو يُقالَ: العبادةُ هي الدُّعاءُ ادِّعاءً للمبالغةِ، ولذا قالَ ﷺ: «الدُّعاءُ هو العبادةُ»، وقرأَ الآيةَ كما في «الحصن». (الجمالين).

(٢) مكّيٌّ وشعبةُ. (الجمالين).

(٣) فيهِ مبالغةٌ، ولذا عدلَ به عن التَّعليلِ إلى الحالِ. (الجمالين).

(٤) وتكريرُ ﴿النَّاسِ﴾ لتنصيصِ تخصيصِ الكفرانِ بهم. (الجمالين).

(٥) ومن أيِّ وجهٍ. (الجمالين).

(٦) أو: وحِّدوهُ بالدُّعاءِ. (الجمالين).

(٧) والرِّياءِ، وقائلينَ: الحمدُ للهِ، أو: الحمدُ للهِ حيث حصلَتِ النِّعمةُ وثبتَتِ الحجَّةُ. (الجمالين).

(٨) عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد، ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ الآية. جويبر كما في «لباب النقول» (ص: ١٧١).

عن مقاتل: دعا كفارُ مكةَ رسولَ الله إلى دينهم، وقالوا له: ما يحمِلُكَ على ما تتعاطاه مِن مُخالفة آبائك وأشرافِ قريش إلا الحاجةُ وقِلّةُ المال، فنحن نجمَعُ لكَ ما يكفيكَ دهرَكَ، فأنزل الله هذه الآية. «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧٢)، وذكر مقاتل أيضاً أن هذه الحادثة نزلت في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قل أغير الله أتخذ ولياً﴾.

انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٢).

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ
يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ
وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ
تَعۡقِلُونَ ٦٧ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ
فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ
وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ
فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ
ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ
تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن
نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ
تَمۡرَحُونَ ٧٥ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن تُرابٍ﴾ بخلق أبيكم آدمَ منه **﴿ثُمَّ مِن نُطفةٍ﴾**: مَنِيٍّ **﴿ثُمَّ مِن عَلَقةٍ﴾**: دم غليظ، **﴿ثُمَّ يُخرِجُكُم طِفلاً﴾** بمعنَى: أطفالاً، **﴿ثُمَّ﴾** يُبقيكم **﴿لِتبلُغوا أشُدَّكُم﴾**: تكامُلَ قوّتِكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين، **﴿ثُمَّ لِتكُونوا شُيُوخًا﴾** ـ بضمّ الشين وكسرها **﴿ومِنكُم مَن يُتَوفَّى مِن قَبلُ﴾** أي: قبلِ الأشُدّ والشيخوخة ـ فعَلَ ذلك بكم لتعيشوا، **﴿ولِتبلُغوا أجَلاً مُسمًّى﴾**: وقتًا محدودًا **﴿ولعَلَّكُم تعقِلُونَ﴾** دلائل التوحيد فتؤمنون. ٦٨ ـ **﴿هُوَ الَّذِي يُحيِي ويُمِيتُ. فإذا قَضَى أمرًا﴾**: أراد إيجادَ شيء **﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾** ـ بضمّ النون، وفتحها بتقدير «أن» ـ أي: يُوجَد عقبَ الإرادة التي هي معنى القول المذكور.

٦٩ ـ **﴿ألَم تَرَ إلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ﴾**: القُرآن **﴿أنّى﴾**: كيف **﴿يُصرَفُونَ﴾** عن الإيمان[١]، ٧٠ ـ **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بالكِتابِ﴾** القرآن **﴿وبما أرسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾** من التوحيد والبعث. وهم كُفّار مكّة؟ **﴿فَسَوفَ يَعلَمُونَ﴾** عُقوبة تكذيبهم، ٧١ ـ **﴿إذِ الأغلالُ في أعناقِهِم﴾** ـ إذ: بمعنى إذا ـ **﴿والسَّلاسِلُ﴾**: عطف على «الأغلالُ» فتكون في الأعناق، أو مبتدأٌ خبرُه محذوف، أي: في أرجُلهم، أو خبرُه **﴿يُسحَبُونَ﴾** أي: يُجرّون بها ٧٢ ـ **﴿في الحَمِيمِ﴾** أي: جهنّمَ، **﴿ثُمَّ في النّارِ يُسجَرُونَ﴾**: يُوقَدونَ.

٧٣ ـ ٧٤ ـ **﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُم﴾** تبكيتًا: **﴿أينَ ما كُنتُم تُشرِكُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾** معه، وهي الأصنام؟ **﴿قالُوا: ضَلُّوا﴾**: غابوا **﴿عَنّا﴾** فلا نراهم. **﴿بَل لَم نَكُنْ نَدعُو مِن قَبلُ شَيئًا﴾**. أنكروا عِبادتهم[٢] إيّاها. ثمّ أُحضِرتْ، قال تعالى: «إنّكُم وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» أي: وَقودُها ـ **﴿كَذلِكَ﴾** أي: مِثلَ إضلال[٣] هؤلاء المُكذّبين **﴿يُضِلُّ اللهُ الكافِرينَ﴾** ـ ويقال لهم أيضًا: ٧٥ ـ **﴿ذلِكُم﴾** العذاب **﴿بِما كُنتُم تفرَحُونَ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾** من الإشراك وإنكار البعث، **﴿وبِما كُنتُم تمرَحُونَ﴾**: تتوسّعون[٤] في الفرح.

٧٦ ـ **﴿ادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها. فبِئسَ مَثوَى﴾**: مأوى **﴿المُتَكبِّرِينَ﴾**!

٧٧ ـ **﴿فاصبِرْ. إنَّ وَعدَ اللهِ﴾** بعذابهم **﴿حَقٌّ. فإمّا نُرِيَنَّكَ﴾** ـ فيه «إن» الشرطيّة مدغمة، وما: زائدة تؤكّد معنى الشرط أوّلَ الفعل، والنونُ تؤكّد آخرَه[٥] ـ **﴿بَعضَ الَّذِي نَعِدُهُم﴾** به من العذاب في حياتك، وجوابُ الشرط محذوف أي: فذاكَ، **﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾** قبل تعذيبهم **﴿فإلَينا يُرجَعُونَ﴾**، فنُعذّبهم أشدّ العذاب. فالجواب المذكور للمعطوف فقط.

﴿لتبلغوا أشدّكُمْ﴾: كمالَ عَقلِكُم وقوّتِكُم. ﴿قَضى أمرًا﴾: أرَادَ إيجادَ أمرٍ. ﴿أنّى يصرفون؟﴾: كيفَ يُصرفونَ عنِ الآياتِ مَعَ صِدْقِها ووضوحِها ؟. ﴿الأغلال﴾: القيودُ تجمعُ الأيدي إلى الأعناقِ. ﴿الحميم﴾: الماءِ البالغِ نِهايةَ الحرارةِ. ﴿يُسْجرون﴾: توقدُ أو تُملأُ بهِمْ. ﴿تفرحون﴾: تَبْطرونَ وتأشَرونَ. ﴿تمرحون﴾: تتوسَّعونَ في الفرحِ والبطرِ. ﴿مثوى المتكبّرين﴾: مأواهُمْ ومُقامُهُمْ.

(١) وتكريرُ ذمِّ المجادلةِ لتعدُّدِ المجادِلِ أو المجادَلِ فيه، أو للتَّوكيدِ. (الجمالين).

(٢) والأظهرُ أنَّ معناهُ: بل تبيَّنَ لنا أنَّا لم نكُنْ نعبدُ شيئاً بعبادتِهِم، فإنَّهُم ليسوا شيئاً يعتدُّ به، كقولِكَ: حسبتُهُ شيئاً فلم يكُنْ. (الجمالين).

(٣) الصَّوابُ: مثلَ ذلك الضَّلالِ؛ إذ لم يتقدَّمْ إلاَّ ﴿ضلُّوا﴾، والمكذِّبونَ همُ الكافرونَ. (الجمالين).

(٤) بالطُّغيانِ والعدوانِ والعصيانِ. (الجمالين).

(٥) كانَ حقُّهُ أن يقولَ: ولذلكَ لحقَتِ النُّونُ الفعلَ؛ إذ لا تلحقُ مع «إنْ» وحدَها. (الجمالين).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ
تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ
الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا
بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

(٧٨) ـ ﴿**ولَقَد أرسَلْنا رُسُلاً مِن قَبلِكَ، مِنهُم مَن قَصَصْنا علَيكَ، ومِنهُم مَن لَم نَقصُصْ علَيكَ**﴾ ـ رُوي أنه تعالى بعث ثمانيةَ آلافِ نبيّ[1]: أربعةَ آلافِ نبيّ من بني إسرائيلَ، وأربعةَ آلافٍ من سائر الناس ـ ﴿**وما كانَ لِرَسُولٍ**﴾ منهم ﴿**أن يأتيَ بآيةٍ إلاّ بإذنِ اللهِ**﴾ لأنهم عبيد مَربوبون، ﴿**فإذا جاءَ أمرُ اللهِ**﴾ بنُزول العذاب على الكُفّار ﴿**قُضِيَ**﴾ بين الرسل ومُكذّبيها ﴿**بالحَقِّ، وخَسِرَ هُنالِكَ المُبطِلُونَ**﴾ أي: ظهر القضاء والخُسران للناس، وهم خاسرون في كُلّ وقت قبل ذلك.

(٧٩) ـ (٨٠) ـ (٨١) ـ ﴿**اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنعامَ**﴾، قيل: الإبلُ خاصّةً هنا. والظاهر: والبقرُ والغنمُ، ﴿**لِتَركَبُوا مِنها ـ ومِنها تأكُلُونَ، ولَكُم فِيها مَنافِعُ**﴾ من الدَّرّ والنسل والوبر والصوف ـ ﴿**ولِتَبلُغُوا علَيها حاجةً في صُدُورِكُم**﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ـ ﴿**وعلَيها**﴾ في البرّ ﴿**وعلَى الفُلكِ**﴾: السفن في البحر ﴿**تُحمَلُونَ ـ ويُرِيكُم آياتِهِ. فأيَّ آياتِ اللهِ**﴾ الدالّةِ على وحدانيته ﴿**تُنكِرُونَ**﴾؟ استفهام توبيخ. وتذكير «أيّ» أشهرُ من تأنيثه.

(٨٢) ـ (٨٣) ـ ﴿**أفلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ كانُوا أكثَرَ مِنهُم وأشَدَّ قُوّةً، وآثارًا في الأرضِ**﴾ من مصانعَ وقصور، ﴿**فما أغنَى عَنهُم ما كانُوا يَكسِبُونَ. فلَمّا جاءَتْهُم رُسُلُهُم بالبَيِّناتِ**﴾: المُعجزات الظاهرات ﴿**فَرِحُوا**﴾ أي: الكُفّارُ ﴿**بما عِندَهُم**﴾ أي: الرسلِ ﴿**مِنَ العِلمِ**﴾ فَرَحَ استهزاء وضحك منكرين له، ﴿**وحاقَ**﴾: نزل ﴿**بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ أي: العذابُ، (٨٤) ـ (٨٥) ـ ﴿**فلَمّا رأَوا بأسَنا**﴾ أي: شِدّة عذابنا ﴿**قالُوا: آمَنّا باللهِ وَحدَهُ وكَفَرْنا بما كُنّا بِهِ مُشرِكِينَ. فلَم يَكُ يَنفَعُهُم إيمانُهُم لَمّا رأَوا بأسَنا، سُنّةَ اللهِ**﴾ ـ نصبُه على المصدر بفعل مقدَّر من لفظه ـ ﴿**الَّتِي قد خَلَتْ في عِبادِهِ**﴾ في الأُمم، ألاّ ينفعَهم الإيمان وقت نزول العذاب، ﴿**وخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ**﴾: تَبيَّنَ خُسرانُهم لكُلّ أحد، وهم خاسرون في كُلّ وقت قبل ذلك.

***

﴿حاجَة في صدوركم﴾: أمراً ذا بالٍ تهتمُّونَ بِهِ. ﴿فما أغنى عنهم﴾: فما دفعَ عنهم وما نَفَعَهُمْ. ﴿من العلم﴾: بأمورِ الدُّنيا مستهزئينَ بالدِّينِ. ﴿حَاق بهم﴾: أحاطَ. أو نزلَ بهم. ﴿رَأَوْا بَأسنا﴾: عاينوا شدَّةَ عذابِنا في الدُّنيا. ﴿خلتْ﴾: مَضَتْ.

(١) «مسند أبي يعلى» (٤١٣٢)، و«المجالسة» للدينوري (٣٢٠٥)، و«معجم ابن الأعرابي» (٢٩٥)، و«المعجم الأوسط» (٧٧٤)، من حديث أنس رضي الله عنه. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٦٠٩٠).

وقال في «الجمالين» تعقيباً على كلام المصنف: ورويَ: أنَّ عددَ الأنبياءِ مئةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرونَ ألفاً، والرُّسلِ ثلاث مئةٍ وخمسةَ عشرَ ـ أحمد (٢٢٢٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٧١) من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف ـ والمذكورُ قصَّتُهم أشخاصٌ معدودةٌ، قيل: أربعةٌ وعشرونَ.

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١

٤١

سورة حم السجدة

مكية، ثلاث وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) - ﴿تَنزيلٌ مِنَ الرحمنِ الرَّحِيمِ﴾: مبتدأٌ (٣) - ﴿كِتابٌ﴾: خبرُه، ﴿فُصِّلَتْ آياتُهُ﴾: بُيِّنتْ بالأحكام والقِصص والمواعظ ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾: حالٌ من «كتاب» بصفته ﴿لِقَومٍ﴾: مُتعلّق بـ «فصّلت» ﴿يَعلَمُونَ﴾: يفهمون ذلك - وهم العرب - (٤) - ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قُرآنًا» ﴿ونَذِيرًا، فأعرَضَ أكثرُهُم فهُم لا يَسمَعُونَ﴾ سماعَ قَبول، (٥) - ﴿وقالُوا﴾ للنبيّ: ﴿قُلُوبُنا في أكِنَّةٍ﴾: أغطية ﴿مِمّا تَدعُونا إلَيهِ، وفي آذانِنا وَقْرٌ﴾: ثِقلٌ، ﴿ومِن بَينِنا وبَينِكَ حِجابٌ﴾: خِلافٌ في الدِّين. ﴿فاعمَلْ﴾ على دِينك. ﴿إنَّنا عامِلُونَ﴾ على دِيننا.

الحزب ٤٨

(٦) - (٧) - (٨) - ﴿قُلْ: إنَّما أنا بَشَرٌ مِثلُكُم، يُوحَى إلَيَّ أنَّما إلٰـهُكُم إلٰـهٌ واحِدٌ. فاستَقِيمُوا إلَيهِ﴾ بالإيمان والطاعة، ﴿واستَغفِرُوهُ. ووَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب ﴿لِلمُشرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤتُونَ الزَّكاةَ، وهُم بالآخِرةِ هُم﴾: تأكيد ﴿كافِرُونَ. إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ﴾: مقطوعٍ.

(٩) - ﴿قُلْ: أئِنَّكُم﴾ - بتحقيقِ الهمزة الثانية وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بينها بوجهيها وبين الأُولى - ﴿لَتكفُرُونَ بِالَّذي خَلَقَ الأرضَ في يَومَينِ﴾ الأحد والاثنين، ﴿وتَجعَلُونَ لَهُ أندادًا﴾: شُركاءَ؟ ﴿ذلِكَ رَبُّ﴾: مالكُ ﴿العالَمِينَ﴾: جمعُ عالَم. وهو ما سِوى الله. وجُمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبًا للعُقلاء. (١٠) - ﴿وجَعَلَ﴾: مُستأنفٌ ولا يجوز عطفه على صلة «الذي» للفاصل الأجنبيّ، ﴿فِيها رَواسِيَ﴾: جِبالاً ثوابتَ ﴿مِن فَوقِها، وبارَكَ فِيها﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع، ﴿وقَدَّرَ﴾: قسّم ﴿فِيها أقواتَها﴾ للناس والبهائم ﴿في﴾ تمام ﴿أربَعَةِ أيّامٍ﴾، أي: الجَعلُ وما ذُكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء، ﴿سَواءً﴾: منصوب على المصدر، أي: استوَتِ الأربعة استواءً لا يزيد ولا ينقص. ﴿لِلسّائِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

(١١) - ﴿ثُمَّ استَوَى﴾: قصد ﴿إلَى السَّماءِ، وهِيَ دُخانٌ﴾: بُخار مُرتفع، ﴿فقالَ لَها ولِلأرضِ: ائتِيا﴾ إلى مُرادي منكما ﴿طَوعًا أو كَرهًا﴾: في موضع الحال، أي: طائعتَينِ أو مُكرَهتَينِ. ﴿قالَتا: أتَينا﴾ بمَن فينا ﴿طائعِينَ﴾. فيه تغليب المُذكّر العاقل، أو نُزِّلتا لخِطابهما منزلتَه.

﴿فصّلتْ آياته﴾: مُيِّزَتْ ونوِّعَتْ. أو بُيِّنتْ. ﴿أكنّة﴾: أغطيةٍ خِلقيَّةٍ تمنعُ الفَهمَ. ﴿وَقْرٌ﴾: صَممٌ وثقلٌ يمنعُ السَّمعُ. ﴿حِجاب﴾: سِترٌ غليظٌ يمنعُ التَّواصلَ. ﴿فاستقيموا إليه﴾: تـوجَّهوا إليهِ بطاعتِهِ وعبادتِهِ. ﴿وَيْل للمشركين﴾: هلاكٌ أو حَسْرَةٌ أو شدَّةُ عذابٍ لهُم. ﴿غير ممنون﴾: غيرُ مقطوعٍ عنهُم. ﴿أندادًا﴾: أمْثالاً مِنَ مَخْلوقاتِهِ تـعبدونَها. ﴿رَواسيَ﴾: جبالاً ثوابتَ تمنعُها المَيَـدانَ. ﴿بارك فيها﴾: كثَّر خَيْرَها ومَنافعَها. ﴿أقواتها﴾: أرزاقَ أهلِها وما يصلحُ لمعايشِهِمْ. ﴿في أربعة أيام﴾: في تتمَّةِ أربعةِ أيّـامٍ. ﴿سَواءً﴾: اسْتوَتِ الأربعةُ اسْتِواءً (تـمَّتْ). ﴿استوى﴾: عَمَدَ وقصَدَ قصداً سويّـاً... ﴿هي دُخان﴾: مُكونةٌ ممَّا يُشبهُ الدُّخانَ. ﴿ائتيا﴾: افعَلا ما أمرتُكُما بهِ وجيئا بهِ.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِي
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ
إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١٢﴾ ـ ﴿فقضاهنَّ﴾ ـ الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمعِ الآيلةِ إليه ـ أي: صيَّرها ﴿سَبعَ سَماواتٍ في يومَين﴾ الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلقَ آدم ـ ولذلك لم يقل هنا «سواء». ووافق ما هنا آياتِ خلق السماوات والأرض في ستّة أيام ـ ﴿وأوحى في كُلِّ سَماءٍ أمرَها﴾ الذي أمر به مَن فيها مِن الطاعة والعبادة، ﴿وزيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بمَصابيحَ﴾: بنجوم ﴿وحِفظًا﴾: منصوبٌ بفعله المقدَّر، أي: حفظناها من استراق الشياطين السمعَ بالشُّهب. ﴿ذلكَ تَقديرُ العَزيزِ﴾ في مُلكه ﴿العَليمِ﴾ بخلقه.

﴿١٣﴾ ـ ﴿فإن أعرَضُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة عن الإيمان بعد هذا البيان[1] ﴿فقُلْ: أنذرتُكم﴾: خوَّفتكم ﴿صاعِقةً مِثلَ صاعِقةِ عادٍ وثَمودَ﴾ أي: عذابًا يُهلككم مِثل الذي أهلكهم، ﴿١٤﴾ ـ ﴿إذ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَينِ أيدِيهِم ومِن خَلفِهِم﴾ أي: مُقبلين عليهم ومُدبرين عنهم، فكفروا كما سيأتي ـ والإهلاكُ في زمنه فقط ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا تعبُدُوا إلاّ اللهَ. قالوا: لَو شاءَ رَبُّنا لأنزَلَ مَلائكةً. فإنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾على زعمكم ﴿كافِرُونَ﴾.

﴿١٥﴾ ـ ﴿١٦﴾ ـ ﴿فأمّا عادٌ فاستكبَرُوا في الأرضِ بغَيرِ الحَقِّ، وقالُوا﴾ لمّا خوِّفوا بالعذاب: ﴿مَن أشَدُّ مِنّا قُوّةً﴾؟ أي: لا أحدَ. كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء. ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَهُم هُوَ أشَدُّ مِنهُم قُوَّةً﴾؟ وكانُوا بآياتِنا﴾ المُعجزات ﴿يَجحَدُونَ. فأرسَلْنا علَيهِم رِيحًا صَرصَرًا﴾: باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿في أيّامٍ نَحِساتٍ﴾، بكسر الحاء وسكونها: مشؤوماتٍ عليهم، ﴿لِنُذيقَهُم عَذابَ الخِزْيِ﴾: الذلّ ﴿في الحَياةِ الدُّنيا ـ ولَعَذابُ الآخِرةِ أخزَى﴾: أشدُّ، ﴿وهُم لا يُنصَرُونَ﴾ بمنعه عنهم ـ ﴿١٧﴾ ـ ﴿١٨﴾ ـ ﴿وأمّا ثَمُودُ فهَدَيناهُم﴾: بيّنّا لهم طريقَ الهُدى، ﴿فاستَحَبُّوا العَمَى﴾: اختاروا الكُفر ﴿علَى الهُدَى، فأخَذَتْهُم صاعِقةُ العَذابِ الهُونِ﴾: المُهين ﴿بِما كانُوا يَكسِبُونَ، ونَجَّينا﴾ منها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ.

﴿١٩﴾ ـ ﴿و﴾ اذكر ﴿يَومَ يُحشَرُ﴾ ـ بالياءِ، والنونِ المفتوحة وضمِّ الشين وفتحِ الهمزة ـ ﴿أعداءُ اللهِ إلَى النّارِ، فهُم يُوزَعُونَ﴾: يُساقون. ﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢١﴾ ـ ﴿حَتَّى إذا ما﴾: زائدةٌ ﴿جاؤُوها شَهِدَ علَيهِم سَمعُهُم وأبصارُهُم وجُلُودُهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾، ....

﴿فقضاهنّ﴾: أحْكَمَ وأَبدَعَ خلقَهُنَّ. ﴿أوحى﴾: كوَّنَ، أو دبَّر في اليومَينِ. ﴿حفظاً﴾: حفِظْناها حِفظاً مِنَ الآفاتِ. ﴿أنذرْتكم صاعقة﴾: خوَّفْتُكُمْ عذاباً شديداً مهلكاً. ﴿ريحاً صرصراً﴾: شديدةَ السَّمومِ، أوِ البَرْدِ، أوِ الصَّوتِ. ﴿أيّام نحِسات﴾: مشْؤوماتٍ، أو ذواتِ غبارٍ وترابٍ. ﴿أخزَى﴾: أشدّ إذلالاً وإهانةً. ﴿فهدَيْناهمْ﴾: بيَّنَّا لهُم طريقَي الضَّلالةِ والهُدَى. ﴿العَذاب الهون﴾: المهينِ. ﴿فهم يوزعون﴾: يُحْبَسُ سَوَابقُهُم ليلحقَهُم تواليهم.

(١) عن جابر بن عبد الله: أنَّ أبا جهل والملأَ مِن قريش بعثوا عُتْبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ، فقال له: أنتَ يا محمد خيرٌ أم هاشمٌ؟! أنتَ خيرٌ أم عبد المطلب؟! فبِمَ تَشْتِمُ آلهتنا وتُضَلِّلُ آباءنا؟! فإنْ كنتَ تريد الرياسة عقَدْنا لكَ فكنتَ رأساً ما بقِيتَ، وإنْ كنتَ تريد الباءةَ زوَّجْناكَ عشرَ نِسْوةٍ تختارها، وإنْ كنتَ تريد المال جمعنا لكَ مِن أموالنا ما تستغني به أنتَ وعقِبُكَ، فلما فرَغَ قال رسول الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ الآية، فأمسَكَ عُتْبة على فيه وناشدَه بالرَّحِمِ أنْ يكُفَّ، ورجَعَ إلى أهله واحتبَسَ عن قريش، فاتهمه أبو جهل بأنه قد صبأ، فغضِبَ وأقسَمَ ألا يُكلِّمَ محمداً أبداً، وقال: إنه أجابني واللهِ بقولٍ ليس بشعرٍ ولا بسحرٍ ولا كَهانةٍ، فأمسكْتُ على فيه وناشدتُه بالرَّحِمِ على أنْ يكُفَّ..، الحديثَ. رواه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٢١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٣). وعن محمد بن كعب نحوه. رواه ابن إسحاق في «السيرة» (ص: ٢٠٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٥).

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟
فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم
مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ
خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ
ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

وقالوا لِجُلُودِهِم: لِمَ شَهِدتُم علَينا؟ قالُوا: أنطقَنا اللهُ الَّذِي أنطقَ كُلَّ شَيءٍ﴾ أي: أراد نُطقَه.

﴿**وهُوَ خَلقَكُم أوَّلَ مَرَّةٍ وإلَيهِ تُرجَعُونَ**﴾ ـ قيل: هو من كلام الجلود. وقيل: هو من كلام الله ـ تعالى ـ كالذي بعده. وموقعه تقريبُ ما قبله بأنّ القادرَ على إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياءً قادرٌ على إنطاق جُلودكم وأعضائكم ـ ﴿٢٢﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ـ ﴿**وما كُنتُم تَستَتِرُونَ**﴾ عند ارتكابكم الفواحش من ﴿**أن يَشهَدَ علَيكُم سَمعُكُم ولا أبصارُكُم ولا جُلُودُكُم**﴾[1] لأنكم لم توقنوا بالبعث، ﴿**ولكِن ظَنَنتُم**﴾ عند استتاركم ﴿**أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ كَثِيرًا مِمّا تَعمَلُونَ، وذلِكُم**﴾: مبتدأ ﴿**ظَنُّكُمُ**﴾: بدل منه ﴿**الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُم**﴾: نعت البدلِ، والخبرُ: ﴿**أرداكُم**﴾ أي: أهلككم، ﴿**فأصبَحتُم مِنَ الخاسِرِينَ**﴾.

نصف الحزب ٤٨

﴿٢٤﴾ ـ ﴿**فإن يَصبِرُوا**﴾ على العذاب ﴿**فالنّارُ مَثوًى**﴾: منزلٌ ﴿**لَهُم، وإن يَستَعتِبُوا**﴾: يطلبوا العُتبى أي الرضا ﴿**فما هُم مِنَ المُعتَبِينَ**﴾: المَرضِيِّين، ﴿٢٥﴾ ـ ﴿**وقَيَّضنا**﴾: سبّبنا ﴿**لَهُم قُرَناءَ**﴾ من الشياطين، ﴿**فزَيَّنُوا لَهُم ما بَينَ أيدِيهِم**﴾ من أمر الدنيا واتّباع الشهوات ﴿**وما خَلفَهُم**﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعثَ ولا حِساب، ﴿**وحَقَّ علَيهِمُ القَولُ**﴾ بالعذاب ـ وهو «لَأَملأَنَّ جَهَنَّمَ» الآيةَ ـ ﴿**في**﴾ جُملةِ ﴿**أُمَمٍ قَد خَلَت**﴾: هلكت ﴿**مِن قَبلِهِم مِنَ الجِنِّ والإنسِ. إنَّهُم كانُوا خاسِرِينَ**﴾.

﴿٢٦﴾ ـ ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ عِند قِراءة النبيّ ﷺ: ﴿**لا تَسمَعُوا لِهذا القُرآنِ، والغَوا فِيهِ**﴾: ائتوا باللَّغَط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته، ﴿**لَعَلَّكُم تَغلِبُونَ**﴾ فيسكت عن القِراءة. قال تعالى فيهم: ﴿٢٧﴾ ـ ﴿**فلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذابًا شَدِيدًا، ولَنَجزِيَنَّهُم أسوَأَ الَّذِي كانُوا يَعمَلُونَ**﴾ أي: أقبحَ جزاءِ عملهم. ﴿٢٨﴾ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿**جَزاءُ أعداءِ اللهِ**﴾ ـ بتحقيقِ الهمزة الثانية وإبدالِها واوًا ـ ﴿**النّارُ**﴾: عطفُ بيان لِـ«جزاء» المُخبرِ به عن «ذلك»، ﴿**لَهُم فِيها دارُ الخُلدِ**﴾ أي: إقامةٍ لا انتقال منها ﴿**جَزاءً**﴾: منصوبٌ على المصدر بفعله المُقدّر، ﴿**بِما كانُوا بِآياتِنا**﴾: القُرآن ﴿**يَجحَدُونَ**﴾.

﴿٢٩﴾ ـ ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ في النار: ﴿**رَبَّنا، أرِنا اللَّذَينِ أضَلّانا مِنَ الجِنِّ والإنسِ**﴾ أي: إبليسَ وقابيلَ، سَنّا الكُفر والقتل، ﴿**نَجعَلهُما تَحتَ أقدامِنا**﴾ في النار ﴿**لِيَكُونا مِنَ الأسفَلِينَ**﴾ أي: أشدَّ عذابًا منّا.

﴿تستترون﴾: تستخفونَ عندَ ارتكابِكُمُ الفواحشَ. ﴿أنْ يشهد..﴾: مَخافةَ أن يَشهدَ... ﴿ظننْتمْ﴾: اعتقدْتُم عندَ استتارِكُم مِنَ النَّاسِ. ﴿كثيراً مما تعملون﴾: و هو ما عمِلتُم خِفيةً. ﴿أرداكمْ﴾: أهلَكَكُمْ. ﴿مثْوى لهمْ﴾: مَحَلُّ ثواءٍ وإقامةٍ أبديَّةٍ لهُم. ﴿إنْ يَستعتبوا﴾: يَطلبوا رضاءَ ربِّهم يومئذٍ. ﴿من المعتبينَ﴾: مِنَ المجابينَ إلى ما طَلبوا. ﴿قيّضنا لهمْ﴾: سبَّبْنا وهَيَّأْنا لهُمْ. ﴿حقّ عليهم القول﴾: وَجَبَ وثَبتَ عليهم وَعيدُ العذابِ. ﴿الغوْا فيه﴾: ائتوا باللَّغوِ والباطلِ عندَ قراءتِهِ. ﴿الأسْفلين﴾: في الدَّركِ الأسفلِ مِنَ النَّارِ.

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي اللهُ عنه قال: «اجتمع عند البيت قُرشيَّان وثَقَفيٌّ، أو ثَقَفيَّان وقُرشيٌّ، كثيرةٌ شحمُ بطونهم، قليلةٌ فقهُ قلوبهم، فقال أحدهم: أترَونَ أنَّ الله يسمعُ ما نقولُ؟ قال الآخرُ: يسمع إنْ جهرنا، ولا يسمع إنْ أخفينا. وقال الآخرُ: إنْ كان يسمعُ إذا جَهرنا فإنَّه يسمعُ إذا أخفينا، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآيَةَ. البخاري (٤٨١٦)، ومسلم (٢٧٧٥). وذُكر عن النقاش أن الثلاثة: صفوان بن أمية وفرقد بن ثمامة وأبو فاطمة. وقال ابن بشكوال في «الأسماء المبهمة» (٢/ ٧١٣): «القرشي هو الأسود عبد يغوث، والثقفي الواحد الأخنس بن شريق»، وقيل غيرُ ذلك. انظر: «عمدة القاري» (١٩/ ١٥٥).

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ
ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ
بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

(٣٠) ـ (٣١) ـ **﴿إنَّ الَّذِينَ قالُوا: رَبُّنا اللهُ. ثُمَّ استَقامُوا﴾**[١] على التوحيد وغيره[٢] ممّا وجب عليهم **﴿تَتنزَّلُ عليهِمِ المَلائكةُ﴾** عِند الموت **﴿أنْ﴾** أي: بأن **﴿لا تخافُوا﴾** من الموت وما بعده **﴿ولا تَحزَنُوا﴾** على ما خلّفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيهم، **﴿وأبشِرُوا بِالجَنّةِ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ. نَحنُ أولياؤُكُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾** أي: نحفظكم فيها **﴿وفي الآخِرةِ﴾** أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنّة، **﴿ولَكُم فِيها ما تَشتَهِي أنفُسُكُم، ولَكُم فِيها ما تَدَّعُونَ﴾**: تطلبون، (٣٢) ـ **﴿نُزُلاً﴾**: رِزقًا مُهيأً، منصوبٌ بـ «جُعِلَ»[٣] مُقدّرًا **﴿مِن غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾** أي: اللهِ.

(٣٣) ـ (٣٤) ـ **﴿ومَن أحسَنُ﴾** أي: لا أحد أحسن **﴿قولاً مِمَّن دَعا إلَى اللهِ﴾** بالتوحيد **﴿وعَمِلَ صالِحًا، وقالَ: إنَّنِي مِنَ المُسلِمِينَ؟ ولا تَستَوِي الحَسَنةُ ولا السَّيِّئةُ﴾** في جزئيّاتهما لأنّ بعضها فوق بعض. **﴿ادفَعْ﴾** أي: السيّئة **﴿بِالَّتِي﴾** أي: بالخَصلة التي **﴿هِيَ أحسَنُ﴾**، كالغضب بالصبر والجهلِ بالحلم والإساءةِ بالعفو، **﴿فإذا الَّذي بَينَكَ وبَينَهُ عَداوةٌ كأنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** أي: فيصير عدوُّك كالصديق القريب في محبّته، إذا فعلتَ ذلك. فالذي: مُبتدأ، وكأنّه: الخبر، وإذا: ظرف لمعنى التشبيه.

(٣٥) ـ (٣٦) ـ **﴿وما يُلَقّاها﴾** أي: يُؤتَى الخَصلةَ التي هي أحسنُ **﴿إلاّ الَّذِينَ صَبَرُوا، وما يُلَقّاها إلاّ ذُو حَظٍّ﴾**: ثوابٍ[٤] **﴿عَظِيمٍ. وإمّا﴾** ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» الزائدة ـ **﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ﴾** أي: إن يصرفْك عن الخَصلة وغيرها من الخير صارفٌ[٥] **﴿فاستَعِذْ بِاللهِ﴾**: جوابُ الشرط، وجوابُ الأمر[٦] محذوفٌ، أي: يدفعْه عنك. **﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾** للقول **﴿العَلِيمُ﴾** بالفِعل.

(٣٧) ـ (٣٨) ـ **﴿ومِن آياتِهِ اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقَمَرُ ـ لا تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا لِلقَمَرِ، واسجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾** أي: الآياتِ الأربعَ، **﴿إن كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ. فإنِ استكبَرُوا﴾** عن السُّجود لله وحده، **﴿فالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾** أي: فالملائكةُ **﴿يُسَبِّحُونَ﴾**: يُصلّون **﴿لَهُ بِاللَّيلِ والنَّهارِ، وهُم لا يَسأمُونَ﴾**: لا يَملّون ـ ....

﴿استقاموا﴾: على الحقِّ اعتقاداً وعملاً وإخلاصاً. ﴿ما تدّعون﴾: ما تتمنّونَهُ وتطلبونَهُ. ﴿نزلاً﴾: رزقاً أو ضِيافةً وتكرمةً، أو منًّا. ﴿وليّ حميمٌ﴾: صَديقٌ قريبٌ يهتمُّ لأمرِكَ. ﴿ما يلقّاها﴾: ما يُؤتَى هذهِ الخصلةَ الشَّريفةَ. ﴿ينزغنّك﴾: يُصيبنَّكَ. أو يَصرفَنَّكَ. ﴿نزغٌ﴾: وَسْوَسةٌ. أو صارفٌ. ﴿لا يسأمون﴾: لا يَملُّونَ التَّسبيحَ.

(١) عن عطاء عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنّها نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه؛ فإنَّ المشركينَ قالوا: ربُّنا الله، والملائكةُ بناتُ الله، واليهودَ قالوا: ربُّنا الله، وعُزَيرٌ ابنُ الله، ومحمَّدٌ ليس بنبيٍّ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه قال: ربُّنا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ومحمَّدٌ عبدُه ورسولُه، فاستقامَ. الواحدي (ص: ٣٧٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥١).

(٢) وما رويَ عن الخُلفاءِ في معنى الاستقامَةِ ـ من الثَّباتِ على الإيمانِ والأمرِ والنَّهي وإخلاصِ العملِ وأداءِ الفرائضِ ـ فجُزْئيَّاتها. (الجمالين).

(٣) الأولى جعلُهُ حالًا من ﴿ما تَدَّعُونَ﴾ للإشعارِ بأنَّ ما يتمنَّونَ بالنِّسبةِ إلى ما يُعطونَ ممَّا لا يخطرُ ببالِهم كالنُّزلِ للضَّيفِ. (الجمالين).

(٤) وهو الجنَّةُ، أو: نصيبٍ من الخيرِ وكمالِ النَّفسِ. (الجمالين).

(٥) صادرٌ منه. (الجمالين).

(٦) ليسَ لازمَ الجوابِ. (الجمالين).

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ
﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(٣٩) ـ ﴿وَمِن آياتِهِ أنَّكَ تَرَى الأرضَ خاشِعَةً﴾: يابسة لا نبات فيها، ﴿فإذا
أنزَلنا عليها الماءَ اهتَزَّتْ﴾: تحرّكتْ ﴿ورَبَتْ﴾: انتفختْ وعلتْ. ﴿إنَّ
الَّذي أحياها لَمُحيِي المَوتَى. إنَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾.
(٤٠) ـ ﴿إنَّ الَّذينَ يُلحِدونَ﴾ ـ مِن: ألحَدَ ولَحَدَ ـ ﴿في آياتِنا﴾[١]: القُرآنِ
بالتكذيب[٢] ﴿لا يَخفَونَ علَينا﴾ فنُجازيهم. ﴿أفمَن يُلقَى في النّارِ خَيرٌ أم
مَن يأتي آمِنًا يَومَ القِيامةِ؟ اعمَلُوا ما شِئتُم. إنَّهُ بِما تَعمَلُونَ بَصيرٌ﴾ تهديدٌ لهم.
(٤١) ـ ﴿إنَّ الَّذينَ كَفَروا بِالذِّكرِ﴾: القُرآنِ ﴿لَمّا جاءَهُم﴾ نُجازيهم، ﴿وإنَّهُ
لَكِتابٌ عَزيزٌ﴾: منيع[٣]، (٤٢) ـ ﴿لا يأتيهِ الباطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ ولا مِن خَلفِهِ﴾ أي:
ليس قبله كتاب يُكذّبه ولا بعده، ﴿تَنزيلٌ مِن حَكيمٍ حَميدٍ﴾ أي: اللهِ المحمود
في أمره[٤]، (٤٣) ـ ﴿ما يُقالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إلّا﴾ مِثْل ﴿ما قَد قِيلَ لِلرُّسُلِ
مِن قَبلِكَ. إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وذُو عِقابٍ ألِيمٍ﴾ للكافرين.
(٤٤) ـ ﴿ولَو جَعَلْناهُ﴾ أي: الذّكرَ ﴿قُرآنًا أعجَمِيًّا لَقالُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿فُصِّلَتْ﴾:
بُيِّنتْ ﴿آياتُهُ﴾[٥] حتّى نفهمها. ﴿أ﴾ قُرآنٌ ﴿أعجَمِيٌّ و﴾ نبيٌّ ﴿عَرَبيٌّ﴾؟
استفهام إنكار منهم، بتحقيقِ الهمزة الثانية وقلبها ألفًا، بإشباع ودُونه. ﴿قُلْ:
هُوَ لِلَّذينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وشِفاءٌ﴾ من الجهل، ﴿والَّذينَ لا يُؤمِنُونَ في آذانِهِم وَقْرٌ﴾: ثِقل فلا يسمعونه، ﴿وهُوَ علَيهِم عَمًى﴾ فلا
يفهمونه. ﴿أُولئِكَ يُنادَونَ مِن مَكانٍ بَعيدٍ﴾ أي: هم كالمُنادَى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما يُنادى به.
(٤٥) ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ﴿فاختُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن. ﴿ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير الحِساب
والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه. ﴿وإنَّهُم﴾ أي: المُكذِّبين به ﴿لَفي شَكٍّ مِنهُ مُريبٍ﴾: مُوقع في
الريبة. (٤٦) ـ ﴿مَن عَمِلَ صالِحًا فلِنَفسِهِ﴾ عَمِلَ، ﴿ومَن أساءَ فعلَيها﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه، ﴿وما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾ أي: بذي ظُلم
لقوله تعالى: «إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرّةٍ».

﴿الأرض خاشعة﴾: يَابسةً مُتطامِنَةً جَدْبَةً. ﴿اهتزت﴾: تحرَّكَتْ بالنَّباتِ. ﴿رَبَتْ﴾: انتفختْ وعَلَتْ. ﴿يُلحِدونَ﴾: يميلونَ عنِ الحقِّ والاستقامةِ. ﴿إنّ الذين كفَروا﴾: خبَرُ «إنّ» تقديرُهُ «لا يَخفَوْنَ علينا» أو «هالِكونَ». ﴿قرآنًا أعجميًّا﴾: بلغةِ العجَمِ كما اقترحوا. ﴿لولا فصّلت آياته﴾: هلاّ بُيِّنَتْ آياتُهُ بلسانٍ نعرفُهُ. ﴿أأعجميّ وعربيّ﴾: أقرآنٌ أعجميٌّ ورَسولٌ عربيٌّ. ﴿في آذانهم وَقْرٌ﴾: صَمَمٌ مانعٌ مِن سماعِهِ. ﴿هو عليهم عمًى﴾: ظلمَةٌ وشُبْهَةٌ مُستولِيَةٌ عليهم. ﴿مريب﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبةِ والقلقِ.

(١) عن بِشْرِ بنِ تَيْمٍ قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي جهلٍ وعمَّارِ بن ياسرٍ: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ أبو جهلٍ ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عمَّار بن ياسرٍ. عبد الرزاق (٢٧١٧). وقيل: هو عثمانُ، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٣)، وقيل: عمرُ. ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٥).
قال مُقاتلٌ: هو رسولُ الله ﷺ. «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٤).

(٢) والطَّعنِ والتَّحريفِ والتَّأويلِ الباطلِ والإلغاءِ. (الجمالين).

(٣) لا يتأتَّى إبطالُهُ وتحريفُهُ، أو كثيرُ النَّفعِ عديمُ النَّظيرِ. (الجمالين).

(٤) أي: في كلِّ فعالِه، أو يحمدُهُ كلُّ مخلوقٍ بما ظهرَ عليهِ من نعمَه. (الجمالين).

(٥) عن سعيد بن جُبَير: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميًّا وعربيًّا؟ فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا﴾ الآية، فأنزل الله بعد هذه الآية في القرآن بكل لسان، فيه: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [سورة هود: ٨٢، وسورة الحجر: ٧٤] قال: فارسية أعربت سَنْكَ وكلْ. الطبري (١/ ١٤) و(٢٠/ ٤٤٨).

۞ إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا
وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ
شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ٤٧ وَضَلَّ عَنۡهُم
مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٤٨
لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ
قَنُوطٞ ٤٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ
رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٠ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ
أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ
٥١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ
مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا
فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ
أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ
فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤

الجزء ٢٥ الحزب ٤٩

٤٧ ـ ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: متى تكون؟ لا يعلمه غيره، ﴿وما تخرجُ مِن ثَمَرةٍ﴾ ـ وفي قراءة: «ثَمَراتٍ» ـ ﴿مِن أكمامِها﴾: أوعِيتها جمع كِمّ بكسر الكاف إلاّ بعلمه، ﴿وما تحمِلُ مِن أُنثى ولا تضَعُ إلاّ بعِلمِه. ويومَ يُناديهم: أينَ شُركائي؟ قالوا: آذنّاكَ﴾: أعلمناكَ الآن ﴿ما مِنّا مِن شَهيدٍ﴾ أي: شاهدٍ بأنّ لك شريكًا. ٤٨ ـ ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَدعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن قبلُ﴾ في الدنيا من الأصنام، ﴿وظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿ما لَهُم مِن مَحيصٍ﴾: مَهرب من العذاب. والنفي في الموضعين مُعلِّق عن العمل، وجملة النفي سدّت مسدّ المفعولين.

٤٩ ـ ﴿لا يَسأمُ الإنسانُ مِن دُعاءِ الخَيرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربَّه المالَ والصحّة وغيرهما، ﴿وإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والشِّدّة ﴿فيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين، ٥٠ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسمٍ ـ ﴿أذَقْناهُ﴾: آتيناه ﴿رَحمةً﴾: غنًى وصحّة ﴿مِنّا مِن بَعدِ ضَرّاءَ﴾: شِدّة وبلاء ﴿مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ: هذا لي﴾ أي: بعَملي، ﴿وما أظُنُّ السّاعةَ قائمةً، ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿رُجِعتُ إلَى رَبِّي، إنَّ لِي عِندَهُ لَلحُسنى﴾ أي: الجنّة ـ ﴿فلَنُنَبِّئَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بما عَمِلُوا، ولَنُذيقَنَّهُم مِن عَذابٍ غَليظٍ﴾: شديد. واللام في الفعلين لام قسم ـ ٥١ ـ ﴿وإذا أنعَمْنا علَى الإنسانِ﴾ الجِنسِ ﴿أعرَضَ﴾ عن الشُّكر، ﴿وناءَ بِجانِبِهِ﴾: ثنى عِطفه مُتبخترًا ـ وفي قراءة بتقديم الهمزة ـ ﴿وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فذُو دُعاءٍ عَريضٍ﴾: كثير.

٥٢ ـ ﴿قُلْ: أرأيتُم، إن كانَ﴾ أي: القرآنُ ﴿مِن عِندِ اللهِ﴾ كما قال النبيّ ﴿ثُمَّ كَفَرتُم بِهِ، مَن﴾ أي: لا أحد ﴿أضَلُّ مِمَّن هُوَ في شِقاقٍ﴾: خِلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ؟ أُوقِعَ هذا مَوقعَ «منكم» بيانًا لحالهم. ٥٣ ـ ﴿سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ﴾: أقطار السماوات والأرض من النيّرات والنبات والأشجار ﴿وفي أنفُسِهِم﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحِكمة، ﴿حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الحَقُّ﴾: المُنزَل من الله بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقَبون على كُفرهم به وبالجائي به.

﴿أوَلَم يَكفِ بِرَبِّكَ﴾: فاعلُ «يكف» ﴿أنَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾؟ بدلٌ منه. أي: أوَلم يكفِهم في صِدقك أنّ ربّك لا يغيب عنه شيءٌ ما؟ ٥٤ ـ ﴿ألا إنَّهُم في مِريةٍ﴾: شكّ ﴿مِن لِقاءِ رَبِّهِم﴾ لإنكارهم البعث. ﴿ألا إنَّهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿بِكُلِّ شَيءٍ مُحيطٌ﴾ علمًا وقُدرة فيُجازيهم بكُفرهم.

***

﴿أكمامِها﴾: أوْعِيَتِها. ﴿آذنّاك﴾: أخبَرْناكَ وأعْلَمْناكَ. ﴿ظنّوا﴾: أيقنوا. ﴿محيص﴾: مَهربٍ ومفرٍّ مِنَ العذابِ. ﴿لا يسأم الإنسان﴾: لا يملُّ ولا يفترُ. ﴿دعاء الخير﴾: طَلَبِهِ العافيَةَ والسَّعَةَ في النِّعمةِ. ﴿فيَئوس قنوط﴾: مِن فضلِ اللهِ ورحمتِهِ. ﴿هذا لي﴾: هذا حقّي أستحقُّهُ بعملي. ﴿عذاب غليظ﴾: شديدٍ لا يُفتَّرُ عنهُم. ﴿نأى بجانبه﴾: تباعدَ عنِ الشُّكرِ بكلِّيَّتِهِ تكبُّراً. ﴿دُعاءٍ عريض﴾: كثيرٍ مستَمرٍّ. ﴿أرأيتمْ﴾: أخبِروني. ﴿الآفاق﴾: أقطارِ السَّماواتِ والأرضِ. ﴿مِرْية﴾: شكٍّ عَظيمٍ.

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ١ عسق ٢ كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ٣ له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم ٤ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ٥ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل ٦ وكذلك أوحينا إليك قرءانا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ٧ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ٨ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ٩ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ١٠

٤٢
سورة الشورى

مكية إلاّ «قل لا أسألكم» الآياتِ الأربعَ، ثلاثٌ وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿٢﴾ ـ ﴿حم، عسق﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿٣﴾ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك الإيحاءِ ﴿يُوحِي إِلَيكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكَ اللهُ﴾: فاعل الإيحاء ﴿العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه، ﴿٤﴾ ـ ﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿وهُوَ العَليُّ﴾ على خلقه ﴿العَظِيمُ﴾: الكبير.

﴿٥﴾ ـ ﴿تكادُ﴾، بالتاء والياء، ﴿السَّماواتُ يَنفَطِرنَ﴾ ـ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ـ ﴿مِن فَوقِهِنَّ﴾ أي: تنشقّ كُلّ واحدة فوق التي[١] تليها من عظَمته ـ تعالى ـ ﴿والمَلائكةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمدِ رَبِّهِم﴾ أي: مُلابسين للحمد، ﴿ويَستَغفِرُونَ لِمَن في الأرضِ﴾ من المؤمنين. ﴿ألا إِنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، ﴿٦﴾ ـ ﴿والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَولياءَ اللهُ حَفِيظٌ﴾: مُحصٍ ﴿عَلَيهِم﴾ ليُجازيهم، ﴿وما أنتَ عليهِم بِوَكِيلٍ﴾ تُحصِّلُ المطلوب منهم ما عليك إلاّ البلاغ.

﴿٧﴾ ـ ﴿وكذلِكَ﴾: مِثلَ ذلك الإيحاء ﴿أوحينا إِلَيكَ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ﴾: تُخوِّفَ ﴿أُمَّ القُرَى ومَن حَولَها﴾ أي: أهلَ مكّة وسائرَ الناس، ﴿وتُنذِرَ﴾ الناسَ ﴿يومَ الجمعِ﴾ أي: يومَ القيامة يُجمع فيه الخلق، ﴿لا رَيبَ﴾: شكّ ﴿فِيهِ، فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿في الجَنّةِ، وفَرِيقٌ في السَّعِيرِ﴾: النار. ﴿٨﴾ ـ ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُم أُمّةً واحِدةً﴾ أي: على دِين واحد ـ وهو الإسلام ـ ﴿ولكِن يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحمَتِهِ، والظّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿ما لَهُم مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ـ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أولياءَ﴾؟ أم: مُنقطعة بمعنى: «بل» التي للانتقال وهمزةِ الإنكار، أي: ليس المُتَّخَذون أولياءَ. ﴿فاللهُ هُوَ الوَلِيُّ﴾ أي: الناصر للمؤمنين ـ والفاء لمجرّد العطف[٢] ـ ﴿وهُوَ يُحيِي المَوتَى، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وما اختَلَفتُم﴾ مع الكفّار ﴿فِيهِ مِن شَيءٍ﴾ من الدِّين وغيره ﴿فحُكمُهُ﴾ مردود ﴿إلى اللهِ﴾ يوم القيامة، يفصل بينكم.

قل لهم: ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبِّي عليهِ تَوَكَّلتُ وإِلَيهِ أُنِيبُ﴾: أرجِعُ،..............................

﴿يتفطّرن﴾: يتشقَّقْنَ مِن عظمتِهِ تعالى وجلالِهِ. ﴿أولياءَ﴾: معْبوداتٍ يزعمونَ نصْرَتَـها لهُم. ﴿الله حفيظ عليهم﴾: رقيبٌ على أعمالِهم ومُجَازيهِمْ. ﴿بوكيل﴾: بمَوْكولٍ إليكَ أمرُهُمْ. ﴿أمّ القرى﴾: مَكّةَ: أي أهلَها. ﴿يوم الجمع﴾: يومَ القيامةِ لاجتماعِ الخلائقِ فيه. ﴿إليه أنيب﴾: إليهِ أرجِعُ في كلِّ الأمورِ.

(١) والأظهرُ: أي: مبدأُ الانفطارِ من جهتهنَّ الفوقانيَّةِ، وتخصيصُها لأنَّ أعظمَ الآياتِ وأدلَّها على علوِّ شأنِهِ من تلكَ الجهةِ، وليدلَّ على أنَّ الانفطارَ من تحتهنَّ بالطَّريقِ الأولى. (الجمالين).

(٢) الصَّحيحُ أنّه جوابُ شرطٍ محذوفٍ مثلَ: إن أرادوا أولياءَ بحقٍّ فاللهُ هو الوليُّ بالحقِّ. (الجمالين).

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ
لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا
إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ
فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿١١﴾ ـ ﴿فاطِرُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُبدعُهما، ﴿جَعَلَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجًا﴾ حيثُ خلق حوّاء من ضِلَع آدمَ ﴿ومِنَ الأنعامِ أزواجًا﴾ ذُكورًا وإناثًا، ﴿يَذرَؤُكُم﴾، بالمعجمة: يخلقكم ﴿فِيهِ﴾: في الجعل المذكور، أي: يُكثّركم بسببه بالتوالد ـ والضمير للأناسيّ والأنعام بالتغليب ـ ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾، الكاف: زائدة لأنه ـ تعالى ـ لا مِثلَ له، ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿البَصِيرُ﴾ بما يُفعل، ﴿١٢﴾ ـ ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: مفاتيحُ خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما، ﴿يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاءً. ﴿إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

ربع الحزب ٤٩

﴿١٣﴾ ـ ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ ـ هو أوّل أنبياء الشريعة[1] ـ ﴿والَّذِي أوحَينا إلَيكَ وما وَصَّينا بِهِ إبراهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى، أن أقِيمُوا الدِّينَ، ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. هذا هو المشروع المُوصَّى به، والمُوحَى إلى مُحمّد ﷺ، وهو التوحيد. ﴿كَبُرَ علَى المُشرِكِينَ ما تَدعُوهُم إلَيهِ﴾ من التوحيد. ﴿اللهُ يَجتَبِي إلَيهِ﴾: إلى التوحيد ﴿مَن يَشاءُ، ويَهدِي إلَيهِ مَن يُنِيبُ﴾: يُقبِل إلى طاعته.

﴿١٤﴾ ـ ﴿وما تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهلُ الأديان في الدِّين بأن وحّد بعض وكفر بعض ﴿إلاّ مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغيًا﴾ من الكافرين ﴿بَينَهُم، ولَولا كَلِمَةٌ سَبَقَت مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: يومِ القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا، ﴿وإنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِن بَعدِهِم﴾ ـ وهم اليهود والنصارى ـ ﴿لَفِي شَكٍّ مِنهُ﴾: من مُحمّد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقع في الريبة.

﴿١٥﴾ ـ ﴿فلِذلِكَ﴾ التوحيدِ ﴿فادعُ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ الناسَ ﴿واستَقِمْ﴾ عليه ﴿كَما أُمِرتَ، ولا تَتَّبِعْ أهواءَهُم﴾ في تركه، ﴿وقُلْ: آمَنتُ بِما أنزَلَ اللهُ مِن كِتابٍ، وأُمِرتُ لِأعدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَينَكُمُ﴾ في الحُكم. ﴿اللهُ رَبُّنا ورَبُّكُم. لَنا أعمالُنا ولَكُم أعمالُكُم﴾ فكُلّ يُجازَى بعمله. ﴿لا حُجَّةَ﴾: خُصومةَ ﴿بَينَنا وبَينَكُم﴾. هذا قبل أن يُؤمر بالجهاد. ﴿اللهُ يَجمَعُ بَينَنا﴾ في المَعاد لفصل القضاء، ﴿وإلَيهِ المَصِيرُ﴾: المَرجِع.

﴿فاطِرُ..﴾: مبْدعُ ومخترعُ... ﴿من أنفسكم أزْواجًا﴾: أصنافاً ذكوراً وإناثاً. ﴿من الأنعام أزواجًا﴾: حلائلَ. ﴿يَذرَؤكمْ فيه﴾: يكثّركم بسببِ هذا التزويج. ﴿له مقاليد..﴾: مفاتيحُ أو خزائن. ﴿يَقدِرُ﴾: يُضيِّقه على مَن يشاء بحكمته. ﴿شَرَعَ لكم..﴾: بيَّن وسنَّ لكم طريقاً واضحاً. ﴿ما وصّى﴾: ما أمر به وألزم. ﴿أقيموا الدّين﴾: دينَ التوحيد، وهو دينُ الإسلام. ﴿كَبُرَ..﴾: عَظُم وشقَّ. ﴿يَجْتَبي﴾: يختار ويصطفي لدينه. ﴿يُنيبُ﴾: يرجع إليه ويقبل على طاعته. ﴿بَغْياً بَيْنَهمْ﴾: عداوةً أو طلباً للدنيا. ﴿مُريبٍ﴾: موقعٍ في الريبةِ والقلق. ﴿اسْتقِمْ﴾: الزم النهج المستقيم المأمورَ به. ﴿لا حُجّةَ﴾: لا محاجة ولا خصومة كظهور الحق.

(١) خُص نوح صلوات الله وسلامه عليه بخصائص لم تكن لغيره، منها ما ذكر أنه كان أول أنبياء الشريعة، وأنه أول داع إلى الله، وأول من عُذبت أمته لعدم الإيمان به، وأهلك الله الأرض بدعوته، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]، ومنها: السفينة التي ركبها في الطوفان، ومنها: أنه كان أطول الأنبياء عمراً، ولهذا يقال له: كبير الأنبياء، وشيخ المرسلين. «شرح البخاري» للسفيري (١/ ٨٣).

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ
(١٦) ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ (١٧) يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ (١٨)
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ
(١٩) مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
مِن نَّصِيبٍ (٢٠) أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٢١) تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم
مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ (٢٢)

(١٦) ـ ﴿**وَالَّذِينَ يُحاجُّونَ**﴾: يجادلون ﴿**في**﴾ دِين ﴿**اللهِ**﴾ نبيَّه ﴿**مِن بَعدِ ما استُجيبَ لَهُ**﴾(1) بالإيمان لظهور مُعجزته ـ وهم اليهود ـ ﴿**حُجَّتُهُم داحِضَةٌ**﴾: باطلة ﴿**عِندَ رَبِّهِم، وعلَيهِم غَضَبٌ ولَهُم عَذابٌ شَديدٌ**﴾.

(١٧) ـ ﴿**اللهُ الَّذي أنزَلَ الكِتابَ**﴾: القُرآنَ ﴿**بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «أنـزل» ﴿**والمِيزانَ**﴾: العدلَ، ﴿**وما يُدريكَ**﴾: يُعلِمُك ﴿**لَعَلَّ السّاعةَ**﴾ أي: إتيانَها ﴿**قَريبٌ**﴾؟ ولعلّ: مُعلّق للفعل عن العمل، أو ما بعده سدّ مسدّ المفعولين.

(١٨) ـ ﴿**يَستَعجِلُ بِها الَّذينَ لا يُؤمِنُونَ بِها**﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظنًّا منهم أنها غير آتية، ﴿**والَّذينَ آمَنُوا مُشفِقُونَ**﴾: خائفون ﴿**مِنها، ويَعلَمُونَ أنَّها الحَقُّ. ألا إنَّ الَّذينَ يُمارُونَ**﴾: يُجادلون ﴿**في السّاعةِ لَفي ضَلالٍ بَعيدٍ**﴾.

(١٩) ـ ﴿**اللهُ لَطيفٌ بِعِبادِهِ**﴾ برِّهم وفاجرِهم حيثُ لم يُهلكهم جوعًا بمعاصيهم، ﴿**يَرزُقُ مَن يَشاءُ**﴾ مِن كُلّ منهم ما يشاء، ﴿**وهُوَ القَويُّ**﴾ على مُراده، ﴿**العَزيزُ**﴾: الغالب على أمره. ﴿**مَن كانَ يُريدُ**﴾ بعمله ﴿**حَرثَ الآخِرةِ**﴾ أي: كسبَها ـ وهو الثواب ـ ﴿**نَزِدْ لَهُ في حَرثِهِ**﴾ بالتضعيف فيه، الحسنةَ إلى العشرِ وأكثَر، (٢٠) ـ ﴿**ومَن كانَ يُريدُ حَرثَ الدُّنيا نُؤتِهِ مِنها**﴾ بلا تضعيف ما قُسِم له، ﴿**وما لَهُ في الآخِرةِ مِن نَصِيبٍ**﴾.

(٢١) ـ ﴿**أم**﴾: بل ﴿**لَهُم**﴾: لِكُفّار مكّة ﴿**شُرَكاءُ**﴾ هم شياطينهم، ﴿**شَرَعُوا**﴾ أي: الشركاءُ ﴿**لَهُم**﴾: للكُفّار ﴿**مِنَ الدِّينِ**﴾ الفاسد ﴿**ما لَم يأذَنْ بِهِ اللهُ**﴾ كالشِّرك وإنكار البعث، ﴿**ولَولا كَلِمةُ الفَصلِ**﴾ أي: القضاء السابق بأنّ الجزاء في يوم القيامة ﴿**لَقُضِيَ بَينَهُم**﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا، ﴿**وإنَّ الظّالِمينَ**﴾: الكافرين ﴿**لَهُم عَذابٌ أليمٌ**﴾: مُؤلم، (٢٢) ـ ﴿**تَرَى الظّالِمينَ**﴾ يوم القيامة ﴿**مُشفِقينَ**﴾: خائفين ﴿**مِمّا كَسَبُوا**﴾ في الدنيا من السيّئات أن يُجازَوا عليها، ﴿**وهُوَ**﴾ أي: الجزاء عليها ﴿**واقِعٌ بِهِم**﴾ يوم القيامة لا محالة، ﴿**والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ في رَوضاتِ الجَنّاتِ**﴾: أنزَهِها بالنسبة إلى مَن دُونهم، ﴿**لَهُم ما يَشاؤُونَ عِندَ رَبِّهِم. ذلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ**﴾.

﴿استجيب له﴾: استجاب الناس وأذعنوا لدين الله. ﴿حُجّتهم داحضة﴾: باطلةٌ زائلة. ﴿الميزان﴾: العدلَ والتَّسويةَ في الحقوقِ. ﴿مُشفقون منها﴾: خائفونَ منها مع اعتنائِهم بها. ﴿يُمارون في الساعة﴾: يُجادلونَ. أوْ يَشكُّونَ فيها. ﴿لطيف بعباده﴾: برٌّ رفيقٌ بهِم. ﴿حَرْث الآخرة﴾: ثوابَها الموعودَ. أوِ العملَ لها. ﴿كلمة الفَصْل﴾: الحكمُ بتأخيرِ العذابِ للآخرةِ. ﴿رَوضات الجنّات﴾: مَحاسنِها ومَلاذِّها أو أطيبِ بِقاعِها وأنزهِها.

(١) عن عكرمة: لما نزلت ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾ [التوبة: ٣٩]، ﴿وَمَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ إلى قوله: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ [التوبة: ١٢١]، قال المنافقون: هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه! وقد كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا إلى البدو إلى قومهم يفقهونهم، فنزل العذر لأولئك: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ إلى: ﴿لعلهم يحذرون﴾، وأنزل الله تعالى في أولئك: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ الآية. سعيد بن منصور (١٠٥١ ـ تفسير)، والطبري (١٢/ ٨١).

وعن عكرمة أيضاً: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجاً فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا؟ فنزلت: ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له﴾ الآية. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٧١).

وعن قتادة: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى حاجُّوا أصحاب نبي الله ﷺ، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم. عبد الرزاق (٢٧٣٣)، والطبري (٢٠/ ٤٨٩). وعن الحسن نحوه، رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٢).

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ
قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ
ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ
﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

(٢٣) ـ ﴿ذلِكَ الَّذِي يَبْشُرُ اللهُ﴾ ـ مِن البِشارة مُخففًا ومُثقَّلاً ـ ﴿عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ. قُلْ: لا أسألُكُم علَيهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أجرًا، إلاّ المَوَدّةَ في القُربَى﴾[1]: استثناءٌ منقطع، أي: لكن أسألكم أن تَوَدّوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضًا. فإنّ له في كُلّ بطن من قريش قرابةً. ﴿ومَن يَقتَرِفْ﴾: يكتسبْ ﴿حَسَنةً﴾: طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيها حُسنًا﴾ بتضعيفها. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيُضاعفه.

(٢٤) ـ ﴿أم﴾ بل ﴿يَقُولُونَ: افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنِسبة القُرآن إلى الله تعالى. ﴿فإن يَشَأِ اللهُ يَختِمْ﴾: يربطْ ﴿علَى قَلبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره ـ وقد فعلَ ـ ﴿ويَمْحُ اللهُ الباطِلَ﴾ الذي قالوه. ﴿ويُحِقُّ الحَقَّ﴾: يُثبته ﴿بكَلِماتِهِ﴾ المُنزلةِ على نبيّه. ﴿إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القلوب، (٢٥) ـ ﴿وهْوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبةَ عَن عِبادِهِ﴾: منهم، ﴿ويَعفُو عَنِ السَّيِّئاتِ﴾ المُتاب عنها، ﴿ويَعلَمُ ما يَفعَلُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ (٢٦) ـ ﴿ويَستَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾: يُجيبهم إلى ما يسألون، ﴿ويَزِيدُهُم مِن فَضلِهِ، والكافِرُونَ لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

(٢٧) ـ (٢٨) ـ ﴿ولَو بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ لِعِبادِهِ﴾ جميعِهم ﴿لَبَغَوا﴾ جميعُهم أي: طغوا ﴿في الأرضِ﴾[2]، ولكِن يُنْزِلُ﴾، بالتخفيفِ وضدِّه، من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾ فيبسطها لبعض عباده دُون بعض، وينشأ عن البسط البغيُ. ﴿إنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. وهْوَ الَّذِي يُنْزِلُ الغَيثَ﴾: المطر ﴿مِن بَعدِما قَنَطُوا﴾: يئسوا من نُزوله، ﴿ويَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يبسط مطرَه، ﴿وهْوَ الوَلِيُّ﴾: المُحسن للمؤمنين ﴿الحَمِيدُ﴾: المحمود عِندهم.

(٢٩) ـ ﴿ومِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ والأرضِ و﴾ خلقُ ﴿ما بَثَّ﴾: فرّق ونشر ﴿فِيهِما مِن دابّةٍ﴾، هي ما يدِبّ على الأرض من الناس وغيرهم، ﴿وهْوَ

﴿يقترف حسنة﴾: يَكتَسِبْ طاعةً. ﴿لبَغَوْا﴾: لَطغَوْا وتجبَّروا. أو لتظالموا. ﴿يُنَزِّل بِقَدَرٍ﴾: بتقدير حكيمٍ مُحْكَمٍ. ﴿قَنطوا﴾: يَئسوا مِن نزولِهِ. ﴿بَثّ فيهما﴾: فرَّقَ ونَشرَ فيهِما. ﴿بمُعْجزينَ﴾: بفائتينَ مِنَ العذابِ بالهرَبِ.

(١) عن ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينةَ قال الأنصار: إنّ هذا الرجل قد هداكم الله به، وهو ابن أختكم، وتنوبه نوائب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم فأْتُوه به ليعِينَه على ما يَنُوبُه. ففعلوا ثم أتوا فقالوا: يا رسول الله إنّك ابن أختنا، وقد هدانا الله على يديك...، فنزلت هذه الآية. الثعلبي (٢٣/ ٣٤٥)، والواحدي (ص: ٣٧٤)، ذكراه من غير سند. وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٣٩): غريب. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قالت الأنصار: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالاً، فأنزل الله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ فقال بعضهم: إنما قال هذا لنقاتل عن أهل بيته وننصرهم، فأنزل الله: ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً﴾ إلى قوله: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ فعرَّض لهم بالتوبة إلى قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الشورى: ٢٦]. الطبراني في «الكبير» (١٢٣٨٤)، وقال في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): فيه عثمان بن عميرٍ أبو اليَقظان، وهو ضعيفٌ. وضعف إسناده ايضاً السيوطي في «لباب النقول» (ص: ١٧٢). وقال قتادةُ: اجتمعَ المُشركون في مَجْمَعٍ لهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: أترَونَ محمَّدًا يَسألُ على ما يتعاطاه أجرًا؟ فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ، يحثهم على مودته ومودّة أقربائه. الثعلبي (٢٣/ ٣٤٥)، والواحدي (ص: ٣٧٤). قال الثعلبي: وهذا التأويل أشبه بظاهر الآية والتنزيل لأنّ هذه السورة مكّية. وعن طاوس عن ابن عباسٍ: لمْ يكنْ بطنٌ من قريشٍ إلا لرسول الله ﷺ فيهم قرابةٌ، فنزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ إلا أن تَصِلوا قرابةَ ما بيني وبينكم. البخاري (٣٤٩٧)، وأحمد (٢٠٢٤) واللفظ له.

(٢) قال خبَّابُ بنُ الأرتِّ: نزلَتِ الآيةُ فينا ـ يعني: أصحابَ الصُّفَّةِ ـ وذلك أنّا نظرنا إلى أموالِ بني قريظةَ والنَّضيرِ فتمنَّيناها، فأنزلَ اللهُ هذه الآيَةَ. الثعلبي (٢٣/ ٣٧٢)، والواحدي (ص: ٣٧٥)، والبغوي (٧/ ١٩٤). عن علي قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا. الحاكم (٣٦٦٣) وصححه، و«لباب النقول» (ص: ١٧٢). وعن عمرو بن حريث نحوه، رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٥٤)، وسعيد بن منصور (١٩٢٠ ـ تكملة التفسير)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢١٤)، والطبري (٢٠/ ٥٠٩)، والواحدي (ص: ٣٩٠)، وابن المنذر وعبد بن حميد وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٥٢)، بسند صحيح كما قال السيوطي.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

عَلَى جَمعِهِم﴾ للحشر **﴿إذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾** ـ في الضمير تغليب العاقل على غيره ـ (٣٠) ـ **﴿وما أصابَكُم﴾**، خِطابٌ للمؤمنين، **﴿مِن مُصِيبةٍ﴾**: بليّة وشِدّة **﴿فبِما كَسَبَتْ أَيدِيكُم﴾** أي: كسَبتم من الذنوب. وعُبّر بالأيدي لأنّ أكثر الأفعال بها. **﴿ويَعفُو عَن كَثِيرٍ﴾** منها فلا يُجازي عليه. وهو ـ تعالى ـ أكرمُ من أن يُثنّي الجزاء في الآخرة. وأمّا غير المُذنبين فما يُصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة. (٣١) ـ **﴿وما أنتُم﴾** ـ يا مُشركين ـ **﴿بِمُعجِزِينَ﴾** اللهَ هربًا **﴿في الأرضِ﴾** فتفوتونه، **﴿وما لكُم مِن دُونِ اللهِ﴾** أي: غيرَه **﴿مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ﴾**: يدفع عذابه عنكم.

(٣٢) ـ **﴿ومِن آياتِهِ الجَوارِي﴾**: السفنُ **﴿في البَحرِ كالأعلامِ﴾**: كالجبال في العِظم، (٣٣) ـ **﴿إن يَشَأْ يُسكِنِ الرِّيحَ، فيَظلَلْنَ﴾**: يَصِرْنَ **﴿رَواكِدَ﴾**: ثوابتَ لا تجري **﴿علَى ظَهرِهِ ـ إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾** هو المؤمن يصبر في الشِّدّة ويشكر في الرخاء ـ (٣٤) ـ **﴿أو يُوبِقْهُنَّ﴾** عطفٌ على «يُسكن»، أي: يُغرِقْهُنَّ بعصف الريح بأهلهن، **﴿بِما كَسَبُوا﴾** أي: أهلُهن من الذنوب، **﴿ويَعفُ عَن كَثِيرٍ﴾** منها، فلا يُغرق أهلَه. (٣٥) ـ **﴿ويَعلَمُ﴾** ـ بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي: يغرقُهم لينتقمَ منهم، ويعلمَ ـ **﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِنا: ما لَهُم مِن مَحِيصٍ﴾**: مَهرب من العذاب. وجملة النفي سدّت مسدّ مفعولي «يعلم» والنفيُ مُعلِّق عن العمل.

(٣٦) ـ **﴿فما أُوتِيتُم﴾** ـ خِطاب للمؤمنين وغيرهم ـ **﴿مِن شَيءٍ﴾** من أثاث الدنيا **﴿فمَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾** يُتمتَّع به فيها ثمّ يزول، **﴿وما عِندَ اللهِ﴾** من الثواب **﴿خَيرٌ وأبقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾**، ويُعطف عليهم: (٣٧) ـ **﴿والَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبائرَ الإثمِ والفَواحِشَ﴾**: موجباتِ الحُدود، من عطف البعض على الكُلّ، **﴿وإذا ما غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ﴾**: يتجاوزون، (٣٨) ـ **﴿والَّذِينَ استَجابُوا لِرَبِّهِم﴾**: أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة، **﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾**: أداموها، **﴿وأمرُهُم﴾** الذي يبدو لهم **﴿شُورَى بَينَهُم﴾**: يتشاورون فيه ولا يعجلون، **﴿ومِمّا رَزَقْناهُم﴾**: أعطيناهم **﴿يُنفِقُونَ﴾** في طاعة الله.

ومَن ذُكر صِنفٌ، (٣٩) ـ **﴿والَّذِينَ إذا أصابَهُم البَغيُ﴾**: الظلمُ **﴿هُم يَنتَصِرُونَ﴾** صِنفٌ، أي: ينتقمون ممّن ظلمهم بمِثل ظلمه كما قال تعالى: (٤٠) ـ **﴿وجَزاءُ سَيِّئةٍ سَيِّئةٌ مِثلُها﴾**. سُمِّيتِ الثانيةُ سيّئةً لمشابهتها للأُولى في الصورة. وهذا ظاهر فيما يُقتصُّ فيه من الجِراحات. قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله. **﴿فمَن عَفا﴾** عن ظالمه **﴿وأصلَحَ﴾** الودّ بينه وبينه بالعفو عنه **﴿فأجرُهُ علَى اللهِ﴾** أي: إنّ الله يأجره لا محالة. **﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾** أي: البادئينَ بالظلم فيترتّب عليهم عِقابه.

(٤١) ـ **﴿ولَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمِهِ﴾** أي: ظُلمِ الظالمِ إياه **﴿فأُولئِكَ ما عَلَيهِم مِن سَبِيلٍ﴾**: مُؤاخذة ـ (٤٢) ـ **﴿إنَّما السَّبِيلُ علَى الَّذِينَ يَظلِمُونَ النّاسَ، ويَبغُونَ﴾** يعلون **﴿في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾**: بالمعاصي. **﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾**: مُؤلم ـ (٤٣) ـ **﴿ولَمَن صَبَرَ﴾** فلم ينتصر **﴿وغَفَرَ﴾**: تجاوز **﴿إنَّ ذلِكَ﴾** الصبرَ والتجاوز **﴿لَمِن عَزمِ الأُمُورِ﴾** أي: معزوماتها، بمعنى: مطلوباتها شرعًا.

(٤٤) ـ **﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن وَلِيٍّ مِن بَعدِهِ﴾** أي: أحدٍ يلي هِدايته بعد إضلال الله إيّاه، **﴿وتَرَى الظّالِمِينَ لَمّا رأَوُا العَذابَ، يَقُولُونَ: هَل إلَى مَرَدٍّ﴾** إلى الدنيا **﴿مِن سَبِيلٍ﴾**: طريق؟

﴿الجوَار﴾: السُّفن الجَارِيَة. ﴿كالأعلام﴾: كالجبالِ. أوِ القصورِ العاليةِ. ﴿فيظللن رَواكدَ﴾: فيَصِرْنَ ثَوابتَ سَواكنَ. ﴿يوبقْهنّ﴾: يُهلكُهُنَّ بالغرَقِ أي أهلَهُنَّ. ﴿مَحيص﴾: مَهْرَبٍ ومَخلَصٍ مِنَ العذابِ. ﴿الفواحش﴾: مَا عَظُمَ قبْحُهُ مِنَ الذُّنوبِ. ﴿أمرهمْ شورى﴾: يَتشاوَرونَ ويَتَراجعونَ فيهِ. ﴿أصابهم البَغْي﴾: نَالَهُمُ الظُّلْمُ والعدْوَانُ. ﴿ينتصرون﴾: ينتقمونَ ممَّن ظلمَهُمْ ولا يَعْتدونَ. ﴿يَبْغون في الأرض﴾: يُفسدونَ. أو يَتجبَّرونَ فيها.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ * وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

(٤٥) ـ ﴿**وتَراهُم يُعرَضُونَ علَيها**﴾ أي: النارِ ﴿**خاشِعِينَ**﴾: خائفين مُتواضعين[١] ﴿**مِنَ الذُّلِّ، يَنظُرُونَ**﴾ إليها ﴿**مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ**﴾: ضعيفِ النظرِ مُسارَقةً ـ و«من»: ابتدائية[٢]، أو بمعنى الباء ـ ﴿**وقالَ الَّذينَ آمَنُوا: إنَّ الخاسِرينَ الَّذينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهلِيهِم يَومَ القِيامةِ**﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم[٣] إلى الحُور المُعدّة لهم في الجنّة لو آمنوا. والموصول: خبر «إنّ». ﴿**ألا إنَّ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**في عَذابٍ مُقِيمٍ**﴾: دائم ـ هو من مقول الله تعالى ـ (٤٦) ـ ﴿**وما كانَ لَهُم مِن أولِياءَ يَنصُرُونَهُم مِن دُونِ اللهِ**﴾ أي: غيرِه، يدفع عذابه عنهم، ﴿**ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن سَبِيلٍ**﴾: طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة.

(٤٧) ـ ﴿**استَجِيبُوا لِرَبِّكُم**﴾: أجيبوه بالتوحيد والعِبادة ﴿**مِن قَبلِ أن يأتِيَ يَومٌ**﴾ هو يوم القيامة، ﴿**لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ**﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردّه، ﴿**ما لَكُم مِن مَلجَأٍ**﴾ تلجؤون إليه ﴿**يَومَئِذٍ، ومالَكُم مِن نَكِيرٍ**﴾: إنكار[٤] لذنوبكم.

(٤٨) ـ ﴿**فإن أعرَضُوا**﴾ عن الإجابة ﴿**فما أرسَلْناكَ علَيهِم حَفِيظًا**﴾: تحفظ أعمالهم، بأن تُوافق المطلوب منهم. ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**علَيكَ إلاّ البَلاغُ**﴾. وهذا قبل الأمر بالجهاد. ﴿**وإنّا إذا أذَقْنا الإنسانَ مِنّا رَحْمةً**﴾: نِعمة كالغنى والصحّة ﴿**فَرِحَ بِها، وإن تُصِبْهُم**﴾ ـ الضمير للإنسان باعتبار الجِنس ـ ﴿**سَيِّئةٌ**﴾: بلاء ﴿**بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم**﴾ أي: قدّموه، وعُبِّر بالأيدي لأنّ أكثر الأفعال بها، ﴿**فإنَّ الإنسانَ كَفُورٌ**﴾ للنعمة[٥].

(٤٩) ـ (٥٠) ـ ﴿**للهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يَخلُقُ ما يَشاءُ، يَهَبُ لِمَن يَشاءُ**﴾ من الأولاد ﴿**إناثًا، ويَهَبُ لِمَن يَشاءُ الذُّكُورَ، أو يُزَوِّجُهُم**﴾ أي: يجعلهم ﴿**ذُكرانًا وإناثًا، ويَجعَلُ مَن يَشاءُ عَقِيمًا**﴾، فلا يلد ولا يُولد له. ﴿**إنَّهُ عَلِيمٌ**﴾ بما يخلق ﴿**قَدِيرٌ**﴾ على ما يشاء.

(٥١) ـ ﴿**وما كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ**﴾ أن يُوحيَ إليه ﴿**وَحيًا**﴾[٦] في المنام أو بإلهام، ﴿**أو**﴾ إلاّ ﴿**مِن وَراءِ حِجابٍ**﴾ بأن يُسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لمُوسى ـ عليه السلام ـ ﴿**أو**﴾ إلاّ أن ﴿**يُرسِلَ رَسُولًا**﴾: مَلَكًا كجبريل ﴿**فيُوحِيَ**﴾ الرسولُ إلى المُرسَلِ إليه أي: يُكلّمه ﴿**بإذنِهِ**﴾ أي: اللهِ ﴿**ما يَشاءُ**﴾ اللهُ. ﴿**إنَّهُ عَلِيٌّ**﴾ عن صِفات المُحدَثين ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في صُنعه.

﴿خاشعين﴾: خاضعينَ مُتضائلينَ. ﴿ينظرون من طرْفٍ خفيّ﴾: يُسارِقونَ النَّظَرَ مِنْ شدَّةِ الخوفِ. ﴿نكير﴾: إنكارٍ لذنوبِكُمْ أو مُنْكِرٍ لعَذابِكُم. ﴿فرح بها﴾: بَطِرَ لأجْلِها.

(١) متذلِّلينَ منكسرينَ ممَّا يلحقُهُم من الذُّلِّ. (الجمالين).

(٢) أي: يبتدئُ نظرُهُم إلى النَّارِ من تحريكٍ لأجفانِهِم ضعيفٍ؛ كالمصبورِ ينظرُ إلى السَّيفِ. (الجمالين).

(٣) أو بتضليلِهِم أهليهِم. (الجمالين).

(٤) لأنَّهُ مدوَّنٌ في صحفِ أعمالِكُم، وتشهدُ عليكُم جوارحُكُم، أو: منكرٍ علينا فيما نفعلُ. (الجمالين).

(٥) بليغُ الكُفرانِ ينسى النِّعمةَ رأساً، ويذكرُ البليَّةَ ويعظِّمُها، ولا يتأمَّلُ في سببِها. (الجمالين).

(٦) وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت صادقاً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فإنا لن نؤمن لك حتى يعمل الله ذلك بك. فقال: «لمْ يَنظُرْ موسى إلى الله»، وأنزلت هذه الآية. «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٧٥)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٥٠)، و«تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٣٩٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٧٥).

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

﴿٥٢﴾ ـ ﴿**وكَذلِكَ**﴾ أي: مِثلَ إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿**أَوحَينا إليكَ**﴾ ـ يا محمّد ـ ﴿**رُوحًا**﴾ هو القُرآن به تحيا القلوب ﴿**مِن أمرِنا**﴾ الذي نُوحيه إليك، ﴿**ما كُنتَ تَدرِي**﴾: تعرفُ قبل الوحي إليك: ﴿**ما الكِتابُ**﴾: القُرآنُ، ﴿**ولا الإيمانُ**﴾ أي: شرائعُه ومعالمه؟ والنفي مُعلّق للفعل عن العمل، أو ما بعده سدّ مسدّ المفعولين، ﴿**ولكِن جَعَلْناهُ**﴾ أي: الروحَ أو الكِتاب ﴿**نُورًا، نَهدِي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا، وإنَّكَ لَتَهدِي**﴾: تدعو بالوحي إليك ﴿**إلَى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾ دينِ الإسلام،

﴿٥٣﴾ ـ ﴿**صِراطِ اللهِ الَّذي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا. ﴿**ألا إلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾: ترجِعُ.

***

٤٣
سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مكية، وقيل: إلاّ «واسأل من أرسلنا» الآيَة، تسعٌ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿**حم**﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿٢﴾ ـ ﴿**والكِتابِ**﴾: القرآنِ ﴿**المُبِينِ**﴾: المُظهِرِ طريقَ الهدى وما يُحتاج إليه من الشريعة، ﴿٣﴾ ـ ﴿**إنّا جَعَلْناهُ**﴾: أوجدنا الكتاب ﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا**﴾ بلغة العرب، ﴿**لَعَلَّكُم**﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿**تَعقِلُونَ**﴾: تفهمون معانيه، ﴿٤﴾ ـ ﴿**وإنَّهُ**﴾ مُثبَتٌ ﴿**في أُمِّ الكِتابِ**﴾: أصلِ الكُتب، أي: اللوح المحفوظ ﴿**لَدَينا**﴾ بدلٌ: عِندنا ﴿**لَعَلِيٌّ**﴾ على الكُتب قبله ﴿**حَكِيمٌ**﴾: ذو حِكمة بالغة.

﴿٥﴾ ـ ﴿**أفَنَضرِبُ**﴾: نُمسِك ﴿**عَنكُمُ الذِّكرَ**﴾: القُرآن ﴿**صَفحًا**﴾ إمساكًا فلا تُؤمرون ولا تُنهون لِأجل ﴿**أن كُنتُم قَومًا مُسرِفِينَ**﴾: مشركين؟ لا. ﴿٦﴾ ـ ﴿٧﴾ ـ ﴿**وكَم أرسَلْنا مِن نَبِيٍّ في الأوَّلِينَ، وما يأتِيهِم**﴾: أتاهم ﴿**مِن نَبِيٍّ إلّا كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾ كاستهزاء قومك بك ـ وهذا تسلية له ﷺ ـ ﴿٨﴾ ـ ﴿**فأهلَكْنا أشَدَّ مِنهُم**﴾: من قومك ﴿**بَطشًا**﴾: قُوّة، ﴿**ومَضَى**﴾: سبق في آياتِ ﴿**مَثَلُ الأوَّلِينَ**﴾: صِفتُهم في الإهلاك! فعاقبةُ قومك كذلك.

﴿٩﴾ ـ ﴿**ولَئِنْ**﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿**سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ**﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين: ﴿**خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ**﴾. آخِرُ جوابهم، أي: الله ذو العزة والعلم. زاد تعالى: ﴿١٠﴾ ـ ﴿**الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ مِهادًا**﴾: فِراشًا كالمهد للصبيّ، ﴿**وجَعَلَ لَكُم فِيها سُبُلاً**﴾: طرقًا، ﴿**لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ**﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

﴿روحاً﴾: قرآناً. أو نبوّةً أو جبريلَ. ﴿الإيمان﴾: الشّرائعُ التّفصيليّةُ الّتي لا تُعْلَمُ إلّا بالوَحْي. ﴿صراطٍ مستقيم﴾: دينٍ قويمٍ (دينِ الإسلام).
﴿أمّ الكتاب﴾: اللّوحِ المحفوظِ. أوِ العلمِ الأزليّ. ﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾: أفنترك تذكيرَكُم وإلزامَكُمُ الحجّةَ بإنزالِ القرآنِ. ﴿صفحاً﴾: إعراضاً أو مُعرضينَ عنكُم.
﴿أن كنتم قوماً مسرفين؟﴾: لكونِكُم مُفرطينَ في الجهالةِ والضّلالةِ ؟ لا نتركُهُ. ﴿كم أرسلنا﴾: كثيراً أرسلْنا. ﴿في الأولين﴾: في الأممِ السّابقة. ﴿بطشاً﴾: قوّةً. ﴿مثل الأولين﴾: صفتُهُم أو قصّتُهُمُ العجيبةُ. ﴿الأرض مهداً﴾: فِراشاً ممهّداً للاستقرارِ عليها. ﴿سُبُلاً﴾: طُرُقاً تسلكونَها. أو معايش.

وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ
كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ
ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم
بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا
ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي
ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ
شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ
كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾

(١١) ـ ﴿**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ**﴾ أي: بقدْر حاجتكم إليه، ولم يُنزِله طُوفانًا، ﴿**فَأَنشَرْنا**﴾: أحيينا ﴿**بِهِ بَلدةً مَيْتًا ـ كَذلِكَ**﴾ أي: مِثلَ هذا الإحياء ﴿**تُخرَجُونَ**﴾ من قُبوركم أحياءً ـ (١٢) ـ ﴿**وَالَّذِي خَلَقَ الأزواجَ**﴾: الأصناف ﴿**كُلَّها، وجَعَلَ لَكُم مِنَ الفُلْكِ**﴾ السُّفنِ ﴿**والأنعامِ**﴾ كالإبل ﴿**ما تَركَبُونَ**﴾ ـ حَذف العائد اختصارًا، وهو مجرور في الأوّل أي «فيه»، منصوب في الثاني ـ (١٣) ـ ﴿**لِتَستَوُوا**﴾: لتستقرّوا ﴿**عَلَى ظُهُورِهِ**﴾، ذَكَّر الضميرَ وجَمعَ الظهر نظرًا للفظ «ما» ومعناها، ﴿**ثُمَّ تَذكُرُوا نِعمَةَ رَبِّكُم إذا استَوَيتُم عَلَيهِ، وتَقُولُوا: سُبحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا، وما كُنّا لَهُ مُقرِنِينَ**﴾: مُطِيقِينَ! (١٤) ـ ﴿**وإنّا إلَى رَبِّنا لَمُنقَلِبُونَ**﴾: لمنصرفون.

(١٥) ـ ﴿**وجَعَلُوا لَهُ مِن عِبادِهِ جُزْءًا**﴾ حيثُ قالوا: «الملائكةُ بناتُ الله» لأنّ الولدَ جُزء من الوالدِ والملائكةَ من عباد الله ـ تعالى ـ ﴿**إنَّ الإنسانَ**﴾ القائل ذلك ﴿**لَكَفُورٌ مُبِينٌ**﴾: بيّنٌ ظاهرُ الكُفر. (١٦) ـ ﴿**أم**﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقولُ مقدر أي: أتقولون: ﴿**اتَّخَذَ مِمّا يَخلُقُ بَناتٍ**﴾ لنفسه ﴿**وأصفاكُم**﴾: أخلصكم ﴿**بِالبَنِينَ**﴾، اللازمَ من قولكم السابق، فهو من جملة المُنكَر، (١٧) ـ ﴿**وإذا بُشِّرَ أحَدُهُم بِما ضَرَبَ لِلرَّحمنِ مَثَلًا**﴾: جعلَ له شَبهًا بنِسبة البنات إليه لأنّ الولد يُشبِهُ الوالد، المعنى: إذا أُخبِرَ أحدهم بالبنت تُولد له ﴿**ظَلَّ**﴾: صار ﴿**وَجهُهُ مُسوَدًّا**﴾: مُتغيرًا تغيرَ مُغتمّ، ﴿**وهُوَ كَظِيمٌ**﴾ ممتلئ غمًّا؟ فكيف يَنسِبُ البناتِ إليه تعالى؟

(١٨) ـ ﴿**أوَ**﴾ همزة الإنكار وواو العطف بجملةٍ، أي: يجعلون لله ﴿**مَن يُنَشَّأُ في الحِليَةِ**﴾: الزِّينة، ﴿**وهُوَ في الخِصامِ غَيرُ مُبِينٍ**﴾: مُظهِرِ الحُجّةَ لضعفه عنها بالأنوثة؟ (١٩) ـ ﴿**وجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُم عِبادُ الرَّحمنِ إناثًا**[1]. **أشَهِدُوا**﴾: أحَضرُوا ﴿**خَلقَهُم؟ سَتُكتَبُ شَهادَتُهُم**﴾ بأنهم إناث، ﴿**ويُسألُونَ**﴾ عنها في الآخرة، فيترتّب عليها العِقاب. (٢٠) ـ ﴿**وقالُوا: لَو شاءَ الرَّحمنُ ما عَبَدْناهُم**﴾ أي: الملائكةَ. فعِبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راضٍ بها. قال تعالى: ﴿**ما لَهُم بِذلِكَ**﴾ المقول من الرضا بعِبادتها ﴿**مِن عِلمٍ. إنْ**﴾: ما ﴿**هُم إلاّ يَخرُصُونَ**﴾: يكذبون فيه. فيترتّب عليهم العقاب به.

(٢١) ـ ﴿**أم آتَيناهُم كِتابًا مِن قَبلِهِ**﴾ أي: القرآنِ بعِبادة غير الله، ﴿**فَهُم بِهِ مُستَمسِكُونَ**﴾؟ أي: لم يقع ذلك، (٢٢) ـ ﴿**بَل قالُوا: إنّا وَجَدنا آباءَنا عَلَى أُمَّةٍ**﴾: مِلّة، ﴿**وإنّا**﴾ ماشُون ﴿**عَلَى آثارِهِم مُهتَدُونَ**﴾ بهم، وكانوا يعبدون غيرَ الله.

﴿ماءً بقدَر﴾: بتقدير مُحكم أو بمقدارِ الحاجةِ. ﴿فأنشرنا به﴾: فأحيينا بالماءِ. ﴿خلَقَ الأزواج﴾: أوجدَ أصنافَ المخلوقاتِ وأنواعَها. ﴿والأنعام﴾: ومِنَ الأنعامِ وهوَ الإبلُ. ﴿لتستووا﴾: لتستقرُّوا. وتستعلوا. ﴿سخّر﴾: ذلَّـلَ. ﴿مُقرنين﴾: مُطيقينَ وغالبينَ أو ضابطينَ. ﴿أصفاكم بالبنين﴾: أخلصَكُم وآثرَكُم بهِم. ﴿مثلاً﴾: شِبْهاً ومُماثِلاً. ﴿هو كظيم﴾: مملوءٌ في قلبِهِ غيظاً وغمّـاً. ﴿يُنشّـأ في الحلية﴾: يُربَّى في الزِّينةِ والنِّعمةِ (البنات). ﴿في الخصام﴾: المُخاصمةِ والجدالِ. ﴿يخرصون﴾: يكذبونَ فيما قالوهُ. ﴿على أمّة﴾: على دينٍ وطريقةٍ تُـؤَمُّ وتُقْصدُ.

(١) عـن قتـادة: قـال نـاسٌ مـن المنافقيـن: إن الله صاهـر الجـن فخرجـت من بينهـم الملائكة، فنـزل فيهـم: ﴿وجعلـوا الملائكة﴾ الآيـة. ابـن المنذر كما في «لباب النقـول» (ص: ١٧٢). ورواه الطبـري (١٦/ ٢٥٠) وابـن أبـي حاتـم (٨/ ٢٤٤٩)، بلفـظ: «فقـال الله تكذيبًـا لَهُـمْ: ﴿بَلْ عِبَـادٌ مُكْرَمُـونَ﴾ [الأنبيـاء: ٢٦]» بدل: «فنزل فيهـم...».

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣)
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ
قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٢٤) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
(٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩)
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)

(٢٣) ـ ﴿وكَذلِكَ، ما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ في قَرْيةٍ مِن نَذِيرٍ إلاّ قالَ مُترَفُوها﴾ مُتنعّموها مثلَ قول قومك: ﴿إنّا وَجَدْنا آباءَنا علَى أُمّةٍ﴾: مِلّة، ﴿وإنّا علَى آثارِهِم مُقتَدُونَ﴾: متّبعون.

الحزب ٥٠

(٢٤) ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أ﴾ تتّبعون ذلك، ﴿وَلَو جِئتُكُم بِأهدَى مِمّا وَجَدتُم علَيهِ آباءَكُم؟ قالُوا: إنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾ أنتَ ومَن قبلَك ﴿كافِرُونَ﴾. قال تعالى تخويفًا لهم: (٢٥) ـ ﴿فانتَقَمْنا مِنهُم﴾ أي: منَ المُكذّبين للرسل قبلك. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبينَ﴾؟

(٢٦) ـ (٢٧) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ إبراهِيمُ لِأبِيهِ وقَومِهِ: إنَّنِي بَراءٌ﴾: بريء ﴿مِمّا تَعبُدُونَ، إلاّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني ﴿فإنَّهُ سَيَهدِينِ﴾: يُرشدني لدِينه. (٢٨) ـ ﴿وجَعَلَها﴾ أي: كلمةَ التوحيد المفهومةَ من قوله «إنّي ذاهبٌ إلَى رَبِّي سَيَهدِينِ»، ﴿كَلِمةً باقِيةً في عَقِبِهِ﴾: في ذُرّيّته، فلا يزال فيهم من يوحّد الله، ﴿لَعَلَّهُم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿يَرجِعُونَ﴾ عمّا هم عليه إلى دِين إبراهيم أبيهم.

(٢٩) ـ ﴿بَل مَتّعتُ هؤُلاءِ﴾ المُشركين ﴿وآباءَهُم﴾، ولم أعاجلهم بالعُقوبة، ﴿حَتَّى جاءَهُمُ الحَقُّ﴾: القُرآن، ﴿ورَسُولٌ مُبِينٌ﴾: مُظهرٌ لهم الأحكامَ الشرعيّة ـ وهو محمد ﷺ ـ (٣٠) ـ (٣١) ـ ﴿ولَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ﴾: القُرآن ﴿قالُوا: هذا سِحرٌ وإنّا بِهِ كافِرُونَ. وقالُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿نُزِّلَ هذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ﴾ من أيّةٍ منهما ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوليد بن المُغيرة بمكّة وعُروة بن مسعود الثقفيّ بالطائف[1]. (٣٢) ـ ﴿أهُم يَقسِمُونَ رَحمةَ رَبِّكَ﴾ النبوّةَ؟ ﴿نَحنُ قَسَمْنا بَينَهُم مَعِيشتَهُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾، فجعلنا بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا، ﴿ورَفَعْنا بَعضَهُم﴾ بالغِنى ﴿فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ، لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم﴾: الغنيُّ ﴿بَعضًا﴾: الفقيرَ ﴿سُخرِيًّا﴾: مُسخَّرًا في العمل له بالأُجرة. والياء للنسب، وقُرئ بكسر السين. ﴿ورَحمةُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ مِمّا يَجمَعُونَ﴾ في الدنيا.

(٣٣) ـ ﴿ولَولا أن يَكُونَ النّاسُ أُمّةً واحِدةً﴾ على الكُفر ﴿لَجَعَلْنا لِمَن يَكفُرُ بِالرَّحمنِ لِبُيُوتِهِم﴾: بدلٌ من «لِمَن» ﴿سَقْفًا﴾ ـ بفتح السين وسكون القاف، وبضمّهما جمعًا ـ ﴿مِن فِضّةٍ ومَعارِجَ﴾ كالدَّرج من فِضّة، ﴿عَلَيها يَظهَرُونَ﴾: يعلون إلى السطح،..........

﴿قال مُترفوها﴾: مُتنعِّموها المنغمسونَ في شهواتِهِم. ﴿إنّني براء﴾: بريءٌ. ﴿فطرني﴾: خلقَني وأبدعَني. ﴿كلمة باقية﴾: كلمةَ التَّوحيدِ، أوِ البراءة. ﴿في عَقِبه﴾: ذرِّيَّتِهِ إلى يومِ القيامةِ. ﴿من القريتين﴾: مِن إحدى القريتَينِ مكَّةَ والطَّائفِ. ﴿سُخريًّا﴾: مسخَّراً في العملِ، مُسْتخدَماً فيهِ. ﴿أمّة واحدة﴾: مُطْبِقَةً على الكفرِ حبّاً للدُّنيا. ﴿معارج﴾: مصاعِدَ ومَراقيَ ودَرَجاً مِن فضَّةٍ. ﴿يظهرون﴾: يَصعدونَ ويرتقونَ.

(١) رواه عبد الرزاق (٢٧٦٢)، والطبري (٢٠/ ٥٨١)، عن قتادة. ورواه الطبري (٢٠/ ٥٨٠) عن ابن عباس لكنه ذكر «حبيب بن عمرو بنِ عُمَيرٍ الثَّقفِيّ» مكان «عروة بن مسعود»، وهكذا ذكره الثعلبي (٢٣/ ٤٢٨٢)، والماوردي (٥/ ٢٢٣).
وروي أن هذا سبب نزول الآية، فعن قتادةَ قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقولُ محمدٌ حقًّا أُنزل عليَّ هذا القرآنُ أو على عروةَ بن مسعود الثَّقفيِّ، فنزلت: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾. ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٢). وهكذا قال مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٩٣)، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٦١).

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا
نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ (٤٤) وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)

(٣٤) - (٣٥) - ﴿وَلِبُيُوتِهِم أبوابًا﴾ من فِضة، ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فِضّة: جمع سَرير ﴿عليها يَتَّكِئُونَ وزُخرُفًا﴾: ذهبًا. المعنى: لولا خوفُ الكُفر على المُؤمن من إعطاء الكافر ما ذُكر لأعطيناه ذلك لقِلّة خطر الدنيا عندنا وعدم حظّه في الآخرة في النعيم. ﴿وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذلِكَ لَمَا﴾ - بالتخفيف فـ «ما» زائدة، وبالتشديد بمعنى «إلاّ» فإنْ: نافية - ﴿مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾ يُتمتَّع به فيها ثمّ يزول، ﴿والآخِرةُ﴾: الجنّة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلمُتَّقِينَ﴾.

(٣٦) - ﴿ومَن يَعشُ﴾: يُعرِض ﴿عَن ذِكرِ الرَّحمنِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿نُقَيِّض﴾: نُسبّبْ ﴿لَهُ شَيطانًا﴾[1]، ﴿فهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ لا يُفارقه. (٣٧) - ﴿وإنَّهُم﴾ أي: الشياطينَ ﴿لَيَصُدُّونَهُم﴾ أي: العاشِينَ ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهُدى، ﴿ويَحسِبُونَ أَنَّهُم مُهتَدُونَ﴾. في الجمع رِعاية معنى «مَن».

(٣٨) - ﴿حَتَّى إذا جاءَنا﴾ العاشي، بقرينه يوم القيامة، ﴿قالَ﴾ له: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَ بَينِي وبَينَكَ بُعدَ المَشرِقَينِ﴾ أي: مِثلَ بُعدِ ما بين المشرق والمغرب. ﴿فبِئسَ القَرِينُ﴾ أنتَ لي! قال تعالى: (٣٩) - ﴿ولَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي: العاشِينَ تمنّيكم وندمُكم ﴿اليَومَ، إذ ظَلَمتُم﴾ أي: تبيّنَ لكم ظُلمكم بالإشراك في الدنيا، ﴿أَنَّكُم﴾ مع قُرنائكم ﴿في العَذابِ مُشتَرِكُونَ﴾. عِلّةٌ بتقدير اللام لعدم النفع. وإذ: بدل من «اليومَ».

(٤٠) - ﴿أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ أو تَهدِي العُميَ ومَن كانَ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّن؟ أي: فهم لا يُؤمنون. (٤١) - ﴿فإمّا﴾ - فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة - ﴿نَذهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نُميتك قبل تعذيبهم ﴿فإنّا مِنهُم مُنتَقِمُونَ﴾ في الآخرة، (٤٢) - ﴿أو نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدناهُم﴾ به من العذاب ﴿فإنّا علَيهِم﴾: على عذابهم ﴿مُقتَدِرُونَ﴾: قادرون.

(٤٣) - (٤٤) - ﴿فاستَمسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إلَيكَ﴾ أي: القُرآنِ - ﴿إنَّكَ علَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ، وإنَّهُ لَذِكرٌ﴾: لَشَرفٌ ﴿لَكَ ولِقَومِكَ﴾ لنُزوله بلغتهم، ﴿وسَوفَ تُسألُونَ﴾ عن القِيام بحقّه - (٤٥) - ﴿واسألْ مَن أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رُسْلِنا: أجَعَلْنا مِن دُونِ الرَّحمنِ﴾ أي: غيرِه ﴿آلِهةً يُعبَدُونَ﴾؟ قيل: هو على ظاهره بأن جُمع له الرسل ليلة الإسراء[2]. وقيل: المراد أُممٌ من أيِّ أهلُ الكتابين. ولم يَسأل، على واحد من القولين لأنّ المُراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قُريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعِبادة غير الله.

(٤٦) - (٤٧) - (٤٨) - ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ﴾ أي: القِبط، ﴿فقالَ: إنِّي رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ. فلَمّا جاءَهُم بِآياتِنا﴾ الدالّة على رِسالته ﴿إذا هُم مِنها يَضحَكُونَ﴾، ....

﴿زخرُفاً﴾: ذهباً، أو زينةً مزوَّقةً. ﴿لمّا متاع..﴾: إلَّا متاعُ.. ﴿من يعْشُ﴾: مَن يتعامَ ويُعْرِض ويتغافلْ. ﴿نقيّض له﴾: نسبِّبْ. أو نتِحْ لهُ. ﴿له قرين﴾: مُصاحبٌ لهُ لا يُفارقُهُ. ﴿إنه لذكر﴾: إنَّ القرآنَ لشرفٌ عظيمٌ.

(١) عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشاً قالت: قيِّضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلًا يأخذه، فقيَّضوا لأبي بكر طلحة، فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر: إلامَ تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: ربنا، قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة فلم يجبه، فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأنزل الله: ﴿ومن يعش﴾ الآية. رواه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٠/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٨٣).

(٢) ذكره الثعلبي (٨/ ٣٣٧) عن سعيد بن جبير وابن زيد، وروى نحوه عن الزهري. ورواه الطبري (٢٠/ ٦٠٥) عن ابن زيد، وروي عن ابن عباس كما في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٨)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ١٠٥).

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن
تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ
إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وما نُريهم مِن آيةٍ﴾ من آيات العذاب كالطُّوفانِ ـ وهو ماء دخل بُيوتهم حتّى وصل إلى حُلوق الجالسين سبعة أيام ـ والجرادِ **﴿إلاّ هِيَ أكبرُ مِن أختِها﴾**: قرينتِها التي قبلها، **﴿وأخَذْناهُم بِالعَذابِ، لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾** عن الكُفر، (٤٩) ـ **﴿وقالُوا﴾** لموسى لمّا رأَوُا العذاب: **﴿يا أيُّها السّاحِرُ﴾** أي: العالِمُ الكامل، لأنّ السحر عِندهم عِلم عظيم، **﴿ادعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِندَكَ﴾** من كشف العذاب عنّا، إن آمنّا. **﴿إنّنا لَمُهتَدُونَ﴾** أي: مُؤمنون. (٥٠) ـ **﴿فلَمّا كَشَفْنا﴾** بدُعاء مُوسَى **﴿عَنهُمُ العَذابَ إذا هُم يَنكُثُونَ﴾**: ينقضون عهدهم ويُصرّون على كُفرهم.

(٥١) ـ **﴿ونادَى فِرعَونُ﴾** افتخارًا **﴿في قَومِهِ، قالَ: يا قَومِ، أليسَ لِي مُلكُ مِصرَ وهذِهِ الأنهارُ﴾** من النيل **﴿تَجرِي مِن تَحتِيَ﴾**، أي: تحتِ قُصوري؟ **﴿أفلا تُبصِرُونَ﴾** عظمتي؟ (٥٢) ـ **﴿أم﴾** بل تُبصرون، وحينئذ **﴿أنا خَيرٌ مِن هذا﴾** أي: مُوسَى **﴿الّذي هُو مَهِينٌ﴾**: ضعيف حقير، **﴿ولا يَكادُ يُبِينُ﴾**: يُظهِر كلامَه للُثغته بالجمرة التي تناولها في صِغره. (٥٣) ـ **﴿فلَولا﴾**: هلاّ **﴿أُلقِيَ عليهِ﴾**، إن كان صادقًا، **﴿أساوِرةٌ مِن ذَهَبٍ﴾**: جمعُ أسورةٍ، كأغربة جمع سِوار، كعادتهم فيمن يُسوّدونه، أن يُلبسوه أسورةَ ذهب ويُطوّقونه طوق ذهب، **﴿أو جاءَ مَعَهُ المَلائكةُ مُقتَرِنِينَ﴾**: مُتتابعين يشهدون بصدقه.

ربع الحزب ٥٠

(٥٤) ـ (٥٥) ـ (٥٦) ـ **﴿فاستَخَفَّ﴾**: استفزّ فرعونُ **﴿قَومَهُ، فأطاعُوهُ﴾** فيما يريد من تكذيب موسى ـ **﴿إنَّهُم كانُوا قَومًا، فاسِقِينَ ـ فلَمّا آسَفُونا﴾**: أغضبونا **﴿انتَقَمْنا مِنهُم، فأغرَقْناهُم أجمَعِينَ، فجَعَلْناهُم سَلَفًا﴾**: جمع سالِف، كخادم وخَدَم، أي: سابقين عِبرةً **﴿ومَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾** بعدهم، يتمثّلون بحالهم، فلا يُقدمون على مِثل فِعالهم.

(٥٧) ـ **﴿ولَمّا ضُرِبَ﴾**: جُعل **﴿ابنُ مَريَمَ مَثَلاً﴾** حين نزل قوله تعالى «إنّكُم وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ»، فقال المشركون: «رضينا أن تكون آلهتنا مع عِيسَى لأنه عُبِد من دُون الله»، **﴿إذا قَومُكَ﴾** أي: المُشركون **﴿مِنهُ﴾**: من المَثَل **﴿يَصِدُّونَ﴾**[1]: يضِجّون فرحًا بما سمعوا، (٥٨) ـ **﴿وقالُوا: آآلِهَتُنا خَيرٌ أم هُوَ﴾** أي: عِيسَى؟ فنرضى أن تكون آلهتنا معه. **﴿ما ضَرَبُوهُ﴾** أي: المَثَل **﴿لَكَ إلاّ جَدَلاً﴾**: خُصومة بالباطل لِعلمهم أنّ «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عِيسَى عليه السلام. **﴿بَل هُم قَومٌ خَصِمُونَ﴾**: شديدو الخصومة.

(٥٩) ـ **﴿إنْ هُوَ﴾**: ما عِيسَى **﴿إلاّ عَبدٌ أنعَمْنا عليهِ﴾** بالنبوّة، **﴿وجَعَلْناهُ﴾** بوجوده من غير أب **﴿مَثَلاً لِبَنِي إسرائيلَ﴾** أي: كالمَثَل لغرابته، يُستدلّ به على قُدرة الله ـ تعالى ـ على ما يشاء. (٦٠) ـ **﴿ولَو نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنكُم﴾**: بَدَلَكم **﴿مَلائكةً في الأرضِ يَخلُفُونَ﴾** بأن نُهلِكَكم.

﴿بما عَهِد عندك﴾: مِنْ كشفِ العذابِ عمَّن اهتدى. ﴿ينْكثون﴾: ينقضونَ عهدَهُم بالاهتداءِ. ﴿هوَ مَهين﴾: ضعيفٌ حقيرٌ. ﴿يُبين﴾: يُفصحُ الكلامَ لِلُّثغَةِ في لسانِهِ. ﴿مُقترنين﴾: مقرونينَ به يُصدِّقونَهُ. ﴿فاستخفّ قومه﴾: وجدَهُم خفافَ العقولِ. ﴿آسفونا﴾: أغضَبونا أشدَّ الغضبِ بأعمالِهِم. ﴿سَلَفاً﴾: قدْوَةً للكفَّارِ في استحقاقِ العقابِ. ﴿مثلاً للآخرين﴾: عِبْرَةً وعظَةً للكفَّارِ بعدَهُم. ﴿منه يصدّون﴾: مِن أجلِهِ يضجُّونَ ويصيحونَ فرَحاً وجَذلاً. ﴿قوم خصِمون﴾: لُدٌّ شداةُ الخصومةِ بالباطلِ. ﴿مثلاً﴾: آيةً وعبرةً عجيبةً كالمثلِ السَّائرِ. ﴿لجعلنا منكم﴾: بدلَكُم. أو لولَّدنا منكم.

(١) عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «يا معشر قريش، إنه ليس أحدٌ يعْبَد من دون الله فيه خير»، فقالوا: يا محمد، ألستَ تزعم أن عيسى كان نبيًّا وعبداً من عباد الله صالحاً، فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما تقولون، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ الآية. رواه أحمد (٢٩١٨) بسند صحيح كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٤٠).

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
(٦٢) وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
(٦٣) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
(٦٤) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ (٦٧) يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٦٩) ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)

(٦١) ـ (٦٢) ـ ﴿**وإنَّهُ**﴾ أي: عِيسَى ﴿**لَعِلمٌ لِلسّاعةِ**﴾ تُعلَم بنُزوله.

﴿**فلا تَمتَرُنَّ بها**﴾، حُذفَ منه نونُ الرفع للجزم، وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين: تَشُكُّنَّ فيها. ﴿**و**﴾ قل لهم[1]: ﴿**اتَّبِعُوني**﴾ على التوحيد ـ ﴿**هذا**﴾ الذي آمركم به ﴿**صِراطٌ**﴾: طريقٌ ﴿**مُستَقِيمٌ ـ ولا يَصُدَّنَّكُمُ**﴾: يصرفنكم عن دِين الله ﴿**الشَّيطانُ. إنَّهُ لكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾: بيِّنُ العداوة.

(٦٣) ـ (٦٤) ـ (٦٥) ـ ﴿**ولَمّا جاءَ عِيسَى بالبَيِّناتِ**﴾: بالمُعجزات والشرائع[2] ﴿**قالَ: قَد جِئتُكُم بالحِكمةِ**﴾: بالنبوّة وشرائع الإنجيل، ﴿**ولأُبَيِّنَ لكُم بَعضَ الَّذي تَختَلِفُونَ فيهِ**﴾ من أحكام التوراة من أمر الدِّين وغيره. فبيَّنَ لهم أمرَ الدِّين. ﴿**فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ. إنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي ورَبُّكُم. فاعبُدُوهُ. هذا صِراطٌ**﴾: طريقٌ ﴿**مُستَقِيمٌ. فاختَلَفَ الأحزابُ مِن بَينِهِم**﴾ في عِيسَى: أهو اللهُ أو ابنُ الله أو ثالثُ ثلاثة؟ ﴿**فوَيلٌ**﴾: كلمةُ عذاب ﴿**لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾: كفروا بما قالوه في عِيسَى ﴿**مِن عَذابِ يَومٍ ألِيمٍ**﴾: مُؤلم.

(٦٦) ـ ﴿**هَل يَنظُرُونَ**﴾ أي: كُفّارُ مكّة، أي: ما ينتظرون ﴿**إلاّ السّاعةَ، أن تأتِيَهُم**﴾: بدلٌ من «الساعةَ» ﴿**بَغتَةً**﴾: فجأة، ﴿**وهُم لا يَشعُرُونَ**﴾ بوقت مجيئها[3] قبله؟

(٦٧) ـ ﴿**الأخِلاّءُ**﴾ على المعصية في الدنيا ﴿**يَومَئِذٍ**﴾: يومَ القِيامة، مُتعلّق بقوله: ﴿**بَعضُهُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ، إلاّ المُتَّقِينَ**﴾[4] المُتحابِّين في الله على طاعته. فإنهم أصدقاءُ، ويقال لهم: (٦٨) ـ (٦٩) ـ (٧٠) ـ ﴿**يا عِبادِي ـ لا خَوفٌ عَلَيكُمُ اليَومَ ولا أنتُم تَحزَنُونَ ـ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: نعتٌ لـ «عبادي» ﴿**بِآياتِنا**﴾: القُرآنِ، ﴿**وكانُوا مُسلِمِينَ. ادخُلُوا الجَنَّةَ، أنتُم**﴾: مُبتدأٌ ﴿**وأزواجُكُم**﴾: زوجاتُكم[5] ﴿**تُحبَرُونَ**﴾: تُسرُّون وتُكرمون، خبرُ المبتدأ.

(٧١) ـ (٧٢) ـ (٧٣) ـ ﴿**يُطافُ عَلَيهِم بِصِحافٍ**﴾: بقِصاع ﴿**مِن ذَهَبٍ وأكوابٍ**﴾: جمعُ كُوب ـ وهو إناء لا عُروة له ليَشرب الشاربُ من حيثُ شاء ـ ﴿**وفيها ما تَشتَهِي الأنفُسُ**﴾ تلذّذًا ﴿**وتَلَذُّ الأعيُنُ**﴾ نظرًا[6]، ﴿**وأنتُم فِيها خالِدُونَ. وتِلكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثتُمُوها بِما كُنتُم تَعمَلُونَ، لكُم فِيها فاكِهةٌ كَثِيرةٌ مِنها**﴾ أي: بعضَها ﴿**تأكُلُونَ**﴾، وكُلّ ما يُؤكل يَخلُفُ بدلُه.

﴿إنه لعلمٌ للسّاعة﴾: يُعلَمُ قربُها بنزولِهِ (عليهِ السَّلامُ). ﴿فلا تمترنّ بها﴾: فلا تشكُّنَّ في قيَامِها. ﴿فويل﴾: هلاكٌ أو حسرةٌ أو شدَّةُ عذابٍ. ﴿هل ينظرون﴾: هل ينتظرونَ. ﴿بغتة﴾: فجأةً. ﴿الأخلاء﴾: الأحبّاءُ في غيرِ ذاتِ اللهِ. ﴿تحبَرون﴾: تسرُّونَ سروراً ظاهرَ الأثرِ. ﴿أكوابٍ﴾: أقداحٍ لا عُرَى لها ولا خراطيمَ.

(١) كذا قيل، والأظهرُ أنَّ معناهُ: اتَّبعوا هُدايَ، أو شَرعي، أو رَسولي، وأثبتَ الياءَ بصريٌّ وصلًا. (الجمالين).

(٢) الأظهرُ: عطفُهُ بـ«أو»، أو: بآياتِ الإنجيلِ. (الجمالين).

(٣) أي: غافِلونَ عنها لإنكارِهِم لها ولاشتغالِهِم بأمورِ الدُّنيا. (الجمالين).

(٤) حكى النقاش: أن هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط؛ كانا خليلين، وكان عقبة يجالس النبي ﷺ، فقالت قريش: قد صبأ عقبة بن أبي معيط، وقال له أمية: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تتفل في وجهه، فحاول ذلك، فنذر النبي ﷺ قتله، فقتله يوم بدر صبراً، وقُتل أمية في المعركة، وفيهما نزلت هذه الآية. «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٨).

(٥) أو رجالُكُم، فإنَّ الخطابَ عامٌّ شاملٌ للرِّجالِ والنِّساءِ تغليباً. (الجمالين).

(٦) بمشاهدتِهِ، وذلك تعميمٌ بعد تخصيصٍ ما يُعَدُّ من الزَّوائدِ الَّتي تفخرُ الصِّحاف والأكواب في التَّنعُّمِ والتَّلذُّذِ. (الجمالين).

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(٧٤) ـ (٧٥) ـ ﴿إنَّ المُجرِمينَ في عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ. لا يُفتَّرُ﴾: يُخفَّف ﴿عَنهُم، وهُم فِيهِ مُبلِسُونَ﴾: ساكتون سكوتَ يأس، (٧٦) ـ (٧٧) ـ ﴿وما ظَلَمْناهُم ولكِن كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ، ونادَوا: يا مالِكُ﴾ هو خازنُ النار، ﴿لِيَقضِ علَينا رَبُّكَ﴾: ليُمِتْنا. ﴿قالَ﴾ بعد ألفِ سنة: ﴿إنَّكُم ماكِثُونَ﴾: مُقيمون في العذاب دائمًا.

(٧٨) ـ (٧٩) ـ قال تعالى: ﴿لَقَد جِئناكُم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿بالحَقِّ﴾ على لسان الرسول، ﴿ولكِنَّ أكثَرَكُم لِلحَقِّ كارِهُونَ. أم أبرَمُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة أحكموا ﴿أمرًا﴾ في كيد مُحمّد النبيّ؟ ﴿فإنّا مُبرِمُونَ﴾: مُحكِمون كيدَنا في إهلاكهم.

(٨٠) ـ ﴿أم يَحسِبُونَ أنّا لا نَسمَعُ سِرَّهُم ونَجْواهُم﴾: ما يُسِرّون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم؟ ﴿بَلَى﴾ نسمعُ ذلك، ﴿ورُسُلُنا﴾: الحَفَظةُ ﴿لَدَيهِم﴾: عِندَهم ﴿يَكتُبُونَ﴾[1] ذلك.

(٨١) ـ ﴿قُلْ: إن كانَ لِلرَّحمنِ وَلَدٌ﴾ فَرْضًا ﴿فأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾ للولد. لكن ثَبَتَ أنْ لا ولدَ له ـ تعالى ـ فانتفت عِبادته. (٨٢) ـ ﴿سُبحانَ رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ رَبِّ العَرشِ﴾: الكُرسيّ ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾: يقولون من الكذب بنِسبة الولد إليه! (٨٣) ـ ﴿فذَرْهُم، يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿ويَلعَبُوا﴾ في دُنياهم، ﴿حَتَّى يُلاقُوا يومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذابَ. وهو يوم القيامة.

(٨٤) ـ ﴿وهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿في السَّماءِ إلـٰهٌ﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وإسقاطِ الأولى، وتسهيلِها كالياء ـ أي: معبودٌ، ﴿وفي الأرضِ إلـٰهٌ﴾، وكُلّ من الظرفين مُتعلّق بما بعده، ﴿وهُوَ الحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿العَلِيمُ﴾ بمصالحهم، (٨٥) ـ ﴿وتَبارَكَ﴾: تعظّم ﴿الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، وعِندَهُ عِلمُ السّاعةِ﴾: متى تقومُ؟ ﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ بالتاء والياء.

(٨٦) ـ ﴿ولا يَملِكُ الَّذِينَ يَدعُونَ﴾: يَعبدون، أي: الكُفّارُ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿الشَّفاعةَ﴾ لأحد، ﴿إلاّ مَن شَهِدَ بِالحَقِّ﴾ أي قال: «لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ»، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عِيسَى وعُزيرٌ والملائكة، فإنهم يشفعون للمُؤمنين. (٨٧) ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم: مَن خَلَقَهُم؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ﴾. حُذِفَ منه نونُ الرفع وواوُ الضمير. ﴿فأنَّى يُؤفَكُونَ﴾: يُصرفون عن عِبادة الله؟

(٨٨) ـ ﴿وقِيلِهُ﴾ أي: قولَ مُحمّد النبيّ، ونصبُه على المصدر بفعله المقدر، أي: وقال: ﴿يا رَبِّ، إنَّ هؤُلاءِ قَومٌ، لا يُؤمِنُونَ﴾. (٨٩) ـ قال تعالى: ﴿فاصفَحْ﴾: أعرِض ﴿عَنهُم، وقُلْ: سَلامٌ﴾ منكم. وهذا قبل أن يُؤمر بقتالهم. ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾، بالياء والتاء: تهديدٌ لهم.

***

﴿لا يُفتّر عنهم﴾: لا يُخفَّفُ عنهُم. ﴿مُبلسون﴾: ساكنونَ أو حزينونَ مِن شدَّةِ اليأسِ. ﴿ليقضِ علينا ربّك﴾: ليُمِتْنا حتَّى نخلُصَ مِن هذا العذابِ. ﴿أمْ أبرموا أمرًا﴾: بلْ أأحكموا كيْداً لهُ ﷺ. ﴿نجواهم﴾: تناجيهِم فيما بينَهُم. ﴿يخوضوا﴾: يدخلوا مدَاخلَ الباطلِ. ﴿في السّماء إله﴾: هوَ معْبودٌ في السَّماءِ. ﴿تبارك الذي..﴾: تعالى أو تكاثرَ خيْرُهُ وإحسانُهُ. ﴿فأنّى يُؤفكون﴾: فكيفَ يُصْرُفونَ عن عبادتِهِ تعالى. ﴿وَ قِيلِه﴾: وعندَهُ علمُ قولِ الرّسولِ ﷺ. ﴿فاصفحْ عنهم﴾: فأعْرِضْ عنهُم. ﴿سلامٌ﴾: أمري تَسلُّمٌ ومُتَـاركةٌ لكُم.

(١) عن محمد بن كعب القرظي، قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشيّ، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ﴾. الطبري (٢٠/ ٦٥٣)، و«لباب النقول» (ص: ١٧٣). وقد تقدم نحو هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾ الآيَةَ. وهو ما رواه البخاري (٤٨١٦)، ومسلم (٢٧٧٥).

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا
مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾
فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ
هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ
﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

٤٤

سُورَةُ الدُّخَانِ[1]

مكية، وقيل: إلاّ «إنّا كاشفو العذاب قليلاً» الآية، وهي ستٌّ أو سبع أو تسع وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿حم﴾ الله أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿والكتابِ﴾: القرآنِ ﴿المُبينِ﴾: المُظهِر الحلالَ من الحرام، (٣) ـ ﴿إنّا أنزلْناهُ في لَيلةٍ مُبارَكةٍ﴾ هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان، نزل فيها من أُمّ الكِتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ـ ﴿إنّا كُنّا مُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفين به ـ (٤) ـ ﴿فيها﴾ أي: في ليلة القدر أو ليلة نصف شعبان ﴿يُفرَقُ﴾: يُفصل ﴿كُلُّ أمرٍ حَكيمٍ﴾: مُحكَم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مِثل تلك الليلة (٥) ـ ﴿أمرًا﴾: فرقًا ﴿مِن عِندِنا. إنّا كُنّا مُرسِلِينَ﴾ الرسلَ مُحمّدًا ومَن قبلَه (٦) ـ ﴿رَحْمةً﴾: رأفة بالمُرسَل إليهم ﴿مِن رَبِّكَ﴾. ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿العَلِيمُ﴾ بأفعالهم،

نصف الحزب ٥٠

(٧) ـ ﴿رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾، برفع «ربّ» خبرٌ ثالث، وبجرّه بدلٌ من «ربّك» ـ ﴿إن كُنتُم﴾، يا أهل مكّة، ﴿مُوقِنِينَ﴾ بأنه تعالى ربّ السماوات والأرض فأيقنوا بأنّ مُحمّدًا رسوله ـ (٨) ـ ﴿لا إلـهَ إلاّ هُوَ، يُحيِي ويُمِيتُ، رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوَّلِينَ﴾.

(٩) ـ ﴿بَل هُم في شَكٍّ﴾ من البعث، ﴿يَلعَبُونَ﴾ استهزاء بك، يا مُحمّد. فقال: «اللّهُمَّ أعِنِّي علَيهِم بسَبعٍ كسَبعِ يُوسُفَ». (١٠) ـ قال تعالى: ﴿فارتَقِبْ﴾ لَهُم ﴿يَومَ تأتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ ـ فأجدبَتِ الأرض واشتدّ بهم الجوع إلى أن رأَوا من شِدّته كهيئة الدُّخان بين السماء والأرض ـ (١١) ـ (١٢) ـ ﴿يَغشَى النّاسَ﴾، فقالوا: ﴿هذا عَذابٌ أليمٌ. رَبَّنا، اكشِفْ عَنّا العَذابَ. إنّا مُؤمِنُونَ﴾: مُصدّقون نبيّك.

(١٣) ـ قال تعالى: ﴿أنّى لَهُمُ الذِّكرَى﴾ أي: لا ينفعهم الإيمانُ عِند نُزول العذاب، ﴿وقَد جاءَهُم رَسُولٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الرسالةِ، (١٤) ـ (١٥) ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوا عَنهُ وقالُوا: مُعلَّمٌ﴾ أي: يُعلّمه القُرآنَ بشرٌ، ﴿مَجنُونٌ؟ إنّا كاشِفُو العَذابِ﴾ أي: الجوعِ عنكم زمنًا ﴿قَلِيلاً﴾ ـ فكُشِف عنهم ـ ﴿إنَّكُم عائدُونَ﴾ إلى كُفركم. فعادوا إليه.

(١٦) ـ اذكرْ ﴿يَومَ نَبطِشُ البَطْشةَ الكُبرَى﴾ ـ هو يوم بدر ـ ﴿إنّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم. والبطش: الأخذ بقوّة. (١٧) ـ ﴿ولَقَد فَتَنّا﴾: بلَونا ﴿قَبلَهُم قَومَ فِرعَونَ﴾ معه، ﴿وجاءَهُم رَسُولٌ﴾ هو مُوسَى ـ عليه السلام ـ ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله تعالى، (١٨) ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿أدُّوا إلَيَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي: أظهِروا إيمانكم بالطاعة لي ـ يا ﴿عِبادَ اللهِ ـ إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ﴾ على ما أُرسلتُ به، ....

﴿ليلة مباركة﴾: ليلةِ القدرِ مِن شهرِ رمضانَ. ﴿فيها يُفرق﴾: يفصَّلُ ويُبَيَّنُ. ﴿أمرٍحكيم﴾: محكم مبرم أو ملتبسٍ بالحكمةِ. ﴿فارتقبْ﴾: انتظرْ بهؤلاءِ الشّاكّينَ. ﴿بدخان﴾: كنايةٌ عن إصابتِهم بالجَدْبِ والمجاعةِ. ﴿يغشى الناس﴾: يشملُهُم ويحيطُ بهم. ﴿أنّى لهم الذكرى؟﴾: كيفَ يتذكَّرونَ ويتّعِظونَ؟. ﴿مُعلّم﴾: يعلِّمُهُ بشرٌ. ﴿يوم نبطش﴾: يومَ نأخذُ بشدَّةٍ وعنفٍ (يومَ بدرٍ أو يومَ القيامة). ﴿فتنّا﴾: ابتلَينا وامتحنّا. ﴿أدّوا إليّ عباد الله﴾: سلِّموا إليَّ بني إسرائيلَ.

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنّ قريشًا لمّا استعصَوا على النبيِّ ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قَحْطٌ وجَهدٌ حتى أكلوا العظام، فجعل الرَّجل ينظر إلى السَّماء فيَرى ما بَيْنه وبينها كهيئة الدُّخان من الجَهد، فأنزل الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۞ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: فأُتِي رسولُ الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضرَ، فإنها قد هلكت، فاستسقى فسُقُوا، فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فلمّا أصابتهم الرَّفاهيةُ عادوا إلى حالهم حينَ أصابتهم الرَّفاهيةُ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ. البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨).

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١)
فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا
بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ (٣٣)
إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ
(٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)

(١٩) - ﴿وأنْ لا تَعلُوا﴾: تتجبّروا ﴿علَى اللهِ﴾ بترك طاعته - ﴿إنِّيَ آتِيكُم بِسُلطانٍ﴾: برهان ﴿مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ على رسالتي. فتوعَّدوه بالرجم،

(٢٠) - فقال: ﴿وإنِّي عُذتُ بِربِّي ورَبِّكُم أن تَرجُمُونِ﴾ بالحِجارة[1] -

(٢١) - ﴿وإن لَم تُؤمِنُوا لِي﴾: تُصدّقوني ﴿فاعتزِلُونِ﴾: فاتركوا أذايَ فلم يتركوه،

(٢٢) - ﴿فدَعا رَبَّهُ أنَّ﴾ أي: بأنّ ﴿هؤُلاءِ قَومٌ مُجرِمُونَ﴾: مُشركون[2]،

(٢٣) - فقال تعالى: ﴿فأَسْرِ﴾، بقطعِ الهمزة ووصلِها، ﴿بِعِبادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيلاً - إنَّكُم مُتَّبَعُونَ﴾: يتّبعكم فِرعَون وقومه - (٢٤) - ﴿واترُكِ البَحرَ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾: ساكنًا منفرجًا حتّى يدخله القِبط. ﴿إنَّهُم جُندٌ مُغرَقُونَ﴾. فاطمأنّ بذلك فأُغرِقوا.

(٢٥) - ﴿كَم تَرَكُوا مِن جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾ تجري، (٢٦) - ﴿وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ﴾: مجلس حسن، (٢٧) - ﴿ونَعمةٍ﴾: مُتعة، ﴿كانُوا فِيها فاكِهِينَ﴾ ناعمِين! - (٢٨) - ﴿كَذلِكَ﴾ خبرُ مُبتدأ، أي: الأمرُ - ﴿وأورَثْناها﴾ أي: أموالَهم ﴿قَومًا آخَرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل، (٢٩) - ﴿فما بَكَتْ علَيهِمِ السَّماءُ والأرضُ﴾ بخِلاف المُؤمنين يبكي عليهم بموتهم مُصلاّهم من الأرض ومَصعَدُ عملهم من السماء، ﴿وما كانُوا مُنظَرِينَ﴾: مُؤخَّرينَ للتوبة.

(٣٠) - ﴿ولَقَد نَجَّينا بَنِي إسرائيلَ مِنَ العَذابِ المُهِينِ﴾: قتلِ الأبناء واستخدام النساء (٣١) - (٣٢) - ﴿مِن فِرعَونَ﴾. قيل: بدلٌ من «العذاب» بتقدير مضاف، أي: عذابِ، وقيل: حالٌ من «العذاب» - ﴿إنَّهُ كانَ عالِيًا﴾ أي: متكبّرًا مسرفًا ﴿مِنَ المُسرِفِينَ - ولَقَدِ اختَرناهُم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿علَى عِلمٍ﴾ منّا بحالهم ﴿علَى العالَمِينَ﴾ أي: عالَمِي زمانهم العُقلاء، (٣٣) - ﴿وآتَيناهُم مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾: نعمةٌ ظاهرة من فلق البحر والمنّ والسلوى وغيرها.

(٣٤) - (٣٥) - ﴿إنَّ هؤُلاءِ﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿لَيَقُولُونَ: إنْ هِيَ﴾: ما الموتة التي بعدها الحياةُ ﴿إلاّ مَوتَتُنا الأُولَى﴾ أي: وهم نُطَف، ﴿وما نَحنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثين أحياءً بعد الثانية. (٣٦) - ﴿فأْتُوا بِآبائِنا﴾ أحياءً، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ أنّا نُبعث بعد موتنا أي: نحيا.

(٣٧) - (٣٨) - قال تعالى: ﴿أهُم خَيرٌ أم قَومُ تُبَّعٍ﴾، هو نبيّ أو رجل صالح، ﴿والَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم؟ ﴿أهلَكْناهُم﴾ لكفرهم. والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأُهلكوا - ﴿إنَّهُم كانُوا مُجرِمِينَ - وما خَلَقنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما لاعِبِينَ﴾ بخلق ذلك، حالٌ.

(٣٩) - ﴿ما خَلَقْناهُما﴾ وما بينهما ﴿إلاّ بِالحَقِّ﴾ أي: مُحِقّين في ذلك، يُستدلّ به على قُدرتنا ووحدانيّتنا وغير ذلك، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم﴾ أي: كُفّارِ مكة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾.

﴿لا تعلوا﴾: لا تتكبَّروا. أو لا تفتروا. ﴿بسلطان﴾: حجّةٍ وبرهانٍ على صدقي. ﴿إنّي عذت بربّي﴾: استجرتُ بهِ والتجأتُ إليهِ. ﴿ترجمونِ﴾: تؤذوني. أو تقتلوني بالحجارةِ. ﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾: سِرْ ليلاً ببني إسرائيلَ. ﴿إنكم متبعون﴾: يتبعُكُم فرعونُ وجنودُهُ. ﴿البحْرَ رهواً﴾: ساكناً. أو منفرجاً مفتوحاً. ﴿جندٌ﴾: جماعةٌ. ﴿نعمَةٍ﴾: تنعُّمٍ أو نضارةِ عيشٍ ولذاذتِهِ. ﴿فاكهين﴾: ناعمينَ متفكِّهينَ. ﴿منظرين﴾: مُمهلينَ بالعذابِ إلى وقتٍ آخرَ. ﴿كان عالياً﴾: متكبِّراً جبّاراً. ﴿العالمين﴾: عالمي زمانِهم. ﴿فيه بلاءٌ مبين﴾: اختبارٌ ظاهرٌ أو نعمةٌ ظاهرةٌ. ﴿بمُنشرين﴾: بمبعوثينَ بعدَ موتتِنا. ﴿قوم تبّع﴾: أبو كَرِبٍ الحِمْيَرِيِّ ملكِ اليمنِ.

(١) أو الشَّتم، أو الأذى. (الجمالين).

(٢) مُصرُّون، وهو تعريضٌ بالدُّعاءِ عليهم بذكرِ ما استوجَبوهُ به، ولذلك سُمِّي دعاءً. (الجمالين).

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ
ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا
ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن
رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

(٤٠) ـ ﴿إنَّ يَومَ الفَصلِ﴾: يومَ القيامة يفصِل الله فيه بين العباد ﴿مِيقاتُهُم أجمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم، (٤١) ـ ﴿يَومَ لا يُغنِي مولًى عَن مَولًى﴾ بقرابة أو صداقة، أي: لا يدفع عنه ﴿شَيئًا﴾ من العذاب! ﴿ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون منه ـ ويومَ: بدل من «يومَ الفصل» ـ (٤٢) ـ ﴿إلاّ مَن رَحِمَ اللهُ﴾، وهم المُؤمنون، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله. ﴿إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب في انتقامه من الكُفّار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمُؤمنين.

(٤٣) ـ ﴿إنَّ شَجَرةَ الزَّقُّومِ﴾، هي من أخبث الشجر المرّ بتِهامة يُنبتها الله ـ تعالى ـ في الجحيم (٤٤) ـ ﴿طَعامُ الأثِيمِ﴾[1] كأبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير، (٤٥) ـ ﴿كالمُهلِ﴾ أي: دُرْدِيّ الزيت الأسود، خبرٌ ثانٍ، ﴿تَغلِي في البُطُونِ﴾ ـ بالفوقانيّة: خبرٌ ثالث، وبالتحتانيّة: حال من المُهل ـ (٤٦) ـ ﴿كَغَلْيِ الحَمِيمِ﴾ أي: الماء الشديد الحرارة، (٤٧) ـ ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خُذوا الأثيم ﴿فاعتِلُوهُ﴾، بكسر التاء وضمّها: جُرّوه بغلظة وشِدّة ﴿إلَى سَواءِ الجَحِيمِ﴾ وسَط النار، (٤٨) ـ ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوقَ رأسِهِ مِن عَذابِ الحَمِيمِ﴾ أي: من الحميم الذي لا يُفارقه العذاب ـ فهو أبلغ ممّا في آية «يُصَبُّ مِن فَوقِ رُؤُوسِهِم الحَمِيمُ» ـ (٤٩) ـ ويقال له: ﴿ذُقْ﴾ أي: العذابَ. ﴿إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾ بزعمِك وقولِك: ما بينَ جَبلَيها أعزُّ وأكرمُ منّي. (٥٠) ـ ويقال لهم: ﴿إنَّ هذا﴾ الذي ترَون من العذاب ﴿ما كُنتُم بِهِ تَمترُونَ﴾: فيه تشكّون.

(٥١) ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في مَقامٍ﴾ مجلسٍ ﴿أمِينٍ﴾: يؤمَنُ فيه الخوفُ، (٥٢) ـ ﴿في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ، يَلبَسُونَ مِن سُندُسٍ وإستَبرَقٍ﴾ أي: ما رقَّ من الديباج وما غلُظ منه، (٥٣) ـ ﴿مُتَقابِلِينَ﴾ حالٌ، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم ـ (٥٤) ـ ﴿كَذلِكَ﴾ يُقدّر قبله: الأمرُ ـ ﴿وزَوَّجناهُم﴾ من التزويج أو قرنّاهم، ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: بنساء بيضٍ واسعاتِ الأعين حِسانِها، (٥٥) ـ ﴿يَدعُونَ﴾: يطلبون الخدمَ ﴿فِيها﴾ أي: الجنّةِ، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فاكِهةٍ﴾ منها ﴿آمِنِينَ﴾ من انقطاعها ومضرّتها ومن كلّ مخوف: حالٌ، (٥٦) ـ ﴿لا يَذُوقُونَ فِيها المَوتَ إلاّ المَوتةَ الأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها ـ قال بعضهم: «إلاّ» بمعنى بعدَ ـ ﴿ووَقاهُم عَذابَ الجَحِيمِ، (٥٧) فَضلاً﴾: مصدرٌ بمعنى تفضُّلاً منصوب بـ «تفضّلَ» مُقدّرًا، ﴿مِن رَبِّكَ. ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾.

(٥٨) ـ ﴿فإنَّما يَسَّرناهُ﴾: سهّلنا القرآنَ ﴿بِلِسانِكَ﴾: بلغتك لتفهمه العرب عنك، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتّعظون فيُؤمنون. لكنهم لا يُؤمنون.

(٥٩) ـ ﴿فارتَقِبْ﴾: انتظر هلاكَهم. ﴿إنَّهُم مُرتَقِبُونَ﴾ هلاكَك. وهذا قبلَ نُزول الأمر بجِهادهم.

﴿يوم الفصل﴾: يومَ القيامةِ والحسابِ. ﴿لا يغني مولى..﴾: لا يدفعُ قريبٌ، ولا صديقٌ. ﴿شجرة الزقوم﴾: مِن أخبثِ الشَّجرِ تنبتُ في النّارِ. ﴿كالمهل﴾: دُرْدِيّ الزّيتِ. أو المعدنِ المُذابِ. ﴿الحميم﴾: الماءِ البالغِ غايةَ الحرارةِ. ﴿فاعتلوه﴾: فجرُّوهُ بعنفٍ وقهرٍ. ﴿سواء الجحيم﴾: وَسَطِ النّارِ. ﴿به تمترون﴾: فيهِ تجادلونَ وتمارونَ. ﴿سندس﴾: رقيقِ الدِّيباجِ. ﴿إستبرق﴾: غليظِهِ. ﴿زوّجناهم بحور عين﴾: قرنّاهُم بنساءٍ بيضٍ مخلوقاتٍ في الجنَّةِ واسعاتِ الأعينِ حِسَانِها. ﴿يدعون فيها﴾: يطلبونَ فيها. ﴿فارتقب﴾: فانتظرْ ما يحلُّ بهِم. ﴿إنهم مرتقبون﴾: منتظرونَ ما يحلُّ بكَ.

(١) عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾. سعيد بن منصور (١٢٨٩ ـ تكملة التفسير)، و«لباب النقول» (ص: ١٧٣). وعن ابن عبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا قال: مر أبو جهل برسول الله ﷺ وهو جالس فلمَّا نفد قال رسول الله ﷺ: ﴿أولى لَك فَأولى ثمَّ أولى لَك فَأولى﴾ [القيامة: ٣٤ ـ ٣٥] فسمع أبو جهل فقال: مَن تُوْعِدُ يا محمد؟ قال: «إياك»، فقال: بِمَ تُوعدني؟ فقال: «أُوعدك بالعزيز الكريم» فقال أبو جهل: أليسَ أنا العزيز الكريم؟ فأنزل الله: ﴿إِن شَجَرَة الزقوم طَعَام الأثيم﴾ [٤٣] إلى قوله: ﴿ذُقْ إِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْكَرِيم﴾ [٤٩] فلمَّا بلغ أبا جهل ما نزل فيه جمع أصحابه فأخرج إليهم زبداً وتمرًا فقال: تزقموا من هذا فوالله ما يتوعدكم محمدٌ إلَّا بهذا، فأنزل الله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَة تخرج فِي أصل الْجَحِيم﴾ [الصافات: ٦٤]. ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٩٦). ونحوه عن قتادة في نزول الآيات الثلاث: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ إلى: ﴿ذُقْ إِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْكَرِيم﴾، رواه الطبري (٢١/ ٦١). ونحوه عن عكرمة في نزول قوله: ﴿ذُقْ إِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْكَرِيم﴾ رواه الواحدي (ص: ٣٧٧).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ
ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا
هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾
۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟
مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

٤٥

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكية إلاّ «قل للذين آمنوا يغفروا» الآية، وهي ستٌّ أو سبع وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿تَنزِيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ مُبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه ﴿العَزِيزِ﴾ في مُلكِهِ ﴿الحَكِيمِ﴾ في صُنعه. (٣) ـ (٤) ـ ﴿إنَّ في السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لآياتٍ﴾ دالّةً على قُدرة الله ـ تعالى ـ ووحدانيّته ﴿لِلمُؤمِنِينَ، وفي خَلقِكُم﴾ أي: خلقِ كُلِّ منكم من نُطفة ثمّ من علَقة ثمّ من مُضغة إلى أن صار إنسانًا ﴿و﴾ خلق ﴿ما يَبُثُّ﴾: يُفرِّق في الأرض ﴿مِن دابّةٍ﴾ أي: ما يدِبّ على الأرض من الناس وغيرهم، ﴿آياتٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث،

ربع الحزب ٥٠

(٥) ـ ﴿و﴾ في ﴿اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾: ذَهابِهما ومجيئهما، ﴿وما أنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن رِزقٍ﴾: مطرٍ لأنه سبب الرزق، ﴿فأحيا بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها، وتَصريفِ الرِّياحِ﴾: تقليبها مرّة جنوبًا ومرّة شمالاً وباردة وحارّة، ﴿آياتٌ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ الدليلَ فيُؤمنون.

(٦) ـ ﴿تِلكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿آياتُ اللهِ﴾: حُججه الدالّة على وحدانيّته، ﴿نَتلُوها﴾: نقصّها ﴿عَلَيكَ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ«نتلو». ﴿فبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللهِ﴾ أي: حديثِه ـ وهو القُرآن ـ ﴿وآياتِهِ﴾: حُججه ﴿يُؤمِنُونَ﴾ أي: كُفّارُ مكّة؟ أي: لا يؤمنون. وفي قراءة بالتاء.

(٧) ـ ﴿وَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب ﴿لِكُلِّ أفّاكٍ﴾: كذّاب ﴿أثِيمٍ﴾: كثير الإثم، (٨) ـ ﴿يَسمَعُ آياتِ اللهِ﴾: القُرآنَ ﴿تُتلى عليهِ، ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كُفره ﴿مُستكبِرًا﴾: مُتكبّرًا عن الإيمان ﴿كأنْ لَم يَسمَعْها ـ فبَشِّرْهُ بِعَذابٍ ألِيمٍ﴾: مُؤلم ـ (٩) ـ ﴿وإذا عَلِمَ مِن آياتِنا﴾ أي: القُرآنِ ﴿شَيئًا اتَّخَذَها هُزُوًا﴾ أي: مَهزوءًا بها. ﴿أُولئِكَ﴾ أي: الأفّاكون ﴿لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة، (١٠) ـ (١١) ـ ﴿مِن وَرائِهِم﴾ أي: أمامِهم لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ، ولا يُغنِي عَنهُم ما كَسَبُوا﴾ من المال والفِعال ﴿شَيئًا، ولا ما اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أولِياءَ! ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ. هذا﴾ أي: القُرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِم لَهُم عَذابٌ﴾: حظٌّ ﴿مِن رِجزٍ﴾ أي: عذابٍ ﴿ألِيمٌ﴾: مُوجعٌ.

(١٢) ـ (١٣) ـ ﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحرَ لِتَجرِيَ الفُلكُ﴾: السفن ﴿فِيهِ بِأمرِهِ﴾: بإذنه، ﴿ولِتَبتَغُوا﴾: تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضلِهِ، ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ، وسَخَّرَ لَكُم ما في السَّماواتِ﴾ من شمس وقمر ونُجوم وماء وغيره ﴿وما في الأرضِ﴾ من دابّة وشجر ونبات وأنهار وغيره، أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾: تأكيدٌ ﴿مِنهُ﴾: حالٌ، أي: سخّرها كائنةً منه تعالى. ﴿إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيُؤمنون.

﴿يبثّ﴾: ينشرُ ويفرِّقُ. ﴿تصريف الرياح﴾: تقليبها في مهابِّها وأحوالِها. ﴿ويْل﴾: هلاكٌ، أو حَسرةٌ أو شدّةُ عذابٍ. ﴿أفّاك أثيم﴾: كذّابٍ كثيرِ الإثمِ. ﴿اتخذها هزواً﴾: سخريةً أو مهزوءاً بها. ﴿لا يغني عنهم..﴾: لا يدفعُ عنهُم.. ﴿رجز﴾: أشدُّ العذابِ.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِي إِسْرَاءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

(١٤) ـ ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا، يَغفِرُوا**[1] **لِلَّذِينَ لا يَرجُونَ**﴾: يخافون ﴿**أيّامَ اللهِ**﴾: وقائعَه، أي: اغفِروا للكُفّار ما وقع منهم من الأذى لكم ـ وهذا قبل الأمر بجِهادهم ـ ﴿**لِيَجزِيَ**﴾ أي: اللهُ، وفي قراءة بالنون، ﴿**قومًا بما كانُوا يَكسِبُونَ**﴾ من الغفر للكُفّار أذاهم. (١٥) ـ ﴿**مَن عَمِلَ صالِحًا فلِنَفْسِهِ**﴾ عمِلَ، ﴿**ومَن أساءَ فعلَيها**﴾ إساءتُه، ﴿**ثُمَّ إلى رَبِّكُم تُرجَعُونَ**﴾: تَصيرون، فيُجازي المُصلحَ والمُسيءَ.

(١٦) ـ ﴿**ولَقَد آتَينا بَني إسرائيلَ الكِتابَ**﴾: التوراة ﴿**والحُكمَ**﴾ به بين الناس ﴿**والنُّبُوّةَ**﴾ لمُوسَى وهارونَ منهم، ﴿**ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ**﴾: الحلالات كالمَنّ والسلوى، ﴿**وفَضَّلْناهُم على العالَمِينَ**﴾ أي: عالَمِي زمانهم العُقلاء، (١٧) ـ ﴿**وآتَيناهُم بَيِّناتٍ مِنَ الأمرِ**﴾ أي: أمر الدِّين من الحلال والحرام وبِعثة مُحمّد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ ﴿**فما اختَلَفُوا**﴾ في بِعثته ﴿**إلاّ مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ بَغْيًا بَينَهُم**﴾ أي: لِبغيٍ حدث بينهم حسدًا له. ﴿**إنَّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ**﴾.

(١٨) ـ ﴿**ثُمَّ جَعَلْناكَ**﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿**على شَرِيعةٍ**﴾: طريقة ﴿**مِنَ الأمرِ**﴾: أمر الدِّين. ﴿**فاتَّبِعْها، ولا تَتَّبِعْ أهواءَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ**﴾ في عِبادة غير الله. (١٩) ـ ﴿**إنَّهُم لَن يُغنُوا**﴾: يدفعوا ﴿**عَنكَ مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه ﴿**شَيئًا! وإنَّ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين ﴿**بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ، واللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ**﴾: المؤمنين.

(٢٠) ـ ﴿**هذا**﴾ القُرآن ﴿**بَصائرُ لِلنّاسِ**﴾: مَعالمُ، يتبصّرون بها في الأحكام والحُدود، ﴿**وهُدًى ورَحمةٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ**﴾ بالبعث.

(٢١) ـ ﴿**أم**﴾: بمعنى همزة الإنكار ﴿**حَسِبَ الَّذِينَ اجتَرَحُوا**﴾: اكتسبوا ﴿**السَّيِّئاتِ**﴾[2]: الكُفرَ والمعاصيَ ﴿**أن نَجعَلَهُم كالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، سَواءٌ**﴾: خبرٌ ﴿**مَحياهُم ومَماتُهُم**﴾؟ مبتدأ ومعطوف، والجملة: بدل من الكاف، والضميران للكُفّار. المعنى: أحسِبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمُؤمنين؟ أي: في رغَد من العيش مساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيثُ قالوا للمؤمنين: لئن بُعثنا لَنُعطَيَنَّ من الخير مِثلَ ما تُعطَون.

قال تعالى على وَفق إنكاره بالهمزة: ﴿**ساءَ ما يَحكُمُونَ**﴾! أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب على خِلاف عيشهم في الدنيا، والمُؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحاتِ في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك. وما: مصدريّة، أي: بئس حُكمًا حُكمُهم هذا! (٢٢) ـ ﴿**وخَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ**﴾: مُتعلّق بـ «خلق»، ليدلّ على قُدرته ووحدانيّته، ﴿**ولِتُجزَى كُلُّ نَفسٍ بما كَسَبَتْ**﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يُساوي الكافرُ المؤمنَ، ﴿**وهُم لا يُظلَمُونَ**﴾.

﴿لا يرجون أيام الله﴾: لا يتوقَّعونَ وقائعَهُ بأعدائِهِ. ﴿بغياً بينهم﴾: حسداً وعداوةً بينَهُم. ﴿شريعة من الأمر﴾: طريقةٍ ومنهاجٍ مِن أمرِ الدِّينِ. ﴿لن يغنوا عنك﴾: لن يدفعوا عنكَ. ﴿بصائر للناس﴾: بيِّناتٍ تبصِّرُهُم سبيلَ الفلاحِ. ﴿اجترحوا السيئات﴾: اكتسبوا المعاصيَ والكفرَ.

(١) ابنُ عباسٍ بروايةِ عطاءٍ: أنها نزلتْ في عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، وذلك أنَّهم نزلوا في غَزاةِ بني المصطلِقِ على بئرٍ يقالُ لها: المُرَيْسِيعُ، فأرسَلَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ غلامَه ليستقيَ الماءَ فأبطأَ عليه، فلمَّا أتاه قال له: ما حَبَسكَ؟ قال: غلامُ عمرَ قَعَدَ على رأسِ البئرِ فما تَرَكَ أحداً يَستقي حتى ملأ قِرَبَ النبيِّ وقِرَبَ أبي بكر، وملأ لمولاهُ، فقال عبد الله: ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلا كما قيل: سمِّن كلبَكَ يأكُلْكَ، فبَلَغَ قولُه عمرَ رضي الله عنه، فاشتَمَل بسيفِه يريدُ التوجُّهَ إليه، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ. الواحدي (ص: ٣٧٨). وروي نحو هذه القصة في نزول قوله تعالى: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ [المنافقون: ٨]. وعن ميمون بنِ مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: لمَّا نزلتْ: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [الحديد: ١١] قال يهوديٌّ بالمدينة يقالُ له فنحاصُ بن عازُوراءَ: احتاجَ ربُّ محمد، فبلَغَ ذلك عمرَ، فاشتَمَل على سيفِه وخرج في طلبه، فجاء جبريلُ عليه السلام وأنزل: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾ يعني: عمرَ رضي الله عنه. رواه الثعلبي (٢٤/ ١٤)، وعنه الواحدي (ص: ٣٧٨). وفيه محمد بن زياد اليشكري قال الحافظ في «التقريب»: كذبوه.

(٢) نزلت فيمَن قالوا: نُعطَى في الآخرةِ خيراً مما يُعْطَى المؤمنون. «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٣٩)، و«البسيط» للواحدي (٢٠/ ١٤٣).

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

(٢٣) - **﴿أفرأيتَ﴾**: أخبِرْني **﴿مَنِ اتَّخَذَ إلٰـهَهُ هَواهُ﴾**(١): ما يهواه من حجَر بعد حجَر يراه أحسنَ، **﴿وأضَلَّهُ اللهُ على عِلمٍ﴾** منه - تعالى - أي: عالمًا بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه، **﴿وخَتَمَ على سَمعِهِ وقَلبِهِ﴾**، فلم يسمعِ الهدى ولم يعقله فلا يتفكّر في الآيات، **﴿وجَعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوةً﴾**: ظُلمة فلم يُبصرِ الهُدى؟ ويُقدَّر هنا المفعول الثاني لـ «رأيت» أي: أيهتدي؟ **﴿فمَن يَهدِيهِ مِن بَعدِ اللهِ﴾** أي: بعدِ إضلاله إيّاه؟ أي: لا يهتدي. **﴿أفلا تَذَكَّرُونَ﴾**: تتعظون؟ فيه إدغام إحدى التاءين في الذال.

(٢٤) - **﴿وقالُوا﴾** أي: منكرو البعث: **﴿ما هِيَ﴾** أي: الحياةُ **﴿إلاّ حَياتُنا﴾** التي في **﴿الدُّنيا﴾**(٢)، **﴿نَمُوتُ ونَحيا﴾** أي: يموت بعض(٣) ويحيا بعض بأن يُولدوا، **﴿وما يُهلِكُنا إلاّ الدَّهرُ﴾** أي: مرور الزمان. قال تعالى: **﴿وما لَهُم بِذلِكَ﴾** المقولِ **﴿مِن عِلمٍ. إنْ﴾**: ما **﴿هُم إلاّ يَظُنُّونَ. وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا﴾**، من القرآنِ الدالّة على قُدرتنا على البعث **﴿بَيِّناتٍ﴾**: واضحاتٍ حالٌ، **﴿ما كانَ حُجّتَهُم إلاّ أن قالُوا: ائتُوا بِآبائنا﴾** أحياءً، **﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾** أنا نُبعث. (٢٦) - **﴿قُلِ: اللهُ يُحيِيكُم﴾** حين كنتم نُطفًا، **﴿ثُمَّ يُمِيتُكُم، ثُمَّ يَجمَعُكُم﴾** أحياءً **﴿إلَى يَومِ القِيامةِ، لا رَيبَ﴾**: شكَّ **﴿فِيهِ، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾** وهم القائلون ما ذُكر **﴿لا يَعلَمُونَ﴾**.

(٢٧) - **﴿ولِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ﴾** يُبدل منه **﴿يَومَئذٍ يَخسَرُ المُبطِلُونَ﴾**: الكافرون، أي: يظهر خُسرانهم بأن يصيروا إلى النار، (٢٨) - **﴿وتَرَى كُلَّ أُمّةٍ﴾** أي: أهلِ دِين **﴿جاثِيَةً﴾** على الرُّكَب أو مُجتمعةً، **﴿كُلُّ أُمّةٍ تُدعَى إلَى كِتابِها﴾**: كِتاب أعمالها، ويقال لهم: **﴿اليَومَ تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾** أي: جزاءه. (٢٩) - **﴿هذا كِتابُنا﴾**: دِيوان الحَفَظة(٤)، **﴿يَنطِقُ علَيكُم بِالحَقِّ. إنّا كُنّا نَستَنسِخُ﴾**: نُثبت ونحفظ **﴿ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾**.

(٣٠) - **﴿فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُدخِلُهُم رَبُّهُم في رَحمَتِهِ﴾**: جنّتِه - **﴿ذلِكَ هُوَ الفَوزُ المُبِينُ﴾**: البيِّن الظاهر - (٣١) - **﴿وأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** فيقال لهم: **﴿أفلَم تَكُنْ آياتِي﴾**: القُرآنُ **﴿تُتلَى علَيكُم، فاستَكبَرتُم﴾**: تكبّرتم، **﴿وكُنتُم قَومًا مُجرِمِينَ﴾** كافرين؟ (٣٢) - **﴿وإذا قِيلَ﴾** لكم أيها الكفّار: **﴿إنَّ وَعدَ اللهِ﴾** بالبعث **﴿حَقٌّ، والسّاعةُ﴾** - بالرفع والنصب - **﴿لا رَيبَ﴾**: شكَّ **﴿فِيها. قُلتُم: ما نَدرِي: ما السّاعةُ؟ إنْ﴾**: ما **﴿نَظُنُّ إلاّ ظَنًّا﴾** - قال المُبرِّد: أصله: إن نحن إلاّ نظنُّ ظنًّا - **﴿وما نَحنُ بِمُستَيقِنِينَ﴾** أنها آتية.

﴿أفرأيت﴾: أخبِرْني. ﴿غشاوة﴾: غطاءً حتَّى لا يُبْصِرَ الرُّشدَ. ﴿جاثية﴾: باركةً على الرُّكبِ لشدَّةِ الهوْلِ. ﴿كتابها﴾: صحائفِ أعمالِها. ﴿نستنسخ..﴾: نأمرُ الملائكةَ بنسخٍ.

---

(١) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كان الرَّجلُ من العرب يعبدُ الحجر فإذا وَجد أحسن منه أخذه وألقى الآخرَ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾. النسائي في «الكبرى» (١١٤٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٩) وصححه واللفظ له.

(٢) عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «كان أهل الجاهليَّة يقولون: إنَّما يُهلكُنا اللَّيل والنَّهارُ، وهو الذي يُهلكنا ويُميتُنا ويُحيينا، فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾». الطبري (٢١/ ٩٧)، والدارقطني في «العلل» (٨/ ٨١). وسياقه غريب جدًّا كما قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية.

(٣) أو: نكونُ أمواتاً نطفاً وما قبلَها ونَحيا بعدَ ذلك، ويحتملُ أنَّهم أرادُوا به التَّناسُخَ، فإنَّهُ عقيدةُ أكثرِ عبَدَةِ الأوثانِ. (الجمالين).

(٤) أضافَ صَحائِفَ أعمالِهم إلى نفسِهِ لأنَّه أمَرَ الكتَبَةَ أن يَكتُبوا فيها أعمالَهُم، وقولُهُ: (﴿يَنْطِقُ﴾) أي: يشهَدُ عليكم بما عمِلتُم بلا زيادةٍ ونُقصانٍ. (الجمالين).

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
(٣٣) وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٤) ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
(٣٥) فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٦)
وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣٧)

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥)

(٣٣) ـ ﴿وبَدا﴾: ظهر ﴿لَهُم﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾ في الدنيا، أي: جزاؤها، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستهزِئُونَ﴾ أي: العذابُ.

(٣٤) ـ ﴿وقِيلَ: اليومَ نَنساكُم﴾: نترككم في النار ﴿كَما نَسِيتُم لِقاءَ يَومِكُم هذا﴾ أي: كما تركتم العمل للقائه، ﴿ومأواكُمُ النّارُ، وما لكُم مِن ناصِرِينَ﴾ منها.

(٣٥) ـ ﴿ذلِكُم بِأنَّكُمُ اتَّخَذتُم آياتِ اللهِ﴾: القرآنَ ﴿هُزُوًا، وغَرَّتكُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾ حتّى قلتم: لا بعثَ ولا حساب. ﴿فاليومَ لا يَخرُجُونَ﴾ ـ بالبناء للفاعل وللمفعول ـ ﴿مِنها﴾: من النار، ﴿ولا هُم يُستَعتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلب منهم أن يُرضُوا ربَّهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ.

الجزء ٢٦ الحزب ٥١

(٣٦) ـ ﴿فلِلّهِ الحَمدُ﴾: الوصفُ بالجميل على وفاء وعده في المُكذِّبين، ﴿رَبِّ السَّماواتِ ورَبِّ الأرضِ رَبِّ العالَمِينَ﴾: خالقِ ما ذُكر ـ والعالَمُ: ما سِوى اللهِ، وجُمع لاختلاف أنواعه. وربِّ: بدل ـ (٣٧) ـ ﴿ولَهُ الكِبرِياءُ﴾: العظمة ﴿في السَّماواتِ والأرضِ﴾: حالٌ، أي كائنةً فيهما، ﴿وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾. تقدّم.

***

٤٦
سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكية إلاّ «قلْ أرأيتم إن كان من عند الله» الآيةَ، وإلاّ «فاصبر كما صبر أولو العزم» الآيةَ، وإلاّ «ووصينا الإنسان بوالديه» الثلاثَ آيات، وهي أربعٌ أو خمس وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

(٢) ـ ﴿تَنزِيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ مُبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه ﴿العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمِ﴾ في صُنعه. (٣) ـ ﴿ما خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلاّ﴾ خلقًا ﴿بالحَقِّ﴾، ليدلّ على قُدرتنا ووحدانيّتنا، ﴿وأجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة، ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا عَمّا أُنذِرُوا﴾: خُوّفوا به من القرآن ﴿مُعرِضُونَ﴾.

(٤) ـ ﴿قُلْ: أرَأيتُم﴾: أخبِروني ﴿ما تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ، مفعولٌ أول ﴿أرُونِي﴾: أخبِروني ـ تأكيدٌ ـ ﴿ماذا خَلَقُوا﴾: مفعولٌ ثانٍ ﴿مِنَ الأرضِ﴾؟ بيانُ «ما» ﴿أم لَهُم شِركٌ﴾: مُشاركة ﴿في﴾ خلق ﴿السَّماواتِ﴾ مع الله؟ وأم: بمعنى همزة الإنكار. ﴿ائتُونِي بِكِتابٍ﴾ مُنزل ﴿مِن قَبلِ هذا﴾ القُرآن، ﴿أو أثارةٍ﴾: بقيّة ﴿مِن عِلمٍ﴾ يُؤثر عن الأوّلين بصِحّة دعواكم في عِبادة الأصنام أنها تُقرّبكم إلى الله، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في دعواكم.

(٥) ـ ﴿ومَن﴾: استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحدَ ﴿أضَلُّ مِمَّن يَدعُو﴾: يعبد ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مَن لا يَستَجِيبُ لَهُ إلَى يَومِ القِيامةِ﴾، وهم أي: الأصنام لا يُجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدًا، ﴿وهُم عَن دُعائِهِم﴾: عِبادتهم ﴿غافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون؟

﴿حاقَ بهم﴾: نزَلَ أو أحاطَ بهِم. ﴿ننساكم﴾: نترُكُكم في العذابِ. ﴿مأواكم النار﴾: منزلكُم ومقرُّكُمُ النَّارُ. ﴿غرتكم..﴾: خدعَتْكُم ببهرَجِها... ﴿يستعتبون﴾: يُطلبُ منهُمُ الرُّجوع إلى ما يُرضي اللهَ. ﴿له الكبرياء﴾: العظمةُ والملكُ والجلالُ.
﴿أجل مسمّى﴾: بتقديرِ أجلٍ مُسمّىً وهوَ يومُ القيامةِ. ﴿أرأيتم﴾: أخبِروني. ﴿لهم شرك﴾: شركةٌ ونَصيبٌ معَ اللهِ تعالى. ﴿أثارةٍ من علم﴾: بقيَّةٍ مِن علمٍ عندَكُم.

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

(٦) ـ ﴿**وإذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا**﴾ أي: الأصنامُ ﴿**لَهُم**﴾: لِعابديهم ﴿**أعداءً، وكانُوا بِعِبادتِهِم**﴾: بعبادة عابديهم ﴿**كافِرِينَ**﴾: جاحدين.

(٧) ـ ﴿**وإذا تُتلَى عليهِم**﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿**آياتُنا**﴾: القرآن ﴿**بَيِّناتٍ**﴾: ظاهراتٍ حالٌ ﴿**قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ منهم ﴿**لِلحَقِّ**﴾ أي: في القُرآن ﴿**لَمّا جاءَهُم: هذا سِحرٌ مُبِينٌ**﴾: بيّنٌ ظاهر. (٨) ـ ﴿**أم**﴾: بمعنى «بل» وهمزةِ الإنكار ﴿**يَقُولُونَ: افتَراهُ**﴾ أي: القرآنَ؟ ﴿**قُلْ: إنِ افتَرَيتُهُ**﴾ فَرْضًا ﴿**فلا تَملِكُونَ لِي مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه ﴿**شَيئًا**﴾ أي: لا تقدرون على دفعه عنّي، إن عذّبني الله. ﴿**هُوَ أعلَمُ بما تُفِيضُونَ فِيهِ**﴾: تقولون في القرآن، ﴿**كَفَى بِهِ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**شَهِيدًا بَيني وبَينَكُم! وهُوَ الغَفُورُ**﴾ لمن تاب ﴿**الرَّحِيمُ**﴾ به، فلم يُعاجلكم بالعُقوبة.

(٩) ـ ﴿**قُلْ: ما كُنتُ بِدْعًا**﴾: بَدِيعًا ﴿**مِنَ الرُّسُلِ**﴾ أي: أوّلَ مُرسَل. قد سبق قبلي كثير منهم، فكيف تُكذّبونني؟ ﴿**وما أدرِي: ما يُفعَلُ بِي ولا بِكُم**﴾[١] في الدنيا؟ أأُخرَجُ من بلدي أم أُقتل كما فُعل بالأنبياء قبلي؟ أوَتُرمَونَ بالحِجارة أم يُخسَف بكم كالمُكذّبين قبلكم؟ ﴿**إنْ**﴾: ما ﴿**أتَّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إلَيَّ**﴾ أي: القرآنَ، ولا أبتدعُ من عِندي شيئًا، ﴿**وما أنا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: بيّنُ الإنذار.

(١٠) ـ ﴿**قُلْ: أرَأيتُم**﴾: أخبِروني ماذا حالُكم، ﴿**إن كانَ**﴾ أي: القُرآن ﴿**مِن عِندِ اللهِ**﴾[٢]، ﴿**وكَفَرتُم بِهِ**﴾: جملةٌ حاليّة، ﴿**وشَهِدَ شاهِدٌ مِن بَنِي إسرائيلَ**﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿**عَلَى مِثلِهِ**﴾ أي: عليه أنه من عند الله، ﴿**فآمَنَ**﴾ الشاهد، ﴿**واستكبَرتُم**﴾: تكبّرتم عن الإيمان؟ وجوابُ الشرط بما عطف عليه: ألستم ظالمين؟ دلّ عليه: ﴿**إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ**﴾.

(١١) ـ (١٢) ـ ﴿**وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي: في حقّهم: ﴿**لَو كانَ**﴾ الإيمانُ ﴿**خَيرًا**[٣] **ما سَبَقُونا إلَيهِ. وإذ لَم يَهتَدُوا**﴾ أي: القائلون ﴿**بِهِ**﴾

﴿تفيضون فيه﴾: تندفعونَ فيهِ طعناً وتكذيباً. ﴿بِدْعًا﴾: بديعاً منفرداً فيما جئتُ به. ﴿أرأيتم﴾: أخبِروني ماذا حالُكم. ﴿إفكٌ قديم﴾: كذبٌ متقادمٌ.

(١) لمّا اشتدَّ البلاء بأصحابِ النَّبيِّ ﷺ بمكّةَ رأى في المنامِ أنّه يهاجرُ إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ وشجرٍ وماءٍ، فقصَّها على أصحابِه، فاستبشروا بذلك، ورأوا فيها فرجاً من أذى المشركين، ثمَّ إنَّهم مكثوا برهةً، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، متى نهاجرُ إلى الأرضِ التي أُريتَ؟ فسكتَ رسولُ اللهِ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾؛ أي: لا أدري أأخرجُ إلى الموضعِ الذي أُريتُ في المنام أو لا؟ وقال: «إنَّما هو شيءٌ أُريتُه في منامي، ما أصنعُ إلا ما يُوحَى إليَّ». الثعلبي (٢٤/ ٦٧)، والماوردي (٥/ ٢٧٢)، والواحدي (ص: ٣٨٠)، والبغوي (٧/ ٢٥٣)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبيّ ﷺ وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم...، وفيه: حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل مِن خلفنا: كما أنت يا محمد، فأقبل وقال: أيّ رجل تَعلموني فيكم يا معشر اليهود، قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدّك قبل أبيك، قال: فإني أشهد بالله أنه النبيّ الذي تجدونه في التوراة والإنجيل، قالوا: كذبت، ثم ردّوا عليه قوله وقالوا له شرًّا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «كذَبتم لن نَقْبلَ قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه مِن الخير ما أثنيتم، وأمّا إذْ آمن كذَّبْتموه وَقلتم ما قلتُم، فلن نقبلَ قولكم»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ، وأنا، وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية. أحمد (٢٣٩٨٤)، وابن حبان (٧١٦٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٤٦)، والحاكم (٥٧٥٦) وصححه. وقال في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٦): رواه الطَّبرانيُّ ورجالُه رجالُ الصَّحيحِ. وعن سعد بن أبي وقَّاص: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: «إنه من أهل الجنة» إلا لعبد الله بن سلام؛ قال: وفيه نزلت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾. البخاري (٣٨١٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤٨٣). وعن عبد الله بن سلام: نزلت فيَّ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بني إسرائيل عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. رواه الترمذي (٣٢٥٦) في قصة حصار عثمان رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ فيه ابن أخي عبد الله بن سلام وهو مجهول كما في «التقريب»، وقال الترمذي: «حديث غريب». وتقدم الحديث في نزول قوله: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [الرعد: ٤٣].

(٣) عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها: زنين، فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتر، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زنين، فأنزل الله في شأنها هذه الآية. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٥). وعن قتادة: قال ناس من المشركين: نحن أعز ونحن ونحن، فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان، فنزلت. الطبري (٢١/ ١٣٢)، و«لباب النقول» (ص: ١٧٥). ونحوه عن ابن عباس كما في «التيسير» لأبي حفص النسفي (١٣/ ٣٨٤). =

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ
إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ
عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ
فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ
﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ
ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

أي: بالقُرآنِ ﴿فَسَيَقُولُونَ: هذا﴾ أي: القُرآنُ ﴿إفكٌ﴾: كذبٌ ﴿قَدِيمٌ. ومِن قبلِهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿كِتابُ مُوسَى﴾ أي: التوراةُ ﴿إمامًا ورحمةً﴾ للمُؤمنين به، حالان، ﴿وهذا﴾ أي: القُرآن ﴿كِتابٌ مُصدِّقٌ﴾ للكُتب قبله، ﴿لِسانًا عَرَبِيًّا﴾: حالٌ من الضمير في «مُصدّق»، ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: مُشركي مكّة، ﴿و﴾ هو ﴿بُشرَى لِلمُحسِنِينَ﴾: للمُؤمنين.

١٣ ـ ١٤ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ قالُوا: رَبُّنا اللهُ. ثُمَّ استقامُوا﴾ على الطاعة ﴿فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ، أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ خالِدِينَ فِيها﴾: حال ﴿جَزاءً﴾: منصوب على المصدر بفعله المُقدّر، أي: يُجزَون ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

١٥ ـ ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بوالِدَيهِ حُسنًا﴾. وفي قراءة: «إحسانًا» أي: أمرناه أن يُحسن إليهما. فنَصبُ «إحسانًا» على المصدر بفعله المُقدّر، ومثله «حُسنًا» ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا، ووَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: علـى مشقّة، ﴿وحَملُهُ وفِصالُهُ﴾ من الرِّضاع ﴿ثَلاثُونَ شَهرًا﴾. ستّةُ أشهرٍ أقلُّ مُدّة الحمل، والباقي أكثرُ مُدّة الرّضاع. وقيل: إن حملتْ به ستّة أو تِسعة أرضعته الباقيَ.

﴿حتَّى﴾: غايةٌ لجملة مُقدّرة أي: وعاش حتّى ﴿إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قُوّته وعقله ورأيه، أقلُّه ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون، ﴿وبَلَغَ أربَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامَها وهو أكثر الأشُدّ، ﴿قالَ: رَبِّ﴾ إلى آخره ـ نزل في أبي بكر الصِّدّيق لمّا بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبيّ ﷺ آمن به[1]، ثمّ آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن ثم ابن عبد الرحمن أبو عَتيق ـ ﴿أَوزِعْنِي﴾: ألهِمني ﴿أن أشكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أنعمتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وعلَى والِدَيَّ﴾، وهي نعمةُ التوحيد، ﴿وأن أعمَلَ صالِحًا تَرضاهُ﴾ ـ فأعتَقَ تِسعةً من المُؤمنين يُعذّبون في الله ـ ﴿وأصلِحْ لِي في ذُرِّيَّتِي﴾ فكلُّهم مُؤمنون. ﴿إنِّي تُبتُ إلَيكَ، وإنِّي مِنَ المُسلِمِينَ﴾.

١٦ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنهُم أحسَنُ﴾ بمعنى: حَسَنُ ﴿ما عَمِلُوا، ويُتَجاوَزُ عَن سَيِّئاتِهِم في أصحابِ الجَنّةِ﴾: حال، أي: كائنين في جُملتهم، ﴿وَعْدَ الصِّدقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: «وَعَدَ اللهُ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ».

﴿وصّينا الإنسان﴾: أمَرْناهُ وألزمْناهُ. ﴿كُرْهاً﴾: ذاتَ كرْهٍ ومشقَّةٍ. ﴿حمله وفصاله﴾: مدّةُ حملِهِ وفطامِهِ مِنَ الرَّضاعِ. ﴿بلغ أشدّه﴾: بلَـغَ كمالَ قوَّتِهِ وعقلِهِ. ﴿ربّي أوزعني﴾: ألهِمْني ووفِّقْني ورغِّبْني. ﴿أفّ لكما﴾: كلمةُ تضجُّرٍ وتبرُّمٍ وكراهيةٍ. ﴿أن أخرج﴾: أُبْعَثَ مِنَ القبرِ بعدَ الموتِ. ﴿خلَتْ القرون﴾: مضَتِ الأممُ ولم تبعَثْ. ﴿ويلكَ﴾: هلكتَ والمرادُ حثُّهُ على الإيمانِ. ﴿آمنْ﴾: صدِّقْ باللهِ وبالبعْثِ. ﴿أساطير الأوّلين﴾: أباطيلُهُمُ المُسطَّرةُ في كتبِهِم. ﴿حقّ عليهم القول﴾: وَجَبَ عليهم وعيدُ العذابِ. ﴿قد خلَتْ﴾: مَضَتْ وتقدَّمَتْ. ﴿عذاب الهون﴾: الهوانِ والذُّلِّ.

= وعن ابن عبَّاسٍ من رواية الكلبي: لـمَّا أسلمَ جهينةُ ومزينةُ وأسلمُ وغِفارٌ، قالت أسدٌ وغطفانُ: لو كانَ هذا الدِّين خيراً ما سُبِقنا إليه، وكانَت غِفارٌ وأسلمُ أهلَ سِلةٍ في الجاهليَّة؛ أي: سرقةٍ. ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٧١)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٣/ ٣٨٤)، وذكره الثعلبي (٢٤/ ٧٦ ـ ٧٧) عن الكلبي. وقال في رواية عطاء عنه: قالت اليهودُ هذا لـمَّا أسلمَ عبدُ الله بن سلام وأصحابُه. الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٧٠)، وذكره الطبري (٢١/ ١٣٢) دون نسبة، والثعلبي (٢٤/ ٧٥) عن أكثر المفسرين.

(١) رواه الثعلبي (٢٤/ ٨٣) عن عليٍّ رضي الله عنه: نزلَت في أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ أسلمَ أبواه جميعاً، ولم يجتمِع لأحدٍ من المهاجرين أبواه غيره، فأوصاه الله بهما، ولزم ذلك مَن بعدَه. وفي نزولها فيه قصة أخرى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في روايةِ عطاءٍ: أنها نزلتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وذلك أنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وهو ابنُ ثماني عَشْرةَ سنةً ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنةً وهم يريدون الشام، فنزلوا منزلاً فيه سِدْرةٌ، فقَعَد رسولُ الله ﷺ في ظلِّها ومضَى أبو بكرٍ إلى راهبٍ هناك يسألُه عن الدِّين، فقال له: مَن الرجلُ الذي في ظلِّ السِّدرةِ؟ فقال: ذاك محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطَّلب، فقال: هذا واللهِ نبيٌّ، فما استظلَّ تحتها أحدٌ بعد عيسى ابنِ مريمَ إلا محمدٌ نبيُّ الله، فوقع في قلبِ أبي بكرٍ اليقينُ والصِّدقُ والتصديقُ، فكان لا يكادُ يفارقُ رسولَ اللهِ ﷺ في أسفاره وحضورِه، فلمَّا نُبِّئَ رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ أربعينَ سنةً وأبو بكرٍ رضي الله عنه ابنُ ثمانٍ وثلاثين سنةً أسلَمَ وصَدَّق رسولَ الله ﷺ، فلمَّا بلَغ أربعينَ سنةً قال: ﴿رب أوزعني أن أشكر﴾ الآية. الواحدي (ص: ٣٨٠ ـ ٣٨١). وعن السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص. الثعلبي (٢٤/ ٨١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٧). وقد تقدمت القصة في سورة العنكبوت.

* وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ
بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ
ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾
فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ
بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٥١

(١٧) ـ ﴿والَّذِي قالَ لِوالِدَيهِ﴾ ـ أُريدَ به الجِنسُ: ﴿أُفٍّ﴾، بكسر الفاء
وفتحها، بمعنى مصدر، أي: نتنًا وقُبحًا ﴿لكُما﴾[1]: أتضجّر منكما.
﴿أَتعِدانِنِيَ﴾ ـ وفي قراءة بالإدغام ـ ﴿أن أُخرَجَ﴾ من القبر، ﴿وقَد خَلَتِ
القُرُونُ﴾: الأمم ﴿مِن قَبلِي﴾، ولم تخرج من القبور.
﴿وهُما يَستَغِيثانِ اللهَ﴾: يسألانه الغوثَ برجوعه، ويقولان: إن لم ترجِع
﴿وَيلَكَ﴾ أي: هلاكَك بمعنى: هلكتَ. ﴿آمِنْ﴾ بالبعث، ﴿إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ به
﴿حَقٌّ. فيَقُولُ: ما هذا﴾ أي: القولُ بالبعث ﴿إلاّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم.
(١٨) ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾: وجب ﴿علَيهِم القَولُ﴾ بالعذاب ﴿في أُمَمٍ قَد
خَلَتْ مِن قَبلِهِم مِنَ الجِنِّ والإنسِ. إنَّهُم كانُوا خاسِرِينَ﴾.
(١٩) ـ ﴿ولِكُلٍّ﴾ من جِنسَيِ المُؤمن والكافر ﴿دَرَجاتٌ﴾، فدرجات المُؤمن
في الجنّة عالية ودرجات الكافر في النار سافلة، ﴿مِمّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون
من الطاعات والكُفّارُ من المعاصي، ﴿ولِيُوَفِّيَهُم﴾ أي: اللهُ ـ وفي قراءة بالنون
ـ ﴿أعمالَهُم﴾ أي: جزاءها، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا يُنقص للمُؤمنين ويُزاد
للكُفّار. (٢٠) ـ ﴿ويَومَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا علَى النّارِ﴾ بأن تُكشف لهم يقال لهم:
﴿أذهَبتُم﴾ ـ بهمزة وبهمزتين، وبهمزة ومدّة، وبهما وتسهيلِ الثانية ـ ﴿طَيِّباتِكُم﴾
باشتغالكم بلذّاتكم ﴿في حَياتِكُمُ الدُّنيا، واستَمتَعتُم﴾: تمتّعتم ﴿بِها. فاليَومَ
تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ﴾ أي: الهوانِ ﴿بِما كُنتُم تَستكبِرُونَ﴾: تتكبّرون ﴿في
الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وبِما كُنتُم تَفسُقُونَ﴾ به. ويُعذَّبون بها.

(٢١) ـ (٢٢) ـ ﴿واذكُرْ أخا عادٍ﴾ هو هُودٌ ـ عليه السلام ـ ﴿إذ﴾ إلى آخره: بدل اشتمال ﴿أنذَرَ قَومَهُ﴾: خوَّفهم ﴿بِالأحقافِ﴾ وادٍ باليمن به منازلُهم
ـ ﴿وقَد خَلَتِ النُّذُرُ﴾: مضتِ الرسلُ ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ ومِن خَلفِهِ﴾ أي: من قَبلِ هُود ومن بَعدِه إلى أقوامهم ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن قال: ﴿لا تَعبُدُوا
إلاّ اللهَ﴾. وجملة «وقد خلت» مُعترضة. ﴿إنِّيَ أخافُ علَيكُم﴾، إن عبدتم غير الله، ﴿عَذابَ يَوم عَظِيم. قالُوا: أجِئتَنا لِتأفِكَنا عَن آلِهتِنا﴾: لتصرفنا
عن عِبادتها؟ ﴿فائْتِنا بِما تَعِدُنا﴾ من العذاب على عِبادتها، ﴿إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في أنه يأتينا. (٢٣) ـ ﴿قالَ﴾ هود: ﴿إنَّما العِلمُ عِندَ اللهِ﴾ هو
الذي يعلم: متى يأتيكم العذاب؟ ﴿وأُبَلِّغُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ﴾ إليكم، ﴿ولكِنِّيَ أراكُم قَومًا تَجهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذابَ. (٢٤) ـ ﴿فلَمّا رأَوهُ﴾ أي: ما
هو العذاب ﴿عارِضًا﴾: سحابًا عَرَضَ في أُفق السماء ﴿مُستَقبِلَ أَودِيتِهِم قالُوا: هذا عارِضٌ مُمطِرُنا﴾، أي: مُمطرٌ إيانا ـ قال تعالى: ﴿بَل هُوَ ما
استَعجَلتُم بِهِ﴾ من العذاب، ﴿رِيحٌ﴾: بدلٌ من «ما» ﴿فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، (٢٥) ـ ﴿تُدَمِّرُ﴾: تُهلك ﴿كُلَّ شَيءٍ﴾ مرّت عليه، ﴿بِأمرِ رَبِّها﴾:
بإرادته، أي: كُلَّ شيء أراد إهلاكَه بها. فأهلكتْ رِجالهم ونِساءهم وصِغارهم وأموالهم بأن طارت بذلِك بين السماء والأرض ومزّقته، وبقي هود
ومن آمن معه ـ ﴿فأصبَحُوا لا تَرَى إلاّ مَساكِنَهُم. كَذلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجزِي القَومَ المُجرِمِينَ﴾ غيرَهم.

﴿أخا عاد﴾: هوداً عليهِ السَّلامُ. ﴿بالأحقاف﴾: وادٍ بينَ عُمان وأرضِ مَهْرَة. ﴿لتأفكنا﴾: لتصرفَنا. أو لتزيلَنا بالإفكِ. ﴿عارضاً﴾: سحاباً يعرضُ في الأفقِ. ﴿تُدمّر﴾: تُهلِك. ﴿مكّنّاهم﴾: أقدرْناهُم وبسطْنا لهُم. ﴿فيما إن مكّنّاكم فيه﴾: في الَّذي ما مكَّنّاكُم فيهِ. ﴿فما أغنى عنهم﴾: فما دفعَ عنهُم. ﴿حاق بهم﴾: أحاطَ أو نزلَ بهِم. ﴿صرّفنا الآيات﴾: كرَّرْناها بأساليبَ مُختلفةٍ. ﴿قربانًا آلهةً﴾: متقرَّباً بهِم إلى اللهِ. ﴿إفكُهُمْ﴾: أثرُ كذبِهم في اتِّخاذِها آلهةً. ﴿يفترون﴾: يختلقونَهُ في قولِهم إنَّها آلهةٌ.

(١) قال السُّدِّيُّ: نزلت هذه الآية في عبد الرّحمن بن أبي بكرٍ أسلم والداه، وأبى هو أن يُسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام ويرُدُّ عليهما ويُكذِّبهما، فيقولُ: فأين فلانٌ؟ وأين فلانٌ؟ يعني مشايخَ قريشٍ مِمَّن قد مات، ثُم أسلم بعدُ فحسن إسلامه، فنزلت توبته فِي هَذِهِ الآية: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [١٩]. ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩٥).
وأنكر هذا الزَّجّاج: لأن الله يقول: ﴿أولئك الذين حقّ عليهم القول﴾؛ أي: العذابُ، ومِن ضرورتِه عدمُ الإيمان، وعبدُ الرَّحمنِ من أفاضلِ المؤمنين؟! قال: والصَّحيحُ أنَّها نزلَت في كافرٍ عاقٍّ لوالديه. «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٤٤)، و«البسيط» للواحدي (٢٠/ ١٨٦). وقد أنكرت عائشة ذلك كما رواه البخاري (٤٨٢٧) عن يوسف بن ماهك قال: «كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكُر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري». وفي رواية النسائي في «الكبرى» (١١٤٢٧): أنها قالت: «كَذَبَ واللهِ، ما هو به، وإنْ شئتُ أنْ أُسمِّي الذي أُنزلت فيه لَسمَّيتُه، ولكنَّ رسول الله ﷺ لعنَ أبا مروان ومروانُ في صلبه، فمروانُ فَضَضٌ من لعنةِ اللهِ».

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

(٢٦) ـ ﴿**ولَقَد مَكَّنَاهُم فِيما**﴾: في الذي ﴿**إنْ**﴾: نافيةٌ أو زائدة ﴿**مَكَّنَاكُم**﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿**فِيهِ**﴾ من القُوّة والمال، ﴿**وجَعَلْنا لَهُم سَمعًا**﴾ بمعنى: أسماعًا ﴿**وأبصارًا وأفئِدةً**﴾: قُلوبًا، ﴿**فما أغنَى عَنهُم سَمعُهُم ولا أبصارُهُم ولا أفئِدتُهُم مِن شَيءٍ**﴾ أي: شيئًا من الإغناء ـ ومِن: زائدة ـ ﴿**إذ**﴾: معمولة لـ«أغنى» وأُشرِبَت معنى التعليل ﴿**كانُوا يَجحَدُونَ بِآياتِ اللهِ**﴾: حُجَجِه البيّنة! ﴿**وحاقَ**﴾: نزل ﴿**بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ**﴾، أي: العذابُ، (٢٧) ـ ﴿**ولَقَد أهلَكْنا ما حَولَكُم مِنَ القُرَى**﴾ أي: من أهلها كثمودَ وعادٍ وقومِ لوط، ﴿**وصَرَّفْنا الآياتِ**﴾: كرّرنا الحُجَجَ البيّناتِ، ﴿**لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ**﴾.

(٢٨) ـ ﴿**فلَولا**﴾: فهلاّ ﴿**نَصَرَهُمُ**﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قُرْبانًا**﴾: مُتقرَّبًا بهم إلى الله، ﴿**آلِهةً**﴾ معه، وهم الأصنام. ومفعول «اتّخذ» الأولُ ضمير محذوف يعود على الموصول أي: هم، وقربانًا: الثاني، وآلهة: بدل منه. ﴿**بَل ضَلُّوا**﴾: غابوا ﴿**عَنهُم**﴾ عِند نُزول العذاب. ﴿**وذلِكَ**﴾ أي: اتّخاذُهم الأصنامَ آلهةً قُربانًا ﴿**إفكُهُم**﴾: كذبُهم، ﴿**وما كانُوا يَفتَرُونَ**﴾: يَكذِبون. وما: مصدريّة، أو موصولة والعائد محذوف، أي: فيه.

(٢٩) ـ ﴿**و**﴾ اذكرْ ﴿**إذ صَرَفْنا**﴾: أمَلْنا ﴿**إلَيكَ نَفرًا مِنَ الجِنِّ**﴾: جِنَّ نَصِيبِين اليمنِ أو جِنِّ نِينَـوَى ـ وكانوا سبعة أو تسعة «وكانَ ﷺ بِبَطنِ نَخلةَ يُصلِّي بأصحابِهِ الفَجرَ». رواه الشيخان[1] ـ ﴿**يَستَمِعُونَ القُرآنَ، فلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا**﴾أي: قال بعضهم لبعض: ﴿**أنصِتُوا**﴾: اصغَوا لِاستماعه. ﴿**فلَمّا قُضِيَ**﴾: فُرِغ من قراءته ﴿**وَلَّوا**﴾: رجَعوا ﴿**إلَى قَومِهِم، مُنذِرِينَ**﴾: مُخوّفين قومَهم العذابَ، إن لم يُؤمنوا. وكانوا يهودًا.

(٣٠) ـ ﴿**قالُوا: يا قَومَنا، إنّا سَمِعْنا كِتابًا**﴾ ـ هو القُرآن ـ ﴿**أُنزِلَ مِن بَعدِ مُوسَى، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ**﴾ أي: تقدّمه كالتوراة، ﴿**يَهدِي إلَى الحَقِّ**﴾: الإسلام، ﴿**وإلَى طَرِيقٍ مُستقِيمٍ**﴾، أي: طريقه. (٣١) ـ ﴿**يا قَومَنا، أجِيبُوا داعِيَ اللهِ**﴾ مُحمّدًا ﷺ إلى الإيمان، ﴿**وآمِنُوا بِهِ يَغفِرْ لَكُم**﴾ اللهُ ﴿**مِن ذُنُوبِكُم**﴾ أي: بعضَها، لأنّ منها المظالمَ ولا تُغفر إلاّ برضا أربابها، ﴿**ويُجِرْكُم مِن عَذابٍ ألِيمٍ**﴾: مُؤلم. (٣٢) ـ ﴿**ومَن لا يُجِبْ داعِيَ اللهِ فلَيسَ بِمُعجِزٍ في الأرضِ**﴾ أي: لا يُعجِزُ اللهَ بالهرب منه فيفوتَه، ﴿**ولَيسَ لَهُ**﴾: لِمن لا يُجيبُ ﴿**مِن دُونِهِ**﴾ أي: الله ﴿**أولِياءُ**﴾: أنصارٌ يدفعون عنه العذاب. ﴿**أُولئِكَ**﴾ الذين لم يُجيبوا ﴿**في ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾: بيِّنٍ ظاهر.

(٣٣) ـ ﴿**أولَم يَرَوا**﴾: يعلموا، أي: منكرو البعث، ﴿**أنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، ولَم يَعْيَ بِخَلقِهِنَّ**﴾: لم يعجز عنه، ﴿**بِقادِرٍ**﴾: خبرُ «أنّ» ـ وزيدت الباء فيه لأنّ الكلام في قوّة: أليس الله بقادر ـ ﴿**علَى أن يُحيِيَ المَوتَى؟ بَلَى**﴾ هو قادر على إحياء الموتى. ﴿**إنَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾.

(٣٤) ـ ﴿**ويَومَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا علَى النّارِ**﴾ بأن يُعذّبوا بها، ويقال لهم: ﴿**ألَيسَ هذا**﴾ التعذيب ﴿**بِالحَقِّ؟ قالُوا: بَلَى، ورَبِّنا. قالَ: فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكفُرُونَ**﴾.

(٣٥) ـ ﴿**فاصبِرْ**﴾ على أذى قومك ﴿**كَما صَبَرَ أُولُو العَزمِ**﴾: ذوُو الثبات والصبر على الشدائد ﴿**مِنَ الرُّسُلِ**﴾ قبلك، فتكونَ ذا عزم ـ ومِن: للبيان فكُلّهم ذوو عزم. وقيل: للتبعيض. فليس منهم آدمُ لقوله تعالى: «ولَم نَجِدْ لَهُ عَزمًا»، ولا يونسُ لقوله تعالى: «ولا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ» ـ ﴿**ولا تَستَعجِلْ لَهُم**﴾: لِقومك نُزولَ العذاب بهم. قيل: كأنه ضجِر منهم فأحبّ نُزول العذاب بهم، فأُمر بالصبر وتركِ الاستعجال للعذاب. فإنه نازل بهم لا محالة. ﴿**كأنَّهُم يَومَ يَرَونَ ما يُوعَدُونَ**﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿**لَم يَلبَثُوا**﴾ في الدنيا في ظنّهم ﴿**إلاّ ساعةً مِن نَهارٍ**﴾. هذا القُرآن ﴿**بَلاغٌ**﴾: تبليغٌ من الله ـ تعالى ـ إليكم. ﴿**فهَل**﴾ أي: لا ﴿**يُهلَكُ**﴾ عِند رُؤية العذاب ﴿**إلاّ القَومُ الفاسِقُونَ**﴾ أي: الكافرون؟

﴿صرفنا إليك﴾: أمَلْنا ووجهْنا نَحْوَكَ. ﴿أنصتوا﴾: اسكتوا واصغوا لنسمعَهُ. ﴿قضِيَ﴾: أُتِمَّ وفُرِغَ مِن قراءةِ القرآنِ. ﴿فليس بمعجزٍ﴾: للهِ فائتٍ منهُ بالهَرَبِ. ﴿لم يعيَ بخلقِهنّ﴾: لم يتعبْ بهِ أو لم يعجزْ عنهُ. ﴿بلى﴾: هوَ قادرٌ على إحياءِ الموتى. ﴿أولوا العزم﴾: ذوو الجِدِّ والثَّباتِ والصَّبرِ. ﴿بلاغ﴾: هذا تبليغٌ مِن رسولِنا.

(١) البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

٤٧

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

مدنية إلاّ «وكأيّن من قرية» الآيةَ، أو مكية، وهي ثمانٍ أو تسعٌ وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة ﴿**وصَدُّوا**﴾ غيرَهم ﴿**عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾[1] أي: الإيمان ﴿**أَضَلَّ**﴾: أحبط ﴿**أعمالَهُم**﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، ويُجزَون بها في الدنيا من فضله ـ تعالى ـ (٢) ـ ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي: الأنصارُ وغيرهم، ﴿**وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وآمَنُوا بِما نُزِّلَ على مُحَمَّدٍ**﴾ أي: القرآنِ ـ ﴿**وهُوَ الحَقُّ مِن رَبِّهِم ـ كَفَّرَ عَنهُم**﴾: غفر لهم ﴿**سَيِّئاتِهِم، وأصلَحَ بالَهُم**﴾ أي: حالهم فلا يعصُونه.

(٣) ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: إضلال الأعمال وتكفير السيّئات ﴿**بِأَنَّ**﴾: بسبب أنّ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ**﴾: الشيطان ﴿**وأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ**﴾: القُرآنَ ﴿**مِن رَبِّهِم. كَذلِكَ**﴾ أي: مِثلَ ذلك البيان ﴿**يَضرِبُ اللهُ لِلنّاسِ أمثالَهُم**﴾: يُبيِّنُ أحوالَهم، فالكافر يُحبِط عملَه، والمُؤمن يَغفر زَلَلَهُ.

نصف الحزب ٥١

(٤)ـ(٥)ـ ﴿**فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فضَرْبَ الرِّقابِ**﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، أي: فاضربوا رقابهم أي: اقتلوهم. وعُبِّر بضرب الرقاب لأنّ الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة. ﴿**حَتَّى إذا أثخَنتُمُوهُم**﴾: أكثرتم فيهم القتل ﴿**فشُدُّوا**﴾، أي: فأمسكوا عنهم وائسِروهم وشُدّوا ﴿**الوَثاقَ**﴾: ما يُوثق به الأسرى ـ ﴿**فإمّا مَنًّا بَعدُ**﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، أي: تَمُنّون عليهم بإطلاقهم من غير شيء، ﴿**وإمّا فِداءً**﴾: تُفادونهم بمالٍ، أو أسرَى مسلمين ـ ﴿**حَتَّى تَضَعَ الحَربُ**﴾ أي: أهلُها ﴿**أوزارَها**﴾: أثقالها من السلاح وغيره بأن يُسلِمَ الكُفّار أو يدخلوا في العهد. وهذه غاية للقتل والأسر.

﴿**ذلِكَ**﴾: خبرُ مُبتدأ مُقدّر، أي: الأمرُ فيهم ما ذُكر، ﴿**ولَو يَشاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنهُم**﴾ بغير قِتال، ﴿**ولكِن**﴾ أمركم به، ﴿**لِيَبلُوَ بَعضَكُم بِبَعضٍ**﴾ منهم في القتال، فيصيرَ من قُتل منكم إلى الجنّة ومنهم إلى النار. ﴿**والَّذِينَ قُتِلُوا**﴾، وفي قراءة «قاتَلُوا» ـ الآيةُ نزلت يوم أُحد، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات[2] ـ ﴿**في سَبِيلِ اللهِ فلَن يُضِلَّ**﴾: يُحبِط ﴿**أعمالَهُم، سَيَهدِيهِم**﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم، ﴿**ويُصلِحُ بالَهُم**﴾: حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقتل، وأُدرجوا في «قُتِلوا» تَغليبًا، (٦) ـ ﴿**ويُدخِلُهُمُ الجَنّةَ، عَرَّفَها**﴾: بيَّنَها ﴿**لَهُم**﴾، فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجِهم وخدمهم من غير استدلال.

(٧) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن تَنصُرُوا اللهَ**﴾ أي: دِينَه ورسوله ﴿**يَنصُرْكُم**﴾ على عدوّكم، ﴿**ويُثَبِّتْ أقدامَكُم**﴾: يُثبّتكم في المعترك.
(٨) ـ ﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ من أهل مكّة، مُبتدأ خبره: تَعِسُوا، يدلّ عليه: ﴿**فتَعْسًا لَهُم**﴾ أي: هلاكًا وخيبة من الله، ﴿**وأضَلَّ أعمالَهُم**﴾: عطفٌ على «تعسوا». (٩) ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: التعس والإضلال ﴿**بِأَنَّهُم كَرِهُوا ما أنزَلَ اللهُ**﴾ من القُرآن المشتمل على التكاليف، ﴿**فأحبَطَ أعمالَهُم**﴾.

﴿أضلّ أعمالهم﴾: أحبطَها وأبطلَها فلا نفعَ لها. ﴿كفّر عنهمْ﴾: أزالَ ومَحَا عنهُم. ﴿أصلحَ بالهمْ﴾: حالَهُمْ وشأنَهُمْ في الدِّينِ والدُّنيا. ﴿فضَرْبَ الرقاب﴾: فاضْربوا الرِّقابَ ضَرْباً. ﴿أثخنتموهمْ﴾: أوْسعتُموهُمْ قتلاً وجراحاً وأسراً. ﴿فشدّوا الوَثاق﴾: فأحكِموا قيْدَ الأسارى منهُم. ﴿مَنًّا﴾: بإطلاقِ الأسرى بغيرِ عِوَضٍ. ﴿فِدَاءً﴾: بالمالِ أو بأسارى المسلمينَ. ﴿حتى تضعَ الحَرْب أوزارها﴾: آلاتِها وأثقالَها، والمرادُ حتَّى تنقضيَ الحربُ. ﴿لِيَبْلُوَ..﴾: لِيَخْتبرَ.. فيمحِّصَ المؤمنينَ ويمحقَ الكافرينَ. ﴿فلن يضلّ أعمالهمْ﴾: فلن يبطلَها بل يوفِّيهم ثوابَها. ﴿فتَعْسًا لهمْ﴾: فَهَلاكاً. أو عِثَاراً أو شقاءً لهُم. ﴿فأحْبَط أعمالهم﴾: فأبْطلَها لكراهتِهِمُ القرآنَ. ﴿دمّر الله عليهم﴾: أطبقَ الهلاكَ عليهم. ﴿مولى..﴾: وليّ وناصِر...

(١) الكلبي: نزلَتْ في المطعِمِينَ يومَ بدرٍ. السمرقندي (٣/ ٢٩٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢١١). مقاتلٌ: كانوا اثني عشرَ رجلًا: أبو جهل والحارث ابنا هشام، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة، وأُبيٌّ وأُميّةُ ابنا خلف، ومنبِّهٌ ونبيهٌ ابنا الحجّاج، وأبو البختريِّ بنُ هشام، وزَمعةُ بن الأسود، وحكيمُ بن حِزام، والحارث بن عامر بن نوفل. «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٣).

(٢) الطبري (٢١/ ١٩٠) عن قتادة: ذُكر لنا أن هذه الآية أُنزلت يوم أُحد ورسول الله ﷺ في الشِّعْب، وقد فَشَت فيهم الجراحات والقتل، الحديث.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ
وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن
رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ
طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ
مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا
خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ
زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ
أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

(١٠) ـ ﴿**أفلَم يَسيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ دَمَّرَ اللهُ علَيهِم**﴾: أهلكَ اللهُ أنفُسَهم وأولادهم وأموالهم، ﴿**وللكافِرِينَ أمثالُها**﴾: أمثالُ عاقبة مَن قبلهم. (١١) ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: نصرُ المُؤمنين وقهر الكافرين ﴿**بِأنَّ اللهَ مَولَى**﴾: وليُّ وناصرُ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا، وأنَّ الكافِرِينَ لا مَولَى لَهُم**﴾.

(١٢) ـ ﴿**إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، والَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ**﴾ في الدنيا، ﴿**ويأكُلُونَ كَما تَأكُلُ الأنعامُ**﴾ أي: ليس لهم هِمّة إلاّ بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة، ﴿**والنّارُ مَثوًى لَهُم**﴾: منزلٌ ومُقام ومَصير. (١٣) ـ ﴿**وكَأيِّن**﴾: وكم ﴿**مِن قَريَةٍ**﴾ أريد بها أهلُها، ﴿**هِيَ أشَدُّ قُوّةً مِن قَريَتِكَ**﴾ مكّةَ أي: أهلِها ﴿**الَّتِي أخرَجَتْكَ**﴾[١] رُوعي لفظ «قرية»، ﴿**أهلَكناهُم**﴾ ـ رُوعي معنى «قرية» الأُولى ـ ﴿**فلا ناصِرَ لَهُم**﴾ من إهلاكنا! (١٤) ـ ﴿**أفمَن كانَ علَى بَيِّنةٍ**﴾: حُجّة وبُرهان ﴿**مِن رَبِّهِ**﴾ ـ وهم المُؤمنون ـ ﴿**كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ**﴾ فرآه حسنًا ـ وهم كُفّار مكّة ـ ﴿**واتَّبَعُوا أهواءَهُم**﴾ في عِبادة الأوثان؟ أي: لا مُماثلة بينهما.

(١٥) ـ ﴿**مَثَلُ**﴾ أي: صِفةُ ﴿**الجَنّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ**﴾، المُشترَكُ بين داخليها، مبتدأ خبره: ﴿**فِيها أنهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ آسِنٍ**﴾ ـ بالمدّ والقصر، كضارِب وحَذِر ـ أي: غيرِ مُتغيّر بخِلاف ماء الدنيا فيتغيّر لعارض، ﴿**وأنهارٌ مِن لَبَنٍ لَم يَتَغَيَّرْ طَعمُهُ**﴾ بخِلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع، ﴿**وأنهارٌ مِن خَمرٍ لَذّةٍ**﴾: لذيذة ﴿**لِلشّارِبِينَ**﴾ بخِلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب، ﴿**وأنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى**﴾ بخِلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بُطون النحل يخالطه الشمع وغيره، ﴿**ولَهُم فِيها**﴾ أصنافٌ ﴿**مِن كُلِّ الثَّمَراتِ، ومَغفِرةٌ مِن رَبِّهِم**﴾ ـ فهو راضٍ عنهم مع إحسانه إليهم بما ذُكر بخِلاف سيّد العبيد في الدنيا. فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطًا عليهم ـ ﴿**كَمَن هُوَ خالِدٌ في النّارِ**﴾: خبرُ مُبتدأ مُقدّر، أي: أم مَن هو في هذا النعيم؟ ﴿**وسُقُوا ماءً حَمِيمًا**﴾ أي: شديد الحرارة، ﴿**فقَطَّعَ أمعاءَهُم**﴾ أي: مصارينهم، فخرجت من أدبارهم؟ وهو جمع مِعًى بالقصر، وألفه عن ياء لقولهم: مِعيانِ.

(١٦) ـ ﴿**ومِنهُم**﴾ أي: الكُفّارِ ﴿**مَن يَستَمِعُ إلَيكَ**﴾[٢] في خُطبة الجُمعة ـ وهم المنافقون ـ ﴿**حَتَّى إذا خَرَجُوا مِن عِندِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ**﴾: لعُلماء الصحابة، منهم ابن مسعود وابن عبّاس، استهزاءً وسخرية: ﴿**ماذا قالَ آنِفًا**﴾ ـ بالمد والقصر ـ أي: الساعةَ؟ أي: لا يُرجعُ إليه. ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ علَى قُلُوبِهِم**﴾ بالكُفر ﴿**واتَّبَعُوا أهواءَهُم**﴾ في النِّفاق، (١٧) ـ ﴿**والَّذِينَ اهتَدَوا**﴾ ـ وهم المُؤمنون ـ ﴿**زادَهُمْ اللهُ هُدًى، وآتاهُم تَقواهُم**﴾: ألهمَهم ما يتّقون به النار.

﴿مثوًى لهم﴾: مَوْضع ثواءٍ وإقامةٍ لهُم. ﴿كأين من قرية﴾: كثيرٌ مِنَ القرى. ﴿مَثل الجنة﴾: وصفُها ـ ما تسمعونَ. ﴿غير آسن﴾: غيرِ مُتغيِّرٍ ولا مُنْتِن. ﴿عسل مصفًّى﴾: مُنَقّىً مِن جميعِ الشَّوائبِ. ﴿ماءً حميماً﴾: بالغاً الغايةَ في الحرارةِ. ﴿ماذا قال آنفاً﴾: ماذا قالَ الآنَ، أوِ السَّاعةَ القريبةَ. ﴿جاء أشراطها﴾: علاماتُها ومنها مبعثُهُ ﷺ. ﴿فأنى لهم؟﴾: فكيفَ. أو مِنْ أينَ لهُم؟. ﴿ذِكراهم﴾: تذكُّرُهُم ما ضيَّعوا مِن طاعةِ اللهِ. ﴿يعلم متقلبكم﴾: مُتصرَّفَكُم حيثُ تتحرَّكونَ. ﴿مثواكم﴾: مقامَكُم حيثُ تستقرُّونَ.

(١) عن ابن عباس قال: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال: «أنت أحب بلاد الله إليَّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج عنك» فأنزل الله: ﴿وكأين من قرية﴾ الآية. أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣/ ٢٤٢).

(٢) عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبي ﷺ، فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه؛ أي: ويسمعه المنافقون فلا يعونه، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين: ماذا قال آنفاً؟ فنزلت. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٦). وقال ابن عباس والمفسرون: يعني: المنافقين يستمعون خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة، وكان يعرِّض بالمنافقين ويَعيبهم، فإذا خرجوا من المسجد قالوا لأولي العلم من الصحابة: ماذا قال آنفاً؟ وذلك قوله: ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ «البسيط» للواحدي (٢٠/ ٢٣٨). وروى الضياء في «المختارة» (١٢/ ١١٠) عن ابن عباس قوله: «كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ﷺ ثم يخرجون فيقولون: ماذا قال آنفاً، ليس معهم قلوب».

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾

(١٨) - ﴿**فهل يَنظُرُونَ**﴾: ما ينتظرون، أي: كُفّارُ مكّة ﴿**إلاّ السّاعةَ، أن تأتيَهُم**﴾: بدلُ اشتمال من «الساعةَ»، أي: ليس الأمر إلاّ أن تأتيهم ﴿**بَغْتَةً**﴾: فجْأة؟ ﴿**فقد جاءَ أشراطُها**﴾: علاماتها، منها بَعثُ النبيّ ﷺ وانشقاقُ القمر والدخانُ. ﴿**فأنّى لَهُم، إذا جاءَتْهُم**﴾ الساعةُ، ﴿**ذِكراهُم**﴾: تذكّرُهم؟ أي: لا ينفعهم.

(١٩) - ﴿**فاعلَمْ أنّهُ لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ**﴾ أي: دُمْ - يا مُحمّد - على عِلمك بذلك النافع في القيامة، ﴿**واستغفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ لأجله - قيل له ذلك مع عِصمته لتَستنّ به أُمّتُه، وقد فعله قال ﷺ: «إنّي لأستغفِرُ اللهَ في كُلِّ يومٍ مِائةَ مَرّةٍ» - ﴿**وللمُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ**﴾. فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم. ﴿**واللهُ يَعلَمُ مُتَقلَّبَكُم**﴾: مُتصرَّفكم لأشغالكم بالنهار، ﴿**ومَثواكُم**﴾: مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي: هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها. فاحذروه. والخطاب للمُؤمنين وغيرهم.

(٢٠) - ﴿**ويَقولُ الّذينَ آمَنُوا**﴾ طلبًا للجِهاد: ﴿**لَولا**﴾: هلاّ ﴿**نُزِّلَتْ سُورةٌ**﴾ فيها ذِكر الجِهاد. ﴿**فإذا أُنزِلَتْ سُورةٌ مُحكَمةٌ**﴾ أي: لم يُنسخ منها شيء، ﴿**وذُكِرَ فِيها القِتالُ**﴾ أي: طلبُه، ﴿**رأيتَ الّذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾ أي: شكٌّ - وهم المُنافقون - ﴿**يَنظُرُونَ إليكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عليهِ مِنَ المَوتِ**﴾ خوفًا منه وكراهية له، أي: فهم يخافون من القِتال ويكرهونه. ﴿**فأَولَى لَهُم**﴾: مُبتدأ خبرُه:

(٢١) - ﴿**طاعةٌ وقَولٌ مَعرُوفٌ**﴾ أي: حَسَنٌ لك، ﴿**فإذا عَزَمَ الأمرُ**﴾ أي: فُرِضَ القِتال ﴿**فلَو صَدَقُوا اللهَ**﴾ في الإيمان والطاعة ﴿**لَكانَ خَيرًا لَهُم**﴾. وجملة «لو» جوابُ: إذا.

(٢٢) - ﴿**فهَل عَسَيتُم**﴾ - بفتح السين وكسرها، وفيه التفات عن الغَيبة - أي: لعلّكم، ﴿**إن تَوَلَّيتُم**﴾: أعرضتم عن الإيمان، ﴿**أن تُفسِدُوا في الأرضِ، وتُقَطِّعُوا أرحامَكُم**﴾، أي: تعودوا إلى أمر الجاهليّة من البغي والقِتال؟ (٢٣) - ﴿**أُولئِكَ**﴾ أي: المُفسدون ﴿**الّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، فأَصَمَّهُم**﴾ عن استماع الحقّ، ﴿**وأعمَى أبصارَهُم**﴾ عن طريق الهداية. (٢٤) - ﴿**أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ**﴾ فيعرفون الحقّ؟ ﴿**أم**﴾: بل ﴿**على قُلُوبٍ**﴾ لهم ﴿**أقفالُها**﴾ فلا يفهمونه.

(٢٥) - ﴿**إنَّ الّذينَ ارتَدُّوا**﴾ بالنِّفاق ﴿**على أدبارِهِم مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشّيطانُ سَوَّلَ**﴾: زيَّن ﴿**لَهُم وأُملِيَ لَهُم**﴾، بضمّ أوّله، وبفتحِه واللامَ والمُملي: الشيطانُ بإرادته - تعالى - فهو المُضلّ لهم. (٢٦) - ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: إضلالهم ﴿**بِأنّهُم قالوا لِلّذينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ**﴾ أي للمُشركين: ﴿**سَنُطِيعُكُم في بَعضِ الأمرِ**﴾ أمر المُعاونةِ على عداوة النبيّ ﷺ وتثبيط الناس عن الجِهاد معه. قالوا ذلك سرًّا، فأظهره اللهُ تعالى. ﴿**واللهُ يَعلَمُ أسرارَهُم**﴾ بفتح الهمزة: جمع سِرّ، وبكسرها مصدر.

(٢٧) - ﴿**فكَيفَ**﴾ حالُهم، ﴿**إذا تَوَفَّتْهُمُ المَلائكةُ، يَضرِبُونَ**﴾: حالٌ من الملائكة ﴿**وُجُوهَهُم وأدبارَهُم**﴾: ظُهورهم بمقامع من حديد؟

(٢٨) - ﴿**ذلِكَ**﴾ التوفّي، على الحال المذكورة، ﴿**بِأنّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسخَطَ اللهَ، وكَرِهُوا رِضوانَهُ**﴾ أي: العملَ بما يُرضيه، ﴿**فأحبَطَ أعمالَهُم**﴾.

(٢٩) - ﴿**أم حَسِبَ الّذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ أن لَن يُخرِجَ اللهُ أضغانَهُم**﴾: يُظهِرَ أحقادهم على النبيّ ﷺ والمُؤمنين؟

﴿المغشيّ عليه﴾: مَنْ أصابَتْهُ الغشْيَةُ والسَّكرةُ. ﴿فأولى لهم﴾: قاربَهُمْ ما يهلكُهُم واللّامُ مزيدةٌ أو العقابُ أحقُّ وأوْلى لهُم. ﴿طاعة﴾: خيرٌ لهُم أو أمرُنا طاعةٌ. ﴿عزم الأمر﴾: جدَّ ولزِمَهم الجهادُ. ﴿فهل عسيتمْ﴾: فهل يُتوقَّعُ منكُم ؟ (أي يُتوقّع). ﴿توليتم﴾: الحُكمَ وكنتُم ولاةَ أمرِ الأمّةِ. ﴿أقفالها﴾: مَغاليقُها الّتي لا تفتحُ. ﴿سوّل لهم﴾: زيَّنَ وسهَّلَ لهُم خطاياهُم ومنّاهُم. ﴿أملى لهم﴾: مدَّ لهُمْ في الأمانيِّ الباطلةِ. ﴿يعلم إسرارهم﴾: إخفاءَهُم كلَّ قبيحٍ. ﴿أضغانَهم﴾: أحقادَهُم الشّديدةَ الكامنةَ.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ
﴿٣٢﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ
وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟
وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ
أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟
يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾

(٣٠) ـ ﴿ولَو نَشاءُ لَأَريناكَهُم﴾: عرّفناكهم، وكُرّرَتِ اللامُ في ﴿فلَعَرَفتَهُم بِسِيماهُم﴾: علامتِهم، ﴿ولَتَعرِفَنَّهُم﴾ ـ الواو: لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ـ ﴿في لَحنِ القَولِ﴾ أي: في معناه، إذا تكلّموا عِندك بأن يُعرّضوا بما فيه تهجينُ أمر المُسلمين. ﴿واللهُ يَعلَمُ أعمالَكُم﴾.

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

(٣١) ـ ﴿ولَنَبلُوَنَّكُم﴾: نختبرَنّكم بالجِهاد وغيره ﴿حَتَّى نَعلَمَ﴾ عِلمَ ظُهورِ ﴿المُجاهِدِينَ مِنكُم والصّابِرِينَ﴾ في الجِهاد وغيره، ﴿ونَبلوَ﴾: نُظهِرَ ﴿أخبارَكُم﴾ من طاعتكم وعِصيانكم في الجِهاد وغيره. بالياء والنون في الأفعال الثلاثة.

(٣٢) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ﴾: طريقِ ﴿اللهِ، وشاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خالفوه ﴿مِن بَعدِ ما تبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى﴾ هو معنى: سبيل الله، ﴿لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيئًا! وسَيُحبِطُ﴾ اللهُ ﴿أعمالَهُم﴾: يُبطلُها من صدَقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا. نزلتْ في المُطعِمينَ[1] من أصحاب بدر أو في قُرَيظةَ والنضيرِ[2].

(٣٣) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ، ولا تُبطِلُوا أعمالَكُم﴾[3] بالمعاصي مثلاً. (٣٤) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: طريقِه وهو الهُدى، ﴿ثُمَّ ماتُوا وهُم كُفّارٌ، فلَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم﴾. نزلتْ في أصحاب القَليب[4]. (٣٥) ـ ﴿فلا تَهِنُوا﴾: تَضعُفوا، ﴿وتَدعُوا إلَى السَّلمِ﴾ ـ بفتح السين وكسرها ـ أي: الصُّلحِ مع الكُفّار إذا لقيتُموهم، ﴿وأنتُمُ الأعلَونَ﴾، حُذف منه واوٌ لام الفعل: الأغلبون القاهرون، ﴿واللهُ مَعَكُم﴾ بالعون والنصر، ﴿ولَن يَتِرَكُم﴾: يَنقُصَكم ﴿أعمالَكُم﴾ أي: ثوابَها.

(٣٦) ـ ﴿إنَّما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ ولَهوٌ، وإن تُؤمِنُوا وتَتَّقُوا﴾ اللهَ ـ وذلك من أُمور الآخرة ـ ﴿يُؤتِكُم أُجورَكُم، ولا يَسألْكُم أموالَكُم﴾ جميعَها بل الزكاةَ المفروضة فيها. (٣٧) ـ ﴿إن يَسألْكُمُوها فيُحفِكُم﴾: يبالغْ في طلبها ﴿تَبخَلُوا، ويُخرِجْ﴾ البخلُ ﴿أضغانَكُم﴾ لِدين الإسلام. (٣٨) ـ ﴿ها أنتُم﴾ يا ﴿هؤُلاءِ تُدعَونَ لِتُنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ ما فرَضَ عليكم، ﴿فمِنكُم مَن يَبخَلُ، ومَن يَبخَلْ فإنَّما يَبخَلُ عَن نَفْسِهِ﴾ ـ يقال: بَخِلَ عليه وعنه. ﴿واللهُ الغَنِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وأنتُمُ الفُقَراءُ﴾ إليه ـ ﴿وإن تَتَوَلَّوا﴾ عن طاعته ﴿يَستَبدِلْ قَومًا غَيرَكُم﴾ أي: يجعلْهم بدلَكم، ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أمثالَكُم﴾ في التولّي عن طاعته، بل مُطيعين له، عزّ وجلّ.

﴿بسيماهمْ﴾: بعلاماتٍ نسِمُهُم بها. ﴿في لحن القول﴾: بفحوَى وأسلوبِ كلامِهِم الملتوي. ﴿لنبلونّكم﴾: لنختبرَنّكُم بالتَّكاليفِ الشَّاقَّةِ. ﴿نبْلوَ أخباركمْ﴾: نظهرَها ونكشفَها. ﴿فلا تهنوا﴾: فلا تضعفوا عن مقاتلةِ الكفَّارِ. ﴿السّلم﴾: الصُّلحِ والمُوادَعَةِ. ﴿يَتركم أعمالكم﴾: ينْقصَكُم أجورَها. ﴿فيُحْفكم﴾: يُجْهِدْكُم بطلَبِ كلِّ المالِ. ﴿أضغانكم﴾: أحقادَكُمُ الشَّديدةَ على الإسلامِ.

(١) الثعلبي (٢٤/ ٢٠٩) عن ابن عباس.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢٩).
(٣) عن أبي العاليَةِ قال: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يَرَوْنَ أنه لا يَضُرُّ مع (لا إلهَ إلاَّ إلا اللهُ) ذنبٌ، كما لا ينفعُ مع الشِّركِ عملٌ، فنزلت: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾. رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٩). عن مقاتل: نزلتْ في الذين يَمنُّونَ إذا أَسْلَموا. «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١).
(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٦) عن الكلبي قال: نزلت الآية في رؤساء أهل بدر.
وقال مقاتلٌ: نزلتْ في رجلٍ سأَلَ النبيَّ عليه السلامُ عن والده، وقال: إنه كان مُحسِناً في كُفْره، فقال: «هو في النَّار»، فولَّى الرجلُ وهو يبكي، فدعاهُ فقال: «والداكَ ووالدَيَّ ووالدُ إبراهيم في النار»، فنزلت هذه الآية. «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١، ٥٢)، وروى مسلم (٢٠٣) نحوه عن أنس رضي الله عنه دون ذكر النزول.

سورة الفتح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٢)
وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ
بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّآ
أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)

٤٨

سُورَةُ الفَتْح[1]

مدنية، تسعٌ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾: قضينا بفتح مكّة وغيرها، المُستقبلَ عَنوة بجهادك، ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾: بيّنًا ظاهرًا، (٢) ـ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه لترغب أُمّتك في الجهاد ـ وهو مُؤوّل لعِصمة الأنبياء بالدليل العقلي القاطع من الذنوب. واللام: للعِلّة الغائيّة فمدخولها مُسبَّب لا سبب ـ ﴿وَيُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُ﴾: إنعامه ﴿عَلَيكَ، وَيَهْدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾: طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يُثبّتك عليه ـ وهو دِين الإسلام ـ (٣) ـ ﴿وَيَنصُرَكَ اللهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾: ذا عِزّ لا ذلّ معه.

(٤) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الطُّمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ، لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِم﴾ بشرائع الدين، كلّما نزّل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾ ـ فلو أراد نصر دِينه بغيركم لَفعلَ ـ ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه، أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

(٥) ـ (٦) ـ ﴿لِيُدْخِلَ﴾: مُتعلّق بمحذوف، أي: أمَرَ بالجِهاد، ﴿المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ، تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ[2] خالِدِينَ فِيها، ويُكَفِّرَ عَنهُم سَيِّئاتِهِم ـ وكانَ ذلِكَ عِندَ اللهِ فَوزًا عَظِيمًا ـ ويُعذِّبَ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والمُشركِينَ والمُشركاتِ الظّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوءِ﴾، بفتح السين وضمّها في المواضع الثلاثة، ظنّوا أنه لا ينصر مُحمّدًا ﷺ والمؤمنين. ﴿عَلَيهِم دائِرَةُ السَّوءِ﴾ بالذلّ والعذاب، ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِم، وَلَعَنَهُم﴾: أبعدَهم، ﴿وَأَعَدَّ لَهُم جَهَنَّمَ، وساءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: مَرجِعًا! (٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّماواتِ والأرضِ، وكانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكه، ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه، أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

﴿فتحاً مبيناً﴾: هو صُلحُ الحديبيةِ عامَ ٦هـ. ﴿السكينة﴾: السُّكونَ والطُّمأنينةَ والثَّباتَ. ﴿ظن السوْء﴾: ظنَّ الأمرِ الفاسدِ المذموم. ﴿عليهم دائرة السّوْء﴾: دعاءٌ عليهم بالهلاكِ والدَّمارِ. ﴿تعزروه﴾: تَنصروهُ تعالى بنصْرَةِ دينِه. ﴿توقّروه﴾: تعظِّموهُ تعالى وتبجِّلوهُ. ﴿تسبّحوه﴾: تنزِّهوهُ عمَّا لا يليقُ بجلالِه. ﴿بكرة وأصيلاً﴾: غدوةً وعشيّاً، أو جميعَ النَّهارِ.

(١) عن سهل بن حُنَيفٍ أن عُمَرَ قال في الحديبية: يا رسولَ الله، ألسنا على الحقِّ وهم على الباطلِ؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلانا في الجنَّة وقتلاهم في النَّار؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدَّنِيَّة في دِيننا، أنرجعُ ولمَّا يَحكُم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطَّاب، إنِّي رسول الله، ولن يُضيِّعني الله أبدًا»، فانطلق عمرُ إلى أبي بكرٍ فقال له مثلَ ما قال للنبيِّ ﷺ، فقال: إنَّه رسولُ الله، ولن يُضيِّعَه الله أبدًا، فنزلتْ سورة الفتح فقرأها رسولُ الله ﷺ على عمرَ إلى آخرِها، فقال عمرُ: يا رسول الله، أوَفتحٌ هو؟ قال: «نعم». البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٥). وعن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ومروانَ بنِ الحَكَم قالا: نزلت سورةُ الفتحِ بين مكَّةَ والمدينةِ في شأنِ الحديبيةِ من أوّلها إلى آخِرِها. أحمد (١٨٩١٠) في آخر حديث صلح الحديبية الطويل. وعن أنس: لمَّا نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ مَرْجِعَه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزنُ والكآبةُ، وقد نحرَ الهَدْيَ بالحُديبيَة، فقال: «لقد أُنزلت عليَّ آيةٌ هي أحبُّ إليَّ من الدُّنيا جميعًا». مسلم (١٧٨٦). وعن ابن مسعودٍ: لمَّا انصرفْنا من غزوة الحديبية قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن يحرسُنا اللَّيلةَ؟» قال عبدُ الله: فقلتُ: أنا، الحديث، وفيه أن ناقة النبي ﷺ فقدت، قال عبد الله: فجئتُ بها النَّبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسول اللهِ، والذي بعثك بالحقِّ نبيًّا، لقد وجدتُ زمامها ملتويًا على شجرةٍ، ما كانت لِتَحُلَّها إلَّا يدٌ، قال: ونزلت على رسول الله ﷺ سورةُ الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. أحمد (٣٧١٠)، وإسناده ضعيف. وعن مُجمِّع بن جاريةَ: شهدْنا الحُديبيةَ مع رسولِ الله ﷺ، فلما انصرفْنا عنها إذا الناسُ يَهُزُّونَ الأباعِرَ، فقالَ بعضُ الناسِ لبعضٍ: ما للناس؟ قالوا: أُوحِيَ إلى رسولِ الله ـ ﷺ ـ فخرجْنا مع الناس نُوجِفُ، فوجدْنا النبيَّ ـ ﷺ ـ واقفاً على راحلتِه عند كُراع الغَمِيمِ، فلما اجتمعَ عليه الناسُ قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. أبو داود (٢٧٣٦). وعن عطاءٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ شَمِتُوا بالنبيِّ والمسلمين لمَّا نزلت: ﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ [الأحقاف: ٩]، فاشتدَّ ذلك على النبيِّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ فسُرَّ. الواحدي (ص: ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، وابن الجوزي (٤/ ١٢٥).

(٢) عن أنسٍ: لمَّا انصرف رسولُ اللهِ ﷺ من الحديبية نزلت عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١ ـ ٢]، قال المسلمون: يا رسولَ الله، هنيئًا لك ما أعطاك اللهُ، فما لنا؟ فنزلت: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيةَ. أحمد (١٢٢٢٦) واللفظ له، والبخاري (٤١٧٢).

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ
لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا
فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ
فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ
نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن
يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا
انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ
أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

٨ ـ ﴿**إنّا أرسَلْناكَ شاهِدًا**﴾ على أُمّتك في القِيامة، ﴿**ومُبَشِّرًا**﴾ لهم في الدنيا بالجنة، ﴿**ونَذِيرًا**﴾: مُنذرًا مُخوّفًا فيها مَن عَمِلَ سُوءًا بالنار، ٩ ـ ﴿**لِيُؤْمِنُوا باللهِ ورَسُولِهِ**﴾ ـ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ـ ﴿**ويُعَزِّرُوهُ**﴾: ينصروه، وقُرئ بزاءين مع الفَوقانيّة، ﴿**ويُوَقِّرُوهُ**﴾: يُعظّموه ـ وضميرُهما لله أو لرسوله ـ ﴿**ويُسَبِّحُوهُ**﴾ أي: اللهَ ﴿**بُكْرَةً وأَصِيلاً**﴾: بالغداة والعشيّ.

١٠ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ**﴾ بَيعةَ الرِّضوانِ بالحُدَيبيةِ ﴿**إنّما يُبايِعُونَ اللهَ**﴾ ـ هو نحو «مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فقد أطاعَ اللهَ» ـ ﴿**يَدُ اللهِ فَوقَ أيدِيهِم**﴾ التي بايعوا بها النبيَّ، أي: هو ـ تعالى ـ مُطّلع على مُبايعتهم، فيُجازيهم عليها. ﴿**فمَن نَكَثَ**﴾: نقض البيعةَ ﴿**فإنَّما يَنكُثُ**﴾: يرجِعُ وبالُ نقضِه ﴿**على نَفْسِهِ، ومَن أوفَى بما عاهَدَ عليهُ اللهَ فسَيُؤتِيهِ**﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿**أجْرًا عَظِيمًا**﴾.

١١ ـ ﴿**سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعرابِ**﴾ حولَ المدينة، أي: الذين خلّفهم الله عن صُحبتك، لمّا طلبتَهم ليخرجوا معك إلى مكّة خوفًا من تعرّض قُريش لك عام الحُديبية، إذا رجعتَ منها: ﴿**شَغَلَتْنا أموالُنا وأهلُونا**﴾ عن الخُروج معك. ﴿**فاستَغفِرْ لَنا**﴾ اللهَ مِن ترك الخُروج معك. قال تعالى مُكذّبًا لهم: ﴿**يَقُولُونَ بِألسِنَتِهِم**﴾ أي: مِن طلبِ الاستغفار وممّا قبله ﴿**ما لَيسَ في قُلُوبِهِم**﴾. فهم كاذبون في اعتذارهم.

﴿**قُلْ: فمَن**﴾ ـ استفهام بمعنى النفي ـ أي: لا أحدَ ﴿**يَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، إن أرادَ بِكُم ضَرًّا**﴾ ـ بفتح الضاد وضمّها ـ ﴿**أو أرادَ بِكُم نَفعًا؟ بَل كانَ اللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك. ١٢ ـ ﴿**بَل**﴾ ـ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ـ ﴿**ظَنَنتُم أنْ لَن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ والمُؤمِنُونَ إلَى أهلِيهِم أبَدًا، وزُيِّنَ ذلِكَ في قُلُوبِكُم**﴾ أي: أنهم يُستأصَلون بالقتل فلا يرجعون، ﴿**وظَنَنتُم ظَنَّ السَّوءِ**﴾ هذا وغيرَه، ﴿**وكُنتُم قَومًا بُورًا**﴾: جمع بائر، أي: هالكين عند الله بهذا الظنّ.

١٣ ـ ﴿**ومَن لَم يُؤمِنْ باللهِ ورَسُولِهِ فإنّا أعتَدْنا لِلكافِرِينَ سَعِيرًا**﴾: نارًا شديدة، ١٤ ـ ﴿**ولِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ، وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بما ذُكر.

١٥ ـ ﴿**سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ**﴾ المذكورون ﴿**إذا انطَلَقتُم إلَى مَغانِمَ**﴾ ـ هي مغانم خيبر ـ ﴿**لِتأخُذُوها: ذَرُونا**﴾: اتركونا، ﴿**نَتَّبِعْكُم**﴾ لنأخذَ منها. ﴿**يُرِيدُونَ**﴾ بذلك ﴿**أن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ**﴾. وفي قراءة: «كَلِمَ اللهِ» بكسر اللام، أي: مواعيدَه بغنائم خيبر أهلَ الحُديبية خاصّة. ﴿**قُلْ: لَن تَتَّبِعُونا. كَذلِكُم قالَ اللهُ، مِن قَبلُ**﴾ أي: قبل عودنا ﴿**فسَيَقُولُونَ: بَل تَحسُدُونَنا**﴾، أن نُصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك. ﴿**بَل كانُوا لا يَفقَهُونَ**﴾ من الدِّين ﴿**إلاّ قَلِيلاً**﴾ منهم.

﴿نكثَ﴾: نَقَضَ البيعةَ والعَهْدَ. ﴿المخلّفون﴾: عن صحبتِكَ في عمرةِ الحديبيةِ. ﴿لنْ يَنْقلب﴾: لن يعودَ إلى المدينةِ. ﴿قوْمًا بُوراً﴾: هالكينَ أو فاسدينَ. ﴿ذرونا نتّبعكم﴾: اتْركونا نخرجْ معَكُم لخيْبَر. ﴿كلام الله﴾: حُكمَهُ باختصاصِ أهلِ الحديبيةِ بالمغانمِ.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ
عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى
قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

(١٦) ـ ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعرابِ﴾ المذكورين اختبارًا: ﴿سَتُدعَونَ إلَى قَومٍ أُولِي﴾: أصحابِ ﴿بأسٍ شَدِيدٍ﴾ ـ قيل: هم بنو حَنيفةَ أصحاب اليمامة. وقيل: فارسُ والروم ـ ﴿تُقاتِلُونَهُم﴾: حالٌ مُقدّرة، هي المدعوّ إليها في المعنى، ﴿أو﴾ هم ﴿يُسلِمُونَ﴾ فلا يُقاتِلون. ﴿فإن تُطيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤتِكُمُ اللهُ أجرًا حَسَنًا، وإن تَتَوَلَّوا كَما تَوَلَّيتُم مِن قَبلُ يُعَذِّبكُم عَذابًا أليمًا﴾: مُؤلمًا.

الحزب ٥٢

(١٧) ـ ﴿لَيسَ علَى الأعمَى حَرَجٌ، ولا علَى الأعرَجِ حَرَجٌ ولا علَى المَريضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجِهاد، ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ يُدخِلْهُ﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، ومَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿عَذابًا أليمًا﴾.

(١٨) ـ ﴿لَقَد رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤمِنِينَ[1]، إذ يُبايِعُونَكَ﴾ بالحُدَيبية ﴿تحتَ الشَّجرةِ﴾ ـ هي سَمُرةٌ، وهم ألف وثلاثُمِائَة أو أكثر[2]، ثَمّ بايعهم على أن يناجزوا قريشًا وعلى ألاّ يفروا وعلى الموت ـ ﴿فعَلِمَ﴾ اللهُ ﴿ما في قُلُوبِهِم﴾ من الصِّدق والوفاء، ﴿فأنزَلَ السَّكِينَةَ علَيهِم، وأثابَهُم فَتحًا قَرِيبًا﴾، هو فتح خَيبرَ بعد انصرافهم من الحُدَيبية، (١٩) ـ ﴿ومَغانِمَ كَثِيرةً يأخُذُونَها﴾ من خَيبرَ.
﴿وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

(٢٠) ـ ﴿وعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرةً تأخُذُونَها﴾ من الفتوحات، ﴿فعَجَّلَ لَكُم هذِهِ﴾ غنيمةَ خيبرَ، ﴿وكَفَّ أيدِيَ النّاسِ عَنكُم﴾ في عِيالكم لمّا خرجتم وهمّت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرُّعب، ﴿ولِتَكُونَ﴾ أي: المُعجّلةُ ـ عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلَ ذلك لتشكروه ـ ﴿آيةً لِلمُؤمِنِينَ﴾ في نصرهم، ﴿ويَهدِيَكُم صِراطًا مُستَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكّلِ عليه وتفويضِ الأمر إليه ـ تعالى ـ (٢١) ـ ﴿وأُخرَى﴾: صفةُ «مغانم» مُقدّرًا مُبتدأ، ﴿لَم تَقدِرُوا علَيها﴾ هي من فارسَ والروم، ﴿قد أحاطَ اللهُ بِها﴾: عَلم أنها ستكون لكم ـ ﴿وكانَ اللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك. (٢٢) ـ (٢٣) ـ ﴿ولَو قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحُدَيبية ﴿لَوَلَّوُا الأدبارَ، ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿ولا نَصِيرًا، سُنَّةَ اللهِ﴾: مصدرٌ مؤكِّد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي: سَنَّ اللهُ[3] ذلك سُنّةً، ﴿الَّتِي قَد خَلَت مِن قَبلُ، ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلًا﴾ منه ـ ....

﴿أولي بأس شديد﴾: أصحابِ شدّةٍ وقوّةٍ في الحَرْب. ﴿حَرَجٌ﴾: إثمٌ في التّخلُّفِ عنِ الجهادِ. ﴿يبايعونك﴾: بَيْعَةَ الرِّضوانِ بالحديبيةِ. ﴿فتحاً قريباً﴾: فتحَ خَيْبر عامَ سبعٍ. ﴿أحاط الله بها﴾: أعدَّها لكُم أو حَفظَها لكُم.

(١) عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله: ﴿لقد رضي الله﴾ الآية. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٧٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٥٧) والبخاري تعليقاً (٤١٥٥) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وروى البخاري (٤١٥٣) ومسلم (١٨٥٦/ ٧٢ و٧٣) عن جابر أنهم كانوا ألفاً وخمس مئة. والبخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦/ ٦٧) عن جابر أيضاً: ألفاً وأربع مئة. وروي غير ذلك، وجمع بين الروايات بأنها بناء على عد الجميع، أو ترك الأصاغر والأتباع والأوساط أو نحو ذلك.

(٣) أي: سنَّ غَلبَةَ أنبيائِهِ سنَّةً قديمةً فيمن مضى من الأممِ، كما قالَ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ولا يبعدُ تفسيرُ السُّنَّةِ هنا بقضائِهِ وقدرِهِ. (الجمالين).

وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ
بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾
هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ
وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ
مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ
بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ
وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾
لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ
ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾

(٢٤) ـ ﴿وهوَ الَّذي كفَّ أيدِيَهُم عَنكُم وأيدِيَكُم عَنهُم بِبطنِ مَكَّةَ﴾: بالحُدَيبية، ﴿مِن بَعدِ أن أظفرَكُم عليهِم﴾. فإنّ ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليُصيبوا منكم[1]، فأُخذوا وأُتي بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم، فكان ذلك سببَ الصُّلح. ﴿وكانَ اللهُ بما يَعمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ـ بالياء والتاء ـ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

(٢٥) ـ ﴿هُمُ الَّذينَ كَفَرُوا وصَدُّوكُم عَنِ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: عن الوصول إليه، ﴿والهَدْيَ﴾: معطوفٌ على «كُم» ﴿مَعكُوفًا﴾: محبوسًا حالٌ، ﴿أن يَبلُغَ مَحِلَّهُ﴾ أي: مكانَه الذي يُنحر فيه عادة ـ وهو الحَرَم ـ بدلُ اشتمال، ﴿ولَولا رِجالٌ مُؤمِنُونَ ونِساءٌ مُؤمِناتٌ﴾[2] موجودون بمكّة مع الكفار، ﴿لَم تَعلَمُوهُم﴾ بصفة الإيمان، ﴿أن تَطَؤُوهُم﴾ أي: تقتلوهم مع الكُفّار لو أُذِنَ لكم في الفتح، بدلُ اشتمال من «هم»، ﴿فتُصِيبَكُم مِنهُم مَعَرَّةٌ﴾: إثم ﴿بِغَيرِ عِلمٍ﴾ منكم به. وضمائر الغَيبة للصِّنفين بتغليب الذكور، وجواب «لولا» محذوف، أي: لأُذِنَ لكم في الفتح.

لكن لم يُؤذَن فيه حينئذ ﴿لِيُدخِلَ اللهُ في رَحمَتِهِ مَن يَشاءُ﴾ كالمُؤمنين المذكورين. ﴿لَو تَزَيَّلُوا﴾: تميّزوا عن الكُفّار ﴿لَعَذَّبنا الَّذينَ كَفَرُوا مِنهُم﴾: من أهل مكّة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذابًا أليمًا﴾ مؤلمًا، (٢٦) ـ ﴿إذ جَعَلَ﴾، مُتعلّق بـ «عذّبنا»، ﴿الَّذينَ كَفَرُوا﴾: فاعلٌ ﴿في قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ﴾: الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ﴾: بدلٌ من «الحميّة» وهي صدّهم النبيَّ وأصحابه عن المسجد الحرام، ﴿فأنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وعلى المُؤمِنِينَ﴾، فصالحوهم على أن يعودوا من قابلٍ، ولم يَلحقهم من الحميّة ما لحق الكُفّار حتّى يقاتلوهم، ﴿وألزَمَهُم﴾ أي: المُؤمنين ﴿كَلِمَةَ التَّقوى﴾: «لا إلـٰه إلّا اللهُ مُحمّد رسول الله»، وأُضيفت إلى التقوى لأنها سببها، ﴿وكانُوا أحَقَّ بِها﴾: بالكلمة من الكُفّار ﴿وأهلَها﴾: عطفٌ تفسيريّ. ﴿وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك، ومن معلومه ـ تعالى ـ أنهم أهلها.

(٢٧) ـ ﴿لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيا بِالحَقِّ﴾. رأى رسول الله ﷺ في النوم عامَ الحُدَيبية قبلَ خروجه أنه يدخل مكّة هو وأصحابه آمنين ويُحلّقون ويُقصّرون[3]، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا. فلمّا خرجوا معه وصدّهم الكُفّار بالحُديبية، ورجَعوا وشقّ عليهم ذلك وراب بعض المنافقين، نزلتْ. وقوله «بالحق» مُتعلّق بـ «صدق» أو حال من الرؤيا، وما بعدها تفسير لها وهي: ﴿لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرامَ، إن شاءَ اللهُ﴾ للتبرّك، ﴿آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُم﴾ أي: جميعَ شُعورها ﴿ومُقَصِّرِينَ﴾ بعضَ شُعورها ـ وهما حالان مُقدّرتان ـ ﴿لا تَخافُونَ﴾ أبدًا، ﴿فعَلِمَ﴾ في الصُّلح ﴿ما لَم تَعلَمُوا﴾ من الصلاح، ﴿فجَعَلَ مِن دُونِ ذلِكَ﴾ أي: الدخولِ ﴿فتحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبرَ، وتحقّقت الرؤيا في العام القابل.

﴿ببطن مكّة﴾: بالحديبيةِ قربَ مكَّةَ. ﴿أظفركم عليهم﴾: أظهرَكُم عليهم وأعلاكُم. ﴿الهدْيَ﴾: البُدْنَ الَّتي سَاقَها الرَّسولُ ﷺ. ﴿مَعْكوفاً﴾: مَحْبوساً. ﴿مَحلّه﴾: المكانَ الَّذي يحلُّ فيهِ نحرُهُ. ﴿تطئوهم﴾: تُهلكوهُمْ مَعَ الكفَّارِ. ﴿معَرَّة﴾: مَكروهٌ ومشقَّةٌ، أو سُبَّةٌ. ﴿تزيّلوا﴾: تميَّزوا مِنَ الكفَّارِ في مكَّةَ. ﴿الحميّة﴾: الأنفةَ والغضبَ الشَّديدَ. ﴿سكينته﴾: الاطمئنانَ والوقارَ. ﴿كلمة التقوى﴾: كلمةَ التَّوحيدِ والإخلاصِ. ﴿فتحاً قريباً﴾: صلحَ الحديبيةِ أو فتحَ خَيْبر. ﴿ليُظهرَه﴾: ليُعليَهُ ويُقوِّيَهُ.

(١) رواه مسلم (١٨٠٨) من حديث أنس رضي الله عنه. وعن عبد الله بن مغفَّل رضي الله عنه: فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟» فقالوا: اللهم لا. فخلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾. أحمد (١٦٨٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٤٧)، والطبري (٢١/ ٢٨٨)، والحاكم (٣٧١٦). وفي حديث الحديبية الطويل عن المسور ومروان وما جرى من كتاب الصلح فيه: أنه لا يأتي النبي ﷺ من المشركين رجلٌ وإنْ كان على دِينِه إلَّا رَدَّه إليهم، ثم قصة إسلام أبي بصير واجتماع المؤمنين الهاربين من مكة معه، واعتراضهم قوافل قريش، قالا: فأرسلت قريشٌ إلى النبيِّ ﷺ تناشدُه بالله والرَّحِم لمَّا أرسل، فمَن أتاه فهو آمِنٌ، فأرسل النبيُّ ﷺ إليهم، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيديكم عنهم ببطن مكّة من بعد أنْ أظفركم عَلَيْهِمْ﴾ حتَّى بلغ ﴿الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّة﴾ [٢٦]. رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) عن أبي جمعة جُنْبُذ بن سَبُع: قاتلتُ النبيَّ ﷺ أولَ النَّهار كافرًا، وقاتلتُ معه آخِرَ النهارِ مُسلِمًا، وكنَّا ثلاثةَ رجالٍ وسبعَ نسوةٍ، وفينا أنزلت هذه الآية. رواه أبو يعلى (١٥٦٠)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (١/ ١٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٠٤). قال في «المجمع» (٩/ ٣٩٨): رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٣) الطبري (٢١/ ٣١٧) عن ابن زيد.

(٢٨) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ﴾ أي: دِينَ الحقّ ﴿علَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: على جميع باقي الأديان. ﴿وكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ أنك مُرسَل بما ذُكر! كما قال تعالى: (٢٩) ـ ﴿مُحَمَّدٌ﴾: مُبتدأ ﴿رَسُولُ اللهِ﴾: خبرُه، ﴿والَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المُؤمنين، مبتدأ خبرُه: ﴿أَشِدّاءُ﴾: غِلاظٌ ﴿علَى الكُفّارِ﴾ لا يرحمونهم، ﴿رُحَماءُ بَينَهُم﴾: خبرٌ ثانٍ أي: مُتعاطفون مُتوادّون كالوالد مع الولد، ﴿تَراهُم﴾: تُبصِرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: حالان ـ ﴿يَبتَغُونَ﴾: مُستأنف يطلبون ﴿فَضلاً مِنَ اللهِ ورِضوانًا ـ سِيماهُم﴾: علامتهم مبتدأ ﴿في وُجُوهِهِم﴾: خبرُه ـ وهو نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ـ ﴿مِن أثَرِ السُّجُودِ﴾: مُتعلّق بما تعلّق به الخبر، أي: كائنةٌ، وأُعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر.

ربع الحزب ٥٢

﴿ذلِكَ﴾ أي: الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُم﴾: صفتُهم ﴿في التَّوراةِ﴾: مبتدأ وخبرٌ، ﴿ومَثَلُهُم في الإنجِيلِ﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿كَزَرعٍ أخرَجَ شَطْأَهُ﴾، بسكون الطاء وفتحها: فِراخَه ﴿فآزَرَهُ﴾، بالمدّ والقصر: قوّاه وأعانه، ﴿فاستَغلَظَ﴾: غلُظَ، ﴿فاستَوَى﴾: قويَ واستقام ﴿علَى سُوقِهِ﴾: أُصوله جمع ساق، ﴿يُعجِبُ الزُّرّاعَ﴾ أي: زُرّاعه، لحُسنه ـ مثّلَ الصحابةَ رضي الله عنهم بذلك، لأنهم بدؤوا في قِلّة وضعف، فكثروا وقَوُوا على أحسن الوجوه ـ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمِ الكُفّارَ﴾: مُتعلّق بمحذوف دلّ عليه ما قبله، أي: شُبّهوا بذلك. ﴿وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالِحاتِ مِنهُم﴾: للبيان ﴿مَغفِرةً وأجْرًا عَظِيمًا﴾: الجنّة. وهما لمن بعدهم أيضًا في آيات.

مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى
ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا (٢٩)

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟
أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ
ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)

* * *

٤٩

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

مدنية، ثمانيْ عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُقَدِّمُوا﴾ ـ مِن: قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ ـ أي: لا تَقدَّمُوا بقول أو فعل ﴿بَينَ يَدَيِ اللهِ ورَسُولِهِ﴾ المُبلِّغ عنه، أي: بغير إذنهما، ﴿واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم. نَزلتْ في مُجادلة أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما على النبيّ ﷺ في تأمير الأقرعِ بن حابس أو القعقاعِ بن مَعبد[1].

ونَزل فيمن رفع صوته، عند النبيّ ﷺ[2]: (٢) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَرفَعُوا أصْواتَكُم﴾ إذا نطقتم ﴿فَوقَ صَوتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق، ﴿ولا تَجهَرُوا لَهُ بِالقَولِ﴾ إذا ناجَيتُموه ﴿كَجَهرِ بَعضِكُم لِبَعضٍ﴾، بل دُونَ ذلك إجلالاً له ﴿أن تَحبَطَ أعمالُكُم وأنتُم لا تَشعُرُونَ﴾ أي: خشيةَ ذلك بالرفع والجهر المذكورَين.

ونَزل فيمن كان يَخفِض صوته عند النبيّ ﷺ كأبي بكر وعُمر وغيرهما رضي الله عنهم[3]: (٣) ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصْواتَهُم عِندَ رَسُولِ اللهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امتَحَنَ اللهُ﴾: اختبر ﴿قُلُوبَهُم لِلتَّقوَى﴾ أي: لتظهر منهم، ﴿لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ عَظِيمٌ﴾: الجنّة.

﴿سِيماهم﴾: علامَتهُمْ. ﴿مَثَلهمْ﴾: وَصْفُهُمُ العجيبُ. ﴿أخرَج شطْأه﴾: فِرَاخَهُ المتفرّعةَ في جوانبِهِ. ﴿فآزره﴾: فقوَّى ذلكَ الشَّطءَ الزَّرعَ. ﴿فاسْتغلظ﴾: فصارَ غليظاً. ﴿فاستوى على سوقه﴾: فاستقامَ على أصولِهِ وجُذوعِهِ.
﴿لا تقدّموا﴾: لا تقطعوا أمراً وتجزموا بهِ. ﴿أن تحبط أعمالكم﴾: كراهةَ أن تبطلَ أعمالُكُم. ﴿يغضون أصواتهمْ﴾: يَخفضونَها ويُخافتونَ بها. ﴿امتحن الله قلوبَهم﴾: أخلصَها وصفَّاها. ﴿الحجرات﴾: حجراتِ زوجاتِهِ ﷺ.

(١) البخاري (٤٣٦٧) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. (٢) مسلم (١١٩) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) رواه في شأن أبي بكر رضي الله عنه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه. وفي شأن عمر رضي الله عنه البخاري (٧٣٠٢) من حديث ابن الزبير رضي الله عنهما.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

ونزَل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة، والنبيّ ﷺ في منزله[1]، فنادَوه: ﴿٤﴾ ـ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**﴾: حُجرات نِسائه ﷺ جمع حُجْرة، وهي ما يُحجَر عليه من الأرض بحائط ونحوه ـ كأنّ كُلّ واحد منهم نادى خلف حُجرة لأنهم لم يَعلموه: في أيِّها؟ مُناداةَ الأعراب بغِلظة وجفاء ـ ﴿**أَكْثَرُهُمْ لا يَعقِلُونَ**﴾، فيما فعلوه، محلِّك الرفيعَ وما يُناسبه من التعظيم، ﴿٥﴾ ـ ﴿**ولَو أَنَّهُم صَبَرُوا**﴾ ـ أنهم: في محلّ رفع بالابتداء، وقيل: فاعلٌ لفعل مقدّر أي: ثَبَتَ ـ ﴿**حَتَّى تَخرُجَ إِلَيهِم لكانَ خَيرًا لَهُم. واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ لمن تاب منهم.

ونزَل في الوليد بن عُقبة[2]، وقد بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصطلق مُصدِّقًا، فخافهم لتِرةٍ كانت بينه وبينهم في الجاهليّة[3]، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهمّوا بقتله. فهمَّ النبيّ ﷺ بغزوهم، فجاؤوا مُنكِرين ما قاله عنهم: ﴿٦﴾ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن جاءَكُم فاسِقٌ بنَبَإٍ**﴾: خبرٍ ﴿**فتَبَيَّنُوا**﴾ صِدقَه من كَذِبه ـ وفي قِراءة: «فتَثَبَّتُوا» من الثَّبات ـ ﴿**أن تُصِيبُوا قَومًا**﴾: مفعولٌ له، أي: خشيةَ ذلك، ﴿**بِجَهالَةٍ**﴾: حالٌ من الفاعل، أي: جاهلين، ﴿**فتُصبِحُوا**﴾: تصيروا ﴿**على ما فَعَلتُم**﴾ من الخطأ بالقوم ﴿**نادِمِينَ**﴾. فأرسل ﷺ إليهم بعد عودتهم إلى بلادهم خالدًا، فلم يَرَ فيهم إلاّ الطاعة والخير، فأخبر النبيَّ بذلك.

﴿٧﴾ ـ ﴿**واعلَمُوا أنَّ فِيكُم رَسُولَ اللهِ**﴾، فلا تقولوا الباطل فإنّ الله يُخبره بالحال، ﴿**لَو يُطِيعُكُم في كَثِيرٍ مِنَ الأمرِ**﴾ الذي تُخبرون به على خِلاف الواقع، فيُرتِّبُ على ذلك مُقتضاه، ﴿**لَعَنِتُّم**﴾: لَأثِمتم دونَه إثمَ التسبّب إلى المُرتَّب، ﴿**ولكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إلَيكُمُ الإيمانَ، وزَيَّنَهُ**﴾: حسّنه ﴿**في قُلُوبِكُم، وكَرَّهَ إلَيكُمُ الكُفرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ**﴾. استدراكٌ من حيثُ المعنى دُون اللفظ، لأنّ مَن حُبِّبَ إليه الإيمانُ إلى آخره غايرتْ صِفتُه صِفةَ مَن تقدّم ذِكره. ﴿**أُولئِكَ هُمُ**﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب ـ ﴿**الرّاشِدُونَ**﴾: الثابتون على دِينهم، ﴿٨﴾ ـ ﴿**فَضلًا مِنَ اللهِ**﴾: مصدر منصوب بفعله المُقدّر، أي: أفضَلَ ﴿**ونِعمَةً**﴾ منه، ﴿**واللهُ عَلِيمٌ**﴾ بهم ﴿**حَكِيمٌ**﴾ في إنعامه عليهم.

﴿٩﴾ ـ ﴿١٠﴾ ـ ﴿**وإن طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ ـ الآيةَ نزلتْ في قضيّة[4]، هي أنّ النبيّ ﷺ ركب حِمارًا ومرّ على ابن أُبيٍّ، فبال الحِمار فسدّ ابن أُبيٍّ أنفه، فقال ابنُ رَواحة: واللهِ لَبولُ حِمارِه أطيبُ رِيحًا من مِسكِك. فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسَّعف ـ ﴿**اقتَتَلُوا**﴾، جُمِعَ نظرًا إلى المعنى لأنّ كُلّ طائفة جماعةٌ ـ وقُرئ: «اقتَتَلَتا» ـ ﴿**فأصلِحُوا بَينَهُما**﴾. ثُنّيَ نظرًا إلى اللفظ، ﴿**فإن بَغَتْ**﴾: تعدّتْ ﴿**إحداهُما على الأُخرى فقاتِلُوا الَّتِي تَبغِي حَتَّى تَفِيءَ**﴾: ترجع ﴿**إلَى أمرِ اللهِ**﴾: الحقّ، ﴿**فإن فاءَتْ فأصلِحُوا بَينَهُما بالعَدلِ**﴾: بالإنصاف، ﴿**وأقسِطُوا**﴾: اعدِلوا. ﴿**إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ. إنَّما المُؤمِنُونَ إخوَةٌ**﴾ في الدِّين. ﴿**فأصلِحُوا بَينَ أخَوَيكُم**﴾ إذا تنازعا ـ وقُرئ: «إخوَتِكُم» بالفوقانيّة ـ ﴿**واتَّقُوا اللهَ**﴾ في الإصلاح، ﴿**لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ**﴾.

﴿لعَنتّم﴾: لأثمْتُم وهلَـكتُم. ﴿بغَتْ﴾: اعتدَتْ واسْتطالَتْ وأبَتِ الصُّلحَ. ﴿تفيء﴾: ترْجعَ. ﴿أقسطوا﴾: اعدلوا في كلِّ أمورِكُم. ﴿المقسطين﴾: العادلينَ فيُحْسِنُ جزاءَهُم. ﴿لا يسْخرْ﴾: لا يهْزأْ ولا ينتقصْ. ﴿لا تلمزوا أنفسكم﴾: لا يَعِبْ ولا يَطْعَنْ بعضُكُم بعضاً. ﴿لا تنابزوا بالألقاب﴾: لا تداعوْا بالألقابِ المستكرَهةِ.

(١) رواه الطبري (٢١/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٥١٢٣)، قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٨): فيه داود بن راشد الطفاوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (١٨٤٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٩٥)، من حديث الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضي الله عنه، قال في «مجمع الزوئد» (٧/ ١٠٩): «رجال أحمد ثقات». وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما رواه أحمد عن الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها». وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٥٥٣) إجماع العلماء على أنها نزلت في الوليد بن عقبة.

(٣) رواه الطبري (٢١/ ٣٥٣) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

(٤) رواه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩)، من حديث أنس رضي الله عنه. وروى الطبري (٢١/ ٣٦٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٤)، عن السدي ما ملخصه: أنها نزلت في خلاف بين رجل من الأنصار وزوجته، فوقع التدافع والتجالد بالنعال بين أهله وأهلها. وعن سعيد بن جبير: أنَّ الأوسَ والخزرجَ كان بينهُما حربٌ في عهدِ رسولِ الله ﷺ بالسَّعَفِ والنِّعال، فنزلت فيهم هذه الآيةُ. ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٤). قال قتادةُ: نزلَتْ في رجلينِ اختصَما في مالٍ، فجرَّ قومُ المدَّعِي المدَّعى عليه، فجاء قومُ المدَّعَى عليه فمَنَعوه، فوقعَ بينهم قتالٌ بالأيدِي والنِّعال. الطبري (٢١/ ٣٦١).

(١١) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا يَسخَرْ﴾ ـ الآيةُ نزلتْ في وفدِ تميمٍ حين سخروا من فُقراء المُسلمين كعمّارٍ وصُهيب[١]. والسخرية: الازدراء والاحتقار ـ ﴿قَومٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿مِن قَومٍ ـ عَسَى أن يَكُونُوا خَيرًا مِنهُم﴾ عِند الله ـ ﴿ولا نِساءٌ﴾ منكم ﴿مِن نِساءٍ ـ عَسَى أن يَكُنَّ خَيرًا مِنهُنَّ ـ ولا تَلمِزُوا أنفُسَكُم﴾: لا تَعيبوا فتُعابوا، أي: لا يَعِبْ بعضكم بعضًا، ﴿ولا تَنابَزُوا بِالألقابِ﴾: لا يدعو بعضكم بعضًا بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسقُ ويا كافرُ. ﴿بِئسَ الاِسمُ﴾ أي: المذكورُ من السُّخريةِ واللمزِ والتنابزِ ﴿الفُسُوقُ بَعدَ الإيمانِ﴾! بدلٌ من الاسم، لإفادة أنه فِسق لتكرّره عادةً، ﴿ومَن لَم يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

(١٢) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اجتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ـ إنَّ بَعضَ الظَّنِّ إثمٌ﴾ أي: مُؤثِمٌ. وهو كثيرٌ كظنّ السَّوء بأهل الخير من المُؤمنين وهم كثير، بخِلافه بالفُسّاق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ـ ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾، حُذف منه إحدى التاءين: لا تَتَبَّعُوا عوراتِ المُسلمين ومعايبَهم بالبحث عنها، ﴿ولا يَغتَبْ بَعضُكُم بَعضًا﴾[٢]: لا يذكرْه بشيء يكرهه، وإن كان فيه ـ ﴿أيُحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحمَ أخِيهِ مَيْتًا﴾، بالتخفيف والتشديد، أي: لا يُحِسّ به؟ لا، ﴿فكَرِهتُمُوهُ﴾ أي: فاغتيابُه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عُرض عليكم الثاني فكرهتموه. فاكرهوا الأوّل ـ ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ أي: عِقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه. ﴿إنَّ اللهَ تَوّابٌ﴾: قابلُ توبةَ التائبين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

نصف الحزب ٥٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ
إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن
قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ
وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ
غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿كثيرًا من الظنّ﴾: هوَ ظنُّ السُّوءِ بأهلِ الخيرِ. ﴿لا تجسّسوا﴾: لا تتبعوا عوْراتِ المسلمينَ. ﴿فكرهتموه﴾: فقد كرهتُموهُ فلا تفعلوهُ. ﴿آمنّا﴾: صدَّقنا بقلوبِنا وألسنتِنا. ﴿لمْ تؤمنوا﴾: لمْ تصدِّقوا بقلوبِكُم. ﴿أسْلمْنَا﴾: استسلمْنا خَوفاً وطمعاً. ﴿لا يَلتكمْ﴾: لا ينْقصْكُمْ. ﴿أتعلّمون الله بدينكم﴾: أتخبرونَهُ بقوْلِكُم آمنّا.

(١) رواه ابن أبي حاتم عن مقاتل كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٦٣)، وذكره الثعلبي (٩/ ٧٩)، والبغوي (٧/ ٣٤٣)، عن الضحاك. وقال أبو جَبيرةَ: نزلت الآيةُ فينا بني سَلِمَةَ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ قدِمَ المدينة ولم يكن منا رجلٌ إلا وله اسمان أو ثلاثةٌ، فكان الرجل يُدْعى بأحد أسمائه، فيكرَهُه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. أحمد (١٨٢٨٨)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٢٦٨)، (٢١/ ٣٦٨)، والحاكم (٧٧٥٥). قال الترمذي: حسن صحيح. قلت: إن صحت صحبة أبي جبيرة بن الضحاك. وعن ابن عباس: نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمَّاسٍ، كان في أذنِهِ وَقْرٌ، وكان إذا أتَى رسولَ الله ﷺ أوْسَعوا له حتى يجلسَ إلى جَنْبِه عليه السلام فيَسمعُ ما يقولُه، فجاء يوماً وقد أخَذَ الناسُ مجالسَهم، فجَعَل يَتخطَّى رقابَ الناس ويقولُ: تفسَّحوا تفسَّحوا، فقال له رجلٌ: أصَبْتَ مجلساً فاجْلِسْ، فجلَس ثابتٌ مغضَباً، ثم قال للرجلِ: يا فلانَ ابنَ فُلانةَ، وذكَر أمَّا له يُعيَّر بها في الجاهلية، فنكَس الرجلُ استحياءً، فأنْزلَ اللهُ هذه الآيةَ. الثعلبي (٢٤/ ٣٧٤)، والواحدي (ص: ٣٩٣)، والبغوي (٧/ ٣٤٢)، وابن الجوزي (٤/ ١٤٨). قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٥٧): ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند. وقال مقاتلٌ: نزلت في أبي مالكٍ وعبد الله بن أبي حَدْرَدٍ، وذلك أنَّ عبدَ الله قال لأبي مالكٍ: يا أعرابيُّ، فقال له أبو مالكٍ: يا يهوديُّ، فقال النبي ﷺ لهما: «لا تدخُلا عليَّ حتى يُبيِّنَ اللهُ توبتكما»، فأوثَقا أنفسَهما إلى ساريةِ المسجد، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ. «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٣)، وعنه الماوردي (٥/ ٣٣٣). وقيل: نزلَت في خالدِ بنِ الوليدِ، فإنَّه ذكرَ عماراً مرَّةً فنالَ منه. ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» (١٣/ ٥٠٨) دون نسبة. وعن أنس: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر. ذكره دون سند الثعلبي (٢٤/ ٣٧٦)، والواحدي (ص: ٣٩٣)، والبغوي (٧/ ٣٤٣)، وابن الجوزي (٤/ ١٤٩). وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: إنَّ النساء يعيرنني، ويقلن: يا يهودية بنت يهوديَّين، فقال رسول الله ﷺ: «هلا قلت: إنَّ أبي هارون، وإنَّ عمي موسى، وإنَّ زوجي محمد» فأنزل الله عز وجل هذِه الآية. الثعلبي (٢٤/ ٣٧٦)، والواحدي (ص: ٣٩٣). وروى نحوه الترمذي (٣٨٩٤) وصححه من حديث أنس رضي الله عنه دون ذكر نزول الآية، وروى نحوه أيضاً دون ذكر نزول الآية الترمذي (٣٨٩٢) من حديث صفية رضي الله عنها، وقال: غريب وليس إسناده بذاك. وقيل: نزلت في امرأتين مِن أزواج النبيِّ ﷺ سخِرَتا مِن أُمِّ سلَمةَ، وذلك أنَّ أُمَّ سلَمةَ ربَطَتْ أحد طرفي جلبابها على حَقْوها، وأرخت الطرف الآخر خلفها، ولا تعلم، فقالت إحداهما للأخرى: انظُري ما تجرُّ خَلْفَها. الثعلبي (٩/ ٨١)، والواحدي (ص: ٣٩٣)، وعزاه ابن الجوزي (٤/ ١٤٩) لأبي صالح عن ابن عباس. وهي رواية الكلبي.

(٢) عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجل أكله ورقاده فنزلت. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٨٢). وعن مقاتل في قوله: ﴿وَلَا يغتب بَعْضكُم بَعْضًا﴾ قال: نزلت في رجل كان يخدم النَّبي ﷺ أرسل بعض الصَّحابة إليه يطلب منه إداماً فَمَنع، فقالوا له: إِنَّه لبخيل وخيم، فَنزلتم. ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٠).

سُورَةُ قٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ
فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ
رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾
أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ
وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا
لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ
لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

﴿١٣﴾ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، إنّا خَلَقْناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثى﴾[1]: آدمَ وحوّاءَ، ﴿وجَعَلْناكُم شُعُوبًا﴾: جمعُ شَعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب، ﴿وقَبائلَ﴾ هي دُون الشُّعوب، وبعدَها العمائرُ ثمّ البطونُ ثمّ الأفخاذُ ثمّ الفصائلُ آخِرُها ـ مثاله خُزَيمةُ: شعبٌ، كِنانةُ: قبيلة، قُريشُ: عِمارة بكسر العين، قُصيٌّ: بطن، هاشمٌ: فخِذ، العبّاسُ: فَصِيلة ـ ﴿لِتَعارَفُوا﴾، حُذف منه إحدى التاءين: ليَعرِفَ بعضُكم بعضًا لا لتتفاخروا بعلوّ النسب. وإنما الفخر بالتقوى ﴿إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم. إنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

﴿١٤﴾ ـ ﴿قالَتِ الأعرابُ﴾ نفرٌ من بني أسد: ﴿آمَنّا﴾[2]: صدّقنا بقُلوبنا. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَم تُؤمِنُوا، ولكِن قُولُوا: أسلَمْنا﴾ أي: انقَدْنا ظاهرًا.

﴿ولَمّا﴾ أي: لم ﴿يَدخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُم﴾ إلى الآنَ، لكنّه يُتوقّع منكم، ﴿وإن تُطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لا يَلِتْكُم﴾، بالهمز وتركِه، وبإبداله ألفًا: لا يَنقُصْكم ﴿مِن أعمالِكُم﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيئًا. إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمُؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. ﴿١٥﴾ ـ ﴿إنَّما المُؤمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم كما صرّح به بعدُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ، ثُمَّ لَم يَرتابُوا﴾: لم يَشكّوا في الإيمان، ﴿وجاهَدُوا بِأمْوالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ﴾. فجِهادُهم يُظهر صِدقَ إيمانهم. ﴿أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾ في إيمانهم لا مَن قالوا: آمنّا. ولم يُوجد منهم غيرُ الإسلام.

﴿١٦﴾ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُم﴾ ـ مضعّفُ «عَلِمَ» بمعنى شَعَرَ ـ أي: أتُشعِرونه بما أنتم عليه في قولكم: آمنّا، ﴿واللهُ يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾؟

﴿١٧﴾ ـ ﴿يَمُنُّونَ علَيكَ أن أسلَمُوا﴾[3] من غير قِتال، بخِلاف غيرهم ممّنِ أسلم بعد قِتال منهم. ﴿قُلْ: لا تَمُنُّوا علَيَّ إسلامَكُم﴾: منصوبٌ بنزع

﴿والقرآن﴾: قسمٌ جوابُهُ لتبعثنَّ. ﴿رَجْع بعيدٌ﴾: رجوعٌ إلى الحياةِ غيرُ ممكنٍ. ﴿أمرٍ مريج﴾: مختلطٍ مضطربٍ. ﴿فروج﴾: فتوقٍ وشقوقٍ. ﴿الأرض مددناها﴾: بسطْناها للاستقرارِ عليها. ﴿رواسيَ﴾: جبالاً ثوابتَ تمنعُها المَيَدَانَ. ﴿زَوْج بهيج﴾: صِنْفٍ حسنٍ نضرٍ. ﴿عبد منيب﴾: راجعٍ إلينا مذعنٍ بقدرتِنا. ﴿حبّ الحصيد﴾: حبَّ الزَّرعِ الَّذي يحصدُ. ﴿النخل باسقات﴾: طوالاً. أو حواملَ. ﴿لها طلعٌ﴾: هوَ ثمرُها ما دامَ في وعائِهِ. ﴿نضيد﴾: متراكمٌ بعضُهُ فوقَ بعضٍ. ﴿كذلك الخروج﴾: مِنَ القبورِ أحياءً عندَ البعثِ. ﴿أصحاب الرّس﴾: البئرِ، رسُّوا نبيَّهُم فيها فأُهلكوا. ﴿أصحاب الأيكة﴾: سُكَّانُ الغيضةِ الكثيفةِ الملتفَّةِ الشَّجرِ (قوم شعيبٍ). ﴿قوم تبع﴾: أبو كَرِبٍ الحِمْيَريّ ملِكِ اليَمَنِ. ﴿أفعيينا بالخلق﴾: أفعجزْنا عنهُ ـ كلَّا. ﴿في لَبْسٍ﴾: خَلْطٍ وشبهةٍ وشكٍّ.

(١) عن ابن عباس: نزلتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ حينَ قال: فلانُ ابنُ فلانةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن الذّاكِرُ فلانةَ؟» فقال ثابت: أنا يا رسولَ الله، فقال: «انظُرْ في وجوهِ القومِ، ما رأيتَ؟» قال: رأيتُ أبيضَ وأسودَ وأحمرَ، قال: «فإنَّكَ لا تَفْضُلُهم إلا بالتَّقوى والدِّين» فأَنْزَلَ اللهُ هذه الآيَةَ. الثعلبي (٢٤/ ٣٩٩)، والواحدي (ص: ٣٩٤)، وذكره في «البسيط» (٢٠/ ٣٦٣) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه لكن دون ذكر الآية الحارث ابن أبي أسامة كما في «بغية الباحث» (٨٥٥) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. وفيه مجالد بن سعيد ضعيف، وعنه الخليل بن زكريا البصري عامة أحاديثه مناكير لا يتابع عليها. انظر: «الكامل» لابن عدي (٣/ ٥٠٩ ـ ٥١١). مقاتلٌ: لمَّا كان يومُ فتحِ مكةَ أَمَر رسولُ اللهِ ﷺ بلالاً حتى أذَّن على ظهرِ الكعبة، فقال الحارثُ بنُ هشام: أمَا وَجَد محمدٌ غيرَ هذا الغُرابِ الأسودِ مؤذِّناً؟! وتكلم بعضٌ بنحو هذا، فأخبر جبريلُ النبيَّ عليهما السلامُ بما قالوا، فدَعاهم وسألَهم عمَّا قالوا فأَقَرُّوا، فأَنزَلَ اللهُ تعالى هذه الآيَةَ. «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٧). وعن ابن أبي مليكة نحوُه، رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٠٦)، والواحدي (ص: ٣٩٥). وعن يزيد بن شجرة: كان رسول الله ﷺ ذات يوم يمرّ ببعض أسواق المدينة، فإذا غلام أسود قائم ينادى عليه ليباع، وكان الغلام يشترط لمن اشتراه ألا يمنعه عن الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ، فاشتراه رجل على هذا الشرط، ثم فقده رسول الله ﷺ فقال صاحبه: محموم يا رسول الله، فذهب مع الصحابة يعودوه، وبعد أيام توفي الغلام، فتولّى رسول الله ﷺ غسله وتكفينه ودفنه، فدخل على المهاجرين والأنصار من ذلك أمر عظيم لشدة اعتناء النبي ﷺ بأمره، فأراهم الله فضل التقوى فأنزل: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ﴾ الآية. الثعلبي (٢٤/ ٤٠٠)، والواحدي (ص: ٣٩٥).

(٢) نزلَت في أعرابٍ من بني أسدِ بنِ خزيمةَ قدموا المدينةَ في سنةٍ جَدْبةٍ، وأظهروا الشَّهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السِّرِّ، وأفسدوا طُرقَ المدينةِ بالعذرات، وأغلَوا أسعارَها، وكانوا يقولون: أتيناك بالعيالِ والأثقال، ولم نقاتلْك كما قاتلَك بنو فلان، فأعطِنا من الصَّدقة. وكانوا يَمنُّون عليه. الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٥٩)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٣/ ٥٢٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ودون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٨)، والواحدي (ص: ٣٩٦). وقيلَ: نزلَت في الأعرابِ الذين تخلَّفُوا عنه عامَ الحُدَيبية. مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٩٨)، وذكره الثعلبي (٢٤/ ٤٠٩)، وأبو حفص النسفي في «التيسير» (١٣/ ٥٢٣)، عن السدي.

(٣) عن عبد الله بن أبي أوفى: أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان، فنزلت الآية. «المعجم الأوسط» (٨٠١٦) بسند حسن كما في «لباب النقول» (ص: ١٨٢). وروى البزار (٥١٤١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٥٥)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وفيه أنهم بنو أسد. =

وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ
مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ (١٦) إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ
قَعِيدٞ (١٧) مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ (١٨) وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ
ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ
يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ (٢٠) وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ (٢١) لَّقَدۡ
كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ
(٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٖ (٢٤) مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ (٢٥) ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ (٢٦) ۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ (٢٧) قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ
إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (٢٩)
يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ (٣٠) وَأُزۡلِفَتِ
ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ
(٣٢) مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ (٣٣) ٱدۡخُلُوهَا
بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ (٣٥)

الخافض الباء، ويُقدّر قبل «أن» في الموضعين، ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عليكُم أن هَداكُم لِلإيمانِ، إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في قولكم: آمنّا. (١٨) ـ ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ غَيبَ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: ما غاب فيهما، ﴿واللهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾، بالياء والتاء: لا يخفى عليه شيء منه.

٥٠

سُورَةُ قٓ

مكية، إلاّ «ولقد خلقنا السماوات» الآيةَ فمدنية، خمسٌ وأربعون آية.

الحزب ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿ق﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقُرآنِ المَجِيدِ﴾: الكريم، ما آمنَ كُفّار مكّة بمُحمّد ﷺ. (٢) ـ (٣) ـ ﴿بَل عَجِبُوا أن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم﴾: رسول من أنفُسهم، ينذرهم: يخوّفهم بالنار بعد البعث، ﴿فقالَ الكافِرُونَ: هذا﴾ الإنذار ﴿شَيءٌ عَجِيبٌ. أإذا﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿مُتنا وكُنّا تُرابًا﴾ نرجِعُ؟ ﴿ذلِكَ رَجعٌ بَعِيدٌ﴾: في غاية البُعد.

(٤) ـ ﴿قَد عَلِمْنا ما تَنقُصُ الأرضُ﴾: تأكل ﴿مِنهُم، وعِندَنا كِتابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المُقدّرة. (٥) ـ ﴿بَل كَذَّبُوا بِالحَقِّ﴾: بالقُرآن ﴿لَمّا جاءَهُم، فهُم﴾ في شأن النبيِّ والقُرآنِ ﴿في أمرٍ مَرِيجٍ﴾: مُضطرب. قالوا مرّةً: ساحرٌ وسِحر، ومرّةً: شاعرٌ وشِعر، ومرّةً: كاهنٌ وكِهانة. (٦) ـ ﴿أفلَم يَنظُرُوا﴾ بعُيونهم مُعتبرين بعُقولهم حينَ أنكروا البعثَ ﴿إلَى السَّماءِ﴾ كائنةً ﴿فَوقَهُم، كَيفَ بَنَيناها﴾ بلا عمدٍ ﴿وزَيَّنّاها﴾ بالكواكب ﴿وما لَها مِن فُرُوجٍ﴾ شقوق تَعيبها؟ (٧) ـ ﴿والأرضَ﴾: معطوف على موضع «إلى السّماء» كيف ﴿مَدَدْناها﴾: دحَوناها على وجه الماء، ﴿وألقَينا فِيها رَواسِيَ﴾: جِبالاً تُثبتها، ﴿وأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ زَوجٍ﴾: صِنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾ يُبهَج به لحُسنه، (٨) ـ ﴿تَبصِرةً﴾: مفعولٌ له، أي: فعلنا ذلك تبصيرًا منا، ﴿وذِكرَى﴾: تذكيرًا ﴿لِكُلِّ عَبدٍ مُنِيبٍ﴾ رجّاع إلى طاعتنا؟ (٩) ـ ﴿ونَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكًا﴾: كثيرَ البركة، ﴿فأنبَتْنا بِهِ جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وحَبَّ﴾ الزرع ﴿الحَصِيدِ﴾ المحصود، (١٠) ـ ﴿والنَّخلَ باسِقاتٍ﴾: طِوالاً حالٌ مُقدّرة، ﴿لَها طَلعٌ نَضِيدٌ﴾: مُتراكب بعضُه فوق بعض، (١١) ـ ﴿رِزقًا لِلعِبادِ﴾ مفعول له، ﴿وأحيَينا بِهِ بَلدةً مَيْتًا﴾؟ يستوي في المُذكّر والمُؤنّث. ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلُ هذا الإحياءِ ﴿الخُرُوجُ﴾ من القُبور. فكيف يُنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذُكر.

(١٢) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾ ـ تأنيثُ الفعل لمعنى «قوم» ـ ﴿وأصحابُ الرَّسِّ﴾، هي بئر كانوا مُقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبيّهم قيل: حنظلةُ بن صفوانَ، وقيل: غيره، ﴿وثَمُودُ﴾: قومُ صالحٍ، (١٣) ـ (١٤) ـ ﴿وعادٌ﴾: قوم هُود، ﴿وفِرعَونُ وإخوانُ لُوطٍ، وأصحابُ الأَيكةِ﴾ أي: الغَيضة قومُ شُعيب، ﴿وقَومُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذّبوه. ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقُريش، ﴿فحَقَّ وَعِيدِ﴾: وجبَ نُزول العذاب على الجميع. فلا يَضِقْ صدرُك من كُفر قُريش بك. (١٥) ـ ﴿أفعَيِينا بِالخَلقِ الأوَّلِ﴾؟ أي: لم نَعيَ به فلا نعيا بالإعادة، ﴿بَل هُم في لَبسٍ﴾: شكٍّ ﴿مِن خَلقٍ جَدِيدٍ﴾، وهو البعث.

(١٦) ـ ﴿ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ، ونَعلَمُ﴾: حالٌ بتقدير «نحن» ﴿ما﴾: مصدرية ﴿تُوَسوِسُ﴾: تُحدّث ﴿بِهِ﴾ ـ الباء: زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان

﴿حَبْل الوريد﴾: عِرْقٍ كبيرٍ في العنقِ. ﴿يَتلقّى المتلقّيان﴾: يحفظُ ويكتبُ الملكانِ. ﴿قعيدٌ﴾: مَلَكٌ قاعدٌ. ﴿رقيبٌ عتيدٌ﴾: مَلَكٌ حافظٌ لأقوالِهِ مُعدٌّ حاضرٌ. ﴿سَكْرة الموت﴾: شِدَّتُهُ وغَمْرَتُهُ الذَّاهبةُ بالعقلِ. ﴿تحيد﴾: تميلُ عنهُ وتفرُّ منهُ وتَهْرُبُ. ﴿غِطاءَك﴾: حِجابَ غفلتِكَ عنِ الآخرةِ. ﴿حديد﴾: نافذٌ قويٌّ. ﴿عتيد﴾: مُعدٌّ حاضرٌ مُهيَّأٌ للعرْضِ. ﴿عنيد﴾: شديدِ العِنادِ والمجافاةِ للحقِّ. ﴿مُعتد﴾: ظالمٍ مُتجاوزٍ للحدِّ. ﴿مُريب﴾: شاكٍّ في اللهِ وفي دينِهِ. ﴿ما أطْغيته﴾: ما قهَرْتُهُ على الطُّغيانِ والغَوايةِ. ﴿أزلفت الجنة﴾: قُرِّبَتْ وأُدْنِيَتْ. ﴿أوّاب﴾: رجّاعٍ إلى اللهِ بالتَّوبةِ. ﴿حفيظ﴾: لِمَا استودعَهُ اللهُ مِن حقِّهِ. ﴿بقلب منيب﴾: مُخلصٍ مُقبلٍ على طاعةِ اللهِ.

= وعن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع وفيهم طليحة بن خويلد، ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، فسلموا وقال متكلمهم: يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا، ونحن لمن وراءنا سلمٌ، فأنزل الله: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ الآية. «طبقات ابن سعد» ط: الخانجي (٦/ ١٥٥).

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ
فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن
كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ
قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ
وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ
﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ
عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ﴿٦﴾

ـ ﴿نَفسُهُ، ونَحنُ أقرَبُ إلَيهِ﴾ بالعِلم ﴿مِن حَبلِ الوَرِيدِ﴾ ـ الإضافةُ للبيان، والوريدانِ: عِرقانِ بصفحتَيِ العُنق ـ (١٧) ـ ﴿إذ﴾: ناصبُه «اذكرْ» مُقدّرًا ﴿يَتَلَقَّى﴾: يأخذُ ويُثبِتُ ﴿المُتَلَقِّيانِ﴾: المَلَكانِ المُوكلان بالإنسان ما يعمله، ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعدان ـ وهو مُبتدأ خبره ما قبله ـ (١٨) ـ ﴿ما يَلفِظُ مِن قَولٍ إلاّ لَدَيهِ رَقِيبٌ﴾: حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضر. وكُلّ منهما بمعنى المُثنّى.

(١٩) ـ ﴿وجاءَتْ سَكْرةُ المَوتِ﴾: غمرتُه وشِدّته ﴿بِالحَقِّ﴾ من أمر الآخرة حتّى يراه المُنكِرُ لها عِيانًا ـ وهو نفس الشِّدّة ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: الموت ﴿ما كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ﴾: تهرب وتفزع. (٢٠) ـ ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ للبعث ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: يومُ النفخ ﴿يَومُ الوَعِيدِ﴾ للكُفّار بالعذاب ـ (٢١) ـ ﴿وجاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر، ﴿مَعَها سائقٌ﴾: ملَك يسوقها إليه ﴿وشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بعملها ـ وهو الأيدي والأرجُل وغيرها ـ ويقال للكافر: (٢٢) ـ ﴿لَقد كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿في غَفْلةٍ مِن هذا﴾ النازلِ بك اليوم، ﴿فكَشَفْنا عَنكَ غِطاءَكَ﴾: أزلنا غفلتك بما تُشاهده اليوم، ﴿فبَصَرُكَ اليومَ حَدِيدٌ﴾: حادّ تُدرِك به ما أنكرتَه في الدنيا.

(٢٣) ـ ﴿وقالَ قَرِينُهُ﴾ الملَك المُوكل به: ﴿هذا ما﴾ أي: الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: حاضر. فيقال لمالِكٍ: (٢٤) ـ ﴿ألقِيا في جَهَنَّمَ﴾ أي: ألقِ ألقِ، أو «ألقِيَنْ» ـ وبه قرأ الحسن، فأُبدلَتِ النونُ ألفًا ـ ﴿كُلَّ كَفّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعاند للحقّ (٢٥) ـ ﴿مَنّاعٍ لِلخَيرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعتَدٍ﴾: ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾: شاكّ في دِينه. (٢٦) ـ (٢٧) ـ ﴿الَّذي جَعَلَ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ﴾: مُبتدأ ضُمِّن معنى الشرط، خبرُه: ﴿فألقِياهُ﴾ ـ تفسيره مِثل ما تقدّم ـ ﴿في العَذابِ الشَّدِيدِ. قالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنا، ما أطغَيتُهُ﴾: أضللته، ﴿ولكِن كانَ في ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾، فدعوته فاستجاب لي. وقال: هو أطغاني بدعائه لي.

(٢٨) ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿لا تَختَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا، ﴿وقَد قَدَّمتُ إلَيكُم﴾ في الدنيا ﴿بِالوَعِيدِ﴾: بالعذاب في الآخرة لو لم تُؤمنوا، ولا بدّ منه. (٢٩) ـ ﴿ما يُبَدَّلُ﴾: يُغيّر ﴿القَولُ لَدَيَّ﴾ في ذلك، ﴿وما أنا بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ﴾ فأُعذّبَهم بغير جُرم ـ وظلّام: بمعنى ذِي ظُلم لقوله «لا ظُلْمَ اليَومَ» ـ (٣٠) ـ ﴿يَومَ﴾ ناصبُه «ظلّام» ﴿نَقُولُ﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿لِجَهَنَّمَ: هَلِ امتَلأْتِ﴾؟ استفهامُ تحقيقٍ لوعده بمَلئها، ﴿وتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَل مِن مَزِيدٍ﴾ أي: فيَّ؟ لا أسَعُ غير ما امتلأتُ به، أي: قد امتلأتُ.

(٣١) ـ ﴿وأُزلِفَتِ الجَنّةُ﴾: قُرّبتْ ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ مكانًا ﴿غَيرَ بَعِيدٍ﴾ منهم، فيرونها ويقال لهم: (٣٢) ـ ﴿هذا﴾ المرئيُّ ﴿ما تُوعَدُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ في الدنيا، ويُبدَل من «للمتّقين» قولُه: ﴿لِكُلِّ أوّابٍ﴾: رجّاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾: حافظ لحُدوده، (٣٣) ـ ﴿مَن خَشِيَ الرَّحمنَ بِالغَيبِ﴾: خافه ولم يره، ﴿وجاءَ بِقَلبٍ مُنِيبٍ﴾: مُقبل على طاعته، ويقال للمتّقين أيضًا: (٣٤) ـ ﴿ادخُلُوها بِسَلامٍ﴾ أي: سالمين من كُلّ مخوف، أو مع سلام أي: سَلِّموا وادخلوا. ﴿ذلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَومُ الخُلُودِ﴾: الدوامِ في الجنّة. (٣٥) ـ ﴿لَهُم ما يَشاؤُونَ فِيها، ولَدَينا مَزِيدٌ﴾: زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(٣٦) ـ ﴿وكَم أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ﴾ أي: أهلكنا قبل كُفّار قُريش قُرونًا، أي: أممًا كثيرة من الكُفّار، ﴿هُم أشَدُّ مِنهُم بَطشًا﴾: قُوّة، ﴿فنَقَّبُوا﴾: فتّشوا ﴿في البِلادِ! هَل مِن مَحِيصٍ﴾ لهم أو لغيرهم منِ الموت؟ فلم يجدوا. (٣٧) ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَذِكرَى﴾: لعِظةً ﴿لِمَن كانَ لَهُ قَلبٌ﴾: عقل ﴿أو ألقَى السَّمعَ﴾: استمع الوعظ، ﴿وهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر القلب.

(٣٨) ـ ﴿ولَقَد خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما في سِتّةِ أيّامٍ﴾، أوّلها الأحدُ وآخرها الجمعة، ﴿وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ﴾: تعب. نزلَ ردًّا على اليهود في قولهم[1]: «إنّ الله استراح يوم السبت».

﴿كَمْ أهلكنا﴾: كثيراً أهلكْنا. ﴿قرنٍ﴾: أمّةٍ. ﴿بَطشًا﴾: قوّةً أو أخذاً شديداً في كلِّ شيءٍ. ﴿فنقّبوا في البلاد﴾: طوّفوا في الأرضِ حَذرَ الموتِ. ﴿محيص﴾: مَهْرَبٍ ومفرٍّ مِنَ اللهِ. ﴿لُغوب﴾: تعبٍ وإعياءٍ. ﴿سبّح بحمد ربّك﴾: نَزِّهْهُ تعالى عن كلِّ نقصٍ أو صَلِّ لهُ تعالى حامداً لهُ. ﴿أدبار السّجود﴾: أعقابَ الصَّلواتِ. ﴿يسْمعون الصيحة﴾: نفخةَ البعثِ. ﴿تشقّق الأرض..﴾: تنفلقُ وتصدَّعُ... ﴿سِراعًا﴾: مُسرعينَ إلى الدَّاعي. ﴿بجبّار﴾: بمُسلَّطٍ تجْبُرُهُمْ على الإيمانِ.
﴿والذاريات ذرواً﴾: (قسَمٌ) بالرِّياحِ تذرو وتفرِّقُ التُّرابَ وغيرَهُ ذرواً. ﴿فالحاملات وقراً﴾: السُّحبِ تحملُ الأمطارَ حَمْلاً. ﴿فالجاريات يُسراً﴾: السُّفنِ تجري على الماءِ جَرْياً سهلاً. ﴿فالمقسمات أمراً﴾: الملائكةِ تقسِّمُ المقدَّراتِ الرَّبَّانيَّةَ. ﴿إن ما توعدون﴾: مِنَ البعثِ (جوابُ القسمِ). ﴿إن الدين﴾: الجزاءَ بعدَ الحسابِ.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ اليهودَ أتَتِ النَّبيَّ ﷺ فسألَتْه عن خَلْق السماوات والأرض، فقال: «خلَقَ اللهُ الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنين، وخلَقَ الجبالَ وما فيها =

والسماءِ ذاتِ الحُبُكِ ﴿٧﴾ إنكم لفي قولٍ مختلفٍ ﴿٨﴾ يؤفكُ عنه من
أُفِك ﴿٩﴾ قُتِلَ الخرّاصون ﴿١٠﴾ الذين هم في غمرةٍ ساهون ﴿١١﴾ يسألون
أيّانَ يومُ الدين ﴿١٢﴾ يومَ هم على النار يُفتنون ﴿١٣﴾ ذوقوا فتنتكم
هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴿١٤﴾ إنّ المتقين في جناتٍ وعيون
﴿١٥﴾ آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴿١٦﴾
كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون ﴿١٧﴾ وبالأسحار هم يستغفرون ﴿١٨﴾
وفي أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم ﴿١٩﴾ وفي الأرض آياتٌ
للموقنين ﴿٢٠﴾ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴿٢١﴾ وفي السماء رزقكم
وما توعدون ﴿٢٢﴾ فوربِّ السماء والأرض إنه لحقٌّ مثلَ ما أنكم
تنطقون ﴿٢٣﴾ هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيمَ المكرمين ﴿٢٤﴾ إذ
دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلامٌ قومٌ منكرون ﴿٢٥﴾ فراغ إلى
أهله فجاء بعجلٍ سمين ﴿٢٦﴾ فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون
﴿٢٧﴾ فأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف وبشروه بغلامٍ عليم ﴿٢٨﴾
فأقبلت امرأته في صرّةٍ فصكّت وجهها وقالت عجوزٌ عقيم
﴿٢٩﴾ قالوا كذلك قال ربكِ إنه هو الحكيم العليم ﴿٣٠﴾

وانتفاءُ التعب عنه لتنزّهه ـ تعالى ـ عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسّة بينه وبين غيره: «إنّما أمرُهُ، إذا أرادَ شيئًا، أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ».

(٣٩) ـ ﴿فاصبِرْ﴾، خِطاب للنبيّ ﷺ ﴿على ما يَقُولُونَ﴾، أي: اليهودُ وغيرهم من التشبيه والتكذيب، ﴿وسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ﴾: صَلِّ حامدًا ﴿قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ﴾ أي: صلاةَ الصُّبح، ﴿وقَبلَ الغُرُوبِ﴾ أي: صلاتَي الظُّهر والعصر، (٤٠) ـ ﴿ومِنَ اللَّيلِ فسَبِّحْهُ﴾ أي: صَلِّ العِشاءين، ﴿وأدبارَ السُّجُودِ﴾ ـ بفتح الهمزة: جمع دُبُر، وكسرِها: مصدر أدبَرَ ـ أي: صَلِّ النوافل المسنونة عقب الفرائض. وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات مُلابسًا للحمد.

(٤١) ـ ﴿واستَمِعْ﴾ ـ يا مُخاطب بقَولي ـ ﴿يَومَ يُنادِي المُنادِي﴾ هو إسرافيل ﴿مِن مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء ـ وهو صخرةُ بيت المَقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء. يقول: أيّتها العِظامُ البالية، والأوصال المُتقطّعة، واللّحوم المُتمزّقة، والشُّعور المُتفرّقة. إنّ الله يأمرُكُنّ أن تجتمعْنَ لفصل القضاء ـ (٤٢) ـ ﴿يَومَ﴾: بدلٌ من «يومَ» قبله ﴿يَسمَعُونَ﴾ أي: الخلقُ كُلّهم ﴿الصَّيحَةَ بالحَقِّ﴾: بالبعث. وهي النفخة الثانية من إسرافيل. ويَحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: يومُ النداء ويوم السماع ﴿يَومُ الخُرُوجِ﴾ من القُبور. وناصبُ «يومَ: يُنادي» مُقدّرٌ، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم. (٤٣) ـ (٤٤) ـ ﴿إنّا نَحنُ نُحيِي ونُمِيتُ، وإلَينا المَصِيرُ ـ يَومَ﴾: بدل من «يومَ» قبله وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾، بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، ﴿الأرضُ عَنهُم سِراعًا﴾: جمعُ سَريع، حالٌ من مُقدّر، أي: فيَخرجون مُسرعين. ﴿ذلِكَ حَشرٌ عَلَينا يَسِيرٌ﴾. فيه فصل بين الموصوف والصفة بمُتعلّقها للاختصاص. وذلك: إشارة إلى معنى الحشر المُخبَر به عنه، وهو الإحياءُ بعد الفناء والجمعُ للعرض والحساب.

(٤٥) ـ ﴿نَحنُ أعلَمُ بِما يَقُولُونَ﴾ أي: كُفّارُ قُريش، ﴿وما أنتَ عَلَيهِم بِجَبّارٍ﴾ تَجبرُهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ﴿فذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعِيدِ﴾[1] وهم المُؤمنون.

***

٥١

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

مكية، ستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والذّارِياتِ﴾: الرياح تَذرو الترابَ وغيرَه ﴿ذَروًا﴾ مصدرٌ ـ ويُقال: تَذريه ذَرْيًا: تهُبُّ به ـ (٢) ـ ﴿فالحامِلاتِ﴾: السُّحبِ تحمل الماء ﴿وِقرًا﴾: ثِقْلًا مفعولُ الحاملات، (٣) ـ ﴿فالجارِياتِ﴾: السُّفنِ تجري على وجه الماء ﴿يُسرًا﴾: بسُهولة، مصدرٌ في موضع الحال، أي: مُيَسَّرةً، (٤) ـ ﴿فالمُقَسِّماتِ أمرًا﴾: الملائكةِ تُقسِّم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البِلاد والعِباد، (٥) ـ ﴿إنَّ ما تُوعَدُونَ﴾ ـ ما: مصدرية ـ أي: إن وعدَهم بالبعث وغيره ﴿لَصادِقٌ﴾: لَوعدٌ صادق، (٦) ـ ﴿وإنَّ الدِّينَ﴾: الجزاءَ بعد الحساب ﴿لَواقِعٌ﴾ لا محالة.

﴿ذات الحُبك﴾: الطُّرقِ الَّتي تسيرُ فيها الكواكبُ. ﴿قول مختلف﴾: متناقضٍ فيما كلِّفتُمُ الإيمانَ به. ﴿يؤفك عنه﴾: يُصْرَفُ عنِ الحقِّ الآتي بهِ الرَّسولُ. ﴿قتل الخرّاصون﴾: لُعِنَ وقُبِّحَ الكذَّابونَ. ﴿غمرة﴾: جهالةٍ غامرةٍ بأمورِ الآخرةِ. ﴿ساهون﴾: غافلونَ عمَّا أمروا به. ﴿أيّان يوم الدّين؟﴾: متى يومُ الجزاءِ ؟ (إنكارٌ له). ﴿يُفتنون﴾: يُحْرَقونَ ويعذبونَ. ﴿يهجعون﴾: يَنامونَ. ﴿بالأسحار﴾: أواخرِ اللَّيلِ. ﴿المحروم﴾: الَّذي حُرِمَ الصَّدقةَ لتعفُّفِهِ عنِ السُّؤالِ معَ حاجتِهِ. ﴿ضيف إبراهيم﴾: أضيافِهِ مِنَ الملائكةِ. ﴿قوم منكرون﴾: قالَهُ في نفسِهِ لغرابَتِهِمْ. ﴿فراغ إلى أهله﴾: ذهَبَ إليهم في خِفيَةٍ مِن ضَيفِهِ. ﴿فأوجس منهم﴾: فأحسَّ في نفسِهِ منهُم. ﴿بغلام عليم﴾: هوَ هنا إسحاقُ عندَ الجمهورِ. ﴿صرّة﴾: صَيْحةٍ وضَجَّـةٍ. ﴿فصكّت وجهها﴾: لطمَتْهُ بيدِها تعجُّباً.

= مِن المَنافع يومَ الثُّلاثاءِ، وخلَقَ الشَّجَرَ والماءَ والمَدائِنَ والعُمْرانَ والخرابَ يومَ الأربعاء، وخلَقَ السَّماءَ يومَ الخميس، وخلَقَ الشمسَ والقمرَ والنُّجومَ والملائكةَ يومَ الجمعة»، فقالت اليهودُ: ثُمَّ ماذا يا محمدُ؟ قال: «ثم استوى على العرش»، قالوا: قد أصَبْتَ، لو أتْمَمْتَ، قال: «وما هو؟» قالوا: ثم استراحَ يوم السَّبْتِ، فغَضِبَ النبيُّ ﷺ غضَباً شديداً، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ. الطبري (٢٠/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢)، والحاكم (٣٩٩٧)، والواحدي في (ص: ٣٩٧). وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي بقوله: أبو سعد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه.

(١) عن عمرو الملائي، وعنه عن ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوَّفتنا؟ فنزلت. الطبري (٢١/ ٤٧٨).

* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ
فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ
ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ
فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

الجزء ٢٧ الحزب ٥٣

(٧) ـ ﴿والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ﴾: جمع حَبيكة كطريقة وطُرُق، أي: صاحبةِ الطُّرُق في الخِلقة كالطرق في الرمل، (٨) ـ ﴿إنَّكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ في شأن النبيِّ والقُرآنِ ﴿لَفِي قَولٍ مُختَلِفٍ﴾ قيل: شاعرٌ ساحر كاهن، شِعرٌ سِحر كِهانة، (٩) ـ ﴿يُؤفَكُ﴾: يُصرَف ﴿عَنهُ﴾: عن النبيّ والقرآن، أي: عن الإيمان به، ﴿مَن أُفِكَ﴾: صُرف عن الهِداية، في عِلم الله تعالى.

(١٠) ـ ﴿قُتِلَ الخَرّاصُونَ﴾: لُعِن الكذّابون أصحاب القول المختلف، (١١) ـ ﴿الَّذِينَ هُم في غَمْرةٍ﴾: جهل يغمرهم ﴿ساهُونَ﴾: غافلون عن أمر الآخرة، (١٢) ـ ﴿يَسألُونَ﴾ النبيَّ استهزاءً: ﴿أيّانَ يَومُ الدِّينِ﴾ أي: متى مَجيئُه؟ وجوابهم: يجيءُ (١٣) ـ ﴿يَومَ هُم علَى النّارِ يُفتَنُونَ﴾ أي: يُعذَّبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب: (١٤) ـ ﴿ذُوقُوا فِتْنتَكُم﴾: تعذيبَكم. ﴿هذا﴾ العذابُ ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاءً.

(١٥) ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾ تجري فيها (١٦) ـ ﴿آخِذِينَ﴾: حال من الضمير في خبر «إنّ» ﴿ما آتاهُم﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُم﴾ من الثواب. ﴿إنَّهُم كانُوا قَبلَ ذلِكَ﴾ أي: قبل دُخولهم الجنّةَ ﴿مُحسِنِينَ﴾ في الدنيا، (١٧) ـ ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيلِ ما يَهجَعُونَ﴾: ينامون ـ وما: زائدة. ويهجعون: خبر «كان». وقليلاً: ظرف ـ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلّون أكثره، (١٨) ـ ﴿وبِالأسحارِ هُم يَستَغفِرُونَ﴾ يقولون: «اللّهمّ اغفِرْ لنا»، (١٩) ـ ﴿وفي أمْوالِهِم حَقٌّ لِلسّائِلِ والمَحرُومِ﴾[1]: الذي لا يسأل لتعفّفه.

(٢٠) ـ (٢١) ـ ﴿وفي الأرضِ﴾ من الجِبال والبِحار والأشجار والثِّمار والنبات وغيرها ﴿آياتٌ﴾: دلالاتٌ على قُدرة الله ـ تعالى ـ ووحدانيّته ﴿لِلمُوقِنِينَ، وفي أنفُسِكُم﴾ آياتٌ أيضًا من مبدأ خلقكم إلى مُنتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب. ﴿أفلا تُبصِرُونَ﴾ ذلك، فتستدلّون به على صانعه وقُدرته؟

(٢٢) ـ ﴿وفي السَّماءِ رِزقُكُم﴾ أي: المطرُ المُسبَّب عنه النباتُ الذي هو رِزق ﴿وما تُوعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعِقاب، أي: مكتوب ذلك في السماء. (٢٣) ـ ﴿فَوَرَبِّ السَّماءِ والأرضِ، إنَّهُ﴾ أي: ما تُوعدون ﴿لَحَقٌّ مِثلَما أنَّكُم تَنطِقُونَ﴾ ـ برفع «مثلُ» صفةً وما: زائدة، وبفتح اللام مُركّبةً مع «ما» ـ المعنى: مِثلُ نُطقكم في حقيقته، أي: معلوميّته عِندكم ضرورةَ صُدوره عنكم.

(٢٤) ـ ﴿هَل أتاكَ﴾ ـ خِطابٌ للنبيّ ـ ﴿حَدِيثُ ضَيفِ إبراهِيمَ المُكرَمِينَ﴾ وهم ملائكة، اثنا عشَرَ أو عشَرةٌ أو ثلاثةٌ منهم جِبريلُ، (٢٥) ـ ﴿إذ﴾: ظرف لـ«حديثُ ضيف» ﴿دَخَلُوا علَيهِ، فقالُوا: سَلامًا﴾ أي: هذا اللفظَ. ﴿قالَ: سَلامٌ﴾ أي: هذا اللفظُ. ﴿قَومٌ مُنكَرُونَ﴾: لا نعرِفهم؟ قال ذلك في نفسه، وهو خبر مُبتدأ مُقدّر، أي: هؤلاء.

(٢٦) ـ ﴿فراغَ﴾: مالَ ﴿إلَى أهلِهِ﴾ سِرًّا، ﴿فجاءَ بِعِجلٍ سَمِينٍ﴾ ـ وفي سورة هود: «بِعِجلٍ حَنِيذٍ» أي: مشويّ ـ (٢٧) ـ ﴿فقَرَّبَهُ إلَيهِم، قالَ: ألا تأكُلُونَ﴾. عرضَ عليهم الأكل فلم يُجيبوا، (٢٨) ـ ﴿فأوجَسَ﴾: أضمر في نفسه ﴿مِنهُم خِيفَةً. قالُوا: لا تَخَفْ﴾، إنا رُسلُ ربّك. ﴿وبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾: ذي علم كثير، هو إسحاق كما ذُكر في «هود»، (٢٩) ـ ﴿فأقبَلَتِ امرأتُهُ﴾ سارةُ ﴿في صَرَّةٍ﴾: صيحةٍ، حالٌ أي: جاءت صائحةً، ﴿فصَكَّتْ وَجهَها﴾: لَطمتْه، ﴿وقالَتْ: عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: لم تلدْ قطُّ. وعُمرها تسع وتسعون سنةً وعُمر إبراهيم مِائةُ سنةٍ، أو عُمره مِائةٌ وعشرون سنةً وعُمرها تِسعون سنةً. (٣٠) ـ ﴿قالُوا: كَذلِكِ﴾: مِثلَ قولنا في البِشارة ﴿قالَ رَبُّكِ. إنَّهُ هُوَ الحَكِيمُ﴾ في صُنعه ﴿العَلِيمُ﴾ بخلقه.

(٣١) ـ (٣٢) ـ ﴿قالَ: فما خَطبُكُم﴾ أي: شأنكم، ﴿أيُّها المُرسَلُونَ؟ قالُوا: إنّا أُرسِلْنا إلَى قَومٍ مُجرِمِينَ﴾: كافرين هم قوم لوط، (٣٣) ـ ﴿لِنُرسِلَ علَيهِم حِجارةً مِن طِينٍ﴾ يُطبَخُ بالنار (٣٤) ـ ﴿مُسَوَّمةً﴾: مُعْلَمة عليها اسمُ مَن يُرمى بها، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: ظرف لها، ﴿لِلمُسرِفِينَ﴾ بإتيانهم الذُّكورَ مع كُفرهم.

﴿فما خطبكم؟﴾: فما شأنُكُمُ الخطيرُ؟. ﴿مسوّمة﴾: مُعْلَمَةً بأنّها حجارةُ عذابٍ. ﴿وفي موسى﴾: وجعلْنا في قصّةِ موسى آيةً. ﴿فتولّى بركنه﴾: فأعرضَ فرعونُ بقوّتِهِ وسلطانِهِ عنِ الإيمانِ. ﴿هو مليم﴾: آتٍ بما يُلامُ عليهِ من الكُفْرِ. ﴿الريح العقيم﴾: المُهلكةَ لهُمْ، القاطعةَ لنَسْلِهِمْ. ﴿كالرّميم﴾: كالشَّيءِ البالي المفتّتِ الهالكِ. ﴿فعتَوْا﴾: فاستكبروا. ﴿فأخذتهم الصّاعقة﴾: فأهلكَتْهُم صيحةٌ أو نارٌ مِنَ السّماءِ. ﴿بنيْناها بأيدٍ﴾: بقوّةٍ وقدْرَةٍ. ﴿إنّا لموسعون﴾: لقادرونَ. ﴿الأرض فرشناها﴾: مهّدْناها وبَسَطْناها كالفراشِ للاستقرارِ عليها. ﴿فنِعْمَ الماهدون﴾: المسوُّونَ المُصلحونَ. ﴿خلقنا زوجين﴾: صِنفَيْنِ ونوعَيْنِ مختلفَيْنِ. ﴿ففرّوا إلى الله﴾: فاهربوا مِن عقابِهِ إلى ثوابِهِ.

(١) عن الحسن بن محمد ابن الحنفيّة: أنَّ رسولَ الله ﷺ بعث سَرِيَّةً فغَنِموا، ثُم جاء قومٌ لم يشهدوا الغنيمةَ، فنزلتْ. «الأموال» لأبي عبيد (١٧٥٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٢٣١١).

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ
﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ
بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ
ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ
أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ
﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ
ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ
مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

﴿٣٥﴾ - ﴿**فأخرَجْنا مَن كانَ فِيها**﴾ أي: قُرى قوم لُوط ﴿**مِنَ المُؤمِنِينَ**﴾ لإهلاك الكافرين، ﴿٣٦﴾ - ﴿**فما وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسلِمِينَ**﴾ - وهم لُوط وابنتاه - وُصفوا بالإيمان والإسلام، أي: هم مُصدّقون بقُلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعاتِ، ﴿٣٧﴾ - ﴿**وتَرَكْنا فِيها**﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿**آيَةً**﴾: علامة على إهلاكهم ﴿**لِلَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الأَلِيمَ**﴾، فلا يفعلون مِثل فِعلهم.

﴿٣٨﴾ - ﴿**وفي مُوسَى**﴾ - معطوفٌ على «فيها» - المعنى: وجعلنا في قِصّة مُوسَى آيةً، ﴿**إذ أرسَلْناهُ إِلَى فِرعَونَ**﴾ مُلتبسًا ﴿**بِسُلطانٍ مُبِينٍ**﴾: بحُجّة واضحة، ﴿٣٩﴾ - ﴿**فَتَوَلَّى**﴾: أعرض عن الإيمان ﴿**بِرُكنِهِ**﴾: مع جُنوده لأنهم له كالركن، ﴿**وقالَ**﴾ لمُوسَى: هوَ ﴿**ساحِرٌ أو مَجنُونٌ**﴾. ﴿٤٠﴾ - ﴿**فأخَذْناهُ وجُنُودَهُ، فنَبَذْناهُم**﴾: طرحناهم ﴿**في اليَمِّ**﴾: البحر فغرقوا، ﴿**وهُوَ**﴾ أي: فِرعَون ﴿**مُلِيمٌ**﴾: آتٍ بما يُلام عليه من تكذيب الرُّسل ودعوى الرُّبوبيّة.

﴿٤١﴾ - ﴿**وفي**﴾ إهلاك ﴿**عادٍ**﴾ آيةٌ، ﴿**إذ أرسَلْنا علَيهِم الرِّيحَ العَقِيمَ**﴾ - هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تُلقح الشجر، وهي الدَّبور - ﴿٤٢﴾ - ﴿**ما تَذَرُ مِن شَيءٍ**﴾ نفس أو مال، ﴿**أتَتْ علَيهِ، إلاّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ**﴾: كالبالي المُتفتِّت.

﴿٤٣﴾ - ﴿**وفي**﴾ إهلاك ﴿**ثَمُودَ**﴾ آيةٌ، ﴿**إذ قِيلَ لَهُم**﴾ بعد عقر الناقة: ﴿**تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ**﴾: إلى انقضاء آجالكم كما في آيةِ «تَمَتَّعُوا في دارِكُم ثَلاثَةَ أيّامٍ». ﴿٤٤﴾ - ﴿**فعَتَوا**﴾: تكبّروا ﴿**عَن أمرِ رَبِّهِم**﴾ أي: عن الله وامتثال أمره، ﴿**فأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ**﴾ بعد مُضيّ الثلاثة أيّام، أي: الصيحةُ المُهلِكة، ﴿**وهُم يَنظُرُونَ**﴾ أي: بالنهار، ﴿٤٥﴾ - ﴿**فما استَطاعُوا مِن قِيامٍ**﴾: ما قدروا على النهوض حِين نُزول العذاب، ﴿**وما كانُوا مُنتَصِرِينَ**﴾ على مَن أهلكهم، ﴿٤٦﴾ - ﴿**وقَومَ نُوحٍ**﴾ - بالجرّ عطفٌ على «ثمودَ» أي: وفي إهلاكهم بماء السماء والأرض آيةٌ، وبالنصب أي: وأهلكْنا قومَ نوح - ﴿**مِن قَبلُ**﴾ أي: قبلِ إهلاك هؤلاء المذكورين. ﴿**إِنَّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ**﴾.

﴿٤٧﴾ - ﴿**والسَّماءَ بَنَيناها بِأيدٍ**﴾: بقُوّة، ﴿**وإنّا لَمُوسِعُونَ**﴾: قادرون - يقال: آدَ الرجلُ يَئيدُ: قَوِيَ. وأوسَعَ الرجلُ: صار ذا سَعة وقُوّة - ﴿٤٨﴾ - ﴿**والأرضَ فَرَشْناها**﴾: مهّدناها. ﴿**فنِعمَ الماهِدُونَ**﴾ نحن! ﴿٤٩﴾ - ﴿**ومِن كُلِّ شَيءٍ**﴾: متعلّق بقوله: ﴿**خَلَقْنا زَوجَينِ**﴾: صِنفينِ كالذّكر والأُنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة، ﴿**لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ - بحذف إحدى التاءين من الأصل - فتعلمون أنّ خالق الأزواج فرد فتعبدونه. ﴿٥٠﴾ - ﴿**ففِرُّوا إِلَى اللهِ**﴾ أي: إلى ثوابه من عِقابه بأن تُطيعوه ولا تعصُوه - ﴿**إنّي لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: بيِّنُ الإنذار - ﴿٥١﴾ - ﴿**ولا تَجعَلُوا مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ. إنّي لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾. يُقدَّر قبلَ «ففرّوا»: قلْ لهم.

﴿٥٢﴾ - ﴿**كَذلِكَ، ما أَتَى الَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِن رَسُولٍ إلاّ قالُوا**﴾: هو ﴿**ساحِرٌ أو مَجنُونٌ**﴾ أي: مِثلُ تكذيبهم لك بقولهم: «إنك ساحرٌ أو مجنون» تكذيبُ الأُمم قبلهم لرُسلهم بقولهم ذلك. ﴿٥٣﴾ - ﴿**أتَواصَوا**﴾ كُلّهم ﴿**بِهِ**﴾؟ استفهام بمعنى النفي، ﴿**بَل هُم قَومٌ طاغُونَ**﴾، جمَعَهم على هذا القول طغيانُهم. ﴿٥٤﴾ - ﴿**فتَوَلَّ**﴾: أعرِض ﴿**عَنهُم - فما أنتَ بِمَلُومٍ**﴾ لأنك بلّغتهم الرسالةَ - ﴿٥٥﴾ - ﴿**وذَكِّرْ**﴾: عِظْ بالقرآن. ﴿**فإنَّ الذِّكرَى تَنفَعُ المُؤمِنِينَ**﴾[1]: مَن عَلِمَ اللهُ - تعالى - أنه يُؤمن. ﴿٥٦﴾ - ﴿**وما خَلَقتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعبُدُونِ**﴾ - ولا يُنافي ذلك عدمَ عِبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودُها كما في قولك: بَريتُ هذا القلمَ لأكتب به. فإنك قد لا تكتب به - ﴿٥٧﴾ - ﴿**ما أُرِيدُ مِنهُم مِن رِزقٍ**﴾ لي ولأنفُسهم وغيرِهم، ﴿**وما أُرِيدُ أن يُطعِمُونِ**﴾

﴿طاغون﴾: مُتجاوِزونَ الحدَّ في الكفرِ. ﴿ليَعْبدونِ﴾: ليعرفوني أو ليخْضعوا لي ويتذلَّلوا. ﴿ذنوبًا﴾: نَصيباً مِنَ العَذابِ. ﴿فوَيْـلٌ﴾: هلاكٌ. أو حسْرَةٌ أو شدَّةُ عَذابٍ.
﴿والطور﴾: (قسَمٌ) بجبَلِ طورِ سيناءَ الَّذي كلَّمَ اللهُ عندَهُ موسى. ﴿وكتاب مسطور﴾: مكتوبٍ على وَجهِ الانتظامِ. ﴿في رقّ﴾: ما يُكْتَبُ فيهِ جلْداً أو غيرَهُ. ﴿منشور﴾: مبْسوطٍ غيرِ مختومٍ عليهِ. ﴿والبيت المعمور﴾: هوَ الضّراحُ في السَّماءِ أوِ الكعبة. ﴿والسّقف المرفوع﴾: السَّماءِ. ﴿والبحر المسجور﴾: المُوقَـدِ ناراً يوْمَ القيامةِ.
﴿إنّ عذاب..﴾: (جَوابُ القسَمِ بما سبق). ﴿تمور السماء﴾: تَضْطربُ وتَدورُ كالرَّحَى. ﴿فويْـل﴾: هَلاكٌ أوحَسْـرَةٌ أو شدَّةُ عذابٍ. ﴿خوْض﴾: انْدفاعٍ في الأباطيلِ والأكاذيبِ. ﴿يُدعّون﴾: يُدفعونَ بعُنْفٍ وشدَّةٍ.

(١) عن مجاهد عن عليٍّ رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أحزننا ذلك وقلنا: أُمر رسول الله ﷺ أن يتولى عنا، حتى نزل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. رواه المحاسبي في «فهم القرآن» (ص: ٤٢٧)، والطبري (٢١/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣). وعن قتادة: ذُكر لنا أنها لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ اشتدّ على أصحاب رسول الله ﷺ، ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ
أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِىٕۭ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ولا أنفُسَهم ولا غيرَهم. (٥٨) - ﴿إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾: الشديدُ. (٥٩) - ﴿فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفُسَهم بالكُفر من أهل مكّة وغيرهم ﴿ذَنُوبًا﴾: نصيبًا من العذاب ﴿مِثْلَ ذَنُوبِ﴾: نصيبِ ﴿أصحابِهِم﴾ الهالكين قبلهم. ﴿فلا يَستَعجِلُونِ﴾ بالعذاب، إن أخّرتُهم إلى يوم القيامة. (٦٠) - ﴿فوَيلٌ﴾: شِدّةُ عذابٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾: في ﴿يَومِهِمِ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: يومِ القيامة.

* * *

٥٢
سُورَةُ الطُّورِ

الحزب ٥٣

مكية، تسعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿والطُّورِ﴾ أي: الجبل الذي كلّم الله عليه مُوسَى، (٢) - (٣) - ﴿وكِتابٍ مَسطُورٍ في رَقٍّ مَنشُورٍ﴾ أي: التوراةِ أو القُرآن، (٤) - ﴿والبَيتِ المَعمُورِ﴾ - هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحِيال الكعبة، يزوره كُلَّ يوم سبعون ألفَ ملَكٍ بالطواف والصلاة[1]، لا يعودون إليه أبدًا - (٥) - ﴿والسَّقفِ المَرفُوعِ﴾ أي: السماء، (٦) - ﴿والبَحرِ المَسجُورِ﴾ أي: المملوء، (٧) - ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ﴾: لنازلٌ بمستحقّه (٨) - ﴿مالَهُ مِن دافِعٍ﴾ عنه (٩) - ﴿يَومَ﴾: معمول لـ «واقع» ﴿تَمُورُ السَّماءُ مَورًا﴾ تتحرّك وتدور، (١٠) - ﴿وتَسِيرُ الجِبالُ سَيرًا﴾ تصير هباء منثورًا. وذلك في يوم القيامة.

(١١) - ﴿فوَيلٌ﴾: شِدّةُ عذاب ﴿يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾ الرسلَ، (١٢) - ﴿الَّذِينَ هُم في خَوضٍ﴾: باطل ﴿يَلعَبُونَ﴾ أي: يتشاغلون بكفرهم، (١٣) - ﴿يَومَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: يُدفعون بعُنف - بدلٌ من «تمور» - ويقال لهم تبكيتًا: (١٤) - (١٥) - (١٦) - ﴿هٰذِهِ النّارُ الَّتِي كُنتُم بها تُكَذِّبُونَ. أفسِحرٌ هٰذا﴾ العذابُ الذي تَرَون كما كنتم تقولون في الوحي: «هذا سِحرٌ»؟ ﴿أم أنتُم لا تُبصِرُونَ؟ اصلَوها، فاصبِرُوا﴾ عليها ﴿أو لا تَصبِرُوا﴾. صبرُكم وجزَعُكم ﴿سَواءٌ عَلَيكُم﴾ لأنّ صبركم لا ينفعكم. ﴿إنَّما تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

(١٧) - (١٨) - ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ ونَعِيمٍ، فاكِهِينَ﴾: مُتلذّذين ﴿بِما﴾: مصدريّةٌ ﴿آتاهُم﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُم، ووَقاهُم رَبُّهُم عَذابَ الجَحِيمِ﴾ - عطفٌ على «آتاهم» - أي: بإيتائهم ووقايتهم، ويقال لهم: (١٩) - (٢٠) - ﴿كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا﴾: حالٌ أي: مُتهنِّئين ﴿بِما﴾ - الباء: سببيّة - ﴿كُنتُم تَعمَلُونَ، مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ من الضمير المُستكنّ في قوله «في جنّات»، ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصفُوفَةٍ﴾: بعضُها إلى جنب بعض، ﴿وزَوَّجناهُم﴾: عطفٌ على «في جنّات» أي: قرنّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: عِظامِ الأعيُن حِسانِها.

(٢١) - ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾: مبتدأٌ ﴿وأتبَعناهُم﴾: معطوف على «آمنوا» ﴿ذُرِّيّاتِهِم﴾ الصغارَ والكبار ﴿بِإيمانٍ﴾ من الكبار ومن الآباء في الصغار، والخبرُ: ﴿ألحَقنا بِهِم ذُرِّيّاتِهِم﴾ المذكورين في الجنّة، فيكونون في درجتهم، وإن لم يعملوا بعملهم تكرمةً للآباء باجتماع الأولاد إليهم، ﴿وما ألَتناهُم﴾، بفتح اللام وكسرها: نَقَصناهم ﴿مِن عَمَلِهِم مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ يُزاد في عمل الأولاد - ﴿كُلُّ امرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ﴾: مرهون، يؤاخذ بالشرّ ويُجازَى بالخير - (٢٢) - ﴿وأمدَدناهُم﴾: زِدناهم في وقت بعد وقت، ﴿بِفاكِهَةٍ ولَحمٍ مِمّا يَشتَهُونَ﴾، وإن لم يُصرّحوا بطلبه، (٢٣) - ﴿يَتَنازَعُونَ﴾: يتعاطَون بينهم ﴿فِيها﴾ أي: الجنّةِ ﴿كأسًا﴾: خمرًا، ﴿لا لَغوٌ فِيها﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿ولا تأثِيمٌ﴾

﴿اصلوها﴾: ادخلوها. أو قاسوا حرَّها. ﴿فاكهين﴾: مُتلذِّذينَ ناعمينَ مَسْرورينَ. ﴿سُرُرٍ مصفوفة﴾: مَوْصولٍ بعضُها ببعضٍ باستواءٍ. ﴿زوّجناهم﴾: قرَنَّاهُمْ. ﴿بحور عين﴾: بنساءٍ بيضٍ نُجْلِ العيونِ حِسَانِها. ﴿ما ألتناهم﴾: ما نَقَصْنا الآباءَ بهذا الإلحاقِ. ﴿رهين﴾: مَرْهونٌ عِندَ اللهِ تعالى. ﴿يتنازعون﴾: يَتجاذبونَ ويَتعاورونَ. ﴿كأسًا﴾: خَمْراً. أو إناءً فيهِ خمرٌ. ﴿لا لغوٌ فيها ولا تأثيم﴾: لا كلامٌ سَاقطٌ في أثناءِ شربِها ولا فِعْلٌ يوجبُ الإثمَ. ﴿لؤلؤ مكْنونٌ﴾: مَسْتورٌ مَصونٌ في أصدافِهِ. ﴿مشفقين﴾: خائفينَ مِنَ العاقبةِ. ﴿عذاب السّموم﴾: نارَ جهنَّمَ النَّافذةَ في المَسَامِّ. ﴿هو البرّ الرحيم﴾: المحسِنُ العَطوفُ، العظيمُ الرَّحمةِ. ﴿رَيْبَ المَنون﴾: صُرُوفَ الدَّهْرِ المُهلكَةَ.

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج الطويل.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ
أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

به يلحقهم، بخِلاف خمر الدنيا، (٢٤) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيهِم﴾ للخِدمة ﴿غِلمانٌ﴾: أرقاءُ ﴿لَهُم، كَأَنَّهُم﴾ حُسنًا ولطافة ﴿لُؤلُؤٌ مَكنُونٌ﴾: مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

(٢٥) ـ ﴿وأَقبَلَ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضًا عمّا كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذّذًا واعترافًا بالنعمة. (٢٦) ـ ﴿قالُوا﴾ إيماءً إلى عِلّة الوصول: ﴿إِنّا كُنّا قَبلُ في أَهلِنا﴾ في الدنيا ﴿مُشفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله، (٢٧) ـ ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَينا﴾ بالمغفرة، ﴿وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾ أي: النارِ لدخولها في المسامّ. وقالوا إيماء أيضًا: (٢٨) ـ ﴿إِنّا كُنّا مِن قَبلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدعُوهُ﴾ أي: نعبده مُوحّدين. ﴿إِنَّهُ﴾ ـ بالكسر استئنافًا وإن كان تعليلاً معنًى، وبالفتح تعليلاً لفظًا ـ ﴿هُوَ البَرُّ﴾: المُحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾: العظيم الرحمة.

(٢٩) ـ ﴿فَذَكِّرْ﴾: دُمْ على تذكير المُشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهنٌ مجنون. ﴿فَما أَنتَ بِنِعمَةِ رَبِّكَ﴾: بإنعامه عليك ﴿بِكاهِنٍ﴾: خبرُ «ما» ﴿وَلا مَجنُونٍ﴾: معطوفٌ عليه. (٣٠) ـ ﴿أَم﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾: هو ﴿شاعِرٌ، نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ المَنُونِ﴾[1]: حوادثَ الدهر فيه، فيَهلِكُ كغيره من الشُّعراء؟ (٣١) ـ ﴿قُلْ: تَرَبَّصُوا﴾ هَلاكي. ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾ هَلاككم. فعُذّبوا بالسيف يوم بدر. والتربّص: الانتظار.

(٣٢) ـ ﴿أَم تَأمُرُهُم أَحلامُهُم﴾: عُقولهم ﴿بِهذا﴾ أي: قولِهم له: شاعرٌ كاهن مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَم﴾: بل ﴿هُم قَومٌ طاغُونَ﴾ بعِنادهم. (٣٣) ـ ﴿أَم يَقُولُونَ: تَقَوَّلَهُ﴾: اختلقَ القرآن؟ لم يَختلقْه، ﴿بَل لا يُؤمِنُونَ﴾ استكبارًا. فإن قالوا: اختلقه (٣٤) ـ ﴿فَليَأتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مُختلَق ﴿مِثلِهِ، إِن كانُوا صادِقِينَ﴾ في قولهم.

(٣٥) ـ ﴿أَم خُلِقُوا مِن غَيرِ شَيءٍ﴾ أي: خالقٍ؟ ﴿أَم هُمُ الخالِقُونَ﴾ أنفُسَهم، ولا يُعقل مخلوق بدون خالق، ولا معدومٌ يَخلق؟ فلا بُدّ لهم من خالق، هو الله الواحد. فلِمَ لا يُوحّدونه ويُؤمنون برسوله وكتابه؟ (٣٦) ـ ﴿أَم خَلَقُوا السَّماواتِ والأَرضَ﴾، ولا يقدر على خلقهما إلاّ الله الخالق؟ فلِمَ لا يعبدونه؟ ﴿بَل لا يُوقِنُونَ﴾ به. وإلاّ لآمنوا بنبيّه. (٣٧) ـ ﴿أَم عِندَهُم خَزائِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوّة والرزق وغيرهما، فيخصّوا من شاؤوا بما شاؤوا؟ ﴿أَم هُمُ المُسَيطِرُونَ﴾: المُتسلّطون الجبّارون؟ وفِعله: سَيطَرَ. ومثله: بَيطَرَ وبَيقَرَ.

(٣٨) ـ ﴿أَم لَهُم سُلَّمٌ﴾: مَرقًى إلى السماء، ﴿يَستَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه كلامَ الملائكة، حتّى يُمكنَهم مُنازعةُ النبيّ بزعمهم؟ إن ادّعوا ذلك ﴿فَليَأتِ مُستَمِعُهُم﴾: مُدّعي الاستماع عليه ﴿بِسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: بحُجّة بيّنة واضحة. ولشَبَه هذا الزعم بزعمهم أنّ الملائكة بناتُ الله قال تعالى: (٣٩) ـ ﴿أَم لَهُ البَناتُ﴾ أي: بزعمكم ﴿وَلَكُمُ البَنُونَ﴾؟ تعالى الله عمّا زعموه!

(٤٠) ـ ﴿أَم تَسأَلُهُم أَجرًا﴾ على ما جِئتَهم به من الدِّين، ﴿فَهُم مِن مَغرَمٍ﴾: غُرمِ ذلك ﴿مُثقَلُونَ﴾ فلا يُسلِمُون؟ (٤١) ـ ﴿أَم عِندَهُمُ الغَيبُ﴾ أي: عِلمُه، ﴿فَهُم يَكتُبُونَ﴾ ذلك حتّى يُمكنَهم مُنازعةُ النبيّ في البعث وأمر الآخرة بزعمهم؟ (٤٢) ـ ﴿أَم يُرِيدُونَ كَيدًا﴾ بك ليُهلكوك في دار الندوة. ﴿فالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ﴾: المغلوبون المُهلَكون. فحفظَه الله منهم ثمّ أهلكهم ببدر. (٤٣) ـ ﴿أَم لَهُم إِلـهٌ غَيرُ اللهِ؟ سُبحانَ اللهِ عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به من الآلهة! والاستفهام بـ«أم» في مواضعها للتقبيح والتوبيخ.

﴿قومٌ طاغون﴾: متجاوزونَ الحَدَّ في العِنادِ. ﴿تقوّله﴾: اختلقَ القرآنَ مِنْ تلقاءِ نفسِهِ. ﴿خزائن ربّك﴾: خزائنُ رزقِهِ ورَحمتِهِ أو مقْدوراته. ﴿هم المسيطرون﴾: الأربابُ الغالبونَ أوِ المُسلّطونَ. ﴿لهم سُلّمٌ﴾: مَرقىً إلى السَّماءِ يَصعدونَ بهِ. ﴿منْ مَغْرَمٍ مثقلون﴾: مِن التزامِ غرْمٍ متعبونَ. ﴿هم المكيدون﴾: المَجْزيُّونَ بكيْدِهم ومَكْرِهم. ﴿كِسْفًا﴾: قطْعَةً عَظيمةً. ﴿سحابٌ مَرْكوم﴾: مجموعٌ بَعضُهُ على بعضٍ يُمْطِرُنا. ﴿فيه يصعقون﴾: يُهلكونَ (يوم بَدْر). ﴿لا يغني عنهمْ﴾: لا يَدْفعُ عنهُمْ. ﴿عذابًا دون ذلك﴾: عذاباً قبلَ ذلكَ هوَ القحطُ. ﴿بأعيننا﴾: في حِفظِنا وحراستِنا. ﴿سبّحْ بحمد ربّك﴾: نزِّهْهُ تعالى حامِداً لهُ. ﴿إدبار النجوم﴾: وَقْتَ غَيْبَتِها بضوْءِ الصَّباحِ.

(١) عن ابن عباس: أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فنزلت. الطبري (٢١/ ٥٩٣).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ
نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ
مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ
ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ
وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ
ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي
شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

(٤٤) ـ ﴿وإن يَرَوا كِسْفًا﴾: بعضًا ﴿مِنَ السَّماءِ ساقِطًا﴾ عليهم، كما قالوا: «فأسقِطْ علَينا كِسْفًا مِنَ السَّماءِ» أي: تعذيبًا لهم، ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحابٌ مَرْكُومٌ﴾: مُتراكب نَرتوِي به، ولا يُؤمنوا. (٤٥) ـ ﴿فذَرْهُم حَتَّى يُلاقُوا يومَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصعَقُونَ﴾: يَموتون، (٤٦) ـ ﴿يَومَ لا يُغني﴾: بدلٌ من «يومَهم» ﴿عَنهُم كَيدُهُم شَيئًا! ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من العذاب في الآخرة. (٤٧) ـ ﴿وإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكُفرهم ﴿عَذابًا دُونَ ذلِكَ﴾ في الدنيا، قبل موتهم ـ فعُذّبوا بالجوع والقحط سبعَ سنين وبالقتل يوم بدر ـ ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ العذاب ينزل بهم.

(٤٨) ـ ﴿واصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم ولا يضِقْ صدرك ـ ﴿فإنَّكَ بِأعيُنِنا﴾: بمرأى منّا نراك ونحفظك ـ ﴿وسَبِّحْ﴾ مُلتبسًا ﴿بِحَمدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك أو من مجلسك، (٤٩) ـ ﴿ومِنَ اللَّيلِ فسَبِّحْهُ﴾ حقيقةً أيضًا ﴿وإدبارَ النُّجُومِ﴾: مصدرٌ، أي: عَقِبَ غُروبها سبّحْه أيضًا، أو صلِّ في الأوّل العِشاءين وفي الثاني الفجرَ، وقيل: الصُّبحَ.

٥٣

سُورَةُ النَّجۡمِ

الحزب ٥٣

مكية، ثنتان وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والنَّجمِ﴾: الثُّرَيّا ﴿إذا هَوَى﴾: غابَ، (٢) ـ ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُم﴾ مُحمّد ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن طريق الهِداية، ﴿وما غَوَى﴾: ما لابس الغيَّ ـ وهو جهلٌ من اعتقاد فاسد ـ (٣) ـ ﴿وما يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الهَوَى﴾: هوى نفسِه. (٤) ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ وَحيٌ يُوحَى﴾ إليه، (٥) ـ (٦) ـ ﴿عَلَّمَهُ﴾ إيّاه ملَكٌ ﴿شَدِيدُ القُوَى، ذُو مِرّةٍ﴾: قُوّة وشِدّة أو منظر حسن، أي: جِبريلُ ـ عليه السلام ـ ﴿فاستَوَى﴾: استقرّ، (٧) ـ ﴿وهُوَ بِالأُفُقِ الأعلَى﴾ أُفق الشمس، أي: عِند مطلعها على صُورته التي خُلق عليها، فرآه النبيّ ﷺ وكان بحِراءٍ، قد سدَّ الأُفقَ إلى المغرب، فخرّ مَغشِيًّا عليه. وكان قد سأله أن يُريه نفسه على صُورته التي خُلق عليها، فواعده بحِراء، فنزل جِبريل ـ عليه السلام ـ له في صُورة الآدميّين.

(٨) ـ ﴿ثُمَّ دَنا﴾: قرُبَ منه ﴿فتَدَلَّى﴾ زاد في القرب، (٩) ـ ﴿فكانَ﴾ منه ﴿قابَ﴾: قدرَ ﴿قَوسَينِ أو أدنَى﴾ من ذلك، حتّى أفاق وسكن رُوعه، (١٠) ـ ﴿فأوحَى﴾ تعالى ﴿إلَى عَبدِهِ﴾ جبريلَ ﴿ما أوحَى﴾ جِبريلُ إلى النبيّ ـ ولم يُذكر المُوحَى تفخيمًا لشأنه ـ (١١) ـ ﴿ما كَذَبَ﴾، بالتخفيف والتشديد: أنكرَ ﴿الفُؤادُ﴾ فُؤادُ النبيّ ﴿ما رَآهُ﴾ ببصره من صُورة جِبريل. (١٢) ـ ﴿أفتُمارُونَهُ﴾: أتُجادلونه وتغلِبونه ﴿عَلَى ما يَرَى﴾؟ خِطاب للمُشركين المُنكرين رُؤيةَ النبيّ لِجبريل. (١٣) ـ (١٤) ـ ﴿ولَقَد رَآهُ﴾ على صُورته ﴿نَزْلَةً﴾: مرّة ﴿أُخرَى، عِندَ سِدرةِ المُنتَهَى﴾ لمّا أُسريَ به في السماوات، وهي شجرة نَبْقٍ عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم، (١٥) ـ ﴿عِندَها جَنّةُ المأوَى﴾ تأوي إليها الملائكة أو أرواح الشهداء أو المُتقّون، (١٦) ـ ﴿إذ﴾ حينَ ﴿يَغشَى السِّدرةَ ما يَغشَى﴾ من طير وغيره، وإذ: معمولة لـ «رآه»، (١٧) ـ ﴿ما زاغَ البَصَرُ﴾ من النبيّ ﴿وما طَغَى﴾ أي: ما مال بصره عن مَرئيّه المقصودِ له ولا جاوزه تلك الليلةَ. (١٨) ـ ﴿لَقَد رأى﴾ فيها ﴿مِن آياتِ رَبِّهِ الكُبرَى﴾ أي: العِظامِ، أي: بعضَها، فرأى من عجائب الملكوت رَفرفًا أخضرَ سدّ أُفق السماء، وجِبريلَ له ستُّمِائَةِ جناحٍ.

(١٩) ـ (٢٠) ـ ﴿أفرَأَيتُمُ اللاّتَ والعُزَّى، ومَناةَ الثّالِثَةَ﴾ للَّتينِ قبلها ﴿الأُخرَى﴾: صِفةُ ذمّ للثالثة؟ وهي أصنام من حِجارة، كان المُشركون يعبدونها

﴿والنّجم إذا هوَى﴾: (قسَم) بالنَّجم إذا غربَ وسَقطَ. ﴿ما ضلّ صاحبكم﴾: ما عدَلَ الرَّسولُ عنِ الحقِّ والهُدَى (جوابُ القسم). ﴿ما غوَى﴾: ما اعتقدَ باطلاً قطُّ. ﴿شديد القوى﴾: أمينُ الوحيِ جبريلُ عليهِ السَّلامُ. ﴿ذو مرّة﴾: قوّةٍ أو خَلْقٍ حَسَنٍ. أو آثارٍ بديعةٍ. ﴿فاستوى﴾: فاسْتقامَ على صورتِهِ الخِلقيَّةِ. ﴿دنا﴾: قَرُبَ جبريلُ مِنَ النّبيِّ ﷺ. ﴿قاب قوسين﴾: قَدْرَ قَوْسَيْنِ أو ذراعَيْنِ مِنَ النَّبيِّ ﷺ. ﴿عبده﴾: عبدِ اللهِ وهوَ محمَّدٌ ﷺ. ﴿أفتمارونه﴾: أفتُكذبونَهُ فتجادلونَهُ ﷺ. ﴿نزلَة أخرى﴾: مرَّةً أُخرى في صورتِهِ الخِلْقيَّةِ. ﴿سدرة المنتهى﴾: الَّتي تنتهي إليها علومُ الخلائقِ. ﴿جنّة المأوى﴾: مُقامُ أرواحِ الشُّهداءِ. ﴿يغشى السِّدرة﴾: يُغَطِّيها ويَسْتُرُها. ﴿ما زاغ البصر﴾: ما مالَ بَصَرُهُ عمَّا أُمِرَ برُؤيتِهِ. ﴿ما طغى﴾: ما جاوزَهُ إلى ما لم يُؤمَرْ برُؤيتِهِ. ﴿لقد رآى﴾: ليلةَ المِعراجِ. ﴿أفرأيتم﴾: فأخبِروني ألهذهِ الأصنام قدرَةٌ. ﴿اللاّت والعزّى﴾: أَصْنامٌ كانُوا يَعْبُدُونَهَا في الجاهلية. ﴿و مناة﴾: أصنامٌ كانوا يعبدونَها في الجاهليَّةِ. ﴿قسمة ضيزى﴾: جائِرَةٌ. أو عَوْجَاءُ. ﴿أمْ للإنسان ما تمنّى﴾: بل أَلَهُ كلُّ ما يشتهيهِ ـ لا. ﴿لا تُغني شفاعتهم﴾: لاَ تدفعُ. أو لا تنفعُ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ
ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ
بِٱلۡحُسۡنَى ٣١ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ
٣٤ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ
مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ
٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ
٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ٤٤

ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله. ومفعول «أرأيت» الأوَّلُ: اللاّتَ وما عُطف عليه، والثاني محذوف. والمعنى: أخبروني ألهذه الأصنام قُدرةٌ على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ ولمّا زعموا أيضًا أنّ الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل: (٢١) ـ (٢٢) ـ **﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى؟ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾**: جائرةٌ من: ضازَه يَضيزُه، إذا ضامَه وجارَ عليه. (٢٣) ـ **﴿إِنْ هِيَ﴾** أي: ما المذكورات **﴿إِلاّ أَسماءٌ، سَمَّيتُمُوها﴾** أي: سمّيتم بها **﴿أَنتُم وآباؤُكُم﴾** أصنامًا تعبدونها، **﴿ما أَنزَلَ اللهُ بِها﴾** أي: بعبادتها **﴿مِن سُلطانٍ﴾**: حُجّةٍ وبُرهان. **﴿إِنْ﴾**: ما **﴿يَتَّبِعُونَ﴾** في عِبادتها **﴿إِلاّ الظَّنَّ وما تَهوَى الأَنفُسُ﴾** ممّا زيّنه لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله تعالى، **﴿وَلَقَد جاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الهُدَى﴾** على لسان النبيِّ ﷺ بالبُرهان القاطع، فلم يرجعوا عمّا هم عليه.

(٢٤) ـ **﴿أَم لِلإِنسانِ﴾** أي: لكُلّ إنسان منهم **﴿ما تَمَنَّى﴾** من أنّ الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. (٢٥) ـ **﴿فَلِلّهِ الآخِرَةُ والأُولَى﴾** أي: الدنيا، فلا يقع فيهما إلاّ ما يريده. (٢٦) ـ **﴿وكَم مِن مَلَكٍ﴾** أي: وكثيرٌ من الملائكة **﴿في السَّماواتِ﴾** وما أكرَمَهُم عِند الله! **﴿لا تُغني شَفاعَتُهُم شَيئًا، إلاّ مِن بَعدِ أن يأذَنَ اللهُ﴾** لهم فيها **﴿لِمَن يَشاءُ﴾** من عباده **﴿ويَرضَى﴾** عنه! كقوله: «ولا يَشفَعُونَ إلاّ لِمَن ارتَضَى». ومعلوم أنها لا تُوجد منهم إلاّ بعد الإذن فيها: «مَن ذا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إلاّ بِإذنِهِ»؟

(٢٧) ـ **﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ لَيُسَمُّونَ المَلائكةَ تَسمِيَةَ الأُنثَى﴾**، حيث قالوا: «هم بناتُ اللهِ»، (٢٨) ـ **﴿وما لَهُم بِهِ﴾**: بهذا المقول **﴿مِن عِلمٍ. إِنْ﴾**: ما **﴿يَتَّبِعُونَ﴾** فيه **﴿إلاّ الظَّنَّ﴾** الذي تخيّلوه، **﴿وإنَّ الظَّنَّ لا يُغني مِنَ الحَقِّ شَيئًا﴾** أي: عن العِلم فيما المطلوبُ فيه العِلمُ!

(٢٩) ـ **﴿فأَعرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكرِنا﴾** أي: القرآنِ، **﴿ولَم يُرِدْ إلاّ الحَياةَ الدُّنيا﴾** ـ وهذا قبل الأمر بالجهاد. (٣٠) ـ **﴿ذلِكَ﴾**: طلب الدنيا **﴿مَبلَغُهُم مِنَ العِلمِ﴾** أي: نِهاية عِلمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ـ **﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اهتَدَى﴾** أي: عالمٌ بهما فيُجازيهما، (٣١) ـ **﴿ولِلّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأَرضِ﴾** أي: هو مالك لذلك، ومنه الضالّ والمُهتدي، يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، **﴿لِيَجزِيَ الَّذِينَ أَساؤُوا بِما عَمِلُوا﴾** من الشِّرك أو غيره، **﴿ويَجزِيَ الَّذِينَ أَحسَنُوا﴾** بالتوحيد وغيره من الطاعات **﴿بِالحُسنَى﴾** أي: الجنّةِ، وبيَّن المُحسنين بقوله: (٣٢) ـ **﴿الَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبائرَ الإِثمِ والفَواحِشَ إلاّ اللَّمَمَ﴾** هو صغار الذنوب كالنظرة والقُبلة واللمسة. فهو استثناء منقطع. والمعنى: لكنّ اللممَ يُغفر باجتناب الكبائر. **﴿إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ المَغفِرةِ﴾** بذلك وبقبول التوبة.

ونزل فيمن كان يقول: «صلاتُنا صيامُنا حجُّنا»[1]: **﴿هُوَ أَعلَمُ﴾** أي: عالم **﴿بِكُم، إذ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ﴾** أي: خلق أباكم من التراب، **﴿وإِذ أَنتُم أَجِنَّةٌ﴾**: جمع جَنين **﴿في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم. فلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُم﴾**: لا تمدحوها، أي: على سبيل الإعجاب. أمّا على سبيل الاعتراف بالنِّعمة فحسن. **﴿هُوَ أَعلَمُ﴾** أي: عالم **﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾**.

(٣٣) ـ **﴿أَفَرَأَيتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾** عن الإيمان، أي: ارتدَّ لمّا عُيِّر به، وقال: إنّي خَشيتُ عِقابَ الله. فضمِنَ له المُعيِّرُ أن يحمل عنه عذاب اللهِ، إن رجَع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرَجَعَ، (٣٤) ـ **﴿وأَعطَى قَلِيلاً﴾** من المال المُسمَّى **﴿وأَكدَى﴾**[2]: منع الباقيَ؟ مأخوذ من الكُدْية ـ وهي

﴿الفَواحش﴾: ما عَظمَ قُبحُهُ مِنَ الذُّنوبِ. ﴿اللّمم﴾: صغائرَ الذُّنوبِ. ﴿فلا تزكّوا أنفسكم﴾: فلا تمدحوها بحُسْنِ الأعمالِ. ﴿أكْدَى﴾: قطعَ عطيّتَهُ بخْلاً. ﴿الذي وفّى﴾: أتمَّ وأكملَ ما أُمِرَ بِهِ. ﴿لا تزر وازرة..﴾: لا تحْمِلُ نفسٌ آثمَةٌ.. ﴿المنتهى﴾: المصيرَ في الآخرةِ للجزاءِ.

(١) «تفسير مقاتل» (٤/ ١٦٥)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٦٢) عن مقاتل والكلبي. وعن ثابت بن الحارث الأنصاري: كانت اليهودُ تقولُ إذا هلَكَ لهم صبيٌّ: هو صدِّيقٌ، فبلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «كذبتِ اليهودُ، ما من نسمةٍ يخلقُه الله في بطنِ أمِّه إلا وهو شقيٌّ أو سعيدٌ»، فأنزلَ اللهُ: **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾** الآية. الطبراني في «الكبير» (١٣٦٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٣٦٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨).

(٢) مجاهدٌ وابنُ زيدٍ وابنُ عبّاسٍ في روايةِ عطاءٍ ومُقاتلٌ: نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ، اتَّبعَ رسولَ الله ﷺ فعَيَّره بعضُ الكافرين وقالَ له: أتركْتَ دينَ الأشياخِ وضلَّلتَهم، وزعمْتَ أنّهم في النّارِ؟! قال: إنّي خشيتُ عذابَ الله، فضمِنَ له إنْ أعطاه شيئًا من مالِه ورجعَ إلى شركِه أن يتحمَّلَ العذابَ عنه، ففعلَ، فأنزلَ الله هذه الآياتِ. الثعلبي (٢٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦) والواحدي (ص: ٣٩٩). الضحاك: قدِمَ أعرابيٌّ على قَعودٍ له وهو يُنادي بأعلى صوتِه: مَن يشتَري حسناتي بصاعٍ من تمرٍ؟ فقالَ أبو خيثمةَ =

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ
﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ
هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ
أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ
﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ
﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ
﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ القَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ
ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

أرض صُلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر ـ (٣٥) ـ ﴿أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ، فهُوَ يَرَى﴾ يعلم من جُملته أنّ غيره يتحمّل عنه عذاب الآخرة؟ لا. وهو الوليد بن المُغيرة أو غيرُه. وجُملة «أعنده»: المفعولُ الثاني لـ «أرأيتَ» بمعنى: أخبِرْني.

(٣٦) ـ ﴿أم﴾: بل ﴿لَم يُنَبَّأْ بِما في صُحُفِ مُوسَى﴾: أسفارِ التوراة أو صُحفِ قبلها (٣٧) ـ ﴿و﴾ صُحف ﴿إبراهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾: تمّمَ ما أُمِر به ـ نحو «وإذِ ابتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فأتَمَّهُنَّ» ـ وبيانُ «ما»: (٣٨) ـ ﴿أنْ لا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أُخرَى﴾ إلى آخره، وأنْ: مُخففة من الثقيلة، أي: أنّه لا تَحملُ نفسٌ ذنبَ غيرها، (٣٩) ـ ﴿وأنْ﴾ أي: أنّه ﴿لَيسَ لِلإنسانِ إلاّ ما سَعَى﴾ من خير، فليس له من سعيِ غيره الخيرَ شيء، (٤٠) ـ ﴿وأنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرَى﴾ أي: يُبصَرُ في الآخرة، (٤١) ـ ﴿ثُمَّ يُجزاهُ الجَزاءَ الأوفَى﴾: الأكملَ؟ يقال: جَزيتُه سعيَه وبسعيه.

سَجْدَة

(٤٢) ـ ﴿وأنَّ﴾ ـ بالفتح عطفًا. وقُرِئ بالكسر استئنافًا. وكذا ما بعدها. فلا يكون مضمون الجُمل في الصُّحف على الثاني ـ ﴿إلَى رَبِّكَ المُنتَهَى﴾ المَرجِعَ والمصير بعد الموت فيجازيهم، (٤٣) ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أضحَكَ﴾: من شاء أفرحه ﴿وأبكَى﴾[1]: من شاء أحزنه، (٤٤) ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أماتَ﴾ في الدنيا ﴿وأحيا﴾ للبعث، (٤٥) ـ (٤٦) ـ ﴿وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوجَينِ﴾: الصِّنفين ﴿الذَّكَرَ والأُنثَى مِن نُطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، ﴿إذا تُمنَى﴾ تُصبُّ في الرحِم، (٤٧) ـ ﴿وأنَّ علَيهِ النَّشاءَةَ﴾ ـ بالمدّ والقصر ـ ﴿الأُخرَى﴾: الخَلقةَ الآخِرة للبعث بعد الخَلقة الأُولى، (٤٨) ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أغنَى﴾ الناسَ بالكفاية بالأموال ﴿وأقنَى﴾: أعطى المالَ المُتَّخذ قُنيةً، (٤٩) ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرَى﴾. هو كوكب خلفَ الجوزاء، كانت تُعبد في الجاهليّة؟

(٥٠) ـ ﴿وأنَّهُ أهلَكَ عادًا الأُولَى﴾ ـ وفي قراءة بإدغامِ التنوين في اللام وضمِّها بلا همز ـ هي قوم هودٍ، والأُخرى قوم صالح (٥١) ـ ﴿وثَمُودًا﴾ ـ بالصرفِ اسمٌ للأب، وبلا صرفٍ اسمٌ للقبيلة. وهو معطوف على «عادًا» ـ ﴿فما أبقَى﴾ منهم أحدًا، (٥٢) ـ ﴿وقَومَ نُوحٍ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلَ عادٍ وثمودٍ أهلكناهم ـ ﴿إنَّهُم كانُوا هُم أظلَمَ وأطغَى﴾ من عاد وثمود لطولِ لَبثِ نوحٍ فيهم: «فلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنةٍ إلاّ خمسِينَ عامًا»، وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه ـ (٥٣) ـ ﴿والمُؤتَفِكَةَ﴾ وهي قُرى قومِ لُوطٍ ﴿أهوَى﴾: أسقطَها بعد رفعها إلى السماء مقلوبةً إلى الأرض بأمره جِبريلَ بذلك، (٥٤) ـ ﴿فغَشّاها﴾ من الحِجارة بعد ذلك ﴿ما غَشَّى﴾؟ أُبهِمَ تهويلاً. وفي هود: «جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وأمطَرْنا علَيها حِجارةً مِن سِجِّيلٍ».

(٥٥) ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكَ﴾: أنعُمِه الدالّةِ على وحدانيّته وقُدرته ﴿تَتَمارَى﴾: تَتشكّكُ ـ أيها الإنسان ـ أو تُكذّبُ؟ (٥٦) ـ ﴿هذا﴾ مُحمّدٌ ﴿نَذِيرٌ مِنَ

﴿تُمْنَى﴾: تدفقُ في الرَّحِمِ. ﴿النّشأة الأخرى﴾: الإحياءَ بعدَ الإماتةِ كما وَعَدَ. ﴿أقْنى﴾: أفقرَ. أو أرْضى بما أعْطَى. ﴿الشِّعْرى﴾: كوكبٌ معروفٌ كانوا يعبدونَهُ في الجاهليَّةِ. ﴿عادًا الأولى﴾: قَوْمَ هودٍ عليهِ السَّلامُ. ﴿ثمود﴾: قومَ صالح عليهِ السَّلامُ. ﴿المؤتفكة﴾: قُرى قوم لوطٍ عليهِ السَّلامُ. ﴿أهْوى﴾: أسْقطَها إلى الأرضِ بعدَ رفعِها. ﴿فغشّاها﴾: ألبَسَها وغطّاها بأنواعٍ مِنَ العذابِ. ﴿آلاء ربّك﴾: نِعَمِهِ تعالى ومنها دلائلُ قدرتِهِ. ﴿تتمارى﴾: تتشكّكُ. ﴿أزفتِ الآزفة﴾: اقترَبَتْ الساعةُ ودنت. ﴿كاشفة﴾: نَفْسٌ تكشفُ أهوالَها وشدائدَها. ﴿أنتم سامِدون﴾: لاهونَ غافلونَ.
﴿انشقّ القمر﴾: قدِ انفلقَ فَلْقَتَيْنِ مُعْجزةً لهُ ﷺ. ﴿سِحْرٌ﴾: دائمٌ. أوْ مُحْكمٌ أو ذاهبٌ. ﴿مسْتَقِرّ﴾: مُنْتهٍ إلى غايةٍ يستقرُّ عليها. ﴿مُزدجَرٌ﴾: ازدجارٌ وانتِهارٌ وردْعٌ عمَّا هم فيهِ مِنَ الكفرِ والضَّلالِ. ﴿النّذر﴾: الرُّسلُ أوِ الأمورُ المُخوِّفَةُ لهُم. ﴿شيءٍ نُكُر﴾: منكرٍ فظيعٍ (هوْلِ يومِ القيامةِ).

= ـ وكان رجلًا صالحًا راغبًا في الخيراتِ ـ: أنا أشتَري حسناتِك بوَسْقٍ من تـمرٍ، فنزلَتْ. «لباب التفاسير» للكرماني (٩/ ٦٠ ـ ٦١)، وهو «تفسير السمعاني» (٥/ ٣٠٠) دون نسبة. وعن الضحاك أيضاً: أنه النَّضر بن الحارث أعطى بعض فقراء المسلمين خمسَ قلائص حتى ارتدَّ عن إسلامه، وضَمِن له أن يَحْمِل عنه إثمه. «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٢)، و«زاد المسير» (٤/ ١٩١). وذكر الثعلبي (٢٥/ ١٤٥)، والواحدي (ص: ٣٩٨) عن ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك: أنها نزلت في عثمان ورجل على أن يعطيه عثمان ناقته برحلها وذاك الرجل يتحمل عنه ذنوبه كلَّها. قال في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥): ذلك عندي باطل، وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله. وعن عكرمة: أن رجلاً أراد الخروج في غزوة فلم يجد ما يخرج عليه، فقال له صديق له: أعطيك بكري هذا على أن تتحمل ذنوبي، فأنزل الله: ﴿أفرأيت الذي تولى﴾ الآيات. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٨٤).

(١) قالَت عائشةُ رضي الله عنها: مرَّ النَّبيُّ ﷺ على قومٍ يَضحَكونَ فقالَ «لو تعلمونَ ما أعلمُ لَبكيتُم كثيراً ولَضحكتُم قليلًا» فنزلَت هذهِ الآيةُ، فرجعَ إليهم فقال: «إنَّ اللهَ هو أضحَكَ وأبكى». رواه الثعلبي (٢٥/ ١٦٦)، والواحدي (ص: ٣٩٩)، وقوله: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» له شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١)، ضمن حديث صلاة الكسوف.

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾
كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ
﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

النُّذُرِ الأُولَى﴾: من جِنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أُرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم.

(٥٧) ـ ﴿أزِفَتِ الآزِفَةُ﴾: قَرُبَتِ القِيامةُ، (٥٨) ـ ﴿لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ﴾ نفسٌ ﴿كاشِفَةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويُظهرها إلاّ هو كقوله تعالى: «لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلاّ هُوَ». (٥٩) ـ ﴿أفمِن هذا الحَدِيثِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿تَعجَبُونَ﴾ تكذيبًا، (٦٠) ـ ﴿وتَضحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿ولا تَبكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده، (٦١) ـ ﴿وأنتُم سامِدُونَ﴾[1]: لاهونَ غافلون عما يُطلب منكم؟ (٦٢) ـ ﴿فاسجُدُوا لِلهِ﴾ الذي خلقكم ﴿واعبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

* * *

٥٤

سُورَةُ القَمَرِ[2]

مكية إلاّ «سيُهزم الجمع» الآيةَ، وهي خمس وخمسون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿اقتَرَبَتِ السّاعةُ﴾: قرُبتِ القِيامةُ، ﴿وانشَقَّ القَمَرُ﴾: انفلق فِلْقتَينِ على أبي قُبيسٍ وقُعَيقِعانَ آيةً له ﷺ، وقد سُئلها فقال: «اشهَدُوا» ـ رواه الشيخان ـ (٢) ـ ﴿وإن يَرَوا﴾ كُفّارُ قُريشٍ ﴿آيةً﴾: مُعجزة له ﷺ كانشقاق القمر ﴿يُعرِضُوا ويَقُولُوا﴾: هذا ﴿سِحرٌ مُستَمِرٌّ﴾: قويّ من المِرّةِ: القُوّةِ، أو دائمٌ. (٣) ـ ﴿وكَذَّبُوا﴾ النبيّ ﴿واتَّبَعُوا أهْواءَهُم﴾ في الباطل. ﴿وكُلُّ أمرٍ﴾ من الخير والشرّ ﴿مُستَقِرٌّ﴾ بأهله في الجنّة أو النار.

(٤) ـ ﴿ولَقَد جاءَهُم مِنَ الأنباءِ﴾: أخبارِ هلاكِ الأُممِ المُكذّبةِ رسلَهم ﴿ما فِيهِ مُزدَجَرٌ﴾ لهم، اسمُ مصدر أو اسمُ مكان، والدالُ بدل من تاء الافتعال ـ وازدجرتُه وزجرتُه: نَهيتُه بغِلظة. وما: موصولة أو موصوفة ـ (٥) ـ ﴿حِكْمَةٌ﴾: خبرُ مُبتدأ محذوفٍ، أو بدلٌ من «ما» أو من «مُزدجر»، ﴿بالِغَةٌ﴾: تامّة، ﴿فما تُغنِي﴾: تنفعُ فيهم ﴿النُّذُرُ﴾: جمع نَذير بمعنى: مُنذِر، أي: الأُمورُ المُنذِرة لهم. وما: للنفي أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مُقدّم.

(٦) ـ ﴿فتَوَلَّ عَنهُم﴾ هو فائدة ما قبله وبه تمّ الكلام. ﴿يَومَ يَدعُ الدّاعِ﴾ هو إسرافيل، وناصبُ «يومَ»: «يَخرجون» بعدُ، ﴿إلَى شَيءٍ نُكُرٍ﴾ ـ بضمّ الكاف وسكونها ـ أي: مُنكَرٍ تُنكره النفوس لشدته وهو الحساب، (٧) ـ ﴿خاشِعًا﴾: ذليلاً، وفي قراءة: «خُشَّعًا» بضمّ الخاء وفتح الشين مُشدّدةً، ﴿أبصارُهُم﴾: حال من فاعل ﴿يَخرُجُونَ﴾ أي: الناسُ ﴿مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿كَأَنَّهُم جَرادٌ مُنتَشِرٌ﴾ لا يدرون: أين يذهبون من الخوف والحَيرة؟ والجملة: حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: (٨) ـ ﴿مُهطِعِينَ﴾ أي: مُسرعين مادِّي أعناقِهم ﴿إلَى الدّاعِ، يَقُولُ الكافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هذا يَومٌ عَسِرٌ﴾ أي: صعب على الكافرين كما في المُدّثّر: «يَومٌ عَسِيرٌ عَلَى الكافِرِينَ».

(٩) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم﴾ أي: قبل قُريشٍ ﴿قَومُ نُوحٍ﴾ ـ تأنيث الفعل لمعنى «قوم» ـ ﴿فكَذَّبُوا عَبدَنا﴾ نُوحًا، ﴿وقالُوا: مَجنُونٌ. وازدُجِرَ﴾ أي: انتَهروه بالسبّ وغيره، (١٠) ـ (١١) ـ ﴿فدَعا رَبَّهُ أنِّي﴾ أي: بأنّي ﴿مَغلُوبٌ فانتَصِرْ، ففَتَحْنا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿أبوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنهَمِرٍ﴾: منصبّ

﴿خشَّعاً أبصارُهمْ﴾: ذليلةً خاضعةً مِن شدَّةِ الهوْلِ. ﴿الأجْداثِ﴾: القبورِ. ﴿مُهْطعين﴾: مسْرعينَ، مادِّي أعناقِهِمْ. ﴿يومٌ عَسِر﴾: صعْبٌ شديدٌ لِعظمِ أهْوالِهِ. ﴿ازدجِر﴾: زُجِرَ عن تبليغِ رسالتِهِ بالسَّبِّ وغيرِهِ. ﴿مَغلوبٌ فانتصِرْ﴾: مَقْهورٌ فانْتَقِمْ لي منهُم. ﴿أبْواب السماء﴾: السَّحابَ. ﴿بماءِ منهمِر﴾: مُنْصبٍّ بشدَّةٍ وغزارةٍ. ﴿فجّرنا الأرضَ﴾: شققْناها. ﴿أمْرٍ قدْ قُدِرَ﴾: قدَّرْناهُ أزَلاً (هلاكهُم بالطُّوفانِ). ﴿دُسُرٍ﴾: مَسَاميرَ تُشدُّ بها الألواحِ. ﴿تجْري بأعْيُننا﴾: بِحِفْظِنا أو بمرأىً منَّا أو بأمْرِنا. ﴿تَرَكْناها آية﴾: أبْقيْنا ذكْرَها عِبرةً وعِظةً. ﴿مُدّكِر﴾: مُعتبرٍ، متَّعِظٍ بها. ﴿نُذر﴾: إنذاري. ﴿ريحًا صَرْصَراً﴾: شديدةَ السَّمومِ أو البرْدِ أو الصَّوتِ. ﴿يَوْم نحْس﴾: شؤْمٍ عليهِم. ﴿مستمرّ﴾: دائم نحسُهُ. أو مُحكمٍ. أو بَشِعٍ. ﴿تنزع النّاس﴾: تقلعُهُم مِنْ أماكنِهم وترمي بهِم. ﴿أعجاز نخل﴾: أصولُهُ بلا رُؤوسٍ. ﴿منقعِر﴾: منْقلعٍ عن قعْرِهِ ومَغرِسِهِ. ﴿سُعُر﴾: شدَّةِ عذابٍ ونارٍ أو جنونٍ. ﴿كذاب أشر﴾: بَطِرٌ مُتكبِّرٌ. ﴿فتنة لهمْ﴾: امتحاناً وابتلاءً لهُم. ﴿اصْطبرْ﴾: اصبرْ على أذاهُمْ ولا تعجَلْ.

(١) عن ابن عباس قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين، فنزلت. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٨٥).

(٢) البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠)، عن ابن مسعود، قال: انشَقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقةً فوق الجبل، وفرقةً دونَه، فقال رسولُ الله ﷺ: «اشْهَدُوا». ولفظ المؤلف رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى انشقاق القمر أيضاً البخاري (٤٨٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢)، عن أنس رضي الله عنه، ومسلم (٢٨٠١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، والترمذي (٣٢٨٩) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، والحاكم (٨٨٠٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ (٣٣) إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ
(٣٦) وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى
وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا۟
عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠)
وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ
فِى ٱلزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ (٤٥) بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦)
إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩)

انصبابًا شديدًا، (١٢) ـ ﴿وفَجَّرْنا الأرضَ عُيُونًا﴾ تَنبُعُ ﴿فالتَقَى الماءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿علَى أمرٍ﴾: حالٍ ﴿قد قُدِرَ﴾: قُضِي به في الأزل ـ وهو هلاكُهم غرَقًا ـ (١٣) ـ ﴿وحَمَلْناهُ﴾ أي: نوحًا ﴿علَى﴾ سفينةٍ ﴿ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ﴾، وهي ما تُشدّ به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دِسار ككِتاب، (١٤) ـ ﴿تَجرِي بأعيُنِنا﴾: بمرأى منّا أي: محفوظةً ﴿جَزاءً﴾: منصوب بفعل مُقدّر، أي: أُغرِقوا انتصارًا ﴿لِمَن كانَ كُفِرَ﴾. وهو نوح عليه السلام. وقُرئ: «كَفَرَ» بناءً للفاعل، أي: أُغرِقوا عقابًا لهم. (١٥) ـ ﴿ولَقَد تَرَكْناها﴾: أبقَينا هذه الفَعلةَ ﴿آيةً﴾ لمن يَعتبر بها إذ شاع خبرها واستمرّ. ﴿فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾: مُعتبرٍ ومُتّعظ بها؟ وأصله «مُذْتَكِر» أُبدلت التاء دالاً مُهملة، وكذا المُعجمة وأُدغمت فيها. (١٦) ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري؟ استفهام تقرير. وكيف: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال. والمعنى حملُ المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه ـ تعالى ـ بالمُكذّبين لنُوح موقعَه. (١٧) ـ ﴿ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ﴾: سهّلناه للحِفظ أو هيّأناه للتذكّر. ﴿فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾ مُتّعظٍ به وحافظٍ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتّعظوا به. وليس يُحفظ من كُتب الله عن ظهر القلب غيرُه.

(١٨) ـ ﴿كَذَّبَتْ عادٌ﴾ نبيَّهم هُودًا فعُذّبوا. ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبلَ نزوله؟ أي: وقعَ موقعَه. وبيّنه بقوله: (١٩) ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم رِيحًا صَرصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿في يَومِ نَحسٍ﴾: شؤم ﴿مُستَمِرٍّ﴾: دائم الشؤم أو قويّه، وكان يومَ الأربعاء آخرَ الشهر، (٢٠) ـ ﴿تَنزِعُ النّاسَ﴾: تقلعُهم من حُفَر الأرض المندسّين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم فتدقّ رِقابهم، فتُبينُ الرأسَ عن الجسد، ﴿كأَنَّهُم﴾ وحالُهم ما ذُكر ﴿أعجازُ﴾: أصولُ ﴿نَخلٍ مُنقَعِرٍ﴾: مُنقلع ساقط على الأرض. وشُبّهوا بالنخل لطولهم، وذُكّرَ هنا وأُنّثَ في الحاقّة: «نَخلٍ خاوِيةٍ» مُراعاةً للفواصل في الموضعين. (٢١) ـ (٢٢) ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ؟ ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

(٢٣) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنُّذُرِ﴾: جمع نَذير بمعنى مُنذِر، أي: بالأُمور التي أنذرهم بها نبيّهم صالحٌ، إن لم يُؤمنوا به ويتّبعوه، (٢٤) ـ ﴿فقالُوا: أبَشَرًا﴾: منصوبٌ على الاِشتغال ﴿مِنّا واحِدًا﴾: صِفتان لـ «بشرًا» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾؟ مُفسِّرٌ للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: كيف نتّبعه، ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منّا وليس بمَلَكٍ؟ أي: لا نتّبعه. ﴿إنّا إذًا﴾ أي: إنِ اتبعناه ﴿لَفِي ضَلالٍ﴾: ذَهاب عن الصواب ﴿وسُعُرٍ﴾: جُنون. (٢٥) ـ ﴿أأُلقِيَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، وتركِه ـ ﴿الذِّكرُ﴾: الوحيُ ﴿علَيهِ مِن بَينِنا﴾؟ أي: لم يُوحَ إليه، ﴿بَل هُوَ كَذّابٌ﴾ في قوله: «إنه أُوحي إليه ما ذُكر» ﴿أشِرٌ﴾: مُتكبّر بَطِر.

(٢٦) ـ قال تعالى: ﴿سَيَعلَمُونَ غَدًا﴾ أي: في الآخرة: ﴿مَنِ الكَذّابُ الأشِرُ﴾؟ وهو هم، بأن يُعذَّبوا على تكذيبهم لنبيِّهم صالح. (٢٧) ـ ﴿إنّا مُرسِلُو النّاقةِ﴾: مُخرجوها من الهضْبةِ الصَّخرةِ كما سألوا ﴿فِتْنةً﴾: مِحنة ﴿لَهُم﴾ لِنختبرهم. ﴿فارتَقِبْهُم﴾ ـ يا صالحُ ـ أي: انتظرْ ما هم صانعون وما يُصنع بهم، ﴿واصطَبِرْ﴾ ـ الطاء بدل من تاء الافتعال ـ أي: اصبرْ على أذاهم، (٢٨) ـ ﴿ونَبِّئْهُم أنَّ الماءَ قِسمةٌ﴾: مقسوم ﴿بَينَهُم﴾ وبين الناقة، فيوم لهم ويوم لها، ﴿كُلُّ شِربٍ﴾: نصيبٍ من الماء ﴿مُحتَضَرٌ﴾: يحضُر القومُ يومَهم والناقةُ يومَها.

فتمادَوا على ذلك، ثمّ ملّوه فهمُّوا بقتل الناقة، (٢٩) ـ ﴿فنادَوا صاحِبَهُم﴾ قُدارًا ليقتلها، ﴿فتَعاطَى﴾: تناول السيف، ﴿فعَقَرَ﴾ به الناقة، أي: قتلها مُوافقةً لهم. (٣٠) ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي: وقع موقعَه. وبيّنه بقوله: (٣١) ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم صَيحةً واحِدةً، فكانُوا كَهَشِيمِ المُحتَظِرِ﴾ هو الذي يَجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك، يحفظهنّ فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم. (٣٢) ـ ﴿ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

﴿قِسْمَة بينهم﴾: مَقسومٌ بَيْنَهُم وبينَ النَّاقةِ. ﴿كلّ شِرْب﴾: كلُّ نصيبٍ وحصَّةٍ مِنَ الماءِ. ﴿مُحْتَضَرٌ﴾: يحْضرُهُ صاحبهُ في نَوبتِهِ. ﴿فَتَعاطى﴾: فتناولَ النَّاقةَ بسيْفِهِ اجْتراءً منهُ. ﴿كهشيم﴾: كاليابسِ المُتفتِّتِ مِن شجرِ الحظيرةِ. ﴿المُحتظِر﴾: صانع الحظيرةِ (الزّريبة) لمواشيهِ مِن هذا الشَّجر. ﴿حاصبًا﴾: ريحاً ترميهم بالحصباءِ. ﴿نجّيناهم بسَحَر﴾: عندَ انصداعِ الفجْرِ. ﴿أنذرهم بَطْشتنا﴾: أخْذَتَنا الشَّديدةَ بالعَذابِ. ﴿فتماروْا بالنّذر﴾: فكَذبوا بها مُتشاكِّينَ. ﴿راوَدوه عنْ ضيْفه﴾: طَلَبوا منهُ تمكينَهُم منهُم. ﴿فطمسْنا أعينهم﴾: أعميْناهُم أو أزلْنا أثرَها بمَسْحِها. ﴿بكرةً﴾: أوَّلَ النَّهارِ. ﴿في الزّبر﴾: في الكتبِ السَّماويَّةِ. ﴿نحن جميعٌ﴾: جماعةٌ، مجتمعٌ أمْرُنا. ﴿مُنتصر﴾: مُمْتَنِعٌ، لا نُغلبُ. ﴿السّاعة أدْهى﴾: أعظمُ داهيةً وأفظعُ. ﴿أمَرّ﴾: أشدُّ مرارةً مِنْ عذابِ الدُّنيا. ﴿سُعُر﴾: نيرانٍ مسعَّرةٍ أو جُنُونٍ. ﴿خلقناه بقَدَر﴾: بتقديرٍ سابقٍ أو مُقدَّراً مُحْكَماً.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ
أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ
﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾
وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾
وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ
وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾
وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن
مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ
ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾

(٣٣) ـ ﴿**كَذَّبَتْ قَومُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ**﴾ أي: بالأُمور المُنذِرة لهم على لسانه. (٣٤) ـ ﴿**إنّا أرسَلْنا علَيهِم حاصِبًا**﴾: ريحًا ترميهم بالحَصباء ـ وهي صِغار الحِجارة الواحدُ دُونَ مَلءِ الكفّ ـ فهلَكوا ﴿**إلاّ آلَ لُوطٍ**﴾ وهم ابنتاه معه ﴿**نَجَّيناهُم بِسَحَرٍ**﴾ من الأسحار، أي: وقتِ الصبح من يوم غير مُعيّن ـ ولو أُريد من يوم مُعيّن لمُنع الصرفَ لأنه معرفة معدول عن «السَّحر»، لأنّ حقّه أن يُستعمل في المعرفة بـ«أل». وهل أُرسل الحاصبُ على آل لوط أوْ لا؟ قولانِ. وعُبِّر عن الاستثناء على الأوّل بأنه مُتّصل، وعلى الثاني بأنه مُنقطع وإن كان من الجِنس، تسمّحًا ـ (٣٥) ـ ﴿**نِعْمةً**﴾ مصدرٌ أي: إنعامًا ﴿**مِن عِندِنا. كَذلِكَ**﴾ مِثلَ ذلك الجزاء ﴿**نَجزِي مَن شَكَرَ**﴾ أنعُمَنا وهو مؤمن، أو مَن آمن بالله ورسله وأطاعهم.

الحزب ٥٤

(٣٦) ـ ﴿**ولَقَد أنذَرَهُم**﴾: خوّفهم لُوطٌ ﴿**بَطْشتَنا**﴾: أخْذَتَنا إياهم بالعذاب، ﴿**فتَمارَوا**﴾: تجادلوا وكذّبوا ﴿**بِالنُّذُرِ**﴾: بإنذاره، (٣٧) ـ ﴿**ولَقَد راوَدُوهُ عَن ضَيفِهِ**﴾ أي: أن يُخلّيَ بينهم وبين القوم الذين أَتَوه في صُورة الأضياف ليَخبُثوا بهم، وكانوا ملائكة، ﴿**فطَمَسْنا أعيُنَهُم**﴾: أعمَيناها وجعلناها بلا شَقّ كباقي الوجه بأن صفقها جِبريل بجناحه. ﴿**فذُوقُوا**﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿**عَذابِي ونُذُرِ**﴾ أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرتَه وفائدته. (٣٨) ـ ﴿**ولَقَد صَبَّحَهُم بُكْرَةً**﴾: وقتَ الصبح من يوم غير مُعيّن، ﴿**عَذابٌ مُستَقِرٌّ**﴾: دائم مُتّصل بعذاب الآخرة. (٣٩) ـ (٤٠) ـ ﴿**فذُوقُوا عَذابِي ونُذُرِ. ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ**﴾؟

(٤١) ـ ﴿**ولَقَد جاءَ آلَ فِرعَونَ**﴾ قومَه معه ﴿**النُّذُرُ**﴾: الإنذار، على لسان موسى وهارونَ فلم يُؤمنوا، بل (٤٢) ـ ﴿**كَذَّبُوا بِآياتِنا كُلِّها**﴾ التسع التي أُوتِيَها مُوسَى، ﴿**فأَخَذْناهُم**﴾ بالعذاب ﴿**أخْذَ عَزِيزٍ**﴾: قويّ ﴿**مُقتَدِرٍ**﴾: قادر لا يُعجزه شيء.

(٤٣) ـ ﴿**أكُفّارُكُم**﴾ ـ يا قُريش ـ ﴿**خَيرٌ مِن أُولئِكُم**﴾ المذكورين من قوم نُوح إلى فِرعَون، فلم يُعذَّبوا؟ ﴿**أم لَكُم**﴾ ـ يا كُفّارَ قُريش ـ ﴿**بَراءةٌ**﴾ من العذاب ﴿**في الزُّبُرِ**﴾: الكُتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي: ليس الأمر كذلك. (٤٤) ـ ﴿**أم يَقُولُونَ**﴾ أي: كُفّارُ قُريش: ﴿**نَحنُ جَمِيعٌ**﴾ أي: جمعٌ ﴿**مُنتَصِرٌ**﴾ على مُحمّد. ولمّا قال أبو جهل يوم بدر: «إنّا جميعٌ مُنتصرٌ»[1] نزل: (٤٥) ـ ﴿**سَيُهزَمُ الجَمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾، فهُزموا ببدر، ونُصر رسول الله ﷺ عليهم. (٤٦) ـ ﴿**بَلِ السّاعةُ مَوعِدُهُم**﴾ بالعذاب، ﴿**والسّاعةُ**﴾ أي: عذابُها ﴿**أدهَى**﴾: أعظمُ بليّةً ﴿**وأمَرُّ**﴾: أشدّ مرارة من عذاب الدنيا. (٤٧) ـ ﴿**إنَّ المُجرِمِينَ في ضَلالٍ**﴾: هلاك بالقتل في الدنيا ﴿**وسُعُرٍ**﴾: نار مُسعَّرة ـ بالتشديد ـ أي: مُهيَّجة في الآخرة، (٤٨) ـ ﴿**يَومَ يُسحَبُونَ في النّارِ علَى وُجُوهِهِم**﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿**ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾[2]: إصابةَ جهنّمَ لكم.

﴿إلا واحدة﴾: كلمةٌ واحدةٌ، هيَ «كُنْ». ﴿أشياعكمْ﴾: أمثالَهُم في الكفرِ. ﴿الزبر﴾: كتبِ الحفظةِ. ﴿مستطَر﴾: مسطورٌ مكتوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ. ﴿نهَر﴾: أنهارٍ.
﴿مقعد صدْق﴾: مَكانٍ مَرْضيٍّ.
﴿علَّم القرآن﴾: عَلَّمَ الإنسانَ القرآنَ. ﴿بحُسبان﴾: يجريانِ بحسابٍ مقدَّرٍ في بروجِهِما. ﴿النّجم﴾: النَّباتُ الَّذي ينجمُ ولا ساقَ لهُ. ﴿يسجدان﴾: ينقادانِ للهِ فيما خُلِقا لهُ. ﴿وضع الميزان﴾: شرَعَ العدلَ وأمرَ بِهِ الخلقَ. ﴿ألا تطْغَوْا﴾: لئلَّا تتجاوزوا العدلَ والحقَّ. ﴿بالقسْط﴾: بالعدْلِ. ﴿لا تُخْسِروا الميزان﴾: لا تنقصوا مَوْزونَ الميزانِ. ﴿الأرض وضعها﴾: خلقَها محفوظةً عنِ السَّماءِ. ﴿ذات الأكمام﴾: أوعيةِ الثَّمرِ وهيَ الطَّلْعُ. ﴿ذو العَصْف﴾: القِشْرِ أوِ التِّبْنِ أوِ الوَرَقِ اليابسِ. ﴿الرّيحان﴾: النَّباتُ المشمومُ الطيِّبُ الرَّائحةِ. ﴿آلاء ربّكما﴾: نعمِهِ تعالى. ﴿تكذبان﴾: تكفرانِ أيُّها الثَّقلانِ. ﴿صلصال﴾: طينٍ يابسٍ يُسمعُ لهُ صلصلةٌ. ﴿كالفخّار﴾: هوَ الطِّينُ يُحرَقُ حتَّى يتحجَّرَ. ﴿مارج﴾: لهبٍ صافٍ لا دخانَ فيهِ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٥٢) عن مقاتل. وعن عليِّ بن أبي طلحةَ عن ابن عباسٍ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قال: كان ذلك يوم بدرٍ؛ قالوا: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ فنزلت هذه الآيةُ. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٦٢)، والطبري (٢٢/ ١٥٨). والظاهر أنها في ذلك الموقف إنما قرئت قراءة بينما نزولها قبل ذلك؛ فعن ابن عبَّاس: كانَ بينَ نزولِ هذه الآيةِ وبينَ بدرٍ سبعُ سنين. ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٢١) من رواية عطاء عنه، وهذا مع أن سنده واه، لكن روي ما يؤيده، وهو ما رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٠٦٩)، والطبري (٢٢/ ١٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣٨٢٩)، عن عمر رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿سيهزم الجمع﴾ جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: «﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾». وروى البخاري (٤٨٧٦) عن عائشة: «لَقَدْ أُنزل على محمدٍ ﷺ بمكَّة وإنِّي لَجاريةٌ ألعبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾».

(٢) عن أبي هريرةَ، قال: جاء مشركو قريش يخاصِمونَ رسولَ اللهِ ﷺ في القدَر، فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. =

مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ
رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ
أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا
شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن
ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾
يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾

(٤٩) ـ ﴿إنّا كُلَّ شَيءٍ﴾: منصوبٌ بفعل يُفسِّره ﴿خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾: بتقديرٍ، حالٌ من «كُلّ» أي: مُقدَّرًا ـ وقُرئ: «كُلُّ» بالرفع، مبتدأٌ خبره: خلقناه ـ

(٥٠) ـ ﴿وما أمرُنا﴾ لشيء نُريد وجودَه ﴿إلاّ﴾ أمرةٌ ﴿واحِدةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ﴾ في السرعة، وهي «كُنْ» فيُوجد: «إنَّما أمرُهُ، إذا أرادَ شَيئًا، أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ». (٥١) ـ ﴿ولَقَد أهلَكْنا أشياعَكُم﴾: أشباهَكم في الكُفر من الأُمم الماضية ـ ﴿فَهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اذكروا واتّعظوا ـ (٥٢) ـ ﴿وكُلُّ شَيءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العِبادُ مكتوبٌ ﴿في الزُّبُرِ﴾: كُتُبِ الحَفَظة، (٥٣) ـ ﴿وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ﴾ من الذنب أو العمل ﴿مُستَطَرٌ﴾: مكتتَبٌ في اللوح المحفوظ.

(٥٤) ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿ونَهَرٍ﴾ ـ أُريد به الجِنسُ. وقُرئ «نُهُرٍ» بضم النون والهاء جمعًا كأسَدٍ وأُسُدٍ ـ والمعنى أنهم يشربون من أنهارها الماءَ واللبن والعسل والخمر، (٥٥) ـ ﴿في مَقعَدِ صِدقٍ﴾: مجلسِ حقّ لا لغوَ فيه ولا تأثيم ـ أُريد به الجِنسُ. وقُرئ: «مَقاعِدِ»، المعنى أنهم في مجالسَ من الجنّات سالمةٍ من اللغو والتأثيم بخِلاف مجالس الدنيا، فقلَّ أن تسلم من ذلك. وأُعرِب هذا خبرًا ثانيًا وبدلاً. وهو صادق ببدل البعض وغيره ـ ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: مِثالُ مُبالغةٍ، أي: عزيزِ المُلك واسعِه ﴿مُقتَدِرٍ﴾: قادر لا يُعجزه شيء. وهو الله تعالى. وعِند: إشارة إلى الرُّتبة من فضله تعالى.

* * *

٥٥

سُورَةُ الرَّحْمَٰن

مكية، أو إلاّ «يسأله من في السماوات والأرض» الآيةَ فمدنية، وهي ست أو ثمانٍ وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ـ (٣) ـ ﴿الرَّحمنُ عَلَّمَ﴾ مَن شاء ﴿القُرآنَ، خَلَقَ الإنسانَ﴾ أي: الجِنسَ، (٤) ـ ﴿عَلَّمَهُ البَيانَ﴾ النُّطق، (٥) ـ ﴿الشَّمسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾: بحِساب يجريانِ، (٦) ـ ﴿والنَّجمُ﴾: ما لا ساق له من النبات ﴿والشَّجَرُ﴾: ما له ساق ﴿يَسجُدانِ﴾: يخضعان لما يُراد منهما، (٧) ـ ﴿والسَّماءَ رَفَعَها ووَضَعَ المِيزانَ﴾: أثبتَ العدل، (٨) ـ ﴿ألاّ تَطغَوا﴾ أي: لِأجل ألاّ تجوروا ﴿في المِيزانِ﴾: ما يُوزن به، (٩) ـ ﴿وأقِيمُوا الوَزنَ بِالقِسطِ﴾: بالعدل، ﴿ولا تُخسِرُوا المِيزانَ﴾: تَنقُصوا المَوزونَ، (١٠) ـ ﴿والأرضَ وَضَعَها﴾: أثبتَها ﴿لِلأنامِ﴾: للخلق الإنس والجِنّ وغيرهم،

﴿مَرَج البحرين﴾: أرْسَلَ العذبَ والمِلحَ في مجاريهِما. ﴿يلتقِيان﴾: يتجاورانِ أو يلتقي طرفاهُما. ﴿بيْنهما برْزخ﴾: حاجزٌ أرضيٌّ أو مِن قدرتِهِ تعالى. ﴿لا يبْغِيان﴾: لا يطغَى أحدُهُما على الآخرِ بالمُمَازجَةِ. ﴿له الجوار﴾: السُّفنُ الجاريةُ. ﴿المنشئات﴾: المرفوعاتُ الشّرعُ (القلوع). ﴿كالأعلام﴾: كالجبالِ الشَّاهقةِ أوِ القصورِ. ﴿فان﴾: هالكٌ. ﴿ذو الجلال﴾: العظمةِ والاستغناءِ المطلقِ. ﴿الإكرام﴾: الفَضْلِ التَّامِّ. ﴿في شأن﴾: يأتي بأحوالٍ ويذهبُ بأحوالٍ بالحكمةِ. ﴿سنفرُغ لكم﴾: سنقصِدُ لمحاسَبتِكُم بعدَ الإهمالِ. ﴿أيها الثقلان﴾: الإنسُ والجنُّ. ﴿تنفذوا﴾: تخرجوا هرباً مِن قضائي. ﴿فانفذوا﴾: فاخرجوا (أمرُ تعجيزٍ). ﴿بسلطان﴾: بقوَّةٍ وقهرٍ، وهيهاتَ.. !. ﴿شواظ﴾: لهبٌ خالصٌ لا دخانَ فيهِ. ﴿نحاس﴾: صُفْرٌ مُذابٌ أو دخانٌ بلا لهَبٍ. ﴿فكانت وردة﴾: كالوردةِ في الحمرةِ. ﴿كالدّهان﴾: كدُهْنِ الزَّيتِ في الذَّوبانِ. ﴿بسيماهم﴾: بسوادِ الوجوهِ، وزرقةِ العيونِ. ﴿فيؤخذ بالنّواصي﴾: بشعورِ مقدَّمِ الرُّؤوسِ.

= وعن زُرارة الأنصاري: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فقال: «أنزلَت هذهِ الآيةُ في ناسٍ من آخرِ هذه الأُمَّةِ يُكذِّبونَ بقَدَرِ الله». ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٢١)، والطبراني في «الكبير» (٥٣١٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه. وقالَ أبو أُمامةَ: أشهدُ باللهِ لسمعتُ رسولَ اللهِ عليه السَّلامُ يقولُ: «إنَّ هذه الآيَةَ نزلَت في القدريَّةِ: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾». رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٩٨)، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠١) مسلسلاً بقول: «أشهد بالله». وضعف إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٣).

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾
فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

(١١) ـ ﴿فِيها فاكِهةٌ والنَّخلُ﴾ المعهود ﴿ذاتُ الأكمام﴾: أوعيةِ طَلْعِها،
(١٢) ـ ﴿والحَبُّ﴾ كالحِنطة والشعير ﴿ذُو العَصفِ﴾: التِّبنِ ﴿والرَّيحانُ﴾: الرزق
أو المشموم. (١٣) ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ﴾: نِعَمِ ﴿رَبِّكُما﴾ ـ أيّها الإنسُ والجِنُّ ـ
﴿تُكَذِّبانِ﴾؟ ذُكِرتْ إحدى وثلاثين مرّة، والاستفهام فيها للتقرير، لِما روى
الحاكم عن جابر قال: «قرأَ علَينا رسُولُ اللهِ ﷺ سُورةَ الرَّحمنِ حَتّى خَتَمَها،
ثُمّ قالَ: مالِي أراكُم سُكُوتًا؟ لَلجِنُّ كانُوا أحسَنَ مِنكُم رَدًّا. ما قَرأتُ علَيهِم هذهِ
الآيَةَ مِن مَرّةٍ: «فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ»؟ إلاّ قالوا: ولا بِشَيءٍ مِن نِعَمِكَ ـ رَبَّنا
ـ نُكَذِّبُ. فلكَ الحَمدُ»[1].

(١٤) ـ ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ آدمَ ﴿مِن صَلصالٍ﴾: من طين يابس يُسمع له صلصلةٌ،
أي: صوت إذا نُقر، ﴿كالفَخّارِ﴾ ـ وهو ما طُبخ من الطين ـ (١٥) ـ ﴿وخَلَقَ
الجانَّ﴾ أبا الجِنّ وهو إبليس ﴿مِن مارِجٍ مِن نارٍ﴾ هو لهَبها الخالص من الدُّخان.
(١٦) ـ (١٧) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ رَبُّ المَشرِقَينِ﴾: مشرق الشتاء ومشرق
الصيف ﴿ورَبُّ المَغرِبَينِ﴾ كذلك. (١٨) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

(١٩) ـ ﴿مَرَجَ﴾ أرسلَ ﴿البَحرَينِ﴾: العذبَ والمِلحَ ﴿يَلتَقِيانِ﴾ في رأيِ العين،
(٢٠) ـ ﴿بَينَهُما بَرزَخٌ﴾: حاجز من قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لا يَبغِيانِ﴾: لا يبغي واحد
منهما على الآخر فيختلط به. (٢١) ـ (٢٢) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ يُخرَجُ﴾
ـ بالبناء للمفعول والفاعل ـ ﴿مِنهُما﴾: من مجموعهما الصادقِ بأحدهما وهو
المِلح ﴿اللُّؤلُؤُ والمَرجانُ﴾: خرَز أحمر أو صِغار اللؤلؤ. (٢٣) ـ (٢٤) ـ ﴿فبأيِّ
آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ ولَهُ الجَوارِي﴾: السُّفنُ ﴿المُنشَآتُ﴾: المُحدَثات ﴿في البَحرِ كالأعلامِ﴾: كالجبال عِظَمًا وارتفاعًا. (٢٥) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ
رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

(٢٦) ـ ﴿كُلُّ مَن علَيها﴾ أي: الأرضِ من الحيوان ﴿فانٍ﴾: هالكٌ ـ وعُبِّر بـ «مَن» تغليبًا للعُقلاء ـ (٢٧) ـ ﴿ويَبقَى وَجهُ رَبِّكَ﴾: ذاتُه ﴿ذُو
الجَلالِ﴾: العَظَمة ﴿والإكرامِ﴾ للمُؤمنين بأنعُمه عليهم. (٢٨) ـ (٢٩) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تَكذِّبانِ؟ يَسألُهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾: بنُطقٍ أو
حالٍ ما يحتاجون إليه من القُوّةِ على العِبادة والرزقِ والمغفرةِ وغير ذلك، ﴿كُلَّ يَومٍ﴾: وقت ﴿هُوَ في شأنٍ﴾: أمر، يُظهره على وَفق ما قدّره
في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك. (٣٠) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

(٣١) ـ ﴿سَنَفرُغُ لَكُم﴾: سنقصِد لحِسابكم ـ ﴿أيُّها الثَّقَلانِ﴾: الإنسُ والجِنُّ ـ (٣٢) ـ (٣٣) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ،
إنِ استَطَعتُم أن تَنفُذُوا﴾: تخرجوا ﴿مِن أقطارِ﴾: نواحي ﴿السَّماواتِ والأرضِ، فانفُذُوا﴾. أمرُ تعجيز. ﴿لا تَنفُذُونَ إلاّ بِسُلطانٍ﴾: بقُوّة، ولا
قُوّة لكم على ذلك. (٣٤) ـ (٣٥) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ يُرسَلُ علَيكُما شُواظٌ مِن نارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدُّخان أو معه ﴿ونُحاسٌ﴾:
أو دخانٌ لا لهب فيه، ﴿فلا تَنتَصِرانِ﴾: تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. (٣٦) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

(٣٧) ـ ﴿فإذا انشَقَّتِ السَّماءُ﴾: انفرجت أبوابًا لنُزول الملائكة، ﴿فكانَتْ وَرْدةً﴾ أي: مِثلَها مُحمرّة ﴿كالدِّهانِ﴾: كالأديم الأحمر، على خِلاف
العهد بها. وجواب إذا: فما أعظمَ الهولَ! (٣٨) ـ (٣٩) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فيَومَئِذٍ لا يُسألُ عَن ذَنبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ﴾ عن ذنبه. ويُسألون
في وقت آخر: «فوَرَبِّكَ لَنسألَنَّهُم أجمَعِينَ». والجانّ هنا وفيما سيأتي بمعنى الجِنِّيّ، والإنس فيهما بمعنى الإنسيّ. (٤٠) ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما
تُكَذِّبانِ﴾؟ (٤١) ـ ﴿يُعرَفُ المُجرِمُونَ بِسِيماهُم﴾ أي: سوادِ الوُجوه وزُرقة العُيون، ﴿فيُؤخَذُ بالنَّواصِي والأقدامِ.

﴿حميم آن﴾: ماءٍ حارٍّ تناهى حرُّهُ. ﴿جنّتان﴾: بستانٌ داخلَ القصرِ وآخرُ خارجَهُ. ﴿ذواتا أفنان﴾: أغصانٍ. أو أنواعٍ مِنَ الثِّمارِ. ﴿عينان﴾: التَّسنيمُ والسَّلسبيلُ.
﴿زوجان﴾: صِنفانِ: معروفٌ وغريبٌ. ﴿استبرق﴾: غليظِ الدِّيباجِ. ﴿جنى الجنّتيْن﴾: ما يُجنى مِن ثمارِهِما. ﴿دان﴾: قريبٌ مِن يدِ المُتناولِ. ﴿قاصرات الطّرف﴾:
قصَرْنَ أبصارَهُنَّ على أزواجِهِنَّ. ﴿لم يطمثهنّ﴾: لمْ يفتضَّهُنَّ قبلَ أزواجِهِنَّ. ﴿ومن دونهما جنّتان﴾: أعلى أو أدنى مِنَ السَّابقتَيْنِ. ﴿مدهامّتان﴾: خضراوانِ شديدتا
الخضرةِ. ﴿نضّاختان﴾: فوّارتانِ بالماءِ لا تنقطعانِ.

(١) برقم (٣٧٦٦)، ورواه أيضاً الترمذي (٣٢٩١)، وأشار إلى تضعيفه.

فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ
وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ
هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ
مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

٤٢ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟ أي: تُضمّ ناصية كُلّ منهم إلى قدميه من خلفُ أو قُدّام، ويُلقى في النار، ويقال لهم: ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِها المُجرِمُونَ. يَطُوفُونَ﴾: يسعَون ﴿بَينَها وبَينَ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ حارّ ﴿آنٍ﴾: شديد الحرارة. يُسقَونه إذا استغاثوا من حرّ النار. وهو منقوصٌ كقاضٍ. ٤٥ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿ولِمَن خافَ﴾ أي: لكُلٍّ منهم أو لمجموعهم ﴿مَقامَ رَبِّهِ﴾: قيامَه بين يديه للحِساب فتركَ معصيته ﴿جَنّتانِ، فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ ذَواتا﴾: تثنية «ذوات» على الأصل، ولامها ياء، ﴿أفنانٍ﴾: أغصانٍ جمع فَنَن كطَلَل.

ربع الحزب ٥٤

٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما عَينانِ تَجرِيانِ. فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما مِن كُلِّ فاكِهَةٍ﴾ في الدنيا أو كُلِّ ما يُتفكّه به ﴿زَوجانِ﴾: نوعانِ رطبٌ ويابس، والمرُّ منهما في الدنيا كالحنظل حلوٌ. ٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ عامله محذوف، أي: يتنعّمون ﴿عَلى فُرُشٍ، بَطائِنُها مِن إستَبرَقٍ﴾: ما غلُظ من الديباج وخشُن، والظهائرُ من السُّندس، ﴿وجَنَى الجَنّتَينِ﴾: ثمرُهما ﴿دانٍ﴾: قريبٌ، يناله القائم والقاعد والمضطجع. ٥٥ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿فِيهِنَّ﴾: في الجنّتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قاصِراتُ الطَّرفِ﴾: العَينِ على أزواجهنّ المتّكئين من الإنس والجنّ، ﴿لَم يَطمِثْهُنَّ﴾: يفتَضّهنّ ـ وهنّ من الحُور، أو من نِساء الدنيا المُنشآت ـ ﴿إنسٌ قَبلَهُم ولا جانٌّ، فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ كأنَّهُنَّ الياقُوتُ﴾ صفاءً ﴿والمَرجانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضًا. ٥٩ ـ ٦٠ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ هَل﴾: ما ﴿جَزاءُ الإحسانِ﴾ بالطاعة ﴿إلاّ الإحسانُ﴾ بالنعيم؟ ٦١ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٦٢ ـ ﴿ومِن دُونِهِما﴾ أي: الجنّتين المذكورتين ﴿جَنّتانِ﴾ أيضًا لمن خاف مَقام ربّه، ٦٣ ـ ٦٤ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ مُدهامَّتانِ﴾: سَوداوانِ من شِدّة خُضرتهما، ٦٥ ـ ٦٦ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما عَينانِ نَضّاخَتانِ﴾: فوّارتانِ بالماء لا تنقطعان، ٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما فاكِهَةٌ ونَخلٌ ورُمّانٌ﴾، هما منها، وقيل: من غيرها، ٦٩ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٧٠ ـ ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنّتين وقصورهما ﴿خَيراتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسانٌ﴾ وُجوهًا، ٧١ ـ ٧٢ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ حُورٌ﴾: شديداتُ سوادِ العُيون وبياضِها ﴿مَقصُوراتٌ﴾: مستورات ﴿فِي الخِيامِ﴾ من دُرٍّ مجوَّفٍ، مُضافةً إلى القُصور شبيهةً بالخُدور، ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ لَم يَطمِثْهُنَّ إنسٌ قَبلَهُم﴾: قبل أزواجهنّ ﴿ولا جانٌّ، فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجُهنّ ـ وإعرابه كما تقدّم ـ ﴿عَلى رَفرَفٍ خُضرٍ﴾: جمع رَفرفة، أي: بُسُطٍ أو وسائدَ، ﴿وعَبقَرِيٍّ حِسانٍ﴾: جمع عبقريّة، أي: طنافس. ٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ تَبارَكَ اسمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ والإكرامِ﴾! تقدّم، ولفظ «اسم» زائدٌ.

* * *

﴿خيرات حسان﴾: خيِّراتُ الأخلاقِ حِسانُ الوُجوهِ. ﴿حور﴾: نساءٌ بيضٌ حِسانٌ. ﴿مقصورات في الخِيام﴾: مخدَّراتٌ في بيوتٍ مِنَ اللُّؤلؤِ. ﴿رفرف﴾: وسائدَ أو فُرُشٍ مُرتفعةٍ. ﴿عبقريّ﴾: بُسطٍ ذاتِ خمْلٍ رقيقٍ. ﴿تبارك﴾: تعالى. أو كثُرَ خيْرُهُ وإحسانُهُ. ﴿ذي الجلال﴾: العظمةِ والاستغناءِ المُطلقِ. ﴿الإكرام﴾: الفضلِ التَّامِّ والإحسانِ.

﴿وقعت الواقعة﴾: قامَتِ القيامةُ بنفخةِ البعْثِ. ﴿كاذبة﴾: نفْسٌ كاذبةٌ تُنكرُ وقوعَها. ﴿خافضة رافعة﴾: هيَ خافضةٌ للأشقياءِ رافعةٌ للسُّعداءِ. ﴿رُجّت الأرض﴾: زلزلَتْ وحُرِّكَتْ تحريكاً بشدَّةٍ. ﴿بُسّت الجبال﴾: فتّتَتْ كالسَّويقِ المَلْتوتِ. ﴿هباءً منبثًّا﴾: غباراً مُتفرِّقاً منتشِراً. ﴿كنتم أزواجاً﴾: أصنافاً. ﴿فأصحاب الميمنة﴾: اليُمْنِ والبركةِ. أو ناحيةِ اليمينِ. ﴿أصحاب المشأمة﴾: الشُّؤمِ. أو ناحيةِ الشِّمالِ. ﴿ثلّة﴾: هم أمَّةٌ مِنَ النَّاسِ كثيرةٌ. ﴿سُرُر موضونة﴾: منسوجةٍ مِنَ الذَّهبِ بإحكامٍ.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ
ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا
﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾
وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ
﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟
يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

٥٦

سورة الواقعة

مكية إلاّ «أفبهذا الحديث» الآيَة، و«ثُلّة من الأولين» الآيَة، وهي ستٌّ أو سبع أو تسع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿إذا وَقَعَتِ الواقِعةُ﴾ قامتِ القِيامة، (٢) ـ ﴿لَيسَ لِوَقْعتِها كاذِبةٌ﴾: نفسٌ تكذِّب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا، (٣) ـ ﴿خافِضةٌ رافِعةٌ﴾ أي: هي مُظهِرة لخفض أقوام بدُخولهم النارَ ولرفع آخرين بدُخولهم الجنّةَ، (٤) ـ ﴿إذا رُجَّتِ الأرضُ رَجًّا﴾: حُرِّكتْ حركة شديدة، (٥) ـ ﴿وبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾: فُتِّتَتْ، (٦) ـ ﴿فكانَت هَباءً﴾: غُبارًا ﴿مُنبَثًّا﴾: منتشرًا ـ وإذا الثانية: بدل من الأولى ـ (٧) ـ (٨) ـ ﴿وكُنتُم﴾ في القِيامة ﴿أزواجًا﴾: أصنافًا[1] ﴿ثلاثةً، فأصحابُ المَيمَنةِ﴾ وهم الذين يُؤتَون كُتُبَهم بأيمانهم، مبتدأٌ خبرُه: ﴿ما أصحابُ المَيمَنةِ﴾! تعظيمٌ لشأنهم بدخولهم الجنّةَ، (٩) ـ ﴿وأصحابُ المَشْأمةِ﴾ أي: الشِّمالِ بأن يُؤتَى كُلّ منهم كِتابَه بِشِماله ﴿ما أصحابُ المَشْأمةِ﴾! تحقيرٌ لشأنهم بدخولهم النارَ، (١٠) ـ ﴿والسّابِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء[2]: مبتدأٌ ﴿السّابِقُونَ﴾: تأكيد لتعظيم شأنهم، والخبرُ: (١١) ـ (١٢) ـ (١٣) ـ ﴿أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ، في جَنّاتِ النَّعيمِ، ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلينَ﴾ مبتدأٌ، أي: جماعة من الأمم الماضية[3]، (١٤) ـ ﴿وقَليلٌ مِنَ الآخِرينَ﴾: من أمة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبرُ: (١٥) ـ ﴿على سُرُرٍ مَوضُونةٍ﴾: منسوجة بقُضبان الذهب والجواهر، (١٦) ـ ﴿مُتَّكِئينَ عليها مُتَقابِلِينَ﴾: حالان من الضمير في الخبر.

﴿ولدان مُخلّدون﴾: مُبْقَّونَ على هيئةِ الولدانِ في البهاءِ. ﴿بأكواب﴾: أقداحٍ لا عُرى لها ولا خراطيمَ. ﴿أباريق﴾: أوانٍ لها عُرىً وخراطيمُ. ﴿كأس﴾: خمرٍ أو قدَحٍ فيهِ خمرٌ. ﴿من معين﴾: خمرٍ جاريةٍ مِنَ العيونِ. ﴿لا يُصدّعون عنها﴾: لا يُصيبُهُم صداعٌ بشربِها. ﴿لا يُنزفون﴾: لا تذهَبُ عقولُهُم بسببِها. ﴿حورٌ عين﴾: نساءٌ بيضٌ واسعاتُ الأعينِ حِسانُها. ﴿اللؤلؤ المكنون﴾: المصونِ في أصدافِهِ ممَّا يغيِّرُهُ. ﴿لغْوًا﴾: كلاماً لا خيرَ فيهِ أو باطلاً. ﴿و لا تأثيماً﴾: ولا نسبةَ إلى الإثمِ أو لا ما يوجبُهُ. ﴿في سِدْر﴾: في شجرِ النَّبَقِ ينعَّمونَ بهِ. ﴿مخضود﴾: مقطوعِ شوكُهُ. ﴿طلح﴾: شجرِ الموزِ أو مثلِهِ. ﴿منضود﴾: نُضِّدَ بالحمْلِ مِن أسفلِهِ إلى أعلاهُ. ﴿ظل ممدود﴾: دائمٍ لا يتقلَّصُ أو ممتدٌّ منبسطٍ. ﴿ماءٍ مسكوب﴾: مصبوبٍ يجري في غيرِ أخاديدَ. ﴿مرفوعة﴾: على الأسرَّةِ أو منضدَّةٍ مرتفعةٍ. ﴿عُرُباً﴾: مُتحبِّباتٍ إلى أزواجِهِنَّ. ﴿أتراباً﴾: مسْتوياتٍ في السِّنِّ. ﴿سموم﴾: ريحٍ شديدةِ الحرارةِ تدخلُ المَسام. ﴿حميم﴾: ماءٍ بالغٍ غايةَ الحرارةِ. ﴿يَحْموم﴾: دخانٍ شديدِ السَّوادِ أو نارٍ. ﴿لا كريم﴾: لا نافعٍ مِن أذى الحرِّ. ﴿مُترَفين﴾: منعَّمينَ متّبعينَ أهواءَ أنفسِهِم. ﴿الحِنث﴾: الذَّنبِ العظيمِ ـ الشِّركِ.

(١) وكلُّ صنفٍ يكونُ أو يُذكَرُ معَ صنفٍ آخرَ زوجٌ؛ أي: ينقسمُ النَّاسُ يومئذٍ إلى ثلاثةِ أصنافٍ. (الجمالين).

(٢) لأنَّهم مقدَّموا أهلِ الأديانِ، وفيه أنَّه لا يلائمُ قولَهُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾، أو السَّابقونَ إلى إجابةِ الرَّسولِ، أو إلى الخيراتِ. (الجمالين).

(٣) وهذهِ الأمَّةِ، وقالت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: الفِرقَتانِ في أمَّةِ كلِّ نبيٍّ: في صدرِها ثلَّةٌ، وفي آخرِها ثلَّةٌ، وكثيرٌ مِن السَّلفِ ومنهُم الحسنُ على أنَّ معناهُ: هم كثيرٌ مِن متقدِّمِي هذهِ الأمَّةِ وقليلٌ من متأخِّريها، وروى الطَّبرانيُّ وغيرُه مرفوعاً: «أنَّهُما من هذهِ الأمَّةِ». (الجمالين).

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ
مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا
لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(١٧) ـ ﴿يَطُوفُ علَيهِم﴾ للخِدمة ﴿وِلدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: على شكل الأولاد لا يَهرمون، (١٨) ـ ﴿بِأكْوابٍ﴾: أقداح لا عُرَى لها ﴿وأبارِيقَ﴾ لها عُرًى وخراطيمُ ﴿وكأسٍ﴾: إناءِ شُربِ الخمر ﴿مِن مَعِينٍ﴾، أي: خمرٍ جارية من مَنبع لا ينقطع أبدًا، (١٩) ـ ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها ولا يُنزَفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسرها، من: نُزِفَ الشاربُ وأنزَفَ ـ أي: لا يَحصُل لهم منها صُداع ولا ذَهاب عقل بخِلاف خمر الدنيا، (٢٠) ـ (٢١) ـ (٢٢) ـ ﴿وفاكِهةٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ، ولَحمِ طَيرٍ مِمّا يَشتَهُونَ، و﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾: نساء شديداتُ سوادِ العُيون وبياضِها ﴿عِينٌ﴾: ضِخامُ العُيون ـ كُسرت عينه بدل ضمّها لمجانسة الياء، ومفرده عَيناء كحَمراء. وفي قراءة بجرِّ «حورٍ عينٍ» ـ (٢٣) ـ ﴿كأمثالِ اللُّؤلُؤِ المَكنُونِ﴾: المصون، (٢٤) ـ (٢٥) ـ ﴿جَزاءً﴾: مفعول له أو مصدر، والعامل مُقدّر، أي: جعلنا لهم ما ذُكر للجزاء أو جزَيناهم ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ، لا يَسمَعُونَ فِيها﴾: في الجنّة ﴿لَغوًا﴾: فاحشًا من الكلام ﴿ولا تأثِيمًا﴾: ما يُؤثِم. (٢٦) ـ ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿قِيلاً﴾: قولاً ﴿سَلامًا سَلامًا﴾: بدلٌ من «قِيلاً». فإنهم يسمعونه.

نصف الحزب ٥٤

(٢٧) ـ (٢٨) ـ ﴿وأصحابُ اليَمِينِ ما أصحابُ اليَمِينِ[1]! في سِدرٍ﴾: شجرِ النَّبْق ﴿مَخضُودٍ﴾: لا شوك فيه، (٢٩) ـ ﴿وطَلحٍ﴾: شجرِ الموز ﴿مَنضُودٍ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه، (٣٠) ـ ﴿وظِلٍّ مَمدُودٍ﴾: دائم، (٣١) ـ ﴿وماءٍ مَسكُوبٍ﴾: جارٍ دائمًا، (٣٢) ـ (٣٣) ـ ﴿وفاكِهةٍ كَثِيرةٍ، لا مَقطُوعةٍ﴾ في زمن، ﴿ولا مَمنُوعةٍ﴾ بثمن، (٣٤) ـ ﴿وفُرُشٍ مَرفُوعةٍ﴾ على السُّرُر. (٣٥) ـ ﴿إنّا أنشأناهُنَّ إنشاءً﴾ أي: الحُورَ العِين من غير وِلادة، (٣٦) ـ ﴿فجَعَلْناهُنَّ أبكارًا﴾: عذارَى، كُلّما أتاهنّ أزواجُهنّ وجدوهنّ عذارى ولا وجعَ، (٣٧) ـ ﴿عُرُبًا﴾، بضم الراء وسكونها: جمع عَرُوب ـ وهي المُتحبّبة إلى زوجها عِشقًا له ـ ﴿أترابًا﴾: جمع تِرب، أي: مُستوياتٍ في السنّ، (٣٨) ـ ﴿لِأصحابِ اليَمِينِ﴾: صلةُ «أنشأناهنّ» أو «جعلناهنّ»، (٣٩) ـ (٤٠) ـ وهم ﴿ثُلّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ، وثُلّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾[2].

(٤١) ـ (٤٢) ـ ﴿وأصحابُ الشِّمالِ ما أصحابُ الشِّمالِ! في سَمُومٍ﴾: ريحٍ حارّة من النار تنفذ في المسامّ، ﴿وحَمِيمٍ﴾: ماء شديد الحرارة (٤٣) ـ ﴿وظِلٍّ مِن يَحمُومٍ﴾: دُخان شديد السواد، (٤٤) ـ ﴿لا بارِدٍ﴾ كغيره من الظِّلال ﴿ولا كَرِيمٍ﴾: حسن المنظر. (٤٥) ـ ﴿إنَّهُم كانُوا قَبلَ ذلِكَ﴾: في الدنيا ﴿مُترَفِينَ﴾: مُنعّمين، لا يتعبون في الطاعة، (٤٦) ـ ﴿وكانُوا يُصِرُّونَ علَى الحِنثِ﴾: الذنب ﴿العَظِيمِ﴾ أي: الشرك، (٤٧) ـ ﴿وكانُوا يَقُولُونَ:

﴿زقوم﴾: شجرٍ كريهٍ جدّاً في النّارِ. ﴿شرب الهيم﴾: الإبلِ العِطاشِ الّتي لا تروى. ﴿هذا نزلهم﴾: ما أعدَّ لهُم مِنَ الجزاءِ. ﴿يوم الدين﴾: يومَ الجزاءِ (يومَ القيامةِ).
﴿أفرأيتم﴾: أخبِروني. ﴿ما تُمنون﴾: المنيَّ الّذي تقذفونَهُ في الأرحامِ. ﴿تخلقونه﴾: تصوِّرونَهُ بشراً سويّاً. ﴿بمسبوقين﴾: بمغلوبينَ عاجزينَ. ﴿ما تحرثون﴾: البَذرَ الّذي تُلقونَهُ في الأرضِ. ﴿تزرعونه﴾: تنبتونَهُ حتّى يشتدَّ ويبلغَ الغايةَ. ﴿حُطاماً﴾: هشيماً متكسِّراً لا يُنتفعُ بِهِ. ﴿تفكّهون﴾: تتعجَّبونَ مِن سوءِ حالِهِ ومصيرِهِ. ﴿إنّا لمُغرمون﴾: مُهلكونَ بهلاكِ رزقِنا. ﴿محرومون﴾: ممنوعونَ الرِّزقَ بالكلِّيَّةِ. ﴿المُزن﴾: السَّحابِ أوِ الأبيضِ منهُ. ﴿جعلناه أجاجاً﴾: مِلحاً زُعاقاً أو مُرّاً لا يُمكنُ شربُهُ. ﴿النّار التي تورون﴾: تقدحونَ الزِّنادَ لاستخراجِها. ﴿تذكرة﴾: تذكيراً لنارِ جهنَّمَ. ﴿متاعاً للمقوين﴾: مَنفعَةً للمسافرينَ في القَواءِ (القَفْرِ) أو المُحتاجين إليها.
﴿فلا أقسم﴾: فأقسِمُ و«لا» مزيدةٌ للتّأكيدِ. ﴿بمواقع النجوم﴾: بمغاربِها. أو منازِلِها.

(١) عن أبي العاليةِ والضَّحّاك: نظرَ المسلمون إلى وَجٍّ ـ وهو وادٍ مخصبٌ بالطّائفِ ـ فأعجبَتْهم سدرةٌ، فقالوا: يا ليتَ لنا مثلَ هذا، فأنزلَ الله تعالى هذه الآياتِ. الثعلبي (٢٥/ ٤٤٩)، والواحدي (ص: ٤٠٣). وعن عطاءٍ ومُجاهدٍ قالا: لمّا سأل أهلُ الطّائفِ الواديَ يُحمَى لهم، وفيه عسلٌ، ففَعَلَ، وهو وادٍ مُعْجِبٌ، فسمعوا الناسَ يقولون: في الجنةِ كذا وكذا، قالوا: يا ليتَ لنا في الجنةِ مثلَ هذا الوادي! فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ الآياتِ. رواه سعيد بن منصور (٢١٤٩ ـ تكملة التفسير)، و«لباب النقول» (ص: ١٨٦).

(٢) لمّا نزَلَ ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ [١٣ ـ ١٤] بكى عمرُ وقال: يا نبيَّ الله! آمنّا بكَ وصدَّقناك ومع هذا مَن ينجو منّا قليلٌ؟ فأنزلَ الله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، فدَعاه ﷺ وقالَ: «يا ابنَ الخطّابِ، قد أنزلَ الله كما قُلتَ، فجعلَ ثلَّةً منَ الأوّلينَ، وثُلَّةً من الآخِرينَ». ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٨٦)، والثعلبي (٢٥/ ٤٨١)، عن عروة بن رويم مرسلًا، ووصله الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٩) من طريق عروة عن جابر، قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «في إسناده نظر».

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾ ـ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿٤٨﴾ ـ **﴿أوَآباؤُنا الأوَّلُونَ﴾**؟ بفتح الواو للعطف. والهمزة: للاستفهام. وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد. وفي قراءة بسكون الواو عطفًا بـ «أوْ» والمعطوف عليه محلّ «إن» واسمِها.

﴿٤٩﴾ ـ ﴿٥٠﴾ ـ **﴿قُلْ: إنَّ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ لَمَجمُوعُونَ إلَى مِيقاتِ﴾**: وقتِ **﴿يَوم مَعلُوم﴾** أي: يوم القيامة، ﴿٥١﴾ ـ ﴿٥٢﴾ ـ **﴿ثُمَّ إنَّكُم ـ أيُّها الضّالُّونَ المُكَذِّبُونَ ـ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ﴾**: بيانٌ للشجر، ﴿٥٣﴾ ـ ﴿٥٤﴾ ـ ﴿٥٥﴾ ـ **﴿فمالِئُونَ مِنها﴾**: من الشجر **﴿البُطُونَ، فشارِبُونَ علَيهِ﴾** أي: الزقّوم المأكولِ **﴿مِنَ الحَمِيمِ، فشارِبُونَ شَربَ﴾** ـ بفتح الشين وضمّها مصدرٌ ـ **﴿الهِيمِ﴾**: الإبل العِطاش، جمع هَيمانَ للذكر وهَيمَى للأُنثى كعَطشانَ وعَطشَى. ﴿٥٦﴾ ـ **﴿هذا نُزُلُهُم﴾**: ما أُعِدّ لهم **﴿يَومَ الدِّينِ﴾**: يوم القيامة.

﴿٥٧﴾ ـ **﴿نَحنُ خَلَقْناكُم﴾**: أوجدناكم من عدم. **﴿فلَولا﴾**: فهلاّ **﴿تُصَدِّقُونَ﴾** بالبعث، إذِ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. ﴿٥٨﴾ ـ **﴿أفرَأيتُم ما تُمنُونَ﴾**: تُرِيقون من المنيِّ في أرحام النساء؟ ﴿٥٩﴾ ـ **﴿أأنتُم﴾** ـ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركه، في المواضع الأربعة ـ **﴿تَخلُقُونَهُ﴾** أي: المنيَّ بشرًا **﴿أم نَحنُ الخالِقُونَ﴾**؟

﴿٦٠﴾ ـ **﴿نَحنُ قَدَّرْنا﴾**، بالتشديد والتخفيف، **﴿بَينَكُمُ المَوتَ، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾**: بعاجزين ﴿٦١﴾ ـ **﴿علَى﴾**: عن **﴿أن نُبَدِّلَ﴾**: نجعل **﴿أمثالَكُم﴾** مكانكم، **﴿ونُنشِئَكُم﴾**: نَخلقكم **﴿فِيما لا تَعلَمُونَ﴾** من الصُّور كالقِردة والخنازير. ﴿٦٢﴾ ـ **﴿ولَقَد عَلِمتُمُ النَّشاءةَ الأُولَى﴾**. وفي قراءة بسُكون الشين. **﴿فلَولا تَذَّكَّرُونَ﴾** فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال.

﴿٦٣﴾ ـ **﴿أفرَأَيتُم ما تَحرُثُونَ﴾**: تُثيرون الأرضَ وتُلقون البِذر فيها؟ ﴿٦٤﴾ ـ ﴿٦٥﴾ ـ **﴿أأنتُم تَزرَعُونَهُ﴾**: تُنبِتونه **﴿أم نَحنُ الزّارِعُونَ؟ لَو نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطامًا﴾**: نباتًا يابسًا لا حبّ فيه، **﴿فظَلْتُم﴾** ـ أصله «ظَلِلتُم» بكسر اللام حُذفت تخفيفًا ـ أي: أقمتم نهارًا **﴿تَفَكَّهُونَ﴾**، حُذفتْ منه إحدى التاءين في الأصل: تَعجَبون من ذلك، وتقولون: ﴿٦٦﴾ ـ **﴿إنّا لَمُغرَمُونَ﴾** نَفَقةَ زرعِنا، ﴿٦٧﴾ ـ **﴿بَل نَحنُ مَحرُومُونَ﴾**: ممنوعون رزقَنا.

﴿٦٨﴾ ـ ﴿٦٩﴾ ـ ﴿٧٠﴾ ـ **﴿أفرَأَيتُمُ الماءَ الَّذِي تَشرَبُونَ؟ أأنتُم أنزَلتُمُوهُ مِنَ المُزنِ﴾**: السحابِ، جمعُ مُزنة، **﴿أم نَحنُ المُنزِلُونَ؟ لَو نَشاءُ جَعَلناهُ أُجاجًا﴾**: مِلحًا لا يُمكن شُربه. **﴿فلَولا﴾**: فهلاّ **﴿تَشكُرُونَ﴾**.

﴿٧١﴾ ـ **﴿أفرَأَيتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾**: تُخرِجون من الشجر الأخضر؟ ﴿٧٢﴾ ـ ﴿٧٣﴾ ـ **﴿أأنتُم أنشأتُم شَجَرَتَها﴾** كالمَرْخ والعَفار والكَلِخ، **﴿أم نَحنُ المُنشِئُونَ؟ نَحنُ جَعَلْناها تَذكِرةً﴾** لنار جهنّم **﴿ومَتاعًا﴾**: بُلغةً **﴿لِلمُقوِينَ﴾**: للمسافرين. مِن: أقوَى القومُ، أي: صاروا بالقِواءِ، بالمدّ والقصر، أي: القَفرِ. وهو مفازةٌ لا نبات فيها ولا ماء. ﴿٧٤﴾ ـ **﴿فسَبِّحْ﴾**: نزّهْ **﴿باسمِ﴾** ـ زائدٌ ـ **﴿رَبِّكَ العَظِيمِ﴾** أي: اللهِ.

﴿٧٥﴾ ـ **﴿فلا أُقسِمُ﴾**، لا: زائدةٌ، **﴿بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾**: بمَساقطها لغروبها ـ ﴿٧٦﴾ ـ **﴿وإنَّهُ﴾** أي: القَسَمَ بها **﴿لَقَسَمٌ، لَو تَعلَمُونَ، عَظِيمٌ﴾** أي: لو كنتم من ذوي العِلم لعلمتم عِظَمَ هذا القسم ـ ﴿٧٧﴾ ـ ﴿٧٨﴾ ـ **﴿إنَّهُ﴾** أي: المَتلوَّ عليكم **﴿لَقُرآنٌ كَرِيمٌ في كِتابٍ مَكنُونٍ﴾**: مصون وهو المُصحَف، ﴿٧٩﴾ ـ **﴿لا يَمَسُّهُ﴾**: خبرٌ بمعنى النهي **﴿إلاّ المُطَهَّرُونَ﴾**: الذين طهّروا أنفُسهم من الأحداث، ﴿٨٠﴾ ـ **﴿تَنزِيلٌ﴾**: مُنزّل **﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾**.

﴿٨١﴾ ـ **﴿أفبِهذا الحَدِيثِ﴾**: القُرآن **﴿أنتُم مُدهِنُونَ﴾**: مُتهاونون مُكذّبون، ﴿٨٢﴾ ـ **﴿وتَجعَلُونَ رِزقَكُم﴾** من المطرِ أي: شُكره **﴿أنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾** بسُقيا الله حيثُ قلتم: مُطرنا بنَوء كذا؟

﴿إنّه لقرآن كريم﴾: نفّاعٌ جمُّ المنافعِ. أو رفيعُ القدْرِ. ﴿كتاب مكنون﴾: مستورٍ مصونٍ عندَ اللهِ في اللّوحِ المحفوظ من السّوء. ﴿لا يَمسّه إلا المطهّرون﴾: صفةٌ أخرى للقرآنِ. ﴿أنتم مُدهنون﴾: مُتهاونونَ أو مكذبونَ. ﴿تجعلون رزقكم﴾: شكرَكُم على الإنعامِ بهِ. ﴿بلغت الحلقوم﴾: بلغَتِ الرُّوحُ الحلقومَ عندَ المَوْتِ. ﴿نحن أقرب إليه﴾: بعِلمِنا وقدْرَتِنا. ﴿غير مَدينين﴾: غيرَ مربوبينَ مقهورينَ. ﴿فرَوْح﴾: فلهُ استراحةٌ أو رحمةٌ. ﴿ريحان﴾: رزقٌ حسنٌ. ﴿فنُزُلٌ﴾: فله قِرىً وضِيافةٌ. ﴿حميم﴾: ماءٍ تناهَتْ حرارتُهُ. ﴿تصلِية جحيم﴾: مُقاساةٌ لحرِّ النّارِ أو إدخالٌ فيها.

﴿سبّح لله..﴾: نزّهَ اللهَ ومجّدَهُ ودلَّ عليهِ. ﴿العزيز﴾: القادرُ الغالبُ على كلِّ شيءٍ. ﴿الأوّل﴾: السّابقُ على جميعِ الموجوداتِ. ﴿الآخر﴾: الباقي بعدَ فَنائِها. ﴿الظاهر﴾: بوجودِهِ ومصنوعاتِهِ وتدبيرِهِ. ﴿الباطن﴾: بكُنهِ ذاتِهِ عنِ العقولِ.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم
مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ
وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

﴿٨٣﴾ ـ ﴿فَلَولا﴾: فهلاّ، ﴿إذا بَلَغَتِ﴾ الروحُ وقتَ النزع ﴿الحُلقُومَ﴾ هو مجرى الطعام، ﴿٨٤﴾ ـ ﴿وأنتُم﴾ ـ يا حاضري الميّت ـ ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إليه، ﴿٨٥﴾ ـ ﴿ونَحنُ أقرَبُ إلَيهِ مِنكُم﴾ بالعِلم، ﴿ولكِن لا تُبصِرُونَ﴾: من البَصيرة، أي: لا تعلمون ذلك، ﴿٨٦﴾ ـ ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ـ ﴿إن كُنتُم غَيرَ مَدِينِينَ﴾: مَجزِيِّين بأن تُبعثوا، أي: غيرَ مبعوثين بزعمكم ـ ﴿٨٧﴾ ـ ﴿تَرجِعُونَها﴾: تردّون الروح إلى الجسد بعد بُلوغ الحُلقوم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيما زعمتم. «فلولا» الثانية: تأكيد للأُولى. وإذا: ظرف لـ«ترجعون» المُتعلِّقِ به الشرطان. والمعنى: هلاّ تَرجعونها، إن نفَيتم البعث صادقين في نفيه، أي: لِينتفيَ عن محلّها الموتُ فالبعثُ.

﴿٨٨﴾ ـ ﴿٨٩﴾ ـ ﴿فأمّا إن كانَ﴾ الميّت ﴿مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوحٌ﴾ أي: فله استراحةٌ ﴿ورَيحانٌ﴾: رزق حسن ﴿وجَنّةُ نَعِيمٍ﴾ ـ وهل الجواب لِـ «أمّا» أو لِـ «إن» أو لهما؟ أقوالٌ ـ ﴿٩٠﴾ ـ ﴿٩١﴾ ـ ﴿وأمّا إن كانَ مِن أصحابِ اليَمِينِ فسَلامٌ لَكَ﴾، أي: له سلامةٌ من العذاب، ﴿مِن أصحابِ اليَمِينِ﴾: من جِهة أنه منهم، ﴿٩٢﴾ ـ ﴿٩٣﴾ ـ ﴿٩٤﴾ ـ ﴿٩٥﴾ ـ ﴿وأمّا إن كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ فنُزُلٌ مِن حَمِيمٍ، وتَصلِيةُ جَحِيمٍ. إنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾، من إضافة الموصوف إلى صِفته.

﴿٩٦﴾ ـ ﴿فسَبِّحْ بِاسمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾: تقدّمَ.

* * *

٥٧

سُورَةُ الحَدِيدِ

مكية أو مدنية، وهي تسع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿سَبَّحَ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: نزَّهه كُلُّ شيء ـ فاللام: مزيدة. وجيء بـ«ما» دون «مَن» تغليبًا للأكثر ـ ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه، ﴿٢﴾ ـ ﴿٣﴾ ـ ﴿لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يُحيِي﴾ بالإنشاء ﴿ويُمِيتُ﴾ بعده، ﴿وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الأوَّلُ﴾ قبل كُلّ شيء بلا بِداية ﴿والآخِرُ﴾ بعد كُلّ شيء بلا نِهاية ﴿والظّاهِرُ﴾ بالأدلّة عليه ﴿والباطِنُ﴾ عن إدراك الحواس، ﴿وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٤﴾ ـ ﴿٥﴾ ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيّامٍ﴾ من أيّام الدنيا، أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ﴿ثُمَّ استَوَى على العَرشِ﴾: الكرسيّ استواءً يليق به، ﴿يَعلَمُ ما يَلِجُ﴾: يدخل ﴿في الأرضِ﴾ كالمطر والأموات، ﴿وما يَخرُجُ مِنها﴾ كالنبات والمعادن، ﴿وما يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ﴾ كالرحمة والعذاب، ﴿وما يَعرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيها﴾ كالأعمال الصالحة والسيّئة، ﴿وهُوَ مَعَكُم﴾ بعِلمه ﴿أينَما كُنتُم، واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ، لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ الموجودات جميعها، ﴿٦﴾ ـ ﴿يُولِجُ اللَّيلَ﴾: يُدخله ﴿في النَّهارِ﴾ فيزيد وينقص الليلُ، ﴿ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ﴾ فيزيد وينقص النهارُ، ﴿وهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما فيها من الأسرار والمُعتقدات.

﴿٧﴾ ـ ﴿٨﴾ ـ ﴿آمِنُوا﴾: داوِموا على الإيمان ﴿بِاللهِ ورَسُولِهِ، وأنفِقُوا﴾ في سبيل الله ﴿مِمّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيهِ﴾ من مالِ مَن تقدّمكم وسيَخلُفكم فيه مَن بعدَكم. نزلَ في غزوة العُسرة، وهي غزوة تَبوكَ. ﴿فالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وأنفَقُوا﴾ ـ إشارةٌ إلى عُثمان رضي الله عنه ـ ﴿لَهُم أجرٌ كَبِيرٌ. وما لَكُم لا تُؤمِنُونَ بِاللهِ﴾ ـ خِطابٌ للكُفّار ـ أي: لا مانع لكم من الإيمان بالله، ﴿والرَّسُولُ يَدعُوكُم لِتُؤمِنُوا بِرَبِّكُم، وقَد أُخِذَ﴾ ـ بضمّ الهمزة وكسر الخاء، وبفتحهما ونصب ما بعده ـ ﴿مِيثاقُكُم﴾ عليه؟ أي: أخذَه اللهُ في عالم الذرّ حِين أشهدهم على أنفُسهم: «ألَستُ بِرَبِّكُم؟ قالُوا: بلَى»، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ أي: مُريدين الإيمانَ به فبادروا إليه. ﴿٩﴾ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُنزِلُ على عَبدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: القُرآنَ ﴿لِيُخرِجَكُم مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان، ﴿وإنَّ اللهَ بِكُم﴾ في إخراجكم من الكُفر إلى الإيمان ﴿لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿١٠﴾ ـ ﴿ومالَكُم﴾ بعد إيمانكم ﴿ألّا﴾ ـ بإدغام نون «أنْ» في لام «لا» ـ ﴿تُنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ، ولِلهِ مِيراثُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ بما فيهما،

﴿استوى على العرش﴾: استواءً يليقُ بكمالِهِ تعالى. ﴿ما يلج﴾: ما يدخلُ مِن مطرٍ وغيرِهِ. ﴿ما يعرج فيها﴾: ما يصعدُ إليها مِنَ الملائكةِ والأعمالِ. ﴿وهو معكم﴾: بعلمِهِ المُحيط بكلِّ شيءٍ. ﴿يولج الليل﴾: يدخلُهُ. ﴿قبل الفتح﴾: فتحِ مكّةَ أو صلحِ الحديبيةِ. ﴿الحسنى﴾: المثوبةَ الحسنى (الجنَّة). ﴿قرضاً حسناً﴾: محتسباً بِهِ، طيبةً بِهِ نفسُهُ.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون؟ ﴿لا يَستَوِي مِنكُم مَن أنفقَ مِن قَبلِ الفتحِ﴾ لمكّةَ ﴿وقاتَلَ﴾[1]. **أُولئِكَ أعظَمُ دَرجةً مِنَ الَّذِينَ أنفَقُوا مِن بَعدُ وقاتَلُوا، وكُلًّا﴾** مِن الفريقين ـ وفي قراءة بالرفع مبتدأ ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الحُسنَى﴾: الجنّة، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فيُجازيكم به.

﴿١١﴾ ـ ﴿مَن ذا الَّذِي يُقرِضُ اللهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرضًا حَسَنًا﴾ بأن يُنفقه للهِ، ﴿فيُضاعِفَهُ﴾ ـ وفي قراءة: «فيُضَعِّفَهُ» بالتشديد ـ ﴿لَهُ﴾ من عشرٍ إلى أكثرَ من سبعمِائةٍ كما ذُكر في «البقرة»، ﴿ولَهُ﴾ مع المُضاعفة ﴿أجرٌ كَرِيمٌ﴾ مُقترنٌ به رضًا وإقبال؟

﴿١٢﴾ ـ اذكرْ ﴿١٣﴾ ﴿يَومَ تَرَى المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ، يَسعَى نُورُهُم بَينَ أيدِيهِم﴾: أمامَهم ﴿و﴾ يكون ﴿بِأيمانِهِم﴾، ويقال لهم: ﴿بُشْراكُمُ اليَومَ جَنّاتٌ﴾ أي: دخولُها، ﴿تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها. ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ. يَومَ يَقُولُ المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا: انظُرُونا﴾: أبصِرونا ـ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء: أمهِلونا ـ ﴿نَقتَبِسْ﴾: نأخذِ القبسَ والإضاءة ﴿مِن نُورِكُم. قِيلَ﴾ لهم استهزاءً بهم: ﴿ارجِعُوا وَراءَكُم، فالتَمِسُوا نُورًا﴾. فرَجعوا، ﴿فضُرِبَ بَينَهُم﴾ وبين المُؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ ـ قيل: هو سور الأعراف ـ ﴿لَهُ بابٌ، باطِنُهُ فِيهِ الرَّحمةُ﴾ من جِهة المُؤمنين، ﴿وظاهِرُهُ﴾ من جِهة المُنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ العَذابُ﴾.

﴿١٤﴾ ـ ﴿يُنادُونَهُم: ألَم نَكُنْ مَعَكُم﴾ على الطاعة؟ ﴿قالُوا: بَلَى، ولكِنَّكُم فَتَنتُم أنفُسَكُم﴾ بالنِّفاق، ﴿وتَرَبَّصتُم﴾ بالمُؤمنين الدوائر، ﴿وارتَبتُم﴾: شككتم في دِين الإسلام، ﴿وغَرَّتْكُمُ الأمانِيُّ﴾: الأطماع ﴿حَتَّى جاءَ أمرُ اللهِ﴾: الموتُ، ﴿وغَرَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ﴾: الشيطان. ﴿١٥﴾ ـ ﴿فاليَومَ لا يُؤخَذُ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿مِنكُم فِديَةٌ ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا. مأواكُمُ النّارُ، هِيَ مَولاكُم﴾: أولَى بكم، ﴿وبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي!

﴿١٦﴾ ـ ﴿١٧﴾ ـ ﴿ألَم يأنِ﴾: يَحِنْ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ـ نزلتْ في شأن الصحابة لمّا أكثروا المُزاح[2] ـ ﴿أن تَخشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكرِ اللهِ وما نَزَّلَ﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿مِنَ الحَقِّ﴾: القُرآنِ، ﴿ولا يَكُونُوا﴾: معطوف على «تخشعَ» ﴿كالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلُ﴾ ـ هم اليهود والنصارى ـ ﴿فطالَ عَلَيهِمِ الأمَدُ﴾: الزمن بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فقَسَتْ قُلُوبُهُم﴾: لم تَلِن لذكر الله، ﴿وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ؟ اعلَمُوا﴾ ـ خِطابٌ للمُؤمنين المذكورين ـ ﴿أنَّ اللهَ يُحيِي الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾ بالنبات. فكذلك يفعل بقُلوبكم يردّها إلى الخُشوع. ﴿قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ﴾ الدالّةَ على قُدرتنا بهذا وغيره، ﴿لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾.

﴿انظرونا﴾: انتظرونا. ﴿نقتبس﴾: نُصِبْ ونأخذْ ونستضئْ. ﴿بسور﴾: حاجزٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ (الأعراف). ﴿ينادونهم﴾: ينادي المنافقونَ المؤمنينَ. ﴿فتنتم أنفسكم﴾: محَنتُموها وأهلكتُموها بالنِّفاقِ. ﴿تربّصتم﴾: انتظرتُم بالمؤمنينَ النَّوائبَ. ﴿غرتكم الأماني﴾: خدعَتْكُمُ الأباطيلُ. ﴿الغرور﴾: الشَّيطانُ وكلُّ خادعٍ. ﴿هي مولاكم﴾: النَّارُ أولى بكُم. أو ناصرُكُم. ﴿ألمْ يأن..﴾: ألمْ يجئْ... ﴿أن تخشع﴾: وقتُ أن تخضعَ وترقَّ وتلينَ. ﴿الأمد﴾: الأجلُ أوِ الزَّمانُ.

(١) عن الكلبي: نزلَت في أبي بكرٍ فإنَّه كانَ أوَّلَ مَن أنفقَ المالَ على رسولِ اللهِ ﷺ في سبيلِ اللهِ. الثعلبي (٢٦/ ٣٠)، والواحدي (ص: ٤٠٦). واستدل عليه الواحدي بما روي عن ابن عمرَ: أن جبريل عليه السَّلامُ نزل على النبي ﷺ فأقرأه مِن الله السلامَ وقال: «يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها على صدره بخِلالٍ؟» فقال: «يا جبريل أنفق ماله قَبل الفتح علَيَّ»، قال: «فأقرئه من الله سبحانه وتعالى السلامَ، وقل له: يقول لك ربُّك: أراضٍ أنت عنِّي في فقرك هذا أم ساخطٌ؟» ففعل ﷺ، فبكى أبو بكرٍ وقال: على ربِّي أغضبُ؟ أنا عن ربِّي راضٍ، أنا عن ربِّي راضٍ. ورواه أيضاً أبو نعيم في «فضائل الخلفاء الراشدين» (٦٣)، والخطيب في «تلخيص المتشابه» (١/ ٤٦٤). وإسناده ضعيف.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧١٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٣٨) عن مقاتل بن حيان.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١٩) ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (٢٠)
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٢١) مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا
تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٤)

(١٨) ـ (١٩) ـ ﴿**إنّ المُصَّدِّقِينَ**﴾ ـ من التصدّقِ أُدغمَتِ التاءُ في الصاد ـ أي: الذين تَصدّقوا ﴿**والمُصَّدِّقاتِ**﴾: اللاتي تَصدّقنَ، وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق: الإيمان، ﴿**وأقرَضُوا اللهَ**﴾ ـ راجعٌ إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعُطفَ الفِعل على الاسم في صِلة «أل» لأنه فيها حلّ محلّ الفِعل، وذِكرُ القرض بوصفه بعد التصدّق تقييد له ـ ﴿**قَرضًا حَسَنًا يُضاعَفُ**﴾، وفي قراءة: «يُضعَّفُ» بالتشديد، أي: قرضُهم ﴿**لَهم، ولَهم أجرٌ كَريمٌ، والَّذينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾: المُبالغون في التصديق[1]، ﴿**والشُّهَداءُ عِندَ رَبِّهِم**﴾ على المُكذّبين من الأُمم، ﴿**لَهُم أجرُهُم ونُورُهُم، والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا**﴾ الدالّةِ على وحدانيّتنا ﴿**أُولئكَ أصحابُ الجَحِيمِ**﴾: النار.

(٢٠) ـ (٢١) ـ ﴿**اعلَمُوا أنّما الحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهوٌ وزِينةٌ**﴾: تزيينٌ، ﴿**وتَفاخُرٌ بَينَكُم، وتَكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ**﴾ أي: الاشتغالُ فيها ـ وأمّا الطاعات وما يُعين عليها فمن أُمور الآخرة ـ ﴿**كَمَثَلِ**﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمَثلِ ﴿**غَيثٍ**﴾: مطرٍ، ﴿**أعجَبَ الكُفّارَ**﴾: الزُّرّاعَ[2] ﴿**نَباتُهُ**﴾ الناشئُ عنه، ﴿**ثُمّ يَهِيجُ**﴾: ييبَس، ﴿**فتَراهُ مُصفَرًّا، ثُمّ يَكُونُ حُطامًا**﴾: فُتاتًا يَضمحِلّ بالرياح، ﴿**وفي الآخِرةِ عَذابٌ شَدِيدٌ**﴾ لمن آثر عليها الدنيا، ﴿**ومَغفِرةٌ مِنَ اللهِ ورِضوانٌ**﴾ لمن لم يُؤثر عليها الدنيا، ﴿**وما الحَياةُ الدُّنيا**﴾: ما التمتّع فيها ﴿**إلاّ مَتاعُ الغُرُورِ. سابِقُوا إلَى مَغفِرةٍ مِن رَبِّكُم وجَنّةٍ، عَرضُها كعَرضِ السَّماءِ والأرضِ**﴾، لو وُصلت إحداهما بالأُخرى ـ والعرض: السَّعة ـ ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ. ذلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾.

(٢٢) ـ (٢٣) ـ ﴿**ما أصابَ مِن مُصِيبةٍ في الأرضِ**﴾ بالجدب، ﴿**ولا في أنفُسِكُم**﴾ كالمرض وفقد الولد، ﴿**إلاّ في كِتابٍ**﴾ يعني اللوحَ المحفوظ، ﴿**مِن قَبلِ أن نَبرَأها**﴾: نخلقها ـ ويقال في النِّعمة كذلك. ﴿**إنّ ذلكَ على اللهِ يَسِيرٌ ـ لِكَيلا**﴾، كي: ناصبة للفعل بمعنى «أن»، أي: أخبرَ تعالى بذلك لئلاّ ﴿**تَأسَوا**﴾: تحزنوا ﴿**على ما فاتَكُم، ولا تَفرَحُوا**﴾ فرحَ بطرٍ بل فرحَ شُكر على النِّعمة ﴿**بِما آتاكُم**﴾، بالمدّ: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه. ﴿**واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ**﴾: متكبّر بما أُوتي ﴿**فَخُورٍ**﴾ به على الناس، (٢٤) ـ ﴿**الَّذِينَ يَبخَلُونَ**﴾ بما يجب عليهم ﴿**ويأمُرُونَ النّاسَ بالبُخلِ**﴾ به لهم وعيد شديد، ﴿**ومَن يَتَوَلَّ**﴾ عمّا يجب عليه ﴿**فإنّ اللهَ هُوَ**﴾ ـ ضمير فصل، وفي قراءة بسقوطه ـ ﴿**الغَنِيُّ**﴾ عن غيره ﴿**الحَمِيدُ**﴾ لأوليائه.

﴿تكاثر..﴾: مباهاةٌ وتطاولٌ بالعَددِ والعُددِ. ﴿أعجَب الكفار﴾: راقَ الزُّرّاعَ. ﴿يهيج﴾: يَيْبَسُ في أقصى غايتِهِ. ﴿يكون حطاماً﴾: فتاتاً هشيماً متكسِّراً بعدَ يُبْسِهِ.
﴿سابقوا﴾: سارعوا مسارعةَ المتسابقينَ في المضمارِ. ﴿نبرأها﴾: نَخْلُقَ هذهِ الكائناتِ. ﴿لكيلا تأسَوْا﴾: لكيلا تحزنوا حزنَ قنوطٍ. ﴿لا تفرحوا﴾: فَرَحَ بَطَرٍ واختيالٍ.
﴿مختال فخور﴾: متكبِّرٍ مُباهٍ متطاولٍ بما أُوتيَ.

(١) أو الصِّدقِ؛ فإنَّهم آمنوا وصدَّقوا جميعَ أخبارِ اللهِ ورسلِهِ، أو أولئكَ بمنزلةِ الصِّديقينَ والشُّهداءِ من غيرِ هذهِ الأمَّةِ. (الجمالين).

(٢) أو الكافرينَ باللهِ؛ لأنَّهم أشدُّ إعجاباً، ولأنَّ المؤمنَ إذا رأى مُعجِباً انتقلَ فِكرُهُ إلى قدرةِ صانعِهِ فأُعجِبَ بها، والكافرُ لا يتخطَّى فِكرُهُ عمَّا أحسَّ به، فيستغرقُ فيه إعجاباً. (الجمالين).

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٢٥) ـ ﴿لقد أرسلنا رُسُلَنا﴾: الملائكةَ إلى الأنبياء ﴿بالبيِّناتِ﴾: بالحُجج القواطع، ﴿وأنزلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ﴾ بمعنى الكُتب ﴿والمِيزانَ﴾: العدل، ﴿لِيَقُومَ النّاسُ بالقِسطِ، وأنزَلْنا الحَدِيدَ﴾: أخرجْناه من المعادن، ﴿فيهِ بأسٌ شَديدٌ﴾ يُقاتَل به ﴿ومَنافِعُ لِلنّاسِ، ولِيَعلَمَ اللهُ﴾ عِلمَ مُشاهدة ـ معطوفٌ على «ليقوم الناس» ـ ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ بأن ينصر دِينَه بآلات الحرب من الحديد وغيره، ﴿ورُسُلَهُ بِالغَيبِ﴾: حال من هاء «ينصره»، أي: غائبًا عنهم في الدنيا. قال ابن عبّاس: ينصرونه ولا يُبصرونه. ﴿إنَّ اللهَ قَويٌّ عَزيزٌ﴾: لا حاجة به إلى النُّصرة، لكنها تنفع مَن يأتي بها.

(٢٦) ـ (٢٧) ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا وإبراهِيمَ، وجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبوَّةَ والكِتابَ﴾ يعني الكُتبَ الأربعة: التوراةَ والإنجيل والزبور والفُرقان، فإنها في ذُرّيّة إبراهيم ـ ﴿فمِنهُم مُهتَدٍ، وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ ـ ثُمَّ قَفَّينا على آثارِهِم بِرُسُلِنا، وقَفَّينا بِعِيسَى بنِ مَريَمَ وآتيناهُ الإنجِيلَ، وجَعَلْنا في قُلُوبِ الّذِينَ اتَّبَعُوهُ رأفَةً ورَحْمَةً ورَهبانِيّةً﴾ هي رفضُ النساء واتّخاذُ الصوامع، ﴿ابتَدَعُوها﴾ مِن قِبَل أنفُسهم، ﴿ما كَتَبْناها عليهِم﴾: ما أمرناهم بها، ﴿إلاّ﴾: لكن فعلوها ﴿ابتِغاءَ رِضْوانِ﴾: مرضاةِ ﴿اللهِ، فما رَعَوها حَقَّ رِعايَتِها﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدِين عيسى ودخلوا في دِين مَلِكهم، وبقي على دِين عِيسَى كثير منهم فآمنوا بنبيّنا، ﴿فآتَينا الّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿مِنهُم أجرَهُم. وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ﴾.

(٢٨) ـ (٢٩) ـ ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا﴾ بعِيسَى، ﴿اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ مُحمّد ـ صلّى الله عليه وعلى عيسى وسلّم ـ ﴿يُؤتِكُم كِفلَينِ﴾: نصيبَينِ ﴿مِن رَحْمَتِهِ﴾[1] لإيمانكم بالنبيَّين، ﴿ويَجعَلْ لَكُم نُورًا تَمشُونَ بِهِ﴾ على الصراط، ﴿ويَغفِرْ لَكُم ـ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ـ لِئَلاّ يَعلَمَ﴾، أي: أعلَمَكم بذلك ليعلمَ ﴿أهلُ الكِتابِ﴾[2]: التوراةِ الذين لم يُؤمنوا بمُحمّد ﷺ ﴿أنْ﴾: مُخففّةٌ من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنّهم ﴿لا يَقدِرُونَ على شَيءٍ مِن فَضلِ اللهِ﴾، خِلافُ ما في زعمهم أنهم أحبّاءُ الله وأهل رِضوانه، ﴿وأنَّ الفَضلَ بِيَدِ اللهِ، يُؤتِيهِ﴾: يُعطيه ﴿مَن يَشاءُ﴾. فآتى المُؤمنين منهم أجرهم مرّتين، كما تقدّم. ﴿واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

﴿الميزان﴾: العَدْلَ وأَمَرْنا بِهِ أو الآلةَ المعروفةَ. ﴿وأنزلنا الحديد﴾: خلقْناهُ. أو هيَّأناهُ للنَّاسِ. ﴿بأس شديد﴾: قوَّةٌ شديدةٌ. ﴿قفينا على آثارهم﴾: أتبَعْناهُم وبعثْنا بعدَهُم. ﴿الإنجيل﴾: وقد حرَّفوهُ بَعدُ. ﴿الذين اتبعوه﴾: على دينِهِ الَّذي أرسلَ بِه. ﴿رأفة ورحمة﴾: مودَّةً وليناً، وشفَقةً وتعطُّفاً. ﴿رهبانية﴾: مغالاةً في التَّعبُّدِ والتَّقشُّفِ. ﴿ما كتبناها عليهم﴾: ما فرضْناها عليهِم بلِ ابتدعوها. ﴿فما رعوها﴾: بلْ ضيَّعَها أخلافُهُم وكفروا بدينِ عيسى عليهِ السَّلامُ. ﴿يؤتكم كفلين﴾: نصيبَيْنِ (أجْرَيْنِ). ﴿لئلا يعلم﴾: ليعلمَ و«لا» مزيدةٌ.

(١) عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أحداً، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله، إنا أهل ميسرة فأْذَنْ لنا نجيءْ بأموالنا نواسي بها المسلمين، فأنزل الله فيهم: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ [القصص: ٥٢] الآيات، فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين أمَّا من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾ الآية. ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤١)، و«المعجم الأوسط» (٧٦٦٢). قال في «المجمع» (٧/ ١٢١): رواه الطبراني، وفيه مَن لم أعرفه.
وعن مقاتل بن حيان: لما نزلت ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ الآية فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لنا أجران ولكم أجر، فاشتد ذلك على الصحابة، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ١٨٨).

(٢) عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فأنزل الله ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ الآية. عبد الرزاق (٣١٦١)، والطبري (٢٢/ ٤٤٣). عن مجاهد قال: قالت اليهود: يُوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلمَّا خرج من العرب كفروا فأنزل الله: ﴿لِئَلَّا يعلم أهل الكتاب﴾ الآية، يعني: بالفضل النُّبوة. عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٨)، و«لباب النقول» (ص: ١٨٨).

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

٥٨

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

مدنية، ثنتان وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿قَد سَمِعَ اللهُ[1] قَولَ الَّتي تُجادِلُكَ﴾: تُراجِعُك ـ أيها النبيّ ـ ﴿في زَوجِها﴾ المُظاهِر منها ـ كان قال لها: أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمّي. وقد سألَتِ النبيَّ عن ذلك، فأجابها بأنها حَرُمتْ عليه[2]، على ما هو المعهود عندهم، من أنّ الظِّهار مُوجَبُه فُرقةٌ مُؤبّدة. وهي خَولةُ بنتُ ثعلبةَ، وهو أوسُ بنُ الصامت ـ ﴿وتَشتَكي إلى اللهِ﴾ وحدَتَها وفاقتَها وصِبيةً صِغارًا، إن ضمّتْهم إليه ضاعوا، أو إليها جاعوا. ﴿واللهُ يَسمَعُ تَحاوُرَكُما﴾: تَراجُعَكما. ﴿إنَّ اللهَ سَميعٌ بَصيرٌ﴾: عالم.

(٢) ـ ﴿الَّذينَ يَظَّهَّرُونَ﴾ ـ أصلُه «يَتَظَهَّرُونَ» أُدغمَتِ التاءُ في الظاء وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أُخرى كـ«يُقاتِلُونَ». وفي الموضع الثاني كذلك ـ ﴿مِنكُم مِن نِسائِهِم ما هُنَّ أُمَّهاتِهِم، إنْ أُمَّهاتُهُم إلاّ اللائي﴾، بهمزة وياء وبلا ياء، ﴿وَلَدْنَهُم، وإنَّهُم﴾ بالظِّهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا، مِنَ القَولِ وزُورًا﴾: كذبًا. ﴿وإنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمُظاهِر، بالكفّارة.

(٣) ـ ﴿والَّذينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِسائِهِم، ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾ أي: فيه، بأن يُخالفوه بإمساك المُظاهَر منها، الذي هو خِلاف مقصود الظِّهار من وصف المرأة بالتحريم، ﴿فتَحريرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاقُها عليه ﴿مِن قَبلِ أن يَتَماسّا﴾ بالوطء. ﴿ذلِكُم تُوعَظُونَ بِهِ، واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبيرٌ﴾.

(٤) ـ ﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾ رقبةً ﴿فصِيامُ شَهرَينِ مُتَتابِعَينِ مِن قَبلِ أن يَتَماسّا، فمَن لَم يَستَطِعْ﴾ أي: الصيامَ ﴿فإطعامُ سِتِّينَ مِسكِينًا﴾ عليه، أي: مِن قبل أن يتماسّا حملاً للمُطلَق على المُقيّد، لكُلّ مسكينٍ مُدٌّ من غالب قُوت البلد. ﴿ذلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفّارة ﴿لِتُؤمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، وتِلكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ، ولِلكافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذابٌ أَليمٌ﴾: مُؤلم.

(٥) ـ ﴿إنَّ الَّذينَ يُحادُّونَ﴾: يُخالفون ﴿اللهَ ورَسُولَهُ كُبِتُوا﴾: أُذِلّوا ﴿كَما كُبِتَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم﴾ في مُخالفتهم رسلَهم، ﴿وقَد أنزَلنا آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: دالّةً على صِدق الرسول، ﴿ولِلكافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة، (٦) ـ ﴿يَومَ يَبعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا، فيُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا. أحصاهُ اللهُ ونَسُوهُ. واللهُ على كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿تجادلك﴾: تحاوِرُكَ وتُراجِعُكَ الكلامَ. ﴿تحاوركما﴾: مراجعتَكُما القوْلَ. ﴿يظاهرون﴾: يُحَرِّمونَ نساءَهُمْ تحريمَ أَمّهاتِهِم. ﴿منكراً من القول﴾: فظيعاً منهُ يُنكِرُهُ الشَّرعُ والعَقلُ. ﴿زوراً﴾: كذِباً باطلاً مُنحَرِفاً عنِ الحقِّ. ﴿يتماسّا﴾: يستمْتعا بالوقاعِ، أو دواعيهِ. ﴿يحادّون﴾: يعادونَ ويشاقّونَ ويخالفونَ. ﴿كبتوا﴾: أُذِلّوا أو أُهلكوا. أوْ لعِنوا. ﴿أحصاه الله﴾: أحاطَ بهِ عِلماً.

(١) قالَت عائشةُ: تباركَ الله الَّذي وسعَ سَمْعُه كلَّ شيءٍ، إنِّي لأسمعُ كلامَ خولةَ بنتِ ثعلبةَ، ويخفَى عليَّ بعضُه وهي تشتكي زوجَها، وتقولُ: يا رسولَ اللهِ، أبلَى شبابي، ونثرْتُ له بطني، حتَّى إذا كبرَ سنِّي، وانقطعَ ولدي، ظاهَر منِّي، اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليك، قالَت: فما برحَتْ حتَّى نزلَ جبريلُ بهذه الآياتِ. أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢٠٦٣) واللفظ له، وإسناده صحيح، وعلقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (٧٣٨٦). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦ـ٤٥٢) عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي وعكرمة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦ و٤٥١) عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي وعكرمة. وعن أبي العالية القاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» (٢٨٦).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن
نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ
وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا
ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ
شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

(٧) ـ ﴿أَلم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أنّ اللهَ يَعلَمُ ما في السّماواتِ وما في الأرضِ؟ ما يَكُونُ مِن نَجوَى ثَلاثةٍ إلاّ هُوَ رابِعُهُم﴾ بعلمه، ﴿ولا خَمسةٍ إلاّ هُوَ سادِسُهُم، ولا أدنَى مِن ذلِكَ ولا أكثرَ إلاّ هُوَ مَعَهُم﴾، أينما كانُوا. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا يَومَ القِيامةِ. إنّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٨) ـ ﴿أَلم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجوَى، ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنهُ، ويَتَناجَونَ بِالإثمِ والعُدوانِ، ومَعصِيةِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبيّ عما كانوا يفعلون من تناجيهم[١]، أي: تحدّثهم سِرًّا، ناظرين إلى المُؤمنين ليُوقعوا في قُلوبهم الريبة، ﴿وإذا جاؤُوكَ حَيَّوكَ﴾ ـ أيها النبيُّ ـ ﴿بِما لَم يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾، وهو قولهم: «السامُ عليكَ» أي: الموتُ، ﴿ويَقُولُونَ في أنفُسِهِم: لَولا﴾: هلاّ ﴿يُعَذِّبُنا اللهُ بِما نَقُولُ﴾ من التحيّة وأنّه ليس بنبيّ، إن كان نبيًّا؟ ﴿حَسْبُهُم جَهَنَّمُ يَصلَونَها﴾: يدخلونها. ﴿فبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي!

(٩) ـ (١٠) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا تَناجَيتُم فلا تَتَناجَوا بِالإثمِ والعُدوانِ ومَعصِيةِ الرَّسُولِ، وتَناجَوا بِالبِرِّ والتَّقوَى، واتَّقُوا اللهَ الَّذي إلَيهِ تُحشَرُونَ. إنَّما النَّجوَى﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيطانِ﴾ بغُروره ﴿لِيَحزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا[٢]، ولَيسَ﴾ هو ﴿بِضارِّهِم شَيئًا، إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾ أي: إرادته! ﴿وعلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾.

(١١) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا قِيلَ لَكُم: تَفَسَّحُوا﴾ توسّعوا ﴿في المَجلِسِ﴾[٣]: مجلس النبيّ ﷺ أو الذِّكر، حتّى يجلس من جاءكم ـ وفي قراءة:

﴿نجوى ثلاثة﴾: تَناجيهم ومُسارَّتهمْ. ﴿هو رابعهم﴾: بعلمِهِ حيث يطَّلِعُ على نجواهُم. ﴿هو معهم﴾: بعلمِهِ المحيطِ بكلِّ شيءٍ. ﴿لولا يعذبنا﴾: هلَّا يعذِّبُنا. ﴿حسبهم جهنم﴾: كافيهِم جهنَّمُ عذاباً. ﴿يَصلونها﴾: يدخلونَها أو يُقاسونَ حرَّها. ﴿إنما النجوى﴾: المَنهيُّ عنها. ﴿ليَحْزن﴾: ليُوقِعَ في الهمِّ الشَّديدِ. ﴿تفسّحوا في المجالس﴾: توَسَّعوا فيها ولا تضامُّوا. ﴿انشزوا﴾: انهضوا للتَّوسعةِ أو لعبادةٍ أو خيْرٍ.

(١) قال ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: نزلَتْ في اليهودِ والمُنافقينَ، كانوا يتناجَونَ فيما بينَهم وينظُرونَ إلى المؤمنين ويتغامَزُونَ بأعيُنِهم، فإذا رأى المُؤمنونَ ذلك قالوا: ما نَراهُم إلّا وقد بلَغَهم عن إخوانِنا وأقربائِنا الذين خرَجُوا في السَّرايا قتلٌ أو مُصيبةٌ أو هزيمةٌ، فيقعُ ذلك في قلوبِهم ويُحزِنُهم، فلمَّا طالَ ذلك شكَوا إلى رسولِ الله، فأمرَهُم أنْ لا يتناجَوا دونَ المسلمينَ، فلم ينتَهُوا وعادوا إلى مُناجاتِهم، فأنزَلَ الله: ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾. الثعلبي (٢٦/ ١٣٩)، والواحدي (ص: ٤١٠).
وقال المقاتلان: أنزلت في اليهود، وكانت بينهم وبين النبي ﷺ موادعة، فإذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبيّ ﷺ جلسوا يتناجون فيما بينهم حتى يظن المؤمن أنّهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله سبحانه هذه الآية. «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٣) عن مقاتل بن حيان. وعن عائشةَ قالت: أتى النَّبيَّ ﷺ أناسٌ من اليهود فقالوا: السَّامُ عليك يا أبا القاسم قال: «وعليكم» قالت عائشةُ: قلتُ: بل عليكم السَّامُ والذَّامُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ لا تكوني فاحشةً» فقالت: ما سمعتَ ما قالوا؟ فقال: «أوليس قد ردَدتُ عليهم الذي قالوا، قلتُ: وعليكم» فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾ إلى آخر الآية. مسلم (٢١٦٥)، وأحمد (٢٥٩٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٠٧)، وروى نحوه أحمد (٦٥٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وعن أنس نحوه أيضاً، رواه الترمذي (٣٣٠١)، والواحدي (ص: ٤١٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) عن قتادة: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الآية. عبد الرزاق (٣١٧٣)، والطبري (٢٢/ ٤٧٤).

(٣) قال المُقاتلان: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ في الصُّفَّةِ، وفي المكانِ ضِيقٌ، وذلك يومَ الجمعةِ، وكان رسولُ اللهِ يُكرمُ أهلَ بدر، فجاءَ ناسٌ من أهلِ بدر وقد سُبقوا إلى المجلسِ، فقامُوا حِيالَ النَّبيِّ على أرجلِهم ينتظرُون أن يُوسَّعَ لهم، فلم يُفسِحُوا لهم، فشقَّ ذلك على النَّبيِّ ﷺ، فقالَ لـمَن حولَه من غيرِ أهلِ بدرٍ: «قمْ يا فلانُ، وأنتَ يا فلانُ» فأقامَ من المجلسِ بقَدْرِ النَّفرِ الذين قاموا بين يديه من أهلِ بدرٍ، وشقَّ ذلك على مَن أُقيمَ مِن مجلسِه، وقالَ المنافقون: ما أنصفَ هؤلاء وقد أحبُّوا القُربَ من نبيِّهم وسَبقوا إلى المكان. فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٦٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٤) عن مقاتل بن حيان، وكذا ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٤٦)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» (١٤/ ٣٣٥)، وفيه مخالفة لما روى البخاري (٩١١)، ومسلم (٢١٧٧)، عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه. قلت لنافع: الجمعة؟ قال: الجمعة وغيرها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ
قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ
عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ
٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١

«المَجالِسِ» ـ ﴿فافسَحُوا، يَفسَحِ اللهُ لَكُم﴾ في الجنّة، ﴿وإذا قِيلَ: انشِزُوا﴾: قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات، ﴿فانشِزُوا﴾ ـ وفي قراءة بضمّ الشين فيهما ـ ﴿يرفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنكُم﴾ بالطاعة في ذلك، ﴿و﴾ يرفع ﴿الَّذينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ﴾ في الجنّة. ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

(١٢) ـ ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، إذا ناجَيتُمُ الرَّسُولَ﴾[1]: أردتم مناجاتَه ﴿فقَدِّمُوا بَينَ يَدَي نَجواكُم﴾: قبلَها ﴿صَدَقَةً ـ ذَلِكَ خَيرٌ لَكُم وأطهَرُ﴾ لذُنوبكم ـ ﴿فإن لَم تَجِدُوا﴾ ما تتصدّقون به ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمُناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم. يعني: فلا عليكم في المُناجاة من غير صدقة. ثم نُسخ ذلك بقوله:

ربع الحزب ٥٥

(١٣) ـ ﴿أأشفَقتُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركِه ـ أي: أخِفتم من ﴿أن تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي نَجواكُم صَدَقاتٍ﴾ الفقرَ؟ ﴿فإذْ لَم تَفعَلُوا﴾ الصدقة، ﴿وتابَ اللهُ عَلَيكُم﴾: رجَع بكم عنها، ﴿فأقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ، وأطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ﴾، أي: دوموا على ذلك. ﴿واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾.

(١٤) ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إلى الَّذينَ تَوَلَّوا﴾ ـ هم المُنافقون ـ ﴿قَومًا﴾ هم اليهود، ﴿غَضِبَ اللهُ عَلَيهِم، ما هُم﴾ أي: المُنافقون ﴿مِنكُم﴾: من المُؤمنين ﴿ولا مِنهُم﴾: من اليهود، بل هم مُذبذَبون، ﴿ويَحلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ﴾ أي قولِهم: إنهم مُؤمنون، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه؟ (١٥) ـ ﴿أعَدَّ اللهُ لَهُم عَذابًا شَدِيدًا. إنَّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من المعاصي! (١٦) ـ ﴿اتَّخَذُوا أيمانَهُم جُنَّةً﴾: سِترًا عن أنفُسهم وأموالهم، ﴿فصَدُّوا﴾ بها المُؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: الجِهادِ فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم، ﴿فلَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة. (١٧) ـ ﴿لَن تُغنِيَ عَنهُم أموالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾: من عذابه ﴿شَيئًا﴾ من الإغناء! ﴿أُولَئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

(١٨) ـ (١٩) ـ (٢٠) ـ اذكرْ ﴿يَومَ يَبعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا[2]، فيَحلِفُونَ لَهُ﴾ إنهم مؤمنون ﴿كَما يَحلِفُونَ لَكُم، ويَحسَبُونَ أنَّهُم عَلَى شَيءٍ﴾ من نفع حلفِهم في الآخرة كالدنيا. ﴿ألا إنَّهُم هُمُ الكاذِبُونَ. استَحوَذَ﴾: استولى ﴿عَلَيهِمِ الشَّيطانُ﴾ بطاعتهم له، ﴿فأنساهُم ذِكرَ اللهِ. أُولَئِكَ حِزبُ الشَّيطانِ﴾: أتباعُه. ﴿ألا إنَّ حِزبَ الشَّيطانِ هُمُ الخاسِرُونَ. إنَّ الَّذينَ يُحادُّونَ﴾: يُخالفون ﴿اللهَ ورَسُولَهُ أُولَئِكَ في الأذَلِّينَ﴾: المغلوبينَ. (٢١) ـ ﴿كَتَبَ اللهُ﴾ في اللوح المحفوظ أو قضى، ﴿لأغلِبَنَّ أنا ورُسُلِي﴾[3] بالحُجّة والسيف. ﴿إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿ءَأشفقتم﴾: أخِفتُمُ الفقرَ والعَيلةَ. ﴿تاب الله عليكم﴾: خفَّفَ عنكُم بنسخِ حكمِها. ﴿إلى الذين﴾: همُ المنافقونَ. ﴿تولَّوا قومًا﴾: اتّخذوا اليهودَ أولياءَ. ﴿غضب الله عليه﴾: هم اليهودُ. ﴿جُنّة﴾: وقايةً لأنفسِهم وأموالِهم. ﴿لنْ تغنيَ...﴾: لن تدفعَ... ﴿استحوذ عليهم﴾: اسْتولى وغلبَ على عقولِهم. ﴿يُحادّون﴾: يُعادونَ ويُشاقّونَ ويُخالفونَ. ﴿الأذلين﴾: الزّائدينَ في الذِّلَّةِ والهوانِ. ﴿عزيزٌ﴾: غالبٌ على أعدائِهِ غيرُ مغلوبٍ.

(١) قال المقاتلان: نزلَتِ الآيةُ في الأغنياءِ، وذلك أنّهم كانُوا يأتونَ النَّبيَّ ﷺ فيُكثِرونَ مُناجاتِه ويغلبونَ على المجالسِ، حتَّى كرِهَ رسولُ الله ﷺ ذلك من طولِ جُلوسِهم ومُناجاتِهم، فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ، وأمرَ بالصَّدقةِ عندَ المُناجاةِ، فأمَّا أهلُ العسرةِ فلم يجِدُوا شيئًا، وأمَّا أهلُ الميسرةِ فبخِلُوا، واشتدَّ ذلك على أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فنزلَتِ الرُّخصةُ. «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٦٣)، وعن مقاتل بن حيان: الثعلبي (٢٦/ ١٥٤)، والواحدي (ص: ٤١٣)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٤).

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلمَّا رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: «علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟» قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فذهب، فجاء بهم، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ إلى آخر الآية. أحمد (٢١٤٧) (٢٤٠٧) (٣٢٧٧)، والبزار (٥٠١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٠٧)، والحاكم (٣٧٩٥)، قال في «المجمع» (٧/ ١٢٢): «رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح». وذكره الثعلبي (٢٦/ ١٦٠) عن السدي ومقاتل، وفيه: فأنزَلَ الله: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ [المجادلة: ١٤].

(٣) عن مقاتل: قال ابنُ أُبيٍّ وقد سمع المسلمين يقولون: «إنَّا لنَرجو أن يُظهِرنا اللهُ على فارس والرُّوم»: أتظنُّون أنَّهم كبعضِ القُرى الَّتي غَلَبتُم عليها؟! كلا والله، لهم أكثرُ جَمعاً وعُدَّةً. فنزلَت الآيةُ. «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٦٥)، وعنه الثعلبي (٢٦/ ١٥٦)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٥٧).

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

(٢٢) ـ ﴿لا تَجِدُ قَومًا، يُؤمِنُونَ بِاللهِ[(١)] واليَومِ الآخِرِ، يُوادُّونَ﴾: يُصادقون ﴿مَن حادَّ اللهَ ورَسُولَهُ، ولَو كانُوا﴾ أي: المُحادّون ﴿آباءَهُم﴾ أي: المُؤمنين، ﴿أو أبناءَهُم أو إخوانَهُم أو عَشِيرتَهُم﴾. بل يقصِدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع لجماعة من الصحابة. ﴿أُولئِكَ﴾ الذين لا يُوادّونهم ﴿كَتَبَ﴾: أثبتَ ﴿في قُلُوبِهِم الإيمانَ، وأيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾: بنور ﴿مِنهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿ويُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته، ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه. ﴿أُولئِكَ حِزبُ اللهِ﴾: يتّبعون أمرَه، ويجتنبون نهيَه. ﴿ألا إنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون.

* * *

٥٩

سُورَةُ الحَشْرِ

مدنية، أربع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿سَبَّحَ للهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: نَزَّهَه ـ فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ «ما» تغليبٌ للأكثر ـ ﴿وهْوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ في مُلكه وصُنعه.

(٢) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أخرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ﴾ هم بنو النَّضير من اليهود ﴿مِن دِيارِهِم﴾: مساكنهم بالمدينة، ﴿لِأَوَّلِ الحَشرِ﴾ هو حشرهم إلى الشام. وآخرُه أن جلاهم عُمر في خلافته إلى خَيبر، ﴿ما ظَنَنتُم﴾ ـ أيها المُؤمنون ـ ﴿أن يَخرُجُوا، وظَنُّوا أنَّهُم مانِعَتُهُم﴾: خبرُ «أنّ» ﴿حُصُونُهُم﴾: فاعلُه تمَّ به الخبر ﴿مِنَ اللهِ﴾: من عذابه، ﴿فأتاهُمُ اللهُ﴾: أمرُه وعذابه ﴿مِن حَيثُ لَم يَحتَسِبُوا﴾: لم يَخطر ببالهم من جِهة المُؤمنين، ﴿وقَذَفَ﴾: ألقى ﴿في قُلُوبِهِم الرُّعْبَ﴾، بسكون العين وضمّها: الخوفَ بقتل سيّدهم كعب بن الأشرف، ﴿يُخَرِّبُونَ﴾ ـ بالتشديد، والتخفيف من: أخرَبَ ـ ﴿بُيُوتَهُم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بأيدِيهِم وأيدِي المُؤمِنِينَ. فاعتَبِرُوا، يا أُولِي الأبصارِ﴾.

(٣) ـ ﴿ولَولا أن كَتَبَ اللهُ﴾: قضى ﴿علَيهِم الجَلاءَ﴾ بالخُروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُم في الدُّنيا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقُريظة من اليهود. ﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابُ النّارِ.

﴿بروح منه﴾: بنورٍ يقذفُهُ في قلوبِهِم. أو بالقرآنِ.
﴿سبّح لله﴾: نزَّهَهُ ومَجَّدَهُ تعالى ودلَّ عليهِ. ﴿الذين كفروا﴾: هم يهودُ بني النضيرِ قربَ المدينةِ. ﴿لأوّل الحَشر﴾: في أوَّلِ إخراجٍ وإجلاءٍ إلى الشَّام. ﴿فأتاهم الله﴾: فأتاهُم أمرُهُ وعقابُهُ. ﴿لمْ يحتسِبوا﴾: لم يظنُّوا ولم يخطرْ لهُم ببَالٍ. ﴿قذف﴾: ألقى وأنزلَ إنزالاً شديداً. ﴿الجَلاء﴾: الخروجَ مِنَ الوَطنِ بالأهلِ والوَلد.

(١) عن ابن جريج: أنَّ أبا قُحافةَ سبَّ النَّبيَّ عليه السَّلام، فصكَّه أبو بكرٍ صكَّةً شديدةً سقطَ منها، فذَكرَ ذلك للنَّبيِّ عليه السَّلام فقال: «لا تَعُدْ لـمثلِه»، فقالَ أبو بكر: والله لو كانَ السَّيفُ قريباً منِّي لقتلتُه. فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ. رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٦)، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٣٢): غريب. وقال ابنُ مسعود: نزلَت في أبي عُبيدةَ بنِ الجرَّاحِ؛ قتلَ أباه عبدَ اللهِ بنَ الجرَّاحِ يومَ أُحُدٍ، وفي أبي بكرٍ دعا ابنَه يومَ بدرٍ إلى البرازِ، فقالَ رسولُ اللهِ عليه السَّلام: «مَتِّعنا بنفسِك يا أبا بكرٍ، أما تعلمُ أنَّك عندي بمنزلةِ سمعي وبصري»، وفي مُصعَبِ بنِ عُميرٍ قتلَ أخاه عُبيدَ بنَ عُميرٍ يومَ أُحدٍ، وفي عُمرَ قتلَ خالَه العاصَ بنَ هشامٍ يومَ بدرٍ. الثعلبي (٢٦/ ١٦٨)، والواحدي (ص: ٤١٥). وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٦): هو في «تفسير مقاتل بن حيّان» عن مرَّة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٨) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وما فيه من كون أبي عبيدة قتل أباه منظور فيه، فقد ذكر الثعلبي عن الواقدي قوله: كذلك يقول أهل الشام، ولقد سألت رجالًا من بني الحارث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام.
وقيلَ: نزلَت في حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ لـمَّا كتبَ إلى أهلِ مكَّةَ بمسيرِ النَّبيِّ عليه السَّلام إليهم عامَ الفتحِ. «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٦٥)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤٢)، وللزجاج (٥/ ١٤١)، وجعله الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٧) قول الأكثرين ثم قال: «وتلك القصة معروفة، وهذا قول مقاتل واختيار الفراء والزجاج». وخبر حاطب رواه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رضي الله عنه مطولاً دون ذكر هذه الآية. وسيأتي في نزول قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ
٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩

٤ ـ ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُم شاقُّوا﴾: خالفوا ﴿اللهَ ورَسُولَهُ، ومَن يُشاقِّ اللهَ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ له.

٥ ـ ﴿ما قَطَعتُم﴾ ـ يا مسلمين ـ ﴿مِن لِينةٍ﴾[1]: نخلة ﴿أو تَرَكتُمُوها قائمةً على أُصُولِها فبِإذنِ اللهِ﴾ أي: خيَّركم في ذلك، ﴿ولِيُخزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الفاسِقِينَ﴾: اليهود في اعتراضهم بأنّ قطع الشجر المُثمر فسادٌ، ٦ ـ ﴿وما أفاءَ﴾: ردّه ﴿اللهُ على رَسُولِهِ مِنهُم فما أوجَفتُم﴾: أسرعتم ـ يا مسلمين ـ ﴿عليهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿خَيلٍ ولا رِكابٍ﴾: إبلٍ، أي: لم تُقاسوا فيه مشقّة، ﴿ولكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ على مَن يَشاءُ. واللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾. فلا حقّ لكم فيه، ويختصّ به النبيُّ ﷺ ومَن ذُكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه من أنّ لكُلّ منهم خُمسَ الخُمسِ، وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء. فأعطى منه المهاجرين وثلاثةً من الأنصار لفقرهم.

٧ ـ ﴿ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِن أهلِ القُرَى﴾ كالصفراء ووادي القُرى ويَنبُعَ ﴿فـ لِلهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء، ﴿ولِلرَّسُولِ ولِذِي﴾: صاحبِ ﴿القُربَى﴾: قرابةِ النبيّ من بني هاشم وبني المُطّلب، ﴿واليَتامَى﴾: أطفالِ المُسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فُقراء، ﴿والمَساكِينِ﴾: ذوي الحاجة من المسلمين، ﴿وابنِ السَّبِيلِ﴾: المُنقطع في سفره من المُسلمين، أي: يستحقّه النبيّ والأصنافُ الأربعة على ما كان يقسمه، من أنّ لكُلّ من الأربعة خُمسَ الخُمس وله الباقي، ﴿كَيلا﴾ ـ كي: بمعنى اللام، «وأن» مُقدّرة بعدها ـ ﴿يَكُونَ﴾: عِلّةٌ لقَسْمه كذلك ﴿دُولةً﴾: مُتداولاً ﴿بَينَ الأغنياءِ مِنكُم، وما آتاكُمُ﴾: أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ من الفيءِ وغيره ﴿فخُذُوهُ، وما نَهاكُم عَنهُ فانتَهُوا. واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

٨ ـ ﴿لِلفُقَراءِ﴾: مُتعلّق بمحذوف ـ أي: اعجَبوا ـ ﴿المُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيارِهِم وأموالِهِم، يَبتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللهِ ورِضوانًا، ويَنصُرُونَ اللهَ ورَسُولَهُ! أُولئكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، ٩ ـ ١٠ ـ ﴿والَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدّارَ﴾ أي: المدينةَ ﴿والإيمانَ﴾[2] أي: ألِفوه ـ وهم الأنصار ـ ﴿مِن قَبلِهِم يُحِبُّونَ مَن هاجَرَ إلَيهِم، ولا يَجِدُونَ في صُدُورِهِم حاجةً﴾: حسدًا ﴿مِمّا أُوتُوا﴾ أي: آتى النبيُّ ﷺ المُهاجرين

﴿شاقّوا﴾: عادَوْا وعَصَوْا وحادُّوا. ﴿لينة﴾: نخلةٍ. أو نخلةٍ كريمةٍ. ﴿على أصولها﴾: على سوقِها. ﴿وما أفاء الله﴾: وما ردَّ وما أعادَ. ﴿فما أوْجَفتم عليه﴾: فما أجْرَيْتُم على تحصيلِهِ. ﴿ركاب﴾: ما يُركبُ مِنَ الإبلِ خاصّةً. ﴿دُولة بين الأغنياء﴾: مِلكاً مُتداولاً بينَهُم خاصّةً. ﴿تبوّءوا الدار والإيمان﴾: تَوطّنوا المدينةَ وأخلصوا الإيمانَ. ﴿حاجة﴾: حَزازَةً وحَسَداً. ﴿خصاصة﴾: فقرٌ واحتياجٌ. ﴿ومن يوق﴾: ومَنْ يُجَنَّبْ ويُكفَ. ﴿شحّ نفسه﴾: بُخلَها معَ الحرصِ على المنعِ.

(١) عن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ حرّقَ نخلَ بني النَّضِير وقطَع وهي البُوَيرةُ، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ الآية. البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (١٧٤٦). وعن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قَالَ: استنزلوهم من حصونهم وأُمروا بقطع النّخل، فحاك فِي صدورهم، فقال المسلمون: قد قطعنا بعضًا وتركنا بعضًا فلنسألن رَسُول الله ﷺ: هل لنا فِيمَا قَطعنَا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فَأنزل الله: ﴿مَا قطعتُمْ من لينَة﴾ الآية. الترمذي (٣٣٠٣) وحسنه، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٥٦). ونحوه عن جابر رواه أبو يعلى (٢١٨٩) بسند ضعيف كما في «لباب النقول» (ص: ١٩١). وقد روي غير هذا في النزول لكن إسناده ضعيف، عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء يهوديٌّ إلى النبيّ ﷺ، فقال: أنا أقوم فأُصلّي. قال: «قدّر الله لك أن تُصلّي». قال: أنا أقعد. قال: «قدّر الله لك أن تقعد». قال: أنا أقوم إلى هذه الشجرة فأقطعها. قال: «قدّر الله لك أن تقطعها». قال: فجاء جبريل فقال: يا محمد، لُقّنت حُجّتك كما لُقّنها إبراهيم على قومه. وأنزل الله تعالى: ﴿ما قَطَعْتُمْ مِن لِينَةٍ أوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً على أُصُولِها فَبِإذْنِ اللَّهِ ولِيُخْزِيَ الفاسِقِينَ﴾ يعني: اليهود. رواه الواحدي (ص: ٤١٨).

(٢) عن يزيد الأصم: أن الأنصار قالوا: يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين، قال: «لا، ولكن يكفونكم المؤونة وتقاسمونهم الثمرة والأرضُ أرضكم»، قالوا: رضينا، فنزلت. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٩٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤١٩). وهذا مرسل، وهو عند البخاري (٢٣٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون ذكر الآية.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا
ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ
لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا
وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ
أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ
أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا
وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

من أموالِ بني النَّضير المختصّةِ به، ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أنفُسِهِم، ولَو كانَ بِهِم خَصاصةٌ**﴾[1]: حاجة إلى ما يُؤثَرون به ـ ﴿**ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ**﴾: حِرصَها على المال ﴿**فأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ**﴾ ـ ﴿**والَّذِينَ جاؤُوا مِن بَعدِهِم**﴾: من بعد المُهاجرين والأنصارِ إلى يوم القيامة ﴿**يَقُولُونَ: رَبَّنا، اغفِرْ لَنا ولِإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإيمانِ، ولا تَجعَلْ في قُلُوبِنا غِلًّا**﴾: حقدًا ﴿**لِلَّذِينَ آمَنُوا. رَبَّنا، إنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾.

نصف الحزب ٥٥

﴿١١﴾ ـ ﴿**أَلَم تَرَ**﴾: تنظرْ ﴿**إلَى الَّذِينَ نافَقُوا**﴾[2]؟ ﴿**يَقُولُونَ لِإخوانِهِمِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ**﴾، وهم بنو النَّضير وإخوانهم في الكُفر: ﴿**لَئِنْ**﴾ ـ لامُ قسَمٍ في الأربعة ـ ﴿**أُخرِجتُم**﴾ من المدينة ﴿**لَنَخرُجَنَّ مَعَكُم، ولا نُطِيعُ فِيكُم**﴾: في خِذلانكم ﴿**أحَدًا أبَدًا، وإن قُوتِلتُم**﴾ ـ حُذفت منه اللام المُوطِّئة ـ ﴿**لَنَنصُرَنَّكُم. واللهُ يَشهَدُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ**﴾. ﴿١٢﴾ ـ ﴿**لَئِنْ أُخرِجُوا لا يَخرُجُونَ مَعَهُم، ولَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُم، ولَئِنْ نَصَرُوهُم**﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿**لَيُوَلُّنَّ الأدبارَ**﴾ ـ واستُغنِيَ بجواب القسمِ المُقدّرِ عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ـ ﴿**ثُمَّ لا يُنصَرُونَ**﴾ أي: اليهودُ. ﴿١٣﴾ ـ ﴿**لَأنتُم أشَدُّ رَهبةً**﴾: خوفًا ﴿**في صُدُورِهِم**﴾ أي: المُنافقين ﴿**مِنَ اللهِ**﴾ لتأخير عذابه. ﴿**ذلِكَ بِأنَّهُم قَومٌ لا يَفقَهُونَ**﴾.

﴿١٤﴾ ـ ﴿**لا يُقاتِلُونَكُم**﴾ أي: اليهودُ ﴿**جَمِيعًا**﴾: مُجتمعينَ ﴿**إلاّ في قُرًى مُحَصَّنةٍ أو مِن وَراءِ جِدارٍ**﴾: سُور. وفي قِراءة: «جُدُرٍ». ﴿**بأسُهُم**﴾: حربهم ﴿**بَينَهُم شَدِيدٌ. تَحسِبُهُم جَمِيعًا**﴾: مُجتمعينَ، ﴿**وقُلُوبُهُم شَتَّى**﴾: مُتفرّقةٌ خِلاف الحِسبان. ﴿**ذلِكَ بِأنَّهُم قَومٌ لا يَعقِلُونَ**﴾. مَثَلُهم في ترك الإيمان ﴿١٥﴾ ـ ﴿**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم قَرِيبًا**﴾: بزمن قريب، وهم أهل بدر من المُشركين[3]. ﴿**ذاقُوا وَبالَ أمرِهِم**﴾: عُقوبتَه في الدنيا من القتل وغيره، ﴿**ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ**﴾: مُؤلم في الآخرة. مَثَلُهم أيضًا، في سماعهم من المُنافقين وتخلّفهم عنهم، ﴿١٦﴾ ـ ﴿**كَمَثَلِ الشَّيطانِ، إذ قالَ لِلإنسانِ: اكفُرْ. فلَمّا كَفَرَ قالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنكَ، إنِّيَ أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ**﴾. كذبٌ منه ورياء.

﴿غِلاًّ﴾: حِقداً وبُغضاً وغِشّاً. ﴿بَأسهم بينهم﴾: قتالُهُم فيما بينَهُم. ﴿قلوبهم شتّى﴾: مُتفرِّقةٌ لتَعاديهِمْ. ﴿وَبال أمرهم﴾: سوءَ عاقبةِ كفرِهِم.

---

(١) عن أبي هريرةَ: أنَّ رجلاً من الأنصار بات به ضيفٌ، فلمْ يكن عنده إلاَّ قُوتُه وقُوتُ صبيانه، فقال لامرأته: نوِّمي الصِّبيةَ، وأطفئي السِّراج، وقرِّبي للضَّيف ما عندَكِ، قال: فنزلت هذه الآيةُ. البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤)، والواحدي (ص: ٤١٩). وعن أبي المتوكل الناجي: أن رجلاً من المسلمين..، فذكر نحوه، وفيه: أن الرجل الذي أضاف هو ثابتُ بن قيس بن شماس فنزلت فيه هذه الآية. مسدد في «مسنده» وابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ١٩٢). وقال ابنُ عمر: أُهديَ لرجلٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ عليه السَّلام رأسُ شاةٍ فقالَ: إنَّ أخي فلاناً وعيالَه أحوجُ إلى هذا منِّي. فبعثَه إليهم، فلم يزلْ يبعثُ به واحدٌ إلى واحدٍ، حتَّى تداولَها سبعةُ أهلِ أبياتٍ، حتَّى رجعَت إلى أولئك، فنزلَ ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾. رواه الحاكم (٣٧٩٩)، والواحدي (ص: ٤١٩) واللفظ له. وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: عبيد الله بن الوليد ضعفوه.

(٢) عن السّدي قال: أسلم ناس من أهل قريظة وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النَّضير: لَئِن أخرجتم لَنَخرُجَنَّ مَعَكُمْ، فنزلت فيهم هَذه الآية. ابْن أبي حَاتِم كما في «لباب النقول» (ص: ١٩٢). وعن مجاهد في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ قال: عبدُ الله بن أُبيٍّ ابنُ سلولَ، ورفاعة بن تابوت، وعبد الله بن نَبْتَل، وأوس بن قَيْظِيّ. الطبري (٢٢/ ٥٣٥).

(٣) روي عن مجاهد. انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ٦٥٣).

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ
مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ
ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ
هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ
ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ
ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ
لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

١٧ ـ ﴿**فكانَ عاقِبتَهُما**﴾ أي: الغاوي والمُغوِي ـ وقُرِئ بالرفع ـ ﴿**أنَّهما في النّارِ خالِدَينِ فِيها. وذلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ**﴾: الكافرين.

١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ، ولْتَنظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾: ليوم القِيامة، ﴿**واتَّقُوا اللهَ ـ إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ ـ ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللهَ**﴾: تركوا طاعته، ﴿**فأنساهُم أنفُسَهُم**﴾، أن يُقدِّموا لها خيرًا. ﴿**أُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ. لا يَستَوِي أصحابُ النّارِ وأصحابُ الجَنّةِ. أصحابُ الجَنّةِ هُمُ الفائِزُونَ**﴾.

٢١ ـ ﴿**لَو أنزَلْنا هذا القُرآنَ على جَبَلٍ**﴾، وجُعل فيه تمييز كالإنسان، ﴿**لَرَأيتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا**﴾: مُتشقِّقًا ﴿**مِن خَشيَةِ اللهِ. وتِلكَ الأمثالُ**﴾ المذكورة ﴿**نَضرِبُها لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ**﴾ فيُؤمنون. ٢٢ ـ ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ، عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ**﴾: السرِّ والعلانية. ﴿**هُوَ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ**﴾.

٢٣ ـ ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ، المَلِكُ القُدُّوسُ**﴾: الطاهر عمّا لا يليق به، ﴿**السَّلامُ**﴾: ذُو السلامة من النقائص، ﴿**المُؤمِنُ**﴾: المُصدِّق رسلَه بخلق المعجزة لهم، ﴿**المُهَيمِنُ**﴾ ـ مِن: هَيمَنَ يُهَيمِنُ، إذا كان رقيبًا على الشيء ـ أي: الشهيدُ على عِباده بأعمالهم، ﴿**العَزِيزُ**﴾: القويّ، ﴿**الجَبّارُ**﴾ جبرَ خلقَه على ما أراد، ﴿**المُتَكَبِّرُ**﴾ عمّا لا يليق به. ﴿**سُبحانَ اللهِ**﴾ نَزَّهَ نفسَه ﴿**عَمّا يُشرِكُونَ**﴾ به! ٢٤ ـ ﴿**هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِئُ**﴾: المُنشِئ من العدم، ﴿**المُصَوِّرُ، لَهُ الأسماءُ الحُسنَى**﴾ التسعةُ والتسعون الواردُ بها الحديثُ[1] ـ والحسنى: مُؤنّث الأحسن ـ ﴿**يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ، وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ تقدَّمَ أوّلَها.

***

﴿نسوا الله﴾: لمْ يراعوا أوامِرَهُ ونَواهيَهُ. ﴿فأنساهمْ أنفسهم﴾: فلم يُقدِّموا لها ما ينفعُها عندَهُ. ﴿خاشِعًا﴾: ذليلاً خاضعاً. ﴿متصدِّعًا﴾: مُتشقِّقاً. ﴿المَلِك﴾: المالكُ لكلِّ شيءٍ المُتصرِّفُ فيه. ﴿القدوس﴾: البَليغُ في النَّزاهةِ عنِ النَّقائصِ. ﴿السلام﴾: ذو السَّلامةِ مِنْ كلِّ عيبٍ ونقصٍ. ﴿المؤمن﴾: المصدِّقُ لرسلِهِ بالمعجزاتِ. ﴿المهيمن﴾: الرَّقيبُ على كلِّ شيءٍ. ﴿العزيز﴾: القويُّ الغالبُ. ﴿الجبّار﴾: القهّارُ. أوِ العظيمُ. ﴿المتكبّر﴾: البَليغُ الكبرياءِ والعظمةِ. ﴿البارئ﴾: المبدعُ المخترعُ. ﴿المصوّر﴾: خالقُ الصُّورِ على ما يُريدُ. ﴿الأسماء الحسنى﴾: الدّالَّةُ على محاسنِ المعاني.

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف بذكر الأسماء، ورواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ
لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا
بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ
إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

٦٠

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

مدنية، ثلاثَ عشرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُم**﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿**أَولِياءَ، تُلقُونَ**﴾: تُوصِلون ﴿**إلَيهِم**﴾ قَصْدَ النبي غزوَهم الذي أسرَّه إليكم ووَرَّى بحُنين، ﴿**بِالمَوَدَّةِ**﴾ بينكم وبينهم ـ كتبَ حاطبُ ابنُ أبي بَلتعةَ إليهم كتابًا[1] بذلك لِما له عِندهم من الأولاد والأهل المُشركين، فاستردّه النبيّ ممّن أرسله معه بإعلام الله ـ تعالى ـ له بذلك، وقبِلَ عُذرَ حاطب فيه ـ ﴿**وقَد كَفَرُوا بِما جاءَكُم مِنَ الحَقِّ**﴾ أي: دِين الإسلام والقُرآن، ﴿**يُخرِجُونَ الرَّسُولَ وإيّاكُم**﴾ من مكّة بتضييقهم عليكم، ﴿**أن تُؤمِنُوا**﴾ أي: لِأجل أن آمنتم ﴿**بِاللهِ رَبِّكُم، إن كُنتُم خَرَجتُم جِهادًا**﴾: للجِهاد ﴿**في سَبِيلِي وابتِغاءَ مَرضاتِي**﴾ ـ وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله، أي: فلا تتّخذوهم أولياء ـ ﴿**تُسِرُّونَ إلَيهِم بِالمَوَدَّةِ، وأنا أعلَمُ بِما أخفَيتُم، وما أعلَنتُم. ومَن يَفعَلْهُ مِنكُم**﴾ أي: إسرارَ خبر النبي إليهم ﴿**فقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ**﴾: أخطأ طريق الهدى. والسواء في الأصل: الوسَط.

(٢) ـ (٣) ـ ﴿**إن يَثقَفُوكُم**﴾: يظفروا بكم ﴿**يَكُونُوا لَكُم أعداءً، ويَبسُطُوا إلَيكُم أيدِيَهُم**﴾ بالقتل والضربِ ﴿**وألسِنَتَهُم بِالسُّوءِ**﴾: بالسبّ والشتم، ﴿**ووَدُّوا**﴾: تمنَّوا ﴿**لَو تَكفُرُونَ. لَن تَنفَعَكُم أرحامُكُم**﴾: قراباتُكم ﴿**ولا أولادُكُم**﴾ المُشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبرَ، من العذاب في الآخرة. ﴿**يَومَ القِيامةِ يُفصَلُ**﴾ ـ بالبناء للمفعول، وللفاعل ـ ﴿**بَينَكُم**﴾ وبينهم، فتكونون في الجنّة، وهم في جُملة الكُفّار في النار. ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾.

(٤) ـ ﴿**قَد كانَتْ لَكُم إسوَةٌ**﴾، بكسر الهمزة وضمّها في الموضعين: قُدوةٌ ﴿**حَسَنَةٌ في إبراهِيمَ**﴾ أي: به قولاً وفعلاً ﴿**والَّذِينَ مَعَهُ**﴾ من المُؤمنين، ﴿**إذ قالُوا لِقَومِهِم: إنّا بُرَآءُ**﴾: جمع بَريء كظَريف ﴿**مِنكُم ومِمّا تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ، كَفَرْنا بِكُم**﴾: أنكرناكم، ﴿**وبَدا بَينَنا وبَينَكُمُ العَداوةُ والبَغضاءُ أبَدًا**﴾ ـ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوًا ـ ﴿**حَتَّى تُؤمِنُوا بِاللهِ وَحدَهُ، إلاّ قَولَ إبراهِيمَ لِأبِيهِ: لَأستَغفِرَنَّ لَكَ**﴾: مُستثنى من «إسوة»، فليس لكم التأسّي به في ذلك بأن تستغفروا للكُفّار، وقولَه ﴿**وما أملِكُ لَكَ مِنَ اللهِ**﴾ أي: من عذابه وثوابه ﴿**مِن شَيءٍ**﴾. كنى به عن أنه لا يملك له غيرَ الاستغفار فهو مبنيّ عليه مستثنى من حيثُ المرادُ منه، وإن كان من حيثُ ظاهرُه مِمّا يُتأسّى فيه: «قُل: فمَن يَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شيئًا»؟ واستغفارُه له قبل أن يتبيّن له أنه عدوّ لله كما ذُكر في «براءة». ﴿**رَبَّنا، عَلَيكَ تَوَكَّلْنا، وإلَيكَ أنَبْنا، وإلَيكَ المَصِيرُ**﴾: من مقول الخليل ومَن معه، أي: وقالوا: (٥) ـ ﴿**رَبَّنا، لا تَجعَلْنا فِتنةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي: لا تُظهِرْهم علينا فيظنّوا أنهم على الحقّ، فيَفتتِنوا بنا أي: تذهبَ عقولهم بنا، ﴿**واغفِرْ لَنا. رَبَّنا، إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ في مُلكه وصُنعه.

﴿أولياء﴾: أعواناً توادُّونَهُم وتناصِحونَهُم. ﴿أن تؤمنوا﴾: لإيمانِكُم أو كراهةَ إيمانِكُم. ﴿يثقفوكم﴾: يَظفروا بكُم. أو يصادفوكُم. ﴿يبسطوا إليكم﴾: يمدُّوا إليكُم.
﴿أسوة حسنة﴾: قدوةٌ حميدةٌ في التَّبَرِّي مِنَ الضَّالِّينَ. ﴿بُرَآءُ منكم﴾: أبرياءُ منكُم. ﴿إليك أنَبْنا﴾: إليكَ رَجَعْنا تائبينَ. ﴿لا تجعلنا فتنة﴾: مفتونينَ بهِم مُعذبينَ بأيديهِم.

(١) رواه مطولًا البخاري (٣٠٠٧) و(٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفيه أن هذه القصة هي سبب نزول هذه الآية.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ
فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

(٦) ـ ﴿لَقَد كانَ لَكُم﴾ يا أُمّة مُحمّد ـ جوابُ قسم مُقدّر ـ ﴿فِيهِم إسوةٌ حَسَنةٌ، لِمَن كانَ﴾: بدلُ اشتمال من «كُم» بإعادة الجارّ ﴿يَرجُو اللهَ واليَومَ الآخِرَ﴾ أي: يخافُهما أو يظنّ الثوابَ والعِقاب. ﴿ومَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يُواليَ الكُفّار ﴿فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنيُّ﴾ عن خلقه ﴿الحَمِيدُ﴾ لِأهل طاعته.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

(٧) ـ ﴿عَسَى اللهُ أن يَجعَلَ بَينكُم[1] وبَينَ الَّذِينَ عادَيتُم مِنهُم﴾: من كُفّار مكّة طاعةً للهِ ـ تعالى ـ ﴿مَوَدّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء. ﴿واللهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ـ وقد فعله بعد فتح مكّة ـ ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

(٨) ـ ﴿لا يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَم يُقاتِلُوكُم﴾ من الكُفّار ﴿في الدِّينِ[2] ولَم يُخرِجُوكُم مِن دِيارِكُم، أن تَبَرُّوهُم﴾: بدلُ اشتمال من «الذين»، ﴿وتُقسِطُوا﴾: تُفضُوا ﴿إلَيهِم﴾ بالقسط، أي: العدل. وهذا قبل الأمر بجِهادهم ـ ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ﴾: العادلينَ ـ (٩) ـ ﴿إنَّما يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُم في الدِّينِ، وأخرَجُوكُم مِن دِيارِكُم، وظاهَرُوا﴾: عاونوا ﴿على إخراجِكُم، أن تَوَلَّوهُم﴾: بدلُ اشتمال من «الذين»، أي: تتّخذوهم أولياء. ﴿ومَن يَتَوَلَّهُم فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

(١٠) ـ (١١) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا جاءَكُمُ المُؤمِناتُ﴾ بألسنتهنّ ﴿مُهاجِراتٍ﴾ من الكُفّار، بعد الصُّلح معهم في الحُدَيبية على أنّ من جاء منهم إلى المُؤمنين يُرد، ﴿فامتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف أنهنّ ما خرجنَ إلّا رغبة في الإسلام لا بُغضًا لأزواجهنّ الكُفّار ولا عِشقًا لرجال من المُسلمين ـ كذا كان النبيّ ﷺ يُحلّفهنّ[3].

﴿اللهُ أعلَمُ بِإيمانِهِنَّ ـ فإن عَلِمتُمُوهُنَّ﴾: ظننتموهنّ بالحلف ﴿مُؤمِناتٍ فلا تَرجِعُوهُنَّ﴾: تردّوهنّ ﴿إلَى الكُفّارِ ـ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُم ولا هُم يَحِلُّونَ لَهُنَّ ـ وآتُوهُم﴾ أي: أعطُوا الكُفّارَ أزواجَهنّ ﴿ما أنفَقُوا﴾ عليهنّ من المُهور، ﴿ولا جُناحَ عَلَيكُم أن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه ﴿إذا آتَيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنّ.

﴿ولا تُمَسِّكُوا﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾ زوجاتِكم لقطع إسلامكم لها[4] بشرطه أو اللاحقات بالمُشركين مُرتدّاتٍ لقطع ارتدادهنّ نكاحَكم بشرطه، ﴿واسألُوا﴾: اطلبوا ﴿ما أنفَقتُم﴾ عليهنّ من المُهور في صُورة الارتداد ممّن تزوّجهنّ من الكُفّار، ﴿ولْيَسألُوا ما أنفَقُوا﴾ على المُهاجرات كما تقدّم أنهم يُؤتَونه ـ ﴿ذلِكُم حُكمُ اللهِ، يَحكُمُ بَينَكُم﴾ به. ﴿واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ـ وإن فاتَكُم شَيءٌ مِن أزواجِكُم﴾ أي: واحدةٌ فأكثرُ منهنّ أو شيء من مُهورهنّ بالذهاب ﴿إلَى الكُفّارِ﴾ مُرتدّاتٍ، ﴿فعاقَبتُم﴾: فغزَوتم وغنمتم، ﴿فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَت أزواجُهُم﴾ من

﴿تبرّوهم﴾: تحسنوا إليهم وتكرموهُم. ﴿تُقسِطوا إليهم﴾: تُفضوا إليهم بالقسْطِ والعدلِ. ﴿ظاهروا﴾: عاوَنوا الَّذينَ قاتلوكُم وأخرجوكُم. ﴿أن تولَّوْهمْ﴾: أن تتَّخذوهُم أولياءَ. ﴿فامْتحنوهنّ﴾: فاختبروهُنَّ وكانَ ذلكَ بالتَّحْليفِ. ﴿أجورهنّ﴾: مُهورَهُنَّ. ﴿بعِصم الكوافر﴾: بعقودِ نكاحِ المشركاتِ. ﴿فاتكم شيء﴾: انفلتَ أحدٌ بردَّةٍ. ﴿فعاقبتمْ﴾: فَغَزوتُم فغنمتُم منهُمْ.

(١) لـمَّا نزلَ ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ عادَى المُؤمنونَ أقارِبَهم المُشركينَ، وأظهَرُوا لهم العداوةَ والبراءةَ، وعلِمَ اللهُ شدَّةَ وَجْدِ المُؤمنينَ بذلك، فأنزَلَ: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ فأسلَمَ كثيرٌ منهم وصارُوا لهم أولياءَ وإخوانًا، وخالَطُوهم وناكَحُوهم. «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٢)، والواحدي (ص: ٤٢٣). وقال ابنُ عباسٍ في رواية الكلبي: كانت المودةُ بعدَ الفتحِ تزويجَ النبيِّ ﷺ أمَّ حبيبةَ بنتِ أبي سفيانَ. «طبقات ابن سعد» (٨/ ٩٩).

(٢) عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالت: «أَتَتني أُمِّي راغبةً في عهد النبيِّ ﷺ، فسألتُ النبيَّ ﷺ: آصِلُها؟ قال: نعم، قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لا يَنْهَاكُمُ الله﴾». البخاري (٥٩٧٨) واللفظ له، ودون ذكر النزول مسلم (١٠٠٣).

(٣) سئل ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: كيف كان النَّبيُّ ﷺ يمتحِنُ النِّساء؟ قال: كان يقول: «بالله ما خرجْتِ من بغضٍ لزوجك، بالله ما خرجْتِ التماسَ دنيا، بالله ما خرجْتِ رغبةً إلى أرض، بالله ما خرجْتِ إلَّا حبًّا لله تعالى ولرسوله». رواه البزار (٢٢٧٢ ـ كشف الأستار)، والحارث بن أبي أسامة (٧٢٢)، والطبري (٢٢/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٠). قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٣): فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما، وبقية رجاله ثقات. وفي سبب النزول: عن المسور ومروان في آخر حديث الحديبية الطويل وما فيه من كتاب الصلح: ثُم جاءه نسوةٌ مؤمناتٌ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾. البخاري (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢).

(٤) أي: للعصمة.

الغنيمة ﴿مِثلَ ما أنفقُوا﴾ لِفواته عليهم من جِهة الكُفّار، ﴿واتَّقوا اللهَ الَّذي أنتم بِهِ مُؤمِنُونَ﴾. وقد فعل المُؤمنون ما أُمروا به، من الإيتاء للكُفّار والمُؤمنين، ثمّ ارتفع هذا الحُكم.

١٢ ـ ﴿يا أيُّها النَّبيُّ، إذا جاءَكَ المُؤمِناتُ يُبايِعْنَكَ على ألاّ يُشرِكْنَ باللهِ شَيئًا، ولا يَسرِقْنَ ولا يَزنِينَ ولا يَقتُلْنَ أولادَهُنَّ﴾ كما كان يُفعل في الجاهليّة من وأد البنات، أي: دفنهنّ أحياءً خوفَ العار والفقر، ﴿ولا يأتِينَ بِبُهتانٍ يَفترِينَهُ بَينَ أيدِيهِنَّ وأرجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملقوط يَنسِبْنَه إلى الزوج ـ ووُصِفَ بصِفة الولد الحقيقيّ، فإنّ الأمَّ إذا وضعتْه سقطَ بين يديها ورجليها ـ ﴿ولا يَعصِينَكَ في مَعرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله ـ تعالى ـ كترك النِّياحةِ وتمزيقِ الثياب وجزِّ الشعور وشقِّ الجيب وخمشِ الوجه، ﴿فبايِعْهُنَّ﴾ ـ فَعَلَ النبيُّ ﷺ ذلك بالقول، ولم يُصافح واحدة منهنّ ـ ﴿واستغفِرْ لَهُنَّ اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٣ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنوا، لا تَتَولَّوا قومًا، غَضِبَ اللهُ عليهِم﴾[1] هم اليهود، ﴿قد يَئِسُوا مِنَ الآخِرةِ﴾ أي: من ثوابها مع إيقانهم بها، لِعنادهم النبيَّ مع علمهم بصِدقه، ﴿كما يَئِسَ الكُفّارُ﴾ الكائنون ﴿مِن أصحابِ القُبُورِ﴾ أي: المقبورين من خير الآخرة، إذ تُعرض عليهم مقاعدهم من الجنّة لو كانوا آمنوا، وما يصيرون إليه من النار.

***

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

٦١
سُورةُ الصَّفِّ[2]

مكية أو مدنية، أربعَ عشْرَة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿سَبَّحَ لِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: نزّهَه ـ فاللام: مزيدة. وجيء بـ«ما» دون «مَن» تغليبًا للأكثر ـ ﴿وهُوَ العَزيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه. ٢ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب الجِهاد ﴿ما لا تَفعَلُونَ﴾، إذِ انهزمتم بأُحُد؟ ٣ ـ ٤ ـ ﴿كَبُرَ﴾: عظُمَ ﴿مَقْتًا﴾: تمييزٌ ﴿عِندَ اللهِ أن تَقُولُوا﴾: فاعلُ «كبُر» ﴿ما لا تَفعَلُونَ. إنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾: يَنصر ويُكرم ﴿الَّذِينَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِهِ صَفًّا﴾: حالٌ أي: صافّين ﴿كأنَّهم بُنيانٌ مَرصُوصٌ﴾: مُلزَقٌ بعضُه إلى بعض ثابتٌ.

٥ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: يا قَومِ، لِمَ تُؤذُونَنِي﴾ ـ قالوا: «إنه آدَرُ»، أي: مُنتفِخُ الخُصيةِ. وليس كذلك، وكذّبوه ـ ﴿وقَد﴾:

﴿بِبُهتان﴾: بإلصاقِ اللُّقطاءِ بالأزواجِ. ﴿يفترينه﴾: يَختَلِقْنَهُ. ﴿لا تتولوْا﴾: لا تتَّخذوا أولياءَ. ﴿قومًا﴾: هم اليَهودُ، أوِ الكفَّارُ عامَّةً.
﴿سَبّح لله..﴾: نَزَّهَهُ ومَجَّدَهُ تعالى ودلَّ عليهِ. ﴿كَبُرَ مَقتاً﴾: عَظُمَ بغضاً بالغَ الغايةِ. ﴿صَفًّا﴾: صافِّينَ أنفسَهُم أو مصفوفينَ. ﴿بُنيانٌ مَرْصوص﴾: متلاصقٌ مُحكمٌ لا فرجةَ فيهِ. ﴿زَاغوا﴾: مالوا باختيارِهِم عنِ الحقِّ. ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾: حَرَمَهُمُ التَّوفيقَ لاتِّباعِ الحقِّ.

(١) عن ابن عبَّاس: كان عبد الله بن عمرٍو وزيد بن الحارث يُوادَّان رجالًا من اليهود، فأنزل اللهُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآيَةَ. ابن المنذر في «تفسيره» (١٩٨)، وفي إسناده محمد بن أبي محمد وهو مجهول. وقيل: نزلت في ناسٍ من فقراء المؤمنين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ويواصلونهم فيصيبون بذلك ثمارهم، فنهاهم الله ـ عز وجل ـ عن ذلك. الثعلبي (٢٦/ ٣٣٢)، والواحدي (ص: ٤٢٥).

(٢) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيَّ الأعمال أحبُ إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سبح لله﴾ إلى: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾. الترمذي (٣٣٠٩)، وهو الحديث المعروف بالمسلسل بسورة الصف. قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٤١): إسناده صحيح قلَّ أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه. علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ: نزلَتْ في قومٍ قالوا: لو علِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى الله سارَعْنا إليه، فلمَّا نزلَ فرضُ الجهادِ تثاقَلُوا عنه. الطبري (٢٢/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧).

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ
عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟
أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

للتحقيق ﴿تَعلَمونَ أنّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم﴾ الجملة حال، والرسولُ يُحترم؟ ﴿فلمّا زاغوا﴾: عدلوا عن الحقّ بإيذائه ﴿أزاغَ اللهُ قُلوبَهم﴾: أمالَها عن الهُدى على وَفق ما قدّره في الأزل ـ ﴿واللهُ لا يَهدِي القومَ الفاسِقِينَ﴾: الكافرين في عِلمه ـ ﴿٦﴾ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ: يا بَني إسرائيلَ﴾ ـ لَم يقلْ: «يا قوم» لأنه لم يكن له فيهم قرابة ـ ﴿إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيَّ﴾: قبلي ﴿مِنَ التَّوراةِ، ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يأتي مِن بَعدِي، اسمُهُ أحمَدُ﴾. قال تعالى: ﴿فلمّا جاءَهُم﴾: جاء أحمدُ الكُفّارَ ﴿بِالبَيِّناتِ﴾: الآيات والعلامات ﴿قالُوا: هذا﴾ أي: المجيء به ﴿سِحرٌ﴾ ـ وفي قِراءة: «ساحِرٌ» أي: الجائي به ـ ﴿مُبِينٌ﴾: بيّنٌ. ﴿٧﴾ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ﴾ أشدّ ظُلمًا ﴿مِمَّنِ افترَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ بنِسبة الشريك والولد إليه، ووصفِ آياته بالسِّحر، ﴿وهُوَ يُدعَى إلَى الإسلامِ؟ واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

﴿٨﴾ ـ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا﴾ ـ منصوب بـ «أن» مُقدّرة، واللام: مزيدة ـ ﴿نُورَ اللهِ﴾: شرعَه وبراهينه ﴿بِأفواهِهِم﴾: بأقوالهم: إنه سِحرٌ وشِعر وكِهانة، ﴿واللهُ مُتِمٌّ﴾: مُظهرٌ ﴿نُورَهُ﴾، وفي قراءة بالإضافة، ﴿ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ ذلك.

﴿٩﴾ ـ ﴿هُوَ الّذي أرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ﴾: يُعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: جميع الأديان المُخالفة له، ﴿ولَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ ذلك.

﴿١٠﴾ ـ ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، هَل أدُلُّكُم على تِجارةٍ[1] تُنجِيكُم﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِن عَذابٍ أليمٍ﴾: مُؤلم؟ فكأنهم قالوا: نعم.

﴿١١﴾ ـ فقال: ﴿تُؤمِنُونَ﴾: تدومون على الإيمان ﴿بِاللهِ ورَسُولِهِ، وتُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ بِأموالِكُم وأنفُسِكُم ـ ذلِكُم خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه، ﴿١٢﴾ ـ ﴿١٣﴾ ـ ﴿يَغفِرْ﴾: جوابُ شرط مُقدّر، أي: إن تفعلوه يغفرْ ﴿لَكُم ذُنُوبَكُم، ويُدخِلْكُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدنٍ﴾: إقامةٍ، ﴿ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ، و﴾ يُؤتِكم نِعمةً ﴿أُخرَى تُحِبُّونَها، نَصرٌ مِنَ اللهِ وفَتحٌ قَرِيبٌ ـ وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ بالنصر والفتح.

﴿١٤﴾ ـ ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا أنصارًا لِلّهِ﴾: لِدينه ـ وفي قراءة بالإضافة ـ ﴿كَما﴾ المعنى: كما كان الحواريّون كذلك الدالُّ عليه: ﴿قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ لِلحَوارِيِّينَ: مَن أنصارِيَ إلَى اللهِ﴾ أي: مَن الأنصار الذين يكونون معي مُتوجّهًا إلى نُصرة الله؟ ﴿قالَ الحَوارِيُّونَ: نَحنُ أنصارُ اللهِ﴾. والحواريّون أصفياءُ عِيسَى وهم أوّل من آمن به، وكانوا اثنَي عشَرَ رجلاً، من الحَوَر، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثِّيابَ[2]، أي: يُبيّضونها. ﴿فآمَنَتْ طائفةٌ مِن بَني إسرائيلَ﴾ بعِيسَى، وقالوا: إنه عبد الله، رُفِعَ إلى السماء. ﴿وكَفَرَتْ طائفةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله، رَفعه إليه. فاقتتلت الطائفتان، ﴿فأيَّدنا﴾: قوّينا ﴿الّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطائفتين ﴿على عَدُوِّهِم﴾: الطائفة الكافرة، ﴿فأصبَحُوا ظاهِرِينَ﴾: غالِبِينَ.

* * *

﴿نور الله﴾: الحقَّ الّذي جاءَ بِهِ الرَّسولُ ﷺ. ﴿وأخرى﴾: ولكُم مِنَ النِّعمِ نعمةٌ أُخرى. ﴿للحواريين﴾: أصْفِياءِ عيسى وخواصِّهِ. ﴿فأيّدنا﴾: قوَّينا المحقِّينَ بالإيمانِ.
﴿ظاهرين﴾: غالبينَ بالحججِ والبيناتِ.

(١) عن أبي صالح: قالوا: لو كنا نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله وأفضل، فنزلت: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فكرهوا، فنزلت: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾. رواه ابن المبارك في «الجهاد» (٢)، والطبري (٢٢/ ٦٠٧).

(٢) ابن أبي حاتم (٢/ ٦٥٩) من طريق جويبر عن الضحاك. وروى الثعلبي (٨/ ٣٥٤) عن مصعب أنهم إنما أصبحوا قصارين بعد أن صحبوه فشجعهم على الأكل من كسبهم.

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
(٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

الحزب ٥٦

٦٢
سورة الجمعة

مدنية، إحدى عشرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلهِ﴾: يُنزِّهُه، فاللام: زائدة، ﴿ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ ـ في ذكر «ما» تغليبٌ للأكثر ـ ﴿المَلِكِ القُدُّوسِ﴾: المُنزَّه عمّا لا يليق به ﴿العَزيزِ الحَكيمِ﴾ في مُلكه وصُنعه.

(٢) ـ ﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ﴾: العربِ ـ والأُمّيُّ: من لا يكتب ولا يقرأ كتابًا ـ ﴿رَسُولاً مِنهُم﴾ هو مُحمّد ﷺ ﴿يَتلُو علَيهِم آياتِهِ﴾: القُرآنَ، ﴿ويُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرُهم من الشِّرك، ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾: القُرآن ﴿والحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وإنّهم ﴿كانُوا مِن قَبلُ﴾: قبلَ مجيئه ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ، (٣) ـ ﴿وآخَرِينَ﴾: عطفٌ على «الأُمِّيِّينَ» أي: الموجودين منهم وآتين ﴿مِنهُم﴾ بعدهم، ﴿لَمّا﴾: لم ﴿يَلحَقُوا بِهِم﴾ في السابقة والفضل، ﴿وهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾ في صُنعه. وهم التابعون، والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة المبعوثِ فيهم النبيُّ على من عداهم، ممّن بُعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجنّ إلى يوم القيامة لأنّ كُلّ قرن خير ممّن يليه. (٤) ـ ﴿ذلِكَ فَضلُ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ﴾ النبيَّ ومَن ذُكر معه، ﴿واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

(٥) ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ﴾: كُلّفوا العملَ بها، ﴿ثُمَّ لَم يَحمِلُوها﴾: لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يُؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أسفارًا﴾ أي: كُتبًا في عدم انتفاعه بها، ﴿بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ﴾ المُصدّقةِ للنبيّ! والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره: هذا المَثَلُ. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

(٦) ـ ﴿قُلْ: يا أيُّها الَّذِينَ هادُوا، إن زعَمتُم أنَّكُم أولِياءُ لِلهِ مِن دُونِ النّاسِ فتَمَنَّوُا المَوتَ، إن كُنتُم صادِقِينَ﴾. تعلّقَ بتمنّيه الشرطانِ، على أنّ الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتُم في زعمكم أنكم أولياء لله، والوليُّ يُؤثِر الآخرة ومبدؤها الموت، فتمنّوه. (٧) ـ ﴿ولا يَتَمَنَّونَهُ أبَدًا بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾ من كُفرهم بالنبيّ المستلزم لكذبهم، ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

(٨) ـ ﴿قُلْ: إنَّ المَوتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فإنَّهُ﴾ ـ الفاء: زائدة ـ ﴿مُلاقِيكُم، ثُمَّ تُرَدُّونَ إلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: السِّرِّ والعلانية، ﴿فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

(٩) ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن﴾ بمعنى: في ﴿يَومِ الجُمُعةِ فاسعَوا﴾: فامضُوا ﴿إلَى ذِكرِ اللهِ﴾ أي: الصلاة، ﴿وذَرُوا البَيعَ﴾ اتركوا عَقدَه ـ ﴿ذلِكُم خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه ـ (١٠) ـ ﴿فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانتَشِرُوا في الأرضِ﴾: أمرُ إباحة، ﴿وابتَغُوا﴾: اطلبوا الرزقَ ﴿مِن فَضلِ اللهِ، واذكُرُوا اللهَ﴾: ذكرًا ﴿كَثِيرًا، لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون.

﴿يسبّح لله﴾: يُنزِّهُهُ ويُمَجِّدُهُ تعالى ويدلُّ عليهِ. ﴿الملك﴾: مالكِ الأشياءِ كلِّها. ﴿القدوس﴾: البليغ في النَّزاهةِ عنِ النَّقائصِ. ﴿العزيز﴾: القادرِ الغالبِ القاهرِ.
﴿الأميين﴾: العربِ المعاصرينَ لهُ ﷺ. ﴿يزكّيهم﴾: يُطهِّرُهُم مِن أدناسِ الجاهليَّةِ. ﴿آخرين منهم﴾: مِنَ العَرَبِ. ﴿لمّا يلحقوا بهم﴾: لمْ يلحقوا بهمْ بَعدُ وسيلحقونَ.
﴿حُمّلوا التوراة﴾: كُلِّفوا العملَ بما فيها (اليهود). ﴿يَحْمِل أسفارًا﴾: كُتباً عظاماً ولا ينتفعُ بها. ﴿هَادوا﴾: تدَيَّنوا باليهوديَّةِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا
إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا
مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ
اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا
تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقَدِمتْ عِير وضُرب لقُدومها الطبل على العادة[1]، فخرج لها الناس من المسجد غيرَ اثني عشَرَ رجلاً، فنزل: ⑪ ـ ﴿وإذا رَأَوا تِجارةً أو لَهْوًا انفَضُّوا إليها﴾ أي: التجارةِ لأنها مطلوبُهم دُونَ اللهو، ﴿وتَرَكُوكَ﴾ في الخُطبة ﴿قائمًا. قُلْ: ما عِندَ اللهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهْوِ ومِنَ التِّجارةِ، واللهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾. يقال: كُلّ إنسان يَرزق عائلته، أي: من رِزق الله تعالى.

***

٦٣

سُورَةُ المُنَافِقُونَ[2]

مدنية، إحدى عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ربع الحزب ٥٦

① ـ ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا﴾ بألسنتهم على خِلاف ما في قُلوبهم: ﴿نَشهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ـ واللهُ يَعلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ ـ واللهُ يَشهَدُ﴾: يعلم ﴿إنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾ فيما أضمروه مُخالفًا لما قالوه. ② ـ ③ ـ ﴿اتَّخَذُوا أيمانَهُم جُنَّةً﴾: سُترة عن أموالهم ودمائهم، ﴿فصَدُّوا﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم. ﴿إنَّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَ! ذلِكَ﴾ أي: سُوءُ عملهم ﴿بِأَنَّهُم آمَنُوا﴾ باللسان، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب، أي: استمرّوا على كُفرهم به، ﴿فطُبِعَ﴾: خُتم ﴿على قُلُوبِهِم﴾ بالكُفر، ﴿فهُم لا يَفقَهُونَ﴾ الإيمانَ.

④ ـ ﴿وإذا رأيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم﴾ لجمالها، ﴿وإن يَقُولُوا تَسمَعْ لِقَولِهِم﴾ لفصاحته. ﴿كأنَّهُم﴾ من عِظَمِ أجسامهم في ترك التفهّم ﴿خُشُبٌ﴾ ـ بسكون الشين وضمّها ـ ﴿مُسَنَّدَةٌ﴾: مُمالة إلى الجِدار، ﴿يَحسَبُونَ كُلَّ صَيحةٍ﴾ تُصاحُ كنِداء في العسكر وإنشاد ضالّة ﴿عَلَيهِم﴾ لِما في قلوبهم من الرُّعب، أن ينزل فيهم ما يُبيح دماءَهم. ﴿هُمُ العَدُوّ. فاحذَرْهُم﴾ فإنهم يُفشون سِرّك للكُفّار. ﴿قاتَلَهُمُ اللهُ﴾: أهلكَهم. ﴿أنّى يُؤفَكُونَ﴾: كيف يُصرفون عن الإيمان بعد قيام البُرهان؟

﴿ذروا البيْع﴾: اتركوهُ وتفرَّغوا لذكرِ اللهِ. ﴿فانتشروا﴾: تفرَّقوا للتَّصرُّفِ في حَوائجِكُم. ﴿انفضّوا إليها﴾: تفرَّقوا عنكَ قاصدينَ إليها.

﴿جُنّة﴾: وقايةً لأنفسِهم وأموالِهم. ﴿آمنوا﴾: بألسِنَتِهم لا غيرُ. ﴿فطُبع﴾: خُتمَ بسببِ الكفرِ. ﴿لا يفقهون﴾: لا يعرفونَ حقيقةَ الإيمانِ. ﴿خُشُبٌ مُسنّدة﴾: إلى الحائطِ، أجسامٌ بلا أحلامٍ. ﴿هم العدوّ﴾: الرّاسخونَ في العداوةِ. ﴿أنّى يؤفكون؟﴾: كيفَ يُصرَفونَ عنِ الحقِّ؟.

---

(١) رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣)، من حديث جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما. وقيل: أصاب أهلَ المدينةِ جوعٌ وغلاءُ سعرٍ، فقدِمَ دِحيةُ بنُ خليفةَ الكلبيُّ بتجارةٍ منَ الشَّامِ، وضُرِبَ طبلٌ ليعلمَ النّاسُ بقُدومِه، ورسولُ الله ﷺ يخطُبُ يومَ الجمعةِ، فخرجَ إليه النَّاسُ، ولـم يبقَ في المسجدِ إلّا اثنا عشرَ رجلًا، فيهم أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما، فنزلَتْ هذه الآيةُ، فقال ﷺ: «لو تتابعتُم حتَّى لا يبقى أحدٌ منكم لسالَ بكم الوادي نارًا». الثعلبي (٢٦/ ٤٣٠) عن الحسن وأبي مالك، وعزاه الواحدي (ص: ٤٢٩) للمفسرين. وروي عن جابر أيضاً: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرُّون بالكَبَر والمزامير فيشتد الناس ويدَعون النبيّ ﷺ قائمًا على المنبر، وينفضُّون إليها، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾ الآية. الطبري (٢٢/ ٦٤٨)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٢٧٥٣)، والطحاوي في «أحكام القرآن» (٢٣٤)، و«مشكل الآثار» (١٤٩٠)، و«لباب النقول» (ص: ١٩٦)، قال السيوطي: «وكأنها نزلت في الأمرين معاً، ثم رأيت ابنَ المنذر أخرجه عن جابر لقصة النكاح وقدوم العير معاً من طريق واحد، وأنها نزلت في الأمرين فلله الحمد». وما ذكره عن ابن المنذر رواه أيضاً الطحاوي في «أحكام القرآن» (٢٣٥).

(٢) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: كنتُ مع عمِّي، فسمعتُ عبد الله بنَ أُبيٍّ ابنَ سَلُولَ يقول: لا تنفقوا على مَن عند رسول الله حتَّى ينفضُّوا، وقال أيضًا: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرتُ ذلك لعمِّي، فذكر عمِّي لرسولِ اللهِ ﷺ، فأرسل رسولُ اللهِ ﷺ إلى عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه، فحَلَفوا ما قالوا، فصدَّقهم رسولُ اللهِ ﷺ وكذَّبني، فأصابني هَمٌّ لمْ يُصِبني مثلُه قطُّ، فجلستُ في بيتي، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [٧] إلى قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [٨] فأرسل إلَيَّ رسولُ الله ﷺ فقرأها عليَّ، ثُم قال: «إنَّ الله قد صدَّقك». البخاري (٤٩٠١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٢).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سورة التغابن

٥ - ٦ - ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: تعالَوا﴾ مُعتذِرِينَ، ﴿يَستغفِرْ لكُم رَسُولُ اللهِ. لَوَّوْا﴾، بالتشديد والتخفيف: عطفوا ﴿رُؤُوسَهُم[1]﴾، ﴿ورأيْتَهُم يَصُدُّونَ﴾: يُعرِضُونَ عن ذلك، ﴿وهُم مُستكبِرُونَ. سَواءٌ علَيهِم أستغفَرتَ لَهُم﴾[2] - استُغنِيَ بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل - ﴿أم لَم تَستغفِرْ لَهُم. لَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم. إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾.

٧ - ٨ - ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لِأصحابهم من الأنصار: ﴿لا تُنفِقوا على مَن عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾ من المُهاجرين ﴿حَتَّى يَنفَضُّوا﴾: يتفرّقوا عنه - ﴿ولِلهِ خَزائنُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ بالرزق، فهو الرازق للمُهاجرين وغيرهم، ﴿ولكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَفقَهُونَ - يَقُولُونَ: لَئِنْ رَجَعْنا﴾ أي: من غزوة بني المُصطلِق، ﴿إلَى المَدِينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ﴾: عنوا به أنفُسَهم ﴿مِنها الأذَلَّ﴾: عنَوا به المُؤمنين. ﴿ولِلهِ العِزّةُ﴾: الغلبةُ ﴿ولِرَسُولِهِ ولِلمُؤمِنِينَ، ولكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك.

٩ - ١٠ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُلهِكُم﴾: تَشغَلْكم ﴿أموالُكُم ولا أولادُكُم عَن ذِكرِ اللهِ﴾: الصلوات الخمس - ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ - وأنفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِمّا رَزَقْناكُم مِن قَبلِ أن يأتِيَ أحَدَكُمُ المَوتُ، فيَقُولَ: رَبِّ، لَولا﴾ - بمعنى: هلاّ، أو لا: زائدة ولو: للتمنّي - ﴿أخَّرتَنِي إلَى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصَّدَّقَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الصاد: أتَصدّق بالزكاة، ﴿وأكُنْ مِّنَ الصّالِحِينَ﴾، بأن أحُجَّ. قال ابن عبّاس: ما قصّر أحد في الزكاة والحجّ إلاّ سأل الرجعةَ عِند الموت. ١١ - ﴿ولَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إذا جاءَ أجَلُها، واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾، بالتاء والياء.

﴿لوَّوْا رؤوسهم﴾: عَطفوها إعراضاً واستهزاءً. ﴿حتى ينفضّوا﴾: كيْ يَتفرَّقوا عنهُ. ﴿رَجَعْنَا﴾: مِن غزوةِ بني المصطلِقِ. ﴿ليُخْرِجَنّ الأعزّ﴾: الأشدُّ والأقوى يَعنونَ أنفسَهُم. ﴿الأذلّ﴾: الأضعفَ والأهونَ. يعنونَ الرّسولَ والمؤمنينَ. ﴿ولله العزّة﴾: الغَلبةُ والقهْرُ. ﴿لا تلهكم﴾: لا تشغَلْكُم وتصْرِفْكُمْ. ﴿ذِكر الله﴾: عِبادَتِهِ وطاعتِهِ ومراقبتِهِ. ﴿لوْلا أخّرتني﴾: هلّا أمهلتَني وأخّرتَ أجَلي.

(١) عن بشير بن مسلم: أنه قيل لعبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سلولَ: يا أبا حباب، نزلَتْ فيك آياتٌ شِدادٌ، فاذهبْ إلى رسول الله ﷺ يستغفرْ لك، فلوَّى رأسَه وقال: أمرتموني أن أؤمن فآمنْتُ، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيْتُ، فما بقي إلّا أنْ أسجدَ لمحمَّد. فنزلت الآية. الطبري (٢٢/ ٦٥٧)، و«التيسير» لأبي حفص النسفي (١٤/ ٤٣٣)، وليس عند الطبري: «فنزلت». وقرأ قتادة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا﴾ إلى ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ وقال: أنزلت في عبد الله بن أُبيٍّ، وذلك أن غلامًا من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدّثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله ﷺ، فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعَذَلوه، وقيل لعبد الله: لو أتيت رسول الله ﷺ، فجعل يلوي رأسه؛ أي: لستُ فاعلاً وكذب عليّ، فأنزل الله ما تسمعون. الطبري (٢٢/ ٦٥٧). وعن سعيد بن جبير نحوه، رواه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٧). وأورده الواحدي (ص: ٤٣٣) في آخر خبر طويل في قصة غزوة بني المصطلق.

(٢) عن عروة: قال عبدُ الله بن أبيٍّ ابنُ سلولَ لأصحابه: لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله. وهو القائل: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ [المنافقون: ٨] فأنزل الله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ [التوبة: ٨٠] قال النبي ﷺ: «لأزيدن على السبعين» فأنزل الله: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾ [المنافقون: ٦] فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم. الطبري (١١/ ٥٩٩). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ابنَ عبدِ الله بن أبيٍّ قال له أبوه: أي بني، اطلب ثوباً من ثياب رسول الله ﷺ فكفني فيه، ومره فليصل علي، ففعل، قال: فأعطاه ثوباً من ثيابه، وأراد أن يصلي عليه، فقال له عمر: أما تعرف عبد الله ونفاقه، تصلي عليه، وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال: «أين؟»، فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ [التوبة: ٨٠] قال: «فإني سأزيد على سبعين»، فأنزل الله: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً، ولا تقم على قبره﴾ [التوبة: ٨٤] قال: وأنزل الله عز وجل: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾ الآية. الطبراني في «الكبير» (١٢٢٤٤)، و«الأوسط» (٥٦٦٢). وأُورد عليه أنّ سورة براءة آخر ما نزل فكيف تكون الآية التي في (سورة المنافقين) نازلة بعدها. قاله الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٤/ ٣٤٩). وقال ابن حجر «الكافي الشافي» (ص: ٧٨): «وأصله في المتفق عليه عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: لما توفي عبد اللَّه بن أبي..»، الحديث وليس فيه ذكر هذه الآية، رواه البخاري (٤٦٧٠، ٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم
مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى
ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

٦٤

سُورَةُ التَّغَابُنِ (١)

مكية أو مدنية، ثماني عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ـ (٣) ـ (٤) ـ ﴿**يُسَبِّحُ لِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ**﴾ أي: يُنزِّهه ـ فاللام: زائدة، وأُتِيَ بـ«ما» دُون «مَن» تغليبًا للأكثر ـ ﴿**لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمدُ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم، فمِنكُم كافِرٌ ومِنكُم مُؤمِنٌ**﴾ في أصل الخلقة، ثم يُميتهم ويُعيدهم على ذلك، ﴿**واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ، خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ، وصَوَّرَكُم فأحسَنَ صُوَرَكُم**﴾ إذ جعل شكل الآدميّ أحسن الأشكال، ﴿**وإلَيهِ المَصِيرُ، يَعلَمُ ما في السَّماواتِ والأرضِ، ويَعلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعلِنُونَ. واللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾: بما فيها من الأسرار والمُعتقدات.

(٥) ـ ﴿**ألَم يأتِكُم**﴾ ـ يا كُفّارَ مَكّةَ ـ ﴿**نَبَأُ**﴾: خبرُ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبلُ، فذاقُوا وَبالَ أمرِهِم**﴾: عُقوبةَ الكُفر في الدنيا، ﴿**ولَهُم**﴾ في الآخرة ﴿**عَذابٌ ألِيمٌ**﴾: مُؤلم؟ (٦) ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿**بِأنَّهُ**﴾ ـ ضميرُ الشأن ـ ﴿**كانَت تأتِيهِم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ**﴾: بالحُجج الظاهرات على الإيمان، ﴿**فقالُوا: أبَشَرٌ**﴾ ـ أُريدَ به الجِنسُ ـ ﴿**يَهدُونَنا؟ فكَفَرُوا وتَوَلَّوا**﴾ عن الإيمان، ﴿**واستَغنَى اللهُ**﴾ عن إيمانهم. ﴿**واللهُ غَنِيٌّ**﴾ عن خلقه ﴿**حَمِيدٌ**﴾: محمود في أفعاله.

(٧) ـ (٨) ـ ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنْ**﴾ ـ مُخفَّفةٌ واسمها محذوف ـ أي: أنّهم ﴿**لَن يُبعَثُوا. قُلْ: بَلَى ورَبِّي لَتُبعَثُنَّ، ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلتُم. وذلِكَ على اللهِ يَسِيرٌ. فآمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ والنُّورِ**﴾: القُرآن ﴿**الَّذِي أنزَلْنا. واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾. (٩) ـ (١٠) ـ اذكرْ ﴿**يَومَ يَجمَعُكُم لِيَومِ الجَمعِ**﴾: يوم القيامة. ﴿**ذلِكَ يَومُ التَّغابُنِ**﴾: يَغبِنُ المُؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنّة، لو آمنوا ﴿**ومَن يُؤمِنْ بِاللهِ ويَعمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئاتِهِ ويُدخِلْهُ**﴾ ـ وفي قراءة بالنون في الفعلين ـ ﴿**جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا ـ ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**ـ ....

﴿يُسبِّح لله..﴾: يُنزِّهُهُ ويُمَجِّدُهُ تعالى ويدلُّ عليه. ﴿له المُلك﴾: التَّصرُّفُ المطلقُ في كلِّ شيءٍ. ﴿بالحقّ﴾: بالحِكمةِ البالغةِ. ﴿فأحسن صُورَكم﴾: أتقَنَها وأحكمَها. ﴿وَبال أمرهم﴾: سوءَ عاقبةِ كفرِهم في الدُّنيا. ﴿تولَّوْا﴾: أعرضوا عنِ الإيمانِ بالرُّسلِ. ﴿النور﴾: القرآنِ. ﴿لِيَوْم الجمع﴾: في يومِ القيامةِ حيثُ تجتمعُ الخلائقُ للحسابِ والجَزاءِ. ﴿يوم التغابن﴾: يَظهرُ فيهِ غَبْنُ الكافرِ بتَركِهِ الإيمانَ وغبنُ المؤمنِ بتقصيرِهِ في الإحسانِ.

(١) عن عكرمةَ عن ابن عَبّاسٍ ـ وسأله رجلٌ عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [١٤] ـ قال: هؤلاء رجالٌ أسلموا من أهل مكّة وأرادوا أنْ يأْتُوا النَّبيَّ ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أنْ يَدَعوهم أنْ يأتوه، فلمَّا أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناسَ قد فَقُهوا في الدِّين همُّوا أنْ يعاقبوهم، فأنزل اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الآيةَ. رواه الترمذي (٣٣١٧) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وعن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة، إلا هؤلاء الآيات ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ نزلت في عوف بن مالك الأشجعيّ، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقَّقوه، فقالوا: إلى من تَدعنا؟ فيرقّ ويقيم، فنزلت: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ بالمدينة في عوف بن مالك. الطبري (٢٣/ ١٥).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سورة الطلاق

والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنا﴾: القرآن **﴿أُولئِكَ أصحابُ النَّارِ خالِدِينَ فِيها، وبِئسَ المَصِيرُ﴾** هي!

﴿١١﴾ ـ ﴿١٢﴾ ـ **﴿ما أصابَ مِن مُصِيبةٍ إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾**: بقضائه، **﴿ومَن يُؤمِنْ باللهِ﴾** في قوله: «إنّ المُصيبة بقضائه» **﴿يَهدِ قَلبَهُ﴾** للصبر عليها، **﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ. وأطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ. فإن تَوَلَّيتُم فإنَّما على رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ﴾**: البيِّنُ. ﴿١٣﴾ ـ **﴿اللهُ لا إلـهَ إلاّ هُوَ، وعلى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾**.

﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ـ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ مِن أزواجِكُم وأولادِكُم عَدُوًّا لَكُم. فاحذَرُوهُم﴾** أن تُطيعوهم في التخلّف عن الخير، كالجِهاد والهِجرة ـ فإنّ سبب نُزول الآية الإطاعة في ذلك ـ **﴿وإن تَعفُوا﴾** عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير مُعتلّين بمشقّة فِراقكم عليهم، **﴿وتَصفَحُوا وتَغفِرُوا، فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. إنَّما أموالُكُم وأولادُكُم فِتنَةٌ﴾** لكم شاغلةٌ عن أُمور الآخرة، **﴿واللهُ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ﴾**. فلا تُفوّتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

﴿١٦﴾ ـ **﴿فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعتُم﴾** ـ ناسخةٌ لقوله: «اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ»[(١)] ـ **﴿واسمَعُوا﴾** ما أُمرتم به سماعَ قَبول **﴿وأطِيعُوا، وأنفِقُوا﴾** في الطاعة، **﴿خَيرًا لِأنفُسِكُم﴾**: خبرُ «يكن» مُقدّرة جواب الأمر. **﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾**: الفائزون.

﴿١٧﴾ ـ **﴿إن تُقرِضُوا اللهَ قَرضًا حَسَنًا يُضاعِفهُ لَكُم﴾** ـ وفي قِراءة: «يُضَعِّفْهُ» بالتشديد. بالواحدةِ عشرًا إلى سبعِمِائةٍ وأكثرَ وهو التصدّق عن طِيب قلب ـ **﴿ويَغفِرْ لَكُم﴾** ما يشاء. **﴿واللهُ شَكُورٌ﴾**: مُجازٍ على الطاعة **﴿حَلِيمٌ﴾** في العِقاب على المعصية، ﴿١٨﴾ ـ **﴿عالِمُ الغَيبِ﴾**: السرّ **﴿والشَّهادَةِ﴾**: العلانية **﴿العَزِيزُ﴾** في مُلكه **﴿الحَكِيمُ﴾** في صُنعه.

***

﴿بإذن الله﴾: بإرادتِهِ وقضائِهِ وقَدَرِهِ تعالى. ﴿يَهْدِ قَلبَه﴾: يوفِّقْهُ لليقينِ والصَّبرِ والتَّسليمِ. ﴿فِتنَةٌ﴾: بلاءٌ ومِحنةٌ واختبارٌ. ﴿يُوق شُحّ نفسِه﴾: يُكْفَ بُخلَهَا الشَّديدَ معَ حِرْصِها. ﴿قَرْضًا حَسَناً﴾: احتساباً بطيبةِ نفسٍ وإخلاصٍ.

(١) رواه عبد الرزاق (٣٢٢٩)، والطبري (٢٣/ ١٩) عن قتادة قال: هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جلّ ثناؤه أنزل قبل ذلك ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وحقُّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى، ثم خفَّف الله تعالى عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. ورواية عبد الرزاق مختصرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن
يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١
فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ
وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ
بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ
مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ
فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ
قَدۡرٗا ٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ
ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ
ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ
يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥

٦٥

سُورَةُ الطَّلَاقِ

حزب ٥٦

مدنية، ثلاثَ عشرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يا أيُّها النَّبيُّ﴾ المُراد هو وأُمّته بقرينة ما بعده، أو قل لهم: ﴿إذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ﴾[١]: أردتُمُ الطلاق ﴿فطَلِّقوهُنَّ لِعِدّتِهِنَّ﴾: لِأوّلها، بأن يكون الطلاق في طُهر، لم تُمسَّ فيه ـ لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان[٢] ـ ﴿وأحصُوا العِدّةَ﴾: احفظوها لتُراجعوا قبل فراغها، ﴿واتَّقُوا اللهَ رَبَّكُم﴾: أطيعوه في أمره ونهيه، ﴿لا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ ولا يَخرُجْنَ﴾ منها حتّى تنقضي عِدّتهنّ، ﴿إلاّ أن يأتِينَ بِفاحِشةٍ﴾: زنًى ﴿مُبَيَّنةٍ﴾، بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنَتْ أو بَيِّنةٍ، فيُخرَجن لإقامة الحدّ عليهنّ. ﴿وتِلكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللهِ، ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فقَد ظَلَمَ نَفسَهُ. لا تَدرِي: لَعَلَّ اللهَ يُحدِثُ بَعدَ ذلِكَ﴾ الطلاقِ ﴿أمرًا﴾: مُراجعةً فيما إذا كان واحدةً أو ثِنتين. (٢) ـ ﴿فإذا بَلَغنَ أجَلَهُنَّ﴾: قارَبْنَ انقضاء عِدّتهنّ ﴿فأمسِكُوهُنَّ﴾ بأن تُراجعوهن ﴿بِمَعرُوفٍ﴾ من غير ضِرار، ﴿أو فارِقُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾: اتركوهنّ حتّى تنقضي عِدّتهنّ ولا تُضارّوهنّ بالمُراجعة، ﴿وأشهِدُوا ذَوَي عَدلٍ مِنكُم﴾ على المُراجعة أو الفِراق، ﴿وأقِيمُوا الشَّهادةَ﴾ لا للمشهود عليه أو له. ﴿ذلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجًا﴾ من كَرب الدنيا والآخرة، (٣) ـ ﴿ويَرزُقْهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ﴾[٣]: يَخطر بباله، ﴿ومَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ في أُموره ﴿فهُوَ حَسْبُهُ﴾: كافيه. ﴿إنَّ اللهَ بالِغٌ أمرَهُ﴾: مُرادَه ـ وفي قراءة بالإضافة ـ ﴿قَد جَعَلَ اللهُ لِكُلِ شَيءٍ﴾ كرَخاءٍ وشِدّة ﴿قَدْرًا﴾: مِيقاتًا. (٤) ـ ﴿واللاّئِي﴾ ـ بهمزة وياء، وبلا ياء، في الموضعين ـ ﴿يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ﴾ بمعنى: الحيض ﴿مِن نِسائِكُم، إنِ ارتَبتُم﴾: شككتم في عِدّتهنّ، ﴿فعِدّتُهُنَّ ثَلاثةُ أشهُرٍ، واللاّئِي لَم يَحِضْنَ﴾ لِصغرهنّ فعِدّتهنّ ثلاثة أشهر ـ والمسألتان في غير المُتوفَّى عنهنّ

﴿فطلّقوهن لعدتهنّ﴾: مُستقبلاتٍ لعدَّتِهِنَّ (الطُّهْر). ﴿أحصوا العدّة﴾: اضبطوها وأكمِلوها ثلاثةَ قروءٍ. ﴿بفاحشة مبيّنة﴾: بمعصيةٍ كبيرةٍ ظاهرةٍ. ﴿بَلَغْنَ أجلهنّ﴾: قارَبْنَ انقضاءَ عدَّتِهِنَّ. ﴿مخرجاً﴾: مِن كلِّ شدَّةٍ وضيقٍ وبلاءٍ. ﴿لا يحتسب﴾: لا يَخطرُ ببالِهِ ولا يكونُ في حسابِهِ. ﴿فهو حسبه﴾: كافيهِ ما أهمَّهُ في جميعِ أمورِهِ. ﴿قَدْرًا﴾: أجلاً ينتهي إليهِ أو تقديراً أزَلاً. ﴿يَئِسْنَ﴾: انقطعَ رَجاؤُهُنَّ لِكِبَرِهِنَّ. ﴿و اللائي لم يَحِضن﴾: لِصِغرِهِنَّ عدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشهرٍ. ﴿يُسْراً﴾: تيْسيراً وفَرَجاً.

(١) رَوى قتادةُ عن أنسٍ قال: طلَّقَ رسولُ الله ﷺ حفصةَ، فأنزَلَ الله تعالى هذه الآيةَ، وقيلَ له: راجِعْها فإنَّها صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وهي إحدى أزواجِكَ في الجنَّةِ. رواه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٩)، والثعلبي (٢٦/ ٥٢٣)، ورجح الدارقطني إرساله عن قتادة في «العلل» (١٢/ ١٤٧). وقال ابن كثير في «تفسيره» أول سورة الطلاق: وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها.

(٢) البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) عن جابر قال: نزلت هذه الآية في رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال: «اتق الله واصبر» فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم، وكان العدو أصابوه، فأتى رسولَ الله ﷺ فأخبره خبرها فقال: «كُلْها»، فنزلت. رواه الحاكم (٣٨٢٠) وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر. وروى نحوه الحاكم أيضاً (١٩٩٣) من طريق أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه أيضاً، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٦٧٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٥٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متروك.

عن عمرو بن سالم عن أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ ناسًا من أهلِ المدينةِ قالوا لـمَّا نزلَتِ الآيةُ التي في البقرةِ في عِدَّةِ النِّساءِ: بقيَ من عِدَّةِ النِّساءِ عَدَدٌ لـم يُذكَرْ في القرآنِ: الصَّغيرةُ، والآيسةُ، وذاتُ الحملِ، قال: فنزلَت التي في النِّساءِ القُصرَى. ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٢١). وصححه، وعمرو لم يدرك أبيًّا كما قال أبو حاتم عندما سئل عن هذا الحديث. انظر: «العلل» لابنه (١/ ٤٣٨).

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا
عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ
أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن
قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا
نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ
لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ
ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ
بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ
وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

أزواجُهن. أمّا هنّ فعِدّتهنّ ما في آيةِ «يَتَرَبَّصْنَ بأنفُسِهنَّ أربعَةَ أشهُرٍ وعَشْرًا» ـ ﴿**وأُولاتُ الأحمالِ أجَلُهُنَّ**﴾: انقضاءُ عِدّتهنّ مُطلّقاتٍ أو مُتوفًّى عنهنّ أزواجُهنّ ﴿**أن يَضَعْنَ حَملَهُنَّ. ومَن يَتّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مِن أمرِهِ يُسرًا**﴾ في الدنيا والآخرة. ٥ ـ ﴿**ذلِكَ**﴾ المذكور في العِدّة ﴿**أمرُ اللهِ**﴾: حُكمه، ﴿**أنزَلَهُ إلَيكُم، ومَن يَتّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئاتِهِ، ويُعظِمْ لَهُ أجرًا**﴾.

٦ ـ ﴿**أسكِنُوهُنَّ**﴾ أي: المُطلّقاتِ ﴿**مِن حَيثُ سَكَنتُم**﴾ أي: بعضَ مساكنكم ﴿**مِن وُجدِكُم**﴾ أي: سَعتكم، عطفُ بيانٍ أو بدلٌ ممّا قبله بإعادة الجارّ وتقدير مضاف، أي: أمكنةِ سَعتكم لا ما دُونها، ﴿**ولا تُضارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عليهِنَّ**﴾ المساكنَ فيحتجْنَ إلى الخُروجِ، أو النفقةَ فيفتدين منكم، ﴿**وإن كُنَّ أُولاتِ حَملٍ فأنفِقُوا عليهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَملَهُنَّ، فإن أرضَعْنَ لكُم**﴾ أولادَكم منهنّ ﴿**فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**﴾ على الإرضاع، ﴿**وأتَمِرُوا بينَكُم**﴾ وبينهنّ ﴿**بِمَعرُوفٍ**﴾: بجميل في حقّ الأولاد بالتوافق على أجر معلوم للإرضاع، ﴿**وإن تَعاسَرتُم**﴾: تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأبُ من الأُجرة والأُمُّ من فعله ﴿**فَستُرضِعُ لَهُ**﴾: للأب ﴿**أُخرَى**﴾، ولا تُكرَهُ الأُمُّ على إرضاعه.

٧ ـ ﴿**لِيُنفِقْ**﴾ على المُطلّقات والمُرضِعات ﴿**ذُو سَعةٍ مِن سَعتِهِ، ومَن قُدِرَ**﴾: ضُيّقَ ﴿**علَيهِ رِزقُهُ فلْيُنفِقْ مِمّا آتاهُ**﴾: أعطاه ﴿**اللهُ**﴾ على قدْره. ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفسًا إلاّ ما آتاها. سَيَجعَلُ اللهُ بَعدَ عُسرٍ يُسرًا**﴾. وقد جعله بالفتوح.

٨ ـ ﴿**وكَأيِّنْ**﴾ ـ هي كاف الجرّ، دخلت على «أيّ»، بمعنى: كم ـ ﴿**مِن قَرْيَةٍ**﴾ أي: وكثيرٌ من القُرى ﴿**عَتَتْ**﴾: عصَت، يعني: أهلَها، ﴿**عَن أمرِ رَبِّها ورُسُلِهِ، فحاسَبْناها**﴾ في الآخرة، وإن لم تجئ لتحقق وقوعها، ﴿**حِسابًا شَدِيدًا، وعَذَّبْناها عَذابًا نُكرًا**﴾، بسكون الكاف وضمّها: فظيعًا، وهو عذاب النار، ٩ ـ ﴿**فذاقَت وَبالَ أمرِها**﴾: عُقوبتَه، ﴿**وكانَ عاقِبةُ أمرِها خُسرًا**﴾: خسارًا وهلاكًا!

١٠ ـ ﴿**أعَدَّ اللهُ لَهُم عَذابًا شَدِيدًا**﴾ تكريرٌ للوعيد توكيدًا. ﴿**فاتَّقُوا اللهَ، يا أُولِي الألبابِ**﴾: أصحابَ العقول ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: نعتٌ للمنادى أو بيان له. ﴿**قَد أنزَلَ اللهُ إلَيكُم ذِكرًا**﴾ هو القُرآنُ، ١١ ـ ﴿**رَسُولاً**﴾ أي: محمدًا، منصوبٌ بفعل مقدّر، أي: وأرسلَ رسولاً، ﴿**يَتلُو علَيكُم آياتِ اللهِ مُبَيِّناتٍ**﴾ ـ بفتح الياء وكسرها كما تقدّم ـ ﴿**لِيُخرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿**مِنَ الظُّلُماتِ**﴾: الكُفر الذي كانوا عليه ﴿**إلَى النُّورِ**﴾: الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر. ﴿**ومَن يُؤمِنْ بِاللهِ ويَعمَلْ صالِحًا يُدخِلْهُ**﴾ ـ وفي قراءة بالنون ـ ﴿**جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، قَد أحسَنَ اللهُ لَهُ رِزقًا**﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

١٢ ـ ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ ومِنَ الأرضِ مِثلَهُنَّ**﴾ يعني سبعَ أرَضِينَ، ﴿**يَتَنَزَّلُ الأمرُ**﴾: الوحيُ ﴿**بَينَهُنَّ**﴾: بين السماوات والأرض، يَنزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة، ﴿**لِتَعلَمُوا**﴾: مُتعلّق بمحذوف، أي: أعلمَكم بذلك الخلق والتنزيل، ﴿**أنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وأنَّ اللهَ قَد أحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمًا**﴾.

* * *

﴿وُجْدِكم﴾: وُسْعِكُم وطاقَتِكُم. ﴿ائتمِروا بيْنكم﴾: تشاوَروا في الأجرةِ والإرضاعِ. ﴿تَعاسَرتم﴾: تضايَقْتُم وتشاححتُم فيهما. ﴿ذو سَعَة﴾: غنىً وطاقةٍ. ﴿قُدِرَ عليه﴾: ضُيِّقَ عليهِ. ﴿كأيِّنْ مِنْ قَرية﴾: كثيرٌ مِن أهلِ قَرْيةٍ. ﴿عتَتْ﴾: تجبَّرَتْ وتكبَّرَتْ وأعْرَضَتْ. ﴿عذاباً نُكراً﴾: مُنْكَراً شنيعاً في الآخرةِ. ﴿وَبال أمْرِها﴾: سوءَ عاقبةِ عُتوِّها. ﴿خُسراً﴾: خسراناً وهَلاكاً. ﴿ذِكْراً﴾: قرآناً. ﴿رَسولاً﴾: أرْسلَ رسولاً، أو جبريلَ. ﴿يتنزّل الأمر﴾: يَجْري قضاؤُهُ وقَدَرُهُ أو تدبيرُهُ.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا
نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٖۖ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن
تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرٗا مِّنكُنَّ
مُسْلِمَٰتٖ مُّؤْمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ
وَأَبْكَارٗا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارٗا
وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

٦٦

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

الجزء ٥٦

مدنية، اثنتا عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ، لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ﴾[1] من أمَتِكَ مارِيَةَ القِبطيّة، لمّا واقَعَها في بيت حفصةَ وكانت غائبة، فجاءت وشقّ عليها كونُ ذلك في بيتها وعلى فِراشها، حيثُ قلتَ: هي حرامٌ عليَّ، ﴿تبتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرضاةَ أزواجِكَ﴾ أي: رِضاهنّ؟ ﴿واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفرَ لك هذا التحريم، (٢) ـ ﴿قَد فَرَضَ اللهُ﴾: شَرَعَ ﴿لكُم تَحِلّةَ أيمانِكُم﴾[2]: تحليلَها بالكفّارة المذكورة في سورة «المائدة» ـ ومِن الأيمان تحريم الأمَة وهل كفَّرَ ﷺ؟ قال مُقاتل: أعتَقَ رقبة في تحريم ماريَةَ[3]، وقال الحسن: لم يكفِّر لأنه مغفور له ـ ﴿واللهُ مَولاكُم﴾: ناصركم، ﴿وهْوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾.

(٣) ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ أسَرَّ النَّبِيُّ إلَى بَعضِ أزواجِهِ﴾ ـ هي حفْصةُ ـ ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم ماريَةَ، وقال لها: لا تُفشِيه. ﴿فلَمّا نَبّأتْ بِهِ﴾ عائشةَ ظنًّا منها أن لا حرجَ في ذلك، ﴿وأظهَرَهُ اللهُ﴾: أطلَعه ﴿علَيهِ﴾: على المُنبأِ به، ﴿عَرَّفَ بَعضَهُ﴾ لحفصةَ، ﴿وأعرَضَ عَن بَعضٍ﴾ تكرّمًا منه، ﴿فلَمّا نَبّأها بِهِ قالَتْ: مَن أنبَأكَ هذا؟ قالَ: نَبّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ﴾ أي: اللهُ.

(٤) ـ ﴿إن تَتُوبا﴾ أي حفصةُ وعائشةُ ﴿إلَى اللهِ فقَد صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾[4]: مالت إلى تحريم ماريةَ، أي سرَّكما ذلك مع كراهة النبيّ له، وذلك ذنب ـ وجواب الشرط محذوف أي: تُقبَلا. وأُطلِقَ «قلوب» على قلبين ولم يُعبَّر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ـ ﴿وإن تَظّاهَرا﴾، بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها: تَتعاونا ﴿علَيهِ﴾ أي: النبيِّ فيما يكرهه ﴿فإنَّ اللهَ هُوَ﴾ ـ فصلٌ ـ

﴿ما أحلّ الله لك﴾: شُربَ العسلِ. ﴿تبْتغي﴾: تَطلبُ. ﴿تحلّة أيْمانكمْ﴾: تحليلَها بالكفَّارةِ. ﴿الله مولاكمْ﴾: ناصِرُكم ومتولّي أمورِكُم. ﴿نبأت به﴾: أخْبرَتْ بهِ غيرَها. ﴿أظهَره الله عليه﴾: أطلعَهُ اللهُ تعالى على إفشائِهِ. ﴿صَغَتْ قلوبكما﴾: مَالَتْ عن حَقِّهِ ﷺ عليكُما. ﴿تظاهَرا عليه﴾: تتعاونَا عليهِ بما يسوءُهُ. ﴿هو مولاه﴾: وَليُّهُ وناصِرُهُ. ﴿ظهير﴾: فوْجٌ مُظاهِرٌ معينٌ لهُ. ﴿قانتات﴾: مطيعاتٍ خاضعاتٍ للهِ. ﴿سائحات﴾: مهاجرَاتٍ. أو صائماتٍ. ﴿قوا أنفسكم﴾: جَنِّبوها بالطَّاعاتِ. ﴿غِلاظ شِداد﴾: قساةٌ أقوياءُ وهمُ الزَّبانيةُ.

(١) عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يمكثُ عِند زينبَ بنت جحشٍ ويشربُ عندها عسلاً، فتواصَيْتُ أنا وحفصةُ: أنَّ أيّتَنا دخل عليها النبيُّ ﷺ فلْتَقُل: إنِّي أجدُ منك ريح مغافيرَ، أكلْتَ مَغافيرَ، فدخلَ على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربتُ عسلًا عند زينبَ بنت جحشٍ، ولن أعود له» فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [٤] لعائشةَ وحفصةَ، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [٣] لقوله: «بل شربتُ عسلًا». البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤).

(٢) عن ابن عمر عن عمر: قال رسول الله ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً أن أم إبراهيم علي حرام»، فلم يقربها حتى أخبرت عائشةَ فأنزل الله: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾. الضياء في «المختارة» (١٨٩)، و«لباب النقول» (ص: ١٩٩). وعن عائشةَ، قالت: لما حلف أبو بكر ألا ينفق على مسطح فأنزل الله ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ فأحل يمينه وأنفق عليه. الحارث بن أبي أسامة كما في «إتحاف الخيرة» (٥٨٦٧)، و«لباب النقول» (ص: ٢٠٠). وفيه شيخ الحارث عبد العزيز بن أبانَ وهو ضعيف، وشيخه معمر بن أبان بن حُمْران مجهولٌ. انظر: «إتحاف الخيرة» (٦٧٨٦). وقال السيوطي: غريب جدًّا في سبب نزولها.

(٣) ذكرنا أن نزول الآيات في قصة مارية ضعيف ومخالف لما في الصحيح.

(٤) نزلت في حفصة وعائشة، رواه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩)، عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «لَمْ أزلْ حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطّاب عن المرأتين مِن أزواج النبيِّ ﷺ اللّتين قال اللهُ تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتَّى حجَّ وحججْتُ معه... فقلتُ له: يا أمير المؤمنين، مَن المرأتان من أزواجِ النبيِّ ﷺ اللّتان قال اللهُ تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ قال: واعجبًا لك يا ابن عباسٍ، هما عائشةُ وحفصةُ» ثم استَقبل عمر الحديثَ يَسوقُه...، فذكر القصة مطولة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ
أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾

﴿**مَولاهُ**﴾: ناصرُه ﴿**وجِبريلُ وصالِحُ المُؤمِنِينَ**﴾ أبو بكرٍ وعُمرُ: معطوف على محلّ اسم «إنّ» فيكونون ناصريه، ﴿**والمَلائكةُ بَعدَ ذلِكَ**﴾ أي: بعد نصر الله والمذكورين ﴿**ظَهِيرٌ**﴾: ظُهراء، أعوان له في نصره عليكما.

٥ ـ ﴿**عَسَى رَبُّهُ، إن طَلَّقَكُنَّ**﴾ أي: طلّق النبيُّ أزواجَه، ﴿**أن يُبَدِّلَهُ**﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿**أزواجًا خَيرًا مِنكُنَّ**﴾[1]: خبرُ «عسى» ـ والجملة: جواب الشرط. ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط ـ ﴿**مُسلِماتٍ**﴾: مُقِرّاتٍ بالإسلام، ﴿**مُؤمِناتٍ**﴾: مُخلصاتٍ ﴿**قانِتاتٍ**﴾: مُطيعات، ﴿**تائباتٍ عابِداتٍ سائحاتٍ**﴾: صائماتٍ أو مُهاجرات، ﴿**ثَيِّباتٍ وأبكارًا**﴾.

٦ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، قُوا أنفُسَكُم وأهلِيكُم**﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿**نارًا، وَقُودُها النّاسُ**﴾: الكفّار ﴿**والحِجارةُ**﴾ كأصنامهم منها ـ يعني أنها مُفرطة الحرارة تتّقد بما ذُكر لا كنار الدنيا تتّقد بالحطب ونحوه ـ ﴿**علَيها مَلائكةٌ**﴾: خزنتها عِدّتهم تسعة عشَرَ كما سيأتي في «المدّثّر» ﴿**غِلاظٌ**﴾ من غِلظ القلب ﴿**شِدادٌ**﴾ في البطش، ﴿**لا يَعصُونَ اللهَ ما أمَرَهُم**﴾: بدلٌ من الجلالة، أي: لا يعصون أمرَ الله، ﴿**ويَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ**﴾: تأكيدٌ ـ والآية تخويف للمُؤمنين عن الارتداد وللمُنافقين المُؤمنين بألسنتهم دُون قُلوبهم ـ ٧ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ كَفَرُوا، لا تَعتَذِرُوا اليَومَ**﴾ يقال لهم ذلك عِند دُخولهم النارَ، أي: لأنه لا ينفعكم. ﴿**إنَّما تُجزَونَ ما كُنتُم تعمَلُونَ**﴾ أي: جزاءه.

٨ ـ ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، تُوبُوا إلى اللهِ تَوبةً نَصُوحًا**﴾، بفتح النون وضمّها: صادقةً بألّا يُعادَ إلى الذنب، ولا يُرادَ العودُ إليه، ﴿**عَسَى رَبُّكُم**﴾: تَرجيةٌ تَقعُ. ﴿**أن يُكَفِّرَ عَنكُم سَيِّئاتِكُم، ويُدخِلَكُم جَنّاتٍ**﴾: بساتينَ ﴿**تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ يومَ لا يُخزِي اللهُ**﴾، بإدخال النّار، ﴿**النَّبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُم يَسعَى بَينَ أيدِيهِم**﴾: أمامَهم ﴿**و**﴾ يكون ﴿**بِأيمانِهِم، يَقُولُونَ**﴾، مُستأنف: ﴿**رَبَّنا، أتمِمْ لنا نُورَنا**﴾ إلى الجنّة ـ والمُنافقون يَطفأ نورُهم ـ ﴿**واغفِرْ لَنا. إنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**﴾. ٩ ـ ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ، جاهِدِ الكُفّارَ**﴾ بالسيف ﴿**والمُنافِقِينَ**﴾ باللسان والحُجّة، ﴿**واغلُظْ علَيهِم**﴾ بالانتهار والمقت. ﴿**ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ**﴾ هي!

١٠ ـ ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لُوطٍ. كانَتا تَحتَ عَبدَينِ مِن عِبادِنا صالِحَينِ، فخانَتاهُما**﴾ في الدِّين إذ كفرَتا ـ وكانت امرأةُ نُوح واسمها واهِلةُ تقول لقومه: إنه مجنون. وامرأةُ لُوط واسمها واعِلةُ تدلّ قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً بإيقاد النار ونهارًا بالتدخين ـ ﴿**فلَم يُغنِيا**﴾ أي: نُوحٌ ولُوط ﴿**عَنهُما مِنَ اللهِ**﴾: من عذابه ﴿**شَيئًا! وقِيلَ**﴾ لهما: ﴿**ادخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ**﴾ من كُفّار قوم نُوح وقوم لُوط.

١١ ـ ﴿**وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امرأةَ فِرعَونَ**﴾، آمنت بمُوسى واسمها آسِيةُ فعذّبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها[2]، وألقى على صدرها رحًى

﴿توبة نصوحًا﴾: خالصةً. أو صادقةً. أو مقبولةً. ﴿لا يُخزي الله النبي﴾: لا يُذِلُّهُ بل يُعزُّهُ ويكرمُهُ. ﴿اغلظ عليهم﴾: شدِّدْ. أو اقسُ عليهم. ﴿فخانتاهما﴾: بالنِّفاقِ أو بالنَّميمةِ. ﴿فلم يغنيا عنهما﴾: فلمْ يَدْفعَا ولم يمْنعا عنهُما. ﴿أحصنت فرجها﴾: عَفَّتْ وصانَتْهُ مِنَ الرِّجالِ. ﴿من روحنا﴾: روحاً مِنْ خلقِنا بلا توسُّطِ أبٍ (عيسى عليهِ السَّلامُ). ﴿من القانتين﴾: مِنَ القومِ المُطيعينَ لربِّهِم.

(١) عن أنسٍ عن عمر: «وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ...»، وفيه: «واجتمع نساءُ النبيِّ ﷺ في الغيرةِ عليه، فقلتُ لهنّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ فنزلت هذه الآيةُ». رواه البخاري (٤٠٢)، ومسلم (١٤٧٩).

(٢) قوله: «قوله: فعذبها فرعون بأن أوتد...» روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٥٦)، والطبري (٢٣/ ١١٥)، والحاكم (٣٨٣٤) وصححه، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: كانت امرأة فرعون تعذّب بالشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة. وروى عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ: أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد، وأضجعها على صدرها، وجعل على صدرها رحى، واستقبل بهما عين الشمس، فرفعت رأسها إلى السَّماء فقالت: ﴿رب ابنِ لي عِنْدك بَيْتًا فِي الْجنَّة﴾ إلى ﴿الظَّالِمين﴾ ففرج الله عن بيتها في الجنَّة فرأته. وروى أبو يعلى (٦٤٣١) بسند صحيح كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٩) عن أبي هريرة: أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها فكانوا إذا تفرقُوا عنها أظلتها الملائكة فقالت: ﴿رب ابْن لي عنْدك بَيْتاً فِي الْجنَّة﴾ فكشف لها عن بيتها في الجنَّة.

عظيمة واستقبل بها الشمسَ، فكانت إذا تفرّق عنها من وُكل بها ظلّلتها الملائكة، ﴿إذ قالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ، ابنِ لِي عِندَكَ بَيتًا في الجَنّةِ﴾، فكُشف لها فرأته فسهُل عليها التعذيب، ﴿ونَجِّني مِن فِرعَونَ وعَمَلِهِ﴾: وتعذيبه، ﴿ونَجِّني مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾ أهل دينه. فقبض الله رُوحها. وقال ابن كَيسانَ[1]: رُفعت إلى الجنّة حيّة فهي تأكل وتشرب - ⑫ - ﴿ومَريَمَ﴾: عطفٌ على «امرأةَ فِرعون» ﴿ابنتَ عِمرانَ الّتي أحصَنَتْ فَرْجَها﴾: حفظته، ﴿فنَفَخْنا فِيهِ مِن رُوحِنا﴾ أي: جبريلَ حيثُ نفخ في جَيب دِرعها بخلق الله - تعالى - فِعلَه الواصلَ إلى فرجها فحملتْ بعيسى، ﴿وصَدَّقَتْ بكَلِماتِ رَبِّها﴾: شرائعه ﴿وكُتُبِهِ﴾ المُنزلَة، ﴿وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ﴾: من القوم المُطيعين.

الجزء ٢٩ الحزب ٥٧

* * *

٦٧

سُورَةُ المُلْكِ

مكية، ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ المُلْكِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ
﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

① - ② - ﴿تَبارَكَ﴾: تنزّه عن صِفات المُحدَثين ﴿الّذي بِيَدِهِ﴾: في تصرّفه ﴿المُلكُ﴾: السلطان والقُدرة، ﴿وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، الّذي خَلَقَ المَوتَ﴾ في الدنيا ﴿والحَياةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا - فالنطفة تَعرض لها الحياةُ وهي ما به الإحساسُ، والموتُ ضِدُّها أو عَدَمُها، قولانِ. والخلق على الثاني بمعنى التقدير - ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: ليختبركم في الحياة: ﴿أيُّكُم أحسَنُ عَمَلًا﴾: أطوعُ لله؟ ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في انتقامه ممّن عصاه ﴿الغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه.

③ - ﴿الّذي خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ طِباقًا﴾: بعضُها فوقَ بعض من غير مُماسّة، ﴿ما تَرَى في خَلقِ الرّحمنِ﴾ لهنّ أو لغيرهنّ ﴿مِن تَفاوُتٍ﴾: تباينٍ وعدم تناسُب. ﴿فارجِعِ البَصَرَ﴾: أعِدْه إلى السماء: ﴿هَل تَرَى﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾: صُدوع وشُقوق؟ ④ - ﴿ثُمّ ارجِعِ البَصَرَ كَرّتَينِ﴾: كرّةً بعد كرّة، ﴿يَنقَلِبْ﴾: يرجعْ ﴿إلَيكَ البَصَرُ خاسِئًا﴾: ذليلاً لعدم إدراك خلل، ﴿وهُوَ حَسِيرٌ﴾ مُنقطع عن رُؤيةِ خللٍ. ⑤ - ﴿ولَقَد زَيّنّا السّماءَ الدُّنيا﴾: القُربى إلى الأرض ﴿بِمَصابِيحَ﴾: بنُجوم، ﴿وجَعَلْناها رُجُومًا﴾: مَراجمَ ﴿لِلشّياطِينِ﴾ إذا استرقوا السمعَ بأن ينفصل شِهاب عن الكوكب كالقبس يُؤخذ من النار، فيَقتل الجِنّيَّ أو يُخبّله لا أنّ الكوكب يزول عن مكانه، ﴿وأعتَدْنا لَهُم عَذابَ السّعِيرِ﴾: النارِ المُوقدة.

⑥ - ﴿ولِلّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم عَذابُ جَهَنّمَ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي! ⑦ - ﴿إذا أُلقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقًا﴾: صوتًا مُنكرًا كصوت الحِمار، ﴿وهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي، ⑧ - ﴿تَكادُ تَمَيّزُ﴾، وقُرئ: «تتَميّزُ» على الأصل: تتقطّع ﴿مِنَ الغَيظِ﴾ غضبًا على الكافر، ﴿كُلّما أُلقِيَ فِيها فَوجٌ﴾: جماعة منهم ﴿سَألَهُم خَزَنَتُها﴾ سُؤالَ توبيخ: ﴿ألَم يَأتِكُم نَذِيرٌ﴾: رسول يُنذركم عذاب الله؟ ⑨ - ﴿قالُوا: بَلَى قَد جاءَنا نَذِيرٌ، فكَذّبْنا وقُلْنا: ما نَزّلَ اللهُ مِن شَيءٍ. إنْ﴾: ما ﴿أنتُم إلّا في ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾. يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكُفّار حين أُخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكُفّار للنُّذر. ⑩ - ﴿وقالُوا: لَو كُنّا نَسمَعُ﴾ أي: سماعَ تفهّم ﴿أو نَعقِلُ﴾ أي: عقلَ تفكّر ﴿ما كُنّا في أصحابِ السّعِيرِ﴾.

⑪ - ﴿فاعتَرَفُوا﴾ حيثُ لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِم﴾، وهو تكذيب الرسل. ﴿فسُحْقًا﴾ - بسكون الحاء وضمّها - ﴿لِأصحابِ السّعِيرِ﴾: فبُعدًا

﴿تبارك الذي﴾: تعالى وتمجّدَ أو تكاثرَ خَيْرُهُ. ﴿بيده الملك﴾: لهُ الأمرُ والنّهيُ والسُّلطانُ. ﴿خلق الموت﴾: أوْجَدَه. أو قدّرَهُ أزلاً. ﴿ليبلوكم﴾: ليَختبرَكُم فيما بينَ الحياةِ والموتِ. ﴿أحسن عملاً﴾: أصْوبُهُ وأخلَصُهُ أو أسْرَعُ طاعةً. ﴿طباقاً﴾: كلُّ سَماءٍ مَقبيَّةٌ على الأخرى. ﴿تفاوت﴾: اختلافٍ وعَدَمِ تناسبٍ. ﴿فطور﴾: شقوقٍ وصدوعٍ أو خللٍ. ﴿كرتين﴾: رَجْعَتَينِ رَجعةً بعدَ رجعةٍ. ﴿خاسئاً﴾: صاغراً لعدمِ وِجْدانِ الفُطورِ. ﴿هو حسير﴾: كليلٌ مِن كثرةِ المراجعةِ. ﴿بمصابيح﴾: بكواكبَ عظيمةٍ مُضيئةٍ. ﴿رجوماً للشياطين﴾: بانقضاضِ الشُّهبِ منها عليهِم. ﴿شهيقاً﴾: صَوْتاً مُنكراً كصوتِ الحميرِ. ﴿تفور﴾: تغلي بهِم غليَانَ القِدْرِ بما فيها. ﴿تكاد تميّز﴾: تتقطّعُ وتتفرّقُ وتنشقُّ. ﴿فوْج﴾: جماعةٌ مِنَ الكفّارِ. ﴿فسُحْقاً﴾: فبُعْداً مِنَ الرَّحمةِ والكرامةِ.

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٧٢) عن الحسن قال: فنجاها الله أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾
ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾
أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ
يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا
الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن
يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

لهم عن رحمة الله. (١٢) ـ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم**﴾: يخافونه ﴿**بِالْغَيْبِ**﴾: في غيبتهم عن أعيُن الناس، فيطيعونه سِرًّا فيكون علانيةً أولى، ﴿**لَهُم مَغْفِرَةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ**﴾، أي: الجنة.

(١٣) ـ ﴿**وأَسِرُّوا**﴾ ـ أيها الناس ـ ﴿**قَولَكُم أوِ اجهَرُوا بِهِ. إنَّهُ**﴾ ـ تعالى ـ ﴿**عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾: بما فيها. فكيف بما نطقتم به؟ وسببُ نزول ذلك أنّ المُشركينَ قال بعضهم لبعض(١): أسرّوا قولكم، لا يسمعْكم إلـهُ مُحمّد.

(١٤) ـ ﴿**ألا يَعلَمُ مَن خَلَقَ**﴾ ما تُسرّون، أي: أينتفي عِلمه بذلك، ﴿**وهُوَ اللَّطِيفُ**﴾ في عِلمه ﴿**الخَبِيرُ**﴾ فيه؟ لا. (١٥) ـ ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ ذَلُولاً**﴾ سهلة للمشي فيها ـ ﴿**فامشُوا في مَناكِبِها**﴾: جوانبها، ﴿**وكُلُوا مِن رِزقِهِ**﴾ المخلوقِ لأجلكم ـ ﴿**وإلَيهِ النُّشُورُ**﴾ من القُبور للجزاء.

(١٦) ـ ﴿**أأمِنتُم**﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينها وبين الأُخرى وتركِه، وإبدالِها ألفًا ـ ﴿**مَن في السَّماءِ**﴾ سُلطانُه وقُدرتُه ﴿**أن يَخسِفَ**﴾ بدلٌ مِن «مَن» ﴿**بِكُمُ الأرضَ، فإذا هِيَ تَمُورُ**﴾: تتحرّك بكم وترتفع فوقكم؟

(١٧) ـ ﴿**أم أمِنتُم مَن في السَّماءِ أن يُرسِلَ**﴾: بدلٌ مِن «مَن» ﴿**عَلَيكُم حاصِبًا**﴾: ريحًا ترميكم بالحصباء؟ ﴿**فَستَعلَمُونَ**﴾ عِند مُعاينة العذاب: ﴿**كَيفَ نَذِيرِ**﴾: إنذاري بالعذابِ؟ أنه حقّ. (١٨) ـ ﴿**ولَقَد كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم**﴾ من الأُمم، ﴿**فكَيفَ كانَ نَكِيرِ**﴾: إنكاري عليهم التكذيبَ عِند إهلاكهم؟ أي: إنه حقّ. (١٩) ـ ﴿**أوَلَم يَرَوا**﴾: ينظروا ﴿**إلَى الطَّيرِ فَوقَهُم**﴾ في الهواء ﴿**صافّاتٍ**﴾: باسطاتٍ أجنحتَهنّ، ﴿**ويَقبِضنَ**﴾ أجنحتَهنّ بعد البسط، أي: وقابضاتٍ؟ ﴿**ما يُمسِكُهُنَّ**﴾ عن الوُقوع في حال البسط والقبض ﴿**إلاّ الرَّحمنُ**﴾ بقُدرته. ﴿**إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِيرٌ**﴾. المعنى: ألم يستدِلّوا، بثُبوت الطير في الهواء، على قُدرتنا أن نفعل بهم ما تقدّم وغيرَه من العذاب؟

(٢٠) ـ ﴿**أم مَن**﴾: مبتدأٌ ﴿**هذا**﴾: خبرُه ﴿**الَّذِي**﴾: بدلٌ من «هذا» ﴿**هُو جُندٌ**﴾: أعوان ﴿**لَكُم**﴾: صلةُ «الذي»، ﴿**يَنصُرُكُم**﴾: صفةُ «جُند» ﴿**مِن دُونِ الرَّحمنِ**﴾ أي: غيرِه، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ـ ﴿**إنِ**﴾: ما ﴿**الكافِرُونَ إلاّ في غُرُورٍ**﴾ غرّهم الشيطانُ بأنّ العذاب لا ينزل بهم ـ (٢١) ـ ﴿**أم مَن هذا الَّذِي يَرزُقُكُم إن أمسَكَ**﴾ الرحمن ﴿**رِزقَهُ**﴾ أي: المطرَ عنكم؟ وجواب الشرط محذوف، دلّ عليه ما قبله، أي: فمَن يرزقُكم؟ أي: لا رازق لكم غيرُه ـ ﴿**بَل لَجُّوا**﴾: تمادَوا ﴿**في عُتُوٍّ**﴾: تكبّر ﴿**ونُفُورٍ**﴾: تباعُد عن الحقّ ـ (٢٢) ـ ﴿**أفَمَن يَمشِي مُكِبًّا**﴾: واقعًا ﴿**عَلَى وَجهِهِ أهدَى أم مَن يَمشِي سَوِيًّا**﴾: مُعتدلاً ﴿**عَلَى صِراطٍ**﴾: طريق ﴿**مُستَقِيمٍ**﴾؟ وخبر «مَن» الثانية محذوف، دلّ عليه خبرُ الأُولى، أي: أهدى. والمَثَل في المُؤمن والكافر، أي: أيُّهما على هُدى؟

(٢٣) ـ ﴿**قُل: هُوَ الَّذِي أنشَأَكُم**﴾: خلقكم، ﴿**وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ**﴾: القُلوب، ﴿**قَلِيلاً ما تَشكُرُونَ**﴾. ما: مزيدة، والجملة: مستأنفة مُخبِرةٌ بقِلّة شُكرهم جِدًّا على هذه النِّعم. (٢٤) ـ ﴿**قُل: هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُم**﴾: خلقكم ﴿**في الأرضِ، وإلَيهِ تُحشَرُونَ**﴾ للحِساب. (٢٥) ـ ﴿**ويَقُولُونَ**﴾ للمُؤمنين: ﴿**مَتَى هذا الوَعدُ**﴾: وعد الحشر، ﴿**إن كُنتُم صادِقِينَ**﴾ فيه؟ (٢٦) ـ ﴿**قُل: إنَّما العِلمُ**﴾ بمجيئه ﴿**عِندَ اللهِ، وإنَّما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾: بيِّنُ الإنذار.

﴿الأرض ذلولاً﴾: مُذلَّلةً ليِّنَةً سَهْلةً تستقرُّونَ عليها. ﴿مَناكبها﴾: جَوانِبها. أو طُرُقِها وفِجَاجِها. ﴿إليه النشور﴾: إليهِ تبْعثونَ مِنَ القبورِ. ﴿مَنْ في السَّماء﴾: أمْرُهُ وقَضاؤُهُ وسلطانُهُ. ﴿يَخسف بكم﴾: يُغَوِّرَ بكُم. ﴿هِي تمور﴾: تَرْتجُّ وتضطربُ فتعلو عليكُم. ﴿حاصباً﴾: ريحاً مِنَ السَّماءِ فيها حَصباء. ﴿كيف نذير﴾: كيفَ إنذاري وقدْرتي على العِقابِ. ﴿كان نكير﴾: إنكاري عليهِم بالإهلاكِ. ﴿صافّات ويَقبضن﴾: باسطاتٍ أجنحتَهُنَّ في الجوِّ عندَ الطَّيرانِ ويَضْمُمْنَها إذا ضربْنَ بها جُنوبَهُنَّ. ﴿أمّن هذا؟؟﴾: بَلْ مَنْ هذا؟؟. ﴿جُندٌ لكم﴾: أعْوانٌ لكُم ومَنَعَةٌ. ﴿غرور﴾: خديعةٍ مِنَ الشَّيطانِ وجندِهِ. ﴿لجّوا في عُتوّ﴾: تمادَوْا في استكبارٍ وعنادٍ. ﴿نفور﴾: شِرَادٍ وتباعدٍ عنِ الحقِّ. ﴿مُكِبًّا على وجهه﴾: سَاقطاً عليهِ لا يَأمنُ العثورَ. ﴿يَمْشي سَويًّا﴾: مُسْتَوياً مُنتصِباً سالماً مِنَ العثورِ (مَثَلٌ للمشرك والموحّد). ﴿ذرأكم﴾: خَلقَكُم وبَثَّكُم وفرَّقَكُم.

(١) الثعلبي (٢٧/ ١٠٥)، والواحدي (ص: ٤٤٢)، وابن الجوزي (٤/ ٣١٥) عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في المُشركين، كانُوا ينالونَ من رسولِ الله ﷺ، فيُخبِرُه جبريلُ عليه السَّلامُ بما قالُوا فيه ونالُوا منه، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: أسِرُّوا قولَكم كي لا يسمعَ إلهُ محمدٍ.

فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم
بِهِۦ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ (٢٨) قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
(٢٩) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ (٣٠)

سُورَةُ القَلَم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ (٢) وَإِنَّ
لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (٤) فَسَتُبۡصِرُ
وَيُبۡصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
(٨) وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ
(١٠) هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ (١١) مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ (١٢)
عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ (١٦)

(٢٧) ـ ﴿فلمّا رأوهُ﴾ أي: العذابَ بعد الحشر ﴿زُلْفةً﴾: قريبًا ﴿سِيئَتْ﴾: اسودّتْ ﴿وُجوهُ الَّذِينَ كَفرُوا، وقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هذا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ﴾: بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنكم لا تُبعثون. وهذه حِكاية حال تأتي، عُبّر عنها بطريق المُضيّ لتحقّق وقوعها.

(٢٨) ـ ﴿قُلْ: أرَأيتُم، إن أهلَكَنِيَ اللهُ ومَن مَعِيَ﴾ من المُؤمنين بعذابه كما تقصدون، ﴿أو رَحِمَنا﴾ فلم يُعذّبنا، ﴿فمَن يُجِيرُ الكافِرِينَ مِن عَذابٍ ألِيمٍ﴾؟ أي: لا مُجير لهم منه. (٢٩) ـ ﴿قُلْ: هُوَ الرَّحمنُ، آمَنّا بِهِ، وعَلَيهِ تَوَكَّلْنا. فسَتَعلَمُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ عِند مُعاينة العذاب: ﴿مَن هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ؟ أنحن أم أنتم أم هم؟

ربع الحزب ٥٧

(٣٠) ـ ﴿قُلْ: أرَأيتُم، إن أصبَحَ ماؤُكُم غَورًا﴾ أي: غائرًا في الأرض ﴿فمَن يأتِيكُم بِماءٍ مَعِينٍ﴾: جارٍ تناله الأيدي والدِّلاء كمائكم؟ أي: لا يأتي به إلّا الله فكيف تُنكرون أن يبعثكم؟ ويُستحبُّ أن يقول القارئ عقب «مَعين»: اللهُ ربُّ العالَمينَ، كما ورد في الحديث. وتُليتْ هذه الآية عند بعض المُتجبّرين، فقال: تأتي به الفُؤوس والمَعاول. فذهب ماء عينه وعمِي. نعوذ بالله من الجرأة على الله ـ تعالى ـ وعلى آياته.

***

٦٨

سورة ن

مكية، ثنتانِ وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿ن﴾: أحدُ حروف الهجاء، اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقَلَمِ﴾ الذي كُتب به الكائناتُ في اللوح المحفوظ ﴿وما يَسطُرُونَ﴾، أي: الملائكةُ من الخير والصلاح، (٢) ـ ﴿ما أنتَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿بِنِعمَةِ رَبِّكَ بِمَجنُونٍ﴾ أي: انتفى الجُنونُ عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوّة وغيرها ـ وهذا ردّ لقولهم: إنه مجنونٌ[1] ـ (٣) ـ ﴿وإنَّ لكَ لأجرًا غيرَ ممنُونٍ﴾: مقطوع، (٤) ـ (٥) ـ (٦) ـ ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾: دِينٍ ﴿عَظِيمٍ[2]﴾. فسَتُبصِرُ ويُبصِرُونَ: ﴿بِأيِّكُمُ المَفتُونُ﴾؟ مصدرٌ كالمَعقول، أي: الفُتونُ بمعنى الجُنون، أي: أبِكَ أم بِهِم؟

(٧) ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ له. وأعلم بمعنى: عالمٌ. (٨) ـ (٩) ـ ﴿فلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ. ودُّوا﴾: تمنَّوا ﴿لَو﴾: مصدريّةٌ ﴿تُدهِنُ﴾: تَلينُ لهم ﴿فيُدهِنُونَ﴾: يلينون لك. وهو معطوف على «تُدهِنُ» وإن جُعل جوابَ التمنّي المفهومِ من «ودّوا» قُدّر قبله، بعد الفاء: «هم».

(١٠) ـ ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ﴾: كثير الحَلْف بالباطل ﴿مَهِينٍ﴾[3]: حقير، (١١) ـ ﴿هَمّازٍ﴾: عيّاب أو مُغتاب ﴿مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: ساع بالكلام بين الناس

﴿رأوه زلفة﴾: رَأَوُا العذابَ قريباً منهُم. ﴿سيئت﴾: كَئِبَتْ واسْوَدَّتْ غمّاً وذلّاً. ﴿به تدعون﴾: تَطلبونَ أن يُعجّلَ لكُمُ استهزاءً. ﴿أرأيتم﴾: أخبِروني أو أَروني. ﴿يُجير الكافرين﴾: يُنَجِّيهِمْ. أو يَمنعُهُم أو يؤَمِّنُهُم. ﴿غَوْراً﴾: غائراً ذاهباً في الأرضِ لا يُنالُ. ﴿بماء معين﴾: جَارٍ أو ظاهِرٍ. سَهْلِ التَّناوُلِ. ﴿والقلم﴾: (قَسَمٌ) بالقلمِ الَّذي يُكتبُ بِهِ. ﴿وما يسطرون﴾: والَّذي يكتبونَهُ بالقلمِ. ﴿ما أنت﴾: يا محمَّدُ (جوابُ القسمِ). ﴿غير ممنون﴾: غيرَ مقطوعٍ عنكَ. ﴿بأيكم المفتون﴾: في أيِّ الفريقَينِ منكُمُ المجنونُ. ﴿ودّوا لو تدهن﴾: أحبُّوا لَوْ تلاينُهُمْ وتصانِعُهمْ. ﴿فيُدهِنون﴾: فَهُمْ يُلاينونَكَ ويُصانعُونَكَ. ﴿حلاف﴾: كثيرِ الحَلِفِ في الحقِّ والباطلِ. ﴿مهين﴾: حقيرٍ في الرَّأيِ والتَّمييزِ أو كَذَّابٍ. ﴿همّاز﴾: عيَّابٍ أو مُغتابٍ للنَّاسِ. ﴿مشّاء بنميم﴾: بالسِّعَايَةِ والإفسادِ بينَ النَّاسِ. ﴿عُتُلّ﴾: فاحِشٍ لئيم، أو غليظٍ جافٍ. ﴿زنيم﴾: دَعِيٌّ مُلصَقٍ بقوْمِهِ أو شِرِّيرٍ. ﴿أساطير الأولين﴾: أباطيلُهُمُ المسطَّرةُ في كتبِهِم. ﴿سنسمه على الخرطوم﴾: سَنُلحِقُ بِهِ عاراً لا يُفارقُهُ كالوَسْمِ على الأنفِ.

(١) رواه ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ٢٠٠) عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ: إنه مجنون، ثم: شيطان، فنزلت ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: «لبيك» ولذلك أنزل الله عليه هذه الآية. أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (١١٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٣).

(٣) نزلت في الأخنس بن شريق. ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨١) عن الكلبي والسدي وابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤) عن السدي، وذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٦٠) عن ابن إسحاق.

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ
﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا
خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ
كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا
بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ
زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ
يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

على وجه الإفساد بينهم، (١٢) ـ ﴿مَنّاعٍ لِلخَيرِ﴾: بَخيلٍ بالمال عن الحُقوق
﴿مُعتَدٍ﴾: ظالم ﴿أثِيمٍ﴾: آثم، (١٣) ـ ﴿عُتُلٍّ﴾: غليظ جافٍ ﴿بَعدَ ذلِكَ زَنِيمٍ﴾:
دعيٍّ في قريش ـ وهو الوليد بن المُغيرة[1]، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشْرةَ سنةً[2].
قال ابن عبّاس: لا نعلم أنّ الله وصف أحدًا بما وصفه به من العُيوب، فألحقَ
به عارًا لا يُفارقه أبدًا[3]. وتعلّقَ بـ «زنيم» الظرفُ قبله ـ (١٤) ـ ﴿أن كانَ ذا مالٍ
وبَنِينَ﴾ أي: لِأنْ، وهو مُتعلّق بما دلّ عليه: (١٥) ـ ﴿إذا تُتلَى علَيهِ آياتُنا﴾: القرآنُ
﴿قالَ﴾: هي ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ أي: كذّبَ بها لِإنعامنا عليه بما ذُكر. وفي
قراءةٍ: «أأن» بهمزتين مفتوحتين. (١٦) ـ ﴿سَنَسِمُهُ علَى الخُرطُومِ﴾: سنجعل
على أنفه علامة يُعيَّرُ بها ما عاش. فخُطم أنفه بالسيف يوم بدر.

(١٧) ـ ﴿إنّا بَلَوناهُم﴾: امتَحنّا أهلَ مكّةَ بالقحط والجوع ﴿كَما بَلَونا أصحابَ
الجَنّةِ﴾: البُستانِ ـ ﴿إذ أقسَمُوا لَيَصرِمُنَّها﴾: يقطعون ثمرتها ﴿مُصبِحِينَ﴾:
وقتَ الصباح كيلا يشعر بهم المساكينُ، فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدّق
به عليهم منها، (١٨) ـ ﴿ولا يَستَثنُونَ﴾ في يمينهم بمشيئة الله، تعالى. والجملة:
مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك ـ (١٩) ـ (٢٠) ـ ﴿فطافَ علَيها طائفٌ مِن رَبِّكَ﴾: نارٌ
أحرقتها ليلاً ﴿وهُم نائمُونَ، فأصبَحَتْ كالصَّرِيمِ﴾: كالليل الشديد الظُّلمة، أي:
سوداءَ. (٢١) ـ (٢٢) ـ ﴿فتَنادَوا مُصبِحِينَ أنِ اغدُوا علَى حَرثِكُم﴾: غلّتكم ـ تفسيرٌ
للتنادي، أو أنْ: مصدريّة أي: بأن ـ ﴿إن كُنتُم صارِمِينَ﴾: مُريدين القطع. وجواب
الشرط دلّ عليه ما قبله. (٢٣) ـ ﴿فانطَلَقُوا وهُم يَتَخافَتُونَ﴾: يتشاورون (٢٤) ـ ﴿أنْ
لا يَدخُلَنَّها اليَومَ علَيكُم مِسكِينٌ﴾: تفسيرٌ لما قبله، أو أنْ: مصدريّة أي: بأنْ. (٢٥) ـ ﴿وغَدَوا علَى حَرْدٍ﴾: منع للفُقراء ﴿قادِرِينَ﴾ عليه في ظنّهم.

(٢٦) ـ ﴿فلَمّا رأَوها﴾ سوداء مُحترقة ﴿قالُوا: إنّا لَضالُّونَ﴾ عنها، أي: ليست هذه. ثمّ قالوا لمّا علموها: (٢٧) ـ ﴿بَل نَحنُ مَحرُومُونَ﴾ ثمرتَها
بمنعنا الفُقراءَ منها. (٢٨) ـ ﴿قالَ أوسَطُهُم﴾: خيرُهم: ﴿ألَم أقُلْ لَكُم: لَولا﴾: هلاّ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ اللهَ تائبين؟ (٢٩) ـ ﴿قالُوا: سُبحانَ رَبِّنا! إنّا كُنّا
ظالِمِينَ﴾ بمنعنا الفُقراءَ حقَّهم. (٣٠) ـ (٣١) ـ (٣٢) ـ ﴿فأقبَلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ يَتَلاوَمُونَ. قالُوا: يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكنا. ﴿إنّا كُنّا طاغِينَ.
عَسَى رَبُّنا أن يُبَدِّلَنا﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿خَيرًا مِنها. إنّا إلَى رَبِّنا راغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا ويردّ علينا خيرًا من جنّتنا. رُوي أنهم أُبدِلوا خيرًا منها.
(٣٣) ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلُ العذابِ لهؤلاء ﴿العَذابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كُفّار مكّة وغيرهم. ﴿ولَعَذابُ الآخِرةِ أكبَرُ. لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾
عذابها ما خالفوا أمرنا. ونزل لمّا قالوا: «إن بُعثنا [فإنّا] نُعطَى أفضلَ منكم»: (٣٤) ـ (٣٥) ـ ﴿إنَّ لِلمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِم جَنّاتِ النَّعِيم. أفنَجعَلُ المُسلِمِينَ
كالمُجرِمِينَ﴾ أي: تابعين لهم في العطاء؟ (٣٦) ـ ﴿مالَكُم؟ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ (٣٧) ـ ﴿أم﴾ أي: بل أ ﴿لَكُم كِتابٌ﴾ مُنزَل،
﴿فِيهِ تَدرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون: (٣٨) ـ ﴿إنَّ لَكُم فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون؟ (٣٩) ـ ﴿أم لَكُم أيمانٌ﴾: عُهود ﴿عَلَينا بالِغةٌ﴾: وثيقة ﴿إلَى
يَومِ القِيامةِ﴾: مُتعلّق معنًى بـ «علينا». وفي هذا الكلام معنى القسَم، أي: أأقسَمنا لكم؟ وجوابه: ﴿إنَّ لَكُم لَما تَحكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

﴿بَلوناهم﴾: امْتحنّا أهلَ مكّةَ بالقحْطِ. ﴿الجنّة﴾: بُسْتانٍ بالقربِ مِن صنعاءَ. ﴿ليَصْرمنها﴾: لَيَقْطعُنَّ ثمارَها بعدَ الاستواءِ. ﴿مصبحين﴾: داخلينَ في وقتِ الصَّباحِ. ﴿لا يستثنون﴾: حِصّةَ المساكينِ مُخالِفِينَ لأبيهِم. ﴿فطاف عليها﴾: أحاطَ نازلاً عليها. ﴿طائف﴾: بَلاءٌ وعذابٌ (نارٌ مُحْرقةٌ). ﴿كالصريم﴾: كاللَّيلِ الأسودِ أوِ البستانِ المصرومِ. ﴿فتنادوْا مصحبين﴾: نادى بَعضُهُم بَعْضاً حينَ أصبحوا. ﴿اغدوا على حرْثِكم﴾: باكِرُوا مُقبلينَ على ثمارِكُم. ﴿صارمين﴾: قاصدينَ قطعَها. ﴿يَتخافتون﴾: يَتَسارُّونَ بالحديثِ فيما بينَهُم. ﴿غدَوْا﴾: ساروا غُدوة إلى حرثِهِم. ﴿على حرْد﴾: على انفرادٍ عنِ المساكينِ. ﴿قادرين﴾: على الصّرامِ. ﴿إنّا لضالون﴾: الطَّريقَ، وما هذهِ جنّتُنا. ﴿أوْسَطهم﴾: أحسنُهُم رأياً وأرجحُهُم عقلاً. ﴿لولا تسبّحون﴾: هلّا تستغفرونَ اللهَ مِن فعلِكُم وخبْثِ نيّتِكُم. ﴿يَتلاومون﴾: يَلومُ بَعضُهُم بَعضاً على قصْدِهِم. ﴿إلى ربّنا راغبون﴾: طالبونَ منهُ الخيرَ والعفوَ. ﴿لمَا يخيَّرون﴾: للّذي تختارونَهُ وتشتهونَهُ. ﴿لكم أيمان علينا﴾: عهودٌ مؤكَّدةٌ بالأيْمانِ. ﴿لما تحْكمون﴾: للّذي تحكمونَ بِهِ لأنفسِكُمْ. ﴿زعيم﴾: كفيلٌ بأن يكونَ لهُم ذلكَ. ﴿يُكشف عن ساق﴾: كنايَةٌ عن شدَّةِ هوْلِ يومِ القيامةِ.

(١) «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٤). قال الضحاك: لأن الوليد بن المغيرة كان له أسفل من أذنه زنمة مثل زنمة الشاة، وفيه نزلت هذه الآية. «النكت والعيون» (٦/ ٦٥).

(٢) الثعلبي (٢٧/ ١٧٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧)، عن مرة الهمداني.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢/ ٤٠٢). وروى الطبري (٢٣/ ١٦٦) عن ابن عباس قال: نزل على النبيّ ﷺ ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ قال: فلم نعرِفه حتى نزل على النبي ﷺ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة.

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ
سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم
مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ
أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ
﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ
وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ
ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ
بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ
صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى
ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

(٤٠) ـ ﴿سَلْهُم: أَيُّهُم بِذلِكَ﴾ الحُكمِ الذي يحكمون به لأنفُسهم من أنهم يُعطَون في الآخرة أفضلَ من المُؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل لهم؟ (٤١) ـ ﴿أم لَهُم شُرَكاءُ﴾ مُوافقون لهم في هذا المَقول، يكفُلون لهم به؟ فإن كان كذلك ﴿فليأْتُوا بِشُرَكائِهِم﴾ الكافلين لهم به، ﴿إن كانُوا صادِقِينَ﴾.

(٤٢) ـ اذكرْ ﴿يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ﴾ ـ عِبارةٌ عن شِدّة الأمر يوم القِيامة للحِساب والجزاء. يقال: كَشفَتِ الحربُ عن ساق، إذا اشتدّ الأمر فيها ـ ﴿ويُدعَونَ إلَى السُّجُودِ﴾ امتحانًا لِإيمانهم ﴿فلا يَستَطِيعُونَ﴾، تصير ظهورهم طبَقًا واحدًا، (٤٣) ـ ﴿خاشِعةً﴾: حالٌ من ضمير «يُدعون» أي: ذليلةً ﴿أبصارُهُم﴾ لا يرفعونها، ﴿تَرهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ، وقَد كانُوا يُدعَونَ﴾ في الدنيا ﴿إلَى السُّجُودِ، وهُم سالِمُونَ﴾، فلا يأتون به بألاّ يُصلّوا.

(٤٤) ـ (٤٥) ـ ﴿فذَرْنِي﴾: دَعْني ﴿ومَن يُكَذِّبُ بِهذا الحَدِيثِ﴾: القُرآنِ. ﴿سَنَستَدرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً، ﴿مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ، وأُملِي لَهُم﴾: أُمهِلُهم. ﴿إنَّ كَيدِي مَتِينٌ﴾: شديد لا يُطاق. (٤٦) ـ ﴿أم﴾: بل أ﴿تَسأَلُهُم﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أجرًا، فهُم مِن مَغرَمٍ﴾: ممّا يُعطونكَهُ ﴿مُثقَلُونَ﴾، فلا يُؤمنون لذلك؟ (٤٧) ـ ﴿أم عِندَهُمُ الغَيبُ﴾ أي: اللوح الذي فيه الغيب، ﴿فهُم يَكتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟ (٤٨) ـ ﴿فاصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء، ﴿ولا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة ـ وهو يُونسُ عليه السلام ـ ﴿إذ نادَى﴾: دعا ربّه ﴿وهْوَ مَكظُومٌ﴾: مملوء غمًّا في بطن الحوت، (٤٩) ـ ﴿لَولا أن تَدارَكَهُ﴾: أدركَه ﴿نِعْمةٌ﴾: رحمة ﴿مِن رَبِّهِ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالعَراءِ﴾: بالأرض الفضاء ﴿وهْوَ مَذمُومٌ﴾. لكنه رُحِم فنُبذ غير مذموم، (٥٠) ـ ﴿فاجتَباهُ رَبُّهُ﴾ بالنبوّة، ﴿فجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾: الأنبياء.

(٥١) ـ ﴿وإن يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزلِقُونَكَ﴾ ـ بضمّ الياء وفتحها ـ ﴿بِأبصارِهِم﴾[1] أي: ينظرون إليك نظرًا شديدًا، يكاد يصرعُك ويُسقِطك عن مكانك ﴿لَمّا سَمِعُوا الذِّكرَ﴾: القُرآنَ، ﴿ويَقُولُونَ﴾ حسدًا: ﴿إنَّهُ لَمَجنُونٌ﴾ بسبب القُرآن الذي جاء به. (٥٢) ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إلاّ ذِكرٌ﴾: موعظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجنّ، لا يَحدث بسببه جُنون.

***

٦٩ - سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكية، إحدى أو اثنتان وخمسون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿الحاقَّةُ﴾ أي: القِيامةُ التي يَحِقّ فيها ما أُنكِر من البعث والحِساب والجزاء أو المُظهِرةُ لذلك، (٢) ـ ﴿ما الحاقَّةُ﴾؟ تعظيمٌ لشأنها ـ وهما مُبتدأ وخبرٌ، خبرُ: الحاقّة ـ (٣) ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلمَكَ: ﴿ما الحاقَّةُ﴾؟ زيادةُ تعظيم لشأنها. فـ «ما» الأُولى: مُبتدأ وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها: في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى».

﴿خاشعة أبصارهم﴾: ذليلةً مُنكسِرَةً. ﴿ترهقهم ذلّة﴾: يَغشاهُم ذلٌّ وخسْرانٌ ونَدامةٌ. ﴿فذرني﴾: دَعْني وخَلِّني (تهديدٌ شديدٌ). ﴿سنستدرجهم﴾: سَنُدنيهم مِنَ العذابِ دَرَجةً فدرجةً حتَّى نوقِعَهُم فيه. ﴿أملي لهمْ﴾: أمْهِلهمْ ليزدادوا إثماً. ﴿مَغرَم﴾: غَرامةِ ذلكَ الأجرِ. ﴿مُثقلون﴾: مُكلفونَ حِملاً ثقيلاً. ﴿كصاحب الحوت﴾: يونسَ عليهِ السَّلامُ. ﴿مَكظوم﴾: مَملوءٌ غَيْظاً في قلبِهِ على قَوْمِهِ. ﴿لنُبذ بالعراء﴾: لَطُرِحَ مِن بُطنِ الحوتِ بالأرضِ الفضاءِ المُهلِكَةِ. ﴿فاجتباه ربّه﴾: فاصْطفاهُ بعَوْدةِ الوَحْيِ إليهِ. ﴿ليُزلقونك﴾: ليُزلُونَ قَدَمَكَ فيرمونَكَ.
﴿الحاقّة﴾: السَّاعةُ يَتحقَّقُ فيها ما أنكرُوهُ. ﴿ما الحاقّة﴾: أيُّ شيءٍ هِيَ في أهْوَالِها. ﴿بالقارعة﴾: بالقيامةِ تقْرَعُ القلوبَ بأفزَاعِها. ﴿بالطاغية﴾: بالصَّيْحَةِ المُجَاوزةِ للحدِّ في الشِّدَّةِ. ﴿بريح صرصر﴾: شديدةِ السَّمومِ أوِ البرْدِ أوِ الصَّوْتِ. ﴿عاتيَة﴾: شديدةِ العصْفِ. ﴿سَخّرها عليهم﴾: سَلَّطَها عليهِم بقدْرتِهِ تعالى. ﴿حُسُوماً﴾: مُتَتابعَاتٍ. أو مَشؤوماتٍ. ﴿أعْجاز نخل﴾: جُذوعُ نَخلٍ بلا رُؤوسٍ. ﴿خاوية﴾: ساقِطةٍ أو فارغةٍ أو باليَةٍ.

(١) قال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الإبل، فيقول: لم أر كاليوم إبلًا ولا غنماً أحسن من هذِه، فما تذهب إلا قريباً حتى تسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك، فأجابهم، فعصم الله تعالى نبيه وأنزل: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية. الثعلبي (٢٧/ ٢٥٩)، والواحدي (ص: ٤٤٣). وقيل: نزلت حين أراد الكفار أن يَعِينوا رسول الله ﷺ ويصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وكانت العين في بني أسد، حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمرّ بأحدهم فيعاينها ثمّ يقول: يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه البقرة، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر. الثعلبي (٢٧/ ٢٥٩)، والواحدي (ص: ٤٤٣).

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ
﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾
كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ
﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ
﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾

﴿٤﴾ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بِالقارِعةِ﴾: القِيامةِ لأنها تقرع القُلوب بأهوالها.
﴿٥﴾ ـ ﴿فأمّا ثَمُودُ فأُهلِكُوا بِالطّاغِيةِ﴾: بالصيحة المُجاوزة للحدّ في الشِّدّة،
﴿٦﴾ ـ ﴿وأمّا عادٌ فأُهلِكُوا بِرِيحٍ صَرصَرٍ﴾: شديدة الصوت ﴿عاتِيةٍ﴾: قويّة شديدة
على عادٍ مع قوّتهم وشِدّتهم، ﴿٧﴾ ـ ﴿سَخَّرَها﴾: أرسلها بالقهر ﴿عَلَيهِم سَبعَ
لَيالٍ وثَمانِيَةَ أيّام﴾ ـ أوّلُها من صُبح يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوّال، وكانت في
عَجُز الشتاء ـ ﴿حُسُومًا﴾: مُتتابعاتٍ، شُبّهتْ بتتابع فِعل الحاسم في إعادة الكيّ
على الداء كرّة بعد أُخرى حتّى ينحسم، ﴿فتَرَى القَومَ فِيها صَرعَى﴾: مطروحِينَ
هالكينَ، ﴿كأَنَّهُم أعجازُ﴾: أصولُ ﴿نَخلٍ خاوِيةٍ﴾: ساقطة فارغة. ﴿٨﴾ ـ ﴿فهَل
تَرَى لَهُم مِن باقِيةٍ﴾: صفةُ «نفس» مُقدّرة، أو التاءُ للمبالغة، أي: باقٍ؟ لا.

﴿٩﴾ ـ ﴿وجاءَ فِرعَونُ ومَن قِبَلَهُ﴾: أتباعُه ـ وفي قِراءة بفتح القاف وسكون الباء،
أي: مَن تقدّمه من الأُمم الكافرة ـ ﴿والمُؤتَفِكاتُ﴾ أي: أهلها وهي قُرى قوم
لُوط ﴿بِالخاطِئةِ﴾: بالفَعَلات ذات الخطأِ، ﴿١٠﴾ ـ ﴿فعَصَوا رَسُولَ رَبِّهِم﴾ أي:
لوطًا وغيره، ﴿فأَخَذَهُم أخْذةً رابِيةً﴾: زائدةً في الشِّدّة على غيرها.

سكتة لطيفة في ماليهْ

﴿١١﴾ ـ ﴿إنّا لَمّا طَغَى الماءُ﴾: علا فوق كُلّ شيء من الجِبال وغيرها زمن
الطوفان ﴿حَمَلْناكُم﴾ يعني آباءكم، إذ أنتم في أصلابهم، ﴿في الجارِيةِ﴾:
السفينة التي عملها نُوح، ونجا هو ومَن كان معه فيها وغرِق الباقون،
﴿١٢﴾ ـ ﴿لِنَجعَلَها﴾ أي: هذه الفَعلةَ ـ وهي إنجاء المُؤمنين وإهلاك الكافرين ـ
﴿لكُم تَذكِرةً﴾: عظة، ﴿وتَعِيَها﴾: ولتحفظها ﴿أُذُنٌ واعِيةٌ﴾: حافظة لِما تسمع.

﴿١٣﴾ ـ ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخةٌ واحِدةٌ﴾ للفصل بين الخلائق ـ وهي الثانية ـ ﴿١٤﴾ ـ ﴿١٥﴾ ـ ﴿وحُمِلَتِ﴾: رُفِعَتِ ﴿الأرضُ والجِبالُ، فدُكَّتا﴾:
دُقّتا ﴿دَكّةً واحِدةً، فيَومَئِذٍ وَقَعَتِ الواقِعةُ﴾: قامتِ القِيامة، ﴿١٦﴾ ـ ﴿وانشَقَّتِ السَّماءُ، فهْيَ يَومَئِذٍ واهِيةٌ﴾: ضعيفة، ﴿١٧﴾ ـ ﴿والمَلَكُ﴾ ـ
يعني الملائكةَ ـ ﴿على أرجائها﴾: جوانب السماء، ﴿ويَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم﴾ أي: الملائكةِ المذكورين ﴿يَومَئِذٍ ثَمانِيةٌ﴾ من الملائكة
أو من صُفوفهم، ﴿١٨﴾ ـ ﴿يَومَئِذٍ تُعرَضُونَ﴾ للحِساب، ﴿لا تَخفَى﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿مِنكُم خافِيةٌ﴾ من السرائر.

﴿١٩﴾ ـ ﴿فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فيَقُولُ﴾ خِطابًا لجماعته لِما سُرَّ به: ﴿هاؤُمُ﴾: خُذوا ﴿اقرَؤُوا كِتابِيَهْ﴾: تنازعَ فيه «هاؤم» و«اقرؤوا».
﴿٢٠﴾ ـ ﴿٢١﴾ ـ ﴿إنِّي ظَنَنْتُ﴾: تيقّنتُ ﴿أنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ. فهْوَ في عِيشةٍ راضِيةٍ﴾: مَرْضيّة، ﴿٢٢﴾ ـ ﴿٢٣﴾ ـ ﴿في جَنّةٍ عالِيةٍ، قُطُوفُها﴾: ثِمارها ﴿دانِيةٌ﴾: قريبةٌ
يتناولها القائم والقاعد والمُضطجع، فيقال لهم: ﴿٢٤﴾ ـ ﴿كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا﴾: حالٌ أي: مُتهنّئين ﴿بِما أسلَفتُم في الأيّامِ الخالِيةِ﴾[1]: الماضية في الدنيا.
﴿٢٥﴾ ـ ﴿٢٦﴾ ـ ﴿٢٧﴾ ـ ﴿وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ[2] فيَقُولُ: يا﴾ ـ للتنبيه ـ ﴿لَيتَنِي لَم أُوتَ كِتابِيَهْ، ولَم أدرِ: ما حِسابِيَهْ؟ يا لَيتَها﴾ أي: الموتةَ في الدنيا

﴿المؤتفكات﴾: قرى قوم لوطٍ (أهلها). ﴿بالخاطئة﴾: بالفَعَلاتِ ذاتِ الخَطَأِ الجَسيم. ﴿أخذة رَابية﴾: زَائدةً في الشدَّةِ على الأخذاتِ. ﴿الجَاريَة﴾: سَفينةِ نوح عليهِ السَّلامُ. ﴿تَذكِرة﴾: عِبْرَةً وعِظَةً. ﴿وَتَعِيَها﴾: ولِتحْفَظَهَا. ﴿نَفْخةٌ واحدة﴾: النَّفخةُ الأُولى لخرابِ العالمِ. ﴿حُمِلتِ الأرض﴾: رُفِعَتْ مِن أماكنِها بأمْرِنا. ﴿فدُكَّتا﴾: فدقَّتا وكُسِرَتا. أو فسُوِّيتا. ﴿وَقَعَت الواقِعة﴾: قامَتِ القيامةُ. ﴿انشَقّت السّماء﴾: تفطَّرَتْ وتَصدَّعَتْ مِنَ الهَوْلِ. ﴿وَاهية﴾: ضعيفةٌ مُتداعِيَةٌ بعدَ الإحْكام. ﴿على أرْجائها﴾: جَوانبِها وأطرافِها. ﴿يَوْمَئِذ تُعْرَضون﴾: بعدَ النَّفخةِ الثَّانيةِ للحسابِ والجزاءِ. ﴿هاؤم﴾: خُذوا أو تعالَوْا. ﴿كِتَابِيَهْ﴾: كتابي، والهاءُ للسَّكتِ. ﴿رَاضِيَة﴾: مَرْضِيَّةٍ لا مكروهةٍ. ﴿قطوفها دانية﴾: ثمارُها قريبةُ التَّناولِ إذ تُجْنى. ﴿هنيئاً﴾: أكْلاً غيْرَ مُنغَّصٍ ولا مكَدَّرٍ. ﴿كانت القاضية﴾: المَوْتَةَ القاطعةَ لأمْري ولم أُبْعَثْ. ﴿ما أغنى عنّي﴾: ما دَفَعَ العَذابَ عَنِّي. ﴿ماليَهْ﴾: الَّذي كانَ لي مِنْ مالٍ ونحوِهِ. ﴿سُلْطانِيَهْ﴾: حُجَّتِي أو تسلُّطي وقوَّتي. ﴿فغُلّوه﴾: اجْعلوا الغلَّ في يَدَيْهِ وعُنقِهِ. ﴿الجَحيم صَلّوه﴾: أدْخِلوهُ. أو احْرِقوه فيها. ﴿فاسْلكوه﴾: فأدخِلوه فيها. ﴿لا يَحُضّ﴾: لا يَحُثُّ ولا يُحَرِّضُ. ﴿حَمِيمٌ﴾: قريبٌ مُشفِقٌ يَحْميهِ مِنَ العَذابِ.

(١) قيل: نزلَتْ في الصَّائِمينَ خاصَّةً. ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٦٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٣) عن الكلبي، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣١٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٤٩) عن عبد العزيز بن رفيع، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣١) عن الحسن بن صالح، والجرجاني في «الأمالي» (٢/ ١٢٧) عن أبي جعفر.

(٢) قال مقاتل: نزلت في الأسود بن عبد الأسود المخزومي قتله حمزة بن عبد المطلب على الحوض ببدر. «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٢٣). ونزول هذه الآيات فيه ذكره أيضاً الماوردي (٦/ ٨٣) عن الضحاك، والسمرقندي (٣/ ٤٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٣) عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٨٢) بلا نسبة.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم
مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾
مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ
فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ
كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

﴿كانَتِ القاضِيةَ﴾: القاطعة لحياتي بألاَّ أُبعث. (٢٨) ـ (٢٩) ـ ﴿ما أغنى عَنِّي ما لِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلطانِيَهْ﴾: قوّتي وحُجّتي. وهاء «كتابيه وحسابيه، وماليه وسلطانيه» للسكْت، تَثبُتُ وقفًا ووصلاً اتّباعًا للمُصحفِ الإمام والنقلِ. ومنهم من حذفها وصلاً.

(٣٠) ـ ﴿خُذُوهُ﴾ ـ خِطابٌ لخزَنة جهنّم ـ ﴿فغُلُّوهُ﴾: اجمعوا يديه إلى عُنقه في الغُلّ، (٣١) ـ ﴿ثُمَّ الجَحِيمَ﴾: النارَ المُحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾: أدخِلوه، (٣٢) ـ ﴿ثُمَّ في سِلسِلةٍ ذَرعُها سَبعُونَ ذِراعًا﴾ بذراع الملَك ﴿فاسلُكُوهُ﴾ أي: أدخِلوه فيها بعد إدخاله النارَ. ولم تمنع الفاءُ من تعلّق الفعل بالظرف المُتقدِّم. (٣٣) ـ (٣٤) ـ (٣٥) ـ ﴿إنَّهُ كانَ لا يُؤمِنُ باللهِ العَظِيمِ، ولا يَحُضُّ على طَعامِ المِسكِينِ. فلَيسَ لَهُ اليَومَ هٰهُنا حَمِيمٌ﴾: قريب ينتفع به، (٣٦) ـ ﴿ولا طَعامٌ إلاّ مِن غِسلِينٍ﴾: صديد أهل النار أو شجرٍ فيها، (٣٧) ـ ﴿لا يأكُلُهُ إلاّ الخاطِئُونَ﴾: الكافرون.

(٣٨) ـ ﴿فلا﴾ لا: زائدة ﴿أُقسِمُ بما تُبصِرُونَ﴾ من المخلوقات، (٣٩) ـ ﴿وما لا تُبصِرُونَ﴾ منها، أي: بكل مخلوق. (٤٠) ـ ﴿إنَّهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قاله رسالةً عن الله تعالى (٤١) ـ (٤٢) ـ ﴿وما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ، قَلِيلاً ما تُؤمِنُونَ، ولا بِقَولِ كاهِنٍ ـ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾، بالتاء والياء في الفعلين. وما: زائدة مُؤكِّدة، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكّروها مما أتى به النبيّ ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تُغنِ عنهم شيئًا ـ (٤٣) ـ بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾.

(٤٤) ـ ﴿ولَو تَقَوَّلَ﴾ أي: النبيُّ ﴿علَينا بَعضَ الأقاوِيلِ﴾ بأن قال عنّا ما لم نقُله (٤٥) ـ ﴿لأَخَذنا﴾: لَنِلنا ﴿مِنهُ﴾ عِقابًا ﴿باليَمِينِ﴾: بالقُوّة والقُدرة، (٤٦) ـ ﴿ثُمَّ لَقَطَعنا مِنهُ الوَتِينَ﴾: نِياطَ القلب ـ وهو عِرق مُتّصل به إذا انقطع مات صاحبه ـ (٤٧) ـ ﴿فما مِنكُم مِن أحَدٍ﴾ هو اسم «ما» ومِن: زائدة لتأكيد النفي، ومنكم: حال من: أحد، ﴿عَنهُ حاجِزِينَ﴾: مانعين، خبرُ «ما». وجُمِعَ لأنّ «أحدًا» في سياق النفي بمعنى الجمع. وضمير «عنه» للنبيّ، أي: لا مانعَ لنا عنه من حيثُ العِقابُ.

(٤٨) ـ (٤٩) ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَتَذكِرةٌ لِلمُتَّقِينَ، وإنّا لَنَعلَمُ أنَّ مِنكُم﴾ ـ أيها الناس ـ ﴿مُكَذِّبِينَ﴾ بالقُرآن ومُصدّقين، (٥٠) ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَسرةٌ على الكافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثوابَ المُصدّقين وعِقابَ المُكذّبين به، (٥١) ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَقُّ اليَقِينِ﴾ أي: لَليقينُ الحقُّ. (٥٢) ـ ﴿فسَبِّحْ﴾: نزِّهْ ﴿باسمِ﴾ ـ الباء: زائدةٌ ـ ﴿رَبِّكَ العَظِيمِ﴾.

***

٧٠ ـ سُورَةُ المَعَارِجِ

مكية، أربعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ـ ﴿سأَلَ سائِلٌ﴾: دعا داعٍ ﴿بِعَذابٍ واقِعٍ لِلكافِرِينَ لَيسَ لَهُ دافِعٌ﴾ ـ هو النضرُ بنُ الحارثِ، قال: «اللّهمّ إن كانَ هذا هُوَ الحَقَّ»[1]

﴿غِسلين﴾: صَديدِ أهلِ النّارِ. ﴿الخاطِئون﴾: الكافرونَ. ﴿فلاَ أُقْسِم﴾: أقسِمُ. و«لا» مزيدةٌ. ﴿إنّه لَقَوْل رَسول﴾: يُبَلِّغُهُ عنِ اللهِ أوحِيَ إليْهِ. ﴿تقوَّل علَيْنا﴾: اخْتَلَقَ وافترى علينا. ﴿باليمين﴾: بيَمينِهِ. أوْ بالقُوَّةِ والقُدْرَةِ. ﴿الوَتين﴾: نِياطَ القَلبِ. أو نُخاعَ الظهرِ. ﴿عنه حَاجزين﴾: مانِعينَ الهلاك عَنهُ. ﴿لَحَسْرَةٌ﴾: نَدامَةٌ عظيمةٌ. ﴿فسبّح باسم ربّك﴾: نَزِّهْهُ عمَّا لا يَليقُ بهِ تعالى.
﴿سَأل سائل﴾: دَعَا دَاعٍ على نَفسِهِ وقوْمِهِ. ﴿ذي المعارج﴾: ذي السَّماواتِ مَصَاعِد الملائكةِ. ﴿تعرج الملائكة﴾: تصْعَدُ في تلكَ المعارِج. ﴿الرّوح﴾: جبريلُ عليهِ السَّلامُ. ﴿في يوم﴾: هوَ يومُ القيامةِ. ﴿مِقداره﴾: في حقِّ الكفَّارِ. ﴿صَبْرًا جميلاً﴾: لا شكوى فيهِ لغيْرِهِ تعالى. ﴿السّماء كالمُهل﴾: كالمعدنِ المُذابِ أو دُرْديِّ الزَّيتِ. ﴿الجبال كالعِهن﴾: كالصُّوفِ المصبوغِ ألواناً. ﴿حَميم﴾: قريبٌ مُشْفقٌ لِشدَّةِ الهَوْلِ.

[1] ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والطبري (١١/ ١٤٥) عن عطاء والسدي، ورواه البزار (٥٠٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن دون قوله: «قال...».

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾

الآيةَ ـ (٣) ـ ﴿مِنَ اللهِ﴾: مُتّصلٌ بـ «واقع» ﴿ذِي المَعارِجِ﴾: مَصاعِدِ الملائكة وهي السماوات، (٤) ـ ﴿تعرُجُ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿المَلائكةُ والرُّوحُ﴾: جِبريلُ ﴿إلَيهِ﴾: إلى مَهبِط أمره من السماء ﴿في يَومٍ﴾: متعلّقٌ بمحذوف، أي: يقع العذاب بهم في يوم القِيامة، ﴿كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ﴾ بالنسبة إلى الكافر لِما يَلقى فيه من الشدائد. وأمّا المُؤمن فيكون عليه أخفّ من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا كما جاء في الحديث. (٥) ـ ﴿فاصبِرْ﴾ ـ وهذا قبل أن يُؤمر بالقِتال ـ ﴿صَبرًا جَمِيلاً﴾ أي: لا جزعَ فيه.

(٦) ـ ﴿إنَّهُم يَرَونَهُ﴾ أي: العذابَ ﴿بَعِيدًا﴾: غيرَ واقع، (٧) ـ ﴿ونَراهُ قَرِيبًا﴾: واقعًا لا محالة، (٨) ـ ﴿يَومَ تَكُونُ السَّماءُ﴾ ـ مُتعلّقٌ بمحذوف، أي: يقعُ ـ ﴿كالمُهلِ﴾: كذائب الفِضّة، (٩) ـ ﴿وتَكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ﴾: كالصّوف في الخِفّة والطيران بالريح، (١٠) ـ ﴿ولا يَسألُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قريبٌ قريبَه لِاشتغال كُلّ بحاله.

(١١) ـ (١٢) ـ (١٣) ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُم﴾ أي: يُبصِّر الأحمّاءُ بعضُهم بعضًا، ويتعارفون ولا يتكلّمون ـ والجملة: مُستأنفة ـ ﴿يَوَدُّ المُجرِمُ﴾: يتمنّى الكافر ﴿لَو﴾ بمعنى: أن ﴿يَفتَدِيْ مِن عَذابِ يَومِئذٍ﴾ ـ بكسر الميم وفتحها ـ ﴿بِبَنِيهِ، وصاحِبَتِهِ﴾: زوجته ﴿وأخِيهِ، وفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته لفصله منها ﴿الَّتِي تُؤوِيهِ﴾: تضمُّه، (١٤) ـ ﴿ومَن في الأرضِ جَمِيعًا، ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداءُ: عطفٌ على «يفتدي». (١٥) ـ ﴿كَلّا﴾: ردٌّ لما يَودّه، ﴿إنَّها﴾ أي: النارَ ﴿لَظَى﴾: اسم لجهنّمَ لأنها تتلظّى، أي: تتلهّب على الكُفّار، (١٦) ـ ﴿نَزّاعةٌ لِلشَّوَى﴾: جمعُ شَواة ـ وهي جِلدة الرأس ـ (١٧) ـ ﴿تَدعُو مَن أدبَرَ وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان بأن تقول: «إليّ إليّ»، (١٨) ـ ﴿وجَمَعَ﴾ المال ﴿فأوعَى﴾: أمسكَه في وِعائه ولم يُؤدِّ حقّ الله منه.

(١٩) ـ ﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: حالٌ مُقدّرة، وتفسيرُه: (٢٠) ـ ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقتَ مسّ الشرّ، (٢١) ـ ﴿وإذا مَسَّهُ الخَيرُ مَنُوعًا﴾ وقتَ مسّ الخيرِ أي: المالِ لحقِّ الله منه، (٢٢) ـ ﴿إلاّ المُصَلِّينَ﴾ أي: المُؤمنين، (٢٣) ـ ﴿الَّذِينَ هُم على صَلاتِهِم دائمُونَ﴾: مُواظبون، (٢٤) ـ ﴿والَّذِينَ في أموالِهِم حَقٌّ مَعلُومٌ﴾ هو الزكاة (٢٥) ـ ﴿لِلسّائلِ والمَحرُومِ﴾: المُتعفّف عن السّؤال فيُحرَم، (٢٦) ـ ﴿والَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾: الجزاء، (٢٧) ـ ﴿والَّذِينَ هُم مِن عَذابِ رَبِّهِم مُشفِقُونَ﴾: خائفون ـ (٢٨) ـ ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّهِم غَيرُ مأمُونٍ﴾ نزولُه ـ (٢٩) ـ (٣٠) ـ (٣١) ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ، إلاّ على أزواجِهِم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُم﴾ من الإماء ـ ﴿فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ. فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذلِكَ فأُولئكَ هُمُ العادُونَ﴾: المُتجاوزون الحلالَ إلى الحرام ـ (٣٢) ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم﴾، وفي قراءة بالإفراد: ما اؤْتُمِنوا عليه من أمر الدين والدنيا، ﴿وعَهدِهِم﴾ المأخوذِ عليهم في ذلك، ﴿راعُونَ﴾: حافظون، (٣٣) ـ ﴿والَّذِينَ هُم بِشَهادتِهِم﴾ ـ وفي قراءة بالجمع ـ ﴿قائمُونَ﴾: يُقيمونها ولا يكتمونها، (٣٤) ـ ﴿والَّذِينَ هُم على صَلاتِهِم يُحافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها. (٣٥) ـ ﴿أُولئكَ في جَنّاتٍ مُكرَمُونَ﴾.

(٣٦) ـ ﴿فما لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾ نحوَك ﴿مُهطِعِينَ﴾[1]: حالٌ، أي: مُديمي النظر، (٣٧) ـ ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾: حالٌ أيضًا، أي: جماعاتٍ حِلَقًا حِلَقًا، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلَنّها قبلَهم؟ (٣٨) ـ (٣٩) ـ قال تعالى: ﴿أيَطمَعُ كُلُّ

﴿يُبَصَّرونهم﴾: يُعَرَّفُ الأحماءُ أحْماءَهُم. ﴿فَصيلته﴾: عشيرتِهِ الأقربينَ المنفصلِ عنهُم. ﴿تُؤويه﴾: تَضمُّهُ في النَّسَبِ. أو عِندَ الشِّدَّةِ. ﴿إنّها لظى﴾: جهنَّمُ. أوِ الدَّركةُ الثّانيةُ مِنْها. ﴿نَزّاعة للشّوى﴾: قلّاعةً للأطرافِ أوْ جلدِ الرَّأسِ. ﴿فأوْعى﴾: أمْسَكَ ما له في وعاءٍ حرصاً وبخلاً. ﴿جَزوعًا﴾: كثيرَ الجَزَعِ والأسَى. ﴿مَنوعًا﴾: كثيرَ المَنْعِ والإمساكِ. ﴿المَحْروم﴾: مِنَ العَطاءِ لتعفُّفِهِ عَنِ السُّؤالِ. ﴿مُشفِقون﴾: خائفونَ اسْتِعظاماً للهِ تعالى. ﴿العادون﴾: المُجاوزونَ الحلالَ إلى الحَرَامِ. ﴿مُهطِعين﴾: مُسْرعينَ، مادِّي أعْناقِهم إليكَ. ﴿عِزين﴾: جماعاتٍ مُتفرِّقينَ. ﴿ممّا يعلمون﴾: مِنْ نُطفٍ مَهينَةٍ مَذِرَةٍ. ﴿فلا أقسمُ﴾: أقْسِمُ. و«لا» مزيدةٌ.

(١) نزلت في المستهزئين من قريش، والمطعمين في غزوة بدر. «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٣٨). وقيل: نزلت في جماعة المستهزئين، جلسوا حول النبي ﷺ حلقاً يستهزئون بالقرآن ويكذِّبون به، فقال الله تعالى: ما لهم في النظر نحوك والجلوس عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون؛ وذلك أن نظرهم إليه كأنه نظر عداوة، وجلوسهم عنده للاستهزاء. «البسيط» للواحدي (٢٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾
خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ
ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

امرِئٍ مِنهُم أن يُدخَلَ جَنّةَ نَعِيمٍ؟ كَلاّ﴾: ردعٌ لهم عن طمعهم في الجنّة. ﴿إنّا خَلَقْناهُم﴾ كغيرهم ﴿مِمّا يَعلَمُونَ﴾: من نُطَف. فلا يُطمع بذلك في الجنّة، وإنما يُطمع فيها بالتقوى.

(٤٠) ـ (٤١) ـ ﴿فلا﴾ ـ لا: زائدةٌ ـ ﴿أُقسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب. ﴿إنّا لَقادِرُونَ علَى أن نُبَدِّلَ﴾: نأتيَ بدلَهم ﴿خيرًا مِنهُم، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾: بعاجزين عن ذلك. (٤٢) ـ ﴿فذَرْهُم﴾: اتركْهم، ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿ويَلعَبُوا﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّى يُلاقُوا﴾: يلقَوا ﴿يَومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذابَ، (٤٣) ـ ﴿يَومَ يَخرُجُونَ مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿سِراعًا﴾ إلى المحشر، ﴿كأَنَّهُم إلَى نَصْبٍ﴾، وفي قراءة بضمّ الحرفين، شيء منصوب كعَلَم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسرِعون، (٤٤) ـ ﴿خاشِعةً﴾: ذليلة ﴿أبصارُهُم، ترهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلّةٌ. ذلِكَ اليَومُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾. ذلك: مُبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يومُ القيامة.

* * *

٧١

سُورَةُ نُوحٍ

مكية، ثمانٍ أو تسعٌ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿إنّا أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ أن أنذِرْ﴾ أي: بإنذارِ ﴿قَومَكَ مِن قَبلِ أن يأتِيَهُم﴾، إن لم يُؤمنوا، ﴿عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلم في الدنيا والآخرة. (٢) ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، إنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الإنذار (٣) ـ (٤) ـ ﴿أنِ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ وأطِيعُونِ، يَغفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُم﴾ ـ مِن: زائدةٌ. فإن الإسلام يُغفَر به ما قبله، أو تبعيضيةٌ لإخراجِ حقوق العباد ـ ﴿ويُؤَخِّرْكُم﴾ بلا عذاب ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: أجلِ الموت. ﴿إنَّ أجَلَ اللهِ﴾ بعذابكم، إن لم تؤمنوا، ﴿إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ. لَو كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ ذلك لآمنتم. (٥) ـ ﴿قالَ: رَبِّ، إنِّي دَعَوتُ قَومِي لَيلاً ونَهارًا﴾ أي: دائمًا مُتصلاً، (٦) ـ ﴿فلَم يَزِدْهُم دُعائيَ إلاّ فِرارًا﴾ عن الإيمان، (٧) ـ (٨) ـ ﴿وإنِّي كُلَّما دَعَوتُهُم لِتَغفِرَ لَهُم جَعَلُوا أصابِعَهُم في آذانِهِم﴾ لئلاّ يسمعوا كلامي، ﴿واستَغشَوا ثِيابَهُم﴾: غطّوا رُؤوسهم بها لئلاّ يُبصروني، ﴿وأصَرُّوا﴾ على كُفرهم، ﴿واستكبَرُوا﴾ تكبّروا عن الإيمان ﴿استِكبارًا، ثُمَّ إنِّي دَعَوتُهُم جِهارًا﴾ أي: بأعلى صوتي، (٩) ـ (١٠) ـ (١١) ـ ﴿ثُمَّ إنِّيَ أعلَنتُ لَهُم﴾ صوتي، ﴿وأسرَرتُ لَهُم﴾ الكلامَ ﴿إسرارًا، فقُلتُ: استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك ـ ﴿إنَّهُ كانَ غَفّارًا ـ..

﴿بِمَسْبوقين﴾: مَغْلوبينَ عاجزينَ. ﴿فَذَرْهُم﴾: فدعْهُم وخَلِّهِمْ غيرَ مُكْترِثٍ بهِم. ﴿يَخوضوا﴾: يَنغمِسُوا في باطِلِهِمْ. ﴿مِنَ الأجداث﴾: مِنَ القبُورِ. ﴿سِراعًا﴾: مُسْرعينَ إلى الدَّاعي. ﴿نُصُب﴾: أحْجَارٍ عَظَّموها في الجاهليَّةِ. ﴿يوفِضون﴾: يُسْرعونَ. ﴿خاشِعة أبْصارُهم﴾: ذليلةً مُنْكسِرةً لا يَرْفعونَها. ﴿ترْهَقهم ذلّة﴾: تغْشاهُمْ مَهَانةٌ شديدةٌ.
﴿إنّ أجل الله﴾: وَقْتَ مَجيءِ عذابِهِ إنْ لم تُؤمِنوا. ﴿فِرارًا﴾: تَباعُداً ونِفَاراً عنِ الإيمانِ. ﴿استَغْشَوْا ثِيابهم﴾: بالغُوا في التَّغطِّي بها كَرَاهةً لي. ﴿أصرّوا﴾: تشدَّدوا وانْهمَكُوا في الكُفرِ.

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا (١١) وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا (١٢) مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا (١٣)
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا (١٤) أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا (١٥) وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا (١٦)
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ
إِخۡرَاجٗا (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا (١٩) لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا
سُبُلٗا فِجَاجٗا (٢٠) قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ
مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا (٢١) وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا (٢٢) وَقَالُواْ
لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسۡرٗا (٢٣) وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا (٢٤)
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ أَنصَارٗا (٢٥) وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ
دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا
كَفَّارٗا (٢٧) رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا (٢٨)

﴿يُرسِلِ السَّماءَ﴾ المطرَ، وكانوا قد مُنِعوه، **﴿علَيكُم مِدرارًا﴾**: كثير الدُّرور، (١٢) ـ **﴿ويُمدِدْكُم بِأموالٍ وبَنِينَ، ويَجعَلْ لكُم جَنّاتٍ﴾**: بساتينَ، **﴿ويَجعَلْ لكُم أنهارًا﴾** جارية. (١٣) ـ **﴿ما لكُم، لا تَرجُونَ لِلهِ وَقارًا﴾** أي: تؤمّلون وقارَ الله إياكم بأن تُؤمنوا، (١٤) ـ **﴿وقَد خَلَقَكُم أطوارًا﴾**: جمعُ طَور. وهو الحال ـ فطورًا نطفةً وطورًا علقةً إلى تمام خلق الإنسان ـ والنظر في خلقه يُوجب الإيمانَ بخالقه؟

(١٥) ـ **﴿ألَم تَروا﴾**: تنظروا: **﴿كَيفَ خَلَقَ اللهُ سَبعَ سَماواتٍ طِباقًا﴾** بعضُها فوق بعض، (١٦) ـ **﴿وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ﴾** أي: في مجموعهنّ الصادقِ بالسماء الدنيا **﴿نُورًا، وجَعَلَ الشَّمسَ سِراجًا﴾**: مِصباحًا مُضيئًا، وهو أقوى من نور القمر؟ (١٧) ـ (١٨) ـ (١٩) ـ (٢٠) ـ **﴿واللهُ أنبَتَكُم﴾**: خلقَكم **﴿مِنَ الأرضِ﴾** إذ خلق أباكم آدمَ منها **﴿نَباتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُم فِيها﴾** مقبورِينَ، **﴿ويُخرِجُكُم﴾** للبعث **﴿إخراجًا، واللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ بِساطًا﴾**: مبسوطة **﴿لِتَسلُكُوا مِنها سُبُلاً﴾**: طُرقًا **﴿فِجاجًا﴾**: واسعة.

(٢١) ـ **﴿قالَ نُوحٌ: رَبِّ، إنَّهُم عَصَونِي، واتَّبَعُوا﴾** أي: السَّفَلةُ والفُقراءُ **﴿مَن لَم يَزِدْهُ مالُهُ ووُلْدُهُ﴾** ـ وهم الرُّؤساءُ المُنعَمُ عليهم بذلك. وولد بضمّ الواو وسكون اللام وبفتحهما والأول قيل: جمع وَلَد بفتحهما كخُشْب وخَشَب. وقيل: بمعناه كبُخْل وبَخَل ـ **﴿إلاّ خَسارًا﴾**: طُغيانًا وكُفرًا، (٢٢) ـ **﴿ومَكَرُوا﴾** أي: الرؤساءُ **﴿مَكْرًا كُبّارًا﴾**: عظيمًا جِدًّا بأن كذّبوا نُوحًا وآذَوه ومن اتّبعه، (٢٣) ـ **﴿وقالُوا﴾** للسَّفلة: **﴿لا تَذَرُنَّ آلِهتَكُم، ولا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾** ـ بفتح الواو وضمّها ـ **﴿ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسرًا﴾** هي أسماء أصنامهم. (٢٤) ـ **﴿وقَد أضَلُّوا﴾** بها **﴿كَثِيرًا﴾** من الناس، بأن أمروهم بعبادتها، **﴿ولا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلاّ ضَلالاً﴾**: عطفٌ على «قد أضلّوا». دعا عليهم لمّا أُوحي إليه «أنه لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلاّ مَن قَد آمَنَ».

(٢٥) ـ **﴿مِمّا﴾** ـ ما: صلة ـ **﴿خَطاياهُم﴾**، وفي قِراءةٍ: «خَطِيئَتِهِم» بالهمز، **﴿أُغرِقُوا﴾** بالطوفان، **﴿فأُدخِلُوا نارًا﴾** عُوقبوا بها عَقِبَ الإغراق تحت الماء، **﴿فلَم يَجِدُوا لَهُم مِن دُونِ﴾** أي: غيرَ **﴿اللهِ أنصارًا﴾** يمنعون عنهم العذاب. (٢٦) ـ **﴿وقالَ نُوحٌ: رَبِّ، لا تَذَرْ عَلَى الأرضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّارًا﴾** أي: نازلَ دار ـ والمعنى: أحدًا. (٢٧) ـ **﴿إنَّكَ إن تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ، ولا يَلِدُوا إلاّ فاجِرًا كَفّارًا﴾** مَن يفجُر ويكفر. قال ذلك لِما تقدّم من الإيحاء إليه ـ (٢٨) ـ **﴿رَبِّ، اغفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ﴾**، وكانا مُؤمنَينِ، **﴿ولِمَن دَخَلَ بَيتِي﴾**: منزلي أو مَسجدي **﴿مُؤمِنًا ولِلمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ﴾** إلى يوم القيامة، **﴿ولا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلاّ تَبارًا﴾**: هلاكًا. فأُهلكوا.

***

﴿يُرسِلِ السّماء﴾: المطرَ الّذي في السَّحاب. ﴿مِدرارًا﴾: غزيراً مُتتابعاً. ﴿لا تَرجونَ لله وَقارًا﴾: لا تعتقِدونَ أو لا تخافونَ عَظمَةَ اللهِ. ﴿خلقَكمْ أطواراً﴾: مُدَرّجاً لكُم في حالاتٍ مُختلِفةٍ. ﴿سموات طِباقا﴾: كلُّ سَماءٍ مُقبيَّةٌ على الأُخرى. ﴿نورًا﴾: مُنوِّراً لِوَجهِ الأرضِ في الظَّلامِ. ﴿الشّمس سِراجًا﴾: مِصْباحاً مُضيئاً يمحُو الظَّلامَ. ﴿أنبتكم من الأرض﴾: أنشأكُم مِن طينتِها. ﴿الأرض بساطًا﴾: فِراشاً مبسوطاً للاستقرارِ عليها. ﴿سُبُلاً فِجاجًا﴾: طرُقاً واسِعاتٍ. ﴿خَسارًا﴾: ضلالاً في الدُّنيا وعِقاباً في الآخرةِ. ﴿مَكرًا كُبّارًا﴾: بالِغَ الغايةِ في الكِبَرِ. ﴿وَدًّا﴾: أصنامٌ عَبَدوها ثمَّ انتقلَتْ إلى العرَبِ، فكانَ وَدّ لِكَلْبِ. ﴿سُواعًا﴾: وسُواعٌ لِهُذَيلٍ. ﴿يَغوثَ﴾: وَيَغُوثُ لِغَطفانَ. ﴿يَعُوق﴾: ويَعُوقُ لِهَمَذانَ. ﴿نَسرًا﴾: ونَسْرٌ لآلِ ذي الكَلاعِ مِنْ حِمْيَرَ. ﴿ممّا خطيئاتِهم﴾: مِن أجلِ ذنوبِهم و«ما» زائدةٌ. ﴿ديّارًا﴾: أحداً يَدور ويَتحرَّكُ في الأرضِ. ﴿تبارًا﴾: هَلاكاً وَ دَماراً.

سُورَةُ الجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

٧٢ ـ سُورَةُ الجِنِّ

مكية، ثمانٍ وعشرون آية.

الحِزْبُ ٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أُخبِرتُ بالوحي من الله ﴿أَنَّهُ﴾ ـ الضمير للشأن ـ ﴿استَمَعَ﴾ لقِراءتي ﴿نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾ جِنُّ نَصِيبِينَ ـ وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلةَ[1] موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى: «وإذْ صَرَفْنا إلَيكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ» الآيَةَ ـ ﴿فقالُوا﴾ لقومهم لمّا رجَعوا إليهم: ﴿إنّا سَمِعْنا قُرآنا عَجَبًا﴾ يُتعجّب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك، (٢) ـ (٣) ـ (٤) ـ ﴿يَهدِي إلَى الرُّشدِ﴾: الإيمان والصواب، ﴿فآمَنّا بِهِ، ولَن نُشرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنا أحَدًا، وإنَّهُ﴾ ـ الضميرُ للشأن فيه وفي الموضعين بعده ـ ﴿تَعالَى جَدُّ رَبِّنا﴾: تنزّهَ جلاله وعظمته عمّا نُسب إليه، ﴿ما اتَّخَذَ صاحِبةً﴾: زوجة ﴿ولا وَلَدًا، وإنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا﴾: جاهلُنا ﴿علَى اللهِ شَطَطًا﴾: غُلوًّا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد، (٥) ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفةٌ، أي: أنّه ﴿لَن تَقُولَ الإنسُ والجِنُّ علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتّى تبيّنّا كذبهم بذلك.

(٦) ـ قال تعالى: ﴿وإنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ﴾: يستعيذون ﴿بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمَخوف، فيقول كُلّ رجل: «أعوذُ بسيّد هذا المكان مِن شرّ سُفهائه»، ﴿فزادُوهُم﴾ بعَوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾[2]: طغيانًا، فقالوا: «سُدنا الجِنَّ والإنس»، (٧) ـ ﴿وإنَّهُم﴾ أي: الجِنَّ ﴿ظَنُّوا كَما ظَنَنتُم﴾ ـ يا إنسُ ـ ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لَن يَبعَثَ اللهُ أحَدًا﴾ بعد موته.

(٨) ـ قال الجِنّ: ﴿وإنّا لَمَسْنا السَّماءَ﴾: رُمنا استراقَ السمعِ منها، ﴿فوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا، وشُهُبًا﴾: نُجومًا مُحرِقة ـ وذلك لمّا بُعث النبي ﷺ ـ (٩) ـ ﴿وإنّا كُنّا﴾ أي: قبلَ مَبعثه ﴿نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ﴾ أي: نستمع، ﴿فمَن يَستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا﴾ أُرصِد له ليُرمى به.

(١٠) ـ ﴿وإنّا لا نَدرِي: أشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَن في الأرضِ؟ أم أرادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا﴾ خيرًا؟ (١١) ـ ﴿وإنّا مِنّا الصّالِحُونَ﴾ بعد استماع القُرآن، ﴿ومِنّا دُونَ ذلِكَ﴾ أي: قومٌ غير صالحين، ﴿كُنّا طَرائِقَ قِدَدًا﴾: فِرَقًا مُختلفة مُسلمين وكافرين.

(١٢) ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لَن نُعجِزَ اللهَ في الأرضِ، ولَن نُعجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: لا نفوته كائنِين في الأرض أو هاربِين منها إلى

﴿قرآنا عَجَباً﴾: عجباً بديعاً في بلاغتِهِ وفصاحتِهِ. ﴿الرّشد﴾: الحقُّ والصَّوابِ. أوِ التَّوحيدِ والإيمان. ﴿تعالى﴾: ارتفعَ وعَظُمَ. ﴿جدّ ربّنا﴾: جلالُهُ. أو سلطانُهُ. أو غِناهُ. ﴿يقول سَفيهُنا﴾: جاهِلُنا (إبليسُ اللّعينُ). ﴿شططاً﴾: قوْلاً مُفرطاً في الكذبِ والضَّلالِ. ﴿يَعوذون﴾: يَسْتعيذونَ ويَستجيرونَ. ﴿فزادوهمْ رَهَقاً﴾: إثماً. أو طغياناً وسَفَهاً. ﴿حَرَسًا شديداً﴾: حُرَّاساً أقوياءَ مِنَ الملائكةِ. ﴿شُهُبًا﴾: شُعلَ نارٍ تَنْقَضُّ كالكواكِبِ. ﴿شِهابًا رَصَدًا﴾: راصِداً، مُترقِّباً يَرْجُمُهُ. ﴿رَشَداً﴾: خَيْراً وصَلاحاً ورحمةً. ﴿طرائق قِدَدًا﴾: ذوي مذاهبَ مُتفرقةٍ مُختلِفةٍ. ﴿ظنّنا﴾: عَلِمْنا وأيقنَّا الآنَ. ﴿فلا يَخاف بخساً﴾: فلا يَخشى نَقْصاً مِنْ ثَوابِهِ. ﴿و لا رهقاً﴾: غَشَيَانَ ذِلَّةٍ لهُ.

(١) البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩)، عن ابن عبَّاس: انطلقَ ﷺ في طائفةٍ من أصحابِه عامدين إلى سوقِ عكاظٍ وقد حِيلَ بينَ الشَّياطينِ وبينَ خبرِ السَّماء، وأُرسلَت عليهم الشُّهبُ، فرجعَت الشَّياطينُ إلى قومِهم وقالوا: حِيلَ بيننا وبينَ خبرِ السَّماءِ وأُرسلَت علينا الشُّهبُ. فقالوا: ما وقع ذلك إلَّا مِن حَدَثٍ، فاضربوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها فانظروا ما هذا الَّذي حالَ بيننا وبينه؟! فانطلقوا، فانصرفَ أولئك النَّفرُ الَّذينَ توجَّهوا نحوَ تهامةَ إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلام وهو بنخلةَ عامداً إلى سوقِ عكاظٍ وهو يُصلِّي بأصحابِه صلاةَ الفجرِ، فلمَّا سمعوا القرآنَ استمعُوا له، فقالوا: واللهِ هذا الذي حال بيننا وبينَ خبرِ السَّماءِ. فهناك رجعُوا إلى قومِهم فقالوا: ﴿يا قومَنا إنَّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشدِ فآمنَّا به﴾، وأنزلَ اللهُ هذه السُّورة.

(٢) عن أبي رجاء: بُعث رسول الله ﷺ وقد رعيتُ على أهلي كَفيتُ مهنتَهم، فلمّا بُعث ﷺ خرجنا هرابًا فأتينا على فلاة من الأرض، وكنّا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا: إنّا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجنّ اللّيلة، فقلنا ذاك، فقيل لنا: إنّما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، فمَن أقرّ بها أمِن على دمه وماله، فرجعنا فدخلنا في الإسلام، قال: وربّما قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت فيَّ وفي أصحابي: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾. «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٣٨).

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

السماء، ﴿١٣﴾ ـ ﴿وإنّا لَمّا سَمِعْنا الهُدَى﴾: القُرآن ﴿آمَنّا بِهِ ـ فمَن يُؤمِنْ بِرَبِّهِ فلا يَخافُ﴾، بتقدير «هو» بعد الفاء، ﴿بَخْسًا﴾: نقصًا من حسناته ﴿ولا رَهَقًا﴾: ظُلمًا بالزيادة في سيّئاته ـ ﴿١٤﴾ ـ ﴿وإنّا مِنّا المُسلِمُونَ ومِنّا القاسِطُونَ﴾: الجائرون بكُفرهم. ﴿فمَن أسلَمَ فأُولِئكَ تَحَرَّوا رَشَدًا﴾: قصدوا هِداية، ﴿١٥﴾ ـ ﴿وأمّا القاسِطُونَ فكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وَقودًا.

وانا وانهم وانه: في اثني عشر موضعًا ـ هي «وإنه تعالى» و«إنا منّا المسلمون» وما بينهما ـ بكسر الهمزة استئنافًا، وبفتحها بما يُوجّه به. قال تعالى في كُفّار مكّة: ﴿١٦﴾ ـ ﴿وأنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وأنَّهم، وهو معطوف على «أنّه استمع» ـ ﴿لَوِ استَقامُوا على الطَّرِيقةِ﴾[1] أي: طريقة الإسلام ﴿لَأسقَيناهُم ماءً غَدَقًا﴾: كثيرًا من السماء ـ وذلك بعد ما رُفع المطرُ عنهم سبعَ سنين ـ ﴿١٧﴾ ـ ﴿لِنَفتِنَهُم﴾: لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلمَ: كيف شُكرُهم عِلمَ ظهور؟ ﴿ومَن يُعرِضْ عَن ذِكرِ رَبِّهِ﴾: القُرآنِ ﴿نَسلُكْهُ﴾، بالنون والياء، نُدخله ﴿عَذابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا، ﴿١٨﴾ ـ ﴿وأنَّ المَساجِدَ﴾: مواضعَ الصلاة ﴿لِلهِ. فلا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللهِ أحَدًا﴾[2] بأن تُشركوا كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسَهم وبِيَعَهم أشركوا. ﴿١٩﴾ ـ ﴿وأنَّهُ﴾ بالفتح، وبالكسر استئنافًا، والضمير للشأن ﴿لَمّا قامَ عَبدُ اللهِ﴾ مُحمّد النبيّ ﷺ ﴿يَدعُوهُ﴾: يعبده ببطن نخلةَ ﴿كادُوا﴾ أي: الجِنُّ المُستمعون لِقراءته ﴿يَكُونُونَ عليهِ لِبَدًا﴾، بكسر اللام وضمّها، جمعُ لِبْدة، كاللِّبَد في رُكوب بعضهم بعضًا، ازدحامًا حِرصًا على سماع القُرآن. ﴿٢٠﴾ ـ ﴿قالَ﴾ مُجيبًا للكُفّار في قولهم: «ارجع عمّا أنتَ فيه» ـ وفي قِراءةٍ: «قُلْ» ـ ﴿إنَّما أدعُو رَبِّي﴾ إلـٰهًا، ﴿ولا أُشرِكُ بِهِ أحَدًا﴾.

﴿٢١﴾ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لا أملِكُ لَكُم ضَرًّا﴾: غيًّا ﴿ولا رَشَدًا﴾: خيرًا ـ ﴿٢٢﴾ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ﴾: من عذابه إن عصيتُه ﴿أحَدٌ، ولَن أجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مُلتَحَدًا﴾: مُلتجأ ـ ﴿٢٣﴾ ـ ﴿إلاّ بَلاغًا﴾: استثناءٌ من مفعول «أملِكُ» أي: لا أملك لكم إلاّ البلاغَ إليكم ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عنه، ﴿ورِسالاتِهِ﴾: عطفٌ على «بلاغًا». وما بين المُستثنى منه والاستثناء اعتراضٌ لتأكيد نفي الاستطاعة، ﴿ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ﴾ في التوحيد فلم يُؤمن ﴿فإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ﴾: حالٌ من ضمير «مَن» في «له» رِعايةً لمعناها، وهي حال مُقدّرة، والمعنى: يدخلونها مُقدَّرًا خلُودُهم ﴿فِيها أبَدًا﴾.

﴿٢٤﴾ ـ ﴿حَتَّى إذا رأَوا﴾ حتى: ابتدائيّة فيها معنى الغاية لمُقدّر قبلها، أي: لا يزالون على كُفرهم إلى أن يروا ﴿ما يُوعَدُونَ، من العذاب ﴿فَسَيَعلَمُونَ﴾ عِند حُلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة: ﴿مَن أضعَفُ ناصِرًا، وأقَلُّ عَدَدًا﴾: أعوانًا؟ أهم أم المُؤمنون، على القول الأوّل؟ أو أنا أم هم، على الثاني؟ فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل:

﴿٢٥﴾ ـ ﴿قُلْ: إنْ﴾ أي: ما ﴿أدرِي: أقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أم يَجعَلُ لَهُ رَبِّيَ أمَدًا﴾: غاية وأجلاً لا يعلمه إلاّ هو؟ ﴿٢٦﴾ ـ ﴿عالِمُ الغَيبِ﴾: ما غاب به عن العِباد، ﴿فلا يُظهِرُ﴾: يُطلِع ﴿على غَيبِهِ أحَدًا﴾ من الناس، ﴿٢٧﴾ ـ ﴿إلاّ مَنِ ارتَضَى مِن رَسُولٍ. فإنَّهُ﴾ مع إطلاعه على ما شاء منه مُعجزةً له ﴿يَسلُكُ﴾: يجعل ويُسيّر ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ﴾ أي: الرسولِ ﴿ومِن خَلفِهِ رَصَدًا﴾: ملائكة يحفظونه حتّى يُبلّغه في جُملة الوحي، ﴿٢٨﴾ ـ ﴿لِيَعلَمَ﴾ الله عِلمَ ظُهور ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة أي: أنّه ﴿قَد أبلَغُوا﴾ أي: الرسلُ ﴿رِسالاتِ رَبِّهِم﴾ ـ رُوعي بجمع الضمير معنى

﴿منّا القاسطون﴾: الجَائرونَ بكفرِهِم العادلونَ عنْ طريقِ الحقِّ. ﴿تحرّوا رشداً﴾: قَصَدوا خَيراً وصلاحاً وهُدىً. ﴿لجهنّم حطباً﴾: للنّارِ وقوداً. ﴿على الطريقة﴾: طريقةِ الهدى «ملّةِ الإسلامِ». ﴿ماءً غدَقًا﴾: كثيراً يتّسِعُ بهِ العيشُ. ﴿لنفتنَهم فيه﴾: لِنَختَبرَهُم فيما أعْطيناهُم. ﴿يَسْلكه﴾: يُدخلْهُ. ﴿عَذابًا صَعَدًا﴾: شاقّاً يعلوهُ ويَغلِبُهُ فلا يُطيقُهُ. ﴿عَبْدُ الله يَدْعوه﴾: هوَ النّبيُّ ﷺ يعبد ربَّه. ﴿عَليْه لِبَدًا﴾: مُتَراكِمينَ مِن ازدحامِهم عليهِ تعجُّباً. ﴿رَشَدًا﴾: نفعاً أو هدايةً. ﴿لنْ يجيرني من الله﴾: لنْ يمنعَني مِن عذابِهِ إنْ عَصيتُهُ. ﴿مُلتَحَداً﴾: مَلْجَأً أوْ حِرْزاً أرْكَنُ إليهِ. ﴿أمَدًا﴾: زماناً بعيداً. ﴿رَصَدًا﴾: حَرَساً مِنَ الملائكةِ يحرسونَهُ. ﴿أحاط﴾: عَلِمَ عِلماً تامّاً. ﴿أحصَى﴾: ضَبطَ ضبطاً كاملاً.

(١) قال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين مُنعوا المطر سبعَ سنين. «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦٤).

(٢) سعيدُ بن جُبَيرٍ: قالت الجنّ لنبيِّ الله: كيف لنا نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك؟ وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك؟ فنزلت هذه الآية. الطبري (٢٣/ ٣٤١).

﴿سورة المزمل﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا
٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا
ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي
ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨
رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ
أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢
وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا
عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا
يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا
١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩

«مَن» ـ ﴿وأحاطَ بما لَديهم﴾: عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلم ذلك، ﴿وأحصَى كُلَّ شيءٍ عَدَدًا﴾: تمييز. وهو مُحوّل عن المفعول، والأصل: أحصى عددَ كُلِّ شيء.

٧٣ ـ سُورَةُ المُزَّمِّل[1]

مكية، أو إلاّ قوله «إنّ ربك يعلم» إلى آخرها فمدني، تسعَ عشْرةَ أو عشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يا أيُّها المُزَّمِّلُ﴾: النبيُّ ـ وأصله «المُتَزمِّل»، أُدغمَتِ التاءُ في الزاي ـ أي: المُتلفّف بثِيابه حِين مجيء الوحي له خوفًا منه لهَيبته، (٢) ـ (٣) ـ ﴿قُم اللَّيلَ﴾: صَلِّ ﴿إلاّ قَلِيلاً، نِصفَهُ﴾: بدلٌ من «قليلاً»، وقِلّتُه بالنظر إلى الكُلّ، ﴿أوِ انقُصْ مِنهُ﴾: من النصف ﴿قَلِيلاً﴾ إلى الثُّلث، (٤) ـ (٥) ـ ﴿أو زِدْ عليهِ﴾ إلى الثُّلثين ـ وأو: للتخيير ـ ﴿ورَتِّلِ القُرآنَ﴾: تثبّتْ في تِلاوته ﴿تَرتِيلاً. إنّا سَنُلقِي عليكَ قَولاً﴾ أي: قُرآنًا ﴿ثَقِيلاً﴾: مَهيبًا أو شديدًا لِما فيه من التكاليف. (٦) ـ ﴿إنَّ ناشِئةَ اللَّيلِ﴾: القيامَ بعد النوم ﴿هِيَ أشَدُّ وِطاءً﴾: مُوافقةَ السمع للقلب على تفهّم القرآن ﴿وأقوَمُ قِيلاً﴾: أبيَنُ قولاً. (٧) ـ ﴿إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبحًا طَوِيلاً﴾: تصرُّفًا في أشغالك، لا تفرُغ فيه لتلاوة القرآن.

(٨) ـ ﴿واذكُرِ اسمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: «بسم الله الرحمن الرحيم» في ابتداء قِراءتك، ﴿وتَبَتَّلْ﴾: انقطع ﴿إلَيهِ﴾ في العبادة ﴿تَبتِيلاً﴾: مصدرُ: بَتَّلَ. جيء به رِعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتّل. (٩) ـ هو ﴿رَبُّ المَشرِقِ والمَغرِب، لا إلَـٰهَ إلاّ هُوَ. فاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾: موكولاً له أمُورُك، (١٠) ـ ﴿واصبِرْ علَى ما يَقُولُونَ﴾، أي: كُفّارُ مكّة من أذاهم، ﴿واهجُرْهُم هَجرًا جَمِيلاً﴾: لا جزعَ فيه ـ وهذا قبلَ الأمر بقِتالهم ـ (١١) ـ ﴿وذَرْنِي﴾: اتركني ﴿والمُكَذِّبِينَ﴾: عطفٌ على المفعول، أو مفعولٌ معه ـ والمعنى: أنا كافيكَهُم، وهم صناديد قُريش ـ ﴿أُولِي النَّعْمةِ﴾: التنعّم ﴿ومَهِّلْهُم قَلِيلاً﴾ من الزمن. فقُتلوا بعد يسير منه ببدر.

(١٢) ـ ﴿إنَّ لَدينا أنكالاً﴾: قُيودًا ثِقالاً، جمعُ نِكْل بكسر النون ﴿وجَحِيمًا﴾: نارًا مُحرقة، (١٣) ـ ﴿وطَعامًا ذا غُصّةٍ﴾: يُغَصّ به في الحلق ـ وهو الزقّوم أو الضريع، أو الغِسلينُ أو شوكٌ من نار ـ لا يخرج ولا ينزل ﴿وعَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا زيادة على ما ذُكر لمن كذّب النبيّ، (١٤) ـ ﴿يَومَ تَرجُفُ﴾: تَزلزلُ ﴿الأرضُ والجِبالُ، وكانَتِ الجِبالُ كَثِيبًا﴾: رملاً مُجتمِعًا ﴿مَهِيلاً﴾: سائلاً بعد اجتماعه. وهو مِن: هالَ يَهيلُ.

وأصله «مَهْيُول» استُثقلت الضمّةُ على الياء فنقلت إلى الهاء، وحُذفَتِ الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقُلبت الضمّة كسرة لمجانسة الياء.

(١٥) ـ ﴿إنّا أرسَلْنا إليكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿رَسُولاً﴾ هو مُحمّد ﷺ ﴿شاهِدًا عليكُم﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العِصيان ﴿كما أرسَلْنا إلى فِرعَونَ رَسُولاً﴾ هو مُوسَى ـ عليه الصلاة والسلام ـ (١٦) ـ ﴿فعَصَى فِرعَونُ الرَّسُولَ، فأخَذْناهُ أخذًا وَبِيلاً﴾: شديدًا.

(١٧) ـ ﴿فكَيفَ تَتَّقُونَ، إن كَفَرتُم﴾ في الدنيا، ﴿يَومًا﴾: مفعول «تتقون» أي: عذابَه، أي: بأيِّ حِصن تتحصّنون من عذاب يوم، ﴿يَجعَلُ الوِلدانَ شِيبًا﴾: جمع أشيَبَ لشِدّة هوله، وهو يوم القيامة ـ والأصل في شين «شيب» الضمّ، وكُسرت لمجانسة الياء. ويقال في اليوم الشديد: يومٌ يُشيِب نواصيَ الأطفال. وهو مجاز. ويجوز أن يكون المُراد في الآية الحقيقةَ ـ (١٨) ـ ﴿السَّماءُ مُنفَطِرٌ﴾: ذاتُ انفطارٍ أي: انشقاقٍ ﴿بِهِ﴾: بذلك اليوم لشِدّته؟ ﴿كانَ وَعدُهُ﴾ ـ تعالى ـ بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفعُولاً﴾، أي: هو كائن لا مَحالة. (١٩) ـ ﴿إنّ هذِهِ﴾ الآياتِ المُخوِّفةَ ﴿تَذكِرَةٌ﴾: عِظة للخلق. ﴿فمَن شاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا بالإيمان والطاعة.

﴿المزّمل﴾: المتلفِّفُ بثيابِهِ (النَّبيُّ ﷺ). ﴿رتّل القرآن﴾: اقرأْهُ بتمهُّلٍ، وتبْيينِ حروفٍ. ﴿قوْلاً ثقيلاً﴾: شاقّاً على المكلّفينَ (القرآن). ﴿ناشِئة الليل﴾: العبادةَ الّتي تنشأُ بِهِ وتحدثُ. ﴿أشدّ وطأً﴾: ثباتاً للقدَمِ ورسوخاً في العبادةِ. ﴿أقوم قيلاً﴾: أثبتُ قِراءةً لحضورِ القلبِ فيها. ﴿سَبْحًا﴾: تصرُّفاً وتقلُّباً في مُهمَّاتِكَ. ﴿تبتّل إليه﴾: انقطعْ إلى عبادتِهِ تعالى، واستغرقْ في مراقبته. ﴿هجرًا جميلاً﴾: اعتزالاً حَسَناً لا جزعَ فيهِ. ﴿ذرني والمكذبين﴾: دَعْني وإيَّاهُم فسأكفيكَهُم. ﴿أولي النعمة﴾: أربابَ التَّنعُّمِ، رَغادةِ العيشِ. ﴿مهّلهم قليلاً﴾: أمْهِلْهُم زماناً قليلاً بعدَهُ النَّكالُ. ﴿أنكالاً﴾: قيوداً شديدةً ثِقالاً. ﴿طعامًا ذا غصّة﴾: ذا نُشوبٍ في الحلقِ فلا يَنْساغُ. ﴿يوم ترجُف الأرض﴾: تضطربُ وتتزلزلُ (يوم القيامة). ﴿كثيباً مهيلاً﴾: رَمْلاً مُجْتمِعاً سائلاً مُنهالاً. ﴿أخذاً وبيلاً﴾: شديداً ثقيلاً وَخيمَ العُقبى. ﴿السماء منفطر به﴾: شيءٌ مُنشقٌّ في ذلكَ اليومِ لِهوْلِهِ.

(١) عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالت: سموا هذا الرجل اسماً يصدر عنه الناس، قالوا: «كاهن» قالوا: ليس بكاهن، قالوا: «مجنون» قالوا: ليس بمجنون، قالوا: «ساحر» قالوا: ليس بساحر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه فتدثر فيها، فأتاه جبريل فقال: ﴿يا أيها المزمل﴾ ﴿يا أيها المدثر﴾. البزار (٢٢٧٦ ـ كشف). قال في «المجمع» (٧/ ١٣٠): فيه مُعلّى بن عبد الرّحمن الواسطيُّ وهو كذّابٌ.

إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ
عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤
وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ فَإِذَا نُقِرَ
فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠
ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ
شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ
كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨

ربع الحزب ٥٨

٢٠ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدنى﴾: أقلَّ ﴿مِن ثُلُثَيِ اللَّيلِ ونصفِهِ وثُلُثِهِ﴾ - بالجرّ: عطفٌ على «ثُلثي»، وبالنصب: عطفٌ على «أدنى». وقِيامُه كذلك نحوُ ما أُمر به أوّلَ السورة - ﴿وطائفةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: عطفٌ على ضمير «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل - وقِيامُ طائفة من أصحابه كذلك للتأسّي به. ومنهم من كان لا يدري: كم صلّى من الليل؟ وكم بقي منه؟ فكان يقوم الليل كُلّه احتياطًا، فقاموا حتّى انتفخت أقدامهم سَنة أو أكثر، فخُفّف عنهم - قال تعالى(١): ﴿واللهُ يُقدِّرُ﴾: يُحصي ﴿اللَّيلَ والنَّهارَ، عَلِمَ أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿لَن تُحصُوهُ﴾ أي: الليلَ لتقوموا فيما يجب القِيام فيه، إلاّ بقِيام جميعه، وذلك يشُقّ عليكم، ﴿فتابَ عليكم﴾: رجعَ بكم إلى التخفيف. ﴿فاقرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ﴾ في الصلاة بأن تُصلّوا ما تيسّر.

﴿عَلِمَ أنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة، أي: أنّه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَرضَى، وآخَرُونَ يَضرِبُونَ في الأرضِ﴾: يُسافرون، ﴿يَبتَغُونَ مِن فَضلِ اللهِ﴾: يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها، ﴿وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ﴾. وكُلٌّ من الفِرَق الثلاث يشُقّ عليهم ما ذُكر في قيام الليل، فخُفّف عنهم بقيام ما تيسّر منه، ثمّ نُسخ ذلك بالصلوات الخمس. ﴿فاقرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ﴾ كما تقدم ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ المفروضة، ﴿وآتوا الزَّكاةَ، وأقرِضُوا اللهَ﴾ بأن تُنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرضًا حَسَنًا﴾ عن طِيب قلب - ﴿وما تُقَدِّمُوا لِأنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيرًا﴾ ممّا خلّفتم، وهو: فصلٌ وما بعده، وإن لم يكن معرفة، يُشبهها لامتناعه من التعريف، ﴿وأعظَمَ أجرًا - واستَغفِرُوا اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

٧٤ - سُورَةُ المُدَّثِّر

مكية، خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ﴾: النبيُّ - وأصله «المُتَدَثِّر» أُدغمت التاء في الدال - أي: المُتلفّف بثيابه عند نُزول الوحي عليه، ٢ - ﴿قُم فأنذِرْ﴾: خوِّفْ أهلَ مكّة النارَ إن لم يؤمنوا، ٣ - ﴿وربَّكَ فكبِّرْ﴾: عظِّم عن إشراك المُشركين، ٤ - ﴿وثيابَكَ فطَهِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصِّرْها خِلافَ جرّ العرب ثيابَهم خُيلاءَ فربّما أصابتها نجاسة، ٥ - ﴿والرِّجزَ﴾ - فسّره النبيُّ ﷺ بالأوثان - ﴿فاهجُرْ﴾ أي: دُم على هجره، ٦ - ﴿ولا تَمنُنْ تَستَكثِرُ﴾ - بالرفع حال - أي: لا تُعطِ شيئًا لتطلب أكثر منه، وهذا خاصّ به ﷺ لأنه مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب، ٧ - ﴿ولِرَبِّكَ فاصبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي.

٨ - ﴿فإذا نُقِرَ في النّاقُورِ﴾: نُفخ في الصُور - وهو القرن - النفخةُ الثانية ٩ - ﴿فذلِكَ﴾ أي: وقتُ النقر ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدل ممّا قبله المُبتدأ، وبُني لإضافته إلى غير مُتمكّن، وخبر المبتدأ: ﴿يَومٌ عَسِيرٌ﴾ - والعامل في «إذا» ما دلّت عليه الجملة، أي: اشتدّ الأمر - ١٠ - ﴿على الكافِرِينَ غَيرُ يَسِيرٍ﴾. فيه دلالة على أنه يسير على المُؤمنين، أي: في عُسره.

١١ - ﴿ذَرْنِي﴾: اترُكني ﴿ومَن خَلَقتُ﴾: عطفٌ على المفعول أو مفعول معه، ﴿وَحِيدًا﴾: حالٌ من «مَن» أو من ضميره المحذوف مِن «خلقتُ»، أي: منفردًا بلا أهل ولا مال - وهو الوليد بن المُغيرة - ١٢ - ﴿وجَعَلتُ لَهُ مالاً مَمدُودًا﴾: واسعًا مُتّصلاً من الزروع والضروع والتجارة ١٣ - ﴿وبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾: يشهدون المَحافل وتُسمع شهادتهم،

١٤ - ١٥ - ١٦ - ﴿ومَهَّدتُ﴾: بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعُمر والولد ﴿تَمهِيدًا، ثُمَّ يَطمَعُ أن أزِيدَ. كلاّ﴾ لا أزيده على ذلك - ﴿إنَّهُ كانَ

﴿لنْ تُحصوه﴾: لنْ تُطيقوا ضَبْطَ وَقتِ قِيامِهِ. ﴿فتاب عليكم﴾: بالتّرخيصِ في تركِ قيامِهِ المقدَّرِ. ﴿فاقرءُوا ما تيسر من القرآن﴾: فصلُّوا ما سَهُلَ عليكُم مِنْ صلاةِ اللّيلِ، وفي الصّلاةِ قرآنٌ. ﴿يضربون﴾: يُسافرونَ للتّجارةِ ونحوِها. ﴿أقيموا الصّلاة﴾: المفروضة. ﴿قرضاً حسناً﴾: احتساباً بطيبةِ نفسٍ.

﴿المدثر﴾: المتغشّي بثيابِهِ (النّبيُّ ﷺ). ﴿ربّك فكبر﴾: اخصصْ ربَّكَ بالتّكبيرِ والتّعظيمِ. ﴿ثيابك فطهّر﴾: كنايةٌ عن تطهيرِ النّفسِ مِنَ المذامِّ. ﴿الرجز فاهجر﴾: اهجرِ المآثمَ الموجبةَ للعذابِ. ﴿لا تمنن تستكثر﴾: لا تُعْطِ طالباً الكثيرَ عِوَضاً عنهُ. ﴿نقر في النّاقور﴾: نُفخَ في الصُّورِ للبعثِ والنُّشورِ. ﴿ذرني﴾: دَعْني وخلِّني (تهديدٌ ووعيدٌ). ﴿مالاً ممدوداً﴾: كثيراً دائماً غيرَ منقطعٍ عنهُ. ﴿بنين شهوداً﴾: حضوراً معَهُ، لا يُفارقونَهُ للتّكسُّبِ لغناهُم عنهُ. ﴿مهّدت له﴾: بَسَطتُ لهُ النِّعمةَ والرِّياسةَ والجاهَ. ﴿كلاّ﴾: كلمةُ رَدْعٍ وزجرٍ عنِ الطّمعِ الفارغِ. ﴿لآياتنا عنيداً﴾: معانداً جاحِداً أو مُجانباً للحقِّ. ﴿سأرهقه صعوداً﴾: سأُكلِّفُهُ عذاباً شاقّاً لا يُطاق. ﴿قدّر﴾: هيّأَ في نفسِهِ قَولاً طاعِناً في القرآنِ والرسولِ ﷺ.

(١) عن عائشة: لمّا أنزل عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا سنةً حتّى ورمَت أقدامهم فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾. الحاكم (٣٨٦١) وصححه، فقال الذهبي: «الحكم بن عبد الملك ضعيف». وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه، رواه الطبري (٢٣/ ٣٦٠). وعن سماك الحنفي عن ابن عباس نحوه، رواه أبو داود (١٣٠٥) بإسناد صحيح. وعن الحسن نحوه، رواه الطبري (٢٣/ ٣٦٢). واتفق هؤلاء على أنه كان بين أولها وآخرها سنة.

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ
﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا
إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا
لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ
يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ
مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

﴿لِآياتِنا﴾: القُرآن ﴿عَنِيدًا﴾: مُعاندًا ـ (١٧) ـ ﴿سأُرهِقُهُ﴾: أُكلّفه ﴿صَعُودًا﴾: مشقّة من العذاب أو جبلاً من نار يَصعد فيه ثمّ يهوي أبدًا. (١٨) ـ ﴿إنَّهُ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القُرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك ـ (١٩) ـ ﴿فقُتِلَ﴾: لُعِنَ وعُذّبَ ﴿كَيفَ قَدَّرَ﴾: على أيّ حال كان تقديره؟ (٢٠) ـ (٢١) ـ ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ ـ ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وُجوه قومه أو فيما يَقدَحُ به فيه، (٢٢) ـ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبَضَ وجهه وكلّحه ضِيقًا بما يقول، ﴿وبَسَرَ﴾: زاد في القبض والكلوح، (٢٣) ـ ﴿ثُمَّ أدبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿واستكبَرَ﴾: تكبّر عن اتّباع النبيّ ﷺ، (٢٤) ـ ﴿فقالَ﴾ فيما جاء به: ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلا سِحرٌ يُؤثَرُ﴾: يُنقل عن السَّحرة. (٢٥) ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ قَولُ البَشَرِ﴾ كما قالوا: «إنَّما يُعلِّمُهُ بَشَرٌ». (٢٦) ـ ﴿سأُصلِيهِ﴾: أُدخِلُه ﴿سَقَرَ﴾: جهنّمَ.

(٢٧) ـ ﴿وما أدراكَ: ما سَقَرُ﴾؟ تعظيمٌ لشأنها. (٢٨) ـ ﴿لا تُبقِي ولا تَذَرُ﴾ شيئًا من لحم ولا عصب إلاّ أهلكته ثمّ يعود كما كان، (٢٩) ـ ﴿لَوّاحةٌ لِلبَشَرِ﴾: مُحرقة لظاهر الجلد، (٣٠) ـ ﴿عليها تِسْعةَ عَشَرَ﴾[1] ملَكًا خزنتُها؟ قال بعض الكُفّار، وكان قويًّا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعةَ عشَرَ، واكفوني أنتم اثنين. قال تعالى:

(٣١) ـ ﴿وما جَعَلْنا أصحابَ النّارِ إلاّ مَلائكةً﴾[2]، أي: فلا يُطاقون كما يَتوهّمون، ﴿وما جَعَلْنا عِدّتَهُم﴾ ذلك ﴿إلاّ فِتْنَةً﴾: ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لمَ كانوا تسعةَ عشَرَ؟ ﴿لِيَستَيقِنَ﴾: ليستَبينَ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ أي: اليهودُ صِدقَ النبيّ في كونِهم تسعةَ عشَرَ المُوافقِ لِما في كِتابهم، ﴿ويَزدادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إيمانًا﴾ تصديقًا لمُوافقة ما أتى به النبيّ ﷺ لِما في كِتابهم، ﴿ولا يَرتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ والمُؤمِنُونَ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة، ﴿ولِيَقُولَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: شكٌّ بالمدينة ﴿والكافِرُونَ﴾ بمكّة: ﴿ماذا أرادَ اللهُ بِهذا﴾ العدد ﴿مَثَلاً﴾؟ سمَّوه لغرابته بذلك، وأُعرِب حالاً ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إضلالِ مُنكِرِ هذا العدد وهَدْيِ مُصدّقِه ﴿يُضِلُّ اللهُ مَن يَشاءُ ويَهدِي مَن يَشاءُ ـ وما يَعلَمُ جُنودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكةَ في قوّتهم وأعوانهم، ﴿إلاّ هُوَ، وما هِيَ﴾ أي: سقرُ ﴿إلاّ ذِكرَى﴾: عِظةٌ ﴿لِلبَشَرِ﴾.

(٣٢) ـ (٣٣) ـ ﴿كَلاّ﴾: استفتاحٌ بمعنى: ألا ﴿والقَمَرِ، واللَّيلِ إذا﴾، بفتح الذال، ﴿دَبَرَ﴾: جاء بعد النهار ـ وفي قِراءة: «إذْ أدبَرَ» بسكون الذال بعدها همزة، أي: مضى ـ (٣٤) ـ ﴿والصُّبحِ إذا أَسفَرَ﴾: ظهر، (٣٥) ـ ﴿إنَّها﴾ أي: سقرَ ﴿لَإحدَى الكُبَرِ﴾: البلايا العِظام، (٣٦) ـ (٣٧) ـ ﴿نَذِيرًا﴾: حالٌ من «إحدى الكبر»، وذُكّر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِلبَشَرِ، لِمَن شاءَ مِنكُم﴾: بدلٌ من «للبشر» ﴿أن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو الجنّة بالإيمان ﴿أو يَتأخَّرَ﴾ إلى الشرّ أو النار بالكُفر.

(٣٨) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينةٌ﴾: مرهونة مأخوذة بعملها في النار، (٣٩) ـ ﴿إلاّ أصحابَ اليَمِينِ﴾ وهم المُؤمنون فناجون منها، كائنون (٤٠) ـ ﴿في جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ﴾ بينهم (٤١) ـ ﴿عَنِ المُجرِمِينَ﴾ وحالهم، ويقولون لهم بعد إخراج المُوحّدين من النار: (٤٢) ـ ﴿ما سَلَكَكُم﴾: أدخلكم ﴿في سَقَرَ﴾؟

﴿فقتل﴾: لُعِنَ وعُذّبَ أو قُبّح. ﴿نظر﴾: تأمّلَ فيما قدّرَ وهيّأَ مِنَ الطَّعْنِ. ﴿عَبَس﴾: قَطَّبَ وَجْهَهُ لمَّا ضاقَتْ عليهِ الحِيَلُ. ﴿بَسَر﴾: اشتدَّ في العبوسِ وكُلُوحِ الوَجْهِ. ﴿سِحْرٌ يُؤثر﴾: يُرْوَى ويُتَعلَّمُ مِنَ السَّحَرَةِ. ﴿سأصليه سَقَر﴾: سأُدْخِلُهُ جهنَّمَ. ﴿لوّاحة للبشر﴾: مُسودةٌ للجلودِ، مُحْرِقَةٌ لها. ﴿فتنة﴾: سببَ فتنةٍ وضلالٍ. ﴿و ما هي﴾: وما سَقَرُ. ﴿والليل إذ أدبَر﴾: وَلَّى وذهَبَ (قسمٌ). ﴿والصبح إذا أسْفَر﴾: أضاءَ وانكشفَ (قسمٌ). ﴿إنها لإحدى الكُبَر﴾: لإحدى الدَّواهي العظيمةِ (جوابُهُ). ﴿أنْ يتقدّم﴾: إلى الخيْرِ والطَّاعةِ. ﴿بما كَسَبَتْ رَهينة﴾: مَرْهونةٌ عندَهُ تعالى بعَمَلِها. ﴿ما سلككم؟﴾: أيُّ شيءٍ أدْخلَكُمْ؟. ﴿كنّا نخوض﴾: نَشْرعُ في الباطلِ لا نُبالي بِهِ. ﴿بيوم الدّين﴾: بيَوْمِ البعْثِ والحِسَابِ والجزاءِ.

(١) عن عكرمةَ عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ القرآن على الوليد بن المغيرة، فكأنه رَقَّ له، فبلَغ ذلك أبا جهلٍ، فقال له: يا عمِّ إنَّ قومك يريدون أنْ يَجْمعوا لك مالاً لِيُعطُوكهُ، فإنَّكَ أتيتَ محمدًا تتعرَّضُ لِمَا قِبَلَه، فقال: قد علمت قريشٌ أنّي مِن أكثرِها مالاً، قال: فقُلْ فيه قولاً يبلغُ قومك أنَّك منكِرٌ له وكارهٌ، قال: وماذا أقولُ؟ فواللهِ ما فيكُم رجلٌ أعلمُ بالأشعار منّي، ولا أعلمُ برَجَزها وبقصيدِها منّي، والله ما يُشبه الذي يقولُ شيئًا من هذا، والله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنه لمثمِرٌ أعلاه مُغْدِقٌ أسفلُه وإنه ليعلو ولا يُعلَى، قال: لا يرضى عنك قومُك حتَّى تقولَ فيه، قال: فدعني حتى أفكرَ فيه، فقال: هذا سحرٌ يؤْثرُ يَأثُره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ الآياتِ كلَّها. الحاكم (٣٨٧٢) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨)، والواحدي (ص: ٤٤٧). وجوَّد إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٣)، وهو عند الطبري (٢٣/ ٤٢٩) من قول عكرمة، وفيه: فنزلت هذه الآيةُ حتَّى بلغ ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [٣٠].

(٢) عن ابن إسحاق: قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، أفيعجز مئة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾. «سيرة ابن هشام» (١/ ٣١٣).

(٤٣) - (٤٤) - (٤٥) - (٤٦) - ﴿**قالوا: لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ، ولَم نَكُ نُطعِمُ المِسكِينَ، وكُنّا نَخُوضُ**﴾ في الباطل ﴿**مَعَ الخائضِينَ، وكُنّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ**﴾: البعث والجزاء (٤٧) - ﴿**حَتَّى أتانا اليَقِينُ**﴾: الموت.

(٤٨) - ﴿**فما تَنفَعُهُم شَفاعةُ الشّافِعِينَ**﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين. والمعنى: لا شفاعةَ لهم.

(٤٩) - ﴿**فما**﴾: مبتدأ ﴿**لَهُم**﴾: خبره مُتعلِّق بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿**عَنِ التَّذكِرةِ مُعرِضِينَ**﴾؟ حال من الضمير، والمعنى: أيُّ شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ؟ (٥٠) - ﴿**كأَنَّهُم حُمُرٌ مُستَنفِرةٌ**﴾: وحشيّة، (٥١) - ﴿**فَرَّتْ مِن قَسْوَرةٍ**﴾: أسدٍ، أي هربتْ منه أشدّ الهرب؟ (٥٢) - ﴿**بَل يُرِيدُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُؤتَى صُحُفًا مُنَشَّرةً**﴾[1] أي: من الله - تعالى - باتّباع النبيّ كما قالوا: «لَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ، حَتَّى تُنَزِّلَ علَينا كِتابًا نَقرَؤُهُ». (٥٣) - ﴿**كَلّا**﴾: ردعٌ عمّا أرادوه، ﴿**بَل لا يَخافُونَ الآخِرةَ**﴾ أي: عذابها.

نصف الحزب ٥٨

(٥٤) - ﴿**كَلّا**﴾: استفتاح ﴿**إنَّهُ**﴾ أي: القُرآنَ ﴿**تَذكِرةٌ**﴾: عِظة، (٥٥) - ﴿**فمَن شاءَ ذَكَرَهُ**﴾: قرأه فاتّعظ به، (٥٦) - ﴿**وما يَذكُرُونَ**﴾ - بالياء والتاء - ﴿**إلاّ أن يَشاءَ اللهُ. هُوَ أهلُ التَّقوَى**﴾ بأن يُتّقى ﴿**وأهلُ المَغفِرةِ**﴾ بأن يَغفر لمن اتّقاه.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟
ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾
وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٧٥ - سُورَةُ القِيَامَةِ

مكية، وهي أربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٢) - ﴿**لا**﴾ زائدةٌ في الموضعين ﴿**أُقسِمُ بِيَومِ القِيامةِ، ولا أُقسِمُ بِالنَّفسِ اللَّوّامةِ**﴾ التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الإحسان. وجوابُ القسم محذوف، أي: لتُبعَثُنَّ. دلّ عليه: (٣) - ﴿**أيَحسَبُ الإنسانُ**﴾ أي: الكافر ﴿**أن لَن نَجمَعَ عِظامَهُ**﴾[2] للبعث والإحياء؟ (٤) - ﴿**بَلَى**﴾ نجمعُها ﴿**قادِرِينَ**﴾ مع جمعها ﴿**علَى أن نُسَوِّيَ بَنانَهُ**﴾ - وهو الأصابع - أي: نُعيدَ عِظامها كما كانت مع صِغرها. فكيف بالكبيرة؟ (٥) - ﴿**بَل يُرِيدُ الإنسانُ لِيَفجُرَ**﴾ - اللام: زائدة. ونصبه بـ «أنْ» مُقدّرةً - أي: أن يُكذِّب ﴿**أمامَهُ**﴾ أي: يومَ القيامة. دلّ عليه: (٦) - ﴿**يَسأَلُ: أيّانَ**﴾: متى ﴿**يَومُ القِيامةِ**﴾ سُؤالَ استهزاء وتكذيب؟

(٧) - ﴿**فإذا بَرِقَ البَصَرُ**﴾، بكسر الراء وفتحها: دَهِشَ وتَحيّرَ لِما رأى ممّا كان يُكذّب به، (٨) - ﴿**وخَسَفَ القَمَرُ**﴾: أظلم وذهب ضوءُه، (٩) - ﴿**وجُمِعَ الشَّمسُ والقَمَرُ**﴾ فطلعا من المغرب، أو ذهب ضوءُهما - وذلك في يوم القيامة - (١٠) - ﴿**يَقُولُ الإنسانُ يَومَئذٍ: أينَ المَفَرُّ**﴾ الفِرار؟
(١١) - ﴿**كَلّا**﴾: ردعٌ عن طلب الفِرار، ﴿**لا وَزَرَ**﴾: لا ملجأ يُتحصّن به. (١٢) - ﴿**إلَى رَبِّكَ يَومَئذٍ المُستَقَرُّ**﴾: مُستقرّ الخلائق فيُحاسَبون ويُجازَون.
(١٣) - ﴿**يُنَبَّأُ الإنسانُ يَومَئذٍ بِما قَدَّمَ وأخَّرَ**﴾: بأوّل عمله وآخره. (١٤) - ﴿**بَلِ الإنسانُ علَى نَفْسِهِ بَصِيرةٌ**﴾: شاهدٌ تنطِق جوارحُه بعمله - والهاء:

﴿حُمُرٌ مُسْتَنفِرَة﴾: حُمُرٌ وَحْشِيَّةٌ، شديدةُ النِّفارِ. ﴿قَسْورة﴾: أسدٍ. أوِ الرُّماةِ القنَّصِ. ﴿أهل التقوى﴾: أهلٌ أن يَتَّقِيَهُ عبادُهُ.
﴿لا أقسِم﴾: أقْسِمُ. و«لا» مزيدةٌ. ﴿بالنّفس اللوّامة﴾: كثيرةِ اللَّوْمِ والنَّدَمِ على ما فات. ﴿بَلَى﴾: نجمَعُهَا بَعْدَ التَّفرُّقِ والبِلَى. ﴿نُسوّي بَنانه﴾: أطرافَ أصابعِهِ فنَرُدَّ عِظامَها كما كانَتْ على صِغَرِها بقُدْرَتنا فكيفَ بكِبارِها. ﴿لِيَفْجُر أمامه﴾: لِيَدومَ على فجورِهِ مُدَّةَ عُمْرِهِ. ﴿برَق البصر﴾: دَهِشَ وتَحَيَّرَ فزَعاً ممَّا رأى. ﴿خَسَف القمر﴾: ذهَبَ ضوءُهُ. ﴿جُمِعَ الشّمس والقمر﴾: في الطُّلوعِ مِنَ المغربِ مُظلمَيْنِ. ﴿أينَ المَفرّ؟﴾: المَهْرَبُ مِنَ العذابِ أوِ الهَوْلِ. ﴿لا وَزر﴾: لا مَلْجَأَ ولا مَنْجَى لهُ مِنَ اللهِ. ﴿بَصيرَة﴾: حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ أو عَيْنٌ بَصيرةٌ. ﴿لوْ ألقى مَعاذيره﴾: لوْ جاءَ بكلِّ عُذرٍ لم يَنفعْهُ. ﴿جمعه﴾: في صَدْرِكَ وحِفْظَكَ إيَّاهُ. ﴿قرآنه﴾: أنْ تَقْرَأَهُ بلسانِكَ مَتى شِئتَ. ﴿قرأناه﴾: أتمَمْنا قراءَتَهُ عليكَ بلسانِ جبريلَ. ﴿بَيانه﴾: تَفْسيرَ ما أشكلَ مِنْ مَعانيهِ.

(١) عن السدي: قالوا: لئن كان محمد صادقاً فلْيصبِحْ تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار، فنزلت: ﴿بل يريد﴾ الآية. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ٢٠٦).

(٢) نَزَلَتْ في عدِيِّ بن ربيعةَ - ختَنِ الأخنسِ بن شريقٍ - حينَ أتى النَّبيَّ عليهِ السَّلامُ فقال: حدِّثْني عن يومِ القيامةِ متى يكونُ؟ وكيف أمرُها وحالُها؟ فأخبره بذلك، فقال: لو عاينتُ ذلك اليومَ لم أصدِّقْكَ ولمْ أؤمِنْ به، أوَيجمعُ اللهُ هذه العظامَ؛ فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ. «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩)، والثعلبي (٢٨/ ١١٥)، والواحدي (ص: ٤٤٨)، والبغوي (٨/ ٢٨٠)، ولم يذكروا له سنداً ولا راوياً.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ
﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ
﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا
صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ
﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ
أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ
وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا
هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟
وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

للمبالغة ـ فلا بُدّ من جزائه، (١٥) ـ ﴿ولَو ألقَى مَعاذِيرَهُ﴾: جمعُ مَعذِرة على غير قياس، أي: لو جاء بكُلّ معذرة ما قُبلت منه.

قال تعالى لنبيّه: (١٦) ـ ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ﴾: بالقُرآن قبل فراغ جِبريلَ منه ﴿لِسانَكَ، لِتَعجَلَ بِهِ﴾[1] خوفَ أن ينفلت منك. (١٧) ـ ﴿إنَّ علَينا جَمعَهُ﴾ في صدرك ﴿وقُرآنَهُ﴾: قِراءتك إياه، أي: جَرَيانَه على لسانك ـ (١٨) ـ ﴿فإذا قَرأْناهُ﴾ عليك بقِراءة جِبريلَ ﴿فاتَّبِعْ قُرآنَهُ﴾: استمع قِراءته. فكان ﷺ يستمع، ثمّ يقرؤه ـ (١٩) ـ ﴿ثُمَّ إنَّ علَينا بَيانَهُ﴾ بالتفهيم لك. والمُناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنّ تلك تضمّنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمّنت المُبادرة إليها بحفظها.

(٢٠) ـ ﴿كَلاّ﴾: استفتاحٌ بمعنى: ألا ﴿بَل يُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾: الدنيا ـ بالياء والتاء، في الفعلين ـ (٢١) ـ ﴿ويَذَرُونَ الآخِرةَ﴾ فلا يعملون لها، (٢٢) ـ ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿ناضِرةٌ﴾: حسنةٌ مُضيئة، (٢٣) ـ ﴿إلَى رَبِّها ناظِرةٌ﴾ أي: يرون اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ في الآخرة، (٢٤) ـ ﴿ووُجُوهٌ يَومَئِذٍ باسِرةٌ﴾: كالحةٌ شديدة العُبوس، (٢٥) ـ ﴿تَظُنُّ﴾: تُوقِن ﴿أن يُفعَلَ بِها فاقِرةٌ﴾: داهية عظيمة تكسر فقارَ الظهر.

(٢٦) ـ ﴿كَلاّ﴾ بمعنى: ألا ﴿إذا بَلَغَتِ﴾ النفسُ ﴿التَّراقِيَ﴾: عِظامَ الحلق، (٢٧) ـ ﴿وقِيلَ﴾ قال مَن حولَه: ﴿مَن راقٍ﴾ يَرقِيه ليُشفى؟ (٢٨) ـ ﴿وظَنَّ﴾: أيقنَ مَن بلغتْ نفسه ذلك ﴿أنَّهُ الفِراقُ﴾ فراق الدنيا، (٢٩) ـ ﴿والتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ﴾ أي: إحدى ساقَيه بالأُخرى عِند الموت، أو التفّتْ شِدّة فِراق الدنيا بشِدّة إقبال الآخرة، (٣٠) ـ ﴿إلَى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المَساقُ﴾ أي: السَّوقُ. وهذا يدلّ على العامل في «إذا». المعنى: إذا بلغتِ النفس الحُلقومَ تُساق إلى حُكم ربّها. (٣١) ـ ﴿فلا صَدَّقَ﴾ الإنسانُ ﴿ولا صَلَّى﴾ أي: لم يُصدّق ولم يصلِّ، (٣٢) ـ ﴿ولكِن كَذَّبَ﴾ بالقُرآن ﴿وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، (٣٣) ـ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إلَى أهلِهِ يَتَمَطَّى﴾: يتبختر في مِشيته إعجابًا. (٣٤) ـ ﴿أولَى لَكَ﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة. والكلمة اسمُ فعلٍ. واللام: للتبيين ـ أي: وَلِيَكَ ما تكره! ﴿فأولَى﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك، (٣٥) ـ ﴿ثُمَّ أَولَى لَكَ فأَولَى﴾[2]: تأكيدٌ! (٣٦) ـ ﴿أيَحسِبُ﴾: يظنّ ﴿الإنسانُ أن يُترَكَ سُدًى﴾: هَمَلاً، لا يُكلّف بالشرائع؟ أي: لا يَحسِبْ ذلك. (٣٧) ـ ﴿ألَم يَكُ﴾ أي: كان ﴿نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ تُمنَى﴾، بالتاء والياء: تُصبّ في الرحم، (٣٨) ـ ﴿ثُمَّ كانَ﴾ المنيُّ ﴿عَلَقَةً، فخَلَقَ﴾ الله منها الإنسانَ ﴿فسَوَّى﴾: عدّل أعضاءه، (٣٩) ـ ﴿فجَعَلَ مِنهُ﴾: من المنيّ الذي صار علقة: قِطعة دم، ثمّ مُضغة أي: قِطعة لحم ﴿الزَّوجَينِ﴾: النوعين ﴿الذَّكَرَ والأُنثَى﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كُلّ منهما عن الآخر تارة؟ (٤٠) ـ ﴿ألَيسَ ذلِكَ﴾ الفعّالُ لهذه الأشياءِ ﴿بِقادِرٍ علَى أن يُحيِيَ المَوتَى﴾؟ قال ﷺ: بَلَى.

٧٦ ـ سُورَةُ الإِنسَانِ

مكية أو مدنية، إحدى وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿هَلْ﴾: قد ﴿أتَى علَى الإنسانِ﴾ آدمَ ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهرِ﴾ أربعون سنة، ﴿لَم يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيئًا مَذكُورًا﴾؟ كان فيه مُصوَّرًا من طِين لا يُذكر.

﴿ناضِرَة﴾: حَسَنةٌ مُشْرِقةٌ مُتهلِّلةٌ. ﴿باسِرَة﴾: شديدةُ الكلوحَةِ والعُبُوس. ﴿فاقِرَة﴾: داهيةٌ عظيمةٌ تقْصِمُ فقَارَ الظهْرِ. ﴿بلَغتِ التّراقي﴾: وَصَلتِ الرُّوحُ لأعلى الصَّدْرِ. ﴿منْ راق؟﴾: مَنْ يُداويهِ وينجيهِ مِنَ الموتِ؟. ﴿التفّت..﴾: الْتَوَتْ. أَو الْتَصَقَتْ.. ﴿المَساق﴾: سَوْقُ العِبادِ للجزاءِ. ﴿يتَمطى﴾: يَتبَختَرُ في مِشيَتِهِ اخْتِيالاً. ﴿أوْلى لك﴾: قارَبَكَ ما يُهْلِكُكَ. ﴿يُترَك سُدَى﴾: مُهْمَلاً فلا يُكلَّف ولا يُجازَى. ﴿مَنِيّ يُمنَى﴾: يُصَبُّ في الرَّحم. ﴿فَسَوّى﴾: فعَدَّلَهُ وكَمَّلَهُ ونَفَخَ فيهِ الرُّوحَ. ﴿أمشاج﴾: أخلاطٍ ممتزجةٍ مُتبايِنَةِ الصِّفاتِ. ﴿نبتليه﴾: مُبْتَلينَ لهُ بالتّكاليفِ فيما بعدُ. ﴿هديناه السّبيل﴾: بيّنّا لهُ طريقَ الهدايةِ والضَّلالِ. ﴿سلاسل﴾: بها يُقادونَ وفي النّارِ يُسحبونَ. ﴿أغلالاً﴾: بها تُجمَعُ أيديهِم إلى أعناقِهِم ويُقيَّدونَ. ﴿كأس﴾: خَمْرٍ أو زُجاجةٍ فيها خَمرٌ. ﴿مزاجُها﴾: ما تُمْزَجُ الكأسُ بِهِ وتُخْلَطُ. ﴿كافوراً﴾: ماءً كالكافورِ في أحسنِ أوصافِهِ.

(١) عن ابن عباس: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه يريد أن يحفظه، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾. البخاري (٤٩٢٧)، ومسلم (٤٤٨).

(٢) عن ابن عباس: أن أبا جهل لما سمع بقوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمعُ ابن أبي كبشة يخبركم أن خزَنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحي إلى رسول الله ﷺ أن يأتي أبا جهل، فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول له: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ ففعل، فقال أبو جهل: والله لا تفعل أنت وربك شيئاً، فأخزاه الله يوم بدر. الطبري (٢٣/ ٤٣٦) وإسناده ضعيف جدا. وروى نحوه عبد الرزاق في (٣٤١٦)، والطبري (٢١/ ٦١) و(٢٣/ ٥٢٥)، عن قتادة، وبنحوه أيضاً في «تفسير ابن أبي زمنين» (٥/ ٦٦ ـ ٦٧) عن الحسن.

عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ
يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا
وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ
مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾
وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا
﴿١٨﴾ ۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ
خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا
طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا
نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ
مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾

أو المراد بالإنسانِ الجِنسُ وبالحِينِ مُدّةُ الحَمل. (٢) ـ (٣) ـ ﴿إنّا خَلَقْنا الإنسانَ﴾ الجنس ﴿مِن نُطْفةٍ أمشاجٍ﴾: أخلاط، أي: من ماء الرجل وماء المرأة المُختلطينِ المُمتزجينِ، ﴿نبتَلِيهِ﴾: نختبرُه بالتكليف ـ والجملة: مُستأنفة أو حال مُقدّرة ـ أي: مُريدين ابتلاءه حِين تأهّله، ﴿فجَعَلْناهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا. إنّا هَدَيناهُ السَّبيلَ﴾: بيّنّا له طريق الهُدى ببعث الرسل، ﴿إمّا شاكِرًا﴾ أي: مُؤمنًا ﴿وإمّا كَفُورًا﴾: حالان من المفعول، أي: بيّنّا له في حال شُكره أو كُفره المُقدّرة. وإمّا: لتفصيل الأحوال.

(٤) ـ ﴿إنّا أعتَدْنا﴾: هيّأنا ﴿لِلكافِرينَ سَلاسِلَ﴾، يُسحَبون بها في النار ﴿وأغلالاً﴾ في أعناقهم تُشدّ فيها السلال ﴿وسَعِيرًا﴾: نارًا مُسعَّرة، أي: مُهيَّجة يُعذّبون بها. (٥) ـ (٦) ـ ﴿إنَّ الأبرارَ﴾: جمع بَرٍّ، أو بارٍّ ـ وهم المُطيعون ـ ﴿يَشرَبُونَ مِن كأسٍ﴾، هو إناء شُربِ الخمرِ وهي فيه ـ والمراد: من خمرٍ، تسميةً للحالّ باسم المحَلّ. ومِن: للتبعيض ـ ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿كافُورًا، عَينًا﴾: بدلٌ من «كافورًا» فيها رائحتُه، ﴿يَشرَبُ بها﴾: منها ﴿عِبادُ اللهِ﴾: أَولياؤه، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفجِيرًا﴾: يقودونها حيثُ شاؤوا من منازلهم.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

(٧) ـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذرِ﴾ في طاعة الله، ﴿ويَخافُونَ يومًا كانَ شَرُّهُ مُستَطِيرًا﴾: مُنتشرًا، (٨) ـ ﴿ويُطعِمُونَ الطَّعامَ[1] علَى حُبِّهِ﴾ وشهوتهم له ﴿مِسكِينًا﴾: فقيرًا ﴿ويَتِيمًا﴾ لا أبَ له ﴿وأسِيرًا﴾ ـ يعني المحبوس بحقّ ـ (٩) ـ ﴿إنَّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللهِ﴾: لطلب ثوابه، ﴿لا نُرِيدُ مِنكُم جَزاءً ولا شُكُورًا﴾: شُكرًا. فيه عِلّة الإطعام. وهل تكلّموا بذلك، أو عَلِمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولانِ.

(١٠) ـ ﴿إنّا نَخافُ مِن رَبِّنا يَومًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كريهَ المنظر لشِدّته، ﴿قَمطَرِيرًا﴾: شديدًا في ذلك.

(١١) ـ (١٢) ـ ﴿فوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلِكَ اليَومِ، ولَقّاهُم﴾: أعطاهم ﴿نَضْرةً﴾: حُسنًا وإضاءة في وُجوههم ﴿وسُرُورًا، وجَزاهُم بِما صَبَرُوا﴾: بصبرهم عن المعصية ﴿جَنّةً﴾ أُدخِلوها ﴿وحَرِيرًا﴾ أُلبسوه، (١٣) ـ ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ من مرفوع «أُدخِلوها» المُقدّر، ﴿فِيها علَى الأرائِكِ﴾: السُّرر في الحِجال، ﴿لا يَرَونَ﴾: لا يجدون: حالٌ ثانية ﴿فِيها شَمسًا ولا زَمهَرِيرًا﴾ أي: لا حرًّا ولا بردًا ـ وقيل: الزمهرير: القمر. فهي مُضيئة من غير شمس ولا قمر ـ (١٤) ـ ﴿ودانِيَةً﴾: قريبة، عطفٌ على محلّ «لا يرون»، أي: غيرَ رائين، ﴿علَيهِم﴾: منهم ﴿ظِلالُها﴾: شجرِها، ﴿وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذلِيلاً﴾: أُدنِيَتْ ثِمارها، فينالها القائم والقاعد والمضطجع.

(١٥) ـ (١٦) ـ ﴿ويُطافُ علَيهِم﴾ فيها ﴿بِآنِيَةٍ مِن فِضّةٍ وأكْوابٍ﴾: أقداح بلا عُرى، ﴿كانَتْ قَوارِيرَ، قَوارِيرَ مِن فِضّةٍ﴾ أي: أنها من فِضّة، يُرى باطنها من ظاهرها كالزجاج، ﴿قَدَّرُوها﴾ أي: الطائفون ﴿تَقدِيرًا﴾ على قدر رِيّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص ـ وذلك ألذُّ الشراب ـ (١٧) ـ (١٨) ـ ﴿ويُسقَونَ فِيها كأسًا﴾ أي: خمرًا ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿زَنجَبِيلاً، عَينًا﴾: بدلٌ من «زنجبيلاً» ﴿فِيها تُسَمَّى سَلسَبِيلاً﴾، يعني أنّ ماءها كالزنجبيل الذي تستلذّ به العرب سهلُ المساغ في الحلق.

(١٩) ـ ﴿ويَطُوفُ علَيهِم وِلدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: بصفة الوِلدان لا يَشيبون، ﴿إذا رأيتَهُم حَسِبتَهُم﴾ لحُسنهم وانتشارهم في الخِدمة ﴿لُؤلُؤًا مَنثُورًا﴾ من سِلكه، أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك ـ (٢٠) ـ ﴿وإذا رأيتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَتِ الرؤيةُ منك في الجنّة ﴿رأيتَ﴾:

﴿عيناً﴾: ماءَ عَيْنٍ أو خَمْرَ عيْنٍ. ﴿يَشرب بها﴾: يَشربُ منها. أو يَرتوي بها. ﴿يُفجّرونها﴾: يُجْرونَها حيثُ شاؤوا مِن منازِلِهم. ﴿مستطِيراً﴾: فاشِياً مُنتشِراً غايةَ الانتشارِ. ﴿يوماً عبوساً﴾: تكْلَحُ فيهِ الوُجوهُ لِهَوْلِهِ. ﴿قمطريراً﴾: شديدَ العُبوسِ. ﴿لقّاهم نضرة﴾: أعطاهُم حُسْناً وبَهْجَةً في الوُجوهِ. ﴿الأرائك﴾: السُّرُرِ في الحِجالِ (جمع حَجَلة مُحرَّكة بيتٌ يُزيَّنُ بالقِبابِ والأسِرَّةِ والسُّتورِ). ﴿زمهريراً﴾: بَرْداً شديداً. أو قَمَراً. ﴿دانِية عليهم ظلالها﴾: قريبةً منهُم ظلالُ أشجارِها. ﴿ذلّلتْ قطوفها﴾: قُرِّبَتْ ثِمارُها لمتناولِها. ﴿أكواب﴾: أقداحٍ بلا عرىً وخراطيمَ. ﴿قوارير﴾: كالزَّجاجاتِ في الصَّفاءِ. ﴿قدّروها﴾: جعَلوا شرابَها على قدْرِ الرِّيِّ. ﴿كأسًا﴾: خَمْراً أو زجاجةً فيها خَمْرٌ. ﴿مزاجُها﴾: ما تُمزَجُ بهِ وتُخْلطُ. ﴿زنجبيلاً﴾: ماءً كالزَّنجبيلِ في أحْسَنِ أوصافِهِ. ﴿تُسَمّى سلسبيلاً﴾: يُوصَفُ شرابُها بالسَّلاسةِ في الانسياغِ. ﴿ولدان مُخلّدون﴾: مُبقَّوْنَ على هيْئةِ الولدانِ في البَهاءِ. ﴿لؤلؤاً منثوراً﴾: اللُّؤلؤَ المُفرَّقَ في الحُسْنِ والصَّفاءِ. ﴿ثياب سندس﴾: ثِيابٌ مِن ديباجٍ رقيقٍ. ﴿إستبرقَ﴾: ديباجٌ غليظٌ. ﴿بكرة وأصيلاً﴾: أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ. أو دائماً.

(١) قيلَ: نزلَت في أبي الدَّحداحِ الأنصاريِّ، صامَ يوماً فلمَّا أرادَ أن يُفطِرَ جاءَه مسكينٌ ويتيمٌ وأسيرٌ، فأطعمَهم ثلاثةَ أرغفةٍ، وبقيَ له هوَ وزوجتُه رغيفٌ واحد. «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٥).

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ
وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

جوابُ «إذا» ﴿نَعِيمًا﴾ لا يُوصف ﴿ومُلكًا كَبِيرًا﴾[1]: واسعًا لا غاية له ـ (٢١) ـ ﴿عالِيَهُم﴾: فوقَهم، فنصبُه على الظرفيّة، وهو خبر المُبتدأ بعده، وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المُتّصل به للمَطوف عليهم، ﴿ثِيابُ سُندُسٍ﴾: حريرٍ ﴿خُضرٌ﴾، بالرفع، ﴿وإستبرَقٍ﴾ بالجرّ: ما غلُظ من الدِّيباج فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكسُ ما ذُكر فيهما، وفي أُخرى برفعهما، وأُخرى بجرّهما، ﴿وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضّةٍ﴾ ـ وفي مواضع أُخرَى: «مِن ذَهَبٍ»، للإيذان أنهم يُحلَّون من النوعين معًا ومُفرّقًا ـ ﴿وسَقاهُم رَبُّهُم شَرابًا طَهُورًا﴾ مُبالغةٌ في طهارته ونظافته، بخِلاف خمر الدنيا: (٢٢) ـ ﴿إنَّ هذا﴾ النعيمَ ﴿كانَ لَكُم جَزاءً، وكانَ سَعيُكُم مَشكُورًا﴾.

(٢٣) ـ ﴿إنّا نَحنُ﴾ ـ تأكيد لاسم «إنْ» أو فصلٌ ـ ﴿نَزَّلْنا علَيكَ القُرآنَ تَنزِيلاً﴾: خبرُ «إنْ» أي: فصّلناه، ولم نُنزِله جُملة واحدة. (٢٤) ـ ﴿فاصبِرْ لِحُكم رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته، ﴿ولا تُطِعْ مِنهُم﴾ أي: الكُفّارِ ﴿آثِمًا أو كَفُورًا﴾ أي: عُتبةَ بنَ ربيعة والوليدَ بنَ المُغيرة[2] ـ قالا للنبي: ارجِعْ عن هذا الأمر. ويجوز أن يُراد كُلُّ آثم وكافر، أي: لا تطع أحدَهما أيًّا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر ـ (٢٥) ـ ﴿واذكُرِ اسمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وأصِيلاً﴾ يعني الفجرَ والظهر والعصر، (٢٦) ـ ﴿ومِنَ اللَّيلِ فاسجُدْ لَهُ﴾ يعني المغربَ والعِشاء، ﴿وسَبِّحْهُ لَيلاً طَوِيلاً﴾: صلِّ التطوّعَ فيه كما تقدّم من ثُلثيه أو نِصفِه أو ثُلثِه.

(٢٧) ـ ﴿إنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾ الدنيا، ﴿ويَذَرُونَ وَراءَهُم يَومًا ثَقِيلاً﴾: شديدًا، أي: يومَ القيامة لا يعملون له. (٢٨) ـ ﴿نَحنُ خَلَقْناهُم، وشَدَدْنا﴾: قوّينا ﴿أسْرَهُم﴾ أعضاءهم ومفاصلهم، ﴿وإذا شِئْنا بَدَّلْنا﴾: جعلنا ﴿أمثالَهُم﴾ في الخِلقة بدلاً منهم بأن نُهلكهم ﴿تَبدِيلاً﴾: تأكيد. ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إنْ يَشَأْ يُذهِبْكُم» لأنه ـ تعالى ـ لم يشأ ذلك، وإذا: لِما يقعُ.

(٢٩) ـ ﴿إنَّ هذِهِ﴾ السورةَ ﴿تَذكِرةٌ﴾: عِظة للخلق. ﴿فمَن شاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا بالطاعة. (٣٠) ـ ﴿وما يَشاؤُونَ﴾، بالياء والتاء، اتخاذَ السبيل بالطاعة ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ﴾ ذلك. ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في فِعله، (٣١) ـ ﴿يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحمَتِهِ﴾: جنّته ـ وهم المُؤمنون ـ ﴿والظّالِمِينَ﴾ ناصبُه فِعل مُقدّر، أي: أوعدَ، يفسّره: ﴿أعَدَّ لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا. وهم الكافرون.

* * *

٧٧ ـ سورة والمُرسَلات

مكية، خمسون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والمُرسَلاتِ عُرْفًا﴾ أي: الرياحِ مُتتابعةً كعُرف الفرس يتلو بعضه بعضًا ـ ونصبُه على الحال ـ (٢) ـ ﴿فالعاصِفاتِ عَصْفًا﴾: الرياحِ

﴿يوماً ثقيلاً﴾: شديدَ الأهوالِ (يوم القيامة). ﴿شددنا أسرهم﴾: أحْكَمْنا خلقَهُم.
﴿والمرسلات عُرْفا﴾: (أقسمَ اللهُ) برياحِ العذابِ متتابعةً كَعرْفِ الفرسِ. ﴿فالعاصفات عَصفاً﴾: الرِّياحِ الشَّديدةِ الهبوبِ المُهلكةِ. ﴿والناشرات نشراً﴾: الملائكةِ تنشرُ أجنحتَها في الجَوِّ عندَ النُّزولِ بالوحي. ﴿فالفارقات فرقاً﴾: الملائكةِ تأتي بالوحيِ فُرقاناً بينَ الحقِّ والباطلِ. ﴿فالمُلقِيات ذكراً﴾: الملائكةِ تُلقي الوحْيَ إلى الأنبياءِ. ﴿عُذراً﴾: للإعذارِ مِنَ اللهِ للخَلْقِ. ﴿نُذراً﴾: للإنذارِ والتَّخويفِ بالعِقابِ. ﴿إنما توعدون﴾: مِنَ البَعْثِ (جَوَابُ القَسَم). ﴿النجوم طُمِسَتْ﴾: مُحِيَ نورُها وأُذهِبَ ضوؤُها. ﴿السّماء فُرِجَت﴾: شُقَّتْ أو فُتِحَتْ فكانَتْ أبواباً. ﴿الجبال نُسِفت﴾: قُلِعَتْ مِن أماكِنِها بسُرْعَةٍ. ﴿الرّسل أُقِّتت﴾: بُلِّغَتْ ميقاتَها (يوم القيامة).
﴿لأي يوم أجّلت﴾: يُقالُ لأيِّ يومٍ أُخِّرَتْ. ﴿ليوم الفَصْل﴾: بينَ الخلائقِ أو الحقِّ والباطلِ. ﴿ويْلٌ يومئذ﴾: هلاكٌ في ذلكَ اليومِ الهائلِ.

(١) عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب رَضِي الله عَنهُ على رسول الله ﷺ وهو راقد على حصير من جريد قد أثر في جنبه، فبكى عمر فقال: «ما يبكيك؟» فقال: ذكرت كسرى وملكه وقيصر وملكه وصاحب الحبشة وملكه وأنت رسول الله على حصير من جريد، فقال: «أما ترضى أن لهم الدُّنيا ولنا الآخرة؟» فأنزل الله: ﴿وَإِذا رَأَيْت ثمَّ رَأَيْت نعيماً وملكاً كَبِيراً﴾. عبد بن حميد وابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ٢٠٧)، و«الدر المنثور» (٨/ ٢٧٧).

(٢) «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٣٣)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٢٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٢٥٩).

أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ (٢٠) فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٖ
مَّعۡلُومٖ (٢٢) فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٢٤)
أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا (٢٦) وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا (٢٧) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٢٨)
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٖ (٣٠) لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ
كَٱلۡقَصۡرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ (٣٣) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٣٤)
هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ (٣٦) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ
لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ
فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ (٤١) وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ (٤٢) كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٤٤) وَيۡلٞ
يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ (٤٦) وَيۡلٞ
يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ (٤٨)
وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ (٥٠)

الشديدة، (٣) ـ ﴿والنّاشِراتِ نَشْرًا﴾: الرياحِ تنشر المطر، (٤) ـ ﴿فالفارِقاتِ فَرْقًا﴾ أي: آياتِ القُرآن، تفرق بين الحَقّ والباطل والحلال والحرام، (٥) ـ ﴿فالمُلقِياتِ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكةِ تَنزل بالوحي إلى الأنبياء، أو الرسلِ يُلقون الوحي إلى الأُمم، (٦) ـ ﴿عُذْرًا أو نُذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى ـ وفي قراءة بضمّ ذال «نُذُرًا»، وقُرئ بضمّ ذال «عُذُرًا» ـ (٧) ـ ﴿إنَّ ما تُوعَدُونَ﴾ أي: كُفّارَ مكّة من البعث والعذاب ﴿لَواقِعٌ﴾: كائن لا محالة.

(٨) ـ ﴿فإذا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: مُحِيَ نُورُها، (٩) ـ ﴿وإذا السَّماءُ فُرِجَتْ﴾: شُقّت، (١٠) ـ ﴿وإذا الجِبالُ نُسِفَتْ﴾: فُتّتت وسُيّرت، (١١) ـ ﴿وإذا الرُّسُلُ وُقِّتَتْ﴾، بالواو وبالهمزة بدلاً منها، أي: جُمعت لوقت ـ (١٢) ـ ﴿لِأيِّ يومٍ﴾: لِيوم عظيم ﴿أُجِّلَتْ﴾ للشهادة على أُممهم بالتبليغ! (١٣) ـ ﴿لِيَومِ الفَصلِ﴾ بين الخلق؟ ويُؤخذ منه جواب «إذا» أي: وقع الفصل بين الخلائق.

(١٤) ـ ﴿وما أدراكَ: ما يَومُ الفَصلِ﴾؟ تهويلٌ لشأنه ـ (١٥) ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيدٌ لهم.

(١٦) ـ ﴿ألَم نُهلِكِ الأوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم؟ أي: أهلكناهم، (١٧) ـ ﴿ثُمَّ نُتبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾ ممّن كذّبوا ككُفّار مكّة، فنُهلكُهم. (١٨) ـ ﴿كَذلِكَ﴾: مِثلَ ما فعلنا بالمُكذّبين ﴿نَفعَلُ بِالمُجرِمِينَ﴾: بِكُلِّ مَن أجرم، فيما يُستقبل فنُهلكهم. (١٩) ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾: تأكيد.

(٢٠) ـ ﴿ألَم نَخلُقْكُم مِن ماءٍ مَهِينٍ﴾: ضعيف وهو المنيّ، (٢١) ـ ﴿فجَعَلْناهُ في قَرارٍ مَكِينٍ﴾: حَرِيز وهو الرَّحِم، (٢٢) ـ ﴿إلَى قَدَرٍ مَعلُومٍ﴾ وهو وقت الوِلادة، (٢٣) ـ ﴿فقَدَرْنا﴾ على ذلك؟ ﴿فنِعمَ القادِرُونَ﴾ نحنُ! (٢٤) ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

(٢٥) ـ ﴿ألَم نَجعَلِ الأرضَ كِفاتًا﴾: مصدرُ: كفتَ بمعنى: ضمَّ، أي: ضامّةً، (٢٦) ـ ﴿أحياءً﴾ على ظهرها ﴿وأمواتًا﴾ في بطنها، (٢٧) ـ ﴿وجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾: جبالاً مُرتفعاتٍ، ﴿وأسقَيناكُم ماءً فُراتًا﴾: عذبًا؟ (٢٨) ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

ويقال للمُكذّبين يومَ القيامة: (٢٩) ـ ﴿انطَلِقُوا إلَى ما كُنتُم بِهِ﴾ من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ، (٣٠) ـ انطَلِقُوا إلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ هو دُخان جهنّم، إذا ارتفع افترق ثلاثَ فِرَق لعظَمته، (٣١) ـ ﴿لا ظَلِيلٍ﴾: كَنينٍ يُظلّهم من حرِّ ذلك اليوم ﴿ولا يُغنِي﴾: يردّ عنهم شيئًا ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾ للنار. (٣٢) ـ ﴿إنّها﴾ أي: النارَ ﴿تَرمِي بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كالقَصْرِ﴾ من البناء في عِظمه وارتفاعه، (٣٣) ـ ﴿كأنّهُ جِمالاتٌ﴾: جمع جِمالةٍ جمع جَمَلٍ ـ وفي قراءة: «جِمالةٌ» ـ ﴿صُفرٌ﴾ في هيئتها ولونها. وفي الحديث «شَرارُ النّارِ أسوَدُ كالقِيرِ». والعرب تُسمّي سُودَ الإبل صُفرًا لشَوب سوادها بصُفرة. فقيل: صُفرٌ في الآية بمعنى سُود، لِما ذُكر. وقيل: لا. والشَّرر: جمع شررةٍ. والشرارُ: جمع شَرارةٍ. والقِير: القار. (٣٤) ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

(٣٥) ـ ﴿هذا﴾، أي: يومُ القيامة ﴿يَومُ لا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء، (٣٦) ـ ﴿ولا يُؤذَنُ لَهُم﴾ في العُذر ﴿فيَعتَذِرُونَ﴾: عطفٌ على «يُؤذن» من غير تسبّب عنه، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذنَ فلا اعتذار. (٣٧) ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

(٣٨) ـ ﴿هذا يَومُ الفَصلِ. جَمَعْناكُم﴾ ـ أيها المُكذّبون من هذه الأُمّة ـ ﴿والأوَّلِينَ﴾ من المُكذّبين قبلكم، فتُحاسَبون وتُعذّبون جميعًا. (٣٩) ـ ﴿فإن كانَ لَكُم كَيدٌ﴾: حِيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فكِيدُونِ﴾: فافعلوها. (٤٠) ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

(٤١) ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في ظِلالٍ﴾ أي: تكاثُفِ أشجارٍ، إذ لا شمسَ يُظَلُّ من حرّها، ﴿وعُيُونٍ﴾ نابعة من الماء، (٤٢) ـ ﴿وفَواكِهَ مِمّا يَشتَهُونَ﴾ ـ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنّة بحسَب شهواتهم بخِلاف الدنيا فبحسَب ما يجد الناس في الأغلب ـ ويقال لهم: (٤٣) ـ ﴿كُلُوا واشرَبُوا

﴿ماءٍ مهين﴾: مَنِيٍّ ضعيفٍ حَقير. ﴿قرار مكين﴾: مُتمَكّنٍ، وهوَ الرَّحِمُ. ﴿فقَدَرنا﴾: فقَدَّرْنا ذلكَ تقديراً. ﴿الأرض كِفاتاً﴾: وعاءً تضمُّ الأحياءَ على ظهرِها. ﴿أحياءً وأمْوَاتاً﴾: والأموات في بطنِها. ﴿رواسِيَ شامخات﴾: جِبالاً ثوابتَ مُرْتَفِعاتٍ. ﴿ماءً فُرَاتًا﴾: حُلواً عَذباً. ﴿ظلّ﴾: هوَ دُخانُ جهنَّمَ. ﴿ثلاث شُعَب﴾: فِرَقٍ ثلاثٍ كالذوائبِ. ﴿لا ظليل﴾: لا مظلِّلٍ مِنَ الحرِّ. ﴿لا يُغني من اللّهَب﴾: لا يَدْفَعُ شيئاً مِن حرِّهِ. ﴿ترمي بشَرَر﴾: هوَ ما تطايَرَ مِنَ النَّارِ مُتفرِّقاً. ﴿كالقَصْر﴾: كلُّ شَرارةٍ كالبناءِ المُشيَّدِ في العِظَمِ والارتفاعِ. ﴿كأنّه جِمالةٌ صُفر﴾: كأنَّ الشَّررَ إبلٌ سودٌ «و تُسمِّيها العَرَبُ صفراً» في الكثرةِ والتَّتابعِ وسُرْعةِ الحركةِ واللَّونِ. ﴿لكم كيْدٌ﴾: حيلةٌ لاتِّقاءِ العذابِ.

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ
مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿هَنِيئًا﴾: حالٌ، أي: مُتهنّئين ـ ﴿بِما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ من الطاعات. (٤٤) ـ (٤٥) ـ ﴿إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزَينا المُتّقين ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. وَيلٌ يومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

الجزء ٣٠ الحزب ٥٩

(٤٦) ـ (٤٧) ـ (٤٨) ـ ﴿كُلُوا وتَمَتَّعُوا﴾ ـ خِطابٌ للكُفّار في الدنيا ـ ﴿قَلِيلاً﴾ من الزمان وغايتِه إلى الموت. وفي هذا تهديدٌ لهم. ﴿إنَّكُم مُجرِمُونَ ـ وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ ـ وإذا قِيلَ لَهُمُ: اركَعُوا﴾: صلُّوا ﴿لا يَركَعُونَ﴾[1]: لا يُصلّون. (٤٩) ـ (٥٠) ـ ﴿وَيلٌ يومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ. فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ﴾ أي: القُرآنِ ﴿يُؤمِنُونَ﴾؟ أي: لا يُمكن إيمانُهم بغيره من كُتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يَشتمل عليه غيرُه.

٧٨ ـ سُورَةُ النَّبَإِ

مكية، إحدى وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿عَمَّ﴾: عن أيّ شيء ﴿يَتَساءَلُونَ﴾[2]: يسأل بعضُ قُريشٍ بعضًا؟ (٢) ـ ﴿عَنِ النَّبَأ العَظِيمِ﴾: بيانٌ لذلك الشيء ـ والاستفهام لتفخيمه. وهو ما جاء به النبيّ ﷺ من القُرآن المُشتمل على البعث وغيره ـ (٣) ـ ﴿الَّذِي هُم فِيهِ مُختَلِفُونَ﴾، فالمؤمنون يُثبتونه، والكافرون يُنكرونه؟ (٤) ـ ﴿كَلّا﴾: ردعٌ، ﴿سَيَعلَمُونَ﴾ ما يحُلّ بهم على إنكارهم له، (٥) ـ ﴿ثُمَّ كَلّا سَيَعلَمُونَ﴾ تأكيدٌ، وجيء فيه بـ «ثمّ» للإيذان بأنّ الوعيد الثاني أشدُّ من الأوّل.

ثمّ أومأ ـ تعالى ـ إلى القُدرة على البعث فقال: (٦) ـ ﴿ألَم نَجعَلِ الأرضَ مِهادًا﴾: فِراشًا كالمهد، (٧) ـ ﴿والجِبالَ أوتادًا﴾ تُثبَّتُ بها الأرض كما يُثبَّت الخباء بالأوتاد ـ والاستفهام للتقرير ـ (٨) ـ ﴿وخَلَقناكُم أزواجًا﴾: ذُكورًا وإناثًا، (٩) ـ ﴿وجَعَلنا نَومَكُم سُباتًا﴾: راحة لأبدانكم، (١٠) ـ ﴿وجَعَلنا اللَّيلَ لِباسًا﴾: ساترًا بسواده، (١١) ـ ﴿وجَعَلنا النَّهارَ مَعاشًا﴾: وقتًا للمعايش، (١٢) ـ ﴿وبَنَينا فَوقَكُم سَبعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدادًا﴾: جمع شديدة، أي: قويّة مُحكمة لا يُؤثّر فيها مُرور الزمان، (١٣) ـ ﴿وجَعَلنا سِراجًا﴾ مُنيرًا ﴿وَهّاجًا﴾ وقّادًا ـ يعني الشمس ـ (١٤) ـ ﴿وأنزَلنا مِنَ المُعصِراتِ﴾: السحابات التي حان لها أن تُمطر، كالمُعصِر: الجارية التي دنت من الحيض، ﴿ماءً ثَجّاجًا﴾: صبّابًا، (١٥) ـ ﴿لِنُخرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحِنطة ﴿ونَباتًا﴾ كالتِّبن، (١٦) ـ ﴿وجَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿ألفافًا﴾ أي: مُلتفّة، جمع لَفِيف كشَرِيف وأشراف؟

(١٧) ـ ﴿إنَّ يَومَ الفَصلِ﴾ بينَ الخلائق ﴿كانَ مِيقاتًا﴾: وقتًا للثواب والعقاب، (١٨) ـ ﴿يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ﴾: القَرنِ، بدلٌ من «يومَ الفصل» أو بيانٌ له، والنافخ إسرافيل، ﴿فَتَأتُونَ﴾ من قُبوركم إلى الموقف ﴿أفواجًا﴾: جماعاتٍ مُختلفةً، (١٩) ـ ﴿وفُتِّحَتِ السَّماءُ﴾: بالتشديد والتخفيف: شُقّقت لنُزول الملائكة، ﴿فَكانَت أبوابًا﴾: ذات أبواب، (٢٠) ـ ﴿وسُيِّرَتِ الجِبالُ﴾: ذُهب بها عن أماكنها، ﴿فَكانَت سَرابًا﴾: هباء، أي: مِثلَه في خِفّة سيرها.

(٢١) ـ ﴿إنَّ جَهَنَّمَ كانَت مِرصادًا﴾: راصدة أو مُرصَدة (٢٢) ـ ﴿لِلطّاغِينَ﴾: الكافرين فلا يتجاوزونها، ﴿مَآبًا﴾: مَرجِعًا لهم فيدخلونها، (٢٣) ـ ﴿لابِثِينَ﴾: حالٌ مُقدّرة، أي: مُقدّرًا لَبثُهم ﴿فِيها أحقابًا﴾: دُهورًا لا نهاية لها، جمع حُقْب بضمّ أوّله، (٢٤) ـ ﴿لا يَذُوقُونَ فِيها بَردًا﴾: نومًا ﴿ولا شَرابًا﴾: ما يُشرب تلذّذًا، (٢٥) ـ ﴿إلّا﴾ لكنْ ﴿حَمِيمًا﴾ ماءً حارًّا غايةَ الحرارة ﴿وغَسّاقًا﴾ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنّهم يذوقونه، جُوزوا بذلك (٢٦) ـ ﴿جَزاءً وِفاقًا﴾: مُوافقًا لعملهم. فلا ذنب أعظمُ من الكُفر ولا عذاب أعظمُ من النار.

﴿عمّ؟﴾: عن أيّ شيءٍ عظيمِ الشّأنِ؟. ﴿عن النّبإ العظيم﴾: عنِ القرآنِ أوِ البَعْثِ. ﴿كلاّ﴾: رَدْعٌ وزَجْرٌ عنِ الاختلافِ فيهِ. ﴿الأرض مِهادًا﴾: فِراشاً مُوطّأً للاستقرارِ عليها. ﴿الجبال أوتادًا﴾: كالأوتادِ للأرضِ لئلّا تميدَ. ﴿خلقناكم أزواجًا﴾: أصنافاً ذكوراً وإناثاً للتّناسُلِ. ﴿نومَكم سُباتاً﴾: قَطْعاً لأعمالِكُمْ وراحةً لأبْدانِكُم. ﴿الليل لِباسًا﴾: ساتِراً لكُم بظلمتِهِ كاللِّباسِ. ﴿النّهار معاشاً﴾: تحصّلونَ فيهِ ما تعيشونَ بهِ. ﴿سَبْعًا شِدادًا﴾: سماواتٍ قويّاتٍ مُحْكَماتٍ. ﴿سِراجاً وهّاجاً﴾: مِصْباحاً مُنيراً وقّاداً (الشّمس). ﴿المُعصِرات﴾: السّحائبِ الّتي حانَ لها أن تُمْطِرَ. ﴿ماءً ثجّاجا﴾: مُنْصَبّاً بكثرةٍ معَ التّتابُعِ. ﴿جنّاتٍ ألفافاً﴾: بساتين مُلتَفّةَ الأشجارِ. ﴿فتأتون أفواجاً﴾: أمَماً أو جماعاتٍ مُختلفةَ الأحوالِ. ﴿فكانت أبواباً﴾: صارَتْ ذاتَ أبوابٍ وطرُقٍ. ﴿فكانت سراباً﴾: كالسَّرابِ الّذي لا حَقيقةَ لهُ. ﴿كانت مِرْصادًا﴾: مَوْضِعَ تَرَصُّدٍ وترقُّبٍ للكافرينَ. ﴿للطاغين مآبًا﴾: مَرْجِعاً ومأوىً لهُم. ﴿أحقابًا﴾: دهوراً متتابعةً لا نهايةَ لها. ﴿بَرْدًا﴾: نَوْماً أو رَوْحاً مِن حرِّ النّارِ. ﴿حميماً﴾: ماءً بالغاً نِهايةَ الحرارةِ. ﴿غسّاقاً﴾: صديداً يسيلُ مِن جُلودِهِم. ﴿جَزاءً وفاقًا﴾: جزَيْناهُم جَزاءً مُوافِقاً لأعمالِهِم. ﴿كِذاباً﴾: تكذيباً شديداً. ﴿أحصيْناه كِتاباً﴾: حَفِظناهُ وضبطْناهُ مكتوباً.

(١) عن مجاهد: نزلت في ثقيف. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ٢٠٨).

(٢) عن الحسن قال: لما بُعث النبيّ ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾. الطبري (٢٤/ ٥).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا
دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ
الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)
تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)
يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا
تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ
(١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)

(٢٧) ـ ﴿إِنَّهُم كانُوا لا يَرجُونَ﴾: لا يخافون ﴿حِسابًا﴾ لِإنكارهم البعثَ، (٢٨) ـ ﴿وكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القُرآنِ ﴿كِذّابًا﴾: تكذيبًا، (٢٩) ـ ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾ من الأعمال ﴿أحصَيناهُ﴾: ضبطناه ﴿كِتابًا﴾: كتَبناه في اللوح المحفوظ لنُجازيَ عليه. ومن ذلك تكذيبُهم بالقرآن. (٣٠) ـ ﴿فذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عِند وُقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم. ﴿فلَن نَزِيدَكُم إلاّ عَذابًا﴾ فوق عذابكم.

(٣١) ـ ﴿إنَّ لِلمُتَّقِينَ مَفازًا﴾: مكانَ فوز في الجنّة، (٣٢) ـ ﴿حَدائقَ﴾: بساتينَ، بدلٌ من «مفازًا» أو بيانٌ له، ﴿وأعنابًا﴾: عطفٌ على «مفازًا»، (٣٣) ـ ﴿وكَواعِبَ﴾: جواريَ تكعّبتْ ثُدِيُّهنّ، جمع كاعب، ﴿أترابًا﴾: على سِنٍّ واحِدٍ، جمع تِرب بكسر التاء وسكون الراء، (٣٤) ـ ﴿وكأسًا دِهاقًا﴾: خمرًا مالئة مَحالَّها ـ وفي القتال: «وأنهارٌ مِن خَمرٍ» ـ (٣٥) ـ ﴿لا يَسمَعُونَ فِيها﴾ أي: الجنّةِ، عِند شُرب الخمر وغيره من الأحوال، ﴿لَغْوًا﴾: باطلاً من القول ﴿ولا كِذابًا﴾ بالتخفيف أي: كَذِبًا، وبالتشديد أي: تكذيبًا من واحد لغيره، بخِلاف ما يقع في الدنيا عِند شُرب الخمر، (٣٦) ـ ﴿جَزاءً مِن رَبِّكَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطاءً﴾: بدلٌ من «جزاء»، ﴿حِسابًا﴾ أي: كثيرًا. من قولهم: أعطاني فأحسَبَني، أي: أكثرَ عليّ حتّى قلتُ: حَسْبِي.

(٣٧) ـ ﴿رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ﴾، بالجرّ والرفع، ﴿وما بَينَهُما الرَّحمنِ﴾. كذلك، وبرفعه مع جرّ «رَبِّ». ﴿لا يَملِكُونَ﴾ أي: الخلقُ ﴿مِنهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿خِطابًا﴾، أي: لا يقدر أحد أن يُخاطبه خوفًا منه،

(٣٨) ـ ﴿يَومَ﴾: ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جِبريلُ أو جُند الله، ﴿والمَلائكةُ صَفًّا﴾: حالٌ، أي: مُصطفّينَ، ﴿لا يَتكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلقُ ﴿إلاّ مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمنُ﴾ في الكلام، ﴿وقالَ﴾ قولاً ﴿صَوابًا﴾ من المُؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضَى.

(٣٩) ـ ﴿ذلِكَ اليَومُ الحَقُّ﴾: الثابتُ وقوعُه، وهو يوم القيامة. ﴿فمَن شاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ مآبًا﴾: مَرجِعًا، أي: رَجَع إلى الله بطاعته ليسلمَ من العذاب فيه. (٤٠) ـ ﴿إنّا أنذَرْناكُم﴾، أي كُفّارَ مكّة، ﴿عَذابًا قَرِيبًا﴾ أي: عذاب يوم القيامة الآتي ـ وكُلُّ آتٍ قريبٌ ـ ﴿يَومَ﴾: ظرف لـ «عذابًا» بصفته ﴿يَنظُرُ المَرءُ﴾: كُلُّ امرئ ﴿ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾ من خير وشرّ، ﴿ويَقُولُ الكافِرُ: يا﴾: حرف تنبيه ﴿لَيتَنِي كُنتُ تُرابًا﴾ يعني: فلا أُعذَّبُ. يقول ذلك عِندما يقول الله ـ تعالى ـ للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني تُرابًا.

* * *

٧٩ ـ سورة والنازعات

مكية، ستٌّ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والنّازِعاتِ﴾: الملائكةِ تنزِع أرواحَ الكُفّار ﴿غَرْقًا﴾: نزعًا بشِدّة، (٢) ـ ﴿والنّاشِطاتِ نَشطًا﴾: الملائكةِ تَنشِط أرواح المُؤمنين، أي: تَسُلّها برُفق، (٣) ـ ﴿والسّابِحاتِ سَبحًا﴾: الملائكةِ تسبح من السماء بأمره ـ تعالى ـ أي: تنزل، (٤) ـ ﴿فالسّابِقاتِ سَبقًا﴾: الملائكةِ تسبق بأرواح المُؤمنين إلى الجنّة، (٥) ـ ﴿فالمُدَبِّراتِ أمرًا﴾: الملائكةِ تُدبّر أمر الدنيا، أي: تنزل بتدبيره. وجواب هذه الأقسام محذوف، أي: لَتُبعَثُنَّ، يا كُفّارَ مكّة. وهو

﴿مَفازًا﴾: فوزاً وظفَراً بكلِّ محْبوبٍ. ﴿كواعِب﴾: فتياتٍ ناهِداتٍ (نساء الجنَّة). ﴿أترابًا﴾: مُسْتَوياتٍ في السِّنِّ. ﴿كأساً دِهاقاً﴾: مُتْرَعَةً مليئةً مِن خَمرِ الجنَّةِ. ﴿لغْوًا﴾: كلاماً غيرَ مُعْتَدٍّ بهِ. أو قبيحاً. ﴿كِذابًا﴾: تكذيباً. ﴿عَطاءً حِساباً﴾: إحساناً كافياً أو كثيراً. ﴿خِطابًا﴾: إلَّا بإذنِهِ. ﴿الرّوح﴾: جبريلُ عليهِ السَّلامُ. ﴿مآباً﴾: مَرْجِعاً بالإيمانِ والطَّاعةِ. ﴿كُنْت تُرابًا﴾: في هذا اليومِ فلا أُعذَّب.

﴿والنازعات﴾: (أقسمَ) اللهُ بالملائكةِ تنزعُ أرواحَ الكفَّارِ مِن أقاصي أجسامِهِم. ﴿غرْقاً﴾: نَزعاً شديداً مُؤلماً بالغَ الغايةِ. ﴿والناشطات نشطاً﴾: الملائكةِ تَسُلُّ أرواحَ المؤمنينَ برفقٍ. ﴿والسابحات سبْحاً﴾: الملائكةِ تنزلُ مسرعةً لِمَا أُمِرتْ بهِ. ﴿فالسابقات سبقاً﴾: الملائكةِ تسبقُ بالأرواحِ إلى مستقرِّها ناراً أو جَنَّةً. ﴿فالمدبرات أمراً﴾: الملائكةِ تنزلُ بالتَّدبيرِ المأمورِ بِهِ. ﴿يوم ترجف الراجفة﴾: لتبعثُنَّ (جوابُ القسمِ) يَومَ تضطربُ الأجْرَامِ بالصَّيحةِ الهائلةِ (نفخة الموت). ﴿تتبعها الرادفة﴾: نفخةُ البعثِ الَّتي تردفُ الأولى. ﴿واجفة﴾: مُضطربةٌ. أو خائفةٌ وَجلةٌ. ﴿أبصارها خاشعة﴾: ذليلةٌ مُنكسِرةٌ مِنَ الفزَعِ. ﴿في الحافرة﴾: إلى الحالةِ الأُولى (الحياة). ﴿كنا عظاماً نخِرة﴾: باليَةً مُتفتّتةً. ﴿كرّة خاسِرة﴾: رَجْعةٌ غابِنةٌ. ﴿زجْرة واحدة﴾: صيحةٌ واحدةٌ (نفخة البَعْث). ﴿همْ بالساهرة﴾: هم أحياءٌ على وجهِ الأرضِ. ﴿طوى﴾: اسمُ الوادي المقدَّسِ.

اَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ
ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾
ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ
مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ
﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا
﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

عامل في: (٦) ـ ﴿يومَ ترجُفُ الرّاجِفةُ﴾: النفخة الأُولى، بها يرجف كُلّ شيء، أي:
يتزلزل، فوُصِفتْ بما يحدث منها، (٧) ـ ﴿تتبعُها الرّادِفةُ﴾: النفخة الثانية ـ وبينهما
أربعون سنةً. والجملة: حال من الراجفة. فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصحّ
ظرفيّته للبعث الواقع عقبَ الثانية ـ (٨) ـ ﴿قُلُوبٌ يومَئذٍ واجِفةٌ﴾: خائفةٌ قلقة،
(٩) ـ ﴿أبصارُها خاشِعةٌ﴾: ذليلة لهَول ما تَرى.

(١٠) ـ ﴿يَقولُونَ﴾ أي: أربابُ القُلوب والأبصار استهزاءً وإنكارًا للبعث:
﴿أإنّا﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين،
في الموضعينِ ـ ﴿لَمَردُودُونَ في الحافِرةِ﴾ أي: أنُردُّ بعد الموت إلى الحياة؟
والحافرة: اسم لأوّل الأمر ـ ومنه: رجَع فُلان في حافرته، إذا رجَع من حيثُ
جاء ـ (١١) ـ ﴿أإذا كُنّا عِظامًا نَخِرةً﴾، وفي قراءة: «ناخِرةً»: بالية مُتفتّتة نَحيا؟
(١٢) ـ ﴿قالُوا: تِلكَ﴾ أي: رجعتُنا إلى الحياة ﴿إذًا﴾ إن صحّت ﴿كَرّةٌ﴾: رجعةٌ
﴿خاسِرةٌ﴾[1]: ذات خُسران. (١٣) ـ قال تعالى: ﴿فإنَّما هِيَ﴾ أي: الرادفة التي
يَعقِبها البعث ﴿زَجْرةٌ﴾: نفخة ﴿واحِدةٌ﴾، فإذا نُفِخَت (١٤) ـ ﴿فإذا هُم﴾ أي:
كُلّ الخلائق ﴿بِالسّاهِرةِ﴾: بوجه الأرض أحياءً بعدما كانوا ببطنها أمواتًا.
(١٥) ـ ﴿هَل أتاكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾

(١٦) ـ عاملٌ في: ﴿إذ ناداهُ رَبُّهُ، بِالوادِ المُقَدَّسِ طُوًى﴾: اسم الوادي بالتنوين
وتركِه؟ (١٧) ـ فقال: ﴿اذهَبْ إلَى فِرعَونَ ـ إنَّهُ طَغَى﴾: تجاوز الحدّ في الكُفر ـ
(١٨) ـ ﴿فقُلْ: هَل لَكَ﴾: أدعوك ﴿إلَى أن تَزَكَّى﴾، وفي قراءة بتشديد الزاي
بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تتطهّرَ من الشِّرك، بأن تشهد أنْ لا إلٰـهَ
إلاّ اللهُ، (١٩) ـ ﴿وأهدِيَكَ إلَى رَبِّكَ﴾: أدلُّك على معرفته بالبُرهان ﴿فتَخشَى﴾
فتخافَه؟ (٢٠) ـ ﴿فأراهُ الآيَةَ الكُبرَى﴾ من آياته التسع ـ وهي اليد أو العصا ـ (٢١) ـ ﴿فكَذَّبَ﴾ فِرعَونُ مُوسَى، ﴿وعَصَى﴾ اللهَ ـ تعالى ـ
(٢٢) ـ ﴿ثُمَّ أدبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسعَى﴾ في الأرض بالفساد، (٢٣) ـ (٢٤) ـ ﴿فحَشَرَ﴾: جَمعَ السَّحرة وجُنده ﴿فنادَى، فقالَ: أنا رَبُّكُمُ الأعلَى﴾:
لا ربَّ فوقي. (٢٥) ـ ﴿فأخَذَهُ اللهُ﴾: أهلكه بالغرق ﴿نَكالَ﴾: عُقوبةَ ﴿الآخِرةِ﴾ أي: هذه الكلمةِ ﴿والأُولَى﴾ أي: قولِه قبلها: «ما عَلِمتُ لَكُم
مِن إلٰـهٍ غَيرِي». وكان بينهما أربعون سنة. (٢٦) ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَعِبْرةً لِمَن يَخشَى﴾ اللهَ تعالى.

(٢٧) ـ ﴿أأنتُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المسهّلة والأُخرى وتركِه ـ أي: منكرو البعث ﴿أشَدُّ خَلقًا
أمِ السَّماءُ﴾ أشدُّ خلقًا؟ ﴿بَناها﴾: بيانٌ لكيفيّة خلقها، (٢٨) ـ ﴿رَفَعَ سَمْكَها﴾: تفسيرٌ لكيفية البناء، أي: جعل سمْتها في جِهة العلوّ رفيعًا ـ وقيل:
سمكها: سقفها ـ ﴿فسَوّاها﴾: جعلها مستوية بلا عيب، (٢٩) ـ ﴿وأغطَشَ لَيلَها﴾: أظلمه ﴿وأخرَجَ ضُحاها﴾: أبرزَ نُور شمسها ـ وأضيف إليها
الليلُ لأنه ظِلّها، والشمسُ لأنها سراجها ـ (٣٠) ـ ﴿والأرضَ بَعدَ ذلِكَ دَحاها﴾: بسَطَها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دَحْو، (٣١) ـ ﴿أخرَجَ﴾:
حالٌ بإضمار «قد»، أي: مُخرِجًا ﴿مِنها ماءَها﴾ بتفجير عُيونها ﴿ومَرعاها﴾: ما ترعاه النَّعم من الشجر والعُشب وما يأكله الناس من الأقوات
والثمار ـ وإطلاق المرعى عليه استعارة ـ (٣٢) ـ ﴿والجِبالَ أرساها﴾: أثبَتها على وجه الأرض لتَسكن، (٣٣) ـ ﴿مَتاعًا﴾: مفعولٌ له لمُقدّر، أي: فعلَ
ذلك مُتعةً، أو مصدرٌ أي: تمتيعًا ﴿لَكُم ولِأنعامِكُم﴾: جمعُ نَعَمٍ. وهي الإبل والبقر والغنم.

(٣٤) ـ ﴿فإذا جاءَتِ الطّامّةُ الكُبرَى﴾: النفخةُ الثانية، (٣٥) ـ ﴿يَومَ يَتَذَكَّرُ الإنسانُ﴾: بدلٌ من «إذا»، ﴿ما سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشرّ،
(٣٦) ـ ﴿وبُرِّزَتِ﴾: أُظهِرَتِ ﴿الجَحِيمُ﴾: النار المُحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾: لكُلّ راءٍ، وجواب إذا: (٣٧) ـ ﴿فأمّا مَن طَغَى﴾: كفرَ (٣٨) ـ ﴿وآثَرَ الحَياةَ
الدُّنيا﴾ باتّباع الشهوات (٣٩) ـ ﴿فإنَّ الجَحِيمَ هِيَ المأوَى﴾: مأواه، (٤٠) ـ ﴿وأمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ﴾: قِيامَه بين يديه، ﴿ونَهَى النَّفسَ﴾ الأمّارة
﴿عَنِ الهَوَى﴾ المُردِي باتّباع الشهوات، (٤١) ـ ﴿فإنَّ الجَنّةَ هِيَ المأوَى﴾. وحاصلُ الجواب: فالعاصي في النار، والمُطيع في الجنّة.

﴿طغى﴾: عتا وتجبّرَ وكَفَرَ بالله تعالى. ﴿تزكى﴾: تطهّرَ مِنَ الكفرِ والطُّغيانِ. ﴿الآية الكبرى﴾: معجزةَ العصا واليدِ البيضاءِ. ﴿يَسعى﴾: يَجِدُّ في الإفسادِ والمعارضةِ.
﴿فحَشر﴾: جَمَعَ السَّحَرَةَ. أوِ الجُنْدَ. ﴿نكال..﴾: عُقوبةَ. أو بعقوبَة... ﴿رفع سمكها﴾: جعلَ ثِخَنَها مُرْتَفِعاً جهةَ العلوِّ. ﴿فسوّاها﴾: فجعَلَها مُسْتَوِيَةَ الخلْقِ بلا
عَيْبٍ. ﴿أغطش ليلها﴾: أظلَمَهُ. ﴿أخرج ضحاها﴾: أبْرزَ نهارَها المضيءَ بالشَّمسِ. ﴿دحاها﴾: بَسَطَها وأوْسَعَها لسُكنى أهلِها. ﴿مَرْعاها﴾: أقواتَ النَّاسِ والدَّوابِّ.
﴿الجبال أرساها﴾: أثبَتَها في الأرضِ، كالأوتادِ. ﴿الطامة الكبرى﴾: الدَّاهيةُ العظمى (القيامةُ). ﴿بُرزت الجحيم﴾: أظهِرَتْ إظهاراً بَيِّناً. ﴿هي المأوى﴾: هيَ المَرْجِعُ
والمُقامُ لهُ لا غيرُها. ﴿أيان مرساها؟﴾: متى يقيمُها اللهُ ويُثبتُها؟.

(١) عن محمد بن كعب في قوله: ﴿أئنا لمردودون فِي الحافرة أئذا كُنَّا عظاماً نخرة﴾ قال: لما نزلت هذه الآية قال كفار قريش: لَئِن حيينا بعد الموت لنخسرن! فنزلت:
﴿تِلْكَ إِذا كرة خاسرة﴾ سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المُنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٧).

(٤٢) ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ أي: كُفّارُ مكّةَ ﴿عَنِ السّاعةِ: أيّانَ مُرساها﴾[1]: متى وقوعُها وقيامها؟ (٤٣) ـ ﴿فِيمَ﴾: في أيّ شيء ﴿أنتَ مِن ذِكراها﴾؟ أي: ليس عِندك عِلمها حتّى تذكرَها. (٤٤) ـ ﴿إلى رَبِّكَ مُنتَهاها﴾: مُنتهى عِلمها لا يعلمه غيره. (٤٥) ـ ﴿إنّما أنتَ مُنذِرُ﴾: إنّما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخشاها﴾: يخافها، (٤٦) ـ ﴿كأنّهُم يومَ يَرونَها لَم يَلبَثُوا﴾ في قُبورهم ﴿إلاّ عَشِيّةً أو ضُحاها﴾ أي: عشيّةَ يوم أو بُكرتَه. وصحّ إضافة الضحى إلى العشيّة لِما بينهما من المُلابسة إذ هما طرفا النهار، وحسّنَ الإضافةَ وقوعُ الكلمة فاصلةً.

ربع الحزب ٥٩

٨٠ ـ سُورَةُ عَبَسَ

مكية، اثنتان وأربعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣)
أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ
(٦) وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخۡشَىٰ (٩)
فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِي صُحُفٖ
مُّكَرَّمَةٖ (١٣) مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ (١٤) بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥) كِرَامِۭ بَرَرَةٖ (١٦)
قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ (١٧) مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطۡفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا
شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ
(٢٤) أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا (٢٥) ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا (٢٦) فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا
حَبّٗا (٢٧) وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا (٢٨) وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا (٣٠) وَفَٰكِهَةٗ
وَأَبّٗا (٣١) مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوۡمَ يَفِرُّ
ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ
ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ (٣٧) وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ
(٣٨) ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ (٣٩) وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ (٤٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿عَبَسَ﴾ النبيُّ: كلَحَ وجهُه ﴿وتَوَلَّى﴾: أعرضَ لأجل (٢) ـ ﴿أن جاءَهُ الأعمَى﴾ عبدُ الله بن أُمِّ مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به ممّن يرجو إسلامَه من أشراف قريشٍ الذي هو حَريص على إسلامهم. ولم يدرِ الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: عَلِّمْني ممّا علّمَك الله. فانصرف النبيّ إلى بيته، فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مَرحَبًا بمَن عاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»، ويَبسُط له رداءه.

(٣) ـ ﴿وما يُدرِيكَ﴾: يُعلِمُك: ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي ـ أي: يتطهّرُ من الذنوب بما يسمع منك (٤) ـ ﴿أو يَذَّكَّرُ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتّعظ ﴿فتَنفَعُهُ الذِّكرَى﴾: العِظةُ المسموعة منك؟ وفي قراءة بنصب «تَنفَعَهُ» جوابَ الترجّي.

(٥) ـ ﴿أمّا مَن استَغنَى﴾ بالمال (٦) ـ ﴿فأنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تُقبِلُ وتتعرّضُ، (٧) ـ ﴿وما عَلَيكَ ألاّ يَزَّكَّى﴾: يُؤمنَ، (٨) ـ ﴿وأمّا مَن جاءَكَ يَسعَى﴾: حالٌ من فاعل «جاء»، (٩) ـ ﴿وهْوَ يَخشَى﴾ اللهَ: حالٌ من فاعل «يسعى» وهو الأعمى، (١٠) ـ ﴿فأنتَ عَنهُ تَلَهَّى﴾ ـ فيه حذف التاء الأُخرى في الأصل ـ أي: تتشاغلُ. (١١) ـ ﴿كَلاّ﴾ لا تفعلْ مثلَ ذلك ﴿إنّها﴾ أي: السُّورةَ أو الآياتِ ﴿تَذكِرةٌ﴾: عظة للخلق ـ (١٢) ـ ﴿فمَن شاءَ ذَكَرَهُ﴾: حَفِظَ ذلك فاتعظَ به ـ (١٣) ـ ﴿في صُحُفٍ﴾: خبرٌ ثانٍ لـ «إنّها»، وما قبله اعتراض، ﴿مُكَرَّمةٍ﴾ عِند الله، (١٤) ـ ﴿مَرفُوعةٍ﴾ في السماء ﴿مُطَهَّرةٍ﴾: مُنزّهة عن مسّ الشياطين، (١٥) ـ ﴿بأيدِي سَفَرةٍ﴾: كَتَبةٍ ينسخونها من اللوح المحفوظ، (١٦) ـ ﴿كِرامٍ بَرَرةٍ﴾: مُطيعينَ لله ـ تعالى ـ وهم الملائكة.

(١٧) ـ ﴿قُتِلَ الإنسانُ﴾: لُعِنَ الكافر. ﴿ما أكفَرَهُ﴾[2]؟ استفهام توبيخ، أي: ما حَمَلَهُ على الكُفر؟ (١٨) ـ ﴿مِن أيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾؟ استفهام تقرير، ثمّ بيّنه فقال: (١٩) ـ ﴿مِن نُطفةٍ خَلَقَهُ فقَدَّرَهُ﴾ علقةً ثمّ مُضغة إلى آخر خلقِه، (٢٠) ـ (٢١) ـ ﴿ثُمَّ السَّبيلَ﴾ أي: طريقَ خروجه من بطن أُمّه ﴿يَسَّرَهُ، ثُمَّ أماتَهُ فأقبَرَهُ﴾: جعلَه في قبر يَستره، (٢٢) ـ ﴿ثُمَّ إذا شاءَ أنشَرَهُ﴾ للبعث. (٢٣) ـ ﴿كَلاّ﴾: حقًّا ﴿لَمّا يَقضِ﴾: لم يفعلْ ﴿ما أمَرَهُ﴾ به ربّه.

(٢٤) ـ ﴿فلْيَنظُرِ الإنسانُ﴾ نظرَ اعتبار ﴿إلَى طَعامِهِ﴾ كيف قُدّر ودُبّر له؟ (٢٥) ـ (٢٦) ـ (٢٧) ـ ﴿إنّا صَبَبْنا الماءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا، ثُمَّ شَقَقنا الأرضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا، فأنبَتْنا فِيها حَبًّا﴾ كالحِنطة والشعير، (٢٨) ـ ﴿وعِنَبًا وقَضبًا﴾ هو: القَتّ الرَّطب، (٢٩) ـ (٣٠) ـ ﴿وزَيتُونًا ونَخلاً،

﴿عَبَس﴾: قطّبَ وَجْهَهُ الشَّريفَ ﷺ. ﴿تولّى﴾: أعرَضَ بوجهِهِ الشَّريفِ ﷺ. ﴿لعلّه يزكّى﴾: يَتطهَّرُ بتعليمِكَ مِنْ دَنَسِ الجهْلِ. ﴿يذّكّر﴾: يتّعِظُ. ﴿له تصدّى﴾: تتعرَّضُ لهُ بالإقبالِ عليهِ. ﴿جاءك يَسْعى﴾: وَصَلَ إليكَ مُسْرِعاً ليَتعلَّمَ. ﴿عنه تلهّى﴾: تتلهَّى تتشاغَلُ وتُعْرِضُ. ﴿كلاّ﴾: حقّاً أو إرْشادٌ، بليغٌ لتَرْكِ المُعاوَدَةِ. ﴿إنّها تذكِرَة﴾: إنَّ آياتِ القرآنِ مَوْعِظةٌ وتذكيرٌ. ﴿في صُحف﴾: منتسخةٍ مِنَ اللّوحِ المحفوظِ. ﴿مَرْفوعة﴾: رَفيعةِ القَدْرِ والمَنزلةِ عندَهُ تعالى. ﴿بأيدي سَفرة﴾: ملائكةٍ ينسخونَها مِنَ اللَّوحِ المحفوظِ. ﴿بَرَرة﴾: مُطيعينَ لهُ تعالى أو صادقينَ. ﴿قُتِل الإنسان﴾: لُعِنَ الكافرُ. أو عُذِبَ. ﴿فقدّره﴾: أطواراً أو هيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لهُ. ﴿السّبيل يسّره﴾: سَهَّلَ لهُ طريقَي الهدى والضَّلالِ. ﴿فأقبَره﴾: أمَرَ بدفنِهِ في قبْرٍ تكْرِمةً لهُ. ﴿أنْشره﴾: أحْياهُ بَعْدَ موتِهِ. ﴿لمّا يَقْضِ ما أمره﴾: لمْ يفعَلْ ما أمَرَهُ اللهُ بِهِ بَلْ قصَّرَ. ﴿شققنا الأرض﴾: بالنَّباتِ أو بالحَرْثِ. ﴿قضبًا﴾: علفاً رَطْباً للدّوابِّ كالبَرْسِيم. ﴿حدائق غُلْبًا﴾: بَساتينَ عِظاماً مُتكاثفةَ الأشجارِ. ﴿أبّا﴾: كلأً وعُشْباً. أو هُوَ التِّبْنُ خاصّةً. ﴿جاءت الصاخّة﴾: الصَّيْحَةُ تُصِمُّ الآذانَ لشِدَّتِها (النَّفخةُ الثّانيةُ). ﴿مُسْفِرَة﴾: مُشْرِقةٌ مُضيئةٌ (وجوهُ المؤمنينَ). ﴿غَبَرَة﴾: غبارٌ وَ كُدُورَةٌ (وجوهُ الكافرينَ).

(١) عن عائشة رضي الله عنها: لم يزل رسول الله ﷺ يسأل عن السَّاعة حتى نزلت: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، فانتهى. رواه النسائي في «الكبرى» (١١٦٤٥)، وابن راهويه في «مسنده» (٧٧٧)، والبزار (٢٢٧٩ ـ كشف الأستار)، والطبري (٢٤/ ٩٩)، والحاكم (٧) و(٣٨٩٥) وصححه.

(٢) عن عكرمة قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم إذا هوى، فدعا عليه النبي ﷺ فأخذه الأسد بطريق الشَّام. ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤١٩).

تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ
سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ
﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا
ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ
﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ
أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ
ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن
يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وحدائقَ غُلبًا﴾: بساتين كثيرة الأشجار، (٣١) ـ **﴿وفاكهةً وأبًّا﴾**: ما ترعاه البهائم، وقيل: التِّبنُ، (٣٢) ـ **﴿متاعًا﴾**: مُتعة أو تمتيعًا كما تقدّم في السورة قبلها **﴿لكُم ولأنعامِكُم﴾**.

(٣٣) ـ **﴿فإذا جاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾**: النفخة الثانية (٣٤) ـ (٣٥) ـ (٣٦) ـ **﴿يومَ يَفِرُّ المرءُ مِن أخيهِ، وأُمِّهِ وأبيهِ، وصاحِبَتِهِ﴾**: زوجته **﴿وبَنِيهِ﴾** يوم: بدلٌ من «إذا»، وجوابُها دلّ عليه: (٣٧) ـ **﴿لِكُلِّ امرِئٍ مِنهُم يَومَئِذٍ شأنٌ يُغنِيهِ﴾**: حالٌ يَشغله عن شأن غيره، أي: اشتغلَ كل واحد بنفسه، (٣٨) ـ **﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ مُسفِرَةٌ﴾**: مضيئة، (٣٩) ـ **﴿ضاحِكَةٌ مُستَبشِرَةٌ﴾**: فرحة ـ وهم المؤمنون ـ (٤٠) ـ **﴿ووُجُوهٌ يومَئِذٍ عليها غَبَرَةٌ﴾**: غُبار، (٤١) ـ **﴿ترهَقُها﴾**: تغشاها **﴿قترَةٌ﴾**: ظُلمة وسواد. (٤٢) ـ **﴿أُولئِكَ﴾**: أهل هذه الحالة **﴿هُمُ الكَفَرةُ الفَجَرَةُ﴾** أي: الجامعون بين الكُفر والفُجور.

٨١ ـ سُورَةُ التَّكْوِيرِ

مكية، تسع وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ **﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ﴾**: لُفّتْ وذُهِبَ بنورها، (٢) ـ **﴿وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ﴾**: انقضَتْ وتساقطت على الأرض، (٣) ـ **﴿وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾**: ذُهِبَ بها عن وجه الأرض فصارت هباء مُنبثًّا، (٤) ـ **﴿وإذا العِشارُ﴾**: النُّوق الحوامل **﴿عُطِّلَتْ﴾**: تُرِكتْ بلا راعٍ أو بلا حلْب لِما دهاهم من الأمر ـ ولم يكن مالٌ أعجبَ إليهم منها ـ (٥) ـ **﴿وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾**: جُمعتْ بعد البعث ليُقتصَّ لبعضٍ من بعض، ثمّ تصير تُرابًا، (٦) ـ **﴿وإذا البِحارُ سُجِرَتْ﴾** بالتخفيف والتشديد: أُوقدتْ فصارت نارًا، (٧) ـ **﴿وإذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾**: قُرنتْ بأجسادها، (٨) ـ **﴿وإذا المَوءُودَةُ﴾**: الجارية تُدفن حيّة خوفَ العارِ أو المسألةِ والحاجة **﴿سُئِلَتْ﴾** تبكيتًا لقاتلها: (٩) ـ **﴿بأيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾**؟ ـ وقُرِئ بكسر التاء، حكاية لِما تُخاطَب به. وجوابُها أن تقول: قُتلتُ بلا ذنب ـ (١٠) ـ **﴿وإذا الصُّحُفُ﴾**: صُحف الأعمال **﴿نُشِرَتْ﴾**، بالتخفيف والتشديد: فُتحتْ وبُسطت، (١١) ـ **﴿وإذا السَّماءُ كُشِطَتْ﴾**: نُزعتْ عن أماكنها كما يُنزع الجِلد عن الشاة، (١٢) ـ **﴿وإذا الجَحِيمُ﴾**: النار **﴿سُعِرَتْ﴾** بالتخفيف والتشديد: أُجّجتْ، (١٣) ـ **﴿وإذا الجَنَّةُ أُزلِفَتْ﴾**: قُرّبتْ لأهلها ليدخلوها، وجواب «إذا» أوّلَ السورة وما عُطف عليها: (١٤) ـ **﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾** أي: كُلُّ نفس وقتَ هذه المذكورات ـ وهو يوم القيامة ـ **﴿ما أحضَرَتْ﴾** من خير وشرّ. (١٥) ـ (١٦) ـ **﴿فلا أُقسِمُ﴾** لا: زائدةٌ **﴿بالخُنَّسِ، الجَوارِ الكُنَّسِ﴾** هي النجوم الخمسة: زُحَلُ والمُشتري والمِرّيخ والزُّهَرة وعُطارد ـ تخنُسُ بضمّ النون أي: ترجِع في مجراها وراءها، بينما ترى النجم في آخر البُرج إذ كرَّ راجعًا إلى أوّله. وتكنِسُ بكسر النون: تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها ـ (١٧) ـ **﴿واللَّيلِ إذا عَسعَسَ﴾**: أقبل بظلامه أو أدبر، (١٨) ـ **﴿والصُّبحِ إذا تَنَفَّسَ﴾**: امتدّ حتّى يصير نهارًا بيّنًا. (١٩) ـ **﴿إنَّهُ﴾** أي: القُرآنَ **﴿لَقَولُ رَسُولٍ كَريمٍ﴾** على الله ـ تعالى ـ وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به، (٢٠) ـ **﴿ذي قُوَّةٍ﴾** أي: شديدِ القُوى **﴿عِندَ ذِي العَرشِ﴾** أي: الله ـ تعالى ـ **﴿مَكِينٍ﴾**: ذي مكانة ـ مُتعلّق به «عند» ـ (٢١) ـ **﴿مُطاعٍ ثَمَّ﴾** أي: تُطيعُه الملائكة في السماوات **﴿أمِينٍ﴾** على الوحي، (٢٢) ـ **﴿وما صاحِبُكُم﴾** مُحمّد ﷺ: عطفٌ على «إنه» إلى آخر المُقسَم عليهِ **﴿بِمَجنُونٍ﴾** كما زعمتم، (٢٣) ـ **﴿ولَقَد رَآهُ﴾** رأى مُحمّدٌ جبريلَ ـ عليهما الصلاة والسلام ـ على صُورته التي خُلق عليها **﴿بالأُفُقِ المُبِينِ﴾**: البيِّن، وهو الأعلى بناحية المشرق.

(٢٤) ـ **﴿وما هُوَ﴾** أي: مُحمّدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ **﴿علَى الغَيبِ﴾** أي: ما غاب من الوحي وخبر السماء **﴿بِظَنِينٍ﴾**: بمُتّهم ـ وفي قراءة بالضاد، أي: ببخيلٍ فيَنقُصَ شيئًا منه ـ (٢٥) ـ **﴿وما هُوَ﴾** أي: القرآنُ **﴿بِقَولِ شَيطانٍ﴾** مُسترقِ السمعِ **﴿رَجِيمٍ﴾**: مرجوم.

﴿تَرهَقها قترة﴾: تَغشاها ظُلمَةٌ وسوادٌ.

﴿الشَّمس كوّرتْ﴾: أُزيلَ ضِياؤُها أو لُفَّتْ وطُويَتْ. ﴿النجوم انكدرت﴾: تَساقَطتْ وتَهاوَتْ. ﴿الجبال سُيِّرت﴾: أزيلَتْ عن مَواضِعِها. ﴿العِشار عُطلت﴾: النُّوقُ الحَوامِلُ أهمِلَتْ بلا راعٍ. ﴿الوُحوش حُشِرت﴾: جُمِعَتْ مِنْ كلِّ صَوْبٍ. ﴿البحار سُجّرت﴾: أوقِدَتْ فصارَتْ ناراً تَضْطرمُ. ﴿النّفوس زُوّجَتْ﴾: قُرِنَتْ كلُّ نَفسٍ بشَكْلِها. ﴿المَوْءودة﴾: البنتُ الّتي تُدفَنُ حَيَّةً. ﴿الصّحُف نشِرَت﴾: صحفُ الأعمالِ فُرِّقَتْ بينَ أصحابِها. ﴿السّماء كُشِطت﴾: قُلِعَتْ كما يُقْلَعُ السَّقفُ. ﴿الجحيم سُعِّرَتْ﴾: أوقِدَتْ وأضرِمَتْ للكفّارِ. ﴿الجنّة أزلفتْ﴾: قُرِّبَتْ وأُدْنِيَتْ مِنَ المتّقينَ. ﴿عَلِمَتْ نَفسٌ ما أحْضَرَتْ﴾: ما عَمِلَتْ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ (جوابُ إذا). ﴿فلا أقسِم﴾: (أقسِمُ) و«لا» مزيدةٌ.. ﴿بالخُنّس﴾:.. بالكواكبِ السَّيّارةِ تخنُسُ نهاراً وتختفي عنِ البَصرِ، وهيَ فوقَ الأفقِ. ﴿الجَوار الكنّس﴾: وتظهرُ ليلاً ثمَّ تكنسُ وتستتِرُ في مغيبِها تحتَ الأفقِ. ﴿والليل إذا عسعس﴾: أقبلَ ظلامُهُ. أو أدْبرَ. ﴿والصّبح إذا تنفّس﴾: أقبلَ أو أضاءَ وتَبلَّجَ. ﴿إنّه لقوْل رَسول﴾: جبريلَ عنِ اللهِ (جوابُ القسمِ). ﴿مكين﴾: ذي مكانةٍ رفيعةٍ وشرفٍ. ﴿رَآه﴾: رأى الرَّسولُ جبريلَ بصورتِهِ الخِلقيَّةِ. ﴿الغَيْب﴾: الوَحْيِ وخبَرِ السَّماءِ. ﴿بضَنين﴾: ببَخيلٍ فيُقصِّرُ في تبليغِهِ.

(٢٦) ـ ﴿فأينَ تَذهَبُونَ﴾: فأيَّ طريق تسلكون في إنكاركم القُرآنَ وإعراضكم عنه؟ (٢٧) ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجِنّ، (٢٨) ـ ﴿لِمَن شاءَ مِنكُم﴾: بدلٌ من «العالمين» بإعادة الجارّ ﴿أن يَستَقِيمَ﴾ باتّباع الحقّ. (٢٩) ـ ﴿وما تَشاؤُونَ﴾ الاستقامةَ على الحقّ ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾[1]: الخلائقِ استقامَتكم عليه.

نصف الحزب ٥٩

٨٢ ـ سُورَةُ الانفِطَارِ

مكية، تسعَ عشْرةَ آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿إذا السَّماءُ انفطَرَتْ﴾: انشقّت، (٢) ـ ﴿وإذا الكَواكِبُ انتَثَرَتْ﴾: انقضّت وتساقطت، (٣) ـ ﴿وإذا البِحارُ فُجِّرَتْ﴾: فُتح بعضها في بعض فصارت بحرًا واحدًا فاختلط العذب بالمِلح، (٤) ـ ﴿وإذا القُبُورُ بُعثِرَتْ﴾: قُلِب تُرابها وبُعث موتاها، وجواب «إذا» وما عُطف عليها: (٥) ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نفس وقتَ هذه المذكورات ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿ما قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال ﴿و﴾ ما ﴿أخَّرَتْ﴾ منها فلم تعمله.

(٦) ـ ﴿يا أيُّها الإنسانُ﴾ الكافر، ﴿ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾[2] حتّى عصَيتَه، (٧) ـ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسوّاكَ﴾: جعلك مُستويَ الخِلقة سالم الأعضاء ﴿فعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف: جعلك مُعتدل الخَلق متناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل أطولَ من الأُخرى، (٨) ـ (٩) ـ ﴿في أيِّ صُورةٍ ما﴾: زائدةٌ ﴿شاءَ رَكَّبَكَ؟ كَلاّ﴾: ردعٌ عن الاغترار بكرم الله تعالى، ﴿بَل تُكَذِّبُونَ﴾ ـ أيْ كُفّارَ مكّةَ ـ ﴿بالدِّينِ﴾: الجزاء على الأعمال، (١٠) ـ ﴿وإنَّ علَيكُم لَحافِظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم (١١) ـ ﴿كِرامًا﴾ على الله ﴿كاتِبِينَ﴾ لها، (١٢) ـ ﴿يَعلَمُونَ ما تَفعَلُونَ﴾ جميعَه. (١٣) ـ ﴿إنَّ الأبرارَ﴾: المُؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾: جنّة، (١٤) ـ ﴿وإنَّ الفُجّارَ﴾: الكُفّار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾: نارٍ مُحرقة، (١٥) ـ ﴿يَصلَونَها﴾: يدخلونها ويُقاسون حرَّها ﴿يَومَ الدِّينِ﴾ الجزاء، (١٦) ـ ﴿وما هُم عَنها بِغائِبِينَ﴾: بمُخرَجينَ. (١٧) ـ (١٨) ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَكَ: ﴿ما يَومُ الدِّينِ؟ ثُمَّ ما أدراكَ: ما يَومُ الدِّينِ﴾؟ تعظيمٌ لشأنه. (١٩) ـ ﴿يَومُ﴾ ـ بالرفع ـ أي: هو يومُ ﴿لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ من المنفعة، ﴿والأمرُ يَومَئِذٍ لِلهِ﴾ لا أمر لغيره فيه، أي: لم يمكِّن أحدًا من التوسط فيه بخِلاف الدنيا.

سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا
كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
(١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
(١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤)

* * *

٨٣ ـ سورة التطفيف

مكية أو مدنية، ستٌّ وثلاثون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ـ ﴿وَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب أو وادٍ في جهنّم ﴿لِلمُطَفِّفِينَ﴾[3]، ﴿الَّذِينَ إذا اكتالُوا علَى﴾ أي: مِنَ ﴿النّاسِ يَستَوفُونَ﴾ الكيلَ، (٣) ـ ﴿وإذا

﴿السماء انفطرت﴾: انشقَّتْ عندَ قِيام السَّاعةِ. ﴿الكواكب انتثرت﴾: تساقطَتْ مُتفرِّقةً. ﴿البحار فجّرت﴾: شقِّقَتْ جَوانِبُها فصارَتْ بَحْراً واحِداً. ﴿القبور بُعثرت﴾: قُلِبَ ترابُها، وأُخرِجَ موتاها. ﴿ما غرّك بربّك؟﴾: ما خدعَكَ وجرَّأَكَ على عِصْيانِهِ؟. ﴿فسوّاك﴾: جَعَلَ أعضاءَكَ سَويَّةً سليمةً. ﴿فعدلك﴾: جعَلَكَ معتدلاً متناسب الخَلْقِ. ﴿تكذبون بالدّين﴾: بالبعثِ أوِ الجزاءِ أو بالإسلام. ﴿الأبرار﴾: الَّذينَ بَرُّوا وصدقوا في إيمانِهم. ﴿يصْلونها﴾: يَدْخُلونَها، أو يُقاسونَ حَرَّها.
﴿وَيْل﴾: عَذابٌ أوْ هَلاكٌ أو وادٍ في جهنَّمَ. ﴿للمطففين﴾: المُنقِصينَ في الكيْلِ، ومثلُهُ الوزنُ. ﴿اكتالوا﴾: اشْترَوْا بالكيلِ، ومثلُهُ الوزنُ. ﴿كالوهمْ﴾: أعطَوْا غيرَهُم بالكيلِ. ﴿وَزنوهمْ﴾: أعْطَوْا غيرَهُم بالوزن. ﴿يُخْسِرون﴾: يَنقصونَ الكيلَ والوَزنَ.

(١) لَمَّا نزلَ ﴿لمن شاءَ منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: الأمرُ إلينا إن شِئنا استقمنا، وإن شِئنا لـم نستقمْ، فنزلَ ﴿وما تشاؤون إلاَّ أن يشاء الله ربّ العالمين﴾. رواه عبد الرزاق (٣٥٢٥) من طريق سليمان بن موسى عن القاسم بن مخيمرة، ورواه الطبري (٢٤/ ١٧٢)، والواحدي (ص: ٤٥١)، وابن بطة في «الإبانة» (١٨٩٧)، عن سليمان بن موسى. ورواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣٦)، والثعلبي (٢٨/ ٥١٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه دون تسمية القائل.

(٢) مقاتل: نزلت في أبي الأشُدَّين، واسمه أسيد بن كلدة، وكان أعور شديد البطش، فقال: لئن أخذت بحلقة من باب الجنة ليدخلنها بشر كثير، ثم قتل يوم فتح مكة. «تفسير مقاتل» (٤/ ٦١٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٩٣) عن الكلبي ومقاتل. وذكره الماوردي (٦/ ٢٢١)، وابن الجوزي (٣/ ٤٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ويقال له: أبو الأشد وأبو الأشدين.

(٣) قالَ السُّدِّيُّ: قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ وبها رَجلٌ يقالُ لهُ: أبو جُهينَةَ، ومعَهُ صاعانِ يكيلُ بأحدِهما ويكتالُ بالآخرِ، فنزلَتْ فيهِ ﴿ويل للمطففين﴾. الثعلبي (٢٩/ ٣٧)، والواحدي (ص: ٤٥٢).

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ
ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ
مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾
وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾

﴿كالُوهُم﴾ أي: كالوا لهم ﴿أو وَزَنُوهُم﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخسِرُونَ﴾: يُنقِصون الكيل أو الوزن. (٤) - ﴿ألا﴾ - استفهامُ توبيخ - ﴿يَظُنُّ﴾: يتيقّن ﴿أُولئِكَ أَنَّهُم مَبعُوثُونَ (٥) - لِيَومٍ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه - وهو يوم القيامة - (٦) - ﴿يَومَ﴾: بدلٌ من محلّ «ليوم» فناصبُه «مبعوثون» ﴿يَقُومُ النّاسُ﴾ من قُبورهم ﴿لِرَبِّ العالَمِينَ﴾: الخلائقِ لأجل أمره وحِسابه وجزائه؟

سَكتة لطيفة على اللام

(٧) - ﴿كَلاّ﴾: حقًّا ﴿إنَّ كِتابَ الفُجّارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمال الكُفّار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾. قيل: هو كِتابٌ جامعٌ لأعمال الشياطين والكَفَرة. وقيل: هو مكانٌ أسفلَ الأرض السابعة، وهو محلّ إبليسَ وجُنودِه. (٨) - ﴿وما أدراكَ: ما سِجِّينٌ﴾: ما كتابُ سجّين؟ (٩) - ﴿كِتابٌ مَرقُومٌ﴾: مختوم.

(١٠) - (١١) - ﴿وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ، بدلٌ أو بيانٌ للمكذّبين، (١٢) - ﴿وما يُكَذِّبُ بِهِ إلاّ كُلُّ مُعتَدٍ﴾: مُتجاوزِ الحدِّ ﴿أثِيمٍ﴾: صيغةُ مُبالغة، (١٣) - ﴿إذا تُتلَى عليهِ آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿قالَ: أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾: الحكاياتُ التي سُطرت قديمًا، جمع أُسطورة بالضمّ أو إسطارة بالكسر.

(١٤) - ﴿كَلاّ﴾: ردعٌ وزجر لقولهم ذلك ﴿بَل رانَ﴾: غلب ﴿علَى قُلُوبِهِم﴾ فغشّاها ﴿ما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ من المعاصي فهو كالصدأِ.

(١٥) - ﴿كَلاّ﴾: حقًّا ﴿إنَّهُم عَن رَبِّهِم يَومَئذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿لَمَحجُوبُونَ﴾ فلا يرونه، (١٦) - ﴿ثُمَّ إنَّهُم لَصالُو الجَحِيمِ﴾: لداخلو النار المُحرِقة، (١٧) - ﴿ثُمَّ يُقالُ﴾ لهم: ﴿هذا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

(١٨) - ﴿كَلاّ﴾: حقًّا ﴿إنَّ كِتابَ الأبرارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمال المُؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كِتاب جامعٌ لأعمال الخير من الملائكة ومُؤمني الثقلينِ. وقيل: هو مكانٌ في السماء السابعة تحت العرش. (١٩) - ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَكَ: ﴿ما عِلِّيُّونَ﴾: ما كتابُ علّيّينَ؟ (٢٠) - هو ﴿كِتابٌ مَرقُومٌ﴾: مختوم، (٢١) - ﴿يَشهَدُهُ المُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة.

(٢٢) - ﴿إنَّ الأبرارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: جنّة، (٢٣) - ﴿علَى الأرائِكِ﴾: السُّررِ في الحِجال ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أُعطُوا من النعيم، (٢٤) - ﴿تَعرِفُ في وُجُوهِهِم نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: بهجةَ التنعُّم وحُسنَه، (٢٥) - ﴿يُسقَونَ مِن رَحِيقٍ﴾: خمرٍ خالصة من الدنس ﴿مَختُومٍ﴾ على إنائها لا يَفكُّ ختمَها إلاّ هم، (٢٦) - ﴿خِتامُهُ مِسكٌ﴾ أي: آخرُ شُربه يفوح منه رائحة المِسك - ﴿وفي ذلِكَ فلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ﴾: فلْيَرْغبوا بالمُبادرة إلى طاعة الله تعالى - (٢٧) - ﴿ومِزاجُهُ﴾ أي: ما يُمزج به ﴿مِن تَسنِيمٍ﴾. فُسّر بقوله: (٢٨) - ﴿عَينًا﴾ فنصبُه بـ «أمدحُ» مُقدّرًا، ﴿يَشرَبُ بِها المُقَرَّبُونَ﴾ أي: منها، أو ضُمِّنَ «يشرب» معنى: يلتذّ.

(٢٩) - ﴿إنَّ الَّذِينَ أجرَمُوا﴾[1] كأبي جهل ونحوه ﴿كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعمّارٍ وبِلال ونحوهما ﴿يَضحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم، (٣٠) - ﴿وإذا مَرُّوا﴾ أي: المُؤمنون ﴿بِهِم يَتَغامَزُونَ﴾[2] أي: يشير المُجرمون إلى المُؤمنين بالجفن والحاجب استهزاءً، (٣١) - ﴿وإذا انقَلَبُوا﴾: رَجَعوا ﴿إلَى أهلِهِمِ انقَلَبُوا فاكِهِينَ﴾، وفي قراءة: «فَكِهِينَ»: مُعجَبينَ بذِكرهم المُؤمنين، (٣٢) - ﴿وإذا رأَوهُم﴾: رأوُا المُؤمنين ﴿قالُوا: إنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ﴾ لإيمانهم بمُحمّد ﷺ. (٣٣) - قال تعالى: ﴿وما أُرسِلُوا﴾ أي: الكفارُ ﴿عليهِم﴾: على المُؤمنين ﴿حافِظِينَ﴾ لهم ولأعمالهم حتّى يردّوهم إلى مصالحهم.

﴿لربّ العالمين﴾: لأمرِهِ وحكمِهِ. ﴿كتاب الفجّار﴾: ما يُكتبُ مِن أعمالِهِم. ﴿لفي سجين﴾: لمُثبَتٌ في ديوانِ الشَّرِّ. ﴿كتابٌ مَرقوم﴾: بَيِّنُ الكتابةِ أو مُعلمٌ بعلامةٍ. ﴿مُعْتدٍ﴾: فاجر مُتجاوز عن نَهجِ الحقِّ. ﴿أساطير الأوّلين﴾: أباطيلُهُمُ المسَطَّرةُ في كتبِهِم. ﴿كلاّ﴾: رَدْعٌ وزجْرٌ عن قولِهِم الباطل. ﴿رانَ على قلوبهم﴾: غَلَبَ وغَطّى عليها أو طبعَ عليها. ﴿لصالوا الجحيم﴾: لداخِلوها أو لمقاسو حرِّها. ﴿كتاب الأبرار﴾: ما يُكتبُ مِن أعمالِهِم. ﴿لفي عليين﴾: لمُثبتٌ في ديوانِ الخيْرِ. ﴿الأرائك﴾: الأسِرَّةِ في الحجالِ (جمع حَجَلة مُحرَّكة بيتٌ يزيَّنُ بالقبابِ والأسرَّةِ والسُّتورِ). ﴿نضرة النّعيم﴾: بهجتُهُ ورونقُهُ وبهاءُهُ. ﴿رَحيق﴾: أجْوَدِ الخَمْرِ وأصْفاهُ. ﴿مَختوم﴾: إناؤُهُ حتّى يَفكَّهُ الأبرارُ. ﴿خِتامه مسْك﴾: ختامُ إنائِهِ المِسْكُ بَدَلَ الطِّينِ. ﴿فليتنافس﴾: فليَتَسارعْ. أو فليَسْتَبِقْ. ﴿مِزاجه﴾: ما يُمْزَجُ بِهِ ويُخْلَطُ. ﴿تسْنيم﴾: عَيْنٍ عاليةٍ شَرابُها أشرفُ شرابٍ. ﴿يَشرَب بها﴾: يَشرَبُ منها. ﴿يَتغامَزون﴾: يُشيرونَ إليهِم بالأعينِ استهزاءً. ﴿فكهين﴾: مُتلذِّذينَ باستِخفافِهِم بالمؤمنينَ.

(١) نزلَتْ في أبي جَهلٍ وأصحابِه. الثعلبي (٢٩/ ٨٥)، والسمعاني (٦/ ١٨٤).

(٢) جاءَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ في نفرٍ من المسلمينَ، فسخِرَ منهم المنافقون وضحكُوا وتغامزُوا، ثمَّ رجعُوا إلى أصحابِهم فقالُوا: رأينا اليومَ الأصلعَ، وضحكُوا منه، فنزلَت قبلَ أن يصلَ عليٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ. الثعلبي (٢٩/ ٨٦) عن الكلبي ومقاتل. وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٢٥).

فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

(٣٤) ـ (٣٥) ـ ﴿**فاليومَ**﴾ أي: يومَ القيامة ﴿**الَّذينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضحَكونَ، علَى الأرائكِ**﴾ في الجنّة ﴿**يَنظُرُونَ**﴾ من منازلهم إلى الكفّار، وهم يُعذّبون، فيضحكون منهم كما ضحك الكُفّار منهم في الدنيا: (٣٦) ـ ﴿**هَل ثُوِّبَ**﴾: جُوزِيَ ﴿**الكُفّارُ ما كانُوا يَفعَلُونَ**﴾؟ نعم.

* * *

ربع الحزب ٥٩

٨٤ ـ سُورَةُ الانشِقَاقِ

مكية، ثلاثٌ أو خمس وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ـ ﴿**إذا السَّماءُ انشَقَّتْ، وأذِنَتْ**﴾: سمعتْ وأطاعت في الانشقاق ﴿**لِربِّها وحُقَّتْ**﴾ أي: حُقّ لها أن تسمع وتطيع، (٣) ـ ﴿**وإذا الأرضُ مُدَّتْ**﴾: زِيدَ في سَعتها كما يُمدّ الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل، (٤) ـ ﴿**وألقَتْ ما فِيها**﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿**وتَخلَّتْ**﴾ عنه، (٥) ـ ﴿**وأذِنَتْ**﴾: سمعتْ وأطاعت في ذلك ﴿**لِربِّها وحُقَّتْ**﴾ ـ وذلك كُلّه يكون يوم القيامة ـ وجواب «إذا» وما عُطف عليها محذوف، دلّ عليه ما بعده، تقديره: لقِيَ الإنسانُ عملَه. (٦) ـ ﴿**يا أيُّها الإنسانُ، إنَّكَ كادِحٌ**﴾: جاهدٌ في عملك ﴿**إلَى**﴾ لقاء ﴿**رَبِّكَ**﴾ ـ وهو الموتُ ـ ﴿**كَدحًا فمُلاقِيهِ**﴾ أي: مُلاقٍ عملَكَ المذكورَ من خير أو شرّ يوم القيامة.

سجدة

(٧) ـ ﴿**فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ**﴾: كِتابَ عمله ﴿**بِيَمِينِهِ**﴾ ـ هو المُؤمن ـ (٨) ـ ﴿**فسَوفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا**﴾ هو عرضُ عمله عليه كما فُسِّر في حديث الصحيحين ـ وفيه: «مَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ» ـ وبعدَ العرض يُتجاوز عنه، (٩) ـ ﴿**ويَنقَلِبُ إلَى أهلِهِ**﴾ في الجنّة ﴿**مَسرُورًا**﴾ بذلك، (١٠) ـ ﴿**وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهرِهِ**﴾ ـ هو الكافر، تُغَلّ يُمناه إلى عُنقه وتُجعل يُسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه ـ (١١) ـ ﴿**فسَوفَ يَدعُو**﴾ عِند رُؤيته ما فيه ﴿**ثُبُورًا**﴾: يُنادي هلاكَه بقوله: يا ثُبوراهُ، (١٢) ـ ﴿**ويَصلَى سَعِيرًا**﴾: يَدخل النارَ الشديدة. وفي قراءة بضمِّ الياء وفتحِ الصاد واللامِ المُشدّدة. (١٣) ـ ﴿**إنَّهُ كانَ في أهلِهِ**﴾: عشيرته في الدنيا ﴿**مَسرُورًا**﴾: بطِرًا باتّباعه لِهواه. (١٤) ـ ﴿**إنَّهُ ظَنَّ أنْ**﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿**لَن يَحُورَ**﴾: يرجِعَ إلى ربّه. (١٥) ـ ﴿**بَلَى**﴾ يرجِعُ إليه. ﴿**إنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيرًا**﴾: عالمًا برُجوعه إليه.

(١٦) ـ ﴿**فلا أُقسِمُ**﴾ ـ لا: زائدةٌ ـ ﴿**بالشَّفَقِ**﴾ هو الحُمرة في الأُفق بعد غُروب الشمس، (١٧) ـ ﴿**واللَّيلِ وما وَسَقَ**﴾: جمعَ ما دخل عليه من الدوابّ وغيرها، (١٨) ـ ﴿**والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ**﴾: اجتمع وتمّ نُوره وذلك في الليالي البيض، (١٩) ـ ﴿**لَتَركَبُنَّ**﴾ ـ أيها الناسُ. أصله «تَركبُونَنَّ» حُذفت نونُ الرفع لتوالي الأمثال، والواوُ لالتقاء الساكنين ـ ﴿**طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾: حالاً بعد حال. وهو الموت ثمّ الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

(٢٠) ـ ﴿**فما لَهُم**﴾ أي: الكُفّارِ ﴿**لا يُؤمِنُونَ**﴾ أي: أيُّ مانع لهم من الإيمان؟ أو أيُّ حُجّة لهم في تركه مع وُجود براهينه؟ (٢١) ـ ﴿**و**﴾ مالهم ﴿**إذا قُرِئَ عليهِمِ القُرآنُ لا يَسجُدُونَ**﴾: يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه؟ (٢٢) ـ ﴿**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ**﴾ بالبعث وغيره، (٢٣) ـ ﴿**واللهُ أعلَمُ بِما يُوعُونَ**﴾: يَجمعون في صُحفهم من الكُفر والتكذيب وأعمال السوء. (٢٤) ـ ﴿**فبَشِّرْهُم**﴾: أخبِرْهم ﴿**بِعَذابٍ ألِيمٍ**﴾: مُؤلم.

﴿ثُوِّب الكفار﴾: جُوزُوا بسُخريتِهم بالمؤمنينَ.

﴿السماء انشقّت﴾: انصَدعَتْ عندَ قيامِ القيامةِ. ﴿أذنت لربها﴾: اسْتمَعَتْ وانْقادَتْ لهُ تعالى. ﴿حُقّتْ﴾: حَقَّ اللهُ عليها الاستماعَ والانقيادَ. ﴿الأرض مُدّتْ﴾: بُسِطتْ وسُوِّيَتْ كمَدِّ الأديمِ. ﴿ألْقت ما فيها﴾: لَفظَتْ ما في جَوْفِها مِنَ الموتى. ﴿تخلّتْ﴾: خَلتْ عنهُ غايةَ الخُلُوِّ. ﴿كادِح إلى ربّك﴾: جاهدٌ في عملِكَ إلى لقاءِ ربِّكَ. ﴿فمُلاقيه﴾: فمُلاقٍ لا محالةَ جزاءَ عملِكَ. ﴿يَدْعو ثبوراً﴾: يُنادي هَلاكاً قائلاً يَا ثُبوراه. ﴿يَصلى سعيراً﴾: يدْخلُها أو يُقاسي حرَّها. ﴿لنْ يَحور﴾: لن يرْجعَ إلى ربِّهِ تكْذيباً بالبَعْثِ. ﴿فلا أقسِم﴾: أقسِمُ و«لا» مزيدةٌ. ﴿بالشّفق﴾: بالحُمْرَةِ في الأفقِ بعدَ الغروبِ. ﴿ما وَسَق﴾: ما ضَمَّ وجَمَعَ ما انتشرَ بالنَّهارِ. ﴿اتّسق﴾: اجْتَمَعَ وتكاملَ وتَمَّ نورُهُ. ﴿لتركبنّ﴾: لتُلاقُنَّ أيُّها النَّاسُ (جوابُ القسمِ). ﴿طبَقًا﴾: أحْوالاً بَعْدَ أحْوالٍ مُتطابقةً في الشِّدَّةِ. ﴿يوعون﴾: يُضمِرونَهُ أو يَجمعونَهُ مِنَ السَّيِّئاتِ.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟
مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن
وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿٢٥﴾ - ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ﴾: غير مقطوع ولا منقوص ولا يُمَنُّ به عليهم.

٨٥ - سُورَةُ البُرُوجِ

مكية، ثنتانِ وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ - ﴿والسَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ﴾ - للكواكب اثنا عشَرَ بُرجًا تقدَّمت في «الفُرقان» - ﴿٢﴾ - ﴿واليَومِ المَوعُودِ﴾: يومِ القيامة، ﴿٣﴾ - ﴿وشاهِدٍ﴾: يومِ الجُمعة ﴿ومَشهُودٍ﴾: يومِ عرَفة - كذا فُسِّرت الثلاثة في الحديث[1]. فالأوّل موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث تشهده الناس والملائكة - وجوابُ القسم محذوف صدرُه، أي: لقد ﴿٤﴾ - ﴿قُتِلَ﴾: لُعِن ﴿أصحابُ الأُخدُودِ﴾: الشقّ في الأرض، ﴿٥﴾ - ﴿النّارِ﴾: بدلُ اشتمال منه ﴿ذاتِ الوَقُودِ﴾: ما تُوقد به، ﴿٦﴾ - ﴿إذ هُم عَلَيها﴾ أي: حولها على جانب الأُخدود على الكراسيّ ﴿قُعُودٌ، ﴿٧﴾ - وهُم على ما يَفعَلُونَ بالمُؤمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم، ﴿شُهُودٌ﴾: حُضور - رُوي أنّ الله أنجى المُؤمنين المُلقَين في النار بقبض أرواحهم قبل وُقوعهم فيها، وخرجَتِ النار إلى مَن ثَمَّ فأحرقتْهم - ﴿٨﴾ - ﴿وما نَقَمُوا مِنهُم إلاّ أن يُؤمِنُوا باللهِ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الحَمِيدِ﴾ المحمود، ﴿٩﴾ - ﴿الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، واللهُ على كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾. أي: ما أنكرَ الكُفّار على المُؤمنين إلاّ إيمانهم.

﴿١٠﴾ - ﴿إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَم يَتُوبُوا فَلَهُم عَذابُ جَهَنَّمَ﴾ بكُفرهم ﴿ولَهُم عَذابُ الحَرِيقِ﴾ أي: عذاب إحراقهم المُؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدّم. ﴿١١﴾ - ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم جَنّاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ. ذلِكَ الفَوزُ الكَبِيرُ﴾.

﴿١٢﴾ - ﴿إنَّ بَطشَ رَبِّكَ﴾ بالكُفّار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسَب إرادته. ﴿١٣﴾ - ﴿إنَّهُ هُوَ يُبدِئُ﴾ الخلقَ ﴿ويُعِيدُ﴾ فلا يُعجزه ما يُريد، ﴿١٤﴾ - ﴿وهُوَ الغَفُورُ﴾ للمُذنبين المُؤمنين ﴿الوَدُودُ﴾: المُتودّد إلى أوليائه بالكرامة، ﴿١٥﴾ - ﴿ذُو العَرشِ﴾: خالقُه ومالكه ﴿المَجِيدُ﴾، بالرفع: المستحقُّ لكمال صفات العُلوّ. ﴿١٦﴾ - ﴿فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾: لا يُعجزه شيء.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ - ﴿هَل أتاكَ﴾ - يا مُحمّدُ - ﴿حَدِيثُ الجُنُودِ، فِرعَونَ وثَمُودَ﴾؟ بدلٌ من الجنود. واستُغني بذكر فرعون عن أتباعه. وحديثُهم أنهم أُهلكوا بكُفرهم. وهذا تنبيه لمن كفر بالنبيّ والقُرآن ليتّعظوا. ﴿١٩﴾ - ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا في تَكذِيبٍ﴾ بما ذُكر، ﴿٢٠﴾ - ﴿واللهُ مِن وَرائِهِم مُحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه.

﴿٢١﴾ - ﴿بَل هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ﴾: عظيم، ﴿٢٢﴾ - ﴿في لَوحٍ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَحفُوظٍ﴾ - بالجرّ - من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طولُه ما بين السماء والأرض، وعرضُه ما بين المشرق والمغرب، وهو من دُرّة بيضاء. قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2].

﴿غيرُ مَمْنون﴾: غيرُ مقطوعٍ عنهُم.
﴿والسماء﴾: (أقسَمَ) اللهُ بها وبما بعدَها. ﴿ذات البروج﴾: ذاتِ المنازلِ المعروفةِ للكواكبِ. ﴿اليوم الموعود﴾: يوم القيامةِ. ﴿شاهد﴾: مَن يَشهدُ على غيرِهِ فيهِ.
﴿مشهودٍ﴾: مَن يَشهدُ عليهِ غيرُهُ فيهِ. ﴿قُتِل﴾: لقد لُعِنَ أشدَّ اللَّعْنِ (جوابُ القسم). ﴿الأخدود﴾: الشَّقّ العظيم؛ كالخَنْدَقِ. ﴿ما نقموا﴾: ما كَرِهُوا وما عابُوا وما أنكَروا. ﴿فتنوا﴾: عَذَّبُوا أو أَحرَقُوا. ﴿بَطْش ربِّك﴾: أخْذَهُ الجبابرةَ والظَّلمةَ بالعذابِ. ﴿هو يُبدئ﴾: يَخلُقُ ابتِداءً بقدرتِهِ. ﴿يُعيد﴾: يَبعثُ الموتى يومَ القيامةِ بقدرتِهِ.
﴿الوَدود﴾: المُتودِّدُ إلى أوليائِهِ بالكرامةِ. ﴿المجيد﴾: العظيمُ الجليلُ المُتعالِي.

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه. ورواه الطبري (٢٤/ ٢٦٤) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه عبد الرزاق (١٦١٩)، والطبري (٢٢/ ٢١٥).

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ
﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾
خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ
رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ
﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ
لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾
وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾

٨٦ - سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية، سبعَ عشْرةَ آيةً. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿والسَّماءِ والطّارِقِ﴾، أصلُه كُلُّ آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطُلوعها ليلاً - (٢) - ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَك: ﴿ما الطّارِقُ﴾؟ مُبتدأ وخبر، في محلّ المفعول الثاني لـ«أدرى». وما بعدَ «ما» الأُولى: خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المُفسَّر بما بعده. (٣) - هو ﴿النَّجمُ﴾ أي: الثُّريّا أو كُلّ نجم ﴿الثّاقِبُ﴾: المضيء لثَقبه الظلامَ بضوئه - وجوابُ القسم: (٤) - ﴿إنْ كُلُّ نفسٍ لَمّا عليها حافِظٌ﴾، بتخفيف «ما» فهي مزيدة، وإنْ: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه، واللام: فارقة، وبتشديدها فإنْ: نافية، ولمّا: بمعنى إلّا. والحافظ: من الملائكة يحفظ عملها من خير وشرّ. (٥) - ﴿فلْيَنظُرِ الإنسانُ﴾ نظرَ اعتبار: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾[1]: من أيّ شيء؟ جوابه: (٦) - ﴿خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ﴾: ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها، (٧) - ﴿يَخرُجُ مِن بَينِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿والتَّرائبِ﴾ للمرأة، وهي عِظام الصدر. (٨) - ﴿إنَّهُ﴾ تعالى ﴿علَى رَجعِهِ﴾: بعثِ الإنسان بعد موته ﴿لَقادِرٌ﴾ - فإذا اعتبَر أصلَه عَلِمَ أنّ القادر على ذلك قادر على بعثه - (٩) - ﴿يومَ تُبلَى﴾: تُختبَرُ وتُكشف ﴿السَّرائرُ﴾: ضمائر القُلوب في العقائد والنيّات، (١٠) - ﴿فما لَهُ﴾: لِمُنكرِ البعث ﴿مِن قُوّةٍ﴾ يمتنع بها عن العذاب ﴿ولا ناصِرٍ﴾ يدفعه عنه. (١١) - ﴿والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾: المطر لعوده كُلَّ حين، (١٢) - ﴿والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ﴾: الشقّ عن النبات، (١٣) - ﴿إنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقولٌ فَصْلٌ﴾ يَفصِل بين الحقّ والباطل، (١٤) - ﴿وما هُوَ بِالهَزْلِ﴾: باللعب والباطل. (١٥) - ﴿إنَّهُم﴾ أي: الكُفّارَ ﴿يَكِيدُونَ كَيدًا﴾: يَعملون المَكايدَ للنبيّ ﷺ (١٦) - ﴿وأكِيدُ كَيدًا﴾: أستدرجُهم من حيثُ لا يعلمون. (١٧) - ﴿فمَهِّلِ﴾ - يا مُحمّدُ - ﴿الكافِرِينَ أمهِلْهُم﴾: تأكيدٌ، حسَّنَه مُخالفة اللفظ أي: أنظِرْهم ﴿رُوَيدًا﴾: قليلاً. وهو مصدرٌ مُؤكِّد لمعنى العامل، مُصغَّر رُودٍ، أو إرواد على الترخيم. وقد أخذهم الله - تعالى - ببدر. ونُسخ الإمهال بآية السيف بالأمر بالجهاد والقتال.

* * *

٨٧ - سُورَةُ الأَعْلَى

مكية، تسعَ عشْرةَ آيةً. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ﴾ أي: نَزِّهْ ربَّك عمّا لا يليق به - واسم: زائدٌ - ﴿الأعلَى﴾: صفةٌ لـ «ربّك»، (٢) - ﴿الَّذِي خَلَقَ فسَوَّى﴾ مخلوقه جعله مُتناسب الأجزاء غير مُتفاوت، (٣) - ﴿والَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فهَدَى﴾ إلى ما قدّره من خير وشرّ، (٤) - ﴿والَّذِي أخرَجَ المَرعَى﴾: أنبتَ العُشب (٥) - ﴿فجَعَلَهُ﴾ بعد الخُضرة ﴿غُثاءً﴾: جافًّا هشيمًا ﴿أحوَى﴾: أسودَ يابسًا. (٦) - ﴿سَنُقرِئُكَ﴾ القُرآنَ ﴿فلا تَنسَى﴾ ما تقرؤه، (٧) - ﴿إلّا ما شاءَ اللهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحُكمه - وكان ﷺ يَجهر بالقِراءة مع قِراءة جِبريل خوفَ النسيان[2]. فكأنه قيل له: لا تعجلْ بها. إنك ما تنسى. فلا تُتعِب

﴿والطارق﴾: (قسمٌ) بالنَّجم الثَّاقِبِ يَطلُعُ ليلاً. ﴿النّجم الثاقب﴾: المُضِيءُ المُتوهِّجُ أوِ المُرتفِعُ العالي. ﴿إن كلّ نفس﴾: ما كلُّ نَفسٍ (جوابُ القسم). ﴿لمّا عليها﴾: إلّا عليها. ﴿حافظٌ﴾: مُهَيمنٌ ورَقِيبٌ وهوَ اللهُ تعالى. ﴿ماءٍ﴾: مُمتزَجٍ مِن مائَي الرَّجلِ والمرأةِ. ﴿دافِق﴾: مَصبُوبٍ بدَفعٍ وسُرعةٍ في الرَّحِم. ﴿مِنْ بين الصلب﴾: ظَهْرِ كلٍّ مِنَ الرَّجلِ والمرأةِ. ﴿والتّرائب﴾: عِظامِ الصَّدرِ أو الأطرافِ مِن كلٍّ منهُما، أو يَخرجُ مِن كلِّ البَدَنِ مِنهُما، والصُّلْبُ والتَّرائبُ كِنايةٌ عنهُ. ﴿رَجْعِه﴾: إعادةِ الإنسانِ بعدَ فنائِه. ﴿تبْلى السّرائر﴾: تُكشَفُ مَكنوناتُ القلوبِ. ﴿ذات الرّجع﴾: المطرِ لِرُجُوعِهِ إلى الأرضِ مِراراً. ﴿ذات الصّدْع﴾: النَّباتِ الَّذي تَنشَقُّ عنهُ. ﴿لَقَوْلٌ فصل﴾: فاصلٌ بينَ الحقِّ والباطِلِ. ﴿أكيدُ كيْدًا﴾: أُجازيهِم على فِعلِهِم بالاستِدْراجِ. ﴿فمهّل الكافرين﴾: فلا تَستَعجِلْ بالانتقامِ منهُمْ. ﴿أمْهلهُمْ رويْداً﴾: إمْهالاً قريباً، أو قليلاً حتَّى يَأتِيَهُمُ العذابُ. ﴿سبّح اسم ربّك﴾: نَزِّهْهُ ومَجِّدْهُ تعالى عمَّا لا يَليقُ بهِ. ﴿خلق﴾: أَوْجَدَ كلَّ شيءٍ بقدرتِهِ. ﴿فسوّى﴾: بيَّنَ خَلْقِهِ في الإحْكامِ والإتقانِ. ﴿قدّر﴾: جعلَ الأشياءَ على مَقاديرَ مَخصوصةٍ. ﴿فهدَى﴾: فَوجَّهَ كلَّ واحدٍ منها إلى ما يَنبَغي لهُ. ﴿أخرَجَ المرعى﴾: أنْبَتَ العُشبَ رَطْباً غَضّاً. ﴿فجعله غُثاءً﴾: يابساً هَشِيماً مِن بعدُ كالغُثاءِ (هوَ ما يَحمِلُهُ السَّيلُ مِنَ البالي مِن ورقِ الشَّجرِ مُخالِطاً زَبَدَهُ). ﴿أحْوَى﴾: أسْودَ أو أسْمَرَ بعدَ الخُضرةِ. ﴿سنُقرئك﴾: ما نُوحِي إليكَ بواسطةِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ. ﴿فلا تنسى﴾: أبداً مِن قوّةِ الحفظِ والإتقانِ. ﴿نُيسّرُك لليُسرى﴾: نُوفِّقُكَ للطَّريقةِ اليُسرى في كلِّ أمْرٍ.

(١) عن عكرمة قال: نزلت في أبي الأشد؛ كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة واكفوني أنتم تسعة. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ٢١٠).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٦٤٩) عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا نزلَ عليهِ جِبريلُ بالوَحيِ يَقرؤُهُ مخافَةَ أنْ يَنساهُ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿سنقرئك﴾. قال في «المجمع» (٧/ ١٣٦): فيه جويبر وهو ضعيف.

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥
بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ
هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ
نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ
لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ وُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ
مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ
إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى
ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠
فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢

نفسك بالجهر بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعلَمُ الجَهرَ﴾ من القول والفِعل ﴿وما يَخفَى﴾ منهما ـ ٨ ـ ﴿ونُيَسِّرُكَ لِليُسرَى﴾ للشريعة السهلة وهي الإسلام. ٩ ـ ﴿فذَكِّرْ﴾: عِظْ بالقرآن ﴿إن نَفَعَتِ الذِّكرَى﴾ مَن تُذَكِّرُه، المذكورَ في: ١٠ ـ ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخشَى﴾: يخافُ الله ـ تعالى ـ كآية «فذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعِيدِ»، ١١ ـ ﴿ويَتَجَنَّبُها﴾ أي: الذكرى، أي: يَتركها جانبًا لا يلتفت إليها ﴿الأشقَى﴾ بمعنى الشقيّ أي: الكافر ١٢ ـ ﴿الَّذِي يَصلَى النّارَ الكُبرَى﴾ ـ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا ـ ١٣ ـ ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريحَ ﴿ولا يَحيا﴾ حياة هنيئة. ١٤ ـ ﴿قَد أفلَحَ﴾: فاز ﴿مَن تَزَكَّى﴾: تطهّرَ بالإيمان، ١٥ ـ ﴿وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ﴾ مُكبرًا ﴿فصَلَّى﴾ الصلواتِ الخمسَ. وذلك من أُمور الآخرة، وكُفّارُ مكّة مُعرضون عنها. ١٦ ـ ﴿بَل يُؤثِرُونَ﴾ ـ بالتحتانيّة والفوقانيّة ـ ﴿الحَياةَ الدُّنيا﴾ على الآخرة، ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿والآخِرةُ﴾ المُشتملة على الجنّة ﴿خَيرٌ وأبقَى. إنَّ هذا﴾ أي: إفلاحَ من تزكّى وكونَ الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أي: المُنزَلة قبل القُرآن، ١٩ ـ ﴿صُحُفِ إبراهِيمَ ومُوسَى﴾. وهي عشرُ صُحف لإبراهيم والتوراةُ لموسى.

٨٨ ـ سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية، ستٌّ وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿هَل﴾: قد ﴿أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيةِ﴾: القِيامة لأنها تغشى الخلائقَ بأهوالها؟ ٢ ـ ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ﴾ ـ عُبّر بها عن الذوات في الموضعين ـ ﴿خاشِعةٌ﴾: ذليلة، ٣ ـ ﴿عامِلةٌ ناصِبةٌ﴾: ذات نَصَب وتعب بالسلاسل والأغلال، ٤ ـ ٥ ـ ﴿تُصلَى﴾ ـ بضم التاء وفتحها ـ ﴿نارًا حامِيةً، تُسقَى مِن عَينٍ آنِيةٍ﴾: شديدة الحرارة، ٦ ـ ﴿لَيسَ لَهُم طَعامٌ إلاّ مِن ضَرِيعٍ﴾ ـ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابّةٌ لخُبثه ـ ٧ ـ ﴿لا يُسمِنُ ولا يُغنِي مِن جُوعٍ﴾[1].

٨ ـ ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناعِمةٌ﴾: حسنة، ٩ ـ ﴿لِسَعيِها﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿راضِيةٌ﴾ في الآخرة لمّا رأت ثوابه، ١٠ ـ ﴿في جَنّةٍ عالِيةٍ﴾ حِسًّا ومعنًى، ١١ ـ ﴿لا يُسمَعُ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿فِيها لاغِيةٌ﴾ أي: نفسٌ ذات لغوٍ: هَذَيانٍ من الكلام، ١٢ ـ ﴿فِيها عَينٌ جارِيةٌ﴾ بالماء بمعنى عُيون، ١٣ ـ ﴿فِيها سُرُرٌ مَرفُوعةٌ﴾ ذاتًا وقدرًا ومَحلًّا، ١٤ ـ ﴿وأكوابٌ﴾: أقداح لا عُرَى لها ﴿مَوضُوعةٌ﴾ على حافات العُيون مُعدّة لشُربهم، ١٥ ـ ﴿ونَمارِقُ﴾: وسائد ﴿مَصفُوفةٌ﴾: بعضُها بجنب بعض يُستند إليها، ١٦ ـ ﴿وزَرابِيُّ﴾: بُسطٌ طَنافسُ لها خَمْل ﴿مَبثُوثةٌ﴾: مبسوطة.

١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿أفلا يَنظُرُونَ﴾ أي: كفّارُ مكة نظرَ اعتبار ﴿إلَى الإبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ﴾[2]؟ ﴿وإلَى السَّماءِ كَيفَ رُفِعَتْ؟ وإلَى الجِبالِ كَيفَ نُصِبَتْ؟ وإلَى الأرضِ كَيفَ سُطِحَتْ﴾، أي: بُسطتْ؟ فيستدلّون بها على قُدرة الله ـ تعالى ـ ووحدانيّته؟ وصُدّرت بالإبل لأنهم أشدّ مُلابسة لها من غيرها. وقوله «سُطِحَتْ» ظاهر في أنّ الأرض سطحٌ لا كُرةٌ كما قاله أهل الهيئة، وإن لم ينقض رُكنًا من أركان الشرع. ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿فذَكِّرْ﴾ هُم نِعَمَ الله ودلائلَ توحيده. ﴿إنّما أنتَ مُذَكِّرٌ. لَستَ علَيهِم بِمُسَيطِرٍ﴾ ـ وفي قراءة بالصاد بدل السين ـ أي بمُسلَّط. وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ٢٣ ـ ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿مَن تَوَلَّى﴾: أعرض عن الإيمان ﴿وكَفَرَ﴾ بالقُرآن ٢٤ ـ ﴿فيُعَذِّبُهُ اللهُ العَذابَ الأكبَرَ﴾: عذابَ الآخرة. والأصغرُ عذابُ الدنيا بالقتل والأسر. ٢٥ ـ ﴿إنَّ إلَينا إيابَهُم﴾: رُجوعَهم بعد الموت، ٢٦ ـ ﴿ثُمَّ إنَّ علَينا حِسابَهُم﴾: جزاءهم لا نتركه أبدًا.

﴿يَصْلى النّار الكبرى﴾: يَدخُلُ جهنَّمَ أو يُقاسِي حَرَّها. ﴿أفْلح﴾: فازَ بالبُغْيةِ. ﴿تزَكّى﴾: تطهَّرَ مِنَ الكفرِ والمعاصي. ﴿إنّ هَذا﴾: المذكورَ (الآياتِ الأربعَ السَّابقة).

﴿الغاشية﴾: القيامةِ تَغشى النَّاسَ بأهوالِها. ﴿خاشعة﴾: ذَليلةٌ خاضِعةٌ مِنَ الخِزْيِ. ﴿عامِلة﴾: تَجُرُّ السَّلاسلَ والأغلالَ في النَّارِ. ﴿ناصبة﴾: تَعِبةٌ مِمَّا تُلاقِيهِ فيها مِنَ العذابِ. ﴿تصلى نارًا حامية﴾: تدخُلُ أو تُقاسِي ناراً تَناهَى حَرُّها. ﴿عيْن آنية﴾: بَلَغَت أنَاهَا (غايَتَها) في الحرارةِ. ﴿ضريع﴾: شيءٍ في النَّارِ، كالشَّوكِ مُرٍّ مُنْتِنٍ. ﴿لا يُغْني منْ جوع﴾: لا يَدفَعُ عنهُم جُوعاً. ﴿ناعمة﴾: ذاتُ بهجةٍ وحُسنٍ ونَضارةٍ. ﴿لاغِية﴾: لَغواً وباطِلاً. ﴿سُرُرٌ مرفوعة﴾: مُرتَفعةُ السَّمْكِ أو رفيعةُ القَدْرِ. ﴿أكواب مَوْضوعة﴾: أقداحٌ بينَ أيديهِم للشُّربِ منها. ﴿نَمارق مَصْفوفة﴾: وسائدُ ومَرافقُ يُتَّكأُ عليها مَوضُوعٌ بَعضُها إلى جَنْبِ بعضٍ. ﴿زرابيّ مَبْثوثة﴾: بُسطٌ فاخِرةٌ مُفَرَّقةٌ في المجالسِ. ﴿يَنظرون﴾: يَتأمَّلُونَ فيُدْرِكُونَ. ﴿بمُسيْطر﴾: بمُتَسلِّطٍ جبَّارٍ.

(١) قيل: لمَّا نزلَ ﴿ليسَ لهم طعام إلاَّ من ضريع﴾ قالَ المشركون: إنَّ إبلَنا لتسمَنُ على الضَّريعِ، فقيلَ لهم: إنَّه ﴿لا يُسمنُ ولا يُغني من جوعٍ﴾. «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٧)، والثعلبي (٢٩/ ٢٧١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٦٦).

(٢) عن قتادة: لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله هذه الآية. الطبري (٢٤/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٢).

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾
إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ
جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى
ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ
ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا
دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

٨٩ ـ سُورَةُ الفَجْرِ

مكية أو مدنية، ثلاثون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والفجرِ﴾ أي: فجرِ كُلّ يوم، (٢) ـ ﴿ولَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذِي الحِجّة، (٣) ـ ﴿والشَّفعِ﴾: الزوجِ ﴿والوَتْرِ﴾، بفتح الواو وكسرها لغتانِ: الفرد، (٤) ـ ﴿واللَّيلِ إذا يَسْرِ﴾ مُقبلاً ومُدبرًا ـ (٥) ـ ﴿هَل في ذلِكَ﴾ القسمِ ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجرٍ﴾: عقل؟ وجوابُ القسم محذوف أي: لتُعذَّبُنَّ، يا كُفّارَ مكّة.

(٦) ـ (٧) ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تعلمْ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ، إِرَمَ﴾ ـ هي عادٌ الأُولى. فإِرَمَ: عطف بيان أو بدل، ومُنِعَ الصرفَ للعلميّة والتأنيث ـ ﴿ذاتِ العِمادِ﴾، أي: الطولِ، كان طول الطويل منهم أربعَمِائَةِ ذراع، (٨) ـ ﴿التي لَم يُخلَقْ مِثلُها في البِلادِ﴾ في بطشهم وقُوّتهم، (٩) ـ ﴿وثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا﴾: قطعوا ﴿الصَّخرَ﴾: جمع صخرة واتّخذوها بُيوتًا ﴿بِالوادِ﴾: وادي القُرى، (١٠) ـ ﴿وفِرعَونَ ذِي الأَوتادِ﴾ ـ كان يَتِدُ أربعة أوتاد، يشدُّ إليها يدَي ورجلَي مَن يُعذّبه ـ (١١) ـ (١٢) ـ ﴿الَّذِينَ طَغَوا﴾: تجبّروا ﴿في البِلادِ، فأَكثَرُوا فِيها الفَسادَ﴾: القتل وغيره، (١٣) ـ ﴿فَصَبَّ عليهِم رَبُّكَ سَوطَ﴾: نوعَ ﴿عَذابٍ ـ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرصادِ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء ليُجازيَهم عليها.

(١٥) ـ (١٦) ـ (١٧) ـ ﴿فأَمّا الإنسانُ﴾ الكافر، ﴿إِذا ما ابتَلاهُ﴾: اختبره ﴿رَبُّهُ فأَكرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿ونَعَّمَهُ، فيَقُولُ: رَبِّيَ أَكرَمَنِ. وأَمّا إِذا ما ابتَلاهُ فقَدَرَ﴾: ضيّق ﴿عليهِ رِزقَهُ، فيَقُولُ: رَبِّيَ أَهانَنِ. كَلّا﴾: ردعٌ، أي: ليس الإكرامُ بالغنى والإهانةُ بالفقر، وإنما هما بالطاعة والمعصية. وكُفّار مكّة لا ينتبهون لذلك. ﴿بَل لا يُكرِمُونَ اليَتِيمَ﴾[1] لا يُحسنون إليه مع غِناهم، أو لا يُعطونه حقّه من الميراث، (١٨) ـ (١٩) ـ ﴿ولا يَحُضُّونَ﴾ أنفُسَهم ولا غيرهم ﴿على طَعامِ﴾ أي: إطعام ﴿المِسكِينِ، ويأكُلُونَ التُّراثَ﴾: المِيراثَ ﴿أَكلًا لَمًّا﴾ أي: شديدًا، للَمِّهم نصيبَ النِّساء والصِّبيان من المِيراث مع نصيبهم منه، أو مع مالِهم، (٢٠) ـ ﴿ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيرًا، فلا يُنفقون. وفي قراءة بالفوقانيّة، في الأفعال الأربعة.

(٢١) ـ ﴿كَلّا﴾: ردعٌ لهم عن ذلك، ﴿إِذا دُكَّتِ الأَرضُ دَكًّا دَكًّا﴾: زُلزِلَتْ حتّى ينهدمَ كُلّ بناء عليها وينعدم، (٢٢) ـ ﴿وجاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمرُه ﴿والمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: حالٌ أي: مُصطفّين أو ذوي صُفوف كثيرة، (٢٣) ـ ﴿وجِيءَ يَومَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقاد بسبعينَ ألفَ زِمام، كُلُّ زِمام بأيدي سبعينَ ألفَ ملَك، لها زفير وتغيّظ، ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدلٌ من «إذا»، وجوابُها: ﴿يَتَذَكَّرُ الإنسانُ﴾ أي: الكافر ما فرّط فيه ـ ﴿وأَنّى لَهُ الذِّكرَى﴾؟ استفهامٌ بمعنى النفي، أي: لا ينفعه تذكُّره ذلك ـ (٢٤) ـ ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكّره: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَنِي قَدَّمتُ﴾ الخيرَ والإيمان ﴿لِحَياتِي﴾ الطيّبة في الآخرةِ، أو وقتِ حياتي في الدنيا.

﴿إيابَهم﴾: رجُوعَهم بعدَ الموتِ بالبعثِ. ﴿والفجر﴾: (أَقْسَمَ تعالى) بالوقتِ المعروفِ. ﴿وليالٍ عشر﴾: العَشْرِ الأُوَلِ مِن ذِي الحجَّةِ. ﴿والشّفع والوتر﴾: يوم النَّحْرِ، ويومِ عَرَفَةَ. ﴿والليل إذا يَسْر﴾: إذا يَمضِي ويَذهَبُ أو يُسارُ فيهِ. ﴿هَلْ في ذلك﴾: المذكورِ الّذي أَقسَمْنَا بهِ. ﴿قَسَمٌ لذي حِجْر؟﴾: مُقسَمٌ بهِ حَقيقٌ بالتَّعظيمِ لدى العُقلاءِ ـ نعم (وجوابُ القسمِ) لَنُعذبَنَّ الكافرينَ. ﴿بعادٍ﴾: قَومِ هُودٍ ؛ سُمُّوا باسمِ أبيهِم. ﴿إرَم﴾: هوَ اسمُ جَدِّهِم وبهِ سُمِّيَتِ القبيلةُ. ﴿ذات العِماد﴾: الشِّدَّةِ أوِ الأبنِيةِ الرَّفيعةِ المُحكَمَةِ بالعَمَدِ. ﴿جابوا الصّخر﴾: قَطَعُوهُ ونَحَتُوا فيهِ بيوتَهُم. ﴿ذي الأوتاد﴾: الجُيُوشِ الكثيرةِ الّتي تَشُدُّ مُلْكَهُ. ﴿سَوْط عذاب﴾: عذاباً شديداً مُؤلِماً دائماً. ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾: يَرقُبُ أعمالَهُم ويُجازيهِم عليها. ﴿ابْتلاه ربّه﴾: امْتَحَنَهُ واختَبَرَهُ بالنِّعَمِ أوِ النِّقَمِ. ﴿فقدر عليه رزقه﴾: فَضَيَّقَهُ عليهِ ولم يَبسُطْهُ لهُ. ﴿كلاّ﴾: رَدْعٌ للإنسانِ عمَّا قالَهُ فى الحالَيْنِ. ﴿بلْ﴾: لكُم أعمالٌ أسوأُ مِن ذلكَ. ﴿لا تحاضّون﴾: لا يَحُثُّ بعضُكُم بعضاً. ﴿تأكلون التّراث﴾: مِيراثَ النِّساءِ والصِّغارِ. ﴿أكْلاً لمًّا﴾: جَمعاً بينَ الحلالِ والحرامِ. ﴿حُبًّا جمًّا﴾: كثيراً معَ حِرصٍ وشَرَهٍ. ﴿دُكّتِ الأرض﴾: دُقَّتْ وكُسِرَتْ بالزَّلازلِ. ﴿دكًّا دكًّا﴾: دكّاً مُتَتابِعاً حتَّى صارَتْ هَباءً. ﴿والمَلَك﴾: ملائكةُ كُلِّ سماءٍ.

(١) قال مقاتلٌ: نزلَتْ في قُدامَةَ بنِ مَظعونٍ وكانَ يتيمًا في حِجرِ أُميَّةَ بنِ خلفٍ يدفَعُهُ عن حَقِّهِ. «البسيط» (٢٣/ ٥١١)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٤٢١).

وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ
لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا
ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾
فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾

(٢٥) ـ **﴿فيومَئِذٍ لا يُعَذِّبُ﴾**، بكسر الذال، **﴿عَذابَهُ﴾** أي: الله **﴿أَحَدٌ﴾** أي: لا يَكِلُه إلى غيره، (٢٦) ـ **﴿و﴾** كذا **﴿لا يُوثِقُ﴾**، بكسر الثاء، **﴿وَثاقَهُ أحدٌ﴾**. وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير «عذابَه» «ووثاقَه» للكافر، والمعنى: لا يُعذَّب أحدٌ مِثلَ تعذيبه، ولا يُوثَق مثلَ إيثاقه. (٢٧) ـ **﴿يا أيَّتُها النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ﴾**[1]: الآمنةُ ـ وهي المُؤمنة ـ (٢٨) ـ **﴿ارجِعِي إلَى رَبِّكِ﴾** ـ يقال لها ذلك عند الموت ـ أي: ارجعي إلى أمره وإرادته، **﴿راضِيَةً﴾** بالثواب **﴿مَرضِيَّةً﴾** عِند الله بعملك، أي: جامعةً بين الوصفين ـ وهما حالان ـ ويقال لها في القِيامة: (٢٩) ـ **﴿فادخُلِي في﴾** جُملة **﴿عِبادِي﴾** الصالحين (٣٠) ـ **﴿وادخُلِي جَنّتِي﴾** معهم.

* * *

٩٠ ـ سُورَةُ البَلَدِ

مكية، عشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ **﴿لا﴾**: زائدةٌ **﴿أُقسِمُ بهذا البَلَدِ﴾** مكّةَ ـ (٢) ـ **﴿وأنتَ﴾** يا مُحمّدُ **﴿حِلٌّ﴾**: حلالٌ **﴿بِهذا البَلَدِ﴾** بأن يَحِلَّ لك فتُقاتِلَ فيه. وقد أنجز الله له هذا الوعدَ يوم الفتح. فالجملة اعتراض بين المُقسَم به وما عطف عليه ـ (٣) ـ **﴿ووالِدٍ﴾** أي: آدمَ **﴿وما وَلَدَ﴾** أي: ذُرّيّته. وما: بمعنى: مَن. (٤) ـ **﴿لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ﴾** أي: الجِنسَ **﴿في كَبَدٍ﴾**: نصَبٍ وشِدّة يُكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

(٥) ـ **﴿أيَحسِبُ﴾**، أي: أيظنّ الإنسانُ قويُّ قُريشٍ ـ وهو أبو الأشُدَّينِ كَلَدةُ ـ بقوّته **﴿أنْ﴾**: مُخففةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه **﴿لَن يَقدِرَ عليهِ أحَدٌ﴾** واللهُ قادر عليه، (٦) ـ **﴿يَقُولُ: أهلَكتُ﴾** على عداوة مُحمّد **﴿مالاً لُبَدًا﴾**: كثيرًا بعضَه على بعض؟ (٧) ـ **﴿أيَحسِبُ أنْ﴾** أي: أنّه **﴿لَم يَرَهُ أحَدٌ﴾** فيما أنفقه فيعلمَ قدرَه؟ واللهُ عالم بقدره وأنه ليس ممّا يُتكثَّر به، ومُجازيه على فِعله السيّئ. (٨) ـ (٩) ـ (١٠) ـ **﴿ألَم نَجعَلْ﴾** ـ استفهامُ تقرير ـ أي: جعلنا **﴿لَهُ عَينَينِ، ولِسانًا وشَفَتَينِ، وهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾**: بيّنّا له طريقَي الخير والشرّ؟

(١١) ـ **﴿فلا﴾**: فهلاّ **﴿اقتَحَمَ العَقَبةَ﴾**: جازها ـ (١٢) ـ **﴿وما أدراكَ﴾**: أعلَمَك: **﴿ما العَقَبةُ﴾** التي يقتحمها؟ تعظيمٌ لشأنها، والجملة: اعتراض ـ وبَيّنَ سبب جوازها بقوله: (١٣) ـ **﴿فَكُّ رَقَبةٍ﴾** من الرّقّ بأن أعتقها، (١٤) ـ **﴿أو أطعَمَ في يَومٍ ذِي مَسغَبةٍ﴾**: مجاعةٍ (١٥) ـ **﴿يَتِيمًا ذا مَقرَبةٍ﴾**: قرابة، (١٦) ـ **﴿أو مِسكِينًا ذا مَترَبةٍ﴾** أي: لُصوقٍ بالتراب لفقره ـ وفي قِراءةٍ بدلَ الفعلين مصدرانِ مرفوعان مُضافٌ الأوّلُ لرقبة، ومُنوّنٌ الثاني فيُقدّر قبل «العقبةُ»: «اقتحامُ». والقِراءة المذكورة بيانُه ـ (١٧) ـ **﴿ثُمَّ كانَ﴾**: عطفٌ على «اقتحم» وثمّ: للترتيب الذِّكريّ، والمعنى: كان وقتَ الاقتحام **﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَواصَوا﴾** أي: وصّى بعضُهم بعضًا **﴿بِالصَّبرِ﴾** على الطاعة وعن المعصية **﴿وتَواصَوا بِالمَرحَمةِ﴾**: بالرحمة على الخلق. (١٨) ـ **﴿أُولئِكَ﴾** الموصوفون بهذه الصفات **﴿أصحابُ المَيمَنةِ﴾**: اليمين، (١٩) ـ **﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُم أصحابُ المَشأَمةِ﴾**: الشِّمال، (٢٠) ـ **﴿عليهِم نارٌ مُؤصَدةٌ﴾**، بالهمز وبالواو بدلَه: مُطْبَقة.

﴿أنّى له الذكرى﴾: مِن أينَ لهُ مَنفَعَتُها؟ هَيْهاتَ. ﴿لا يوثِق﴾: لا يَشُدُّ بالسَّلاسلِ والأغلالِ.

﴿لا أقسِم﴾: (أقسِمُ) و«لا» مزيدةٌ. ﴿بهذا البلد﴾: بمكَّةَ المكرَّمةِ. ﴿حِلّ بهذا البلد﴾: حلالٌ لكَ ما تَصنَعُ بهِ يومَئِذٍ. ﴿والد وما وَلد﴾: آدمَ وجميعِ ذريَّتِهِ أو الصَّالحينَ منهُم. ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾: (جوابُ القسمِ). ﴿كبد﴾: نَصَبٍ ومشقَّةٍ ومُكابَدةٍ للشَّدائدِ. ﴿أهلكتُ مالاً لُبَدًا﴾: كثيراً في المَكْرُماتِ مباهاةً وتَعاظماً. ﴿هدَيْناه النَّجْدَين﴾: بيَّنَّا لهُ طريقَي الخيْرِ والشَّرِّ. ﴿فلا اقتحم العقبة﴾: فهلَّا جاهدَ نفسَهُ في أعمالِ البرِّ. ﴿فكّ رَقبَة﴾: تخليصُها مِنَ الرِّقِّ والعبوديَّةِ. ﴿ذي مسغبة﴾: مَجاعَةٍ. ﴿يتيماً ذا مقربة﴾: قرَابَةٍ في النَّسَبِ. ﴿مسكيناً ذا متربَة﴾: فاقةٍ شديدةٍ لَصِقَ منها بالتُّرابِ. ﴿بالمَرْحمَة﴾: بالرَّحمةِ فيما بينَهُم. ﴿أصحاب الميمنة﴾: اليُمْنِ. أو ناحيةِ اليمينِ.

(١) عن بريدة قال: نزلت في حمزة رضي الله عنه. رواه ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ٢١٠). ورواه يحيى بن معين في «تاريخه» (٢٣٦٧ ـ رواية الدوري)، والدينوري في «المجالسة» (٤٧٥)، والآجري في «الشريعة» (١٧٢٧)، جميعهم دون قوله: «نزلت في»، وهكذا أورده السيوطي نفسه في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٤) عن ابن أبي حاتم، وهكذا رواه الثعلبي (٢٩/ ٣٧٢) لكنه زاد: نزلت فيه حين استشهد يوم أحد، ثم لم تزل نفسه عند رب العالمين في أجواف طير خضر مكرمة مشرفة على من عنده.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ (١٩) عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ (٢٠)

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا (١) وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا
(٣) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا (٤) وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا (٥) وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا طَحَىٰهَا (٦) وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا
(١٠) كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ (١١) إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمۡ
رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ
عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا (١٥)

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣)
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦)
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩)

٩١ ـ سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية، خمسَ عشْرةَ آيةً. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والشَّمسِ وضُحاها﴾: ضوئها، (٢) ـ ﴿والقَمَرِ إذا تَلاها﴾: تبعها طالعًا عند غُروبها، (٣) ـ ﴿والنَّهارِ إذا جَلاّها﴾ بارتفاعه، (٤) ـ ﴿واللَّيلِ إذا يَغشاها﴾: يُغطّيها بظُلمته ـ «وإذا» في الثلاثة لمُجرّد الظرفيّة، والعامل فيها فِعل القسم ـ (٥) ـ (٦) ـ ﴿والسَّماءِ وما بَناها، والأرضِ وما طَحاها﴾: بسَطَها، (٧) ـ ﴿ونَفْسٍ﴾ بمعنى: نُفوس ﴿وما سَوّاها﴾ في الخِلقة ـ «وما» في الثلاثة: مصدريّة أو بمعنى: مَن ـ (٨) ـ ﴿فألهَمَها فُجورَها وتَقْواها﴾: بيَّنَ لها طريقي الخير والشرّ ـ وأُخّر التقوى رِعايةً لرؤوس الآي ـ وجوابُ القسم: (٩) ـ ﴿قَدَ أفلَحَ﴾، حُذفتْ منه اللام لطُول الكلام، ﴿مَن زَكّاها﴾: طهّرها من الذنوب، (١٠) ـ ﴿وقَد خابَ﴾: خسر ﴿مَن دَسّاها﴾: أخفاها بالمَعصية. وأصله «دَسَّسَها» أُبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا. (١١) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولَها صالحًا ﴿بِطَغواها﴾ بسبب طُغيانها، (١٢) ـ ﴿إذِ انبَعَثَ﴾: أسرع ﴿أشقاها﴾، واسمُه قُدارٌ إلى عَقر الناقة برِضاهم، (١٣) ـ ﴿فقالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ﴾ صالحٌ: ﴿ناقةَ اللهِ﴾، أي: ذَرُوها ﴿وسُقياها﴾: وشِربَها في يومها. وكان لها يوم ولهم يوم. (١٤) ـ ﴿فكَذَّبُوهُ﴾ في قولِه ذلك عن الله المُرتِّبِ عليه نُزولُ العذاب بهم، إن خالفوه، ﴿فعَقَرُوها﴾: قتلوها ليسلم لهم ماء شِربها، ﴿فدَمدَمَ﴾: أطبقَ ﴿علَيهِم رَبُّهُم﴾ العذابَ ﴿بِذَنبِهِم فسَوّاها﴾ أي: الدمدمةَ عليهم، أي: عَمَّهم بها فلم يُفلِتْ منهم أحد، (١٥) ـ ﴿ولا﴾ ـ بالواو والفاء ـ ﴿يَخافُ﴾ تعالى ﴿عُقباها﴾: تَبِعَتها.

٩٢ ـ سورة ﴿والليل﴾

مكية، وهي إحدى وعشرون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿واللَّيلِ إذا يَغشَى﴾ بظُلمته كُلّ ما بين السماء والأرض، (٢) ـ ﴿والنَّهارِ إذا تَجلَّى﴾: تكشّفَ وظهر ـ «وإذا» في الموضعين لمُجرّد الظرفيّة، والعاملُ فيها فعل القسم ـ (٣) ـ ﴿وما﴾ بمعنى: مَن أو مصدريّة ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثَى﴾ آدمَ وحواءَ أو كُلَّ ذكر وكُلَّ أُنثى ـ والخُنثى المُشكِلُ عِندنا: ذكرٌ أو أُنثى عِند الله تعالى. فيحنَثُ بتكليمه من حلف لا يُكلّم ذكرًا ولا أُنثى ـ (٤) ـ ﴿إنَّ سَعيَكُم﴾: عملكم ﴿لَشَتَّى﴾: مُختلِفٌ، فعامِلٌ للجنّة بالطاعة وعاملٌ للنار بالمعصية. (٥) ـ ﴿فأمّا مَن أعطَى﴾ حقَّ الله ـ تعالى ـ ﴿واتَّقَى﴾[٢] اللهَ، (٦) ـ ﴿وصَدَّقَ بِالحُسنَى﴾ أي: بـ«لا إلـهَ إلاّ اللهُ» في الموضعين، (٧) ـ ﴿فسَنُيَسِّرُهُ﴾: نهيّئه ﴿لِليُسرَى﴾: للجنّة، (٨) ـ ﴿وأمّا مَن بَخِلَ﴾ بحقّ الله ﴿واستَغنَى﴾ عن ثوابه، (٩) ـ (١٠) ـ ﴿وكَذَّبَ بِالحُسنَى، فسَنُيَسِّرُهُ﴾: نُهيّئه ﴿لِلعُسرَى﴾: للنار، (١١) ـ ﴿وما﴾: نافية ﴿يُغني عَنهُ مالُهُ إذا تَرَدَّى﴾ في النار.

(١٢) ـ ﴿إنَّ عَلَينا لَلهُدَى﴾: لَتَبيينَ طريقِ الهُدى من طريق الضلال، ليُمتثل أمرُنا بسُلوك الأوّل ونهيُنا عن ارتكاب الثاني، (١٣) ـ ﴿وإنَّ لَنا لَلآخِرةَ والأُولَى﴾ أي: الدنيا. فمَن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

﴿أصحاب المشأمة﴾: الشُّؤم. أو ناحيةِ الشِّمالِ. ﴿نارٌ مؤصَدة﴾: مُطبَقةٌ مُغْلَقةٌ أبْوابُها. ﴿والشمس﴾: (قسمٌ بها وبما بعدَها). ﴿ضُحاها﴾: ضَوئِها إذا أشرقَتْ. ﴿تَلاها﴾: تَبِعَها في الإضاءةِ بَعْدَ غروبِها. ﴿جلاّها﴾: أظهَرَ الشَّمسَ للرَّائينَ. ﴿يَغْشاها﴾: يُغطِّيها حينَ تغيبُ فَتُظلِمُ الآفاق. ﴿وما بناها﴾: والَّذي خلقَها وهوَ اللهُ تعالى. ﴿وما طحاها﴾: والَّذي بَسَطَها ووَطَّأَها. ﴿وما سَوّاها﴾: والَّذي عدَّلَ أعضاءَها ومَنَحَها قُواها. ﴿فُجُورها وتَقْواها﴾: مَعْصِيَتها وطاعتَها وخيرَها وشرَّها. ﴿قدْ أفلح﴾: فازَ بالبغيةِ وظفَرَ (جوابُ القسمِ). ﴿منْ زكّاها﴾: طهَّرَها وأنماها بالتَّقوى. ﴿قدْ خاب﴾: خَسرَ. ﴿منْ دسّاها﴾: نقَّصَها وأخْفاها وأخْمَلَها بالفجورِ. ﴿بطغْواها﴾: بسَبَبِ طغيانِها وعُدْوانِها. ﴿انبعَثَ أشقاها﴾: قامَ مُسْرعاً يَعْقِرُ النَّاقةَ. ﴿ناقة الله وسُقياها﴾: احْذروا عقْرَها ونَصيبَها مِنَ الماءِ. ﴿فدمدم عليهم﴾: أهْلكَهُمْ وأطبَقَ العذابَ عليهِم. ﴿فسَوّاها﴾: فجعَلَ الدَّمْدمةَ عليهِم سواءً. ﴿عُقْباها﴾: عاقِبَةَ هذهِ العقوبةِ. ﴿و الليل إذا يغشى﴾: يُغطِّي الأشياءَ بظلمتِهِ (قسمٌ). ﴿والنهار إذا تجلّى﴾: ظهرَ بضوْئِهِ ووَضحَ. ﴿إنّ سعيكم لشتّى﴾: إنَّ عَمَلَكُمْ لمخْتلِفٌ في الجزاءِ (جوابُ القسمِ). ﴿صَدّق بالحسنى﴾: بالمِلَّةِ الحُسْنى وهيَ الإسلامُ. ﴿فسنُيَسّره﴾: فسَنُوفِّقُهُ ونُهيِّئُهُ. ﴿لليُسرى﴾: للخَصلةِ المؤدِّيةِ إلى اليُسْرِ والرَّاحةِ.

(٢) عبد الله بن الزبير: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك أعتقت رجالًا جُلداً يمنعونك ويقومون دونك يا بني، فقال: «إني إنما أريد ما عند الله» فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ إلى أخر السورة. رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ١٩١ ـ ١٩٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٦٦)، والحاكم (٣٩٤٢) وصححه.

فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ
تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ
﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾

(١٤) ـ ﴿فأنذَرتُكم﴾: خوّفتُكم، يا أهلَ مكّةَ، ﴿نارًا تَلَظَّى﴾ ـ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقُرئ بثبوتها ـ أي: تتوقّد، (١٥) ـ ﴿لا يَصلاها﴾: يدخلُها ﴿إلاّ الأشقى﴾ بمعنى: الشقيّ، (١٦) ـ ﴿الَّذي كَذَّبَ﴾ النبيَّ ﴿وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. وهذا الحصر مؤوّل لقوله تعالى: «ويَغفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ». فيكون المراد الصُّليَّ المؤبّد. (١٧) ـ ﴿وسَيُجَنَّبُها﴾: يُبعَدُ عنها ﴿الأتقى﴾[1] بمعنَى: التقيّ (١٨) ـ ﴿الَّذي يُؤتي مالَهُ يَتَزَكَّى﴾: مُتزكّيًا به عِند الله تعالى، بأن يُخرجه لله تعالى لا رِياءً ولا سُمعةً، فيكون زاكيًا عند الله تعالى ـ وهذا نزلَ في الصِّدّيق رضي الله عنه لمّا اشترى بِلالاً المُعذَّب على إيمانه وأعتقه[2]، فقال الكُفّار: إنما فعل ذلك ليدٍ كانت له عنده. فنزل ـ: (١٩) ـ (٢٠) ـ ﴿وما لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِعمَةٍ تُجزَى. إلاّ﴾: لكن فعلَ ذلك ﴿ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأعلَى﴾ أي: طلبَ ثوابِ الله. (٢١) ـ ﴿ولَسَوفَ يَرضَى﴾ بما يُعطَى من الثواب في الجنّة. والآية تشمل مَن فعل مِثل فِعله فيُبعَدُ عن النار ويُثاب.

٩٣ ـ سورة ﴿والضُّحى﴾

مكية، إحدى عشرةَ آيةً. ولمّا نزلتْ كبَّر ﷺ آخرَها[3]، فسُنَّ التكبيرُ آخرَها، ورُوي الأمرُ به خاتمتَها وخاتمةَ كُلّ سورة بعدها. وهو «الله أكبر»، أو «لا إلـهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكبرُ».

نصف الحزب ٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والضُّحَى﴾ أي: أوّلِ النهار أو كُلِّه، (٢) ـ ﴿واللَّيلِ إذا سَجا﴾[4]: غطّى بظلامه أو سكنَ، (٣) ـ ﴿ما وَدَّعَكَ﴾: تركك ـ يا مُحمَّدُ ـ ﴿رَبُّكَ وما قَلَى﴾: أبغضَك ـ نزل هذا لمّا قال الكُفّار عِند تأخر الوحي عنه خمسةَ عشرَ يومًا: إنّ ربّه ودّعه وقَلاه ـ (٤) ـ ﴿ولَلآخِرَةُ خَيرٌ لَكَ﴾ لِما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ الأُولَى﴾ الدنيا، (٥) ـ ﴿ولَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلاً، ﴿فتَرضَى﴾ به. فقال ﷺ: «إذن لا أرضَى وواحِدٌ مِن أُمّتِي في النّارِ»[5]. إلى هنا تمّ جواب القسم بمُثبتَينِ بعد منفِيَّينِ.

(٦) ـ ﴿ألَم يَجِدْكَ﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل وِلادتك أو بعدها ﴿فآوَى﴾ بأن ضمّك إلى عمِّك أبي طالب،

﴿للعُسْرى﴾: للخصلةِ المؤدِّيةِ إلى العُسْرِ والشِّدَّةِ. ﴿ما يُغْنى﴾: ما يَدْفعُ العذابَ عنهُ. ﴿تردّى﴾: هَلَكَ. أوْ سَقَطَ في النّارِ. ﴿إنّ علينا للهدى﴾: الدَّلالةَ على الحقِّ أو بيانَ طريقِهِ. ﴿نارًا تلظى﴾: تتلهَّبُ وتتوقَّدُ. ﴿لا يصْلاها﴾: لا يَدْخلُها أو لا يُقاسي حَرَّها. ﴿سَيُجَنَّبُها﴾: سَيُبْعَدُ عنها. ﴿يتزكّى﴾: يتطهَّرُ بهِ مِنَ الذُّنوبِ. ﴿تُجزى﴾: تكافَأُ، نزلَتْ في الصِّدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ. ﴿والضحى﴾: (أقسم) بوَقتِ ارتفاعِ الشَّمسِ. ﴿سجى﴾: سَكنَ أو اشتدَّ ظلامُهُ. ﴿ما ودّعك ربّك﴾: ما تَرَكَكَ منْذُ اختارَكَ (جوابُ القسم). ﴿ما قلى﴾: ما أبْغَضَكَ منذُ أحبَّكَ. ﴿ألمْ يَجدْك..﴾: ألمْ يَعْلَمْكَ ربُّكَ ـ قدْ عَلِمَكَ... ﴿يَتيماً﴾: طِفلاً ماتَ أبوكَ وأنتَ جنينٌ. ﴿فآوى﴾: فَضمَّكَ إلى مَنْ يَكفلُكَ ويَرْعاكَ. ﴿ضالاًّ﴾: غافِلاً عنْ أحكامِ الشَّرائعِ. ﴿فهَدَى﴾: فهَدَاكَ إلى مناهجِها بما أوحى إليكَ. ﴿عائلاً﴾: فقيراً عَديماً. ﴿فأغنى﴾: فَرَضَّاكَ بما أعطاكَ ومَنَحَكَ. ﴿فلا تقْهرْ﴾: فلا تَغْلِبْهُ على مالِهِ ولا تَسْتَذِلَّهُ. ﴿فلا تَنْهَرْ﴾: فلا تَزْجُرْهُ، وارفُقْ بِهِ. ﴿ألم نشرحْ﴾: ألم نُفسِحْ بالحكمةِ والنُّبوَّةِ ـ قد أفْسَحْنا. ﴿وَضَعْنا﴾: خَفَّفْنا عنكَ وسَهَّلْنا عليكَ. ﴿وزرك﴾: حِمْلَكَ «أعباءَ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ».

(١) عن عروة: أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله وفيه نزلت: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ إلى آخر السورة. ابن أبي حاتم كما في «لباب النقول» (ص: ٢١٢).

(٢) ذكره الواحدي (ص: ٤٥٦) عن عطاء عن ابن عباس.

(٣) رواه الحاكم (٥٣٢٥) وصححه، والبيهقي في «الشعب» (١٩١٣)، وتعقب الذهبي تصحيح الحاكم بقوله: البزي قد تكلم فيه. وقال ابن كثير في مطلع هذه السورة من «تفسيره»: «فهذه سنّة تفرّد بها البزي، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدّث عنه..». وقال النويري في «شرح طيبة النشر» (٢/ ٦٣٠): «اعلم أن التكبير صح عن أهل مكة قاطبة من القراء والعلماء وعمن روى عنهم صحة استفاضت واشتهرت حتى بلغت حد التواتر، وصحت أيضاً عن أبي عمرو من رواية السوسي، وعن أبي جعفر من رواية العمري، وعن سائر القراء... وقد صار عليه العمل في سائر الأمصار عند ختمهم في المحافل، وكثير منهم يقوم به في صلاة رمضان».

(٤) عن جُندبِ بنِ سفيانَ قالَ: اشتكى رسولُ اللهِ ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءَت امرأةٌ فقالَت: يا محمَّدُ، إنِّي لأرجو أن يكونَ شيطانُك قد تركَكَ، فإنِّي لـم أرَه قَربَكَ منذُ ليلتين أو ثلاثٍ، فأنزل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧). وفي رواية لمسلم (١٧٩٧/ ١١٤): أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ، فقال المشركون: قد وِدِّع محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿والضحى﴾.

(٥) ذكره الثعلبي (٢٩/ ٤٨١)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٠٧) دون نسبة. ورواه الطبري (٢٤/ ٤٨٨) من قول ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، ولفظه: «من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار».

ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾
إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾

سُورَةُ التِّين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ
وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ
مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ
﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا
إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾

(٧) ـ ﴿ووَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عمّا أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فهَدَى﴾ أي: هداك إليها، (٨) ـ ﴿ووَجَدَكَ عائلًا﴾: فقيرًا ﴿فأغنَى﴾: أغناك بما قنّعك به من الغنيمة وغيرها؟ وفي الحديث: «لَيسَ الغِنَى عَن كَثرَةِ العَرَضِ، ولكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفسِ»[1]. (٩) ـ ﴿فأمّا اليَتِيمَ فلا تَقهَرْ﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك، (١٠) ـ ﴿وأمّا السّائلَ فلا تَنهَرْ﴾: تزجُره لفقره، (١١) ـ ﴿وأمّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوّة وغيرها ﴿فحَدِّثْ﴾: أخبِرْ. وحُذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعايةً للفواصل.

٩٤ ـ سورة ﴿ألم نشرح﴾

مكية، ثمانُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿ألَم نَشرَحْ﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ أي: شرَحنا ﴿لَكَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿صَدرَكَ﴾ بالنبوّة وغيرها، (٢) ـ (٣) ـ ﴿ووَضَعْنا﴾: حطَطنا ﴿عنكَ وِزرَكَ، الّذي أنقَضَ﴾: أثقل ﴿ظَهرَكَ﴾ ـ وهذا كقوله تعالى: «لِيَغفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ» ـ (٤) ـ ﴿ورَفَعْنا لَكَ ذِكرَكَ﴾ بأن تُذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهّد والخُطبة وغيرها؟ (٥) ـ ﴿فإنَّ مَعَ العُسرِ﴾: الشِّدّةِ ﴿يُسرًا﴾: سُهولةً، (٦) ـ ﴿إنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا﴾. والنبيّ ﷺ قاسَى من الكُفّار شِدّةً ثمّ حصل له اليُسر بنصره عليهم. (٧) ـ ﴿فإذا فَرَغتَ﴾ من الصلاة ﴿فانصَبْ﴾: اتعبْ في الدُّعاء، (٨) ـ ﴿وإلَى رَبِّكَ فارغَبْ﴾: تضرّعْ.

٩٥ ـ سورة ﴿والتِّين﴾

مكية أو مدنية، ثمانُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والتِّينِ والزَّيتُونِ﴾ أي: المأكولَين، أو جبلَين بالشام يُنبتان المأكولَين، (٢) ـ ﴿وطُورِ سِينِينَ﴾: الجبلِ الذي كلّم الله ـ تعالى ـ موسى عليه، ومعنى سينين: المباركُ أو الحَسَن بالأشجار المُثمرة، (٣) ـ ﴿وهذا البَلَدِ الأمِينِ﴾: مكّةَ لأَمنِ الناس فيها جاهليّةً وإسلامًا، (٤) ـ ﴿لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ الجنسَ ﴿في أحسَنِ تَقوِيمٍ﴾: تعديل لصورته، (٥) ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْناهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أسفَلَ سافِلِينَ﴾[2]: كنايةً عن الهرَم والضعف، فينقص عمل المُؤمن عن زمن الشباب، ويكون له أجره، لقوله تعالى: (٦) ـ ﴿إلّا﴾ أي: لكنّ ﴿الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فلَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ﴾: مقطوع. وفي الحديث: «إذا بَلَغَ المُؤمِنُ مِنَ الكِبَرِ ما يَعجِزُ عَنِ العَمَلِ كُتِبَ لَهُ ما كانَ يَعمَلُ»[3]. (٧) ـ ﴿فما يُكَذِّبُكَ﴾ ـ أيها الكافر ـ ﴿بَعدُ﴾: بعدَ ما ذُكر من خلقِ الإنسان في أحسن صُورة، ثمّ ردِّه إلى أرذل العُمر الدالِّ على القُدرة على البعث، ﴿بالدِّينِ﴾: بالجزاء المسبوق بالبعث والحِساب؟ أي: ما يجعلك مُكذّبًا بذلك ولا جاعل له؟ (٨) ـ ﴿ألَيسَ اللهُ بأحكَمِ الحاكِمِينَ﴾؟ أي: هو أقضى القاضين، وحُكمه بالجزاء من ذلك. وفي الحديث: «مَن قَرَأ والتِّينِ إلى آخِرِها فلْيَقُلْ: بَلَى، وأنا على ذلِكَ مِنَ الشّاهِدِينَ»[4].

٩٦ ـ سورة ﴿اقرأ﴾

مكية، تسعَ عشرةَ آيةً. صدرُها إلى «ما لَم يعلم»[5] أوّلُ ما نزل من القرآن وذلك بغارِ حِراءٍ. رواه البخاري. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿اقرَأْ﴾: أَوجِدِ القِراءة مُبتدئًا ﴿باسمِ رَبِّكَ الّذِي خَلَقَ﴾ الخلائقَ، (٢) ـ ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ الجنسَ ﴿مِن عَلَقٍ﴾: جمع عَلَقة، وهي القِطعة اليسيرة من الدم الغليظ، (٣) ـ ﴿اقرَأْ﴾: تأكيدٌ للأوّل، ﴿ورَبُّكَ الأكرَمُ﴾ الذي لا يُوازيه كريم، حالٌ من الضمير في «اقرأ»، (٤) ـ ﴿الّذِي عَلَّمَ﴾ الخطَّ ﴿بالقَلَمِ﴾ ـ وأوّلُ من خطّ به إدريسُ عليه السلام ـ (٥) ـ ﴿عَلَّمَ الإنسانَ﴾ الجنسَ ﴿ما لَم يَعلَمْ﴾ قبلَ تعليمه من الهُدى والكِتابة والصِّناعة وغيرها.

﴿الذي أنقض ظهرك﴾: أثقلَهُ حتّى سُمِعَ لهُ نقيضٌ «صَوتٌ». ﴿فإذا فرغت﴾: مِنْ عِبادةٍ أدّيتَها. ﴿فانصبْ﴾: فاجتهدْ وأتبِعْها بعبادةٍ أُخرى. ﴿فارْغَبْ﴾: فاجعَلْ رَغبَتَكَ في جَميعِ شؤونِكَ. ﴿و التين والزيتون﴾: (قسمٌ) بِمنبِتَيْهِما مِنَ الأرضِ المباركةِ. ﴿و طور سينين﴾: جَبَلِ المُناجاةِ للكَليمِ عليهِ السَّلامُ. ﴿البلد الأمين﴾: مكّةَ المكرَّمةِ. ﴿لقد خلقنا﴾: (جوابُ القسمِ) بالأربعةِ قبلَهُ. ﴿أحسَنِ تقويم﴾: أكمَلِ تَعديلٍ وأحسنِ صُورَةٍ. ﴿رددْناه﴾: رَدَدْنا الكافرَ أو جنسَ الإنسانِ. ﴿أسفل سافلين﴾: إلى النّارِ أوِ الهَرَمِ وأرذَلِ العُمُرِ. ﴿غير ممنون﴾: غيرُ مَقطُوعٍ عنهُم. ﴿بالدّين﴾: بالجزاءِ بعدَ البعثِ والحساب. ﴿علق﴾: دَمٍ جامِدٍ استحالَ إليهِ المَنِيُّ. ﴿علّم﴾: عَلَّمَ الإنسانَ الكِتابةَ بالقلمِ. ﴿كلاّ﴾: حقّاً. ﴿ليطغى﴾: لَيُجاوِزُ الحدَّ في العِصيانِ. ﴿الرّجعى﴾: الرُّجُوعَ في الآخرةِ للجزاءِ. ﴿أرأيت﴾: أَخبِرْني.

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. (٢) قال: وهم نفر رُدّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فسُئل رسول الله ﷺ حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم. الطبري (٢٤/ ٥٠٨) وإسناده ضعيف جداً.

(٣) رواه الطبري (٢٤/ ٥١٩) من قول إبراهيم النخعي. ولفظ الصحيح من حديث أبي موسى: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا». رواه البخاري (٢٩٩٦).

(٤) رواه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧)، عن أعرابيٍّ سمع أبا هريرة يقول: «قال رسول الله ﷺ..» فذكره، وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمى. (٥) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ
لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾
سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ
قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

(٦) - (٧) - ﴿كَلَّآ﴾: حقًّا، ﴿إنَّ الإنسانَ لَيطغَى، أن رَآهُ﴾ أي: نفسَه ﴿استَغنَى﴾ بالمال. نزلَ في أبي جهل. ورأى: عِلميّةٌ. واستغنى: مفعول ثان. وأن رآه: مفعول له. (٨) - ﴿إنَّ إلَى رَبِّكَ﴾ - يا إنسانُ - ﴿الرُّجعَى﴾: الرجوعَ - تخويفٌ له - فيُجازي الطاغيَ بما يستحقّه. سَجْدَة (٩) - ﴿أرَأيتَ﴾ - في مواضعها الثلاثة للتعجّب - ﴿الَّذِي يَنهَى﴾ هو أبو جهل (١٠) - (١١) - (١٢) - (١٣) - ﴿عَبدًا﴾ هو النبيّ ﷺ ﴿إذا صَلَّى[1]﴾؟ أرَأيتَ إن كانَ﴾ المنهيُّ ﴿علَى الهُدَى أو﴾: للتقسيم ﴿أمَرَ بِالتَّقوَى؟ أرَأيتَ إن كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبيَّ ﴿وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؟ (١٤) - ﴿ألَم يَعلَمْ بِأنَّ اللهَ يَرَى﴾ ما صدر منه؟ أي: يعلمُه فيُجازيه عليه. أي: اعجبْ منه - يا مُخاطبُ - من حيثُ نهيُه عن الصلاة ومن حيثُ إنّ المنهيَّ على الهُدى آمرٌ بالتقوى ومن حيثُ إنّ الناهيَ مُكذِّب مُتولٍّ عن الإيمان. (١٥) - ﴿كَلَّآ﴾: ردعٌ له ﴿لَئِنْ﴾ - لامُ قسم - ﴿لَم يَنتَهِ﴾ عمّا هو عليه من الكُفر ﴿لَنسفَعَنْ بالنّاصِيةِ﴾: لنَجُرَّنْ بناصيته إلى النار، (١٦) - ﴿ناصِيةٍ﴾: بدلُ نكرة من معرفة، ﴿كاذِبةٍ خاطِئةٍ﴾. وصفُها بذلك مَجاز، والمُراد صاحبُها. (١٧) - ﴿فلْيَدْعُ نادِيَهُ﴾ أي: أهلَ ناديه. وهو المَجلس يُنتدَى: يَتحدّث فيه القوم. وكان قال للنبيّ ﷺ لمّا انتهره حيثُ نهاه عن الصلاة: لقد علمتَ: ما بها رجل أكثرُ ناديًا منّي. لأملأنَّ عليك هذا الوادي[2]، إن شئتُ، خيلاً جُردًا ورِجالاً مُردًا. (١٨) - ﴿سَندعُ الزَّبانِيةَ﴾[3]: الملائكةَ الغِلاظ الشِّداد لإهلاكه. في الحديث: «لَو دَعا نادِيَهُ لَأخَذَتْهُ الزَّبانِيةُ عِيانًا»[4]. (١٩) - ﴿كَلَّآ﴾: ردعٌ له ﴿لا تُطِعْهُ﴾ - يا مُحمّدُ - في ترك الصلاة ﴿واسجُدْ﴾: صلِّ لله ﴿واقتَرِبْ﴾ منه بطاعته.

٩٧ - سُورَةُ القَدْرِ

مكية أو مدنية، خمسُ أو ستُّ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿إنّا أنزَلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ جُملة واحِدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿في لَيلةِ القَدْرِ﴾ أي: الشرف والعِظَم، (٢) - ﴿وما أدراكَ﴾: أعلمَكَ يا مُحمّدُ: ﴿ما لَيلَةُ القَدْرِ﴾؟ تعظيمٌ لشأنها وتعجيب منه. (٣) - ﴿لَيلةُ القَدْرِ خَيرٌ مِن ألفِ شَهرٍ﴾ ليس فيها ليلةُ القدر. فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. (٤) - ﴿تَنزَّلُ المَلائكةُ﴾ - بحذف إحدى التاءين من الأصل - ﴿والرُّوحُ﴾ أي: جِبريلُ ﴿فِيها﴾: في الليلة ﴿بِإذنِ رَبِّهِم﴾: بأمره ﴿مِن كُلِّ أمرٍ﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابلٍ. ومِن: سببيّة بمعنى الباء. (٥) - ﴿سَلامٌ هِيَ﴾: خبرٌ مُقدّم ومُبتدأ ﴿حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ﴾ بفتح اللام وكسرها: إلى وقت طُلوعه. جُعلت سلامًا لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمرّ بمُؤمن ولا مُؤمنة إلاّ سلّمتْ عليه.

﴿لَنَسْفَعن بالناصية﴾: لَنسحبَنَّهُ بناصِيتِهِ إلى النَّارِ. ﴿فليَدْعُ نادِيَه﴾: أهلَ مَجلِسِهِ مِن قَومِهِ وعَشِيرَتِهِ. ﴿سَنَدْعُ الزبانية﴾: ملائكةَ العذابِ لِجَرِّهِ إلى النَّارِ. ﴿أنزلناه﴾: ابْتَدَأْنا إنْزَالَ القرآنِ العظيمِ. ﴿ليلة القدْر﴾: لَيلَةِ الشَّرفِ والعَظَمَةِ. ﴿الرّوح﴾: جبريلُ عليهِ السَّلامُ. ﴿منْ كل أمر﴾: بكلِّ أمرٍ مِنَ الخيرِ والبركةِ. ﴿سلام هيَ﴾: على أولياءِ اللهِ وأهلِ طاعتِهِ. ﴿منفكّين﴾: مُزايلينَ ما هُمْ عليهِ مِنَ الكفرِ. ﴿تأتيَهُم البيّنة﴾: الحُجَّةُ الواضحةُ وهيَ الرَّسولُ. ﴿صُحُفًا﴾: مكتوباً فيها القرآنُ العظيمُ. ﴿مطهّرة﴾: مُنزَّهةً عنِ الباطلِ والشُّبهاتِ. ﴿فيها كتب﴾: آياتٌ وأحكامٌ مكتوبةٌ. ﴿قيّمة﴾: مُستقيمةٌ حَقَّةٌ عادلةٌ مُحْكَمَةٌ. ﴿ما تفرّق﴾: في الرَّسولِ بينَ مُؤْمِنٍ وجاحِدٍ. ﴿جاءتهم البينة﴾: بالهُدى وكانَ الحقُّ أن لا يتفرَّقوا. ﴿الدين﴾: العِبادةَ. ﴿حُنفاء﴾: مائلينَ عنِ الباطلِ إلى الإسلامِ. ﴿دين القيمة﴾: المِلَّةِ المستقيمةِ أو الكتبِ القيِّمةِ.

(١) عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قال أبو جهلٍ: هل يعفِّرُ محمَّدٌ وجهَهُ بينَ أظهُرِكُم؟! قالوا: نعم، قال: واللاتِ والعُزَّى لئن رأيتُه يفعَلُ ذلك لأطأنَّ رقبته، قال: فقيل له: ها هو ذا يصلِّي، فانطلَقَ ليطأَ رقبتَه، قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو ينكصُ على عَقِبَيه ويتَّقي بيديه، فقيل له: ما لكَ يا أبا حكم؟ قال: إنَّ بيني وبينَهُ خندقًا من النَّارِ وهولًا وأجنحةً، قال النبيُّ ﷺ: «ولو دنا مِني لاختطفَتْهُ الملائِكَةُ، فجعلَتْهُ عُضوًا عضوًا»، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ إلى آخر السورة. رواه مسلم (٢٧٩٧).

(٢) الثعلبي (٣٠/ ٥١) عن ابن عباس. وتقدم نحوه في الحديث السابق.

(٣) عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا، ألم أنهك عن هذا، فانصرف النبي ﷺ فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾ رواه الترمذي (٣٣٤٩) وقال: حسن صحيح. ورواه الطبري (٢٤/ ٥٣٤) بلفظ: كان رسولُ ﷺ يُصلِّي، فجاءه أبو جهلٍ فنهاه أنْ يُصلِّيَ، فأنزل اللهُ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ١٠] إلى قوله: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦].

(٤) رواه أحمد (٣٠٤٤)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٢٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما دون كلمة «عياناً»، وإسناده صحيح. وهو عند البخاري (٤٩٥٨) بلفظ: «لو فعله لأخذته الملائكة».

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ
ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا
﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ
صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾

٩٨ ـ سورة ﴿لم يكن﴾

مكية أو مدنية، ثمانٍ أو تسعُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿لَم يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾ ـ للبيان ـ ﴿أهلِ الكِتابِ والمُشرِكِينَ﴾ أي: عَبَدةِ الأصنام، عطفٌ على «أهل»، ﴿مُنفَكِّينَ﴾: خبرُ «يكن» أي: زائلين عمّا هم عليه ﴿حَتّى تأتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿البَيِّنَةُ﴾ أي: الحُجّة الواضحة، ﴿٢﴾ ـ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾: بدلٌ من: البيّنة ـ وهو النبيّ محمدٌ ـ ﴿يَتلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ من الباطل، ﴿٣﴾ ـ ﴿فِيها كُتُبٌ﴾: أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مستقيمة، أي: يتلو مضمونَ ذلك ـ وهو القرآن ـ فمنهم من آمن به ومنهم من كفر.

﴿٤﴾ ـ ﴿وما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إلاّ مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَيِّنَةُ﴾ أي: هو ﷺ أو القرآنُ الجائي به مُعجزةً له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مُجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فحسَده مَن كفر به منهم، ﴿٥﴾ ـ ﴿وما أُمِرُوا﴾ في كتابَيهم التوراةِ والإنجيل ﴿إلاّ لِيَعبُدُوا اللهَ﴾ أي: أن يعبدوه ـ فحُذفت «أن» وزيدت اللام ـ ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفاءَ﴾: مستقيمين على دين إبراهيمَ، ودين محمدٍ إذا جاء، فكيف كفروا به؟ ﴿ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤتُوا الزَّكاةَ. وذلِكَ دِينُ﴾ المِلّةِ ﴿القَيِّمَةِ﴾: المستقيمة. ﴿٦﴾ ـ ﴿٧﴾ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ والمُشرِكِينَ في نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها﴾: حالٌ مُقدَّرة، أي: مُقدَّرًا خلودُهم فيها من الله ـ تعالى ـ ﴿أولئِكَ هُم شَرُّ البَرِيَّةِ. إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ﴾: الخليقة، ﴿٨﴾ ـ ﴿جَزاؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنّاتُ عَدنٍ﴾: إقامة، ﴿تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه. ﴿ذلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾: خاف عِقابه فانتهى عن معصيته.

٩٩ ـ سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مكية أو مدنية، تسعُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

﴿١﴾ ـ ﴿إذا زُلزِلَتِ الأرضُ﴾: حُرّكتْ لقيام الساعة ﴿زِلزالَها﴾: تحريكَها الشديد المُناسب لعظَمها، ﴿٢﴾ ـ ﴿وأخرَجَتِ الأرضُ أثقالَها﴾: كُنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها، ﴿٣﴾ ـ ﴿وقالَ الإنسانُ﴾ أي: الكافر بالبعث: ﴿ما لَها﴾؟ إنكارًا لتلك الحالة، ﴿٤﴾ ـ ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدلٌ من «إذا» وجوابها: ﴿تُحَدِّثُ أخبارَها﴾: تُخبِرُ بما عُمل عليها من خير وشرّ ﴿٥﴾ ـ ﴿بِأنَّ﴾: بسبب أنّ ﴿رَبَّكَ أوحى لَها﴾ أي: أمرَها بذلك. في الحديث «تَشهَدَ على كُلِّ عَبدٍ أو أمةٍ بكُلِّ ما عَمِلَ على ظَهرِها»[1]. ﴿٦﴾ ـ ﴿يَومَئِذٍ يَصدُرُ النّاسُ﴾: ينصرفون من موقف الحِساب ﴿أشتاتًا﴾: مُتفرّقين، فآخذٌ ذاتَ اليمين إلى الجنّة وآخذٌ ذاتَ الشِّمال إلى النار، ﴿لِيُرَوا أعمالَهُم﴾ أي: جزاءها من الجنّة أو النار. ﴿٧﴾ ـ ﴿فَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ﴾: زِنةَ نملةٍ صغيرة ﴿خَيرًا يَرَهُ﴾[2]: يرَ ثوابه، ﴿٨﴾ ـ ﴿ومَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3]: يرَ جزاءه.

* * *

﴿البريّة﴾: الخلائقِ أو البَشر. ﴿زلزلت الأرض﴾: حُرِّكَتْ تحريكاً عَنيفاً مُتكرِّراً عندَ النَّفخةِ الأُولى. ﴿أثقالها﴾: كُنوزَها ومَوْتاها في النَّفخةِ الثّانية. ﴿تُحدّث أخبارها﴾: تدُلُّ بحالِها على ما عُمِلَ عليها. ﴿أوحى لها﴾: جَعَلَ في حالِها دِلالةً على ذلكَ. ﴿يصدر الناس﴾: يَخرُجونَ مِنْ قُبورِهِمْ إلى المَحْشَرِ. ﴿أشتاتاً﴾: مُتفرِّقينَ على حَسَبِ أحْوالِهِمْ. ﴿مثقال ذرّة﴾: وَزْنَ أصْغرِ نملةٍ أو هَباءَةٍ. ﴿والعاديات﴾: (قسمٌ) بالخيلِ تَعْدو في الغَزْوِ. ﴿ضَبْحاً﴾: هُوَ صَوْتُ أنْفاسِها إذا عَدَتْ. ﴿فالموريات قَدْحاً﴾: المُخْرِجاتِ النّارَ بصكِّ حَوافِرِها الأحجار. ﴿فالمغيرات صُبْحاً﴾: المباغِتاتِ للعدوِّ وَقْتَ الصَّباحِ. ﴿فأثرْنَ به نقعاً﴾: هيَّجْنَ في الصُّبْحِ غباراً. ﴿فوَسطْنَ به جَمْعاً﴾: فتَوَسَّطْنَ فيهِ مِنَ الأعداءِ.

(١) رواه الترمذي (٣٣٥٣) وقال: حسن صحيح.

(٢) عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ الآية [الإنسان: ٨] كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطَوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير ـ الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ـ ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغبهم في الخير القليل أن يعملوه فإنه يُوشك أن يكثر، وحذرهم اليسيرَ من الشَّرّ فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾. ابن أبي حاتم (١٠/٣٤٥٦)، و«لباب النقول» (ص: ٢١٥).

(٣) قال مقاتلٌ: نزلت في رجلينِ كانَ أحدُهما يأتيهِ السَّائلُ فيستقلُّ أن يعطيَهُ التمرةَ واللُّقمةَ والكِسرةَ ويقولُ: «إنما نؤجَرُ على ما نُعطي ونحنُ نحبُّهُ»، والآخرُ يتهاونُ بالذنبِ الصغيرِ والكِذبةِ والغيبةِ والنظرةِ ويقولُ: «ما مِن هذا عليَّ شيءٌ، إنَّما أوعدَ اللهُ بالنارِ على الكبيرةِ»، فأنزلَ اللهُ: ﴿ومن يعمل﴾ الآية. «تفسير مقاتل» (٤/٧٩٢).

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾
وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ
يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ
كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى
عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ
﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

١٠٠ ـ سورة ﴿والعاديات﴾[1]

مكية أو مدنية، إحدى عشرةَ آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿والعادياتِ﴾: الخيلِ تعدو في الغزو وتَضبحُ ﴿ضَبْحًا﴾ هو صوت أجوافها إذا عَدَت، (٢) ـ ﴿فالمُوريات﴾: الخيل تُوري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحِجارة بالليل، (٣) ـ ﴿فالمُغيرات صُبْحًا﴾: الخيلِ تُغير على العدوّ وقت الصبح بإغارة أصحابها، (٤) ـ ﴿فأثَرْنَ﴾: هيَّجْنَ ﴿بِهِ﴾: بمكان عدوهن، أو بذلك الوقت، ﴿نَقْعًا﴾ أي: غبارًا بشِدّة حركتهنّ، (٥) ـ ﴿فوَسَطْنَ بِهِ﴾: بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من العدوّ، أي: صِرْنَ وسْطَه ـ وعُطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل، أي: واللاّتي عدَونَ فأورَينَ فأغرْنَ ـ (٦) ـ ﴿إنَّ الإنسانَ﴾ الكافر ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾: لكفورٌ يجحد نعمَه ـ تعالى ـ (٧) ـ ﴿وإنَّهُ على ذلكَ﴾ أي: كُنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يشهد على نفسه بصُنعه، (٨) ـ ﴿وإنَّهُ لِحُبِّ الخيرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لشديدُ الحبّ له، فيبخل به. (٩) ـ ﴿أفلا يَعلَمُ، إذا بُعثِرَ﴾: أُثيرَ وأُخرج ﴿ما في القُبُورِ﴾ من الموتى أي: بُعثوا (١٠) ـ ﴿وحُصِّلَ﴾: بُيِّنَ وأُفرزَ ﴿ما في الصُّدُورِ﴾: القُلوب من الكُفر والإيمان، (١١) ـ ﴿إنَّ رَبَّهُم بِهِم يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾: لَعالِمٌ، فيُجازيهم على كُفرهم؟ أُعيد الضمير جمعًا نظرًا لِمعنى الإنسان. وهذه الجُملة دلّت على مفعول «يعلمُ» أي: أنّا نجازيه وقت ما ذُكر. وتعلّق خبير بـ «يومئذ»، وهو ـ تعالى ـ خبير دائمًا، لأنه يوم المُجازاة.

١٠١ ـ سُورَةُ القَارِعَةِ

مكية، إحدى عشرةَ آية. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿القارِعةُ﴾ أي: القِيامةُ التي تقرع القُلوب بأهوالها، (٢) ـ ﴿ما القارِعةُ﴾؟ تهويلٌ لشأنها. وهما مُبتدأ وخبرٌ: خبرُ القارعة. (٣) ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلمَكَ: ﴿ما القارِعةُ﴾؟ زيادةُ تهويل لها. و«ما» الأُولى: مبتدأ وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها: في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى». (٤) ـ ﴿يومَ﴾: ناصبُه دلّ عليه «القارعة» أي: تَقرعُ، ﴿يَكُونُ النّاسُ كالفَراشِ المَبثُوثِ﴾: كغَوغاء الجراد المُنتشر يموج بعضهم في بعض للحَيرة إلى أن يُدعَوا للحِساب، (٥) ـ ﴿وتكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ المَنفُوشِ﴾: كالصوف المندوف في خِفّة سيرها حتّى تستوي مع الأرض: (٦) ـ ﴿فأمّا مَن ثَقُلَتْ موازِينُهُ﴾ بأن رَجحتْ حسناته على سيّئاته (٧) ـ ﴿فهُوَ في عِيشةٍ راضِيةٍ﴾ في الجنّة، أي: ذاتِ رِضًا بأن يرضاها أو مَرْضيّةٍ له، (٨) ـ ﴿وأمّا مَن خَفَّتْ موازِينُهُ﴾ بأن رَجحت سيّئاته على حسناته (٩) ـ ﴿فأُمُّهُ﴾: فمَسكنُه ﴿هاوِيةٌ. (١٠) ـ وما أدراكَ: ماهِيَهْ﴾ أي: ما هاوية؟ (١١) ـ هي ﴿نارٌ حامِيةٌ﴾: شديدة الحرارة. وهاء «هِيه» للسكت تثبتُ وصلاً ووقفًا، وفي قِراءةٍ تُحذف وصلاً.

***

﴿إنّ الإنسان﴾: بطبْعِهِ إلّا مَنْ رَحِمَ اللهُ (جوابُ القسم). ﴿لكَنُودٌ﴾: لكفورٌ جَحودٌ. ﴿إنّه لحُبّ الخَيْر﴾: لأجْلِ حُبِّ المالِ. ﴿لشديدٌ﴾: لقويٌّ مُجدٌّ في تحصيلِهِ مُتهالكٌ عليهِ. ﴿بُعْثِرَ﴾: أُثيرَ وأُخْرجَ ونُثِرَ. ﴿حُصِّلَ﴾: جُمِعَ وأُظْهِرَ أو مُيِّزَ. ﴿القارعة﴾: القيامةُ تقْرَعُ القلوبَ بأهوالِها. ﴿كالفراش﴾: هوَ طيْرٌ كالبَعوضِ يَتهافتُ في النَّارِ. ﴿المبْثوث﴾: المُتفرِّقِ المُنتَشِرِ. ﴿كالعِهن﴾: كالصُّوفِ المصْبوغِ بألوانٍ مُختلفةٍ. ﴿المنفوش﴾: المُفرَّقِ بالأصابعِ ونحْوِها. ﴿ثَقُلَتْ موازينه﴾: رَجَحَتْ مَقاديرُ حسناتِهِ. ﴿خَفّت موازينه﴾: رَجَحَتْ مقاديرُ سَيِّئاتِهِ. ﴿فأمّه هاوية﴾: فمأواهُ جهنَّمُ يَهْوي فيها. ﴿مَاهِيَهْ﴾: ما هيَ والهاءُ للسَّكتِ. ﴿ألهاكم﴾: شَغَلَكُم عنْ طاعَةِ ربِّكُم. ﴿التّكاثُر﴾: التَّباهي بكثرةِ متاعِ الدُّنيا. ﴿زُرْتم المقابر﴾: متُّمْ ودُفِنتُم في القبورِ. ﴿لو تعلمون عِلم اليقين﴾: لوْ تعلمونَ مآلَكُم عِلماً يَقيناً لَمَا ألهاكُمُ التَّكاثُرُ. ﴿لترونَّ الجحيم﴾: واللهِ لترَوُنَّ الجحيمَ. ﴿عيْن اليقين﴾: نَفْسَ اليَقينِ وهوَ المشاهدةُ. ﴿النّعيم﴾: الَّذي ألهاكُمْ عنْ طاعةِ رَبِّكُمْ.

(١) عن عكرمة عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ خيلاً فأسهَبَتْ ـ أي: أقامَتْ ـ شهرًا لم يأتِهِ منها خبرٌ، فنزلَتْ: ﴿والعاديات ضبحًا﴾. رواه ابن أبي حاتم في «العلل» (٤/ ٦٠٨ ـ ٦١٠)، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: هذا حديث منكر، والصحيح: عن عكرمة فقط. مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سريَّةً إلى حيٍّ من كنانة وأمَّر عليهم المنذرَ بن عمرٍو أحدَ النقباء، فغابت ولم يأته خبرها، فقال المنافقون: قُتلوا جميعاً، فأخبره الله تعالى عنها فأنزل: ﴿والعاديات ضبحاً﴾. «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٠١)، والواحدي (ص: ٤٦٣).

١٠٢ ـ سُورَةُ التَّكَاثُرِ (١)

مكية، ثمانُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

① ـ ﴿أَلهاكُمُ﴾: شَغلكم عن طاعة الله ﴿التَّكاثُرُ﴾: التفاخُر بالأموال والأولاد والرجال ② ـ ﴿حَتَّى زُرتُمُ المَقابِرَ﴾ بأن مُتّم فدُفنتم فيها، أو عددتمُ الموتى تكاثُرًا. ③ ـ ④ ـ ﴿كَلاَّ﴾: ردعٌ ﴿سَوفَ تَعلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوفَ تَعلَمُونَ﴾ سُوءَ عاقبةِ تفاخُركم عِند النزع ثمّ في القبر. ⑤ ـ ﴿كَلاَّ﴾: حقًّا ﴿لَو تَعلَمُونَ عِلمَ اليَقِينِ﴾: عِلمًا يقينًا عاقبةَ التفاخُر ما اشتغلتم به. ⑥ ـ ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾: النارَ، جوابُ قسم محذوف ـ وحُذف منه لام الفعل وعينه وأُلقيَ حركتُها على الراء ـ ⑦ ـ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّها﴾: تأكيدٌ ﴿عَينَ اليَقِينِ﴾: مصدرٌ لأن: رأى وعاين، بمعنًى واحد، ⑧ ـ ﴿ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ﴾ ـ حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين ـ ﴿يَومَئِذٍ﴾: يومَ تَروْنَّها ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾: ما التُذّ به في الدنيا من الصِّحّة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

١٠٣ ـ سورة ﴿والعصر﴾

مكية أو مدنية، ثلاثُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

① ـ ﴿وَالعَصرِ﴾: الدهرِ، أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاةِ العصر، ② ـ ﴿إِنَّ الإِنسانَ﴾ الجِنسَ ﴿لَفِي خُسرٍ﴾ في تِجارته، ③ ـ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ فليسوا في خُسرانٍ، ﴿وَتَواصَوا﴾: أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِالحَقِّ﴾ أي: الإيمان، ﴿وَتَواصَوا بِالصَّبرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ
عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩

سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣
تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥

١٠٤ ـ سُورَةُ الهُمَزَةِ

مكية أو مدنية، تسعُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

① ـ ﴿وَيلٌ﴾: كلمةُ عذابٍ أو وادٍ في جهنّم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ أي: كثيرِ الهَمْز واللَّمْز، أي: الغِيبة ـ نزلتْ فيمن كان يغتاب النبيَّ والمؤمنين، كأُميّة بن خلف والوليد ابن المُغيرة(٢) وغيرهما ـ ② ـ ﴿الَّذي جَمَعَ﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿مالاً وَعَدَّدَهُ﴾: أحصاه وجعله عُدّة لحوادث الدهر، ③ ـ ﴿يَحسِبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مالَهُ أَخلَدَهُ﴾: جعلَه خالدًا لا يموت. ④ ـ ﴿كَلاَّ﴾: ردعٌ ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾: جوابُ قسم محذوف، أي: لَيُطرَحَنَّ ﴿فِي الحُطَمَةِ﴾ التي تَحطِم كُلّ ما أُلقي فيها. ⑤ ـ ⑥ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلمَكَ: ﴿ما الحُطَمَةُ؟ نارُ اللهِ المُوقَدَةُ﴾: المُسعَّرة ⑦ ـ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾: تُشرِف ﴿عَلَى الأَفئِدَةِ﴾: القُلوبِ فتُحرقها، وألمُها أشدّ من ألم غيرها للُطفها. ⑧ ـ ﴿إِنَّها عَلَيهِم﴾ ـ جُمِعَ الضميرُ رِعايةً لمعنى «كُلّ» ـ ﴿مُؤصَدَةٌ﴾، بالهمز وبالواو بدلَه: مُطبقَةٌ، ⑨ ـ ﴿فِي عُمُدٍ﴾، بضمّ الحرفين وبفتحهما، ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾: صفةٌ لما قبله. فتكون النار داخلَ العُمُد.

﴿و العَصْر﴾: (قسمٌ) بالدَّهرِ أو عصرِ النُّبوّةِ. ﴿إنّ الإنسان﴾: جنْسَ الإنسانِ (جَوابُ القسم). ﴿لَفِي خُسْر﴾: خُسْرانٍ ونُقصانٍ وهَلَكةٍ. ﴿تَواصَوْا بالحَقّ﴾: بالخَيْرِ كلِّهِ اعتِقاداً وعَمَلاً. ﴿تَواصَوْا بالصّبر﴾: عَنِ المَعاصي وعلى الطّاعاتِ والبلاءِ. ﴿وَيْل﴾: عذابٌ أو هَلاكٌ أوْ وادٍ في جَهنَّم. ﴿هُمَزةٍ لُمَزةٍ﴾: طَعّانٍ غَيّابٍ عَيّابٍ للنّاسِ. ﴿عَدّده﴾: أحصاهُ. أو أعدَّهُ للنَّوائبِ. ﴿أخلده﴾: يُخلِّدُهُ في الدُّنيا. ﴿لَيُنْبَذَنّ﴾: لَيُطرَحَنَّ. ﴿الحُطمة﴾: جَهنَّم. لِحَطْمِها كلَّ ما يُلْقى فيها. ﴿تطّلع على الأفئدة﴾: تَغْشى حَرَارتُها أوْساطَ القلوبِ. ﴿مؤْصَدَة﴾: مُطبَقَةٌ مُغْلقةٌ أبْوابُها. ﴿في عَمَدٍ مُمَدّدة﴾: بأعمِدةٍ ممدودةٍ على أبوابِها. ﴿بأصحاب الفيل﴾: وَقَعتِ القصّةُ أوّلَ عام مولدِهِ ﷺ. ﴿يجْعَلْ كَيْدَهمْ﴾: سَعْيَهُمْ لتخْريبِ الكَعْبَةِ. ﴿تَضْليل﴾: تَضييعٍ وإبْطالٍ وخَسارٍ. ﴿طَيْرًا أبابيل﴾: جماعاتٍ مُتفرّقةً مُتابعةً. ﴿سِجّيل﴾: طينٍ مُتحجّرٍ مُحْرَقٍ (آجُرّ). ﴿كَعَصْفٍ مأكول﴾: كتِبْنٍ أكَلتْهُ الدَّوابُّ فَراثَتْه.

(١) قالَ قتادةُ: نزلَت في اليهودِ قالُوا: نحن أكثرُ من بني فلانٍ، وبنو فلانٍ أكثرُ مِن بني فلانٍ، شغلَهم ذلك حتَّى ماتوا ضُلَّالًا. الثعلبي (٣٠/ ٢٠٣)، والواحدي (ص: ٤٦٤). وقالَ مقاتلٌ والكلبيُّ: نزلَت في حيَّينِ من قريشٍ: بني عبدِ منافِ بنِ قصيٍّ، وبني سهمِ بنِ عمرٍو، وكانَ بينهم تفاخرٌ أيُّهم أكثرُ عدداً، فكثَرَهم بنو عبدِ منافٍ، فقالَت بنو سهمٍ: إنَّ البغيَ أهلكَنا في الجاهليَّةِ، فعادُّونا بالأحياءِ والأمواتِ، فكثَرَهم بنو سهمٍ بثلاثةِ أبياتٍ؛ لأنَّهم كانُوا في الجاهليَّةِ أكثرَ عدداً. الثعلبي (٣٠/ ٢٠٤)، والواحدي (ص: ٤٦٤). وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٨١٩). وعن ابن بريدة نحوه لكن في قبيلتين من الأنصار، رواه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٩). وعن عَلِيٍّ قال: مَا زِلْنَا نَشُكُّ في عذابِ القبر حتَّى نزلتْ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. الترمذي (٣٣٥٥) وقال: حديث غريب.

(٢) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٦). وعن أبي صالح والضحاك عن ابن عباس: نزلَتْ في الأخنسِ بنِ شَرِيقٍ. «تفسير السمعاني» (٦/ ٢٨٠)، و«زاد المسير» (٤/ ٤٨٨)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٧٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٣٠) عن الكلبي، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٣) من قول السدي. وقيلَ: في جميلِ بن عامرٍ الجُمَحِيِّ. رواه الطبري (٢٤/ ٦١٩) من طريق ابن أبي نجيح عن رجل من أهل الرقة.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ
(٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم
مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ (٤)

سُورَةُ المَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ
ٱلْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
(٥) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ (٧)

سُورَةُ الكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢)
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ (٣)

١٠٥ - سُورَةُ الفِيلِ

مكية، خمسُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿ألَم تَرَ﴾: استفهامُ تعجيب، أي: اعجَبْ: ﴿كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصحابِ الفِيلِ﴾؟ هو محمودٌ. وأصحابه أبرهةُ ملك اليمن وجيشُه، بنى بصنعاءَ كنيسة ليصرف إليها الحاجَّ عن مكّة، فأحدثَ رجل من كِنانة فيها، ولطّخ قِبلتها بالعَذِرة احتقارًا بها، فحلف أبرهةُ، ليَهدِمَنَّ الكعبة، فجاء مكّةَ بجيشه على أفيال مُقدَّمُها محمودٌ. فحين توجّهوا الهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قَصَّه في قوله: (٢) - ﴿ألَم يَجعَلْ﴾ أي: جَعَلَ ﴿كَيدَهُم﴾ في هدم الكعبة ﴿في تَضلِيلٍ﴾: خَسار وهلاك، (٣) - ﴿وأرسَلَ علَيهِم طَيرًا أبابِيلَ﴾: جماعاتٍ جماعات - قيل: لا واحد له كأساطيرَ. وقيل: واحده: إبَّول أو إبّال أو إبِّيل كعِجَّول ومِفتاح وسِكِّين - (٤) - ﴿ترمِيهِم بِحِجارةٍ مِن سِجِّيلٍ﴾: طينٍ مطبوخ، (٥) - ﴿فجَعَلَهُم كَعَصفٍ مأكُولٍ﴾: كورَقِ زرع أكلته الدوابّ وداسْته وأفنته؟ أي: أهلكهم الله - تعالى - كُلَّ واحد بحجره المكتوبِ عليه اسمُه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحِمّصة، يخرق البيضة والرَّجُل والفيل ويصل إلى الأرض. وكان هذا عامَ مولدِ النبيّ ﷺ.

١٠٦ - سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية أو مدنية، أربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - (٢) - ﴿لإيلافِ قُرَيشٍ إيلافِهِم﴾: تأكيدٌ - وهو مصدرُ: آلَفَ، بالمدّ - ﴿رِحلةَ الشِّتاءِ﴾ إلى اليمن ﴿و﴾ رِحلة ﴿الصَّيفِ﴾ إلى الشام في كُلّ عام، يستعينون بالرِّحلتَين للتجارة على الإقامة بمكّة لخِدمة البيت الذي هو فخرُهم - وهم ولد النَّضر بن كِنانة - (٣) - (٤) - ﴿فلْيَعبُدُوا﴾ تعلّق به «لإيلاف»، والفاء: زائدة، ﴿رَبَّ هذا البَيتِ الَّذي أطعَمَهُم مِن جُوعٍ﴾ أي: من أجله، ﴿وآمَنَهُم مِن خَوفٍ﴾ أي: من أجله. وكان يُصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكّة وخافوا جيش الفيل.

١٠٧ - سُورَةُ المَاعُونِ

مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها، ستٌّ أو سبعُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿أرَأيتَ الَّذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ﴾: الجزاءِ والحِساب؟ أي: هل عرفتَه؟ إن لم تعرفه (٢) - ﴿فذلِكَ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذي يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعُنف عن حقّه، (٣) - ﴿ولا يَحُضُّ﴾ نفسَه ولا غيره ﴿علَى طَعام المِسكِينِ﴾ أي: إطعامه نزلتْ في العاص بنِ وائل[1] أو الوليد بن المُغيرة[2]. (٤) - (٥) - ﴿فوَيلٌ لِلمُصَلِّينَ[3] الَّذينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهُونَ﴾: غافلون يُؤخّرونها عن وقتها، (٦) - ﴿الَّذِينَ هُم يُراؤُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. (٧) - ﴿ويَمنَعُونَ الماعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقِدر والقَصعة.

١٠٨ - سُورَةُ الكَوْثَرِ

مكية أو مدنية، ثلاثُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) - ﴿إنّا أعطَيناكَ﴾ - يا مُحمّدُ - ﴿الكَوثَرَ﴾ هو نهر في الجنّة، هو حوضه تَرِدُ عليه أُمّته، أوِ الكوثر: الخير الكثير من النبوّة والقُرآن والشفاعة ونحوها. (٢) - ﴿فصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاةَ عِيد النحر ﴿وانحَرْ﴾ نُسكَكَ. (٣) - ﴿إنَّ شانِئَكَ﴾: أي: مُبغِضَك ﴿هُوَ الأبتَرُ﴾: المُنقطع عن كُلّ خير، أو المُنقطعُ العقبِ. نزلت في العاص بن وائل[4]، سمَّى النبيَّ ﷺ أبترَ عند موت ابنه القاسم.

﴿لإيلاف قريش..﴾: اعجَبُوا لإيلافِهِمُ الرِّحلتَينِ وتَرْكِهِمْ عِبادةَ ربِّ البَيْتِ. ﴿أرأيتَ الذي﴾: أخْبِرني الَّذي يكذبُ مَنْ هوَ؟. ﴿يُكَذِّبُ بالدِّين﴾: يَجْحَدُ الجَزَاءَ لإنكارِ البَعْثِ. ﴿يَدُعُّ اليَتيمَ﴾: يَدْفَعُهُ دَفْعاً عَنيفاً عنْ حَقِّهِ. ﴿لا يَحضّ﴾: لا يَحُثُّ ولا يَبْعَثُ أحداً. ﴿فَوَيْلٌ﴾: عذابٌ أو هَلاكٌ، أوْ وَادٍ في جَهنَّم. ﴿للمصلّينَ﴾: نِفاقاً أو رِياءً. ﴿سَاهون﴾: غَافِلونَ غَيْرُ مُبالينَ بها. ﴿يُراءُون﴾: يَقْصِدونَ الرِّياءَ بأعمالِهِمْ. ﴿يَمْنَعون الماعون﴾: ما يَتعاوَرُهُ النَّاسُ بينَهُم بُخْلاً. ﴿أعطيناك الكوثر﴾: نهراً في الجَنَّةِ أوِ الخيرَ الكَثيرَ. ﴿انْحَرْ﴾: الأضاحيَ نُسُكاً شُكْراً للهِ تعالى. ﴿شَانِئَكَ﴾: مُبْغِضَكَ (أحدَ مُشركي قريشٍ). ﴿هو الأبتر﴾: المقطوعُ الأثرِ. أوِ الخيرِ.

(١) الثعلبي (١٠/ ٣٠٤)، والماوردي (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في «الوسيط» (ص: ٤٦٥)، عن مقاتل والكلبي. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٧١).

(٢) الثعلبي (٣٠/ ٣٣١) عن السدي ومقاتل بن حيان وابن كيسان.

(٣) عن ابن عباس: نزلت في المنافقين، كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعونهم العارية. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ٢١٦).

(٤) رواه بهذا السياق الزبير بن بكار في «المنتخب من كتاب أزواج النبي» (ص: ٣١) عن جعفر بن محمد عن أبيه. وكونها نزلت في العاص بن وائل رواه عبد الرزاق (٣٧٢٠) =

١٠٩ ـ سُورَةُ الكَافِرُونَ[1]

مكية أو مدنية، ستُّ آيات. نزلتْ لمّا قال رهطٌ من المُشركين للنبيّ ﷺ: تعبدُ آلهتنا سنةً ونعبد إلهك سنةً. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ (٢) ـ ﴿قُلْ: يا أيُّها الكافِرُونَ، لا أعبُدُ﴾ في الحال ﴿ما تَعبُدُونَ﴾ من الأصنام، (٣) ـ ﴿ولا أنتُم عابِدُونَ﴾ في الحال ﴿ما أعبُدُ﴾ ـ وهو الله تعالى وحده ـ (٤) ـ (٥) ـ ﴿ولا أنا عابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿ما عَبَدتُم، ولا أنتُم عابِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿ما أعبُدُ﴾. علمَ اللهُ منهم أنهم لا يُؤمنون، وإطلاقُ «ما» على الله على جهة المُقابلة. (٦) ـ ﴿لَكُم دِينُكُم﴾ الشِّرك ﴿ولِي دِينِ﴾ الإسلامُ. وهذا قبل أن يُؤمر بالحرب. وحَذفَ ياءَ الإضافةِ السبعةُ وقفًا ووصلاً، وأثبتَها يعقوب في الحالينِ.

١١٠ ـ سُورَةُ النَّصْرِ[2]

مدنية، ثلاثُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿إذا جاءَ نَصرُ اللهِ﴾ نَبيَّه ﷺ على أعدائه ﴿والفَتحُ﴾: فتحُ مكّة، (٢) ـ ﴿ورأيتَ النّاسَ يَدخُلُونَ في دِينِ اللهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أفواجًا﴾: جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد بعد واحد ـ وذلك بعد فتح مكّةَ، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين ـ (٣) ـ ﴿فسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ﴾ أي: مُلتبسًا بحمده ﴿واستَغفِرْهُ. إنَّهُ كانَ توّابًا﴾ كان ﷺ بعد نُزول هذه السورة يُكثر من قول: «سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِهِ، أستَغفِرُ اللهَ، وأتُوبُ إلَيهِ»، وعَلِمَ بها أنه قد اقترب أجلُه. وكان فتح مكّةَ في رمضانَ سنةَ ثمانٍ، وتوفِّي ﷺ في ربيعِ الأولِ سنةَ عشرٍ.

سُورَةُ الكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦)

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا (٣)

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ (٤) فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ (٥)

١١١ ـ سورة تَبّتْ

مكية، خمسُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

لمّا دعا ﷺ قومَه، وقال: «إنّي نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي عَذابٍ شَديدٍ»[3]، فقال عمّه أبو لهَبٍ: «تَبًّا لكَ. ألهذا دعوتَنا»؟ نزلَ: (١) ـ ﴿تَبّتْ﴾: خَسِرَتْ ﴿يَدا أبِي لَهَبٍ﴾ أي: جُملتُه. وعُبّر عنها باليدين مجازًا لأنّ أكثر الأفعال تُزاوَلُ بهما، وهذه الجملة دُعاءٌ. ﴿وتَبَّ﴾: خَسِرَ هو. وهذه الجملة خبرٌ، كقولهم: أهلكه الله، وقد هَلَكَ. ولمّا خوَّفه النبيُّ بالعذاب[4]، فقال: «إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا فإنّي أفتدي منه بمالي وولدي»، نزلَ: (٢) ـ ﴿ما أغنَى عَنهُ مالُهُ وما كَسَبَ﴾: وكَسْبُه، أي: ولدُه. «وأغنى» بمعنى: يُغني. (٣) ـ ﴿سَيَصلَى نارًا ذاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلهّبٍ وتوقّدٍ ـ فهي مآل تكنيته لتلهّب

﴿لَكُمْ دينكمْ﴾: شِرْكُكُم وكفرُكُم أو جَزاؤُهُ. ﴿لِيَ دين﴾: إخلاصي وتوحيدي أو جَزاؤُهُ. ﴿جاء نصر الله﴾: عَوْنُهُ لكَ على الأعداءِ. ﴿الفتح﴾: فتحُ مكَّةَ في السَّنةِ الثَّامنةِ الهجريَّةِ. ﴿أفواجاً﴾: جَماعاتٍ جماعاتٍ كثيرةً. ﴿فسبّح بحمد ربّك﴾: فنَزِّهْهُ تعالى، حامِداً لهُ. ﴿كان توّاباً﴾: كثيرَ القَبولِ لتوبةِ عبادِهِ. ﴿تبّتْ﴾: هَلَكتْ أو خَسِرَتْ أو خابَتْ. ﴿و تبَّ﴾: وقَدْ هَلَكَ أو خَسِرَ أوْ خابَ. ﴿ما أغنى عنه﴾: ما دَفَعَ التَّبابَ عنهُ. ﴿ما كَسَب﴾: الَّذي كَسَبَهُ بِنَفْسِهِ. ﴿سَيصلى نارًا﴾: سَيَدْخلُها أوْ يُقاسي حَرَّها. ﴿في جيدها﴾: في عُنُقِها. ﴿مِنْ مَسَدٍ﴾: ممَّا يُفْتَلُ قَوِيّاً مِنَ الحِبالِ.

= عن الكلبي، والطبري (٢٤/ ٦٩٧ ـ ٦٩٩) عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة، وذكره ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٣٠) عن ابن إسحاق، وذكره الثعلبي (١٠/ ٣٠٧)، والواحدي (ص: ٤٦٦)، عن ابن عباس، وفيه قصة. وعن شمر بن عطية: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبيّ ﷺ ولد، وهو أبتر، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ عقبة بن أبي معيط ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾. الطبري (٢٤/ ٦٩٩)، ورواه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧١) عن شمر بن عطية عن إبراهيم. وعن ابن جريج قال: بلغني أن إبراهيم ولد النبي ﷺ لما مات قالت قريش: أصبح محمد أبتر، فغاظه ذلك فنزلت: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ تعزية له. ابن المنذر كما في «لباب النقول» (ص: ٢١٨). وعن ابن عباس: لما قَدِم كعب بن الأشرف مكة أتَوْه، فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا؟ قال: بل أنتم خير منه، فنزلت عليه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾. رواه النسائي في «الكبرى» (١١٦٤٣)، والطبري (٧/ ١٤٢)، و(٢٤/ ٦٩٩ ـ ٧٠٠)، وابن حبان (٦٥٧٢). وعن عكرمة: لما أوحي إلى النبي ﷺ قالت قريش: بُتِرَ محمد منا، فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾. الطبري (٢٤/ ٧٠٠).

(١) سببُ نزولها: أنَّ رهطًا من قريشٍ قالوا: يا محمَّدُ، هلمَّ فاتَّبعْ دينَنَا ونتبع دينَكَ، تعبدُ آلهتَنا سنةً ونعبدُ إلهَكَ سنةً، فإن كانَ الذي جئتَ بهِ خيرًا ممَّا في أيدينا كُنَّا قد شركنَاكَ فيهِ وأخذنا بحَظِّنَا، وإن كانَ الذي بأيدينا خيرًا ممَّا في يديكَ كُنتَ قد شركتَ في أمرِنا وأخذتَ بحظِّكَ منهُ، فقال: «معاذَ اللهِ أن أشركَ بهِ غيرَهُ»، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخرِ السُّورةِ، فغدا رسولُ اللهِ ﷺ إلى المسجدِ الحرامِ وفيهِ الملأُ من قريشٍ فقرأَ عليهم حتَّى فرغَ منَ السُّورةِ، فأيِسُوا منهُ عندَ ذلكَ. الثعلبي (٣٠/ ٣٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٧). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٣) عن ابن عباس وسعيد بن مينا مولى البختري.

(٢) عن الزهري قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله، ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم فدخلوا في الدين، فأنزل الله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختمها. عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٣٩)، و«لباب النقول» (ص: ٢١٨).

(٣) رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) ذكره الثعلبي (٣٠/ ٤٦٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤١١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى
يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

وجهه إشراقًا وحُمرة ـ (٤) ـ ﴿وامرأتُهُ﴾: عطفٌ على ضمير «يصلى»، سوّغه الفصل بالمفعول وصفتِه، وهي أُمّ جميل ﴿حَمّالةُ﴾ ـ بالرفع ـ ﴿الحَطَبِ﴾: الشوكِ والسَّعدانِ تُلقيه في طريق النبيّ ﷺ[1]، (٥) ـ ﴿في جِيدِها﴾: عُنقها ﴿حَبلٌ مِن مَسَدٍ﴾ أي: ليفٍ. وهذه الجملة حال من «حمّالة الحطب» الذي هو نعتٌ لـ«امرأته» أو خبرُ مُبتدأ مُقدّر.

١١٢ ـ سُورَةُ الإِخْلَاصِ

مكية أو مدنية، أربعُ أو خمسُ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

سُئل النبيّ ﷺ عن ربّه[2]، فنزل: (١) ـ ﴿قُلْ: هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. فاللهُ: خبرُ «هو»، وأحدٌ: بدلٌ منه، أو خبرٌ ثانٍ. (٢) ـ ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾: مُبتدأٌ وخبرُ، أي: المقصود في الحوائج على الدوام، (٣) ـ ﴿لَم يَلِدْ﴾ لِانتفاء مُجانسته ﴿ولَم يُولَدْ﴾ لِانتفاء الحُدوث عنه، (٤) ـ ﴿ولَم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ﴾ أي: مُكافئًا ومُماثلاً. فله: مُتعلِّق بـ«كفؤًا»، وقُدِّم عليه لأنه مَحطُّ القصد بالنفي، وأُخِّر «أحد» ـ وهو اسم «يكن» ـ عن خبرها رِعاية للفاصلة.

١١٣ ـ سُورَةُ الفَلَقِ

مكية أو مدنية، خمسُ آيات. نزلت هذه السورة والتي بعدها لمّا سَحَرَ لبيدٌ اليهوديُّ النبيَّ ﷺ في وَتَـرٍ به إحدى عشرةَ عُقدةً[3]، فأعلمَه الله بذلك وبمحلّه، فأُحضِر بين يديه ﷺ، وأُمر بالتعوّذ بالسورتين، فكان كُلّما قرأ آية منها انحلّتْ عُقدة ووجدَ خِفّةً حتّى انحلّتِ العُقد كُلّها، وقام كأنما نُشِطَ من عِقال. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿قُلْ: أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾: الصبح، (٢) ـ ﴿مِن شَرِّ ما خَلَقَ﴾ من حيوانٍ مُكلّف وغير مُكلّف وجمادٍ كالسمّ وغير ذلك، (٣) ـ ﴿ومِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ﴾ أي: اللَيلِ إذا أظلم أو القمرِ إذا غاب، (٤) ـ ﴿ومِن شَرِّ النَّفّاثاتِ﴾: السَّواحرِ تنفثُ ﴿في العُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير رِيق ـ وقال الزمخشري: معه ـ كبناتِ لبيدٍ المذكور، (٥) ـ ﴿ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾: أظهرَ حسده وعمِلَ بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذِكرُ الثلاثةِ الشاملِ لها «ما خَلَقَ» بعده لشِدّة شرّها.

١١٤ ـ سُورَةُ النَّاسِ

مكية أو مدنية، ستُّ آيات. بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿قُل: أعُوذَ بِرَبِّ النّاسِ﴾: خالقِهم ومالكهم ـ خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم ومناسبةً للاستعاذة من شرّ المُوَسوِس في صُدورهم ـ (٢) ـ (٣) ـ ﴿مَلِكِ النّاسِ، إلـٰهِ النّاسِ﴾: بدلان أو صفتان أو عطفا بيان، وأُظهِر المضافُ إليه فيهما زيادةً للبيان، (٤) ـ ﴿مِن شَرِّ الوَسْواسِ﴾ أي: الشيطان سُمِّي بالحدَث لكثرة مُلابسته له ﴿الخَنّاسِ﴾ لأنه يخنِس: يتأخّر عن القلب كُلّما ذُكر اللهُ، (٥) ـ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النّاسِ﴾: قُلوبهم إذا غفَلوا عن ذِكر الله، (٦) ـ ﴿مِنَ الجِنّةِ والنّاسِ﴾: بيانٌ للشيطان المُوَسوِس أنه جنّيٌّ وإنسيّ كقوله تعالى: «شَياطِينَ الإِنسِ والجِنِّ»، أو «من الجنة»: بيان له «والناسِ»: عطف على الوسواس. وعلى كُلٍّ شَمَلَ شرَّ لبيدٍ وبناته المذكورين. واعتُرض الأوّل بأنّ الناس لا يُوسوسون في صدور الناس، إنما يُوسوس في صدورهم الجِنُّ. وأُجيب بأنّ الناس يُوسوسون أيضًا بمعنًى يليق بهم في الظاهر، ثمّ تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المُؤدّي إلى ذلك. والله ـ تعالى ـ أعلم.

﴿الله الصّمد﴾: هوَ وَحْدَهُ المقصودُ في الحَوائج. ﴿كُفُوًا﴾: مُكافِئاً ومُمَاثِلاً ونظيراً. ﴿أعوذ﴾: أعْتَصِمُ وأسْتجيرُ. ﴿بربّ الفلق﴾: بربِّ الصُّبْح. أوِ الخَلْقِ كلِّهِمْ. ﴿شرّ غاسق﴾: شرِّ اللَّيل. ﴿وَقب﴾: دَخَلَ ظلامُهُ في كلِّ شيءٍ. ﴿النفاثات في العقد﴾: النِّساءِ السَّواحِرِ يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حينَ يَسْحَرْنَ. ﴿أعوذ﴾: أعْتَصِمُ وأستجيرُ. ﴿بربّ النّاس﴾: مُرَبِّيهِمْ ومُدبِّرِ أحوالِهِم. ﴿مَلِكِ النّاس﴾: مالِكِهِمْ مِلْكاً تامّاً. ﴿إله النّاس﴾: مَعْبُودِهِم الحقِّ. ﴿الوَسواس﴾: المُوَسْوِسِ جِنّيّاً أو إنْسِيّاً. ﴿الخنّاس﴾: المُتَواري المُخْتَفي. ﴿الجِنّة﴾: الجِنِّ.

(١) رواه الطبري (٢٤/ ٧١٩ ـ ٧٢٠) عن ابن عباس والضحاك وعطية الجدلي ويزيد بن زيد وابن زيد.

(٢) عن أُبيِّ بن كعبٍ، أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انْسُبْ لنا ربَّك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾. الترمذي (٣٣٦٤)، والواحدي (ص: ٤٧١).
وعن قتادةَ ومقاتلٍ والضَّحّاكِ: أنَّ ناسًا من اليهودِ جاؤوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: صِف لنا ربَّكَ، فإنَّ اللهَ أنزلَ نَعتَهُ في التَوراة، فأخبِرنا من أيِّ شيءٍ هُوَ؟ ومن أيِّ جنسٍ أمِنْ ذَهَبٍ هُوَ أم من نحاسٍ أم فضةٍ؟ وما يأكُلُ وما يشربُ؟ وممَّن ورِثَ الدُّنيا ومَن يُورثُها؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذهِ السُّورةَ. الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧١). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٨) عن سعيد بن جبير.

(٣) رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (١٠٩٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٩٢ ـ ٩٤)، من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها. ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٨) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٤٨)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكر القصة الواحدي (ص: ٤٧٣) عن المفسرين، وأصلها في البخاري (٦٣٩١)، ومسلم (٢١٨٩)، عن عائشة دون ذكر المعوذتين، وإلى ذلك أشار البيهقي عقب حديث عائشة.

فهرس بأسماء السور وبيان المكي والمدني منها

دُعَاءُ خَتْمِ القُرآنِ

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بالقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لي إِمَاماً ونُوراً وهُدًى وَرَحْمَةً * اللَّهُمَّ ذَكِّرْني مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْني مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وارْزُقْني تِلَاوَتَهُ آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لي حُجَّةً يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ * اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِيني الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي واجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ واجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ * اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدّاً غَيْرَ مُخْزٍ ولَا فَاضِحٍ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ الْعِلْمِ وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ المَمَاتِ وَثَبِّتْني وَثَقِّلْ مَوَازِيني وَحَقِّقْ إِيمَاني وَارْفَعْ دَرجَتي وَتَقَبَّلْ صَلَاتي واغْفِرْ خَطِيئَاتي وَأَسْأَلُكَ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ * اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِن كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ * اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا في الأُمُور كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ * اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِها جَنَّتَكَ وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا * اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمّاً إِلَّا فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْناً إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

* * *